الدكتورة: فاطمة محجوب

الموسوعة الذهبية

للعلوم الإسلامية

الناشر



دار الغد العربي

٣ شارع دانش ـ العباسية

ت : ٤٨٢٤٣٢٩ القاهرة

الدكتورة

فاطمة محجوب

الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

المجلد السادس عشر

الناشر



دار الغد العربي
٣ شارع دانش - العباسية
ت: ٤٨٢٤٣٢٩ القاهرة

للناشر



للطباعة والنشر والتوزيع

٣ شارع دانش - العباسية - عبده باشا - القاهرة

الإدارة : ٢٨٥٦١٢٢/ ٤٨٢٤٣٢٩/ ٢٨٤٣١١٥

فاكس : ٤٨٢٤٣٢٩ القاهرة

جمهورية مصر العربية

الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

تابع حرف الخاء

* الخطاب فى القرآن الكريم:

النوع الثانى والأربعون من علوم القرآن عند الإمام الزركشى هو وجوه المخاطبات والخطاب فى القرآن الكريم . قال البدر الزركشى : يأتى على نحو من أربعين وجها :

الأول :

خطاب العام المراد به العموم .

كقول تعالى : ﴿إن الله بكل شىء عليم﴾ [المجادلة : ٧] .

وقوله تعالى : ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا﴾ [يونس : ٤٤]

وقوله تعالى : ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ [الكهف : ٤٩]

وقوله تعالى : ﴿الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ [الروم : ٤٠]﴿هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة﴾ [غافر: ٦٧] ﴿الله الذى جعل لكم الأرض قرارا﴾ [غافر: ٦٤] . وهو كثير فى القرآن .

﴿يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ [الانفطار: ٦]

الثانى :

خطاب الخاص والمراد به الخصوص .

من قوله تعالى : ﴿أكفرتم بعد إيمانكم﴾ [آل عمران : ١٠٦] .

﴿هذا ما كنزتم لأنفسكم﴾ [التوبة : ٣٥]

﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان : ٤٩]

﴿يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة : ٦٧]

﴿فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا﴾ [الأحزاب : ٣٧]؛ وغير ذلك .

الثالث :

خطاب الخاص والمراد به العموم .

كقوله تعالى : ﴿يأيها النبى إذا طلقتم النساء﴾ [الطلاق : ١] ، فافتتح الخطاب بالنبى صلى الله عليه وسلم والمراد سائر من يملك الطلاق .

ومنه قوله تعالى : ﴿يأيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾ [الأحزاب : ٥٠] .

وقال أبو بكر الصيرفى : كان ابتداء الخطاب له فلما قال فى الموهوبة : ﴿خالصة لك﴾ علم أن ما قبلها له ولغيره صلى الله عليه وسلم .

وقوله تعالى : ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾ [النساء : ١٠٢] وجرى أبو يوسف على الظاهر فقال : إن صلاة الخوف من خصائص النبى ﷺ .

وأجاب الجمهور بأنه لم يذكر ﴿فيهم﴾ على أنه شرط ، بل على أنه صفة حال والأصل فى الخطاب أن يكون لمعين .

وقد يخرج على غير معين ليفيد العموم؛ كقوله تعالى : ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات﴾ [البقرة : ٢٥]وفائدته الإيذان بأنه خليق بأن يؤمر به كل أحد ليحصل مقصوده الجميل .

وكقوله : ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت﴾ [سبأ : ٥١] ، أخرج فى صورة الخطاب لما أريد العموم ، للقصد إلى تفظيع حالهم ، وأنها تناهت فى الظهور حتى امتنع خفاؤها فلا نخص بها رؤية راء ، بل كل من يتأتى منه الرؤية داخل فى هذا الخطاب ، كقوله تعالى : ﴿وإذارأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا﴾ [الإنسان : ٢٠] ، لم يرد به مخاطب معين ، بل عبر بالخطاب ليحصل لكل أحد فيه مدخل ، مبالغة فيما قصد الله

من وصف ما فى ذلك المكان من النعيم والملك، ولبناء الكلام فى الموضعين على العموم لم يجعل لـ: «ترى» ولا لـ: «رأيت» «رأيتم» مفعولا ظاهرا ولا مقدرا ليشيع ويعم.

وأما قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم﴾ [السجدة: ١٢] فقيل إنه من هذا الباب، ومنعه قوم وقال: الخطاب للنبى ﷺ، ولو للتمنى لرسول الله ﷺ كالترجى فى: ﴿لعلهم يهتدون﴾ [الأنبياء: ٣١]، لأنه تجرع من عداوتهم الغصص، فجعله الله كأنه تمنى أن يراهم على تلك الحالة الفظيعة، من نكس الرؤوس صما عميا ليشمت بهم.

ويجوز أن تكون: «لو» «امتناعية»، وجوابها محذوف؛ أى لرأيت أسوأ حال يرى.

الرابع:

خطاب العام والمراد الخصوص.

وقد اختلف العلماء فى وقوع ذلك فى القرآن، فأنكره بعضهم؛ لأن الدلالة الموجبة للخصوص بمنزلة الاستثناء المتصل بالجملة، كقوله تعالى: ﴿فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما﴾ [العنكبوت: ١٤]، والصحيح أنه واقع.

وكقوله تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾ [آل عمران: ١٧٣] وعمومه يقتضى دخول جميع الناس فى اللفظين جميعا؛ والمراد بعضهم، لأن القائلين غير المقول لهم، والمراد بالأول نعيم بن سعيد الثقفى، والثانى أبو سفيان وأصحابه. قال الفارسى: ومما يقوى أن المراد بالناس فى قوله تعالى: ﴿إن الناس قد جمعوا لكم﴾ واحد قوله: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه﴾ [آل عمران: ١٧٥]، فوقعت الإشارة بقوله: ﴿ذلكم﴾ إلى واحد بعينه، ولو كان المعنى به جمعا لكان «إنما الشياطين الشياطين» فهذه دلالة ظاهرة فى اللفظ وقيل بل وضع فيه «الذين» موضع «الذى».

وقوله: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس﴾ [البقرة: ١٣] يعنى عبد الله بن سلام.

وقوله تعالى: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ [الحجرات: ٤] قال الضحاك: وهو الأقرع بن حابس.

وقوله تعالى: ﴿يأيها الناس اتقوا ربكم﴾ [النساء: ١] و [الحج: ١] و [لقمان: ٣٣] لم يدخل فيه الأطفال والمجانين.

ثم التخصيص يجىء تارة فى آخر الآية، كقوله تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ [النساء: ٤]، فهذا عام فى البالغة والصغيرة عاقلة أو مجنونة، ثم خص فى آخرها بقوله: ﴿فإن طبن لكم عن شىء منه نفسا ...﴾ [النساء: ٤] الآية، فخصها بالعاقلة البالغة، لأن من عداها عبارتها ملغاة فى العفو.

ونظيره قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فإنه عام فى البائنة والرجعية ثم خصها بالرجعية بقوله: ﴿وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك﴾ [البقرة: ٢٢٨]، لأن البائنة لا تراجع.

وتارة فى أولها، كقوله تعالى: ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فإن هذا خاص فى الذى أعطاها الزوج. ثم قال بعد: ﴿فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فهذا عام فيما أعطاها الزوج أو غيره إذا كان ملكا لها.

وقد يأخذ التخصيص من آية أخرى كقوله تعالى: ﴿ومن يولهم يومئذ دبره ...﴾ [الأنفال: ١٦] الآية، فهذا عام فى المقاتل كثيرا أو قليلا، ثم قال: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون ...﴾ الآية.

ونظيره قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ [المائدة: ٣]، وهذا عام فى جميع الميتات، ثم خصه بقوله: ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم﴾ [المائدة: ٤]، فأباح الصيد الذى يموت فى فم الجارح المُعَلَّم.

وخصص أيضا عمومه فى آية أخرى قال: ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم﴾ [المائدة: ٩٦] تقديره: «وإن كانت ميتة» فخص بهذه الآية عموم تلك.

ومثله قوله تعالى: ﴿لا تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم﴾ [النور: ٢٩].

ونظيره قوله: ﴿والدم﴾ [البقرة: ١٧٣] وقال فى آية أخرى: ﴿إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا﴾ [الأنعام: ١٤٥] يعنى إلا الكبد والطحال؛ فهو حلال.

ثم هذه الآية خاصة فى سورة الأنعام وهى مكية، والآية

العامة في سورة المائدة وهي مدنية، وقد تقدم الخاص على العام في هذا الموضع، كما تقدم في النزول آية الوضوء؛ على أنه التيمم، وهذا ماش على مذهب الشافعي في أن العبرة بالخاص سواء تقدم أم تأخر.

ومثله قوله تعالى: ﴿وآتيتم إحداهن قنطارا ...﴾ [النساء: ٢٠]؛ وهذا عام سواء رضيت المرأة أم لا، ثم خصها بقوله: ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه﴾ [النساء: ٤] وخصها بقوله: ﴿فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ [البقرة: ٢٢٩].

ومثله قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ...﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فهذا عام في المدخول بها وغيرها، ثم خصها فقال: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ...﴾ [الأحزاب: ٤٩]، فخص الآيسة والصغيرة والحامل؛ فالآيسة الصغيرة بالأشهر، والحامل بالوضع.

ونظيره قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ...﴾ [البقرة: ٢٣٤] الآية، وهذا عام في الحامل والحائل، ثم خص بقوله: ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ [الطلاق: ٤].

ونظيره قوله تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء ...﴾ [النساء: ٢٠] وهذا عام في ذوات المحارم والأجنبيات، ثم خص بقوله: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم ...﴾ [النساء: ٢٣]،

وقوله: ﴿الزانية والزاني﴾ [النور: ٢]، عام في الحرائر والإماء، ثم خصه بقوله: ﴿فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب﴾ [النساء: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾ [البقرة: ٢٥٤] فإن الخلة عامة، ثم خصها بقوله: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ [الزخرف: ٦٧].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ولا شفاعة﴾ [البقرة: ٢٥٤] بشفاعة النبي ﷺ.

فائدة:

[في العموم والخصوص].

قد يكون الكلامان متصلين، وقد يكون أحدهما خاصا والآخر عاما؛ وذلك نحو قولهم لمن أعطى زيدا درهما: أعطِ عَمْرًا، فإن لم تفعل فما أعطيت؛ يريد: إن لم تعط عمرا فأنت لم تعط زيدا أيضا، وذاك غير محسوب لك.

ذكره ابن فارس (في الصاحبي/ ١٧٨) وخرج عليه قوله تعالى: ﴿بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة: ٦٧] قال: فهذا خاص به، يريد هذا الأمر المحدد بلغه ﴿فإن لم تفعل﴾ ولم تبلِّغ هذا ﴿فما بلغت رسالته﴾، يريد جميع ما أرسلت به.

قلت وهو وجه حسن؛ وفي الآية وجوه أُخر:

أحدها: أن المعنى أنك إن تركت منها شيئا كنت كمن لا يبلغ شيئا منها فيكون ترك البعض محبطا للباقي. قال الراغب: وكذلك أن حكم الأنبياء عليهم السلام في تكليفاتهم أشد؛ وليس حكمهم كحكم سائر الناس الذين يتجاوز عنهم إذا خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا؛ وروى هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والثاني قال الإمام فخر الدين إنه من باب قوله:

** أنا أبو النجم وشعري شعري**

معناه: أن شعري قد بلغ في المتانة والفصاحة إلى حد شيء قيل في نظم إنه شعري فقد انتهى مدحه إلى الغاية فيفيد تكرير المبالغة التامة في المدح من هذا الوجه، وكذا جواب الشرط هاهنا، يعني به أنه لا يمكن أن يوصف ترك بعض المبلَّغ تهديدا أعظم من أنه ترك التبليغ، فكان ذلك تنبيها على غاية التهديد والوعيد، وضعف الوجه الذي قبله بأن من أتى بالبعض وترك البعض، لو قيل إنه ترك الكل كان كذبا، ولو قيل: إن الخلل في ترك البعض، كالخلل في ترك الكل، فإنه أيضا محال.

وفي هذا التضعيف الذي ذكره الإمام نظر؛ لأنه إذا كان متى أتى به غير معتد به فوجوده كالعدم، كقول الشاعر:

سئلت فلم تمنع ولم تعط نائلا
فسيان لا ذم عليك ولا حمد

أي، ولم تعط ما يعد نائلا؛ وإلا يتكاذب البيت.

الثالث: أنه لتعظيم حرمة كتمان البعض جعله ككتمان الكل، كما في قوله تعالى: ﴿فكأنما قتل الناس جميعا﴾ [المائدة: ٣٢].

الرابع: أنه وضع السبب موضع المسبب، ومعناه: إن لم

تفعل ذلك فلك مما يوجبه كتمان الوحى كله من العذاب.

ذكر هذا والذى قبله صاحب الكشاف (٢ / ٢٦٦).

تنبيه: قال الإمام أبو بكر الرازى: وفى هذه الآية دلالة على أن كل ما كان من الأحكام للناس إليه حاجة عامة أن النبى ﷺ قد بلغه الكافة، وإنما وروده ينبغى أن يكون من طريق التواتر؛ نحو الوضوء مما مست النار ونحوها، لعموم البلوى بها، فإذا لم نجد ما كان فيها بهذه المنزلة واردا من طريق التواتر، علمنا أن الخبر غير ثابت فى الأصل. انتهى.

وهذه الدلالة ممنوعة، لأن التبليغ مطلق غير مقيد بصورة التواتر فيما تعم به البلوى، فلا تثبت زيادة ذلك إلا بدليل. ومن المعلوم أن الله سبحانه لم يكلف رسوله ﷺ إشاعة شىء إلى جمع يتحصل بهم القطع غير القرآن لأن المعجز الأكبر، وطريق معرفته القطع، فأما باقى الأحكام فقد كان النبى ﷺ يرسل بها إلى الآحاد والقبائل، وهى مشتملة على ما تعم به البلوى قطعا.

الخامس:

· خطاب الجنس.

نحو ﴿يأيها الناس﴾، فإن المراد جنس الناس لا كل فرد، وإلا فمعلوم أن غير المكلف لم يدخل تحت هذا الخطاب، وهذا يغلب فى الخطاب أهل مكة، ورجح الأصوليون دخول النبى ﷺ فى الخطاب بـ «يأيها الناس». وفى القرآن سورتان، أولهما ﴿يأيها الناس﴾، إحداهما فى النصف الأول، وهى السورة الرابعة منه، وهى سورة النساء، والثانية فى النصف الثانى منه، وهى سورة الحج. والأولى تشتمل على شرح المبدأ، والثانية تشتمل على شرح المعاد، فتأمل هذا الترتيب ما أوقعه فى البلاغة!.

قال الراغب: «و الناس» قد يذكر ويراد به الفضلاء دون من يتناوله اسم «الناس» تجوزا، وذلك إذا اعتبر معنى الإنسانية، وهو وجود العقل والذكر وسائر القوى المختصة به، فإن كل شىء عدم فعله المختص به لا يكاد يستحق اسمه، كاليد، فإنها إذا عدمت فعلها الخاص بها، فإطلاق اليد عليها كإطلاقه على يد السرير، ومثله بقوله تعالى: ﴿آمنوا كما آمن الناس﴾ [البقرة: ١٣] أى، كما يفعل من يوجد فيه معنى الإنسانية، ولم يقصد بالإنسان عينا وحدا، بل قصد المعنى، وكذلك قوله: ﴿أم يحسدون الناس﴾ [النساء: ٥٤] أى من وجد فيهم معنى الإنسانية، أى إنسان كان».

قال: «وربما قصد به النوع من حيث هو، كقوله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾» [البقرة: ٢٥١] (المفردات فى غريب القرآن / ٥٢٩).

السادس:

خطاب النوع.

نحو: ﴿يابنى إسرائيل﴾ [البقرة: ٤٠] والمراد «بنو يعقوب»، وإنما صرح به للطيفة سبقت فى النوع السادس وهو علم المبهمات (الجزء الأول من البرهان/ ١٥٥).

السابع:

خطاب العين.

نحو ﴿يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ [البقرة: ٣٥].

﴿يانوح اهبط بسلام﴾ [هود: ٤٨].

﴿يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ [الصافات: ١٠٥].

﴿ياموسى﴾ [الأعراف: ١٤٤].

﴿ياعيسى﴾ [آل عمران: ٥٥]

ولم يقع فى القرآن النداء بـ «يا محمد» بل بـ «يأيها النبى»، و «يأيها الرسول» تعظيما له وتبجيلا، وتخصيصا بذلك عن سواه.

الثامن:

خطاب المدح.

نحو: ﴿يأيها الذين آمنوا﴾، وهذا وقع خطابا لأهل المدينة الذين آمنوا، تمييزا لهم عن أهل مكة، وقد سبق أن كل آية فيها: ﴿يأيها الناس﴾ لأهل مكة، وحكمة ذلك أنه يأتى بعد ﴿يأيها الناس﴾ الأمر بأصل الإيمان، ويأتى بعد ﴿يأيها الذين آمنوا﴾ الأمر بتفاصيل الشريعة، وإن جاء بعدها الأمر بالإيمان كان من قبيل الأمر بالاستصحاب.

وقوله تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون﴾ [النور: ٣١]، قيل: يرد الخطاب بذلك باعتبار الظاهر عند المخاطب؛ وهم المنافقون، فإنهم كانوا يتظاهرون بالإيمان، كما قال سبحانه: ﴿قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ [المائدة: ٤١]

وقد جوز الزمخشري (الكشاف ٢ / ٤٤٢) في تفسير سورة المجادلة في قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول﴾ [المجادلة: ١٢] أن يكون خطابا للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم، وأن يكون للمؤمنين.

ومن هذا النوع الخطاب بـ «يأيها النبي» «يأيها الرسول» ولهذا تجد الخطاب بالنبي في محل لا يليق به الرسول، وكذا عكسه، كقوله في مقام الأمر بالتشريع العام: ﴿يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة: ٦٧]، وفي مقام الخاص: ﴿يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ [التحريم: ١]، ومثله: ﴿إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾ [الأحزاب: ٥٠].

وتأمل قوله تعالى: ﴿لاتقدموا بين يدى الله ورسوله﴾ [الحجرات: ١] في مقام الاقتداء بالكتاب والسنة، ثم قال: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ [الحجرات: ٢] فكأنه جمع له المقامين معنى النبوة والرسالة؛ تعديدا للنعم في الحالين.

وقريب منه في المضاف إلى الخاص: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾ [الأحزاب: ٣٢]ولم يقل: «يانساء الرسول» لما قصد اختصاصهن عن بقية الأمة.

وقد يعبر بالنبي في مقام التشريع العام، لكن مع قرينة إرادة التعميم، كقوله تعالى: ﴿يأيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ [الطلاق: ١]، ولم يقل: «طلقت».

التاسع:

خطاب الذم.

نحو: ﴿يأيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم﴾ [التحريم: ٧] ﴿قل يأيها الكافرون﴾ [الكافرون: ١]

ولتضمنه الإهانة لم يقع في القرآن في غير هذين الموضعين.

وكثر الخطاب بـ «يأيها الذين آمنوا» على المواجهة، وفي جانب الكفار على الغيبة، إعراضا عنهم، كقوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين﴾ [الأنفال: ٣٨]، ثم قال: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ [الأنفال: ٣٩]، فواجه بالخطاب المؤمنين، وأعرض بالخطاب عن الكافرين؛ ولهذا كان ﷺ إذا عتب على قوم قال: «ما بال رجال يفعلون كذا!» فكنى عنهم تكرما، وعبر عنهم بلفظ الغيبة إعراضا.

العاشر:

خطاب الكرامة.

نحو: ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ [الأعراف: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿أدخلوها بسلام آمنين﴾ [الحجر: ٤٦]

الحادي عشر:

خطاب الإهانة

نحو قوله تعالى لإبليس: ﴿فإنك رجيم * وإن عليك اللعنة﴾ [الحجر: ٣٤، ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿قال اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

وقوله تعالى: ﴿وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ [الإسراء: ٦٤].

قالوا: ليس هذا إباحة لإبليس، وإنما معناه أن ما يكون منك لا يضر عبادي، كقوله تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الإسراء: ٦٥].

الثاني عشر:

خطاب التهكم.

وهو الاستهزاء بالمخاطب، مأخوذ من «تهكمت البئر» إذا تهدمت؛ كقوله تعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان: ٥٠]، وهو خطاب لأبي جهل؛ لأنه قال: «ما بين جبليها - يعني مكة - أعز ولا أكرم».

(الخبر كما في تفسير ابن كثير ٤ / ١٤٦: «لقي رسول الله ﷺ أبا جهل، لعنه الله فقال: «إن الله تعالى أمرني أن أقول لك: أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى!»، فنزع ثوبه من يده وقال: ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء، ولقد علمت أني أمنع أهل البطحاء، وأنا العزيز الكريم، فقتله الله يوم بدر وأذله بكلمته وأنزل: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾).

وقال: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ [التوبة: ٣٤]، وجعل العذاب مبشَّرا به.

وقوله: ﴿هذا نُزُلُهُم يوم الدين﴾ [الواقعة: ٥٦]

وقوله: ﴿وأما إن كان من المكذبين الضالين * فنزل من حميم * وتصلية جحيم﴾ [الواقعة: ٩٢ - ٩٤]، والنزل لغة: هو الذى يقدم للنازل تكرمة له قبل حضور الضيافة.

وقوله تعالى: ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار * له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ [الرعد: ١٠، ١١] على تفسير «المعقبات» بالحرس حول السلطان، يحفظونه - على زعمه - من أمر الله، وهو تهكم، فإنه لا يحفظه من أمر الله شيء إذا جاءه.

وقوله تعالى: ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا﴾ [الأحزاب: ١٨]، وهو تعالى يعلمهم حقيقتهم، و ﴿يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ [هود: ٥]، لا تخفى عليه خافية!

وقوله تعالى: ﴿وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم﴾ [الواقعة: ٤٣، ٤٤].

ذلك لأن الظل من شأنه الاسترواح واللطافة، فنفى هنا، وذلك أنهم لا يستأهلون الظل الكريم.

الثالث عشر:

خطاب الجمع بلفظ الواحد.

كقوله تعالى: ﴿يأيها الإنسان إنك كادح﴾ [الانشقاق: ٦]

﴿يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ [الانفطار: ٦]

والمراد الجميع بدليل قوله تعالى: ﴿إن الإنسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا﴾ [العصر: ٢، ٣]

وكان الحجاج يقول فى خطبته: «يأيها الإنسان، وكلكم ذلك الإنسان».

وكثيرا ما يجيء ذلك فى الخبر، كقوله تعالى: ﴿إن هؤلاء ضيفى﴾ [الحجر: ٦٨]، ولم يقل: «ضيوفى»، لأنه مصدر.

وقوله تعالى: ﴿هم العدو فاحذرهم﴾ [المنافقون: ٤] ولم يقل الأعداء.

وقوله تعالى: ﴿وحسن أولئك رفيقا﴾ [النساء: ٦٩] أى رفقاء.

وقوله تعالى: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ [البقرة: ٢٨٥] ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾[الحاقة: ٤٧].

وفى الوصف كقوله تعالى: ﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾ [المائدة: ٦].

وقوله تعالى: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ [التحريم: ٤]

وقوله تعالى: ﴿فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا﴾ [يوسف: ٨٠]، وجمعه أنجية، من المناجاة.

وقوله تعالى: ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ [النور: ٣١]، فأوقع الطفل جنسا.

قال ابن جنى: وهذا باب يغلب عليه الاسم لا الصفة، نحو الشاة والبعير والإنسان والملك، قال تعالى: ﴿والملك على أرجائها﴾ [الحاقة: ١٧] ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ [الفجر: ٢٢] ﴿إن الإنسان لفى خسر﴾ [العصر: ٢]. ومن مجيئه فى الصفة قوله تعالى: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ [الفرقان: ٢٧] وقوله تعالى: ﴿وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾ [الرعد: ٤٢].

وقال: وكل واحدة من هذه الصفات لا توقع هذا الموقع إلا بعد أن تجرى مجرى الاسم الصريح.

الرابع عشر:

خطاب الواحد بلفظ الجمع.

كقوله تعالى: ﴿يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا﴾ [المؤمنون: ٥١] إلى قوله: ﴿فذرهم فى غمرتهم حتى حين﴾ [المؤمنون: ٥٤] فهذا خطاب النبى ﷺ وحده، إذ لا نبى معه قبله ولا بعده.

وقوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ [النحل: ١٢٦]، خاطب به النبى ﷺ، بدليل قوله: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ...﴾ [النحل: ١٢٧].

وقوله تعالى: ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى ...﴾ [النور: ٢٢]؛ خاطب بذلك أبا بكر الصديق لما حرم مسطحا رِفده حين تكلم فى حديث الإفك.

وقوله تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا﴾ [هود: ١٤]، والمخاطب النبى ﷺ أيضا، لقوله تعالى: ﴿قل فأتوا﴾ [هود: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿ففررت منكم لما خفتكم﴾ [الشعراء: ٢١].

وجعل منه بعضهم قوله تعالى: ﴿قال رب ارجعون﴾ [المؤمنون: ٩٩] أى «ارجعنى»؛ وإنما خاطب الواحد المعظم بذلك؛ لأنه يقول: نحن فعلنا، فعلى هذا الابتداء خوطبوا بما فى الجواب. وقيل: ﴿رب﴾ استغاثة، و ﴿ارجعون﴾ خطاب للملائكة، فيكون إلفاتا أو جمعا لتكرار القول؛ كما قال: «قفا نبك».

(من قول امرئ القيس فى أول معلقته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

وقال السهيلى: هو قول من حضرته الشياطين وزبانية العذاب، فاختلط ولا يدرى ما يقول من الشطط، وقد اعتاد أمرا يقوله فى الحياة، من رد الأمر إلى المخلوقين.

ومنه قوله تعالى: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ...﴾ [الزخرف: ٣٢] وهذا مما لا تشريك فيه.

وقال المبرد فى «الكامل»: لا ينبغى أن يستعمل ضمير الجمع فى واحد من المخلوقين على حكم الاستلزام، لأن ذلك كبر وهو، مختص به سبحانه.

ومن هذا ما حكاه الحريرى فى شرح «الملحة» (ملحة الإعراب للحريرى ط بولاق / ١٣)عن بعضهم أنه منع من إطلاق لفظة «نحن» على غير الله تعالى من المخلوقين، لما فيها من التعظيم، وهو غريب. وحكى بعضهم خلافا فى نون الجمع الواردة فى كلامه سبحانه وتعالى، فقيل: جاءت للعظمة يوصف بها سبحانه، وليس لمخلوق أن ينازعه فيها؛ فعلى هذا القول يكره للملوك استعمالها فى قولهم: «نحن نفعل كذا». وقيل فى علتها: إنها لما كانت تصاريف أقضيته تجرى على أيدى خلقه تنزلت أفعالهم منزلة فعله، فلذلك ورد الكلام مورد الجمع، فعلى هذا القول يجوز مباشرة النون لكل من لا يباشر العمل بنفسه.

فأما قول العالم: «نحن نبين» و «نحن نشرح» فمسموح له فيه؛ لأنه يخبر بنون الجمع عن نفسه وأهل مقالته.

وقوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ [الأنعام: ١٣٠]، والمراد الإنس؛ لأن الرسل لا تكون إلا من بنى آدم. وحكى بعضهم فيه الإجماع، لكن عن الضحاك (الضحاك بن مخلد، ويكنى أبا عاصم النبيل) أن من الجن رسولا اسمه يوسف، لقوله تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ [فاطر: ٢٤] واحتج الجمهور بقوله تعالى: ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا﴾[الأنعام: ٩] ليحصل الاستئناس، وذلك مفقود فى الجن، وبقوله تعالى: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا ...﴾ [آل عمران: ٣٣]، وأجمعوا أن المراد بالاصطفاء النبوة.

وأجيب عن تمسك الضحاك بالآية بأن البعضية صادقة بكون الرسل من بنى آدم، ولا يلزم إثبات رسل من الجن بطريق إثبات نفر من الجن، يستمعون القرآن من رسل الإنس، ويبلغونه إلى قومهم، وينذرونهم، ويصدق على أولئك النفر - من حيث إنهم رسل — الرسل. وقد سمى الله رسل عيسى بذلك حيث قال: ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين﴾ [يسٓ: ١٤].

وفى تفسير القرآن لقوام السنة إسماعيل بن محمد بن الفضل الحورى قال قوم من الجن رسل، للآية.

وقال الأكثرون: الرسل من الإنس، ويجيء من الجن، كقوله فى قصة بلقيس: ﴿فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ [النمل: ٣٥]، والمراد به واحد، بدليل قوله تعالى: ﴿ارجع إليهم﴾ [النمل: ٣٧]. وفيه نظر، من جهة أنه يحتمل أن يكون الخطاب لرئيسهم؛ فإن العادة جارية لاسيما من الملوك ألا يرسلوا واحدا وقرأ ابن مسعود: «ارجعوا إليهم»، أراد الرسول ومن معه.

وقوله تعالى: ﴿أولئك مبرءون مما يقولون﴾ [النور: ٢٦]- يعنى عائشة وصفوان (انظر تفسير القرطبى ١٢/ ٢١١).

وقوله تعالى: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ [الشعراء: ١٠٥] والمراد بالمرسلين نوح، كقولك: فلان يركب الدواب ويلبس البرود، وما له إلا دابة وبرد. قاله الزمخشرى (الكشاف ٢ / ١٢٧).

وقوله تعالى: ﴿إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة﴾ [التوبة: ٦٦] قال قتادة: هذا رجل كان لا يمالئهم على ما كانوا يقولون فى النبى ﷺ، فسماه الله سبحانه طائفة. وقال البخارى: ويسمى الرجل طائفة.

وقوله تعالى: ﴿لا بيع فيه ولا خلال﴾ [إبراهيم: ٣١]

والمراد «خلة»، بدليل الآية الأخرى، [البقرة: ٢٥٤] والموجب للجمع مناسبة رءوس الآى.

فائدة

وأما قوله تعالى: ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾ [الفرقان: ٧٤] فجوز الفارسى (هو أبو على الفارسى صاحب كتاب الحجة فى القراءات فيه تقديرين).

أحدهما: أن «إمام» هنا جمع، لأنه المفعول الثانى لجعل، والمفعول الأول جمع، والثانى هو الأول، فوجب أن يكون جمعا، وواحده «آم» لأنه قد سمع هذا فى واحده، قال تعالى: ﴿ولا آمين البيت الحرام﴾ [المائدة: ٢] فهذا جمع «آم» مسلَّما وقياسه على حد قيام وقائم، فأما أئمة فجمع «إمام» الذى هو مقدر، على حد عنان وأعنة، وسنان وأسنة، . والأصل أيمة، فقلبت الفاء.

والثانى: أنه جمع لإمام، لأن المعنى «أئمة» فيكون «إمام» على هذا واحدا، وجمعه أئمة وإمام.

وقال ابن الضائع (أحد أئمة العربية بالإندلس وشارح كتاب سيبويه ت ٦٨٠ هـ): قيدت عن شيخنا الشلوبين (إمام العربية فى عصرة. ت ٦٤٥ هـ) فيه احتمالين غير هذين: أن يكون مصدرا كالإمام، وأن يكون من الصفات المجراة مجرى المصادر فى ترك التثنية والجمع كحسب. ويحتمل أن يكون محمولا على المعنى، كقولهم: دخلنَا على الأمير وكسانا حلة؛ والمراد: كل واحد منا حلة، وكذلك هو «واجعل كل واحد منا إماما».

الخامس عشر:

خطاب الواحد والجمع بلفظ الاثنين.

كقوله تعالى: ﴿ألقيا فى جهنم﴾ [قٓ: ٢٤]، والمراد: مالك، خازن النار.

وقال الفراء: الخطاب لخزنة النار والزبانية؛ وأصل ذلك أن الرفقة أدنى ما تكون من ثلاثة نفر، فجرى كلام الواحد على صاحبيه. ويجوز أن يكون الخطاب للملكين الموكلين، من قوله تعالى: ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ [قٓ: ٢١].

وقال أبو عثمان (المازنى شيخ نحاة البصرة وصاحب كتاب المصنف): لما ثنى الضمير استغنى عن أن يقول: ألق ألق، يشير إلى إرادة التأكيد اللفظى.

وجعل المهدوى (المقرىء النحوى المفسر ت ٤٤٠ هـ) منه قوله تعالى: ﴿قال قد أجيبت دعوتكما﴾ [يونس: ٨٩] قال: الخطاب لموسى وحده لأنه الداعى، وقيل: لهما ـ وكان هارون قد أمَّن على دعائه، والمؤمِّن أحد الداعيين.

السادس عشر:

خطاب الاثنين بلفظ الواحد

كقوله تعالى: ﴿فمن ربكما ياموسى﴾ [طه: ٤٩]، أى «وياهارون»، وفيه وجهان: أحدهما: أنه أفرد موسى عليه السلام بالنداء بمعنى التخصيص والتوقف؛ إذ كان هو صاحب عظيم الرسالة وكريم الآيات. ذكره ابن عطية.

والثانى: لما كان هارون أفصح لسانا منه على ما نطق به القرآن ثبت عن جواب الخصم الألد. ذكره صاحب الكشاف (٢/ ٢٦) وانظر إلى الفرق بين الجوابين.

ومثله: ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ [طه: ١٦]، قال ابن عطية: إنما أفرده بالشقاء من حيث كان المخاطب أولا والمقصود فى الكلام. وقيل بل ذلك لأن الله جعل الشقاء فى معيشة الدنيا فى حيز الرجال، ويحتمل الإغضاء عن ذكر المرأة، ولهذا قيل: من الكرم ستر الحرم.

وقوله: ﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ [الشعراء: ١٦].

ونحوه وصف الاثنين بالجمع قوله تعالى: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ [التحريم: ٤] وقال: ﴿هذان خصمان اختصموا﴾ [الحج: ١٩]، ولم يقل: «اختصما».

وقال: ﴿فتاب عليه﴾ [البقرة: ٣٧]، ولم يقل: «عليهما» اكتفاء بالخبر عن أحدهما بالدلالة عليه.

السابع عشر:

خطاب الجمع بعد الواحد.

كقوله تعالى: ﴿وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا...﴾ [يونس: ٦١]، فجمع ثالثها، والخطاب للنبى ﷺ. قال ابن الأنبارى: إنما جمع فى الفعل الثالث ليدل على أن الأمة داخلون مع النبى ﷺ وحده، وإنما جمع تفخيما له وتعظيما، كما فى قوله تعالى: ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم﴾ [البقرة: ٧٥].

وكذلك قوله : ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين﴾ فثنى فى الأول، ثم جمع، ثم أفرد، لأنه خوطب أولا موسى وهارون، لأنهما المتبوعان، ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها؛ لأنه واجب عليهم، ثم خص موسى بالبشارة تعظيما له.

الثامن عشر:

خطاب عين والمراد غيره.

كقوله تعالى: ﴿يأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ [الأحزاب : ١]، الخطاب له والمراد المؤمنون؛ لأنه ﷺ كان تقيا، وحاشاه من طاعة الكافرين والمنافقين! والدليل على ذلك قوله فى سياق الآية : ﴿واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ [الأحزاب : ٢].

وقوله تعالى : ﴿فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾ [يونس : ٩٤]، بدليل قوله تعالى فى صدر الآية بعدها : ﴿قل يأيها الناس إن كنتم فى شك من دينى﴾ [يونس : ١٠٤]

ومنهم من أجراه على حقيقته وأوله، قال أبو عمر الزاهد فى «الياقوتة» : سمعت الإمامين ثعلب والمبرد يقولان : معنى ﴿فإن كنت فى شك﴾ أى قل يامحمد: إن كنت فى شك من القرآن فاسأل من أسلم من اليهود؛ إنهم أعلم به من أجل أنهم أصحاب كتاب.

وقوله : ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ [التوبة : ٤٣] قال ابن فورك : معناه وسع الله عنك! على وجه الدعاء، و ﴿لم أذنت لهم﴾ تغليظ على المنافقين وهو فى الحقيقة عتاب راجع إليهم؛ وإن كان فى الظاهر للنبى ﷺ، كقوله : ﴿فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك﴾.

وقوله تعالى : ﴿عبس وتولى﴾ [عبس : ١]، قيل إنه أمية (أمية بن خلف)؛ وهو الذى تولى دون النبى ﷺ، ألا ترى أنه لم يقل : «عبست»!

وقوله تعالى : ﴿ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ [الزمر: ٦٥].

وقوله تعالى : ﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين﴾ [البقرة : ١٤٥]

وبهذا يزول الإشكال المشهور فى أنه : كيف يصح خطابه ﷺ مع ثبوت عصمته عن ذلك كله؟ ويجاب أيضا بأن ذلك على سبيل الفرض، والمحال يصح فرضه لغرض.

والتحقيق أن هذا ونحوه من باب خطاب العام من غير قصد شخص معين؛ والمعنى اتفاق جميع الشرائع على ذلك. ويستراح حينئذ من إيراد هذا السؤال من أصله.

وعكس هذا أن يكون المراد عاما، والمراد الرسول قوله : ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم ...﴾ [الأنبياء : ١٠] بدليل قوله فى سياقها : ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ [يونس : ٩٩].

وأما قوله فى سورة الأنعام : ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾ [الأنعام : ٣٥] فليس من هذا الباب.

قال ابن عطية : ويحتمل أن يكون التقدير: ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ فى ألا تعلم أن الله لو شاء لجمعهم. ويحتمل أن يهتم بوجود كفرهم الذى قدره الله وأراده.

ثم قال : ويظهر تباين ما بين قوله تعالى لمحمد ﷺ : ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ [وبين قوله عز وجل لنوح عليه السلام : ﴿إنى أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ [هود : ٤٦]، وقد تقرر أن محمدا ﷺ أفضل الأنبياء.

وقال مكى والمهدوى : الخطاب بقوله : ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ للنبى ﷺ، والمراد أمته، وهذا ضعيف ولا يقتضيه اللفظ.

وقال قوم : وقر نوح عليه السلام لسنه وشيبه.

وقال قوم : جاء الحمل على النبى ﷺ لقربه من الله ومكانته، كما يحمل العاتب على قريبه أكثر من حمله على الأجانب.

قال : والوجه القوى عندى فى الآية هو أن ذلك لم يجيء بحسب النبيين، وإنما جاء بحسب الأمر من الله، ووقع النبى عنهما والعقاب فيهما.

التاسع عشر

خطاب الاعتبار

كقوله تعالى حاكيا عن صالح لما هلك قومه : ﴿فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن

لا تحبون الناصحين﴾ [الأعراف: ٧٩]، خاطبهم بعد هلاكهم؛ إما لأنهم يسمعون ذلك كما فعل النبى ﷺ بأهل بدر وقال: «والله ما أنتم بأسمع منهم»، وإما للاعتبار كقوله تعاله: ﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا﴾ [العنكبوت: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر﴾ [الأنعام: ٩٩].

العشرون:

خطاب الشخص ثم العدول إلى غيره

كقوله: ﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾[هود: ١٤]، الخطاب للنبى ﷺ، ثم قال للكفار: ﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾، بديل قوله: ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ [هود: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ [النساء: ٣].

قاله ابن خالويه: فى كتاب «المبتدأ».

الحادى والعشرون:

خطاب التلوين.

وسماه الثعلبى المتلون (الثعلبى المقرىء صاحب التفسير الكبير، والعرائس) كقوله تعالى: ﴿يأيها النبى إذا طلقتم النساء﴾ [الطلاق: ١].

﴿فمن ربكما ياموسى﴾ [طه: ٤٩] ويسميه أهل المعانى الالتفات(انظره فى هذه الموسوعة فى م ٥/ ٥٩٤ـ٦٠٠).

الثانى والعشرون:

خطاب الجمادات خطاب من يعقل

كقوله تعالى: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت: ١١]. تقديره «طائعة».

وقيل: لما كانت ممن يقول، وهى حالة عقل، جرى الضمير فى ﴿طائعين﴾ عليه، كقولهم: ﴿رأيتهم لى ساجدين﴾ [يوسف: ٤].

وقد اختلف ــ أن هذه المقالة حقيقة، بأن جعل لها حياة وإدراكا يقتضى نطقها، أو مجازا، بمعنى ظهر فيها من اختيار الطاعة والخضوع بمنزلة هذا القول ـ على قولين:

قال ابن عطية: والأول أحسن، لأنه لا شىء يدفعه، والعبرة فيه أتم، والقدرة فيه أظهر.

ومنه قوله تعالى: ﴿يا جبال أوبى معه﴾ [سبأ: ١٠]، فأمرها كما تؤمر الواحدة المخاطبة المؤنثة لأن جميع ما لا يعقل كذلك يؤمر.

الثالث والعشرون:

خطاب التهييج

كقوله تعالى: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ [المائدة: ٢٣]، ولا يدل على أن من لم يتوكل ينتفى عنهم الإيمان، بل حث لهم على التوكل.

وقوله تعالى: ﴿فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾ [التوبة: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ [البقرة: ٢٧٨]، فإنه سبحانه وصفهم بالإيمان عند الخطاب ثم قال: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾، فقصد حثهم على ترك الربا، وأن المؤمنين حقهم أن يفعلوا ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾ [الأنفال: ١]

وقوله تعالى: ﴿إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ [يونس: ٨٤]

وقوله تعالى: ﴿إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾ [الأنفال: ٤١].

وهذا أحسن من قول من قال: «إن» هاهنا بمعنى: «إذ».

الرابع والعشرون:

خطاب الإغضاب.

كقوله تعالى: ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ [الممتحنة: ٩].

وقوله تعالى: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا﴾ [الكهف: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله﴾ [النساء: ٨٩].

الخامس والعشرون:

خطاب التشجيع والتحريض.

وهو الحث على الاتصاف بالصفات الجميلة، كقوله تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم

بنيان مرصوص﴾ [الصف : ٤]، وكفى بحَثِّ الله سبحانه تشجيعا على منازلة الأقران، ومباشرة الطعان!

وقوله تعالى : ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ [آل عمران : ١٢٥].

وقوله تعالى : ﴿ومن يولهم يومئذ دبره﴾ [الأنفال : ١٦] وكيف لا يكون للقوم صبر والملك الحق جل جلاله قد وعدهم بالمدد الكريم فقال : ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ [آل عمران : ١٢٦] وقوله تعالى : ﴿فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾ [النساء : ١٠٤].

وقد جاء في مقابلة هذا القسم ما يراد منه الأخذ بالحزم والتأني بالحرب والاستظهار عليها بالعدة، كقوله تعالى : ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة : ١٩٥]، وقوله تعالى : ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ [الأنفال : ٦٠].

ونحو ذلك في الترغيب والترهيب ماجاء في قصص الأشقياء تحذيرا لما نزل من العذاب، وإخبارا للسعداء فيما صاروا إليه من الثواب.

السادس والعشرون :

خطاب التنفير.

كقوله تعالى : ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات : ١٢] فقد جمعت هذه الآية أوصافا وتصويرا لما يناله المغتاب من عرض من يغتابه على أفظع وجه؛ وفي ذلك محاسن كالاستفهام الذي معناه التقريع والتوبيخ، وجعل ما هو الغاية في الكراهة موصولا بالمحبة، وإسناد الفعل إلى ﴿أحدكم﴾. وفيه إشعار بأن أحدا لا يحب ذلك، ولم يقتصر على تمثيل الاعتبار بأكل لحم الإنسان حتى جعله «أخا»، ولم يقتصر على لحم الأخ حتى جعله «ميتا» وهذه مبالغات عظيمة، ومنها أن المغتاب غائب وهو لا يقدر على الدفع لما قيل فيه فهو كالميت.

السابع والعشرون :

خطاب التحنن والاستعطاف.

كقوله تعالى : ﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ [الزمر : ٥٣].

الثامن والعشرون :

خطاب التحبيب.

نحو : ﴿ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر﴾ [مريم : ٤٢].

﴿يابني إنها إن تك مثقال حبة﴾ [لقمان : ١١٦].

﴿يابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ [طه : ٩٤].

ومنه قوله ﷺ : «ياعباس ياعم رسول الله».

التاسع والعشرون :

خطاب التعجيز.

نحو : ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ [البقرة : ٢٣].

﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ [الطور : ٣٤].

﴿قل فأتوا بعشر سور مثله﴾ [هود : ١٣].

﴿فادرءوا عن أنفسكم الموت﴾ [آل عمران : ١٦٨].

وجعل منه بعضهم : ﴿قل كونوا حجارة أو حديدا﴾ [الإسراء : ٥٠]، ورده ابن عطية بأن التعجيز يكون حيث يقتضي بالأمر فعل ما لا يقدر عليه المخاطب؛ وإنما معنى الآية : كونوا بالتوهم والتقدير كذا.

الثلاثون :

التحسير والتلهف.

كقوله تعالى : ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ [آل عمران : ١١٩].

الحادي والثلاثون :

التكذيب.

نحو قوله تعالى : ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ [آل عمران : ٩٣] ﴿قال هلم شهداءكم الذين يشهدون﴾ [الأنعام : ١٥٠].

الثاني والثلاثون :

خطاب التشريف.

وهو كل ما في القرآن العزيز مخاطبه بقل، كالقلاقل (هي السور الثلاث الأخيرة من القرآن : الإخلاص، والمعوذتان، وهي التي تبدأ بـ «قُلْ») وكقوله : ﴿قل آمنا﴾ [آل عمران : ٨٤]، وهو تشريف منه سبحانه لهذه الأمة؛ بأن يخاطبها بغير واسطة لتفوز بشرف المخاطبة؛ إذ ليس من الفصيح أن يقول

الرسول للمرسل إليه : قال لى المرسل : «قل كذا وكذا» ؛ ولأنه لا يمكن إسقاطها ؛ فدل على أن المراد بقاؤها ، ولا بد لها من فائدة ، فتكون أمرا من المتكلّم للمتكلّم بما يتكلم به أمره شفاها بلا واسطة ؛ كقولك لمن تخاطبه : افعل كذا .

الثالث والثلاثون :

خطاب المعدوم .

ويصح ذلك تبعا لموجود ، كقوله تعالى : ﴿**يابنى آدم**﴾ [الأعراف : ٢٦] ، فإنه خطاب لأهل ذلك الزمان ، ولكل من بعدهم ، وهو على نحو مايجرى من الوصايا فى خطاب الإنسان لولده وولد ولده ما تناسلوا بتقوى الله وإتيان طاعته .

قال الرمانى فى تفسيره : وإنما جاز خطاب المعدوم لأن الخطاب يكون بالإرادة للمخاطب دون غيره ، وأما قوله تعالى : ﴿**كن فيكون**﴾ [النحل : ٤٠] فعند الأشاعرة أن وجود العالم حصل بخطاب «كن» .

وقالت : الحنفية : التكوين أزلى قائم بذات البارى سبحانه ، وهو تكوين لكل جزء من أجزاء العالم عند وجوده ، لا أنه يوجد عند «كاف ونون» .

وذهب فخر الإسلام شمس الأئمة (هو الإمام السرخسى صاحب كتاب المبسوط) منهم إلى أن خطاب «كن» موجود عند إيجاد كل شىء ، فالحاصل عندهم فى إيجاد الشىء شيئان : الإيجاد وخطاب «كن» .

واحتج الأشاعرة بظاهر قوله تعالى : ﴿**إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون**﴾ [النحل : ٤٠] ، وقوله تعالى : ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**﴾ [يسٓ : ٨٢] وقوله تعالى : ﴿**بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون**﴾ [البقرة : ١١٧] ولو حصل وجود العالم بالتكوين لم يكن فى خطاب «كن» فائدة عند الإيجاد .

وأجاب الحنفية بأنا نقول لموجبها ولا تستقل بالفائدة ؛ كالمتشابه ، فيقول بوجود خطاب «كن» عند الإيجاد فى غير تشبيه ولا تعطيل .

ملاحظة : ذكر الإمام الزركشى فى صدر هذا النوع من أنواع علوم القرآن» أنه يأتى على أربعين وجها» ، ولكنه لم يذكر سوى ثلاثة وثلاثين وجها .

(البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى ـ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢ / ٢١٧ ـ ٢٥٣ ، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص) .

*** أبو الخطاب الكَلْوَذانى (٤٣٢ ـ ٥١٠ هـ / ١٠٤١ ـ ١١١٦م):**

محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد ، الكلوذانى ، أبو الخطاب ، البغدادى ، الفقيه ، الحنبلى ، الأصولى .

أصله من كلواذى من ضواحى بغداد ، ومولده ووفاته ببغداد ، وكان أحد أئمة المذهب الحنبلى وأعيانه فى عصره .

وكان فقيها أصوليا ، فرضيا ، شاعرا ، عدلا ، ثقة ، وكان بارعا فى المذهب وعلم الخلاف والفرائض ، وتولى التدريس والإفتاء ، وكان حسن الأخلاق ، طريفا ، محمود السيرة ، مرضى الفعال ، وله اشتغال بالأدب ، ونظم .

صنف كتبا حسانا منها « التمهيد» فى أصول الفقه ، سلك فيه سلك المتقدمين ، وأكثر من ذكر الدليل والتعليل ، وطبع حديثا ، و «الهداية» فى الفقه ، و «الانتصار فى المسائل الكبار» ويسمى الخلاف الكبير ، و «رؤوس المسائل» ويسمى الخلاف الصغير ، و « التهذيب» فى الفرائض ، و « عقيدة أهل الأثر» منظومة فى مائة وخمسين بيتا ، و «العبادات الخمس» و «مناسك الحج» .

(مرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلى / ٤٤٦ ، انظر أيضا الأعلام للزركلى ٥ / ٢٩١ وقد أدرجه تحت عنوان« الكلوذانى») .

*** الخطابة:**

قال الجرجانى :

الخطابة : هو قياس مركب من مقدمات مقبولة ، أو مظنونة من شخص معتقد فيه ، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعله الخطباء والوعاظ (التعريفات / ١٢٣) .

وقال التهانوى :

الخطابة بالفتح وعند المنطقيين والحكماء هو القياس المؤلف من المظنونات أو منها ومن المقبولات ويسمى قياسا خطابيا أيضا ويسمى أمارة عند المتكلمين صرح بذلك السيد الشريف فى حاشية شرح الطوالع وصاحب هذا القياس يسمى خطيبا والغرض منه ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعله الخطباء والوعاظ .

اعلم أنهم خصوا الجدل والخطابة بالقياس لأنهم لا يبحثون إلا عنه وإلا فهما قد يكونان استقراء وتمثيلا هكذا في شرح الشمسية وحواشيه. وفي المحاكمات الإقناعي يطلق على الخطابي وهو الدليل المركب من المشهورات والمظنونات انتهى. وقول العلماء هذا مقام خطابي أي مقام يكتفى فيه بمجرد الظن كما وقع في المطول (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٤٠٤، ٤٠٥).

ويذكر قدامة بن جعفر تعريفا للخطابة وتعدادا لأوصافها فيقول أولا عن الخطب: فالخطب تستعمل في إصلاح ذات البين، وإطفاء نائرة الحرب (أي شرها وهيجها)، وحمالةالدماء (أي دياتها)، والتسديد للملك، والتأكيد للعهد في عقد الأملاك، وفي الدعاء لله عز وجل، وفي الإشادة بالمناقب (المفاخر، واحدتها منقبة)، ولكل ما أريد ذكره ونشره وشهرته في الناس.

ثم يعرف الخطابة بقوله:

الخطابة مأخوذة من خطبت أخطب خطابة، كما يقال: كتبت أكتب كتابة. واشتق ذلك من «الخطب» وهو الأمر الجليل، لأنه إنما يقام بالخطب في الأمور التي تجل وتعظم، والاسم منها خاطب مثل راحم؛ وإذا جعل وصفا لازما قيل خطيب، كما قيل في راحم رحيم. وجعل رحيم أبلغ في الوصف وأبين في الرحمة؛ وكذلك لا يسمى خطيبا إلا من غلب ذلك عليها وعلى وصفه وصار صناعة له، والخطبة الواحدة من المصدر كالقومة من القيام، والضربة من الضرب. وإذا جمعتها قلت خُطب مثل جمعة وجمع والخِطبة اسم المخطوب به وجمعها خِطَب مثل كسرة وكسر. فأما المخاطبة فيقال منها: خاطبت أخاطب مخاطبة، والاسم الخطاب، مثل قاتلته أقاتله مقاتلة، والاسم القتال.

ثم يتكلم على أوصاف الخطابة فيقول:

فمن أوصاف الخطابة: أن تفتح الخطبة بالتحميد والتمجيد، وتوشح (أي تحلى)بالقرآن وبالسائر من الأمثال، فإن ذلك مما يزين الخطب عند مستمعيها وتعظم به الفائدة فيها. ولذلك كانوا يسمون كل خطبة لا يذكر الله في أولها البتراء، وكل خطبة لا توشح بالقرآن والأمثال الشوهاء. ولا يتمثل في الخطب الطوال التي يقام بها في المحافل بشيء من الشعر. فإن أحب أن يستعمل ذلك في الخطب القصار والمواعظ والرسائل فليفعل، إلا أن تكون الرسالة إلى خليفة فإن محله يرتفع عن التمثيل بالشعر في كتاب إليه، ولا بأس بذلك في غيرها من الرسائل. وأن يكون الخطيب أو المترسل عارفا بمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين له فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة فيقصّر عن بلوغ الإرادة، وألا يستعمل الإطالة في موضع الإيجاز فيتجاوز مقدار الحاجة، إلى الإضجار والملالة، وألا يستعمل ألفاظ الخاصة في مخاطبة العامة ولا كلام الملوك مع السوقة، بل يعطي كل قوم من القول بمقدارهم ويزنهم بوزنهم، فقد قيل: «لكل مقام مقال». وإذا رأى من القوم إقبالا عليه وإنصاتا لقوله فأحبوا أن يزيدهم، زادهم على مقدار احتمالهم ونشاطهم. وإذا تبين منهم إعراضا عنه وتثاقلا عن استماع قوله خفف عنهم فقد قيل: «من لم ينشط لكلامك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك» وليس يكون الخطيب موصوفا بالبلاغة ولا منعوتا بالبلاغة والخطابة إلا بوضع هذه الأشياء مواضعها، وأن يكون على الإيجاز إذا شرع فيه قادرا، وبالإطالة إذا احتاج إليها ماهرا. وقد وصف بعضهم البلاغة بما قلناه فقال وقد سئل عنها: «هي الاكتفاء في مقامات الإيجاز بالإشارة، والاقتدار في مواطن الإطالة على الغزارة». وقال الشاعر في هذا المعنى:

يرمون بالخطب الطوال وتارة
وحي الملاحظ خيفة الرقباء

وقال جعفر بن يحيى: «إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيرا، وإذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار هذرا»؛ فبيَّن ما يحمد من الإيجاز، وما يحتاج إليه من الإكثار. فأما المواضع التي ينبغي أن يستعمل كل واحد منها فيه فإن الإيجاز ينبغي أن يستعمل في مخاطبة الخاصة وذوي الأفهام الثاقبة الذين يجتزئون بيسير القول عن كثيره، وبجمله عن تفسيره، وفي المواعظ والسنن والوصايا التي يراد حفظها ونقلها، ولذلك لا ترى في الحديث عن الرسول عليه السلام والأئمة شيئا يطول، وإنما يأتي على غاية الاقتصار والاختصار، وفي الجوامع التي تعرض على الرؤساء فيقفون على معانيها ولا يشغلون بالإكثار فيها. وأما الإطالة: ففي مخاطبة العوام ومن ليس من ذوي

الأفهام ومن لا يكتفى من القول بيسيره، ولا ينفتق ذهنه إلا بتكريره وإيضاح تفسيره، ولهذا استعمل الله عز وجل فى مواضع من كتابه تكرير القصص، وتصريف القول، ليفهم من بعد فهمه ويعلم من قصر علمه. واستعمل فى موضع آخر الإيجاز والاختصار، لذوى العقول والأبصار. فمما روى من الخطب القصيرة والرسائل الموجزة، والألفاظ المختصرة ما نحن ذاكروه أو بعضه ليدل على سائره. فمن ذلك خطبة للنبى ﷺ، وهى أن قال بعد حمد الله والثناء عليه: «أيها الناس، كأن الموت فى الدنيا على غيرنا كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن الذين تشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون، نبوئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأننا مخلدون بعدهم. قد نسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية، ورحم أهل الذل، وخالط أهل الفقه والحكمة. طوبى لمن أذل نفسه، وحسنت خليقته، وصحت سريرته، وعزل عن الناس شره، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة، ولم يعدها إلى البدعة» ثم يسوق قدامة بن جعفر خطبة أخرى لرسول الله ﷺ يأتى ذكرها فيما بعد عند الكلام على الخطابة فى عصر صدر الإسلام.

ثم ينتقل قدامة إلى خطبة قس بن ساعدة التى رواها رسول الله ﷺ وهو من قبيلة إياد، كان خطيب العرب وحكيمها فى الجاهلية ويظن أنه توفى عام ٦٠٠ ميلادية. وهذه خطبته:

ذكر النبى ﷺ أنه رآه بعكاظ على جمل أحمر وهو يقول: «أيها الناس اجتمعوا، ثم اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. يا معشر إياد! أين ثمود وعاد! وأين الآباء والأجداد! وأين المعروف الذى لم يشكر! وأين الظلم الذى لم ينكر! أقسم قس قسما حقا، إن لله لدينا هو أرضى عنده من دينكم»؟ ثم أنشد شعرا، فهل من يحفظه؟ فقال بعضهم: أنا أحفظه. فقال: هاته، فأنشد:

فى الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها ... يمضى الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضى ولا ... يبقى من الباقين غابر
أيقنت أنى لا محا ... لة حيث صار القوم صائر

(نقد النثر/ ٩٤-٩٩)

وقد درج كتابنا فى تقسيم تاريخ الأدب العربى إلى خمسة أعصر على حسب ما نال الأمم العربية والإسلامية من التقلبات السياسية والاجتماعية وهى كما يلى:

(١) العصر الجاهلى، ويبتدىء باستقلال العدنانيين عن اليمنيين فى منتصف القرن الخامس للميلاد، وينتهى بظهور الإسلام سنة ٦٢٢ م.

(٢) عصر صدر الإسلام والدولة الأموية، ويبتدىء مع الإسلام وينتهى بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ.

(٣) العصر العباسى، ومبدؤه قيام دولتهم ومنتهاه سقوط بغداد فى أيدى التتار سنة ٦٥٦ هـ.

(٤) العصر التركى، ويبتدىء بسقوط بغداد وينتهى عند النهضة الحديثة سنة ١٢٢٠ هـ

(٥) العصر الحديث، ويبتدىء باستيلاء محمد علىّ علَى مصر ولا يزال.

(تاريخ الأدب العربى/ ٥).

(١) العصر الجاهلى: من منتصف القرن الخامس للميلاد حتى ظهور الإسلام سنة ٦٢٢ م: عن الخطابة فى ذلك العصر يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات فى أسلوب بليغ نفتقده اليوم فى كُتَّابنا:

الخطابة كالشعر لحُمْتها الخيال وسدُاها البلاغة وهى مظهر من مظاهر الحرية والفروسية، وسبيل من سبل التأثير والإقناع. تحتاج إلى ذلاقة اللسان ونصاعة البيان، وأناقة اللهجة، وطلاقة البديهة. والعرب ذوو نفوس حساسة وإباء، وأولو غيرة ونجدة. فكان لهم فيها القدم السابقة والقِدْح المعُلّى. وقد دعاهم إليها ما دعا الأمم البدوية من الفخر بحسبها ونجارها، والذود عن شرفها وذمارها، وإصلاح ذات

البين بين الحيين، والسفارة بين رءوس القبائل وأقيالهم، أو بين الملوك وعمالهم. وكانوا يدربون فتيانهم عليها منذ الحداثة، ويحرصون على أن يكون لكل قبيلة خطيب يشد أزرها، وشاعر يرفع ذكرها. وربما اجتمع الصنفتان فى واحد.

أما أسلوبها فكان رائع اللفظ، خلاب العبارة، واضح المنهج، قصير السجع، كثير الأمثال. وهم إلى قصارها أميل لتكون أعلق بالصدور وأذيع.

(تاريخ الأدب العربى / ١٩).

ويتناول صاحبا كتاب الوسيط كل ما يتعلق بالخطابة فى هذا العصر، وهو كما يلى:

الخطابة ضرب من التكلم، وهى - إذا تهيأت داعيتها، ووفرت أداتها، وقلت كفاية الكتابة أو ثقلت مئونتها - سبيل الإقناع، وعدة التأثير، لما فيها من حضور المتكلم بشخصه، ودفاعه عن رأيه بنفسه، وإفاضته فى كل ما يؤيد مذهبه. ومن طبيعة القبائل المتبدية (المقيمة بالبادية) التى تعمها الأمية، ولا يربطها قانون عام، ولا تضبطها حكومة منظمة، ولا تضمها راية سلطان واحد - كما كانت الأمة العربية فى جاهليتها - أن تكون الخطابة لها ضرورية، وفطرية.

فمن الدواعى الطبعية للخطابة فى الجاهلية:

(١) غلبة الأمية على العرب غلبة ألجأتها إلى الاستعانة باللسان أداة القول بدل القلم أداة الكتاب.

(٢) تملكهم زمام الفصاحة، وانقيادهم لسلطان البلاغة، واستجابة خاصتهم وعامتهم لدعاء سادتهم وكبرائهم وأولى النجدة فيهم عند الأمر الحافز، والخطب الداهم، لما بين الداعى والمدعو من وحدة الجنس واللسان، وتوافر أسباب التفاهم والبيان.

(٣) تفرقهم قبائل مستقلة، وعشائر صغيرة، وفئات مقاتلة، بحيث يتيسر لكل جمهور منهم الاجتماع فى صعيد واحد، والاستماع إلى خطيب فرد.

(٤) تعذر طرق التواصل المنظمة بينهم: كبريد يحمل رسائل ضافية، وكتبا مطولة، أو برق يوصل أخبارا هامة، أو صحف تنشر حوادث عامة، فكانت الداعية شديدة إلى رسول موفد نابه الشأن، فصيح اللسان، قوى الحجة.

(٥) شن الغارات لأوهى الأسباب، وإفضاء ذلك إلى الدفاع عن النفس والعرض والمال، ثم إلى الانتقام، لفراغ أكثرهم مما يشغل الخواطر والجوارح: من صناعة وزراعة وتجارة، وللخطابة فى ذلك المثل الأعلى والقدح المعلى (سابع سهام الميسر وهو أكبرها حظًا).

ومن أغراض الخطابة والمقامات التى يخطب فيها ما يأتى:

(١) التحريض على القتال، والحض على الأخذ بالثأر، وما إلى ذلك من تهوين لشأن العدو، أو تنبيه على غرة منه، أو تهيئة تعبئة لملاقاته.

(٢) إصلاح ذات البين عند نشوب القتال، فيخطب رؤساء القبيلتين فى تعظيم رزايا الحرب، وتعديد مصائبها، والتنفير منها، أو فى إمكان تحمله دماء القتلى، ومفاداة الأسرى، ونحو ذلك.

(٣) المفاخرة والمنافرة، والمباهاة بقوة العصبية وكرم النجار، وشرف الخصال وعظم الفعال، ترهيبا للطامعين، وتهديدا للمعادين.

(٤) توضيح المقاصد، وتربية التواصل بالسفارات مابين سادات قبائلهم وأقيالهم، وبينهم وبين الملوك المجاورة لهم فى تأمين سبيل، أو خفارة درب، أو إجازة تجارة، أو استنجاد، أو تعزية.

(٥) خطبة الإملاك (الزواج) بترغيب القبيل المخطوب إليه فى قبيل المخطوب له، وعد فضائله وذكر ما يسوقه من المهر ونحو ذلك.

(٦) التوصية بفعل الرغائب، واقتناء المحامد، والتبصر فى العواقب، والتروى عند الحوادث، ويكثر ذلك من حكمائهم وكهانهم لعامتهم، أو من الآباء لأبنائهم وخاصة عند دنو آجالهم.

وإنما لم تصل إلينا أخبار خطبائهم الأوائل، وشىء من خطبهم كما كان ذلك فى الشعر؛ لحفلهم قديما بالشعر دون الخطابة، ولصعوبة حفظ النثر.

وما عنى الرواة بنقل أخبار الخطباء وخطبهم إلا عند ما حلت الخطابة بعدُ منزلة أسمى من الشعر: لابتذاله بتعاطى السفهاء والعامة له، وتلوثهم بالتكسب به والتعرض للحرم فنبه بذلك شأن الخطابة، واشتهر بها الأشراف. وكان لكل قبيلة خطيب، كما كان لكل قبيلة شاعر.

وإذا كان جل القصد من الخطابة إثارة الشعور، وإيقاظ الوجدان كما هو الشأن في الشعر، كان جلا لاعتماد فيها على الأدلة المؤثرة في النفوس، المهيجة للعواطف، ممثلة في صور العبارات الرائعة؛ وكثرت فيها الفواصل والأسجاع لحسن وقعها، على ما فيها: من استرواح الخطيب، وسهولة تدارك المعاني.

وخطب العرب منها الطوال ومنها القصار، ولكل مكان يليق به، وهم إلى القصار أميل: لانطباعهم على الإيجاز، ولأنها إلى الحفظ أسرع، وفي الأصقاع أشيع، وكانوا يعنون في خطبهم ولا سيما القصار منها بسرد كثير من الحكم والأمثال والنصائح، على أنه قلما رويت لنا خطبة بنصها وفصها:

(النص تعيين الشيء والفص مفصل الشيء. والمعنى أتت معينة مفصلة كما قالها صاحبها)لفشو الأمية في الجاهلية، ولعجز الرواة عن استظهار جميعها، وإنما يحفظون ما كان أشد قرعا للسمع، ووقعا في النفس، بعبارة تتفق في أصل المعنى، وتفترق في بعض اللفظ.

وكان من عادة الخطيب في غير خطب الإملاك (التزويج) أن يخطب قائما، أو على نشز من الأرض (مرتفع من الأرض)، أو على راحلته، لإبعاد مدى الصوت، وللتأثير بشخصه وإظهار ملامح وجهه وحركات جوارحه، ولا غنى له عن لوث (عصب) العمامة، والاعتماد على مخصرة (المخصرة: السوط ونحوه وما يأخذه الملك ليشير به أو الخطيب إذا خطب)، أو عصا، أو قناة (رمح)، أو قوس، وربما أشار بإحداها أو بيده.

وقد كانوا يستحسنون من الخطيب أن يكون رابط الجأش، قليل اللحظ (اللحظ النظر بمؤخر العين وهو أشد من الشزر، والمراد قليل التلفت والنظرات)، جهير الصوت، ومتخير اللفظ، قوي الحجة، نظيف البزة (الهيئة والثياب) كريم الأصل، عاملا بما يقول.

وخطباء العرب كثيرون من أقدمهم كعب بن لؤي(هو الجد السابع للنبي ﷺ)، وكان يخطب العرب عامة، ويحض على البر كنانة خاصة، ولما مات أكبروا موته وأرخوا به حتى كان عام الفيل، وذو الإصبع العدواني وهو حرثان بن محرث، سمي كذلك لأن حية نهشت إبهام رجله فقطعها.

ومن أشهرهم قيس بن خارجة بن سنان خطيب حرب داحس والغبراء، وخويلد بن عمرو الغطفاني خطيب يوم الفجار، وقس بن ساعدة الإيادي خطيب عكاظ (نقلنا خطبته كما ذكرها قدامة بن جعفر في بداية هذه المادة) وأكثم بن صيفي زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان - فيما يقال - على كسرى وهم: أكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميان، والحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريان، وخالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريون، وعمرو ابن الشريد السلمي وعمرو بن معد يكرب الزبيدي، والحارث ابن ظالم المري.

ونسوق نموذجين من الخطابة في ذلك العصر:

قال هانى بن قبيصة الشيباني لقومه في يوم ذي قار وهو يحرضهم:

يامعشر بكر، هالك معذور، خير من ناج فرور، إن الحذر لا ينجي من القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر، المنية ولا الدنية، إستقبال الموت خير من استدباره، الطعن في ثغر (جمع ثغرة وهي نقره النحر بين الترقوتين) النحور، أكرم منه في الأعجاز والظهور؛ يا آل بكر، قاتلوا فما للمنايا من بد.

وخطب أبو طالب حين تزوج النبي ﷺ السيدة خديجة:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح (فاق) عليه برا وفضلا، وكرما وعقلا، ومجدا ونبلا، وإن كان في المال قُلٌّ (قلة) فإنما المال ظل زائل، وعارية (ما تداوله الناس بينهم) مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق (المهر) فعلي.

٢ - العصر الثاني: عصر صدر الإسلام والدولة الأموية، ويبتدىء مع الإسلام وينتهي بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ:

لما كان مبدأ كل انقلاب عظيم في أي أمة: إما دعوة دينية وإما دعوة سياسية، وكانت تلك الدعوة تستدعي ألسنة قوالة من أهلها لتأييدها ونشرها، وألسنة من أعدائها وخصومها لإدحاضهم والصد عنها، وذلك لا يكون إلا بمخاطبة

الجماعات وأصحاب النجدات فى الحفل والمنتديات، والحج والمواسم والأسواق، ومواطن الزحف ومقدم الوفود ونحو ذلك كان ظهور الإسلام بالأمر الجلل والشأن الخطير والدعوة العظمى التى لم يعهد لها من قبل فى العالم مثيل من أهم الحوادث التى أنشطت الألسن من عُقلها، وأثارت الخطابة من مكمنها، وأغرت العقول بإحكامها والافتنان فيها، واختلاب النفوس بسحر بيانها. فوق ما كانت عليه فى جاهليتها فكان العمل الأكبر لصاحب الدعوة العظمى سيدنا محمد ﷺ بادىء أمره ـ غير تبليغ القرآن ـ واردا من طريق الخطابة. ولأمر ما جعلها الشارع شعار كل إمام فى حفل دينى أو سياسى كالجمعة والعيدين وموسم الحج الأكبر، ويوم الصف وكل أمر جامع لنشر فضيلة أو نهى عن رذيلة، أو إعلان نصر، أو تأكيد وصية، إلى غير ذلك من الأمور ذوات البال، ولذلك كان دعاة النبى ﷺ ورسله إلى الملوك وأمراء جيوشه وسراياه ثم خلفاؤه من بعده وعمالهم كلهم خطباء مصاقع ولسنا مقاول (الخطيب المصقع هو البليغ أو العالى الصوت أو من لا يرتج عليه كلامه ولا يتعتع، ولُسنا جمع لسان: هو المتكلم عن القوم، ومثله مقاول جمع مقول).

أعانهم على ذلك أنهم كانوا يخطبون عربا مثلهم، للفصاحة عندهم هزة فى النفس وروعة فى الفؤاد، وأن الشرع صرفهم عن اللهو بالشعر الذى لا ينهض بأعباء الخطابة، ولا سيما الدينية، لشرحها الحقائق وقرعها الأسماع بالحجج العقلية والوجدانية، وترغيبها فى الثوب وترهيبها من العقاب، ولخلوها عن قيود الوزن والقافية، ولأنها تقال بعبارات تفهمها الخاصة والعامة: من الجندى الصغير إلى القائد الكبير، وكان لهم من القرآن وأدلته وحججه والاقتباس منه مدد أيما مدد. ولما حدثت الفتنة بين المسلمين (أو الحرب الأهلية كما يقولون) بعد مقتل عثمان، وافترقوا إلى عراقيين بزعامة على، وشاميين بزعامة معاوية، ولكل منهم دعوة يؤيدها، ورغبية يناضل عنها فى تلك الحرب الشعواء التى لم ينكب الإسلام بمثلها، ظهر فى كلتا الطائفتين خطباء لا يحصى عددهم ولا يشق غبارهم، وعلى رأس العراقيين شيخ الخطباء وفحل البلغاء على بن أبى طالب، وعلى رأس الشاميين معاوية بن أبى سفيان. وما انتهت هذه الحرب حتى تشعبت الفتن والآراء والمذاهب والنحل، وتفرق المسلمون إلى شيعة وخوارج وجماعية وتفرع من هؤلاء الطوائف فروع شتى، كل يبذل وسعه فى نشر مذهبه، ويدفع عنه بقائم سيفه، ولم تعدم كل طائفة منها خطباء يؤيدون دعوتها بما أوتوا من البلاغة فى الخطابة والفصاحة والبيان.

وتمتاز الخطابة فى صدر الإسلام منها فى الجاهلية بأشياء:

الأول ـ سلوكها طريقا دينيا فى مثل خطب الجمع والعيدين والحج والإرشاد ونحو ذلك مما يستدعيه نشر الدعوة الدينية.

والثانى ـ اتباعها خطة سياسية فى مثل تأليف الجماعات والأحزاب وتأثيل الملك والسلطان، وما وقع للعرب فى الجاهلية من هذا القبيل فى بعض منازعاتهم فليس بذى شأن كثير، إذا قيس بنظيره فى الإسلام.

الثالث ـ قوة تأثيرها ووصولها إلى قرارة النفوس وامتلاكها للوجدان والشعور بوعظها الزاجر، ونصحها البالغ، مما رقق القلوب القاسية، وأسال الأعين الجامدة.

٤ ـ صفاء ألفاظها، وسهولة عبارتها، ومتانة أساليبها، وتجنبها سجع الكهان وقلة القصد فيها إلى سرد الحكم القصيرة الدقيقة بمناسبة وغير مناسبة، كما كانت تفعل خطباء الجاهلية.

٥ ـ بداءتها بحمد الله والثناء عليه.

٦ ـ محاكاتها أسلوب القرآن فى الإقناع، واستمدادها من آياته، حتى اشترط بعض أئمة المسلمين وجوب اشتمال خطبة الجمعة على شىء منه.

٧ ـ تنوعها بين الإيجاز والإسهاب حتى حكى أن منها ما استغرق نصف نهار كخطبة سحبان بن وائل التى خطبها بحضرة معاوية يوم أن حضر وفد خراسان) ومنها مالم يزد علي فقرات معدودات (مثل خطبة خطيب الأزد حين بعث الحجاج خطباء من الأحماس إلى عبد الملك وهى: قد علمت العرب أنا حى فعال ولسنا بحى مقال، وأنا نجزى بفعلنا عند أحسن قولهم، إن السيوف لتعرف أكفنا، وإن الموت ليستعذب أرواحنا. وقد علمت الحرب الزبون أنا نقرع جماحها، ونحلب ضرارها) وقصارى الكلام أن الخطابة وصلت فى هذا العصر إلى أرقى ما وصلت إليه فى اللسان العربى حتى ممن يعد

عليهم اللحن. ولم تسعد العربية بكثرة خطباء ووفرة خطب مثل ما سعدت به في هذا الصدر الأول، إذ كان القوم ورؤساؤهم عربا خلصا، يسمعون القول فيتبعون أحسنه.

عادات العرب في الخطابة:

ولم يخرج الخطباء عن مألوفهم؛ من اعتبار العمامة (لف العمامة دون التنحى) والاشتمال بالرداء (اشتمل بالثوب أداره على جسده كله) واختصار المخصرة (ما يتوكأ عليها، وما يأخذه الملك يشير به إذا خاطب، أو الخطيب إذا خطب، واختصر المخصرة أخذها) والخطبة من قيام، إلا ماروى عن الوليد بن عبد الملك: من أنه كان يخطب جالسا، وربما كان له عذر من طبيعته، أو أنه كان يرى أن الغرض من الوقوف هو الإشراف على السامعين، وذلك قد حصل بتعلية بنى أمية درجات المنابر، وتبعه في ذلك بعض خلفاء بنى أمية وعمالهم.

ولدينا العديد من نماذج الخطب في هذا العصر نكتفى منها بخطبة من خطب رسول الله ﷺ، أما بقية النماذج فنذكرها إن شاء الله تعالى مع تراجم الخطباء:

خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فحمد الله بما هو أهله ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، فإن العبد بين مخافتين: أجل قد مضى لا يدرى ما الله فاعل فيه، وأجل باق لا يدرى ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات، فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار.

قالت المؤلفة: أصدرت دار الاعتصام بالقاهرة في سنة ١٩٨٣ كتابا بعنوان «خطب المصطفى ﷺ» - جمعها وشرحها محمد خليل الخطيب، يقع في ٣٦٦ صفحة، وهو عندى.

أما عن الخطباء فليس في عصور أهل اللغة عصر أحفل بالخطباء المعروفين نسبا وقولا وعملا من هذا العصر، إذ كانت الخطابة فيه سلسة القياد على خلفائه وزعمائه لفطرتهم العربية ومحلهم من الفصاحة والبيان، وانطباعهم على أساليب القرآن، واتساع مداركهم، ويشمل الخطباء في هذا العصر الخلفاء الراشدين، وولاة المسلمين، وفصحاء الناس، لأن الخطابة إذ ذاك كانت من أعظم أعمال الإمامة والولاية. ومن الخطب التى تضرب كمثل: خطبة الوداع لرسول الله ﷺ وخطبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه يوم السقيفة، وخطبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين ولى الخلافة، وخطبة عثمان رضى الله عنه بعد أن بويع، وخطبة سحبان وائل، وخطبة زياد بن أبيه حين ولى البصرة، وخطبة الحجاج لما قدم أميرا على العراق، ونورد هذه الخطب مع ترجمة كل منهم في موضعه إن شاء الله تعالى: (ذكرنا مطلع خطبة الحجاج في مادة «الحجاج الثقفى» في م ١٣ / ١٤٧).

أما عن الخطابة في الأندلس فنحن نعلم أن أهل الأندلس أصحاب بداهة، وعارضة ونباهة، وحفظ رواية، وفكر ودراية، إن نثروا بهروا، وإن نظموا سحروا، وإن خطبوا أعجبوا، وإن كتبوا أطربوا، يدهشك ارتجالهم، كما يبهرك إعدادهم، وقد ساعدهم على الافتتان في القول وامتلاك أزمة الفصاحة (ولا سيما الخطابة) ما اجتمع لديهم من الأسباب التى ساعدت على نهوضها، وعملت على رقيها، واتساع أغراضها، وازدياد النابغين فيها.

فقد كان الولاة الفاتحون للبلاد من العرب الفصحاء، البلغاء الأبيناء، وأكثر جنودهم ممن يؤثر فيهم الكلام الجزل، والقول الفصل، وكان خصمهم الألد داخل البلاد، واقفا لهم بالمرصاد، يصاولهم في كل بلد وواد، فلذلك كانوا أحوج إلى الخطابة من المعصم للكف، والفارس للسيف، إذ هى المحضاء الذى يلهب نار الحمية في قلوبهم، ويذكى جمرة الغيرة في نفوسهم، ويبعث فيهم روح الأمل، ويقطع عنهم غائلة اليأس، ويحببهم في بذل المهج، ويغريهم بنيل الشهادة، فيستميتون في الذود عن حياضهم، والدفاع عن أعراضهم.

وقد كانت عباراتها في أثناء هذه المدة سهلة التراكيب، واضحة المعانى قليلة الاستعارات، تتجافى عن تعمقات الفلاسفة. وتخيلات الشعراء، يقلُّ فيها السجع، ويكثر الترسل، وتكاد تنحصر أغراضها في الدفاع عن الدين، والحض على الجهاد، والصبر على منازلة الحوادث وملاقاة الكوارث، ومقارعة الخطوب. ولما حدثت الفتنة آخر مدة

الولاة بين المضرية واليمنية كان التناصر للعصبية والتعصب للقبيلة من أكبر وأهم مقاصدها .

وفى دولة بنى أمية وملوك الطوائف كثرت العلوم والفنون، وعنى الناس بدرسها والمناظرة فيها، وزخرت بحور الحضارة وكثرت مناحيها، وتنوعت ألوانها، فتعددت أغراض الخطابة تبعا لتعدد أغراضها وكثرة دواعيها، حتى قيلت فى كل غرض قيلت فيه فى المشرق، ولا سيما حين استحكام حلقات النزاع بين أهل البلاد وتفرقهم شيعا كل يناضل عن كيانه ويدافع عن حياته .

ومما زادها إحكاما وأهلها إقبالا، تولى العظماء والأمراء، والمبالغة فى إكرام من يجيدها، حتى أضافوا القضاء إلى الخطابة، وجعلوا لفظ الخطيب من ألقاب التعظيم والتشريف، فنبه بذلك شأنها، وكثر مرتجلها، وأغرى الناس بالحفاوة بها، والعلماء بالنبوغ فيها، ولا غرابة، فمنه تنقاد له اللغة الفصيحة فى المحادثة والشعر الرقيق على البداهة، فهو على ارتجال الخطابة أقدر، وهى له أطوع، ولا سيما عندما شعر أهل البلاد بالبلاء الذى أحدق بها والخطر الذى دهمهم، خطر العدو الذى سال سيله الجارف، فلم يقف أمامه قوة ولا حول، ولا طول ولا صول .

وقد كانت عباراتها فى هذه المدة يغلب عليها السجع الخالى من التكلف، وتكثر فيها الاستعارات الرقيقة ويوجد فيها كثير من خصائص الكتابة، وكانت ملكتها تامة عند كثير من الأدباء والعلماء والملوك والأمراء، حتى عدت من ألزم أوصافهم وأعظم مناقبهم .

وبعد هذه المدة ضعف شأنها، وانحط قدرها، لغلبة العجمة على أهل البلاد، بل على الملوك والأمراء، فظهرت فيها الصنعة، وغلب عليها التكلف، والتزم فيها السجع المملى، وذهبت ملكة الارتجال من أهلها، فصارت لا تقال إلا بعد تبييت وإعداد، وفى جمعة أو إملاك .

وكثيرًا ما كانوا يستعيضونها بالرسومات التى يرسلون بها إلى الناس فى مواقف الخطابة، كما ترى ذلك واضحا فى كتابات لسان الدين بن الخطيب .

وإن القارىء فى مؤلفات الأندلس كالقلائد والمعجب والمطمح والنفح والإحاطة يرى كثيرًا من الخطباء الذين وصفهم هؤلاء المؤلفون بكل ما ينبغى أن يوصف به الخطيب البارع: من جودة العبارة، وشدة تأثيرها، والقدرة على ارتجالها، مع ثبات الجأش، وقوة القلب . ثم إذا بحثت بعد عن خطب لأولئك لم تجد فى هذه الكتب إلا نتفًا يسيرة جاءت منثورة فى أثناء كلامهم، لا تشفى غلة الباحث، ولا يمكنك أن تستدل بها تمامًا على حال الخطابة . ولعل السر فى هذا أن أولئك المؤلفين أرادوا التفاخر بأهل بلادهم فاختاروا من الكلام ما كان لفظه عذبًا رشيقًا، وخياله بارعًا أنيقًا، وهذا لا يجتمع على الوجه الذى ينبغى إلا فى الرسائل والشعر، فأكثروا من ذكرهما وبالغوا فى سردهما .

أما الخطب فلما كان الغرض منها أن تصل إلى القلب بدون معاناة فهم، ولا معالجة بعقل، وكانت لا تقال إلا فى المجامع العامة، والأندية العظيمة، ومثل هذه تجمع بين الطبقات المختلفة فى الفصاحة والبلاغة، كان من المحتم على الخطيب أن ينتحى فيها جانب السهولة، ويترك طريق التعمل والتأنق، حتى يملك أسماع الحاضرين ويستولى على نفوسهم، وبدهى أن الخطابة الارتجالية إلى السهولة أقرب، وعن الصنعة أبعد، أو أنهم رأوا أن الخطابة قد جمع كثير منها فى دواوين خاصة، وأشهر أمرها بين الناس، فاستغنوا بجمعها عن ذكرها فى كتبهم .

أو أن هؤلاء الخطباء كانوا شعراء وكتابا أيضا كما ترى ذلك فى تراجمهم، فاختار المترجمون أن يثبتوا لهم من الشعر والرسائل ما يكون مقياسًا لنبوغهم، ومعيارًا لرقيهم، ويتركوا الخطب .

أما عدم وصول شىء منها إلينا، فلعل سببه إبادة تلك الدواوين فيما أباده الأسبان وأحرقوه من كتب العلم والدين والأدب، أيام إغارتهم على المسلمين، تلك الإغارة التى كانت نتيجتها مهاجرة أهل البلاد وإمحاء سلطانهم منها .

على أن ندرة الخطب لا تصلح دليلاً لفقد الخطابة أو ضعفها، فهذا قس بن ساعدة الإيادى خطيب العرب بلا مدافع، لم نجد له إلا خطبة واحدة كان الرسول الأمين هو السبب فى بقائها، وهذا سحبان بن وائل الذى خطب مرتجلاً من صلاة الظهر إلى أن حانت صلاة العصر، ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا تلكأ وهو الذى قال له معاوية : أنت

أخطب العرب، فلم يقبل، وقال: والعجم والجن والإنس، لم نجد له إلا بعض سطور ينازعه فيما بعض الأعراب.

٣ ـ العصر الثالث: عصر الدولة العباسية ومبدؤه قيام دولتهم، ومنتهاه سقوط بغداد فى أيدي التتار سنة ٦٥٦ هـ:

لما كان قيام الدولة العباسية فى المشرق والإدريسية فى المغرب الأقصى (أسسها إدريس بن عبد الله سنة ١٧٢ هـ وبقيت إلى سنة ٣١٩ هـ وقد أفردنا لها مادة فى م ٣/ ٢٦٤ ـ ٢٦٦ فانظرها فى موضعها)

والأموية الثانية فى الأندلس (أسسها عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٩ هـ وبقيت إلى سنة ٤٢٧ هـ. انظر مادة «الأندلس» فى م ٦ / ١٤٢)، من الأمور التى ينشأ منها كثير من الانقلابات السياسية والمذهبية والاجتماعية وكان ذلك يستدعى تأليف العصابات، ودعوة الناس إلى التشيع لزعماء الأحزاب، وكان التفاهم بالعربية الفصيحة والانجذاب بالبلاغة لا يزال مستحكما صدر هذا العصر ـ بقيت دواعى الخطابة متوافرة لتوافر أسبابها فكان بين قواد هذه الدول ودعاتها وخلفائها وولاتها ورؤساء وفودها خطباء مصاقع وبلغاء فطاحل ثم لم فترت هذه الدواعى باستقرار الدول، واشتداد اختلاط العرب بالأعاجم وتولى كثير من الموالى قيادة الجيوش وعمالة الولايات والمواسم ـ ضعف شأن الخطابة لضعف قدرتهم عليها وقلة المستجيبين لها لتناقص العناصر العربية فى الجند وأهل النجدة. فلم يمض قرن ونصف من قيام تلك الدولة حتى بطل شأن الخطابة السياسية المذهبية، إلا قليلاً فى المغرب أيام الحفل وقدوم الوفود، وبقيت الخطابة مقصورة على خطب الجمعة والعيدين والمواسم وخطب الزواج ونحو ذلك، وقل فيها الارتجال أو عدم جملة، وحل محل الخطابة فى الأمور السياسية نشر المنشورات، وفى الأمور الدينية مجالس الوعظ والتزهيد والتدريس فى المساجد والمدارس.

ومن نماذج خطب ذلك العهد خطبة المأمون بمرو (بلدة بفارس وهى قاعدة بلاد خراسان وقد ورد عليه كتاب الأمين يعزيه بالرشيد ويحثه على أخذ البيعة له فقال: إن ثمرة الصبر الأجر، وثمرة الجزع الوزر، والتسليم لأمر الله عز وجل فائدة جليلة، وتجارة مربحة، فالموت حوض مورود، وكأس مشروب. وقد أتى على خليفتكم ما أتى على نبيكم ﷺ فإنا لله وإنا إليه راجعون. فما كان إلا عبدا دعى فأجاب، وأمر فأطاع. وقد سد أمير المؤمنين ثلمة، وقام مقامه، وفى أعناقكم من العهد ما قد عرفتم، فأحسنوا العزاء على إمامكم الماضى، واغتبطوا بالنعماء والوفاء فى خليفتكم الباقى، يا أهل الدنيا الموت نازل والأجل طالب، وأمس واعظ، واليوم مغتنم وغدا منتظر، ثم نزل.

الخطباء: وقد اشتهر فى صدر الدولة العباسية جملة من الخطباء جلهم من بنى هاشم عباسيين وعلويين، ثم من الخوارج، ومن بعض خطباء الأمصار من بنى منقر وآل الرقاشى وآل خاقان بالبصرة وبعض زعماء بنى أمية وفقهائهم بالأندلس وآل الأغلب فى إفريقية. ومن أشهرهم داود بن على، وشبيب بن شيبة.

٤ ـ العصر التركى، . ويبتدىء بسقوط بغداد وينتهى عند النهضة الحديثة سنة ١٢٢٠ هـ.

لم تتغير الخطابة عما كانت عليه أواخر الدولة العباسية من حيث قصرها على خطب الجمع والأعياد، وتلاوة بعض المرسومات والمنشورات، إلا قليلا من الخطب السياسية كان يعدها ملوك المغرب قبل إلقائها.

وبقيت لغة الخطابة العربية وحدها أو مع الترجمة إلى الأعجمية فى الممالك التى استعجم لسانها، لمكان العربية من الدين، ولم يبق من أمرها أواخر هذا العصر، إلا ما كان يقرأ مكتوبا فى الكتب، بل قل حفظها واستظهارها فى غير القاهرة، وانتقل وعظها من حسن الذكرى فى أمر الدين والدنيا إلى التخويف من القبر ووحشته، ووصف الجنة ونعيمها وجهنم وأهوالها.

٥ ـ العصر الحديث، ويبتدىء باستيلاء محمد على باشا على مصر، كان المصريون والسوريون أوائل هذا العصر لايستعملون الخطابة فى غير الأغراض الدينية، ثم اتسعت دائرة الأفكار فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى، وصادف ذلك مجيء السيد جمال الدين الأفغانى إلى مصر، والتف حوله كثير من الأزهريين ولفيف من أدباء المصريين والسوريين، فأدخلهم فى عداد جمعيته وألف منهم أندية كانوا يتناوبون الخطابة فيها فى الأمور الدينية والأخلاق، ثم تعدت ذلك إلى الأمور السياسية.

وانتشرت الخطابة بين شبان مصر وفشت وولدت رجال الثورة العرابية .

ومن أشهر خطبائهم السيد عبد الله النديم ، وكان لا يجارى فى سرعة البديهة وشدة التأثير فى سامعيه ، ويحسن الخطابة بالفصيحة والعامية ، والشيخ محمد عبده وغيرهما .

ولما أسست الجمعيات والأندية الأدبية بمصر ، شغلت موضعًا فسيحًا فى عالم الخطابة وبلغت فى هذا العصر بسبب حالة مصر السياسية مبلغًا عظيمًا ، وأصبحت فى حال زاهرة لاتقل كثيرًا عما كانت عليه فى عصور الدول الإسلامية الغابرة .

(الوسيط / ٢٣ ــ ٢٩ ، ١٠٥ ــ ١٠٩ ، ٣٧٥ ــ ٣٧٨ ، ١٨٩ ــ ١٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧) .

وما كان لنا أن ننهى هذه المادة دون أن نذكر دور الأزهر المجيد فى هذا المجال يقول الدكتور محمد كامل الفقى :

للأزهر بحكم زعامته أو رسالته لواء معقود ، ومقام محمود فى جميع الأزمان والعهود ، له فى الدفاع عن الدين والوطن فضل ظاهر ، وأثر ملموس ، وله فى توجيه الحياة مكانة لا تجحد ، وهو فى كل هذه المعانى مبرز ، بما تواتى له من قوة الملكة ، وفصاحة الأسلوب ، وحسن البيان ، والهيمنة على السامعين فى كل مجتمع وناد ، وقد كان الأزهر ولايزال عكاظ الأمة العربية ، وميدان فرسان البلاغة .

وقد تهيأ لكثير من الأزهريين ، من طول المراس ، واعتياد القول ، ومعاطاة الحوار والوعظ والجدل : رصانة فى الأسلوب ، ودقة فى التعبير ، وسمو فى البيان ، وطلاقة فى اللسان ، وفيض فى الخواطر ، وتدفق فى المشاعر ، واقتدار على المباغتة والمفاجأة ، وإنك لتسمع إلى خطبائهم البارعين فيخيل إليك أنك تسمع فى البادية عربها الفصحاء ، ومقاويلها البلغاء ، ويفتنك من هؤلاء مطاوعة اللغة لهم ، ومساعفة البيان لتصرفهم ، وجرى التعبير على أسلافهم .

يخطبون فيتسابقون ، ويرتجلون فيتنافسون ، والخطيب الخطيب منهم هو الذى تنعقد له الزعامة ، ويرفع له لواؤها ، لأنه الحرى بتمثيلهم ، القمين بشرف نيابتهم ، ولو واتت المواهب مجتمعة واحدا منهم ، ثم كان غير مبدع فى البيان ، أو متمكن من القول ، لا يبهر إذا خطب ، ولا يقهر إذا جادل ، ولا يملك زمام الأسماع إذا ارتجل أو أعد ، لو واتت المواهب أحدهم ثم مسه من العى شىء ، لاستعصت عليه الزعامة ، وتأبى عليه ما يطمع فيه من تقدم وقيادة .

يقف الخطيب منهم فتجده أغلب ما تجده لا يتلكأ ولا يتلعثم ولا يعيد قولا أو يكرر جملة ، رصين الأداء ، بليغ الحجة ، سليم العبارة ، محكم الدليل ، يزين خطابه در من كتاب مبين ، ويشرق فى حديثه أدب نبوى رقيع ، ويلمع فى جنباته روائع من أدب العرب وشعرهم ، من طول ما أخذ به من التروى وما ذخرت به ذاكرته من الآثار .

وإنك لتستطيع تمييز الأزهرى من غيره إذا خطب دون أن يميزه زى أو إعلان ، بما يتوافر له من التجويد وطول الاقتدار .

وهؤلاء هم اللسن المقاويل ، وتلك مكانتهم من الفصاحة ، وفى هذه البيئة تخرجت طائفة رفعت لواء الخطابة ، والسياسة والخطابة السياسية الدينية والاجتماعية ، والخطابة القضائية .

وقد أجدى نظام التخصص فى تعليم الأزهر فى تبريز فريق من الأزهريين واقتدارهم على الخطابة ، وإنك لتجد من أبناء كلية اللغة العربية والمتخصصين فى اللغة وآدابها شبابًا تحمد طلاقة ألسنتهم ، وفصاحة تعبيرهم ، وتدفقهم فى كل موقف ومناسبة ، كما يطالعك من المتخصصين فى الدعوة والإرشاد أفذاذ من الطلاب ، جودوا الخطابة الدينية ، وتوفروا على إتقانها ، والتمهر فيها ، وإن كنت لاتعدم فى فروع الأزهر الأخرى من هم مثل هؤلاء فصاحة بيان ، وفيض أسلوب ، إلا أن اشتغالهم بالعلوم البعيدة الصلة عن العربية وآدابها ، جعلهم دون إخوانهم الآخرين عددًا وعدة .

وبالإضافة إلى الخطابة السياسية للأزهر أيام الثورة العرابية ، وأيام الاحتلال الفرنسى لمصر ، فقد استأثر الأزهر بالخطابة الدينية ، لأنه الذى يحمل رسالة الدين ، ويذود عنه ، وينشر فضائله ، ويرد عواديه وغوائله ، وأبناء الأزهر هم الذين يقومون على المنابر فى مساجد القرى والمدن ، فيهزون أعوادها ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويحضون على الفضائل ، وينكبون عن الرذائل ، بأسلوب بارع ، ولغة مهذبة ، وبيان فصيح ، وقصص رائع ، يتخلل ذلك آيات من كتاب الله ، وأدب نبيه الكريم ﷺ .

وإنك تجد الخطيب الديني يحتفل بأسلوبه وأدائه، كي يتسنى له التأثير في النفوس والهيمنة عليها، وقد كانت الخطابة من قبل مسجوعة متكلفة تتلى في ديوان، ولا تمت إلى المناسبة ولا إلى مقتضيات الأحوال بصلة، وكانت إلى عهد قريب تدور حول معان واحدة أو متقاربة، يمل السامع ترديدها، ولا تكاد تصل إلى قلبه بتكرارها، فهي تزهيد في الدنيا، وترغيب في الآخرة، وتشويق إلى الجنة، وتخويف من النار، وتهويل في المعاصي، والعقاب عليها في الحياة الثانية، وكان ينقصها أيضا وحدة الموضوع، فقد كان الخطيب ينتقل من الحديث عن الصدق إلى الحديث عن الخمر، إلى النهي عن الغيبة، إلى الحض على الإنفاق في سبيل الله، فلا يتجه السامع إلى موضوع مستقل يؤمن به.

أما الخطب الآن فإنها نماذج رفيعة في أسلوبها ووضعها، مساوقة للغرض الذي يتطلبها، يلقيها الخطيب مرتجلة يشافه بها الناس، وقلما يعتمد في إلقائها على ورقة، الخطابة المنبرية اليوم إنما هي معالجة للأحداث، وتناول لمختلف الشئون، وتعليق على ما يشغل المجتمع ويهمه على ضوء الدين والخلق الكريم، وقد تسوق الصحف في صباح الجمعة خبراً ذا بال، أو قصة، أو مأساة، أو مثلا كريما، فينهض الخطيب بعرضها وتصويرها، والتعليق عليها بأروع أسلوب، وأوفى بيان، وأحسن تجلية.

ومما ساعد على ترقية الخطابة الدينية أن أصبح الذين ينهضون بها شبابا أفذاذا، معترفا بقدرتهم، مشهودا بكفايتهم ولباقتهم، يرتجلون فلا يتعثرون، ويتدفقون فلا يتلعثمون.

وفي كلية أصول الدين إحدى كليات الأزهر (قسم تخصص الوعظ والإرشاد) يخرج هداة مرشدين اختصوا في هذا الغرض، فجاد أسلوبهم، وفاض بيانهم، وامتازوا بحسن المنطق وبلاغة التأثير، وأصبح لهم في الحياة الاجتماعية مقام ملحوظ، فهم ينشرون فضائل الدين بأسلوب عذب، وبيان عليه طلاوة، ويهدون إلى مكارم الأخلاق بطريقة أخاذة مشوقة، ويعتمد عليهم أولو الأمر في إصلاح ذات البين، وفض المنازعات والتعاون، والسير والأخذ بأسباب الإصلاح الاجتماعي. هذا وقد اتخذت الخطابة الدينية مظهرا آخر كريماً، أعلى شأنها، ورفع لواءها، فإن العلماء والأدباء الذين عذب أسلوبهم، وفصحت عباراتهم، وسلس بيانهم، يقومون في الجمعيات الدينية والاجتماعية، وفي المساجد ودار الإذاعة، فيلقون مواعظ وأحاديث دينية واجتماعية، تعتمد على الأدب الرفيع في أسلوبها وتصويرها، فتصل إلى شغاف القلوب من روعة العظة وسحر البيان.

وقد كان المغفور له الشيخ محمد عبده آية الآيات، فقد كانت خطبه وأحاديثه الدينية والاجتماعية أبلغ الأمثال في جمال العبارة، وحسن الصوغ، وقوة السبك وكان يمزج أسلوبه الديني المتحلي بأدب القرآن وأدب الرسول ﷺ بأدب العرب، وما زخر به من بلاغتهم، وما توفر له من الأدب الغربي الحديث.

ومما نشط هذا النوع في أيامنا هذه، وأزكى غرسه، وأنمى عوده: حضور الحكام وعظماء الأمة وقادتها دروسه، واستماعهم إلى الخطباء المجودين فيه، فتتسامى القرائح، وتتسابق المواهب، ويأخذ هذا الأدب في السمو والتفصح والتجويد، حتى يبلغ ما شاء الله من الرفعة والكمال.

وقد سما بهذا النوع من الخطب حضرة صاحب الفضيلة المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ «محمد مصطفى المراغي»، فقد كان يلقي بين يدي الملك السابق أروع ما تسمو إليه الخطب والدروس، بأسلوب أدبي مطبوع، وبيان طلي مهذب، جاري به الإمام «محمد عبده»، وكان يمزج في هذه الأحاديث بين الأدب الحي، والعلم الحديث، ومجاراة الحياة العامة، وشكها بالنقد والنصح، والتوجيه والهداية والإرشاد.

وقد يذكر في هذا الصدد بالإحسان والتجويد المرحوم الشيخ عبد الله عفيفي بك المحرر العربي للديوان الملكي، فقد كانت أحاديثه وخطبه في المواسم والمناسبات شعرًا منثورًا وبيانا منورًا (الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة ١ / ٢٠١ ـ٢٠٣، ٢١٢ـ ٢١٥).

(التعريفات للشريف الجرجاني ـ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة/ ١٢٣، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١ / ٤٠٤، ٤٠٥، ونقد النثر لأبي الفرج قدامة بن جعفر ـ حققه وعلق حواشيه الدكتور طه حسين بك وعبد الحميد العبادي / ٩٥ ـ ٩٨، وتاريخ الأدب العربي ـ أحمد حسن الزيات/ ٥ ـ ١٩، والوسيط ـ الشيخ أحمد الإسكندري،

والشيخ مصطفى عنانى/ ٢٣ ـ ٢٩، ١٠٥ ـ ١٠٩، ٣٧٥ ـ ٣٧٨، ١٨٩ ـ ١٩١، ١٩٢، ٣٢٦، ٣٢٧، والأزهر وأثره فى النهضة الأوربية الحديثة ـ د. محمد كامل الفقى ١ / ٢٠١ ـ ٢٠٣، ٢١٢ ـ ٢١٥).

*** الخطابى (٣١٩ ـ ٣٨٨ هـ / ٩١٣ ـ ٩٩٨ م):**

الخطابى صاحب كتاب «إصلاح غلط المحدثين» ترجم له محقق الكتاب د. محمد على عبد الكريم الردينى ترجمة وافية ننقلها لك فيما يلى وقد ضمنها أيضا تراجم قصيرة لشيوخ وتلاميذ الخطابى. قال:

هو الإمام العلامة، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابى البستى، الشافعى، من ولد زيد بن الخطاب ـ أخى عمر بن الخطاب، ولد بمدينة بست من بلاد كابل عاصمة الدولة الأفغانية سنة ٣١٩هـ.

(فى هدية العارفين ١ / ٦٧: أحمد. وجاء فى الوفيات ٢ / ٢١٤ قال الحاكم: أبو عبد الله بن محمد بن البيع: سألت أبا القاسم المظفر بن طاهر بن محمد البستى الفقية عن اسم أبى سليمان أحمد، أو حمد؟ فإن بعض الناس يقول: أحمد، قال: سمعته يقول: اسمى الذى سميت به حمد ولكن الناس كتبوا أحمد فتركته عليه).

قالت المؤلفة: أوردنا مادة «بست» فى م ٧ / ٦٨، ومادة «البستى» فى م ٧ / ٨٧، ٨٨ فانظر كلاً فى موضعها.

أقام الخطابى مدة بنيسابور يصنف، فعمل غريب الحديث، ومعالم السنن، والعزلة، والغنية عن الكلام وأهله.

وقال السمعانى: ذكره الحاكم أبو عبد الله فى التاريخ فقال: أقام عندنا بنيسابور سنين، وحدث بها. وكثرت الفوائد من علومه.

وقال ياقوت: رحل إلى العراق والحجاز، وجال فى خراسان، وخرج إلى ما وراء النهر، وتفقه بالقفال الشاشى وغيره، وأخذ الأدب عن أبى عمر الزاهد وإسماعيل الصفار، وألف فى فنون وروى عنه أبو عبد الله الحاكم.

وقال السبكى: سمع الحديث من أبى سعيد بن الأعرابى بمكة، وأبى بكر بن داسة بالبصرة، وإسماعيل بن الصفار ببغداد، وأبى العباس الأصم بنيسابور وطبقتهم.

أشهر شيوخه:

تلقى الخطابى العلم على مجموعة من شيوخ عصره فى النحو واللغة وعلوم القرآن والحديث والفقه والشعر:

١ ـ أحمد بن سليمان بن الحسن بن إسرائيل بن يونس. أبو بكر النجاد البغدادى الحنبلى، الفقيه. روى عن يحيى بن أبى طالب، والحسن بن مكرم البزاز، وأبى دواد السجستانى.

وروى عنه أبو بكر القطيعى والدارقطنى. كان فقيهًا عارفًا له: كتاب الخلاف وسنن فى الحديث والفوائد فى الحديث، وقلادة النحر (ت ٣٤٨ هـ).

ترجمته فى تاريخ بغداد ٤ / ١٨٩، وطبقات الحنابلة ٢ / ٧، وطبقات الحفاظ ٣٥٥، وهدية العارفين ٥ / ٦٣، وشذرات الذهب ٢ / ٣٧٦.

٢ ـ ابن الأعرابى: وهو الإمام الزاهد، شيخ الحرم، أبو سعيد، أحمد بن محمد بن زياد بن بشر، صاحب التصانيف، سمع الحسن بن محمد الزعفرانى، ومحمد بن عبد الملك الدقيقى، وأبا داود السجستانى وغيرهم. وعنه ابن المقرىء، وابن منده، وعبد الله بن يوسف الأصبهانى وغيرهم.

كان ثقة، ثبتًا، عارفًا، عابدًا ربانيًا كبير القدر، بعيد الصيت، صنف معجمًا لشيوخه، وتاريخًا كبيرًا للبصرة (ت ٣٤٠ هـ).

ترجمته فى تذكرة الحفاظ ٣ / ٦٦، ولسان الميزان ١ / ٣٠٨، والأعلام ١ / ١٩٩.

٣ ـ أبو على الصفار: إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح.

سمع الحسن بن عرفة وزكريا بن يحيى المروزى، وعباس ابن محمد الدورى وغيرهم.

وروى عنه محمد بن المظفر والدارقطنى ومحمد بن أحمد ابن رزقويه وغيرهم.

علامة بالنحو واللغة، ثقة أمين، صحب المبرد صحبة اشتهر بها، وروى الكثير وأدركه الدارقطنى وقال: هو ثقة منقب للسنة. (ت ٣٤١ هـ).

ترجمته فى تاريخ بغداد ٦ / ٣٠٢، ونزهة الألبا: ٣٥٤، وإنباه الرواة ١ / ٢١١، ومعجم البلدان ٧ / ٣٣، والبداية والنهاية ١١ / ٢٢٦، وشذرات الذهب ٢ / ٣٥٨.

٤ ـ الخُلـدى : جعفر بن محمـد بن نصير بـن القاسـم، أبو الخواص المعروف، بالخلدى الزاهد، شيخ الصوفية، قال ابن طاهر: الخلد لقب لجعفر بن نصير وليس نسبة إلى هذا الموضع.

روى عن الحارث بن أبى أسامة وبشر بن موسى الأسدى وعلى بن عبد العزيز البغوى، ومحمد بن حفص السدوسى وغيرهم.

وعنه الحسين بن الحسن المخزومى وابن رزقويه، وعلى ابن أحمد الرزاز كان ثقة، صادقاً، فاضلاً، سمع الكثير من مشايخ الصوفية والمحدثين وحج ستين حجة، (ت ٣٤٨ هـ).

ترجمته فى تاريخ بغداد ٧ / ٢٣١، والبداية والنهاية ١١/ ٢٣٤، ومعجم البلدان ٢ / ٣٨٢.

٥ ـ ابن أبى هريرة: الحسن بن الحسن بن أبى هريرة البغدادى، أبو على الشافعى، فقيه من أصحاب الوجوه، انتهت إليه إمامة الشافعية فى العراق كان عظيم القدر مهيبًا.

أخذ الفقه عن أبى العباس بن سريج، وصاحب أبى حامد المروزى. درس بالبصرة وعنه أخذ فقهاؤها.

له المسائل فى الفروع، وشرح مختصر المزنى فى الفروع. (ت ٣٤٥ هـ).

ترجمته فى تاريخ بغداد ٧ / ٢٩٨. ووفيات الأعيان ٢ / ٧٥، وهدية العارفين ٥ / ٢٦٩، وشذرات الذهب ٢ / ٣٧٠ والأعلام ١ / ١٣٠.

٦ ـ أبو عمرو السماك، عثمان بن أحمد البغدادى.

روى عن الحسن بن مكرم، ويحيى بن أبى طالب، وأبى قلابة الرقاشى وغيرهم. كان ثقة ثبتًا.

كتب المصنفات الكثيرة بخطه (ت ٣٤٤ هـ).

ترجمته فى تاريخ بغداد ١١ / ٣٠٢، والبداية والنهاية ١١ / ٢٢٩، وشذرات الذهب ٢ / ٣٦٦.

٧ ـ ابن داسة: الشيخ الثقة العالم الثقة العالم محمد بن بكر بن عبد الرزاق أبو بكر بن داسة التمار روى عن أبى داود السجستانى، وأبى جعفر محمد بن الحسن بن يونس الشيرازى، وإبراهيم بن فهد الساجى وغيرهم وعنه أبو سليمان الخطابى، وأبو بكر المقرى. وعبد المؤمن القرطبى شيخ ابن عبد البر وغيرهم (ت ٣٤٦ هـ).

ترجمته فى سير أعلام النبلاء ١٠ / ٢ / ٢٦٦، والنجوم الزاهرة ٣ / ٣١٨، وشذرات الذهب ٢ / ٣٧١، وصحيح سنن المصطفى ١ / ٥.

٨ ـ محمد بن عبد الواحد بن أبى هاشم، أبو عمر البغوى الزاهد المطرز اللغوى غلام ثعلب. أحد أئمة اللغة المكثرين من التصنيف، صحب ثعلبًا النحوى زمانا.

روى عن أحمد بن عبيد النرسى، وأبى العباس الكديمى وبشر بن موسى الأسدى وغيرهم.

وعنه على بن أحمد الرزاز، وأبو قاسم بن المنذر وأبو على ابن شاذان له تصانيف: شرح الفصيح، غريب أحمد. فائت العين والمداخل وغير ذلك (ت ٣٤٥ هـ).

ترجمته فى تاريخ بغداد ٢ / ٣٥٦، ولسان الميزان ٥ / ٢٦٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٢٩، وإنباه الرواة ٣ / ١٧١، وطبقات الحنابلة ٣٢٦، وتذكرة الحفاظ ٣ / ٨٦، والبداية والنهاية ١١ / ٢٣٠، وشذرات الذهب ٢ / ٣٧٠.

٩ ـ الشاشى: محمد بن على بن إسماعيل الإمام، أبو بكر الشاشى الفقيه المعروف بالقفال الكبير.

سمع من أبى خزيمة وابن جرير، وأبى القاسم البغوى، وأبى عروبة الحرانى، وعنه أبو عبد الله الحاكم، وأبو عبد الرحمن السلمى وابن منده.

وهو أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء. وعنه انتشر مذهب الشافعى فى بلاده، كان إمام عصره بما وراء النهر، فقيهًا، محدثًا، مفسرًا أصوليًا، لغويًا شاعرًا، وقال الشيخ أبو إسحاق له مصنفات كثيرة ليس لأحد مثلها، (ت ٣٦٥ هـ).

ترجمته فى وفيات الأعيان ١ / ٤٥٨، وطبقات السبكى ٢ / ١٧٦، وتهذيب الأسماء واللغات ٢ / ٢٨٢، ومفتاح السعادة ١ / ٢٥٢، وطبقات المفسرين للداودى ٢ / ٢٩٦ واللباب ٢ / ٢٧٥، وهدية العارفين ١ / ٤٨.

١٠ ـ أبو العباس الأصم: محمد بن يعقوب بن يوسف، أبو العباس الأصم النيسابورى.

روى عن أحمد بن يوسف، وأحمد بن الأزهر، وبكار بن قتيبة وغيرهم وعنه أبو عبد الرحمن السلمى، وأبو بكر الحيرى، وأبو سعد الصيرفى كان يحدث من حفظه، حدث فى الإسلام نيفًا وسبعين سنة بمسجده ورحل إليه خلق كثير (ت ٣٤٦ هـ).

ترجمته فى التذكرة ٣ / ٨٠٦، والعبر ٢ / ٢٧٣، واللباب ٣ / ١٥٩، وطبقات الحفاظ: ٣٥٤، وشذرات الذهب ٢ / ٣٧٣.

١١ ـ مكرم بن أحمد القاضى، أبو بكر البغدادى البزاز، سمع يحيى بن أبى طالب، وأحمد بن عبد الله النرسى، وأحمد بن يوسف التغلبى وغيرهم كان ثقة (ت ٣٤٥ هـ).

ترجمته فى تاريخ بغداد ١٣ / ٢٢١.

أشهر تلاميذه:

١ ـ أحمد بن محمد بن أحمد الإسفراييني، أبو حامد، من أعلام الشافعية، ولد سنة ٣٤٤ هـ، فى إسفرايين بالقرب من نيسابور، ورحل إلى بغداد، فتفقه بها وعظمت مكانته، وانتهت إليه الرياسة.

قال السبكى: حافظ المذهب وإمامه. جبل من جبال العلم منيع، وحَبْر من أحبار الأمة رفيع. جمع نحو ثلثمائة متفقه.

له من الكتب: أصول الفقه، ومختصر فى الفقه سماه الرونق والبستان (ت ٤٠٦ هـ). ببغداد.

ترجمته تاريخ بغداد ٤ / ٣٦٨، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٢، وطبقات الشافعية ٣ / ٢٤، وابن خلكان ١ / ١٩، وتهذيب الأسماء واللغات ٣ / ١٧٨، والمنتظم ٧ / ٢٧٧، والعبر ٣ / ٩٢، وطبقات الشافعية للشيرازى: ١٠٣ وهو فيه أحمد بن طاهر.

٢ ـ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الباشانى، صاحب الغريبين، أبو عبيد الهروى.

قال ياقوت: قرأ على أبى سلمان الخطابى، وأبى منصور الأزهرى، وروى عنه عبد الواحد المليحى وأبو بكر الأزدستانى (ت ٤٠١ هـ).

ترجمته فى تذكرة الحفاظ ٢ / ١٠١٩، وبغية الوعاة / ١٦١.

٣ ـ عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله غفير، أبو ذر الأنصارى الهروى المالكى الحافظ، كان يعرف فى بلده بابن السماك، من فقهاء المالكية، أصله من هراة، نزل مكة، سمع الحديث ورحل إلى البلاد. وكان إمامًا فاضلاً سخيًا صوفيًا.

قال القاضى عياض: ولأبى ذر كتاب كبير مخرج على الصحيحين وكتاب السنة والصفات (ت ٤٣١ هـ) وقيل (ت ٤٣٤ هـ).

ترجمته فى تاريخ بغداد ١١ / ١٤١، وطبقات الحفاظ / ٤٢٥، والتذكرة ١٣ / ١١٠٣ والنجوم الزاهرة ٥ / ٣٦، وكشف الظنون / ٤٤١، وهدية العارفين ٥ / ٤٣٧ وشذرات الذهب ٣ / ٢٥٤.

٤ ـ الحاكم النيسابورى: محمد بن عبد الله بن حمدويه ابن نعيم بن الحكم الضبى الطهمانى النيسابورى الشهير بالحاكم ويعرف بابن البيع.

أخذ عن نحو ألف شيخ، وولى قضاء نيسابور، وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه.

قال ابن عساكر: وقع من تصانيفه المسموعة فى أيدى الناس ما يبلغ ألف وخمسمائة جزء منها تاريخ نيسابور مخطوط.

قال السبكى: وهو عندى من أعود التواريخ على الفقهاء بفائدة. (ت ٤٠٥ هـ).

ترجمته فى طبقات السبكى ٣ / ٦٤، الوفيات ١ / ٤٨٤، ونهاية ٢ / ١٨٤، ميزان الاعتدال ٣ / ٨٥.، ولسان الميزان ٥ / ٢٣٢، وتاريخ بغداد ٥ / ٤٧٣، والوافى ٣ / ٣٢٠.

ومن تلاميذه أيضا:

أبو نصر محمد بن أحمد البلخى، وأبو مسعود الحسين ابن أحمد الكرابيسى، وأبو عمرو محمد بن عبد الله الرزجاهى، وجعفر بن محمد بن على المروزى المحاور، وأبو بكر بن محمد الحسين الغزنوى المقرى، وعلى بن الحسين السجزى، ومحمد بن على بن عبد الملك الفارسى الفسوى.

وفاته:

تكاد المصادر كلها تقريبا تذكر سنة ٣٨٨ هـ تاريخًا لوفاة الخطابى البستى. إلا أن ابن الجوزى فى المنتظم (٦ / ٣٩٧) قد ذكر أن وفاته سنة تسع وأربعين.

وقال السمعانى (الأنساب ٥ / ١٥٧ ــ ١٥٩) أن وفاته يوم السبت سادس ربيع الآخر سنة ست وثمانين.

وفى إرشاد الأريب لياقوت: توفى الإمام أبو سليمان الخطابى ببست فى رباط على شاطىء هند منذ يوم السبت السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة ست وثمانين وثلاثمائة، ورثاه صديقه وتلميذه أبو منصور الثعالبى فقال:

انظروا كيف تخمد الأنوار

انظروا كيف تسقط الأقمار

انظروا هكذا تزول الرواسى

هكذا فى الثرى تغيض البحار

آراء العلماء فيه:

قال الثعالبى: كان يشبه فى عصرنا بأبى عبيد القاسم بن سلام فى عصره علمًا وأدبًا، وزهدًا، وورعًا، وتدريسًا، وتأليفًا. إلا أنه كان يقول شعرًا حسنًا، وكان أبو عبيد مفحمًا (يتيمة الدهر ٤ / ٣٣٤).

وقال السمعانى: «إمام فاضل، كبير الشأن، جليل القدر، صاحب التصانيف الحسنة ونقل عن الحاكم أنه قال عنه: الفقيه الأديب، البستى، أبو سليمان الخطابى، أقام عندنا بنيسابور سنين، وحدث بها، وكثرت الفوائد من علومه» (الأنساب ٥ / ١٥٧-١٥٩).

ويحدث عنه ياقوت الحموى (معجم الأدباء ١٠ / ٢٦٨)، فيقول: رحل إلى العراق والحجاز، وجال فى خراسان، وخرج إلى ما وراء النهر، وتفقه بالقفال الشاشى وغيره.

وقال أيضا: وكان من الأئمة الأعيان.

وقال السمعانى أيضا: وكان يكسب قوته من التجارة وفى أخريات حياته مال إلى الصوفية فدخل خلوتهم.

وقال ابن خلكان (وفيات الأعيان ٢ / ٢١٤): كان فقيها، أديبًا، مُحدِّثًا، له التصانيف البديعة، منها: غريب الحديث، ومعالم السنن، أعلام السنن، كتاب الشجاج، شأن الدعاء، إصلاح غلط المحدثين.

ونقل الذهبى (سير أعلام النبلاء ١١ / ١ ـ ٨ مخطوط) عن أبى طاهر السلفى (ت ٥٧٦ هـ) قوله: وأما أبو سليمان الشارح لكتاب أبى داود، فإذا وقف منصف على مصنفاته واطلع على بديع تصرفاته فى مؤلفاته تحقق إمامته وديانته فيما يورده وأمانته، وكان قد رحل فى الحديث وقراءة العلوم، وطوف. ثم ألف فى فنون من العلم وصنف، وفى شيوخه كثرة، وكذلك فى تصانيفه.

ويصفه السبكى (طبقات الشافعية ٣/ ٢٨٢، ٢٨٣) فيقول: كان إمامًا فى الفقه والحديث واللغة، وذكره الإمام أبو المظفر السمعانى فى كتاب: «القواطع فى أصول الفقه» عند الكلام على العلة، والسبب، والشرط، وقال: قد كان من العلم بمكان عظيم، وهو إمام من أئمة السنة، صالح للاقتداء به والإصدار عنه.

وهو فى نظر ابن كثير (البداية والنهاية ١١ / ٢٣٦، ٢٣٧، ٣٢٤): أحد المشاهير الأعيان، والفقهاء المجتهدين المكثرين، سمع الكثير وصنف التصانيف الحسان، وله فهم مليح، وعلم غزير، ومعرفة باللغة والمعانى والفقه.

وقال عنه طاش كبرى زاده (مفتاح السعادة ٢ / ١٤٦) بأنه: الإمام المشار إليه فى عصره، والعلامة فريد دهره فى الفقه والحديث والأدب، ومعرفة العرب. له التصانيف المشهورة، والتأليفات العجيبة.

وفيه قال ابن العماد (شذرات الذهب ٣ / ١٢٧): كان أحد أوعية العلم فى زمانه، حافظًا، فقيهًا مبرزًا على أقرانه.

شعره:

قال الثعالبى عن الخطابى: «أنه كان يقول شعرًا حسنًا» (يتيمة الدهر ٤ / ٣٨٣) ولذا فقد اتسم شعره بطابع الزهد والحِكَم الاجتماعية التى تنم عن صفاء نفسه، وسمو منزلته العالية فى مداراة الناس وإسداء النصيحة لهم.

ونعرض بعضًا مما قاله:

وما غُمة الإنسان فى شقة النوى

ولكنها والله فى عدم الشكل

وإنى غريب بين بُسْت وأهلها

وإن كان فيها أسرتى وبها أهلى

وقال:

شــر السبـــاع العــوادى دونــــه وَزَرٌ
والنـــاس شــرهم مـــا دونــــه وَزَرُ
كم معشــــر سلمـــوا لـم يــؤذهم سَبُعٌ
ومـــا نـــرى بشــرًا لم يــؤذه بشــرُ

وقال:

مـــا دمت حيًّـــا فـــدارِ النـــاس كلهم
فـإنمـــــا أنتَ فـى دار المــــداراة
من يــدر دارى ومن لـم يـدر سـوف يـرى
عمـــا قليلٍ نـــديمًـــا للنـــدامـــات

وقال:

لعمـرك مـا الحيـاة ــ وإن حـرصنـا
عليهـــا ـــ غيـــر ريح مستعـــاره
ومـــا للـــريح دائمـــة هبـــوب
ولكــن تـــارة تجــــرى وتــــاره

وقال:

وقـــائل ورأى مـن حجتى عجبًـــا
كمـا ذا التـوارى وأنت الـدهـر محجـوب
فقلت: حلت نجــوم العمـر مــذ بـــدا
نجم المشيب ودين الله مطلـــــــوب
فلــذت من رجـل بـــالاستتـــار عن الـــ
أبصـــار إنَّ غـريم المــوت مـرعــوب

وقال:

تغنم سكـــون الحـــادثـــات فـإنهـــا
وإن سكنـت عمــــا قليـل تَحَــــرَّك
وبـــادر بـأيـــام الســلامـــة إنهـــا
رُهـــونٌ، وهل للـــرهـن عنـــدك مَتْـــرك

وقال:

تســـامح ولا تستـــوف حقك كلــــه
وأبعــــد فلم يستقص قط كــــريم
ولا تغـل فى شىء من الأمـــر واقتصـــد
كــلا طــرفى قصـــد الأمـــور ذميم

وقال:

قـــد أولـع النـــاس بـــالتـــلاقى
والمـــــرء صب إلـى هـــــواه
وإنمـــــا منهم صـــــديقى
مـن لا يـــــــــرانـى ولا أراه

وقال:

إذا خلـــوت صفـــا ذهنى وعـــارضنى
خـــواطـــر كطـــراز البـــرق فـى الظلم
وإن تـــوالى صيـــاح النـــاعقين علـى
أذنـى عـــرتنـى منـــه حكلـــة العجـم

(يتيمة الدهر ٤ / ٤٨٣ ـ ٣٨٥. والحكلة: كالعجمة لا يبين صاحبها الكلام باللسان).

مؤلفاته:

ترك الخطابى وراءه ثروة كبيرة من المؤلفات فى علوم اللغة والنحو والقرآن والحديث والفرائض. وفيما يلى قائمة بمؤلفاته:

١ ـ إصلاح غلط المحدثين.

قالت المؤلفة: هو الكتاب الذى نقلنا منه هذه الترجمة للخطابى، وقد أفردنا له مادة فى م ٥ / ١٨٨ ـ ١٩٠ فانظرها فى موضعها.

٢ ـ أعلام السنن فى شرح صحيح البخارى.

٣ ـ كتاب الجهاد: مخطوط.

٤ ـ رسالة فى إعجاز القرآن. قالت المؤلفة: اسمها «بيان إعجاز القرآن» طبعت فى القاهرة مع رسالتين أخريين، الأولى لابن الرمانى، والثانية لعبد القاهر الجرجانى فى دار المعارف، بتحقيق وتعليق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام، ١٩٧٦ وذلك فى كتابة بعنوان «ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن» ذخائر العرب (١٦). وقد لخصنا ما جاء بالرسالة فى مادة «إعجاز القرآن» فى م ٥ / ٣٠١، ٣٠٢ فانظرها فى موضعها.

٥ ـ الرسالة الناصحة.

٦ ـ كتاب الشجاج (وقع اسمه فى ابن خلكان ٢ / ٢١٤ «الشحاح» بالحاء المهملة فى الحرفين).

٧ ـ شرح أسماء الله .

٨ ـ شعار الدين فى أصول الدين .

٩ ـ شأن الدعاء (طبع الكتاب فى دار المأمون للتراث ـ دمشق ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م) .

١٠ ـ عجالة العالم بين كتاب المعالم فى اختصار معالم السنن .

١١ ـ كتاب الاعتصام بالعزلة (طبع بالقاهرة سنة ١٣٥٢ هـ بالمطبعة المنيرية باسم «العزلة») .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى طبع دار الكتب العلمية . بيروت . بدون تاريخ ، وهى بتحقيق د . عبد الغفار سليمان البندارى .

١٢ ـ علم الحديث : مخطوط (ذكره بروكلمان / ٨٤ وسزكين / ٣٥) .

١٣ ـ غريب الحديث (طبع فى جامعة أم القرى . مكة . سنة ١٤٠٢ هـ بتحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوى) .

١٤ ـ الغنية عن الكلام وأهله : مخطوط (الرسائل الكبرى ١ / ٤٣٩) .

١٥ ـ معالم السنن فى شرح كتاب السنن لأبى داود (طبع فى حلب سنة ١٩٢٠ ، ١٩٣٤ وطبع فى القاهر بتحقيق أحمد محمد شاكر وحامد الفقى .

١٦ ـ معرفة السنن والآثار .

١٧ ـ كتاب النجاح .

١٨ ـ كتاب العروس (كذا ذكره ياقوت ضمن مؤلفات الخطابى) .

له ترجمة فى :

(١) يتيمة الدهر ، الثعالبى ٤ / ٣٣٤ .

(٢) طبقات الفقهاء الشافعية ، للعبادى : ٩٤ .

(٣) الأنساب ، للسمعانى ٥ / ١٥٨ .

(٤) الفهرست ، لابن خير : ٢٠١ .

(٥) المنتظم ، لابن الجوزى ٦ / ٣٩٧ .

(٦) معجم البلدان ، لياقوت الحموى . لندن ٢ / ٨١ ـ ٨٧ ، القاهرة ٤ / ٢٤٦ ـ ٢٦٠ ، ١٠ / ٢٦٨ ـ ٢٧٢ .

(٧) معجم البلدان ، لياقوت الحموى ١ / ٤١٥) .

(٨) إنباه الرواة ، للقفطى ١ / ١٢٥ .

(٩) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ٢ / ٢١٤ .

(١٠) سير أعلام النبلاء ، للذهبى ، مخطوط ١١ / ١ / ٧ ـ ٩ .

(١١) ـ تذكرة الحفاظ ، للذهبى ٣ / ١٠١٩ .

(١٢) طبقات الشافعية ، للسبكى ٣ / ٢٨٢ .

(١٣) اللباب ، لابن الأثير ١ / ٤٥٢ .

(١٤) البداية والنهاية ، لابن كثير ١١ / ٢٣٦ / ٢٣٧ / ٣٢٤ .

(١٥) النجوم الزاهرة ، لابن تغرى بردى ٤ / ١١٩ .

(١٦) بغية الوعاة ، للسيوطى ١ / ٥٤٦ .

(١٧) مفتاح السعادة . لطاش كبرى زاده ٢ / ١٤٦ .

(١٨) كشف الظنون ، لحاجى خليفة ١ / ١٠٨ .

(١٩) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ٣ / ١٢٧ ـ ١٢٨ .

(٢٠) خزانة الأدب ، للبغدادى ٢ / ١٠٦ .

(٢١) معجم المؤلفين ، لرضا كحالة ٢ / ٦١ ، ٤ / ٧٤ ، ١٣ / ٣٦٦ .

(٢٢) تاريخ الأدب العربى ، لبروكلمان ٣ / ٥١٢ .

(٢٣) الأعلام ، للزركلى ٢ / ٣٠٤ .

(٢٤) بروكلمان ١ / ١٦٥ رقم ١٢ .

(٢٥) سزكين ١ / ٤٢٨ الرياض .

(إصلاح غلط المحدثين / ٩ ـ ٢٣) .

وقد ذكره القفطى فى إنباه الرواة (١ / ١٢٥) فى باب الأحمدين تبعًا للثعالبى وأبى عبيد الهروى ، وتابعهما ياقوت فى معجم الأدباء ومعجم البلدان ، والصحيح أن اسمه «حَمْد» كما سبق أن ذكرنا فى بداية هذه المادة .

(إصلاح غلط المحدثين للخطابى البستى ـ دراسة وتحقيق د . محمد على عبد الكريم الرديني . مقدمة المحقق / ٩ ـ ٢٣ . انظر أيضا الأعلام ٢٣ / ٢٧٣ ، وقد أدرجه تحت اسم «حَمْد الخطابى» ، وإنباه الرواة للقفطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ١٢٥ ، و «الخطابى

وإعجاز القرآن» ـ أ. د. محمد محمد أبو موسى. الوعى الإسلامى ـ العدد ٢٩١ . ربيع الأول ١٤٠٩ هـ ـ أكتوبر ١٩٨٨ م / ١١ ـ ١٥).

* **الخطاطات:**

لقد شاركت المرأة الرجل فى الخط كما شاركته فى كثير من الأمور الحياتية. ويحصى الأستاذ يحيى سلوم العباسى الخطاط عددًا من النساء اللاتى اشتهرن بالخط منذ صدر الإسلام وإلى عهد قريب، ومن هؤلاء:

أسماء عبرت بنت أحمد آغا: خطاطة من خطاطات القسطنطينية اشتهرت بخطها الجميل الجيد كتبت حلية جميلة.

أسماء بنت أحمد: شوهد لها قطعة خطية كتبتها سنة ١٢٧٧ هـ فى غاية الجودة.

بنت خدا وردى: يأتى الكلام عليها فيما بعد

الشفا بنت عبد الله العدوية: هى بنت عبد الله بن عبد شمس العدوية القرشية تعلمت الكتابة، وأسلمت قبل الهجرة روت اثنى عشر حديثًا. قيل إن اسمها ليلى والشفا لقبها.

بادشاه خاتون بنت محمد بن حميد تابنكو: شاعرة ذات خط ياقوتى خطت به المصاحف، وذكرت فى تذكرة الخطاطين لمستقيم زاده ووردت أشعارها فى نخبة التواريخ.

بزم عالم: أخبر عنها أنها والدة السلطان عبد المجيد خان وأنها كتبت بيدها نسخة من دلائل الخيرات.

ثناء جارية بن فيوما: كانت كاتبة فاضلة أخذت الخط عن إسحق بن حياد الذى كان فى زمن المنصور والمهدى.

جارية أبى عبد الله الكنانى: عالمة فاضلة وأديبة كبيرة لم ير فى زمانها أجود كتابة وخطًا ولا أبدع أدبًا توفيت فى القرن الخامس للهجرة.

جهان بنت قاسم سليمان القاجارى: أديبة فارسية، ناثرة، ناظمة، ذات عقل وافر وماهرة فى الخط والنقش والتطريز توفيت فى ٦ ربيع الثانى ١٢٩٠ هـ.

حافظة بنت محمد سعيد: خطاطة فاضلة، أجادت خطى النسخ والثلث وحدثت عن أبيها، توفيت ببغداد سنة ١٣٤٦ هـ ومن آثارها الخطية بعض اللوحات من آى القرآن الكريم.

حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أخذت الكتابة عن الشفا بنت عبد الله العدوية وهى التى قال عنها النبى ﷺ «علِّمى حفصة رقية النمل كما علمتيها الكتابة».

حليمة بنت محمد صادق: خطاطة من الأستانة أتقنت الخط سنة ١١٦٩ هـ وأجازها الخطاط محمد راسم.

خديجة بنت عثمان بن محمد الهورى: يقال لها ضوء الصباح: محدثة كانت جيدة الخط والإنشاء تكتب بخطها الإجازات توفيت سنة ٧٣٤ هـ.

خديجة بنت محمد بن أحمد: أصلها من خراسان كان والدها قاضى نيسابور وهو المعروف بالجرجانى، كانت تكتب الخط الجيد، وكانت من الصالحات توفيت سنة ٣٧٢ هـ.

خديجة بنت يوسف بن غنيمة البغدادى: (أمة العزيز)، عالمة كاتبة روت الكثير عن ابن الكبتى ومكرم، قرأت النحو وجودت الخط على جماعة، توفيت عن نيف وسبعين سنة.

خديجة بنت محمود المفتى: عالمة فاضلة روت عن ابن الزبيدى وغيره، قرأت النحو وجودت الخط على جماعة، توفيت فى رجب سنة ٦٩٩ هـ.

درة هانم: أخبر عنها أنها والدة السلطان محمود خان كانت ذات خط جميل وأنها كتبت مصحفًا شريفًا سنة ١١٧٢ هـ.

رشدية هانم: كانت تكتب الخط الجيد نسخت كتابا فى التاريخ بخطها حوالى سنة ١١٩٢ هـ.

زينب الملقبة بشهدة الدينورية: هى بنت أبى نصر بن الفرج بن عمر الأبرى الكاتبة الدينورية الأصل، بغدادية المولد والوفاة، كانت عالمة فاضلة محدثة كاتبة تكتب الخط الجيد، وأخذ عنها الخط كثيرون منهم ياقوت الملكى (وهو غير ياقوت المستعصمى) كاتب السلطان ملكشاه توفيت سنة ٥٧٤ هـ.

زاهدة هانم كريمة عالى باشا: أصلها من الأستانة أخذت الخط عن مصطفى عزت وأجازها، فكانت تكتب الخط الحسن لها ألواح معلقة على بعض المساجد والتكايا بالأستانة كانت موجودة سنة ١٢٩٠ هـ.

زوجة السردار عبد القدوس خان معتمد الدولة الأفغانية: هى من فضيلات نساء كابل، ماهرة أديبة، كانت تكتب الخط

الجيد الحسن. خطها يضاهى أشهر الخطاطين لم يعرف اسمها للعادة الجارية فى غالب البلاد الإسلامية، كانت موجودة عام ٩٣٩ هـ.

ست الرضا بنت نصر الله بن مسعود: (بنت الأستاذ): كاتبة تكتب خطًّا مليحًا على طريقة ابن البواب كانت حيَّة حوالى ٥٦٧ هـ.

ست الوزراء بنت محمد بن عبد الكريم: أصلها من دمشق، كانت تكتب الخط الحسن، وكانت موجودة فى سنة ٧٣٧ هـ.

سعدونة أم سعد بنت عصام الحميرى القرطبية: راوية روت عن أبيها وجدها وغيرهما، وأنشدت فى تمثال نعل النبى ﷺ:

سألثم التمثال إذ لم أجد
للثم نعل المصطفى من سبيل
لعلنى أحظى بتقبيله
فى جنة الفردوس أسنى مقيل
فى ظل طوبى ساكنًا آمنًا
أسقى بأكواس من السلسبيل
وأمسح القلب به علّه
يسكن ما جاش به من غليل
فطالما استشفى بأطلال من
يهواه أهل الحب فى كل جيل

سلمى بنت محمد بن محمد الجزرى: (أم الخير): قارئة مجودة، شاعرة كانت حيَّة سنة ٨٣١ هـ حفظت القرآن وقرأت بالقرآءات العشر، وكتبت الخط الجيد.

سيدة بنت عبد الغنى بن على العبدرى: وتكنى أم علاء. عالمة فاضلة ولدت بتونس فى أوائل القرن السابع للهجرة، حفظت القرآن الكريم، جودت الخط ونسخت بخطها مرارا إحياء علوم الدين للغزالى وغيرها من المؤلفات توفيت فى تونس يوم الثلاثاء لخمس خلون من محرم الحرام سنة ٦٤٧ هـ.

شجرة الدر أم خليل الصالحية: من شهيرات الملكات فى الإسلام ذات إدارة وحزم وعقل ودهاء وبر وإحسان، كانت تكتب خطًّا يشبه خط زوجها الملك الصالح فتعلم التواقيع.

صارة الحلبية: شاعرة أديبة، وطبيبة ماهرة كانت تتعاطى كثيرًا من الصناعات وتكتب الخط الجيد، وتحل الذهب بمعرفة وخبرة فتكتب به.

صفية بنت عبد الله الربيُّ: أديبة، شاعرة، موصوفة بحسن الخط توفيت فى آخر سنة ٤١٧ هـ وهى دون الثلاثين.

عائدة بنت محمد الجهنية: شاعرة فاضلة وخطاطة ماهرة، وهى زوجة الوزير عمر بن شيرز.

عائشة بنت أحمد القرطبية: أديبة شاعرة ذات فصاحة وبلاغة، وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف.

عائشة عصمت بنت إسماعيل تيمور: شاعرة وناثرة ولدت بالقاهرة سنة ١٢٥٦ هـ أخذت القرآن الكريم والخط والفقه عن إبراهيم مؤنس. توفيت بالقاهرة سنة ١٩٠٢ م.

قالت المؤلفة: تعرف بعائشة التيمورية، ونفرد لها ترجمة فى موضعها إن شاء الله تعالى:

عائشة بنت عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسينى: شاعرة من شواعر المغرب فى القرن السادس الهجرى، كانت تجود الخط فقد كتبت يتيمة الدهر للثعالبى.

عزيزة بنت قاسم بن قطلوبغا الحنفى: من فواضل نساء عصرها كانت ذات صلاح ودين تعلمت الخط وقرأت ما تيسر من القرآن الكريم.

عَلَم المدينة: أندلسية الأصل تعلمت الغناء وكانت حسنة الخط راوية للشعر.

فاطمة آنى شهرى: أصلها من الأستانة مشهورة بحسن الخط خاصة خط النسخ، وكانت فاضلة شاعرة، كانت موجودة ١١٢٢ هـ.

فاطمة بنت إبراهيم: أصلها من الأستانة أخذت الخط من زوجها توقاتى محمود أفندى وأجازها فكانت تجيد خط النسخ والثلث والجلى ديوانى.

فاطمة البغدادية: هى جارية المعتصم، كان خطها فى غاية الحسن حتى شبه بخط ابن هلال، وكانت ماهرة فى الغناء وضَرْب العود توفيت سنة ٢٧٤ هـ.

فاطمة بنت أحمد بن علي البغدادية : أخذت الفقه والخط عن والدها وكان خطها جيدًا ، وقد كتبت مجمع البحرين كانت موجودة سنة ٧٠٣ هـ.

فاطمة بنت الحسن بن علي الأقرع : كاتبة من أحسن الناس خطًا على طريقة ابن البواب فقد قال السمعاني : «كان لها خط مليح حسن» ، وهي التي أهلت لكتابة كتاب الهدنة إلى ملك الروم من الديوان العزيز ورحلت إلى بلاد الجبل إلى العميد أبي نصر الكندري وكتب الناس على خطها توفيت سنة ٤٨٠ هـ.

فاطمة بنت زكريا بن عبد الله الشبلاري : كاتبة جزلة ، كانت تجيد الخط فكتبت الكتب الطوال توفيت سنة ٤٢٧ هـ.

فاطمة بنت عبد القادر بن محمد بن عثمان : اشتهرت بجيد خطها وعبارتها الفصيحة وعفتها وتقشفها وملازمتها للصلاة حتى في مرضها ، نسخت كتبًا كثيرة توفيت سنة ٩٦٦ هـ.

فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي : عالمة فاضلة محدثة ذات خط جميل وكانت الفتوى لايخرج فيها [إلا] خطها وخط أبيها وزوجها الكاساني الذي توفي بعدها سنة ٥٧٨ هـ توفيت بحلب .

فطنت بنت أحمد باشا : شاعرة أديبة ولدت في طربزونة كان والدها وإلى طربزون أحضر لها معلمين علموها الخط وباقي العلوم .

كلثوم بنت عمر بن صالح النابلسية : محدثة ذات دين وصلاح وعقل ولدت بالقاهرة ، وقرأت القرآن الكريم بكامله وكتبت الخط الحسن توفيت في رمضان سنة ٨٥٦ هـ .

كوهر شاد بنت مير عماد : كانت مشهورة بجودة الخط كان خطها في غاية الحسن والجمال كانت موجودة سنة ١٠٢٨ هـ.

لبنى كاتبة المستنصر بالله العباسي : هي بنت عبد المولى قيل إنها كانت جارية المستنصر تكتب الخط الحسن ، وكانت كاتبة شاعرة عالمة بالنحو بصيرة بالحساب والعروض ، لم يكن في قصر الخليفة أنبل منها ، وتوفيت سنة ٥٩٤ هـ.

مزنة كاتبة الخليفة الناصر لدين الله : كانت حاذقة من أحظ النساء توفيت سنة ٣٥٨ هـ.

ورقاء بنت نيتاب : شاعرة أديبة صالحة حافظة للقرآن بارعة في الخط .

بنت خداوردي : ومعنى ذلك (البنت التي أعطاها الله لنا) . لها قصة طريفة ، وهي أنها كانت تكتب برجلها . فقد جاء في كتاب أخبار الأول للإسحاقي ما نصه :

«في زمن الملك الكامل في شهر شوال سنة ٦٢٤ هـ أحضرت من الإسكندرية امرأة خلقت من غير يدين وفي موضع ثدييها مثل الحلمتين فجيء بها بين يدي الوزير رضوان فعرفته أنها تعمل برجليها ماتعمله النساء بأيديهن من خط ورقم وغير ذلك فأحضر لها دواة فتناولت برجلها اليسرى قلمًا فلما ترض شيئًا من الأقلام المبرية التي أحضروها فأخذت السكين وبرت لنفسها قلما وشقته وقطته وأخذت ورقة فأمسكتها برجلها اليسرى وكتبت باليمنى أحسن ما يكتبه الكتاب بيمينهم وناولت الرقعة للوزير فإذا فيها السؤال بالزيادة في راتبها فزادها وأعادها إلى بلدها .

(الخط العربي : تاريخه وأنواعه ـ يحيى سلوم العباسي الخطاط / ١٠٩ـ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٤) .

*** الخطاطون :**

لعل من أهم المشتغلين بالفنون الجميلة عند المسلمين الخطاطون وذلك لاشتغالهم بكتابة المصاحف ونسخ كتب الأدب والشعر ، ولأن رجال الدين كانوا راضين عنهم ومن ثم فقد تقدم في تحسين الخط وأقبل الأمراء ورجال الدولة على شراء المخطوطات الكاملة أو النماذج من كتابة الخطاطين المشهورين . وكان الخطاط يُذَيِّل كتابته بإمضائه معتزًا بخطه ولأنه لم يكن يخشى نقمة الفقهاء كزميله المصور . ولذا كانت أسماء الخطاطين معروفة ، وقد حظى الكثيرون منهم دون غيرهم من الفنانين المسلمين بأن ألفت عنهم الكتب والبحوث التي تتحدث عن تراجمهم وعن مدارسهم وأسلوبهم في تجويد الخط العربي . وقد وصل بعض الخطاطين إلى درجة عالية في فنهم استوجبت الدهشة والإعجاب فقد كتبت سور من القرآن الكريم على حبة أرز أو حبة قمح وغير ذلك من العجايب (كرد علي : خطط الشام جـ ٤) . وقد حظى متحف العظم بدمشق بالكثير من هذه التحف الفنية النادرة .

ولقد كان الخطاط أقرب أرباب الصناعات إلى الفن

والفكر عند المسلمين ولذلك كان فى مقدمة أهل الفنون الجميلة، كما زاول الكثير من كبار رجال الدولة والمفكرين تجويد الخط واعتبروا ذلك شرفًا كبيرًا لهم .

وكان بعض الخطاطين يجمعون بين فن تجويد الخط وبين فنون الكتاب الأخرى مثل التصوير والتذهيب والتجليد. فالمعروف أن الخطاط كان يتم كتابة المخطوط تاركًا فيها الفراغ الذى يطلب منه فى بعض الصفحات لترسم فيه الأشكال المذهبة، أو تنقش فيه صور لتوضيح متن الخطوط. فقد وصلت إلينا بعض مخطوطات لم تتم بها الرسوم فى الفراغ الذى تركه الخطاط، فقد كان المخطوط، يسلم بعد أن ينتهى الخطاط من كتابته إلى فنان متخصص فى رسم الهوامش وتزيينها بالزخارف، فإذا ما انتهى سلمه إلى المذهِّب الذى يقوم بتذهيب هوامشه وصفحاته الأولى والأخيرة وبداية فصوله وعناوينه (المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام / ١٠٣).

ويقول الشيخ وليد الأعظمى فى مقدمة كتابه «جمهرة الخطاطين البغداديين»:

انتشرت الكتابة العربية بعد ظهور الإسلام، وبخاصة فى المدن والحواضر العلمية.

وفى أواخر العهد الأموى كانت مدينة الكوفة على رأس تلك الحواضر، إذ صارت مهوى أفئدة العلماء والأدباء والفقهاء، تزخر مساجدها بالحلقات الفقهية والمجالس اللغوية والأدبية، واشتهر فيها جماعة من النساخ المجيدين. وأخذت خطوط النساخ تتقارب فى أوضاعها ورسومها، حتى نسب هذا النسق من الخط إلى الكوفة، وسمى بـ (الخط الكوفى).

وبهذا تكون الكوفة أول حاضرة عربية ينسب إليها الخط، قبل أن ينسب إلى أية مدينة أخرى.

والخط الكوفى يابس، حاد، مستقيم الحروف، ذو زوايا، بطىء عند الكتابة، وقد نبغ من بين الكتاب طائفة، تخصصوا بهذا الخط، وتفننوا به، وصار خطهم يلفت أنظار الآخرين، فاقتدوا به واتخذوه منهجًا فنيًا.

ومن أولئك النابغين بحسن الخط خالد بن أبى الهياج، وقطبة المحرر، والضحاك بن عجلان، فى أواخر العهد الأموى، وأوائل العهد العباسى، ثم إسحاق بن حماد، والأحول المحرر، وغيرهم.



وعلى أيدى هؤلاء المبدعين، بدأ (الخط الكوفى اليابس) يميل إلى الليونة والتقوير، وتعددت أنواع الخطوط، حتى قال الخليفة المأمون: «لو فاخرتنا الملوك الأعاجم بأمثالها، لفاخرناها بما لنا من أنواع الخط لشرفه».

قال ابن خلدون:

«واختط بنو العباس بغداد، وترفت الخطوط فيها إلى الغاية لما استبحرت فى العمران، وكانت دار الإسلام، ومركز الدولة العربية، وخالفت أوضاع الخط ببغداد، أوضاعه فى الكوفة، فى الميل إلى إجادة الرسوم، وجمال الرونق، وحسن الرواء، واستحكمت هذه المخالفة فى الأعصار، إلى أن رفع رايتها ببغداد: أبو على بن مقلة الوزير، ثم تلاه فى ذلك على ابن هلال، الشهير بابن البواب ... وبعدت رسوم الخط البغدادى، وأوضاعه عن الكوفة، حتى انتهت إلى المباينة» (المقدمة / ٣٧٩).

وانتقل العلماء والأدباء والفنانون إلى بغداد، وتنوعت فيها العلوم والمعارف، وازدهرت الفنون ومعالم الحضارة.

ومضت بغداد تنافس الكوفة فى ريادة الخط العربى وتطوره، وظهرت عليها، وانتشرت القاعدة البغدادية السهلة الجميلة.

قال الأستاذ الأثرى:

«ومن بغداد انتشرت شرقًا وغربًا أصول الخط البديع المنسوب».

ولا نجد فى حواضر العالم الإسلامى مدينة أنجبت من الخطاطين البارعين الكبار كمدينة بغداد، فتاريخها حافل

بـالأمجـاد الفنية، والأعـلام البـارزين فى الخط العـربى. ولا يخفى أن الخط العربى، إلى جانب كونه فنا جميلا، فقد كان من متممات شخصية العالم، والأديب والفقيـه، والقاضى، والقائد والوزير، والأمير.

وكـان كثير من العلمـاء والنسـاخ والخطـاطين، يتفرغـون لنسخ الكتب بأسماء الخلفاء أو الأمراء أو الوزراء، كما اشتغل كثيـر منهم فى خـزانـات الكتب الكبـرى، والتـدريس فى المدارس العلمية العالية .

وكـان الخلفـاء يختارون كبـار الخطـاطين لتعليم أولادهم حسن الخط وضبطـه، لأنه يعتبـر من المقـومات للشخصيـة المؤثرة عندهم.

وكـان الخلفـاء يجيدون قـواعـد الخط، واشتهـر بعضهم بحسن الخط حتى كـانوا من الطبقـة العليا من الخطـاطين. لـذلك كان العلمـاء والأدبـاء يتنافسـون بحسن الخط، وهـذا الأديب العـالم الخطاط عبـد القـاهـر بن أبى جرادة، يفتخـر بحسن خطه ويقول:

مـــا اختـــرت إلا أشـــرف الــرتـب
خطـــا أخلّـــد منـــه فــى الكتـب
والخـط كـــالمــــرآة تنظـــرهـــا
فتـــرى محـــاســن صـــورة الأدب
هـــو وحــــده حسب يطـــال بـــه
إن لـــم يكـــن إلاه مـــن حســـب
مـــازلـت أنفق فيـــــه مـن ذهـب
حتى جـــرى، فكتبت بـــالـــذهـب

وبقيت بغداد تتصدر حواضـر العالم الإسلامى فى العلوم والآداب والفنـون، حتى كانت النكبـة، ووقعت الواقعـة على أيدى التتر المتـوحشين، الذين عاثوا فسـادا فى بغداد، وقتلوا الآلاف من علمائها وأدبـائها وتجارها وأعيانهـا، وقد استشهد جماعـة من الخطـاطين فـى واقعة بغداد، وهـرب بعضهم إلى الشام ومصر والحجاز.

قال ابن خلدون:

«ثم لم انحل نظـام الدولـة الإسلاميـة، وتناقصت معـالم بغـداد، ودرست بدروس الخـلافـة، فانتقل شأنهـا من الخط والكتابة، بل والعلم إلى مصر».

وكـان التتـر، ومن بعـدهم المغـول، قـد نقلـوا كثيـرا من الخطـاطين والمذهبيـن والصناع البغـداديين إلى بـلادهم فى خراسـان وما وراء النهر، وازدهـرت هناك فنون عـديدة، وعلى رأسهـا الخط العربى وانتشـرت القـاعدة البغـدادية فيهـا وفى الحواضر الإسلامية الأخرى لما حل فيها الخطاطون البغداديون بعـد النكبة، وقـامت نهضة فنيـة فى مصـر والشام والحجـاز وتركية والهند وما وراء النهر.

وعادت بغداد تتراجع فى ميادين العلوم والآداب والفنون، وخيم عليها ظـلام دامس، حتى إننا لم نجد فيها خـلال القرن التاسع الهجـرى إلا أربعة من الخطاطين، وفى القرن العـاشر اثنين فقط. بعـد أن كـانت موئل الخط العـربى. ثم أخـذت تتحدى هـذه الصدمـة، وبدأ نجمهـا يرتفع وبخاصـة فى فن الخط العـربى، حتى اجتلت مكـانتهـا من جـديـد على يـد العبقرى الفذ المرحوم هاشم محمد الخطاط البغدادى، الذى أعاد إلى بغداد مجدها العظيم.

فمن حق بغـداد على أبنـائها أن يـروهـا، ويبرزوا دورهـا الحضارى الرائد فى العلوم والآداب والفنون، وبخاصة فى فن الخط العربـى، فهى التى أنجبت الأئمة الأربعـة المجتهدين فى الخط العـربى، الذى طـوروه وهـذبوه، ووضعـوا قواعـده وأصوله، وبلغوا فيه منزلـة رفيعة بين معاصريهم، حتى صاروا مضـرب المثـل بحسن الخط والضبط وجمـال التـركيب. وكانوقدوة لغيـرهم من الخطاطين. وهـم الوزير أبـو على بن مقلـة المتوفى ٣٢٨ هـ، والخطـاط العظيم على بن هـلال الشهيـر بابن البـواب المتوفى ٤٢٣ هـ وقبلـة الكتاب يـاقوت المستعصمى المتوفى سنـة ٦٩٨ هـ، ومفخرة الخط العـربى هاشم محمد البغدادى المتوفى ١٣٩٣ هـ.

لقـد كتب العلمـاء عشـرات الكتب عن علمـاء بغـداد، ومحدثيها وفقهـائها، وقضـاتها وشعرائها وأدبـائها، وخططها، ومدارسها، ولم أجد من تصدى للكتابة عن خطاطيها، وإنما وجدت أخبارهـم منتثرة فى ثنايا الكتب.

وكنت فى سنة ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م قـد فرغت من كتابى (تـراجم خطاطى بغـداد المعـاصريـن) (طبع فى بيروت سنة

١٩٧٧م) ثم بدأت أجمع أخبار الخطاطين البغداديين، منذ تأسيس بغداد حتى نهاية القرن الرابع عشر ١٤٠٠ هـ. وقضيت فيه أكثر من عشر سنوات، وقد أفدت من مكتبة المجمع العلمى العراقى الغنية بالمصادر، بحكم عملى فيها وفى مطبعة المجمع، حتى اجتمعت لدى هذه المادة الوفيرة من أخبار الخطاطين البغداديين وتراجمهم، فسميته «جمهرة الخطاطين البغداديين» وهو يضم ستين وأربعمئة ترجمة. رتبتهم حسب تواريخ وفياتهم، ومن لم أعثر على تاريخ وفاته منهم وضعته فى آخر القرن الذى عاش فيه ا. هـ (جمهرة الخطاطين البغداديين ١ / ٧ ـ ١١).

هذا وقد جاء فى كتاب معرض دار الكتب المصرية ما يلى عن مشاهير الخطاطين:

تحتوى القاعة الكبرى التى هى القسم الرابع من هذا المعرض على أسماء لامعة لمشاهير الخطاطين كياقوت المستعصمى الخطاط الأشهر، ومصطفى راقم، وعبد الله الهروى، ومبارك شاه، ومحمد وصفى، والسيد عثمان المشهور بحافظ القرآن، وأحمد المعروف بحافظ القرآن، ومحمد الحافظ المعروف بالإمام، ومحمد هادى بن على الأصفهانى، ومصطفى عزت، وروح الله اللاهورى، وأحمد المعروف بنائلى، والسيد حسن العاشقى، وعبد الرحمن بن الصائغ، وعبد الله الزهدى وغيرهما كثيرون (معرض دار الكتب المصرية/ ١٢).

ويمدنا مرتضى الزبيدى بمعلومات قيمة عن الخطاطين الذين أسماهم «الكتبة الكرام» فى فصل من كتابه النفيس «حكمة الإشراق» ننقله لك فيما يلى، وقد وضعنا تعليقات المحقق الأستاذ عبد السلام هارون بين أقواس فى ثنايا النص.

قال الزبيدى:

من لدن زمن النبى ﷺ إلى زماننا هذا، على نسق الترتيب وحسن التهذيب.

فمن كتب له ﷺ وتشرّف بخدمته بالكتابة الخلفاء الأربعة، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن الأرقم، وأبى بن كعب، وثابت بن قيس بن شمّاس، وخالد بن سعيد بن العاص، وحنظلة بن الربيع الأسيدى، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبى سفيان، وشرحبيل بن حسنة، وغير هؤلاء كما هو مسطور فى المواهب وكتب السيرة، رضى الله عنهم أجمعين.

وكان ألزمهم بذلك وأخصهم به زيد بن ثابت، ومعاوية ابن أبى سفيان.

ثم انتهت جوده الخط وضرب جليله إلى الضحاك (هو الضحاك بن عجلان، وكان فى أول خلافة بنى العباس)، وإسحاق بن حماد. فأخذ إبراهيم السجزى عن إسحاق ضرب الجليل، فاخترع منه أخف حركات وأحسن مزاوجات، فسماه قلم الثلثين. ثم اخترع من هذا القلم ما هو أخف منه وأجرى فسماه قلم الثلث.

قال الشيخ عماد الدين محمد بن العفيف: بهذا القلم وقلم النسخ يعرف اقتدار الكاتب على صناعته.

ثم أخذ عن إسحاق يوسفُ واخترع قلما هزيلا تاما مفرط التمام مفتحا، فأعجب ذا الرياستين الفضل بن سهل، فأمر بتحرير الكتب السلطانية به، وسمى القلم الرياسى (قال بعض المتأخرين: وأظنه قلم التوقيعات).

وكان وجه النعجة مقدما فى قلم الجليل، وأبو زرجان(فى صبح الأعشى «وكان محمد بن معدان، يعنى المعروف بأبى ذرجان» مقدما فى قلم النصف. وكان أحمد بن حفص (فى صبح الأعشى: أحمد بن محمد بن حفص المعروف بزاقف) أحلى الكتّاب خطًّا فى قلم الثلث.

قال الوزير (أبو على محمد بن مقلة. وزر للمقتدر، ثم للقاهر بالله، ثم للراضى بالله):

معنى قول الكتّاب قلم النصف والثلث والثلثين، إنما هو راجع إلى الأصل. وذلك أن للخط جنسين من الأربعة عشر طريقة التى هى الأصول، هى له كالحاشيتين أحدهما قلم الطومار، وهو قلم مبسوط كله، ليس فيه شىء مستدير، وكثيرا ما كتب به المصاحف المدنية القدم، وقلم آخر يسمى غبار الحلبة، وهو قلم مستدير كله ليس فيه شىء مستقيم. فالأقلام كلها تؤخذ من المستقيمة والمستديرة نِسبا مختلفة. فما كان فيه من الخطوط المستقيمة ما يوازى ما فيه من الخطوط المستديرة سمى قلم النصف. فإن كان الذى فيه من الخطوط المستقيمة الثلث سمى قلم الثلث، وإن كان فيه من

الخطوط المستقيمة الثلثان سمى قلم الثلثين. فعلى هذا تتركب هذه الأقلام.

وقد برع فيه حيون بن عمرو أخو الأحول، وكان أخط من أخيه.

ثم انتهت جودة الخط وحسنه وتحريره فى رأس الثلاثمائة إلى الأستاذ فى هذا الفن الوزير أبى على محمد بن الحسن بن مقلة الكاتب، وفاته فى سنة ٣٢٨، ثم إلى تلميذيه محمد بن أسد الغافقى ومحمد السمسانى، وعنهما أخذ الأستاذ الكبير أبو الحسن على بن هلال البغدادى المعروف بابن البواب، وعنه أخذ محمد بن منصور بن عبد الملك، وعنه الشيخة الكاتبة المحدثة زينب ـ ويقال أيضا فاطمة ـ وهى ابنة الشيخ أبى الفرج، وتعرف بشهدة بنت الأبرى (فى وفيات الأعيان بكسر الهمزة وفتح الباء)، وقد ترجمها الحافظ الذهبى فى تاريخه.

وممن جوّد عليها الشيخ أبو الدر أمين الدين ياقوت بن عبد الله الموصلى الكاتب ويعرف أيضا بالنورى، وبالملكى (نسبة إلى السلطان «ملكشاه أبى الفتح بن ملجوق»)، وبالشرفى، انتشر خطه فى الآفاق، ولم يكن فى آخر زمانه من يقاربه فى حسن الخط ولا من يؤدى طريقة ابن البواب فى النسخ مثله، مع فضل غزير. وكان مغرى بنقل صحاح الجوهرى فكتب منها نسخا كثيرة، كل واحدة فى مجلد تباع كل نسخة بمائة دينار وقد رأيت نسخة منها بمصر. ووفاته سنة ٦١٨ بالموصل.

وأما ياقوت الرومى ويعرف أيضا بالحموى فإن وفاته سنة ٦٢٦ بحلب عن اثنين[اثنتين] وخمسين سنة.

وممن كتب على ياقوت المذكور، أبو الحسن على بن زنكى المعروف بـ «الولى العجمى». ووجدت فى تاريخ الحافظ السخاوى أن الولى العجمى أخذ عن شهدة الكاتبة من غير واسطة ياقوت.

ثم انتهت جودة الخط إلى الشيخ «عفيف الدين محمد الحلبى»، ويعرف أيضا بالشيرازى. وعنه أخذ ولده «عماد الدين محمد»، وهو إمام النحاة والكتاب فى زمانه.

وممن كتب عليه الإمام العلامة شمس الدين «محمد بن على بن أبى رقبة».

(فى صبح الأعشى ٣ / ١٤ «شمس الدين بن أبى رقيبة محتسب الفسطاط، وهو ممن عاصرناه»).

وعنه الإمام العلامة «أبو على محمد بن أحمد بن الزفتاوى» المكتِّب، ولد سنة ٧٥٠ وسمع الحديث على الخليل بن طرنطاى، وصنف فى علم الخط «منهاج الإصابة» وانتفع به أهل مصر. وقد كتب عليه الحافظ ابن حجر وكفى به شرفا. مات سنة ٨٠٦، وكان رفيقه فى الكتابة على شيوخه الإمام شهاب الدين غازى.

(قال القلقشندى فى شأنه وشأن تلميذه: «وصنف مختصرا فى قلم الثلث مع قواعد ضمها إليه فى صنعة الكتابة، أحسن فيه الصنيع، وبه تخرج صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان بن محمد بن داود الآثارى محتسب مصر. ونظم فى صنعة الخط ألفية وسمها بالعناية الربانية فى الطريقة الشعبانية، لم يسبق إلى مثلها. ثم توجه بعد ذلك إلى مكة، ثم إلى اليمن والهند، ثم عاد إلى مكة فأقام بها ونبغ».

وإلى هنا تنتهى سلسلة الخطاطين عند القلقشندى. وما سيأتى امتداد لهذه السلسلة التى لم يدركها).

وعنه تلميذه الإمام نور الدين الوسيمى، وعليه كتب الإمام زين الدين عبد الرحمن بن يوسف القاهرى، المعروف «بابن الصايغ» شيخ هذا الفن على الإطلاق، ولد بمصر سنة ٧٦٩ ولازم شيخه المذكور فى إتقان قلم النسخ حتى فاق عليه، وأحب طريقة ابن العفيف فسلكها واستفاد فيها من أبى على الزفتاوى المصرى، وصارت للزين طريقة منتزعة من طريقتى ابن العفيف وغازى، كما وقع لغازى شيخ شيخه، فإنه كتب أولا على ابن أبى رقبة شيخ الزفتاوى المذكور وتلميذ ابن العفيف ثم تحول غازى عن طريقة ابن العفيف شيخ شيخه إلى طريقة ولَّدها بينها وبين طريقة الولى العجمى، ففاق أهل زمانه فى حسن الخط. وانتفع الناس بابن الصايغ طبقة بعد طبقة؛ ونسخ عدة مصاحف وغيرها من الكتب والعقائد، وصار شيخ الكتاب فى زمانه، وشهد له الحافظ ابن حجر بمهارته، وأثنى عليه فى تاريخه. وقد سمع الحديث على الجمال الحلاوى. وفاته سنة ٨٤٥.

ثم انتهت جودة الخط وحسنه بعد ابن الصايغ وطبقته إلى قبلة الكتاب، وشيخ هذا الفن المستطاب، من سجدت

لجلالته الأقلام، واتفق على تفضيله الخاص والعام، الإمام الأوحد، والهمام المفرد، مولانا شيخ المشايخ الشيخ حمد الله ابن الشيخ مصطفى الأماسي، المعروف «بابن الشيخ» تغمده الله برحمته. ولد تقريبا في سنة ٨٤٧ بعد وفاة ابن الصايغ بسنتين أو ثلاثة، وهو الذى استنبط هذه السُّموت (جمع سمت، وهو الطريقة) المعروفة فى زمـاننا من خطـوط المتقدمين كما وقع لغيره ممن سبق ممن اخترع الطريقة بين الطريقتين، حتى برع كتاب زمانه، وفاق أهل عصره وأوانه. وكان والده رجلا صالحا مُجازا فى طريقة المشايخ السهروردية، وقد حل نظره على ولده المذكور حتى فاق بالرتب العلية، وكفاه فخرا أنه ليس على الأرض الآن سند يعتمد عليه إلا من طريقه، ولا طريقة يرغب إليها بين أهل الفن إلا من تحقيقه وتدقيقه (الأماسي نسبة إلى «أماسية» من ولاية سيواس بتركيا وقد أوردنا ترجمته فى م ١٤ / ٥٥٧، ٥٥٨ فانظرها فى موضعها).

كان ممن عاصره من كبار الكتبة فى زمانهما، وهما «يحيى الرومى» و «على بن يحيى». وفاة الأخير فى سنة ٨٦٦.

ويقال إن الشيخ كتب على «خير الدين المرعشى» ووفاته فى سنة ٨٩٦. وهو على «عبد الله الصيرفى»، وهو على «أحمد بن على» المعروف بطيب شاه السهروردى، وهو على «محمد البدشى العجمى»، وهو على «الولى العجمى».

ويقال إن الشيخ رحمه الله تعالى كتب بيده الشريفة أربعا وأربعين مصحفا ونسخة من كتاب المصابيح للبغوى، وكتاب المشارق للصغانى، كلاهما فى جلد الغزال، وكلا من سورة الأنعام والكهف والأدعية والأوراد مقدار ألف نسخة. وجملة من الأدراج والطومار، وكان قد عرضت له وهو فى الثامن والثمانين من عمره حادثة الرعشة فى رأسه. وأما يده وقت الكتابة فلم ترتعش قط، حتى كان خطه فى آخر عمره يضاهى خطه فى شبابه. وقد خدمته الملوك ومسكوا له الدواة بين يديه، وأعطى من القبول والشهرة مالم يعط أحد من قبله ولا من بعده. وكراماته شهيرة. وتوفى تقريبا سنة ٩٥٧ عن مائة وعشرة سنة [كذا] ودفن بإسكدار فى صفة مقابلة للتكية المعروفة بقراجا أحمد، وذلك فى زمن السلطان أبى الفتح سليمان خان بن سليمان خان، رحمه الله تعالى.

(كتب المصنف بخطه على هامش النسخة ما نصه: «جلوس سلطان محمد خان غازى فى سنة ٨٥٥ كان عمر الشيخ إذ ذاك تسع سنوات. جلوس سلطان بايزيد ولى فى سنة ٨٨٦ كان عمر الشيخ إذ ذاك أربعين سنة. جلوس سلطان سليم غازى فى سنة ٩١٨ كان عمر الشيخ إذ ذاك اثنتين وسبعين سنة. جلوس سلطان سليمان بن سليم فى سنة ٩٢٦ ووفاته فى ٢٢ . . سنة ٩٧٤).

ثم انتهت جودة الخط وحسنه إلى تلامذته، وهم «محيى الدين جلال زاده» عاش مائة سنة وكتب سبعة وتسعين مصحفا، و «جمال الدين الأماسي» وأخوه «عبد الله» عاش كل منهما ثمانين سنة. غير أن قواعد هؤلاء الثلاثة أكثر ميلا إلى قواعد ياقوت المستعصمى.

ومن خواص تلامذة الشيخ رحمه الله «حسام الدين خليفة» كان ماهرا فى الأقلام الستة والنسخ السادة. قلد طريقة شيخه حتى غلط كثير من المميزين والمشخصين فى التمييز بين خطيهما. عاش سبعا وستين سنة، وكتب تسعة وثمانين مصحفا.

ومنهم «شكر الله خليفة» كان ماهرا فى الأقلام الستة والنسخ السادة وكتب عدة مصاحف وأوراد.

ومنهم «رجب خليفة» كان ماهرا فى الأقلام الستة والنسخ السادة، وكتب ثلاثة وتسعين مصحفا وجملة من سورة الأنعام والأوراد.

وكان فى آخر عصر الشيخ من الماهرين فى الخط رجل يسمى «أحمد افندى قراحصارى» يقال إنه أجازه الشيخ بالكتبة، ولكنه فى آخره مال على طريقة ياقوت وجمع بين الطريقتين، وكتب جملة من المصاحف والأوراد. توفى سنة ٩٦٣.

ومن خواص تلامذته «حسين چلبى خليفة»، أحيا طريقة شيخه وكتب عدة من المصاحف.

ثم جاء من بعده «دلى يوسف أفندى» فأجاد، لأنه جمع بين طريقة شيخه والطريقة الحمدية فصار مقبولا إلى الغاية، وكتب عدة مصاحف على هذه الطريقة.

ثم جاء من بعده «قره على أفندى» ثم من بعده «تكنه جى حسن چلبى» ولم يشتهر بعده فى هذه السلسلة أحد.

وكان من الممتازين فى عصر هؤلاء ولد الشيخ لصلبه الإمام الماهر الضابط «مصطفى دده» المعروف كأبيه بابن الشيخ، سماه أبوه باسم والده تبركا. وكان قد برع فى حياة والده فى حسن الخط وشهد له الأفاضل، وقد أجازه والده بالكتبة وكان ماهرا فى الأقلام الستة كأبيه، كتب عدة من المصاحف والأوراد والأدعية. مات عن أربعين سنة، ودفن عند والده بإسكدار.

وممن كان فى عصره من كبار تلامذة والده الإمام الماهر محمود أفندى الشهير بـ «طنجانلى» كان مشهورا بحسن التقليد للشيخ، كتب عدة من المصاحف الشريفة والأنعام والأذكار.

وكان فى عصره «عبد الكريم خليفة» المعروف بوقايه زاده، و «شكر الله خليفة» و «أحمد جلبى». وممن اشتهر فى زمانهم «عبد الله أفندى القريمى» كتب على طريقة الشيخ مسارقة من خطوطه، لأنه يقال: إنه طلب التعليم والإجازة من الشيخ فلم يرض، واجتهد حتى صار متقنا فى الفن، وكتب عدة مصاحف وانتزع لنفسه طريقة منتزعة بين طريقة الشيخ وطريقة أحمد طيب شاه واخترع منهما نوعا من الثلث، ولكن سقط مقامه بين الكتاب والبهاء، وصار من قبيل مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

وكان ممن أحيا طريقته من بعده رجل اسمه «أمر الله أفندى» فإنه قلده فى طريقته المنتزعة مع ميله إلى الطريقة الحمدية كثيرا، بدقة طبعه ولطافة فكره، فحسن الثناء عليه والقبول. وكتب بذلك عدة من المصاحف والأنعام والأذكار.

ثم انتهت جودة الخط بعد هؤلاء إلى الإمام الماهر «پر أفندى» وهو حفيد الشيخ، أجازه والده الدرويش محمد بالكتبة، وأحيا طريقة جدوده، مع ملازمة حدوده، وكتب عدة من المصاحف والأنعام.

وكان ممن كتب عليه معاصره الإمام الماهر «حسن أفندى» المعروف «بإسكدارى حسن چلبى»، تولى مشيخة السراى بعد شيخه، وكتب عِـدَّةً من المصاحف والأنعام والأذكار.

وعنه أخذ الإمام المجود والضابط «خالد أفندى» المعروف بالعزيز. أجاز له بالكتبة شيخه الإسكدارى، وكتب عدة من المصاحف والأذكار، وسورة الأنعام.

وكان فى عصره من الماهرين «قره حسين أفندى» تولى مشيخة مكتب الأغا، وكتب عدة من المصاحف والأذكار، وكان موصوفا بالجمال المفرط، وشهد له بعض تلامذته بالكرامة.

ثم انتهت جودة الخط إلى الإمام الماهر الضابط المرحوم «درويش على أفندى» الملقب بالشيخ الثانى، كتب أولا على قره حسين أفندى المذكور، وبعد وفاته حصل التكميل والإجازة على يدى خالد العزيز. وكتب ثمانية وثمانين مصحفا وجملة من سورة الأنعام والأوراد والأذكار. وخطه هو العمدة عليه فى زماننا هذا. توفى سنة ١٠٨٦ عن سبعة وثمانين سنة. ومن كراماته أنه رفع إصبعه السبابة بعد موته عند قول المغسل بالشهادتين، وغسِّل بماء أغلى ببراية أقلامه.

(مثله ما روى فى أخبار أبى الفرج بن الجوزى، أنه جمعت براية أقلامه التى كتب بها حديث رسول الله ﷺ فحصل منها شيء كثير، وأوصى أن يسخن بها الماء الذى يغسل به بعد موته، ففعل ذلك فكفت وفضل منها). قالت المؤلفة. أوردنا لابن الجوزى ترجمة مستفيضة فى ١٢ / ٥٠٥ ـ ٥١٤ فانظرها فى موضعها).

وكان ممن عاصره من الخطاطين رمضان بن إسماعيل، يقال إنه كتب ثلاثمائة وستين مصحفا، وجملة من سورة الأنعام والأذكار. وفاته فى سنة ١٠٩٧.

ومن المعاصرين أيضا على أفندى نفسى زاده، وعمر بيك نصوح باشا زاده، ومحمد أفندى الإمام، وعلى أفندى قاشقجى زاده، وأحمد أفندى قزقابان زاده، ومحمد أفندى نقاش زاده، وخليل أفندى الملقب بالحافظ، ومحمد أفندى عرب زاده المتوفى سنة ١١٢٢، ومحمد أفندى خواجه زاده. ويقال إن هذين الأخيرين أجاز لهما الدرويش على.

ومنهم إسماعيل أفندى ترك، توفى غريقا فى البحر سنة ١٠٨٥. ويوسف أفندى المتوفى فى سنة ١١١٩ وهذان الاثنان كانا بمصر.

ثم انتهت جودة الخط إلى تلامذة درويش على، منهم مصطفى أفندى الأيوبى المعروف بسيولجى زاده، وفاته فى سنة ١٠٩٩.

ومنهم إسماعيل أفندى خليفة المعروف بابن على، كتب أربعة وأربعين مصحفا، وكمَّل مصحف شيخه الثامن والثمانين، وهو آخر المصاحف التى مات وخلاه إلى سورة الأنعام، فكمله بخطه.

ومنهم أحمد أفندى قزانجى زاده كان مشهورا بحسن التقليد لخط الشيخ، كتب تسعة عشر مصحفا وعدة من سورة الأنعام والأذكار، توفى سنة ١١١٦.

ومنهم الإمام الماهر الضابط عثمان أفندى المعروف بالحافظ، الملقب بالشيخ الثالث، كتب جملة من المصاحف والأنعام والأوراد والأذكار، توفى سنة ١١١٢.

قالت المؤلفة: نورد ترجمة الحافظ عثمان فى هذه المادة فيما بعد إن شاء الله تعالى حيث فاتنا إدراجها فى حرف الحاء

ومنهم أحمد أفندى المعروف بشيخ زاده، كتب سبعة عشر مصحفا وجملة من سورة الأنعام والأذكار ودلائل الخيرات.

ومنهم فضل الله أفندى، وفاته فى سنة ١١٠٧، كتب عدة من المصاحف والأوراد والأذكار.

ومنهم عنبر مصطفى آغا، كان متين اليد إلى الغاية، كتب عدة من المصاحف والأنعام، توفى سنة ١١١٧.

ومنهم الإمام الماهر عمر أفندى كاتب السراى. ومنهم جابى زاده محمد أفندى، وهما من جملة خلفائه.

ومن معاصرى هذه الطبقة كوجك درويش على أفندى، وكوجك عرب زاده محمد أفندى، وأحمد أفندى الدرويش، وعبد الله أفندى الوفائى، وإبراهيم أفندى ابن رمضان، وعلى أفندى إمام أمير آخور.

ومن خواص خلفاء الدرويش على الإمام الماهر المجوّد الضابط، مجدد الرسوم الحمدية، فى الديار المصرية، مولاه ومعتقه حسين أفندى الجزائرى، لازم خدمة أستاذه حتى برع وفاق، كتب ربعة شريفة فى ثلاثين جزءا، ومصحفين شريفين أحدهما فى الشام والثانى بمصر، وشرع فى الثالث فبلغ إلى النصف منه ومات، فكمله فيما بعد المرحوم حسن الضيائى.

وممن كتب على فضل الله أفندى محمد أفندى الشهرى المعروف بالبستانجى.

وممن كتب على عمر أفندى كاتب السراى صالح أفندى، المعروف بحمامجى زاده.

ومن كتب على أحمد أفندى شيخ زاده ولده الماهر الضابط إبراهيم أفندى شيخ زاده.

ثم انتهت جودة الخط إلى تلامذة الجزائرى، منهم الإمام الماهر الضابط المجود سليمان أفندى الملقب بالشاكرى.

ومنهم الإمام الماهر الضابط المجود السيد محمد بن إبراهيم المقدسى. الملقب بالنورى.

ومنهم مصطفى أفندى خليفة، وقاسم أفندى، وغير هؤلاء.

وقد جود الشاكرى أيضا فى مبادىء أمره على محمد خواجه زاده، ومحمد الشهرى البستانجى، وحافظ عثمان فالبستانجى كتب على فضل الله أفندى وحافظ عثمان كلاهما على الدرويش على.

فمن كتب على الشاكرى الإمام الضابط المعمر حسن بن حسن المعروف بالضيائى، ولد سنة ١٠٩٨، وكتب فى مبدإ أمره على والده ثم على شيخه السيد على، وعلى صالح أفندى المعروف بحمامجى زاده، وأدرك الجزايرى أيضا بعد وفاة والده باثنى عشر سنة [باثنتى عشرة]، وكتب عليه من غير واسطة، وقد أجازه بالكتبة الشاكرى، وحمامجى زاده، الأخير عن عمر أفندى كاتب السراى عن الدرويش على. كان رحمه الله كثير الإتقان شديد الاحتراز، على نهج السلف الصالح فى التحرى والضبط فى سائر ما يكتبه، كما هو مشاهد فى خطوطه. توفى سنة ١١٨٢ عن أربع وثمانين سنة.

وممن كتب على الشاكرى الأستاذ الفاضل الماهر الضابط المجود الشيخ شهاب الدين أحمد الأفقم المكنى بأبى الإرشاد، وقد برع فى الفن واجتهد حتى نال الشهرة والقبول، وكتب عدة نسخ من الدلائل والأوراد والأذكار وغيرها.

وفى الموجودين من تلامذته الآن مولانا السيد إبراهيم الرويدى الحسينى، المكنى بأبى الفتح الحمامى الوفائى، والشيخ أحمد المكنى بأبى العز، بارك الله فى مدتهما، ونفع بهما المسلمين.

وممن كتب على السيد محمد النورى رحمه الله تعالى خلق كثير على اختلاف الطبقات. وأجاز بالكتبة من لا يحصى.

فمن أشهر تلامذته الإمام الماهر الضابط المرحوم عبد الله أفندى المولوى، الملقب بالأنيس رحمه الله تعالى، وقد جود أولا على الشاكرى وغيره، وكان تكميله وإجازته على يد السيد محمد النورى.

ومنهم الجناب المكرم الأمير إسماعيل أفندى الملقب بالوهبى، والجناب المكرم الأمير أحمد أفندى الملقب بالشكرى، بارك الله فى مدتهما ونفع بهما المسلمين.

فمن كتب على الأنيس من طرزت هذا النبذة باسمه الشريف الضابط، الجناب المكرم، والملاذ المفخم، الأمير

حسن أفندى تابع المرحوم الحاج على آغا، وكيل دار السعادة، والملقب بالرشدى، أرشده الله لكل خير، وبارك فى مدته وحياته، ودفع عنه كل ضير، فهو الذى أحيا هذه الطريقة، وجدد رسومها فى الحقيقة، وأثنت عليه الألسن من كل جانب، وأعطى القبول والحب ونال أعلى المراتب، فالله تعالى يحرسه بعين عنايته، ويحمى فضله من عين الحسود ونكايته.

وينهى الزبيدى رسالة «حكمة الإشراق» بخاتمة فيها فصلان. الأول: فى بيان أدب التلميذ مع الشيخ، وقد أوردناه تحت عنوان «التلميذ وأدبه مع الشيخ» م ١٠ / ٤١٠ فانظره فى موضعه. والثانى: نصيحة لسائر الخطاطين وجاءت كما يلى:

قال الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ [آل عمران: ١٨٥]وقد ذكر العارفون بهذا الفن أن من أكبر موجبات التكميل للطالب فى هذا الفن ترك الغرور فى نفسه، وترك الترفع على أبناء جنسه، فإنه ربما اجتهد فى الكتابة كثيرا فيأتيه الشيطان فيوسوس له بالغرور، ويوقعه فى الشرور، ومتى سلم من هذا يرجى له القبول، والرقى لمراتب الوصول. ومتى تساهل فى أمر نفسه، وتكبر على أبناء جنسه، عوقب بالحرمان والوسواس، وسقط عن مرتبته التى كان فيها عند الله وعند الناس (حكمة الإشراق / ٨٤-٩٨).

انظر مادة «حكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق» فى م ١٤ / ٤٢٢، ٤٢٣.

كذلك يمدنا م. س. ديماند بمعلومات قيمة عن خطاطى القرن الخامس عشر، وعن أعمالهم وأماكن حفظها فيقول: ...

وبلغت فنون الكتاب أوج عظمتها، فى القرن الخامس عشر زمن الأسرة التيمورية؛ وارتقى الخط إلى مرتبة الفن الرفيع، وليس أدل على ذلك مما تشهد به أعمال مشاهير الخطاطين أنفسهم فى القرن الخامس عشر. ويعتبر مير على التبريزى من أعظم أساتذة الخط فى ذلك القرن، وإليه يرجع الفضل فى ابتكار خط «النستعليق» وهو نوع أكثر رشاقة من غيره من أنواع الخطوط اللينة. ويحتفظ هذا الخط بصفات خط النسخ والتعليق معا، وأصبح شائع الاستعمال فى القرن الخامس عشر. ومن أبدع أعمال مير على وأقدمها نسخة من قصة غرام هماى وهمايون لخواجه كرمانى المحفوظة بالمتحف البريطانى والتى يرجع تاريخها إلى سنة ٧٩٩ هـ (١٣٧٩).

ومن أعظم مشاهير الخطاطين فى القرن الخامس عشر، سلطان على المشهدى، الذى كان يعمل ببلاط حسين ميرزا فى هراة. ويملك متحف المتروبوليتان نسخة من ديوان مير على شيرنوائى - من عمل سلطان على المشهدى - ترجع إلى سنه ٩٠٥ هـ (١٤٩٩ - ١٥٠٠). ومن مشاهيرهم أيضا جعفر البيسنقرى التبريزى، وعبد الكريم الخوارزمى، وإبراهيم سلطان بن شاه رخ (ابن تيمور جورجان). ولعبد الكريم أثر محفوظ فى متحف المتروبوليتان عبارة عن نسخة من ديوان جامى، وعبد الكريم هذا أحد ولدى الخطاط عبد الرحمن الخوارزمى. وقد عمل الأب وولداه فى تبريز، واشتهروا بما أدخلوه من تحسينات على خط النستعليق. وكان إبراهيم سلطان من أبرع اللاعبين بالحروف وعرفت عنه مقدرته على الكتابة بستة أساليب خطية مختلفة. وفى ضريح الإمام رضا بمشهد مصحف بديع بخط إبراهيم سلطان، تاريخه فى سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤) وله بمتحف المتروبوليتان مصحف آخر تاريخه ٤ رمضان سنة ٨٣٠ هـ (٢٩ يونيه سنة ١٤٢٧).

وقد أفسح الأستاذ يحيى سلوم العباسى الحافظ مكانا فى كتابه (الخط العربى) لسرد أسماء الخطاطين الذين اتخذوا من الخط مهنة فارجع إليه إن شئت (ص ١٣١ - ١٣٧).

كذلك نجد نماذج لأعمال عدد من الخطاطين المعاصرين فى كتاب «نماذج من الخطوط العربية لعبد الرحمن صادق عبوش ونماذج لعدد من أعماله».

كما أن الخطاط حسن قاسم حبش أورد فى خاتمة كتابه «نفائس الخط العربى» تراجم عدد من مشاهير الخطاطين. وتحفل المؤلفات الأخرى فى علم الخط بأسماء وتراجم الخطاطين من كافة أنحاء العالم الإسلامى، وندرج ما يمكن إدراجه منها فى مواضعه إن شاء الله تعالى.

ولا ننسى كتاب الشيخ وليد الأعظمى الموسوم بجمهرة الخطاطين البغداديين، إذا جمع فى جزءين ستين وأربعمائة ترجمة، منذ تأسيس بغداد حتى نهاية القرن الرابع الهجرى.

وكذلك يحصى الدكتور محمد عبد القادر أحمد أسماء

مشاهير الخطاطين الأتراك فيقول: ومن أشهر الخطاطين الأتراك الذين برزوا فى مجال الخط العربى السلطان مصطفى آل عثمان ١٢٢١ هـ، ومحمود جلال الدين ١٢١٧ هـ، وشوقى ١٢٧٨ هـ وعبد العزيز الرفاعى ١٢٤٣ هـ، وسيد يحيى ١١٨١ هـ، وعبد الجواد ١١٣١ هـ والشيخ حمد الله الأماسى إمام الخطاطين العثمانيين، وعلى الوصفى ١١٧٥ هـ، وعمر كاتب السراى السلطان ١١١٧هـ، ومحمد طاهر ١٢٩٠ هـ، ومحمد الشهير بشكر زاده عام ١٢٩٠ هـ، ومحمد شفيق ١٢٩٤ هـ، وإسماعيل الزهيدى ١١٤٠ هـ، ودرويش على ١١٧٤ هـ، والسيد عبد الله المعروف بالإمام.

وأشهر الخطاطين الأتراك قاطبة الحافظ عثمان، (١٠٥٢ ـ ١١١٠ هـ) المعروف بحافظ كلام الله. فقد برع فى كتابة مصاحف القرآن الكريم (دراسات فى التراث العربى / ٨٩).

ولما كان قد فاتنا إدراج هذا الخطاط العظيم فى حرف الحاء، ومثله لا ينبغى أن يُغفل ذكره، فإننا نورد ترجمته هنا. وما لا يُدرك كله لا يُترك كله.

هو الحافظ عثمان بن على أحد نبغاء المجودين من خطاطى الترك العثمانيين والبارعين فى كتابة مصاحف القرآن المبين.

ولد رحمه الله بالآستانة ونشأ بها وتعلم بمدارسها، وحفظ القرآن الكريم فلقب لذلك بالحافظ، واتصل بالوزير مصطفى باشا الشهير بكيريلى زاده فأظله برعايته زمنا، وحبب إليه من صغره تجويد الخط، فكان يختلف لذلك إلى أشهر الخطاطين فى عصره، كالأستاذ درويش على وغيره، حتى حصل على إجازة تعليم الخط، ولم تعد سنه ثمانى عشرة سنة، ولم يكتف بفوقه قرناءه فى الإجادة، حتى خطر له أن يصحح محاكاته لأسلوب الأستاذ المولى حمد الله الأماسى، فانقطع إلى من يجيد هذه الطريقة كالمولى إسماعيل فأجادها، وأصبح بذلك نابغة عصره، وبذ الخطاطين جميعا، حتى قال فيه إسماعيل أفندى المعروف بأغا قبولى أحد الخطاطين المشهورين: إننا رغم تجويدنا هذه الصناعة، لا نرى من يستحق لقب خطاط على الإطلاق غير مولانا عثمان.

(الوسيط / ٢٩٤، ٢٩٥).

كما حصل على إجازة الخط المقررة فى سن مبكرة أى فى سنة ١٠٧٠ هـ ولقب بالشيخ الثالث (نفائس الخط العربى / ٢٧٠).

ولما ذاع صيته اختير معلم خط للسلطان مصطفى خان الثانى، والسلطان أحمد خان الثانى سنة ١١٠٦ هـ. فنال بذلك حظوة رفيعة سنية، لم يقابلها بغير القناعة والزهد والتواضع والإخلاص لتعليم تلاميذه، ولو على قارعة الطريق.

وكان يخص يوم الأحد بتعليم الخط للفقراء مجانا، ويوم الأربعاء لتعليم الأغنياء. وللحافظ عثمان جليل الفضل على الخط العربى، بما كتبه من نسخ المصاحف التى بلغت خمسة وعشرين مصحفا، عدا مقدارا عظيما جدا من الرقاع والألواح وأجزاء القرآن ودلائل الخيرات، إذ قد نقل بعض هذه بالتصوير الشمسى فذاع فى الأقطار الإسلامية وطبع منه مئات الألوف، وحاكاه بها من لا يحصى من المعلمين والمكتبين.

ومن هذه المصاحف مصحف حفظ بجامع أيا صوفيا وبخزانة جامع نور عثمانية. وبخزانة المرحوم المفضال نور الدين بك مصطفى بشارع درب الجماميز بالقاهرة جملة رقاع من خطه (الوسيط / ٢٩٥).

وبذلك اتقن خط النسخ وسهل كتابته أيضا. وقد أطلق على خطه النسخى «النسخى المتألق» ولم تقف براعته عند إجادة الخط المحقق بل لقد أتقن كذلك الثلث والريحانى والديوانى (نفائس الخط العربى / ٢٧٠).

وأصيب رحمه الله فى آخر عمره بالفالج، وشفى منه وعاد إلى خدمة الصناعة، ولكنه لم يطل عمره بعد أكثر من ثلاث سنوات، فتوفى رحمه الله سنة ١١١٠ هـ. ودفن برباط (قوجة مصطفى باشا) بعد أن غبر نحو أربعين سنة يعلم الخط (الوسيط / ٢٩٥).

كذلك فاتنا فى مادة «الحسن البصرى» (٢١ / ١١٠ هـ / ٦٤٢ ـ ٧٢٨ م) التى أوردناها فى م ١٤ / ١٤ ـ ١٨ أن نذكر صلته بالخط، وأنه كان من كتاب المصاحف. يقول الخطاط حسن قاسم حبش: له مصحف مكتوب بقلم كوفى على الرق، وفى غير شكل ولا نقط، ويشتمل على بداية سورة النساء، وفى آخره العبارة التالية: «كتب بخط أبى سعيد الحسن البصرى سنة ٧٧ هـ ـ ٦٩٦ م» وهو مجلد بقطع

خشب الصنوبر، وفي أوائل سوره وبعض آياته حليات ونقوش ذهبية، وهو محفوظ بمعرض دار الكتب المصرية (نفائس الخط العربي / ٢٧٢).

ويقول الأستاذ الدكتور مجاهد توفيق الجندي: ومن كتاب المصاحف، والذي اشتهر بتجويد الخط وتحسينه قبل أن يكون للخط شأن يذكر هو «الحسن البصري»، وقيل إنه هو الذي قلب القلم الكوفي إلى النسخ والثلث حتى سهل على أبي الفرج بن الجوزي أن يفرد له كتابا في نحو عشرين جزءا (صفة الصفوة ٣ / ١٥٥ ـ ١٥٩). هذا علاوة على أنه كان فقيها وقاضيا وقصّاصا.

وقيل إن ابن مقلة ليس هو الناقل الأول، وإنما الناقل الأول هو الحسن البصري الذي أخذ الخط عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهذا غير صحيح حيث إن الحسن البصري عندما أخذ الخط عن علي رضي الله عنه جوده وأتقنه، بينما ابن مقلة ضبط الخطوط المشتقة من الخط الكوفي بقواعد وقوانين خاصة حتى أصبحت حروفه موزونة (الخط العربي وأدوات الكتابة / ٥٤، ٥٥).

هذا ويوجد في مكتبة المتحف العراقي مخطوط لمصطفى السباعي برقم ٩٨٢٨ وعنوانه «رسالة اليقين في معرفة أنواع الخطوط وذكر الخطاطين» ونورده في حرف الراء إن شاء الله تعالى (مخطوطات التاريخ والتراجم والسير / ٢١٢).

وثمة أمور تتعلق بالخطاطين وأصول مهنتهم. منها معرفة ما يلي مما أورده الأستاذ يحيى سلوم العباسي الخطاط.

(أ) أركان تجويد الخط:

١ ـ القرطاس: كلما كان القرطاس (الورق) جيدا صقيلا ساعد على جودة الخط وقال الشيخ محمد بن حسن السنجاري في ذلك:

وخذ من الأوراق ما قد جاده
في صقله تظفر بالإجاده

٢ ـ القلم: هو الآلة التي يكتب بها الخطاط وأنه مدار جودة الخط فهو يحتاج إلى إصلاح قطه وسنه جيداً.

وقال فيه الشيخ السنجاري:

تنتخب الصلابة القويمه
ذات الصلاب الرطب السليمه

واجعل الإبهام والسبابه
والأصبع الوسطى لذا الكتابه
واجعل الوسطى لها كالفرس
تجري بذي اليراع مثل النفس

٣ ـ المداد (الحبر): سمي بالمداد لأنه يمد القلم بالحبر، وكلما كان الحبر أسود قاتما ظهر فيه جمال الخط أجمل وقال فيه الشاعر:

ولي خط وللأيام خط
وبينهما مخالفة المداد
فأكتبه سوادا في بياض
وتكتبه بياض [بياضا] في سواد

وقال آخر:

ربع الكتابة في سواد مدادها
والربع حسن صناعة الكتاب

(ب) ميزات الخطاط الجيد:

لما كان الخط من الفنون الجميلة صار لزاما أن يكون الخطاط ذا صفات حميدة كرقة النفس، ودقة النظر، كريما هينا لينا جامعا للأخلاق الفاضلة، وكلما كان الخطاط طاهر القلب صار خطه في غاية الحسن والجمال فصفاء خطه وبهاء حروفه دليل على صفاء قلبه، وأن يجعل أدواته الخطية كاملة وقد قال الشاعر:

قالا جميعا من شروط الكاتب
ذا حرص وفهم ثاقب
ويبذل الأموال في تطلابها
فمهرها يغلو على خُطّابها

ومن صفات الخطاط الجيد:

١ ـ أن يكون مهيمنا على الحروف.

٢ ـ أن يستعمل أنواع الورق والحبر.

٣ ـ أن يكون إنتاجه الفني قمة معرفته بالكتابة.

٤ ـ أن يكون ذا نفس طويل في الكتابة.

٥ ـ أن يكون ذا ثقة في إنجاز اللوحات الصعبة.

٦ ـ يجيد تصليح الكتابة

٧ ـ يجيد الخط الناعم (الدقيق) والعريض .

٨ ـ أن يكون قليل التأشير بقلم الرصاص .

٩ ـ يمتلك أصابع قوية جدا فى الكتابة .

١٠ ـ أن يميل إلى الطرق التقليدية . بهذه الميزات والصفات يصبح الخطاط خطاطا يشار له بالبنان .

(جـ) مسك القلم : من عوامل إجادة الخط مسك القلم حيث يقول الدكتور على أرسلان ـ وهو خطاط وأستاذ بجامعة استانبول : «يعتبر فن الخط أصعب الفنون الإسلامية . ذلك أن الفنان فيه لا يملك فى يده غير القلم البسيط ، وهذا القلم مسطرة الخطاط وبرْجَله ، وهو قسطاسه الذى يعين به أحجام الحروف . هذا القلم يقوم بأداء كل وظائف الآلات الأخرى التى يمتلكها الفنانون فى سائر الفنون الأخرى» . لذا يكون مسك القلم بحيث تكون الأصابع الثلاث الوسطى والسبابة والإبهام متساوية مبسوطة غير مقبوضة ، وبعيدة من موضع المداد ليسهل على الكاتب تدوير القلم ولا يضغط على القلم ضغطا شديدا ولا يمسكه مسكا ضعيفا وقد قيل فى القلم ـ لغز:

وذى عفاف راكع ساجد
أخى صلاح دمعه جارى
ملازم الخمس لأوقاتها
مجتهد فى طاعة البارى

(الخط العربى : تاريخه وأنواعه / ١٤٩ ـ ١٥٢) .

هذا ونورد صور أعمال مشاهير الخطاطين مع تراجمهم فى مواضعها إن شاء الله تعالى .

(المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام ـ د . أحمد رمضان أحمد محمد / ١٠٣ ، وجمهرة الخطاطين البغداديين ـ وليد الأعظمى ١ / ٧ ـ ١١ ، ومعرض دار الكتب المصرية / ١٢ ، وحكمة الإشراق فى كتاب الآفاق للسيد مرتضى الزبيدى، المطبوع فى نوادر المخطوطات ـ بتحقيق عبد السلام هارون ٥ / ٨٤ ـ ٩٨ ، والفنون الإسلامية ـ م . س . ديماند ـ ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم د. أحمد فكرى / ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، والخط العربى : تاريخه وأنواعه ـ يحيى سلوم العباسى الخطاط / ١٣٨ ـ ١٥٢ ، ودراسات فى الأدب العربى ـ د. محمد عبد القادر أحمد / ٨٩ ، والوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ـ الشيخ أحمد الإسكندرى ، والشيخ مصطفى عنانى / ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ونفائس الخط العربى ـ حسن قاسم حبش / ٢٧٢ ، والخط وأدوات الكتابة ـ د. مجاهد توفيق الجندى / ٥٤ ، ٥٥) .

*** الخُطاف:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان . ذكره القزوينى فى عجائبه ، كما ذكره الشيخ الكمال الدميرى فى «حياة الحيون الكبرى» وهو ما ننقله لك فيما يلى :

الخطاف : بضم الخاء المعجمة جمعه خطاطيف ويسمى زوار الهند وهو من الطيور القواطع إلى الناس تقطع البلاد البعيدة إليهم رغبة فى القرب منهم ثم إنها تبنى بيوتها فى أبعد المواضع عن الوصول إليها وهذا الطائر يعرف عند الناس بعصفور الجنة لأنه زهد ما فى أيديهم من الأقوات فأحبوه لأنه إنما يتقوت بالذباب والبعوض وفى الحديث الحسن الذى رواه ابن ماجه وغيره عن سهل بن سعد الساعدى أنه قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال له دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس فأما كون الزهد فى الدنيا سببا لمحبة الله تعالى فلأنه تعالى يحب من أطاعه ويبغض من عصاه وطاعة الله لا تجتمع مع محبة الدنيا وأما كونه سببا لمحبة الناس فلأنهم يتهافتون على محبة الدنيا وهى جيفة منتنة وهم كلابها فمن زاحمهم عليها أبغضوه ومن زهد فيها أحبوه كما قال الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه :

وما هى إلا جيفة مستحيلة
عليها كلاب همُّهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها
وإن تجتذبها نازعتك كلابها

وقد أحسن القائل فى وصف الخطاف

كان زاهدا فيما حوته يد الورى
تضحى إلى كل الأنام حبيبا
أو ما ترى الخطاف حرم زادهم
أضحى مقيما فى البيوت ربيبا

سماه ربيبا لأنه يألف البيوت العامرة دون الخربة وهو قريب من الناس ومن عجيب أمره أن عينه تقلع.ثم ترجع ولا يرى واقفا على شىء يأكله أبدا ولا مجتمعا بأنثاه والخفاش

يعاديه فلذلك إذا فرخ يجعل فى عشه قضبان الكرفس فلا يؤذيه إذا شم رائحته ولا يفرخ فى عش عتيق حتى يطينه بطين جديد ويبنى عشه بناء عجيبا وذلك أنه يهيىء الطين مع التبن فإذا لم يجد طينا مهيأ ألقى نفسه فى الماء ثم يتمرغ فى التراب حتى يمتلىء جناحاه ويصير شبيها بالطين فإذا هيأ عشه جعله على القد الذى يحتاج إليه هو وأفراخه ولا يلقى فى عشه زبلا بل يلقيه إلى خارج فإذا كبرت فراخه علمها ذلك وأصحاب اليرقان يلطخون فراخ الخطاف بالزعفران فإذا رآها صفراء ظن أن اليرقان أصابها من شدة الحر فيذهب فيأتى بحجر اليرقان من أرض الهند فيطرحه على فراخه وهو حجر صغير فيه خطوط بين الحمرة والسواد ويعرف بحجر السنونو فيأخذه المحتال فيعلقه عليه أو يحكه ويشرب من مائه يسيرا فإنه يبرأ بإذن الله تعالى. والخطاف متى سمع صوت الرعد يكاد أن يموت وقال أرسطو فى كتاب النعوت الخطاطيف إذا عميت أكلت من شجرة يقال لها عين شمس فيرد بصرها لما فى تلك الشجرة من المنفعة للعين.

فائدة: ذكر الثعلبى وغيره فى تفسير سورة النمل أن آدم عليه الصلاة والسلام لما أخرج من الجنة اشتكى إلى الله تعالى الوحشة فآنسه الله تعالى بالخطاف وألزمها البيوت فهى لا تفارق بنى آدم أنسالهم قال ومعها أربع آيات من كتاب الله عز وجل وهى ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا﴾ [الحشر: ٢١] إلى آخر السورة وتمد صوتها بقوله العزيز الحكيم والخطاطيف أنواع منها نوع يألف سواحل البحر يحفر بيته هناك ويعشش فيه وهو صغير الجثة دون عصفور الجنة ولونه رمادى والناس يسمونه سنونو بضم السين المهملة ونونين ومنها نوع أخضر على ظهره بعض حمرة أصغر من الذرة يسميه أهل مصر الخضيرى لخضرته يقتات الفراش والذباب ونحو ذلك ومنها نوع طويل الأجنحة رقيقها يألف الجبال ويأكل النمل وهذا النوع يقال له السمائم مفرده سمامة ومنهم من يسمى هذا النوع السنونو الواحدة سنونوة وهو كثير فى المسجد الحرام يعشش فى سقفه فى باب إبراهيم وباب بنى شيبة وبعض الناس يزعم أن ذلك هو الطير الأبابيل الذى عذب الله تعالى به أصحاب الفيل روى نعيم بن حماد عن الحسن رضى الله عنه قال دخلنا على ابن مسعود رضى الله عنه وعنده غلمان كأنهم الدنانير أو الأقمار حسنا فجعلنا نتعجب من حسنهم فقال عبد الله كأنكم تغبطونى بهم فقلنا والله إن مثل هؤلاء يغبط بهم الرجل المسلم فرفع رأسه إلى سقف بيت له قصير قد عشش فيه الخطاف وباض فقال والذى نفسى بيده لأن أكون قد نفضت يدى من تراب قبورهم أحب إلىَّ من أن يخرج عش هذا الطائر فينكسر بيضه قال ابن المبارك إنما قال ذلك خوفا عليهم من العين قال أبو إسحاق الصابى يصف الخطاف.

وهنــــديــــة الأوطــــان زنجيـــة الخلق
مســــودة الألــــوان محمـــرة الحـــدق
إذا صـرصـرت صـرت بـآخـر صـوتهـا
حـــدادا فـأذرت من مـــدامعهـــا العلق
كأن بهــــا حـــزنــــا وقـــد لبست لـــه
كمـا صـر ملـوى العـود بـالـوتـر الحـزق
تصيف لـــــدينـــــا ثم تشتـــو بأرضهـــا
ففـى كـل عـــــام نلتقـى ثـم نفتـــــرق

(الحكم) يحرم أكل لحم الخطاطيف لماروى أبو الحويرث عبد الرحمن بن معاوية وهو من التابعين عن النبى ﷺ أنه نهى عن قتل الخطاطيف وقال لاتقتلوا هذه العوذ إنها تعوذ بكم من غيركم ورواه البيهقى وقال إنه منقطع قال ورواه إبرهيم بن طهمان عن عباد بن إسحاق عن أبيه قال نهى رسول الله ﷺ عن قتل الخطاطيف عوذ البيوت ومن هذه الطريق رواه أبو داود فى مراسيله قال البيهقى وهو منقطع أيضا لكن صح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما موقوفا عليه أنه قال لا تقتلوا الضفادع فإن نقيقها تسبيح ولا تقتلوا الخطاف فإنه لما خرب بيت المقدس قال يارب سلطنى على البحر حتى أغرقهم قال البيهقى إسناده صحيح وفى الحديث أن النبى ﷺ نهى عن الجلالة والمجثمة والخطفة بإسكان الطاء وفيها تأويلان أحدهما أن الخطفة ما اختطفه السبع من الحيوانات فأكله حرام قاله ابن قتيبة الثانى أن النهى عما يختطف بسرعة ومنها سمى الخطاف لسرعة اختطافه قاله ابن جرير الطبرى ونقله عنه فى الحاوى فعلى هذا يحرم كل ما كان يتقوت بما يختطفه ولأنه يتقوت من الخبائث قال الماوردى كل ما كان مستخبثا كالخطاطيف والخفافيش فأكله حرام لخبث لحمه وقال محمد بن الحسن رضى الله عنه أنه حلال لأنه يتقوت

بـالحلال غـالبا قـال أبو عـاصم العبادي وهـذا محتمل على أصلنا وإليه مال أكثر أصحابنـا وحكاه في شرح المهذب قولا عن حكاية البندنيجي .

(التعبير) : الخطـاف في المنام يـؤول برجل أو امـرأة ومال وولد قارىء لكتاب الله تعـالى ويؤول بمال مغصوب فمن رأى أنه أخذ خطافا اتخذ مـالا حراما وذلك لأن اسمه خطاف وهو بمنزلة الخطـف ومن رأى أن بيته قد امتلأ خطاطيـف نال مالا حلالا لأنـه نماء خطفه وقيـل الخطاف رجل أديب أنيس ورع فمن رأى كأنـه استعاره من غيره فإنـه يأنس إلى شخص ومن أخذه فإنه يظلم امرأة وقالت النصارى من أكل لحم خطاف في المنام فإنـه يقع في خصومـة ومن رأى الخطاطيف تخـرج من داره تفرق عنه أقـرباؤه من جهة سفر وربمـا دل الخطاف على الأشغـال والأعمـال لأنـه يظهـر في زمن البطالـة وصـوت الخطاطيـف تنبيه على عمل الخير لأنه كالتسبيـح وربما دل على امرأة صـاحبة أمـانة وقـال «جاماسب» من صاد خطـافا دخلت اللصوص عليه والله تعالى أعلم .

(حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمـال الدين الدميري ١ / ٢٦٦ ـ ٢٦٨ انظر أيضا عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ٢٧٤) .

*** الخَطّاف:**

الخَطَّاف : بفتح الخاء تشديد الطـاء سمكة ببحر سبتة لها جناحان على ظهرها أسودان تخرج من الماء وتطير في الهواء ثم تعود إلى البحر قاله أبو حامد الأندلسي .

(حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميري ١/ ٢٦٨) .

*** خطب ابن نباتة:**

خطب ابن نبـاتة في الأدبيـات وهي جمع خطبة لجمـال الـدين محمد بن محمـد الفـارقي لأبي يحيى عبد الـرحيم بن محمـد بن محمـد الفـارقي المتـوفى سنة ٣٧٤ أربع وسبعين وثلثمائة ولهـا شروح . منها شرح أبي البقـاء عبد الله بن حسين العكبري المتوفى سنة ٦١٦ ست عشرة وستمائة . وشرح موفق الديـن عبد اللطيف بن يـوسف البغدادي المتوفـى سنة ٦٢٩ تسع وعشرين وستمـائة . وشرح تاج الـدين أبي اليمن زيد بن حسن الكنـدي المتوفى سنـة ٦١٣ ثلاث عشـرة وستمائة فيـه إشكالات أجاب عنها موفق الدين .

وشرح عثمان بن يوسـف القليوبي المتوفى سنة ٦٤٤ أربع وأربعين وستمائة . ومن شـروحه روضـة الناصحين «للنسفي» (كشف ١ / ٧١٤) .

يوجد مخطوطه في مكتبة المتحف العراقي وجاء بيانه كما يلي ، وقـد أدرج في الفهرس ضمن مخطـوطات الأدب الـرقم ٣٣٨٠٩ .

لأبي طاهر محمد بن عبـد الرحيم بن محمد بن إسماعيل ابن نبـاتـة من رجـال القـرن الـرابع الهجـري / العاشـــر الميـلادي .

وهي مجمـوعة من الخطب البليغـة ، تناول فيها المـؤلف الموت والمعاد والجهاد وما إلى ذلك ، وتضمنت كذلك بعض الأخبـار والأحـداث التي وقعت في الفتـرة التي عـاش فيهـا المؤلف .

لم نقف على تـرجمـة المـؤلف في المصـادر والمـراجع المتيسرة ، إلا أن اسمه ورد في آخر الكتاب .

نسخـة نفيسـة ترقـى إلى القرن السـابع الهجـري / القـرن الثـالث عشـر الميـلادي ، نـاقصـة قليـلا من الأول ، وبعض الصفحـات في الوسط ، القسم الأخيـر من الكتاب يـرقى إلى القرن الثـامن الهجري / الرابع عشر الميـلادي ، قوبلت على نسخة أخرى في آخـر هذه النسخة خطب لولد المـؤلف طاهر ابن محمد وحفيـد المؤلف يحيى بن طاهر بن محمـد بن عبد الرحيم .

١٧٨ ص . ٢٣ × ١٧ سم . ٢٠ س .

طبعت ضمن خطب والـده عبـد الـرحيم بشرح طـاهـر الجزائري بمصر سنة ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٤ م . وفي بيروت سنة ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م . انظر معجم ٢٦٢ . .

نسخة أخرى

الرقم ١٤٩٨

أولها : الحمـد لله منشيء أصناف الفطـر ، ومحيي الأرض بوابل المطر ، الغالب على ما بطن . .) .

جيدة الخط ، كتبـت بقلم النسخ ، ترقى إلى القـرن الثامن الهجري القرن الـرابع عشر الميلادي عليها مقـابلة على نسخة المؤلـف ، وتملك مؤرخ سنة ١٠١٣ هـ / ١٦٠٤ م . تختلف هذه النسخة عن النسخة الأولى في ترتيب الخط . لم تذكر في

آخرها خطب حفيد المؤلف كما جاء في النسخة السابقة.

٤١١ ص. ٢٥ × ١٧,٥ سم. ١٥ س.

نسخة أخرى.

الرقم ٦١٧٩

رتبت على أشهر السنة وتختلف في بعض الصيغ عن النسخ السابقة ولم تذكر من آخرها خطب ابن المؤلف أو حفيده.

كتبها بخط جيد، عبد الله بن محمد بن إسماعيل سنة ١١٩٦ هـ/ ١٧٨٢ م.

٢٩٠ ص. ٢٤ × ١٧ سم. ١٣ س.

(مخطوطات الأدب/ ١٥٧، ١٥٨).

وتوجد نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، وقد أدرج المخطوط ضمن مخطوطات المواعظ وجاء بيانه كما يلي، وذلك تحت عنوان «الخطب المباركة»:

رقم الحفظ: ٢٥٠ ـ ف.

الفن: مواعظ.

عنوان المخطوطة: الخطب المباركة.

عنوان المخطوط الفرعي: خطب ابن نباتة.

اسم المؤلف: عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل، بن نباتة، أبو يحيى.

اسم الشهرة: ابن نباتة.

تاريخ وفاته: ٣٧٤ هـ/ ٩٨٤ م القرن: ٤ هـ/ ١٠م.

بداية المخطوطة: الحمد لله منشيء أصناف الفطر. . أوصيكم عباد الله وإياي بتقوى الله فإن تقواه توجب كريم المآب.

نهاية المخطوطة: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ تمت الخطب.

نوع الخط: نسخ معتاد.

تاريخ النسخ: ١٣١٤ هـ/ ١٨٩٦ القرن: ١٤ هـ/ ٢٠م.

اسم الناسخ: عبد الله بن محمد بن محسن الحميدي.

ملاحظات عامة: نسخة كاملة تمثل مجموعة من الخطب في المواعظ والترغيب والترهيب والوعد والوعيد (فهرس المصورات/ ٣٠١).

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٧١٤، ومخطوطات الأدب في المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ١٥٧، ١٥٨، وفهرس المصورات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات. ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. الرياض. العدد الثاني، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م/ ٣٠١).

*** الخطب الأربعون:**

الخطب الأربعون: المعروفة بالودعانية جمعها أبو الودعان القاضي أبو نصر محمد بن علي بن عبيد الله بن ودعان الحاكم الموصلي المتوفى سنة ٤٩٤، وذكرها الصغاني في خطبة المشارق وقال زيفها الأقدمون انتهى. لكنهم شرحوها فمنهم أبو نصر عبد العزيز بن أحمد البارجيلغي وأول شرحه: الحمد لله الصانع القديم ... إلخ ذكر فيه أنه وقع المباحثة في علم الحديث من خطب الأربعين فالتمس بعضهم منه أن يكتب له فوائد مسموعة من الأسانيد.

(كشف الظنون / ١/ ٧١٥).

*** خطب الخيل:**

خطب الخيل: لأبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري المتوفى سنة ٤٤٩ تسع وأربعين وأربعمائة وهو عشرة كراريس يتكلم على ألسنتها.

(كشف ١ / ٧١٥).

*** خطب رسول الله ﷺ:**

عن هدى رسول الله ﷺ في خطبه يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

خطبه ﷺ إنما هي تقرير لأصول الإيمان من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وذكر الجنة والنار وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته وما أعد لأعدائه وأهل معصيته فيملأ القلوب من خطبه إيمانا وتوحيدا ومعرفة بالله وأيامه لا كخطب غيره التي إنما تفيد أمورا مشتركة بين الخلائق وهي النوح على الحياة والتخويف بالموت فإن هذا أمر لا يحصل في القلب

إيمانا بالله ولا توحيدا له ولا معرفة خاصة ولا تذكيرا بأيامه ولا بعثا للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون وتقسم أموالهم ويبلى التراب أجسامهم فياليت شعرى أى إيمان حصل بهذا وأى توحيد ومعرفة وعلم نافع حصل به ومن تأمل خطب النبى ﷺ وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد وذكر صفات الرب جل جلاله وأصول الإيمان الكلية والدعوة إلى الله وذكر آلائه تعالى التى تحببه إلى خلقه، وأيامه التى تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذى يحببهم إليه فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم إليه فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم.

ثم طال العهد وخفى نور النبوة وصارت الشرائع والأوامر رسوما تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به فجعلوا الرسوم والأوضاع سننا لا ينبغى الإخلال بها وأخلوا بالمقاصد التى لا ينبغى الإخلال بها فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر وعلم البديع فنقص بل عدم حظ القلوب منها وفات المقصود بها فما حفظ من خطبه ﷺ أنه كان يكثر أن يخطب بالقرآن وسورة ق قالت أم هشام بنت الحرث بن النعمان ما حفظت ق إلا من فِى رسول الله ﷺ مما يخطب بها على المنبر وحفظ من خطبته ﷺ من رواية على بن زيد بن جدعان وفيها ضعف: ياأيها الناس توبوا إلى الله عز وجل قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة وصِلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة فى السر والعلانية تؤجروا وتحمدوا وترزقوا واعلموا أن الله عز وجل قد فرض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة فى مقامى هذا فى شهرى هذا فى عامى هذا إلى يوم القيامة من وجد إليها سبيلا فمن تركها فى حياتى أو بعد مماتى جحودا بها أو استخفافا بها وله إمام جائر أو عادل فلا جمع الله شمله ولا بارك له فى أمره ألا ولا صلاة له ألا ولا وضوء له ألا ولا صوم له ألا ولا زكاة له، ألا ولا حج له، ألا ولا بركة له حتى يتوب فإن تاب تاب الله عليه ألا ولا تؤمنَّ امرأة رجلا ألا ولا يؤمن أعرابى مهاجرا ألا ولا يؤمن فاجر مؤمنا إلا أن يقهره سلطان فيخاف سيفه وسوطه.

وحفظ من خطبته أيضا الحمد لله أستعينه وأستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا رواه أبو داود.

ثم يعقد الإمام ابن القيم فصلا فى هدى رسول الله ﷺ فى خطبه جاء فيه ما يلى..

كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ومن ترك دَينا أو ضَياعا فإلىَّ وعلىَّ رواه مسلم وفى لفظ كانت خطبة النبى ﷺ يوم الجمعة يحمد الله ويثنى عليه ثم يقول على أثر ذلك وقد علا صوته فذكره وفى لفظ يحمد الله ويثنى عليه بما هو أهله ثم يقول من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وخير الحديث كتاب الله وفى لفظ للنسائى وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

وكان يقول فى خطبته بعد التحميد والثناء والتشهد أما بعد وكان يقصر الخطبة ويطيل الصلاة ويكثر الذكر ويقصد الكلمات الجوامع وكان يقول إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه وكان يعلم أصحابه فى خطبته قواعد الإسلام وشرائعه ويأمرهم وينهاهم فى خطبته إذا عرض له أمر أو نهى كما أمر الداخل وهو يخطب أن يصلى ركعتين ونهى المتخطى رقاب الناس عن ذلك وأمره بالجلوس وكان يقطع خطبته للحاجة تعرض أو السؤال لأحد من أصحابه فيجيبه ثم يعود إلى خطبته فيتمها وكان ربما نزل عن المنبر للحاجة ثم يعود فيتمها كما نزل لأخذ الحسن والحسين وأخذهما ثم رقى بهما المنبر فأتم خطبته وكان يدعو الرجل فى خطبته تعالَ اجلس يافلان صلِّ يافلان وكان يأمرهم بمقتضى الحال فى خطبته فإذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها وكان يشير بأصبعه السبابة فى خطبته عند ذكر الله تعالى ودعائه وكان يستسقى بهم إذا قحط المطر فى خطبته وكان

يمهل يوم الجمعة حتى يجتمع الناس فإذا اجتمعوا خرج إليهم وحده من غير شاويش يصيح بين يديه ولا لبس طيلسان ولا طرحة ولا سواد فإذا دخل المسجد سلم عليهم فإذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم ولم يدع مستقبل القبلة ثم يجلس ويأخذ بلال في الأذان فإذا فرغ منه قام النبي ﷺ فخطب من غير فصل بين الأذان والخطبة لا بإيراد خبر ولا غيره ولم يكن يأخذ بيده سيفا ولا غيره وإنما كان يعتمد على قوس وعصا قبل أن يتخذ المنبر وكان في الحرب يعتمد على قوس وفي الجمعة يعتمد على عصا ولم يحفظ عنه أنه اعتمد على سيف وما يظنه بعض الجهال أنه كان يعتمد على السيف دائما وأن ذلك إشارة الى أن الدين قام بالسيف فمن فرط جهله فإنه لا يحفظ عنه بعد اتخاذ المنبر أنه كان يرقاه بسيف ولا قوس ولا غيره ولا قبل اتخاذه أنه أخذ بيده سيفا ألبتة وإنما كان يعتمد على عصا أو قوس وكان منبره ثلاث درجات وكان قبل اتخاذه يخطب إلى جذع يستند إليه فلما تحول إلى المنبر حن الجذع حنينا سمعه أهل المسجد فنزل إليه ﷺ وضمه قال أنس حن لما فقد ما كان يسمع من الوحي وفقده التصاق النبي ﷺ ولم يوضع المنبر في وسط المسجد وإنما وضع في جانبه الغربي قريبا من الحائط وكان بينه وبين الحائط قدر ممر الشاة وكان إذا جلس عليه النبي ﷺ في غير الجمعة أو خطب قائما في الجمعة استدار أصحابه إليه بوجوههم وكان وجهه قِبلهم في وقت الخطبة وكان يقوم فيخطب ثم يجلس جلسة خفيفة ثم يقوم فيخطب الثانية فإذا فرغ منها أخذ بلال في الإقامة وكان يأمر الناس بالدنو منه ويأمرهم بالإنصات ويخبرهم أن الرجل إذا قال لصاحبه أنصت فقد لغا ويقول: من لغا فلا جمعة له وكان يقول من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا والذي يقول له أنصت ليست له جمعة رواه الإمام أحمد رحمه الله وقال أبي بن كعب قرأ رسول الله ﷺ يوم الجمعة تبارك وهو قائم فذكرنا بأيام الله وأبو الدرداء أو أبو ذر يغمزني فقال متى أنزلت هذه السورة فإني لم أسمعها إلى الآن فأشار إليه أن اسكت فلما انصرفوا قال سألتك متى أنزلت هذه السورة فلم تخبرني فقال إنه ليس لك من صلاتك اليوم إلا ما لغوت فذهب إلى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك وأخبره بالذي قال له أُبي فقال رسول الله ﷺ صدق أُبي ذكره ابن ماجه وسعيد بن منصور وأصله في مسند أحمد (زاد المعاد / ١١٦-١١٨).

وقد صاغ هذا كله نظما السيد عبد الحميد الخطيب فقال في منظومته :

وغدا دليل علومه بين الورى
ما قد بدا منه من الحالات
إذ كان يرتجل الخطابة بعد ذا
ك وينشر الإسلام بالدعوات
بفصاحة ولباقة تسمى القلو
ب وتأخذ الألباب بالروعات
ويقيم حجته بأحسن منطق
يضطر سامعه إلى الإنصات
وكذا يراعي الصدق في أقواله
ويهمه الإعجاز بالآيات
وتراه في كل المواقف باحثا
فيما يناسبها من الكلمات
ما كان يخرج قط من صدد إلى
ما ليس يعنيه من الحالات
وبكل موضوع يوفي البحث إن
ما رام بحثا فيه عن خبرات
وأحل ما يعنى به إصلاح أحو
ال الورى من سائر الوجهات
وسعادة الدارين أكبر همه
وكذاك نصر الدين بالحجات
وكذاك جذب الناس نحو إلههم
بأداء ما يرضيه من طاعات
وبكل وقت كان يخطب حسبما
قد تقتضيه مواقف الحاجات
ويطيل فيها ما عدا خطب السرا
تب كالتي في العيد والجمعات
والصوت يعلو منه والعينان تحـ
ـمران عند تزايد الغضبات

فكأنمـا هـو منـذر جيشـا يحـر
ضـه على الإقـدام للحـومـات
وهـو الـذي قـد كـان يخطب قـائمـا
فـي منبـر أو راكبـا نـاقـات
وعلى العصى والقـوس حينـا قـد تـوكأ
لا على سيف بـلا ريـبـات
وكـذا ك كـان إذا أتـاه عـارض
قطـع الخطـابـة تلكم الفتـرات
وأتمهـا من بعـد ذاك ولم يجـد
فـي القطـع من حـرج ولا سبـات
بل أنـه عـن منبـر نـزل الـرسـو
ل بـذات يـوم سـاعـة الخطبـات
إذ أقبـل الحسنـان فـي ثـوبيهمـا
يتعثـران بحـالـة المشيـات
من أجـل حملهمـا وعـاد يقـول حقـ
ـا إنمـا الأولاد مـن فتنـات
وكـذاك خـاطب من أتـى فـي حـال خطـ
بتـه وأهمـل سنـة الجمعـات
إذ قـال قـم واركـع (سليك) وإنمـا
يتجـوز فـي هـذه الـركعـات

(زاد المعاد فى هدى خير العباد للإمام ابن قيم الجوزية ١ / ١١٦ ـ ١١٨ ، وسيرة سيد ولد آدم محمد ﷺ ـ نظم السيد عبد الحميد الخطيب / ٤٣ ، ٤٤).

انظر مادة «الجمعة (صلاة ـ)» فى م ١٢ / ٣٢٣ ـ ٣٢٥ وراجع بها فى ص ٣٢٧ ـ ٣٣٢ ما جاء عن خطبة الجمعة، وأركانها، وشروطها، وسننها، ومكروهها.

*** الخطب المباركة:**

انظر : خطب ابن نباتة.

*** خطب النبى عليه السلام:**

خطب النبى عليه السلام : جمعها أبو العباس جعفر بن محمد المستغفرى المتوفى سنة ٤٣٢ اثنتين وثلاثين وأربعمائة.

(كشف ١ / ٧١٥).

*** الخطب الهروية:**

الخطب الهروية : للشيخ أبى الحسن على بن أبى بكر الهروى السايح المتوفى سنة ٦١١ إحدى عشرة وستمائة.

(كشف ١ / ٧١٥).

*** خُطبة:**

مخطوط بالخزانة العامة بالرباط وجاء بيانه كما يلى :

١٢٠١ د. خطبة لأبى الحسن على بن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى القرشى، المولود قبل البعثة بعشر سنين، توفى شهيدا بالكوفة سنة ٤٠ هـ .

أولها : الحمد لله بديع السماوات وفاطرها.

بها ورقات ١٠ ، مسطرتها ١٧ ، مقياسها ١٣٥×٢٠٠ .

مكتوبة بخط مشرقى

(مجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة من مكتبات عامة فى المغرب مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١ / ٣٧).

***خُطبة:**

من مخطوطات الأدب فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٣١٠١٢/ ٢

خطبة : لقس بن ساعدة بن عمرو بن عدى بن مالك من بنى أياد المتوفى نحو ٢٣ قبل الهجرة / ٦٠٠ ميلادية.

قيل إنه قرأ هذه الخطبة فى سوق عكاظ بمكة المكرمة قبل بعثة النبى ﷺ نسخة منقولة من مسامرات محيى الدين بن عربى، كتبها إسماعيل حقى سنة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م.

١٠ ص.		١٢ × ١٥ سم.		١٦ س.

الأعلام ٥ / ١٩٦.

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥٨، ١٥٩).

قالت المؤلفة : أوردنا خطبة قس بن ساعدة فى مادة «الخطابة» فانظرها فى موضعها.

* الخُطبة:

قال التهانوى:

الخطبة بالضم هى عبارة عن كلام مشتمل على البسملة والحمدلة والثناء على الله تعالى بما هو أهله والصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتكون فى أول الكلام، ثم خطبة المنابر غير خطبة الدفاتر لأن خطبة المنابر تشتمل على ماذكرنا مع اشتمالها على الوصية بالتقوى والوعظ والتذكير ونحو ذلك بخلاف خطبة الدفاتر فإنها بخلاف ذلك كذا فى العينى شرح صحيح البخارى فى شرح الحديث الأول. اعلم أن خطبة الكتب إن ألحقت بها بعد تصنيفها وتأليفها بأن ألف المؤلف كتابه أولا ثم ألحقه الخطبة تسمى خطبة إلحاقية وإن كتب أولا ثم ألف الكتاب تسمى خطبة ابتدائية.

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٤٠٥).

انظر: الخطابة:

* الخِطبة:

مما يرد فى باب النكاح فى فقه السنة المشرفة.

قال فضيلة الشيخ السيد سابق:

الخِطبة: فعلة كقعدة وجلسة، يقال: خطب المرأة يخطبها خطبا وخطبة، أى طلبها للزواج بالوسيلة المعروفة بين الناس، ورجل خطاب: كثير التصرف فى الخطبة، والخطيب، والخاطب والخطب، الذى يخطب المرأة، وهى خطبه وخطبته.

وخطب يخطب، قال كلاما يعظ به، أو يمدح غيره ونحو ذلك.

والخطبة من مقدمات الزواج. وقد شرعها الله قبل الارتباط بعقد الزوجية ليتعرف كل من الزوجين صاحبه، ويكون الإقدام على الزواج على هدى وبصيرة

من تباح خطبتها:

أولا: لا تباح خطبة امرأة إلا إذا توافر فيها شرطان:

أن تكون خالية من الموانع الشرعية التى تمنع زواجه منها فى الحال.

ثانيا: ألا يسبقه غيره إليها بخطبة شرعية.

فإن كانت ثمة موانع شرعية، كأن تكون محرمة عليه بسبب من أسباب التحريم المؤبدة أو المؤقتة، أو كان غيره سبقه بخطبتها، فلا يباح له خطبتها.

خطبة معتدة الغير:

تحرم خطبة المعتدة. سواء أكانت عدتها عدة وفاة أم عدة طلاق، سواء كان الطلاق طلاقا رجعيا أم بائنا.

فإن كانت معتدة من طلاق رجعى حرمت خطبتها، لأنها لم تخرج عن عصمة زوجها. وله مراجعتها فى أى وقت شاء.

وإن كانت معتدة من طلاق بائن حرمت خطبتها بطريق التصريح إذ حق الزوج لا يزال متعلقا بها، وله حق إعادتها بعقد جديد.

ففى تقدم رجل آخر لخطبتها اعتداء عليه.

واختلف العلماء فى التعريض بخطبتها، والصحيح جوازه.

وإن كانت معتدة من وفاة فإنه يجوز التعريض لخطبتها أثناء العدة دون التصريح، لأن صلة الزوجية قد انقطعت بالوفاة، فلم يبق للزوج حق يتعلق بزوجته التى مات عنها.

وإنما حرمت خطبتها بطريق التصريح، رعاية لحزن الزوجة وإحدادها من جانب، ومحافظة على شعور أهل الميت وورثته من جانب آخر.

يقول الله تعالى:

﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه﴾ [البقرة: ٢٣٥].

والمراد بالنساء، المعتدات لوفاة أزواجهن، لأن الكلام فى هذا السياق. ومعنى التعريض أن يذكر المتكلم شيئا يدل به على شيء لم يذكره.

مثل أن «يقول: إنى أريد التزوج» و «لوددت أن ييسر الله لى امرأة صالحة».

أو يقول: إن الله لسائق لك خيرا.

والهدية إلى المعتدة جائزة، وهى من التعريض.

وجائز أن يمدح نفسه، ويذكر مآثره على وجه التعريض بالزواج.

وقد فعله أبو جعفر محمد بن على بن حسين .

قالت سكينة بنت حنظلة :

استأذن علىَّ محمد بن على ولـم تنقض عدتى من مهلك زوجى (أى هلاك) فقال :

قـد عرفت قـرابتى من رسول الله ﷺ، وقـرابتى من على ، وموضعى فى العرب، قلت :

غفـر الله لك يـا أبا جعفـر، إنك رجل يـؤخـذ عنك ... تخطبنى فى عدتى؟ ... قال :

إنما أخبرتك بقرابتى من رسول الله ﷺ ومن على .

وخـلاصـة الآراء أن التصـريح بـالخطبة حـرام لجميع المعتـدات، والتعريض مبـاح للبـائن وللمعتـدة من الوفـاة، وحرام فى المعتدة من طلاق رجعى .

وإذا صرح بالخطبة فى العدة ولكن لم يعقد عليها إلا بعد انقضاء عدتها فقد اختلف العلماء فى ذلك .

قال مالك :

يفارقها . دخل بها أو لم يدخل .

وقـال الشـافعى : صح العقـد وإن ارتكب النهى الصـريح المذكور لاختلاف الجهة .

واتفقوا على أنه يفرق بينهما لو وقع العقد فى العدة ودخل بها وهل تحل له بعدُ أم لا؟

قال مالك، والليث، والأوزاعى : لا يحل له زواجها بعد . وقـال جمهـور العلمـاء : بل يحل لـه إذا انقضت العـدة أن يتزوجها إذا شاء .

الخِطبة على الخِطبة .

يحـرم على الرجل أن يخطب على خِطبـة أخيه، لمـا فى ذلك من اعتـداء على حق الخاطب الأول وإسـاءة إليه، وقـد ينجم عن هـذا التصرف الشقـاق بين الأسـر، والاعتداء الـذى يروع الآمنين .

فعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال :

«المـؤمن أخـو المؤمن، فـلا يحل لـه أن يبتـاع على بيع أخيـه، ولا يخطب على خِطبة أخيـه حتى يذر أى يتـرك) رواه أحمد ومسلم .

(مفهـوم لفظ الأخ معطل : لأنـه خـرج مخـرج الغـالب، فتحرم الخطبة على خطبـة الكافر والفـاسق . وأخذ بـالمفهوم بعض الشـافعيـة والأوزاعى، وجـوزوا الخطبـة على خطبة الكافر. قال الشوكانى : وهو الظاهر) .

ومحل التحريم ما إذا صرحت المخطوبة بالإجابة، وصرح وليها الذى أذنت له، حيث يكون إذنه معتبرا .

وتجوز الخطبة لـو وقع التصريح بالرد ، أو وقعت الإجابة بالتعريض، كقولها : لا رغبة عنك . أو لم يعلم الثانى بخطبة الأول، أو لم تقبل وترفض، أو أذن الخاطب الأول للثانى .

وحكى الترمذى عن الشافعى فى معنى الحديث :

إذا خطب المـرأة فـرضيت به وركنت إليـه فليس لأحـد أن يخطب على خطبته .

فإذا لم يعلم برضاها ولا ركونها فلا بأس أن يخطبها .

وإذا خطبها الثانى بعد إجابة الأول وعقد عليها أثم والعقد صحيح لأن النهى عن الخطبـة، وليست شـرطـا فى صحة الزواج، فلا يفسخ بوقوعها غير صحيحة .

وقال داود : إذا تـزوجها الخـاطب الثانى فسخ العقـد قبل الدخول وبعده ...

النظر إلى المخطوبة :

مما يـرطب الحيـاة الزوجيـة ويجعلها محفـوفة بـالسعادة محوطة بالهناء، أن ينظـر الرجل إلى المرأة قبل الخطبة ليعرف جمالها الذى يدعـوه إلى الإقدام على الاقتران بها، أو قبحها الذى يصرفه عنها إلى غيرها .

والحازم لا يـدخل مدخـلا حتى يعرف خيـره من شره قبل الـدخول فيـه، قـال الأعمش : كل تزويـج يقع على غير نظـر فآخره هم وغم .

وهذا النظر ندب إليه الشرع ورغب فيه .

١ ـ فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال :

«إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطـاع أن ينظر منها إلى ما يدعو إلى نكاحها، فليفعل» .

٢ ـ وعن المغيرة بـن شعبة : أنـه خطب امـرأة، فقال لـه رسول الله ﷺ :

«أنظرت أليها؟ ! قال : لا . قال : انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» .

أى أجدر أن يدوم الوفاق بينكما .

رواه النسائى وابن ماجه والترمذى وحسنه .

٣ ــ وعن أبى هريرة أن رجلا خطب امرأة من الأنصار، فقال له رسول الله ﷺ: «أنظرت إليها؟ . . قال: لا. قال فاذهب فانظر إليها، فإن فى أعين الأنصار شيئا».

المواضع التى ينظر إليها:

والأحاديث لم تعين مواضع النظر، بل أطلقت لينظر إلى ما يحصل له المقصود بالنظر إليه (فتح العلام ٢/ ٨٩).

وإذا نظر إليها ولم تعجبه فليسكت ولا يقل شيئا حتى لا تتأذى بما يذكر عنها، ولعل الذى لا يعجبه منها قد يعجب غيره.

نظر المرأة إلى الرجل:

وليس هذا الحكم مقصورا على الرجل. بل هو ثابت للمرأة أيضا. فلها أن تنظر إلى خاطبها فإنه يعجبها منه مثل ما يعجبه منها.

قال عمر:

لا تزوجوا بناتكم من الرجل الدميم. فإنه يعجبهن منهم ما يعجبهم منهن.

التعرف على الصفات:

هذا بالنسبة للنظر الذى يعرف به الجمال من القبح، وأما بقية الصفات الخلقية فتعرف بالوصف والاستيصاف، والتحرى ممن خالطوها بالمعاشرة أو الجوار، أو بواسطة بعض أفراد ممن هم موضع ثقته من الأقرباء كالأم والأخت.

قال الغزالى فى الإحياء:

ولا يستوصف فى أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق، خبير بالظاهر والباطن. ولا يميل إليها فيفرط فى الثناء، ولا يحسدها فيقصر، فالطباع مائلة فى مبادىء الزواج ووصف المزوجات إلى الإفراط أو التفريط.

وقلّ من يصدق فيه، ويقتصد، بل الخداع والإغراء أغلب. والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوف إلى غير زوجته.

حظر الخلوة بالمخطوبة:

يحرم الخلو بالمخطوبة، لأنها محرمة على الخاطب حتى يعقد عليها.

ولم يرد الشرع بغير النظر، فبقيت على التحريم، ولأنه لا يؤمن مع الخلوة مواقعة ما نهى الله عنه.

فإذا وجد محرم جازت الخلوة، لامتناع وقوع المعصية مع حضوره.

فعن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

«ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان ...»

وعن عامر بن ربيعة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يخلون رجل بامرأة لاتحل له، فإن ثالثهما الشيطان إلا محرم» رواهما أحمد.

خطر التهاون فى الخلوة وضرره:

درج كثير من الناس على التهاون فى هذا الشأن، فأباح لابنته أو قريبته أن تخالط خطيبها وتخلو معه دون رقابة، وتذهب معه حيث يريد من غير إشراف.

وقد نتج عن ذلك أن تعريض المرأة لضياع شرفها وفساد عفافها وإهدار كرامتها. وقد لا يتم الزواج فتكون قد أضافت إلى ذلك فوات الزواج منها.

وعلى النقيض من ذلك طائفة جامدة لا تسمح للخاطب أن يرى بناتهن عند الخطبة، وتأبى إلا أن يرضى بها، ويعقد عليها دون أن يراها أو تراه إلا ليلة الزفاف.

وقد تكون الرؤية مفاجئة لهما غير متوقعة، فيحدث ما لم يكن مقدرا من الشقاق والفراق.

وبعض الناس يكتفى بعرض الصورة الشمسية.

وهى فى الواقع لا تدل على شىء يمكن أن يطمئن، ولا تصور الحقيقة تصويرا دقيقا.

وخير الأمور هو ما جاء به الإسلام، فإن فيه الرعاية لحق كلا الزوجين فى رؤية كل منهما الآخر، مع تجنب الخلوة، حماية للشرف وصيانة للعرض.

العدول عن الخطبة وأثره:

الخطبة مقدمة تسبق عقد الزواج، وكثيرا ما يعقبها تقديم المهر كله أو بعضه، وتقديم هدايا وهبات (الشبكة)، تقوية للصلات، وتأكيدا للعلاقة الجديدة.

وقد يحدث أن يعدل الخاطب، أو المخطوبة، أو هما معا عن إتمام العقد، فهل يجوز ذلك؟ وهل يرد ما أعطى للمخطوبة؟

إن الخطبة مجرد وعد بالزواج، وليست عقدا ملزما، والعدول عن إنجازه حق من الحقوق التى يملكها كل من المتواعدين.

ولم يجعل الشارع لإخلاف الوعد عقوبة مادية يجازى بمقتضاها المخلف، وإن عد ذلك خلقا ذميما، ووصفه بأنه من صفات المنافقين، إلا إذا كانت هناك ضرورة ملزمة تقتضى عدم الوفاء.

ففى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان».

ولما حضرت الوفاة «عبد الله بن عمر» قال:

انظروا فلانا: «لرجل من قريش»، فإنى قلت له فى ابنتى قولا كشبه العدة، وما أحب أن ألقى الله بثلث النفاق، وأشهدكم أنى قد زوجته (تذكرة الحفاظ).

وما قدمه الخاطب من المهر فله الحق فى استرداده، لأنه دُفع فى مقابل الزواج، وعوضا عنه.

وما دام الزواج لم يوجد، فإن المهر لا يستحق شىء منه، ويجب رده إلى صاحبه، إذ أنه حق خالص له.

وأما الهدايا فحكمها حكم الهبة.

والصحيح أن الهبة لا يجوز الرجوع فيها إذا كانت تبرعا محضا لا لأجل العوض.

لأن الموهوب له حين قبض العين الموهوبة دخلت فى ملكه، وجاز له التصرف فيها.

فرجوع الواهب فيها انتزاع لملكه منه بغير رضاه. وهذا باطل شرعا وعقلا (أعلام الموقعين ٢ / ٥٠).

فإذا وهب ليتعوض من هبته ويثاب عليها فلم يفعل الموهوب له، جاز له الرجوع فى هبته. وللواهب هنا حق الرجوع فيما وهب، لأن هبته على جهة المعاوضة، فلما لم يتم الزواج كان له حق الرجوع فيما وهب.

والأصل فى ذلك:

١ ـ ما رواه أصحاب السنن، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لرجل أن يعطى عطية، أو يهب هبة فيرجع فيها إلا الوالد يعطى ولده».

٢ ـ ورووا عنه أيضا، أن رسول الله ﷺ قال: «العائد فى هبته كالعائد فى قيئه».

٣ ـ وعن سالم عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من وهب هبة فهو أحق بها ما لم يثب منها» أى يعوض عنها.

وطريقة الجمع بين هذه الأحاديث هى ما ذكره «أعلام الموقعين» قال:

ويكون الواهب الذى لا يحل له الرجوع هو من وهب تبرعا محضا لا لأجل العوض، والواهب الذى له الرجوع هو من وهب ليتعوض من هبته، ويثاب منها، فلم يفعل الموهوب له، وتستعمل سنن رسول الله كلها، ولا يضرب بعضها ببعض.

رأى الفقهاء:

إلا أن العمل الذى جرى عليه القضاء بالمحاكم:

تطبيق المذهب الحنفى الذى يرى أن ما أهداه الخاطب لمخطوبته له الحق فى استرداده إن كان قائما على حالته لم يتغير.

فالأسورة، أو الخاتم، أو العقد، أو الساعة، ونحو ذلك يرد إلى الخاطب إذا كانت موجودة.

فإن لم يكن قائما على حالته، بأن فقد أو بيع أو تغير بالزيادة، أو كان طعاما فأكل، أو قماشا فخيط ثوبا؛ فليس للخاطب الحق فى استرداد ما أهداه أو استرداد بدل منه.

وقد حكمت محكمة طنطا الابتدائية الشرعية حكما نهائيا بتاريخ ١٣ يوليو سنة ١٩٣٣. وقررت فيه القواعد الآتية:

١ ـ ما يقدم من الخاطب لمخطوبته، مما لا يكون محلا لورود العقد عليه، يعتبر هدية.

٢ ـ الهدية كالهبة، حكما ومعنى.

٣ ـ الهبة عقد تمليك يتم بالقبض.

وللموهوب له أن يتصرف فى العين الموهوبة بالبيع والشراء وغيره، وكون تصرفه نافذا.

٤ ـ هلاك العين أو استهلاكها مانع من الرجوع فى الهبة.

٥ ـ ليس للمواهب إلا طلب رد العين إن كانت قائمة.

وللمالكية فى ذلك تفصيل بين أن يكون العدول من جهته أو جهتها.

فإن كان العدول من جهته فلا رجوع له فيما أهداه.

وإن كان العدول من جهتها فله الرجوع بكل ما أهداه سواء أكان باقيا على حاله، أو كان قد هلك، فيرجع ببدله إلا إذا كان عرف أو شرط، فيجب العمل به.

وعند الشافعية ترد الهدية سواء أكانت قائمة أم هالكة.

فإن كانت قائمة رُدَّت هى ذاتها، وإلا رُدَّت قيمتها.

وهذا المذهب قريب مما ارتضيناه (فقه السنة م ـ ٢ جـ ٦ / ١٥٠ـ١٦٠).

وفيما يلى بعض ما جاء من أحاديث نبوية:

١ ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ أن يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له». أخرجه الستة وهذا لفظ مالك والنسائى؛ والباقون بمعناه.

٢ ـ وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة: إن الحمد لله، نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادى له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا.

لعله هكذا فى مصحف ابن مسعود، فإن الذى فى أول سورة النساء ﴿واتقوا الله﴾ ... إلخ بدون «ياأيها الذين آمنوا») ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] أخرجه أصحاب السنن.

٣ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء» أخرجه الترمذى (تيسير الوصول ٤/ ٢٢٧)

(فقه السُّنة ـ فضيلة الشيخ السيد سابق م ٢ جـ ٦/ ١٥٠ ـ ١٦٠،

وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٤ / ٢٢٧).

* **خطبة أم المؤمنين عائشة:**

أحد مخطوطات التاريخ بمعهد المخطوطات العربية وبيانه كما يلى:

عن زيد بن أسلم ويعقوب بن محمد الزهرى

نسخة كتبت بخط نسخى نفيس جدا مضبوط بالشكل الكامل. وبآخرها مقابلة على نسخة بخط المقريزى. وهى فى ورقة واحدة. وتاريخ نسخها سنة ٧٤٠ هـ.

[مكتبة حسن حسنى عبد الوهاب بتونس] UMESCO

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ، جـ ٢ ـ ق ٤. القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م/ ١٦٠).

* **خطبة البيان:**

خطبة البيان: منسوبة إلى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وهى سبعون كلمة أولها: الحمد لله بديع السموات وفاطرها ... إلخ قيل إنها من المفتريات ولها شرح بالتركية فى مجلد.

(كشف الظنون ١/ ١٧٥).

* **خطبة الجمعة:**

أوردناها فى مادة «الجمعة (صلاة ـ)» فى م ١٢ / ٣٢٧ ـ ٣٣٢ فانظرها فى موضعها.

* **خطبة الفصيح:**

خطبة الفصيح: لأبى العلاء أحمد بن عبد الله المعرى المتوفى سنة ٤٤٩ تسع وأربعين وأربعمائة خمس عشرة كراسة يتكلم فيها على أبواب الفصيح وله تفسير خطبة الفصيح شرح فيه غريبه.

(كشف الظنون ١/ ٧١٥).

* **خطبة فى الحج (بالعربية ثم بالتركية):**

من مخطوطات الفقه الحنفى بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو مكتب الأسد)

الرقم ١٠٢٨٧

تأليف: عبد الله بن حاجى شيخى.

أولـه : الحمـد لله الـذى خضع لجلال هيبتـه كل أميـر وسلطان أوصيكم عباد الله ونفسى الخاطئة المذنبـة .

آخرهـا : إن الله ومـلائكتـه يصلـون على النبى ... تمت الخطبة على يد أضعف العباد .

الخط نسخي جميل الشكل .

قسم منها بالعربى وآخرها بالتركي

١٧ ق ٨ س ١٦,٥×١١,٥ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقة الحنفى ــ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٢٩٨ ، ٢٩٩) .

* **خطبة الوداع:**

أوردناها فى مادة «حجة الوداع» فى م ١٣ / ٢٢٧ ، ٢٢٨ فانظرها في موضعها

* **خطبة الوداع:**

خطبـة الـوداع : لأبى العبـاس نصـر بـن خضـر الإربلى الشـافعي المتوفى سنة ٦١٩ وهى التى خطبها رسول الله صلى الله تعالى عليـه وسلم فى حجة الوداع قـال الصغانى : إن من الكتب الموضـوعة خطبة الوداع المنسـوبة إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم .

(كشف الظنون ١ / ٧١٥) .

* **الخَطرة:**

من اصطلاحات الصوفية ، وهى داعية تدعو العبد إلى ربه بحيث لا يتمالك دفعها (اصطلاحات الصوفية / ١٦٠) .

قال التهانوى : فى شرح القصيـدة الفارضية الخاطر يطلق على مـا يخطر بالبـال ، ويطلق أيضا على القلب ، وهـذا من باب إطـلاق لفظ الحال على المحل ، يقال : ورد لى خـاطر ، ووقع فى خاطرى كذا . انتهى كلامه .

وأكثر المتصوفة على أن الخواطر أربعة : خاطر الحق وهو علم يقـذفـه الله تعـالى من الغيب فـى قلـوب أهل القـرب والحضـور من غير واسطـة ، وخاطـر من الملك ، وهو الـذى يحث على الطاعة ويرغِّب فـى الخيرات ويحرز من المعاصى والمكاره ويلوم على ارتكاب المخالفات ، وعلى التكاسل من الموافقات ، وخاطر من النفـس ، وهو الذى يتقاضى الحظوظ العـاجلة ويظهـر الدعـاوى البـاطلة ، وخـاطر من الشيطـان ويسمى بخاطـر العدو إن الشيطـان عدو للمسلم وهـو الذى يدعو إلى المعاصى والمناهى والمكاره .

والفرق بين خاطر الحق والملك إن خاطر الحق لا يعرضه شيء وسـائر الخواطـر تضمحل وتتلاشى عنـده . سئل بعض الكبـار مـا برهـان الحق؟ فقـال وارد يـرد على القلب تضجـر النفس عن تكذيبها ومع وجود الخاطر الملكى معارضة خاطر النفي وخاطـر الشيطان وأن خاطر النفس لا ينقطع بنـور الذكر بل يتقاضى إلى مطلوبه لتصل إلى مرادها إلا إذا أدركها التوفيق الأزلى فيقلع عنها عرق المطالبة .

وأما خاطر الشيطان فإنه ينقطع بنور الذكر ولكن يمكن أن يعود وينسى الذكر ويغويه ، وقال بعضهم الخاطر خطاب يرد على القلوب والضمائر وقيل كل خاطـر من الملك فقد يوافقه صاحبه وقـد يخالفه بخلاف الخاطـر الحقانى فإنه لا يحصل خلاف من العبد فيه ...

وقال بعضهم الخواطـر أربعة خاطر من الله تعـالى وخاطر من الملك وخاطـر من النفس ، وخاطر من العدو فـالذى من الله تنبيـه ، والـذى من الملك حث على الطـاعـة والـذى من النفس مطالبة الشهوة ، والذى من العدو تزيين المعصية فبنور التوحيد يقبل من الله تعالى ، وبنـور المعرفة يقبل من الملك ، وبنور الإيمـان ينهى النفس ، وبنور الإسلام يرد على الطـاعة . وسئل الجنيـد عن الخطرات فقـال : الخطرات أربعـة : خطرة من الله تعالى ، وخطرة من الملك ، وخطرة من النفس ، وخطرة من الشيطان فالتى من الله ترشد إلى الإشارة ، والتى من الملك تـرشد إلى الطـاعـة والتى من النفس تجـر إلى الدنيـا وطلب عزها ، والتى من الشيطان تجر إلى المعاصى .

والمشهور عند مشايخ الصوفية أن الخواطر أربعة كلها من الله تعـالى فى الحقيقـة إلا أن بعضهـا يجـوز أن يكـون بغيـر واسطة ، وبعضها بواسطة . فما كان بغير واسطة وهو خير فهو الخاطر الربانى ولايضاف إلى الله تعالى إلا الخير أدبا وما كان بواسطة وهـو خير فهو الخاطر الملكى وإن كـان شرا فإن كان بإلحاح وتصميم على شيء معين فيه حظ النفس فهو الخاطر النفسانى وإلا فهو الشيطانى ، وجعل بعض المشايخ الواجب

أى خطرة الواجب للحق، والحرام للشيطان والمندرب للملك، والمكروه للنفس. وأما المباح فلما لم يكن فيه ترجيح لم ينسب إلى خاطر لاستلزامه الترجيح.

والشيخ مجد الدين البغدادى زاد على الخواطر الأربعة خاطر الروح وخاطر القلب وخاطر الشيخ، وبعضهم زاد خاطر العقل وخاطر اليقين وفى الحقيقة هذه الخواطر مندرجة تحت الخواطر الأربعة. فإن خاطر الروح وخاطر القلب مندرجان تحت خاطر الملك، وأما خاطر العقل فإن كان فى إمداد الروح والقلب فهو من قبيل خاطر الملك وإن كان فى إمداد النفس والشيطان فهو من قبيل خاطر العدو، وأما خاطر الشيخ فهو إمداد همة الشيخ يصل إلى قلب المريد الطالب مشتملا على كشف معضل وحل مشكل فى وقت استكشاف المريد ذلك باستمداده من ضمير الشيخ وفى الحال ينكشف ويتبين وذلك داخل تحت الخاطر الحقانى لأن قلب الشيخ بمثابة باب مفتوح إلى عالم الغيب فكل لحظة يصل إمداد فيض الحق سبحانه على قلب المريد بواسطة الشيخ.

وأما خاطر اليقين فهو وارد مجرد من معارضات الشكوك ولاريب أنه داخل تحت الخاطر الحقانى.

فائدة تمييز الخواطر كما ينبغى لا يتيسر إلا عند تجلية مرآة القلب من الأمور الطبيعية الجسمانية بمصقل الزهد والتقوى والذكر حتى تتكشف فيها صور حقائق الخواطر كما هى. ومن لم يبلغ من الزهد والتقوى هذه المرتبة ويريدأن يميز بين الخواطر فله طريق وذلك بأن يزن أولا خاطره بميزان الشرع فإن كان من قبيل الفرائض أو الفضائل يمضيه وإن كان محرما أو مكروها ينفيه وإن كان من قبل المباحات فكل جانب يكون أقرب إلى مخالفة النفس يمضيه. والغالب من سجية النفس ميلها إلى شىء دنى.

ثم يعلم أن مطالبات النفس على نوعين: بعضها حقوق لا بد منها، وبعضها حظوظ فالحقوق ضرورة إذ قوام النفس وبقاء حياتها مشروط ومربوط بها والحظوظ ما زاد عليها فيلزم تمييز الحقوق من الحظوظ كى تمضى الحقوق وتنفى الحظوظ وأهل البدايات يلزمهم الوقوف على الحقوق وحد الضرورة وتجاوزهم عن ذلك ذنب فى حقهم. وأما المنتهى فله فتح طريق السعة والخروج عن مضيق الضرورة إلى فضاء المشاهدة والمسامحة وإمضاء خواطر الحظوظ بإذن الحق سبحانه وإن شئت الزيادة فارجع إلى مجمع السلوك فى فصل معرفة الخواطر. (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٤١٥ ـ ٤١٧).

هذا ما قاله التهانوى وكله يرتبط باصطلاحات الصوفية.

(اصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاشانى ـ تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر / ١٦٠، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٤١٥ ـ ٤١٧).

*** الخطط:**

إذا كان التاريخ جغرافية الماضى، والجغرافية تاريخ الحاضر، فإن الخطط هى همزة الوصل بينهما، وفرع منهما، لأن الخطط مزيج من التاريخ والجغرافية تبحث فى تاريخ البلدان، وتطورها خلال العصور المختلفة، وقد كان ولا يزال التأليف فى هذا العلم فاشيا بين الأمم والشعوب منذ أقدم العصور.

وقد سار المسلمون على غرار من تقدمهم فى هذا النوع من التدوين فكان لهم القدح المعلى فى تأليف كثير من خطط البلدان الإسلامية التى ما برحت من أوثق المصادر التى يرجع إليها فى التاريخ والجغرافية فكان لها ولا ريب الفضل الأكبر فى حفظ تاريخها وتتبع معالمها وآثارها (أخبار مكة ١ / ٢٠).

تتناول كتب الخطط الناحية العمرانية، وناحية المجتمعات العربية الإسلامية لفترة من فترات التاريخ أو لعصر من عصوره. وهى غير تاريخ البلدان والأقطار، كتاريخ بغداد للخطيب البغدادى، وتاريخ جرجان للسهمى، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ حلب لابن العديم وغيرها. فهذه التواريخ تتناول الناحية السياسية، كما تتناول تراجم الرجال الذين ولدوا بهذا البلد أو نشأوا به أو وفدوا عليه. أما كتب الخطط والآثار فتعنى أول ما تعنى بالبلدان نفسها. والآثار ذاتها، من حيث مواقعها ومعالمها وآثارها الباقية عن الأمم والقرون الخالية، ومن حيث ما شيد فيها من قصور زاهرة، وما أنشىء فيها من أخطاط، وما أقيم على أرضها من مبان، ومساجد، وزوايا، وجوامع، ومدارس، وتكايا، وخوانق للصوفية، ورُبَط، وقناطر، وجواسق، ومقابر، ومشاهد وخنادق، وقلاع، وحصون، وأسواق.

والحق أن الذين ألفوا فى الخطط والآثار الإسلامية لم يقفوا عند المبانى والمواقع وأشباهها، ولكنهم تجاوزوا ذلك إلى التاريخ السياسى تارة، وإلى تاريخ المجتمع وعاداته ومواضعاته تارة أخرى، وإلى تراجم الرجال الذين شيدوا تلك الآثار، وأقاموا تلك المبانى، والتعريف بهم تعريفا يطول ويقصر وفقا للمجال من ناحية، وللمعلومات حول سيرة المترجم لهم من ناحية أخرى (التراجم والسير / ٥٢).

وكتاب «أخبار مكة المكرمة وما جاء فيها من الآثار» للأزرقى هو كتاب خطط أكثر منه كتاب تاريخ، فقد تتبع الأزرقى إنشاء الكعبة المعظمة، ومعاهد مكة المكرمة وما فيها من آثار وأماكن، وألَمَّ بمجمل تاريخها وجغرافيتها منذ نشأتها، وأتى على صورة واضحة مما سلف لها من مجد طارف وتليد، بحيث تجمعت فى الكتاب ميزات خاصة قلما تجدها فى كتاب غيره، وصار ما وضع بعد ذلك من الكتب التى تبحث فى خطط مكة عالة على خطط الأزرقى (أخبار مكة ١/ ٢٠).

لقد وجه نفر من المؤرخين المصريين فى العصور الوسطى عنايته إلى الكتابة فى نوع من التاريخ، على ما فيه من مشقة ونصب وما يحتاجه من سعة فى الاطلاع ووفرة فى تحصيل العلوم والمعرفة، ذلك هو الكتابة فى الخطط، سواء أكانت خاصة بمدينة بعينها، أو إقليم بذاته. والتأريخ بأسلوب الخطط أشبه ما يكون بدائرة معارف شاملة عن المكان الذى يتناوله المؤرخ، إذ يذكر فيه كل ما يتعلق بالموقع من معلومات جغرافية وتاريخية، وسير وتراجم، وعادات وتقاليد، وحضارة وفنون، ومعالم وآثار... إلى غير ذلك من الموضوعات التى تتعلق بذلك المكان (الخطط التوفيقية الجديدة ١ / ١١).

ويعد فن كتابة الخطط (الطبوغرافيا) وهو نمط من الجغرافيا التاريخية من الفنون التى اختصت بها مصر الإسلامية، فقد كتب فيه عدد كبير من مؤرخيها كانوا يمهدون الطريق إلى الاكتمال الذى بلغه هذا الفن فى مؤلف المقريزى القيم «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» والمعروف «بالخطط». وقد أحصى المقريزى أسماء هؤلاء المؤرخين وآثارهم فى مقدمته الدقيقة لكتابه الخطط («التعريف بالمخطوطات» م ٢٦ حـ ٢ / ١٣).

والحق أننا نجد فى كتب الخطط والآثار تراجم لرجال قل أن نحصل على تراجم لهم فى كتب أخرى من كتب التاريخ العام. ومن هنا تأتى أهمية كتب الخطط فى إمدادنا بفيض من التراجم يضيف إلى حصيلة الترجمة للرجال فى الإنتاج التأليفى عند العرب والمسلمين.

وعندنا من كتب الخطط مصدران كبيران حافلان بمئات ومئات من تراجم الرجال، ولا يستغنى عنهما مؤرخ أو مترجم سيرة مهما كان عنده من كتب أخرى فى التاريخ العام والطبقات والتراجم.

والمصدر الأول هو خطط المقريزى، واسمها الكامل«المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» وقد صنفها المؤرخ أحمد بن على المقريزى من رجال القرن التاسع الهجرى، أما المصدر الثانى فهو «الخطط التوفيقية» لعلى باشا مبارك، ونورد كلا منهما فى موضعه إن شاء الله تعالى (التراجم والسير / ٥٢، ٥٣).

(أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار للأزرقى ـ تحقيق رشدى الصالح ملحس ١ / ٢٠٠ مقدمة المحقق، والتراجم والسير ـ محمد عبد الغنى حسن / ٥٢، والخطط التوفيقيه الجديدة لعلى باشا مبارك ١ / ١١، و «التعريف بالمخطوطات». ملاحظات حول تأليف خطط المقريزى» ـ الأستاذ أيمن فؤاد سيد. مجلة معهد المخطوطات العربية. م ٢٦ حـ ٢. المحرم ١٤٠١ هـ ـ نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٨٠م / ١٣).

انظر: الخطط التوفيقية، خطط مصر، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

* **الخطط التوفيقية الجديدة:**

تأليف على باشا مبارك.

والخطط التوفيقية مكونة من عشرين جزءا. فى أربعة مجلدات. ومجموع صفحاتها ٢٥٨٣ صحيفة من القطع الكبير كاملة السطور. منها ١٥٦ صحيفة فهارس. وليست خاصة بخطط العاصمة وحدها. بل تناولت المدن والقرى المصرية جميعها. مرتبة ترتيبا أبجديا. مختصرة لتاريخها. وتتعمق أحيانا حتى ترجعها إلى أصولها الفرعونية أو اليونانية أو الرومانية. وتذكر المعالم الهامة بها. وأهم حاصلاتها الزراعية. وما قد يكون لها من شهرة فى بعض الصناعات وطرق هذه الصناعات. وتراجم النابهين منها فى النواحى

العلمية أو الدينية أو السياسية أو غيرها. كذلك تناول مقياس النيل. ووسائل الري والترع. وما على كل ترعة من آلات رافعة مرخص بها. كما بحثت النقود الإسلامية على ممر العصور. وغير ذلك من نواحي المعرفة كالعادات الاجتماعية. والصناعية المحلية والنشاط الاقتصادي والتجاري. والشركات. والأقيسة والموازين والمكاييل. مما يجعلها موسوعة تاريخية جغرافية علمية ساعدته عليها دراسته الهندسية. وما تولاه من وظائف عامة كنظارة الأشغال العمومية ونظارة المعارف مما سهل عليه الاطلاع على كثير من حجج الأوقاف القديمة ومعرفة أحوال كثير من العظماء في وقته (أسماء ومسميات / ٢٨، ٢٩).

قالت المؤلفة: ما نورده فيما يلي ننقله من طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب بعنوان الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة سنة ١٩٨٠م، وهي طبعة مصورة عن الطبعة الثانية بالقاهرة سنة ١٩٦٩م.

وننقل فيما يلي ما جاء في مقدمة الطبعة الثانية للدكتور جمال محمد محرز قال سيادته:

أقدم مؤرخ مصري، ألف بأسلوب الخطط هو عبد الرحمن بن الحكم، فضلا عن أنه أقدم مؤرخ مصري لمصر الإسلامية، ولذلك يعتبر واضع حجر الأساس لهذا الفرع من التاريخ.

وتلا عبد الرحمن بن الحكم في هذا الميدان عدد من المؤرخين على مر العصور، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: ابن الحكم أبو عمر بن يوسف الكندي، وأبو محمد الحسن بن إبراهيم زولاق الليثي المصري، والأمير المختار عز الملك المسيحي، وأبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي الفقيه الشافعي، وصارم الدين إبراهيم بن محمد أيدمر العلائي المعروف «بالمقريزي»، صاحب ذلك الأثر النفيس الذي وصل إلينا عن خطط مصر؛ وهو كتاب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار».

وقد قيض الله لمصر في العصر الحديث ابنا من أبر أبنائها، وعلما من أشهر أعلامها، وهو علي مبارك باشا، الذي اقتفى أثر المؤرخين السابقين، وكتب كتابا عن خطط مصر، سماه. «الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة» وهو نفسه الذي اشتهر باسم «الخطط التوفيقية»، وذلك بعد أن رأى قدم العهد، بخطط المقريزي، وتغير كثير من المعالم، بل واختفاء بعضها، لدرجة يصعب معها التحقق مما ورد في هذا المؤلَّف القديم، والتعرف على كثير من المعالم، فقر رأيه على ضرورة وضع كتاب آخر حديث، ولذا نراه يقول في مقدمته:

«فلما كانت مدينة القاهرة المعزية التي هي دار الحكومة الخديوية قد كثر ذكرها في كتب الخطط والتواريخ والسير ووصف ما كان بها من المباني والبساتين، وهي الآن غيرها في تلك الأزمان، لتغييرها عما كانت عليه زمن الفاطميين الذين اختطوها بتغيير الدول، وتقلب الأزمنة، وكانت تارة يؤثر فيها الزيادة، فتراها أحيانا زاهرة زاهية، وطورا واهنة واهية، ولم نر منا معشر أبنائها، من يهدينا إلى تلك التقلبات، ويفقهنا أسباب هاتيك الانتقالات، ويدلنا على ما فيها من الآثار، فنجوس خلالها ولا نعرف أحوالها، ونجوب أقطاعها ولا ندرى من وضعها، وقد خطها العلامة المقريزي لوقته، وأطال القول فيما فيها من المباني والمزارع، وتكلم على الحوادث والرجال، ولكن بعده كم من أمور مرت فدمرت، وعِبر جرت فغيرت، حتى ذهب أكثر ما أسهب في شرحه كليا، وزال حتى صار نسيا منسيا، وكم من آثار خيرية صار نفعها مندثرا مهجورا ومصانع وصنائع قد دثرت كأن لم تكن شيئا مذكورا، وكم من تلال كانت عمارات شاهقة، ووهادا كانت بساتين معينة متأنقة، وقبور مزوية في جوانب الحارات ومشاهد متباعدة في الفلوات أطلق عليها العامة أسماء كاذبة، كقولهم مثلا: «هذا ضريح الأربعين»، وكم من مساجد نسبوها لغير من بناها، ومعابد أسندوها لمن لم يكن رآها، والحقيقة أنها قبور ملوك عظام، أو معابد سادات كرام، أو مساجد أمراء فخام، مع أن معرفة ذلك حق علينا، إذا لا يليق بنا جهل بلادنا، والتهاون بمعرفة آثار أسلافنا، التي هي عبرة للمعتبر، وذكرى للمدَّكر، فهم، وإن مضوا لسبيلهم، قد تركوا لنا ما يحثنا على اقتفاء آثارهم، وأن نصنع لوقتنا ما صنعوه لوقتهم، وأن نجد في طريق الإفادة كما جدوا، دعتني نفسي لتأليف كتاب واف للمصريين من قديم وحديث».

ذلك هو ما دفع على مبارك باشا إلى وضع كتابه «الخطط التوفيقية»، وقد قدم له محرر المقدمة بقوله:

«صار يذكر فى كل مكان من أماكن القاهرة خطته القديمة واسمه وشهرته التى كانت فى ذلك الوقت مستديمة، ثم يعقبه بذكر ما تحولت إليه فى وقتنا هذا، وقبله حاله، وما آل إليه مآله. ويذكر أول من أنشأ هذا المكان ومن انتقل إليه بعده مرة بعد أخرى، وتملكه من جميع أخطاط القاهرة وشوارعها وحارتها ودروبها وأزقتها وبيوتها الكبيرة والصغيرة وخاناتها، حتى صارت جهاتها واضحة معلومة للساكنين، غير مشتبهة الأعلام والطرق على السائرين فى أزقتها والسابلين».

وهذا قول حق يلمسه المطلع على كتاب «الخطط التوفيقية» الذى جعله على باشا مبارك من ٢٠ جزءا، نستعرض محتويات كل منها فيما يلى:

يعرض الجزء الأول تاريخ القاهرة ومصر منذ قدوم الفاطميين إليها حتى عصر توفيق ويقارن أوضاعها القديمة بالأوضاع المعاصرة، ويصف أحياء القاهرة الحديثة.

وتذكر الأجزاء الثانى والثالث والرابع خطط القاهرة وشوارعها ودروبها وحاراتها مرتبة على حروف المعجم، مع تحقيقات عن أوضاعها القديمة، منذ عصر «المقريزى».

والجزء الخامس خاص بالحديث عن الجوامع.

والجزء السادس عن المدارس والزوايا والمساجد والخانقاوات والأسبلة والكنائس، مرتبة على حروف المعجم.

والجزء السابع عن مدينة الإسكندرية.

وتشمل الأجزاء من الثامن إلى الخامس عشر الكلام عن أقاليم الديار المصرية، ومدنها وقراها، وترجمة أعيانها وأدبائها، وشعرائها وأوليائها وأكابرها، مرتبة على حروف المعجم.

والجزء السادس عشر عن الآثار الفرعونية، وبخاصة أهرام الجيزة وما حولها.

ونجد فى الجزء السابع عشر بعض التراجم والأماكن والوقائع.

أما الجزء الثامن عشر، فخاص بمقياس النيل منذ عصر الفراعنة وخلال مختلف الدول الإسلامية وأيام الاحتلال الفرنسى، وعيد الشهيد، ومهرجان النيل وما يتعلق بذلك.

ويدرس الجزء التاسع عشر الرياحات والترع.

فى حين يتناول الجزء العشرون النقود وأشكالها وتواريخها وقيمتها فى مختلف العصور، وبه جدول للمقارنة بين قيمتها القديمة وقيم النقد الحديث.

ولقد جاء كتاب «الخطط التوفيقية»، دائرة معارف مصرية شاملة تعد بمثابة المرجع الأول للعصر الذى تحدث عنه فى كثير من المسائل، وبخاصة تاريخ الأشخاص الذين عاصرهم، والمنشئات العامة، مثل المواصلات والرى والتلغراف والمدارس وغير ذلك فهى والحالة هذه، تساعد على إعطاء صورة عامة عن أحوال البلاد، كما تمكن فى الوقت نفسه من تتبع تاريخ موضوع بحثه.

وهكذا عمل على مبارك باشا على سد الفراغ الذى شعر به وأشار إليه فى مقدمة كتابه، وفى هذا يقول محمد عبد الله عنان فى كتابه «مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية»:

«ولم يشهد تاريخ الخطط منذ المقريزى جهودا فى الطرافة والإفاضة كمجهود على باشا مبارك، بل لقد جاءت «الخطط التوفيقية» من بعض الوجوه، أتم وأوفى من خطط المقريزى، وكانت مهمة مؤلفها فى كثير من الأحيان أدق وأصعب، من مهمة سلفه الكبير، فقد كان عليه أن يتتبع تاريخ الخطط فى ظلمات العصر التركى، وأن يحقق المعالم والمواقع والآثار القديمة على ضوء الأطلال الدارسة والمنشئات المحدثة التى تفصلها من الماضى قرون طويلة.

وقد توسع فى مهمة التعريف عن الخطط والتراجم توسعا عظيما، فتناول بعد القاهرة جميع المدن والقرى المصرية بإفاضة، وترجم لكثير من أعيانها فى مختلف العصور».

ومما لا شك فيه أن نشأة على باشا مبارك والمناصب التى تولاها كانت عاملا فى مساعدته على الوقوف على كثير من البيانات والمعلومات التى دونها فى كتابه هذا.

ومن المعروف أن على مبارك كان طموحا تواقا إلى تولى المناصب الهامة، ولم يكن راضيا على ما رسمه له أبوه من أن يكون فقيها، ولذلك نراه لا يقبل على نوع الدراسة التى اختارها له، بل يلتحق بالمدارس التى تخرّج طبقة الحكام ويكون له

ما أراد، إذ يظهر تفوقا في دراسته ونبوغا، ويلتحق بمدرسة قصر العيني سنة ١٨٣٦، ثم مدرسة المهندسخانة سنة ١٨٤٠، ويكافأ على تفوقه فيها بإرساله ضمن بعثة أنجال محمد على للدراسة في فرنسا سنة ١٨٤٥، حيث درس الفنون العسكرية والهندسة الحربية.

ولما عاد إلى مصر إثر وفاة إبراهيم باشا سنة ١٨٤٨ التحق بخدمة الحكومة، وتقلب في مناصب عدة، منها التدريس بالمدارس التحضيرية والعسكرية، وتنقل بين ميادين التعليم والأوقاف والأعمال الهندسية، وكلها أعمال ساعدته لا شك على الوقوف على الكثير من المعلومات والبيانات، ليس عن القاهرة فقط، بل وعن المدن الأخرى، فضلا عن اطلاعه على كثير من كتب الخطط والتراجم وغيرها من المراجع التي كانت بين يديه، ككتب العرب والفرنج الذين زاروا البلاد وساحوا خلالها، ووثائق المحفوظات الحكومية، ومحفوظات المساجد والآثار المختلفة، وغيرها مما لدى الأسر الكبيرة.

وقد طبعت الخطط التوفيقية بأمر الخديوي توفيق في مطبعة بولاق الأهلية، وصدرت أجزاؤها خلال سنتي ١٨٨٨، ١٨٨٩ هـ.

وثمة مقدمة أخرى هي مقدمة الطبعة الأولى، وهي طبعة بولاق المذكورة آنفا، تشتمل على تقريظ كتاب الخطط التوفيقية وبيان سبب تأليفه وطبعه، حررها الأستاذ محمد الحسيني المصحح بدار الطباعة ببولاق، وننقل طرفا منها لأنها تعكس أسلوب عصره. يقول بعد الديباجة مسجِّلا للمقريزي فضل السبق في تأليف خططه، ثم فضل على مبارك في الاضطلاع بعبء تسجيل خطط القاهرة الجديدة بعد نمائها واتساعها:

وممن شمر الذيل في ذلك، واشتد في السعي حتى بلغ الغاية وسابق فرسان هذا الميدان، فلم يكن لسبقه نهاية: نابغة زمانه، وقدوة فضلاء آنه، الشيخ الإمام علامة الأنام: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمقريزي، طيب الله ثراه، وأجزل في دار النعيم قراه، فإنه رحمه الله بين خطط القاهرة في زمانه أتم بيان، وأوضح معالم مدنها وقراها الشهيرة أبدع إيضاح وأجمل تبيان، وذكر معظم تواريخ أعاظمها من العلماء والأعيان، وما وصل إليه من أحوال أهلها في زمنه وفرقهم ومذاهبهم. وما عثر عليه من القديم، حتى بلغ من ذلك مبلغا انتفع به الناس النفع العميم، ثم لما تقادم الزمن واستدار، ودارت على مصر في الأعصر الخالية دوائر الأهوال والإحن والأقدار، فاكفهر نجمها وحال حالها، واسود وجهها النضير، وكسف بالها.

إلى أن أدركها الله تعالى بعنايته، ووصلت من النضرة والسرور إلى غايته، حين وليتها العائلة الفخيمة؛ عائلة مولانا وسيدنا الخديوي الجليل المرحوم الحاج محمد علي. فقد لبست مصر في عهدها بعد البؤس والقدم لباس النعيم والجدة، وبدلت الرخاء بعد الشدة، فتغيرت لذلك أخطاطها ومعاهدها، وتبدلت معالمها، فلا يكاد يهتدي إلى منزل من منازلها ولا إلى دار ولا خطة من خططها الآن قاصدها، وبقيت مجهولة المسالك والمساكن وغيرها قديما وحديثا، وصار الناس، عالمهم وجاهلهم، من أمرها لا يفقهون حديثا، انتهض لذلك ذو العزم الذي لا يجاري، والهمة التي لا تباري، العزم الذي بلغ من كل وصف جليل غايته، وحاز من كل خلق كريم بهجته، وحل من كل ثناء جميل بحبوحته، الرياضي الذي لا يشق غباره، والنبراس الذي لا يهتدي إلا به، ولا تشرق في القلوب إلا آثاره.

ويلي ذلك سبعة أبيات من الشعر في مدح علي مبارك ثم يقول الكاتب عنه:

العلم الشهير، والبدر المنير، والعالم النحرير، والطبن بالمشكلات الخبير، الجبري الذي كاد أن يبين عن حقيقة الجذر الأصم، والحيسوب الذي كشف عن وجه الأعداد الأول اللثام على الوجه الأتم، والهندسي الذي أسس أشكال التأسيس، ووضع الأعداد المتناسبة على الوجه النفيس، ذو السعادة علي باشا مبارك ناظر ديوان المعارف العمومية بالمحروسة مصر المعزية، إذ أخذته - حفظه الله - الغيرة الوطنية، واحتملته الحمية، حمية العلمية، وهاجته النجدة والحرية الطبيعية، ودعته محبة تكثير العلوم والمعارف والأعمال الخيرية واهتزته نخوة الأريحية الجِبِلِّيَّة، فنادى في سوق الأدب:

« ياتجار الآداب، يا من سلكوا في طريق المعرفة سبيل الصواب، يا جهابذة التاريخ، وأساة الأخبار، يادعاة العلوم،

ورعاة الآثار ، يا من أعملوا جيادهم فى تدوين الفنون ، يا نقاد النفائس ودهاقنة الجوهر المكنون . إن هذه الديار قد انمحت من دواوين التخطيط أخبارها ، واندرست ــ أو كادت ــ من معالم التاريخ الآن آثارها ، فهل من حر تحمله الهمة على تخطيط داره؟ هل من ذى نخوة تستفزه مروءته إلى إيضاح منار وطنه ، وتدوين تاريخه ، وإشهار أخباره وآثاره؟ يا فرسان هذا الميدان يامن لهم اليد الطولى فى هذا الشأن ، يامن اشتهروا باجتياز فنون الأدب والتاريخ جميع البلدان ، هلموا إلى هذه الخطة التى فضلها لا ينكر ، والعمل الذى مزيته الحسنة وأثره الجميل أشهر من أن يذكر» .

فلم يجبه إلى هذا النداء مجيب ، ولم يظهر لهذا الداء طبيب ، ولم يأخذ أحد من هذا الفضل بحظ ولا نصيب .

فشمر حفظه الله ساعد الاجتهاد ، واعتمد فى هذا الغرض المهم على رب العباد ، وسار بحول الله وقوته سالكا سبيل السداد ، وجمع لذلك الكتب العدة ، واستعد له بكل عدة ، ووضع خطط المقريزى أمامه ، وسل فى سيره على قطاع الطريق من شياطين الغواية حسامه ، وصار يذكر فى كل مكان من أماكن القاهرة خطته القديمة واسمه وشهرته التى كانت فى ذلك الوقت ، مستديمة ، ثم يعقبه بذكر ما تحولت إليه فى وقتنا هذا وقبله حاله ، وما آل إليه مآله . ويذكر أول من أنشأ هذا المكان ومن انتقل إليه بعده مرة بعد أخرى حتى الآن وتملكه ، ومن استولى عليه بأى نوع من أنواع الاستيلاء ، أو فى سلك الأوقاف سلكه ، وهكذا الأمر فى جميع أخطاط القاهرة وشوارعها وحاراتها ودروبها وأزقتها وبيوتها الكبيرة والصغيرة وخاناتها ، حتى صارت جهاتها واضحة معلومة للسالكين ، غير مشتبهة الأعلام والطرق على السائرين فى أزقتها والسابلين .

وذكر فى أمر الجوامع والمساجد والزوايا والكنائس والديور ماهو أغرب وأطرب ، وذكر من تواريخ أصحاب الأضرحة ، ومشاهير الأولياء والعلماء وأرباب البيوت والمساجد والأوقاف والأسبلة وغير ذلك وتراجمهم ، فأبان وأعرب ، وذكر قبل ذلك فائدة تشتمل على جملة عدد المساجد والجوامع والزوايا والربط والكنائس والديور والحمامات .

وفى البلاد يذكر إقليم البلد ، والمسافة بينهما وبين ما يليها من البلاد من أى الجهات ، ثم إن كانت تلك البلد محل وقعة من الوقائع القديمة قبل الإسلام ، أو الحادثة بعده ذكرها . ويصف البلد على أتم وصف ، ويوضح أمرها ، ويذكر ما طرأ عليها من تغيير وتبديل وعمارة وخراب ، وغير ذلك من الأحوال على وجه الصواب ، ويذكر تواريخ وتراجم من نشأ فيها من العلماء والأعيان والمشاهير والأولياء قديما وحديثا بألطف بيان .

وقد جمع لذلك ما لا يحصى من حجج الأوقاف والأملاك وكتب التاريخ للقاهرة وغيرها من النظار والملاك .

وبالجملة فهو كتاب جليل المقدار ، واضح المنار ، ثمين القيمة ، غزير الديمة ، فريد فى بابه ، إمام فى محرابه ، يعز على غير مؤلفه ــ حفظه الله ــ تأليف مثله ، ولا يعرف غير العلماء والفضلاء فى هذا الشأن مقدار فضله :

كتاب عظيم الشأن عز مثيله ... حوى دقة المعنى إلى رقة اللفظ

إذا سمعت أذ ناك رقة لفظه ... ترى نفثات السحر فى ألطف اللحظ

به منهل التحقيق ساغ وروده ... له فى نفوس الأذكياء أوفر الحظ

يعز على ذوق الغبى مناله ... وينبو عن الجافى وعن مسمع الفظ

جعله مؤلفه خدمة لوطنه ، ونفعا لأهل هذا الشأن ، وقياما بحق زمنه ، وهدية من أحسن الهدايا ، وتحفة من أبهج التحف ، وذخيرة من أعظم الذخائر ، وطرفة من أنفس الطرف ... إلخ (الخطط التوفيقية الجديدة ١ / ١٥ ـ ٢١) .

ويعتبر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن الخطط التوفيقية المصدر الثانى من المصدرين الكبيرين الحافلين بمئات ومئات من تراجم الرجال ، والمصدر الأول هو خطط المقريزى ، واسمها الكامل «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» (تأتى فى موضعها إن شاء الله تعالى) .

وأما المصدر الثانى فهو الخطط التوفيقية التى يقول عن طبعتها الأولى :

أما المصدر الثانى فهو «الخطط التوفيقية» بأجزائها العشرين للمرحوم على مبارك (باشا) وقد طبعت ما بين سنتى

١٨٨٨ وسنة ١٨٨٩ بعد قيام الثورة العرابية ببضع سنوات. وإذا كانت الخطط التوفيقية حافلة بالحديث عن خطط القاهرة وشوارعها ودروبها وحاراتها ومساجدها ومعابدها ومدارسها، وأقاليم مصر ومدنها وقراها وآثارها القديمة على توالى العصور، فإنها ـ فوق ذلك ـ حافلة بتراجم ومئات من الأعيان والفقهاء والعلماء والأدباء والشعراء والأولياء والمتصوفة والأمراء من أهل تلك المدن والبلاد، والقرى والأحياء.

والحق أن فى الخطط التوفيقية من التراجم ما لا نجده فى مصدر آخر غيرها، فإن الترجمة التى فى الخطط للشيخ حسن العطار ـــ شيخ الأزهر وأستاذ الشيخ رفاعة الطهطاوى ـــ تكاد تكون مصدرنا الوحيد عن حياة ذلك العالم الرائد المجدد.

(التراجم والسير / ٥٣).

(أسماء ومسميات من مصر القاهرة ـ محمد كمال السيد محمد / ٢٨، ٢٩، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ١/ ١٥ ـ ٢١، والتراجم والسير ـ محمد عبد الغنى حسن / ٥٣).

*** خطط مصر:**

خطط مصر ـــ وهى جمع خطة بمعنى محلة أو بلد لأنه يخط عند التحديد وأول من صنف فيه أبو عمر محمد بن يوسف الكندى، ثم القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى المتوفى سنة ٤٥٤ أربع وخمسين وأربعمائة سماه المختار فى ذكر الخطط والآثار فدثر أكثر ما ذكراه فى سنى الشدة المستنصرية من سنة ٥٧ سبع وخمسين إلى سنة ٦٤ أربع وستين من الغلاء والوباء. ثم كتب تلميذه أبو عبد الله محمد بن بركات النحوى المتوفى سنة ٥٢٠ عشرين وخمسمائة (عن مائة سنة وثلاثة أشهر) ثم كتب الشريف محمد بن إسماعيل الجوانى وسماه النقط لمعجم ما أشكل من الخطط. ثم كتب القاضى تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج المتوفى سنة ٧٩٠ وسماه اتعاظ المتأمل وإيقاظ المتغفل فبين أحوال مصر إلى حدود ٧٢٥ خمس وعشرين وسبعمائة وقد دثر بعده معظم ما ذكره. وكتب القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر (ابن نشوان المتوفى سنة ٢٩٢ اثنتين وتسعين ومائتين وسماه الروضة البهية الزاهرة والخطط المعزية القاهرة ثم صنف الشيخ تقى الدين أحمد بن عبد القادر المقريزى (بفتح الميم نسبة إلى محلة المقارزة بحماة) المتوفى سنة ٨٤٥ خمس وأربعين وثمانمائة كتابا مفيدا وسماه المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار أحسن فيه وأجاد وهو المشهور المتداول الآن (نورده فى موضعه إن شاء الله تعالى ومعه بيان بمخطوطات الترجمة التركية).

ولهذا الكتاب ترجمة بالتركية عملها بعض العلماء للأمير إبراهيم الدفترى سنة ٩٦٩ تسع وستين وتسعمائة (كشف ١ ٧١٥، ٧١٦).

يقول الأستاذ محمد كمال السيد محمدعمن كتب عن خطط مصر:

مصر القاهرة شغفت الكثيرين من أبنائها حبا. فخلدوا فى كتبهم خططها وما كانت عليه من بهاء. وما فى قصورها من رفاهية وثراء. وما فى مبانيها من فن وعظمة وأبهة. وما فى نيلها وخلجانها وبساتينها ومتنزهاتها من أسباب اللهو والترفيه. ولم يمر قرن من الزمان إلا وقام كاتب. أو أكثر من أبنائها ليسجل ما ذكره السابقون مضيفا عليه ما استجد.

فابن عبد الحكم توفى سنة ٢٥٧ هـ، والكندى توفى سنة ٣٥٠ هـ، وابن زولاق توفى سنة ٣٨٧ هـ، والمسبحى توفى سنة ٤٢٠ هـ، والقضاعى توفى سنة ٤٥٤ هـ، وأبو البركات توفى سنة ٥٢٠ هـ، الشريف الجوانى توفى سنة ٥٨٨ هـ، وابن عبد الظاهر توفى سنة ٦٩٢ هـ، وابن المتوج توفى سنة ٧٣٠ هـ، وابن دقماق توفى سنة ٨٠٩ هـ، والمؤرخ الكبير المقريزى توفى سنة ٨٤٥ هـ، وابن حجر العسقلانى توفى سنة ٨٥٢ هـ، وتلميذه السخاوى توفى سنة ٩٠٢ هـ والسيوطى توفى سنة ٩١١ هـ، وابن أبى السرور البكرى توفى سنة ١٠٦٠، وعلى باشا مبارك توفى سنة ١٣١١ هـ = ١٨٩٣ م.

جميعهم مصريون يكونون حلقات متصلة فى سلسلة تاريخ مصر القاهرة.

ويساعد هذه الحلقات قوة ويزيدها اتصالا وتماسكا. مؤرخون ـ مصريون أيضا ـ لم يخصصوا مجهودهم التاريخى للخطط. ولكن نجد وصفا لبعض خطط المدينة أثناء عرضهم للتاريخ العام. ويعتبر مجهودهم مكملا.

مثل النويرى صاحب نهاية الأرب المتوفى سنة ٧٣٣ هـ، القلقشندى صاحب صبح الأعشى المتوفى سنة ٨٢١ هـ ، وابن تغرى بردى صاحب النجوم الزاهرة توفى سنة ٨٧٤، ابن إياس صاحب بدائع الزهور المتوفى سنة ٩٣٠ هـ تقريبا، عبد الرحمن الجبرتى صاحب عجائب الآثار فى التراجم والأخبار المتوفى سنة ١٢٤١ هـ.

وأغلب كتب الخطط عن مصر القاهرة قبل المقريزى مفقود. عرفت أسماؤها ومؤلفوها من الإشارة إليها فى خطط المقريزى. ومن ذكرها فى كتب التاريخ والتراجم.

ولو لم يتح القدر لمصر القاهرة هذا المؤرخ الكبير الواسع الاطلاع ذا الذاكرة الواعية. والتفكير الرياضى. والتحقيق العلمى. لاندثر جزء كبير من تاريخ هذه العاصمة.

وتوجد فترة طويلة من الصمت بين ابن أبى السرور البكرى المتوفى سنة ١٠٦٠ هـ . وبين على باشا مبارك المتوفى سنة ١٣١١ هـ فضلا على أن ابن أبى السرور لم يأت تقريبا بجديد. فكتابه قطف الأزهار فى الخطط والآثار ما هو إلا تلخيص لخطط المقريزى مع إضافات يسيرة جدت بعد المقريزى.

ولكن يقطع هذه الفترة من الصمت تاريخ الجبرتى المتوفى سنة ١٢٤١ هـ كان فى كتابه (عجائب الآثار) ما ألقى ضوءا قويا على تاريخ مصر العام. فى فترة من أحلك فترات حياتها وأكثرها اضطرابا. تئن تحت الحكم العثمانى بعسفه وفساده من جهة. وتحت عبث البكوات المماليك من جهة أخرى. ولو أن الجبرتى لم يتناول خطط العاصمة بالذات. ولكن والعاصمة كانت ميدانا للصراع بين المماليك مع بعضهم ومع وجاقات (فرق) الحامية العثمانية. فقد ذكرت مساكنهم ومواقعها ومن ذلك يفهم الكثير من خطط المدينة.

وتخللت هذه الفترة من الصمت أيضا الحملة الفرنسية. وقد أرخها الجبرتى حيث كان معاصرا لها. ووضع الفرنسيون الخرائط المساحية للعاصمة لأول مرة. ووصفوها فى كتاب (وصف مصر) الوصف الدقيق.

ثم أتاح القدر مرة أخرى مؤرخا نابها هو المرحوم على باشا مبارك. فوصل بين ما كتبه المقريزى وبين ما استجد أو تطور من أحياء المدينة لغاية عصره. وأمكنه فى أغلب الأحيان أن يحقق المواقع التى ذكرها المقريزى. مع تغيير الأسماء والمواقع. وبينهما ما يقرب من الخمسة قرون. وخانه التوفيق فى أحيان كما سنرى. بإذن الله.

ولكل منهما طريقته فى الخطط. فالمقريزى يتكلم عن كل من المدارس والمساجد والدور والحمامات والحارات وغيرها مجتمعة كموضوع. دون نظر إلى الترتيب الجغرافى. أما على باشا مبارك فيراعى الترتيب الجغرافى فيذكر الشارع وطوله وما يتفرع منه من حارات ذات اليمين وذات اليسار. وما يتفرع من الحارات من دروب وأزقة. وما به ـ أو ما كان به ـ من الآثار كالمساجد والدور الكبيرة وغيرها. وتاريخها وما مر بها من عمارة أو خراب.

وقد أسمى على باشا مبارك كتابه (الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة). والتوفيقية نسبة إلى الخديوى توفيق حاكم مصر وقت ظهور الكتاب. فقد كان على مبارك ناظرا للمعارف (وزيرا للتربية والتعليم) فى نظارة رياض باشا سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٨ م).

ثم يقول الأستاذ محمد كمال السيد محمد.

ولست أقصد من هذا البحث شرح خطط مصر القاهرة وتاريخها. فهذا مجهود كبير ويحتاج إلى سنوات طويلة. وعلى باشا مبارك نفسه فى الأجزاء الستة الأولى من خططه (٨٢٠ صحيفة) التى تناول فيها خطط القاهرة. لم يتناول غير خطط القاهرة الفاطمية. مضافا إليها ما استجد جنوبا حتى ميدانى القلعة والسيدة زينب. وشمالا حتى الفجالة والظاهر. وأما ما استجد غربا فى عهد إسماعيل من أحياء المنيرة وجاردن سيتى والقصر العينى والإسماعيلية ميدان التحرير ومجاوراته. ومن حديقة الأزبكية حتى شاطىء النيل ببولاق فقد ذكره إلماما دون تفصيل. كما أنه لم يكد يذكر شيئا عن خطط الفسطاط.

وكانت مساحة القاهرة فى عهد على باشا مبارك ٢٩٠٠ فدان. تناول بالتفصيل منها ما يقرب من النصف. والآن مساحة القاهرة تقرب من ٦٠٠٠٠ ستين ألف فدان أى تضاعفت أكثر من عشرين مرة منذ على مبارك.

ولكن الجزء الأكبر من مصر القاهرة الحديثة. أو كما يسمونها القاهرة الكبرى حصل تخطيطه بعد على مبارك.

وكان مزارع وصحارى امتدت لها المدينة الكبرى فاحتوتها بين ذراعيها . خططا ومساكن وأبنية . وتاريخها غير عسير المنال . فلدينا المراجع القديمة . وقرارات مصلحة التنظيم ولجان تسمية الشوارع مما يجده الباحث في الوقائع الرسمية . فضلا على الخرائط المساحية .

فنرجو أن يتوافر بعض علمائنا على المبادرة إلى هذا قبل أن يزداد العمل صعوبة وتعقيدا بتقادم الزمن .

وللأستاذ أيمن فؤاد سيد بحث مستفيض له حول تأليف خطط المقريزى ، يعدد فيه من قاموا بتأليف الخطط قبل المقريزى ومن تأثر بهم ، وننقل بعضه فيما يلى ، وقد وضعنا هوامش البحث بين أقواس فى ثنايا النص :

أول من اهتم منهم بالكتابة فى خطط مصر، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المتوفى فى فسطاط مصر سنة ٢٥٧ هـ ، إلا أن ابن عبد الحكم لم يخصص كتابه «فتوح مصر وأخبارها» كله للخطط ، و إنما أفرد أحد فصوله فقط لوصف خطط الفسطاط والجيزة والإسكندرية .

أما أبو عمر محمد بن يوسف الكندى المتوفى سنة ٣٥٠ هـ، فهو أول من أفرد مؤلفا خاصا عن الخطط لم يصل إلينا ، قال عنه المقريزى :

«أول من رتب خطط مصر وآثارها وذكر أسبابها فى ديوان جمعه، أبو عمر محمد بن يوسف الكندى «(الخطط ١ / ٥) . ووصل إلينا من مؤلفات الكندى كتابان هما «تسمية ولاة مصر» و «تسمية قضاة مصر» وقد نشرا تحت عنوان «كتاب الولاة وكتاب القضاة» وفى الكتاب نبذ يسيرة عن بعض خطط الفسطاط ومنشآتها الأولى ترد فى سياق الكلام . ومن آثار الكندى المفقودة والتى يتناول فيها وصف خطط الفسطاط ، كتاب «أخبار مسجد أهل الراية الأعظم» وهو تاريخ المسجد الجامع الذى أنشأه عمرو بن العاص فى وسط خطة أهل الراية . وكتاب «الجند العربى» وهى من مصادر المقريزى فى الخطط (القلقشندى: صبح الأعشى ٣/ ٣٢٩) .

وقد درست كثير من خطط الفسطاط قبل الاهتمام بالتأليف فى الخطط وهى الخطط التى اختطها الناس حول فسطاط عمرو والجامع العتيق .

ومع قدوم الفاطميين إلى مصر وتأسيسهم مدينة القاهرة لتكون عاصمة لخلافتهم فى سنة ٣٥٨ هـ ، ازدهر نمط التأليف فى الخطط على يد بعض كبار مؤرخيها ، استمروا فى وصف خطط الفسطاط ، ولم يكتبوا شيئا يذكر عن خطط القاهرة الجديدة التى كانت خاصة بالخليفة وخاصته .

فكتب أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين المعروف بابن زولاق المتوفى سنة ٣٨٦ هـ كتابه «خطط مصر» وهو مفقود منذ زمن بعيد فلم يذكره المقريزى فى مقدمته التى ذكر فيها مؤلفى الخطط المصرية ، ولكن ابن خلكان ذكر كتابه هذا وقال إنه «استقصى فيه (وفيات الأعيان ٢ / ٩١) .

ويرى الأستاذ عبد الله عنان أن ابن زولاق ربما استقصى فيه إلى جانب خطط الفسطاط ، خطط العسكر ثم خطط القطائع ، بل لعله تناول أيضا إنشاء القاهرة المعزية ، فيكون بذلك أول مؤرخ لخططها (مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية / ٣٥) .

ومن أهم مؤرخى العصر الفاطمى الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحى المتوفى سنة ٤٢٠ هـ صاحب كتاب «أخبار مصر» وهو أثر بالغ الأهمية بلغ عدد أوراقه ثلاثة عشر ألف ورقة كما يذكر ابن خلكان ، ولم يصل إلينا منه إلا الجزء الأربعون فقط ، وفيه بعض حوادث سنة ٤١٤ هـ وحوادث سنة ٤١٥ ، ومما وصل إلينا من الكتاب وما نقله عنه المتأخرون يبدو أنه تناول فيه كثيرا من خطط الفسطاط ومعاهدها وقصورها وأسواقها ، حيث كان يقيم هو نفسه فى شارع الحمراء على شاطىء نيل فسطاط مصر (أخبار مصر / ١٠٩) .

وفى زمن خلافة المستنصر بالله كتب أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى كتابه «المختار فى ذكر الخطط والآثار» وتوفى سنة ٤٥٤ هـ (وفى رواية ٤٥٧ هـ) قبل سنى الشدة المستنصرية ، يقول المقريزى : : «فدثر أكثر ما ذكر، ولم يبق إلا يلمع وموضع بلقع بما حل بمصر من سنى الشدة المستنصرية من سنة سبع وخمسين إلى سنة أربع وستين وأربعمائة من الغلاء والوباء ، فمات أهلها ، وخربت ديارها ، وتغيرت أحوالها ، واستولى الخراب على عمل فوق من الطرفين بجانبى الفسطاط الغربى والشرقى فأما الجانب الغربى فمن قنطرة بنى وائل حيث الوراقات الآن قريبا من باب القنطرة خارج مدينة مصر، إلى الشرق المعروف الآن بالرصد وأنت مار إلى القرافة الكبرى . وأما الشرقى فمن طرف بركة الحبش التى

تلى القرافة إلى نحو جامع أحمد بن طولون» . (خطط المقريزى ١ / ٥).

«ثم دخل أمير الجيوش بدر الجمالى مصر فى سنة ست وستين وأربعمائة ، وهذه المواضع خاوية على عروشها ، خالية من سكانه وأنيسها ، قد أبادهم الوباء والتباب ، وشتتهم الموت والخراب ، ولم يبق بمصر إلا بقايا من الناس كأنهم أموات قد اصفرت وجوههم وتغيرت سحنهم من غلاء الأسعار وكثرة الخوف من العسكرية ، وفساد طوائف العبيد والملحية ، ولم يجد من يزرع الأراضى ، هذا والطرقات قد انقطعت بحرا وبرا إلا بخفارة وكلفة كثيرة . وصارت القاهرة أيضا يبابا داثرة ، فأباح للناس من العسكرية والملحية والأرمن وكل من وصلت قدرته إلى عمارة أن يعمر ما شاء فى القاهرة . وكان هذا أول وقت اختلط الناس فيه بالقاهرة» (خطط المقريزى ١ / ٤) .

فالقضاعى كان اهتمامه كاهتمام سابقيه بخطط مصر الفسطاط ، حيث كان يقيم أهل مصر جميعا من العلماء والتجار ومختلف طبقات المجتمع المصرى ، فقد كانت القاهرة حتى هذا الوقت مدينة خاصة يقيم فيها الخليفة وحاشيته وجنده بمختلف جنسياتهم ، وكانت سنى الشدة العظمى سببا فى خراب الفسطاط وانتقال الناس منها . حتى إن بدر الجمالى أباح للناس أن يعمروا ما شاء لهم فى القاهرة فكان هذا أول وقت اختلط الناس فيه بالقاهرة .

وفى زمن المقريزى دثر أكثر ما ذكره الكندى والقضاعى من خطط مصر بسبب الشدة العظمى ، ثم بسبب حريق الفسطاط الذى كان فى سنة ٥٥٩ هـ . «وقد كان أكثر بناء الفسطاط بالآجر المحكوك والجبس والجير من أوثق بناء وأمكنه ، وآثاره الباقية تشهد له بذلك» يقول القلقشندى : وإذا نظرت إلى خطط الكندى والقضاعى والشريف النسابة ، عرفت ماكان الفسطاط عليه من العمارة وما صار إليه الآن (صبح الأعشى ٣ / ٣٣٤) .

وكانت معرفة الكندى والقضاعى بخطط مصر الفسطاط معرفة عظيمة حتى قال عنهما المقريزى : «وناهيك بهما معرفة لآثار مصر وخططها» وأضاف «وعليهما يعول فى معرفة خطط مصر ومن قبلهما ابن عبد الحكم» .

«ثم كان المنبه بعد القضاعى على الخطط والتعريف بها تلميذه أبو عبد الله محمد بن بركات بن هلال النحوى المصرى الذى توفى سنة ٥٢٠ هـ بعد أن جاوز المائة ، وقد صنف كتابا فى «خطط مصر» لم يصل إلينا ، قال عنه المقريزى : إنه «تأليف لطيف نبه فيه الأفضل أبا القاسم شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى على مواضع قد اغتصبت وتملكت بعد ما كانت أحباسا (المقريزى : الخطط ١/ ٥)ولا شك أن ذلك كان بعد ما أصاب الناس من سنى الشدة فاغتصبوا المواضع التى وصلت إليها أيديهم بعد أن فقدوا ممتلكاتهم واضطروا إلى ترك منازلهم والانتقال بعيدا عنها .

وآخر من ألف فى الخطط فى زمن الفاطميين أبو عبد الله محمد بن أسعد بن على بن الحسين المازاندرانى المعروف بالشريف الجوانى المتوفى سنة ٥٨٨ هـ . كان نقيبا للأشراف فى مصر وألف عددا من المصنفات منها : «طبقات الطالبيين» و «تاج الأنساب ومنهاج الصواب» و «الجوهر المكنون فى ذكر القبائل والبطون» و «الروضة الأنيسة بفضل مشهد السيدة نفيسة» وبالإضافة إلى ذلك وضع الشريف الجوانى كتابا فى الخطط عنوانه «النقط بعجم ما أشكل من الخطط» ، قال عنه المقريزى : «نبه فيه على معالم قد جهلت وآثار قد دثرت» وكان أكثر اهتمام الجوانى بخطط الفسطاط ، وقد وقف المقريزى على كتاب الجوانى بخطه يقول : «هكذا هو بخط الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة وهو أقعد بخطط مصر وأعرف من ابن سعيد» (المقريزى : الخطط ١ / ٢٨٨) ويؤكد ذلك أيضا قول القلقشندى : «وإذا نظرت إلى خطط الكندى والقضاعى والشريف النسابة ، عرفت ما كان الفسطاط عليه من العمارة ، وما صار إليه الآن ...» (القلقشندى : صبح الأعشى ٣ / ٣٣٤) .

وبسقوط خلافة الفاطميين فى مصر ٥٦٧ هـ تحولت البلاد من المذهب الإسماعيلى إلى المذهب السنى وتولت أمرها دولة أخرى تخالف الفاطميين فى نظمها وعقائدها . فقد انتقل أمر مصر إلى الأيوبيين السنيين الذين منعوا كثيرا من الاحتفالات الدينية التى كانت تتم فى زمن الفاطميين الشيعة ، وأبطلوا كثيرا من الشعائر التى كانت فى وقتهم ، وهدموا بعض منشآتهم وأقاموا فى موضعها منشآت جديدة .

ولا نصادف فى زمان الأيوبيين من يهتم بالكتابة عن خطط

مصـر والقـاهرة، فقـد غلب على عصـرهم الطـابع الحـربى ومـواجهـة القـوى الصليبيـة الغـاشمـة التى هـددت الشـرق الإسلامى بأثره، وكان للأيـوبيين فضل الذود عن الإسلام أمام حملات الصليبيين المختلفة، وتقليص ممالكهم التى أقاموها فى الشام واسترداد مملكة بيت المقدس.

وفى زمن المماليك تقاربت المبـانى والمنشآت وزاد عدد سكـان مدينـة القـاهـرة، وابتنى الناس فى مـوضع القصـرين الفاطميين، وأنشأوا أحياء جديـدة مما أدى إلى امتداد مساحة القاهـرة، يقول المقـريزى: «ثم تـزايدت العمـارة ... فى الأيام الناصر بن محمد بن قلاوون بالقاهرة وظواهرها، إلى أن كادت تضيق على أهلها حتى حل بهـا وباء سنـة تسع وأربعين وسنة إحدى وستين، ثم غـلاء سنة ست وسبعين فخربت بهـا عدة أماكن، فلما كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة شمل الخراب القاهرة ومصر وعامة الإقليم» (المقريزى: الخطط ١ / ٥).

وواقع الأمر أن قـاهرة الفاطميين غـابت عنا اليوم معـالمها ولم يبق لنا إلا قاهرة المماليك بمساجدها الضخمة وحماماتها ومدارسها وخوانقها ومسالكها ودروبها.

فكتب القاضى محيى الدين أبـو الفضل عبد الله بن رشيد الـدين بن عبد الظـاهر المتـوفى سنة ٦٩٢ هـ كتـابه «الـروضة البهية الزاهرة فى خطط القاهرة المعزية»، قال عنه المقريزى: «فتح فيه بابا كانت الحاجة داعية إليه».

فهو أول مؤلف مصرى خصص كتابا لخطط القاهرة، كان الأساس الذى اعتمد عليه كل من القلقشندى والمقريزى وأبى المحـاسن، ولـلأسف لم يصـل إلينـا من مـؤلفـات ابن عبـد الظاهر سوى مؤلفاته التاريخية فقط، أما كتابه فى الخطط فقد فُقد منذ زمن، والنقول الكثيرة عنه عند القلقشندى والمقريزى تفيد بأنه كان مؤرخا أثريا.

وقـد وقعت لأبى بكـر بـن عبـد الله بن أيبك الـدوادارى المتـوفى سنة ٧٣٦ هـ مسودة كتـاب ابن عبد الظاهـر يقول: «وقعت على مسـودة مجلـدة بخـط يـدى القـاضى ابن عبـد الظاهر، رحمـه الله، يقول فى أولها: الروضـة البهية فى خطط القاهرة المعزية، جمع الفقير إلى الله تعالى فى سنة ٦٤٧ هـ»

ولخص ابن أيبك قسما من كتاب ابن عبد الظـاهر بطريق غير منظمة فى الجزء الذى خصصه للدولة الفاطمية من كتابه «كنز الدرر وجامع الغرر» والمسمى «الـدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطميـة»، وعلق على ما لخصه مـن كتاب ابن عبد الظـاهر بقولـه: هذا ما لخصتـه من كتاب الخطط، وهو مسـودة بغير ترتيب، ولا هى كلام متوال. وقصدى إن فسح الله فى الأجل، بعد تكملة هذا التاريخ، أن أنشئ كتابا يتضمن خطط القاهرة أسميه «الروضـة الزاهـرة فى خطط القاهـرة»، آتى فيه بمـا لم أُسبق إليه من فنون، تشنّف السامع وتنزه العيـون، وذلك لما استضويت بهـذه الأنوار، المفترعة من أبكـار الأفكار، فيكون ذلك أسسـا للبنايـة، ونورا للهـداية، والمـرجو من الله تعـالى إدراك هذه النية، وبلوغ هذه الأمنية، إنه بـالإجابة جدير، وهو على كل شىء قدير» (كنز الدرر ٦ / ١٤٢).

ولا ندرى على وجه اليقين إن كـان ابن أيبك قد تمكن من كتابة كتـابه عن الخطط، سوى أنه يقـول فى الجزء السابع من كتابه «كنـز الدرر» وهو يذكر خبـر الصالح طلائع بن رُزِيك: «وهذا الصالح الذى بنى هذا الجامع الذى بظاهر باب زويلة، وقد ذكرته فى كتابى المسمى «اللقط الباهرة فى خطط القاهرة» (كنز الدرر ٧ / ١٨).

وإذا كان ابن عبـد الظاهر قـد خصص كتابه لـذكر خطط القاهـرة، فقد كـان هناك فى الـوقت نفسه من هـو مستمر فى الكتابة عن خطط الفسطاط، يقول المقريزى: «وآخر ما رأيت من الكتب التى صنفت فى خطط مصر كتاب «إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل» تأليف القاضى الـرئيس تاج الدين محمد بن عبد الـوهاب بن المتوج الـزبيرى رحمـه الله، وقطع على سنة خمس وعشـرين وسبعمائة، فـذكـر من الأخطاط المشهـورة بذاتها لعهده اثنين وخمسين خطـا، ومن الحارات اثنتى عشرة حارة، ومن الأزقة المشهورة ستة وثمـانين زقاقا، ومن الدروب المشهورة ثلاثة وخمسين دربـا، ومن الخوخ المشهورة خمسا وعشرين خوخـة، ومن الأسواق المشهورة تسعة عشـر سوقا، ومن الخطط المشهورة بالدور ثلاثـة عشر خطا، ومن الرحاب المشهورة خمس عشرة رحبة، ومـن العقبات المشهورة إحدى عشرة عقبـة، ومن الكيمان المسماة ستة كيمـان، ومن الأقباء عشـرة أقباء، ومـن الـبرك خمـس بـرك، ومـن السقائـف

خمسا وستين سقيفة، ومن القياسر سبع قياسر، ومن مطابخ السكر العامرة ستة وستين مطبخا، ومن الشوارع ستة شوارع، ومن المحارس عشرين محرسا، ومن الجوامع التى تقام فيها الجمعة بمصر وظاهرها من الجزيرة والقرافة أربعة عشر جامعا، ومن المساجد أربعمائة وثمانين مسجدا، ومن المدارس سبع عشرة مدرسة، ومن الزوايا ثمانى زوايا، ومن الربط التى بمصر والقرافة بضعا وأربعين رباطا، ومن الأحباس والأوقاف كثيرا، ومن الحمامات بضعا وسبعين حماما، ومن الكنائس وديارات النصارى ثلاثين ما بين دير وكنيسة، وقد باد أكثر ما ذكر ودثر...، ومعظم ذلك فى وباء سنة تسع وأربعين وسبعمائة، ثم فى وباء سنة إحدى وستين، ثم فى غلاء سنة ست وسبعين وسبعمائة».

ومن هذا الوصف الذى أورده المقريزى لكتاب ابن المتوج المتوفى سنة ٧٣٠ هـ يتضح لنا أهمية كتابه الذى خصه فقط بالفسطاط ونقل عنه أيضا فى مواضع كثيرة القلقشندى عند وصفه الفسطاط فى كتابه «صبح الأعشى».

الخطط بين المقريزى والأوحدى وابن دقماق:

آخر مؤلفى الخطط الذين ذكرهم المقريزى واستفاد منهم هو ابن المتوج، وكتب بعد ابن المتوج اثنان من أشهر مؤرخى الخطط لم يشر إليهما المقريزى، أحدهما وصل إلينا قسم من كتابه هو ابن دقماق، والثانى فُقد كتابه هو الأوحدى.

فابن دُقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى المتوفى سنة ٨٠٩ هـ/ ١٤٠٧ م صنف عددا كبيرا من الكتب فى فن التاريخ والطبقات وصل إلينا منها بعضها. وكان قليل الإحاطة بالعربية عامى العبارة، كما كان من غلاة الحنفية وصنف كتابا فى طبقاتهم عنوانه «نظم الجمان» فى ثلاث مجلدات امتحن بسببه (الضوء اللامع ١/ ١٤٥).

ويهمنا فى هذا الموضع من مؤلفات ابن دقماق كتاب «الانتصار لواسطة عقد الأمصار (نشر فولرز فى مصر سنة ١٣٠٩ هـ) الذى وصل إلينا منه جزءان هما: الجزء الرابع والجزء الخامس. وتبدو قيمة هذا المؤلف خاصة بالنسبة لمدينة الفسطاط وخططها.

وكان المقريزى من تلامذة ابن دقماق فلا عجب أن عرف مؤلفاته جيدا، ولكنه لا ينقل عنه على الإطلاق، ويرى كراتشكوفسكى أنه من الممكن أن يكون المقريزى قد أغفل ذكر كتاب شيخه ابن دقماق عمدا لأن المقريزى كان شافعيا متطرفا على حين كان ابن دقماق من غلاة الحنفية.

أما الأوحدى، أحمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان المتوفى سنة ٨١١ هـ، فكان أديبا معتنيا بالتاريخ لهجًا به، شافعى المذهب، كتب مسودة كبيرة لخطط مصر والقاهرة بيَّض بعضها وأفاد فيها كما قال ابن حجر (إنباء الغمر ٢/ ٤٠٦).

واتهم المؤرخ المصرى شمس الدين السخاوى التقى المقريزى بأنه سطا على مسودة جاره الأوحدى فى الخطط، فبيضها وزاد عليها ونسبها لنفسه، ولم يترك السخاوى مناسبة فى مؤلفاته، ذكر فيها الأوحدى أو المقريزى، إلا أشار فيها هذه القضية وهو يكرر فى كل مرة اتهامه للمقريزى بالسطو على مسودة الأوحدى وتبييضها مع إضافة زيادات لا طائل لها ونسبها لنفسه.

وشغلت هذه القضية التى أثارها السخاوى، عددا من الباحثين، خلصوا إلى تبرئة المقريزى من تهمة السطو على مسودة الأوحدى. غير أن دراسة العلاقة بين كل من ابن دقماق والأوحدى والمقريزى، بالإضافة إلى مسودة خطط المقريزى الجديدة التى وصلت إلينا تجعلنا نعيد النظر مرة أخرى فى صحة هذا الاتهام.

فأقدم هؤلاء الثلاثة ابن دقماق ولد سنة ٧٥٠ هـ، أما الأوحدى والمقريزى فهما متقاربان فى السن، ولد الأول فى سنة ٧٦١ هـ. أما الثانى فقد ولد بعده بخمس سنوات فى سنة ٧٦٦، وكان جارا له وقد اهتما بدراسة موضوع واحد هو خطط القاهرة. وكان الأوحدى حريصا على عدم إطلاع جاره المقريزى على كتبه، لعلمه باهتمام المقريزى بنفس موضوعه. وتوفى الأوحدى شابا قبل أن يكمل تأليف كتابه وتركه مسودة لم يبيضها، بينما عمَّر المقريزى بعده أربعا وثلاثين عاما، متنقلا فى بعض المناصب العامة، مرتحلا إلى الشام والحجاز.

وأغفل المقريزى ذكر ابن دقماق والأوحدى وهو يعدد مؤرخى الخطط فى مصر الإسلامية فى مقدمة كتابه «المواعظ والاعتبار»، غير أنه ترجم للأوحدى ترجمة مفيدة فى كتابه

«درر العقـود الفريـدة»، أثبتها السخـاوى فى كتـابه «الضـوء اللامع» اعترف فيها بانتفاعه بمسوداته فى الخطط، وقال عنه: «كان ضابطا متقنا ذاكرا لكثير من القراآت وتوجيهها وعللها، حافظا لكثير من التاريخ سيما أخبار المصريين، فإنه لا يكاد يشذ عنه من أخبار ملـوكها وخلفـائها وأمـرائها وقلع حـروبها وخطط دورها وتراجم أعيـانها إلا اليسير...» (السخاوى: الضوء اللامع ١ / ٣٥٩).

فهذه الشهـادة تدلنا على أن الأوحـدى كان عارفـا بتاريخ المصريين، وخطط القاهرة، فلا شك أن المقريزى اطلع على مؤلفـات الأوحـدى، وبتعبيـر أدق مسـوداتـه عـن الخـطط.

وقد نقل المقريزى عن الأوحدى فى موضع واحد فى كتابه «المواعظ والاعتبار»، قال: «وأخبرنى المقرىء الأديب المؤرخ الضابط شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدى، رحمه الله، قال: أخبرنى المؤرخ ناصر الـدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات، قال: أخبرنى العلامة شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى أنه أدرك بجامع عمرو بن العـاص بمصـر قبـل الـوبـاء الكـائن فى سنـة تسع وأربعين وسبعمائة بضعا وأربعين حلقة لإقـراء العلم لا تكاد يبرح منها (المقريزى: الخطط ٢ / ٢٥٦).

ولا نـدرى سببـا واضحـا يجعـل المقـريـزى يغفل عمل الأوحـدى ويتجـاهلـه، رغم شهـادتـه لـه بحفظـه لكثيـر من التاريخ، ومعـرفته بخطط ودور مصر وتراجم أعيـانها، إلا أن تكون الغيرة العلمية.

ومع إشارة معـاصرى الأوحدى إلى كتـابته خططا للقـاهرة مات عنهـا مسودة لم يبيضها، فيبـدو أنها فقـدت فى أعقاب وفاتـه مباشـرة، أو أن المقريـزى نفسه أتلفهـا بعد أن استفـاد منهـا، فـلا نجـد أى إشارة إليهـا أو نقل عنهـا عنـد أحـد من المؤرخين المتأخرين.

وكان الأوحدى كما وصفه ابن حجـر لهجا بالتاريخ، فقد وقف على كثير من المؤلفات الخاصة بتاريخ مصر والقاهرة، وسجل عليها بخطه استفادته منهـا وانتفاعه بها، فمن ذلك ما دونه علـى الورقة ١٣٤ ومن مخطوطة كتـاب «الولاة والقضاة» للكندى المحفوظـة فى المتحف البريطانى مفيـدا أنه امتلكها فى شهـر رمضان سنـة ٨٠٥ هـ (الكندى: الـولاة والقضاة (نشـرة جست) المقدمة / ٤٧).

وكثيـرا ما نجـد اسمه جنبـا إلى جنب مع اسم المقريـزى على بعض مؤلفـات تاريخ مصـر الإسلامية مثل مـا جاء على الـورقـة ١٣٢ و، وهى صفحـة غـلاف كتـاب «أخبـار مصـر» للمسبحى المحفوظة فى الإسكوريال، ونصه: «طالعه أحمد ابن عبـد الله بن الحسن بن الأوحدى بـالقـاهرة سنـة ٨٠٣»، وأثبت المقريـزى على الصفحة نفسهـا ما نصه: «استفـاد منه داعيا له أحمد بن على المقريزى» (المسبحى: أخبار مصر. نشر أيمـن فـؤاد سيـد وتـيارى بيانكـى ص ١ ولوحـة ١) (على مخطوطة كتاب «المغرب فى حلى المغرب» لابن سعيد المغربى نسخة دار الكتب المصـريـة نجـد تـوقيـع المـؤرخين الـثـلاثـة: ابن دقمـاق، والأوحدى، والمقـريزى وهـو آخر من وقع عليهـا. وهـذا الكتـاب أحـد أهم مصـادر المقـريـزى فـى كتـابيـه: «الخطط» و «اتعـاظ الحنفا» («التعـريف بـالمخطوطـات» / ١٣ ـ ٢٨).

(كشف الظنـون لحاجى خليفـة ١ / ٧١٥، ٧١٦، وأسماء مسميـات من مصر القاهـرة ـ محمد كمال السيـد محمد / ٢٦ ـ ٢٨، و «التعريف بالمخطوطـات. ملاحظات حول تأليف خطط المقريـزى» ـ الأستاذ أيمن فؤاد سيد. مجلـة معهد المخطوطات العربية. م ٦ جـ ٢ المحرم ١٤٠١ هـ ـ نوفمبر ١٩٨٠ / ١٣ ـ ٢٨).

*** خطط المقريزى:**

انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

*** الخطمى:**

ممـا يرد فى مصنفـات التـراث الإسلامى فى علم النبـات وعلم طب الأعشاب جاء فى تاج العروس للزبيدى:

خطمى: بـالكسر وعليـه اقتصـر الجـوهرى ويفتح وقـال الأزهرى هو بفتح الخاء ومن قال بالكسر فقد لحن نبات يغسل به الـرأس ومنه الحـديث أنه كـان يغسل رأسه بـالخطمى وهو جنب (معجم أسماء النباتات / ٥٣).

ذكـره المظفر الرسولى نقـلا عن مصادر أربعـة رمز إليهـا بالحروف التالية:

ع: عبـد الله بن البيطار صـاحب «الجـامع لقوى الأدويـة والأغذية».

ج : ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

ز: الزهراوى.

قال :

الخطمى - «ع» منه بستانى ومنه صنف برى، وله زهر شبيه بالورد وهذا النبات يحلل ويرخى، ويمنع من حدوث الأورام، ويسكن الوجع، وينضج الجراحات العسرة الاندمال والنضج، وأصله وبزره يفعلان ما يفعله الورق والقضبان ما دام طريا، إلا أنهما ألطف وأكثر تجفيفا وجلاء، حتى إنهما يشفيان البهق. وبزره يفتت الحصاة المتولدة فى الكليتين، والماء الذى يطبخ فيه الخطمى ينفع من قروح الأمعاء، ومن نفث الدم، ومن استطلاق البطن، من طريق أن فيه قوة قابضة، فالخطمى حار باعتدال، يحلل التهيج فى النفخة التى تكون فى الأجفان، وهو نافع من السعال الحار، ويسهل النفث، وورقه ينفع فى ضمادات الجنب والرئة، وبزره متى خلط بالماء كان كالقريص جامدا ومتى خلط فى أدوية الحقن نفع من ضررها بالمقعدة، وورقه إذا طبخ وعرك بالسمن أنضج الأورام الحارة، ولعابه إذا استخرج بالماء الحار ينفع المقعدين والعقم من النساء، وإن أخذ جزآن من دقيق نوى التمر، ومن بزر الخطمى جزء مسحوق، ويعجن الجميع بخل، ويضمد به الأورام نفعها. وورقه إذا دق يابسا وغسل به الرأس واللحية نقى شعرها وغسلها. «ج» هو بارد رطب، وقيل حار باعتدال، وفيه تليين وإنضاج، وإرخاء وتحليل، ويطلى به البهق مع الخل، ويجلس فى الشمس، وينفع من عرق النسا والارتعاش، ويحلل الأورام، ونفخة الأجفان، وطبيخ أصوله ينفع شربا من حرقة البول والمعى والحصاة، ونفع من مضرة الهوام، وإذا غسل به الشعر لينه ونعمه وإذا شرب منه مثقال نفع من القولنج. «ف» شجرة معروفة، وتسمى كثيرة المنافع، وصمغه بارد ينفع من السعال ونفث الدم، ويحلل الأورام الدموية، وينفع من الصداع والشقيقة والشوصة إذا تضمد به، ومن ذات الجنب مع العسل ودقيق الشعير، ويجبر الأعضاء المنكسرة ويشدها، وينفع من الفالج والتشنج وينزل دم الحيض، ويدر اللبن، وينفع من الأخلاط السوداوية الرديئة.

«ز» بدله : أصل البردى، وبدل صمغ الخطمى : مثل وزنه صمغ عربى، وثلثا وزنه طباشير (المعتمد ١ / ١٣١، ١٣٢) وقد قال عنه داود الأنطاكى إنه من الخبازى (التذكرة ١ / ١٤١).

وقد ذكره القزوينى فى عجائبه فقال عنه :

(الخطمى) هو النبت المشهور له نور أحمر وقد يكون أبيض. قال ابن سينا : يطلى على البهق بالخل ويجلس فى الشمس ينفع نفعا بينا وينفع من الخنازير سيما مع الكبريت، ويطبخ ويشرب من مائه ينفع من عسر البول وعسر الولادة، وورق الخطمى الرومى منه يدق مع الكراث والشحم ويوضع على لدغ العقرب والحية ينفع جدا، وينفع منه مثقال من القولنج شربا وإذا غسل به الشعر نفعه ويضمد به الجرب ينفع نفعا بيّنا (عجائب المخلوقات/ ١٨٧).

وقال ابن سينا :

اسمه باليونانية مشتق من اسم كثير المنافع. فيه تليين، وإنضاج وإرخاء وتحليل. وبزره وأصله فى قوته، وأقوى كثيرا، وأكثر تجفيفا، وألطف. يطلى على البهق بالخل، ويجلس فى الشمس. وبزره أقوى من ذلك، يلين الأورام، ويمنعها، ويحلل الدموية، وينضج الدماميل، وينفع فى الأورام النفخية، ومن الخنازير، ويحتمل مع صمغ البطم لصلابة الرحم، ويجعل بالكرنب على الخنازير، ويسكن وجع المفاصل، وخصوصا مع شحم الإوز، وينفع من عرق النسا، ومن الارتعاش، وشدخ أوساط العضل، وتمدد الأعصاب إذا ضمد به، نفع من الأورام التى تكون فى غدد الأذن. يحلل التهيج، والنفخة التى تكون فى الأجفان. بزره نافع من السعال الحار، ويسهل النفث، وينفع نفث الدم، لقوة قابضة فيه، وينفع ورقه من أورام الثدى، ويقع فى ضمادات ذات الجنب، والرئة. صمغه يسكن العطش. طبيخ أصوله، ينفع إذا شرب، من حرقة البول، ومن حرقة المعاء أيضا، وأورام المقعدة. وكذلك ورقه، وكذلك من الأسهال الردىء. ويحتمل بزره مع صمغ البطم، لصلابة الرحم، وانضمامه، وكذلك طبيخه وحده، وينقى النفاس. وطبيخ أصله إذا سقى بالشراب، نفع من عسر البول، ومن الحصاة، وخصوصا بزره، وصمغه، يحبس البطن. إذا طلى بالخل والزيت منع مضرة الهوام، وينفع طبيخه بخل ممزوج، أو

شراب، ومن لسع النحل. وذلك طلاء (القانون فى الطب / ٣٠٨، ٣٠٩).

ويرد فى مفتاح الراحة وصف الخطمى كما يلى:

صنف من الملوكية البرية، ورقه مستدير، صمغى الملمس، يعرف بالأندلس بورد الزوانى، وفى مصر بشجر ورد الحمار، يغسل به الرأس (مفتاح الراحة / ٣٢٧).

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ـ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى / ٥٣، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٣١، ١٣٢، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٤١، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ١٨٧، والقانون فى الطب لابن سينا ـ شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطى / ٣٠٨، ٣٠٩، ومفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى ـ تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، و د. إحسان صدقى العمد / ٣٢٧).

*** خطف البارق وقذف المارق:**

خطف البارق وقذف المارق: للفقيه الإمام ذى الوزارتين أبى عبد الله (محمد بن مسعود) بن أبى الخصال الغافقى (المقتول شهيدا سنة ٥٤٠ أربعين وخمسمائة) رد فيه على ابن عرسه (عرسة) فى رسالته فى تفضيل العجم على العرب (كشف ١ / ٧١٦).

*** الخطيب:**

من بين موظفى الدولة الذين أحصاهم الإمام التاج السبكى فى «معيد النعم» وقال عنه:

عليه أن يرفع صوته بحيث يسمعه أربعون نفسا من أهل الجمعة. فلو خطب سرا بحيث لم يسمع غيره لم تصح على الصحيح. ولو رفع صوته قدر ما يبلغهم، ولكن كانوا كلهم أو بعضهم صما فامتنع سماعه للصَّمم فالأصح لا يصح أيضا. وأما الالتفات فى الخطبة، والدق على درج المنبر فى صعوده، والدعاء إذا انتهى صعوده قبل أن يجلس، والمجازفة فى وصف السلاطين عند الدعاء لهم، والمبالغة فى الإسراع فى الخطبة الثانية. فكل ذلك مكروه. ولا بأس بالدعاء للسلطان بالصلاح ونحوه؛ فإن صلاحه صلاح المسلمين. ولا يطيل الخطبة على الناس؛ فإن وراءه الشيخ والضعيف والصغير وذا الحاجة. ولا يأتى بألفاظ قلقة يصعب فهمها على غير الخاصة، بل يذكر الواضح من الألفاظ. ولا يتكلف السجع إلى غير ذلك مما ذكره الفقهاء.

(معيد النعم ومبيد النقم للإمام تاج الدين السبكى / ١١٢).

انظر: الخطابة، الخطبة، الجمعة (صلاة ـ).

*** ابن خطيب الأشمونين (- ٧٢٧ هـ):**

ذكره الإمام السيوطى فيمن كان بمصر من الفقهاء الشافعية وقال عنه:

عز الدين عبد العزيز بن أحمد بن عثمان الكردى. يعرف بابن خطيب الأشمونين. درَّس وأفتى، وألَّف على حديث الأعرابى الذى جمع فى رمضان كتابا نفيسا فيه ألف فائدة وفائدة، ولى قضاء أعمال القوصية والمحلة، ودرس بالمعزية بمصر، مات فى أواخر سنة سبع وعشرين وسبعمائة (الدرر الكامنة ٢ / ٣٦٨).

(حسن المحاضرة للحافظ السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم، ١ / ٤٢٤ وهامش ٥ للمحقق).

*** الخطيب البغدادى:**

انظر مادة «البغدادى (الخطيب)» فى م ٧ / ٢٤٠، ٢٤١

*** الخطيب التبريزى:**

انظر مادة التبريزى (أبو زكريا)» فى م ٨ / ٤٣٨ ـ ٤٤١

*** الخطيب التمرتاشى:**

انظر مادة «التمرتاشى» فى م ١٠ / ٤٣٢.

*** ابن خطيب الدهشة (٧٥٠-٨٣٤ هـ-١٣٤٩-١٤٣١ م):**

ترجم له السخاوى فقال عنه:

محمود بن أحمد بن محمد النور أبو الثناء بن الشهاب الهمزانى البيومى الأصل الحموى الشافعى ويعرف أبوه بابن ظهير، ثم هو بابن خطيب الدهشة. تحول أبوه من الفيوم إلى حماة فاستوطنها وولى خطابة الدهشة بها. وصنف المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير مجلدين، وشرح عروض ابن الحاجب، وديوان خطب وغيرها. وولد له ابنه هذا فى سنة ٧٥٠ هـ ونشأ فحفظ القرآن وكُتبًا، وسمع من الشهاب المرداوى صحيح مسلم، ومن قاسم الضرير صحيح البخارى، ومن الكمال المصرى ثلاثياته فى آخرين، وتفقه

على علمائها فى ذلك العصر، وارتحل لمصر والشام فأخذ عن أئمتها أيضا إلى أن تقدم فى الفقه وأصوله والعربية واللغة وغيرها، وولى بسفارة ناصر الدين بن البارزى قضاء حماة فى أول دولة المؤيد فباشره مباشرة حسنة بعفة ونزاهة، وصُرف بالزين بن الخرزى الماضى فى أوائل سنة ست وعشرين فلزم منزله متصديا للإقراء والإفتاء والتصنيف فانتفع به عامة الحمويين، واشتهر ذكره وعظم قدره.

وصنف الكثير كمختصر القوت للأذرعى وهو فى أربعة أجزاء سماه «إغاثة المحتاج إلى شرح المنهاج» وقيل إنه سماه لباب القوت، وتكملة شرح المنهاج للسبكى وهو فى ثلاثة عشر مجلدا، والتحفة فى المبهمات، وشرح ألفية ابن مالك، وتحرير الحاشية فى شرح الكافية الشافية فى النحو له أيضا ثلاث مجلدات، وتهذيب المطالع لابن قرقول فى ست مجلدات، واختصره فسماه التقريب فى الغريب فى جزءين جوّده، واليواقيت المضية فى المواقيت الشرعية، وعمل منظومة نحو تسعين بيتا فى الخط وصناعة الكتاب وشرحها. قال شيخنا (يعنى شيخ الإسلام ابن حجر) فى إنبائه (يعن إنباء الغمر).

وانتهت إليه رياسة المذهب بحماة مع الدين والتواضع المفرط والعفة والانكباب على المطالعة والإشغال والتصنيف والمشاركة فى الأدب وغيره وحسن الخط، وكذا قال التقى بن قاضى شهبة إنه انفرد مدة بمشيخة حماة بعد موت رفيقه الجمال ابن خطيب المنصورية مع زهد وتقشف. قال: ولكن كانت به غفلة وعنده تساهل فيما ينقله ويقوله. وكذا أثنى عليه ابن خطيب الناصرية وغيره كالتقى بن فهد فى معجمه، وشيخنا فى معجمه أيضا باختصار. وقال بعض الحفاظ إنه كان صالحا عالما علامة صاحب نسك.. معروفا بالديانة والصيانة، وملازما للخير والتواضع. مات بحماة فى يوم الخميس سابع عشر شوال سنة ٨٣٤ هـ وكانت جنازته مشهورة، وعظم الأسف عليه، وقيل إنه لما احتضر تبسم ثم قال: ﴿**لمثل هذا فليعمل العاملون**﴾ [الصافات: ٦١].

وبينه وبين البدر بن قاضى أذرعات مكاتبات منظومة، وممن كتب عنه من شعره الجمال بن موسى المركاشى، والموفق الأبى، وكذا قرأ عليه شيئا من مروية المحب ابن الشحنة. وهو فى عقود المقريزى (الضوء اللامع ١٠ / ١٢٩ـ ١٣١).

وقد قال ابن خطيب الدهشة فى مقدمة كتابه «تحفة ذوى الأدب فى مشكل الأسماء والنسب»: أما بعد أيها الأخ الصالح، والخل الناصح، فقد أجبتك إلى سؤلك ـــ رجاء دعوة منك ومن أمثالك. فى ضبط ما وقع فى «الموطأ» و «الصحيحين» من الأسماء والأنساب، ناهجا بين الإطناب والإسهاب، بأبين إشارة، فى أحسن عبارة» ورتبه على أحرف الهجاء، وقد طبع فى ليدن سنة ١٩٠٥ باعتناء الدكتور «تروجوت مان» («ابن ناصر الدمشقى ١١ / ٧١).

(الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوى م ٥ حـ ١٠ / ١٢٩ـ١٣١، و «مقدمة تحقيق كتاب «توضيح المشتبه لابن ناصر الدمشقى» ـ محمد نعيم عرقسوسى. مجلة البصائر ١ / ٧١ انظر أيضا الأعلام للزركلى ٧ / ١٦٢).

* **ابن الخطيب الرومى (٨٦٤ـ٩٤٠ هـ / ١٤٦٠ـ١٥٣٤ م):**

ترجم له الزركلى وقد أدرجه تحت اسم «الأماسى» وقال عنه. محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسى الحنفى، محيى الدين، ابن الخطيب قاسم: باحث متفنن، من علماء الروم (الترك) عربى التصانيف. ولد بأماسيه، وترقى فى التدريس ببلدته وغيرها إلى أن توفى. وكان عارفا بالحديث والتفسير والتواريخ والموسيقى، ينظم القصائد العربية والتركية، مطلعا على العلوم الغريبة كالوفق والتعبير والجفر. من كتبه «روض الأخيار» مطبوع، انتخبه من «ربيع الأبرار» للزمخشرى، و «أنباء الاصطفا فى حق آباء المصطفى» مخطوط فى جامعة الرياض الرقم (٢٤٢٩ / ١) (يأتى بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى) وحواش ورسائل وتعليقات كثيرة (الأعلام ٧ / ٦)

قالت المؤلفة: يوجد مخطوط «أنباء الاصطفا فى حق آباء المصطفى» فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلى:

لمحمد بن قاسم بن يعقوب الأماسى، محيى الدين، الشهير بابن الخطيب. المتوفى سنة ٩٤٠ هـ.

(معجم المؤلفين ١١ / ١٤٨).

أوله: «الحمد لله الذى فضلنا بأفضل الرسل ... أما بعد فهذه رسالة صدرت عن الصدر الساهى، الغريق فى

الملاهى ... فى شرف آباء صدر الرسالة، وطهارتهم عن الخيانة والرذالة».

وآخره: «ورحم أسلافه الماضين من الغزاة والسلاطين فى كرسى بلاد الإسلام بمدرسة أيا صوفية فى بلدة قسطنطينية حماها الله تعالى بفضله وكرمه عن نكبات الأيام».

نسخة كتبت بخط نسخى جميل بقلم يوسف بن عبد الله ابن محمد الديرينى الشافعى، فرغ منها فى أواخر شهر رمضان سنة ١١٢١ هـ. وهى فى ٣٩ ورقة ومسطرتها ١٩ سطرا.

[رواق الشوام ـ الأزهر ٦٥ تاريخ]		UNESCO

(فهرس المخطوطات المصورة/ ٥١).

ويضيف صاحب كشف الظنون قوله: ألفه للسلطان سليمان خان فى صفر سنة ست وخمسين وتسعمائة وكتب فى هامشه تراجم الرجال كالروضة (كشف ١/ ١٧٠)

(الأعلام للزركلى ٧/ ٦، وفهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ، جـ٢ ق ٤. القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م / ٥١، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ١٧٠).

*** ابن خطيب الرى:**

(انظر الفخر الرازى)

*** خطيب زاده (-٩٠١ هـ/ -١٤٩٥م):**

نسبه وشيوخه ومكانته وتلاميذه:

محمد محيى الدين بن تاج الدين إبراهيم بن الخطيب المشهور بخطيب زاده الفقيه الحنفى الأصولى قرأ على أبيه تاج الدين وعلى علاء الدين الطوسى وخضر بك كان رحمه الله قوى الحجة فصيحا طلق اللسان جريئا فى الحق مهيبا معنيا بدراسة العلوم والتعليم.

وتتلمذ له أحمد بن سليمان بن كمال باشا ومحيى الدين جلبى الفنارى وعبد الواسع بن خضر وقدارتحل فى سبيل نشر العلم إلى بلاد فارس والروم ولما جلس السلطان سليم خان على عرش السلطنة ولاه مدرسة محمود باشا بالقسطنطينية وجعله قاضيا بعسكر (روم إيلى) ولما تولى السلطان سليمان خان عينه قاضيا للقسطنطينية ولما تقدمت به السن وحيل إلى التقاعد منحه مائة درهم كل يوم ثم ارتحل إلى «كوتاهية» وكان فى جميع أدوار حياته معنيا بالتأليف.

مؤلفاته ووفاته:

من مؤلفاته حواش على أوائل شرح الوقاية لصدر الشريعة وحواش على أوائل حاشية السيد على شرح مختصر ابن الحاجب فى الأصول ورسالة فى بحث الرؤية فى التوحيد وحاشية على أوائل شرح المواقف ورسالة فى فضائل الجهاد. توفى رحمه الله سنة ٩٠١ بكوتاهية ودفن بها.

(الفتح المبين فى طبقات الأصوليين ـ الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣/ ٦١. انظر أيضا الأعلام للزركلى ٥/ ٣٠١. والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزى ـ حققه وضبط نصه د. جبرائيل سليمان جبور ١/ ٢٤، ٢٥).

*** الخطيب الشربينى (-٩٧٧ هـ/ -١٥٧٠م):**

ترجم له الدكتور حلمى السيد أبو حسن فقال عنه:

هو شمس الدين بن محمد الخطيب الشربينى (هكذا نسبه فى شذرات الذهب وعند الزركلى «محمد بن أحمد» وابن العماد أثبت وأوثق. أما فى الكواكب السائرة المخطوط فلم يسم والده) أحد أعيان الشافعية فى القرن العاشر الهجرى، ولم تذكر كتب التراجم سنة ميلاده، وقد تلقى العلم على يد أكابر الشيوخ فى الفقه والنحو واللغة والتفسير والبلاغة من أمثال الشيخ أحمد البرلسى الملقب (عميرة)، والنور المحلى، والبدر المشهدى، والشهاب الرملى، وناصر الدين الطبلاوى وغيرهم. (انظر شذرات الذهب ٨/ ٣٨٤ والخطط التوفيقية لعلى مبارك ١٢/ ١٢٧ والأعلام للزركلى ٦/ ٦ وطبقات الإمام الشعرانى والطبقات السائرة مخطوط).

وقد تربى فى «شربين» (مدينة بمحافظة الدقهلية حاليا) وكان يخطب فى مسجدها المسمى باسم «مسجد شمس الدين الشربينى»، وذلك بعد أن تخرج من الأزهر ثم قام بالتدريس فى الأزهر نفسه وقد وصفه معاصروه بالعلم والعمل والزهد والورع وكثرة النسك والعبادة فيذكر عنه الإمام الشعرانى أنه «الأخ الصالح العالم الزاهد، والمقبل على عبادة ربه ليلا ونهارا، وأنه صحبه نحو أربعين سنة فما رأى عليه شيئا يعيبه فى دينه، ولم ير فى أقرانه مثله فى حفظ جوارحه من المعاصى» (نقلا من الخطط التوفيقية ١٢/ ١٢٧).

لقد عرف الشيخ بالصفاء والنقاء وإخلاص العمل لله «وما من عبد يخلص لله العمل أربعين يوما إلا فجر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

إن سيرة الشيخ تنطق بأنه عاش حياته على درجة من الإحسان عظيمة وهو «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك».

ومع هذا الإقبال على الطاعة والزهد فى الدنيا، والتفرغ لدراسة العلم وتدريسه كان كثير التواضع، شديد الحياء، على علم جم، وفضل كبير فكان يؤثر على نفسه ولو كانت به خصاصة.

يعطينا ابن العماد وصفا جامعا له فيقول: «وكان من عادته أن يعتكف من أول رمضان فلا يخرج من الجامع إلا بعد صلاة العيد وكان إذا حج لا يركب إلا بعد تعب شديد وإذا خرج من بركة الحاج لم يزل يعلم الناس المناسك وآداب السفر، ويحثهم على الصلاة، ويعلمهم كيف القصر والجمع، وكان يكثر من تلاوة القرآن فى الطريق وغيره، وإذا كان بمكة أكثر من الطواف، ومع ذلك فكان يصوم بمكة، والسفر أكثر أيامه، ويؤثر على نفسه» (شذرات الذهب ٨ / ٣٨٤).

كما يتجلى أدبه أيضا فى ثنائه على شيوخه وعدم ذكر أحد بسوء فتراه لا يعيب أحدا، ولا يسفه رأيا، ولا نشم فى كتاباته كبرا أو سوء أدب أو فخرا أو تعصبا لمذهب يقول عنه أحد معاصريه «كان يؤثر الخمول (الخمول هنا: التوارى وعدم الظهور) ولا يكترث بأشغال الدنيا» (المصدر السابق نفسه) بمعنى أنه كان لا يسعى لسلطان ولا يجرى لمنصب ولا يحب الظهور لأن الدنيا لم تكن فى قلبه.

ثم يقول عنه «وبالجملة كان آية من آيات الله تعالى وحجة من حججه على خلقه» (المصدر السابق نفسه).

وصفات الشيخ تدل على أنه كان يجد حلاوة الإيمان بحبه لله ورسوله وحبه للناس حبا خالصا وإقباله على عبادة ربه.

ويتجلى حبه لرسول الله ـ ﷺ ـ فى حرصه على سنته وزيارته المتكررة لرسول ـ ﷺ ـ على الرغم من صعوبة المواصلات، ومشقات الطريق آنذاك، إنه كان يستخير ربه فى الروضة الشريفة إذا هَمَّ بأمر من الأمور.

فنراه لم يكتب حرفا فى كتابه «مغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج» إلا بعد أن ذهب لزيارة رسول الله ـ ﷺ ـ وصلى ركعتين بنية الاستخارة فى الروضة الشريفة». (انظر مقدمته ط الحلبى عام ١٩٥٨).

وحينما عزم على تفسير القرآن الكريم تردد فى ذلك وتوقف، وتحرز من ذلك وتحفظ، يقول الشيخ: «إلى أن يسر الله تعالى لى زيارة سيد المرسلين ـ ﷺ وعلى سائر النبيين والآل والصحب أجمعين فى أول عام (٩٦١ هـ) تسعمائة وواحد وستين فاستخرت الله تعالى فى حضرته بعد أن صليت ركعتين فى روضته وسألته أن ييسر لى أمرى فشرح الله سبحانه وتعالى لذلك صدرى، فلما رجعت من سفرى واستمر ذلك الانشراح معى وكتمت ذلك فى سرى حتى قال لى شخص من أصحابى رأيت فى منامى أن النبى ـ ﷺ ـ أو الشافعى يقول لى. قل لفلان يعمل تفسيرا على القرآن» (مقدمة تفسير «السراج المنير» ط بيروت)

كما كان يحب الإمام الشافعى رضى الله عنه. ومن فى الدنيا لا يحب الشافعى؟ إنه لا يبغضه إلا جاهل فقد كان «كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن» وقد ورد أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «المرء مع من أحب» ويتجلى ذلك فى زياراته الكثيرة له فحينما أراد تأليف الإقناع استخار الله تعالى فى مقام شيخه وإمامه.

يقول: «فاستخرت الله تعالى مدة من الزمان بعد أن صليت ركعتين فى مقام إمامنا الشافعى ـ رضى الله تعالى عنه وأرضاه، وجعل الجنة متقلبه ومثواه ـ فلما انشرح لذلك صدرى شرعت فى شرح تقرب به أعين أولى الرغبات راجيا بذلك جزيل الأجر والثواب» (مقدمة الإقناع ١ / ٣ الطبعة الأولى بمصر عام ١٢٨٢ هـ).

وفى دفاعه عنه ومن أمثلة ذلك قوله: «اعترض بعضهم على الشافعى» فى قوله: «كل ماء من بحر عذب أو مالح فالتطهير به جائز» بأنه لحن وإنما يصح من بحر ملح، وهو مخطىء فى ذلك قال الشاعر:

فلو تَفَلَتْ فى البحر والبحر مالح
لأصبح ماء البحر من ريقها عذبا

ولكن فهمه السقيم أداه إلى ذلك قال الشاعر:

وكم من عائب قولا صحيحا
وآفته من الفهم السقيم.

(الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع ١ / ١٣ الطبعة الأولى بمصر عام ١٢٨٢ هـ).

هـذا وقد ظفرت المكتبة العربية بالكثير من مصنفاته ومؤلفاته التى امتاز فيها بـالبحث الدقيق، والعلم الغزير. ولما فيها من ظهور شخصيته، وسلامة لغته، وتنوع ثقافته لاقت قبولا عظيما فشرقت وغربت، وأغارت وأنجدت، ومازالت تدرس وتقرأ.

ومن هذه المؤلفات:

(١) كتاب «السراج المنير فى الإعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير» وهو مرجع فى التفسير مطبوع فى أربعة مجلدات (طبع للمرة الثانية فى دار المعرفة بيروت. لبنان). ونلاحظ دقة عنوانه واعترافه بأن الله تعالى فى كتابه أسرارا يعجز البشر كلهم عن فهمها، ولذلك عبر بقوله: «على معرفة بعض» وقد بين فى مقدمته الدافع إلى تأليفه واستخارته ربه. ثم الرؤيا التى شرحت صدره لهذا العمل، ثم منهجه فيه واقتصاره على أرجح الأقوال، ويبدو لكل من يطالع هذا التفسير غزارة المادة العلمية فيه بحيث يجد غنيته فيه كل من اللغوى وعالم القراءات، والنحوى، والفقيه. والمفسر والصوفى وغيرهم كل ذلك فى إيجاز وتيسير. (وقد سجلت رسالة دكتوراه فى «منهجه فى التفسير» بجامعة المنيا)

(٢) كتاب «الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع» فى الفقه الشافعى وقد طبع فى مجلدين كبيرين (طبع بمصر الطبعة الأولى سنة ١٢٨٢ هـ) كما طبعه الأزهر فى أربعة كتب مقررة على السنوات الأربع الثانوية بالمعاهد الأزهرية.

وهو يشرح «متن الغاية والتقريب» للقاضى أبى شجاع أحمد بن الحسين بن أحمد الأصفهانى. فى أسلوب ميسر وعرض رائع، وفوائد علمية ولغوية وأدبية وصوفية. بالإضافة إلى موضوعه الفقهى.

(٣) كتاب «مغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج» وهو كتاب فى فقه الشافعية يشرح منهاج الطالبين للإمام النووى وقد طبع فى أربعة مجلدات (طبعته مطبعة الحلبى سنة ١٩٥٨ م).

(٤) كتاب «شرح التنبيه» وهو يشرح كتاب التنبيه لأبى إسحاق إبراهيم بن على الشيرازى فى أصول فقه مذهب الشافعى وهو مطبوع. (ط دار الكتب العربية بمصر).

وقد أشار إلى هذين الكتابين بالثناء صاحب شذرات الذهب فقال: «وشرح كتاب المنهاج والتنبيه شرحين عظيمين جمع فيهما تحريرات أشياخه بعد القاضى زكريا وأقبل الناس على قراءتهما وكتابتهما فى حياته» (شذرات الذهب ٨ / ٣٨٤).

(٥) كتاب «شرح البهجة» فى الفقه لابن الوردى. (انظر مقدمة الإقناع ١ / ٣).

(٦) شرح «شواهد قطر الندى وبل الصدى» لابن هشام وهو يشرح الشواهد النحوية الموجودة فيه وهو مطبوع. (انظر معجم المطبوعات ١/ ١١٠٨).

(٧) تقريرات على المطول فى البلاغة للتفتازاني وهو مطبوع كما ذكر الزركلى. (الأعلام ٦ / ٦).

(٨) مناسك الحج (راجع الكتبخانة ١ / ١٧٧ و ٣ / ١٩٤ والتيمورية ٣ / ١٦٠ ومعجم المطبوعات ١ / ١١٠٨ والأعلام للزركلى ٦ / ٦).

وهى موثقة النسبة إليه بالمخطوطتين الموجودتين بدار الكتب المصرية:

الأولى: تحمل الرقم (٢٨٠٣٢) الرمز ب (فقه شافعى) وتقع فى عشرين لوحة أ، ب. وعنوانها «مناسك الحج».

الثانية: مخطوطة تحمل الرقم (٣١٩ فقه شافعى) تقع فى ست عشرة ورقة وعنوانها «مختصر مناسك الحج الشريف».

كما أنه مما يزيد على قرن من الزمان طبعت هذه الرسالة باسم «مناسك الحج» بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ لمؤلفها الخطيب الشربينى كما طبعتها مطبعة بولاق بالقاهرة ضمن مجموعة على هامش فتح المجيب منسوبة للشيخ الخطيب أيضا، وقد اعتمدت على المخطوطة الأولى وجعلتها أصلا وقارنتها بالنسخ الأخرى المخطوطة والمطبوعة.

وبعد هذه الحياه الحافلة بجلائل الأعمال كانت وفاته بعد عصر يوم الخميس الثانى من شهر شعبان سنة (٩٧٧ هـ) سبع وسبعين وتسعمائة. ودفن بالقاهرة وله مزارة بجوار قرافة المجاورين.

فسلام عليه فى الخالدين وسلام عليه فى الأبرار والصديقين اهـ.

(مناسك الحج للإمام محمد الخطيب الشربين الشافعى - تحقيق د.

حلمى السيد أبى حسن. هدية مجلة الأزهر. ذو القعدة ١٤٠٨ هـ ـ يونيه يـوليه ١٩٨٨ م / ١٣ ـ ٢٢ وضعنـا تعليقات المحقق بيـن أقواس فى ثنايا النص. انظر أيضا الأعلام للزركلى ٦ / ٦).

* ابن خطيب المزة:

من الفقهـاء المسنديـن الذين التقى بهم فـى مصر وأخـذ عنهم الرحالة ابن رشيـد فأورده فى كتابه «ملء العيبة». ونحن حريصون فى معظم الأحوال على نقـل ما ورد فى هذا المرجع النفيس من تـراجم لأنهـا تحفل بكل مـا يهـم الـدارسين والبـاحثين، كمـا أنها تصلح أن تـدخل فى منـاهج الكليـات والمعاهد الدينية.

ويلخص سمـاحـة الشيخ الـدكتـور محمـد الحبيب بن الخـوجة مفتى الـديار التـونسية فى وقتـه، فى مقدمـة تحقيق الكتاب، مـا أورده ابن الرشيد عن ابن خطيب المزة، وهـو ما ننقله لك أولا، ثم نتبعه بما أورده ابن الرشيد:

يقول سماحة الدكتور ابن الخوجة:

الشيخ الأجل الفقيه المسند شهاب الـدين أبو الفضل عبد الـرحيم بن العلم ابـن خطيب المـزة أحـد الشيـوخ الفضـلاء الثقات الخيـار. تفقه على المذهب الشـافعى وسمع الكثير. فمن ذلك مسند أبى داود رواية اللؤلؤى على ابن طبرزد، ومسند الإمام أحمـد على ابن سعـادة، والغيلانيـات، والقطيعيات. أثبت ابن رشيد فى ترجمته بالنقل على ابن عاصم الرندى بيان التعريف بسنـد الشيخ وسماعـه وإسماعه وسمـاع شيخه أبى حفص بن طبـرزد، وذكـر أن تبـويـب سنن أبى داود فى هـذا السفر الذى قرأ به يختلف عن تبويب النسخ المغربية، وعرف بـالنسخـة ونسبهـا، وتحـدث عن مقـابلتهـا بأصل الخطيب وعقَّب تفصيل القول فى وصف النسخة بما نصه: «وقد تنافس الناس فى سمـاع هذا الكتاب مـن شيخنا أبى الفضل. وممن سمعـه عليـه تقى الـدين ابن دقيق العيـد وجمـال الـدين ابن الظاهرى وكفى بهذين شرفا».

ثم تحدث على قراءاته عن الشيخ أبى الفضل. فمن ذلك مشيخته التى خرجها له الحارث والتى منها حديث جابر:

«سمعت رسول الله ﷺ ينهى أن يقعد على القبر...».

وحـديث أبـى الـدرداء: «ألا أخبـركم بأفضـل من درجـة الصيام...».

وحـديث على: «أن العبـاس سأل النبى ﷺ عن تعجيل صدقته...»

وحديث أسامة: «لا يرث الكافر المسلم...».

وحديث أنس بن مـالك: «كان ابن لأم سليم يقال لـه أبو عُمَيْر...».

وحديـث البراء بن عـازب: «نهى رسول الله ﷺ يـوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية.».

وحديث صهيب: «إذا دخل أهل الجنة الجنة...».

وحـديـث أنس: «كـان رسـول الله ﷺ فى طـريـق ومعـه أناس...».

وحديث: «لقد دعوت لرسول الله ﷺ على وليمة...».

وحـديث ابن عمـر: «نهى رسـول الله ﷺ أن يسـافـر بالقرآن...».

وحديث ابن مسعود: «الحيات ما سالمناهن...».

وحديث جابر: «سمعت رسول الله ﷺ ينهى أن يقعد على القبر...».

وحديث ابن عمر: «نهى رسول الله ﷺ عن بيع الولاء...».

وحـديث على: «ألا أعلمك كلمـات...» وحـديثـه: «علمنى رسول الله ﷺ إذا نزل بى كرب...».

وحـديث جـابـر: «نـدب رسـول الله ﷺ النـاس يـوم الخندق...».

وحديث أبى موسى: «أى الإسلام أفضل...».

ثم تحـدث ابن رشيـد عن سنـد الشيخ أبى الفضل فى الأجزاء الغيلانيات والقطيعيات وفى فوائد أبى بكر الشافعى

وهنا ينتهى ملخص المحقق سمـاحة الشيخ الـدكتور ابن خوجة وفيما يلى ننقل لـك الأصل الذى أورده ابن رشيـد وقد وضعنـا تعليقات المحقق بين أقـواس فى ثنـايـا النص إتمامـا للفائدة قال ابن رشيد رحمه الله:

وممن لقيته بالقاهـرة: الشيخ الأجل الفقيه المسند شهاب الـدين أبو الفضل عبـد الرحيم بن العلم يـوسف بن يحيى بن يـوسف ـ وزاد بعـد أصحـابنـا بعد يـوسف، أحمـد بن سليم الدمشقى المزى، بميم مكسورة بعدها زاى معجمة / منسوب

إلى المزة موضع بغوطة دمشق ـ ويشهر بابن خطيب المزة . وخطيب المزة هو جده يحيى . ويعرف أيضا بابن العلّم .

سمع الكثير وأجيز له . وهو أحد الشيوخ الفضلاء الثقات الخيار . وتفقه على مذهب الشافعي رحمه الله .

أخبرني رضي الله عنه أنه سمع سنن أبي داود من رواية اللؤلؤي على الشيخ : أبي حفص عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد الدارقزي (وهو موفق الدين أبو حفص عمر بن أبي بكر محمد بن معمر بن أحمد بن يحيى بن إحسان المؤدب المعروف بابن طبرزد . المحدث المشهور البغدادي الدارقزي (٥١٦ـ٦٠٧ هـ/ ١١٢٣ ـ ١٢٢١ م) ببغداد . سمع أخاه الأكبر أبا البقاء محمد، وحفظ الأصول، وسمع من هبة الله ابن الحسن ومن الوراق ومن الزاغوني وابن البناء والشروطي وخلق كثير. جمع له المديني مشيخة في ثلاثة أجزاء. أخذ عنه كثير وكان عالي الإسناد. ابن خلكان ٣ / ١٢٤، ٤٧١، الذهبي، العبر: ٥ / ٢٤).

وقرأت أنا من السنن عليه أحاديث في الأحاديث التي خُرجت له من أسمعته . وأظنها جزءين قرأتهما عليه . والنسخة التي ثبتت فيها قراءتي عند صاحبنا سعد الدين الحنبلي لم يتسع الوقت لنسخها، علقت منها أحاديث أسردها بعد بحول الله .

وأجاز له ابن طبرزد وسمع عليه غير ذلك مما نذكر ما تيسر منه .

وسمع مسند أحمد بن حنبل على حنبل بن عبد الله بن الفرج بن سعادة [الواسطي] الرصافي حضورا، وأجاز له .

ولد شيخنا أبو الفضل عبد الرحيم بن العلم يوسف سنة ثمان وتسعين وخمسمائة . كتب لي ذلك بخطه .

وذكر بيان التعريف بسنده وسماعه وإسماعه وسماع شيخه أبي حفص ابن طبرزد :

سألت في كتابي صاحبنا المحدث الفاضل أبا عبد الله محمد بن عاصم بن عبيد الله الزيدي نزيل مصر عن تبيين ذلك ، فأجاب رحمه الله وكتب بخطه ما نصه :

«هذا الكتاب المذكور لا يوافق تبويبه تبويب النسخ المغربية . فإن فيه تداخلا في الأبواب . والنسخة التي في البلاد نسخة الملك الحسن . وهي في زاوية شيخنا جمال الدين بن الظاهري ، وفيها نقل سماع ابن طبرزد بخط الحافظ شمس الدين بن خليل ، نقله من الثبت الموجود عند ابن طبرزد . وذكر الحافظ شمس الدين أنها مقابلة بأصل الخطيب ، وهي اثنان وثلاثون جزءا ، وتداخل الأبواب الذي أشرنا إليه يتبين من انتهاء الأجزاء وأوائلها . ومن هذه النسخة المذكورة سمع شيخنا شهاب الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى المعروف بابن خطيب المزة ، نزيل مصر المحروسة . وبها توفي رحمة الله عليه . وهو آخر من حدث به رحمه الله . وسماعه نقل من الأثباتات ، والله أعلم .

سمع الكتاب المذكور على أبي حفص عمر بن محمد ابن طبرزد في سنة ثلاث وستمائة شيخنا شهاب الدين أبو الفضل عبد الرحيم المذكور آنفا» .

ذكر ثبت سماع ابن طبرزد للكتاب المذكور.

سمع الجزء الأول أعني أبا حفص عمر بن محمد بن طبرزد على أبي البدر إبراهيم بن محمد بن منصور الفقيه الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد بن طبرزد في جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . أوله : كتاب الطهارة ، وآخره : باب ترك الوضوء من الميتة) .

(بهذا الجزء ٦٢ بابا وآخره حديث جابر من طريق عبد الله بن مسلمة : «أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلا من بعض العالية والناس كنفتيه فمر بجدي ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال أيكم يحب أن هذا له . » وساق الحديث . د: ١ ، ٤٨ ، ١٨٦) أول الباب ثنا عبد الله بن مسلمة ، ثنا مالك ، عن زيد ابن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ أكل كتف شاة ثم صلى ولم يتوضأ . د: ١ ، ٤٨ ، ١٨٧) .

الجزء الثاني سمعه ابن طبرزد على الكرخي أيضا بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . أوله : في ترك الوضوء مما مست النار وآخره : باب الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة .

(آخر الجزء الثاني وهو يشتمل على ٥٢ بابا : نا أبو الوليد الطيالسي ، نا همام عن قتادة عن الحسن ، عن سمرة قال قال رسول الله ﷺ : «من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فهو أفضل» . د: ١ ، ٩٧ ، ٣٥٤) .

الثالث سمعه ابن طبرزد على أبى الفتح مفلح بن أحمد ابن محمد الدومى بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى ليلة السبت بعد صلاة العشاء الآخرة ثانى عشر شهر رجب من سنته. أوله: باب الرجل يسلم فيؤمر بالغسل وآخره: باب الدعاء عند الأذان.

يحتوى الجزء الثالث على بقية كتاب الطهارة وفيه ١٣ بابا وعلى أول كتاب الصلاة وأول الباب فى صدر هذا الجزء ثنا محمد بن كثير العبدى، أنا سفيان، ثنا الأغر خليفة بن حصين، عن جده قيس بن عاصم. قال أتيت النبى ﷺ أريد الإسلام فأمرنى أن أغتسل بماء وسدر. د: ١، ٩٠١، ٣٥٥).

ورد فى الترجمة للباب «باب ما يقول عند أذان المغرب وحديث الباب: ثنا مؤمل بن أهاب، نا عبد الله بن الوليد العدنى، نا القاسم بن معن، نا المسعودى، عن أبى كثير مولى أم سلمة، عن أم مسلمة قالت: علمنى رسول الله ﷺ أن أقول عند أذان المغرب: «اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك فاغفر لى». د: ١ / ١٤٦، ٥٣٠.

الرابع سمعه ابن طبرزد من مفلح أيضا بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى يوم الجمعة العشرين من جمادى الآخرة من سنته. أوله: باب أخذ الأجر على التأذين. آخره: باب من قال لا يقطع الصلاة شىء.

(يشمل هذا الجزء ٧٠ بابا، ومفتتح الباب الأول منه: ثنا موسى بن إسماعيل، نا حماد، أنا سعيد الجريرى، عن أبى العلاء، عن مطرف بن عبد الله، عن عثمان بن أبى العاصى قال قلت، وقال موسى فى موضع آخر أن عثمان بن أبى العاصى قال: يا رسول الله اجعلنى إمام قومى، قال أنت إمامهم واقتدِ بأضعفهم واتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرا. د: ١، ١٤٦، ٥٣١).

آخر الباب حديث أبى سعيد الخدرى رواه أبو داود من طريق محمد بن العلاء ثم رواه من طريق مسدد قال أبو الوداك قال: مر شاب من قريش بين يدى أبى سعيد الخدرى وهو يصلى فدفعه ثم عاد فدفعه ثلاث مرات. فلما انصرف قال إن الصلاة لا يقطعها شىء. ولكن قال رسول الله ﷺ: ادرؤوا ما استطعتم فإنه الشيطان. وعقب أبو داود على الروايتين بقوله: إذا تنازع الخبران عن رسول الله ﷺ نظر إلى ما عمل به أصحابه من بعده. د (١): ١، ١٩١، ٧٢٠).

الخامس سمعه ابن طبرزد من الكرخى بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى يوم الجمعة سابع وعشرين جمادى الآخرة من سنته. أوله: أبواب تفريع استفتاح الصلاة. آخره: باب رد السلام فى الصلاة.

(يشمل هذا الجزء ٣٨ بابا. وأول أبواب تفريع استفتاح الصلاة باب رفع اليدين مصدرا بقوله: نا أحمد بن محمد بن حنبل: نا سفيان، عن الزهرى عن سالم، عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ إذا استفتح الصلاة رفع يديه حتى تحاذى منكبيه وإذا أراد أن يركع وبعد ما يرفع رأسه من الركوع. وقال سفيان مرة: وإذا رفع رأسه وأكثر ما كان يقول: وبعدما يرفع رأسه عن الركوع ولا يرفع بين السجدتين. د (١): ١، ١٩١، ٧٢١.

وآخر الباب: ثنا محمد بن العلاء، أنا معاوية بن هشام، عن سفيان، عن أبى ملك، عن أبى حازم، عن أبى هريرة، قال أراه رفعه. قال «لا غرار فى تسليم ولا صلاة». قال أبو داود: ورواه ابن فضيل على لفظ ابن مهدى ولم يرفعه.

يتألف الجزء السادس من ٨٠ بابا. وأول الباب الأول منه حديث معاوية بن الحكم السلمى يرويه أبو داود من طريق: مسدد بن يحيى وطريق عثمان بن أبى شيبة عن إسماعيل بن إبراهيم عن حجاج الصواف عن يحيى ونصه، قال: صليت مع رسول الله ﷺ فعطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله فرمانى القوم بأبصارهم ... الحديث، د: ١، ٢٤٤، ٩٣٠).

السادس سمعه ابن طبرزد من الكرخى، بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى رجب من سنته. أوله: باب تشميت العاطس فى الصلاة / آخره: باب الخروج إلى العيدين فى طريق ويرجع فى طريق.

(وحديث الباب من آخر الجزء السادس. ثنا عبد الله بن مسلمة، ثنا عبيد الله يعنى ابن عمر، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أخذ يوم العيد فى طريق ثم رجع فى طريق آخر. د: ١، ٣٠٠، ١١٥٦).

السابع سمعه ابن طبرزد من مفلح بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى رجب من سنته. أوله: باب إذا لم يخرج الإمام إلى العيدين من يومه يخرج من الغد. آخره: باب صلاة الضحى (٥٩٢).

(يحتوى الجز السابع على ٤٦ بابا وأول حديث منه : ثنا حفص بن عمر، ثنا شعبة ، عن جعفر بن أبى وحشية ، عن أبى عمير بن أنس ، عن عمومة لـه من أصحاب النبى ﷺ أن ركبا جاؤوا إلى النبى ﷺ يشهدون أنهم رأوا الهلال بالأمس فأمرهم أن يفطروا و إذا أصبحوا يغدوا إلى مصلاهم . د: ١ ، ٣٠٠ ، ١١٥٧ . آخر حديث فى الباب : ثنا ابن نفيل وأحمد ابن يونس قالا، ثنا زهير، ثنا سماك قال، قلت لجابر بن سمرة : أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال نعم كثيرا. فكان لا يقوم من مصلاه الذى صلى فيه الغداة حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قام ﷺ د. ٢ ، ٢٩ ، ١٢٩٤).

الثامن سمعه ابن طبرزد من الكرخى بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى رجب من سنته . أوله : باب صلاة النهار. آخره : باب فى وقت الوتر.

فى الجزء الثامن ٣٥ بابا، أول حديث من أولها : ثنا عمرو ابن مرزوق ، أنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء عن على بن عبد الله البارقى ، عن ابن عمر، عن النبى ﷺ قال : «صلاة الليل والنهار مثنى مثنى» . د: ٢ ، ٢٩ ، ١٢٩٥ .

آخر الباب : ثنا أحمد بن حنبل ، ثنا يحيى ، عن عبيد الله ، ثنى نافع ، عن ابن عمر، عن النبى ﷺ . قال : «اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا» . د: ٢ ، ٦٧ ، ١٤٨٣).

التاسع سمعه ابن طبرزد من مفلح بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى يوم الجمعة حادى عشر رجب من سنته . أوله : باب فى نقض الوتر ، آخر: باب رضا المصدق .

(يحتوى الجزء التاسع على ٢٤ بابا من آخر كتاب الصلاة و ٢٦ بابا من كتاب الزكاة وأول حديث فى هذا الجزء : ثنا مسدد ، ثنا ملازم بن عمرو، ثنا عبد الله بن بدر، عن قيس بن طلق ، قال زارنا طلق بن على فى يوم من رمضان وأمسى عندنا وأفطر. ثم قام بنا تلك الليلة ، وأوتر بنا ثم انحدر إلى مسجده فصلى بأصحابه حتى إذا بقى الوتر قدم رجلا . فقال أوتر بأصحابك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لا وتران فى ليلة . د: ٢ ، ٦٧ ، ١٤٣٩).

بالأصل رجاء المصدق. وينتهى هذا الباب من آخر هذا الجزء بحديث جرير بن عبد الله يرويه أبو داود من طريقين : أبى كامل وعثمان بن أبى شيبة قال جرير بن عبد الله : جاء ناس يعنى من الأعراب إلى رسول الله ﷺ فقالوا إنا ناسا من المصدقين يأتونا فيظلمونا قال فقال أرضوا مصدقيكم ... الحديث . د. ٢ ، ١٠٦ ، ١٥٨٩).

العاشر سمعه ابن طبرزد من مفلح بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى رجب من سنته . أوله : باب دعاء المصدق لأهل الصدقة . آخره : من باب فى الهدى إذا عطب قبل أن يبلغ ، ثم اضربها على صفحتها ولا تأكل منها أنت ولا أحد من أصحابك ، أو قال من أهل رفقتك . وقال فى حديث عبد الوارث : ثم اجعله على صفحتها مكان اضربها .

(فى هذا الجزء من كتابى الزكاة واللقطة ٤١ بابا ومن كتاب المناسك ١٨ . وأول حديث فيه : ثنا حفص بن عمر النمرى وأبو الوليد الطيالسى قالا، ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن أبى أوفى ، قال كان أبى من أصحاب الشجرة وكان النبى ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صلِّ على آل فلان . قال فأتاه أبى بصدقته فقال اللهم صل على آل أبى أوفى» . (د ٢ ، ١٠٦ ، ١٥٩٠ ، د: ٢ ، ١٤٨ ، ١٧٦٣).

الحادى عشر سمعه ابن طبرزد من مفلح بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى رجب من سنته . أوله : نا هارون بن عبد الله ، نا محمد ويعلى ابنا عبيد قالا، نا محمد بن إسحاق ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن على قال : «لما نحر رسول الله ﷺ بدنه فنحر ثلاثين بيده ، وأمرنى فنحرت سائرها .

(عبد الله بن أبى نجيح يسار الأعرج المكى مولى ابن عمر. ثقة وحكى ابن الجوزى عن يحيى أنه كان من رؤوس الدعاة إلى القدر. الذهبى . الميزان : ٢ ، ٥٢٧ ، ٤٧٠٧ وابن أبى ليلى هو الأنصارى الكوفى الفقيه المقرىء . ٨٣ / ٧٠٣ . أخذ عن عثمان وعلى ورأى عمر يمسح على الخفين . معظم فى قومه كأنه أمير. الذهبى . العبر: ١ ، ٩٦).

فى الجزء الحادى عشر ٤١ بابا وما فى الأصل أول حديث فى الجزء د٢ ، ١٤٨ ، ١٧٦٤).

وآخرها : باب الخروج إلى منى

(وآخر حديث فى هذا الباب : ثنا أحمد بن إبراهيم ، ثنا إسحاق الأزرق ، عن سفيان عن عبد العزيز بن رفيع ، قال سألت أنس بن مالك قلت أخبرنى بشىء عقلته عن رسول الله ﷺ أين صلى رسول الله عليه ﷺ الظهر يوم التروية فقال بمنى ، قلت فأين صلى العصر يوم النفر؟ قال بالأبطح ، ثم قال افعل كما يفعل أمراؤك . د: ٢ ، ١٨٨ ، ١٩١٢) .

الثانى عشر سمعه ابن طبرزد من مفلح بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى يوم الجمعة حادى عشر شهر رجب من سنته . أوله : باب الخروج إلى عرفة آخره : باب فى العضل .

(فى هذا الجزء من بقية كتاب المناسك ٣٧ بابا ومن كتاب النكاح ٢٢ ، وأول حديث فيه ثنا أحمد بن حنبل ، ثنا يعقوب ، ثنا أبى ، عن ابن إسحاق ، ثنى نافع ، عن ابن عمر قال : غدا رسول الله ﷺ من منى حين صلى الصبح صبيحة يوم عرفة حتى أتى عرفة فنزل بنمرة وهى منزل الإمام الذى ينزل به بعرفة حتى إذا كان عند صلاة الظهر راح رسول الله ﷺ مهجرا فجمع بين الظهر والعصر ثم خطب الناس ثم راح فوقف على الموقف من عرفة . د: ٢ ، ١٨٨ ، ١٩١٣ .

وحديث هذا الباب : ثنا محمد بن المثنى ، ثنى أبو عامر ، ثنا عباد بن راشد ، عن الحسن ، ثنى معقل بن يسار قال : كانت لى أخت تخطب إلى فأتانى ابن عم لى فأنكحتها إياه ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها . فلما خطبت إلى أتانى يخطبها فقلت لا والله لا أنكحها أبدا قال ففى نزلت هذه الآية : ﴿**وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ...**﴾ الآية قال فكفرت عن يمينى فأنكحتها إياه . د: ٢ ، ٢٣٠ ، ٢٠٨٧) .

الثالث عشر سمعه ابن طبرزد من مفلح بقراءه أخيه أبى البقاء محمد فى جمادى الآخرة من سنته . أوله : باب إذا أنكح الوليان . آخره : باب فى الخلع .

(فى هذا الجزء ٢٨ بابا من بقية كتاب النكاح ١٧ بابا من كتاب الطلاق . وأول حديث الباب : ثنا مسلم بن إبراهيم ، ثنا هشام ، ح وثنا محمد بن كثير ، أنا همام ح وثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد المعنى ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، عن النبى ﷺ قال : «أيما امرأة زوجها وليان فهى للأول منهما وأيما رجل باع بيعا من رجلين فهو للأول منهما . د: ٢ ، ٢٣٠ ، ٢٠٨٨) .

وفى آخر الباب : حديث عائشة أن حبيبة بنت سهل كانت عند ثابت بن قيس بن شماس فضربها فكسر نغضها فأتت رسول الله ﷺ بعد الصبح فدعا النبى ﷺ ثابتا فقال خذ بعض مالها وفارقها . فقال ويصلح ذلك يا رسول الله؟ قال نعم . قال فإنى أصدقتها حديقتين وهما بيدها . فقال النبى ﷺ «خذهما وفارقها» ففعل د: ٢ ، ٢٦٩ ، ٢٢٢٨) .

الرابع عشر سمعه ابن طبرزد من الكرخى فى رجب من سنته أوله : باب فى المملوكة تعتق ، وهى تحت حر أو عبد . آخره : باب من سمى السحور / الغداء . .

(بالجزء الرابع عشر ٤٥ بابا . وأوله حديث ابن عباس يرويه من طريق موسى بن إسماعيل : وهو أن مغيثا كان عبدا . فقال يارسول الله اشفع إليها . فقال رسول الله ﷺ : «يابريرة اتقى الله فإنه زوجك وأبو ولدك . فقالت يا رسول الله تأمرنى بذلك؟ قال لا إنما أنا شافع فكان دموعه تسيل على خده ، فقال رسول الله ﷺ للعباس : ألا تعجب من حب مغيث بريرة وبغضها إياه» . د: ٢ ، ٢٧٠ ، ٢٢٣١) .

أول حديث فى الباب : نا عمرو بن محمد الناقد ، ثنا حماد بن خالد الخياط ، ثنا معاوية بن صالح ، عن يونس بن سيف ، عن الحارث بن زياد ، عن أبى رهم ، عن العرباض بن سارية قال : دعانى رسول الله ﷺ إلى السحور فى رمضان فقال هلم إلى الغداء المبارك . د: ٢ ، ٣٠٣ ، ٢٣٤٤) .

الخامس عشر سمعه ابن طبرزد من مفلح بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى رجب من سنته . أوله : وقت السحور . آخره : باب فى ركوب البحر فى الغزو نا عبد السلام بن عتيق ، نا أبو مسهر ، نا إسماعيل بن عبد الله يعنى ابن سماعة ، أنا الأوزاعى ، حدثنى سليمان بن حبيب ، عن أبى أمامة الباهلى ، عن رسول الله ﷺ قال : «ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل : رجل خرج غازيا فى سبيل الله . الحديث» .

السادس عشر سمعه ابن طبرزد من مفلح بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى يوم الجمعة ثامن عشر رجب من سنته. أوله: باب فى فضل من قتل كافرا. آخره: باب فى التولى يوم الزحف.

(فى هذا الجزء من كتاب الجهاد ٨٤ بابا. والحديث الأول فى الجزء: ثنا محمد بن الصباح البزاز، ثنا إسماعيل يعنى ابن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبى هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: لا يجتمع فى النار كافر وقاتله أبدا. د: ٣، ٧،٢٤٩٥).

آخره: ثنا محمد بن هشام المصرى، ثنا بشر بن المفضل، ثنا داود، عن أبى نضرة، عن أبى سعيد. قال نزلت فى يوم بدر: «ومن يولهم يومئذ دبره». د: ٣، ٤٦، ٢٦٤٨).

السابع عشر سمعه ابن طبرزد من الكرخى بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى يوم الخميس ثانى شعبان من سنته. أوله: باب فى الأسير يكره على الكفر. آخره: باب فى صلح العدو. فقال أبو بصير: أرنى أنظر إليه. فأمكنه منه، فضربه حتى برد، وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو. فقال النبى ﷺ: لقد رأى هذا ذعرا. فقال: قد قتل والله صاحبى وإنى لمقتول. فجاء أبو بصير، فقال: قد أوفى الله ذمتك، فقد رددتنى إليهم، ثم نجانى الله منهم. فقال النبى ﷺ: «ويل امه مسعر حرب، لو كان له أحد»: فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر. وينفلت أبو جندل فلحق بأبى بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة».

(يشتمل هذا الجزء على ٥٧ بابا من كتاب الجهاد. وأول حديث الباب الذى هو مبدأ الجزء حديث خباب يرويه أبو داود من طريق عمرو بن عون، وهو قول خباب: أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة فشكونا إليه فقلنا ألا تستنصر لنا إلا تدعو الله لنا. فجلس محمرا وجهه فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض ثم يؤتى بالمنشار فيجعل على رأسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه. الله ليتمن الله هذا الأمر حتى يصير الراكب ما بين صنعاء وحضرموت ما يخاف إلا الله تعالى والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون. د: ٣، ٤٧، ٢٦٤٩. راجع د: ٣، ٨٥، ٢٧٦٥).

الثامن عشر سمعه ابن طبرزد من الكرخى بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى رجب من سنته. أوله: نا محمد بن العلاء، نا ابن إدريس قال، سمعت ابن إسحاق، عن الزهرى، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهم اصطلحوا على وضع الحرب عشر سنين. . الحديث» آخره: باب فيمن أسلم على ميراث.

هذا أول الحديث الثانى من باب فى صلح العدو به يبدأ الجزء الثامن عشر فى تجزئة الخطيب التى منها نسخة ابن طبرزد. والحديث الذى يليه من الباب من تمام الجزء السابع عشر فى غير تجزئة الخطيب التى تكون بداية الجزء الثامن عشر فيها«بباب فى العدو يؤتى على غرة ويتشبه بهم» وبقية الحديث المذكور فى المتن: يأمن فيهن الناس وعلى أن بيننا عيبة مكفوفة وأنه لا إسلال ولا إغلال. ٣، ٨٦، ٢٧٦٦.

بالأصل باب من أسلم. وهو حديث واحد: ثنا الحجاج ابن أبى يعقوب، ثنا موسى بن داود، ثنا محمد بن مسلم، عن عمرو بن دينار، عن أبى الشعثاء، عن ابن عباس قال قال النبى ﷺ: «كل قسم قسم فى الجاهلية فهو على ما قسم، وكل قسم أدركه الإسلام فهو على قسم الإسلام». د: ٣، ١٢٦، ٢٩١٤).

التاسع عشر سمعه ابن طبرزد من الكرخى بقراءة أخيه أبى البقاء محمد فى يوم الخميس ثانى شعبان من سنته. أوله: باب فى الولاء. نا قتيبة بن سعيد قال قرىء على مالك وأنا حاضر، قال مالك عرض علىَّ نافع، عن ابن عمر: «أن عائشة أم المؤمنين، رضى الله عنها، أرادت أن تشترى جارية تعتقها، فقال أهلها: نبيعكها على أن ولاءها لنا. فذكرت عائشة لرسول الله ﷺ فقال: لا يمنعك ذلك، فإن الولاء لمن أعتق» آخره: باب فى أخذ الجزية من المجوس.

العشرون سمعه ابن طبرزد من الكرخى بقراءة أخيه أبى البقاء فى شهر رجب من سنته. أوله: باب التشديد فى جباية الجزية آخره. باب الرجل يجمع موتاه فى مقبرة، والقبر يعلم.

(حديث الباب حديث المطلب من طرق عديدة قال: لما مات عثمان بن مظعون أخرج بجنازته فدفن أمر النبي ﷺ رجلا أن يأتيه بحجر فلم يستطع حمله فقام إليها رسول الله ﷺ وحسر عن ذراعيه قال كثير قال المطلب قال الذي يخبرني عن رسول الله ﷺ كأني أنظر إلى بياض ذراعي رسول الله ﷺ حين حسر عنهما ثم حملها فوضعها عند رأسه وقال «أتعلم بها قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي» (١٢٠٣٠، ٣٢٠٦٠).

الحادي والعشرون سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في شهر رجب من سنته. أوله: باب في الحفار يجد العظم هل يتنكب ذلك المكان.

بهذا الجزء ٥٠ بابا وأول الباب الأول منه: ثنا القعنبي، ثنا عبد العزيز بن محمد، عن سعد يعني ابن سعيد، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ وسلم قال: «كسر عظم الميت ككسره حيا». د: ٣، ٢١٢، ٣٢٠٧).

آخره: باب في المزارعة.

(آخر الجزء آخر حديث في باب المزارعة: نا قتيبة بن سعيد، عن مالك، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن. عن حنظلة بن قيس أنه سأل رافع بن خديج عن كراء الأرض فقال: نهى رسول الله ﷺ عن كراء الأرض فقال أبالذهب والورق؟ فقال أما بالذهب والورق فلا بأس به». د: ٣، ٢٥٣، ٣٣٩٣).

الثاني والعشرون سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في شهر رجب من سنته. أوله: باب التشديد في ذلك. نا عبد الملك بن شعيب بن الليث، حدثني أبي، عن جدي الليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني سالم بن عبد الله بن عمر: أن ابن عمر كان يكري أرضه حتى بلغه أن رافع بن خديج الأنصاري كان ينهى عن كراء الأرض فلقيه عبد الله فقال يا ابن خديج ماذا تحدث عن رسول الله ﷺ في كراء الأرض قال رافع لعبد الله بن عمر: سمعت عميَّ وكانا قد شهدا بدرا يحدثان أهل الدار أن رسول الله ﷺ نهى عن كراء الأرض. قال عبد الله: والله لقد كنت أعلم في عهد رسول الله ﷺ أن الأرض تكرى ثم خشي عبد الله أن يكون رسول الله ﷺ أحدث في ذلك شيئا لم يكن علمه فترك كراء الأرض. د: ٣، ٢٥٣، ٣٣٩٤.

آخره: باب الحكم بين أهل الذمة:

(في الباب حديثان ثانيهما حديث ابن عباس من طريق عبد الله بن محمد النفيلي قال لم نزلت هذه الآية: ﴿فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم﴾ ... ﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط﴾ [المائدة/ ٤٢] قال كان بنو النضير إذا قتلوا من بني قريظة أدوا نصف الدية، وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا إليهم الدية كاملة، فسوى رسول الله ﷺ بينهم د. ٣، ٣٠٣، ٩٥٩١).

الثالث والعشرون سمعه ابن طبرزد من مفلح بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رجب من سنته. أوله: باب اجتهاد الرأي في القضاء.

(وحديثه الأول عن أناس من أهل حمص من طريق حفص بن عمر أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذا إلى اليمن قال كيف تقضي إذا عرض لك قضاء قال أقضي بكتاب الله. قال فإن لم تجد في كتاب الله. قال فبسنة رسول الله ﷺ، قال فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ ولا في كتاب الله، قال أجتهد رأيي ولا آلو. فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله ﷺ لما يرضي رسول الله ﷺ». د. ٣، ٣٠٣، ٣٥٩٢).

آخره: باب نسخ الضيف يأكل من مال غيره.

وحديثه لابن عباس من طريق أحمد بن محمد المروزي قال «لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم» فكان الرجل يحرج أن يأكل عند أحد من الناس بعد ما نزلت هذه الآية. فنسخ ذلك الآية التي في النور. قال ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم إلى قوله أشتاتا» كان الرجل الغني يدعو الرجل من أهله إلى الطعام قال إني لأجنح أن آكل منه ولتجنح الحرج ويقول المسكين أحق به مني فأحل في ذلك أن يأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وحل طعام أهل الكتاب د. ٣، ٣٤١، ٣٧٥٣).

الرابع والعشرين سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في شهر رجب من سنته. أوله: باب في طعام المتباريين. آخره: كتاب الطب (٦٣٣).

الخامس والعشرون سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في شهر رجب من سنته. أوله: كتاب العتاق. آخره: باب في قدر موضع الإزار.

السادس والعشرون سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في يوم الخميس مستهل شعبان من سنته. أوله: باب في لباس النساء. آخره: كتاب الفتن، ذكر الفتن ودلائلها.

السابع والعشرون سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في رجب من سنته. أوله: باب النهي عن السعي في الفتنة. آخره: باب ما لا قطع فيه.

الثامن والعشرون سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في رجب من سنته. أوله: باب القطع في الخلسة والخيانة (٦٤٠). آخره: باب من سقى رجلا سما أو أطعمه فمات، أيقاد منه؟ (٦٤١).

التاسع والعشرون سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في سنة خمس وثلاثين. أوله: باب من قتل عبده أو مثل به أيقاد منه؟ (٦٤٢). آخره: باب في القدر. نا مسدد أن يزيد بن زريع ويحيى بن سعيد حدثاهم قالا. نا عوف، نا قسامة بن زهير... الحديث.

الثلاثون سمعه ابن طبرزد من الكرخي بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في سنة خمس وثلاثين. أوله: نا مسدد بن مسرهد، نا المعتمر، سمعت منصور بن المعتمر يحدث عن سعد بن عبيدة، عن عبد الله بن حبيب أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي عليه السلام قال: «كنا في جنازة...» الحديث. آخره: باب في كفارة المجلس.

الحادي والثلاثون سمعه ابن طبرزد من مفلح بقراءة أخيه أبي البقاء محمد في رجب في سنته. أوله: باب في رفع الحديث. آخره: باب مايقال عند النوم.

الثاني والثلاثون سمعه ابن طبرزد من الكرخي في رجب في سنته بقراءة أخيه أبي البقاء محمد. أوله: باب ما يقول الرجل إذا تعار من الليل. نا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي، نا الوليد قال، قال الأوزاعي، حدثني عمير بن هانئ، حدثني جنادة بن أبي أمية، عن عبادة بن الصامت قال: «قال رسول الله ﷺ: / من تعار من الليل فقال.. الحديث. وآخره: آخر الكتاب.

وذلك بحق سماع الكرخي والدومي من الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب رحمه الله، بسماعه من القاضي أبي عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، بسماعه من أبي علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي البصري، بسماعه من أبي داود السجستاني رحمة الله عليهم أجمعين.

وقد تنافس الناس في سماع هذا الكتاب من شيخنا أبي الفضل. وممن سمعه عليه. تقي الدين بن دقيق العيد وجمال الدين بن الظاهري، وكفى بهذين شرفا. وقد أسر الشيخ أبو الفضل إليَّ عندما لقيته أقبل على أذني وقال: قد سمع الكتاب مني ابن دقيق العيد! كالمفتخر بذلك.

قرأت على الشيخ الفقيه المسند شهاب الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى خطيب المزة، في يوم الإثنين التاسع والعشرين لرجب وهو كان خاتمة الشهر عام أربعة وثمانين وستمائة بالقاهرة، جميع مشيخته التي انتقى له صاحبنا الفقيه المحدث المقيد سعد الدين مسعود بن أحمد الحارثي.

منها: وأخبركم الشيخ أبو حفص بن طبرزد البغدادي، قراءة عليه وأنت حاضر، سنة ثلاث وستمائة فأنعم، نا أبو البدر إبراهيم بن محمد بن منصور بن عمر الكرخي السني بقراءة أخي عليه وأنا أسمع، أنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي ابن ثابت الخطيب قراءة عليه وأنا أسمع، أنا القاضي أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي، نا محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي، نا أبو داود سليمان بن الأشعث، نا أحمد بن حنبل، ح؛ قلتم وأنا بعلو أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج الرصافي - من رصافة بغداد - قراءة وأنا حاضر، نا الرئيس أبو القسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد - الكاتب أنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب التميمي، أنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي، نا أبو عبد الرحمن عبد الله ابن الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل قال، حدثني أبي رحمه الله، نا عبد الرزاق، أنا ابن جريج قال، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا يقول:

«سمعت النبي ﷺ ينهى - وقال أبو داود. نهى - أن يقعد على القبر وأن يجصص أو يبنى عليه». وقال أبو داود: ويبنى عليه.

وقرأت عليه أيضا قلت له: أخبركم الشيخ المسند

أبو حفص عمر بن محمد بن معمر طبرزد البغدادى المؤدب ـ قدم عليكم ـ قراءة عليه وأنت حاضر فى سنة ثلاث وستمائة قيل له، أخبرك أبو الفتح مفلح بن أحمد بن محمد الدومى قراءة عليه وأنت تسمع فأقر به وذلك فى رجب من سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، أنا الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدى الخطيب البغدادى قراءة عليه وأنا أسمع فى رجب سنة ثلاث وستين وأربعمائة، أنا القاضى أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد بن العباس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب الهاشمى البصرى بها، أنا أبو على محمد ابن أحمد بن عمرو اللؤلؤى، نا أبو داود رحمه الله، نا محمد ابن العلاء، نا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سالم، عن أم الدرداء [عن أبى الدرداء] قال، قال رسول الله، ﷺ:

«ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى. قال: إصلاح ذات البين وفساد ذات البين الحالقة».

وقرأت عليه: أخبركم أبو حفص عمر بن محمد بن معمر ابن طبرزد الدارقزى ـ قدم عليكم ـ قراءة عليه وأنت حاضر فأقر به قال، أنا الرئيس أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد ابن الحصين الشيبانى قال، أنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزاز، نا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعى، نا معاذ بن المثنى العنبرى، نا سعيد بن منصور نا إسماعيل بن زكرياء، عن حجاج بن دينار، عن الحكم، عن حجية بن عدى، عن على:

«أن العباس سأل النبى ﷺ عن تعجيل صدقته قبل محلها فرخص له».

وبه إلى أبى طالب بن غيلان، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعى، نا جعفر بن محمد بن الحسن القاضى، نا قتيبة بن سعيد، نا الليث بن سعد، عن يزيد بن الهاد، عن الزهرى، عن على بن حسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد قال:

«سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر».

وقرأت عليه أيضا بسنده هذا إلى أبى طالب الغيلانى قال، نا أبو بكر الشافعى، نا محمد بن سليمان الواسطى قال، سألت محمد بن عبد الله الأنصارى فقال حدثنى حميد، عن أنس بن مالك قال:

«كان لى أخ يقال له أبو عمير، وكان له عصفور يلعب به، فمات العصفور. وكان النبى ﷺ يدخل بيتنا ويقول: يا أبا عُمَيْر ما فعل النُّغَيْر؟».

وقرأت عليه أيضا: أخبركم عمر بن أبى بكر الحسانى قال، أنا أبو القاسم هبة الله بن محمد قال، أنا أبو طالب محمد بن محمد البزاز، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعى، نا القاضى إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد، نا محمد بن عبد الله الأنصارى، نا حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال:

«كان ابن لأم سليم يقال له أبو عمير، كان النبى ﷺ يمازحه إذا دخل على أم سليم فدخل يوما فوجده حزينا. فقال: ما لأبى عمير حزينا؟ قالوا: يا رسول الله، مات نُغَيْره الذى كان يلعب به. فجعل يقول: أبا عمير، ما فعل النغير؟».

وقرأت عليه أيضا بسنده هذا إلى أبى طالب بن غيلان، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعى، نا محمد يعنى ابن مسلمة الواسطى، نا يزيد هو ابن هارون، أنا الحجاج، عن أبى إسحاق وثابت بن عبيد، عن البراء بن عازب:

«أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية».

وقرأت عليه: أخبركم الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد ـ قدم عليكم ـ قراءة عليه وأنت حاضر فأقر به، أنا الرئيس أبو القاسم هبة الله بن عبد الواحد بن الحصين الشيبانى قراءة عليه وأنا أسمع ببغداد، أنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزاز قراءة عليه وأنا أسمع فى شهر رجب سنة ست وثلاثين وأربعمائة، نا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعى، نا محمد بن مسلمة الواسطى، نا يزيد بن هارون، أنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن صهيب، عن النبى، ﷺ قال:

«إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ناداهم مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله عز وجل موعدا لم تروه. قالوا: وما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار؟! قال: فيكشف الحجاب عز وجل، فينظرون إليه. فوالله ما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه. ثم تلا [رسول الله ﷺ]: هذه الآية ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس: ٢٦].

قلت: أخرجه أحمد بن حنبل في المسند، وقرأته على ابن خطيب المزة من طريق حنبل بسنده إلى أحمد بن حنبل، فانظره.

أنا ابن خطيب المزة قراءة مني عليه قلت له، أخبركم الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن معمر ابن طبرزد البغدادي ـ قدم عليكم قراءة عليه وأنت حاضر فأقر به، أنا الرئيس أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيباني الكاتب قراءة عليه وأنا أسمع ببغداد، أنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، نا أبو الحسن علي بن الحسن ابن عبدويه الخزاز في المحرم سنة سبع وسبعين ومائتين، نا عبد الله بن بكر السهمي، نا حميد، عن أنس قال:

«كان رسول الله ﷺ في طريق ومعه أناس من أصحابه، فعرضت له امرأة فقالت: يارسول الله، لي إليك حاجة. قال: يا أم فلان اجلسي في أي نواحي السكك حتى أجلس إليك. ففعلت، فجلس إليها حتى قضت حاجتها».

وقرأت عليه: أخبركم أبو حفص عمر بن محمد بن معمر ابن طبرزد الدارقزي قراءة عليه وأنت حاضر، أنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيباني، أنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان، أنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، نا محمد يعني ابن مسلمة، نا يزيد وهو ابن هارون، أنا المسعودي قال، حدثني حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال:

«لقد دعوت لرسول الله ﷺ على وليمة ليس فيها خبز ولا لحم. قال: فقلت: يا أبا حمزة! ماذا أكلوا؟ قال: أتي بأنطاع فبسطت، ثم أتي بتمر وسمن فأكلوا. أو ليس التمر من رسول الله ﷺ كثير».

وبالإسناد إلى ابن غيلان البزاز مما قرأته على ابن خطيب المزة، نا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، نا موسى بن سهل، نا إسماعيل ابن عُلَيَّة، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال:

«نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن مخافة أن يناله العدو».

وبه إلى الغيلاني، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، نا محمد وهو ابن مسلمة الواسطي، نا يزيد، أنا شريك، عن أبي إسحاق، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود قال:

«قال رسول الله ﷺ: الحيات ما سالمناهن منذ حاربناهن. فمن ترك منهن شيئا من خيفتهن فليس منا».

وقرأت عليه أيضا: قلتم أنا أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج الرصافي ـ من رصافة بغداد ـ قراءة عليه وأنا حاضر، نا الرئيس أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد الكاتب، أنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب التميمي، أنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي، نا أبو عبد الرحمن عبد الله ابن الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل قال، حدثني أبي رحمه الله، نا عبد الرزاق، أنا ابن جريج قال، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا يقول:

«سمعت النبي ﷺ ينهى أن يقعد على القبر وأن يجصص أو يبنى عليه».

وقرأت عليه أيضا قلت له: أخبركم أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج البغدادي قراءة عليه وأنت حاضر فأقر به بالإسناد المتقدم إلى أبي عبد الرحمن عبد الله ابن الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني قال، حدثني أبي رحمه الله، نا سفيان قال، حدثني عبد الله بن دينار، سمع ابن عمر يقول:

«نهى رسول الله ﷺ عن بيع الولاء وعن هبته».

وقرأت عليه بالإسناد قال، نا أبو عبد الرحمن عبد الله ابن إمام الدينا أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل قال، حدثني أبي رضي الله عنه، نا أبو أحمد الزبيري، نا علي بن صالح. عن أبي إسحاق، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عن علي رضي الله عنه قال:

«قال لي النبي ﷺ: ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر لك، مع أنك مغفور لك. لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم ، سبحان الله رب السموات ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين».

وبه إلى الإمام أحمد، نا روح، نا أسامة بن زيد، عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن شداد بن الهاد، عن عبد الله بن جعفر، عن علي بن أبي طالب قال:

«علمني رسول الله ﷺ إذا نزل بي كرب أن أقول: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العلمين».

وقرأت عليه قال: أنا أبو علي حنبل بن عبد الله المكبر قال، أنا أمين الحضرة أبو القاسم هبة الله بن محمد الشيباني قال، أنا أبو علي بن المذهب الواعظ، أنا أبو بكر أحمد بن جعفر الدقيقي، نا عبد الله ابن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل قال، حدثني أبي رضي الله عنه، نا أبو سعيد وهو مولى بني هاشم نا إسرائيل، نا أبو إسحاق، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن علي قال:

«قال رسول الله ﷺ: ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر لك، على أنه مغفور لك: لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين».

وبه إلى عبد الله ابن الإمام أحمد قال، حدثني أبي رحمه الله، نا سفيان، عن ابن المنكدر، سمع جابرا يقول:

«ندب رسول الله ﷺ الناس يوم الخندق. فانتدب الزبير، ثم ندب الناس فانتدب الزبير، ثم ندب الناس فانتدب الزبير فقال رسول الله ﷺ: لكل نبي حواري وحواريي الزبير».

وقرأت عليه أيضا: أنا الشيخ المسند ملحق الصغار والكبار والأحفاد بالأجداد أبو حفص عمر بن أبي بكر محمد ابن معمر بن يحيى ابن طبرزد الدارقزي البغدادي المؤدب الحساني السلامي قراءة عليه وأنا حاضر في شعبان من سنة ثلاث وستمائة ــ قدم علينا ــ، أنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله الأنصاري البزاز قراءة عليه وأنا أسمع ببغداد، أنا الشريف أبو الغنائم عبد الصمد بن علي ابن محمد بن الحسن بن الفضل بن المأمون قراءة عليه ونحن نسمع، أنا الإمام أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني الحافظ رحمه الله قراءة عليه وأنا أسمع، نا القاضي الحسين بن إسماعيل، نا سعيد بن يحيى الأموي، نا أبي، نا أبو بردة، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال:

«سألنا رسول الله ﷺ: أي الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده».

هذا ما تيسر لي تعليقه من الأجزاء المخرجة له من حديثه.

وجميع الأجزاء المعروفة بالغيلانيات وهي أحد عشر مسموعة لشيخنا أبي الفضل عبد الرحيم بن أبي الحجاج يوسف بن أبي زكرياء يحيى خطيب المزة الشافعي ويعرف بابن خطيب المزة. وقد سمعت أنا جميعها على بعض أصحابنا بسماعه لها عليه، وعارضت نسختي بنسخة سماعه. وهي لي من الشيخ أبي الفضل إجازة، إلا ما قرأته عليه مما تضمنته الأجزاء المخرجة له. وهذه الأجزاء الغيلانيات هي من عوالي البغداديين.

ومما قرأته بخط خليل بن بدران الحلبي ما نصه:

شاهدت ما مثاله شاهدت على فوائد أبي بكر الشافعي رواية أبي طالب بن غيلان عنه. وهي أحد عشر جزءا، سمعها على أبي حفص بن عمر بن طبرزد، عن ابن الحصين ـ بقراءة محمد عبد الغني ـ ولده أحمد، وعبد الرحمن ابن الشيخ أبي عمرو علي ابن الشمس أحمد بن عبد الواحد، وعمه محمد بن عبد الواحد، وعبد الرحيم بن يوسف بن يحيى بن يوسف وآخرون، في يوم الأثنين مستهل جمادى الأولى سنة ثلاث وستمائة، بجبل قاسيون، بالجامع المظفري.

نقله ابن البغدادي من خط شيخنا محمد بن عبد الواحد الحافظ، ونقله من خط ابن البغدادي، على صورته، أحمد ابن محمود بن عمر الشيباني. واختصر من خطه أحمد بن محمد الظاهري عفا الله عنه، ومن خطه نقله على نصه العبد خليل بن بدران الحلبي حامدا ومصليا ومسلما.

وسمع أيضا على أبي حفص ابن طبرزد في الخامسة من عمره، في سادس وعشرين جمادى الأولى سنة ثلاث وستمائة، الجزء الأول والثاني والثالث والرابع من القطيعيات.

قال، أنا أبو غالب أحمد بن الحسن بن أحمد البناء، قال، أنا الإمام أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري

بقراءة والدى فى ليلة الأحد الثامن والعشرين من المحرم سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة قال: أنا أبو بكر أحمد بن جعفر ابن حمدان بن مالك القطيعى.

(ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة لابن رشيد - تقديم وتحقيق سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ٣ / ٥٨ - ٦٠، ١٥٩ - ١٩٠، وقد وضعنا تعليقات سماحة المحقق بين أقواس فى ثنايا النص).

*** ابن خطيب الناصرية (٧٧٤-٨٤٣ هـ / ١٣٧٢-١٤٤٠م):**

ترجم له الشمس السخاوى فقال عنه:

على بن محمد بن سعد بن محمد بن على بن عثمان بن إسماعيل بن إبرهيم بن يوسف بن يعقوب بن على بن هبة الله ابن ناجية العلاء أبو الحسن بن خطيب الناصرية الشمس الطائى الجبرينى - نسبة لبيت جبرين الفستق ظاهر حلب من شرقيها - ثم الحلبى الشافعى سبط العالم المدرس الزين على ابن العلامة قاضى قضاة حلب الفخر أبى عمرو عثمان بن على بن عثمان الطائى بن الخطيب بل والزين هذا ابن عم جده لأبيه ويعرف العلاء بابن خطيب الناصرية. ولد فى سنة أربع وسبعين وسبعمائة بحلب ونشأ بها فحفظ القرآن وكتبا منها المنهاج الفرعى والأربعين المخرجة من مسند الشافعى الملقبة بسلاسل الذهب من رواية الشافعى عن مالك عن نافع عن ابن عمر، وألفية الحديث للعراقى وألفية النحو لابن معطى، وانتفع فى حفظها بوالده وفى القراءات بالفقيه الشمس محمد بن على بن أحمد بن أبى البركات الغزى ثم الحلبى فإنه قرأ عليه وهو صغير جدا بعض القرآن ثم أكمله على غيره؛ وعرض الأولين فى سنة تسع وثمانين على جماعة منهم الجمال عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد النحريرى المالكى والمنهاج وحده فيها أيضا على الشمس أبى عبد الله محمد بن نجم بن محمد بن النجار الحلبى الحنفى وكتب له خطه بذلك. وفى سنة ست وتسعين على السراج البلقينى بحلب والألفيتين على جماعة منهم الشمس محمد بن مبارك بن عثمان البسقاقى الحلبى الحنفى وأجاز له بل استجاز له أبوه من شيوخ القاهرة حين دخلها فى سنة ثلاث وثمانمائة الزين العراقى وكتب خطه بذلك، واستصحب معه ولده قبل ذلك سنة خمس وثمانين إلى بيت المقدس فزار الشيخ عبد الله بن خليل البسطامى وأضافهما ودعا لهما وجود العلاء القرآن على أحمد الحموى المقرى وبعضه على محمد اليمنى المقرى نزيل حلب وأحمد بن محمد بن أحمد بن الشويش الجبرينى الحلبى أحد من برع فى القراءات، وفى حل الشاطبية.

ومن شيوخه فى العلم التاج باح بن محمود الأصفهيدى العجمى قرأ عليه فى الفقه والنحو وكثر اجتماعه به وقرأ فيهما أيضا على الشمس محمدسلمان بن عبد الله الحموى بن الخراط وكذا سمع دروسه فيهما أيضا وفى الأول ولازمه مدة وقرأ فى الفقه وغيره كالعربية على الجمال يوسف بن خطيب المنصورية بحلب وبحماة وطرابلس وحضر دروسه فى التفسير وهو أول من أذن له فى الإفتاء وكتب له خطه بذلك وهو ممن أخذ العربية عن السرى المالكى وحضر دروس السراج البلقينى فى سنة ثلاث وتسعين ثم فى سنة ست وتسعين حين قدم عليهم حلب فيهما وقرأ غالب المنهاج بحثا على الزين أبى حفص عمر بن محمود بن محمد الكركى. ويقال إن البرهان الحلبى كان يلومه فى أخذه عنه ويقول له إنك أفضل منه، وأخذ فى الفقه أيضا مدة عن الشمس أبى عبد الله محمد بن على بن يعقوب النابلسى نزيل حلب ويسيرا عن الشرف الداديخى وكان يحاققه فى أشياء يكون الظفر فيها بالمنقول مع صاحب الترجمة وقرأ طرفا من النحو أيضا على الشمس أبى عبد الله محمد بن أحمد بن على بن سليمان المعرى الجلبى الشافعى المعروف بابن الركن والعز أبى البقاء محمد بن خليل الحاضرى الحنفى بل وسمع عليه أيضا الحديث وكان رفيقه فى القضاء بحلب سنين وطرفا من الفرائض على الشمس محمد بن إسماعيل بن الحسن بن خميس البابى والسراج عبد اللطيف ابن أحمد الفوى بحلب بل قرأ عليه تخميسه للبردة وكتب عنه من نظمه أشياء وقطعة من مختصر ابن الحاجب الأصلى وجانبا من الفقه على العلاء أبى الحسن على بن محمد بن يحيى التميمى الصرخدى نزيل حلب وانتفع به كثيرا وكذا بالشمس البابى الكبير وطرفا من المعانى والبيان على المحب أبى الوليد بن الشحنة وحضر عنده كثيرا وكتب عنه من نظمه ونثره، ومن شيوخه أيضا القاضى الشرف أبو البركات موسى الأنصارى الحلبى قاضيها الشافعى وأخذ الحديث عن الولى العراقى

والبرهان الحلبي ولازمه كثيرا وبه تخرج وعليه انتفع وكذا أخذ قديما وحديثا عن شيخنا(يعني الحافظ ابن حجر) وأحضر في الخامسة على البدر بن حبيب وسمع على الشهاب بن المرحل والشرف أبي بكر الحراني وابن صديق والعز أبي جعفر الحسيني وأبي الحسن علي بن إبراهيم بن يعقوب بن صقر والشهاب أبي جعفر أحمد وأم الحسن فاطمة وابنتي الشهاب الحسيني الإسحاقي وجماعة من أهلها والقادمين عليها فكان من القادمين الغياث محمد بن محمد بن عبد الله العاقولي بل سمع من لفظه حديث الأعمال بالنيات والكلام على فوائده وأحكامه وأنشده شيئا من شعره وأجاز له وذلك في سنة ست وتسعين. والبدر بن أبي البقاء السبكي اجتمع به وصحبه وقرأ على الجمال يوسف بن موسى الملطي السيرة النبوية والدر المنظوم من كلام المصطفى المعصوم كلاهما لمغلطاي بقراءته لهما على مؤلفهما وارتحل إلى القاهرة وقرأ بدمشق في ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة المسلسل على الجمال بن الشرائحي وسمع منه ومن عائشة ابنة عبد الهادي وطيبغا الشريفي وأحمد بن عبد الله بن الفخر البعلي وحضر دروس جماعة فيها كالجمال الطيماني، قال ابن قاضي شهبة حضر عنده وأنا أقرأ عليه في الحاوي فكان يستحضر كثيرا، وبالقاهرة من القطب عبد الكريم حفيد الحافظ القطب الحلبي والتقي الدجوي والشريف النسابة الكثير في آخرين كشيخنا عَلَّق عنه كثيرا من كتابه تعليق التعليق ثم سمع منه بعد ذلك أشياء وكالشرف بن الكويك والجلال البلقيني سمع عليه البعض من سنن النسائي الصغرى بل قرأ عليه بحلب البعض من مبهماته وأخذ بها عن النور بن سيف الأبياري اللغوي قرأ عليه جزءا من تصنيف شيخه العنابي اسمه الوافر في فعل المتعدي والقاصر بقراءته له على مؤلفه وذكر العلاء لشيخه حين قراءته عليه أن مؤلفه فاته الكثير من الأفعال التي تستعمل لازمة ومتعدية فاستحسن الشيخ ذلك وبالغ في تعظيمه ووصفه بخطه بالعلّامة وحلف أنه لم يكتبها لأحد قبله، وكذا اجتمع في القاهرة بالشمس بن الديري وكتب عنه في آخرين منهم الأديب الشمس أبو الفضل محمد بن علي بن أبي بكر المصري كتب عنه في ربيع الأول سنة تسع شيئا من نظمه وكذا سمع دروس البيجوري والولي العراقي وسافر من القاهرة في هذا الشهر وكتب فيه بقاقون عن ناصر الدين بن البارزي القاضي شيئا من نظمه أيضا وببعلبك عن التاج بن بردس وغيره وبطرابلس عن الشرف مسعود بن شعبان الطائي الحلبي الشافعي كتب عنه شيئا من شعر غيره وكذا كتب فيها في رجب سنة أربع وثمانمائة عن البدر محمد بن موسى بن محمد بن الشهاب محمود شيئا من نظمه وكتب لكاتب سرها الجمال عبد الكافي بن محمد بن أحمد بن فضل الله يستجيزه:

أسيدنا شيخ العلوم ومن غدت
فواضله أندى من الغيث والبحر
أجب وأجز عبدا ببابك لم يزل
بأمداحكم رطب اللسان مدى الدهر

فأجابه بقوله:

أيا سيدا مازال في الفضل واحدا
جبرت كسيرا بالسؤال بلا نكر
نعم إذ بدأت العبد أن مقدما
وفضلك أضحى بالتقدم لي جبري

ثم لقيه بطرابلس وسمع منه من نظمه شفاها وتكرر قدومه بعد ذلك القاهرة وآخر قدماته في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين فإنه كان صرف فأعيد وتوجه منها في حادي عشر شعبان منها فدخل بلده في أوائل شوال موعوكا ولم يلبث أن مات، وقبل ذلك دخلها في شوال سنة أربع وعشرين بعد أن زار بيت المقدس وحينئذ ولي قضاء طرابلس كما سيأتي وقبل ذلك في سنة ست عشرة وولي فيها قضاء حلب كما سيأتي، وحج ثلاث مرات أولها في سنة ست عشرة واجتمع بالجمال ابن ظهيرة وسمع خطبته لكنه لم يسمع عليه ولا على غيره هناك شيئا للاشتغال بالمناسك وثانيهما في سنة ست وعشرين، وكان إماما علامة محققا متقنا بارعا في الفقه كثير الاستحضار له إماما في الحديث مشاركا في الأصول مشاركة جيدة وكذا في العربية وغيرها مستحضرًا للتاريخ لاسيما السيرة النبوية فيكاد يحفظ مؤلف ابن سيد الناس فيها؛ كل ذلك مع الإتقان والثقة وحسن المحاضرة وجودة المذاكرة والرياسة والحشمة والوجاهة والثروة مع صمم يسير، اشتهر ذكره وبعد صيته وصار مرجع الشافعية في قطره.

وقد كثر اعتناؤه بأخبار بلدة وتراجم أعيانها بحيث جمع لها تاريخا حافلا ذيل به على تاريخ الكمال بن العديم وأكثر

فيه الاستمداد من شيخنا وقد طالعه شيخنا من المسودة فى حلب ثم من نسخة كتبت للكمال بن البارزى وبين بهوامشها عدة استدراكات وكذا طالعته من هذه النسخة أيضا غير مرة ونبهت على مواضع أيضا مهمسة وهو نظيف اللسان والقلم فى التراجم لكن فاته مما هو على شرطه خلق وله غيره من التصانيف كالطيبة الرائحة فى تفسير الفاتحة انتزعه من تفسير البغوى بزيادات، وسيرة المؤيد، وشرح حديث أم زرع وهو حافل وكذا كتب على الأنوار للأردبيلى كتابة متقنة جامعة يحاكى فيها شرح المهذب للفوى وأشياء غيرها .

وولى قضاء بلده غير مرة أولها سنة ست عشرة وبعد ذلك سأله الظاهر ططر شفاها بحضرة الولى العراقى قاضى الشافعية إذ ذاك فى ولاية قضاء طرابلس فامتنع فألح عليه وكرره حتى قبل، وسافر من القاهرة إلى جهة طرابلس فوصلهافى يوم عرفة سنة أربع وعشرين وكان فيها فى السنة التى بعدها أيضا وحمدت سيرته فى البلدين وولى الخطابة بالجامع الكبير ببلده مع إمامته ودرس قديما وأفتى واستقر به يشبك المؤيدى نائب حلب فى تدريس مسجده الذى بناه بالقرب من الشادبختية بحلب بعد العشرين فدرس فيه بحضرته وبحضرة الفقهاء وعمل لهم الواقف سماطا مليحا، وحدث ببلده وبالقاهرة وغيرهما أخذ عنه الأئمة وكانت دروسه حافلة بحيث كان شيخه البرهان الحلبى يقول هى دروس اجتهاد لم أسمع شبهها إلا من شيخنا البلقينى وكان شيخنا العلاء القلقشندى يقول ما قدم علينا من الغرباء مثله ولم يزل يدرس ويفتى ويصنف حتى مات ببلده فى يوم الخميس منتصف ذى القعدة سنة ثلاث وأربعين بعد عوده من القاهرة بيسير، ومن أرخه بشوال فقد سها، ولم يخلف بعده بها فى الشافعية مثله وخلف مالا جما رحمه الله وإيانا. وقد ذكره شيخى فى معجمه وقال سمعت من فوائده وعلق عنى كثيرا من كتابى تعليق التعليق فى سنة ثمان وثمانمائة ولما دخلت حلب مع الأشرف أنزلنى فى منزله وحضر معى عدة مجالس الإملاء وحدثت أنا وهو بجزء حديثى فى قرية جبرين ظاهر حلب وله عناية كبيرة بأخبار بلده وتراجم علمائها كثير المذاكرة والاستحضار للسيرة النبوية ولكثير من الخلافيات انفرد برياسة المملكة الحلبية غير مدافع ؛ وذكره فى إنبائه (يقصد كتاب الحافظ ابن حجر «إنباء الغمر) باختصار جدا وأثبت غيره فى شيوخه الذين تفقه عليهم بالقاهرة ابن الملقن وهو غلط فلم يدخل القاهرة إلا بعد موته واجتماعه بالبلقينى إنما كان بحلب، وقال ابن قاضى شهبة : كان يحفظ مواضع كثيرة من العلوم فإذا جلس عنده أحد يذاكره بها فإن نقله إلى غيرها أظهر الصمم وعدم السماع وثقل عليه ذلك قال وقد عرض عليه قضاء الشام فى الدولة الأشرفية والأيام الظاهرية فلم يقبل الا على بلده والإقامة بها ونحوه قوله فيما تقدم أنه كان يستحضر كثيرا ؛ وقال المقريزى فى عقوده إنه صار رئيس حلب على الإطلاق قدم القاهرة غير مرة فظهر من فضائله وكثرة استحضاره وتفننه ما عظم به قدره قال ولم يخلف ببلاد الشام بعده مثله رحمه الله .

(الضوء اللامع لشمس الدين السخاوى م ٣ حـ ٥ / ٣٠٣ ـ ٣٠٧ انظر أيضا الأعلام للزركلى ٥ / ٨).

*** الخطير:**

الخطير فى اللغة ذو القدر. وقد أطلق هذا اللقب فى الدولة الفاطمية على أبى الحسين عمار بن محمد الذى خدم فى دولة الحاكم ثم الظاهر وتوفى سنة ٤١٢ هـ وقد لقبه ابن الصيرفى «بخطير الملك». وأطلق «الخطير» على الأمير أبى جعفر محمد بن وندرين باوند فى نص إنشاء بتاريخ شهر ربيع الآخر ٤١١ هـ على برج فى ردكسان، وكذلك على الألصفهسلار أبى منصور فى نص إنشاء من ح سنة ٤٧٨ هـ خاص بابنه الحاجب أبى جعفر محمد فى ضريح إمام دور .

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا/ ٢٧٥).

*** الخطيرى (ـ ٧٣٣ هـ):**

أيدمر الخطيرى الذى أنشأ المسجد المعروف باسمه .

وكان أيدمر الخطيرى مملوك شرف الدين أوحد بن الخطيرى الأمير مسعود بن خطير انتقل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون فرقاه حتى صار أحد أمراء الألوف، وكان منور الشيبة كريما، ... وكان لا يلبس قباء مطرزا ولا مصقولا، وكان يخرج الزكاة. مات رحمه الله تعالى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، ودفن بتربته خارج باب النصر.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ٢٢٥).

*** الخطيرى (مسجد ـ) (٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م) أثر ٣٤١:**

هو المسجد الذى بناه أيدمر الخطيرى المذكور فى المادة السابقة. وقد أدرج فى فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة

(ص ٧) تحت عنوان «مئذنه وبقايا مسجد الخطيرى».

قال عنه على باشا مبارك:

هو فى بولاق القاهرة. كان موضعه مغمورا بماء النيل ثم انحسر عنه الماء، وصار بعد سنة سبعمائة منتزها به زروع، ثم بنى دارا تشرف على النيل عرفت بدار الفاسقين لكثرة أنواع المحرمات فيها، ثم اشتراها الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى وبنى مكانها هذا الجامع وسماه «جامع التوبة» وتأنق فى عمارته ورخامه فجاء من أجلّ جوامع مصر، وعمل له منبرا من رخام فى غاية الحسن، وجعل به شبابيك تشرف على النيل وخزانة كتب جليلة ورتب به درسا للشافعية ووقف عليه أوقافا، وجملة ما أنفق فيه أربعمائة ألف درهم نقرة، وكمل فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وأقيمت فيه الجمعة حينئذ، ثم قوى البحر عليه وهدمه، فأعاده ورمى قدام زربيته ألف مركب مملوءة بالحجارة، ثم انهدم بعد موته وأعيدت زربيته.

ولم يزل هذا الجامع مجمعا يقصد للنزهة على النيل، ويرغب فى السكنى بجواره، ثم انحسر ماء النيل عما تجاهه سنة ست وثمانمائة وصار رملة، وتكاثر الرمل تحت شبابيك الجامع وقربت الشبابيك من الأرض، وهو الآن عامر إلا أنه اتضع حال ما يجاوره من السوق والدور انتهى باختصار من المقريزى.

وقد تخرب وبقى مدة، ثم فى عصرنا هذا عمر منه السيد محمد المعروف بالشيخ رمضان البولاقى المجذوب جانبا عظيما وأقام شعائره، كما عمر هناك عدة مساجد وأقام شعائرها، وهو رجل كان فى أول أمره مشتغلا بالعلم فى الأزهر ويعبد الله على مذهب الإمام الشافعى، ثم صار مؤدب أطفال ومع ذلك يفقههم فى دينهم، ثم حصل له عزلة عن الناس فلازم بيته مدة سنوات لا يخرج إلا للجمعة مع القيام بوظائف اليوم من الغسل وخلافه، ثم بعد ذلك لازم مسجد السلطان أبى العلاء مدة إلى أن غلب عليه الحال وصار له خوارق عادات وكرامات وشطح يخرج ظاهره عن الشرع، والناس يعتقدونه ويمتثلون أمره ويبذلون عليه أموالهم بسماح نفس، إلى أن توفى رحمه الله فى اليوم الثامن من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثمائة.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك - إعداد محمد مصطفى إبراهيم ٤ / ٢٢٥، ٢٢٦).

*** خف رسول الله ﷺ:**

جاء فى طبقات ابن سعد:

أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا دلهم بن صالح، حدثنى رجل عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، أن صاحب الحبشة أهدى إلى رسول الله ﷺ خفين سادجين (فى زهر الخمائل «ساذجين» بالذال المعجمة) فمسح عليهما. أخبرنا محمد ابن ربيعة الكلابى عن دلهم بن صالح، عن حجير بن عبد الله، عن ابن بريدة عن أبيه أن النجاشى أهدى إلى رسول الله، ﷺ خفين أسودين سادجين، فلبسهما ومسح عليهما (طبقات ابن سعد م ٩ جـ ١ / ١٦٩).

وأورد الحافظ السيوطى فى زهر الخمائل ما يلى:

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه (أخرجه أبو داود فى الطهارة برقم ١٥٥، وابن ماجه فى الطهارة وفى اللباس ٣٦٢٠).

«أن النجاشى أهدى النبى ﷺ خفين أسودين ساذجين...».

قال الشيخ العراقى فى شرح سنن أبى داود، كأن المراد بذلك أنه لم يخالط سوادهما لون آخر (جاء فى المعجم الوسيط: الساذج الخالص غير المشوب وغير المنقوش معرب فارسيته «ساذة»).

قال: وهذه اللفظة تستعمل فى العرف لهذا المعنى، ولم أجدها فى كتاب اللغة، ولا رأيت المصنفين فى غريب الحديث ذكروها (زهر الخمائل / ٧٢).

(طبقات ابن سعد. كتاب التحرير م ٩ جـ ١/ ١٦٩، وزهر الخمائل على الشمائل للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى ـ تحقيق مصطفى عاشور / ٧٢ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص).

*** الخفاء (علم.):**

وهو علم يتعرف منه كيفية إخفاء الشخص نفسه عن الحاضرين بحيث يراهم ولا يرونه ذكره أبو الخير من فروع علم السحر وقال: وله دعوات وعزائم إلا أن الغالب على ظنى أن ذلك لا يمكن الا بالولاية بطريق خرق العادة لا بمباشرة أسباب يترتب عليها ذلك عادة وكثيرا ما نسمع هذا لكن لم نر من فعله إلا أن خوارق العادات لاتنكر سيما من أولياء هذه الأمة انتهى. أقول كونه علما من جهة تفرعه على السحر لا من جهة الكرامة

فلا وجه لغلبة ظنه فى عدم إمكانه إذ هو بطريق السحر ممكن لا شبهة فيه بل بطريق الدعوة والعزائم أيضا كما يدعيه أهله وعدم الرؤية لا يدل على عدم الوقوع.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٧١٦).

* **الخُفَّاش:**

قبل أن يتكلم الشيخ الدميرى على الخفاش يسوق معلومات عن الخَفَش وما يشبهه منه أمراض العين، وأحكامها الفقهية من حيث دفع الديه وغير ذلك، فيقول:

الخفاش بضم الخاء وتشديد الفاء واحد الخفافيش التى تطير فى الليل وهو غريب الشكل والوصف والخفش صغر العين وضيق البصر. فائدة: الأخفش صغير العين ضعيف البصر وقيل هو عكس الأعشى وقيل هو من يبصر فى الغيم دون الصحو. وقال الجوهرى: هو نوعان والأعشى من يبصر نهارا لا ليلا والعمش ضعف الرؤية مع سيلان الدمع غالب الأوقات والعور معروف تتمة: فى كل عين نصف دية ولو عين أحول وأخفش وأعمش وأعور وأعشى وأجهر ونحوهم لأن المنفعة باقية فى أعين هؤلاء ومقدار المنفعة لا ينظر إليه كما لا ينظر إلى قوة البطش والمشى وضعفهما وكذا من بعينه بياض لا ينقص الضوء فإنه يكون كالثآليل فى اليد سواء كان على بياض الحدقة أو سوادها وكذا لو كان على الناظر إلا أنه رقيق لا يمنع الإبصار ولا ينقص الضوء هذا ما نص عليه الشافعى رضى الله تعالى عنه وجرى عليه الأئمة ولم يفرقوا بين حصول ذلك بآفة سماوية أو جناية فإن نقص فبقسطه إن أمكن ضبط ذلك النقصان بالصحيحة التى لا بياض بها وإن لم يمكن ضبط النقص الحاصل بالجناية فالواجب فيه الحكومة وفارق الأعمش ونحوه فإن البياض نقص الضوء الخلقى وعين الأعمش لا ينقص ضوؤها عما كان فى الأصول وهذا الفرق يفهمك أن العمش لو تولد من آفة أو جناية لا يجب فى العين كمال الدية فإن سلم قيد به ذلك الإطلاق السابق. فرع: ليس فى عين الأعور السليمة إلا نصف الدية عندنا قال ابن المنذر وروى عن عمر وعثمان رضى الله تعالى عنهما أن فيها الدية وبه قال عبد الملك بن مروان والزهرى وقتادة ومالك والليث والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه انتهى قال البطليوسى الخفاش له أربعة أسماء خفاش وخشاف وخطاف ووطواط وتسميته خفاشا يحتمل أن تكون مأخوذة من الخفش والأخفش فى اللغة نوعان ضعيف البصر خلقة، والثانى لعلة حدثت وهو الذى يبصر بالليل دون النهار وفى يوم الغيم دون يوم الصحو انتهى وذكر الجاحظ أن اسم الخفاش يقع على سائر طير الليل فكأنه راعى العموم وكون الوطواط هو الخفاش هو الذى ذكره ابن قتيبة وأبو حاتم فى كتاب الطير الكبير وما ذكره البطليوسى من أن الخفاش هو الخطاف فيه نظر والحق أنهما صنفان وهو الوطواط وقال قوم الخفاش الصغير والوطواط الكبير وهو لا يبصر فى ضوء القمر ولا فى ضوء النهار غير قوى البصر قليل شعاع العين كما قال الشاعر:

مثل النهار يزيد أبصار الورى
نورا ويعمى أعين الخفاش

ولما كان لايبصر نهارا التمس الوقت الذى لا يكون فيه ظلمة ولا ضوء وهو قريب غروب الشمس لأنه وقت هيجان البعوض فإن البعوض يخرج ذلك الوقت يطلب قوته وهو دماء الحيوان والخفاش يخرج طالبا للطعم فيقع طالب رزق على طالب رزق فسبحان الحكيم والخفاش ليس هو من الطير فى شىء فإنه دون أذنين وأسنان وخصيتين ومنقار ويحيض ويطهر ويضحك كما يضحك الإنسان ويبول كما تبول ذوات الأربع ويرضع ولده ولا ريش له قال بعض المفسرين لما كان الخفاش هو الذى خلقه عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بإذن الله تعالى كان مباينا لصنعة الخالق ولهذا سائر الطيور تقهره وتبغضه فما كان منها يأكل اللحم أكله ومالا يأكل اللحم قتله فلذلك لا يطير إلا ليلا وقيل لم يخلق عيسى غيره لانه أكمل الطير خلقا وهو أبلغ فى القدرة لأن له: ثدياو آذانا وأسنانا ويحيض كما تحيض المرأة قال وهب بن منبه كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الخالق وليعلم أن الكمال لله تعالى وقيل إنما طلبوا خلق الخفاش لأنه من أعجب الطير خلقة إذ هو لحم ودم يطير بغير ريش وهو شديد الطيران سريع التقلب يقتات البعوض والذباب وبعض الفواكه وهو مع ذلك موصوف بطول العمر فيقال إنه أطول عمرا من النسر ومن حمار الوحش وتلد أنثاه ما بين ثلاثة أفراخ وسبعة ... وليس فى الحيوان ما يحمل ولده غيره والقرد والإنسان ويحمله تحت جناحه وربما قبض عليه بفيه وذلك من حنوه وإشفاقه عليه وربما أرضعت

الانثى ولدها وهى طائرة وفى طبعه انه متى أصابه ورق الدلب خدر ولم يطر ويوصف بالحمق ومن ذلك أنه إذا قيل له اطرق كرى ألصق بالأرض (الحكم): حرم أكله لما رواه أبو الحويرث مرسلا أن النبى ﷺ نهى عن قتله وقيل إنه لما خرب بيت المقدس قال رب سلطني على البحر حتى أغرقهم وسئل عنه الإمام أحمد فقال ومن يأكله؟! وقال النخعى كل الطير حلال إلا الخفاش قال الرويانى وقد حكينا فى الحج خلاف هذا فيحتمل قولين وعبارة الشرح والروضة يحرم الخفاش قطعا وقد يجرى فيه الخلاف مع أنهما قد جزما فى كتاب الحج بوجوب الجزاء فيه إذا قتله المحرم وأن الواجب فيه القيمة مع تصريحهما بأن ما لا يؤكل لا يفدى على أن الرافعى مسبوق بذلك فأول من ذكره صاحب التقريب وأشعر كلامه بأن الشافعى رضى الله تعالى عنه ذكره وذكر المحاملى أن اليربوع لا يحل أكله ويجب فيه الجزاء فى أصح القولين وهو غريب ولم يزل الناس يستشكلون ما وقع فى الرافعى من ذلك وليس بمشكل فهو يتبين بمراجعة كلام الرويانى .

فرع: قال فى الأم الوطواط فوق العصفور ودون الهدهد وفيه إن كان مأكولا قيمته وذكر عن عطاء أنه قال فيه ثلاثة دراهم انتهى فاتضح أن المسألة منصوصة للشافعى رضى الله تعالى عنه وأنه علق وجوب الجزاء على القول بحل أكله ثم تتبعت كلام عطاء المذكور فوجدت الأزهرى قد نقل عنه أنه يجب فيه إذا قتله المحرم ثلثا درهم قال أبو عبيد قال الأصمعى الوطواط هو الخفاش وقال أبو عبيدة الأشبه عندى أنه الخطاف قلت وأيا كان فهو غير مأكول .

(حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١ / ٢٦٨ - ٢٧٠). انظر أيضا عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٢٧٤، ٢٧٥، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٤٢).

*** ابن الخفاف (- ٤١٨ هـ - ١٠٢٧م):**

أدرجه كوركيس عواد من بين أصحاب خزائن الكتب القديمة فى العراق وقال عنه :

واسم هذا الرجل محمد بن الحسن بن إبراهيم بن محمد، أبو بكر الوراق المعروف بابن الخفاف، المتوفى سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧م) وكان من رجال الحديث ببغداد. وقد طعن به الخطيب البغدادى بقوله: «وكان غير ثقة، لا أشك أنه كان يركب الأحاديث ويضعها على من يرويها، ويختلق أسماء وأنسابا عجيبة لقوم حدث عنهم، وعندى عنه من تلك الأباطيل أشياء. وكنت عرضت بعضها على هبة الله بن الحسن الطبرى فخرق كتابى بها، وجعل يعجب منى كيف أسمع منه» (تاريخ بغداد للخطيب ٢/ ٢٥٠).

وقد نبه الخطيب إلى خزانة الكتب التى كان يحرزها هذا المحدث المخلط، بقوله: «وقال لى ابن الخفاف: احترق مرة سوق باب الطاق، فاحترق من كتبى ألف وثمانون منًّا كلها سماعى». (باب الطاق: محلة كبيرة كانت بالجانب الشرقى من بغداد تعرف بطاق أسماء).

ولم يتعين عندنا ما أراده بهذا القدر من أمنان الكتب .

(خزائن الكتب القديمة فى العراق - كوركيس عواد / ٢٣٢).

*** خُفاف بن إيماء بن رَحَضة:**

خفاف بن إيماء بن رَحَضَة الغفارى :

يقال إن لأبيه وجده صحبة أيضا، وكان من سادات خزاعة. ولما سمع أبو سفيان بإسلامه قال: لقد صبا اليوم سيد بنى كنانة. وكان ممن شهد بدرا وبيعة الرضوان. انفرد ملسم بالرواية عنه فخرج عنه حديثا واحدا فى الصلاة، ولم يرو من أهل السنن والمسندات أحد غير مسلم، عنه ابن الحارث، وحنظلة بن على بن الأسقع. توفى زمن عمر رضى الله عنه .

(الرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى - أشرف على ضبطه وتصحيحه عمر الديراوى أبو حجلة / ٦٧).

*** خُفاف بن نُدبة:**

خُفاف بن نُدبة رضى الله عنه .

هو منسوب إلى أمه، وكانت سوداء. و «خُفاف» أحد أغربة العرب، لسواده. وأبوه: عمير بن الحارث بن الشريد السلمى، وكان شاعرا .

وشهد مع النبى - ﷺ - فتح مكة، ومعه لواء «بنى سليم»، وبقى إلى زمان «عمر».

(المعارف لابن قتيبة - حققه وقدم له د. ثروت عكاشة / ٣٢٥).

*** الخفافين (جامع ـ):**

يقع هذا الجامع فى بغداد الشرقية بالقرب من المدرسة المستنصرية إلى الجنوب منها، ويطل مثلها على نهر دجلة سمى أحيانا بجامع الصاغة، ويظهر أن دعوته بهذا الاسم، متأخرة ومشتقة من نوع الأعمال التى تمارس الآن فى حوانيت الأسواق المحيطة به. وجامع الخفافين هو مسجد الحظائر الذى أمرت ببنائه السيدة زمرد خاتون، أم الخليفة العباسى المستنصر بالله وزوجة الخليفة المشهور الناصر لدين الله والمتوفاة عام ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٣ م. وعرف بهذا الاسم نسبة إلى محلة الحظائر التى يقع فيها والتى كانت تقع فيها أيضا المدرسة النظامية، مما أدى إلى الاعتقاد بأن مئذنته هى مئذنة هذه المدرسة. وقد عرف عن السيدة زمرد خاتون حبها لأعمال الخير فقد أمرت ببناء أكثر من عمارة دينية خصوصا فى مدينة بغداد.

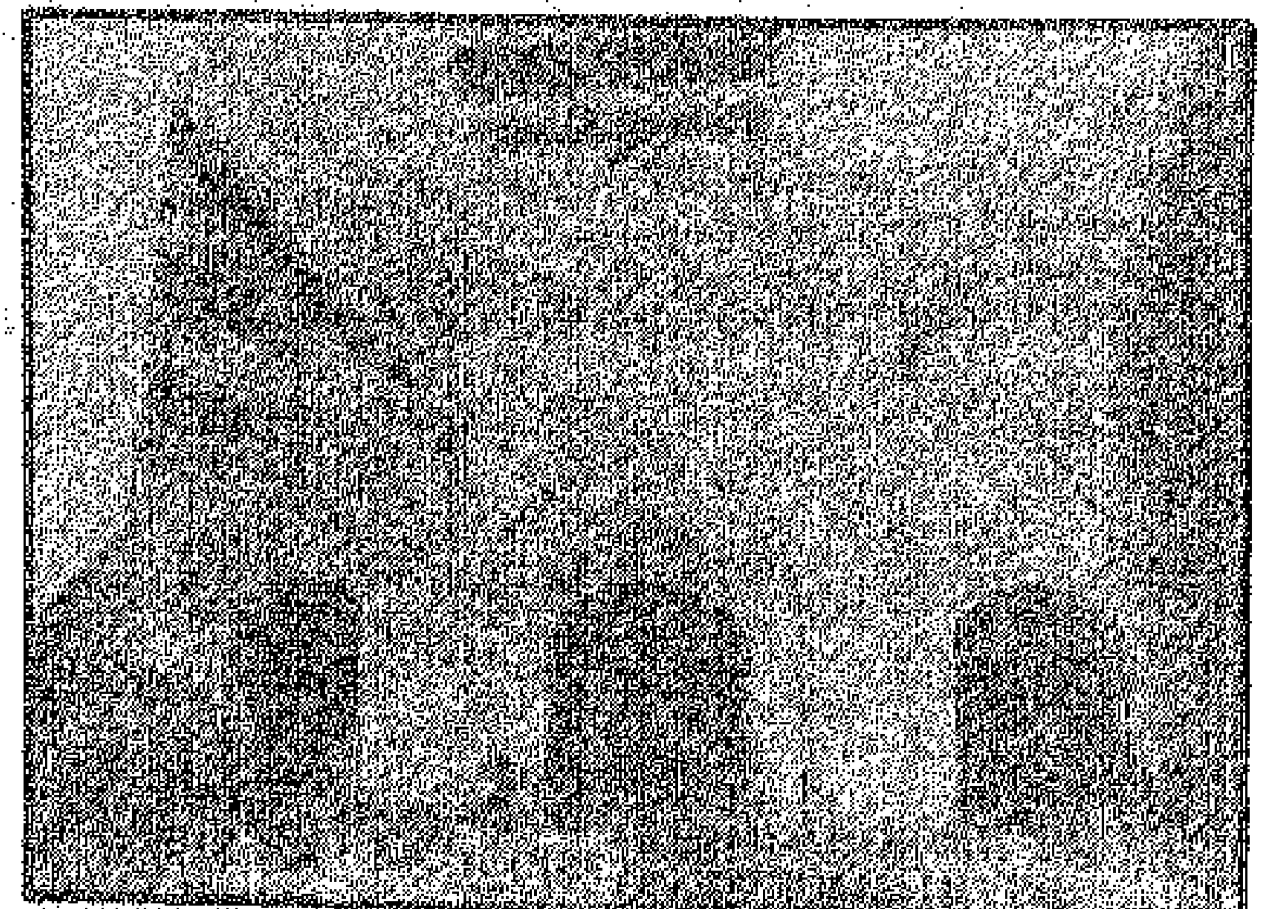
تعرض هذا المسجد لأعمال التجديد والعمران، مثل بقية المساجد فقد جدد فى العهد الإيلخانى ولكن سعة هذا التجديد غير معروفة، وهناك كتابة تذكارية منقوشة فى لوحة مرمرية مثبتة فى إحدى الغرف المضافة، تذكر أن المسجد قد جدد عام ٩٩٩ هـ/ ١٥٩١ م. ويستدل من التركيب العمارى لبيت الصلاة وواجهة المدخل من الخارج أن هذا التجديد قد شمل إعادة بناء المصلى وأجزاء واسعة من المسجد عدا المئذنة التى لم تهدم أو يعد بناؤها فى وقت لاحق وأنها أصلية وهى أقدم ما تبقى من جامع الحظائر، وبهذا تكون أقدم مآذن بغداد الباقية من العصر العباسى. فهى مهمة جدا ولها مكانة خاصة بين مآذن العراق الأثرية ويستدل من تخطيط بيت الصلاة الحالى أن إعادة البناء لم تغير تخطيطه وشكله وأنه يكشف عن النمط الذى ساد فى القطر خلال النصف الثانى من القرن السادس الهجرى فهو على نمط بيت صلاة جامع النورى فى الموصل.

وجامع الخفافين مستطيل الشكل يشغل مساحة من الأرض أبعادها ٣٨ × ٥, ٣٣ مترا. ويتألف من بيت للصلاة وصحن وعدد من غرف دفن فيها أفراد من مشاهير الأمة. ومئذنته تلاصق جدار بيت الصلاة الشمالى الغربى. وتخطيط بيت الصلاة فيه لا يختلف كثيرا عن تخطيط بيت الصلاة فى جامع النورى، فهو مستطيل الشكل ويتألف من مصلى شتوى وصيفى ويشغل المصلى الشتوى ثلثى المساحة تقريبا حيث يبلغ طول جداره من الشمال إلى الجنوب ١٦ مترا ومن الشرق إلى الغرب ٥, ١٢ مترا من الداخل. ويتكون المصلى الشتوى من أسكوبين بثلاثة بلاطات وأسكوب المحراب فيه أعرض قليلا من الأسكوب الثانى. أما المصلى الصيفى فيتكون من أسكوب أو رواق واحد ينفتح على الصحن بأربع بوائك.

شيد جامع الخفافين بالطابوق والجص وبناؤه قوى ومتين، جدرانه سميكة، ولا يزيد ارتفاع سقف المصلى عن ستة أمتار. وترفع على سقف المصلى عقود مدببة منفرجة متقاطعة تجلس أطرافها على أربع دعامات مستطيلة ضخمة سقف المصلى مقبب تغطيه ست قباب صغيرة مفلطحة نسبيا وكسيت جدران بيت الصلاة من الداخل والخارج بالجص، يتوسط المحراب جدار القبلة فيه وحنيته مضلعة ذات خمسة وجوه، وعقده مدبب، ويغور المحراب فى جدار القبلة بعمق ٧٥ سنتيمترا. ويقوم المنبر إلى يمين المحراب والدخول إلى المصلى يكون عن طريق باب يتوسط الجدار الشرقى فيه ويقع



المصلى الصيفى لجامع الخفافين.

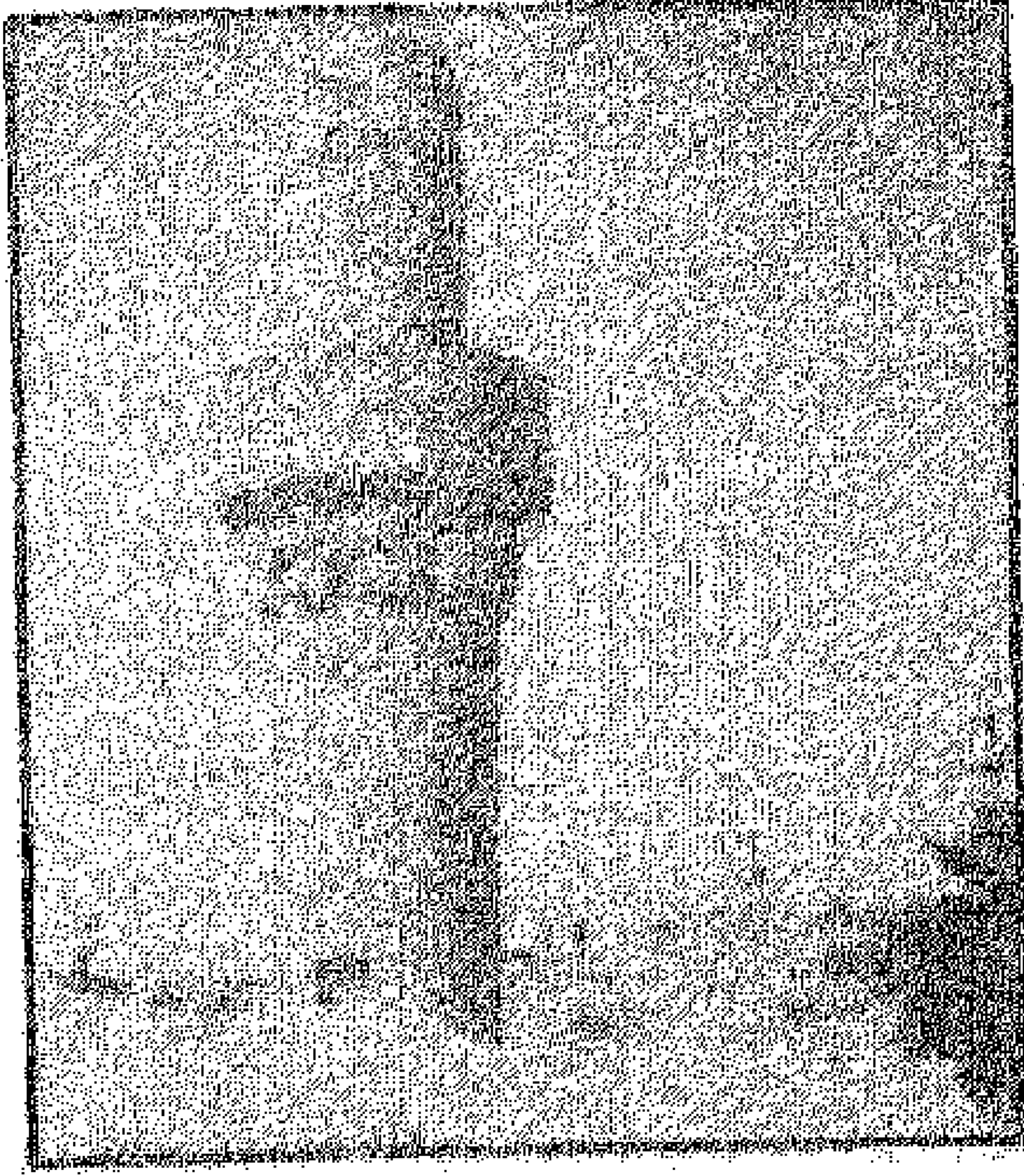


مدخل جامع الخفافين.

على الخط المحورى للمحراب أما المصلى الصيفى فيتألف من رواق واحد يطل على الصحن بأربع بوائك ذوات عقود مدببة منفوخة تستند أطرافها على أعمدة رشيقة .

ويشغل المصلى الجزء الجنوبى الغربى من المسجد مثل معظم مساجد العراق حيث يكون اتجاه القبلة . ويقع مدخل الجامع فى الضلع الشرقية من الصحن . وتكشف تشكيلته المعمارية عن تاريخ تجديد المسجد وهذا الجزء منه . ويمكن الوصول إلى المسجد من سوق الخفافين وقد استخدمت الفسحة التى تتقدمه بعد تسقيفها كمقهى . وواجهة المدخل جميلة وقد بذلت جهود فنية غير قليلة لإظهارها بالمظهر اللائق . وتتألف من مدخل يتوسط نافذتين يفصله عنهما عمودان مفتولان مندمجان يقسمان الواجهة إلى ثلاثة مستطيلات يكون مستطيل المدخل أوسعها والمدخل مؤطر بعقد مفتول مدبب منفرج مندمج أيضا وينتهى بقواعد جميلة تشبه قواعد العمودين المجاورين . وتشغل حنية هذا العقد كتابات جميلة تعلوها مقرنصات بارزة . ويحيط بعقد المدخل شريط مستطيل مشغول بكتابة تذكارية تذكر تاريخ إعادة البناء وهو ٩٩٩ هـ/ ١٥٩١ م المثبت فى مكان آخر من الجامع . وعقدا النافذتين مدببان منفرجان أيضا ، وشغلت حنية كل منهمابتشكيلة معقدة من مقرنصات مركبة ، وشغلت أكتاف العقود والفراغات فى هذه الواجهة بتشكيلات من الزخارف الأجرية الجميلة المتقنة والمزججة . وجعلت زخارف القسم العلوى من جدار الواجهة بارزة قليلا وهى ناتجة من التفنن فى صف الطابوق . وفى هذه الواجهة نشاهد استمرارية التشكيلات التى سادت فى القرن السادس الهجرى وتداخلها مع الأشكال المتطورة من المقرنصات والتشكيلات الهندسية المستوية الوجوه والكتابات فى اتزان وتوافق . والتكوين المعمارى والزخرفى لمدخل هذا الجامع يشير إلى استمرارية تشكيل واجهات عدد من مداخل الأبنية العراقية من القرون السابقة خصوصا القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين .

ومئذنة جامع الخفافين أسطوانية البدن مسدسة القاعدة التى ترتفع كثيرا عن مستوى سطح الأرض ، ويتقارب قطر بدنها مع قطر قاعدتها . ويخترقها مثل معظم مآذن العراق ، سلم حلزونى يبدأ عند قاعدتها وينفتح بباب إلى سطح



مأذنة جامع الخفافين .

المسجد ثم يستمر إلى الحوض ، البدن غليظ نسبيا وقصير أيضا يبلغ ارتفاعه تسعة أمتار إلى قاعدة الحوض حيث تبدأ الرقبة وهى أسطوانية أيضا ولكنها رشيقة إذا ما قورنت مع البدن . وترتفع الرقبة ٣,٥ أمتار . وتنتهى برأس مقبب بصلى الشكل مغطى تماما بزخارف معمولة من التفنن فى صف الطابوق المزجج . ولا تقتصر أهمية مئذنة جامع الخفافين على كونها أقدم مآذن بغداد فحسب بل إنها كاملة وذات حوض كامل أيضا وإنها ذات طابع مميز من حيث الارتفاع وضخامة البدن وقصر القاعدة ووجود صفوف من المقرنصات تسند قاعدة الحوض بالإضافة إلى استخدام الطابوق المزجج فى رسم تشكيلاتها الزخرفية ، وهذه السمات المميزة نجدها فى عدد من مآذن بغداد المعاصرة أو القريبة تاريخيا منها . ويحتمل جدا أن طبيعة أرض بغداد الرسوبية لها أثرها الفعال فى جعل مآذن المدينة قصيرة نسبيا وغليظة الأبدان .

ويستدل من الأشكال الزخرفية التى تزين حوض المئذنة والقسم العلوى من رقبتها ورأسها أن البدن والرقبة قد تساقطت زخارفها وتم إكساؤها بعد ذلك بطابوق لم يتفنن فى صنعه . وقبل أن نذكر زخارف هذه المئذنة يجدر بنا أولا أن نشير إلى أهم عنصر معمارى فيها ألا وهو المقرنصات التى يستند عليها الحوض . والمقرنصات ابتكار عربى صرف ، أبدعها

المعمار لإسناد القواعد او النتوآت التى تبرز عن جسم أسطوانى . وإذا ما أخذنا مئذنة سنجار بنظر الاعتبار فإن الحنايا ذات الرؤوس البارزة التى تدور حول قمة قاعدتها هى الأمثلة العملية الأولى لهذا الابتكار. وقد تطور تركيب المقرنصات ونجدها فى مئذنة جامع الخفافين تتكون من ثلاثة صفوف متتالية حيث يزداد بروز رؤوس حنايا المقرنصات فى الصف الثانى على بروز رؤوس حنايا الصف الأول وهكذا يزداد بروزها فى الصف الثالث لتسند قاعدة حوض عريضة نسبيًا .

ومقرنصات الصف الأول من الأسفل بسيطة تشبه مقرنصات مئذنة سنجار. فهى عبارة عن حنايا ذات عقود مدببة تبرز رؤوسها إلى الإمام . أما حنايا مقرنصات الصف الثانى فتتكون من نوعين زوجى وفردى تستند محاور الحنايا الزوجية على رؤوس اثنتين من حنايا مقرنصات الصف الأول المتجاورين . وتتبادل المقرنصات المزدوجة مع مقرنصة حنيتها منخفضة نسبيًا وتستند أطراف عقدها على رأسىْ الحنيتين فى الصف الأول. أما الصف الثالث من المقرنصات فتشبه مقرنصات الصف الأول .

وتتصف مئذنة جامع الخفافين أيضا بالتشكيلات الزخرفية التى تزين الحوض والرأس . وزخارف الحوض ناتجة من التفنين فى صف قطع مربعة صغيرة من طابوق مزجج بلونين . والتشكيلة عبارة عن معينات متقاطعة قريبة الشبه بتلك التى تزين بدن المئذنة المظفرية فى أربيل ولكن الوحدات الزخرفية هنا غير بارزة بل بمستوى وجه جدار الحوض . أما الرقبة فمتوجة بشريط من تشكيلات زخرفية تختلف فى تركيبها عن أشكال زخارف الحوض . وتم تغطية الرأس تماما بطابوق أو قطع من طابوق مزجج بلونين أزرق داكن وأزرق شذرى، مقصوصة بأشكال معينة نتجت عن التفنن فى صفة أشكال هندسية نجمية ومعينية متداخلة ، وحوافها مؤشرة بطابوق أزرق داكن ، وبطونها مشغولة بطابوق أزرق شذرى . وجعلت زخارف الرأس بمستوى واحد مثل زخارف الحوض والرقبة .

(العمارات العربية الإسلامية فى العراق - د. عيسى سليمان وزميلاته ١ / ١٩١ - ١٩٨ . انظر ايضا القباب المخروطية فى العراق - عطا الحديثى وهناء عبد الخالق / ٢٩).

* الخفقان:

قال التهانوى :

الخفقان بفتح الخاء والفاء هو حركة اختلاجية تعرض للقلب بسبب ما يؤذيه قال الرقشى ولا نعنى بالاختلاجية ههنا ما هو المفهوم من لفظ الاختلاج وهو حركة تعرض للقلب بسبب ما يحتبس فيهما من الريح إلى أن يحدث لذلك الريح مسلك يخرج منه بل يزيد بها حركة ارتعادية كالحركة التى تعرض للأعضاء عند النافض وكما أن تلك الحركة تحدث بسيلان المادية الردية العفنة على الأعضاء وترتعد لدفعها كذلك حركة الخفقان تعرض لوصول مؤذٍ إلى القلب فيرتعد لدفعه ارتعادا متتابعا ، كذا فى بحر الجواهر (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٤٤٦).

وقد أدرجه داود بن عمر الأنطاكى ضمن أمراض آلات النفس وقال عنه .

الخفقان دوام حركة القلب فوق ما يجب لانحصاره بما وصل به وأسبابه : طول مرض سقطت معه القوى أو سوء تدبير فيما يؤكل أو يشرب أو كثرة خروج دم وهذه معلومة ، وقد يكون لخلط فاسد فإن كان مع سوء فكر وتخيل فسوداء أو طيش وحركة فصفراء أو ثقل وامتلاء فرطوبة من دم إن كان علاماته وإلا فبلغم وقد يكون الخفقان لامتلاء المعدة وعلاماته معروفة .

العلاج : يفصد الباسليق من الأيسر فى الحار ثم يعطى المنعشات مثل ماء الفواكه والقثاء والخيار وهذا الدواء مجرب فى الخفقان الحار. وصنعته : كسفرة صندل ورد منزوع بزهر هندبا من كل جزء وطين مختوم طباشير بهمن أبيض مرجان من كل نصف لؤلؤ كهربا مصطكى من كل تنخل وتحل بالسكر بماء الورد ويأخذ قوامه ويعجن به ويرفع الشربة درهم ويعالج البارد بشرب الأفتيمون باللبن أياما ثم أخذ الترياق الكبير، ومن المجرب فيه إن كان بلغميًا الزنجبيل المربى بماء التفاح واللؤلؤ المحلول إن كان سوداويا ومن مجرباتنا لمطلق الخفقان حيث كان ترياق الذهب واللؤلؤ المحلول مع سحالة العود والذهب ، ومن المفرحات الجارية مجرى الخواص المجربة أن تحل اللؤلؤ وتفرغ فيه ذائب الذهب والفضة وأسحق الكل مع ثلاثة أمثالها عودا وعشرها عنبرًا وحل

البـلدزهر فى مـاء لسان الثـور والورد والخـلاف واسقه شـراب الفواكه واعجن به الأدوية ثلاثـة قراريط منها تقوم مقام الخمر وتمنع الخفقان والغشى والجنون والإسقـاط مجربة ومتى أفرط الخفقان والغشى أورثا القلب انضغاطًـا وضيقًا وإحساسًا بغم وانجذاب وعصر وكل ذلك من انصباب مـا ساء مزاجه فينقى أولا ثم تؤخـذ المفرحات. وما كـان عن امتلاء المعدة فـلا بد من تنظيفها، والحادث بعـد النزف والمرض فعلاجه بـالتقوية بنحو ماء اللحم والسكر، ومن أراد حفظ القلب والصحة فيلزم استعمال الطين المختوم وحب الآس والطباشير والورد والتفاح والرمـان المر وحماض الأترج واللـؤلؤ والكهربـا فى الأوقات الصيفيـة وغلى العـود والقرنفـل والهـال والـزرنب واليـاقـوت والمـرجان والـزعفـران والحريـر فى الشتويـة مفـردة أو مركبـة بحسب الحـاجـة ودواء المسك من الذخـائر وكـذلك الملك والسوطيرا.

(كشاف اصطـلاحات الفنون للتهـانوى ١ / ٤٤٦، والنزهـة المبهجة لداود بن عمر الأنطاكى، المطبوع بذيل تذكرة أولى الألباب للمؤلف نفسه ٢ / ٥١ـ٥٤).

*** الخفى:**

قال الجرجانى فى تعريفاته:

الخفى: هو ما خفى المراد منه بعارض فى غير الصيغة لا ينال إلا بالطلب كآية السرقة فـإنها ظاهرة فيمن أخذ مال الغير من الحـرز على سبيل الاستتار خفيـة بالنسبـة إلى من اختص بـاسم آخر يعـرف بـه كالطـرار والنبـاش، وذلك لأن فعل كل منهما وإن كـان يشبه فعل السارق، لكن اختـلاف الاسم يدل على اختلاف المسمى ظـاهرا فاشتبه الأمر فـى أنهما داخلان تحت لفظ السـارق حتى يقطعا كـالسارق أم لا، والخفـاء فى اصطلاح أهل الله هو لطيفـة ربانية مودعة فى الروح بـالقوة فلا يحصل بالفعل إلا بعد غلبات الواردات الربانية ليكون واسطة بين الحضرة والروح فى قبـول تجلى صفات الربوبيـة وإفاضة الفيض الإلهى على الروح.

(التعـريفات للشـريف الجرجـانى ـ تحقيق وتعليق د. عبد الـرحمن عميرة/ ١٣٤).

*** خفى علائى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فـى الطب قال عنه حاجى خليفة:

خفى عـلائى ـــ فى الطب فـارسى مجلـد لـزين الـدين إسمـاعيل بن حسين الجـرجانى المتـوفى سنـة ٥٣٠ ثـلاثين وخمسـمائة ألفه لعـلاء الـدين أيل أرسلان محمـد (كشـف ١ / ٧١٦).

يوجد مخطوطه بين مخطوطات الطب فى مكتبة المتحف العراقى وجـاء بيانـه كما يلى، وفيـه وفاة المـؤلف سنـة ٥٣١ هـ:

الرقم ١٢١

لـزين الديـن إسماعيل بن الحسين بـن محمد بن أحمـد الحسينى الجرجانى المتوفى سنة ٥٣١ / ١١٣٧ م.

وهو منتخب من الـذخيرة الخوارزمشاهيـه لنفس المؤلف باللغة الفارسية ولعلـه نفس كتاب الأغراض الطبية والمباحث العـلائية الـذى انتخبـه المـؤلف مـن كتابـه الذخيـرة الخـوارزمشاهيه.

جعلـه المـؤلف فى كتـابين. الكتـاب الأول فى الأمـراض ويقع فى مقالتيـن تتضمن المقالـة الأولى ١٦ بـابـا والمقالـة الثانية سبعة أبواب.

أمـا الكتـاب الثـانى فيبحـث فى العـلاجـات والأدويـة ويتضمن سبع مقالات وكل مقالة على أبواب.

نسخه جيدة كتبت بخط النستعليق على يـد محمد سعيد ابن زين العابدين سنة ١٠٤١ هـ/ ١٦٣١ م.

القياس ٢٣٠ ص ٣٠ × ١٣ سم ١٤ س

معجم المـــؤلفين ٢ / ٢٦٤، الـــذريعـــة ١٠/ ١١٠) (مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة/ ٩٩).

(كشف الظنـون لحـاجى خليفـة ١ / ٧١٦ ومخطـوطـات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ٩٩).

*** الخفى من المراسيل:**

من علوم الحديث معرفة الخفى من المراسيل.

وخفى الإرسـال: الانقطاع فى أى مـوضع كان من السنـد بين راويين متعاصرين لم يلتقيا، وكذا لو التقيا ولم يقع بينهما سماع فهـو انقطاع مخصوص يندرج فى تعـريف من لم يتقيد

فى المـرسل بسقط خـاص. أفـاده السخـاوى (معجم مصطلحات توثيق الحديث / ٣٣).

والخفى من المراسيل يعم المنقطع والمعضل أيضا وقد صنف الخطيب البغدادى فى ذلك كتابه المسمى بـ «التفصيل المبهم المراسيل». (معجم مصطلحات توثيق الحديث / ٣٣، ٣٤).

قال ابن كثير:

وهذا النوع إنما يدركه نقاد الحديث وجها بـذتُه قـديمًا وحديثا، وقد كان شيخنا الحافظ المزى إمامًا فى ذلك، وعجبًا من العجب. فرحمه الله وبل بالمغفرة ثراه. فإن الإسناد إذا عرض على كثير من العلماء، ممن يدرك ثقات الرجال وضعفاءهم، قد يغتر بظاهره، ويرى رجاله ثقات، فيحكم بصحته، ولا يهتدى لما فيه من الانقطاع، أو الإعضال، أو الإرسال، لأنه لا يميز الصحابى من التابعى والله الملهم للصواب.

ومثَّل هذا النوع ابن الصلاح بما روى العوام بن حوشب عن عبد الله بن أبى أوفى قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قال بلال: قد قامت الصلاة: نهض وكبر»، قال الإمام أحمد: لم يلق العوام ابن أبى أوفى (أى أن العوام لم يلق عبد الله بن أبى أوفى فكان السند منقطعا) يعنى فيكون منقطعا بينهما، فيضعف الحديث لاحتمال أنه رواه من رجل ضعيف عنه. والله أعلم.

وفيما يلى شرح العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر. قال رحمه الله:

قد يجيء الحديث الواحد بإسناد واحد من طريقين، ولكن فى أحدهما زيادة واو، وهذا يشتبه على كثير من أهل الحديث، ولا يدركه إلا النقاد. فتارة تكون الزيادة راجحة، بكثرة الراوين لها. أو بضبطهم وإتقانهم. وتارة يحكم بأن راوى الزيادة وهم فيها، تبعا للترجيح والنقد.

فإذا رجحت الزيادة كان النقص من نوع «الإرسال الخفى» وإذا رجح النقص كان الزائد من «المزيد فى متصل الأسانيد».

مثال الأول: حديث عبد الرزاق عن الثورى عن أبى إسحق عن زيد بن يثيع ـ بضم الياء التحتية المثناة وفتح الثاء المثلثة وإسكان الياء التحتية المثناء، وآخره عين مهملة ـ عن حذيفة مرفوعا: «إن وليتموها أبا بكر فقوى أمين» فهو منقطع فى موضعين: لأنه روى عن عبد الرزاق قال: حدثنى النعمان ابن أبى شيبة عن الثورى، وروى أيضا عن الثورى عن شريك عن أبى إسحاق.

ومثال الثانى: حديث ابن المبارك قال: حدثنا سفيان بن عبد الرحمن بن يزيد حدثنى بسر بن عبد الله قال: سمعت أبا إدريس الخولانى قال: سمعت واثلة يقول: سمعت أبا مرثد يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها».

«فزيادة سفيان» و«أبى إدريس» وهم. فالوهم فى زيادة «سفيان» من الراوى عن ابن المبارك فقد رواه ثقات عن ابن المبارك عن عبد الرحمن بن زيد بغير واسطة، مع تصريح بعضهم بالسماع. والوهم فى زيادة «أبى إدريس» من ابن المبارك، فقد رواه ثقات عن عبد الرحمن بن زيد عن بسر بغير واسطة، مع تصريح بعضهم بالسماع.

ويعرف الإرسال الخفى أيضا بعدم لقاء الراوى لشيخه، وإن عاصره. أو بعدم سماعه منه أصلا، أو بعدم سماعه الخبر الذى رواه. وإن كان سمع منه غيره. وإنما يحكم بهذا، إما بالقرائن القوية. وإما بإخبار الشخص عن نفسه وإما بمعرفة الأئمة الكبار والنص منهم على ذلك.

وقد يجيء الحديث من طريقين، فى أحدهما زيادة راوٍ فى الإسناد لا توجد قرينة ولا نص على ترجيح أحدهما على الآخر. فيحمل هذا على أن الراوى سمعه من شيخه، وسمعه من شيخ شيخه، فرواه مرة هكذا، ومرة هكذا (الباعث الحثيث / ١٧٧، ١٧٨).

(معجم مصطلحات توثيق الحديث ـ د. على زوين / ٣٣، ٣٤، والباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير ـ أحمد محمد شاكر / ١٧٧، ١٧٨ وهامش ١).

*** الخفيف:**

أحد بحور الشعر قال عنه الدكتور أمين على السيد:

قال الخليل: سمى هذا البحر خفيفاً لأنه أخف السباعيات ـ أى لتوالى لفظ ثلاثة أسباب خفيفة فيه، لأن أول وثانى الوتد المفروق فيه لفظ سبب خفيف عقب سببين خفيفين، والأسباب أخف من الأوتاد.

وأجزاؤه:

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

وأعاريضه ثلاث وأضربه خمسة.

ويستعمل تاما ومجزوءا.

(١) فإذا كان تاما كان له عروضان وثلاثة أضرب.

العروض الأولى صحيحة (فاعلاتن) ولها ضربان:

الضرب الأول: صحيح مثلها (فاعلاتن) وشاهده قول الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميت

إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيبا

كاسفا باله قليل الرجاء

تقطيع البيت الأول:

ليس من ما ت فسترا ح بميتن

إننلمي ت ميتل أحيا ءى

فاعلاتن متفعلن فعلاتن

فاعلاتن متفعلن فالا تن

تقطيع البيت الثانى:

إننلمي ت من يعي شكئيبن

كاسفن با لهوقلي لررجاءى

فاعلاتن متفعلن فعلاتن

فاعلاتن متفعلن فاعلاتن

وهذا الضرب الصحيح يلحقه التشعيث وبه تصير (فاعلاتن) إلى (فالاتن) كما ترى فى التفعيلة الأخيرة من البيت الأول وهو تغيير لا يلزم بدليل أنها جاءت فى البيت الذى يليه على وزن (فاعلاتن).

والعروضيون يحولون (فالاتن) إلى (مفعولن) ولكن ينبغى مخالفتهم فى ذلك حتى يبقى للتفعيلة شكلها ويميز الدارس بينها وبين أصلها فى يسر وسهولة.

ولهم فى نقل (فالاتن) إلى (مفعولن) أربعة مذاهب:

الأول: أن يخبن بحذف الألف، ويضمر بإسكان المتحرك بعد الألف فيصير (فعلاتن) وينقل إلى (مفعولن).

الثانى: أن تحذف العين فيصير (فالاتن) وينقل إلى (مفعولن).

الثالث: أن تحذف اللام وتفتح العين لمناسبة الألف فيصير (فاعاتن) وينقل إلى (مفعولن).

الرابع: أن تحذف الألف التى بعد اللام ثم تسكن اللام فيصير (فاعلتن) وينقل إلى (مفعولن).

ثم يقول الدمنهورى: وأولى هذه المذاهب الثانى لأنه أخفها عملاً.

وأنا أضيف إلى ذلك ما قدمت من تفضيل بقائها على (فالاتن) لأنه أخف من التحويل، إذا كانت الخلة مطلبًا للمؤلفين فى هذا العلم.

الضرب الثانى: محذوفٌ تصير فيه (فاعلاتن) إلى (فاعلا) وتحول إلى (فاعلن) وشاهده:

إن أمت ميتة المحبين وجدا

وفؤادى من الهوى حرق

فالمنايا من بين سار وغاد

كل حى فى حبلها علق

تقطيع البيت الثانى:

فلمنايا من بين سا رن وغادى

كلل حيين فى حبلها علقو

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

فاعلاتن مستفعلن فعلن

العروض الثانية: محذوفة (فاعلن) ولها ضرب واحد مثلها وشاهده قول صفى الدين الحلى:

زارنى والصباح قد سفرا

وظليم الظلام قد نفرا

وجيــــوش النجــــوم جــــافلـــــة
ولـــــواء الشعـــــاع قـــــد نشـــــرا

تقطع البيت الأول:

زارنى وص صبـــــاح قـــــد سفــــرا
وظليم ظ ظـــــلام قـــــد نفـــــرا
فـــــاعـــــلاتـــن متفعلـــن فعلـــن
فعـــــلاتـــن متفعلـــن فعلـــن

(ب) وإذا كـان مجـزوءا (بأربع تفعيـلات فى كل شطـر ثنتان) كـانت له عـروض واحدة صحيحـة (مستفع لن) ولهذه العروض ضربان:

الضرب الأول: صحيح مثلها وشاهده قول الشاعر:

ليت شعـــــرى مـــــاذا تـــــرى
أمـــم عمـــــرو فى أمـــــرنـــــا

تقطيعـه:

ليت شعـــــرى مـــــاذا تـــــرى
أمـــم عمـــــرن فى أمـــــرنـــــا
فـــاعـــلاتن مستفع لـــــن
فـــــاعـــــلاتـــن مستفعلـــن

ومنه قول الآخر:

نـــــــام صحبـى ولـــم أنـــم
مـــن خيـــــال بنـــــا ألـــم
طـــاف بـــالـــركب مـــوهنـــا
بيـــن «خـــــاخ» إلـــى . «إضـم»

روضـة خاخ بين مكـة والمـدينة، وإضم: جبل والـوادى الذى فيه المدينة المنورة).

الضرب الثانى: مخبون مقصور تصير فيه (مستفع لن) إلى متفع ل) وتحول إلى (فعولن) وشاهده قول الشاعر:

كـــل خطـــب إن لمتكـــــــــو
نــــــوا غضبتـم يسيـــــــر

تقطيعه:

كلـــل خطبـــن إن لـــم تكـــــــو
نـــــوغضبتـم يسيـــــرو

فــــــاعــــــلاتـــن مستفعلـــن
فــــــاعــــــلاتن فعــــولـن

وهذا الضـرب قليل الاستعمال وشاهـده المذكـور هنا فى معظم ما رأيت من كتب العروض قديمها وحديثها.

ويدخـل حشو هذا البحـر ـ الخبن وهـو حسن، والكف وهو صالح، والشكل وهو قبيح.

ومن الضرب الأول الصحيح الذى الذى يدخله التشعيث فى استعماله تاما ـ قول عدى بن رعلاء الغسانى:

ربمـــــا ضـــــربـــــة بسيف صقيل
دون بصـــــرى وطعنـــــة نجـــــلاء
وغمـــــوس تضـل فيهـــا يـــد الآ
سى ويعيـــا طبيبهـــا بـــالـــدواء

(الطعنة الغموس: النافذة، والآسى: الطبيب).

رفعـــوا رايـــة الضـــراب وآلـــوا
ليـــذودن ســـامـــر الملحـــاء
فصبـــرن النفـــوس للطعـن حتى
جـــرت الخيـل بيننـــا فى الـــدمـــاء

(فى علمى العـروض والقـافيـة ـــ د. أمين على السيـد / ١٣٩ ـ ١٤٣. انظر أيضا مفتاح العلوم للسكاكى / ٣٠١ ـ ٣٠٣، وعروض الورقة لأبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى ــ تحقيق محمد العلمى / ٥٥ ـ ٦٠، ومعجم مصطلحات العروض والقافية ـ د. محمد على الشوابكة، ود. أنور أبو سويلم / ١٠٤ ـ ١٠٦).

*** ابن الخفيف (٢٧٦-٣٧١ هـ):**

أبـو عبد الله محمـد بن خفيف الشيرازى (٢٧٦ ـ ٣٧١)، كان من أبناء الملوك وتصوف كأبيه، وكان أول شيوخه هو شيخ أبيه أبـو العبـاس أحمـد بن يحيى، فلقيـه بأول درس لـه فى الريـاضـة، بأن طلب منه تـوصيل لحم اشتراه إلى البيت، وخجل أن يحمل اللحم ويسيـر بـه وسط السـوق، فـركن إلى حائط أحد المساجد لا يـدرى ماذا يفعل، واستخار الله وسار به والنـاس يتصايحون عليـه لمعرفتهم بأصولـه، وعاد يتصبب عرقا إلى الشيخ فاستعـاده ما جرى له، فحكى ابن خفيف عن تجـربتـه ولكن الشيخ طمأنـه وتنبأ لـه بمستقبل فى الطـريق، وصار ابن خفيف من كبار الصوفيـة وشيخ المشايخ فى وقته،

ولـه كتـاب المعتقـد، وطـريقتـه فى التصـوف كمـا يـوردهـا الهجـويـرى فى كشف الظنـون تقـوم على الحضـور كمقـابل للغيبـة، فمن غـاب عن نفسـه فإنمـا حضـوره مع الحق وإلا فالغيبة بلا حضور جنون، وقـد رجع الإمام ابن تيمية إلى أقواله فى المعتقد فى فتواه الحموية وينقل عنه قولـه فى الحلولية: ومن زعم الإشـراف على الخلق، يعلم مقامـاتهم. ومقدارهم عند الله بغير الوحى المنزل، فهو خارج عن الملة، ومن ادعى أنـه يعرف مـآل الخلق ومنقلبهم، وعلى مـاذا يمـوتون عليـه، ويفتى لهم بغير الـوحى المنزل من قـول الله ورسوله، فقـد باء بغضب من الله؛ ومن زعم أن صفات الله تعالى بصفات العبد فهو حلولى قائل باللاهوتية والالتحام، فذلك كفر لا محالة؛ ومن قـال إن شيئـا من صفـات الله حـالٌّ فى العبـد، أو قـال بالتبعيض على الله فقـد كفر. ويقـول ابن خفيف فى معتقده: إن البارى تعـالى واحد، لا حـالٌّ فى الأشيـاء، ولا الأشياء، حالة فيه، ولا يتجلى فى شىء، ولا استتر بالحدث. ويقول ابن خفيف فى النبوة والولاية: الوصول من غير طريقة العبودية محال، والنبوة أجل من الولاية، ولا يبلغ درجة النبوة بالعمل، والمعجزة للأنبياء، والكرامة للأولياء.

ومن أقـوال ابن خفيف: عهـدى بـالصوفيـة يسخـرون من الشيطـان، والآن الشيطان يسخر منهم. والتصـوف عنده هـو تصفية للقلب عن موافقـة البشرية وإخماد صفاتهـا، ومفارقة أخلاق الطبيعـة ومجانبـة الدعاوى النفسيـة ومنازلـة الصفات الروحيـة، والتعلق بعلوم الحقيقة، والوفـاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول ﷺ فى الشريعـة. والإيمان تصديق القلب بما أعلمه الحق من الغيـوب، والتقوى مجـانبة مـايبعدك عن الله تعـالى، والخـوف اضطـراب القلب بمـا يعلم من سطـوة المعبود، والتـوكل اكتفاء بضمـان الحق وإسقاط التهمـة عن قضائه، والريـاضة هى كسر التقوى بالخـدمة، واليقين هو أن تحقق الغيـوب، والقـرب طى المسـافـات بلطيف المـدانـاة وقربك منه بمـلازمة الموافقات، والانبسـاط سقوط الاحتشام عند السـؤال، والمشاهـدة اطلاع القلب بصفـاء اليقين إلى ما أخبر الحق عن الغيـوب، والوصـول هو الاتصال بـالمحبوب دون كل شىء سـواه والغيـاب عن كل شىء سـواه، والسكـر غليان القلـب عند معـارضـات ذكـر المحبوب. والمطـالبات بالنسبة للمريد شتى، فمطالبة الإيمان هى ما يحدوك عليه من صحـة التصديق بوعده ووعيـده، ومطالبـة العلم ما تتبين بـه أحكامـه فتظهر دلائلـه ويطالبك الحق باستعمـاله، ومطـالبة الحق وهى التى إذا بدت قهـرتك وجذبتك إلى ما أراد بصـولته سبحانـه. وليس شىء أضر بالمـريد من مسـامحة النفس فى ركوب الـرخص وقبول التأويـلات والأكل مع الفقراء قـربة إلى الله.

وكـان رحمة الله يشكـو وجع الخـاصـرة، فكان إذا أخـذه أقعده عن الحركة، فكان إذا أقيمت الصلاة يحمل على الظهر إلى المسجد ليصلـى، فقيل له لو خففت علـى نفسك لكان لك سعـة فى العلم، فقـال إذا سمعتم حى على الصـلاة ولم تـرونى فى الصف فاطلبـونى فى المقـابر، وقـال سألت الله أن ألقاه ولا يكون لى شىء، ولا لأحد على شىء، ولا يكون على بـدنى من اللحم شىء. ولمـا اشتـدت بـه العلـة ظل طـريح الفراش سنة وأربعة شهور لم يتحـرك، وسألوه قرب وفاته كيف يجـد العلة، قـال سلـوا العلـة عنى، فقالـوا قل لا إلـه إلا الله فأنشد:

أفنيـــــــت كلـــــــى بكلــــــك
هــــــــذا جـــــــزا مـن يحبك!

(الموسوعة الصوفية ـ د. عبد المنعم الحفنى / ١٤٢ ـ ١٤٤).

*** الخل:**

قال رسـول الله ﷺ: «نعم الإدام الخل» أخرجـه السيوطى فى الجـامع الصغير من روايـة أحمد فى مسنـده، ومسلـم، وأبى داود والتـرمذى والنسـائى وابن مـاجه. وروى مـرفوعـا: «اللهم بارك فى الخل فإنه كـان إدام الأنبياء قبلى» وفى رواية: «ما أقفر بيت فيه الخل» للبخارى ومسلم (الطب النبوى / ٨٦، والجامع الصغير ٢ / ١٤٩).

وقد أورده المظفر الـرسولى نقلا عن مصادر ثلاثـة رمز لها بالحروف التالية.

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية».

ج: ابن جـزلـة صـاحب «منهـاج البيـان فيمـا يستعملـه الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

قال:

الخل ــ «ع» الخل مركب من جوهرين: حار وبارد، والبارد فيها أكثر، والخل يجفف تجفيفًا بليغًا، حتى إنه من التجفيف فى الدرجة الثانية عند منتهاها، إذا كان خلا ثقيفا، وهو يبرد ويقبض، وهو صالح للمعدة، يفتق الشهوة، ويقطع الدم من أى عضو كان إذا شرب، وإذا طبخ مع الطعام وافق البطن الذى يسيل إليه الفضول. وهو جيد للمعدة الملتهبة، وينفع الطحال، ويلطف الأغذية الغليظة، ويوافق أصحاب الصفراء والدم، ويضر أصحاب الطبائع السوداوية، والأمزجة الباردة...

ويضعف الانتشار، وإذا خلط بدهن الورد، وبُلّ به بصوفة غير مغسولة، ووضع على رأس من به صداع من حر الشمس، نفع منه. وبخاره إذا كان سخنا ينفع من الاستسقاء، وعسر السمع، والدوى العارض فى الأذن، والطنين. وإذا قطر فى الأذن قتل الدود الذى فيها.

«ج» بارد يابس فى الدرجة الثالثة. وقيل: بارد فى الأولى، قوى التجفيف، ينفع من انصباب المواد إلى داخل، ويلطف ويقطع، ويصب على نزف الدم إذا كان خارجا، ويمنع الورم، ويعين على الهضم، ويضاد البلغم، وينفع الصفراويين. وإذا وضع بصوف على الجراحات منع ورمها، وينفع من الجرب والقوبا وحرق النار، أسرع من كل شىء، ووضعه على الرأس ينفع من الصداع الحار، والمضمضة به تنفع من حركات الأسنان، خصوصا مع الشب، وبخاره ينفع من عسر السمع، ويفتح سدد المصفاة بقوة، ويحلل الدوى، ويتحسى للعلق الذى يتعلق بالحلق، ويصب على النهوش فينفع، وينفع من سقى الأفيون والشوكران. وبملح ينفع من عضة الكَلْب الكَلِب، والإكثار منه يضر بالسوداويين. وهو يضعف البصر، ويصفر اللون، ويضر بالعصب، وربما أدى إدمانه إلى الاستسقاء.

«ف» أجوده العنبى الثقيف، وهو مركب من حر وبرد، وينفع الصفراء، ويشهى الطعام، ويعين على الهضم، وله مضرة فى نكاية الأعصاب. الشربة: بقدر المزاج (المعتمد ١ / ١٣٣).

كما أورده داود الأنطاكي وقال عنه: خل: يطلق فيراد به ما استخرج من العنب. وصنعته: أن يعصر ويصفى ويوضع فى الجرار وقد يحشى بعناقيده قالوا ولا بد أن يتخمر ثم يتحول خلاً ولا أظنه كذلك خصوصًا إذا وضع العنب إثر خل فإنه يتخلل من بادىء الرأى وأجوده ما كان من العنب الأحمر ولم يشمس والممسوس بالماء ضعيف يورث التعفين وقد يعمل من الزبيب وهو يلى الأول ويليهما ما عمل من التمر فالموز فالتين وما عدا ذلك ردىء وخل العنب بارد فى الثانية يابس فيها أو الثالثة وبرد التمرى فى الأولى ويبسه فى الرابعة والزبيبى فى الثانية برداً والأولى يبسًا وكذا المعمول من التين والهند تأخذ النارجيل رطبا وتضيف إليه ستة أمثاله ماء فيكون خلاً حارًا فى الثانية يابسًا فى الرابعة والطارىء مثله وكذا الموزى لكنهما أجود منه. والخل مركب من جوهر حار ليس بالغريزى وجوهر بارد أرضى أصلى فلذلك هو الغالب وهو يحبس الفضلات السائلة ويفتق الشهوة ويقوى المعدة الحارة ويقطع النزف والإسهال المزمن على أنه ربما أطلق وأعان بعض الأدوية على الإسهال كالأشنة ويدمل القروح والجروح الطرية ويمنع الساعية والنملة وما شأنه الانتشار كالحمرة، ويشد اللثة ويزيل الأورام والآثار طلاء بالعسل والنقرس بالكبريت والخدر والكزاز والمفاصل بالحرمل وبدهن الورد الصداع شرباً وطلاءً ومتى سخنت الأحجار خصوصاً القوف الأسود ورُشَّ عليها أو طفئت فيه نفع ذلك البخار من النزلات والسعال المزمن ومن نام على حجر سخن وطفىء بالخل متماديًا على ذلك تحللت أورامه وبرىء من الاستسقاء ويقطع البواسير كيف استعمل والقىء به مع البورق يخرج العرق والأخلاط اللزجة خصوصا مع العسل ومع دهن اللوز يذهب عسر النفس عن رطوبة ويغتسل به فيذهب السعفة والجرب والكلف والنمش خصوصا بالشيرج، وبصفرة البيض أكلا يمنع العطش والزحير والثقل وحل عسر البول ويمنع حرق النار طلاء ويخرج السموم القتالة بالقىء وإذا هُرِىَ فيه بصل العنصل بالطبخ ثم صُفِّىَ وشُمِّسَ أسبوعا وأخذ منه كل يوم درهم قطع البخار النتن وعسر النفس وأوجاع الصدر وقروح الفم عن تجربة أو تهرى فيه التين وضمد به أزال الخشونة واليبس أو طبخ بالكمون والصعتر وتمضمض به سكن وجع الأسنان وقروح اللثة مجرب وإذا نقع فيه التين والزبيب وتمودى على أكلهما وشرب الخل أزال الطحال واليرقان وهو يضر المشايخ والنساء والمهزولين ومن غلبت عليه السوداء ...

ويوقع فى الاستسقاء ويهيج السعال اليابس وتصلحه الحلاوات والألعبة وأجودها ما أكل مع ما فيه غروية كالملوخيا وخل الطارى ليس فيه نكاية للعصب وكذا النارجيلى وكثرة الاستنجاء بهما تضعف الباسور والشربة من الخل إلى سبعة دراهم وبدله حماض الليمون (تذكرة ١/ ١٤٢، ١٤٣).

وقال عنه ابن سينا :

مركب من حار وبارد. والبارد أغلب، والذى فيه حرافة أسخن، وإن لم يكن فهو بارد رطب، والطبخ نقص من برودته، قوى التجفيف، يمنع انصباب المواد إلى داخل، ويلطف، ويقطع. وقد يشرب أو يصب على نزف الدم إن كان خارجًا، فيمنعه. ويمنع الورم حيث يريد أن يحدث، ويعين على الهضم، ويضاد البلغم، وهو نافع للصفراويين ضار للسوداويين. يطلى مع عسل على آثار الدم فينفع لكن الإكثار منه يضر. إذا وضع على الجراحات صوف مبلول بخل، منعها ان ترم «من الورم». وينفع سعى القروح الساعية، والجرب، والقوباء، وينفع فى حرق النار. أسرع من كل شىء ينفع، وهو ضار للعصب: وإذا طلى مع الكرنب «السلق» على النقرس (مرض) نفع وإذا خلط بدهن زيت، أو دهن ورد، وضرب ضربًا، وبُلَّ به صوف غير مغسول، ووضع على الرأس، نفع من الصداع الحار ويشد. وكذلك التنطيل به والتمضمض به، وخصوصا مع الشبت (نوع من النعنع). وإدمانه يضعف البصر. ينقص اللهاة، فيقطع التغرغر به سيلان الخلط إلى الحلق ويبرىء اللهاة الساقطة، ويحسن العلق، والسعال المزمن... صالح للمعدة الحارة الرطبة، ويعين على الهضم. كل ذلك لدفعه المعدة. وبخار الخل يحلل الاستسقاء، والإدمان منه ربما أدى إلى الاستسقاء، يبرد الرحم. ويحقن بالملح لقروح الإمعاء الساعية، بعد الحقن الملينة. يصب على النهوش، وينفع من الأفيون والشوكران. والخل المتخذ من العنب البرى، بملح، ينفع من عضة الكَلْب الكَلِب، وغير ذلك. وقد يشرب مسخنا على الأدوية القتالة فينفع (القانون فى الطب)

الطب النبوى للحافظ أبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى ـ قدم له وخرج آياته الشيخ قاسم الشماعى الرفاعى / ٨٦، والجامع الصغير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٢ / ١٩٤، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٣٣، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٤٢، ١٤٣، والقانون فى الطب لابن سينا ـ شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور، قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطى / ٣٢٣ـ٣٢٥).

وقد ورد ذكر الخل فى مادة «توابل الطعام» فى م ١٠ / ٥٨٩ فانظره فى موضعه.

* **خلا:**

عن خلا التى تستعمل فى التأريخ يقول صاحب ألفية الآثارى تحت عنوان التاريخ :

فسرع وفى التاريخ أولا خلت
وخلتا خلون للجر ثلث
إلى انقضاء العشر ثم فصلوا
خلت إلى خمس وعشر تكمل
ثم إلى تسع وعشر بقيت
ثم بقين لا نسلاخ رويت

(ألفية الآثارى كفاية الغلام فى إعراب الكلام ـ نظم زين الدين شعبان ابن محمد القرشى الآثارى / ٨١).

* **الخلاء:**

قال الجرجانى فى تعريفاته :

الخلاء: هو البعد المفطور عند أفلاطون والفضاء الموهوم عند المتكلمين أى الفضاء الذى يثبته الوهم ويدركه من الجسم المحيط بجسم آخر كالفضاء المشغول بالماء أو الهواء فى داخل الكوز فهذا الفراغ الموهوم هو الذى من شأنه أن يحصل فيه الجسم وأن يكون ظرفا له عندهم، وبهذا الاعتبار يجعلونه حيزا للجسم وباعتبار فراغه عن شغل الجسم إياه يجعلونه خلاء، فالخلاء عندهم هو هذا الفراغ مع قيد أن لا يشغله شاغل من الأجسام فيكون لا شيئاً محضاً لأن الفراغ الموهوم ليس بموجود فى الخارج بل هو أمر موهوم عندهم إذ لو وجد لكان بعدًا مفطورًا وهم لا يقولون به. والحكماء ذاهبون إلى امتناع الخلاء والمتكلمون إلى إمكانه. وما وراء المحدد ليس ببعد لا لانتهاء الأبعاد بالمحدد، ولا قابل للزيادة والنقصان لأنه لا شىء محض فلا يكون خلاء بأحد المعنيين بل الخلاء إنما يلزم من وجود الحاوى مع عدم المحوى وذا غير ممكن (راجع شرح المواقف ٢ / ٤٧٩ ـ ٥٠١، وكشاف اصطلاحات الظنون ٢ / ٢٤٣ وما بعدها).

(التعريفات للشريف الجرجاني ـ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٥).

* **خلاد (ـ ٢٢٠ هـ / ـ ٨٣٥ م):**

هو خلاد بن خالد ويقال ابن خليد ويقال ابن عيسى الصيرفي الكوفي ويكنى أبا عيسى (التيسير / ٧).

وقيل: هو خلاد بن خالد أبو عيسى وقيل أبو عبد الله الشيباني مولاهم الصيرفي الكوفي إمام في القراءة ثقة عارف محقق أستاذ مجود ضابط متقن.

ولد في نصف رجب سنة تسع عشرة أو ثلاثين ومائة أيام هشام أو مروان.

أخذ القراءة عرضا عن سليم وهو من أضبط أصحابه وأجلهم وروى القراءة عن حسين بن علي الجعفي عن أبي بكر نفسه عن عاصم وعن أبي جعفر محمد بن الحسن الرواسي.

وروى القراءة عنه عرضا أحمد بن يزيد الحواني وإبراهيم ابن علي القصار وإبراهيم بن نصر الرازي وحمدون بن منصور وسليمان بن عبد الرحمن الطلحي وعلي بن حسين الطبري وعلي بن محمد بن الفضل وعنبسة بن النضر الأرحمي والقاسم بن يزيد الوزان وهو أنبل أصحابه ومحمد بن الفضل ومحمد بن سعيد البزازي ومحمد بن موسى بن أمية ومحمد ابن شاذان الجوهري وهو من أضبطهم ومحمد بن عيسى الأصبهاني ومحمد بن يحيى الخنيس ومحمد بن الهيثم قاضي بكر وهو من أجل أصحابه. توفي سنة عشرين ومائتين (غاية النهاية ٢ / ٢٧٤، ٤٧٥، والبحث والاستقراء / ٥٢).

قال الإمام ابن الجزري صاحب «طيبة النشر»:

وحمــــزة عنـــه سليم مخلف
منـه وخـلاد كـلاهمـا اغتـرف

الضمير في منه يعود على «سليم» واغترف من الاغتراف وهو تناول الماء باليد. والمعنى: وكلاهما أي خلف وخلاد، نقلا القراءة من سليم الذي كان بحرا في القراءة، وسليم أخذ القراءة عن حمزة (الكوكب الدري / ٣٧).

وفيما يلي ما ورد من نظم في قراءة خلاد لفضيلة الشيخ محمد بن محمد جابر المصري:

بتـوسيط شي مع سكت مفصـولـه فقف
عليـه بسكت زائد الـوسط سهـلا
كهـزءا كشيء واقفـا كـلا انقلن
ونحـو يشـا بـالطـول وقفـا فأبـدلا
ومن لـم يتب أيضـا يعـذب فأظهـرا
بفـاتحـة أشمم كمنشـون سهـلا
وإن وسطت مع سكت أل عنـه أطلقـا
وجـوهًـا خلت مع خـالص الصـاد في كـلا
صـراط الصـراط بـاء في يتب ادغمـا
يعـذب من أيضـا بـالادغـام فـاعمـلا
وإن تصلن يتقـه فـامنع إمـالـة
عمـومـا وإدغـامـا لبـالجـزم أهمـلا
بتسهيل همـز جـاء بعـد محـرك
ومع سكت مـد الفصل إدغامهـا احظـلا
ولكن يتب بـالخلف بـا اركب فأهملن
لإدغـامـه ذكـرا بـالاظهـار رتـلا
بسكت لمـد الـوصل إن تضجعن لـه
قـرار فنخلقكم أتـم وكمِّـلا
وإن تشممن حـرف الصـراط معـرفـا
فـزائد وسـط سهلـن والاوَّلا
مشمًّـا لـه أو لا تشم جميعهـا
إذا حققـا مفصـول مـد لـدى كـلا
كفي الأرض حقق وانقل اسكت بـوقفـه
ويبسط وبسطـه صـادهـا قـد تحمـلا
بسكت لمـد الفصل معـه فسهلن
كمستهـزئو في حـال وقف وأبـدلا
وأيضـا بـه يسّ ليس مقلـلا
فـآتيك إضجـاعـا بـه أيضـا اهمـلا
على سكت مـوصـول لـلابـرار فـانقلن
بفتـح بسكت الكل تقليلـه احظـلا
ولا فتح فيـه إن لشيء تـوسطن
وميل ضعـافـا إن سـوى شيء رتـلا

بسكت فأهمل وافتحن قـــــرار مع
بـــوار بتـــرك السكت أو قللهمـــا كـــلا
كـــذا أضجعـــا قلل وإن تسكتن بأل
فقلل لحـــرفيْـــه أو افتح لـــه كـــلا
ومع سكت مـــوصـــول فسوِّ كليهمـــا
مع الميل لا ميل والاثنين حلـــلا
ومع سكت مـــد مطلقـــا عنـــه أضجعـــا
قـــرار وفي الثـاني افتحن وافتحـــا كـــلا
وآتيك إن تفتح بسكت معممـــا
كمـــوصـــولـــه مفصـــول ســـاكن انقـــلا
بـــه فـــاسكتن بـــالميل في الكل ســـاكتـــا
وفي الملقيـــات ادغم ونخلق كمـــلا
لـــدى مـــرســـلات خص صـــاد مسيطـــر
كجمع بتـــرك السكت عنـــه وحصـــلا

(مختصر قواعد التحرير / ٤٠ ـ ٤٣).

التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو الداني ـ عنى بتصحيحه أوتوبرتزل / ٧، وغاية النهاية في طبقات القراء للإمام ابن الجزري ٢ / ٢٧٤، ٢٧٥، والبحث والاستقراء في تراجم القراء ـ محمد الصادق قمحاوي / ٥٢، والكوكب الدري في شرح طيبة ابن الجزري مختصر شرح الطيبة للنويري ـ محمد الصادق قمحاوي / ٣٧، ومختصر قواعد التحرير لطيبة النشر ـ محمد بن محمد جابر المصري / ٤٠ ـ ٤٣. انظر أيضا الأعلام للزركلي وقد أورده تحت عنوان «خلاد بن خالد» بتشديد اللام في «خلاد»).

* **ابن خلاد (ـ نحو ٣٦٠ هـ / ـ نحو ٩٧٠ م):**

الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي الفارسي، أبو محمد: محدث العجم في زمانه. من أدباء القضاة. أول سماعه بفارس سنة ٢٩٠ له «المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ـ «خ» في علوم الحديث، قال الذهبي: ما أحسنه من كتاب! سبعة أجزاء في مجلدة واحدة، بسوهاج (٩٣ حديث) ومنه نسخة في الأسكوريال (١٦٠٨) كما في مذكرة الأفغاني. وله «ربيع المتيم» في أخبار العشاق، و «الأمثال» و «النوادر» و «الرثاء والتعازي» و «أدب الناطق» وهو من أهل «رامهرمز» وله شعر. وكان مختصا بابن العميد، وله اتصال بالوزير المهلبي.

(الأعلام للزركلي ٢ / ١٩٤، وراجع مصادره في هامش ١).

* **أبو خلاد:**

قال ابن عبد البر:

أبو خلاد. رجل من الصحابة، لا أقف له على اسم ولا نسب. حديثه عند يحيى بن سعيد بن أبان القرشي، عن أبي فروة، عن أبي خلاد رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم المؤمن قد أعطى زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه، فإنه يلقى الحكمة» هكذا رواه هشام ابن عمار، عن الحكم بن هشام، عن يحيى بن سعيد بن أبان.

وذكره البخاري في الكنى المجردة، فقال: قال: أحمد ابن إبراهيم الدورقي، حدثنا يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد ابن العاص، أخو عنبسة: سمعت أبا فروة الجزري، عن أبي مريم، عن أبي خلاد، عن النبي ﷺ مثله، وهذا أصح.

(الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق علي محمد البجاوي ٤ / ١٦٤٠، ١٦٤).

* **خلاس بن عمرو:**

قال الإمام النووي: خلاس بن عمرو: مذكور في المهذب في باب تضمين الأجير في المسابقة ثم في أول القذف. هو بكسر الخاء المعجمة وبالتخفيف وآخره سين مهملة وهو خلاس بن عمرو الهجري البصري التابعي. سمع عمار بن ياسر وابن عباس وعائشة وروى عن علي بن أبي طالب وأبي هريرة رضي الله عنهم روى عنه مالك بن دينار وقتادة وعوف الأعرابي وغيرهم وهو ثقة قالوا وروايته عن عليٍّ من كتاب لا سماع.

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي ١ / ١٧٧).

* **الخِلاسيُّ:**

من الحفاظ المتصوفين الذين التقى بهم الرحالة ابن رشيد في تونس وأخذ عنهم. وقد لخص سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة في مقدمة تحقيقة للكتاب، ما أورده ابن رشيد فقال: وهو الشيخ العالم الصوفي الزاهد

الفاضل الولى التقى أبو محمد عبد الله بن يوسف بن موسى الخلاسى. وهو بلنسى الأصل، ولد سنة ٦١٠. كان يشتغل بتسفير الكتب، يقصده الناس للتبرك بدعائه والسماع منه. سمع من أبى الربيع بن سالم صحيح مسلم وصحيح البخارى وأكثر كتاب الاكتفاء، وقرأ على أبى إسحاق البلفيقى أحاديث الخضر وإلياس، وسمع عليه جزء الصحابة الأربعة، وحديث القلاقل، واختصار السيرة لابن فارس. وقرأ على ابن عجلان وسمع عليه جميع القواعد للقاضى عياض. وروى الأربعين حديثا لسلمان الفارسى.

وأخذ لباس الخرقة (انظر الخرقة الصوفية) عن ابن مسدى وذكر سنده فى ذلك. وسمع عليه المقدمة المحسبة بتوجيه ذوى الخرق المنتسبة. وأثبتها بنصها كاملة، وقرأ عليه الجزء الثالث من الفوائد المسلسلات الأسانيد. وقرأ على أبى عبد الله بن أحمد بن لب الأنصارى عوالى ابن الدباغ، وعلى الشيخة أم الحسن فاطمة بنت نعمة بن سالم الحميرى. وأجاز له عدد كبير من شيوخ المشرق، منهم من ورد ذكرهم فى استدعاء البلفيقى له، ومنهم من استدرك ذكرهم ابن رشيد. وقد ذكر رحالتنا إجازة الخلاسى له، وأنه أخذ عنه الكتاب المغنى عن الحفظ والكتاب لعمر بن بدر الموصلى. وأثبت صفة سماع الشيخ له وأنشد عليه بلفظه بيتين لأبى عمران الزاهد، وآخَرَين لأبى بكر بن قسوم من مجزوء الكامل، وآخرين له من المجتث، كما أنشد عليه أيضا أبيات ابن عتاب الأب فى التنويه بأصحاب الحديث، ثم أسند عليه إلى الشعبى قصة عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وأخيه مصعب وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة ودعاءهم بالملتزم. وأثبت ابن رشيد ما أسنده على أبى محمد الخلاسى من أحاديث وأخبار منها:

حديث: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد ...»،

وحديث: «إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم ...».

ثم ذكر بالرواية عنه بيتين فى التخويف من الله، وآخَرَين فى الاسترحام لابن المفضل، وآخَرَين له أيضا فى التزام طريق عباد الله الصالحين.

وبعد هذا أسند عنه مسلسل شهدت، ومسلسل كُلِ السمك الطافى، ومسلسل الأسودين التمر والماء، ومسلسل أطعمنا وسقانا، ومسلسل سمعت، ومسلسل الجوز والخبز، ومسلسل لقمنا لقمة لقمة، ومسلسل احتفى فى الضيافة واحتفل، ومسلسل الوتر، ومسلسل إنى أحبك يا معاذ. وتخلل بعض ذلك إنشادات.

وأورد آخر الترجمة سماعه على أبى محمد، وذكر لباسه منه الخرقة. وأنشد عليه بلفظه مارواه عنه من أبيات ابن مسدى فى التذلل لله. وختم الرسم بذكر ما رواه عن الخلاسى من شعر - سقط من النسخة - فى أوصاف الفعل الكريمة.

كان هذا هو الملخص الذى لخص فيه سماحة الشيخ الدكتور الحبيب بن الخوجة ما أورده ابن رشيد عن الخلاسى. ونسوق فيما يلى النص بتمامه لأنه يحتوى على معلومات نفيسة تهم كل من يعنى بعلوم الحديث، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص إتمامًا للفائدة. قال ابن رشيد رحمه الله:

وممن لقيته بتونس حماها الله: الشيخ الصالح الصوفى الزاهد الفاضل أبو محمد عبد الله بن يوسف بن موسى الخلاسى. أحد الصلحاء الفضلاء الأولياء الأتقياء مع التواضع والخمول على معرفة الناس بقدره وفضله وتكاثرهم عليه وقصدهم مع الأناء إليه.

وهو من أهل بلنسية. مولده عام عشرة وستمائة. وسمع بالأندلس ثم رحل وحج ونزل تونس واقتصر على منزله. وربما تحرف بصناعة التسفير فى منزله لا يبرح عنه، فكان يُقصد فيه للتبرك بدعائه وللسماع منه.

سمع من الخطيب أبى الربيع بن سالم كثيرا من ذلك صحيح مسلم، وصحيح البخارى، والاكتفاء من تأليف أبى الربيع إلا قليلا من هذه الكتب فاته ولم يتعين ولم يجز له.

وسمع من متأخرين يكادون يكونون فى عداد الأصحاب. فمن ذلك أنه.

قرأ على أبى إسحاق البلفيقى أحاديث الخضر وإلياس عن الأزدى، قراءة عن أبى الصبر أيوب بسنده. وسمع عليه أيضا الجزء المشتمل على الأحاديث التى تضمنت أربعة من الصحابة كل واحد منه يروى عن صاحبه. وسمع عليه حديث القلاقل: «عليك بالقلاقل، عليك بالقلاقل».

وكتاب اختصار سيرة رسول الله ﷺ لابن فارس. قرأ على أبي إسحاق بعضه، وأخذ عنه باقيه مناولة، عن أبي زكرياء بن عصفور، عن ابن الملجوم، عن ابن العربي.

وقرأه أيضا على أبي العباس أحمد بن عثمان بن عجلان القيسي وحدثه به عن أبي زيد عبد الرحمن بن عبد السلام القرشي الجمحي، عن شيخه أبي الخطاب بن دحية قراءة منه عليه، عن أبي القاسم السهيلي، قراءة عن ابن العزفي، عن أبي الفتح المقدسي، عن أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي قراءة عليه قال، نا أبو الحسين بن فارس. ومن روايته:

الأربعون حديثا لسلمان الفارسي رضي الله عنه. قرأها أبو محمد على ابن عجلان، حدثه بها عن أبي زكرياء يحيى ابن أبي بكر بن عصفور، عن أخيه سماعا، عن التجيبي نزيل تلمسان، عن السلفي بسنده. وقد أجازها التجيبي لأبي زكرياء.

وأخذ أبو محمد لباس الخرقة الصوفية عن أبي المكارم جمال الدين محمد بن مسدي. وسمع عليه جميع المقدمة من تأليفه المسماة بالمقدمة المحسبة المحتسبة بتوصية ذوي الخرق المنتسبة. لقيه بمكة شرفها الله. وقرأ عليه الجزء الثالث من الفوائد المسلسلات الأسانيد من تخريجه؛ وأجاز له جميع ما يرويه عن جميع شيوخه.

وعوالي ابن الدباغ. قرأها أبو محمد علي بن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن لب بن محمد الأنصاري بتونس بجامع الزيتونة. حدثه بها عن الزاهد أبي عبد الله بن قاسم قراءة عليه، عن أبي الخطاب إجازة يعني ابن واجب، عن ابن الدباغ.

وقرأ على الشيخة الصالحة أم الحسن فاطمة بنت نعمة بن سالم الحميري المصرية بعض كتاب الجمعة من سنن الشيخ الإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي رضي الله عنه. وأجازت له جميع ما بقي منه، وأذنت له في التحديث بجميع سماعاتها على الشرط المعتبر عند علماء الأثر.

وأجازه في جميع ما يحمله ويرويه في شهر ربيع الأول عام أربعة وأربعين وستمائة الشيخ المقرىء الأستاذ أبو عثمان سعد ابن علي بن عبد الرحمن بن زاهر. وأجازه، بإفادة أبي إسحاق البلفيقي، عليٌّ بن وهب بن مطيع المالكي مذهبا القشيري نسبا يعرف بابن دقيق العيد، وصالح بن الحسين الجعفري الزينبي، وجمال الدين محمد بن يوسف المهلبي بن مسدي وسمع عليه، وعبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، يروى عن ابن كليب وعن أبي الفرج بن الجوزي، وعبد الهادي بن عبد الكريم بن علي بن عيسى بن تميم القيسي، ومحمد بن محمد بن عبد العزيز التجيبي الشاطبي عرف بابن الفصال، وعثمان بن عبد الرحمن بن عتيق بن حسين بن رشيق المالكي، يروى عن البوصيري والأرتاحي وابن أبي الصيف.

وممن أجازه باستدعاء البلفيقي إسماعيل بن هبة الله بن عبد الله الفارقي، وعثمان بن محمد بن الزبير، ويعقوب بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري، ومحمد بن عمر القسطلاني، ومحمد بن أحمد بن علي القسطلاني، ومحمد ابن عمر بن خليل العسقلاني، وإسماعيل بن عبد الواحد بن إسماعيل العسقلاني، ومحمد بن عبد الله خادم الشيخ عبد الرحمن الفاسي، وعبد الوهاب بن الحسن بن عساكر، وإبراهيم بن عمر بن مضر الواسطي، وإسحاق بن أبي بكر بن محمد الطبري، وأحمد بن قيماز بن عبد الله، ومحمد بن الفضل بن إبراهيم الحسني (أورد ذكره بعد بنسبة «الجزري» فليتأمل)، وأحمد بن محمد بن أبي القاسم بن ياسين بن محمد الدمياطي عرف بابن قفل، وعبد المحسن بن إبراهيم ابن فتوح، ويوسف بن يعقوب بن محمد بن المجاور، وأحمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن علوان، وأحمد بن محمد بن عمر بن يوسف الأنصاري القرطبي.

ذكر جميع هؤلاء بعض أصحابنا المقيدين في رسم شيخنا أبي محمد نفع الله به. وقد وقفت على خطوط جيمعهم له. وتاريخ السؤال في ثمان رجب الفرد من عام ثمانية وخمسين وستمائة. كتب وبأمر أ[illegible]ر من فيه عن هذا التاريخ ثم ضمن السؤال جميع من أدرك حياتهم في تاريخ هذه الإجازة وبعدها من أهل العلم والطالبين له عن أهل الأندلس وأهل الإسكندرية وسبتة ومراكش وغيرها من بلاد المسلمين. قال ابن رشيد.

وممن أغفل هذا المقيد من الشيوخ المجبرين له في هذا الاستدعاء أبا اليُمن عبد الصمد بن عساكر، والجنيد بن عيسى ابن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان كتب من مكة، وعثمان بن

موسى بن عبد الله المصلّى بالحنابلة بالحرم الشريف، ومحمد بن سلطان بن عبد الرحمن من مدينة قوص، وأحمد بن عبد الله بن الظاهرى، وأحمد بن ياسين بن عبد الله الشافعى المتصدر بجامع قوص، ومحمد بن عبد الصمد ابن محمد بن عبد الرحمن بن العجمى، ومحمد بن الفضل ابن إبراهيم الجزرى، وهو الذى قال فيه بعض أصحابنا : محمد بن الفضل بن إبراهيم الحسنى، وصحفه وكان الخط فيه إشكال : ويدعى جمال الدين. هكذا وجدته بخط البلفيقى : محمد بن الفضل الجزرى، لقيته بمدينة قوص فى سنة ستين. وأجاز له جماعة وافرة منهم : أبو اليمن الكندى، ومحمد بن أبى البقاء البغدادى، وعبد الرحمن بن أبى منصور ابن نسيم المقاسى، وعبد الصمد الحرستانى، وعبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى، وعبد اللطيف بن يوسف البغدادى، وأبو البركات داود بن ملاعب، ومحمد بن عبد الغنى المقدسى، وعمر بن بدر بن سعيد، وأبو على الأوقى، وخلق كثير كتبناهم فى غير هذا الموضع.

ذكر ما أخذته عن شيخنا أبى محمد الخلاسى نفع الله به :

الكتاب المغنى عن الحفظ والكتاب تأليف عمر بن بدر الموصلى. قرأته عليه فى أحد ربيعى عام أربعة وثمانين بمنزله من مدينة تونس. حدثنى به عن الشيخ أبى مروان عبد الملك ابن عبد الملك بن عبد الملك بن الدليل الأنصارى قرأه عليه، حدثه به عن مصنفه.

قلت له : أخبركم الحاج المقرى أبو مروان عبد الملك بن عبد الملك بن عبد الملك الأنصارى الشقورى رحمه الله قراءة عليه ببلنسية جبرها الله قال، قال الشيخ الإمام الحافظ الناقد ضياء الدين أبو حفص عمر بن بدر بن سعيد الموصلى الحنفى رضى الله عنه. وأنا قرأته عليه سنة ثلاث عشرة وستمائة ببيت المقدس قلت له قلتم رضى الله عنكم : «الحمد لله الذى لا أمد لمداه، ولا غاية لمنتهاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا إله سواه، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله إلى الكافة، فكفهم عن الكفر وأكفهم كفاه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن وافقه على مقصده ومغزاه، صلاة دائمة إلى يوم يلقاه، وسلم تسليمًا كثيرًا. وبعد ...» ثم ذكر جميع الكتاب.

وهو كتاب صغير الحجم كثير العلم. ومؤلفه هو الإمام المحدث الحافظ ضياء الدين أبو حفص عمر بدر بن سعيد الموصلى الحنفى. توفى بدمشق يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

وكان رحمه الله قد أجاز لكل من أدركته حياته. ونص إجازته :

[الوافر]

أجزت لمدركى فليروِ عنى ... سماعى والمناول والمجازه

وتصنيفى وما أرويه طرا ... على الشرط المراعى فى الإجازه

وهذا خطه عمر بن بدر ... وحمدل ثم صلى ثم جازه

حدث عنه بهذه الإجازة العامة الرئيس أبو عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن أحمد بن حكم بن عبد الغنى بن حكم رحمه الله واقتدى به فنظم أبياتا فى هذا المعنى وهى :

[مجزوء الوافر]

أبحت لمدركى عهدى ... روايةَ كل ما عندى

وما أُقرِئت أو أُسمعت ... من هزل ومن جد

وما نوولته وأجزته ... فيزاد فى العد

فإن سعيدا الحكمى ... يهديه لمستهد

وتصحيح الذى يروون ... عنى غاية القصد

وبالله اعتمدت على ... أمورى كلها جهدى

وتوفى رحمه الله فى شهر رمضان فى السابع والعشرين منه عام ثمانين وستمائة.

صفة سماع شيخنا أبى محمد الخلاسى نفع الله به :

«قرأ عليَّ الطالب النبيه الزكى الأكرم أبو محمد عبد الله بن يوسف الخلاسى ــ جعله الله من أهل العلم وأئمته ـ هذا الكتاب المسمى بالمغنى عن الحفظ والكتاب تأليف الشيخ الفقيه الإمام العالم المحدث الزكى الطاهر الفاضل صدر الدين عمر بن بدر بن سعيد الموصلى رضى الله عنه. وقد أجزت له أن يرويه عنى عن مؤلفه الشيخ المذكور. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما».

وهذا خطُّه: عبيد الله عبد الملك بن عبد الملك بن عبد الملك بن الدليل الأنصارى عفا الله عنه وعن جميع المسلمين هـ.

وكان مولد شيخنا أبى محمد الخلاسى عام عشرة وستمائة.

أنشدت بقراءتى على شيخنا أبى محمد الخلاسى قال، أنشدنا الشيخ أبو إسحاق ابن الفقيه أبى عبد الله بن إبراهيم ابن الحاج السلمى البلفيقى قال، أنشدنى أبو عبد الله بن فرحون السلمى قال، أنشدنى أبو عمران الزاهد لنفسه:

[البسيط]

إلمام كل ثقيل قد أضر بنا
أروم نقصهم والشيء يزداد
ومن يخف علينا لا يلم بنا
وللثقيل مع الساعات ترداد

وأنشدت عليه بلفظى قال، أنشدنى أبو إسحاق قال، أنشدنى أبو بكر بن قسوم لنفسه:

[مجزوء الكامل]

قُرْبُ الطريق على امرئ
كان الإله دليله
لا يهتدى من لم يكن
يهدى الإله سبيله

وأنشدهما لى أبو عبد الله بن حيان قال، أنشدنا أبو إسحاق قال، أنشدنا أبو بكر وقد سألته عن أحسن ما قال.

وأنشدت عليه بلفظى قال، أنشدنا أبو إسحاق قال، أنشدنا أبو بكر بن قسوم لنفسه:

[المجتث]

تبا لفرقة قوم
لا يتمون لمذهب
إذا تزندق وغدٌ
قالوا: فلان تهذب

وأنشدت على أبى محمد قال، أنشدنا أبو الحجاج يوسف ابن حجاج بن يوسف المحمدى قال، أنشدنا الشيخ أبو العباس هو أحمد بن محمد بن حسن بن تامتيت اللواتى رضى الله عنه قال، أنشدنى أبو الحسين يحيى بن محمد بن الصائغ قال، أنشدنا أبو القاسم بن بشكوال قال، أنشدنا أبو محمد بن عتاب قال، أنشدنى أبى قال: كان بعض علمائنا يقول إذا رأى أصحاب الحديث:

[الكامل]

أهلا وسهلا بالذين أحبهم
وأودهم فى الله ذى الآلاء
أهلا بقوم صالحين ذوى تقى
غر الوجوه وزين كل ملاء
يسعون فى طلب الحديث بعفة
وسكينة وتوقر وحياء
لهم الجلالة والمهابة والنهى
وفضائل جلت عن الإحصاء
فمداد ما تجرى به أقلامهم
أزكى وأفضل من دم الشهداء
يا طالبى علم النبيء محمد
ما أنتم وسواكم بسواء

نا أبو محمد الخلاسى قراءة منى عليه قال، نا أبو إسحاق البلفيقى وأبو العباس بن عجلان قراءة عليه، عن أبى زكرياء ابن عصفور قال، أنا أبو القاسم عبد الرحيم بن عيسى رحمه الله فيما كتب به إلى، عن أبى الفضل عياض قال، نا أبو على الصدفى رضى الله عنه قال، قرأت على أبى بكر الطريثيثى، أخبركم أبو القاسم هبة الله بن الحسين، أنا على بن محمد، أنا الحسن هو ابن صفوان، نا عبد الله هو ابن أبى الدنيا، نا أبو الحسن أحمد بن عبد الأعلى الشيبانى، نا إسماعيل بن أبان العامرى، نا سفيان الثورى، عن طارق بن عبد العزيز، عن الشعبى قال:

«لقد رأيت عجبًا. كنا بفناء الكعبة وعبد الله بن عمر

وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان . فقال القوم بعد أن فرغوا من حديثهم : ليقم كل رجل منكم فليأخذ بالركن اليمانى وليسأل الله حاجته فإنه يعطى من سعته .

قم يا عبد الله بن الزبير فإنك أول مولود ولد فى الهجرة . فقام فأخذ بالركن اليمانى ثم قال : اللهم إنك عظيم ترجى لكل عظيم ، أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك ﷺ أن لا تميتنى من الدنيا حتى توليني الحجاز ويسلم علىَّ بالخلافة . وجاء حتى جلس .

فقالوا : قم يا مصعب بن الزبير . فقام حتى أخذ بالركن اليمانى ثم قال : اللهم إنك رب كل شىء وإليك يصير كل شىء ، أسألك بقدرتك على كل شىء أن لا تميتنى من الدنيا حتى توليني العراق ، وتزوجنى سكينة بنت الحسين . وجاء حتى جلس .

وقالوا : قم يا عبد الملك بن مروان ، فقام وأخذ بالركن اليمانى ، فقال : اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين ذات النبت بعد القفر ، أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك ، وأسألك بحقك على جميع خلقك ، وبحق الطائفين حول بيتك أن لا تميتنى من الدنيا حتى توليني مشرق الأرض ومغربها ، ولا ينازعنى أحد إلا أتيت برأسه . ثم جاء حتى جلس .

ثم قالوا : قم ياعبد الله بن عمر . فقام حتى أخذ بالركن اليمانى فقال : اللهم إنك رحمن رحيم ، أسألك برحمتك التى سبقت غضبك ، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك ، أن لا تميتنى من الدنيا حتى توجب لى الجنة» .

قال الشعبى : فما ذهبت عيناى من الدنيا حتى رأيت كل واحد منهم أعطى ما سأل ، وبشر عبد الله بن عمر بالجنة ورئيت له» .

أخبرنى الشيخ الصالح أبو محمد الخلاسى قراءة منى عليه بمنزله فى شهر ربيع الآخر عام أربعة وثمانين وستمائة قال ، أخبرنا العدل الفاضل الثقة أبو عمرو عثمان بن سفيان بن عثمان بن يحيى التميمى التونسى رضى الله عنه سماعا منى عليه بقراءة أبى عبد الله بن حيان قال : أنا الإمام الحافظ شرف الدين حجة الشريعة أبو الحسن على بن المفضل المقدسى قال ، إن الإمام الحافظ سيف السنة فخر الأئمة أبو طاهر أحمد بن محمد السلفى الأصبهانى قال ، أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الحطاب الرازى ، أنبأنا الهمذانى ، أنا أبو بكر محمد بن جميل ، نا أبو حفص عمر بن على العتكى ، نا محمد إسماعيل الديلمى بيروت ، نا عبد الرحمن بن القاسم الدمشقى ، نا يحيى بن صالح الوحاظى ، نا حفص بن عمر ، نا أبان ، عن أنس قال :

«سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من تحت العرش يسمع الخلائق كلها : يا أهل التوحيد إن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض» .

(ورد هذا الحديث من طريق أنس بلفظ غير لفظه مرفوعا فى الأوسط : «إذا التقى الخلائق يوم القيامة فأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار نادى مناد يا أهل الجمع تتاركوا المظالم بينكم وثوابكم علىَّ» . ابن سليمان : ٢ ، ٧٥٣ ، ١٠٠٨ ، وورد بمعناه أيضا من طريق الخطيب عن ابن عباس وعن الحسن فى الأول بلفظ : «إذا كان يوم القيامة ينادى مناد من بطنان العرش ليقم من على الله أجره فلا يقوم إلا من عفا عن ذنب أخيه» ، وورد الثانى مرسلا بلفظ : «إذا كان يوم القيامة جمع الناس فى صعيد حيث يسمعهم الداعى وينفذهم البصير فيقوم مناد من عند الله فيقول ليقم من له على الله يد فلا يقوم إلا من عفا» . السيوطى جمع الجوامع ١ / ٧٩) .

واخبرنى أبو محمد قال ، أخبرنى أبو عمرو قال ، أنا أبو الحسن قال ، نا أبو الطاهر قال ، نا الرازى ، أنا أحمد بن على بن هشام المقرىء بمصر ، (التحقيق هاشم لا هشام كما سينبه على ذلك ابن رشيد . وهو تاج الأئمة مقرىء الديار المصرية أبو العباس أحمد بن على بن هشام المصرى ت ٤٤٥ هـ ـ ١٠٥٤ م) قرأ على عمر بن عراك وأبى عدى وجماعة ، فى رحلته على أبى الحسن الحمامى . الذهبى العبر ٣ / ٢٠٨) أنا أبو محمد الحسن بن إسماعيل بن محمد الضراب (هو راوى المجالسة عن الدينورى (ت ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢م) الذهبى : (العبر / ٣/ ٥٢) .

نا أحمد بن أحمد بن مروان بن محمد المالكى ، نا زكريا ابن عبد الرحمن البصرى قال ، سمعت أحمد بن شعيب يقول :

«كان عند بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا بحديث النبى ﷺ:

«إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم».

وفى المجلس معنا رجل من المعتزلة فجعل يستهزىء بالحديث. فقال والله لأفطرن غدا نعلى فأطأ بها أجنحة الملائكة. قال: ففعل ومشى فى النعلين فجفت رجلاه جميعا، ووقعت فى رجليه جميعا الآكلة».

(هذا جزء من حديث طويل رواه أبو الدرداء مرفوعا، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنه، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع، وأن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحيتان فى الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائرالكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر.» رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والبيهقى. وقال الترمذى لا يعرف إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة، وليس إسناده عندى بمتصل، وإنما يروى عن عاصم ابن رجاء بن حيوة عن داد بن جميل عن كثير بن قيس عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ وهذا أصح. وورد أيضا من طرق أخرى. فرواه الأوزاعى عن كثير بن قيس عن يزيد بن سمرة عنه، ورواه الأوزاعى أيضًا عن عبد السلام بن سليم عن يزيد بن سمرة عن كثير بن قيس عنه. وقال البخارى وهذا أصح. وللمنذرى حديث طويل فى الاختلاف الوارد فى هذا الحديث ذكره فى كتاب مختصر السنن. ابن سليمان. المنذرى١ / ٣٧، ١٩٥، الترغيب ١ / ٩٤).

قلت: كذا عنده أحمد بن على بن هشام المقرىء، وإنما هو ابن هاشم على حسبما وقع فى نسخة الرازى، وعليها خطه وخط السلفى.

وأخبرنى أبو محمد قال، أخبرنى أبو عمرو قال، أنا أبو الحسن قال، أنا أبو الظاهر قال، أنا الرازى قال، سمعت أبا عبد الله الحسين بن على بن نعيم المصرى قاضى البرلس يقول عن بعض سكان البرلس قال:

«سمعت قائلا يقول ليلا من جانب البحر وينشد بيتين، فقصدت الصوت فلم أر أحدًا. فعلمت أنه هاتف هتف بالجو. وهما هذان البيتان:

[البسيط]

لولا رجال لهم ورد يقومانا ... وآخرون لهم صوم يصومونا
لزلزلت أرضكم من تحتكم سحرا ... لأنكم قوم سوء لا تتوبونا».

أنشدنى أبو محمد إذنا إن لم يكن قراءة، فإنى وجدتنى تركت بياضا قدر ما يسع (أنشدنى) واتصل به أبو محمد. وغالب ظنى السماع منه لهما، فإنهما كان أثناء المقروء عليه متصلين به. قال أنشدنى أبو عمرو قال، أنشدنى ابن المفضل لنفسه:

[البسيط]

يارب عفوك عن ذى زلة عظمت ... به المهابة حتى لاذ بالكرم
إن لم يكن هو أهلا أن تسامحه ... فإنه من جميل الظن فى حرم

وبالسند إلى ابن المفضل لنفسه:

[المنسرح]

يا حبذا الصالحون إنهم ... فى سبل الصالحات قد سلكوا
إن لم أكن قد فعلت ما فعلوا ... فليتنى قد تركت ما تركوا

مسلسل شهدت:

شهدت على أبى محمد الخلاسى قال، شهدت على الشيخ الفقيه التقى أبى الحجاج يوسف بن حجاج بن يوسف قال، شهدت على الشيخ الحافظ العلامة أبى العباس أحمد بن محمد بن حسن بن تامتيت اللواتى قال، شهدت على أبى الحسن يحيى بن محمد قال، شهدت على أبى القاسم خلف بن عبد الملك قال، شهدت على القاضى أبى عبد الله محمد بن عبد العزيز رحمه الله قال، شهدت على أبى عبد الله محمد بن سعدون قال، شهدت على أبى بكر محمد بن على قال، شهدت على أبى

عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري قال، شهدت على أبي بكر محمد بن داود الصوفي قال، شهدت على ابن الحسن بن سلم قال، شهدت على يحيى بن حكيم أنه قال، شهدت على أبي قتيبة أنه قال، شهدت على أبي زهير بن خيثمة أنه قال، شهدت على عبد الملك بن أبي بشر قال، شهدت على عكرمة أنه قال، شهدت على ابن عباس أنه قال، شهدت على أبي بكر الصديق أنه قال:

«كُلِ السمك الطافي» (يلتقي هذا المسلسل بالذي عند ابن الجوزي في أشهد على زهير بن خيثمة قال أشهد على عبد الملك بن بشير إلى منتهاه. ونص الحديث المسلسل عند ابن الجوزي: السمك الطافي حلال لمن أراد أكله انظر ابن الجوزي. الحديث ٥٢، ٢١ ب - ١٢٢).

كان عند الشيخ: شهدت على ابن الحسن، والصواب شهدت عليَّ بن الحسن بن سلم. وفي بعض نسخ الحاكم علَى عليِّ بن الحُسَيْن على التصغير. وعنده في السند زهير ابن خيثمة، والصواب زهير بن أبي خيثمة وكذا في كتاب الحاكم. وعنده عبد الملك بن أبي بشر وعند الحاكم ابن أبي بشير وهو الصواب، وما عند الشيخ وهم. وهو عبد الله بن المساور، حدث عنه ليث بن أبي سليم والثوري وأبو مالك النخعي قاله الأمير في كتابه أبو بشير - بفتح الباء وكسر الشين (ابن ماكولا ١ / ٢٩١).

أنشدت على أبي محمد الخلاسي - قرأت على الشيخ أبي الحجاج ونقلته من أصله قال، أملى علينا الشيخ الفقيه الزاهد أبو العباس رضي الله عنه قال، أنشدني أبو الحسين يحيى بن محمد قال، أنشدني أبو القاسم خلف بن عبد الملك قال، أنشدني أبو محمد بن عتاب قال، أنشدني أبو عمرو عثمان بن أبي بكر قال، أنشدني أبو نعيم الحافظ قال، أنشدني أبو محمد الحبابري قال، أنشدني ابن المعتز لنفسه:

[مجزوء الكامل]

ما عابني إلا الحسود ... وتلك من خير المعايب

والخير والحساد مقرو ... نان إن ذهبوا فذاهب

وإذا ملكت المجد فلم تمـ ... ـلك مذمات الأقارب

وإذا فقدت الحاسديـ ... ـن فقدت في الدنيا الأطايب

هذه القطعة من قصيد طالعه:

ق عضني صرف النوائب ... ورأيت آمالي كواذب

وفي آخره وردت الأبيات بغير الوجه الذي سيقت به هنا وهي في الديوان بهذا النص:

ما عابني إلا الحسود ... وتلك من أسنى المناقب

وإذا ملكت المجد لم ... تملك مودات الأقارب

والمجد والحساد مقرونا ... ن إذ ذهبوا فذاهب

هكذا وبعد البيت الذي أورده ابن رشيد ثلاثة أبيات أخرى. انظر ابن المعتز: ٢٥٥، الباب السادس في المعاتبات).

وأنشدت على أبي محمد الخلاسي، أنشدنا أبو الحجاج قال، أنشدنا شيخنا الزاهد أبو العباس قال، أنشدنا شيخنا أبو الحسين بن الصائغ قال، أنشدني أبو الطاهر السلفي لنفسه في شرف الحديث وأهله:

[الوافر]

إذا ذكرت بحار العلم يوما ... فقول المصطفى لا غير بحري

هو البحر المحيط وما سواه ... فأنهار صغار منه تجري

قلت: لم يلق ابن الصائغ السلفي. وروايته عنه بالإجازة. وإنما يروي باللقاء عن محمد بن عبد الرحمن التجيبي نزيل تلمسان. وهو في عداد أصحابه عن السلفي.

مسلسل: الأسودين التمر والماء:

أضافنا الشيخ أبو محمد الخلاسى بتونس حرسها الله على الأسودين التمر والماء وحدثنى بالحديث قال، أضافنا الشيخ الإمام شرف الحفاظ أبو المكارم جمال الدين محمد بن مسدى بمكة زادها الله شرفا على الأسودين التمر والماء قال، أضافنا الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد الفارسى بقرافة مصر على الأسودين التمر والماء قال، أضافنا أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذانى بها على الأسودين التمر والماء قال، أضافنا أبو بكر هبة الله بن الفرج الكاتب على الأسودين التمر والماء قال، أضافنا أبو جعفر محمد بن الحسين بن أحمد الصوفى على الأسودين التمر والماء قال، أضافنا أبو الحسن على بن الحسن الواعظ على الأسودين التمر والماء قال، أضافنا أبو شيبة أحمد بن أحمد بن إبراهيم المخرمى بالبردان على الأسودين التمر والماء قال، أضافنا جعفر بن محمد بن عاصم الدمشقى على الأسودين التمر والماء قال، أضافنا نوفل بن إهاب على الأسودين التمر والماء قال، أضافنا عبد الله بن ميمون القداح على الأسودين التمر والماء قال، أضافنا جعفر بن محمد الصادق على الأسودين التمر والماء قال، أضافنى أبى محمد بن على الباقر على الأسودين التمر والماء قال، أضافنى أبى على بن الحسين على الأسودين التمر والماء قال، أضافنى أبى الحسين بن علىّ علَى الأسودين التمر والماء قال، أضافنى أبى على بن أبى طالب على الأسودين التمر والماء قال، أضافنى رسول الله ﷺ على الأسودين التمر والماء. ثم قال:

«من أضاف مؤمنا فكأنما أضاف آدم عليه السلام، ومن أضاف مؤمنين فكأنما أضاف آدم وحواء عليهما السلام، ومن أضاف ثلاثة فكأنما أضاف جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام، ومن أضاف أربعة فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ومن أضاف خمسة فكأنما صلى الصلوات الخمس فى جماعة من أول يوم خلق الله الخلق إلى يوم القيامة، ومن أضاف ستة فكأنما أعتق ستين رقبة من ولد إسماعيل، ومن أضاف سبعة أغلقت عنه أبواب جهنم، ومن أضاف ثمانية فتحت له ثمانية أبواب الجنة، ومن أضاف تسعة كتب الله تعالى له حسناته بعدد من عصاه من أول يوم خلق الله الخلق إلى يوم القيامة، ومن أضاف عشرة كتب الله له أجر من صام وصلى وحج واعتمر إلى يوم القيامة (نبه الأمير فى ثبته على وجوب الاحتراز من أمثال هذه المسلسلات وذلك بنقل كلام الشيخ عبد الله البصرى الذى يرويه عن شيخ مشائخه أحمد الصباغ السكندرى إذ قال الأول ما نصه: انظر مرتبة هذا الحديث ومن أخرجه من أهل الكتب المعتبرة فإنى هبت أن أسأل أستاذى عنه فى وقته ونسيت بعده مع حرصى على السؤال عنه منذ أخذته ا. هـ قال الأمير: أقول ذكروا أن هذه المبالغات موجبات للطعن خصوصا مع ذكر الملائكة فى الضيافة وهم لا يأكلون ولا يشربون. فإن صح فهو خارج مخرج الفرض والتقدير وذهب السخاوى إلى تأكيد ذلك بقوله: لوائح الوضع عليه ظاهرة ولا أستبيح ذكره إلا مع بيانه، وقال الشيخ فالح الظاهرى غير ذلك مما يحمل على قبوله. الفادانى ١٨٥، ١٨٦).

قال ابن مسدى: هذا حديث غريب من حديث جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده، تفرد به عبد الله بن ميمون القداح، وكان متهما. يقال كان يضع الحديث عليه. لا نعلمه إلا من هذا الوجه والله أعلم.

وسنة تقديمه ﷺ التمر والماء إذا لم يحضر غيرهما صحيح المعنى بشهادة الآثار الواردة عن مصادره الظاهرة لأنهما كانا غالب قوته لأن رفاهية حال أهل بيته فى المدينة ﷺ.

قال ابن رشيد وفقه الله كتبت أصل الحديث ونحن براء من عهدته، وآثار الوضع تلوح على صفحته. ونعوذ بالله من التقول عليه ﷺ.

مسلسل: أطعمنا وسقانا:

حديث أطعمنا وسقانا على شرطه من السلسلة

(بالهامش بخط يحيى ابن المؤلف بأعلى الصفحة: «الحمد لله سلسلته مع مولاى الوالد أبقاه الله تعالى بشرطه»).

أنا الفاضل أبو محمد بتونس حرسها الله وأطعمنا وسقانا قال، أنا الحافظ أبو المكارم جمال الدين محمد بن مسدى بمكة وأطعمنا وسقانا قال، أنا أبو سليمان داود بن سليمان الحوطى وأبو عمرو عثمان بن الحسن الكلبى وأطعمانى وسقيانى قالا، أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن غالب المقرىء وأطعمنا وسقانا قال، أنا القاضى أبو مروان بن مسرة وأطعمنا وسقانا قال، أنا أبو القاسم بن صواب المقرىء

وأطعمنا وسقانا قال، أنا أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله التميمى وأطعمنا وسقانا قال، أنا أبو القاسم بن بندار وأطعمنى وسقانى قال، نا محمد بن الحسين المؤدب وأطعمنى وسقانى قال، نى أبو الحسن محمد بن الحسن الرازى وأطعمنى وسقانى قال، نا أبو الحسن محمد بن على ابن النعمان البزاز بإطرابلس وأطعمنى وسقانى قال، نا أحمد ابن يونس بمصر وأطعمنى وسقانى قال، نا عمى وكانت فى داره وأطعمنى وسقانى قال، نا زاذان النحوى وأطعمنى وسقانى، نا سفيان الثورى وأطعمنى وسقانى، عن مالك بن أنس وأطمعنى وسقانى، عن نافع وأطعمنى وسقانى، عن عبد الله بن عمر وأطعمنى وسقانى، قال:

«كنت في دار عائشة وكان النبى ﷺ حاضرا فيها فأكلت مع النبىﷺ تميرات أتى بها رجل من الأنصار إذ أقبل بوجهه وقال: يا عبد الله عليك بالصدق، فإن الصدق يهدى إلى البر، واترك الكذب أو لا تقل الكذب، فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وعليك بحسن الخلق فإن حسن الخلق من أخلاق أهل الجنة، وإن سوء الخلق من أخلاق أهل النار».

قال الخلاسى قال أبو المكارم أخبرناه أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم الخبرى ومحمد بن أحمد الدلائى وأطعمانى وسقيانى قال كل واحد منهما، أنا أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهانى وأطعمنا وسقانا قال، أنا عبد الله بن محمد بن أحمد البردانى ببغداد وأطعمنى وسقانى قال، نا أبو المظفر هناد بن إبراهيم النسفى وأطعمنى وسقانى، نا أبو بكر محمد ابن الحسن بن إبراهيم بقزوين وأطعمنى وسقانى، نا أبو عبد الله الحسين بن جعفر بن محمد بن المهلب الجرجانى وأطعمنى وسقانى، نا أبو الحسن محمد بن على ابن النعمان البزاز بإطرابلس وأطعمنى وسقانى، نا أحمد بن يونس بمصر وأطعمنى وسقانى قال، نا زاذان النحوى وأطعمنى وسقانى. وذكر بقية الإسناد والحديث على نحو ما تقدم. ولم يذكر بين أحمد بن يونس وزاذان النحوى واسطة كما تقدم فى الإسناد قبل. وأنه سقط من الكتاب والله أعلم.

قال ابن مسدى: وهذا حديث غريب من حديث مالك بن أنس عن نافع عن عبد الله بن عمر، ومن حديث سفيان بن سعيد الثورى عن مالك أغرب، ولا نعلمه إلا بهذا الإسناد.

قلت: ذكره كاك فى الإطعام والسقى. و فيه: نا أحمد بن يونس بمصر وأطعمنى وسقانى قال، حدثنى عمى وكنت فى داره وأطعمنى وسقانى. فقال كاك رحمه الله، أنا الشيخ الإمام أبو البركات هبة الله بن المبارك السقطى وأطعمنى وسقانى قال، أنا القاضى أبو المظفر عباد إبراهيم النسفى وأطعمنى وسقانى. وذكره. وبينهما بعض اختلاف فى اللفظ لا فى المعنى (كاك هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن طاهر الحنفى عرف بكاك من أهل بخارى (ت ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م) عالم أديب فقيه صالح. روى عنه أبو القاسم بن عساكر وأجاز الحافظ أبا طاهر السلفى. ابن أبى الوفاء: ٢ / ١٠١، ٣٠٦).

مسلسل آخر ترداده. سمعت:

حديث آخر على نحو سلسلته. وفيه نوع آخر من التسلسل وهو ظهور السماع سمعت أبا محمد الخلاسى رضى الله عنه وأطعمنى وسقانى بتونس حرسها الله يقول، سمعت الحافظ أبا المكارم جمال الدين بن مسدى بمكة وأطعمنى وسقانى يقول، سمعت الحكم أبا عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الأنصارى هو ابن اليتيم بالمرية وأطعمنى وسقانى وأبا عبد الله محمد بن إبراهيم الفيروزاباذى بقرافة مصر وأطعمنى وسقانى، وأبا الفتوح ناصر بن عبد العزيز المغربى وأبا الفضل بن منير المقرىء منفردين بالإسكندرية وأطعمانى وسقيانى، وأبا الحسن بن العفيف الشارعى بمسجده وأبا القاسم بن يوسف الصوفى بالمعزية منفردين وأطعمنى وسقانى، وكل واحد منهم يقول، سمعت أبا طاهر أحمد بن محمد السلفى وأطعمنى وسقانى يقول، سمعت أبا على الحسن بن أحمد بن الحسين الحداد بأصبهان وأطعمنى وسقانى يقول، سمعت أبا سعد إسماعيل بن على الرازى وأطعمنى وسقانى يقول، سمعت أبى سعد أحمد بن محمد ابن أحمد المالينى وأطعمنى وسقانى.

ح وسمت أبا عبد الله التميمى وأطعمنى وسقانى وأبا الحسن بن مختار وأطعمنى وسقانى، يقول لى كل واحد منهما، سمعت أبا طاهر السلفى وأطعمنى وسقانى قال، سمعت أبا على الحداد وأطعمنى وسقانى قال، سمعت أبا بكر أحمد بن الفضل بن محمد الباطرقاى (هو عند الذهبى

«الباطرقانى» ت ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧ م) وأطعمنى وسقانى قال: سمعت أبا سعد المالينى وأطعمنى وسقانى يقول، سمعت أبا على منصور بن عبد الله بن خالد وأطعمنى وسقانى يقول، سمعت محمد بن إسحاق بن إبراهيم السمرقندى وأطعمنى وسقانى يقول، سمعت أبا علاثة محمد بن عمرو بن خالد وأطعمنى وسقانى يقول، سمعت سيف بن محمد وأطعمنى وسقانى يقول، سمعت إبراهيم بن الجراح وأطعمنى وسقانى يقول، سمعت أبا يوسف القاضى وأطعمنى وسقانى يقول، سمعت أبا حنيفة النعمان بن ثابت وأطعمنى وسقانى يقول، سمعت حماد بن أبى سليمان وأطعمنى وسقانى يقول، سمعت إبراهيم وأطعمنى وسقانى يقول، سمعت علقمة والأسود وأطعمانى وسقيانى يقولان. سمعنا عبد الله بن مسعود وأطعمنا وسقانا يقول:

«دعانى رسول الله ﷺ وأطعمنى وسقانى».

(ورد نص هذا المسلسل سمعت فلان وأطعمنى وسقانى بنفس اللفظ مع سقوط «على» من «أبا على الحسن» عند ذكر الحداد. وورود لفظ التيمى أو اليتيمى بدل التميمى فى «أبا عبد الله التميمى» والسهو والخطأ والتردد فيهما من النسخ. انظر ابن مسدى: ١١٧٤، ١١٧٥).

قال الحافظ أبو بكر بن مسدى: هذا حديث غريب من حديث أبى حنيفة النعمان بن ثابت الفقيه الكوفى، عن حماد ابن أبى سليمان، عن إبراهيم. وهو إسناد كوفى تفرد به أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصارى القاضى صاحب أبى حنيفة عنه، لا نعلمه إلا من رواية سيف بن محمد عن إبراهيم ابن الجراح عنه. وقد رواه أبو مسعود سليمان بن إبراهيم الحافظ الأصبهانى عن أبى سعد المالينى بمثله. وقال بإثره كذا فى كتابى: سيف بن محمد. والصحيح سند بن محمد ابن سند. انتهى قوله. وكلاهما عندى مجهول والله ولى التوفيق، انتهى كلام الحافظ ابن مسدى.

وما قاله من أن الرجلين مجهولان كلاهما فليس كذلك. ففى الرواة ممن يحتل هذه الطبقة سيف بن محمد ابن أخت سفيان الثورى عن الثورى وعاصم الأحول والأعمش. قال أحمد: هو كذاب يضع الحديث ليس بشىء، وقال مرة: لا يكتب حديثه ليس بشىء. وقال يحيى: كان كذابا خبيثا، وقال مرة: ليس بثقة. وقال أبو داود: كذاب وقال زكرياء الساجى: يضع الحديث. وقال النسائى: ليس بثقة ولا مأمون متروك. وقال الدارقطنى: ضعيف متروك حكى هذا كله فى اسم هذا الرجل الإمام أبو الفرج ابن الجوزى.

مسلسل الجبن والجوز:

حديث آخر مسلسل: دخلت على أبى محمد الخلاسى بتونس فقرب جبنا وجوزا فقال كل بسم الله، فإنى دخلت على الحافظ أبى المكارم جمال الدين بن مسدى بمكة فقرب إلىَّ جبنا وجوزا فقال كل بسم الله فإنى دخلت على أبى العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك فقرب إلىَّ جبنا وجوزا فقال كل بسم الله، فإنى دخلت على أبى محمد المبارك بن على البغدادى بمكة فقرب إلى جبنا وجوزا فقال كل بسم الله، فإنى دخلت على أبى بكر محمد بن عمر الحنفى يعرف بكاك فقرب إلىَّ جبنا وجوزا فقال كل بسم الله، فإنى دخلت على أبى عمرو أحمد بن عمر المقرىء ببخارى فقرب إلى جبنا وجوزا فقال كل بسم الله، فإنى دخلت على أبى الحسن على ابن محمد بن أحمد البلخى فقرب إلى جبنا وجوزا فقال كل بسم الله، فإنى دخلت على الأمير محمد بن هرون بن إبراهيم ابن عيسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس فقُرب بين يديه جبن وجوز فقال كلوا بسم الله، فإن يحيى بن أكثم القاضى قرب إليه جبن وجوز فقال كلوا بسم الله، فإنى دخلت على المأمون فرأيت بين يديه جبنا وجوزا فقلت يا أمير المؤمنين جبن وجوز! فقال نعم، دخلت على أمير المؤمنين هارون ورأيته يأكل الجبن والجوز فسألته فقال، دخلت على المهدى فرأيته يأكل الجبن والجوز فسألته فقال، دخلت على المنصور فرأيته يأكل الجبن والجوز فسألته فقال، رأيت أبى محمد بن على يأكل الجبن والجوز فسألته فقال، رأيت أبى على بن عبد الله يأكل الجبن والجوز فسألته فقال، رأيت أبى عبد الله بن عباس يأكل الجبن والجوز فسألته فقال، رأيت أبى العباس بن عبد المطلب يأكل الجبن والجوز فسألته فقال:

«دخلت على رسول الله ﷺ فرأيته يأكل الجبن والجوز. فقلت: يا نبى الله جبن وجوز! قال نعم الجبن داء والجوز داء، فإذا اجتمعا صارا دواء بإذن الله».

(ورد هذا المسلسل بنفس اللفظ مع اقتران قلت بالفاء فى جواب النبى ﷺ وبدون ذكر بإذن الله فى نهايته انظر ابن مسدى: ١٧٦ أ ـ ب)

قال أبو بكر بن مسدى: هذا حديث غريب لا نعلمه إلا بهذا الإسناد. وقد رويناه مسلسلا بالسماع دون الفعل إلى يحيى بن أكثم ورفع السلسلة يحيى إلى أبى جعفر المنصور وعنعن باقيها والله أعلم.

سمعت بقراءتى على أبى محمد قال، سمعت أبا بكر بن مسدى قال، سمعت أبا بكر عتيق بن عبد الله التاجر بملتقى البحرين يقول، سمعت أبا محمد القاسم بن سعد بن منصور الحسنى بعدن أبين يقول، سمعت أبا العباس أحمد بن عثمان العارف يقول، سمعت القاضى أبا بكر الصدفى يقول، سمعت أبا أحمد الكاتب يقول، سمعت أحمد بن عمر المقرئ ببخارى سنة تسع وخمسمائة يقول، سمعت أبا الحسن على محمد البخلى يقول، سمعت أمير المؤمنين محمد بن هارون بن إبراهيم بن عيسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس يقول، سمعت يحيى بن أكثم القاضى يقول، دخلت على المأمون وذكر السلسلة بمثل ما تقدم إلى أبى جعفر المنصور. فقال: حدثنى أبى عن أبيه عن جده العباس قال: «دخلت على رسول الله ﷺ». وذكر نحوه. تفرد بوصل سلسلته أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز الحنفى المعروف بكاك كما تفرد شيخه بالحديث إسنادا ومتنا فيما نعلم والله أعلم.

قال الحافظ أبو بكر بن مسدى رحمه الله قوله: أمير المؤمنين محمد بن هارون غلط والصواب كما فى الإسناد قبل: الأمير محمد بن هارون.

قال محمد بن رشيد قد ذكر هذا الحديث فى مسلسل به: الشيخ المقرئ الأديب أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز ابن طاهر البخارى الملقب بكاك. وفيه بعض خلاف لما وقع هنا فرأينا أن نورده زيادة فى الفائدة.

قال كاك رحمه الله: سمعت الشيخ الإمام أبا عبد الله إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد الفارسى إملاء بنيسابور قال، سمعت المشائخ الأئمة الحفاظ أحمد بن عبد الرحمن الحافظ المشاط وأبا بكر محمد بن إسماعيل القرشى وأبا صالح أحمد بن عبد الملك الحافظ رحمهم الله قالوا، سمعنا أبا الحسن على بن محمد المقرئ البغدادى قال، سمعت أبا الحسن على بن الحسن بن أحمد البلخى يقول، سمعت على ابن محمد المحتسب ببلخ يقول، سمعت أمير المؤمنين محمد بن هارون يقول، سمعت عبد الرحمن بن بشر يقول، سمعت يحيى بن أكثم يقول، دخلت على المأمون ورأيته يأكل الجبن والجوز فقلت يا أمير المؤمنين جبن وجوز! قال نعم، دخلت على المهدى فرأيته يأكل الجبن والجوز فقلت يا أمير المؤمنين جبن وجوز! قال نعم، دخلت على المنصور فرأيته يأكل الجبن والجوز فقلت يا أمير المؤمنين جبن وجوز! قال نعم، حدثنى أبى عن أبيه عن جده أن العباس رضى الله عنه قال:

«دخلت على رسول الله ﷺ فرأيته يأكل الجبن والجوز فقلت يارسول الله جبن وجوز! قال نعم، الجبن داء والجوز داء فإذا اجتمعا صارا دواء أو قال شفاء».

قلت: حدث به الشيخ أبو الحجاج يوسف بن على القضاعى قال: نا الشيخ الإمام أبو عبد الله إسماعيل بن محمد بن عبد الغافر النيسابورى المذكور وذكر الحديث. وقول ابن مسدى فى أبى بكر كاك إنه تفرد بالحديث، فليس كذلك كما بيناه، وقوله: تفرد به شيخه ليس كذلك، فإنما الذى تفرد به على بن محمد البلخى الراوى عن محمد بن هارون وليس بشيخ له إنما هو فى سلسلة السند.

مسلسل: لقمنا لقمة لقمة:

دخلت على أبى محمد الخلاسى بتونس فلقمنى لقمة لقمة وقال، دخلت على الحافظ أبى المكارم جمال الدين ابن مسدى بمكة فلقمنى لقمة لقمة وقال، دخلت على أبى العباس أحمد بن إبراهيم التميمى فلقمنى لقمة لقمة وقال، دخلت على المبارك بن على بمكة فلقمنى لقمة لقمة قال، دخلت على إسماعيل بن أحمد الحافظ ببغداد فلقمنى لقمة لقمة قال، دخلت على أبى على ابن المسلمة فلقمنى لقمة لقمة قال، دخلت على أبى بكر محمد بن على بن إبراهيم الدينورى يعرف بالقارئ برصافة المهدى وكان شيخا صالحا فلقمنى لقمة لقمة ثم قال، دخلت على الحسين بن منصور الحلاج الدينورى فى منزله بالدينور فلقمنى لقمة لقمة ثم قال، دخلت على أبى بكر الشبلى فلقمنا لقمة لقمة ثم قال: كل ما فينا خير لعلنا أكلنا مع قوم صالحين فيهم خير فأصابنا من بركاتهم ثم قال، دخلت على الجنيد فلقمنا لقمة لقمة ثم قال: كل ما فينا خير لعلنا أكلنا مع قوم صالحين فيهم خير فأصابنا من بركاتهم فيصيبك من بركاتهم. انتهى.

(ورد هذا المسلسل ساقطا منه: «وقال دخلت على المبارك بن على بمكة فلقمنى لقمة لقمة» انظر ابن مسدى: ١٧٧).

مسلسل: احتفى فى الضيافة واحتفل:

أضافنا الشيخ الصالح أبو محمد الخلاسى نفع الله به بتونس فى منزله فاحتفى واحتفل فى تاسع شهر ربيع الآخر من عام أربعة وثمانين وستمائة قال، أضافنا أبو بكر بن مسدى بمكة فاحتفى واحتفل وقال، أضافنا الأسعد بن المقرب الحافظ بثغر الإسكندرية فى منزله فاحتفى واحتفل ثم قال، أضافنى شيخنا أبو الحسن بن أبى المكارم الحافظ فاحتفى واحتفل وأنشدنى لنفسه:

[الطويل]

إذا قدم الضيف اغتنمت قدومه
ولم أك يوما عنه بالغافل اللاهى
وذلك أن الله يرزقنا معا
وأن ثناء الضيف من نعم الله

قال أبو بكر بن مسدى: كتب إلينا الحافظ أبو الحسن على بن أبى المكارم المقدسى وأضافنى الأسعد بن المقرب.

مسلسل الوتر:

قرأت على أبى محمد الخلاسى نفع الله بن قال، أملى على الشيخ الفقيه التقى أبو الحجاج يوسف بن حجاج بن يوسف قال، أملى علينا الشيخ الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن تامتيت اللواتى رضى الله عنه قال، أنا أبو الحسين يحيى بن محمد قراءة منى عليه قال، أنا القاضى أبو القاسم خلف بن عبد الملك قال، أنا صاحبنا أبو الفرج عبد الله بن يحيى الفهرى قراءة منى عليه وسماعا مرارا قال، أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الرازى بالإسكندرية قال، أجاز لى أبو محمد عبد الله بن الوليد الفقيه بمصر مشافهة وأخبرنا به عنه أبو عبد الله محمد بن الفرج بن عبد الولى الأندلسى، نا أبو عمر أحمد بن محمد بن سعدىْ القيسى (عند الرازى «سعدِى» بكسر الدال المهملة» نا أبو الفرج الحسن بن القاسم الصدفى قال، نا فضل بن الحسن بن محمد المعافرى قال، نا أبو مسافر قال، نا أبو يونس محمد بن يزيد بالمدينة قال، نا أبو مصعب قال:

«تقدم مالك بن أنس يصل الصفوف فإذا الحسين بن عبد الله بن ضميرة. فقال له مالك: حدثنى حديث أبيك عن جدك عن على رضى لله عنه فى وتر رسول الله ﷺ. قال: «كان النبى ﷺ يوتر بثلاث. يقرأ فى الأولى بالحمد لله رب العالمين وقل هو الله أحد، وفى الثانية بالحمد لله وقل هو الله أحد، وفى الثالثة بالحمد لله وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس. فقال مالك: الحمد لله الذى وافى وترى وتر رسول الله ﷺ».

قال أبو مصعب: فما تركت ذلك فى وترى منذ سمعته من مالك، وقال أبو يونس: ما تركت ذلك فى وترى منذ سمعت أبا مصعب، وقال أبو مسافر: ولا تركت ذلك فى وترى منذ سمعت أبا يونس، وقال فضل: ولا تركت ذلك فى وترى منذ سمعته من أبى مسافر، وقال أبو الفرج: ما تركت ذلك منذ سمعته من فضل، وقال أبو عمر: ما تركت ذلك منذ سمعته من أبى الفرج، وقال أبو محمد بن الوليد: ما تركت ذلك فى وترى منذ سمعته من أبى عمر، وقال محمد بن الفرج: ما تركت ذلك فى وترى منذ سمعته من ابن الوليد، وقال محمد ابن إبراهيم الرازى: ما تركت ذلك فى وترى منذ سمعته من محمد بن الفرج، وقال أبو الفرج: ما تركت ذلك فى وترى منذ سمعته من أبى عبد الله الرازى، وقال أبو القاسم: ما تركت ذلك فى وترى منذ سمعته من أبى الفرج، وقال أبو الحسين: ما تركت ذلك فى وترى منذ سمعته من أبى القاسم، وقال أبو العباس: ما تركت ذلك فى وترى منذ سمعته من أبى الحسين، وقال أبو الحجاج: ما تركت ذلك فى وترى منذ سمعته من أبى العباس، وقال أبو محمد: ما تركت ذلك فى وترى منذ سمعته من الشيخ أبى الحجاج، قال محمد بن رشيد أرشده: الله ما تركت فى وترى منذ سمعته من أبى محمد وقبل ذلك. والله يرزقنا الاتباع ويجنبنا الابتداع بمنه (هذا المسلسل أورده عياض. الغنية / ١٧ أ ـ ١٧ ب)

مسلسل: إنى أحبك أوصيك يا معاذ:

أنا الشيخ الصالح أبو محمد الخلاسى قراءة عليه وكتب به إلى بعد ذلك بسنده ومتنه ـ قال صاحبنا أبو العباس الأشعرى كتبته لكم من إملاء الشيخ أبى محمد فى داره بأمره وعارضته. قال أبو العباس ونقلته من جزء مسلسلات ابن تامتيت ـ قال قرأت على الشيخ الفقيه الورع أبى الحجاج يوسف بن حجاج بن يوسف المحمدى فى عام ثلاثة وأربعين وستمائة بمدينة الجزائر حرسها الله قال، نا الفقيه الزاهد التقى

أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن تامتيت اللواتى قال، أنا الفقيـه أبو الحسين وقرأته عليـه قال، أنا الفقيه أبـو القاسم قال، أنـا الفقيه العدل أبـو عبد الله محمـد بن أحمد التجيبى أكرمه الله قال، أنا أبو على حسين بن محمد الغسانى قال، نا أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذرى قال، نا أبو العباس الـرازى قال، نـا سليمان بن أيـوب الطبرانى قـال، نا بشـر بن مـوسى قال، نـا عبد الله بن يـزيـد المقرئ قـال، نا حيـوة بن شـريح، عن عقبـة بن مسلم، عن أبى عبـد الـرحمن، عن الصنابحى، عن معـاذ بن جبل: أن رسول الله ﷺ أخـذ بيده فقـال: يـا معاذ والله إنى لأحبـك . فقال أوصيك يـا معـاذ لا تـدعن فى كل صـلاة تقول: اللهم أعنى علـى ذكرك وشكـرك وحسن عبادتك» .

وأوصى بذلك معاذ الصنابحـى، وأوصى به الصنابحى أبا عبد الرحمن . وأوصـى به أبو عبد الرحمن عقبـة، وأوصى به عقبـة حيـوة، وأوصى بـه حيوة المقـرئ، وأوصى بـه المقـرئ بشرا، وأوصى بـه بشر الطبرانى، وأوصى به الطبـرانى الرازى، وأوصى بـه الـرازى العـذرى، وأوصى بـه العـذرى أبـا على، وأوصى بـه أبـو على أبا عبـد الله، وأوصى بـه أبـو عبد الله أبـا القـاسم، وأوصى به أبـو القاسم أبـا الحسين، وأوصى به أبـو الحسين أبـا العباس، وأوصـى به أبـو العبـاس أبا الحجـاج، وأوصى به أبـو الحجاج أبا محمـد الخلاسى، وأوصى بـه أبو محمد الخـلاسى محمد بن عمر بن محمد بن رشيـد وفقه الله وأرشده، ودعا له أجاب الله دعـاءه. وأبو القاسم المذكور فى هذا الحديث هو ابن بشكوال، وأبـو الحسين هو الزاهد الورع المشهور يحيى بن محمد بن الصائغ رحمه الله. وهذا الإسناد كلـه رجـالـه ثقـات أعـلام، كل منهـم غنى عن التعـريف بـه والإعلام. والصنابحى هو أبو عبـد الله واسمه عبد الرحمن بن عُسيلة .

قلت: وقـد سلسلته مع صـاحبنـا أبى عبد الله محمـد بن حيان الشاطبى المُكْتِب وسمعته من لفظه فى الثامن والعشرين لشهر ربيع الأول عام أربعـة وثمانين وستمائة قال، نـا أبو عبد الله القضاعى هـو الأبار قراءة منـه علىَّ بلفظه من خطـه قال، حدثنى قريبى أبو سليمان داود بن حـوط الله بلفظه قال، نا أبو القاسم بن بشكوال قـال، أنا الفقيه العدل أبـو عبد الله محمد ابن أحمد التجيبى وذكره على ما تقدم. وأوصى به أبو القاسم أبا سليمـان، وأوصى بـه أبو سليمان أبـا عبد الله القضـاعى، وأوصى به القضاعى أبا عبد الله بن حيان، وأوصى به ابن حيان محمد بن رشيد وفقه الله .

وهـذا الإسنـاد أعلى درجة ومسـافـة. والأول أعلى صفـة لفضل رجالـه دينا وصلاحـا أنال الله من بركـاتهم ونفع بصالح دعواتهم.

قلت: وافق عبـد الله بن يـزيـد المقرئ على روايتـه لهـذا الحديث بشرطـه من السلسلة بالوصيـة الحكم بن عبدة قال، أخبرنى حيوة بن شريح قال، أخبرنى عقبة بن مسلم، عن أبى عبد الرحمن الحبلى .

قلت: وعبد الله بن يزيد أبو عبد الرحمن المعافرى الحبلى الشـامى يعـد فى المصـريين روى عن أبى ذر الغفـارى وأبى سعيـد الخـدرى وأبى محمد عبـد الله بن عمـرو بن العـاصى وغيرهم من الصحابـة. وكان رجلا صالحا فاضـلا. أخرج له مسلم وغيره. وهو ثقة. قاله يحيى وابن صالح وغيرهما. ذكره ابن خلفون بهذا .

وعقبـة بن مسلم التجيبى المصرى يكنى أبـا محمد إمـام المسجد الجامع بمصر روى عن ابـن عمر وعبد الله بن عمرو ابن العـاص وعقبة بن عامـر الجهنى وعبد الله بن الحـارث بن جزء وعن جماعة من التابعيـن: منهم أبو عبد الرحمن عبد الله ابن يزيد المعافرى الحبلى. أخرج له أبو داود وغيره. وهو ثقة قاله ابن صالح وابن عبد الـرحيم وغيرهما، ذكر هذا التعريف به الحافظ أبو عبد الله محمد بن خلفون أيضا .

وحيوة بن شريح بن صفوان بن مالك بن الحارث أبو زرعة الحضرمى ويقـال التجيبى، ويقال الكندى المصـرى. أخرج له خ م. وهو ثقة روى عن عقبة بن مسلم ويزيد بن أبى حبيب المصريين وغيرهما ا. هـ .

وعبد الله بن يـزيد العدوى المقـرئ أبو عبـد الرحمن روى عنه البخارى. فقيه ثقة صدوق فى الحديث .

وبشر بن مـوسى أبو على الأسدى بـن صالح بن شيخ بن عميـرة. حـدَّث عن أبى بكر عبـد الله بن الحسن بـالمَسِيـد. وحدَّث عن جماعة منهم عبد الله بن صالح بن مسلم العجلى وأبـو نعيم الفضل بن دكين. حـدَّث عنه أبـو على محمـد بن

أحمد بن الحسن الصواف، وسليمان بن أحمد الصبرانى ... وأبو... بن حمدان القطيعى وأبو... الشافعى (كلمات مطموسة فى المخطوط)سئل عنه الدارقطنى فقال ثقة. وقال أيضا بشر بن موسى الأسدى. ثقة نبيل. توفى رحمه الله يوم السبت لأربع بقين من ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائتين. ومولده سنة تسعين أو إحدى وتسعين ومائة. كان يتردد فى ذلك. حدث عنه بهذا الحديث أبو على الصواف وأبو القاسم الطبرانى. حدث به عنهما مسلسلا أبو نعيم.

قلت والله المرشد مثل هذا المسلسل ينبغى أن يعتمد عليه وتشد اليد له، ويرغب فى اتصال سنده وبركته. وقد أخرجه عبد بن حميد فى مسنده المنتخب فقال: نا عبد الله بن يزيد، نا حيوة بن شريح، عن عقبة بن مسلم عن أبى عبد الرحمن الحبلى، عن الصنابحى، عن معاذ بن جبل قال:

«أخذ رسول الله ﷺ بيدى يوما. فقال: يا معاذ إنى لأحبك لله. قال معاذ: بأبى أنت وأمى والله إنى لأحبك فقال رسول الله ﷺ: يامعاذ لا تدع أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

وأوصى بذلك معاذ الصنابحى، وأوصى الصنابحى أبا عبد الرحمن، وأوصى أبو عبد الرحمن عقبة بن مسلم وفيه التسلسل عنده إلى عقبة فقط.

وأخرجه أبو داود فى الصلاة، عن عبيد الله بن عمر القواريرى عن المصرى. ورواه النساء عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن حيوة وفى اليوم والليلة عن محمد ابن عبد الله بن يزيد، عن أبيه، عن حيوة.

ومن مسموعات شيخنا أبى محمد الخلاسى رحمه الله جميع القواعد للقاضى أبى الفضل عياض سمع جميعها على أبى العباس أحمد بن عثمان بن عجلان القياسى قال أبو العباس، أخبرته بها عن أبى زكرياء بن عصفور إجازة، عن الحجرى إجازة، عن المؤلف رحمه الله.

قال شيخنا أبو محمد: وقرأت بعضها على أبى إسحاق البلفيقى، وناولنى جميعها وحدثنى بها عن الشيخ الصالح أبى محمد عبد الله عطية القيسى عن أبى محمد عبد الله بن الحسن القرطبى عن السهيلى، عن المؤلف.

قال أبو إسحاق: وقرأتها على الشيخ الصالح أبى إسحاق ابن هاشم القيسى، عن أبى الحجاج ابن الشيخ قراءة، عن أبى إسحاق بن قرقول قراءة، عن مؤلفها سماعا أو قراءة.

قال أبو إسحاق: وحدثنى بها أبو العباس العزفى وجماعة عن الحجرى.

قال أبو إسحاق: وكذلك سمع على أبو محمد الخلاسى بعض الموطأ رواية يحيى، وبعض الشهاب، وبعض شمائل الترمذى، وبعض الأربعين لأبى نعيم الكبرى (لعله يريد بالكبرى كتاب الأربعين حديثا على مذهب أهل السنة تفرقة بينها وبين الأربعين حديثا على مذهب الصوفية لأبى نعيم الأصفهانى نفسه (ت ٤٣٠ هـ/ ١٠٣٨ م) انظر ابن خير / ١٥٨ السبكى ٤ / ١٨ ـــ ٢٥، ٢٥٣)، وبعض الأربعين للثقفى للحافظ أبى عبد الله القاسم بن الفضل الأصبهانى، وبعض الأربعين للآجرى (لأبى بكر محمد بن الحسين الآجرى) وسمع علىّ جميع المصافحة لابن العربى، وثلاثيات البخارى، وحديث اللص. وأجاز له أبو إسحاق جميع ما روى وألف بأى وجه رواه. انتهى.

لباس الخرقة:

ومما قرأته على شيخنا أبى محمد المقدمة المحسبة المحتسبة بتوصية ذوى الخرق المنتسبة لأبى بكر بن مسدى بسماعه على جامعها أبى بكر. وليس منه وألبسنى الشيخ أبو محمد طاقية على رأسى كما لبس من شيخه أبى بكر.

ونص المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على النبى محمد الكريم وعلى آله وسلم تسليما يقول أضعف خلق الله خادم السنة النبوية وأهلها أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن مسدى وفقه الله للاقتداء بآثارها والاهتداء بأنوارها:

أما بعد حمد الله حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبده، وعلى آله وأنصاره وجنده، فهذه مقدمة أذكر فيها بعض شيوخى الذين أعول عليهم، وأستند فى طريق الخرقة المباركة إليهم.

فأولهم وأولاهم بالتقديم وأوجبهم على بالبر والتكريم جدى لأم الزاهد أبو محمد موسى بن يوسف بن موسى بن

يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن المغيرة الأزدى المهلبى رحمه الله وبرّد ثـراه، وجعل الجنة مأواه. فإنه تفرس بصـدق ألمعيته فى صغيرا، وأوسعنى بكـرم أحوذيته تكريما وتـوقيرا، وألبسنى كـريم خرقتـه وخلع على ضافى حـرمته، وتعـرفت من منّ الله تعالى علىّ فى إجابة دعوته خصوصية مازنى بعموم مزيتها من بين الأبناء والحفدة، وجعلنى خليفتـه ومعتمده، ونوه بى فيما نبه بى علىّ، وأشـار عنى فى وراثته إلىّ. وتـوفى رحمه الله فى شوال من سنة اثنتين وستمائة قبل أن تظهر بى مخائل فراسته، أو تبـدو عنى شمائل وراثتـه، وأنا آخـر أهله عهـدا بدعـائه، وأولهم فى مضمار السبق فوزا باعتنائه.

وكـان قد صحب جمـاعـة من الأعـلام ومشيخة الإسـلام منهم: أبو العبـاس أحمد بن موسى بن عطـاء الله الصنهاجى المعروف بـابن العريف ولبس منه وروى عنه، وانفـرد فى آخر عمـره بما تلقى من لـدنه. وصحـب أبو العبـاس جماعـة من الأئمة وعلماء الأمة منهم: الإمام أبو بكر عبد الباقى بن محمد ابن برال الحجارى ولبس منه وروى عنه.

وصحب أبو بكر هذا جماعة من الجلة أقدمهم فى الطريق قدما وأوضحهم فى الـزهد والعبادة أمما الإمام أبـو عمر أحمد ابن محمد بن عبـد الله الطلمنكى فخر بصحبته أقرانـه وباهى برؤيته وروايته زمانه، وكان أبو عمر هذا قد رحل وجال، ولقى أعـلام الرجـال، واعتمد منهم فى الطـريق والتحقيق على أبى عمر أحمد بن عون الله (الصحيح أبو جعفر أحمد)فلازمه مدة حياته وباهى بتقديمه فى مشيخته ورواته.

وصحب أيضـا بمكـة أبـا على الحسن بن عبـد الله بن الحسين بن محمد الجرجانى خادم أبى سعيـد بن الأعرابى. وقد اختص أبو عمر (الصحيح أبـو جعفر أحمد) ابن عون الله بأبى سعيـد بن الأعرابى هـذا واعتمد عليـه وأشار فى الطـريق والتحقيق إليه.

وأبو سعيد هذا فله الرحلة الشاسعة فى الأقطار، والتآليف الـواضحة الأنـوار. صحب أصحـاب سفيان بن عيينـة، وابن المبـارك، وإبـراهيم بن أدهم واختص فى علـو الطـريق بأبى محمد سلم بن عبـد الله الخراسانى. وكان كبيـر أصحاب أبى على الفضيل بن عياض، وصحب الفضيل هشـام بن حسان ويونس بن عبيـد وغيرهما من أصحـاب أبى سعيد الحسن بن أبى الحسن البصرى، وهو المقدم فى زهاد التابعين ورضى الله عنهم أجمعين.

وقـد صحب الحسن جماعـة من أصحاب رسـول الله ﷺ وكانت تلقمـه أم سلمة زوج النبى ﷺ ثديها تشغلـه بذلك فى صغـره، ورأى على بـن أبى طـالب رضى الله عنـه. وتــذكـر الصـوفية أنـه لبس منه، ولا يصح ـ عنـد أهل الحديث بعـد الـرؤية ـ له روايـة عنه. وإنمـا اختص بأنس بن مالك خـادم رسـول الله ﷺ وبعمـران بن الحصين صـاحب رسـول الله ﷺ وكـان عمـران هـذا رأس الزهـاد من أصحـاب رسـول الله ﷺ بالبصـرة، وكان يسلم عليه ويسمع تسبيح الطعام بين يـديه. وهذا الإسنـاد من أحسن أسانيد الصحبـة وأصحها قربا وقـربة كل منهم إمام علمـا وعملا. نفعنـا الله برؤاتها وأعـاد علينا من بركاتها.

وقـد لبست الخـرقة فى سنة خمس وستمـائة من شيخنـا الإمام مجـد الدين أبى زكـريا يحيى بـن عبد الرحمن بـن عبد المنعم القيسى المعروف بالأصبهانى رحمه الله. كان قد سكن أصبهان وصحب بها مشائخ هذا الشأن من أصحاب أصحاب أبى نعيم الحافظ صاحب المصنفات فى هذا الباب. ثم تلمذ طريقـا وتحقيقا بـالإمام أبى عبـد الله محمد البـروى رحمه الله وإليه كان يشيـر، وبهديه كان يستنير. وكان بين أبى زكـريا هذا وبين جدى رحمهمـا الله أنس واتحاد. وكان يـرى لجدى حق السنة والإسناد. ولما علم بعـد أن ألبسنى بأن جدى رحمه الله قـد كان ألبسنى قـال لى: مـا تأدبنا مـع الشيخ ولو علمت مـا ألبستك ولكن قد أجاز أئمة الطريق خـرقة التشريف بعد خرقة التعريف. وكلنا فى بركات الشيخ جدك رحمه الله.

ثم لبست بعد ذلك خرقة الطريقة من يد شيخنا الإمام أمين الـدين أبى محمـد عبـد اللطيف بـن أبى طـاهـر بن النـرسى الصوفى البغدادى قـدم علينا غرناطـة فى سنة تسع وستمائة. وكان من مريدى الإمام محيى الدين أبى محمد عبد القادر بن أبى صالح الجيلى لبس منه وتحقق به. ولبس خرقة التشريف من أبى الوقت الهـروى وأبى عبد الله محمد بن عبيـد البصرى وأبى الرشيد الأبهرى الخفيفى وأبى زرعة المقدسى وجماعة من هذه الطبقة رحمهم الله.

ثم لبست بعدها خرقة التبـرك من شيخنا الإمام أبى محمد

عبد الصمد بن أبى الرجاء البلوى بمدينة وادى آش فى سنة ثمان عشرة وستمائة. وكان قد لبس من أبيه ومن جماعة، ثم تلمذ لأبى الحسن بن حرازم ولبس منه وعول عليه وتحقق به رحمهما الله.

ولبست أيضا الخرقة المباركة من الشيخ الأجل الخطيب أبى الحسن على بن محمد بن يبقى رحمه الله بأوريولة من شرق الأندلس فى سنة تسع عشرة. وقد كان لبسها من يد الإمام الحافظ أبى طاهر أحمد بن محمد السلفى الأصبهانى.

ثم لبست بعد ذلك تبركا من جماعة لبسوا من الحافظ أبى طاهر رحمهم الله ببلاد شتى. والحمد لله كثيرا.

ولبست الخرقة المباركة أيضا من الشيخ أبى أحمد جعفر ابن عبد الله بن سيد بونة الخزاعى بوادى لشت من شرق الأندلس فى سنة عشرين. وكان قد صحب الشيخ أبا مدين رحمه الله ولبس منه، ثم لبس من الشيخ أحمد الرفاعى الكبير.

وقد لبست من جماعة من أصحاب أبى مدين وأحمد رحمهما الله.

ولبست أيضا الخرقة من الإمامين أبى العباس أحمد بن قاسم المعروف بابن البقال، وأبى السناء أحمد بن أبى الربيع المعروف بابن أخت ناهض، وغيرهما من أصحاب أبى عبد الله بن الكتانى رحمه الله.

ولبست أيضا الخرقة المباركة من الإمام فخر الدين أبى عبد الله محمد بن إبراهيم الفارسى بديار مصر سنة اثنتين وعشرين، لبسها من أبيه، لبسها من أبى الفتح نصر بن خليفة، لبسها من أبى إسحاق إبراهيم بن شهريار، لبسها من الشيخ حسين الهكارى، لبسها من أبى عبد الله بن خفيف الشيرازى رحمه الله.

ولبستها من الإمام شيخ الشيوخ ببلاد الشام تاج الدين أبى محمد عبد السلام بن أبى الفتح بن حمويه، لبسها من أبيه

ولبست خرقة التبرك أيضا من الشيخ أبى محمد عبد المؤمن بن على الوهرانى بضواحى تلمسان، لبسها من الإمام أبى بكر أحمد بن أبى الحسن الطوسى بالحرم الشريف.

ولبست من جماعة غير هؤلاء أعاد الله علينا من بركاتهم ونفعنا برؤيتهم ورواياتهم آمين.

ووصينا لمن تلقاها منا وأخذها عنا أن يفى لله تعالى بعهودها حلا وعقدا، وأن يقوم بحدودها صدرا ووردا. قال الله تعالى: ﴿**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتهم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا**﴾ [النحل: ٩١]. وقال تعالى: ﴿**وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم**﴾ [البقرة: ٤٠] وقال تعالى: ﴿**وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به**﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وجماع الأمر تقوى الله تعالى سرا وجهرا، والعمل بطاعته نهيا وأمرا.

واتباع ما صح عن رسول الله ﷺ مما يجوز لنا الاقتداء به فيه قولا وفعلا. قال الله تعالى: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم**﴾ [آل عمران: ٣١].

والإعراض عن الخوض فى الدين بالمراء والجدال. قال الله تعالى: ﴿**وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره**﴾ [الأنعام: ٦٨].

والسكوت عن المشكلات إيمانا وتسليما لعالمها عز وجل. قال الله تعالى: ﴿**فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه**﴾ [آل عمران: ٧] ونهى رسول الله ﷺ عن معضلات المسائل والاحتياط فيما وقع فيه الخلاف بين أئمة المسلمين. قال الله تعالى: ﴿**ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقال تعال: ﴿**الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله**﴾ [الزمر: ١٨].

وترك الشبهات قولا وفعلا. قال رسول الله ﷺ: «من اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه».

(جزء من حديث نصه فى الصحيح «الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس. فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه. ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله فى أرضه محارمه. ألا وإن فى الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب» البخارى ١ ١٩، ٢٠).

وأخذ النفس بالتوسط فى أحوالها دنيا ودينا بين طرفى النقيض من تدل أو غلو.

وطرح التكلف أو الإهمال فى الأمور بتقصير أو غلو.

وفي القصد لمن فهم عن الله تعالى بلغة . والتشوف من حال إلى نزغة ، ولله در القائل :

إذا شئت أن تحيـا سعيـدا فـلا تكـن
على حـالـة إلا رضيت بـدونهـا

ومن خرج عن حال الوقت فقد ضيع وقت الحال ، ومحل طلبه بطلبه المحـال . والله الله في اغتنـام ساعـة من الليل بالخلوة ، فكـم للحق فيه من جَلوة وجِلوة ، ورب نظـر منه عز وجل تغرس في الـوجنات نضرة ، ولرب عَبرة عِبـرة تعقب حبرة والكسل رائد الأحـزان ، والنـوم أخـو المـوت ، والسـاعـات للمتواني عنها مطايا الفوت . ولتكن المهمة في التخلق بمكارم الأخلاق نبوية الأعراق ، ولا يعجـز أن يترشح لكرامات الأولياء بولايـة الكرامات ، فإنها رشح المعجـزات ، وليجعل التفويض إلى الله تعـالى أقـوى سبب يعتمـد عليه ، والتسليم لأمـره عـز وجل أسهل سلم يـرتقى فيه إليـه ، يرتـاح بذلك بـدنه وقلبـه ، ويتفرغ للقيام بوظائف العبودية وقته ولبه . فلا سبيل إلى الحرية والكتـاب منجم ، والمكـاتب عبـد مـا بقي عليـه درهم . ولا وَصول بوُصـول ، وحبل الحياة موصول وكل دعـوى في الترقي بغير الـرق فضول ، ولا انفصـال عن هذه الفصـول ما تغـايرت الفصول . فلينسلخ العبـد عن نفسه الأمارة بمخالفـة أهوائها ، فهـو أنجع مداواة أدوائهـا . قال الله تعـالى : ﴿**وأما من خاف مقـام ربـه ونهى النفس عن الهـوى فإن الجنـة هي المأوى**﴾ [النازعات : ٤٠] وليتذكر إذا اقتدر فيمن ينضوي إليه قدرة الله عز وجل عليه ، وليتفكر عند نظـره إلى ما زوى عنه نظر الله عز وجل إليه . ﴿**إن ربك لبالمرصاد**﴾ [الفجر: ١٤] وليتدبر لدى البلايا نعمة الله تعالى لديه فلا يزال رؤوفا عطوفا رحيما .

فمن وفى بهذه الشروط فقد أحرز حظه من الميراث النبوي والخلق المصطفـوي والأناة عند تلـون الآراء والأعراض باختلاف الأغراض . فما كان لله تعالـى طاعة انتهز الفرصة فيه لنقص ذات يده وملء فيه ، وإن عـن أمر بمعروف أو نهي عن منكر فليكن أمره بمعروف ونهيه غير النهي المنكر . فمن قام أو قال بـالله لله قال أو قـام رحيما في الله ، ومن قـام بنفسه لله في خلقه أتعب نفسه مع الله والخلق بحمقه . والله عز وجل أغنى الشركـاء عن الشرك . وإلى هذا فإن العز كل العـز في التواضع وجب الفقراء والمساكين ورعى حقوقهم واتخاذ الأيادي لديهم ببذل الجاه والمال . فإن لهم دولة يذل لساطنها كل عزيز، ولا يتوقف عن حوائج المسلمين ، فإن ذلك يسرع بصاحبه الجواز على الصراط يوم الدين .

وملاك الأمر في هذا الوصـايا أن يعامل الله تعالى في خلقه بما يريـد أن يعامله الله تعالى به . وهـو سر الأسماء الحسنى والدليل إلـى مقصدها الأسنى . والله لا يضيع أجـر من أحسن عملا . وإن يكن في الأجل نسا ، فسنبسط في هذا بمشيئة الله تعـالى القـول في هـذا البـاب ، بمـا يكـون فيـه ذكـرى لأولي الألباب ، ويكفي في هـذه العجالة ، هذا القدر مـن المقالة ، وإنها لمحسبة لأهل البداية ، والله ولي الهداية . آخرها والحمد لله كثيرا أولا وآخرا وظـاهرا وباطنا وصلواته على رسـوله محمد النبي الكريم وعلى آله وأصحابه وسلامه .

صفة إثبات طبقة سماعي عليه :

قرأت جميع هذه المقدمـة على سيدنا الشيخ الصالح أبي محمد الخلاصي نفعنـا الله بصالح دعواته ومتع بحيـاته وأعاد من عميم بركاته . وهي المسماة بالمقدمة المحسبة المحتسبة بتـوصية ذوي الخـرق المنتسبـة . ونقلتها مـن خطه من أصلـه الذي سمع فيه على شيخه الفقيه العالم المحدث الصوفي أبي المكارم محمد بن مسدي مؤلف هـذه المقدمة . وكان سماعه عليه في ضحـوة يوم الأربعـاء الخامس من شهـر محرم مفتتح سنة سبع وخمسين وستمـائة بالحرم الشريف من مكـة شرفها الله .

ولبس عنه الخرقة المباركة .

ولبست الخـرقـة المبـاركـة من سيـدي أبي محمـد عقب القراءة ، نفع الله بـذلك . وذلك في التاسع لشهـر ربيع الثاني عام أربعة وثمانين وستمائة .

وكذلك حضر القراءة ولبس الخرقة المباركة الفقيه الفاضل المبارك الأكمل أبو محمد عبد الواحد بن مبارك حفظه الله .

وكتب محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري وفقه الله بمدينة تونس كلأها الله .

وحضـر القراءة ولبس الخـرقة الفقيـه المبـارك أبو القـاسم نفيس بن علي بن نفيس الخزرجي وفقه الله .

وكتب الشيخ بخطه ما نصه : صح لهم ما ذكر من القراءة ولباس الخرقة المبـاركة ، جعلهم الله من أهل العلم والعاملين

بـه . وكتب عبـد الله بـن يـوسف الخلاسـى هـ . انتهـى الرسـم .

أنشدت بقرائتى على الشيخ الصالح أبى محمد الخلاسى بتونس قال، أنشـدنا الإمام العامل الفضل أبـو المكارم جمال الـدين بن مسدى فى الثـامن من شهـر ذى القعدة سنـة ست وخمسين وستمائة بالحرم الشريف لنفسه :

[الطويل]

أمـرغ خـدى فى التـراب لعـزه
عسى عطفـة منـه تـرق لـذلتى
وأطـرق تعظيمـا ، وأغضى مهـابـة
ويخـرسنى فـرط الحيـاء لـزلتى
وأمـزج خـوفى بـالـرجـاء لأننى
أرى علتـى فـى حبـه وتعلتـى

ومما أخـذته عن شيخنـا الفاضل الولـى التقى أبى محمد عبد الله بن يـوسف الخلاسى نفع الله بـه حذو النعل الكـريمة من طريق القـاضى أبى بكر بن العربى . وفى صورتـه وإسناده بعض ما يحتاج للنظر. ونقطتا القبـالين كأنهما موضوعتان فى غير مـوضعهما لقـربهما من الحاشيتين فليتـأمل ذلك إن شاء الله . وهـذه الصـورة التـى رويت عنـه تـراهـا فى الـورقتين الملصقتين بهذه الأوراق والله ينفع بذلك بمنه .

(ملء العيبة بما جمع بطـول الغيبـة لابن رشيـد ـ تقـديم وتحقيق سماحة الشيخ الدكتـور محمد الحبيب بن الخوجة ٢ / ٦١ ـ ٦٣، ٣٢١ ـ ٣٧٦ وقد وضعنـا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص) .

***خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر:**

من مصنفـات التـراث الإسلامى فى علم التـراجم تأليف المحبى قال عنه الأستاذ عزت ياسين أبو هيبة :

المحبى، محمـد أمين بـن فضل الله بن محب الله بن محمد المحبى الحموى الأصل، الدمشقى (١٠٦١ ـ ١١١١ هـ) .

قـال محمـد خليل المرادى صـاحب السلك عن مـؤلفنـا المحبى أنه ولـد بدمشق فى سنة إحـدى وستين وألف وقد نشأ بهـا فى كنف والـده واشتغل بطلب العلم فقـرأ على العـلامـة الشيخ إبراهيم الفتال والشيخ رمضـان العطيفى والأستاذ الشيخ عبـد الغنى النـابلسى والشيـخ عـلاء الـدين الحصكفى . . وغيرهم، وأنه كان يكتب الخط الحسن العجيب .

وقد ألف مـؤلفات حسنة بعد أن جاوز العشـرين من عمره منهـا خلاصـة الأثر وتـرجم فيه زهـاء ستة آلاف تـرجمة وهـو مشهـور وجمع مـن التـراجم التى اقتطفهـا مـن كتب الفقهـاء والأدباء والصوفية فيه .

ورحل إلى بلاد الروم وللديـار الحجازية وناب فى القضاء بمكة ورحل منهـا للديـار المصريـة وناب فى القضـاء بمصر وحج بيت الله الحرام وولى تـدريس المدرسة الأمينيـة بدمشق وبقيت عليه إلى وفاته (سلك الدرر) .

وكان المحبى مؤرخًـا وأديبًا وشاعـرًا ولغويًـا ومشاركًـا فى بعض العلوم وسافر الآستانة وبروسة وأدرنة ومصر وولى القضاء بالقاهرة وعاد إلى دمشق وتوفى فيها .

ما أجدر بهذا الكتـاب أن يسمى بهذا الاسم ولكنها روضة غَنَّاء ذات أفنـان وغصون، وعلى كل فهى خلاصـة تبر الآداب المسبوك وأوضح منهاج السلوك لمصائد درر الملوك .

تحتـوى على ١٣٠٠ تـرجمـة ممن توفـوا فى أثنـاء القـرن الحادى عـشر الهجـرى أو حـوله كمـا أشـار عبـد الجبار عبـد الرحمن (دليل المـراجع العـربية والمعـربـة / ٤٥٥)، وأضاف إلى كل ترجمة شيئًـا من الأخبار والمحاسن والأشعار واقتصـر فيـه على علماء اليمـن والبحرين والحجـاز والشـام ومصـر والـدولـة العثمـانيـة وغيـر ذلك ورتبهـا على حـروف المعجم .

ويتضح للقارىء لهـذه الخلاصـة عظمة النهضـة العلمية والأدبيـة التى ظهرت فى ذلك القـرن ونشأ من عشيـرة المحبى هذا عدة علماء ذكرهم المرادى فى سلك الدرر .

وطبعت بمصر، بالمطبعة الوهبية سنة ١٢٨٤ هـ فى أربعة أجزاء .

وقد نظم لختام طبع هذه الخـلاصة لبعض الفضلاء منهم سعادة سيد بيك أباظة قصيدة آخرها :

بطيب عـارف اقتـدار العلـوم تـركت
فى طى واردهـا خـلاصـة الأثـر

وأنشد عبد الهادى الأبيارى بقصيدة آخرها :

وقـد انتهت طبعـا فقلت مـؤرخًـا
طبع الخـلاصـة طبع حسن مهـر

(١٢٨٤ هـ)

وقال الشاب الظريف :

وهى مطبــوع الحجــا تــاريخــه

طبع الخــلاصــة بــالبهــاء أجــادا

(١٢٨٤هـ)

وأنشد الأديب مصطفى أفندى صفوت :

فيــــه أكـــرم من تـــاريخ

ولعـــــارفـــــه نعم الأثـــــر

(١٢٨٤هـ)

وقال الأديب اللبيب محمد أفندى :

فقــــــــر عينــــــا وأرخ

هـــــا تم طبع الخـــلاصـــة

(١٢٨٤هـ)

وهذه الحروف التى يحتوى عليه الشطر الثانى من البيت كل حرف منه يقابله عدد فنفسره كالآتى :

أ	ب	جـ	د	هـ	و	ز	ح	ط	ى	ك	ل	م	ن
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ			
٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠			
ض	ظ	غ											
٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠											

فلو اعتبرنا الشطر الثانى هو تاريخ النسخ (الطبـــاعة) : ها تم طبع الخلاصة .

فنقول الآتى :

هـــا   تـــم   طبــــع

١ + ٥ / ٦ + ٤٠٠ + ٤٠ / ٤٤٠ + ٩ + ٢ + ٧٠ / ٨١ +

الخلاصة

١+٣٠+٦٠٠+٣٠+١+٩٠+٥ / ٧٥٧ = ١٢٨٤ هـ

لمخطوطات العربية / ١٨٨ ـ ١٢٠)

انظر مــادة «حساب الجُمَّل» فى م ١٣ / ٥٤٩ ـ ٥٥٤

يوجد مخطوطه بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى :

لمحمـــــد الأميـن بن فضـل الله بن محـب الله المحبى، المتوفى سنة ١١١١ هـ .

(بروكلمن ٢ : ٢٩٣ وملحق ٢ : ٤٠٣) .

أوله : «اللهم سهل يـا كريم يا من أحصى بلطفه الخلائق عددا، وجعلهم بمشيئته طرائق قددا» .

وينتهى بترجمة «يوسف البديعى» ، وآخر ما فيه : «ووصل بعدها إلى قسطنطينية فتوفى بها فى سنة ثلاث وسبعين رحمه الله . تم» .

نسخة مجدولة كتبت بقلم معتاد، فرغ من نسخها سنة ١١٠٨ هـ وهى فى ٥١٩ ورقة، ومسطرتها ٣٣ سطرا .

[دار الكتب المصرية ٢١٠٧ تاريخ طلعت] UNESCO

(فهرس المخطوطات المصورة جـ٢ ق ٤ / ١٦٠) .

(المخطوطات العربية ـ عزت ياسين أبو هيبة ١/ ١١٨ ـ ١٢٠، وفهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ، جـ٢ ق ٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م/ ١٦٠) .

*** خلاصة الأحكام فى مهمات السنن وقواعد الإسلام:**

للإمام محيى الدين يحيى بن شرف النووى الشافعى (كشف ١ / ٧١٧) .

***خلاصة الأخبار فى أحوال الأخيار:**

خلاصة الأخبار فى أحوال الأخيار: فارسى مجلد لغياث الدين محمد بن همام الدين الملقب بخواند مير ألفه لمير عليشير فى حدود سنة ٩٠٠ تسعمائة ورتب على مقدمة وعشر مقالات وخاتمة المقدمة فى بدأ الخلق والمقالات فى الأنبياء والحكماء وملوك العجم والسير والخلفاء وبنى أمية والعباسية ومعاصريهم من الملوك وآل جنكيز خان وآل تيمور والخاتمة فى أوصاف هراة وسكانها لخص فيه روضة الصفا لأبيه .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٧١٧) .

*** خلاصة الأخبار فى أحوال النبى المختار ﷺ:**

خلاصة الأخبار فى أحوال النبى المختار (صلى الله تعالى عليه وسلم): مختصر للشيخ محمود أفندى الإسكدارى المتوفى سنة ١٠٣٦ ست وثلاثين وألف أوله : الحمد لله الذى

علم الإنسان ما لم يعلم ... ألخ رتب على خمسة أبواب : الأول فى خلق القلم ، الثانى فى خلق آدم ، الثالث فى نشأة نبينا عليه الصلاة والسلام ، الرابع فى العلم والمعرفة ، الخامس فى التسبيح والذكر والدعاء والتوحيد .

(كشف الظنون ١ / ٧١٧) .

*** خلاصة الإعراب:**

من مخطوطات العلوم النحوية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ، وجاء بيان المخطوط كما يلى :

خلاصة الإعراب OP. 1536

تأليف : حاجى بابا بن حاجى إبراهيم بن عبد الكريم بن عثمان الطوسى المتوفى حوالى سنة ٨٧٠ هـ ١٤٦٥ م .

هو شرح لكتاب «المصباح فى النحو» للمطرزى أقرب إلى التحشية عليه منه إلى الشرح ، فقد ذكر المؤلف فى خطبة كتابه أنه حشى على المصباح .

أوله بعد البسملة : «الحمد لله ولى الإنعام فاطر السموات والأرض والأنام وبعد فهذه حواش كتبها حاجى بابا بن حاج إبراهيم ... للمصباح وسماها خلاصة الإعراب ... » .

آخره : « ... وفى المنصوب أكرمنى وأكرمنا ودعانا ورمانا وأعطانا تم الكتاب» .

النسخة تامة على هوامشها تعليقات وتصويبات كتبت بخط فارسى ردىء ، ولم يذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ .

(٦٩) ق (٢١×٥ ,١٥ سم) المسطرة (١٧ ـ ٢٢س)

الكشف : ٢/ ٤٤٩ بروكلمان : ١ / ٢٩٣ ذيل بروكلمان : ١ / ٥١٤ .

ـ نسخة منه

تامة متأخرة كتبت سنة ١٠٤٠ هـ بخط نسخ معتاد ولم يذكر اسم ناسخها .

(٥٨)ق القطع المتوسط مسطرتها (٢٣ س) .

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية . بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د . عدنان درويس ٢ / ١١٠ ، ١١١) .

*** خلاصة الأفكار فى بيان زبدة الأسرار من شرح مشكل لب الألباب:**

من مخطوطات العلوم النحوية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ، وجاء بيان المخطوط كما يلى :

خلاصة الأفكار فى بيان زبدة الأسرار من شرح مشكل لب الألباب . OP. 186

مجهول المؤلف ، ولعله من وضع قوبل بابا ثلوغ(كذا) كان حيًا سنة ٧٦٨ هـ ألفه شرحا على كتاب «لب الألباب فى علم الإعراب» للتاج الإسفرائينى صاحب كتاب «الضوء» الذى وضعه فى النحو والإعراب وجعله حاويًا لتفاريع النحو فجاء كثير الفوائد مشتملا على دقائق الأسرار العربية . وهذا الشرح من الشروح المعتبرة لهذا الكتاب .

أوله بعد البسملة «الحمد لله الذى رفع قدر العلماء لاستثمار الأحكام من محكم تنزيله بالبيان ونصب لهم ما هو وسيلة إلى كشف القناع ... » .

آخره : « ... وقيل حال من ضمير أخون وقيل تمييز منه والله أعلم بالصواب» .

النسخة تامة بحالة حسنة كتبت بخط نسخ دقيق جدا ، ولم يذكر فى خاتمتها تاريخها أو اسم ناسخها .

(١٤٠) ق (٢٢ × ١٦ سم) مسطرتها (٢٧ س)

الكشف : ٢ / ١٥٤٦ .

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د . عدنان درويش ٢ / ١١١) .

*** خلاصة الأقوال فى معرفة الرجال:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التراجم والسير وعلم معرفة رواة الحديث مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى ، وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ١٤٣٧٨ / ١

لجمال الدين حسن بن يوسف بن على بن المطهر الحلى المتوفى سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م .

الأول (الحمد لله مرشد عباده إلى سبيل السداد وهاديهم إلى طريق النفع فى المعاش والمعاد ...) .

رتبه المؤلف على قسمين هما :

القسم الأول فيمن يعتمد على روايته وفيه سبعة وعشرون فصلا .

القسم الثانى فيمن تركت روايته أو توقفت فيه وفيه سبعة وعشرون فصلا .

فرغ منها المؤلف سنة ٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م .

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ سنة ٩٥٢ هـ / ١٥٤٥ م عن نسخة ولد المصنف عليها مقابلة على نسخ مختلفة تمت سنة ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م و ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م فى أولها فوائد .

القياس ٢٢٨ ص ٢٠×١٥ سم ١٧ س

معجم المؤلفين ٣ / ٣٠٣ الذريعة ٧ / ٢١٤ طبعت بطهران وطبعت بالنجف بعنوان رجال الحلي .

ـ نسخة أخرى

الرقم ٧٤٧١ / ١

كتبها بخط النسخ الجيد علاء الدين أحمد بن جمال الدين الخضرى سنة ٩٦٩ هـ عليها حواش منقولة من أحد كتب الشهيد الثانى زين الدين العاملى .

القياس ٦٤٦ ص ٢٠×١٣ سم ١٧ س

نسخة أخرى

الرقم ١٤٦٧٨

كتبها على بن محمد بن حسن الخوراسكانى بأصفهان سنة ١٠٣٠ هـ / ١٦٢٠ م قابلها على شاه بن ولى خضر شاه . مكملة بخط أحدث من الأصل .

القياس ٣٠٤ ص ١٨,٥×١٢,٥سم ١٦س

نسخة أخرى

الرقم ١٤٠٧٥

كتبها على بن عبد الله الأسدى . ترقى للقرن ١١ هـ / ١٧م تملكها خميس الجزائرى ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م .

القياس ٢٩٠ ص ١٩×١٣ سم ١٩ س

نسخة أخرى

الرقم ٢١٨٥٢

كتبت بقلم جيد سنة ١٠٤٧ هـ ١٦٣٧ م ، عليها حواش وشروح .

القياس ٢٤٠ ص ١٠ × ١٤ سم ١٩ س

نسخة أخرى

الرقم ١١١٢٣

كتبها بخط النسخ الجيد يعقوب بن إبراهيم سنة ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣ م تملكها اسكندر بن عيسى الجزائرى الأسدى سنة ١١٨٣ هـ / ١٧٦٩ م .

القياس ٢٧٠ ص ١٢×١٥,٥ سم ١٧ س

نسخة أخرى

القرم ٢٦١٧٤٠

ترقى للقرن الحادى عشر الهجرى القرن السابع عشر الميلادى عليها تملك مؤرخ سنة ١١٩٣ هـ / ١٧٢٦ م .

القياس ٣٤٢ ص ١٩ × ١٣ سم ١٥ س

نسخة أخرى

الرقم ٨٩٤٨

كتبت بقلم التعليق الجيد ترقى للقرن الثانى عشر الهجرى القرن الثامن عشر الميلادى . عليها تملك مؤرخ سنة ١٢٤١ هـ / ١٨٢٥ م .

القياس ٣٢٤ ص ١٦,٥×١٣ سم ١٦س

نسخة أخرى

الرقم ١١٣٣٠

عليها حواش وشروح جيدة الخط

القياس ٢٨٠ ص ٢١ × ١٣,٥ سم ١٧ س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير / ١٦٢ ـ ١٦٥)

كما يوجد مخطوطه بمعهد المخطوطات العربية وبيانه كما يلى :

لجمال الدين الحسن بن يوسف بن مطهر المازندرانى الشيعى ، المتوفى سنة ٧٢٦ هـ .

(بروكلمان ٢ / ١٦٤ وملحق ٢ / ٢٠٨) و (ذيل كشف الظنون ١ / ٤٣٣) أوله : الحمد لله مرشد عباده إلى سبيل السداد ... أما بعد ، فإن العلم بحال الرواة من أساس الأحكام الشرعية ... فدعانا ذلك إلى تصنيف مختصر فى بيان حال الرواة ... » .

وآخره : «وقد اقتصرت من الروايات إلى هؤلاء المشايخ بما

ذكرت، والباقى من الروايـات إلى هؤلاء المشايخ وإلى غيرهم مذكور فى كتابنا الكبير، من أراده وقف عليه هناك، والحمد لله وحده ... ».

نسخة كتبت بخط نسخى، سنة ١٠٢٤ هـ، وعليها مقابلة سنة ١١٠٣ هـ، وهى فى ٩٨ ورقة، ومسطرتها ٢١ سطرا.

[مكتبة آية الله الحكيم العامة ١٤٢٦ النجف]

- نسخة أخرى

كتبت بقلم معتـاد، سنـة ٩٨٢ هــ، وعلى هـوامشهـا تقييدات. وبعضها بخط نسخى، وبها آثار رطوبة، وتقع فى ١٦٢ ورقة، ومسطرتها ١٧ سطرا.

[مكتبة آية الله الحكيم العامة ١٥١٩ النجف] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة جـ ٢ ق ٤ / ١٦١)

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٦٢ - ١٦٥، وفهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ جـ ٢، ق ٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م - ١٦١).

*** خلاصة الأقوال فى معرفة الوقت ورؤية الهلال:**

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى

الرقم ٢٧٣٢٩٠ / ١٢١

لشهـاب الدين أبى العبـاس أحمـد بن المجدى المتوفى سنة ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م الأول: (الحمد لله رب العالمين ... أما بعد فهـذه رسالة مختصرة منقحة محـررة فى العمل بالربع المجيب ...).

وهى رسالة فى معرفة العالم بالربع المجيب ومعرفة رسومه والتجييب والتقـويس وكيفيـة أخـذ الارتفاع وكيفيـة استخـراج الوقت ومعرفـة الهلال من خلاله. ذكر المؤلف فى نهـاية هذه الرسالـة أن له كتاب «الجامع المفيـد فى كشف أصول مسائل التقويم والمواليد».

نسخة جيدة مؤطـرة بمداد أحمر كتبت بخط النسخ ضمن مجمـوع كتب سنـة ١١٦٣ هــ / ١٧٥١ م عليهـا بعض الحواشـى. كتـب الناسـخ فـى بـداية هـذه النسخـة عـن ابن المجـدى أنـه فرغ منهـا سنـة ١١١٢ هــ / ١٧٠١ م وهى فائدة غير صحيحة.

القياس ١ ص   ١٩×١٣ سم   ٢٣ س

(الخـديوى ٥ / ٢٤٤، تـاريخ علم الفلك فـى العـراق ١٨١، كشف ١ / ٥٧٧).

(مخطوطات الفلك والتنجيم / ٦٧).

وتوجـد نسخة مصورة بمعهد المخطـوطات العربيـة وجاء بيانها كما يلى:

لابن المجدى المتـوفى سنة ٨٥٠ (بـروكلمان ٢ / ١٢٨، تصنيف رقم ١).

أوله بعد الديباجة: هـذه رسالة مختصرة منقحة محررة فى العمل بالربع المجيب سميتها بخلاصـة الأقوال.. أما رسومه ومعرفة التجييب ...

وآخره: فعليه بكتابنا المسمى بالجامع المفيد فى الكشف عن أصـول مسائل التقـويم والمـواليد، وليكـون ذلك آخر مـا أردناه من هذه الرسالة، والحمد لله وحده.

المكتبـة: دار الكتب المصـريـة: ١٨٣ ميقـات، ٥ ق، القيـاس ١٠ × ١٧ سم ف ١٠٥٦ (فهـرس المخطـوطـات المصورة / ٣٢).

(مخطـوطات الفلك والتنجيم فـى مكتبة المتحف العـراقى ـ أسامة نـاصر النقشبنـدى وظميـاء محمد عبـاس / ٦٧، وفهـرس المخطوطـات المصورة، معهد المخطوطات العربية. حـ ٣ العلوم ق ا - الفلك - التنجيم - الميقات - وضعه پول كونتش / ٣٢).

*** خلاصة الإكسير فى نسب سيدنا الغوث الرفاعى:**

من مخطـوطـات التـاريخ والتـراجم والسيـر فى مكتبـة المتحف العراقى، وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٣٠١٨٥

لأبى الحسن على بن أحمـد الشـافعى الواسطى المتـوفى سنة ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م.

الأول (الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات من الاعمال والصلاة والسـلام على سيدنا محمد أشـرف المرسلين وأكمل أهل الكمال ...)

وهى فى نسب السيد أحمد الرفاعى وفروعه.

نسخـة جيـدة كتبها بخط النسـخ الجيد محمـود شكـرى باسطنبول سنة ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ فى أولها زخرفة.

القياس ١٠٠ ص   ٢٦×١٧سم   ٢٣س

معجم المؤلفين ٧   ٦٠ بروكلمان ٢ / ١٦٦ طبعت سنة ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨ م بمصر.

(مخطوطات التاريخ والتـراجم والسير فى مكتبـة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٦٥، ١٦٦).

*** الخلاصة (ألفية ابن مالك):**

يقول الأستاذ محمد كامل بركات :

وهى منظومة فى نحو ألف بيت أودع فيها ابن مالك خلاصة ما فى الكافية الشافية من نحو وتصريف، بدأها بقوله :

قال محمد هو ابن مالك

أحمد ربى الله خير مالك

مصليا على النبى المصطفى

وآله المستكملين الشرفا

وأستعين الله فى ألفيه

مقاصد النحو بها محويه

تقرب الأقصى بلفظ موجز

وتبسط البذل بوعد منجز

والألفية لشهرتها لا يكاد يخلو منها بيت فيه من يطلب العلم، ونسخها كثيرة بين مخطوطة ومطبوعة بجميع المكتبات العامة والخاصة، وعلى سبيل المثال لا الحصر، وجدت منها بدار الكتب نسخا مخطوطة تحت أرقام: ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٣٤٥، ٨٤١، ١١٠٤، ١٤٠٣، ٣١م٣٢م، ٥٢٢ مجاميع، ٦١٠ مجاميع، ٨ مجاميع ش.

ونسخا مطبوعة تحت أرقام: ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٤٨٧، ٤٨٨، ٣٩٠، ٨٧٤، ٨٧٥، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٥٧. إلخ.

وبالأزهر نسخ كثيرة مخطوطة ومطبوعة منها ٤٧، ١٠٣، ٥٣٧، ٥٥٢، ٥٧٧، الخ (تسهيل الفوائد / ٢٠).

ويوجد مخطوط بالمكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا وجاء بيانه كما يلى الخلاصة (ألفية ابن مالك) OP. 2202.

نظم : جمل الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائى الجيانى المعروف بابن مالك النحوى: ٦٠٠ ـ ٦٧٢ = ١٢٠٣ ـ ١٢٧٤ م.

مقدمة فى النحو مشهورة نظمها ابن مالك فى أرجوزة تنتظم ألف بيت جمع فيها مقاصد علم العربية وسماها الخلاصة واشتهرت بالألفية لأنها ألف بيت فى الرجز، وهى كثيرة التداول طبعت عدة طبعات، وعليها شروح كثيرة.

أولها :

«قال محمد هو ابن مالك

أحمد الله ربى خير مالك»

(فهرس المخطوطات ٢ / ١٠٩).

(تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ـ حققه وقدم له محمد كامل بركات / ٢٠ مقدمة المحقق، وفهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢ / ١٠٩).

*** خلاصة الأمراض:**

من مخطوطات الطب فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٩٢٤١.

لمحسن التفرشى الطبيب

وهو كتاب منتخب باللغة الفارسية فى ذكر الأمراض المنتشرة فى بلاد إيران. وهو منتخب من كتاب ألفه الطبيب الفرنسى فرمولر وترجمه إلى اللغة الفارسية ميرزا مصطفى.

وقد رتبه التفرشى على أجزاء، وهذه النسخة تتضمن المجلد الأول ويتضمن خمسة أجناس وكل جنس مرتب على أبواب وهى :

الجنس الأول فى الحميات. الجنس الثانى فى الأمراض الحاصلة من التغيرات. الجنس الثالث فى الأورام. الجنس الرابع فى نزف الدماغ. الجنس الخامس فى الترشحات.

نسخة جيدة كتبت سنة ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٨ م.

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ١٠٠).

*** خلاصة البرهان فى إطاعة السلطان:**

من مخطوطات مكتبة متحف «مولانا» فى قونيا وجاء بيانه كما يلى :

خلاصة البرهان فى إطاعة السلطان :

لأسعد أفندى (وقعه نويس).

وقد ورد فى إيضاح المكنون على كشف الظنون المجلد ٣، ص / ٤٣٤ أنه تأليف السيد عبد الوهاب بن عثمان مفتى الإسلام الرومى الحنفى الشهير بياسينى زاده المتوفى سنة ١٢٤٩ هـ.

خط التعليق، الكتاب فى قسمين : عربى وتركى. القسم

العربى يبدأ من (١ب ــ ٨ ب) يتقدمه تقريظ : «الحمد لله الذى وضع الشريعة المطهرة ميزانا لمصالح العباد ... وبعد فهذه تبصرة لأولى الأبصار منطوية على عدة من الأحاديث والآثار ومشتملة على بعض كلمات الكبار... ولقد نظرت إليها ووجدت ما فيها موافقا للأصول ومطابقا للمنقول والمعقول وجدير الآن يتلقى بأحسن القبول فهى بعبارتها خلاصة البرهان وبصراحتها ترغيب الناس إلى إطاعة السلطان صارت مرتبة بالعربية أولا ومترجمة بالتركية ثانيا رعاية لمراتب أفهام الأنام من الخواص والمرام إن هى إلا نصيحة حسنة وموعظة مستحسنة فلمثله فليعمل العاملون وما علينا إلا البلاغ وأنا الفقير يستجنى زاده السيد عبد الوهاب شيخ الإسلام والمفتى الأنام عفى عنهما».

القسم العربى :

أوله : بسم ... أبهى جواهر الحمد والتحية وأسنى فوائد الشكر والملة البهية لمن هو مالك الملك والملكوت ... (أ ب).

آخره : إنه رؤوف بالعباد ومن الهداية والإرشاد وإليه المرجع والمعاد والحمد لله باطنا، وظاهرا والصلاة والسلام على خير خلقه أولا وآخرا. . تمت بالرسالة العربية (٨ ب).

«القسم التركى يبدأ من (٩ أ ــ ١٨ أ).

مقياس المجلد : ٢١ × ١٢ .

مقياس الكتابة : ١٤,٦ × ٦,٥ .

عدد الأوراق : ١٨ .

عدد الأسطر: ١٦ .

رقمه فى الخزانة : ٥٤٦٨ .

رقم المجلد : ٩٧٤ .

(المخطوطات العربية فى متحف «مولانا» فى قونيا ــ مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥ / ١٨٤، ١٨٥).

*** خلاصة البزازية فى الفتاوى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى :

القسم ٥٤١٠ .

البزازية فى الفتاوى تأليف حافظ الدين محمد بن محمد ابن شهاب المعروف بابن البزاز الكردرى المتوفى سنة ٨٢٧ هـ / ١٤٢٤ م .

وهو كتاب جامع لخص فيه زبدة مسائل الفتاوى والواقعات من الكتب المختلفة ورجح ما ساعده الدليل. وذكر الأئمة أن عليه التعويل وسماه الجامع الوجيز. فرغ من تأليفه ٨١٢ هـ.

خلاصة البزازية : تأليف محمد بن فرلموز بن على الرومى المعروف بملا خسرو المتوفى سنة ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م .

وهو مختصر البزازية فى الفتاوى، وهو على ستة أبواب، فى الصلاة والطلاق، بما يكون الكافر مسلما، وبما يكون المسلم كافرا، والكراهيات والاستحسان.

أوله : الحمد لله الذى خلق الأنام بالإكرام، وخص منهم من شاء بمزايا الأنام.

آخره : وإذا دعا بالمأثور جهرا وجهر معه القوم أيضا ليتعلموا الدعاء لا بأس به، وإذا تعلموا حينئذ يكون جهر القوم بدعة.

نسخة جيدة.

الخط فارسى جيد. بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة. كتب سنة ١٠٦٤ هـ.

المراجع : كشف الظنون ١ / ٢٤٢، فهرس الخديوية ٣ / ٣٥، معجم المؤلفين ١١ / ١٢٢.

طبعات الكتاب : طبع الأصل وهو الجامع الوجيز أو الفتاوى البزازية ١ ــ فى قازان سنة ١٣٠٨ هـ. ٢ ـ فى بولاق سنة ١٣١١ هـ، فى الميمنية فى هامش الفتاوى الهندية سنة ١٣٢٣ هـ.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقة الحنفى ــ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٠٠).

*** خلاصة التبيان فى المعانى والبيان:**

أرجوزة للشيخ أثير الدين أبى حيان محمد بن يوسف الأندلسى المتوفى سنة ٧٤٥ خمس وأربعين وسبعمائة ولم يكمله.

(كشف الظنون ١ / ٧١٧).

*** خلاصة التجارب في الطب:**

مخطوط في مكتبة المتحف العراقي

الرقم ١٢٣٤٠

لبهاء الدولة حسن بن الأمير شاه قاسم بن شمس الدين محمد الحسيني النوربخشي الذي كان حيا سنة ٩٠٧ هـ / ١٥٠١ م.

الأول «حمد بلا إحصاء حكيمي ركه يكمال حكمت ووفور عنايت ...».

وهو باللغة الفارسية رتبه المؤلف في ٢٨ بابا وفرغ منه سنة ٩٠٧ هـ / ١٥٠١ م في طرست من قرى الراز (في كشف الظنون ألفه سنة ٩٠٧ في بلدة ري).

نسخة جيدة ترقى لبداية القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي. عليها مؤرخ ١١٨٠ هـ / ١٧٦٦ م.

(الذريعة ٧ / ٢١٨، بانكيبور ١١ / ١٢).

توجد نسخة أخرى رقم ١٠١٥٥ — ١ تتضمن الباب السابع من الكتاب.

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي) - أسامة ناصر النقشبندي / ١٠٠، انظر أيضا كشف الظنون ١ / ٧١٨).

*** خلاصة التحفة الفقهية في تسوية الأولاد في العطية:**

من مصنفات التراث الإسلامي في الفقه الحنفي.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٤٤١٨.

تأليف يحيى بن المنقار؟

وهي فتاوى مفاتي دمشق وغيرها في مسألة تسوية الأولاد في العطية.

أولها: حمدا لمن أيد شعائر الشرائع من فضله، وأرسل من اصطفاه شارعا بحكمه وعدله.

آخرها:

مـــا وشى الطـــرس بـــامتـــداح بليغ

لتبـــدى كعقـــد در فـــريـــد

نسخة عادية. فيها آثار رطوبة.

الخط نسخ معتاد.

٢٦ ق ١٩ س ٢٠ × ١٤ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفي — وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٠٠، ٣٠١).

*** خلاصة تحقيق الظنون في الشروح والمتون:**

من مخطوطات الأدب بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٣٦١٦.

لكمال الدين أبي الفتوح محمد بن مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الصديقي المتوفى سنة ١١٩٦ هـ / ١٧٨٢م.

جرد فيه كشف الظنون من المكررات، واستدرك عليه زيادات

٨٠٣ صفحات ٢٥ س ٢٣ × ١٧ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - الأدب - وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١ / ١٩٨).

*** خلاصة التحقيق في حكم التقليد والتلفيق:**

من مصنفات التراث الإسلامي في الفقه الحنفي.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلي:

الرقم ٨١٨٩.

تأليف عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي المتوفى ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م..

وهي رسالة في حكم التقليد في المذهب شرح بها رسالة محمد بن عبد العظيم بن المنلا فروخ الحنفي.

أولها: الحمد لله ولي التوفيق والشكر له على الهداية إلى حقيقة التحقيق... قد اطلعت على رسالة في حكم التقليد في المذهب صنفها محمد بن عبد العظيم بن المنلا فروخ ...

(قال واضع الفهرس الأستاذ محمد مطيع الحافظ في هامش ١:

سماها القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد لابن فروخ المكي الحنفي طبعت بمصر ومنها نسخة مخطوطة عند الأخ محمد رياض المالح بدمشق.

آخرها : الحاصل أن جميع هذه الوجوه الذى استدل بها هكذا القائل بالتلفيق ...

الخط نسخ عادى ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : عبد الرحمن بن عمر قطب الدين العمرى .

تاريخ النسخ : سنة ١١٣٥ هـ .

ـ نسخة ثانية .

الرقم ٥٣١٦ .

تتفق مع الأولى فى بدايتها ونهايتها .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة ثالثة .

الرقم ٣٩٦٨

تتفق مع الأولى فى بدايتها ونهايتها .

الخط نسخ معتاد . الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : أحمد مؤيد بن نصوح .

تاريخ النسخ : ٥ ذى الحجة سنة ١٢٦٦ هـ .

نسخة رابعة .

الرقم ٤٠١٠ .

تتفق مع الأولى فى بدايتها ونهايتها .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود .

اسم الناسخ : إسماعيل بن المؤلف .

تاريخ النسخ : ربيع الثانى ١١٩٧ هـ .

ملاحظات : نسخة جيدة .

نسخة خامسة .

الرقم ١٧٧

تتفق مع الأولى فى بدايتها ونهايتها كتبت سنة ١١٣٥ هـ .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر .

المراجع : الأعلام ٤ / ١٥٨ ، هدية العارفين ١ / ٩٥٠ ، عقود الجوهر ٦٦ .

يقول الأستاذ محمد مطيع الحافظ واضع الفهرس . رأيت نسخة عند الأخ محمد رياض المالح (فهرس مخطوطات الظاهرية ١ / ٣٠١ـ٣٠٣) .

كما يوجد مخطوط فى خزانة المدرسة الأحمدية (فى محلة الجلوم ـ البهراقية) وهى الآن تحت رعاية الأوقاف وجاء بيانه كما يلى :

تأليف : عبد الغنى بن إسماعيل بن عبد الغنى النابلسى : ١٠٥٠ ـ ١١٤٣ هـ / ١٦٤١ ـ ١٧٣١ م .

رسالة تناول فيها النابلسى تحقيق المقاصد الستة التى أوردها محمد عبد العظيم بن المنلا فروخ فى رسالته فى حكم التقليد فى المذاهب والمقاصد الستة هى :

١ ــ هل على الإنسان التزام مذهب معين أم لا . ٢ ـ هل موافقة المذهب من غير علم به كافية أم لا . ٣ ــ هل يجوز التقليد من غير اعتقاد الأرجحية فيما قلده أم لا . ٤ ــ ماحكم الاقتداء بالمخالف وهل العبرة فى ذلك الرأى المقتدى أو الإمام . ٥ ــ هل يجوز التقليد بعد الفعل أم لا . ٦ ـ فى بيان حكم التلفيق وانتهى من تأليفه سنة ١٠٨٦ هـ .

أولها بعد البسملة : الحمد لله ولى التوفيق والشكر له على الهداية إلى حقيقة التحقيق ...

آخرها ... هذا آخر ما قصدناه فى بيان مسألة التقليد والتلفيق والله الهادى إلى سواء الطريق لا رب غيره ولا خير إلا خيره . وقد فرغنا من تسويدها نهار الأربعاء منتصف شهر رجب سنة ست وثمانين وألف والحمد لله رب العالمين .

النسخة جيدة ، كتبت بخط تعليق معتاد ، ولم يذكر فى ختمتها اسم ناسخها أو زمان النسخ ولعل ذلك كتب فى آخر المجموع ، إذ أنها ضمن مجموع يشتمل على ٢٣ رسالة .

(١٥) ق المسطرة (٢٧) س الأحمدية (٥٩٩) الفقه

إيضاح المكنون ١ / ٤٣٤ بروكلمان ٢ / ٣٤٥ ملحق بروكلمان ٢ / ٤٧٣ (المنتخب ق ٤ / ١٧٩ ، ١٨٠) .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى ــ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٠١ ــ ٣٠٣ ، والمنتخب من المخطوطات العربية فى حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٤ / ١٧٩ ، ١٨٠ وقد ورد بلفظ فى بيان حكم ...) .

*** خلاصة التعريف بدقائق شرح التصريف للتفتازانى :**

من المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٢٦٤٠ .

للإمام ناصر الدين إبراهيم اللقانى الشهير بالمصرى المتوفى سنة ١٠٤١ هـ ١٦٣١ م .

كتبها علم الدين بكتاش مصطفى سنة ١١٨٠ هـ ١٧٦٦ م .

القياس ص ١٩٨ ٢١,٥ × ١٢سم س ٢١ .

كشف ٢/ ١١٣٩ ، معجم ١٥٩٢

ـ نسخة أخرى

كتبها يوسف بن محمد بازيانى

الرقم ١٨٧٥ القياس ص ١٦٨ ٢١×١٦ سم س٢٢ .

ـ نسخة أخرى .

الرقم ٣٣١٠ القياس ص ١٣٨ ٢١×١٥,٥ سم س١٧ .

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ٣١ ، ٣٢) .

*** خلاصة تعطير النواحي والأرجا بذكر تراجم من اشتهر من علماء وبعض أعيان مدينة الصعيد جرجا:**

من مخطوطات التاريخ بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلي :

كلاهما لمحمد بن محمد بن حامد بن حجازى الحسينى الجرجاوى، من علماء القرن الرابع عشر .

(فهرست دار الكتب ٥ / ١٧٠) .

أوله : «الحمد لله على ما أبداه من آثار قدرته العلية ... أما بعد، فإن كتابى المسمى بتعطير النواحي والأرجا ... كبر حجمه ... لذلك قد عن لى الآن أن أختصره فى هذه الوريقات ... » .

وآخره : انتهى ما رُمْتُه من الأصل تسويدا فى أوائل النصف الثانى من الساعة التاسعة من يوم الأحد المبارك لسبع ليال مضت من شهر ذى القعدة الحرام سنة ١٣٣٠ هـ ... » .

نسخة كتبت بخط تعليق، كتبها محمد بن فراج بن على، الشهير بالروبى المالكي الجرجاوى سنة ١٣٣٢ هـ . وعلى هوامشها تقييدات، فى ٢٥٣ ورقة، ومسطرتها ١٧ .

[دار الكتب ٢٧٤٨ تاريخ] UNESCO .

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ ، جـ٢، ق ٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠/ ١٦٢) .

*** خلاصة تعطير النواحي والأرجا بذكر حفاظ وعلماء المراغة ومدينة جرجا:**

انظر: فتح الوصيد بتاريخ علماء مراغة الصعيد .

*** خلاصة التقارير فى تحرير الدراهم والدنانير:**

من مخطوطات الفقة الحنفى بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلي :

الرقم ١٠٨٧٩ .

تأليف: قاسم بن قطلوبغا بن عبد الله المصرى ويعرف بقاسم الحنفى المتوفى سنة ٨٧٩ هـ/ ١٤٧٧ م .

رسالة فى إيضاح الكلام على الدينار والدرهم وضح به عبارة شيخه الكمال بن الهمام فى فتح القدير شرح الهداية .

أولها : الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ... يقول إنه وقع لبعض المصنفين كلام فى الدينار والدرهم جهلوا به المعلوم ...

آخرها : كان أصحاب عبد الله إذا ذكر عندهم حديث أبى هريرة قال كيف يصنع أبو هريرة بالمهراس ...

الخط نسخ معتاد دقيق، الحبر أسود .

اسم الناسخ : محمد عارف المنير الحسنى .

تاريخ النسخ : سنة ١٣٢٦ هـ .

ـ نقلت عن نسخة بخط صديق بن طباطبا الحسينى المكتوبة سنة ٩٧١ هـ وهى نسخة مراجعة .

المراجع : معجم المؤلفين ٨/ ١١١ ، هدية العارفين ١ / ٨٣٠ .

(فهرس مخطوطات دار الكتاب الظاهرية . الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٠٣ ، ٣٠٤) .

*** خلاصة الحساب:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الرياضيات كتاب «الخلاصة فى علم الحساب والجبر والمقابلة» أو « خلاصة الحساب» للشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملى .

وقد أرخ الأستاذ الدكتور جلال شوقى هذا الكتاب فى

«الأعمال الرياضية لبهاء الدين العاملى» وهو الكتاب الذى قام بتحقيقه وشرحه وتحليله، وبدأ بالتعريف به، ثم أتبع تعريفه بإحصائية نفيسة لمخطوطاته الموجودة فى الوطن العربى وخارجه، ثم يعدد شروح الكتاب وطبعاته وترجماته. أما عن التعريف بالكتاب فيقول:

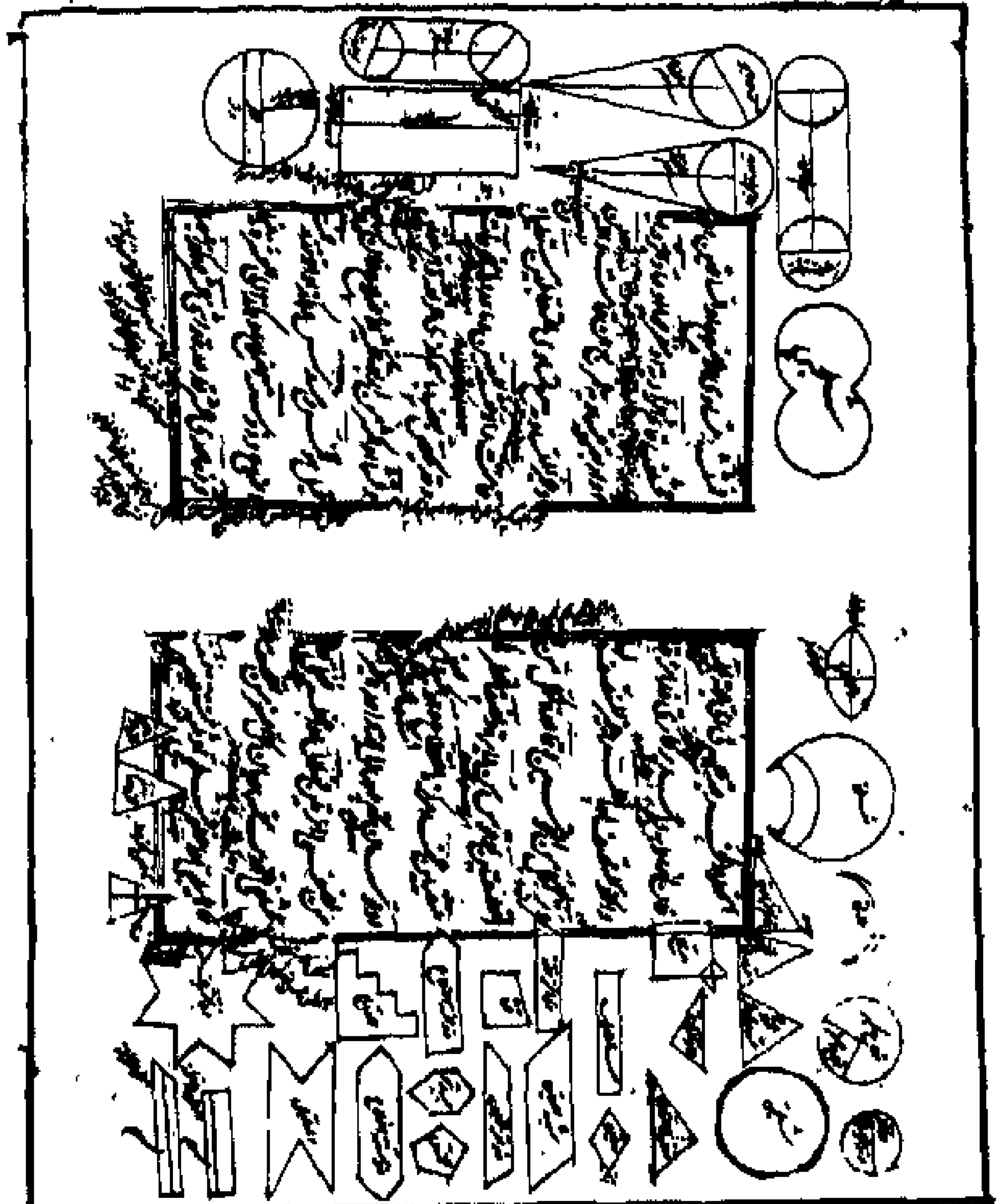
كتاب يبحث فى تراث العرب فى الرياضيات، فيقدم دراسة علمية لكتابات الشيخ بهاء الدين العاملى فى كتابه «خلاصة الحساب والجبر والمقابلة» ويعرض لرياضياته فى كتابه «الكشكول»، ويشرحها شرحا وافيا مدعما بالتحليل الرياضى الشامل.

ويمتاز الشيخ العاملى ـ العالم الموسوعى العربى ـ بأنه قد رسم صورة واضحة وصادقة لمعارف العرب الرياضية فى نهاية القرن السادس عشر الميلادى بعد أن جاب الأمصار العربية والإسلامية واطلع على أعمال العرب وفلاسفتهم زهاء ثلاثين عاما.

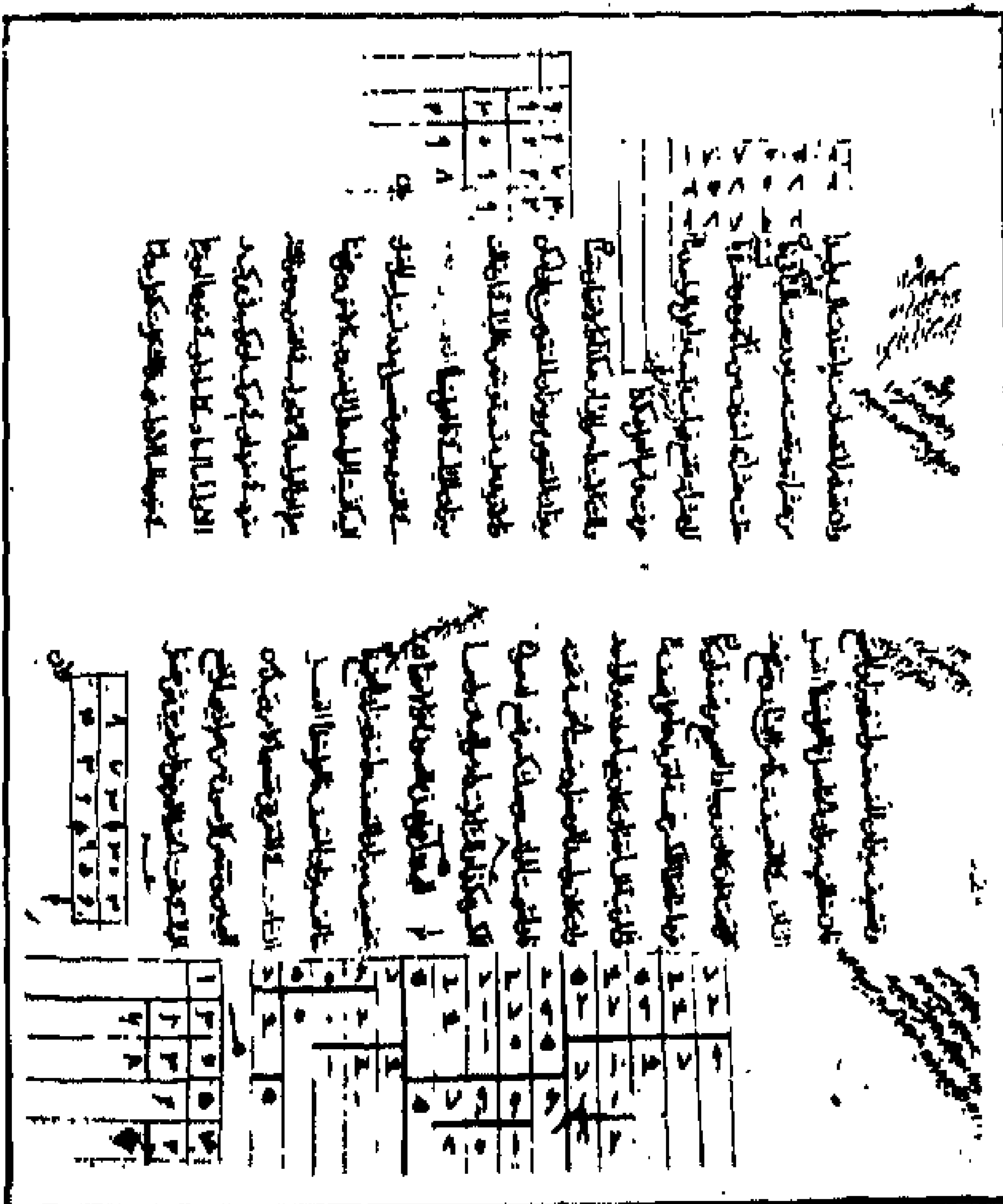
ويوجد من كتاب العاملى «خلاصة الحساب» أكثر من أربعين مخطوطا منتشرة فى أرجاء العالم شرقيه وغربيه ـ كما يوجد له ثلاثة عشر شرحا، وقد تم تحقيق الكتاب من واقع ستة مخطوطات موجودة بمكتبات مدينة حلب الشهباء لم يرد ذكرها فى كتاب المخطوطات المختصة، ولم يكن قد سبق نشر هذا الكتاب فى العالم العربى.

يبدأ الشيخ العاملى ببيان طرائق الحساب الأساسية من جمع وتفريق وضرب وقسمة واستخراج للجذور سواء بالنسبة للأعداد الصحيحة أو للكسور، كذا كيفية التحقق من سلامة أدائها بتطبيق قاعدة «ميزان العدد»، تلك القاعدة التى أطلق عليها الغرب تسمية «القاعدة الذهبية»، ويعرج العاملى بعد ذلك إلى استخراج المجهولات بطرق الأربعة المتناسبة، كذا بطريق حساب الخطأين ثم بطريق العمل بالعكس، وقد عرض العاملى فى مجال الحساب لكيفية استخراج المضمرات عن طريق تكوين معادلة ذات مجهول واحد، كذلك لفكرة التباديل والتوافيق كإيجاد عدد الكلمات التى تتركب من حروف المعجم بشروط خاصة، وأخيرا قدم العاملى طريقة قسمة مال على جماعة من المستحقين تزيد استحقاقاتهم على المال الموجود.

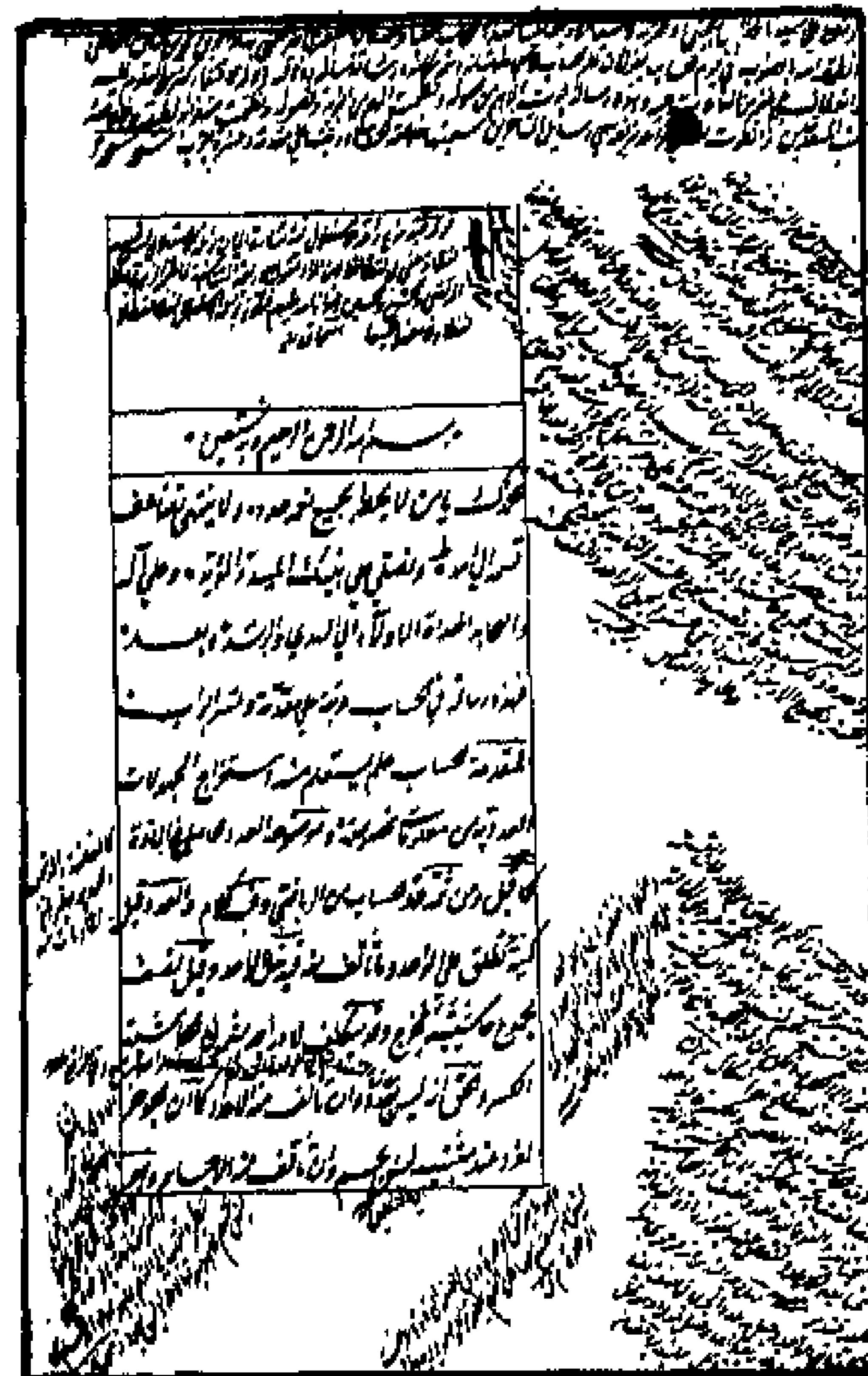
ويبحث الشيخ العاملى فى خواص الأعداد، ويعرف الأعداد التامة والمتحابة والمتوافقة والمتداخلة وغيرها، ويقدم قاعدة مبتكرة لتعيين الأعداد التامة السبعة الأولى حتى البلايين، وأمكن باستخدامها تعيين الأعداد التامة السبعة الأولى.



(١٣) صفحتان من إحدى نسخ خلاصة الحساب للعاملى تتضمن رسوماً هندسية توضيحية



(١٤) صفحة من إحدى نسخ خلاصة الحساب للعاملى (ق ١١هـ / ١٧م)



شكل (٢)

الصفحة الثانية من مخطوط مكتبة الأوقاف الإسلامية بحلب – رقم ١٧٧٣

ويعرض العاملى لجمع المتواليات الرياضية، فيبين كيفية جمع الأعداد على النظم الطبيعى (وهو ما نسميه اليوم بالمتوالية الحسابية)، وجمع الأفراد دون الأزواج وعكسه، كذا جمع المربعات المتوالية وجمع المكعبات المتوالية.

أما فى مجال الجبر والمقابلة فإن العاملى يعرف الشىء والمال والمكعب ومراتبها، أى المقدار المجهول ومربعه ومكعبه وما فوق ذلك على التوالى، ويشرح المسائل الجبرية الست، ويقدم حلول معادلة الدرجة الثانية، كذلك يبين العاملى تحويل الفرق بين مربعى مقدارين إلى حاصل ضرب مجموع المقدارين فى الفرق بينهما، كما يعرض «للمسائل السيالة» وهى تسمية أطلقها العرب على المسائل التى يصح لها عدد غير محدود من الإجابات الصحيحة.

ويسوق العاملى بابا خاصا لتعيين مساحات الأشكال الهندسية المستوية وحجوم الأجسام المنتظمة، ويتناول بيان أعمال المساحة العملية وتقديم البراهين الهندسية على صحة الطرق المتبعة فيها، فيعرض لطرق قياس فرق المنسوب بغرض شق القنوات، وطرق تعيين علو المرتفعات وأعماق الآبار، كذا قياس ارتفاع الشمس دون أسطرلاب أو آلة ارتفاع.

ويفرد الشيخ العاملى خاتمة كتابه لسبع مسائل يسميها «المستصعبات السبع» وهى مسائل بعضها صعب وبعضها الآخر مستحيل الحل، فمنها مستصعبات تشتمل على معادلات جبرية من الدرجتين الثالثة والرابعة، ومنها مسألتان مستحيلتا الحل كمسألتى تقسيم ضعف المربع إلى مربعين وتقسيم المكعب إلى مكعبين بشرط كون المقادير كلها أعدادًا صحيحة، وقد عرفت هاتان المستصعبتان فيما بعد بنظرية «فيرما» نسبة إلى العالم الفرنسى بيير دى فيرما الذى عاش فى القرن السابع عشر وذلك يثبت سبق وقوف العرب على هذه النظرية الشهيرة.

إن العاملى يقدم لنا عرضا شاملا تمام الشمول، مرتبا غاية الترتيب. ودقيقا كل الدقة لما ألم به العرب وأحاطوا فى مجال الرياضيات وأعمال المساحة وهو عرض غنى بفضل العرب وسبقهم فى هذا المجال، قبل أن تنتقل الصدارة فى التقدم الحضارى من الشرق إلى الغرب (الأعمال الرياضية لبهاء الدين العاملى/ ١٣، ١٤).

انظر «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» لآغا بزرك الطهران ٧ / ٢٢٤ حيث فصل الكلام على الكتاب ونسخه المخطوطة وطبعاته العديدة (تراث العرب/ ٤٧٥).

ويوافينا الأستاذ قدرى حافظ طوقان بمعلومات مستفيضة عن هذا الكتاب النفيس ننقلها لك فيما يلى. قال رحمه الله:

كتاب خلاصة الحساب وقد اشتهر هذا الكتاب الأخير كثيرا، وانتشر انتشارا واسعا فى الأقطار بين العلماء والطلاب، ولا يزال مستعملا إلى الآن فى مدارس بعض المدن الإيرانية، وقد تمكنا من الحصول على نسخة من هذا الكتاب نقلناها عن مخطوطة عثرنا عليها فى «المكتبة الخالدية بالقدس».

يقول عنه: صاحب كتاب «كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون»:

«خلاصة فى الحساب لبهاء الدين محمد بن حسين، وهو من علماء الدولة الصفوية ... وهو على مقدمة، وعشرة أبواب».

ونجد فى الخلاصة أن المؤلف استعمل الأرقام الهندية التى نستعملها نحن اليوم، إلا أنه استعمل للصفر الشكل (٥) وللخمسة شكلٌ يخالف الشكل الذى نعرفه، ولهذا الكتاب مقدمة تبدأ هكذا: «نحمدك يامن لا يحيط بجميع نعمه عدد، ولا ينتهى تضاعف قسمه إلى أمد ... ».

أما أبوابه فعشرة: الباب الأول: فى حساب الصحاح. وهو على ستة فصول: الفصل الأول: فى الجمع. الثانى: فى التصنيف. الثالث: فى التفريق ـ أى الطرح ـ. الرابع: فى الضرب. الخامس: فى القسمة، السادس: فى استخراج الجذر.

الباب الثانى: فى الكسور، وهو يحتوى على مقدمات ثلاثة، وفصول ستة. فالمقدمات: تتناول الكسور، وأصولها الأولية، ومعنى مخرج وفى هذه الطريقة شىء من الطرافة. ونأتى هنا على مثال ورد فى كتاب «العاملى»: «ولو قيل أى عدد زيد عليه ربعه، وعلى الحاصل ثلاثة أخماسه، ونقص من المجتمع خمسة دراهم، عادل الأول ...».

أى أن س + $\frac{١}{٤}$س + $\frac{٣}{٥}$(س + $\frac{١}{٤}$س) − ٥ = س

أو $\frac{٥}{٤}$س + $\frac{٣}{٤}$س − ٥ = س

وقد حله «العاملى» على طريقة الخطأين كما يلى:

«... فلو فرضته (أى فرضت المجهول) أربعة، أخطأت بواحد أو ثمانية، فثلاثة زائدة، وخارج قسمة مجموع المحفوظين على مجموع الخطأين خمسة وهو المطلوب ...».

أى أن المفروض الأول ٤ فالخطأ الأول ١ ناقص

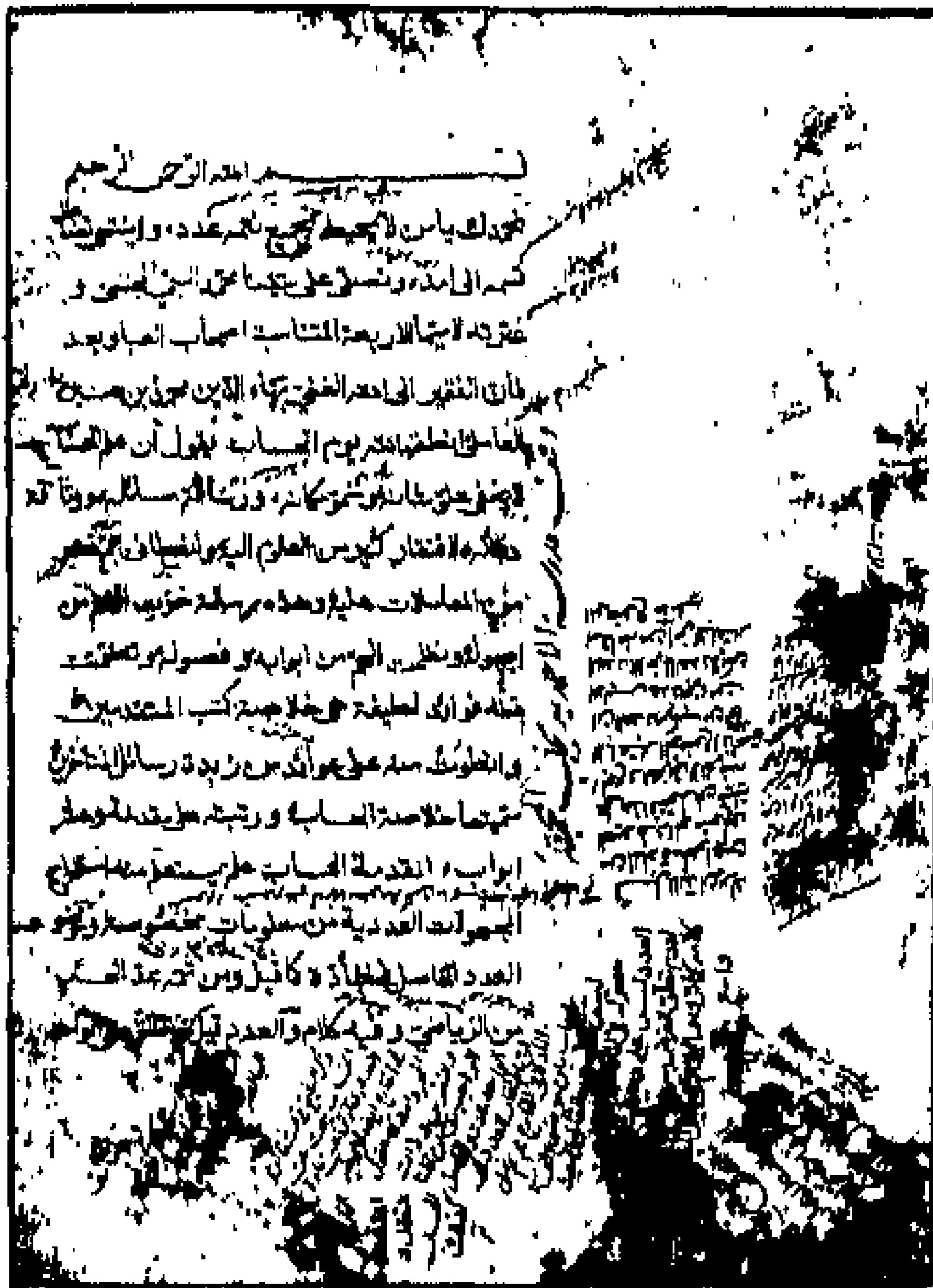
والمفروض الثانى ٨ فالخطأ الثانى ٣ زائد.

إذن المحفوظ الأول هو ٤ × ٣ = ١٢ زائد والمحفوظ الثانى ٨ × ١ = ناقص والفرق بينهما هو ٢٠ والفرق بين الخطأين هو ٤.

وعلى هذا فالجواب $\frac{٢٠}{٤}$ = ٥

الكسر، وكيفية إيجاد مخارج عدة كسور ـ أى كيفية إيجاد المضاعف المشترك الأصغر لمقامات عدة كسور ـ، وتتناول أيضا التجنيس والرفع. والمعنى المقصود من التجنيس: «جعل الصحيح كسورا من جنس كسر معين، والعمل فيه إذا كان مع الصحيح كسران، تضرب الصحيح فى مخرج الكسر وتزيد عليه صورة الكسر». ومعنى الرفع: «جعل الكسر صحيحا. فإذا كان معنا كسر عدده أكثر من مخرجه، قسمناه على مخرجه، فالخارج صحيح، والباقى كسر من ذلك المخرج».

ويأتى عند شرح كل هذه البحوث بأمثلة تزيل من غموض الموضوع، وتزيد فى وضوحه.



شكل (٥)

الصفحة الأولى من مخطوط مكتبة الأحمدية حلب ـ رقم ١٢٥٣

أما الفصول الستة: فتبحث فى جمع الكسور وتضعيفها، وتنصيفها، وتفريقها، وضربها، وقسمتها، واستخراج جذورها، ثم تحويل الكسر من مخرج إلى مخرج.

ويجد القارىء فى الباب الثالث، والرابع، والخامس بحوثا فى: استخراج المجهولات. وقد استعمل المؤلف ثلاث طرق:

إحداها: طريقة الأربعة المتناسبة، وهذه الطريقة يعرفها كل من له إلمام بالرياضيات الابتدائية.

والطريقة الثانية: بحساب الخطأين، وهذه الطريقة غير مستعملة فى الكتب الحديثة، مع أنها كانت شائعة الاستعمال عند العرب فى القرون الوسطى.

والطريقة الثالثة: وهى الموجودة فى الباب الخامس: «فى استخراج المجهولات بالعمل بالعكس، وقد يسمى بالتحليل والتعاكس. وهو العمل بعكس ما أعطاه السائل: فإن ضعّف فنصّف، وإن زاد فأنقص، أو ضرب فأقسم، أو جذر فربع، أو عكس فأعكس، مبتدأ من آخر السؤال ليخرج الجواب». وقد أوضحناها فى فصل الحساب من هذا الكتاب.

ويحتوى الباب السادس: على مقدمة، وثلاثة فصول:

فالمقدمـة : فى المساحة، وفى بعض تعريفـات أولية عن السطوح والأجسام.

والفصل الأول: فى مساحة السطوح المستقيمة الأضلاع، كـالمثلث، والمـربع، والمستطيل، والمعين، والأشكـال الـربـاعيـة، والمسـدس، والمثمن، والأشكـال المستقيمـة الأضلاع الأخرى.

والفصل الثـانى والثـالث: فى الطريق لإيجاد مسـاحـة الدائرة. والسطوح المنحنية الأخرى؛ كالاسطوانة، والمخروط التام، والمخروط الناقص، والكرة.

والبـاب السابع: فى ثـلاثـة فصول، تبحث: «فيمـا يتبع المساحـات من وزن الأرض، لإجراء القنوات، ومعرفـة ارتفاع المرتفعات، وعرض الأنهار، وأعماق الآبار».

ولهذه الأعمال والطـرق براهين، يقول عنهـا: إنه أوضحها وبينها فى كتابه الكبيـر المسمى «بجبر الحساب». وأن بعضا منهـا مبتكـر وطريف لم يسبـق إليه، أورده فى تعليقـاتـه على فارسية الإسطرلاب.

ويستعمل «بهاء الـدين» طرقـا أخرى غيـر التى مر ذكـرها لاستخـراج المجهـولات، وهنـا يـدخل إلى مـوضـوع الجبـر والمقابلة.

وهذا ما نجده فى الباب الثامن، الذى يتكون من فصلين: أحـدهما فى معني المجهـول ــ أي س، والمال ــ أى $س^{٢}$، والكعب ـ أى $س^{٣}$ ـ، ومال المال ـ أى س٤ ـ ومال كعب ـ أى $س^{٥}$، وكعب كعب ـ أى، $س^{٦}$ ـ وهكـذا، وجزء الشيء $(\frac{١}{س})$ وجزء المال $(\frac{١}{س^{٢}})$ وجزء الكعب $(\frac{١}{س^{٣}})$ ... الخ، وفى كيفية ضرب هذه بعضها فى بعض، وقسمتها بعضها على بعض.

والفصل الثاني: فى المسائل الجبـرية الست، وهى عبارة عن أوضاع مختلفة للمعادلات، وكيفية إيجاد المجهول منها ـ أي حلها ـ. وقد سبق وأتينا على شيء من هذا فى فصل الجبر من هذا الكتاب.

ويجدر بنـا أن لا نترك هذا الباب دون الإشـارة إلى تعريف «العـاملى» لكلمتى «جبـر» و «مقابلـة»، ففى تفسيـر هـاتين الكلمتين يقول: إنه عند حل مسألة من المسائل بطريقة الجبر والمقابلـة، نفرض المجهول شيئـا ـ أى س بـالمعنى الجبرى الحديث ــ، «...وتستعمل ما يتضمنـه السؤال، سـالكا على ذلك المنوال لينتهى إلى المعادلة، والطرف ذو الاستثناء يكمل ويزاد مثل ذلك علي الآخر وهو الجبـر. والأجناس المتجانسة المتسـاويـة فـى الطـرفين تسقط منهـا، وهـو المقـابلـة ثم المعادلة».

(إذا كان لدينا المعادلة: ب س + ٢ حـ = س٢ + ب س ـ حـ

فبالجبر تصبح ـ ب س + ٢ حـ + حـ = $س^{٢}$ + ب س

وبالمقابلة تصبح ٣ حـ = $س^{٢}$)

ويقول «سمث»: فى كتـابه «تاريخ الريـاضيات» فى ص ٣٨٨ من الجـزء الثـانـى، عن التفسيـر إنـه أوضح تفسيـر لكلمتي، «جبر ومقابلة».

وقد لا يكون فى بحوث الأبـواب والفصول التى مرت شيء مبتكـر أو جديـد، فقـد سبقه إليهـا كثيـرون من علماء العـرب والمسلمين، فهـو لم يكن فـى ذلك إلا آخـذا أو نـاقـلا على الرغم من وجود طرق لم يسبق إليها.

ومن الحق أن نذكر أنه قدم هـذه البحوث والموضوعات، فى طرق واضحة جلية، يسهل فهمها وتناولها.

وهذه هى مـزية «بهاء الدين» على غيـره. فقد استطاع أن يضع بحـوث الحساب، والمسـاحة، والجبـر التى يرى فيهـا أكثر النـاس غموضـا وصعوبـة فى قالب سهل جـذاب، وفى أسلوب سلس بدد شيئا من غموض الموضوع، وأزال شيئا من صعوبته.

ونأتى الآن إلى الباب التاسع: فنجد فيه كما يقول المؤلف «قواعد شريفة، وفوائد لطيفة، لا بد للحاسب منها ولا غناء له عنهـا»، وقد اقتصـر فى هذا البـاب على اثنتى عشـرة قاعـدة وفائدة.

ونأتى على بعض هـذه القـواعـد والفـوائد للـراغبين فى الرياضيات: ـ

(أ) «جمع المـربعات المتـوالية تـزيد واحـدا على ضعف العـدد الأخيـر، تضـرب ثلث المجتمـع فى مجمـوع تلك الأعداد. أى أنك إذا أردت أن تعـرف مجموع مربعـات جملة أعداد متوالية، فزد واحدا على ضعف العدد الأخير، ثم اضرب هذا الناتج فى مجموع الأعداد..

مثال ذلك:

لإيجاد حاصل جمع مربع كل من ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦ نجرى العملية هكذا.

٢ × ٦ + ١ = ١٣ ومجموع الأعداد يساوى ٢١.

وعلى هذا فحاصل جمع المربعات يساوى $\frac{1}{3}$ × ١٣ × ٢١ = ٩١.

وإذا أردت التحقيق من ذلك، فأوجد مربع كل من هذه الأعداد ثم اجمعها.

(ب) وله قاعدة أخرى لإيجاد مجموع مكعبات جملة أعداد متوالية وهى:

«جمع المكعبات المتوالية، ربع مجموع تلك الأعداد من الواحد».

أى أنك إذا أردت أن تعرف حاصل جمع مكعبات جملة أعداد متوالية، فربع مجوع تلك الأعداد.

مثال ذلك:

لإيجاد مجموع مكعبات كل من ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦ تجمع الأعداد وتربع الحاصل.

أى أن ٢١ × ٢١ = ٤٤١ وهو الجواب.

وإذا أردت التحقق من ذلك، فأوجد مكعب كل من هذه الأعداد واجمعها.

ويدعى العاملى أنها كلها من مبتكراته، وأنه لم يسبقه أحد إليها.

ولكن على ما أرجح أن فى ادعائه هذا بعض المبالغة، إذ أكثر هذه القواعد كانت معروفة عند الذين سبقوه، وهو لم يكن فى وضعها كلها مبتكرا. فقد تكون الطرق التى أتى بها مغايرة الطرق من تقدمه من العلماء العرب والمسلمين، ولكنه مبتكر فى بعضها، وقد استعمل لها طرقا طريفة فيها بعض الإبداع، وفيها شيء من المهارة والمقدرة، تدلان على عمق فى التفكير.

وبعد ذكر هذه القواعد وكيفية تطبيقها: يأتى إلى «مسائل متفرقة بطرق مختلفة»، فيضعها فى باب خاص هو الباب العاشر، ويقول: إن القصد من هذا الباب «شحذ ذهن الطالب وتمرينه على استخراج المطلب».

من هذه المسائل: ـ

(أ) «عدد ضعف وزيد عليه واحد، وضرب الحاصل فى ثلاثة وزيد عليه اثنان، وضرب المبلغ فى أربعة وزيد عليه ثلاثة، بلغ خمسة وتسعين، فما العدد؟».

(ب) «سمكة ثلثها فى الطين وربعها فى الماء، والخارج منها ثلاثة أشبار، كم أشبارها؟».

(حـ) «رجلان حضرا بيع دابة؛ فقال أحدهما للآخر: إن أعطيتنى ثلث ما معك على مامعى، تم لى ثمنها. وقال الآخر: إن أعطيتنى ربع ما معك على ما معى تم لى ثمنها. فكم مع كل واحد منهما، وكم الثمن؟».

(و) «قيل لشخص كم مضى من الليل، فقال ثلث ما مضى يساوى ربع ما بقى، فكم مضى، وكم بقى؟».

(هـ) «رمح مركوزة فى حوض، والخارج عن الماء منه خمسة أذرع، فمال مع ثبات طرفه حتى لاقى رأسه سطح الماء، وكان البعد بين مطلعه فى الماء وموضع ملاقاة رأسه له، عشرة أذرع. كما طول الرمح؟».

وقد استعمل «بهاء الدين» فى حل المسألة نظرية «فيثاغورس».

وإذا وضعنا حله بالرموز، فهو على الصورة الآتية:

$$س + ٢٥ = ١٠٠ \times + س^{٢}$$

$$س^{٢} + ١٠ س + ٢٥ = ١٠٠ + س^{٢}$$

أى أن ١٠ س = ٧٥

س = ٧,٥ وهو القدر الغائب فى الماء.

وعلى هذا فالرمح ١٢,٥ ذراعا.

ومن هنا يرى القارىء أن هذه المسائل، لا تختلف عن المسائل الموجودة فى أحدث الكتب الجبرية والحسابية، بل إن طرق حلها فى «كتاب الخلاصة»، تفوق صعوبة ومهارة عن الطرق التى نستعملها الآن.

ونراه يستعمل فى حلول بعض هذه المسائل طرقا جبرية، وفى بعضها الآخر طرقا حسابية، يجد فيها الطالب ما يشحذ ذهنه ويقوى فيه ملكة التفكير.

ونحن الآن أمام «الخاتمة»: التى يستهلها المؤلف بقوله:

«وقد وقع للحكماء الراسخين فى هذا الفن مسائل، صرفوا فى حلها أفكارهم ووجهوا فى استخراجها أنظارهم، وتوصلوا إلى كشف نقابها بكل حيلة، وتوسلوا إلى رفع حجابها بكل

وسيلة، فما استطاعوا إليها سبيلا، وما وجدوا عليها مرشدا أو دليـلا، فهى باقيـة على عـدم الانحـلال من قديـم الزمـان، مستعصية على سائر الأذهان، إلى هذا الآن».

ولقـد أورد سبعـا من هـذه المسـائل التى أعجـزت الريـاضيين، وأنهكت قوى المحاسبيـن، أتى بها على سبيل المثال.

(نأتى على المسـائل السبع التى أوردها «بهاء الـدين» فى كتابـه، فقد يـرغب بعض الذين يعنون بالريـاضيات الـوقوف عليها وهى كما يلى: ـ

الأول: عشرة مقسـومة قسمين، إذا زيـد على كل جذره، وضرب المجتمع فى المجتمع حصل عدد مفروض.

الثانية: مجذور، إن زدنا عليه عشرة، كان للمجتمع جذر أو نقصناها منه، كان للباقى جذر.

الثالثة: أقر لزيد بعشرة إلا جذر ما لعمرو، ولعمرو بخمسة إلا جذر ما لزيد.

الرابعـة: عـدد مكعـب قسم بقسمين مكعبين ــ أى أن مجموع مكعبين لا يكون مكعبا ـ .

الخامسة: عشـرة مقسومة بقسمين، إذا قسمنـا كلا منهما على الآخر، وجمعنا الخارجين، كـان المجتمع مساويا لأحد قسمى العشرة.

السادسة: ثلاثة مربعات متناسبة، مجموعها مربع.

السابعة: مجذور، إذا زيد عليه جذره ودرهمان، أو نقص منه جذره ودرهمان، كان المجتمع أو الباقى جذرا).

ثم يخرج بعـد ذكرها إلى مـدح رسالته هـذه ـ وقد سمـاها «بالجوهرة العزيزة» ـ بقوله: «إن فيها من نفائس عرائس قوانين الحساب، ما لم يجتمع إلى الآن فى رسالة ولا كتاب».

ويقـول عنهـا أيضـا: «على القـارىء أن يعـرف قيمتهـا، ويعطيها حقهـا من الإنصاف والتقدير، وأن يحـول بينها وبين من لا يعرف مـزاياها، وأن لا يزفها إلا إلى حـريص، لأن كثيرا من مطالبهـا حرى بالصيـانة والكتمان، حقيق بـالاستتارة عن أكثر هذا الزمان، فاحفظ وصيتى إليك فالله حفيظ عليك» ...

و «لكتاب الخلاصـة»: شروح عديدة؛ عرفنا منهـا شرحا لشخص اسمـه «رمضان»، ولم يكن هـذا الشـرح معتبرا عنـد العلماء، بل لم يكن لـه مزية أو صفـة خاصة، وقـد ظهر فى زمن السلطان «محمد خان بن السلطان إبراهيم».

ويـوجـد أيضـا: شـرح «العبـد الـرحيم بن أبى بكـر المرعشلى»، أحد علماء الدولة العثمانية، ويمتاز شرحه على غيره بالأمثلة المتعددة التى تـوضح كثيرا من المبادىء الصعبة والقـوانين العويصـة، وفى هذا الشـرح يتجلى للقارىء سعـة اطلاع الشارح، ووقـوفه على الرياضيات التى كـانت معروفة، وهـذا هو الـذى ميزه على غيـره من الشـروح، وجعله منهـلا لكثيرين من العلماء.

وطبع كتاب الخلاصة فى «كلكتا» فى سنة ١٨١٢ م، وفى «بـرلين» سنـة ١٨٤٣ م. وقـد ترجمـه إلى الفرنسيـة الأستـاذ «مار Marre» فى سنة ١٨٦٤ ميلادية.

ويظهر أن «بهـاء الدين» بدأ فى تأليف كتاب اسمـه «جبر الحساب»، ومات قبل الفراغ منـه، وفيه تفصيل لبراهين كثير من النظـريات الهنـدسية، وقوانيـن المساحـات، والحجوم، وعدد من المبـادئ الحسابية، وأدخل فيـه أيضا طرقا جـديدة لحل مسائل مختلفـة صعبة، تشحذ الذهن وتمرنه على حل الأعمـال المعـقدة الملتويـة (تـراث العـرب العلمـى ٤٧٥ ــ ٤٨٢).

راجع أيضـا «الذريعـة إلى تصـانيف الشيعـة» لآغا بـزرك الطهـرانى ٧: ٢٢٤ حيـث فصل الكلام على الكتـاب ونسخه المخطوطة وطبعاته العديدة.

أما عن مخطوطات كتاب «خـلاصة الحساب» التى أشرنا إليها فى بـداية هـذه المادة فيحصيها الأستـاذ الدكتـور جلال شوقى، ويقول:

مخطـوطـات كتاب «خلاصـة الحساب» (البهائيـة) لبهاء الدين العاملى:

تحتفظ خزانات الكتب فى العالم ـ شرقيه وغربيه ـ بالعديد من مخطـوطات هـذا الكتـاب القيم، حيث يـوجد أكثر من أربعين مخطوطا منه، فضلا عن شروحه التى تعدت العشرين مخطـوطا، وقـد طبع الكتاب ثـلاث مرات. كمـا صدرت لـه ثلاث ترجمات إلى اللغات الفارسية والألمانية والفرنسية، بيد أنه لم ينشر فى العالم العربى قبل اليوم، ويدل العدد الضخم من النسخ الخطيـة لهـذا الكتـاب على أهميته وسعـة انتشـاره

وبالتالي كثرة الأخذ عنه. حيث إنه يقدم صورة متكاملة ومرتبة لحالة المعارف الرياضية عند العرب في أواخر القرن السادس عشر الميلادي، وتشهد الشروح العديدة للكتاب على عظم الاهتمام به، ونبين فيما يلي أهم مخطوطات الكتاب وشروحه الموجودة في خزانات الكتب العامة في العالم.

المخطوطات الموجودة في الوطن العربي.

١ ـ مخطوط المكتبة الخالدية بالقدس.

٢ ـ مخطوطات الموصل (عن كتاب «مختارات الموصل» لداود الجلبي الموصلي، بغداد عام ١٩٢٧ م) ـ أرقام: ٢٩ / ١٠٤، ٦٩ / ٢١٦، ١٠٣/ ٦٠، ١٠٨ / ١١٥ /٦، ١٣٧/ ٢٧١، ١٦١ / ٢٠٥، ١٧٩ / ١٤٠/ ١، ٢١٢، ٦٩/ ٦، ٧٣، ٢٤١ / ٢٤٩ / ٢٨٧، ٢٧٤ / ١٥٠/ ١، ٢٨٨ / ١٦ / ٢.

٣ ـ مخطوطا مكتبة الأوقاف الإسلامية بحلب ـ رقم ٩١٢، ١٧٧٣.

٤ ـ مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب ـ رقم ١٢٥٣.

٥ ـ مخطوط المكتبة المولوية بحلب ـ رقم ٧٥٣.

٦ ـ مخطوطا مكتبة مدرسة الشيخ أحمد الصديق بحلب ـ رقم ٦٦، ١٥٩.

٧ ـ مخطوطا دار الكتب المصرية بالقاهرة: فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية المصرية ـ المجلد الخامس، رقم ١٨٠ ـ المجلد السابع، رقم ٨٩.

٨ ـ مخطوط الخزانة الآلوسية ـ مكتبة المتحف العراقي ببغداد ـ رقم ٨٧٩٢.

المخطوطات الموجودة في آسيا وتركيا.

١ ـ مخطوطات المجلس الوطني بطهران ـ رقم ٣٩٨ / ٢، ١٢٧٥، ١٣١٩.

٢ ـ مخطوط مكتبة المشهد ـ رقم ١٧ / ١٨ / ٥١/ ٤.

٣ ـ مخطوط مكتبة تبريز ـ رقم ١٢٧٦.

٤ ـ مخطوط مكتبة أصفهان ـ رقم ١/ ٧٩٦/ ٦٩.

٥ ـ مخطوط مكتبة كييف ـ رقم ٩٣.

٦ ـ مخطوط مكتبة الجامعة الإسلامية ـ عليجره ـ رقم ١٢٠/ ٢.

٧ ـ مخطوط مكتبة بشاور ـ رقم ١٧٤٧.

٨ ـ مخطوط المكتبة العامة ـ رامبسور ـ رقم ٤١٣ / ٢٨١ ب.

٩ ـ مخطوط مكتبة بوهار ـ رقم ٣٥٢. (طبع في كلكتا عام ١٨١٢ م).

١٠ ـ مخطوط المكتبة الشرقية العامة ـ بنكيبور ـ رقم ٢١٩.

١١ ـ مخطوط مكتبة حاجي سليم أغا باستانبول ـ رقم ٧٢٩، كذا مجموع ١٢٧٦.

المخطوطات الموجودة في أوربا وأمريكا.

١ ـ مخطوط المتحف البريطاني بلندن ـ رقم ١٣٤٥ / ٢.

٢ ـ مخطوط المكتب الهندي بلندن ـ رقم ٧٥٨.

٣ ـ مخطوط مكتبة جامعة كامبردج ـ ملحق براون رقم ٤٣٧.

٤ ـ مخطوط المكتبة الملكية ببرلين الغربية ـ كتالوج ألواردت رقم ٥٩٩٨.

٥ ـ مخطوط مكتبة جوتنجن بألمانيا الغربية [سابقا] ـ رقم ٦٨.

٦ ـ مخطوط مكتبة الفاتيكان ـ رقم: روسياني ١٠١٣.

٧ ـ مخطوط جامعة برنستون بأمريكا ـ رقم ١٦٣.

٨ ـ مخطوطات المكتبة العامة ببطرسبرج (لينينجراد): كتالوج عام ١٨٥٢ م ـ رقم ٢٤٣، كتالوج روزن ـ رقم ١٩٢٦ / ٥ ب، كتالوج كراتشكوفسكي ـ رقم ٩٢٩، كتالوج مجموعة بخاري ـ رقم ٤١٩ (الأعمال الكاملة لبهاء الدين العاملي / ١٦، ١٧).

قالت المؤلفة: نضيف إلى قائمة المخطوطات هذه مخطوطا لما يذكره المؤلف، وهو موجود في مكتبة المتحف العراقي وجاء بيانه كما يلي، وتوجد منه أيضا عدة نسخ ننقل بعضها بأرقامها التسلسلية كما وردت في الفهرس:

خلاصة الحساب:

الرقم ١٠١٤٧ / ١.

لبهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي المتوفى سنة ١٠٣١ هـ/ ١٦٢٢ م.

الأول (نحمدك يا من لا يحيط بجميع نعمه عدد . . وبعد فإن الفقير الى الله الغنى بهاء الدين ...) .

وهى رسالة تعد من المراجع التعليمية فى علم الحساب وقد كثرت نسخها الخطية لتناولها من قبل الطلبة سابقا ، ووضعت لها شروح وحواش كثيرة .

قدمها المؤلف للسلطان حمزة بهادر خان بن السلطان شاه عباس ورتبها على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة وهى :ـ

الباب الأول : فى حساب الصحاح ويقع فى ستة فصول .

الباب الثانى : فى حساب الكسور ويقع فى ثلاثة مقدمات و ٦ فصول .

الباب الثالث : فى استخراج المجهولات بالأربعة المتناسبة .

الباب الرابع : فى استخراج المجهولات بحساب الخطأين .

الباب الخامس : فى استخراج المجهولات بالعكس .

الباب السادس : فى استخراج المجهولات بطرق الجبر والمقابلة وفيه فصلان .

الباب السابع : فى المساحة وفيه مقدمة وثلاثة فصول .

الباب الثامن : فيما يتبع المساحة وفيه ثلاثة فصول .

الباب التاسع : فى قواعد وفوائد وضعت للمحاسب وفيه ١٢ قاعدة .

الباب العاشر : فى مسائل متفرقة .

نسخة جيدة كتبت سنة ١٠٤٦ هـ / ١٦٣٦ م على يد محمد مؤمن بن محب الدين على الصحاف تتضمن أشكالا هندسية كثيرة .

٦٧ ص   ١٨ × ١١ سم   ١٥ س

معجم المؤلفين ٩ / ٢٤٢ كشف الحجب ٢٠٨ الذريعة ٧ / ٢٢٤ ــ ٢٢٥ معجم ١٢٦٣ طبعت أكثر من مرة طوقان ٤٧٤ .

٩٩ ـ نسخة أخرى :

جيدة الخط كتبها محمد يوسف بن محمد سنة ١٠٧٥ هـ / ١٦٦٤ م .

الرقم : ٨٠٣٤ .

٨٨ ص   ٢٠×١٤ سم   ١٤ س

١٠٠ ـ نسخة أخرى :

كتبها البيرونى فى ديار بكر بالمدرسة الزنجرية سنة ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٥ .

الرقم : ٧٩٠٥ / ١ .

٣٥ ص   ٢٣×١٦ سم   ٢٠ س

١٠١ ـ نسخة أخرى :

كتبها موسى بن عبد الله الدردينى سنة ١٠٩٤ هـ / ١٦٨٢ م عليها شروح .

الرقم : ٢١٨١٩ / ١ .

٤٤ ص   ٢١ × ١٥ سم   ١٣ س

١٠٢ ـ نسخة أخرى :

جيدة الخط كتبت سنة ١١٠١ هـ / ١٦٨٩ م عليها حواش وشروح .

الرقم : ٣١١٣ .

٣٣ ص   ٢١,٥ × ١٥,٥ سم   ١٥ س

١٠٣ ـ نسخة أخرى :

جيدة الخط كتبها أحمد بن شكر بن محمد سنة ١١١٣ هـ / ١٧٠١ م .

الرقم : ٣١٥٦٩ / ١ .

٤٥ ص   ٢٠ × ١٥ سم   ١٧ س .

١٠٤ ـ نسخة أخرى :

كتبها مصطفى بن محمد بن مصطفى سنة ١١١٥ هـ / ١٧٠٣ م بقرية بروزه بمدرسة ملا محمد زاده .

الرقم : ١٢٧٥٣ / ٧ .

٢٨ ص   ٢١ × ١٥ سم   ١٥ س

١٠٥ ـ نسخة أخرى :

كتبها محمد شفيع بن محمد مقيم سنة ١١١٩ هـ / ١٧٠٧ م .

الرقم : ٩٧٩٧ / ١ .

٧٤ ص   ١٥ × ١٠ سم   ١٢ س .

١٠٦ ـ نسخة أخرى :

كتبها محمد بن قاسم خان ١١٣٦ هـ/ ١٧٢٣ عليها حواش وشروح.

الرقم: ٤٠٥٩ / ١

٣٨ ص   ٢٠,٥ × ١٠ سم   ٢١ س

١٠٧ ـ نسخة أخرى:

كتبت بخط النسخ الجيد سنة ١١٣٧ هـ/ ١٧٢٤ م.

الرقم: ٣١٥١٢.

٩٨ ص   ١٥,٥ × ١١,٥ سم   ١٣ س

١٠٨ ـ نسخة أخرى:

كتبت سنة ١١٤٣ هـ/ ١٧٣٠م.

الرقم: ١٦٠٦٦

٤٧ ص   ٢٤ × ١٧ سم   ١٥ س

١٠٩ ـ نسخة أخرى:

كتبها إسماعيل بن أبى بكر فى قصبة كوى (كويسنجق) سنة ١١٤٥ هـ/ ١٧٣٢ م.

الرقم: ١٩٧١١.

٤٢ ص   ٢٠ × ١٥ سم   ١٢ س

١١٠ ـ نسخة أخرى:

عليها حواش وشروح وتملك مؤرخ سنة ١١٦٠ هـ/ ١٧٤٧ م.

الرقم: ١٠٠٩٢

٧٢ ص   ١٩,٥ × ١٠,٥ سم   ١٥ س

١١١ ـ نسخة أخرى:

كتبها على بن عيسى بن أحمد سنة ١١٦٤ هـ/ ١٧٥٠م.

الرقم: ١٠٠٩٩

٧٧ ص   ٢١ × ١٦ سم   ١١ س

١١٢ ـ نسخة أخرى:

كتبها يوسف الكركوكلى سنة ١١٩٦ هـ/ / ١٧٥٥م.

الرقم: ٦٢٦٩.

٢٨ ص   ٢١,٥ × ١٦ سم   ١٩ س

١١٣ ـ نسخة أخرى:

كتبت بمداد أحمر وأسود بيد أبى بكر أغا سنة ١١٨٤ هـ/ ١٧٧٠ م بلغ مقابلة وتصحيح وقراءة لأبى بكر على بن حاجى جوانمرد.

الرقم: ٦,٥٠٧٨

٤٠ ص   ١٥ × ٩ سم   ١٥ س

١١٤ ـ نسخة أخرى:

كتبها سليم الفرضى بن الخطيب صالح العمارى سنة ١١٨٧ هـ/ ١٧٧٣ م.

الرقم: ١٥٦٣٦ / ٢.

١١٢ ص   ٢١,٥ × ١٦ سم   ٩ س

١١٥ ـ نسخة أخرى:

عليها شروح وحواش كثيرة كتبها أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن حقى أحمد دايه سنة ١١٩٢ هـ/ ١٧٧٨ م فى بلدة كوة فى إحدى صفحاته قراءة مؤرخة سنة ١١٩٨ هـ/ ١٧٨٣ م.

٣٤ ص   ٢٠,٥ × ١٦,٥ سم   ١٥ س

١١٦ ـ نسخة أخرى:

جيدة الخط عليها شروح وحواش كتبها نعمة الله أبو الجود سنة ١١٩٥ هـ/ ١٧٨٠ م.

الرقم: ٧٨١٧ / ١

٦٤ ص   ٢٣ × ١٦,٥ سم   ١٢ س

١١٧ ـ نسخة أخرى:

نسخة جيدة عليها بعض الحواشى كتبها يوسف بن رمضان سنة ١١٩٧ هـ/ ١٧٨٢ م.

١٠٥٢٣ / ٢.

٥٤ ص   ٢٢ × ١٧ سم   ١٣ س

١١٨ ـ نسخة أخرى:

عليها حواش وشروح تتخللها جداول ورسوم كتبت بمداد أحمر، تمت كتابة هذه النسخة سنة ١٢١٨ هـ/ ١٨٠٣ م.

الرقم: ٢٣٠٤٥ / ١

٥٨ ص   ٢١ × ١٥,٥ سم   ١٣ س

١١٩ ـ نسخة أخرى:

عليها حواش وشروح كثيرة الورقات الأولى حديثة الورقة

تتخللها رسوم وجداول كتبها محمد رحيم سنة ١٢٢٢ هـ/ ١٨٠٧ م.

الرقم: ٢٢٦٠٨

٨٦ ص ٢١×١٧ سم ١١ س

١٢٠ ـ نسخة أخرى:

كتبت بخط النسخ سنة ١٢٢٣ هـ/ ١٨٠٨ م كتبها محمد رضا.

الرقم ٣٩٠٨/ ٢.

٧٠ ص ٢٠,٥×١٥ سم ١٥ س

١٢٥ ـ نسخة أخرى:

جيدة الخط كتبت بقلم النسخ سنة ١٢٣٣ هـ/ ١٨١٧ م على يد مقصود بن ميرزا معصوم غيلاني.

الرقم: ١٣٣٧

٨٥ ص ٢٠×١٢,٥ سم ١١ س

١٢٦ ـ نسخة أخرى:

وقع الفراغ من كتابتها سنة ١٢٤٠ هـ/ ١٨٢٤ م بقلم عمر ابن حيدر.

الرقم: ٥١٠٧/ ٢

٧٢ ص ٢٢×١٦ سم ٩ س

١٢٧ ـ نسخة أخرى:

كتبها حسن بن حسين الجاربوتي سنة ١٢٤١ هـ/ ١٨٢٥ م.

الرقم: ١٢٧٦٧

٨٢ ص ٢٢×١٦ سم ١١ سم

١٢٨ ـ نسخة أخرى:

تنتهي بالباب الخامس، كتبها محمد أمين بن أحمد الأربيلي سنة ١٢٤٤ هـ/ ١٨٢٨ م.

الرقم: ٢٠٤٦٥

٥٦ ص ٢٢×١٦ سم ١٠ س

١٢٩ ـ نسخة أخرى:

مؤطرة الصفحات عليها حواش كتبت بخط التعليق بقلم الخطاط حسين خان خوئي الكربلائي سنة ١٢٢٣ هـ/ ١٨٠٨ م، في آخر النسخة صورة تخطيطية للإسطرلاب.

الرقم: ٩١٥١

١١٠ ص ٢٠,٥×١٥ سم ١٠ س

١٢٢ ـ نسخة أخرى:

عليها حواش وشروح كثيرة، كتبت سنة ١٢٢٣ هـ/ ١٨٠٨ م على يد أحمد القيادية.

الرقم: ٢٨٣٣٦/ ٢

٥٠ ص ٢١×١٦ ١٣ س

١٢٣ ـ نسخة أخرى:

نسخة جيدة بقلم التعليق عليها حواش وشروح كتبت في حيدر آباد الدكن في الهند سنة ١٢٣٠ هـ/ ١٨١٤ م.

٧٠ ص ٢٠,٥×١٥ سم ١٥ س

١٢٤ ـ نسخة أخرى:

كتبت سنة ١٢٣١ هـ/ ١٨١٥ م.

الرقم: ١٢١٠٩/ ١.

٦٠ ص ٢٠×١٣ سم ١٣ س

(مخطوطات الحساب الهندسة والجبر/ ٥٦ ـ ٦٤).

شروح الكتاب:

أحصاها الأستاذ الدكتور جلال شوقي كما أحصى الكتب المطبوعة والترجمات، وذلك على النحو التالي:

١ ـ بهاء الدين العاملي (المصنف نفسه): شرح الباب الثامن، مخطوط المتحف البريطاني بلندن ـ رقم: ملحق ٧٦٥/ ٧.

٢ ـ عصمت الله بن أعظم بن عبد الرسول سهارنبوري: (أتم الشرح حوالي عام ١٠٨٦ هـ = ١٦٧٥ م).

مخطوط المكتب الهندي بلندن ـ رقم ٧٥٩/ ٦٠.

مخطوط مكتبة الجامعة الإسلامية بعليجره ـ رقم ١٢/ ١.

مخطوط المكتبة العامة برامبور ـ رقم ١/ ٤١٦/ ٥٠.

طبع الشرح في كلكتا بالهند عام ١٨٢٩ م.

٣ ـ رمضان بن حريرة الجزائري القادري:

أتم شرحه عام ١٠٩٢ هـ (١٦٨١ م).

مخطوط دار الكتب المصرية بالقاهرة: فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية المصرية، المجلد السادس - رقم ١٨٠ .

مخطوط المكتبة الشرقية لجامعة القديس يوسف ببيروت - رقم ٢٤٠ .

مخطوط مكتبة سليم أغا باستانبول - رقم ٧٣٤ .

مخطوطا مكتبة بشاور - رقم ١٦٩٤ ، ١٧٣٥ .

مخطوط المكتبة العامة برامبور - رقم ١ / ٤٢٧ / ٢٨ / ٩ .

مخطوط المكتبة العامة ببطرسبرج (لينينجراد) - كتالوج كراتشكوفسكى رقم ٩٢٩ .

٤ - حاجى حسين :

مخطوط المكتب الهندى بلندن - رقم ٧٦٢ .

٥ - شمس الدين على الخلخالى :

مخطوط المكتب الهندى بلندن - رقم ٧٦٣ .

مخطوط مكتب جون ريلاندز بمانشستر - رقم ٣٥٥ .

مخطوط مكتبة بشاور - رقم ١٧٦٦ .

مخطوط مكتبة م. حسين - حيدر آباد (مجلة الجمعية الأسيوية الملكية - عام ١٩١٧ - العدد ٢٢٥ - صفحة ١٠٩).

٦ - جواد بن سعد بن جواد :

مخطوط المتحف البريطانى بلندن - رقم : شرقيات ٦٢٨٠ .

مخطوط المكتبة العامة ببطرسبرج (لينينجراد) - كتالوج مجموعة بخارى رقم ٤٢٠ .

مطبوعة بالمجلس الوطنى بطهران - رقم ١٢٧٣ .

٧ - عمر بن أحمد المائى الشلى :

مخطوط مكتبة جامعة ليبزج - رقم ٨٨٣ / ٨ .

مخطوط المكتبة العامة بميونيخ - مجموع جلازر رقم ٨٥١ .

المكتبة الملكية ببرلين الغربية - كتالوج ألواردت رقم ٥٣٠١ .

مخطوط مكتبة قوله بتركيا - رقم ٢ / ٢٦٤ .

٨ - مير حسين الميبدى اليزدى :

مخطوط مكتبة المشهد - رقم ١٧ / ٤٠ / ١٢٤ .

٩ - لطف الله المهندس اللاهورى :

مخطوط المكتبة العامة - رامبور - رقم ١ / ٤١٦ / ٧٥ .

١٠ - شمس الدين على الحسنى :

مخطوط المكتبة العامة - رامبور - رقم ١ / ٤٦ .

١١ - عبد الباسط بن رستم أحمد بن على أصغر القنوجى :

مخطوط المكتبة العامة - رامبور - رقم ١ / ٤٧ .

١٢ سليمان بن أبى الفتح كشميرى :

كتاب «اللباب» .

١٣ - عبد الرحمن بن أبى بكر المرعشى :

مخطوط مكتبة قوله - رقم ٢ / ٢٦٤ .

١٤ - رمضان بن أبى هريره الجزرى القادرى :

«حل الخلاصة لأهل الرياسة» .

مخطوط الخزانة الآلوسية - مكتبة المتحف العراقى ببغداد - رقم ٨٥٥٨ .

الكتب المطبوعة :

١ - طبعة استانبول - ليتو جلستان، عام ١٢٦٨ هـ .

٢ - طبعة كشمير، عام ١٢٨٥ هـ، عام ١٢٩٩ هـ .

٣ - طبعة كلكتا بالهند (مع شروح)، عام ١٨١٢ م .

ترجمة الكتاب :

١ - ترجمة فارسية بالمتحف البريطانى بلندن : المجموعة الفارسية ٢، رقم ٤٥٠ أ .

٢ - ترجمة ألمانية بقلم نسلمان ببرلين عام ١٨٤٣ م .

٣ - ترجمة فرنسية بقلم المستشرق أ. ماير بباريس عام ١٨٤٦ م (الأعمال الرياضية / ١٨ - ٢٠) .

قالت المؤلفة : وردت فى فهرس المخطوطات الفارسية الذى عندى ترجمة فارسية لكتاب خلاصة الحساب وهى بعنوان «تحفة قطب شاهى» ولعلها المذكورة أعلاه، وهى محفوظة بدار الكتب القومية، وجاء بيان المخطوط كما يلى :

تحفة قطب شاهى :

وهى ترجمة خلاصة الحساب :

تأليف بهاء الدين محمد الجيلى العاملى المتوفى سنة ١٠٤١ هـ.

ترجمها إلى الفارسية ـ معبودى بن إبراهيم الشاهرودى البسطامى .

أوله : حمد بيغايت وثناى بلا نهايت خداى واحد يرا سزاست ... إلخ .

ـ نسخة مخطوطة ، بقلم فارسى معتاد ، بخط عباس الشهير بمحسن بن الصوفى التبريزى ، تمت كتابة فى ٢١ ذى الحجة سنة ١٠٧٠ هـ بتبريز ، الكتاب الأول ضمن مجموعة من ورقة ١ ـ ٧٧ ، مسطرتها ٢١ سطرا ، فى ٢٣ × ١٠ سم .

[١ رياضة فارسى طلعت]

(فهرس المخطوطات الفارسية ١ / ٦٥) .

مخطوطات مكتبات حلب :

يقول الأستاذ الدكتور جلال شوقى :

تتوفر فى مكتبات حلب ستُّ مخطوطات لكتاب «خلاصة الحساب» نبينها فيما يلى :

١ ـ « الخلاصة فى علم الحساب والجبر والمقابلة» .

مخطوط مكتبة الأوقاف الإسلامية ـ رقم ١٧٧٣ .

ويقع فى ٥٥ صفحة ـ مقاس : ٥ , ٢٠ × ٥ , ١٥ سم .

٢ ـ «خلاصة الحساب» .

مخطوط المكتبة المولوية ـ رقم ٧٥٣ .

ويقع متن الكتاب فى ٦٣ صفحة ، ثم يلى ذلك شروح له حتى صفحة ٧١ .

مقاس المخطوط : ٢١ × ١٥ سم .

٣ ـ «خلاصة الحساب» .

مخطوط المكتبة الأحمدية ـ رقم ١٢٥٣ .

ويقع فى ٥٥ صفحة ـ قطع ربع : ٢١ × ١٦ سم .

فرغ من نسخه سنة ١٠٩٠ هـ .

٤ ـ «الخلاصة فى علم الحساب» .

مخطوط مكتبة الأوقاف الإسلامية ـ رقم ٩١٢ .

نسخه حسن بن جمال الدين الحلبى الديركوشى سنة ١٠٨٦ هـ .

مقاس المخطوط ٢١ × ١٦ سم .

٥ ـ «خلاصة الحساب» .

مخطوط مكتبة مدرسة الشيخ أحمد الصديق ـ رقم ١٥٩ .

ويشتمل على شرح حسين بن غياث الدين منصور اليزدى .

فرغ من نسخه سنة ١١١٧ هـ ـ مقاس المخطوط : ٢٠ × ١٣ سم .

٦ ـ «خلاصة الحساب» .

مخطوط مكتبة مدرسة الشيخ أحمد الصديق ـ رقم ٦٦ .

نسخه محمد سليمان الريحاوى سنة ١١٣٢ هـ ـ مقاس المخطوط : ٢٠ × ١٥ سم .

والمخطوطات الثلاثة الأولى هى أوضح هذه النسخ وأجودها وأكملها (الأعمال الرياضية / ٢٠ ، ٢١) .

(الأعمال الرياضية لبهاء الدين العاملى ـ تحقيق وشرح وتحليل د. جلال شوقى / ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ـ ٢١ ، وتراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ـ قدرى حافظ طوقان / ٤٧٥ ـ ٤٨٢ ، ومخطوطات الحساب والهندسة والجبر فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٥٦ ـ ٦٤ ، وفهرس المخطوطات الفارسية التى تقتنيها دار الكتب حتى عام ١٩٦٣ م ، ١ / ٦٥) .

*** خلاصة الدلائل فى تنقيح المسائل:**

من مخطوطات الفقه الحنفى بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٨٥١٦

تأليف : حسام الدين على بن أحمد المكى الرازى المتوفى سنة ٥٩٣ هـ / ١١٩٧م

وهو شرح مختصر القدورى لأبى الحسين أحمد بن محمد المتوفى سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م .

أوله : قال على بن أحمد مكى الرازى وفقه الله لمرضاته :

الحمـد لله الموفق للصواب الهادى إلى سبيل الصلاح والرشاد .

آخره : وللبنت مثله وللابن ضعفه ثلاث حبات ونصف حبة وعلى هذا يقاس النظائر إن شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل .

نسخة جيدة قديمة مصححة . المتن مشار فوقه بخطوط سوداء .

الخط نسخ قديم . كتبه جعفر بن تقى الدين بن منيع المعروف بشاهد الديوان العلائى .

٢٣٠ ق ٢١ س ٢٤,٥ × ١٨ سم

نسخة ثانية

الرقم ٤٥٣٢

فقه حنفى ٨٥

تتفق مع الأولى فى بدايتها وهى ناقصة من آخرها ينتهى بباب الإيلاء . آخرها : وطلاق ذلك الملك باق، فعاد الإيلاء وصار كالأول فإن تزوجها بعد زوج ...

نسخة جيدة وقديمة . من خطوط القرن السابع الهجرى .

الخط نسخ معتاد .

١٣٦ ق ٢١ س ٢٤ × ١٧ سم

نسخة ثانية

الرقم ٧٣١١

الجزء الثانى

يبتدىء بكتاب النكاح وينتهى بنهاية الكتاب .

نسخة جيدة . الصفحة الأولى مزينة برسوم ذهبية ، أصابت الرطوبة أوراقها .

الخط نسخ جيد ، بعض الكلمات كتبت بالحمرة .

١٨٥ ق ٢٩ س ٢٧ × ١٨ سم

المراجع : كشف الظنون ٢ / ١٦٣٢ ، معجم المؤلفين ٧ / ٣٠، فهرس الخديوية ٣ / ٤٥ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٠٤، ٣٠٥).

*** خلاصة سير سيد البشر:**

خلاصة سير سيد البشر: لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى المتوفى سنة ٦٩٤ أربع وتسعين وستمائة أوله الحمد لله على نواله ... إلخ وهو مختصر مرتب على أربعة وعشرين فصلا جمع من اثنى عشر مؤلفا ما بين كبير انتخبه وصغير ألحقه (كشف ١ / ٧١٨).

يوجد مخطوطة فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٩٥٨ / ٢

لمحب الدين بن محمد الطبرى المكى المتوفى سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م .

الأول (الحمد لله على نواله والشكر على واسع أفضاله ...) وهو كتاب فى السير النبوية تناول فيه المؤلف ميلاده ونسبه ونبذ من غزواته وأحواله وأسماءه وصفاته ومعجزاته وخدمه وسلاحه وثيابه جمعه المؤلف من اثنى عشر مؤلفا ورتبه على أربعة عشر فصلا (فى كشف الظنون ١ / ٧١٨ أربعة وعشرين فصلا).

كتبت سنة ١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م عليها حواش وشروح .

القياس ٦٦ ص ٢٠ × ١٤,٥ سم ٢٥ س

معجم المؤلفين ١ / ٢٩٨ بروكلمان ١ / ٣٦٢ طبعت بالهند سنة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م .

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير / ١٦٧) .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٧١٨، ومخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٦٧).

*** خلاصة الشروح:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب والصيدلة .

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ١٠٩٩٥ ـ ٤

لغلام إمام بن حكيم بنده على خان

(بعد حمد شافى عز وجل ...)

باللغة الفارسية رتبه المؤلف على أربعة أقسام :

القسم الأول فى قواعد الطب العلمى

القسم الثانى فى الأدوية والأغذية المفردة والمركبة .

القسم الثالث في الأمراض المختصة في كل عضو من الأعضاء الظاهرة والباطنة وأسبابها ومعالجاتها.

القسم الرابع في الأمراض الشاملة لجميع الأعضاء وأسبابها وعلاماتها وعلاجها.

كتبت سنة ١٢٨٦ هـ/ ١٨٦٩م

وتوجد نسخة أخرى برقم ١٢١٣١ ناقصة قليلا من الآخر.

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي - أسامة ناصر النقشبندي/ ١٠١).

*** خلاصة الطب:**

لخير الدين بن الحاج بايزيد بن عمر

مخطوط في مكتبة المتحف العراقي

الرقم ٨٤٤-٢

الأول: (الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله أجمعين).

باللغة التركية رتبة المؤلف في أربعة فصول وهي:

الفصل الأول في طب النبي. الفصل الثاني في التشريح والأمور الطبيعية وهو في ١٥ بابا. الفصل الثالث في الطب العملي وبيان الأمراض وهو في ١٥ بابا. الفصل الرابع في الأمراض وجعله في ٤٦ بابا.

نسخة جيدة كتبها إبراهيم سنة ١٢٢٨ هـ/ ١٨١٣ م.

القياس ١٧٠ص ٢١×١٤,٥ سم ١٥ س

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي - أسامة ناصر النقشبندي/ ١٠٢، ١٠٣).

*** خلاصة الطب:**

لمحمد حسين بن محمد هادي العلوي الشيرازي العقيلي الذي كان حيا سنة ١١٩٥ هـ/ ١٧٨٠ م، وهو من أطباء السند، ومن مؤلفاته المعروفة مخزن الأدوية.

مخطوط في مكتبة المتحف العراقي

الرقم ١٦٩٧٣

كتاب جامع مختصر باللغة الفارسية رتبه المؤلف على مقالات وكل مقالة جعلها في عدة فصول.

نسخة جيدة كتبت على ورق أزرق ناقصة، ترقى للقرن الثالث عشر الهجري/ القرن التاسع عشر الميلادي.

القياس ٣٦٢ ص ١٦,٥×١٠,٥ سم ٢٤ سم

(الذريعة ٧/ ٢٢٩، ٢٠-٢٢٣).

مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي - أسامة ناصر النقشبندي/ ١٠٢).

***خلاصة الطب:**

وهو معجم في المعاجين والأعشاب والأشربه الطبية وضعه المؤلف بالعربية والتركية بإشارة من خضر باشا بن إسحاق جلبي الذي ولي العراق سنة ٩٦٤ هـ/ ١٥٥٦ م.

مخطوط في مكتبة المتحف العراقي.

الرقم ١٥٦٩٩.

الأول (الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة على نبيه محمد وآله أجمعين أما بعد وكتاب سلالة الأمراء ...).

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي - أسامة ناصر النقشبندي/ ١٠٣).

*** خلاصة الفتاوى:**

خلاصة الفتاوى: للشيخ الإمام طاهر بن أحمد بن عبد الرشيد البخاري المتوفى سنة ٥٤٢ اثنتين وأربعين وخمسمائة وهو كتاب مشهور معتمد في مجلد ذكر في أوله أنه كتب في هذا الفن خزانة الواقعات وكتاب النصاب فسأله بعض إخوانه تلخيص نسخة قصيرة يمكن ضبطها فكتب الخلاصة جامعة للرواية خالية عن الزوائد مع بيان مواضع المسائل وكتب فهرست الفصول والأجناس على رأس كل كتاب ليكون عونا لمن ابتلي بالفتوى. وللزيلعي المحدث تخريج أحاديثه (كشف ١/ ٧١٨).

يوجد مخطوطه في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)، وهو في الفقه الحنفي وجاء بيانه كما يلي:

الرقم ٦٥٩٨

تأليف: افتخار الدين طاهر بن أحمد بن عبد الرشيد الحسين البخاري المتوفى سنة ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧م.

أوله: الحمد لله خالق الأرواح والأجسام، وجاعل النور والظلام.

آخره: ويبطل الثانى لأنه يمكنها أن تقول: طلبتهما الشفعة والخيار والله أعلم بالصواب.

نسخة جيدة مصححة. فى أولها فهرست بالأبواب.

الخط نسخ معتاد، بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة. كتبه إبراهيم بن محمد سنة ٩٦١ هـ.

٣٢١ ق ٢٧ س ٣٠ × ٢٠ سم

ـ نسخة ثانية

الرقم ٩٥٩٠

تتفق مع الأولى فى بدايتها.

نسخة جيدة. عليها قراءة من قبل الشيخ عبد الغنى الغنيمى الميدانى سنة ١٢٥٧ هـ.

الخط نسخ معتاد. بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة. كتبه أحمد بن أحمد الحرسى سنة ١٠٦٧ هـ.

٣٣٦ ق ٣٤ س ٢٦ × ١٨ سم

ـ نسخة ثالثة

الرقم عام ٤٤

الجزء الأول

يبتدىء ببداية الكتاب وينتهى بكتاب البيوع.

آخره: والعقاد والخشب وما كان متفاوتا الكل فى الأصل والله أعلم.

نسخة جيدة مصححة. عليها بعض التعليقات.

الخط نسخ معتاد. كتبه جلال الدين بن عبد السلام بن على بن عثمان الأصفهانى سنة ٩٠٣ هـ.

١٦٢ ق ١٩س ٢٩ × ٢٢ سم

ـ نسخة رابعة

الرقم ٢٦٦٩ فقه حنفى ٣٦٦.

الجزء الأول.

يبتدىء ببداية الكتاب وينتهى بكتاب الصرف.

آخره جنس آخر فى علة الربا: وفى شرح الطحاوى قال أصحابنا رحمهم الله: علة الربا الكيل مع الجنس فى المكيلات والله أعلم.

نسخة جيدة مصححة. على صفحاتها جميعا جداول بالحمرة والزرقة سنة ٩٦١ هـ.

الخط نسخ جيد. بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة. كتبه أحمد بن قاسم العزوى.

٣٠٣ ق ٣١ س ٢٨,٥ × ٢٠ سم

المراجع: معجم المؤلفين ٥ / ٣٢، فهرس الخديوية ٣ / ٤٤ (فهرس الظاهرية ١ / ٣٠٦ـ٣٠٨).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٧١٨، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٠٦ـ ٣٠٨).

*** خلاصة الفتاوى فى تسهيل أسرار الحاوى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى المذهب الشافعى.

مخطوط بخزانة المدرسة الأحمدية بحلب، وجاء بيانه كما يلى:

تأليف: سراج الدين أبى حفص عمر بن على الأنصارى المعروف بابن الملقن ٧٢٣ ـ ٨٠٤ هـ/ ١٣٢٣ ـ ١٤٠١ م.

هو تعليقه على كتاب «الحاوى الصغير» لنجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم بن عبد الغفار القزوينى، على مذهب الإمام الشافعى. فقرب مسائله وقررها وحل مشكله وأبان عن مجمله ومعطوفه وحرر منقوله وقيد مطلقه على طريقة الإمام الرافعى ثم النووى فى كتبهما وزاد عليهما ورد فيه على ما لا جواب عنه، وصحح ما وقع فيه من إرسال الخلاف، وأبان عن مواضع مهمة أهملها شراح الحاوى أو ما وهموا فيه أو شرحوه على غير وجهه، وسلك فى تعليقه هذا سبيل الاختصار فى الأمور الواضحة والبسط فيما يشكل، وتنتهى المجلدة بآخر باب الفرائض.

أوله بعد البسملة: الحمد لله على الدوام وأشكره على توالى الإنعام...

آخره: ... فراجعها منه فإنها مهمة. تم والحمد لله وحده وصلى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم».

النسخة بحالة جيدة يعود تاريخها إلى سنة ٨٨٠ هـ، وقد كتب على طرتها (الجزء الأول) ولدى تصفح النسخ لم نعثر على تجزئة لهذا الكتاب، ونرجح أنها تشتمل على الكتاب كاملا، إذ ينتهى بباب الفرائض، وقد كتب النسخة إبراهيم بن أحمد بن يعقوب الكردى الشافعى بخط مشق جيد، ولم يقيد بالشكل، وجعلت رؤوس المسائل والفصول والأبواب بالحمرة.

(٣١٨) ق المسطرة (٢٥) س الأحمدية (٦٥٩) الفقه الكشف ١ / ٤١٦ بروكلمان ٢ / ٩٢ ملحق بروكلمان ٢ / ١٠٩.

(المنتخب من المخطوطات العربية فى حلب. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٤ / ١٨٠، ١٨١).

* **خلاصة الفرائض:**

منظومة فى الفرائض وفقا لمذهب أبى حنيفة، نظمها عبد الملك الفتنى لكى تحقق ـ كما يقول فى بدايتها ـ لأصحاب المذهب الحنفى من الفوائد ماحققته المنظومة الرحبية لأصحاب المذهب الشافعى ولأنه «يسهل حفظ النظم» وقد نظمها على «متن السراجية» للسيد الشريف الجرجانى. ونحن ننقلها هنا بتمامها تحقيقا لهذه الفوائد كلها، ولكى يُحال عليها عند المقارنة بينها وبين مسائل الرحبية، وعند إدراج أجزائها فى مواضعها المختلفة، قال الناظم رحمه الله :

الحمد لله) القديم الوارث
الدائم المحيى المميت الباعث
وأفضل الصلاة والسلام
على موصل هدى الإسلام
(محمد) من جاء بالفرائض
والآل والصحب هداة الفارض
ثم يقول بعد ذا (عبد الملك)
الفتنى الملتجى إلى الملك
فرائض الميراث نصف العلم
وأنه يسهل حفظ النظم
وقد رأيت (الرحبية) التى
فى كتب الميراث كالفريدة
فإنها عميمة المنافع
لكنها فيما نحاه الشافعى
وحبذا لو كان للمعانى
نظيرها فى مذهب (النعمان)
وطالما راجعت فى أن ينظما
(متن السراجية) نظما محكما
فتلك ما أحسنها ترتيبا
وشرحها لقد حوى العجيبا
أعنى الذى للسيد (الجرجانى)
فقد دنت قطوفه للجانى
ولم أزل مسوّفا نيل الأمل
حتى ارتجلت نظمها ولم أمل
وزدت فيها ما يروق النظرا
دون خلاف فى النقول اشتهرا
وحين أن تمت بيمن فائض
سميتها (خلاصة الفرائض)
وأسأل الله بها أن ينفعا
ناظمها ومن عليها اطلعا

العين التى يتعلق بها حق الغير وما يتعلق بالتركة.

قدّم حقوقا علقت بالعين
قبل التوى كرهنه فى الدين
وما عداها تركة تعلقت
بها حقوق أربع قد نسّقت
تجهيزه كذا الذى له يجب
عليه إنفاق إذا كان عطب
قُبيْلَه كزوجة أو الولد
وإن تكن غنية فى المعتمد
بكفن السنة أما إن منع
دائنه فبالذى يكفى يقع
فدين خلق صحة فمرضا
ثم وصية فإرث فرضا

أسباب الإرث :

وسبب الإرث نكاح أو نسب
أو الولاء ليس دونها سبب

موانع الإرث :

ويمنع الميراث قتل إن وجب
قصاص أو كفارة أو تستحب

وردة طوعا عن الإيمان
من عاقل تغاير الأديان
تباين الدارين حكما حققا
ما بين كفار ورق مطلقا
وعدم العلم بموت من سبق
فيمن يعمهم مصاب كالغرق
والتباس وارث بغيره
تمنعه جهالة من خيره
كما إذا ظئر تموت وما علم
مولودها من مرضع فقد حُرم
ومن رمى مولوده في المسجد
ثم أتى لأخذه من الغد
إذا بطفلين به تحيزا
لكنه بينهما ما ميزا

أصناف مستحقي التركة :

امنح ذوي الفروض ثم العصبه
ثم الذي منه عتاق الرقبه
ثم الذي يعصبه أي بالنسب
فمعتق المعتق ثم من عصب
ثم ذوي رد فأرحام كذا
مولى الموالاة فمن يعصب ذا
فمن له أقر أي بنسب
يحمله على السوى كابن أبي
وكان مجهولا وما صح النسب
وذا بأن ما صدّق المقر أب
وإن يصدق فهو وارث ثبت
إذا شروط صحة توفرت
فمن له أوصى وزاد يا افهم
عن ثلث فبيت مال منتظم

الفروض :

إن الفروض في الكتاب ستة
وأهلها الذكور هم أربعة
وضعفهم من الإناث ولتكن
نوعين فالأول من ذين الثمن
والربع والنصف وأما الثاني
فالسدس والثلث كذا الثلثان
ومنتهاها خمسة لنحو أم
وزوجة وأخوات ولتعم

مخارج الفروض :

سمي فرض سمه بالمخرج
إلا النصيف فمن اثنين يجي
كالربع من أربعة والسدس من
ست إن الفروض أفرادا تبن
وإن تكن قد كررت من نوع
فمخرج الأقل فيها مرعي
والنصف إن بغير نوعه اختلط
فأصله من ستة جاء فقط
والربع في اختلاطه باثني عشر
وضعفها في الثمن ياهذا استقر

أحوال الأب ثلاث :

للأب سدس مع الابن قد وجب
وبالبنات قد حواه وعصب
فيما بقي ومحض تعصيب ورد
إن ولد ابنه انتفى أو الولد

أحوال الجد أربع :

مثل الأب الجَدُّ الصحيح وهو من
لم يدل بالأنثى وبالأب أحرمن
إلا مع الأم وزوج فلها
ثلث وأم الأب لن يعضلها

أحوال بني الأم ثلاث :

أما بنو الأم فثلث للعدد
سوية والسدس للذي انفرد

بولد ولد ابن والأب
والجد إن صح بنى الأم احجب

للزوج حالتان وللزوجة حالتان :

الربع للزوج بأولاد لها
وعند فقدهم له النصف لَهَى
والثمن للزوجة أو للأكثر
مع ولد الزوج وربع إن عرى

أحوال البنات ثلاث وبنات الابن ست :

نصف لبنت ثلثان للبنات
وانهن بابنه معصبات
كذا بنات الابن حيث فقدت
صلبية أحوالهن رتبت
وحزن سدسا مع بنت الميت
تكملة للثلثين يأتي
وإن يكن ثم غلام عصبت
به التي حازته بل ومن علت
سوى التي تنال سدسا كملا
ويحجب التي تكون أسفلا
أخ لهن ذا أو ابن الأخ أو
هو ابن عم فله الضعف حبوا
من زائد النصف إذا حاذى وإن
نأى فمن ثلث يزيد فاستبين
واسم المحاذى إن تك الفروض ما
أبقت لهم شيئا مشوم فاعلما
أما المبارك فإنه الذى
نأى إن الفروض أبقت فاحتذ
وخبن بالبنتين إلا أن يرى
تعصيبهن بمبارك جرى
ابن ابنه في زائد الثلثين .
وإن نأى وخبن بابن عين

أحوال الأخوات العينيات خمس والعليات سبع :

وأخته شقيقة في النسب
إن فقد البنات كالبنت احسب
وإن مع البنت تكن فعصب
وهكذا أحوال أخت لأب
إن فقدت شقيقة فرتب
وخبن بابنه وجد وأب
أما اللواتي ينتمين للأب
فزدن حجبا بالشقيق الأقرب
وبشقيقة مع البنت سمت
وعن أخيه لأبيه قدمت
والأخت للأب مع العينيه
كبنت الابن أي مع الصلبيه
لتأخذ السدس وتلك النصفا
وبالأخ التعصيب ثم يلفى
وهو المشوم إن تك الفروض لم
تبق لهم شيئا به المنع ألم
وقل لها مع اثنتين مالك
إلا بتعصيب أخ مبارك

الأكدرية :

ولا يرثنه في الأكدريه
وتلك عينية أو عليه
والزوج والجد وأم تحسب
فالأخت عندنا بجد تحجب
والشافعي ضم فيها نصفها
لسدسه ثم حباه ضعفها

المُشَرَّكة :

أمٌّ بأخياف وزوج عوّقت
شقيقة حيث الفروض استغرقت
والشافعي مع بنيها شركه
فهذه اليمّية المشركه

أحوال الأم ثلاث:

للأم سدس إن تكن مع الولد
أو ولد ابن أو بإخوة عدد
إن عدموا ثلث وثلث الباق من
زوج أو الزوجة مع أب زكن

للجدة حالتان:

لجدة صحت بلا جد فسد
سدس وإن كثرن واستوين حد
بالأم خبن كيف كن والأب
لمن به أدلت كجد يحجب
وتحجب البعدى بذات القرب
وارثة أو هي ذات حجب

العصبات النسبية وهم ثلاثة أقسام:

الأول: العصبة بنفسه ولهم أربع أحوال.

عصبة بنفسه يا من ضبط
قل ذكر لم يدل بالأنثى فقط
جهاتهم أربعة بنوه
أبوة وبعدها أخوه
ثم عمومة له أو لأبه
أو جده كذا بنو الكل انتبه
بالجهة التقديم ثم قربه
فقوة بأمه مع أبه
فقدم ابن الميت ثم نجله
فالأب فالجد فإخوة له
ثم بني الإخوة فالعم على
ترتيبه مع ابنه كما علا
والابن يحجب ابن الابن والأبُ
يحجب جدا فهو منه أقرب
والأخ والعم الشقيق أقوى
من ذي أب كذا ابن كل يقوى
فإن تساووا فاقسم المال على
رءوسهم لا أصلهم لك العلا

الثاني: العصبة بغيره:

عصبة بغيره هن ذوات
نصف يصرن بأخ معصبات
وزد لبنت الابن ابن عمها
وابن أخيها إن نأت عن سهمها
وكل من ليست بذات سهم
مثل ابنة الأخ وبنت العم
وعمة بالأخ لم تعصب
كذاك بنت معتق ذي سبب

الثالث: العصبة مع غيره:

عصبة مع غيره الأخت إذا
كانت مع البنت وإن نأت كذا

العصبة السببية:

عصبة بسبب ذو العتق
وإن يكن لغير وجه الحق
فعصباته الذكور بالنسب
فمعتق المعتق ثم من عصب
ولا ولاء للنساء يا فتى
إلا التي منها عتاق ثبتا
والعتق إن مشتركا كان الولا
بقدر ملك في العتيق أولا

عَصَبةُ عَصَبةِ المعتق:

عصبة العاصب للمعتق لا
إرث له من العتيق فاعقلا
إلا إذا جرَّ الولاء معتق
أو ذاك عاصب له قد حققوا

فيمن يرث عند اجتماع كل الورثة:

وفي اجتماع للذكور الوارث
الأب والابن وزوج ماكث

وفي النساء الوارثات خمس
بنت وبنت ابن لـه والعرس
والأم مع أخت شقيقة ولو
كانوا جميعا فلخمس قد حبوا
الوالدين يافتى والولدين
وأحد الزوجين فاعلم دون مين

في الوارثين بسببين :

ذو سببين دون مانع جلا
بالكل منهما له الإرث اجعلا
كزوجة تكون بنت عمه
أو كان قد أعتقها لغنمه

في الوارثين بقرابتين :

ومن به قرابتان اجتمعا
بالدين ورثه إذا لم يمنعا
كما إذا كان له ابن عم
ومع ذا فهو أخ للأم

الحَجْبُ :

للأم والزوجين والأخت لأب
وبنت الابن حجب نقصان النسب
وحجب حرمان مضى مفصّلا
في ذكر أحوال ذوي الإرث اعقلا
أما الذي لم يبل بالحرمان
فالأبوان وكذا الزوجان
والولدان أيها الفهيم
ويحجب المحجوب لا المحروم
كإخوة بالأب خابوا حجبوا
أما فثلثها لسدس قلبوا

في التماثل والتداخل والتوافق والتباين :

إن عددان استويا تماثلا
كالست والست وقل تداخلا
إن أصغر الاثنين عد الأكبرا
وذا كأربع مع اثني عشرا
وإن يكن يفنيهما سواهما
فقد توافقا بجزئه هما
فإن يك اثنين فبالنصف وإن
ثلاثة فقل بثلث يافطن
وهكذا بالجزء فوق العشر
وإن تباينا فليس يجري
عدهما إذن بغير الواحد
كالست والسبع وقس في الزائد

التصحيح :

سبع أصول فثلاث تجري
بين رءوس وسهام فادر
وأربع بين الرؤوس وهي إن
يصح فاقسمه وإن كسر يبن
لفرقة ووافقت رؤوسهم
نصيبهم فجزء سهم وفقهم
وإن تباينه فكلهم وإن
لفرقتين فهو من سطح زكن
لوفق الأولى في جميع الثانيه
أو كلها إن باينت علانيه
وفي تماثل كإحدى الفرقتين
وفي تداخل فكالكبرى بتين
وللطوائف ولن يزيدوا
عن أربع بالكسر فالمعهود
يجري بهم فأول في الثاني
وحاصل يضربه المعاني
في ثالث وحاصل في رابع
وراع فيهم نسبا ياسامعي
أعني توافقا وما سواه
فجزء سهم حاصل تلقاه

فهــو الــذى تضــربــه فى الأصل
وإن يكـن عــالاً فــذا فى العـــول
وحــاصل منـــه هـــو التصحيح
فـــاقسمـــه فــالقسم بــه صحيح

مالكل فريق من التصحيح ونصيب كل فرد منه :

وإن تـــرد تعـــرف بـــالتصـــريح
مـــا لفـــريقهم من التصحيح
فـاضـرب سهــامهم من الأصل الــوفى
فى جـــزء سهم يحصل الحظ الخفى
أمـــا لفـــرد فـــاضـــربن قسمــه
من حظهم فى الجـــزء تعـــرف سهمـــه

مصحح الوصية :

وإن تـــرد مصحح الـــوصيـــه
فمن مسمى جـــزئهـــا إخـــراج تى
ومـــــابقى مـن ذاك إن لـم ينقسـم
على سهـــام وافقتـــه يـــافهـم
فـــوَفْقُهَـــا يُضـــرب فى المسمى
أو كلهـــا إن بـــاينتـــه حتمـــا
يحصل تصحيح الـــوصيـــات وذى
تضــرب فى المضـروب عنـد المأخـذ
والبـاق فى المضـروب أيضـا ضـربـا
يحصل مـــا تكـون منــه الأنصبـا

العول :

عـــول زيـــادة سهـــام المسألـــه
من كســرهـــا فهى بـــه مكملـــه
مخـــارج سبع هى الأصـــول
أربعـــة منهـن لا تعـــول
وهـــذه الثـــان ثـــلاث أربع
ثم ثمــان وســواهـــا يـــرفع
فعـــول ستـــة إلى العشـــر ظهـــر
وتـــرا وشفعـــا فهـــو أربع صـــور

أمـــا الـــذى بـــالـــوتـــر فهـــو اثنا عشـــر
ثـــلاث مـــرات إلـى سبع عشـــر
وعـــــول أربع وعشــــريـن ثبت
فى مـــرة سبعـــا وعشـــرين أتـت

الرد وهو أربعة أقسام :

الـــرد ضـــد العـــول فى ذى النسب
والفـــرض عنـــد عـــدم المعصِّب
صـرف الـذى تبقى الفـروض فـادرهـا
إلى ذوى السهـــام أى بقـــدرهـــا

القسم الأول :

أقســـامـــه أربعـــة جـــاءت ففى
جنس رءوسهم هى الأصل الـــوفى

القسم الثانى :

وأصلهـــا السهـــام فى الجنسين
فـــالســـدسين اجعلهمـــا بـــاثنين

القسم الثالث :

وأحـــد الـــزوجين أى من لا يـــرد
عليـــه إن يـــوجـد وجنس اتحـد
فـــامنحــه من مخـــرج فـرضـه ومـــا
يبقـى لجنس إن أبـى أن يقسمـــا
ووافق الـــرءوس فـــاضـــرب وفقهـــا
فى ذلك المخـــرج يـــاذا والمُقَهَـــا
وإن يبـــاين تلك فـــاضـــرب كلهـــا
فيـــه ففى هـــاتين تلق أصلهـــا

القسم الرابع :

لكـن مع الأجنـــاس يستقيـم
فى صــورة بـــاقيـــه يـــا فهيم
وتلك أختـــان من الأخيـــاف
وجـــدة وزوجـــة للعـــافى
وفى ســـواهـــا تضــرب الأصل لهـم
فى ذلك المخـــرج تـــدرى أصلهـم

فاضرب نصيب من له بالرد
فيما بقى من مخرج والضد
فى أصل ذى الرد فتلقى الأسهما
وصحح الكسر بما تقدما

فى التخارج :

سهام من قد صالحوه تسقط
وما بقى فأسهما يقسَّط
كالزوج لو صالحه أم وعم
فالثلث للعم وثلثان للأم

توريث ذوى الأرحام :

ورِّث قرابة دوى الأرحام
غير ذوى التعصيب والسهام
أصنافهم أربعة فقدما
جزءا لميت ثم أصلا منتمى
فالفرع من إخوة وبعدهم
عمومة خؤولة فنسلهم

الصنف الأول ولهم ست أحوال :

وأول الأصناف نسل البنت
فقدم الأقرب أى للميت
فإن تساووا قدم الذى أتى
من وارث فإن تساووا بافتى
فى كون كل ولد الوارث أو
لغير وارث جميعا انتموا
مع اتفاق كان للأصول فى
ذكورة أو الأنوثة اعرف
فاقسم على الفروع بالسواء لو
كانوا ذكورا أو إناثا كن أو
فللذكور ضعف الأنثى وإذا
تخالفت ففى الأصول القسم ذا
ثم الحظوظ للفروع تجعل
وفى اختلاف للبطون الأول
مقسمها وتفرز الذكور
كذا الإناث ثم مايصير
للأصل فهو للفروع يجعل
وهكذا للانتهاء تفعل
والأصل عدده بعدد النسل
مع بقاء وصف ذاك الأصل
فذات فرعين تعد باثنتين
وارث ذى أصلين قل من جهتين

الصنف الثانى ولهم أربع أحوال :

ثانيهم جد بأنثى يدلى
وجدة تدلى بذاك المدلى
والكل فاسد ويحيا الأقرب
وفى استواء واتحاد ينسب
لجهة دع مدليا بوارث
وأحب الذكور الضعف غير ناكث
وصفة المدلى بهم إن تختلف
ذكورة أنوثة فما عُرف
أى فى بطون أول الأصناف
يجرى بهم فاقسم على الخلاف
وفى اختلاف القرب ثلثان لذى
أب وثلثا لذوى الأم أفلذ
واقسم على الجنس كما لو اتحد
وفى البطون ما ذكرنا يعتمد

الصنف الثالث ولهم ست أحوال :

ثالثهم بنت الأخ الشقيق أو
للوالد ونسل أخت قد رووا
فرع أخ لأخته وقُدِّما
أقربهم وفى استواء علما
أقوى فروع عاصب له حتم
وقدموا عن ولد لذى رحم

واقسم علـى أول بطن يختلف
في غير ذا والاختلاف قد عرف
ذكورة أنوثة كالبنت
للأخ لا للأم وابن الأخت
كذا بفرض كابن أخت لأب
وابن أخ لأمه في النسب
والخلف بالفرض والتعصيب في
بنت أخ للأبوين قد يفي
مع ابن أخته من الأم اعلم
وللفروع ما لأصل فاقسم
للذكر كسهمي الأنثى سوى
فروع أم فهمو فيه سووا
وعد فرع في الأصول روعي
وارع جهات الأصل في الفروع

الصنف الرابع ولهم حالتان :

رابعهم عمته كالعم
أخي أبيه إن يكن للأم
فهؤلاء جهة قُلْ للأب
والخال والخالة للأم انسب
فقدم الأقوى لدى اتحاد
جهتهم والثلث في التعداد
لجهة الأم وضعف لذوي
أب وليس فيهما يرعى القوي
فلا تقدم عمة للأبوين
عن خالة للأم أو بعكس تين
بل قدّم الأقوى بكل جهة
كخالة شقيقة عن التي
للأب أو أم وإن هم استووا
فللذكور ضعف الأنثى قد حبوا

أولاد الصنف الرابع ومن في حكمهم ولهم ثمان أحوال :

مثل بني ذا الصنف بنت العم
للأب أو لأبيه والأم
فقدم الأقرب منهم إن وجد
على السوى في الجهتين فاعتمد
كبنت خالة تسري للميت
عن بنت بنت خالة أو عمة
وفي اتحاد جهة فالأقوى
عند استواء قربهم ذو الجدوى
كن إلي ذي الأبوين ينتمي
من ذي عصوبة ومن ذي رحم
ثم الذي لعاصب قد انتمي
يكون عن ذي رحم مقدما
كبنت عمه مع ابن العمة
إن استووا فالبنت ذات الحصة
وإن تكن للأبوين العمة
والعم للأب فالابن يثبت
ذا مثل خالة تكون لأبيه
أولى من التي لأم فانتبه
وفي اختلاف جهة كبنت عم
للأب وابن خاله الميراث عم
للابن ثلث ولها الثلثان في
معتمد المتون كالكنز اعرف
وقدَّم البنت السرخسي وما
صوبه ذو الحامدية اعلما
وإن يكونوا كلهم من ذوي رحم
فاقسم ولا خلف بتثليث علم
ما اعتبرت قوة قرب يوضح
بين الفريقين فلا يرجح
ابن لعمة شقيقة على
ابن لخالة من الأب انجلا

لكن قـــوى جهـــة فيهـــا الأحق
وفـى البطـــون القسم مثل مـــا سبق
وعـــــدد الفـــروع فـى الأصل ثبت
كـــذا جهـــات الأصل فـى الفـــرع أتت

تتمة :

وبعـــدهم عمــومــة لــلأبــوين
وإن علت كــذا خــؤولــة لــدين

في الحمل :

أقـل مــــده لحمل نصف عــــام
ومنتهـــاهـــا سنتــان بـــالتمـــام
إن لـم تقـــر بـــانقضـــاء العـــده
وولــــدت قبل تمـــام المـــده
منــــه فـــورثـــه وإن من غيـــره
بعــــد الأقل لم ينل مـن خيــــره
إلا التـي تعتـــــد للطـــــلاق إن
بـــالانقضـــاء مـــا أقـــرت فـــاستبن
وعنـــد قسم تـــركـــة فليعتبـــر
أفضـل مـــولـــوديـــه أنثى أو ذكـــر
فـإن يكن يحـــرم لـــو يـــذكـــر
أو عكســـه فـــوارثـــا مقـــدّر
وكفّـل القــــاضـي ذوى الإرث إذا
يخـــاف نقصـــانـــا وبـــالأكثـــر ذا
إن يخـــرج الأكثـــر حيـــا وعلـم
بـأنـــــر ذاك فبـــالإرث حكـم
فصـــدر ذي استقـــامـــة بـــرأســـه
بـــذا اعتبـــر وسُـــرَّة في عكســـه
إن بجنـــايـــة خـــروج الميت
ورثّـــه لا بنفســـه من علـــة
واعمـل بتصحيحين إذ تُقـــــدَّر
ذكـــورة أنـــوثـــة وتنظـــر
بينهمـــا في الـــوفـق والتبـــاين
فـــا ضـــرب وتصحيحهمـــا من كـــائن
فمـن يكـن نصيبـــــــه فـي الأول
فـــاضـربـــه فـي الثـانـي أو الـوفـق الجلي
واعكـس لمن لـــه بثـــاني الأصلين
وأعـط وُرّاثـــــا أقـل السطحين
وإن بـــه قـــد يحـــرم الـــورّاث
فـي حـــالـــة فليـــوقف الميـــراث
وامنحـــه بعـــد الـــوضع مـــا استحقـــا
واقسم عليهـم إن يـــزد مـــا أبقى

في المفقود :

وإن يمـت مفقـــودهـم فـي مـــالـــه
فقفـــه يـــا ذا لبيـــان حـــالـــه
فـإن بـــدا حيـــا وإلا صُـــرفـــا
إذا قضـى بمـــوتـــه مـــا وقفـــا
بفـــوت مـــدة بهـــا أقـــرانـــه
تفنـى أو التسعين ذا بيـــــانـــــه
وكـــالجنين اجعل لـــــه أصلين
واحبس لـــــه زيـــــادة الحظين

في الخنثى :

وأســـوأ الحـــالين للخنثى وإن
يحـــرم من الميـــراث فيهـــا فـــاستبن

في المرتد :

وإن يمـت ذو ردة أو يحكمـــــــا
عليـــه قـــاض بلحـــاق عُلمـــا
فـــالإرث منهـــا مـــا حـــواه مسلمـــا
والفـيء مـــا فـي ردة قـــد غُنمـــا
وكسبهـــا لـــوارثيهـــا مطلقـــا
وفـي ارتـــداد القـــوم إرث حققـــا

في الأسير:

ذو الأســـر دون ردة كـــالمسلم
ومثل مفقـــود بجهـل فـــاعلم

فيمن يموتون جملة :

وإن يمـــوتـــوا جملـــة فلتقض
بمنـــع إرث بعضهـــم مـــن بعــض
وفي التبـــاس ســـابق كأن علم
يـــوقف للظهـــور أو صلح يتم
ثم تـــراث الكـل منهم للـــذى
يـــوجـد من ورّاثــه فليـــؤخـذ

في ذي النسب المشترك :

ذو نسب مشتـــــرك لاثنين
من أمَـــة ميـــراثـــه كـــابنين
وإرث كـل منهمــــا كنصف أب
وكـــامل للبـــاق لـــو فـــرد ذهب

ميراث أولاد اللعان والزنا :

ميـــراث أولاد اللعـــان والـــزنـــا
بجهـــة الأم فقط لمن دنـــا

في الوارثين بجهتي فرضين :

وجهتـــا فـــرضين لـــو فُـــرّقتـــا
في اثنين فـــالحجب لـــواحـــد أتى
بـــآخـــر فـــالإرث بـــالحـــاجبـــة
كبنت أتـي أمـــه بشبهـــة
إذا تـــوت فبأمـــومـــة لأم
إرث وإلا بهمـــا الميـــراث أم

المناسخات:

هـــاك المنـــاسخـــات في الميـــراث
وتلك مـــوت أحـــد الـــوراث
قبل اقتســـامهم عن الـــذينـــا
قـــد غـــايـــروا قسمـــة الأولينـــا

فـــاعـــرف نصيب الثـــان من مصحح
لأول ثـم لثـــــــان صحح
مسألـــة واقسم عليهـــا سهمـــه
فـإن وفـى فـأول للقسمـــــه
صح لـــــلاثنيـن وإن لـم ينقسم
لكنـــه وافقهـــا فقـــد حُكم
بضـــرب أول بـــوفق مـــا تـــلا
وإن يبـــاينهـــا فبـــالكل انجلى
وحـــاصل الضـــرب يسمى جـــامعـــه
وقسمـــة الـــورّاث فيهـــا واقعـــه
فـــاضـــرب سهـــام وارث من أول
في وفـق تصحيح تـــلا أو أكمل
واضـــرب سهـــام وارث الأخيـــر في
وفـق لحظ الثـــان أو كـل وفي
فحـــاصل لـــوارث نصيبـــه
واجمع لـــه من ذين مـــا يصيبـــه
واجعل بمـــوت ثـــالث ذي الجـــامعـــه
مسألـــة أولى وصحح شـــافعـــه

قسمة التركة وفيها ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : الطريق المشهور

إن وافـق التصحيح مـــال الميت
فقسمـــه إذن بضـــرب الحصـــة
في وفق تـــركـــة وحـــاصل على
وفـق الـــذى صححت قسمـــه عـــلا
وإن يكـن بينهمـــا تبـــايـن
فضـــربهـــا في كـل مـــال كـــائن
واقسم على مصحح مـــا قـــد حصل
تعلم نصيب وارث لـــه انتقل
لكـل فـــرد إن أردت حصتـــه
ومثلـــه الفـــريق فـــاعلم قسمتـــه

فيما إذا كان فى التركة كسر:

وإن يكن فى المال كسر فاضرب
فى مخرج الكسر صحيحا تُصب
وضم ذا الكسر لحاصل يجى
واضرب مصححا بذاك المخرج
فالحاصلان أول كالتركة
والثانى كالتصحيح عند القسمة

الوجه الثانى: النسبة:

أو للمصحح أنسب السهم ومن
مال بمثل نسبة له أبِنْ

الوجه الثالث: تقريط المسائل:

وفى العقار والذى لا ينقسم
قدره أربعا وعشرين يتم
بقسم تصحيح على المال اعلم
وخارج عليه قسم الأسهُم
فتخرج الحظوظ للوراث
وهى قراريط من الميراث

قسمة التركة على الغرماء:

وإن أردت قسمة للغرما
فلتفرض الديون فيها أسهما
وجمعها مصححا والعمل
فى فرز ما خص السهام الأول
وأحمد الله على التمام
وأرتجيه الحسن فى الختام

(خلاصة الفرائض، منظومة لعبد الملك الفتنى، المطبوعة فى مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى / ٥٧ـ ٧٦).

*** الخلاصة فى أصول الحديث:**

الخلاصة فى أصول الحديث: لشرف الدين حسن بن محمد الطيبى المتوفى سنة ٧٤٣ ثلاث وأربعين وسبعمائة وهو مختصر على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة ذكر أنه لخصه من علوم الحديث لابن الصلاح ومختصر النووى والقاضى ابن جماعة وأضاف إلى ذلك زيادات مهمة من جامع الأصول وغيره وعليه حاشية للعلامة السيد الشريف على بن محمد الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ ست عشرة وثمانمائة.

(كشف الظنون ١/ ٧٢٠).

*** الخلاصة فى الحساب:**

انظر: خلاصة الحساب.

*** الخلاصة فى فن الجراحة (ترجمته التركية):**

تأليف جماعة من الأطباء منهم الشيخ الأجل أبو طاهر بن محمد العربى رئيس الجراحين فى عهد الخليفة المأمون العباسى، وهى باللغة الفارسية ترجمها إلى التركية الجراح مسعود.

والكتاب فى الجراحة وألف أيام الخليفة المأمون العباسى وبإشارة منه عقب شفائه من جرح أصيب به، ويقع فى ثلاثة أبواب.

أحد المخطوطات التركية العثمانية بدار الكتب القومية.

أولها: شكر بى حد وسپاس بى عد أول الله ذو الجلاله كه ... إلخ.

ـ نسخة مخطوطة فى مجلد، بقلم عادى (تمت كتابتها سنة ١٢٦٣ هـ بخط صاحب حسين بن حاجى بكر الشمنى وى) ضمن مجموعة من الورقة الأولى ـ ١٨، مسطرتها ٢١ سطرا فى ٥,٢١ × ٥,١٥ سم.

(٢٧ طب تركى طلعت).

(فهرس المخطوطات التركية العثمانية التى تقتنيها دار الكتب المصرية حتى عام ١٩٦٣ م، ١/ ١٩٨، ١٩٩).

*** خلاصة فى الوصفات الطبية:**

من مخطوطات الطب فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٢٨٠٧٩

وهى مجموعة من الفوائد منقوله من كتب طبية مختلفة بالفارسية بعض الفوائد كتبت سنة ١٢٤٤ هـ/ ١٨٢٨ م.

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى/ ١٠٣).

*** خلاصة القوانين:**

من مخطوطات الطب فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٢٥٨٢٥

لمحمد حسين بن محمد هادى العقيلى العلوى الشيرازى الذى كان حيا سنة ١١٩٥ هـ/ ١٧٨٠ م.

الأول (بعد ازحمد وصلواة ...)

باللغة الفارسية رتبه المؤلف على ١٧ بابا فى عدة فصول.

نسخة جيدة فى أولها فهرس كتبت سنة ١٢٣٨ هـ/ ١٨٢٢ م.

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ١٠٤).

*** خلاصة القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع:**

خلاصة القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع: لبعض الوعاظ المعاصر لملاعرب الواعظ المذكور فى خطبته أوله: الحمد لله الذى أعلى قدر حبيبه... إلخ جمع فيه أربعين حديثا من أربعين صحابيا.

(كشف الظنون ١/ ٧١٩).

*** خلاصة الكلام فى تأويل الأحلام:**

خلاصة الكلام فى تأويل الأحلام.. لعبد الرحمن بن نصر بن عبد الله وهو مختصر على أربعة وعشرين بابا أوله الحمد لله الذى سلك بنا المنهج اليقين... إلخ.

(كشف الظنون ١/ ٧١٩).

*** خلاصة ما يحصل عليه الساعون فى أدوية دفع الوباء والطاعون:**

خلاصة ما يحصل عليه الساعون فى أدوية دفع الوباء والطاعون: لمحمد بن فتح الله بن محمود البيلونى الحلبى المتوفى سنة ١٠٤٢ اثنتين وأربعين وألف مختصر على أبواب أوله: بسم الله خير الأسماء. وفرغ فى آخر ربيع الثانى سنة ١٠٢٨ ثمان وعشرين وألف.

(كشف الظنون ١/ ٧١٩).

*** الخلاصة المرضية فى سلوك طريق الصوفية:**

الخلاصة المرضية فى سلوك طريق الصوفية: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الدائم الأشمونى المالكى المتوفى سنة ٨٨١ إحدى وثمانين وثمانمائة وهى تشتمل على أبواب.

(كشف الظنون ١/ ٧١٩).

*** خلاصة المشايخ:**

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٢٧٠١٠

لمحمد حسين الأعلمى المولود سنة ١٩٠٢ م

وهو كتاب فى الرجال رتبه المؤلف على حروف الهجاء نسخة جيدة كتبت بخط المؤلف سنة ١٣٦٢ هـ-١٩٤٣ م.

القياس ١٠ ص ٢٤×١٨ سم ٢٤ س

معجم المؤلفين العراقيين ٣/ ١٥٠.

(فهرس مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ١٦٧).

*** خلاصة المفاخر واختصار مناقب الشيخ عبد القادر وجماعة ممن عظمه من الشيوخ الأكابر:**

من مخطوطات التاريخ بمعهد المخطوطات العربية.

وهو مختصر أسنى المفاخر فى مناقب الشيخ عبد القادر.

لعفيف الدين عبد الله بن أسعد بن على اليافعى اليمنى، المتوفى سنة ٧٦٨ هـ.

(بروكلمان ٢/ ١٧٧، وملحق ٢/ ٢٢٨).

أوله: «قال الفقير إلى عفو الله ... عبد الله بن أسعد اليافعى ... أما بعد حمدا لله تعالى ... فهذا كتاب عجائب الآيات المشتملات على غرائب الكرامات التى هى من تتمات المعجزات والبراهين أردفتها على سبيل التكملة لكتابى الموسوم بروض الرياحين. ولقبته خلاصة المفاخر...».

وآخره:

وسبحانك اللهم ربنا مقدسا

وأوسع قطر للورى فضله مولى

نسخة كتبت بقلم معتاد فى ١٢٧ ورقة ومسطرتها ١٨ سطرا. فرغ من نسخها يوم الأربعاء ٢٤ من ذى الحجة سنة ١٠٨٠ هـ.

[رواق المغاربة ١٢٠١ الأزهر] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ، جـ٢ ق ٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ-١٩٧٠ م/ ١٦٢، ١٦٣).

* خلاصة الهيئة (ترجمته التركية):

وهى ترجمة تركية مع زيادات لكتاب خلاصة الهيئة لعلاء الدين على بن محمد السمرقندى الشهير بقوشجى المتوفى سنة ٨٧٩ هـ.

ترجمة على بن الحسين الغلطه وى الشهير بسيدى رئيس المتخلص بكاتبى المتوفى سنة ٩٧٠ هـ.

أحد المخطوطات التركية العثمانية بدار الكتب القومية

أولها ــ سياس بى قياس وستايش بى مقياس أول حكيم باحكمته ... إلخ.

ــ نسخة مخطوطة، بقلم تعليق معتاد، بدون تاريخ، ضمن مجموعة من ورقة ٦٥ ـ ١٥٤، مسطرتها ١٩ سطرا، فى ١٩,٥ × ١٤,٥ سم.

على هوامش النسخة تقاييد كثيرة.

(٥ ـ م ميقات تركى)

وتوجد نسخه أخرى أولها كالسابقة.

مخطوطة مجدولة بالمداد الأحمر، بقلم نسخ، بدون تارخ، الكتاب الأول ضمن مجموعة أوراقها ١٢٠ ورقة، مسطرتها١٥ سطرا، فى ٢١ × ١٥,٥ سم.

بها صور وجداول:

(١ مجاميع تركى قوله)

ونسخة ثالثة أولها كالسابقة:

ـ مخطوطة فى مجلد، بقلم نسخ، بدون تاريخ، فى ١٥٠ ص، مسطرتها ٢٠ سطرا، فى ٢٢ × ١٥ سم.

بها صور بالألوان.

(١٣٧ الرياضيات التيمورية)

ونسخة رابعة ـ أولها ـ بوباب كواكب اتصالن وتربيعن وتثليثن ومقابل ومقارنه سن بيان ايدر... إلخ.

ـ نسخة مخطوطة فى مجلد، بقلم عادى، بدون تاريخ، ١١٥ ورقة، مسطرتها ٢١ سطرا، فى ٢٠ × ١١ سم.

تتبع الكتاب الجداول وبعض تقاييد.

(٤٩ فلك ونجوم تركى طلعت)

(فهرس المخطوطات التركية العثمانية التى اقتنتها دار الكتب القومية منذ عام ١٨٧٠ حتى نهاية ١٩٨٠ م، ١/ ١٩٩).

* خلاصة الوسائل إلى علم المسائل:

خلاصة الوسائل إلى علم المسائل: للإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ خمس وخمسمائة مجلد ذكر أنه لخصه من مختصر المزنى وزاد عليه.

(كشف الظنون ١/ ٧١٩).

* خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى:

خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى لنور الدين على بن عبد الله بن أحمد الحسنى، المعروف بالسمهودى. مؤرخ، فقيه. ولد بسمهود فى مصر، ونشأ بها، وتوفى بالمدينة سنة ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م. وقد رتبه على ثمانية أبواب: الأول فى أسماء البلد، الثانى فى فضائلها، الثالث فى أخبار سكانها، الرابع فيما يتعلق بأمور مسجدها، الخامس فى مصلّى النبى ﷺ، السادس فى آبارها، السابع فى أوديتها، الثامن فى زيارته عليه الصلاة والسلام. وذكر أنه اختصره من كتابه اقتفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ثم لخصه، وسماه خلاصة الوفا، وذكر فى خلاصة الوفا، أنه ألف: أولا كتابا كبيرا سماه الوفا لخص فيه ما أمكنه الوقوف عليه من تواريخها وما عاينه من أمور لم يظفر بها أحد من مؤرخيها، ثم اختصره وسماه وفا الوفا، ثم اختصر هذا المختصر وسماه خلاصة الوفا (التاريخ والجغرافية/ ١٨٧، ١٨٨).

يوجد مخطوطه فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ١٦١٥

الأول: الحمد لله الذى شرف طابة وشوق القلوب لسماع أخبارها المستطابة ...) وهو كتاب فى تأريخ المدينة المنورة اختصره المؤلف من كتابه الموسوم بالوفا بأخبار دار المصطفى ورتبه فى ثمانية أبواب وجعل كل باب فى عدة فصول وفرغ منه سنة ٨٩٣ هـ/ ١٤٨٧ م.

نسخة جيدة كتبت بالمدادين الأسود والأحمر عليها بعض الحواشى كتبها عبد الله بن سعيد باجودة الحضرمى الشافعى سنة ١٢٧٣ هـ/ ١٨٥٦ م.

القياس ٤٣٤ ص ٢٣ × ١٦,٥ سم ٢٨ س

كشف ٢/ ٢٠١٦ معجم المؤلفين ٧/ ١٢٩ طبع ببولاق

سنة ١٢٨٥ / ١٨٦٨م الخديوية ٥ / ٥٠ (مخطوطات التاريخ والتراجم والسير / ١٦٧ ، ١٦٨).

كما يوجد مخطوط في مكتبة متحف «مولانا» في قونيا وجاء بيانه كما يلي :

خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى :

لنور الدين علي بن أحمد السمهودي الشافعي المتوفى ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م .

انظر ترجمة المؤلف في ، شذرات الذهب ٨ / ٥ - ١٥ ، وبروكلمان ٢ / ١٧٣ وذيله ٢ / ٢٢٣ ، والكشف ٢ / ٢٠١٦ .

مكتوب بخط النسخ .

(طبع هذا الكتاب في مكة سنة ١٣١٦ هـ) .

أوله : بعد البسملة ، رب يا كريم الحمد لله الذي شرف ...

آخره : وقال الهجري ومرتين طريق أي سلك هناك إلى بين والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

كاتبه وسنة كتابته : وكان الفراغ منه نهار الخميس ضحوتي نهار، ونهار الفراغ ثنتين من شعبان المبارك عام ٩٧٩ هـ على يد ... عبد الرحيم بن أحمد الشيرازي أصلا المدني موطنا الشافعي مذهبا .

إن رأيت عيبا فسد الخللا
جَلَّ من لا عيب فيه وعَلاَ

مقياس المجلد : ١٨,٨ × ١٣ .

مقياس الكتابة : ١٤,٥ × ٨,٥ .

عدد الأوراق : ٥٨٣ .

عدد الأسطر : ١٩ .

رقمه في الخزانة : ٦٤٦ .

رقم المجلد ٩٦ .

(مخطوطات مكتبة متحف «مولانا» / ١٨٥ ، ١٨٦).

(التاريخ والجغرافية في العصور الإسلامية - عمر رضا كحالة / ١٨٧ ، ١٨٨ ، ومخطوطات التاريخ والتراجم والسير في مكتبة المتحف العراقي - أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ١٦٧ ، ١٦٨ ، والمخطوطات العربية في مكتبة متحف «مولانا» في قونيا - مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥ / ١٨٥ ، ١٨٦).

*** الخلاطي:**

من شيوخ الرحالة ابن رشيد الذين التقى بهم في مصر القاهرة وقرأ عليهم الشيخ الصالح شهاب الدين أبو البركات شعبان بن أبي الطاهر الخلاطي الصوفي سمع ابن رواج .

قرأ عليه ابن رشيد جزءا من حديث الخليلي ، منه حديث أبي جحيفة : «جالس الكبراء ...» وذكر تعليق أبي يعلى عليه ، وطريقا آخر في روايته .

وبالإسناد إلى الخليلي وروايته أبياتا لأبي فراس الحمداني ، وأخرى لبشر الحافي . وقرأ على ابن الأنماطي أيضا جزءا في حكايات الأصمعي علق ابن رشيد على بعضها ، وذكر أبياتا مماثلة من نظمه تصور نفس المعنى من حيث الإغضاء والتجاوز.

وفيما يلي ما كتبه عنه ابن رشيد وقد وضعنا تعليقات المحقق سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة بين أقواس في أثناء النص . قال ابن رشيد رحمه الله :

وممن لقيته بالقاهرة : الشيخ الصالح شهاب الدين أبو البركات شعبان بن أبي الطاهر بن عمر الخلاطي الصوفي . سمعت عليه ، وأجاز لي ولبني محمد وعائشة وأمة الله .

سمع أبا محمد بن رواج .

وكان مسكن هذا الشيخ بمشهد الحسين بن علي رضي الله عنهما من القاهرة المعزية .

قرأت عليه بها جزءا من حديث أبي يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي الحافظ ، عن شيوخه رواية القاضي الإمام أبي الفتح الماكي عنه ، رواية الحافظ السلفي عنه ، رواية عبد الوهاب بن رواج عنه ، رواية شيخنا أبي البركات عنه .

قرأت على أبي البركات شعبان بن أبي الطاهر الخلاطي أثناء الجزء المذكور في يوم السبت السابع والعشرين لرجب عام أربعة وثمانين وستمائة بإيوان مشهد الحسين بن علي رضي الله عنهما قال ، أنا أبو محمد بن رواج سماعا عليه قال ، أنا أبو طاهر السلفي سماعا قال ، أنا القاضي الإمام أبو الفتح إسماعيل بن عبد الجبار بن محمد الماكي ، من أصل سماعه بقزوين ، أنا أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي

الحافظ، أنا أبو الحسن على بن محمد بن عمر بن العباس الفقيه، (هو أبو الحسن بن القصار الفقيه الشافعي فلا يشتبهن بلقيبه وسميه على بن عمر بن القصار البغدادى. ٣٩٧ / ١٠٠٦. أكثر عن عبد الرحمن بن أبى حاتم جماعة. وكان له فى كل علم حظ ـ الذهبى العبر ٣ / ٦٤) نا عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى، نا محمد بن إسماعيل سمرة الأحمسى (هو أبو جعفر محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسى الكوفى السراج. (ت ٢٥٠ هـ / ٨٧٤ م) ثقة روى عن أبى معاوية وابن عيينة والمحاربى وجعفر بن عون وآخرين، وعنه الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة وجماعة. ابن حجر. التهذيب ٩ / ٥٨).

نا إسحاق بن ربيع العصفرى (هو أبو إسماعيل الكوفى. مقبول. وضعفه ابن عدى. روى عن الأعمش وداود بن أبى هند ومسعر وغيرهم، وعنه أحمد بن بديل ومحمد بن إسماعيل وجماعة. ابن حجر. التهذيب: ١ / ٢٣٢، ٤٣١، التقريب / ٢٨)، حدثنى أبو مالك(هو النخعى الواسطى عبد الملك بن الحسين، وهو ضعيف ليس ثقة، متروك الحديث. ابن حجر التهذيب ١٢ / ٢١٩، ١٠٠٧) عن سلمة بن كهيل (هو أبو يحيى سلمة بن كهيل الحضرمى الكوفى. من جلة مشائخ الكوفيين ت ١٢١ هـ / ٧٣٨ م. رأى ابن عمر وأخذ عن جندب وأبى جحيفة وسويد بن غفلة، وعنه ابنه يحيى وشعبة وحماد بن سلمة الخزرجى / ١٤٩، ابن حبان / ١١٠، ٨٩٣) عن أبى جحيفة (هو أبو جحيفة السوائى، واسمه وهب بن عبد الله العامرى وسماه على وهب الخير ت ٧٤ هـ / ٦٩٤م. ابن حبان / ٤٦، ٢٩٥) قال:

«قال النبى ﷺ: جالس الكبراء وسائل العلماء، وخالط الحكماء»

(هذا الحديث ورد بصيغ كثيرة ومن طرق متعددة كما ذكرت نظائر له فى كتب الحديث. رواه الطبرانى والعسكرى من حديث أبى مالك النخعى عن سلمة بن كهيل عن أبى جحيفة، مرفوعا بلفظ: «جالسوا العلماء وسائلوا الكبراء وخالطوا الحكماء». وكذا أخرجه العسكرى من حديث إسحاق بن الربيع العصفرى: ثنا أبو مالك به نحوه؛ وورد من جهة مسعر عن سلمة عن أبى جحيفة، قال كان يقال: «جالس الكبراء وخالط العلماء وخالل الحكماء» موقوف. وفى الباب عن ابن عباس قيل يارسول الله: من نجالس؟ أو قال أى جلسائنا خير؟ قال من ذكركم الله رؤيته وزاد فى علمكم منطقه وذكركم الآخرة عمله» وعن أبى عيينة قال قيل لعيسى يا روح الله من نجالس؟ فقال من يزيد فى علمكم منطقه ويذكركم الله رؤيته ويرغبكم فى الآخرة عمله» رواهما العسكرى. المقاصد / ١٧٠، ٣٦٢).

قال الحافظ أبو يعلى: لم يسنده عن سلمة إلا أبو مالك ابن الحسين. ورواه مسعر (ت ١٥٥ هـ / ٧٧١ م) عن سلمة موقوفا:

حدثناه على بن عمر، نا ابن أبى حاتم، نا أبو سعيد الأشج هو أبو سعيد عبد الله بن سعيد بن حصين الكندى الأشج الكوفى ت ٢٥٧ هـ ٨٦٠ م ثقة صدوق لا بأس به ولكنه يروى عن قوم ضعفاء. ابن حجر. التهذيب ٥ / ٢٣٦، ٤١٠) نا ابن نمير، نا مسعر، حدثنى سلمة بن كهيل:

«أن أبا جحيفة كان يقول: جالس الكبراء وخالط العلماء وخالل الحكماء» (أخرجه الطبرانى. انظر النبهانى٢ / ٦٢).

وبالإسناد، بسلسلة الإنشاد إلى أبى يعلى الخليلى قال، أنشدنا عبد الله بن أحمد بن روزبة الكسروى، أنشدنا أبو فراس الحارث بن حمدان التغلبى لنفسه:

[البسيط]

ولو مضى الكل منى لم يكن عجبا
وإنما عجبى للبعض كيف بقى!
يا من وهبت له روحى يعذبه
ورمت إخلاصه منه فلم أطق
أدرك بقية روح فيك قد تلفت
قبل الممات فهذا آخر الرمق
قد كنت عندك قبل العز مطَّرحا
وعند غيرك محمولا على الحدق.

وبالإسناد، بسلسلة إلى الخليلى قال، أنشدنى ابن أبى زرعة القاضى، أنشدنى إسحاق بن أحمد الأصبهانى، عن آخر، عن بشر الحافى (أوردنا ترجمته فى حرف الباء فانظره فى موضعه).

[الكامل]

ذهب الـــوفـــاء ذهـــاب أمس الـــذاهب
والنـــاس بين مخـــاتل ومـــوارب
يفشـــون بينهم المـــودة والإخـــا
وقلـــوبهم محشـــوة بعقـــارب

وقرأت أيضا على شعبان المذكور فى التاريخ المذكور / جزءا فيه من حكايات عبد الملك بن قريب الأصمعى (أوردنا ترجمته فى حرف الالف فانظره فى موضعه). عن العرب وغيرهم، رواية صدقة بن موسى الغنوى (صدقة بن موسى بن تميم شيخ مجهول. روى عن أبيه عن حميد الطويل بخبر باطل لم يرو عنه سوى أحمد بن عبد الله الذارع أحاديث منكرة والحمل فيها على الذارع. ابن حجر. اللسان: ٣ / ١٨٧، ٤٧٠) عنه، رواية أبى بكر أحمد بن نصر بن عبد الله الذارع (أحد الضعفاء والمتروكين روى عن الحارث بن أبى أسامة فأتى بمناكير تدل على أنه ليس ثقة. انظر الذهبى. الميزان ١ / ١٦١، ٦٤٤) عنه، رواية الحسن بن الحسين بن دوما (فى الاسم نقص، وتمامه من الإكمال: أبو على الحسن بن الحسين بن دوما النعالى البغدادى (ت ٤٣١ هـ / ١٠٣٩م) روى عن أبى بكر الشافعى وطائفة. ضعيف. الذهبى العبر ٣ / ١٧٣) عنه، رواية الرئيس أبى على محمد بن سعيد بن نبهان (هو أبو على بن نبهان الكاتب. له سماع صحيح وفيه تشيع (ت ٥١١ هـ / ١١١٨ م). روى عن ابن شاذان وبشرى الفاتنى وابن دوما. الذهبى العبر ٤ / ٢٥) عنه رواية الحافظ أبى الطاهر السلفى عنه، رواية أبى محمد بن رواج عنه رواية شعبان عنه:

أنا شعبان، أنا أبو البركات بن أبى طاهر الصوفى بقراءتى عليه، أنا أبو محمد بن رواج سماعا عليه، أنا الحافظ أبو طاهر السلفى قراءة عليه وأنا أسمع قال، أنا الرئيس أبو على محمد بن سعيد بن إبراهيم بن نبهان الكاتب، قرىء عليه ببغداد وأنا أسمع قيل له، أخبرك أبو على الحسن بن الحسين ابن العباس بن دوما النعالى، أنا أبو بكر أحمد بن نصر بن عبد الله بن الفتح الذارع قراءة عليه فأقر به بالنهروان وأنا أسمع، نا أبو العباس صدقة بن موسى بن تميم بن ربيعة بن ضمرة الغنوى، نا عبد الملك بن قريب الأصمعى قال:

«سمعت أعرابيا يقول: ما رأيت دارا أغر من الدنيا، ولا طالبا أغشم من الموت. ومن عطف عليه الليل والنهار أردياه، ومن وكل به الموت أفناه».

وبالإسناد، نا الأصمعى قال:

«سمعت أعرابيا يقول: خير من الحياة ما إذا فقدته أبغضت لفقده الحياة، وشر من الممات ما إذا نزل بك أحببت لنزوله الموت».

وبه، نا الأصمعى قال:

«خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام فسمعت أعرابيا متعلقا بأستار الكعبة يقول: اللهم، إنك مضيف وأنا ضيفك! اللهم، وإنى راجع إلى أهلى وهم سائلون عما ذا قريتنى! اللهم، وإنى مخبرهم أنك قريتنى الجنة وأجرتنى من النار! وافعل أنت بعد ذا ما تشاء».

وبالإسناد، نا الأصمعى قال:

«سمعت أعرابيا يقول: اللهم اغفر لى وارض عنى، وإن لم ترض عنى فاعف عنى، فربما عفوت عن عبد ولست عنه براض». وبالإسناد نا الأصمعى قال:

«سمعت أعرابيا يقول: الحمد لله الذى لا يبلى جديده، ولا يحصى عديده، ولا تبلغ حدوده». ورأيته فى نسخة مروية من طريق الحافظ السلفى: الحمد لله حمدا لا يبلى جديده.

وبه، نا الأصمعى قال:

«سمعت أبا عمرو بن العلاء (هو أبو عمرو زبان بن العلاء عمار التميمى المازنى البصرى، ولد سنة ٧٠ هـ / ٦٩٠م بمكة المكرمة، وتوفى سنة ١٥٤ هـ / ٧٧١ م بالكوفة. أحد القراء السبعة وإمام من أئمة اللغة والأدب. الزركلى ٣ / ٧٢) يقول: قال الحسن البصرى (أوردنا ترجمته فى حرف الحاء فانظره فى موضعه):

من تعزز بالمعصية أذله الله بالحق». قلت: لو قال من تعزز بالباطل لتمت له المطابقة فى الكلمتين.

وبه، نا الأصمعى قال:

«خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام فحالنّ مجملى محمل أعرابى، فشتمته وضربته. فاحتملنى. فلما صرت إلى بيت الله الحرام رأيت الأعرابى متعلقا بأستار الكعبة، وهو يقول: إن

كنت غفرت لى فاغفر لمن شتمنى وضربنى. فقلت: يا أعرابى، ضربناك وشتمناك وتدعو لنا! قال: فنظر إلىَّ نظرة ثم أنشأ يقول:

[السريع]

لا يغضب الحــــر علـى سفلــــة
والحــــر لا يغضبـــه النـــذل
إذا لئيـم سبنـى جهــــــله
أقـــــول: زدنى، فلـى الفضـل

قلت: هكذا فى النسخة: النذل بالذال المعجمة، والنذل والنذيل المزدرى من الرجال، والجمع أنذال. وقد نذل نذالة قاله صاحب مختصر العين. وقد سمعت من ينشد قول بعضهم:

[الطويل]

فـإيـــاك إيـــاك المـــزاح فإنـــه
يجـــرِّئ عليك الطفل والـــدنس النـــدلا

بالدال المهملة. والندل بالدال المهملة الوسخ، وبعضهم بالمعجمة، وهو بالمهملة جيد لمناسبة الدنس. وفى الأول الوجه أن يكون بالمعجمة.

وقد قلت فى قصة عرضت كان لها شبه من حيث الإغضاء والتجاوز بقصة الأعرابى:

[الطويل]

إذا نـــال من عـــرضى حســـود يغض بى
فأجـــزيـــه إعـــراضـا يـــزيـــد شجـاه
أزيـــد على الإغضـــاب حلمــا، كعنبـــر
يـــزيـــد على الإحـــراق طيب شـــذاه

(ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة لابن رشيد - تقديم وتحقيق سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ٣ / ٢٨٣ - ٢٨٨).

* **الخلافُ:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم النبات، وعلم الصيدلة.

قال الزبيدى: خلاف: ككتاب وشدده أى مع فتحه لحن من العوام كما فى العباب صنف من الصفصاف وليس به، وهو بأرض العرب كثير ويسمى السوجر وأصنافه كثيرة وكلها خوَّار ضعيف والواحدة خلافة وزعموا أنه سمى خلافا لأن السيل يجيء به سببا فينبت من خلاف أصله، قاله أبو حنيفة وهذا ليس بقوى قال الجوهرى وموضعه مخلفة (معجم أسماء النباتات / ٥٣).

وقال القزوينى فى عجائبه:

الخلاف: شجرة الصفصاف خشبها خفيف جدا يتخذ منه الصوائح، ورقها على شكل الخنجر يقوى الدماغ ويرطبه ويجعل فى فراش من ضربه السموم ينفعه (عجائب المخلوقات / ١٦٦).

وقد أورده المظفر الرسولى نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

الخلاف - «ع» أصنافه كثيرة، منها الصفصاف، وهو صنفان: أحمر وأبيض. وقال: الخلاف صنف من الصفصاف وليس به، والفرق بينهما، وإن كانا فى الشبه، والشكل، وسباطة الأغصان، وكيفية الورق سواء، إلا أنه ليس للصفصاف فقّاح الخلاف، وليس ذلك أن ثمرة الخلاف ذكية الرائحة، ناعمة الشم والملمس، فى لين الخز الفاختى اللون، وعلى السنابل مثل الزغب، وليس فى الصفصاف من هذه شيء، وإنما يثمر الصفصاف حبا أبيض اللون، ينتظم على فروعه وأغصانه مثل حب الجاورس، يضرب فى بياضه إلى الصفرة، وليس ينتفع به فى علاج الطب، وفقّاح الخلاف إذا شُم كان نافعا لمحرورى الأمزجة، مرطبا لأدمغتهم، مسكنا لما يعرض لهم من الصداع الشديد، الكائن عن بخار المِرَّة الصفراء، ويُربى وهو رطب غض بالسمسم المخلوع، ويستخرج دهنه وهو رطب، وهو المسمى دهن الخلاف، وهو دهن طيب الرائحه. «ج» خلاف هو الصفصاف وقد يخرج لورقه إذا شدخ صمغ برى. والخلاف البلخى وهو البهرامج. وأجوده الذى ينبت فى عيونه، وهو بارد يابس، ثمرته وورقه قابضان بلا لذع، وفيه تجفيف، ورماده شديد التجفيف، وهو

يحبس الدم إذا تضمد به رطبا، وماؤه يسكن الصداع، وعصير ورقه بالغ فى علاج المِدَّة التى تسيل من الأذُن، وثمرته تجعل على ضربة الحدقة، وتنفع نزف الدم، «ف» من الأشجار المعروفة. وصمغه شديد الجلاء، يختار ماؤه وثمره الطرى، وهو حار يابس، ينفع ماؤه من سدد الكبد واليرقان، وثمرته للإسهال والشربة من مائه: أوقيتان (المعتمد ١ / ١٣٤).

وقال عنه داود الأنطاكى فى تذكرته: الخلاف بالتخفيف أفصح هو الصفصاف بأنواعه وأجوده البرى الذى ليس له سنابل ناعم طيب الرائحة إلى مرارة ويليه البهرامج المعروف بالبلخى ثم الصفصاف المر وهو شجر لا يختص بزمن وغالب وجوده عندالمياه والأرض الباردة وهو بارد فى الثانية رطب فيها أو فى الأولى وهو يابس يفتح سدد الكبد ويدفع الخفقان والعطش واللهيب وضعف المعدة عن حر والحميات وورقه يدفع الحكة والجرب طلاء ويحلل الأورام والضربة وصمغه يحد البصر وهو يضر الشراسيف ويصلحه ماء الورد وشربته إلى خمسين وبدله الريباس (التذكرة ١ / ١٤٣).

وقال عنه ابن سينا:

الخلاف نوع من الصفصاف وقيل هو الخيزران قد يخرج لورقه إذا شدخ صمغ قوى. ثمرته وورقه قابض بلا لذع. وله تجفيف كاف، ورماده شديد التجفيف. وإذا تضمد به رطبا حبس نزف الدم وقد يشرخ ورقه فيخرج له صمغ شديد الجلاء، ملطف. رماده يقلع الثآليل طلاء بالخل ضمادا للجراحات الواقعة فى العظام، وخصوصا ثمرته وورقه ورماده يزيل النملة إذا طليت به بالخل. فقّاحه وماؤه، مسكن للصداع، وعصير ورقه لا شيء أبلغ منه فى قلاع المدة «القيح» التى تسيل من الأذن. توضع ثمرته وماؤه على ضرب الحدقة أو حدقة العين، وصمغه نافع جدا للبصر الضعيف. ماؤه نافع من سدد الكبد ومن اليرقان. ثمرته نافعة لأصحاب اختلاف الدم (القانون فى الطب / ٣٢٠، ٣٢١).

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ــ جمع وتعليق محمود مصطفى الدمياطى / ٥٣، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٦٦، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ١٣٤، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٤٣، والقانون فى الطب لابن سينا ــ شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ.د. أحمد شوكت الشطى / ٣٢٠، ٣٢١. انظر أيضا مفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى ـ تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، ود. إحسان صدقى العمد / ٣٢٨).

*** الخلاف:**

أفرد الحافظ ابن عبد البر فى كتابه «آداب المجالسة وحمد اللسان» فصلا فى ذم الخلاف ومدح المساعدة جاء فيه ما يلى:

قال «عبد الله بن مسعود»:

«الخلاف شر».

(أخرجه أبو داود (١٩٦٠) عن عبد الرحمن بن يزيد قال: صلى عثمان بمِنى أربعا، فقال عبد الله بن مسعود: صليت مع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ركعتين ومع أبى بكر ركعتين ومع عمر ركعتين ومع عثمان صدرا من إمارته ثم أتمها، ثم تفرقت بكم الطرق فلوددت أن لى من أربع ركعات ركعتين متقبلتين. قيل له: عبت على عثمان ثم صليت أربعا؟! قال: الخلاف شر).

وكان يقال:

«لا خير مع الخلاف، ولا شر مع الائتلاف».

قال بعض العلماء:

«الخلاف يهدم الرأى، ولا يقوم مع الخلاف شيء».

قال «جعفر بن سعد».

«تعالى الله. ما أقل الإنصاف وأكثر الخلاف!».

وقال:

الخلاف فى كل شيء حتى القذارة فى رأس الكوز، فإذا أردت أن تشرب الماء جاءت إلى فيك، وإن أردت أن تصب من رأس الكوز لتخرج رجعت.

وقالوا:

المخالفة توجب الوحشة، والمساعدة توجب الأُلفة، وليس مع الاختلاف ائتلاف.

قال بعض الحكماء:

كما لا يثبت الكتاب على الماء، كذلك لا تثبت مودتك فى القلب إن خالفت هواه.

وقالوا:

البر في المساعدة والمؤانسة والمؤاخاة، والعداوة في الهيادة (الهيادة: الإفزاع)

قال «بشار بن برد»:

وإني رام من يقاربني
فيما هويت ومن أقاربه
عجل الملامة حين أعجبه
وإذا غضبت بين جانبه
فله علي وإن تجنبني
ما عشت دوما لا أجانبه

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

«من تعلم بابا من النجوم تعلم بابا من السحر، ومن زاد زاد».

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

«إذا ذُكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا».

(ذكره أبو الفضل المقدسي في تذكرة الموضوعات: [٣١] برقم (٥٨) بلفظ:

«إذا ذكر النجوم فأمسكوا؛ فإنه يدعو إلى الكهانة، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا».

وقال: «فيه يحيى بن سابق: لا يحتج به». بل صححه الألباني في «الصحيحة» (٣٤) وهو كذلك).

قال «عمر بن الخطاب» ـ رضي الله عنه:

«تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر وأمسكوا».

أخبرني «عبد الله بن محمد بن يوسف» قال:

أخبرني «يحيى بن مالك بن عابد» قال: أنبأنا «أحمد بن محمد بن عبد ربه» الشاعر قال:

«دخلت على الوزير «جهور بن الضيف»، وكان الغيث قد احتبس، واغتم الناس لذلك، وتحدث المنجمون بتأخير الغيث مدة طويلة، فوجدت عنده «ابن عزر» وجماعة من أصحابه، وقد أقاموا الطالع وعدلوا، وقضوا بتأخير الماء شهرا.

فقلت للوزير: إن هذا من أمور الله تعالى المغيبة، وأرجو أن يكذبهم الله ـ عز وجل ـ بفضله.

ثم خرجت، وأتيت داري، فجاء الليل والسماء قد تغيمت، ونمت ساعة، فما أيقظني إلا نزول الماء.

فقمت وقربت المصباح، ودعوت بدواية وقلم، فما رفعت يدي حتى أصلحت هذه الأبيات، ثم بعثت بها إلى الوزير فاستحسنها».

(أدب المجالسة وحمد اللسان للحافظ أبي عمر يوسف ابن عبد الله المعروف بابن عبد البر ـ تحقيق ودراسة سمير حلبي / ١١١ ـ ١١٤، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس في ثنايا النص).

*** الخلاف (علم-):**

الخلاف: منازعة تجرى بين المتعارضين لتحقيق حق أو لإبطال باطل (التعريفات / ١٣٥) قال عنه حاجي خليفة:

وهو علم يعرف به كيفية إيراد الحجج الشرعية ودفع الشبه وقوادح الأدلة الخلافية بإيراد البراهين القطعية وهو الجدل الذي هو قسم من المنطق إلا إنه خص بالمقاصد الدينية وقد يعرف بأنه علم يقتدر به على حفظ أي وضع كان بقدر بالإمكان ولهذا قيل الجدلي إما مجيب يحفظ وضعا أو سائل يهدم وضعا. وذكر ابن خلدون في مقدمته أن الفقه المستنبط من الأدلة الشرعية كثير فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وأنظارهم خلافا لا بد من وقوعه، واتسع في الملة اتساعا عظيما وكان للمقلدين أن يقلدوا من شاؤا ثم لما انتهى ذلك إلى الأئمة الأربعة وكانوا بمكان من حسن الظن اقتصر الناس على تقليدهم فأقيمت هذه الأربعة أصولا للملة وأجرى الخلاف بين المتمسكين بها مجرى الخلاف في النصوص الشرعية وجرت بينهم المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب إمامه يجري على أصول صحيحة ويحتج بها كل على صحة مذهبه فتارة يكون الخلاف بين الشافعي ومالك وأبو حنيفة يوافق أحدهما وتارة بين غيرهم كذلك وكان في هذه المناظرات بيان مأخذ هؤلاء فيسمى بالخلافيات.

ولا بد لصاحبه من معرفة القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام كما يحتاج إليها المجتهد إلا أن المجتهد يحتاج إليها للاستنباط وصاحب الخلاف يحتاج إليها لحفظ تلك المسائل من أن يهدمها المخالف بأدلته.

وهو علم جليل الفائدة. وكتب الحنفية والشافعية أكثر من تآليف المالكية لأن أكثرهم أهل المغرب وللغزالي فيه كتاب المآخذ، ولأبي بكر بن العربي من المالكية كتاب التلخيص جلبه من المشرق، ولأبي زيد الدبوسي كتاب التعليقة، ولابن القصار من المالكية عيون الأدلة انتهى. ومن الكتب المؤلفة أيضا المنظومة النسفية (نورد بيان مخطوطه فيما بعد تحت عنوان «خلافيات» إن شاء الله تعالى). وخلافيات الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ ثمان وخمسين وأربعمائة جمع فيه المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة (كشف ١ / ٧٢١).

روى ابن عبد البر الأندلسي بسنده عن سعيد بن أبي عروبة قال: «من لم يسمع الاختلاف فلا تعدوه عالما».

وعن قتادة قال: «من لم يعرف الاختلاف لم يشم أنفه الفقه».

وبسنده عن عطاء قال: «لاينبغي لأحد أن يفتي حتى يكون عالما باختلاف الناس، فإنه إن لم يكن كذلك رد من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه».

وبسنده عن أبي أيوب السختياني قال: «أجسر الناس على الفتوى أقلهم علما باختلاف العلماء، وأمسك الناس عن الفتيا أعلمهم باختلاف العلماء» وبسنده عن ابن عيينة مثله.

وعن ابن الماجشون: «كانوا يقولون: لا يكون فقيها في الحادث من لم يكن عالما بالماضي». (جامع بيان العلم وفضله).

ويقول الشافعي رحمه الله: «لا يكون لأحد أن يقيس حتى يكون عالما بما قضى قبله من السنن، وأقاويل السلف، واختلافهم» (الرسالة للشافعي تحقيق وشرح الشيخ أحمد شاكر / ٨٠٥)(« الخلاف / ٤٩٦، ٤٩٧).

وعن نشأة علم الخلاف يقول الدكتور محمد الزحيلي:

وجد علم الخلاف منذ نهاية القرن الأول الهجري، وطوال القرن الثاني، عندما ظهر الخلاف بين مدرستي الرأي والحديث، وثار الجدل بينهما، وانبرى كل فريق للدفاع عن رأيه وتأييده بالأدلة والحجج، وبيان مأخذه ثم الطعن والتشكيك بالمدرسة الأخرى، والنيل من علمائها والقائمين عليها، وانتهى هذا الخلاف بظهور «الرسالة» للإمام الشافعي، فقرب بين المدرستين وجمع بينهما.

وأزال الخلاف الحاد بين العلماء، كما سبق في علم أصول الفقه، لكنه لم يقض على الخلاف بين الأئمة والفقهاء، فتجدد هذا الخلاف بين أتباع الأئمة والمذاهب، وخاصة في القرون الثلاثة التالية الثالث والرابع والخامس، وهو عصر نضج المذاهب الفقهية وثباتها واستقرارها. فكانت هذه المذاهب في صراع البقاء على الوجود أو الاندثار والموت. واندفع العلماء في كل مذهب يؤيدون أقواله، ويستدلون لأحكامه، ويدعمونه بالأدلة والحجج والبراهين، وينافحون عن المذهب وإمام المذهب، ويدللون على منهجه في الاجتهاد، وقواعده في الاستنباط، ومنطقه في الاستدلال، ويبعدون كل شبهة أو شك أو ريب في أصوله أو أحكامه أو قواعده، أو اجتهاده، ويرغبون الناس بتقليده، ويدعون إلى مذهبه، ويطعنون في المذاهب المخالفة، ويشككون في أدلتهم ومناهجهم وأحكامهم، وذلك بالمناظرات، وحلقات التدريس وكتب الفقه والأصول (تعريف عام بالعلوم الشرعية / ٢٢٠، ٢٢١).

وقد اشتهرت في هذا المجال مناظرات جرت بين فقهاء الشافعية والحنفية حضرها العلماء والأمراء («فقه الخلاف» / ٤٩٧).

وكانت النتيجة ثبوت قدم المذاهب التي توفر لها الأتباع والدعاة والعلماء والطلاب، وانقراض المذاهب الأخرى التي فقدت ذلك، وصارت دراسة المذاهب الباقية وفهم نصوص أئمتها بمثابة دراسة الأدلة الأصلية التي اعتمدها الأئمة والمجتهدون (تعريف عام بالعلوم الشرعية / ٢٢٠ - ٢٢٢).

ويورد القنوجي تراجم ستة من علماء الخلاف هم:

عبد الله بن عمر بن عيسى، أبو زيد الدبوسي

أبو الفتح أسعد بن أبي نصر الميهني.

أبو حامد محد بن محمد الغزالي.

أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، فخر الدين.

أبو حامد محمد، ركن الدين العميدي.

أبو طالب محمود بن علي بن أبي الرجاء الأصبهاني.

ونورد خمسة منهم فى مواضعهم إن شاء الله تعالى، فنورد الأول فى حرف الدال (الدبوسى)، والثانى فى حرف الميم (الميهنى)، والثالث فى حرف الغين (الغزالى)، والرابع فى حرف الراء (الرازى) والخامس فى حرف العين (العميدى). أما السادس فنورد ترجمته هنا وهى كما يلى:

أبو طالب محمود بن على بن أبى الرجاء التيمى الأصبهانى: صاحب الطريقة فى الخلاف، برع فيه وصنف (التعليقة) التى شهدت بفضله وتحقيقه وتبريزه على أكثر نظرائه، وجمع فيها بين الفقة والتحقيق؛ وكان عمدة المدرسين فى إلقاء الدروس عليها، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به وصاروا علماء مشاهير، وكان له فى الوعظ اليد الطولى، وكان متفننا فى العلوم، خطيبا بأصبهان مدة طويلة. توفى فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة (أبجد العلوم على ٣ / ١١٦).

وعن الكتب المؤلفة فى علم الخلاف يقول فضيلة الشيخ محمد حسام الدين:

ولقد كتب الشافعى رحمه الله فى فقه الخلاف، وعقد له كتبا وأبوابا منها: «كتاب ما اختلف فيه أبو حنيفة وابن أبى ليلى عن أبى يوسف» و «كتاب اختلاف عبد الله بن مسعود» و «كتاب اختلاف مالك والشافعى»، و «باب خلاف ابن عباس فى البيوع» و «باب خلاف عمر بن عبد العزيز فى عشور أهل الذمة»، و «باب خلاف سعيد وأبى بكر فى الإيلاء» و «كتاب الرد على محمد بن الحسن» و «كتاب سير الأوزاعى» وغيرها (انظر: الأم جـ٧ ط دار الشعب).

ولا ينبغى أن يتبادر إلى الذهن أن الشافعى ـ رحمه الله ـ قصد فى هذا العرض أن يعيب مذهبا، أو منحى، أو رأيا من آراء السلف، فقد كان الشافعى ورعا بعيدا عن هذه المظان، وقد شغل نفسه فيما كتبه فى هذا المجال بعرض الرأى، ومأخذه من الدليل.

ولم يزد على البيان شيئا سوى أن يشرح وجه الترجيح لما ذهب إليه، أو لما اختاره من آراء الفقهاء.

وكثيرا ما كان يعرض الآراء وملمحها من الدليل، ويكتفى بهذا ويقف موقف الحياد فلا يعلق على الآراء بشىء ما لم يكن هو طرفا من أطراف الخلاف فى المسألة.

ونحن إذا نظرنا إلى مقال الشافعى فى: «كتاب اختلاف مالك والشافعى» (الأم / ١٧٧) مثلا وجدناه يعرض لنوعين من الخلاف.

أحدهما: خلاف مالك والشافعى مع غيرهما، وذلك فيما اتفق عليه هذان الإمامان، وكان الخلاف فيه مع غيرهما.

والثانى: ما وقع فيه الخلاف بين الشافعى رحمه الله وبين أتباع مالك رضى الله عنه.

ومثال النوع الأول: ما جاء فى «كتاب الأقضية» (الأم ٧ / ١٨٢) فقد احتج الشافعى لرأيه ورأى مالك بالقضاء باليمين مع الشاهد، وناقش حجة من خالفهما فى هذه المسألة: قال الشافعى: «أخبرنا مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله ﷺ قضى باليمين مع الشاهد، فأخذنا نحن وأنتم به (المخاطب بهذه العبارة هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادى صاحب الشافعى (١٧٤ ـ ٢٧٠ هـ وراوية كتبه) وإنما أخذنا نحن به من قبل أنا رويناه من طريق المكيين متصلا (أى متصل الإسناد) صحيحا، وخالفنا فيه بعض الناس، فما احتيج فى شىء منه قط علمته أكثر من حججه فيه، وفى ثلاث مسائل معه:

فزعم أن القرآن يدل على أن لا يجوز أقل من شاهدين، أو شاهد وامرأتين.

وزعم أن النبى ﷺ قال اليمين على المدعى عليه، وقال له عمر، فكان هذا دلالة على أن لا تجوز يمين إلا على المدعى عليه ولا يحلف مدع.

واحتج بابن شهاب، وعطاء، وعروة، وهما رجلا مكة والمدينة فى زمانهما (أى عطاء وعروة) أنكراه غاية النكرة.

واحتج بأن لم يحفظ عن أبى بكر، ولا عمر، ولا عثمان فيه شىء يوافقه، ولا عن على من وجه يصح عنده، ولا عن واحد من أصحاب رسول الله ﷺ من وجه يصح، ولا عن ابن المسيب ولا القاسم، ولا أكثر التابعين وبأنا أحلفنا فى المال، ولم نحلف فى غيره(أى واحتج بأنا أحلفنا فى المال).

فكانت حجتى عليه أن قلت: الرواية عن رسول الله ﷺ ثابتة، وما ثبت عن رسول الله لم يوهنه أن لا يوجد عند غيره، ولم يتأول معه قرآن، ولم يدفعه أن أنكره عروة، وابن شهاب، وعطاء، لأنه ليس فى الإنكار حجة، إنما الحجة فى الخبر لا فى الإنكار) أ. هـ (الأم ٧ / ١٨٢، ١٨٣ ط الشعب)

وأما النوع الثانى من النقاش الذى أجراه الشافعى فى «كتاب اختلاف مالك والشافعى» فهو الخلاف مع أصحاب مالك فى بعض المسائل ومثاله ما جاء فى باب: «النكاح بولى» (الأم ٧/ ٢٠٦ ط الشعب).

قال الربيع بن سليمان: «سألت الشافعى عن النكاح فقال: كل نكاح بغير ولى فهو باطل. فقلت: وما الحجة فى ذلك؟ قال: أحاديث ثابتة: فأما من حديث مالك: فإن مالكا أخبرنا عن عبد الله بن الفضل عن نافع بن جبير، عن ابن عباس، عن النبى ﷺ قال: «الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن فى نفسها وإذنها صماتها».

وأخبرنا مالك بلغه أن ابن المسيب كان يقول قال عمر بن الخطاب: لا تنكح المرأة إلا بإذن وليها، أو ذى الرأى من أهلها، أو السلطان.

«قال الشافعى» وثبتم هذا، وقلتم: لا يجوز نكاح إلا بولى... ... .

«قال الشافعى» أخبرنا مسلم بن خالد، وعبد المجيد عن ابن جريج، عن سليمان بن موسى، عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة عن النبى ﷺ أنه قال: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ... ثلاثا».

وأخبرنا مسلم وسعيد عن ابن جريج عن عكرمة قال: جمع الطريق ركبا فيهم امرأة ثيب فجعلت أمرها بيد رجل، فزوجها رجلا، فجلد عمر الناكح، والمنكح، وفرق بينهما.

أخبرنا مسلم عن ابن خيثم، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لا نكاح إلا بولى مرشد، وشاهدى عدل.

وهذا قول العامة بالمدينة ومكة.

قلت للشافعى (القائل هو الربيع بن سليمان): نحن نقول فى الدنيَّة لابأس أن تنكح بغير ولى، ونفسخه فى الشريفة (قال القطب الدردير: «الدنيئة هى الخالية من الجمال والمال والحسب والنسب: وقال بعضهم: تكون من قوم فقراء شأنهم خدمة الناس، ولا ديانة لهم ولا صيانة» وانظر الصاوى على الشرح الصغير للدردير).

فقال الشافعى: عدتم لما سددتم (أى إلى ما كان لكم من رأى سديد) من أمر الأولياء فنقضتموه، فقلتم: لا بأس أن تنكح الدنية بغير ولى، فأما الشريفة فلا.

السنة والآثار على كل امرأة (أى دلالة السنة والآثار على الحكم عام فى كل امرأة) ... فمن أمركم أن تخصوا الشريفة بالحياطة لها واتباع الحديث فيها؟ وتخالفوا الحديث عن النبى ﷺ وعمن بعده فى الدنية؟

أرأيتم لو قال لكم قائل: بلا أجيز نكاح الدنية إلا بولى، لأنها أقرب من أن تدلس بالنكاح، وتصير إلى المكروه من الشريفة التى تستحى على شرفها، وتخاف من يمنعها. أما كان أقرب إلى أن يكون أصاب منكم؟ ... فإن الخطأ فى هذا القول لأبين من ان يحتاج إلى تبيينه بأكثر من حكايته.

النساء محرمات الفروج إلا بما أبيحت به الفروج من النكاح بالأولياء والشهود والرضا.

ولا فرق بين ما يحرم منهن وعليهن فى شريفة ولا وضيعة. وحق الله عليهن وفيهن كلهن واحد؛ لا يحل لواحدة منهن، ولا يحرم منها إلا بما حل للأخرى وحرم منها. أ. هـ.

هذا: وأما الخلافيات التى طرحها الشافعى ولم يكن طرفا فيها فمثالها ما جاء فى كتاب: «ما اختلف فيه أبو حنيفة وابن أبى ليلى عن أبى يوسف رحمهم الله تعالى».

ومنه ما جاء فى باب السلم: «قال الشافعى» رحمه الله تعالى: وإذا كان لرجل على رجل طعام أسلم إليه فيه، فأخذ بعض طعامه، وبعض رأس ماله، فإن أبا حنيفة رضى الله عنه كان يقول: هو جائز. بلغنا عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال: ذلك المعروف الحسن الجميل. وبه يأخذ. وكان ابن أبى ليلى يقول: إذا أخذ بعض رأس ماله فقد فسد السَّلم، ويأخذ رأس ماله كله».

وعلَّق الشافعى على هذا بما يؤيد رأى أبى حنيفة، فقال: «سئل عن هذا ابن عباس فلم ير به بأسا، وقال: هذا المعروف الحسن الجميل وقول ابن عباس القياس (أى هو القياس) وخالفه فيه غيره» (الأم ٧/ ٩٨).

وفى باب الزكاة (الأم ٧/ ١٣١): قال الشافعى «رحمه الله»: وإذا كان على رجل دين ألف درهم، وفى يده ألف درهم فإن أبا حنيفة «رضى الله تعالى عنه» كان يقول ليس عليه زكاة فيما فى يديه حتى يخرج دينه فيزكيه، وكان ابن أبى ليلى يقول: عليه فيما فى يديه الزكاة.

عقَّب الشافعى على هذا بقوله: وإذا كان فى يدى رجل

ألف درهم، وعليه مثلها، فلا زكاة عليه، وإن كانت المسألة بحالها، وله دين ألف درهم، فلو عجّل الزكاة كان أحب إليَّ، وله أن يؤخرها حتى يقبض ماله، فإن قبضه زكى مما فى يديه. وإن تلف لم يكن عليه فيه زكاة.

«قال الربيع» آخر قول الشافعى: إذا كانت فى يديه ألف وعليه ألف فعليه الزكاة.

وفى موضع آخر قال الشافعى: ولو أن رجلا له مائتا درهم، وعشرة مثاقيل ذهبا فإن أبى حنيفة كان يقول: إذا حال عليه الحول يضيف بعضه إلى بعض، ويزكيه كله.

(من المشهور فقها أن نصاب الذهب للزكاة عشرون مثقالا وأن نصاب الفضة مائتا درهم).

وقال ابن أبى ليلى: هذان مالان مختلفان تجب الزكاة على الدراهم، ولا تجب على الذهب.

وقال أبو يوسف: فيه الزكاة كله. ألا ترى أن التاجر يكون له المتاع للتجارة وهو مختلف، فيقوِّمه، ويضيف بعضه إلى بعض ويزكيه؟ وكذلك الذهب والفضة، وقد بلغنا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أنه أمر رجلا تاجرا أن يقوِّم تجارته عند الحول فيزكيها». أ. هـ.

هذه نماذج مما كتبه الشافعى فى فقه الخلاف.

وقد يتشابه هذا العلم بما يسمى اليوم بالفقه المقارن، لكن يفرق بينهما أن فقه الخلاف لا يكتفى بعرض آراء الفقهاء فى المسألة لكنما يهتم فى الأصل ببيان مأخذ الأئمة من الدليل، ومثارات اختلافهم، ومواقع اجتهادهم فيها.

كما أنه قد يلتبس بعلم الجدل الفقهى الذى يهتم بمذاهب الأئمة فى الأصول، والتفاوت بينها فى الأخذ بالأدلة الشرعية الفرعية، أو فى تقديم بعض الأدلة على بعض...

أما علم الخلاف فإنه يهتم بآراء وحجج العلماء عند تناول المسائل والفروع...

وللقاضى عبد الوهاب ـ المالكى ـ تآليف جامعة فى علم الخلاف. وهو العلامة الفقيه الحافظ الحجة، النظار الأديب الشاعر القاضى أبو محمد عبد الوهاب بن على بن نصر البغدادى، المالكى، ولد سنة ٣٦٢ هـ فى بغداد، وتوفى سنة ٤٢٢ هـ بالقاهرة. رحمه الله.

وله كتب كثيرة فى المذهب المالكى، والخلاف، والأصول وغيرها، وقد اشتهر منها. فى الخلاف «النصرة لمذهب إمام دار الهجرة»، و «أوائل الأدلة فى مسائل الخلاف بين فقهاء الملة»، و «الإشراف على نكت مسائل الخلاف»، (انظر الوفيات لابن خلكان ٣/ ٢١٩. وحسن المحاضرة ـ ٢/ فقهاء المالكية).

وقد جمع ابن الساعاتى فى مختصره فى أصول الفقه جميع ما ينبنى عليها من الفقه الخلافى مدرجا فى كل مسألة ما ينبنى عليها من الخلافيات («فقه الخلاف»/ ٤٩٦ ـ ٥٠١»).

وعن كتب علم الخلاف أيضا يقول الدكتور محمد الزحيلى:

بدأت المؤلفات فى علم الخلاف تظهر فى القرن الثانى الهجرى، لكنها كانت تحت مظلة الفقه، فمن ذلك كتاب اختلاف أبى حنيفة وابن أبى ليلى، وكتاب الرد على سير الأوزاعى، وكتاب اختلاف الشافعى مع محمد بن الحسن، وكتاب اختلاف الشافعى مع مالك، وهذه الكتب كلها للإمام الشافعى، كتبها بنفسه وألحقها فى آخر كتابه «الأم» المطبوع (الأم ٧/ ٨٧ وما بعدها).

ثم ظهرت كتب مستقلة لكنها فى إطار الفقه أيضا، مثل كتاب «اختلاف الفقهاء» للطحاوى (٣٢١ هـ)، وكتاب «اختلاف الفقهاء» للطبرى (٣١٠ هـ) وغيرها.

ثم جاء الإمام أبو زيد الدبوسى الحنفى (٤٣٠ هـ) فكان أول من وضع علم الخلاف على أصوله وقواعده، وأبرزه للوجود كعلم مستقل، وكان يضرب به المثل فى النظر واستخراج المسائل والرأى والحجج، وألف كتابه «تأسيس النظر» وهو من البواكير الأولى لعلم الخلاف كما صنف «التعليقة» فى الخلاف (سبق ذكرها آنفا).

ثم تتابع التصنيف فى علم الخلاف، وقام العلماء من مختلف المذاهب بالكتابة فيه، وصنف فيه عدد من علماء المذاهب الأربعة، منها:

١ ـ كتاب النكت، وكتاب تذكرة الخلاف لأبى إسحاق الشيرازى (٤٧٦ هـ).

٢ ـ حلية العلماء فى اختلاف الفقهاء لأبى بكر الشاشى، أحمد بن أحمد الشافعى (٥٠٧ هـ)، وكتابه المعروف

بالمستظهرى، ثم صنف «المعتمد» وهو كالشرح للمستظهرى (كشف الظنون ١ / ٤٥٣).

٣ ـ التجريد للقدورى الحنفى (٤٢٨ هـ).

٤ ـ منظومة النسفى (٥٣٧ هـ).

٥ ـ الطريقة الرضوية، للسرخسى الحنفى (٥٤٤ هـ).

٦ ـ مختلف الرواية لعلاء الدين السمرقندى (٥٥٢ هـ).

٧ ـ عيون الأدلة لأبى الحسن بن القصار المالكى (٣٩٨ هـ) الذى يقول فيه الشيرازى: «وله كتاب فى مسائل الخلاف كبير، لا أعرف لهم كتابا فى الخلاف أحسن منه» (طبقات الفقهاء / ١٦٨).

٨ ـ التلقين للقاضى عبد الوهاب المالكى (٤٢٢ هـ)، تلميذ ابن القصار.

٩ ـ المآخذ للإمام حجة الإسلام الغزالى (٥٠٥ هـ) والخلافيات للبيهقى (٤٥٨ هـ).

١٠ ـ الإشراف على مذاهب الأشراف لابن هبيرة الحنبلى (٥٦٠ هـ).

١١ ـ الدرة المضية فيما وقع من خلاف بين الشافعية والحنفية، وغنية المسترشدين فى الخلاف، والأساليب فى الخلافيات، ومغيث الخلق فى اختيار الأحق، والكافية فى الجدل، كلها لإمام الحرمين الجوينى (٤٧٨ هـ).

وباختصار فإن شيخ كل مذهب وإمامه فى كل عصر تقريبا كان يكتب فى الخلاف داعيا لمذهبه، ومدافعا عنه، ومناظرا علماء المذاهب الأخرى، شفاها ومناظرة وكتابة (انظر مقدمة تأسيس النظر ٥، وما بعدها، الإمام الشيرازى ص ١٧٩، العقيدة النظامية ٦٨، مقدمة ابن خلدون ٤٥٧، كشف الظنون ١ / ٤٧٣).

لكن علم الخلاف قد وقف عن السير منذ قرون، ثم زال واندثر فى عصرنا الحاضر ولم يبق فى التدريس بين العلوم الشرعية، ولا يطلع عليه أحد، ولم يعد يفرده عالم بالتصنيف.

قال طاش كبرى زاده «وقد جمع بعض العلماء فى علم الخلاف المسائل العشرين، وبعضهم الأربعين، وغير ذلك من الرسائل والتعليقات، لكنه قد ضاع كتبه، وانطمست آثاره، وبطلت معالمه فى زماننا هذا ... ، وإلى الله المشتكى من زمان صار الكلام فيه كلاما بلا أثر، والخلاف خلافا بلا ثمر، والأصول فضولا، والمعقول مغفولا» (مفتاح السعادة ١ / ٣٠٧).

لكن ظهر بالمقابل إلى الوجود الفقه المقارن الذى يحل محل علم الخلاف بشكل عام، وذلك بعرض آراء الأئمة والمذاهب والفقهاء فى المسألة الفقهية، ثم بيان أدلة كل قول، مع الترجيح أحيانا، وصنفت عدة كتب فى هذا المجال، منها الإفصاح لابن هبيرة الحنبلى (٥٦٠ هـ) وبداية المجتهد لابن رشد الفقيه الفيلسوف الحفيد (٥٩٥ هـ) والمغنى لابن قدامة الحنبلى (٦٢٠ هـ) والحاوى الكبير للماوردى (٤٥٠ هـ) وبدائع الصنائع للكاسانى الحنفى (٥٨٧ هـ)، ثم انتشرت الدراسات المقارنة بين المذاهب فى العصر الحاضر تدريسا وبحثا وتصنيفا وتشريعا.

أما مخطوطات علم الخلاف فهى موزعة بين مخطوطات الفقه، وأصول الفقه، ولم تفرد بفهرس أو غيره (تعريف عام بالعلوم الشرعية / ٢٢٣ ـ ٢٢٧).

وقد ذكر فضيلة الشيخ عبد الله مصطفى المراغى فى ترجمته لأحمد شاه الدهلوى فى «الفتح المبين» أن له كتاب «الإنصاف فى بيان سبب الاختلاف» وقال إنه تكلم فيه عن وجهات النظر المختلفة بين الأئمة مما ترتب عليه نشوء المذاهب وتعددها فى الفقه الإسلامى، الأمر الذى زاد فى ثروة العلوم الإسلامية (الفتح المبين ٣ / ١٣٠).

كذلك ورد فى مقدمة تحقيق كتاب «جزيل المواهب» ذكر عدد من الكتب المؤلفة فى الخلاف هى.

الإنصاف فيما بين العلماء من الخلاف: لابن عبد البر القرطبى (٤٦٣ هـ).

والإنصاف بذكر أسباب الخلاف: لابن السيد البطليوسى (٥٨١ هـ).

ورفع الملام عن الأئمة الأعلام: لابن تيمية (٧٢٨ هـ).

والإيقاف على أسباب الخلاف: لمحمد حياة السندى (١١٦٣ هـ) (جزيل المواهب / ٨).

وقد أورد الدكتور زكريا عبد الرزاق المصرى فى كتابه «معرفة علم الخلاف الفقهى» (ص ١٢٢ ـ ١٦٠) قائمة

تشتمل على مائة وخمسين مؤلفا فى علم الخلاف فارجع إليها إن شئت .

أما عن النظم، فقد جاءت هذه الأبيات بعنوان «موقف الإنصاف فى مثارات الخلاف» فى ختام منظومة الشيخ حافظ ابن أحمد الحكمى الموسومة بوسيلة الحصول إلى مهمات الأصول . قال الناظم :

وحيث قد أفضى بنا القول إلى
ذكر الخلاف ينبغى أن نصلا
بحثا بخلف علماء الأمه
يبين منه العذر للأئمه
والاتباع كلهم يرموا
ومن يلومهم هو الملوم
وللمصيب منهم الأجران
والأجر إن أخطأ مع الغفران
وليس ترك بعضهم شيئا أثر
إلا لأمر عندهم به عذر
فمنه ما يرجع للمنقول
وما إلى مصطلح الأصول
فالأول الذى إليه لم يصل
أو عنده بصحة لم يتصل
أو شرطه فى خبر العدول
أثقل من سواه للقبول
أو صح عنده ولكن وهلا
أو ظن نسخه بحكم قد تلا
أو كان قد عارض ما لا يقوى
عليه أو فيه احتمال الأقوى
وغيره فى هذه الأمور
خالفه فكان كالمعذور
ولا يسوغ عذره لمن ظهر
لديه فى ذلك برهان بهر
أما الذى إلى الأصول يرجع
فهو إلى نوعين قد ينوع
تأصيله الذى به يختص
والثان فهم ما اقتضاه النص
فأول نحو الخصوص قدَّما
على العموم وفريق عمما
ومثله المطلق إذ يقيد
أطلقه قوم وقوم قيدوا
ونحو ماقلناه من أسباب
يعلم باستقراء هذا الباب
والثان خمس فاحوها بالحفظ
أولها ما تردد فى اللفظ
بين العموم والخصوص أو ما
عم خصوصا وخصوص عما
ثانيه الاشتراك فى اللفظ وذا
فى مفرد كالقرء طهرا وأذى
أو طلب وفى المركب احتمل
ومنه الاستثناء من بعد الجمل
وما على الوصف أو الحقيقه
يحمله كل على طريقه
وخلف إعراب وما تعارضا
من حجج علتها فى ما مضى
والحق واحد بكل مسأله
فى مجمع أو فى خلاف فاقبله
وفى اختيار واحد قد ينحصر
وربما أطرافه قد تنتشر
وجامع الأطراف من حق يحق
وهو الذى لاسم الفقيه يستحق
وكل خلف لا إلى برهان
وجوده ونفيه سيان

ولا يعـــد الخلف ذو الـــوفـــاق
كمـــا الخـــلاف ليس بـــاتفـــاق
وبـــالفـــروع اختص خلف المعتبـــر
أى خلف أهل الاجتمـــاع والأثـــر
أمـــا أصـــول الـــدين والإيمـــان
فليس فيهـــا بينهم قـــولان

(مجموع ٣٠/ ٣١).

(التعريفات للشريف الجرجاني ـ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٥، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٧٢١، و «فقه الخلاف» ـ فضيلة الشيخ محمد حسام الدين. مجلة الأزهر. الجزء الخامس، السنة الرابعة والستون، جمادى الأولى ١٤١٢ هـ ـ نوفمبر ١٩٩١ م / ٤٩٦ ـ ٥٠١، وتعريف عام بالعلوم الشرعية ـ د. محمد الزحيلي / ٢٢٠ ـ ٢٢٧، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار ٣ / ١١٦، ٢٩٥، والفتح المبين ـ فضيلة الشيخ عبد الله مصطفى المراغي ٣ / ١٣٠ وجزيل المواهب في اختلاف المذاهب للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ حققه وعلق عليه عبد القيوم محمد شفيع البستوي / ٨ مقدمة المحقق، ومجموع: «وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول» ـ نظم حافظ بن أحمد الحكمي / ٣٠، ٣١. انظر أيضا بلوغ السول في علم الأصول ـ فضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف / ١٠ ـ ١٣، واللمع في أصول الفقه للإمام الفيروزابادي / ٥٢، ٥٣، وقواعد التحديث للشيخ محمد جمال الدين القاسمي / ٣٤١ ـ ٣٤٦، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ / ٧٨، ٧٩، والخلاف بين العلماء وموقفنا منه ـ فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين. مكتبة الوعي الإسلامي ـ بدون تاريخ، ومعرفة علم الخلاف الفقهي ـ د. زكريا عبد الرزاق المصري / ١٢٢ ـ ١٦٠، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١٥ / ٢٨٣، ٢٨٤).

*** الخلاف والتشهير والاستحسان، وما أغفله مورد الظمآن وما سكت عنه التنزيل والبرهان وما جرى العمل به من الخلافات الرسمية في القرآن:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علوم القرآن الكريم (في علم رسم المصحف). مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلي:

الرقم ٨٦٤٩

المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن يوسف بن محمد الفاسي المالكي المتوفى سنة ١٠٩٦ هـ.

أوله: قال الشيخ الإمام العارف عبد الرحمن... الحمد لله رب العالمين الذين أنزل الفرقان هدى وذكرا للمتقين... وبعد فإني صنفت كتابي هذا المسمى بالخلاف والتشهير والاستحسان... اعلم رحمنا الله وإياك أن متابعة مرسوم الإمام أمر واجب ومحتوم على الأنام كما نص عليه الأئمة الأعلام.

آخره: كما الخلاف والتشهير والاستحسان وما أغفله مورد الظمآن بحمد الله وحسن عونه أوسط ربيع الثاني من شهور سنة ثلاث وستين ومابة وألف.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثاني عشر الهجري كتبت بخط مغربي معتاد، ألفاظ القرآن الكريم ورؤوس الفقر والفواصل مكتوبة بالأحمر.

توجد هذه النسخة في مجموع يحوي الدرر الحسان في اختصار كتاب التبيان في شرح مورد الظمآن، وأرجوزة رسم المصحف.

المجموع مفروط الأوراق مصاب بالرطوبة التي أثرت على بعض أوراقه. على الورقة الأولى قيد هدية ورثه الأمير طاهر الحسني الجزائري إلى دار الكتب الظاهرية.

١٠ (٦٢ ـ ٧١) ق ١٢ × ١٥ م ٢٤ س

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمي ٢ / ١١١، ١١٢).

*** الخلاف والمناقضة:**

فرّق بينهما قدامة بن جعفر صاحب نقد النثر فذكر المتكلمين: وهم المشتغلون بعلم الكلام، وهو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها، وموضوعه ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته (انظر التوحيد (علم ـ) فقال:

وقد ذكر المتكلمون «الخلاف والمناقضة» وكثيرا ما يستعملون بعض ذلك في موضع بعض. ونحن نبين كل واحد منهما، ونرسم فيه ما يُعرف به الفرق بينه وبين الآخر، فيستعمل كل واحد منهما في موضعه.

«فالمناقضة» فى اللغة المفاعلة، من نقضت البناء والغزل وغيرهما؛ فإذا بنى الإنسان قوله على إثبات شىء لشىء بعينه ثم نفاه عنه، أو بنى قوله على نفى شىء عن شىء بعينه ثم أثبته له، فكأنه قد نقض ما بنى واستحق اسم المناقضة. وإنما جعل ذلك على المفاعلة، لأن المجادلة لا تقع إلا بين اثنين. وإنما تقع المناقضة فى الكلام إذا كان المخبر عنه واحدا والخبر واحدا ولم تتشابه الأسماء ولا الأخبار فى لفظها مع اختلاف معانيها، وكان الزمان فى القول واحدا، والمكان واحدا، والنسبة فى الاستطاعة واحدة، ثم اختلفا فى تلك بالإيجاب والنفى، فتلك المناقضة. فأما إذا لم يكن المخبر عنه واحدا فى الاسم، كقولنا: زيد قائم وعمرو غير قائم، فليس ذلك مناقضة. وإذا لم يكن الخبر واحدا فى اللفظ، كقولنا: زيد قائم وزيد غير قائم، فليس ذلك مناقضة. وإذا اتفقت الأخبار واختلفت معانيها، كقولنا: إسحاق مغن وإسحاق غير مغن، ونحن نريد بإسحاق الأول الموصلى والآخر الظاهرى فليس ذلك مناقضة. (إسحاق بن إبراهيم النديم الموصلى، كان من ندماء الخلفاء وواحد عصره فى الظرف والغناء وكان إلى ذلك من العلماء باللغة والشعر وأخبار الشعراء وأيام العرب. وتوفى عام ٢٣٦ هـ. أما الظاهرى فهو إسحاق بن راهويه المتوفى عام ٢٣٨ هـ. جمع بين الحديث والفقه والورع وعنه أخذ داود الظاهرى إمام أهل الظاهر المتوفى عام ٢٧٠ هـ). وإذا اشتبهت الأخبار واختلفت معانيها، كقولنا: زيد أسود من عمرو وليس زيد أسود من عمرو، ونحن نريد بأحدهما السؤدد، وبالآخر السواد الذى هو ضد البياض، فليس ذلك مناقضة، وإذا اختلف الزمان فى القول فقلنا: زيدا قائم وزيد غير قائم، وأردنا أن زيد قائم الساعة وغير قائم فى غد، فليس ذلك بالمناقضة. وإذا اختلف المكان فى ذلك فقلنا: زيد خارج وزيد غير خارج، وأردنا أنه خارج من داره وغير خارج من المدينة، فليس ذلك مناقضة. وإذا اختلفت النسبة فى الاستطاعة والفعل، فقلنا: زيد كاتب وزيد غير كاتب، ونحن نريد أنه يحسن الكتابة ويستطيعها متى أرادها، وهو غير كاتب بيده فى حالة الإخبار عنه، لم تكن مناقضة. فهذا معنى المناقضة.

وأما «الخلاف» فهو ما خالف الشىء الشىء فيه فى بعض ما ذكرناه، ولم تجتمع له شروط المناقضة التى وصفناها، وأكثر ما وقع من الخلاف فى الشرائع خاصة من جهة النسخ، أو التشابه فى الأسماء والأخبار، أو من جهة الخصوص والعموم، أو من جهة االإجمال والتفسير، أو من جهة الرأى والتخيير؛ وقد ذكرنا ذلك بشرحه فى «كتاب التعبد» بما أغنى من إعادته، إلا أنا نذكر من ذلك جملا تدل عليه.

أما «الاختلاف من جهة النسخ»، فهو أن يكون الشىء محرما ثم يحلل، أو محللا ثم يحرَّم، أو مفروضا ثم يترك، أو متروكا ثم يفرض، فيعلم الأول قوم ولا يعلمون النسخ فيعملون بما علموا، ويعرف النسخ آخرون فيأخذون بما عرفوا، فيقع الخلاف بينهم من هذا الوجه؛ وذلك مثل المسح على الخفين، فإن الشيعة تزعم أنه منسوخ، والعامة ماضية على الأول (المراد بالعامة هنا غير الشيعة من المسلمين) وكالمتعة التى تزعم العامة أنها منسوخة، والشيعة ماضية فيها على الأمر الأول. وإنما خالف النسخ المناقضة، لاختلاف الأوقات، وأن الوقت الذى حرم فيه الحلال غير الوقت الذى حلل فيه الحرام (المراد بالمتعة الزواج المؤقت وقد أجمع أهل العلم بالدين على أنها حرام).

وأما «الاختلاف من جهة التشابه فى الأسماء والأخبار» فمثل تحريم المسكر، فإن قوما حملوه على أنه الشراب الذى هذا نعته، فحرموا قليل النبيذ وكثيره، وقوم حملوه على أنه الجزء الذى يسكر دون غيره، فأحلوا منه ما كان دون ذلك من السكر، فوقع الاختلاف بينهم لاحتمال التأويل.

وأما «الخصوص والعموم» فهو أن يعم بالنهى شىء، ثم يُخص نوع منه بالتحليل، أو يعم بالتحليل جنس ثم يخص نوع منه بالتحريم؛ وذلك كتحليل الله البيع جملة، واختصاص رسول الله ﷺ تحريم الدرهم بالدرهمين، والدينار بالدينارين، والرطب بالتمر، وأشباه ذلك. وقد ذهب هذا التخصيص على عبد الله بن عباس، فكان يجيز بيع الدرهمين بالدرهم إذا كان نقدا، فوقع الخلاف بينه وبين غيره من هذا الوجه (نقد النثر لأبى الفرج قدامة بن جعفر - حققه وعلق حواشيه د. طه حسين بك وعبد الحميد العبادى / ١٢٤ - ١٢٦).

*** الخلافة:**

جاء فى تيسير الوصول فى كتاب الخلافة والإمارة ما يلى:

١ ــ عن جابر رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: الناس تبع لقريش فى الخير والشر». أخرجه مسلم.

٢ ــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: الناس تبع لقريش فى هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم. الناس معادن، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا، وتجدون من خيار الناس أشد الناس كراهة لهذا الشأن حتى يقع فيه». أخرجه الشيخان.

٣ ــ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان». أخرجه الشيخان.

٤ ـ وعن سفينة رضى الله عنه (هو مولى رسول ﷺ، وقيل: كان مولى أم سلمة، واسمه مهران، وقيل: رومان، وقيل: نجران، وقيل: غير ذلك) قال: «قال رسول الله ﷺ: الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك. قال سعيد بن جمهان، ثم قال: أمسك خلافة أبى بكر، وخلافة عمر، وخلافة عثمان، وخلافة على رضى الله عنهم، فوجدناها ثلاثين سنة. فقيل: إن بنى أمية يزعمون أن الخلافة فيهم، فقال: كذبوا بنو الزرقاء بل هم ملوك من شر الملوك». أخرجه أبو داود والترمذى، والمراد ببنى الزرقاء بنو مروان.

٥ ـ وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: لا يزال هذا الدين عزيزا منيعا إلى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش. قيل: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون الهرج». أخرجه الخمسة إلا النسائى إلى قوله من قريش.

وأخرج باقيه أبو داود (الهرج): الفتنة والاختلاط.

الفصل الثانى: فيمن تصح إمامته وإمارته

١ ـ عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: «قال النبى ﷺ: إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» أخرجه مسلم.

٢ ــ وعن عرفجة بن شريح رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم، أو يفرّق جماعتكم فاقتلوه»: أخرجه مسلم.

٣ ــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء عليهم السلام كلما هلك نبى خلفه نبى، وإنه لا نبى بعدى، وسيكون بعدى خلفاء فيكثرون قالوا: فما تأمرنا؟ قال: أوفوا ببيعة الأول، ثم أعطوهم حقهم، واسألوا الله تعالى الذى لكم، فإن الله تعالى سائلهم عما استرعاهم». أخرجه الشيخان.

٤ ـ وعن أنس رضى الله عنه قال: «استخلف رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم على المدينة مرتين». أخرجه أبو داود.

(اسمه عمرو، ويقال عبد الله، وعمرو: أكثرهم، وهو ابن قيس. قال ابن عبد البر: استخلفه النبى ﷺ على المدينة مرات: فى الأبواء، وبواط، وذى العشيرة، وغزوة فى طلب كرز بن جابر، وغزوة السويق، وغطفان، وفى غزوة أحد، وحمراء الأسد، ونجران، وذات الرقاع، وفى خروجه فى حجة الوداع، وفى خروجه إلى بدر).

٥ ـ وعن أبى بكرة رضى الله عنه أنه قال: «لقد نفعنى الله تعالى بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ أيام الجمل بعد ما كدت أن الحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم. قال: لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس ملّكوا عليهم بنت كسرى. قال: لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة» أخرجه البخارى والترمذى والنسائى. وزاد الترمذى: «فلما قدمت عائشة البصرة ذكرت ذلك فعصمنى الله تعالى به».

الفصل الثالث: فيما يجب على الإمام والأمير.

١ ــ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ: كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله، وهو مسئول عن رعيته، والمرأة فى بيت زوجها راعية، وهى مسئوله عن رعيتها، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته. قال: فسمعت هؤلاء من النبى ﷺ وأحسبه قال: والرجل فى مال أبيه راع، وهو مسؤل عن رعيته». أخرجه الخمسه إلا النسائى.

٢ ـ وعن ابن أبى مريم الأزدى رضى الله عنه قال: «دخلت على معاوية رضى الله عنه فقال: ما أنعمنا بك أبا فلان؟ قلت: حديث سمعته من رسول الله ﷺ سمعته يقول: من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين، فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله تعالى دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة. قال: فجعل معاوية رجلا على حوائج الناس». اخرجه أبو داود والترمذى.

(ما أنعمنا بك): يريد ما أعمدك إلينا، وما جاء بك. قال الخطابى: وإنما يقال: ذلك لمن يعتد بزيارته ويفرح بلقائه

٣ ـ وعن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «قال النبي ﷺ: إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، و كلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا» أخرجه مسلم والنسائي.

٤ ـ وعن الحسن البصري عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة». أخرجه الشيخان.

وفي أخرى لمسلم عن الحسن البصري: «أن عائذ بن عمرو رضي الله عنه، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ دخل على عبيد الله بن زياد فقال: أي بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن شر الرعاء الحطمة، فإياك أن تكون منهم، فقال: اجلس إنما أنت من نخالة أصحاب رسول الله ﷺ فقال: وهل كان لهم نخالة؟ إنما النخالة بعدهم وفي غيرهم» (الحطمة: العنيف في رعاية الإبل في السَّوْق).

٥ ـ وعن عدي بن عميرة الكندي رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: من استعملناه على عمل فكتمنا مخيطا، فما فوقه كان غلولا يأتي به يوم القيامة، فقام إليه رجل من الأنصار فقال: أقبل عني عملك يا رسول الله. قال: وما لك؟ قال: سمعتك تقول كذا وكذا. قال: وأنا أقوله الآن: من استعملناه منكم على عمل فليجئ بقليله وكثيره، فما أوتي منه أخذ، وما نهي عنه انتهى». أخرجه مسلم.

٦ ـ وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله يوم القيامة، وأبعدهم منه إمام جائر». أخرجه الترمذي (تيسير الوصول ٢ / ٣٢ ـ٣٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

في الخلافة والسلطان وكيفية كونه ظل الله في الأرض: قال الله تعالى ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ [البقرة: ٣٠] وقال الله تعالى ﴿**يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله**﴾ [ص: ٢٦]. وقوله ﴿**اني جاعل في الأرض خليفة**﴾ يعم آدم وبنيه لكن الاسم متناول لآدم عينا كقوله تعالى، ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾ [التين: ٤] وقوله تعالى ﴿**خلق الإنسان من صلصال كالفخار * وخلق الجان من مارج من نار**﴾ [الرحمن: ١٤، ١٥] وقوله ﴿**وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين**﴾ [السجدة: ٧، ٨] ﴿**ثم جعلناه نطفة في قرار مكين**﴾ [المؤمنون: ١٣] إلى أمثال ذلك.

ولهذا كان بين داود وآدم من المناسبة ما أحب به داود حين أراه ذريته وسأل عن عمره فقيل أربعون سنة. فوهبه من عمره الذي هو ألف سنة ستين سنة، والحديث صحيح رواه الترمذي وغيره وصححه.

ولهذا كلاهما ابتلي بهما ابتلاه به من الخطيئة كما أن كلا منهما مناسبة للأخرى إذ جنس الشهوتين واحد ورفع درجته بالتوبة العظيمة التي نال بها من محبة الله له وفرحه به ما نال. ويذكر عن كل منهما من البكاء والندم والحزن ما يناسب بعضه بعضا.

والخليفة هو من كان خلفا عن غيره فعيلة بمعنى فاعلة.

كان النبي ﷺ إذا سافر يقول: «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل»، وقال ﷺ «من جهز غازيا فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا»، وقال «أو كلما خرجنا في الغزو خلف أحدهم وله نبيب كنبيب التيس يمنح إحداهن اللبنة من اللبن، لئن أظفرني الله بأحد منهم لأجعلنه نكالا. وفي القرآن ﴿**سيقول لك المخلفون من الأعراب**﴾ [الفتح: ١١] وقوله تعالى ﴿**فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله**﴾ [التوبة: ٨١] والمراد بالخليفة أنه خلف من كان قبله من الخلق، والخلف فيه مناسبة كما كان أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ لأنه خلفه على أمته بعد موته، وكما كان النبي ﷺ إذا سافر لحج أو عمرة أو غزوة يستخلف على المدينة من يكون خليفة له مدة معينة فيستخلف تارة ابن أم مكتوم وتارة غيره.

واستخلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، وتسمى الأمكنة التي يستخلف فيها الإمام مخاليف مثل مخاليف اليمن ومخاليف أرض الحجاز، ومنه الحديث حيث خرج من مخلاف إلى مخلاف. ومنه قوله تعالى ﴿**وهو الذي جعلكم**

خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم﴾ [الأنعام: ١٦٥] وقوله تعالى **﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا﴾** [يونس: ١٣] إلى قوله تعالى **﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض﴾** [يونس: ١٤] ومنه قوله تعالى **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾** [النور: ٥٥].

وقد ظن بعض القائلين الغالطين كابن عربي أن الخليفة هو الخليفة عن الله، مثل نائب الله وزعموا أن هذا بمعنى أن يكون الإنسان مستخلفا. وربما فسروا تعليم آدم الأسماء كلها التي جمع معانيها الإنسان، ويفسرون خلق آدم على صورته بهذا المعنى أيضا وقد أخذوا من الفلاسفة قولهم الإنسان هو العالم الصغير.

وهذا قريب وضموا إليه أن الله هو العالم الكبير. بناء على أصلهم الكفري في وحدة الوجود. وأن الله هو عين وجود المخلوقات، فالإنسان من بين المظاهر هو الخليفة الجامع للأسماء والصفات. ويتفرع على هذا ما يصيرون إليه من دعوى الربوبية والألوهية المخرجة لهم إلى الفرعونية والقرمطية والباطنية، وربما جعلوا الرسالة مرتبة من المراتب، وأنهم أعظم منها فيقرون بالربوبية والوحدانية والألوهية وبالرسالة ويصيرون في الفرعونية، هذا إيمانهم أو يخرجون في أعمالهم أن يصيروا سدى لا أمر عليهم ولا نهي ولا إيجاب ولا تحريم. والله لا يجوز له خليفة، ولهذا قالوا لأبي بكر ياخليفة الله فقال لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله ﷺ حسبي ذلك، بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره قال النبي ﷺ «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل. اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا» وذلك لأن الله حي شهيد مهيمن قيوم رقيب حفيظ غني عن العالمين، ليس له شريك ولا ظهير ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة ويكون لحاجة المستخلف إلى الاستخلاف، وسمي خليفة لأنه خلف عن الغزو وهو قائم خلفه، وكل هذه المعاني منتفية في حق الله تعالى، وهو منزه عنها فإنه حي قيوم شهيد لا يموت ولا يغيب، وهو غني يَرزق ولا يُرزق، يرزق عباده وينصرهم ويهديهم ويعاقبهم بما خلقه من الأسباب التي هي من خلقه، والتي هي مفتقرة إليه كافتقار المسببات إلى أسبابها. فالله هو الغني الحميد له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، **﴿يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن﴾** [الرحمن: ٢٩] **﴿وهو الذي في السماء إله في لأرض إله﴾** [الزخرف: ٨٤] ولا يجوز أن يكون أحد خلفا منه، ولا يقوم مقامه، إنه لا سمي له ولا كفء له، فمن جعل له خليفة فهو مشرك به.

وأما الحديث النبوي «السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل ضعيف وملهوف» وهذا صحيح فإن الظل مفتقر إلى آوٍ وهو رقيق له مطابق له نوعا من المطابقة، والآوي إلى الظل المكتنف بالمظل صاحب الظل، فالسلطان عبد الله مخلوق مفتقر إليه لا يستغني عنه طرفة عين وفيه من القدرة والسلطان والحفظ والنصرة وغير ذلك من معاني السؤدد والصمدية التي بها قوام الخلق ما يشبه أن يكون ظل الله في الأرض وهو أقوى الأسباب التي بها يصلح أمور خلقه وعباده، فإذا صلح ذو السلطان صلحت أمور الناس، وإذا فسدت فسدت بحسب فساده، ولا تفسد من كل وجه بل لا بد من مصالح. اذ هو ظل الله لكن الظل تارة يكون كاملا مانعا من جميع الأذى، وتارة لايمنع إلا بعض الأذى، وأما إذا عدم الظل فسد الأمر كعدم سر الربوبية التي بها قيام الأمة الإنسانية. والله تعالى أعلم (الفتاوى م ٢ / ٤٠٨ ـ ٤١٠).

ويتناول العلامة ابن خلدون في الفصل الخامس والعشرين من مقدمته معنى الخلافة والإمامة فيقول:

لما كانت حقيقة المُلك أنه الاجتماع الضروري للبشر ومقتضاه التغلب والقهر اللذان هما من آثار الغضب والحيوانية كانت أحكام صاحبه في الغالب جائرة عن الحق مجحفة بمن تحت يده من الخلق في أحوال دنياهم لحمله إياهم في الغالب على ما ليس في طوقهم من أغراضه وشهواته ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف منهم فتعسر طاعته لذلك وتجيء العصبية المفضية إلى الهرج والقتل فوجب أن يُرجع في ذلك إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة ينقادون إلى أحكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الأمم وإذا خلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب أمرها ولم يتم استيلاؤها **﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾**

[الأحزاب: ٣٨] فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها كانت سياسة عقلية وإذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية نافعة فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وذلك أن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فإنها كلها عبث وباطل إذ غايتها الموت والفناء والله يقول ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا﴾ [المؤمنون: ١١٥] فالمقصود بهم إنما هو دينهم المفضى بهم إلى السعادة فى آخرتهم ﴿صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض﴾ [الشورى: ٥٣] فجاءت الشرائع بحملهم على ذلك فى جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة حتى فى الملك الذى هو طبيعى للاجتماع الإنسانى فأجرته على منهاج الدين ليكون الكل محوطا بنظر الشارع فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب وإهمال القوة العصبية فى مرعاها فجوْر وعدوان ومذموم عنده كما هو مقتضى الحكمة السياسية وما كان منه بمقتضى السياسة وأحكامها فمذموم أيضا لأنه نظر بغير نور الله ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ [النور: ٤٠] لأن الشارع أعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من أمور آخرتهم وأعمال البشر كلها عائدة عليهم فى معادهم من ملك أو غيره قال ﷺ «إنما هى أعمالكم ترد عليكم». وأحكام السياسة إنما تطلع على مصالح الدنيا فقط ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا﴾ [الروم: ٧] ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على أهل الأحكام الشرعية فى أحوال دنياهم وآخرتهم وكان هذا الحكم لأهل الشريعة وهم الأنبياء ومن قام فيه مقامهم وهم الخلفاء.

فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة وأن الملك الطبيعى هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة والسياسى هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلى فى جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار والخلافة هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به فافهم ذلك واعتبره فيما نورده عليك من بعد والله الحكيم العليم.

ثم يورد ابن خلدون فى الفصل الذى يليه وهو الفصل السادس والعشرون شرحه لاختلاف الأمة فى حكم منصب الخليفة وشروطه فيقول:

وإذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة فى حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإماما فأما تسميته إماما فتشبيها بإمام الصلاة فى اتباعه والاقتداء به ولهذا يقال الإمامة الكبرى وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبى فى أمته فيقال خليفة بإطلاق وخليفة رسول الله واختلف فى تسميته خليفة الله فأجازه بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التى للآدميين فى قوله تعالى ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠] وقوله ﴿جعلكم خلائف الأرض﴾ [يونس: ١٣] ومنع الجمهور منه لأن معنى الآية ليس عليه وقد نهى أبو بكر عنه لما دُعى به وقال لست خليفة الله ولكنى خليفة رسول الله ﷺ ولأن الاستخلاف إنما هو فى حق الغائب وأما الحاضر فلا. ثم إن نصب الإمام واجب قد عرفت وجوبه فى الشرع بإجماع الصحابة والتابعين أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبى بكر رضى الله عنه وتسليم النظر إليه فى أمورهم وكذا فى كل عصر من بعد ذلك ولم تترك الناس فوضى فى عصر من الأعصار واستقر ذلك إجماعا دالا على وجوب نصب الإمام وقد ذهب بعض الناس إلى أن مدرك وجوبه العقل وأن الإجماع الذى وقع إنما هو قضاء بحكم العقل فيه، قالوا وإنما وجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم منفردين ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الأغراض فما لم يكن الحاكم الوازع أفضى ذلك إلى الهرج المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم مع أن حفظ النوع من مقاصد الشرع الضرورية وهذا المعنى بعينه هو الذى لحظه الحكماء فى وجوب النبوات فى البشر وقد نبهنا على فساده وأن إحدى مقدماته أن الوازع إنما يكون بشرع من الله تسلم له الكافة تسليم إيمان واعتقاد وهو غير مسلَّم لأن الوازع قد يكون بسطوة الملك وقهر أهل الشوكة ولو لم يكن شرع كما فى أمم المجوس وغيرهم ممن ليس له كتاب أو لم تبلغه الدعوة أو نقول يكفى فى رفع التنازع معرفة كل واحد بتحريم الظلم عليه بحكم العقل فادعاؤهم أن ارتفاع التنازع إنما يكون بوجود الشرع هناك ونصب الإمام هنا غير صحيح بل كما يكون بنصب الإمام يكون بوجود الرؤساء أهل

الشوكة أو بامتناع الناس عن التنازع والتظالم فلا ينهض دليلهم العقلي المبني على هذا المقدمة فدل على أن مدرك وجوبه إنما هو بالشرع وهو الإجماع الذي قدمناه وقد شذ بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا النصب رأسا لا بالعقل ولا بالشرع منهم الأصم من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم والواجب عند هؤلاء إنما هو إمضاء الحكم الشرع فإذا تواطأت الأمة على العدل وتنفيذ أحكام الله تعالى لم يحتج إلى إمام ولا يجب نصبه وهؤلاء محجوجون بالإجماع والذي حملهم على هذا المذهب إنما هو الفرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستمتاع بالدنيا لما رأوا الشريعة ممتلئة بذم ذلك والنعي على أهله ومرغبة في رفضه.

واعلم أن الشرع لم يذم الملك لذاته ولا حظر القيام به وإنما ذم المفاسد الناشئة عنه من القهر والظلم والتمتع باللذات ولا شك أن في هذه مفاسد محظورة وهي من توابعه كما أثنى على العدل والنصفة وإقامة مراسم الدين والذب عنه وأوجب بإزائها الثواب وهي كلها من توابع الملك فإذا إنما وقع الذم للملك على صفة وحال دون حال أخرى ولم يذمه لذاته ولا طلب تركه كما ذم الشهوة والغضب من المكلفين وليس مراده تركهما بالكلية لداعية الضرورة إليها وأما المراد تصريفهما على مقتضى الحق وقد كان لداود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهما الملك الذي لم يكن لغيرهما وهما من أنبياء الله تعالى وأكرم الخلق عنده ثم نقول لهم إن هذا الفرار عن الملك بعدم وجوب هذا النصب لا يغنيكم شيئا لأنكم موافقون على وجوب إقامة أحكام الشريعة وذلك لا يحصل إلا بالعصبية والشوكة والعصبية مقتضية بطبعها للملك فيحصل الملك وإن لم ينصب إمام وهو عين ما فررتم عنه وإذا تقرر أن هذا النصب واجب بإجماع فهو من فروض الكفاية وراجع إلى اختيار أهل العقد والحل فيتعين عليهم نصبه ويجب على الخلق جميعا طاعته لقوله تعالى ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ [النساء: ٥٩] وأما شروط هذا المنصب فهي أربعة: العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والأعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل واختلف في شرط خامس وهو النسب القرشي.

فأما اشتراط العلم فظاهر لأنه إنما يكون منفذا لأحكام الله تعالى إذا كان عالما بها وما لم يعلمها لا يصح تقديمه لها ولا يكفي من العلم إلا أن يكون مجتهدا لأن التقليد نقص والإمامة تستدعي الكمال في الأوصاف والأحوال.

وأما العدالة فلأنه منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها فكان أولى باشتراطها فيه ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وأمثالها وفي انتفائها بالبدع الاعتقادية خلاف.

وأما الكفاية فهو أن يكون جريئا على إقامة الحدود واقتحام الحروب بصيرا بها كفيلا بحمل الناس عليها عارفا بالعصبية وأحوال الدهاء قويا على معاناة السياسة ليصح له بذلك ما جعل إليه من حماية الدين وجهاد العدو وإقامة الأحكام وتدبير المصالح.

وأما سلامة الحواس والأعضاء من النقص والعطلة كالجنون والعمى والصمم والخرس وما يؤثر فقده من الأعضاء في العمل كفقد اليدين والرجلين فتشترط السلامة منها كلها لتأثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جعل إليه وإن كان إنما يشين في المنظر فقط كفقد إحدى هذه الأعضاء فشرط السلامة منه شرط كمال ويلحق بفقدان الأعضاء المنع من التصرف وهو ضربان ضرب يلحق بهذه في اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو القهر والعجز عن التصرف جملة بالأسر وشبهه وضرب لا يحق بهذه وهو الحجر باستيلاء بعض أعوانه عليه من غير عصيان ولا مشاقة فينتقل النظر في حال هذا المستولي فإن جرى على حكم الدين والعدل وحميد السياسة جاز قراره وإلا استنصر المسلمون بمن يقبض يده عن ذلك ويدفع علته حتى ينفذ فعل الخليفة.

وأما النسب القرشي فلإجماع الصحابة يوم السقيفة على ذلك واحتجت قريش على الأنصار لمَّا هموا يومئذ ببيعة سعد ابن عبادة وقالوا منا أمير ومنكم أمير بقوله ﷺ الأئمة من قريش وبأن النبي ﷺ أوصانا بأن نحسن إلى محسنكم ونتجاوز عن مسيئكم ولو كانت الإمارة فيكم لم تكن الوصية بكم فحجوا الأنصار ورجعوا عن قولهم منا أمير ومنكم أمير وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد لذلك وثبت أيضا في الصحيح «لا يزال هذا الأمر في هذا الحي من قريش» وأمثال هذه الأدلة

كثيرة إلا أنه لما ضعف أمر قريش وتلاشت عصبيتهم بما نالهم من الترف والنعيم وبما أنفقتهم الدولة فى سائر أقطار الأرض عجزوا بذلك عن حمل الخلافة وتغلبت عليهم الأعاجم وصار الحل والعقد لهم فاشتبه ذلك على كثير من المحققين حتى ذهبوا إلى نفى اشتراط القرشية وعولوا على ظواهر فى ذلك مثل قوله ﷺ «اسمعوا وأطيعوا وإن ولى عليكم عبد حبشى ذو زبيبة» وهذا لا تقوم به حجة فى ذلك فإنه خرج مخرج التمثيل والغرض للمبالغة فى إيجاب السمع والطاعة، ومثل قول عمر لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا لوليته أو لما دخلتنى فيه الظنة وهو أيضا لا يفيد ذلك لما علمت أن مذهب الصحابى ليس بحجة، وأيضا فمولى القوم منهم وعصبية الولاء حاصلة لسالم فى قريش وهى الفائدة فى اشتراط النسب ولم استعظم عمر أمر الخلافة ورأى شروطها كأنها مفقودة فى ظنه عدل إلى سالم لتوفر شروط الخلافة عنده فيه حتى من النسب المفيد للعصبية ولم يبق إلا صراحة النسب فرآه غير محتاج إليه إذ الفائدة فى النسب إنما هى العصبية وهى حاصلة من الولاء فكان ذلك حرصا من عمر رضى الله عنه على النظر للمسلمين وتقليد أمرهم لمن لا تلحقه فيه لائمة ولا عليه فيه عهدة.

ومن القائلين بنفى اشتراط القرشية القاضى أبو بكر الباقلانى لما أدرك عليه عصبية قريش من التلاشى والاضمحلال واستبداد ملوك العجم من الخلفاء فأسقط شرط القرشية وإن كان موافقا لرأى الخوارج لما رأى عليه حال الخلفاء لعهده وبقى الجمهور على القول باشتراطها وصحة الإمامة للقرشى ولو كان عاجزا عن القيام بأمور المسلمين ورد عليهم سقوط شرط الكتابة التى يقوى بها على أمره لأنه إذا ذهبت الشوكة بذهاب العصبية فقد ذهبت الكفاية، وإذا وقع الإخلال بشرط الكفاية تطرق ذلك أيضا إلى العلم والدين وسقط اعتبار شروط هذا المنصب وهو خلاف الاجتماع.

ولنتكلم الآن فى حكمة اشتراط النسب ليتحقق به الصواب فى هذه المذاهب فنقول: إن الأحكام الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحِكَم تشتمل عليها وتُشرع لأجلها ونحن إذا بحثنا عن الحكمة فى اشتراط النسب القرشى ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبى ﷺ كما هو فى المشهور وإن كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصلا لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت فلا بد إذن من المصلحة فى اشتراط النسب وهى المقصودة من مشروعيتها وإذا سبرنا وقسمنا لم نجدها إلا اعتبار العصبية التى تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن إليه الملة وأهلها وينتظم حبل الإلفة فيها وذلك أن قريشا كانوا عصبة مضر وأصلهم وأهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكينون لغلبهم فلو جعل الأمر فى سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر أن يردهم عن الخلاف ولا يحملهم على الكرّة فتتفرق الجماعة وتختلف الكلمة والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما إذا كان الأمر فى قريش لأنهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب إلى ما يراد منهم فلا يخشى من أحد من خلاف عليهم ولا فرقة لأنهم كفيلون حينئذ بدفعها ومنع الناس منها فاشترط نسبهم القرشى فى هذا المنصب وهم أهل العصبية القوية ليكون أبلغ فى انتظام الملة واتفاق الكلمة وإذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر أجمع فأذعن لهم سائر العرب وانقادت الأمم سواهم إلى أحكام الملة ووطئت جنودهم قاصية البلاد كما وقع فى أيام الفتوحات واستمر بعدها فى الدولتين إلى أن اضمحل أمر الخلافة وتلاشت عصبية العرب ويعلم ما كان لقريش من الكثرة والتغلب على بطون مضر من مارس أخبار العرب وسيرهم وتفطن لذلك فى أحوالهم. وقد ذكر ذلك ابن إسحاق فى كتاب السير وغيره فإذ ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب وعلمنا أن الشارع لا يخص الأحكام بجيل لا عصر ولا أمة علمنا أن ذلك إنما هو من الكفاية فرددناه إليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهى وجود العصبية فاشترطنا فى القائم بأمور المسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية قوية غالبة على من معها لعصرها ليستتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولا يعلم ذلك فى الأقطار والآفاق كما كان فى القرشية إذ الدعوة الإسلامية التى كانت لهم كانت عامة وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا سائر الأمم وإنما يخص لهذا العهد كل

قطر بمن تكون لـه فيه العصبية الغالبـة وإذا نظرت سر الله فى الخلافة لم تعـد هذا لأنه سبحانه إنما جعل الخليفـة نائبا عنه فى القيام بأمـور عباده ليحملهم على مصـالحهم ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالأمر إلا من له قدرة عليه ألا ترى ما ذكره الإمام ابن الخطيب فى شأن النساء وأنهن فى كثير من الأحكـام الشرعية جعلن تبعا للرجـال ولم يدخلن فى الخطاب بالوضع وإنما دخلن عنده بالقياس وذلك لما لم يكن لهن من الأمر شىء وكان الـرجال قوامين عليهن اللهم إلا فى العبادات التى كل أحد فيها قائم على نفسه فخطابهن فيها بالوضع لا بالقياس ثم إن الوجود شاهد بذلك فإنه لا يقوم بأمر أمـة أو جيل إلا من غلب عليهم وقلَّ أن يكـون الأمر الشـرعى مخالفا للأمـر الوجـودى والله تعالـى أعلـم (المـقدمة / ١٩٠ ـ١٩٦).

وفى المبحث الثـانى من كتـابه المـوسـوم بفقـه الخلافـة وتطورها يتناول الدكتور عبد الرزاق السنهورى رحمه الله تعريف الحكـومـة الإسـلاميـة (الخلافـة) وخصائصـها ووجوبهـا فيـقول :

تعريف (الخلافة) : هى الحكومة الإسلامية الكاملة :

لكى ندرس نظام الحكومة الإسـلامية (الخلافة) يجب أن نبحث فى أساسها الشـرعى، وقبل أن ندخل فى هذا المبحث يجب أن نعرف «الخـلافة» لكى نستخلص من هـذا التعريف خصائصها المميزة للحكومة الإسلامية الكاملة (الخلافة).

عرفها (التفتازانى) بأنها (رئاسة عامة فى أمر الدين والدنيا، خلافة عن النبى ـ ﷺ) يـلاحظ أن ابن خلدون يميز بين ثلاث أنواع من نظم الحكم ـ الحكم الواقعى الـذى تسيطر فيه القوة والحكم السياسى المبنى على قواعد العقل والحكم الإسلامى المبنى على الشريعة.

خصائص الخلافة (الحكومة الإسلامية الكاملة) :

نستخلص من ذلك أن حكـومـة الخـلافـة تتميـز عن الحكومات الأخرى بالخصائص الثلاث الآتية :

١ ـ أن اختصـاصات الحكـومة (الخليفـة) عامـة أى تقوم على التكامل بين الشئون الدنيوية والدينية.

٢ ـ أن حكومـة الخـلافة ملـزمة بتنفيـذ أحكـام الشريعـة الإسلامية.

٣ ـ أن الخلافة تقوم على وحدة العالم الإسلامى.

ومتى اجتمعت هـذه الخصائص فى الحكـومة الإسـلامية أصبحت حكـومة شـرعيـة مهما يكن شكلهـا، واستحقت أن توصف بأنها حكومة (الخلافة).

هل توجب الشريعة إقامة حكم إسلامى (الخلافة)؟ :

لقد حـرصنا على تحديـد خصائص الخلافـة ليتضح منها أنها حكومة من نوع معين له خصائصه المميزة له ـ لأننا إذا لم نأخذ بعين الاعتبار هـذه الخصائص فإننا لن نستطيع أن نفهم الجـدل الطويل الـذى يـدور حول وجـوب الخـلافة أو عـدم وجوبها ـ ولكى نبحث أسـاس وجوب الخلافة علينا أن نجيب على السؤال الآتى : هل يجب، طبقـا للشريعة الإسـلامية أن توجد حكومة إسلامية تتوفر فيها الصفات الثلاث التى ذكرناها وما هو سند هذا الوجوب أو أساسه؟.

إجماع أهل السنـة والمعتزلة والشيعـة على وجوب إقـامة حكم إسلامى (الخلافة) :

إن أهل السنـة، والمعتـزلـة، يـرون أن الخـلافـة واجب شـرعى، ولكنهم يختلفـون فى أسـاس هذا الـوجـوب : فأهل السنة يـرون أن سند وجـوب الخلافة هـو الإجماع، أمـا الرأى الآخر، وأغلب أنصاره من المعتزلة، فيرى أن سند الوجوب هو العقل.

وهناك طـائفة من المعتـزلة ترى أن سنـد وجوب الخـلافة شرعـى وعقلى فى وقت واحد. ويـرى الشيعة كذلـك وجوب إقامة الحكومة الإسلامية.

مذهب أهل السنة :

الرأى الأول لدى أهل السنة هو الذى يجعل الإجماع سندا لوجوب إقامة الحكم الإسلامى (الخلافة) ويعتمد على سوابق تـاريخية مـؤكدة. فبعـد وفـاة النبى ﷺ أجمع الصحابـة على ضـرورة اختيـار واحد منهم رئيسـا يقـوم مقـامه، وشـرعـوا فى انتخـاب الخليفـة قبل أن يـدفن النبى ﷺ، ممـا يؤكـد صفـة الاستعجال والخطورة لهذه المسألة فى نظرهم.

وإذا كـان وقع خلاف بين الأنصـار والمهاجـرين، أو بين بعض المهاجرين وبعض آخر ـ فإن هذا الخلاف كان مقصورا

على اختيار شخص الخليفة من بين المرشحين ولكنه لم ينصب قط على مبدأ وجوب اختيار الخليفة، ولا على وجوب الخلافة.

أما عن سند هذا الإجماع، فإن كثيرا من المؤلفين لم يتعرضوا له، مكتفين بالقول بأنه لا بد أن الصحابة فهموا ذلك الوجوب من حوادث حصلت في عهد النبي ﷺ، أي من السنة.

ومن أصحاب هذا الرأي من يضيف إلى إجماع الصحابة والأجيال اللاحقة مصادر أخرى لوجوب الخلافة، كبعض الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التي يفسرها البعض على وجوب الخلافة، وإن كان الظاهر من هذا الرأي ليس هو الراجح في مذهب السنة.

مذهب المعتزلة:

أما النظرية الثانية، ويقول بها المعتزلة بصفة أساسية فترى أن سند وجوب الخلافة ليس الشرع بل هو العقل. مع ملاحظة أن المعتزلة خلافا لأهل السنة والأشعرية يرون أن الأحكام الشرعية يمكن أن يكون مصدرها العقل على حين أن مذهب أهل السنة التقليدي يرى أن الأحكام الشرعية مصدرها النص.

أما المعتزلة (وهم العقليون) ويؤيدهم في ذلك (الماتريدية) فإنهم يقولون إن الأحكام القانونية يمكن معرفتها بالعقل.

ويستند المعتزل في القول بوجوب الخلافة إلى الحجج الآتية: أنها واجبة بحكم العقل - فوجود حكومة للمجتمع الإسلامي ضرورة يحتمها العقل، لأنه لا يمكن وجود مجتمع بدون رئيس.

وواضح أن حجة المعتزلة تنصب على مبدأ وجود حكومة في المجتمع الإسلامي، كغيره من الجماعات، لذلك كانت حجتهم مقارنة لما قال به غيرهم من فلاسفة الحكم الأوربيين عن أساس وجود الدولة. ومما يؤسف له أنهم قصروا بحوثهم على ناحية العقيدة من حيث وجوب الخلافة، ولم يحاولوا وضع تنظيم كامل لحكومة الخلافة على الأساس العقلي الذي يتميز به مذهبهم. ومن المحقق أنه لو فعلوا ذلك لاستطاعوا أن يجعلوا من هذه الفكرة أساسا لكثير من القواعد التي تنظم ذلك النوع من الحكومة وتضع قيودا كثيرة على سلطة الحكام.

وأهل السنة يردون على حجج المعتزلة بأنها تبرر وجود حكومة في المجتمع الإسلامي ولكنها لا تصلح أساسا لوجوب ذلك النظام المتميز من أنظمة الحكم، وهو الخلافة، ويقولون فضلا عن ذلك أن ضرورة وجود سلطة تبعد المجتمع عن أخطار الفوضى، يمكن أن نجد لها سندا شرعيا في الآية القرآنية: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥] وبذلك يكون هذا سندا شرعيا للقول بأن وجود الدولة ضرورة دون حاجة للسند العقلي الذي لجأ إليه المعتزلة، ومما لا شك فيه أن أهل السنة عندما يذكرون سند وجوب الخلافة لا يقتصرون على الإجماع بل يضيفون إليه القول بأنها ضرورية لمنع خطر الفوضى في المجتمع الإسلامي، سواء كان هذا الخطر محققا أو محتملا فقط.

الجمع بين المذهبين:

وهناك نظرية ثالثة، يقول بها بعض المعتزلة، تجمع بين النظريتين السابقتين، إذ تقول بأن للخلافة أساسا عقليا وشرعيا في نفس الوقت، ويظهر أن التفتازاني وهو من فقهاء السنة، يرى مع هؤلاء بأن العقل يقضي، كما يقضي الإجماع، بوجوب إقامة الخلافة.

(يراجع شرح العقائد النسفية ص ١٤٣ - حيث يقول: «إذا قيل لماذا لا نكتفي بحكومة خاصة في كل إقليم، ومن أين جاءت ضرورة وجود سلطة عامة موحدة لجميع المسلمين. فإننا نجيب بأن تعدد الولايات، يؤدي إلى خصومات ومشاحنات تؤدي إلى الفوضى وتضر بالمصالح الدينية والدنيوية للمسلمين. كذلك إذا اعترض بأن أي حكومة مهما يكن شكلها تكفي لإقرار النظام. أجبنا بأن ذلك تكفي لاستقرار الشئون الدنيوية، ولكنه لا يحقق المصالح الدينية وهي الهدف الأساسي).

ونحن نعتقد بأن الدليل العقلي للبحث يستوجب وجود سلطة عامة أيا كان شكلها. ولكن الدليل الشرعي هو الذي يستوجب أن تكون هذه الحكومة قد توفرت فيها الخصائص المميزة لنظام الخلافة التي بيناها والتي باجتماعها تكون هذه الحكومة خلافة.

وعلى ذلك يكون للخلافة في نظرنا أساس عقلي، كما هو الشأن بالنسبة لأي نوع من أنواع الحكومات إلى جانب سندها

الشرعى وهو الإجماع، وأهمية هذا السند العقل أنه يمكّن نظام الخلافة من النمو والتطور طبقا لما يوجبه النظر العقلى ولكن يشترط إلى جانب ذلك أن تحتفظ بخصائصها المميزة لها. التى يوجبها السند الشرعى الخاص بهذا النظام.

مذهب الخوارج فى عدم وجوب أية حكومة:

نخرج من هذا المبحث بنتيجة هامة هى أن المذاهب الإسلامية جميعها، سواء منها أهل السنة، أو المعتزلة، أو الشيعة، مجمعة على وجوب الخلافة، والخلاف بينها مقصور على تحديد سند هذا الوجوب.

والفرقة الإسلامية الوحيدة التى خرجت على هذا الإجماع هم الخوارج فهم لا يقرون بوجوب إقامة (الخلافة) ولا أية حكومة أخرى من أى نوع.

حجج الخوارج فى عدم وجوب الخلافة:

يرى الخوارج أن وجود الخلافة أمر جوازى محض وحجتهم فى ذلك:

١ - أن الخلافة ليست ضرورية دائما، فإن الناس يمكن أن يحققوا مصالحهم وينظموا أمورهم بحكم غرائزهم، وعقيدتهم، دون حاجه إلى سلطة نظامية تحكمهم، كما هو الحال بالنسبة للبدو مثلا.

٢ - أن الخلافة ليست نافعة دائما، إذ لا ينتفع بوجود الخليفة إلا من يستطيع أن يصل إليه، وهذا غير ممكن إلا لعدد قليل من المسلمين.

٣ - أن الخلافة ليست دائما ممكنة، إذا أن الشروط اللازمة فى الخليفة لا يمكن توفرها فى جميع الأوقات، وفى هذه الحالة إذا فرضنا على المسلمين إقامة خليفة فإن معنى ذلك أن نلزمهم باختيار خليفة لم تتوفر فيه الشروط الشرعية، وهذا يخالف الشرع، أو نلزمهم بعدم اختيار خليفة، وهذا أيضا مخالفة للشرع.

٤ - أن الخلافة تؤدى فى كثير من الأحيان إلى فتن وحروب بين المسلمين بسبب التنافس عليها، وتاريخ الإسلام دليل على ذلك (تراجع هذه الحجج والرد عليها فى «المواقف» ٨ / ٣٤٧ - ٣٤٩ و «تقريب المرام» ص ٣٢٢).

الرد على حجج الخوارج:

إنه فيما عدا الحجة الثالثة الخاصة بشروط الأهلية للخلافة يلاحظ أولا - أن الحجج التى يستند إليها الخوارج ليست منصبة فقط على (الخلافة) كنظام معين من نظام الحكم بل إنها تنصب على جميع الحكومات أيا كان نوعها، ولذلك يمكن اعتبارهم «فوضويين» ... يعارضون وجود الحكومات جميعها، وإن كانوا يختلفون عن «الفوضويين» الأوروبيين فى أنهم يرون أنه من الممكن - بل من الواجب فى رأى بعضهم إقامة سلطة نظامية، متى كان ذلك ممكنا.

ويفند أهل السنة هذه الحجج واحدة فواحدة، فى ردهم على الخوارج، على النحو التالى: أن الزعم بأن الخلافة أى الحكومة ليست ضرورية لأن الناس يستطيعون أن ينظموا شئونهم وحدهم، يرد عليه بأن هذا مجرد افتراض نظرى إذ الواقع فى العمل أنه إذا لم توجد حكومة فإن الناس يعيشون فى الفوضى وحالة البدو الذين يستشهد بهم الخوارج تؤكد أنهم يعيشون فى الفوضى والاضطراب.

والادعاء بأن الخليفة لا يستطيع الوصول إليه إلا عدد من الناس لا ينفى أن الجميع يستفيد من الأمن والعدل الذى توفره لهم حكومته دون حاجة لكى يذهبوا لمقابلة الخليفة إلى مقره.

أما القول بأن الشروط التى يجب توفرها فى الشخص المرشح للخلافة ليكون أهلا لها لا يمكن توفرها دائما، فيرد عليه بأنه لا يجب الالتزام باختيار مثل هذا الشخص إلا فى حالة وجوده، وفى الرد على قولهم بأن التنافس على الخلافة يترتب عليه فتن وحروب أهلية، يقولون إنه يجب إعطاء الأولوية لمن هو أولى، فيقدم من هو أكثر علما، ثم من هو أكثر زهدا، ثم من هو أكبر سنا. والحقيقة أن الخوارج يناقضون أنفسهم عندما يقولون بوجوب تطبيق أحكام الشريعة بدون وجود خلافة، مع أن تطبيق الشريعة غير ممكن بدون وجود سلطة شرعية تلتزم بتنفيذ أحكام الشريعة وتلزم الناس باحترامها.

ترجيح وجوب إقامة الحكومة الإسلامية:

فى رأينا أن حجج الخوارج، سواء منها ماوجه ضد وجوب الحكومة الإسلامية (الخلافة الشرعية) باعتبارها نوعا خاصة من نظم الحكم، أو ما وجه ضد جميع أنظمة الحكم - هى حجج باطلة.

وبذلك يكون الرأى القائل بوجوب إقامة حكومة إسلامية (الخلافة)، الذى أجمعت عليه الفرق الأخرى، رأيا قويا لا مطعن عليه (فقه الخلافة / ٥٧ ـ ٦٩).

وفى هذا المعنى عن الخلافة جاءت هذه الأبيات للشيخ إبراهيم اللقانى فى منظومته الموسومة بجوهرة التوحيد، ونتبعها إن شاء الله تعالى بشرح العلامة شيخ الإسلام إبراهيم البيجورى. قال الناظم رحمه الله:

وواجب نصب إمام عدل

بالشرع فاعلم لا بحكم العقل

فليس ركنا يعتقد فى الدين

ولا تزغ عن أمره المبين

إلا بكفر فانبذن عهده

فالله يكفينا أذاه وحده

بغير هذا لا يباح صرفه

وليس يعزل إن أزيل وصفه

قوله: (وواجب نصب إمام عدل) واجب خبر مقدم ونصب مبتدأ مؤخر أى ونصب إمام عدل واجب على الأمة عند عدم النص من الله أو رسوله على معين، وعدم الاستخلاف من الإمام السابق، بخلافه عند النص من الله كما فى قوله تعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض﴾ [ص: ٢٦] أو من رسوله، أو الاستخلاف من الإمام السابق كما وقع من أبى بكر فإنه أوصى بالخلافة بعده لعمر رضى الله عنه، ولا فرق فى وجوب نصب الإمام بين زمن الفتنة، وغيره كما هو مذهب أهل السنة وأكثر المعتزلة، وقيل: يجب لتسكين الفتنة، وقيل: فى غيرها لأنه زمن الطاعة، وقيل: لا يجب أصلا، والمراد بالعدل هنا عدل الشهادة ولا يتحقق إلا بشروط خمسة: الإسلام لأن الكافر لا يراعى مصلحة المسلمين، والبلوغ والعقل لأن الصبى والمجنون لا يليان أمر نفسهما فلا يليان أمر غيرهما، والحرية لأن الرقيق مشغول بخدمة سيده ولأنه مستحقر فى أعين الناس فلا يهاب ولا يمتثل أمره، وعدم الفسق لأن الفاسق لا يوثق به فى أمره ونهيه. والمراد كونه عدلا ولو ظاهرا لأنه الذى كلفنا به فلا يشترط العدالة الباطنة، ثم إن هذه الشروط إنما هى فى الابتداء وحالة الاختيار وأما فى الدوام فلا يشترط كما يعلم مما يأتى. ولو تغلب عليها شخص قهرا انعقدت له، وإن لم يكن أهلا كصبى وامرأة وفاسق وتجب طاعته فيما أمر به أو نهى عنه كالمستوفى للشروط.

قوله: (بالشرع فاعلم لا بحكم العقل) أى أن وجوب نصب الإمام بالشرع عند أهل السنة فاعلم ذلك، ورد بقوله «لا بحكم العقل» على بعض المعتزلة كالجاحظ وغيره حيث ذهبوا إلى أن ذلك بالعقل لا بالشرع بناء على قاعدتهم من التحسين والتقبيح العقليين، ومن الوجوه الدالة على وجوبه بالشرع أن الشارع أمر بإقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش وذلك لا يتم الا بإمام يرجعون إليه فى أمورهم، وقد أجمعت الصحابة عليه بعد مفارقته الدنيا ﷺ واشتغلوا به عن دفنه ﷺ لأنه توفى يوم الاثنين عند الزوال فمكث ذلك اليوم وليلة الثلاثاء ودفن ﷺ فى آخر ليلة الأربعاء، وقال أبو بكر رضى الله عنه: ولا بد لهذا الأمر من يقوم به فانظروا وهاتوا آراءكم رحمكم الله تعالى، فقالوا من كل جانب من المسجد: صدقت صدقت، ولم يقل أحد منهم لا حاجة بنا إلى إمام، واجتمع المهاجرون يتشاورون فى شأن الخلافة فقالوا لأبى بكر: انطلق بنا إلى إخواننا الأنصار ندخلهم معنا فى أمر الخلافة. فقال: الأنصار منا أمير ومنكم أمير فقال عمر: من ثبت له مثل هذه الفضائل التى لأبى بكر قال تعالى: ﴿**ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن**﴾ [التوبة ٤٠] فأثبت صحبته بذلك وأثبت له معية كمعية نبيه بقوله تعالى: ﴿**إن الله معنا**﴾ ثم مد يده فبايع أبا بكر وبايعه الناس، ثم أمرهم بجهاز رسول الله ﷺ... قوله: «فليس ركنا يعتقد فى الدين» أى فليس نصب الإمام ركنا يعتقد فى قواعد الدين المجمع عليها المعلومة بالتواتر بحيث يكفر منكرها كالشهادتين والزكاة والصلاة وصوم رمضان والحج لأنه ليس معلوما من الدين بالضرورة فلا يكفر منكره. وقوله: (ولا تزغ عن أمره المبين) أى ولا تخرج عن امتثال أمره الواضح الجارى على قواعد الشريعة. وفى كلامه حذف الواو مع ما عطفت والتقدير عن أمره ونهيه كما أشار إليه الشارح، ولو حمل الأمر فى النظم على الشأن لعم الأمرين جميعا فتجب طاعته على الرعايا ظاهرا وباطنا لقوله تعالى: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم**﴾ [النساء: ٥٩] وهم العلماء والأمراء ولقوله ﷺ: «من أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصى أميرى فقد عصانى»؛ لكن لا يطاع فى الحرام والمكروه، وأما المباح فإن

كان فيه مصلحة عامة للمسلمين وجبت طاعته فيه وإلا فلا، فلو نادى بعدم شرب الدخان المعروف الآن وجبت عليهم طاعته لأن فى إبطاله مصلحة عامة إذ فى تعاطيه خسة لذوى الهيئات ووجوه الناس خصوصا إذا كان فى القهاوى، وقد وقع أنه أمر بترك الدخان فى الأسواق والقهاوى فيحرم الآن. قوله: (إلا بكفر فانبذن عهده) أى إلا إذا أمر بكفر فاطرحن بيعته جهرا، فإن لم يقدر على الجهر بذلك فاطرحها سرا. وقوله: (فالله يكفينا أذاه وحده) أى فالله تعالى يكفينا أذى الإمام الذى أمر بالكفر وحده إذ هو الذى ناصيته بقدرته. قوله: (بغير هذا لا يباح صرفه) أى بغير هذا الكفر من جميع المعاصى لا يجوز خلعه عن الإمامة لا جهرا ولا سرا. وقوله: (وليس يعزل إن أزيل وصفه) بسكون اللام من يعزل للوزن أى وليس يعزل إذا ولى مستكملا للشروط ثم أزيل وصفه السابق وهو العدالة بطرو الفسق خلافا لطائفة ذهبوا إلى أنه يعزل بذلك (المختار من شرح البيجورى على جوهرة التوحيد / ٢٤٣ـ ٢٤٦).

ويعقد الإمام السيوطى فصلا فى حسن المحاضرة عن المدن التى كانت قواعد الخلافة جاء فيه ما يلى:

قال ابن فضل الله فى المسالك: إن قاعدة الخلافة أول ما كانت المدينة شرفها الله مدة أبى بكر وعمر وعثمان، فلما انتهت الخلافة إلى على انتقل من المدينة إلى الكوفة، واتخذها قاعدة خلافته، وربما استوطن البصرة. وجاء ابنه الحسن والكوفة قاعدة خلافته على ما كان عليه أبوه، فلما ولى معاوية انتقلت قاعدة الخلافة إلى دمشق، واستقرت قاعدة لبنى أمية؛ وإن كان هشام قد سكن الرصافة، وعمر بن عبد العزيز خُناصرة، فإنهما لم يكونا قاعدتى خلافة، لأنهما سكناهما غير مفارقين لدمشق، بل هى القاعدة والمعتمدة بأنها مستقر الخلافة، ولم تزل كذلك إلى آخر الدوله الأموية. فلما ملك السفاح سكن الأنبار، فلما ولى المنصور بنى الهاشمية وسكنها، ثم بغداد، فصارت قاعدة الخلافة له ولبنيه إلى المعتصم؛ فبنى سُرَّ مَنْ رَأى، فانتقلت قاعدة الخلافة إليها. ثم بنى ابنه هارون الواثق إلى جانبها الهارونية، فانتقلت قاعدة الخلافة إليها. ثم بنى أخوه جعفر المتوكل إلى جانبها الجعفرية، فانتقلت قاعدة الخلافة إليها، ثم عادت قاعدة الخلافة إلى بغداد فى زمن المعتمد إلى المستعصم الذى قتلته التتار، فانتقلت قاعدة الخلافة إلى مصر.

قال: فانظر كيف تنقلت قواعد الخلافة من بلد إلى بلد بتنقل الزمان، وقد كانت بخارى قاعدة السلطنة زمن بنى ساسان، ثم صارت غزنة مكان محمود بن سبكتكين وبنيه، ثم همدان زمان الدولة السلجوقية، ثم خوارزم مكان الملوك الخوارزمية، ثم دمشق زمان الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكى، ثم مصر من زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وإلى اليوم (أى فى زمن الإمام السيوطى الذى توفى سنة ٩١١ هـ).

وإذا اعتبرت أحوال البلاد تجد السعادة قد نظرت هذه مرة، ثم تلك أخرى كما قال الشاعر:

وإذا نظرت إلى البقاع رأيتها
تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

واعلم أن مصر من حين صارت دار الخلافة عظم أمرها، وكثرت شعائر الإسلام فيها، وعلت فيها السنة، وعفت منها البدعة، وصارت محل سكن العلماء، ومحط رحال الفضلاء، وهذا سر من أسرار الله أودعه فى الخلافة النبوية حيث ما كانت يكون معها الإيمان والكتاب ...

والإيمان والعلم يكونان من الخلاف أينما كانت، فكانا أولا بالمدينة زمن الخلفاء الراشدين، ثم انتقلا إلى الشام زمن خلفاء بنى أمية، ثم انتقلا إلى بغداد زمن خلفاء بنى العباس، ثم انتقلا إلى مصر حين سكنها خلفاء بنى العباس؛ ولا يظن أن ذلك بسبب الملوك، فقد كانت ملوك بنى أيوب أجلَّ قدرا، وأعظم خطرا من ملوك جاءت بعدهم بكثير، ولم تكن مصر فى زمنهم كبغداد، وفى أقطار الأرض الآن من الملوك من هو أشد بأسا، وأكثر جندا من ملوك مصر، كالعجم والعراق والروم والهند والمغرب، وليس الدين قائما ببلادهم كقيامه بمصر، ولا شعائر للإسلام فى أقطارهم ظاهرة كظهورها فى مصر، ولا نشرت السنة والحديث والعلم فيها كما فى مصر.

ويفرِّق الإمام السيوطى بين الخلافة والملك والسلطنة من حيث الشرع فيقول:

قال ابن سعد فى الطبقات: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنى قيس بن الربيع، عن عطاء بن السائب، عن زاذان،

عن سلمان أن عمر بن الخطاب، قال له: أملك أنا أم خليفة؟ فقال: له سلمان إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر، ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة، فاستعبر عمر.

وقال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثني عبد العزيز بن الحارث، عن أبيه سفيان بن أبي العوجاء، قال: قال عمر بن الخطاب: والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك؟ فإن كنت ملكا، فهذا أمر عظيم، قال قائل: يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقا، قال: ما هو؟ قال: الخليفة لا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا في حق، وأنت بحمد الله كذلك، والملك يعسف الناس، فيأخذ من هذا، ولا يعطي هذا. فسكت عمر.

ثم يقول عمن يطلق عليه السلطنة من حيث المصطلح:

قال ابن فضل الله في المسالك: ذكر علي بن سعيد أن الاصطلاح ألا تطلق هذه التسمية إلا على من يكون في ولايته ملوك، فيكون ملك الملوك فيملك، مثل مصر، أو مثل الشام، أو مثل إفريقية، أو مثل الأندلس، ويكون عسكره عشرة آلاف فارس أو نحوها، فإن زاد بلادا أو عددا في الجيش، كان أعظم في السلطنة. وجاز أن يطلق عليه السلطان الأعظم، فإن خطب له في مثل مصر والشام والجزيرة ومثل خراسان وعراق العجم وفارس ومثل إفريقية والمغرب الأوسط والأندلس، كان سمته سلطان السلاطين كالسلجوقية (حسن المحاضرة ٢/ ٩٣، ٩٤، ١٢٥، ١٢٦).

أما من حيث النظم فلأمير الشعراء أحمد شوقي قصيدة بعنوان «خلافة الإسلام» ننقلها فيما يلي. ونبدأ بهذا التعليق الذي جاء في الهامش:

ما كاد العالم الإسلامي يفرح بانتصار الأتراك على أعدائهم في ميدان الحرب والسياسة، ذلك النصر الحاسم، الذي كان حديث الدنيا، والذي تم على يد مصطفى باشا كمال في سنة ١٩٢٣، حتى أعلن هذا إلغاء الخلافة، ونفي الخليفة من بلاد الأتراك، فنظم الشاعر هذه القصيدة يرثي فيها الخلافة، وينبه ممالك الإسلام إلى إسداء النصح للغازي، لعله يبني ما هدم وينصف من ظُلم.

وهذه هي القصيدة، وسوف نتبعها بشرح بعض ألفاظها وفقا للأرقام المعلَّمة بها الأبيات:

عادت أغاني العرس رجع نواح
ونعيت بين معالم الأفراح(١)

كُفِّنت في ليل الزفاف بثوبه
ودُفنت عند تبلُّج الإصباح(٢)

شُيِّعت من هلع بعبرة ضاحك
في كل ناحية، وسكرة صاح(٣)

ضجَّت عليك مآذن، ومنابر
وبكت عليك ممالك، ونواح

الهند والهةٌ، ومصر حزينة
تبكي عليك بمدمع سحَّاح(٤)

والشام تسأل، والعراق، وفارس
أمحا من الأرض الخلافة ماح؟

وأتت لك الجُمَعُ الجلائل مأتما
فقعدن فيه مقاعد الأنواح(٥)

يا للرجال لحرة موءودة
قُتلت بغير جريرة وجناح(٦)

إن الذين أست جراحك حربهم
قتلتك سلمُهمو بغير جراح(٧)

هتكوا بأيديهم ملاءة فخرهم
موشَّية مواهب الفتَّاح(٨)

نزعوا عن الأعناق خير قلادة
ونضوا عن الأعطاف خير وشاح(٩)

حسَبٌ أتى طول الليالي دونه
قد طاح بين عشية وصباح(١٠)

وعلاقة فُصمتْ عرى أسبابها
كانت أبرَّ علائق الأرواح

جمعت على البر الحضور، وربما
جمعت عليه سرائر النُّزَّاح(١١)

نظمت صفوف المسلمين وخَطْوَهم
في كل غدوة جمعة ورواح
بكت الصلاة، وتلك فتنة عابث
بالشرع، عربيد القضاء، وقاح[12]
أفتى خزعبلة، وقال ضلالة
وأتى بكفر في البلاد بواح[13]
إن الذين جرى عليهم فقهه
خلقوا لفقه كتيبة وسلاح
إن حدّثوا نطقوا بخرس كتائب
أو خوطبوا سمعوا بصم رماح
أستغفر الأخلاق، لست بجاحد
من كنت أدفع دونه وألاحي[14]
مالي أطوقه الملام وطالما
قلدته المأثور من أمداحي؟
هو ركن مملكة، وحائط دولة
وقريع شهباء، وكبش نطاح[15]
أأقول من أحيا الجماعة ملحد
وأقول من رد الحقوق إباحي؟
الحق أولى من وليك حرمة
وأحق منك بنصرة وكفاح
فامدح على الحق الرجال ولُمْهُمو
أو خلِّ عنك مواقف النُصّاح
ومن الرجال إذا انبريت لهدمهم
هرم غليظ مناكب الصفاح[16]
فإذا قذفت الحق في أجلاده
ترك الصراع مضعضع الألواح[17]
أدوا إلى الغازي النصيحة ينتصح
إن الجواد يثوب بعض جماح[18]
إن الغرور سقى الرئيس براحه
كيف احتيالك في صريع الراح؟

نقل الشرائع، والعقائد، والقرى
والناس نقل كتائب في الساح[19]
تركته كالشبح المؤله أمة
لم تسل بعد عبادة الأشباح
هم أطلقوا يده كقيصر فيهمو
حتى تناول كل غير مباح
غرّته طاعات الجموع، ودولة
وجد السواد لها هوى المرتاح
وإذا أخذت المجد من أمية
لم تُعط غير سرابه اللمّاح[20]
من قائل للمسلمين مقالة
لم يوحها غير النصيحة واح؟
عهد الخلافة فيَّ أول ذائد
عن حوضها ببراعة نضاح[21]
حبٌّ لذات الله كان، ولم يزل
وهوى لذات الحق والإصلاح
إني أنا المصباح، لست بضائع
حتى أكون فراشة المصباح[22]
غزوات (أدهم) كللت بذوابل
وفتوح (أنور) فُصّلت بصفاح[23]
ولّت سيوفهما، وبان قناهما
وشبا يراعي غير ذات براح[24]
لا تبذلوا برد النبي لعاجز
عُزُل، يدافع دونه بالراح[25]
بالأمس أوهى المسلمين جراحة
واليوم مد لهم يد الجراح[26]
فلتسمعن بكل أرض داعيا
يدعو إلى (الكذاب) أو لسجاح[27]
ولتشهدن بكل أرض فتنة
فيها يباع الدين بيع سماح

يُفتى على ذهب المعـــــز وسيفـــــه
وهـوى النفـوس، وحقـدها الملحـاح(٢٨)

وإليك الشرح مرقما بأرقام الأبيات:

١ ـ الأغاني: جمع أغنية وهى ما يترنم به ويتغنى فيه من شعر ونحوه. والرجع: ما يرد فى المكان الخالى على الإنسان إذا رفع صوته. والمعالم: جمع معلم وهو موضع الشيء الذى يظن فيه وجوده.

٢ ـ تبلُّج الإصباح: إشراقه وإنارته.

٣ ـ الهلع: الجزع الشديد. والعبرة: الدمعة قبل أن تفيض، وقيل: هى تحلب الدمع.

٤ ـ الوالهة: الحزينة أو التى ذهب عقلها حزنا. وسحاح: كثير السح وهو أن يسيل الماء من أعلى إلى أسفل.

٥ ـ الجُمع: واحدتها جمعة وهى الصلاة المفروضة بهذا الاسم. والأنواح: النائحات.

٦ ـ الموءودة: التى تدفن حية فى التراب. والجناح: الإثم.

٧ ـ أست جراحك: داوتها. السلم: الصلح، والسلام أيضا.

٨ ـ يقال: هتك الستر ونحوه: خرقه، أو جذبه فقطعه من موضعه، أو شق منه جزءا فبدا ما وراءه وموشية: منقوشة منمنمة. والفتّاح: من أسماء الله تعالى.

٩ ـ نضوا: خلعوا. والأعطاف: جمع عطف وهو الجانب من كل شيء والوشاح: شبه قلادة ينسج من جلد عريض ويرصع بالجوهر فتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها.

١٠ ـ طاح: ذهب.

١١ ـ البر: الصلة والرفق. والنُزّاح: البعيدون، جمع نازح.

١٢ ـ العربيد الشرير، والكثير العربدة، وهى سوء الخلق من السكر. والوقاح: ذو الوقاحة وهى قلة الحياء

١٣ ـ الخزعبلة: الفكاهة والمزاح، أما الباطل فهو الخزعبيل والخزعبل. ويقال: جاء بالكفر بواحا أى بيّنا، وقيل: جهارا.

١٤ ـ أدفع دونه: أرد عنه بالحجة. ألاحى: من الملاحاة وهى الملاعنة.

١٥ ـ القريع: الغالب فى المقارعة، وهى أن يضرب الأبطال بعضهم بعضا. والشهباء: الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح.

١٦ ـ المناكب هنا: الجوانب والنواحى. والصفاح: حجارة عريضة رقيقة.

١٧ ـ الأجلاد والتجاليد: جسم الإنسان وبدنه.

١٨ ـ الغازى: مصطفى كمال، وهو أيضا المراد بالرئيس فى البيت الثانى.

١٩ ـ الساح: جمع ساحة، والمراد ساحة الحرب.

٢٠ ـ اللماح: اللماع.

٢١ ـ الذائد: الحامى الدافع. والنضاح: الدافع أيضا.

٢٢ ـ الفراشة: حيوان ذو جناحين يطير ويتهافت على السراج حتى يحترق.

٢٣ ـ الذوابل: صفة للرماح. والصُفاح: جمع صفح وهو عرض السيف. وأدهم وأنور: هما القائدان التركيان الكبيران. والمراد. بالرماح والسيوف هنا الأقلام.

٢٤ ـ القنا: جمع قناة. والشبا: جمع شباة وهى حد كل شيء. البراح: الزوال.

٢٥ ـ العاجز العزل: حسين بن على شريف الحجاز، يريد أنه طامع فى الخلافة، فالأتراك إذا أصروا على خروجها منهم، كانوا بذلك قد بذلوها لهذا العاجز الذى لا يملك لحمايتها إلا يدا خالية. والراح: جمع راحة وهى بطن الكف.

٢٦ ـ بالأمس أوهى ... إلخ: الموصوف بهذا العمل هو حسين بن على أيضا، وهو إشارة إلى خروجه على المسلمين وموالاته أعداءهم فى الحرب الكبرى.

٢٧ ـ يريد أن تنحى الأتراك عن الخلافة أطمع فيها من لا يصلح لها، وجعل الدعاة لهؤلاء الطامعين يظهرون بكل مكان. والمراد بالكذاب: مسيلمة الكذاب. وسجاح: امرأة كانت تدعى النبوة.

٢٨ ـ المراد بذهبه وسيفه: المال الذى كان يبذل لمن

أطاعوه، والعقاب الذى كان يصيب من خالفوه (الشوقيات ١ / ٩٩ـ١٠٢).

ويتناول السيد عبد الحميد الخطيب فى أرجوزته الحافلة النظم الإدارية فى عهد رسول الله ﷺ، ومنها مقام الخلافة وما يتبعه من نظم متعددة فيقول:

النظم الإدارية فى عهده.

ونظـام دولتـه يقـوم على وظـا
ئف قـد أتت عن سيـد السـادات
عهـد النبى بهـا إلى من حـولـه
من صحبـه فى تلكم الأوقـات
واختـارهم فيهـا بثـاقب رأيـه
لكفـاءة فيهم بـلا مـريـات

مقام الخلافة:

فـولايـة الأحكـام بين النـاس أسنـ
ـدها لـه المـولى العلى الـذات
إذ كـان يـرأس قـومـه وعليهم
يقضى بمـا يـأتيـه من آيـات
ويسـوس كل شئـونهم فى السلم ثـ
ـم يـؤمهم فى سـاعـة الصلـوات
ولـدينهم يحمى ويـدفع عنهم
شـر البغـاة بأشـرف السـاحـات
إذ أنـه فـى الحـرب أعظم قـائد
دانت لـه الأجنـاد بـالطـاعـات
ولـه العـريش أقيم فـى بـدر ليجـ
ـلس فيـه فى رهط على أهبـات
وكـذا أقيمت دكـة لجلـوسـه
فى نفس مسجـده من اللبنـات
كى مـا يميـزه الغـريب إذا أتى
عن صحبـه فى حـالـة الجلسـات

نائب الخليفة:

وكـذاك قـد شـرع النيـابـة فى الإمـا
مـة عنـه عنـد العـذر حـال حيـاة
فـاستخلـف الصـديق من دون الصحـا
بـة فى الإمـامـة آخـر الأوقـات
وهـو الـذى فى عهـده أفتى وكـا
ن من العلـوم بأرفع الـدرجـات
ولهـذه الثقـة التى قـد نـالهـا
نـال الخـلافـة عنـه إثـر وفـاة

الأمين الأول:

وكـذلك الصـديق كـان يعلم النـ
ـاس التأدب سـاعـة النجـوات
وطـريقـة التسليم أو حسن المثـو
ل أمـام طـه سيـد السـادات
ولهم يـوصى بـالسكينـة والـوقـا
ر أمـامـه والخفض لـلأصـوات

كاتم السر:

وابن اليمـان (حـذيفـة) قـد كـان كـا
تم سـره عن سيئ النيـات

الترجمان:

والتـرجمـان لـديـه زيـد من بـأمـر
المصطفى قـد نـال علم لغـات
وغـدا يتـرجـم للنبى ولا يتـر
جم عنـه مـا يلى من الكلمـات

الوزراء

وكـذلك الصـديق مع عمـر همـا
كـانـا لـدى الهـادى محل ثقـات
وهمـا وزيـراه ومـوضع سـره
وهمـا لـديـه صـائبـا النظـرات
من يستشيـر ويستنيـر بمـا يقـو
لا ثم يمضى أصـوب القـولات
ويقـول من منكم تـولى منصبـا
ولـه أراد الله بـالخيـرات

جعل الإلــــه لــــه وزيــــرا صــــالحــــا
للعــــون والتــــذكيــــر فى الغفــــلات

الجلساء :

وكــــذاك كــــان لــــه من الــــرفقــــاء أر
بعــــة وعشــــر هم من الصفــــوات
عمــــر، أبــــو بكــــر، وحمــــزة، جعفــــر،
وعلــى، والحســــان، من قــــربــــات
وحــــذيفــــة، وكــــذا أبــــو ذر، ومصــــ
ــــعب، مع بــــلال، صــــاحب النفقــــات
سلمــــان، عمــــار بــــن يــاســــر، وابن مســــ
ــــعود. مــــلازمــــه إلى الحجــــرات

الحائزون لألقاب الشرف

وهنــــاك ألقــــاب حبــــاهــــا المصطفى
لجمــــاعــــة فى تلكم الأوقــــات
ليــــزيــــدهم شــــرفــــا بهــــا إذ أنهــــا
هى منــــه شــــاهــــدة على الخــــدمــــات

أمين الأمة :

فــأبــــو عبيــــدة كــــان ثم (أمين
أمتــــه) ولقبــــه بــــذى الكلمــــات

سيف الله :

وكــــذاك سمــى خــــالــــدا (سيف الإلــــ
ــــه) لمــــا حبــــاه الله من نصــــرات

أسد الله :

وكــــذاك حمــــزة قــــد دعى (أســــد الإلا
ــــه وكــــان ذا المسطــــور فى السمــــوات

القضاة :

ولقــــد تــــولى ستــــة فى عهــــده
أمــــر القضــــاء بــــواسع الخبــــرات
عمــــر، على، كــــذا ابن مسعــــود، وزيــــ
ــــد، من أجــــاد بقسمــــة التــــركــــات
وأبى بــن الكعــب، ثــم الأشعــــرى،
مــن كــــان فيهم ســــالم الطيبــــات

مدير المال :

وبــــلال كــــان مــــديــــر أمــــوال النبى
ولقــــد تــــولى الصــــرف والنفقــــات
وبأمــــره يكســــو ويطعم من يــــرى
ولــــزائريــــه يقــــدم الأقــــوات

مدير المؤنة الخاصة :

وأبــــو النجــــاشى (أبــــو بيــــزر) كــــا
ن على مــــؤنــــة سيــــد الســــادات

أمين العائلة

وأمينــــه فى أهلــــه كــــان ابن عــــو
ف من أتتــــه بشــــارة الجنــــات

جباة المال :

ومعــــاذ خيــــر معلم فى الشــــرع أر
سلــــه ليجبى واجب الصــــدقــــات
وكــــذا (ابن كعب) كــــان يقبض خمســــه
و (خــــزاعــــة) لمغــــانم الغــــزوات
و (أبــــو هــــريــــرة) كــــان يحفظ يــــوم عيــــ
ــــد الفطــــر للمختــــار مــــال زكــــاة

الحرس الخاص :

ولحمــل نعليــــه (ابــن مسعــــود) وكــــا
ن إذا مشى يسبقــــه فى الخطــــوات
إذ كــــان يحمــل للعصــــا ويسيــــر حتــــ
ــــتى يــــدخل المختــــار للحجــــرات
وكــــذاك يــــوقظــــه إذا مــــا نــــام ثــــ
ــــم لــــه يعــــد الــــرحل فى الــــرحــــلات
وكــــذاك (جلبــــة بن عــــامــــر) كــــان يمــــ
ــــشى خلف طــــه معظم الأوقــــات
وكــــذلك (الضحــــاك) سيــــاف النبى
يقــــوم عنــــد الــــرأس فى الجلســــات
يحميــــه من شــــر العــــداة إذا بــــدا
فى النــــاس مــــا قــــد يــــوجب الخيفــــات
وعلى حــــراستــــه (ابن وقــــاص) أقــــا
م كــــذا (أبــــو أيــــوب) فى فتــــرات

وكـــذلك (سعـــد بن المعـــاذ) وغيـــره
كـانـــوا لـــه حـــراس فى الســـاحـــات

الخدم الخـاص: أوردناهـا تحت عنوان «خـدم رسول الله ﷺ» فى م ١٥ / ٣٥٦ .

الكتّاب: يأتى تحت عنـوان «كتّـاب رسـول الله ﷺ» فى حرف الكاف إن شاء الله تعالى.

حامل الأختام:

ومعيقب قـــد كـــان حـــامل ختمـــه
إذ كـــان يحفظـــه مـن الضيعـــات

الأمراء: أوردناها تحت عنـوان «أمراء رسول الله ﷺ» فى م ٦ / ٦٠ فانظرها فى موضعها.

المحتسبون:

وكـــذا أقـــام بســـوق مكـــة حـــاكمـــا
لتفقـــد الأسعـــار والسلعـــات
يـــدعى بمحتسب هـــو (ابن العـــاص) من
يـــدعى (سعيـــدا) عـــالى الهمـــات
وكـــذا أقـــام بســـوق يثـــرب أولا
عمـــرا وسـن لـــذلك الســـدرات

صاحب الشرطة:

وكـــذا (ابن سعـد قيس) كـــان منفـذ الـــ
أحكـــام إذ هـــو صـــاحب الشـــرطـــات

المؤذنون:

ومـــؤذنـــو المختـــار كـــان بـــلال مع
(ابن أم مكتـــوم) لـــدى الصلـــوات
وكـــذا أبـــو محـــذورة فى مكـــة
بقبـــاء سعـــد القـــرظ فى مـــرات

الحداة:

حـــاديـــه أنجشـــة وعـــامـــر وابن أكـــو
ع من أصـــابـــوا الحسن فى الأصـــوات

خطيب الرسول:

وكـــذا ابن قيس ثـــابت يـــدعـى
(خطيب المصطفى) فيمـا عـدا الصلـوات

شعراء الرسول: يأتى تحت عنوان «شعراء الرسول الله ﷺ» فى حرف الشين إن شاء الله تعالى (سيرة سيد ولد آدم / ٨٩ - ٩٥).

(تيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٢ / ٣٢ ـ ٣٥، والفتاوى لابن تيمية ط دار الغد العربى م ٢ / ٤٠٨ ـ ٤١٠، ومقدمة ابن خلدون ط المكتبة التجارية الكبرى / ١٩٠ ـ ١٩٦، وفقه الخلافة وتطورها ـ د. عبد الرزاق أحمد السنهورى. قضايا إسلامية. سلسلة يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. العدد (٥). القاهرة ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م / ٥٧ ـ ٦٩، والمختار من شرح البيجورى على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم للقانى ـ تأليف شيخ الإسلام إبراهيم البيجورى / ٢٤٣ ـ ٢٤٦، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢ / ٩٣، ٩٤، ١٢٥، ١٢٦، والشوقيات لأمير الشعراء أحمد شوقى ١ / ٩٩ ـ ١٠٢، وسيرة سيد ولد آدم محمد ﷺ ـ نظم السيد عبد الحميد الخطيب/ ٨٩ـ ٩٥).

* **خلافة الأئمة الأربعة:**

من مخطوطات خزانة المدرسة العثمانية الرضائية (فى محالة الفرافرة ـ باب النصر) بحلب وهى الآن تحت رعاية الأوقاف. وجاء بيان المخطوط كما يلى:

تأليف: شهاب الدين أبى عبد الله أحمد بن حجر الهيثمى ٩٠٩ ـ ٩٧٣ هـ / ١٥٠٣ ـ ١٥٦٦ م.

كتاب ألفه مصنفه أولا لبيان حقيقة خلافة أبى بكر وإمارة عمر بن الخطاب، ثم زاد عليه ووسعه فأصبح سفرا ذكر فيه حقيقه خلاف الأئمة الأربعة وفضائلهم وما يتعلق بأحوالهم، ورتبه على مقدمات وعشرة أبواب وخاتمة.

أوله بعد البسملة: «قال شيخنا وسيدنا ... أبو عبد الله شهاب الدين أحمد بن حجر الشافعى الهيثمى.. الحمد لله الذى اختص بنبيه محمدا ﷺ بأصحاب كالنجوم ...».

آخره: «... والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا..

نسخة جيدة لم يذكر على طرتها عنوان الكتاب ولا فى الخطبة ويعود تاريخها إلى سنة ١٠٠٠ هـ فهى قريبة العهد بالمؤلف كتبها تقى الدين ابن الحاج أبى بكر الموقّت بالجامع الكبير بحلب بخط نسخ جيد ولم يميز أبواب الكتاب ومقدماته.

(١٤١) ق ـ المسطرة (٢٥) س ـ العثمانية ـ الرضائية (٢٤٧) التاريخ بروكلمان ٢ / ٣٨٩ ـ بروكلمان الذيل ٢ / ٥٢٩.

(المنتخب من المخطوطات العربية فى حلب مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥ / ٢٩٣، ٢٩٤).

* **الخلافيات:**

من مصنفات التراث الإسلامي في الفقه الحنفي .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلي : .

الرقم ٥٧٥٠ .

منظومة من ٢٦٦٩ بيتا .

تأليف، نجم الدين عمر بن محمد النسفي السمرقندي المتوفى سنة ٥٣٧ هـ/ ١١٤٢ م .

أولها :

بسم الإلـــــه رب كـل عبـــــد
والحمـــــد لله ولي الحمـــــد
ثم التحيــــات بغيـــر عـــد
علـى النبي المصطفى محمـــــد

آخرها :

قـــد انتهى نظم الخـــلافيـــات
والحمـــــد لله علـى الحـــالات
وصـــاحب النظم أبـــو حفص عمـــر
مـن نسف أتم هـــذا في صفـــر

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود كتبه علي الهمداني سنة ٧١١ هـ وعليه تملك باسم محمد الأذربجي الحنفي وغيره .

ق ٩٢، س ١٧، ١٨,٥ × ١٣ .

المراجع : كشف الظنون ١ / ٧٢١، فهرس المتحف البريطاني الملحق ١ / ٢٠٥، وفيه نسخة قديمة مخطوطة سنة ٧٨٧ هـ، معجم المؤلفين ٧/ ٣٠٥ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفي ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ٣٠٨، ٣٠٩) .

* **الخلافيات (علم ـ):**

انظر: الخلاف (علم ـ) .

* **الخلاق:**

بتخفيف اللام .

من أمثلة القياس التي ساقها الإمام ابن القيم الآية ٦٦ من سورة التوبة فيقول :

ومنه قوله تعالى : ﴿**كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا، أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وأولئك هم الخاسرون**﴾ [التوبة : ٦٨] وقد اختلف في محل هذا الكاف وما يتعلق به، فقيل: هو رفع خبر مبتدأ محذوف، أي : أنتم كالذين من قبلكم، وقيل نصب بفعل محذوف؛ تقديره : فعلتم كفعل الذين من قبلكم، والتشبيه على هذين القولين في أعمال الذين من قبل، وقيل : إن التشبيه في العذاب، ثم قيل : العامل محذوف، أي : لعنهم وعذبهم، كما لعن الذين من قبل، وقيل : بل العامل ما تقدم، أي، وعد الله المنافقين، كوعد الذين من قبلكم، ولعنهم كلعنهم، ولهم عذاب مقيم، كالعذاب الذي لهم .

والمقصود: أنه سبحانه ألحقهم بهم في الوعيد، وسوى بينهم فيه كما تساووا في الأعمال، وكونهم كانوا أشد منهم قوة، وكثر أموالا وأولادا فرق غير مؤثر، فعلق الحكم بالوصف الجامع المؤثر، وألغى الوصف الفارق، ثم نبه على أن مشاركتهم في الأعمال اقتضت مشاركتهم في الجزاء فقال: ﴿**فاستمتعوا بخلاقهم، فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا**﴾ فهذه هي العلة المؤثرة والوصف الجامع . وقوله ﴿**أولئك حبطت أعمالهم**﴾ هو الحكم، والذين من قبل هم الأصل، والمخاطبون : الفرع .

قال عبد الرزاق في تفسيره : أنا معمر عن الحسن في قوله : ﴿**فاستمتعوا بخلاقهم**﴾ قال : بذنبهم، ويروى عن أبي هريرة، وقال ابن عباس استمتعوا بنصيبهم من الآخرة في الدنيا، وقال آخرون بنصيبهم من الدنيا .

الخلاق :

وحقيقة الأمر أن الخلاق هو النصيب والحظ، كأنه الذي خلق للإنسان وقُدِّر له، كما يقال : قسمه الذي قسم له، ونصيبه الذي نصب له، أي : أثبت، وقِطُّه الذي قُطَّ له أي : قطع .

ومنه قوله تعالى : ﴿**وما له في الآخرة من خلاق**﴾ [البقرة : ٢٠٠] وقول النبي ﷺ «إنما يلبس الحرير في الدنيا من

لا خلاق له في الآخرة» والآية تتناول ما ذكره السلف كله : فإن سبحانه قال : ﴿كانوا أشد منكم قوة﴾ فبتلك القوة التي كانت فيهم ، كانوا يستطيعون أن يعملوا للدنيا والآخرة ، وكذلك الأموال والأولاد ، وتلك القوة والأموال ، والأولاد : هي الخلاق فاستمتعوا بقوتهم وأموالهم وأولادهم في الدنيا ، ونفس الأعمال التي عملوها بهذه القوة من الخلاق الذي استمتعوا به ، ولو أرادوا بذلك الله والدار الآخرة لكان لهم خلاق في الآخرة ، فتمتعهم بها أخذ حظوظهم العاجلة ، وهذا حال من لم يعمل إلا لدنياه ، سواء كان عمله من جنس العبادات أو غيرها .

ثم ذكر سبحانه حال الفروع فقال : ﴿فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم﴾ فدل هذا على أن حكمكم حكمهم وأنه ينالكم ما نالهم ؛ لأن حكم النظير حكم نظيره ثم قال : ﴿وخضتم كالذي خاضوا﴾ فقيل : (الذي) صفة لمصدر محذوف ، أي كالخوض الذي خاضوا ، وقيل لموصوف محذوف ، أي كخوض القوم الذي خاضوا ، وهو فاعل الخوض ، وقيل : الذي مصدرية كما ، أي : كخوضهم ، وقيل : هي موضع الذين .

أصل فساد الدين :

والمقصود أنه سبحانه جمع بين الاستمتاع بالخلاق ، وبين الخوض بالباطل ، لأن فساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به ، وهو الخوض ، أو يقع في العمل بخلاف الحق والصواب ، وهو الاستمتاع بالخلاق ، فالأول : البدع ، والثاني : اتباع الهوى ، وهذان هما أصل كل شر وفتنة وبلاء ، وبهما كذبت الرسل وعصي الرب ودُخلت النار ، وحلت العقوبات ، فالأول من جهة الشبهات ، والثاني من جهة الشهوات ، ولهذا كان السلف يقولون : احذروا من الناس صنفين : صاحب هوى فتنه هواه ، وصاحب دنيا أعجبته دنياه .

وكانوا يقولون : احذروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون ، فهذا يشبه المغضوب عليهم الذي يعلمون الحق ، ويعملون ، وهذا يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم .

وفي صفة الإمام أحمد رحمه الله عن الدنيا : ما كان أصبره ، وبالماضين ما كان أشبهه . أتته البدع ، فنفاها والدنيا فأباها ، وهذه حال أئمة المتقين الذين وصفهم الله في كتابه بقوله : ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [السجدة : ٢٤] فبالصبر تترك الشهوات ، وباليقين تدفع الشبهات كما قال تعالى : ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ «آخر العصر» وقوله تعالى : ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾ [ص : ٤٥] .

وفي بعض المراسيل : «إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات ، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات» فقوله تعالى : ﴿فاستمتعتم بخلاقكم﴾ إشارة إلى اتباع الشهوات وهو داء العصاة . وقوله : ﴿وخضتم كالذي خاضوا﴾ إشارة إلى الشبهات ، وهو داء المبتدعة وأهل الأهواء والخصومات ، وكثيرا ما يجتمعان ، فقيل من تجده فاسد الاعتقاد إلا وفساد اعتقاده يظهر في عمله .

والمقصود أن الله أخبر أن في هذه الأمة من يستمتع بخلاقه ، كما استمتع الذين من قبله بخلاقهم ، ويخوض كخوضهم ، وأنهم لهم من الذم والوعيد كما للذين من قبلهم ، ثم حضهم على القياس والاعتبار بمن قبلهم فقال : ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [التوبة : ٧٠] فتأمل صحة هذا القياس ، وإفادته لمن علق عليه من الحكم ، وأن الأصل والفرع قد تساويا في المعنى الذي عُلّق به العقاب ، وأكده كما تقدم بضرب من الأولى ، وهو شدة القوة ، وكثرة الأموال والأولاد ، فإذا لم يتعذر على الله عقاب الأقوى منهم بذنبه ، فكيف يتعذر عليه عقاب من هو دونه؟ ومنه قوله تعالى : ﴿وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين﴾ [الأنعام : ١٣٣] فهذا قياس جلي يقوله سبحانه : إن شئت أذهبتكم ، واستخلفت غيركم ، كما أذهبت من قبلكم واستخلفتكم .

في الآية أركان القياس الأربعة

فذكر أركان القياس الأربعة : علة الحكم ، وهي عموم مشيئته وكمالها ، والحكم ، وهو إذهابه بهم ، وإتيانه بغيرهم ،

والأصل، وهـو مـن كـان مـن قـبل. والـفرع وهـم المخاطبون.

(إعلام الموقعين عن رب العالمين للعلامة ابن قيم الجوزية ـ تحقيق الشيخ عبد الرحمن الوكيل ١ / ١٨٢ ـ ١٨٥).

*** الخلال:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم النبات.

قال عنه الأنطاكى:

الخلال: هو السذاب ويسمى الصقليس وهو نبات يكون قريب المياه والأراضى اللينة مربع الساق خشن الورق مرتفع نحو ذراعين وبزهر أبيض وأزرق ثم يخلق رءوسا ملززة منضدة طبقات فى فلكة صغيرة وفى تلك العيدان زهر ينشأ فيه بزر كالنانخواه حريف حاد إلى المرارة يسمى الوخشيزك وهذا النبات حار يابس فى الأولى يشد الأسنان ويطيب الفم وشرب ماءه يقتل الدود مجرب ويمنع تولده وإذا جلست فيه المرأة أصلح الرحم وماؤه يحلل الأورام طلاء ويشد اللثة ويحبس العرق والخلال يطلق على البسر.

(تذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٤٣).

*** الخَلّال (ـــ ٣١١ هـ / ٩٢٣ م):**

أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر. الخلال مفسر، عالم بالحديث واللغة، من كبار الحنابلة. من أهل بغداد، كانت حلقته بجامع المهدى. قال ابن أبى يعلى: له التفاسير الدائرة والكتب السائرة. وقال الذهبى: جامع علم أحمد ومرتِّبه. من كتبه «تفسير الغريب» و «طبقات أصحاب ابن حنبل» مخطوط، قطعة منه، و «الحث على التجارة والصناعة والعمل» مطبوع. فى دار الكتب و «السنة» و «العلل» و «الجامع لعلوم الإمام أحمد» فى الحديث، قيل: لم يصنف فى مذهب مثله، نحو مائتى جزء (الأعلام ١ / ٢٠٦).

ذكره الإمام الكتانى فى أصحاب كتب السنة، وهى الكتب الحاضة على اتباعها، والعمل بها، وترك ما حدث بعد الصدر الأول من البدع والأهواء. قال الإمام الكتانى: ولأبى بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادى الحنبلى المعروف بالخلال مؤلف علم أحمد بن حنبل وجامعه ومرتبه... وهو فى ثلاث مجلدات، وله أيضا كتاب «العلل» وهو فى عدة مجلدات، وغيره من التصانيف ا. هـ (الرسالة المستطرفة / ٢٩).

(الأعلام للزركلى ١ / ٢٠٦ وماجاء بهامشه من مراجع، والرسالة المستطرفة للإمام محمد بن جعفر الكتانى / ٩٢).

*** الخلّال (٣٥٢ ـ ٤٣٩ هـ / ٩٦٣ ـ ١٠٤٧ م):**

الحسن بن محمد بن الحسن بن على، أبو محمد، الخلال، فاضل من أهل بغداد. قال الخطيب البغدادى: «خرَّج المسند على الصحيحين، وجمع أبوابا وتراجم كثيرة». ومن كتبه «أخبار الثقلاء» و «المجالس العشر» مخطوط، من أماليه. نسخة قديمة جيدة، فى الرباط (المجموع ١٧٤ أوقاف).

(الأعلام للزركلى ٢ / ٢١٣).

*** الخلخلى:**

انظر: شرح الدائرة الهندية فى معرفة سمت القبلة.

*** الخُلد:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان، وقد بسط الكلام عليه صاحب حياة الحيوان الكبرى وأكثر من الاستطراد. وفيما يلى بعض ما أورده. قال رحمه الله:

بضم الخاء ونقل فى الكفاية عن الخليل بن أحمد فتح الخاء وكسرها قال الجاحظ هو دويبة عمياء صماء لا تعرف ما بين يديها إلا بالشم فتخرج من جحرها وهى تعلم أن لا سمع لها ولا بصر فتفتح فاها وتقف عند جحرها فيأتى الذباب فيقع على شدقها ويمر بين لحييها فتدخله جوفها بنفسها فهى تتعرض لذلك فى الساعات التى يكون فيها الذباب أكثر وقال غيره الخُلد فأر أعمى لا يدرك إلا بالشم قال أرسطو فى كتاب النعوت كل حيوان له عينان إلا الخلد وإنما خلق كذلك لأنه ترابى جعل الله له الأرض كالماء للسمك وغذاؤه من بطنها وليس له فى ظهرها قوة ولا نشاط ولما لم يكن له بصر عوَّضه الله حِدَّة حاسة السمع فيدرك الوطء الخفى من مسافة بعيدة فإذا أحس بذلك جعل يحفر فى الأرض قال والحيلة فى صيده أن يجعل له فى جحره قملة فإذا أحس بها وشم رائحتها خرج إليها ليأخذها وقيل إن سمعه بمقدار بصر غيره وفى طبعه الهرب من الرائحة الطيبة ويهوى رائحة الكراث والبصل وربما صيد بهما فإنه إذا شمهما خرج إليهما وهو إذا جاع فتح فاه فيرسل الله تعالى له الذباب فيسقط عليه فيأكله وذكر بعض

المفسرين أن الخلد هو الذى خرب سد مأرب وذلك أن قوم سبأ كانت لهم جنتان أى بستانان عن يمين من يأتيها وشماله قال الله تعالى لهم ﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾ [سبأ : ١٥] أى على ما أنعم به عليكم وكانت بلدتهم طيبة لا يرى فيها بعوض ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ولا ذباب وكان الركب يأتون وفى ثيابهم القمل وغيره فإذا وصلوا إلى بلادهم ماتت وكان الإنسان يدخل البستان والمكتل على رأسه فيخرج وقد امتلأ من أنواع الفواكه من غير أن يتناول منها شيئا بيده فيبعث الله لهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم إلى الله وذكروهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه فأعرضوا وقالوا ما نعرف لله علينا من نعمة وكان لهم سد بنته بلقيس لما ملكتهم وبنت دونه بركة فيها اثنا عشر مخرجا على عدد أنهارهم فكان الماء يقسم بينهم على ذلك فلما كان من شأنها مع سليمان عليه الصلاة والسلام ما كان مكثوا مدة بعدها ثم طغوا وبغوا وكفروا فسلّط الله عليهم جرذا أعمى يقال له الخلد فنقب السد من أسفله فهلكت أشجارهم وخربت أرضهم وكانوا يزعمون فى عملهم وكهانتهم أن سدهم ذلك تخربه فأرة فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة فلما جاء الوقت الذى أراد الله تعالى أقبلت فأرة حمراء إلى هرة من تلك الهرار فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت فى الفرجة التى كانت عندها ونقبت وحفرت فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه حتى قلع السد وفاض على أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم بالرمال (وروى) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ووهب وغيرهما أنهم قالوا : كان ذلك السد بنته بلقيس وذلك أنهم كانوا يقتتلون على ماء أوديتهم فأمرت بواديهم فسد بالعرم وهو بلغة حمير فسدت بين الجبلين بالصخر والقار وجعلت له أبوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثنى عشر مخرجا على عدد أنهارهم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء وإذا استغنوا عنه سدوها فإذا جاء المطر اجتمع إليه ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه فى البركة فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثانى ثم من الثالث الأسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك والله أعلم (ونقل) الإمام أبو الفرج بن الجوزى عن الضحاك أن الجرذ الذى خرب سد مأرب كان له مخاليب وأنياب من حديد وأن أول من علم بذلك عمرو بن عامر الأزدى وكان سيدهم وكان قد رأى فى المنام كأنه انبثق عليه الردم فسال الوادى فأصبح مكروبا فانطلق نحو الردم فرأى الجرذ يحفر بمخاليب من حديد ويقرض بأنياب من حديد فانصرف إلى أهله فأخبر امرأته وأراها ذلك وأرسل بنيه فنظروا فلما رجعوا قال هل رأيتم ما رأيت قالوا نعم قال فإن هذا الأمر ليس لنا إلى إذهابه من سبيل وقد اضمحلت الحيلة فيه لأن الأمر من الله وقد آذن الله بالهلاك ثم إنه عمد إلى هرة فأخذها وأتى إلى الجرذ فصار الجرذ يحفر ولا يكترث بالهرة فولت الهرة هاربة فقال عمرو لأولاده واحتالوا لأنفسكم فقالوا ياأبت كيف نحتال فقال إنى محتال لكم بحيلة قالوا افعل فدعا أصغر بنيه وقال له إذا جلست فى المجلس واجتمع الناس على العادة وكان الناس يجتمعون إليه وينتهون برأيه فإنى آمرك بأمر فتغافل عنه فإذا شتمتك فقم إلىّ والطمنى ثم قال لأولاده فإذا فعل ذلك فلا تنكروا عليه ولا يتكلم أحد منكم فإذا رأى الجلساء فعلكم لم يجسر أحد منهم أن ينكر عليه ولا يتكلم فأحلف أنا عند ذلك يمينا لا كفارة لها أن لا أقيم بين أظهر قوم قام إلىّ أصغر بنى فلطمنى فلم يغيروا فقالوا نفعل ذلك فلما جلس واجتمع الناس إليه أمر ابنه الصغير ببعض أمره فلها عنه فشتمه فقام إليه ولطم وجهه فعجب الجماعة من جراءة ابنه عليه وظنوا أن أولاده يغيرون عليه فنكسوا رءوسهم فلما لم يغر أحد منهم قام الشيخ وقال أيلطمنى ولدى وأنتم سكوت ثم حلف يمينا لا كفارة لها أن يتحول عنهم ولا يقيم بين أظهر قوم لم يغيروا عليه فقام القوم يعتذرون إليه وقالوا له ما كنا نظن أن أولادك لا يغيرون فذاك الذى منعنا فقال قد سبق منى ما ترون وليس إلى غير التحول من سبيل ثم إنه عرض ضياعه للبيع وكان الناس يتنافسون فيها واحتمل بثقله وعياله وتحول عنهم فلم يلبث القوم إلا يسيرا حتى أتى الجرذ على الردم فاستأصله فبينما القوم ذات ليلة بعدما هدأت العيون إذا هم بالسيل فاحتمل أنعامهم وأموالهم وخرب ديارهم فذلك قوله تعالى ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ [سبأ : ١٦] وفى العرم أقوال قيل هو المسناة أى السد قاله قتادة وقيل هو اسم الوادى قال السهيلى وقيل اسم الخلد الذى خرق السد وقيل هو السيل الذى لا يطاق وأما مأرب فبسكون الهمزة اسم لقصر كان لهم وقيل هو اسم لكل ملك كان على سبأ كما أن تُبّعا اسم لكل من ولى

اليمن والشجر وحضرموت قاله المسعودى وقال السهيلى وكان السد من بناء سبأ بن يشجب وكان قد ساق إليه سبعين واديا ومات من قبل أن يتممه فأتمته ملوك حمير واسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان قيل إنه أول من سبى فسمى سبأ وقيل إنه أول من تتوج من ملوك اليمن وقال المسعودى بناه لقمان بن عاد وجعله فرسخا فى فرسخ وجعل له ثلاثين شعبا فأرسل الله عليه سيل العرم وفرقوا ومزقوا حتى صاروا مثلا فقالواتفرقوا أيدى سبأ وأيادى سبأ قال الشعبى لما غرقت قراهم تفرقوا فى البلاد فأما غسان فلحقوا بالشأم والأزد إلى عمان ومر خزاعة إلى تهامة وجذيمة إلى العراق والأوس والخزرج إلى يثرب وكان الذى قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الأوس والخزرج

روى أبو سبرة النخعى عن فروه بن مسيك القطيفى قال قال رجل يا رسول الله أخبرنى عن سبأ أكان رجلا أو امرأة أو أرضا فقال ﷺ : كان رجلا من العرب وله عشرة أولاد تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة فأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومذجح وأنمار وحمير فقال الرجل وما أنمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة وأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان ...

التعبير: الخلد تدل رؤيته على العمى والتيه والتبدد والحيرة والاختفاء وضيق المسلك وربما دلت رؤيته على حدة السمع لمن يشكو ضررا من سمعه إن رؤى مع ميت فهو فى النار لقوله عز وجل وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون وربما كان فى الجنة وسكن جنة الخلد والله تعالى أعلم (حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٧٠ـ٢٧٣).

وقد ذكر الخلد أيضا صاحب تذكرة أولى الألباب فقال: وهو حار فى الثالثة دمه يقلع جميع الآثار طلاء وكحلا ورماد رأسه يقطع الرعاف والدم السائل حيث كان، وإن طلى على الأورام حللها. (التذكرة ١ / ١٤٣).

(حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١ / ٢٧٠ ـ ٢٧٣، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٤٣).

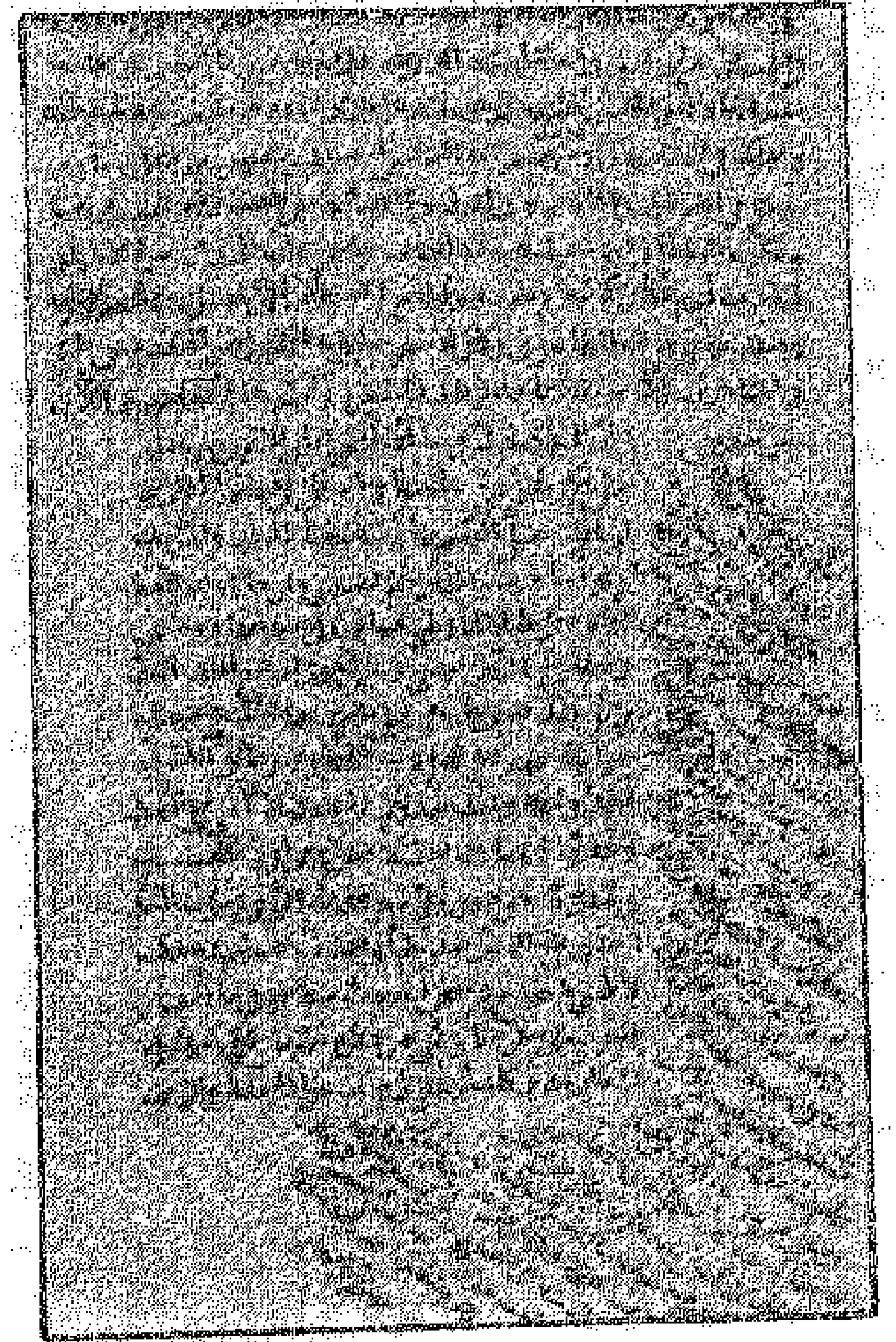
*** ابن خلدون (٧٣٢ـ٨٠٧ أو ٨٠٨ هـ / ١٣٣٢ـ١٤٠٦م):**

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى الملقب بولى الدين المكنى بأبى زيد المعروف بقاضى القضاة التونسى المولد المالكى المذهب المحدث الحافظ الفقيه الأصولى المؤرخ الرحالة الكاتب الأديب (الفتح المبين / ١٣).

قال عنه السخاوى: هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم ابن محمد بن عبد الرحيم ولى الدين أبو زيد الحضرمى من ولد وائل بن حجر الأشبيلى الأصل التونسى ثم القاهرى المالكى ويعرف بابن خلدون ـ بفتح المعجمة وآخره نون. ولد فى أول رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بتونس وحفظ القرآن والشاطبيتين ومختصر ابن الحاجب الفرعى والتسهيل فى النحو وتفقه بأبى عبد الله محمد بن عبد الله الحيانى وأبى القاسم محمد بن القصير وقرأ عليه التهذيب لأبى سعيد البراذعى وعليه تفقه وانتاب مجلس قاضى الجماعة أبى عبد الله محمد بن عبد السلام واستفاد منه وعليه وعلى أبى عبد الله الوادياشى سمع الحديث وكتب بخطه أنه سمع صحيح البخارى على أبى البركات البلقينى وبعضه بالإجازة والموطأ على ابن عبد السلام وصحيح مسلم على الوادياشى انتهى. وأخذ القراءات السبع إفرادا وجمعا بل قرأ ختمة أيضا ليعقوب عن المكتب أبى عبد الله محمد بن سعد بن بزال الأنصارى وعرض عليه الشاطبيتين والتقصى والعربية عن والده وأبى عبد الله محمد بن العربى الحصائرى وأبى عبد الله بن بحر والمقرى أبى عبد الله محمد بن الشواس الزواوى وأبى عبد الله بن القصار ولازم العلاء أبا عبد الله الأشبيلى وانتفع به وكذا أخذ عن أبى محمد المهيمن الحضرمى وأبى عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلى شيخ المعقول بالمغرب وآخرين، واعتنى بالأدب وأمور الكتابة والخط وأخذ ذلك عن أبيه وغيره ومهر فى جميعه وحفظ المعلقات وحماسة الأعلم وشعر حبيب بن أوس وقطعة من شعر المتنبى وسقط الزند للمعرى وتعلق بالخدم السلطانية وولى كتابة العلامة عن صاحب تونس؛ ثم توجه فى سنة ثلاث وخمسين إلى فاس فوقع بين يدى سلطانها أبى عنان ثم امتحن واعتقل نحو عامين ثم ولى كتابة السر لأبى سالم أخى أبى عنان وكذا النظر فى المظالم، ثم دخل الأندلس فقدم غرناطة فى أوائل ربيع الأول سنة أربع وستين وتلقاه سلطانها ابن الأحمر عند قدومه ونظمه فى أهل مجلسه، وكان رسوله إلى عظيم الفرنج بإشبيلية فعظمه وأكرمه وحمله وقام بالأمر الذى ندب إليه، ثم توجه فى سنة ست وستين إلى بجاية ففوض إليه صاحبها تدبير مملكته مدة؛ ثم

نزح إلى تلمسان باستدعاء صاحبها وأقام ببوادى العرب مدة ثم توجه من بسكرة إلى فاس فنهب فى الطريق ومات صاحبها قبل قدومه ومع ذلك فأقام بها قدر سنتين، ثم توجه إلى الأندلس ثم رجع إلى تلمسان فأقام بها أربعة أعوام، ثم ارتحل فى رجب سنة ثمانين إلى تونس فأقام بها من شعبانها إلى أن استأذن فى الحج فأذن له فاجتاز البحر إلى إسكندرية، ثم قدم الديار المصرية فى ذى القعدة سنة أربع وثمانين فحج ثم عاد إليها وتلقاه أهلها وأكرموه وأكثروا ملازمته والتردد إليه بل تصدر للإقراء بجامع الأزهر مدة ولازم هو الطنبغا الجوبانى فاعتنى به إلى أن قرره الظاهر برقوق فى تدريس القمحية بمصر ثم فى قضاء المالكية بالديار المصرية فى جمادى الآخرة سنة ست وثمانين (الضوء اللامع م ٢ حـ ٤ / ١٤٥، ١٤٦).

أخذ عنه كثير من العلماء والفضلاء منهم ابن مرزوق الحفيد والدمامينى والبسيلى والبساطى وابن عمار وابن حجر وغيرهم وله مؤلفات منها شرح البردة ولخص كثيرا من كتب ابن رشد وله تعليق فى المنطق وتلخيص لمحصل الفخر الرازى فى الأصول وله مؤلفات فى الحساب وأصول الفقه غير ما تقدم وله كتاب التاريخ الذى سار ذكره فى الآفاق مسير الركبان وهو



المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر وهو كتاب يدل على تفوقه وتضلعه فى التاريخ والعلوم المختلفة (انظر صورة المخطوطة).

توفى رحمه الله فجأة بالقاهرة سنة ٨٠٧ وقيل ٨٠٨ هـ (١٤٠٦ م) ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر (الفتح المبين ٣ / ١٣، ١٤).

وقد ذكره الحافظ السيوطى فيمن كان بمصر من الفقهاء المالكية وقال عنه:

برع فى العلوم، وتقدم فى الفنون، ومهر فى الأدب والكتابة، وولى كتابة السر بمدينة فاس، ثم دخل القاهرة فولى مشيخة البيبرسية وقضاء المالكية، وصنف التاريخ الكبير. مات فى رمضان سنة ثمان وثمانمائة (حسن المحاضرة ١/ ٤٦٢).

كما ترجم له الأستاذ أحمد حسن الزيات فقال عنه:

ينتهى نسبه إلى وائل من أقيال كندة. هاجر جده التاسع خلدون إلى الأندلس فى أواخر القرن الثالث للهجرة وأقامت عشيرته فى أشبيلية. ثم انتقلت إلى تونس حين الجلاء حيث ولد هذا العالم الكبير سنة ٧٣٢ هـ. ودرج فى مهد السراوة والعلم، وتأدب على أبيه ثم على غيره؛ فجود القرآن وضرب فى كل العلوم بسهم. وبرع فى الفقه والعربية وتبحر فى التاريخ فاستجلى غوامضه واستقصى مباحثه، حتى أصبح فيه قريع دهره ونسيج وحده. وطمحت نفسه فى طفولته إلى خدمة السلاطين فاتصل بكثير من ملوك الأندلس والمغرب، وتقلد الكتابة والحجابة والقضاء؛ إلا أنه كان قليل المكث فى كل منصب تقلده لعزة نفسه وصراحة قوله وكثرة حساده.

فلما كانت سنة ٧٦٤ وفد على الأندلس فاهتز له الغنى بالله صاحب غرناطة وبعث خاصته لاستقباله وإكرام وفادته، وألزمه مجلسه وانفرد به دون وزيره فحقد عليه هذا حقدا عرفه ابن خلدون، فغادر الملك والوزير وشأنهما وعاد إلى وطنه. ثم أخذ يجول فى الأرض ويطوف فى البلاد حتى بلغ مصر سنة ٧٨٤ هـ فقام بالتدريس فى الجامع الأزهر واتصل بالسلطان برقوق فعرف حقه وولاه على تمنع منه قضاء المالكية فأقام المعدلة، وحكم المنصفة، وضرب على أيدى القضاة فثار به ثائرهم واختلقوا عليه الأكاذيب ورفعوا شكواهم إلى السلطان فلم يقم لكلامهم وزنا. ولكن ابن خلدون سئم هذه الحياة

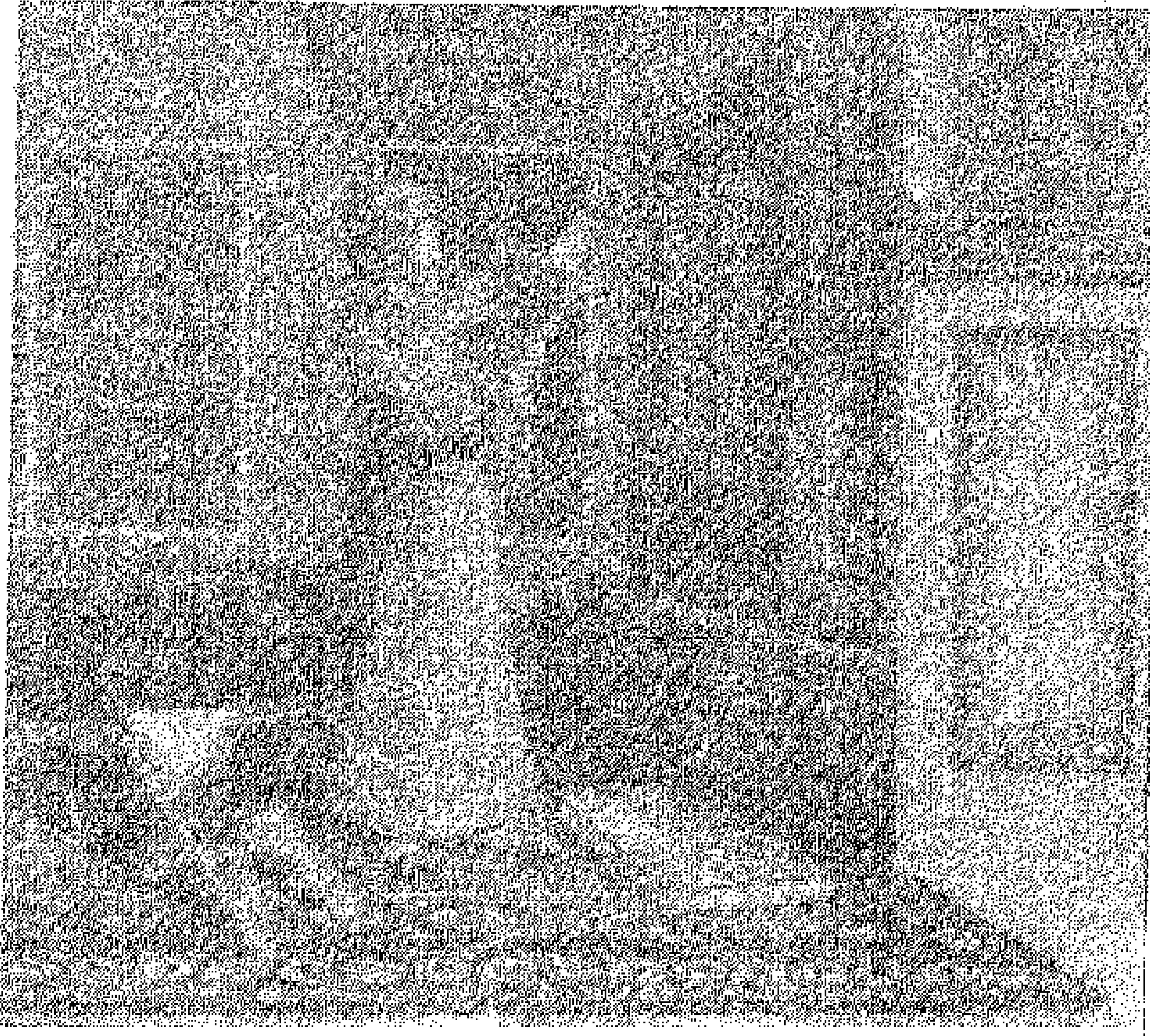
المرة، وضجر من تلك المكائد المستمرة. ووافق ذلك غرق أسرته وهى قادمة إليه من تونس، فنالت منه هذه المحنة، فاستعفى من القضاء وأدى فريضة الحج واعتزل فى ضيعة له بالفيوم أقطعه السلطان إياها، وانصرف إلى التدريس والتأليف. ثم عاد ثانية إلى القضاء ومعالجة الحظوظ، فما زال يولى ويعزل، وينصر ويخذل، حتى وافاه أجله بمصر سنة ٨٠٨ هـ وهو قاضى المالكية للمرة السادسة.

قال فيه لسان الدين بن الخطيب: كان رجلا فاضلا، حسن الخلق، جم الفضائل، ظاهر الحياء، وقور المجلس، خاص الزى، عزوفا عن الضيم، صعب المقادة، خاطبا للحظ، متقدما فى فنون عقلية ونقلية، سديد البحث، كثير الحفظ، بارع الخط، مغرى بالتجلة، حسن العشرة، إلى غير ذلك من الأوصاف التى تصدقها آراؤه وآثاره.

ظهر ابن خلدون فى عصر كسدت فيه العلوم ودرست الآداب وأزهقت الصناعة روح الكتابة، فهداه طبعه إلى الرجوع بالإنشاء إلى عهده والوقوف به عند حده. فرغب عن السجع وزهد فى البديع وسار باللفظ وراء المعنى. وقد صرح بذلك فى كلامه عن كتابته لأبى سالم أحد ملوك الأندلس إذ يقول: «وكان أكثرها يصدر عنى بالكلام المرسل بدون أن يشاركنى أحد ممن ينتحل الكتابة فى الأسجاع لضعف انتحالها، وخفاء المعانى فيها على أكثر الناس بخلاف المرسل فانفردت به يومئذ، وكان مستغربا عند من هم من أهل هذه الصناعة. ثم أخذت نفسى بالشعر فانثالت علىَّ منه بحور، توسطت بين الإجادة والقصور» وحكمه على نفسه من الحق والصراحة بحيث لا يحتاج إلى تعليق ولا تعقيب. وبهذا رغب ابن خلدون عن السجع وزهد فى البديع، وجعل اللفظ خادما للمعنى.

نظر ابن خلدون فى التاريخ فحرر مباحثه، وعلل حوادثه، ووضع كتابه المشهور «بالعبر وديوان المبتدأ والخبر» وهو ثلاثة كتب فى سبعة مجلدات يمتاز بما تضمنه من المقدمات الفلسفية فى صدور الفصول عند الانتقال من دولة إلى دولة، والصراحة فى القول، والسداد فى الرأى، والإنصاف فى الحكم.

على أن فضل الرجل وشهرته إنما هى بالكتاب الأول من

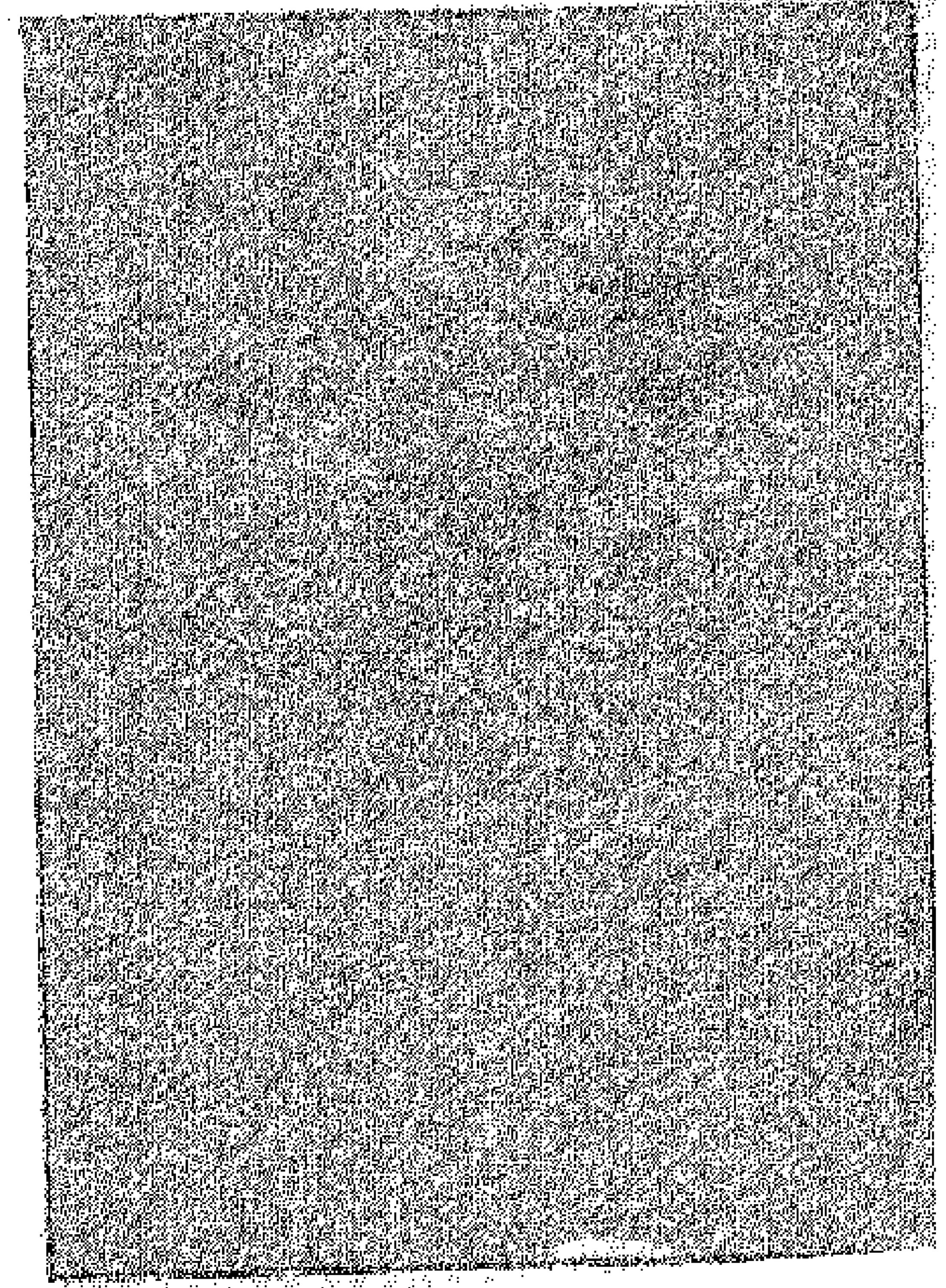


ابن خلدون

هذا التاريخ وهو المعروف بالمقدمة. لاشتماله على أبحاث مبتدعة منوعة فى الاجتماع والاقتصاد وفلسفة التاريخ، واستنباط الأسباب والعلل مما طالعه أو شاهده فى حياته العظيمة ورحلاته العديدة. وتنقسم هذه المقدمة إلى ستة فصول: الأول فى النشوء والارتقاء، والثانى فى الاجتماع، والثالث فى السياسة العلمية، والرابع فى الهندسة الحربية، والخامس فى الاقتصاد السياسى، والسادس فى تاريخ آداب اللغة العربية، فهى خزانة علم وأدب فضلا عن أسلوبها الرشيق المتسق.

والراجح أن ابن خلدون أول إنسان استنبط فلسفة التاريخ وسماها طبيعة العمران فى الخليقة. وقد فصلها فى مقدمته واستشهد على كل ما كتب بالحوادث التاريخية الصحيحة، مما دل على سداد رأيه وصدق نظره وانفساح ذرعه فى الاستنباط والتعليل. على أن العلماء أخذوا عليه إخلاله بالقواعد التى وضعها لكتابة التاريخ، ولم يسلم من المآخذ التى أخذها على سابقيه. وسبحان من تفرد بالكمال! (تاريخ الأدب العربى / ٤٠٩ - ٤١٢).

ولقد نالت مقدمة ابن خلدون وهى المقدمة التى كتبها لمؤلفه التاريخى المعروف بديوان المبتدأ والخبر - كما سبق القول - من الشهرة فى الفكر الأوربى ما لم ينله أى كتاب عربى آخر وترجمت إلى معظم اللغات الأوربية، وكتبت عنها وعن مؤلفها الدراسات المستفيضة. ولقد بوأته تلك المقدمة



مركزا ساميا فى الدراسات الاجتماعية والتاريخية والسياسية والجغرافية.

أما ما يتعلق بجزئها الجغرافى فقد اشتملت عليه «المقدمة الثانية» التى وردت تحت عنوان «فى قسم العمران فى الأرض والإشارة إلى بعض ما فيه من البحار والأنهار والأقاليم» ويلى المقدمة الثانية «تكملة لهذه الثانية» بعنوان «فى أن الربع الشمالى من الأرض أكثر عمرانا من الربع الجنوبى وذكر السبب فى ذلك» وتليها «المقدمة الثالثة» بعنوان «فى المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء فى ألوان البشر والكثير من أحوالهم» وتشتمل المقدمة الخامسة أيضا على بعض المواضع الجغرافية، ولا سيما ما يتعلق منه بجغرافية الاستيطان، وقد حملت عنوان «فى اختلاف أحوال العمران فى الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من آثار فى أبدان البشر وأخلاقهم».

ولقد تضمنت تلك المقدمات مختلف أنماط المعرفة الجغرافية التى اقتبست من كتب السابقين، ولا سيما الإدريسى وابن سعيد وياقوت، كما أنه رجع فى بعض آرائه إلى المؤلفات اليونانية والرومانية، وخصوصا مؤلفات بطليموس. ولا يعيب ذلك معلومات ابن خلدون الجغرافية لأنه لم يكن مجرد ناقل بل كان متفهما ومدركا وواعيا للمفاهيم الجغرافية على اختلاف أشكالها. ولقد تضمنت معلوماته الكثير من الآراء التى باتت تعتبر اليوم من الأسس الهامة فى الجغرافية البشرية عموما والجغرافية السياسية وجغرافية المدن على نحو الخصوص. غير أننا لا يمكن على أية حال أن نعتبر ابن خلدون أحد أساطين الجغرافية العربية، فهو لم يكن جغرافيا أساسا، بل كان مؤرخا ومفكرا قبل كل شيء (كتابات مضيئة / ٢٤٨، ٢٤٩).

وكان ابن خلدون إماما حكيما فى التاريخ أكثر مما كان إماما فى الكتابة، فإنه يعتبر من أكبر واضعى علمى العمران والاجتماع بما خطه فى مقدمته.

ولم تعد أحكامه فى سياسة الممالك الاستبدادية التى ذكرها فى مقدمته مطردة فى عصرنا هذا، إذ أصبحت طريقة الحكم بممالك عصرنا دستورية، إلا أن معدات الحروب وظواهر المدنية الحاضرة تختلف كثيرا عن حالتها السابقة.

ويؤخذ على ابن خلدون فى مقدمته إنحاؤه على العرب وقسوته فى الحكم عليهم فى كثير من سياسة الملك.

ويمتاز تاريخه بأنه التاريخ الوحيد الذى فصل الكلام على دول المغرب من البربر وغيرهم.

وكان ابن خلدون شاعرا، طويل النفس، وشعره بالإضافة إلى شعر عصره غاية فى الجودة، وإن وصفه هو بأنه متوسط بين الجودة والقصور تواضعا منه (الوسيط / ٣٠٥).

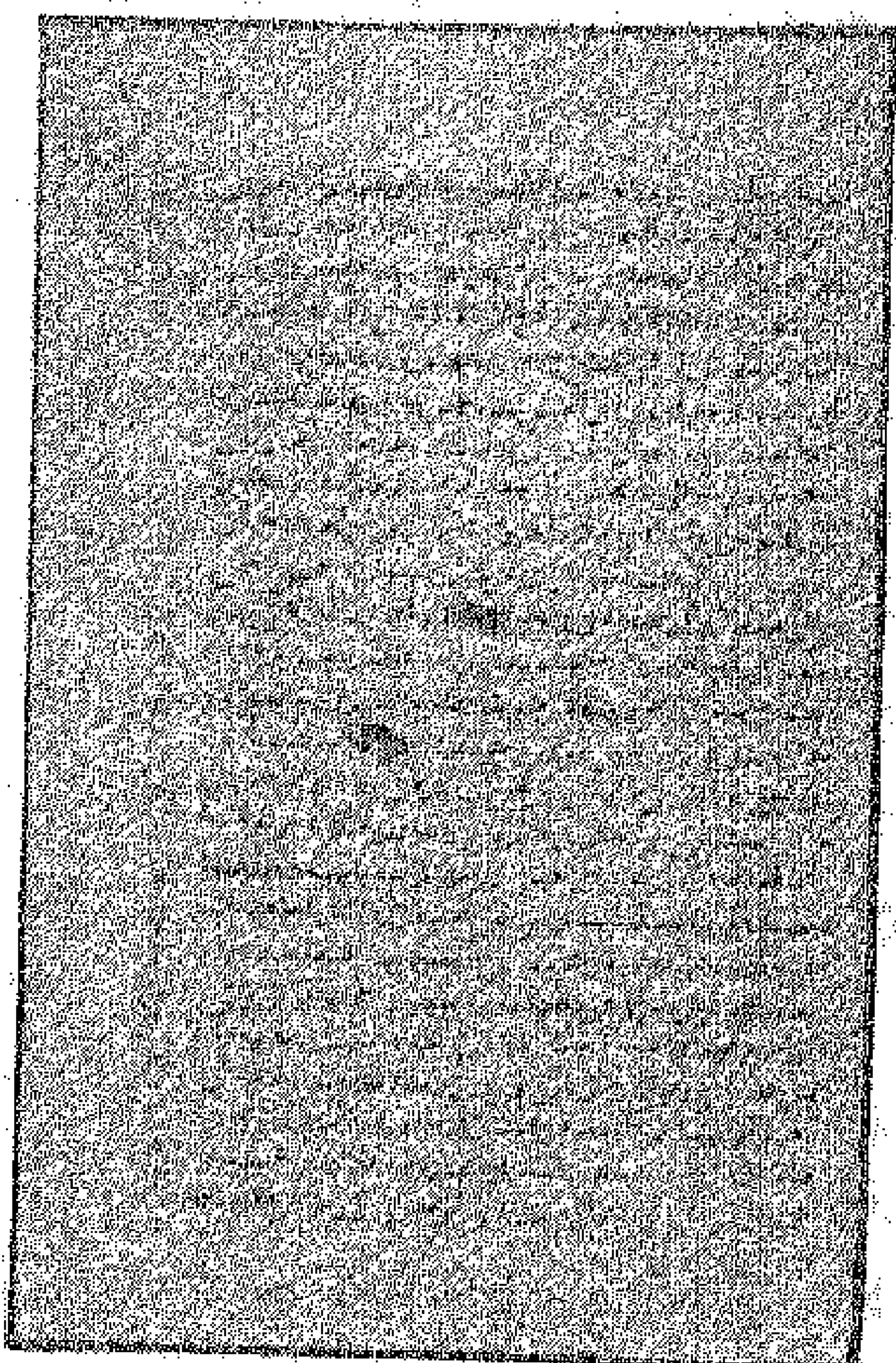
وفى كلامه على أروقة الأزهر الشريف وتاريخها الحافل يذكر الأستاذ الدكتور عبد العزيز محمد الشناوى من بين العلماء الوافدين على الأزهر الشريف ابن خلدون الذى كان يقيم فى رواق المغاربة، وكتب عنه وعن أهمية انضمامه إلى أسرة الأزهر فقال:

ومن أشهر العلماء الذين وفدوا إلى مصر وتصدروا الحلقات الدراسية فى الأزهر وأقاموا فى أروقته على عهد دولة المماليك الشراكسة العلامة والفيلسوف والمؤرخ ابن خلدون. جاء مصر فى غرة شهر شوال ٧٨٤ (الثامن من شهر ديسمبر ١٣٨٢) على عهد أول سلاطين هذه الدولة، وهو السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن آنص الشركسى العثمانى اليلبغارى، ولم يكن قد مضى على ارتقائه العرش

سوى شهر وبعض شهر. وقد عينه هذا السلطان مدرسا للمذهب المالكى فى الكلية القمحية بجوار جامع عمرو. ولم يمض سوى قليل من الوقت حتى عينه السلطان أيضا لتدريس الفقه المالكى بكليته الجديدة التى أنشأها فى حى بين القصرين، واسمها الكلية الظاهرية البرقوقية. ولما خلت وظيفة كرسى الحديث بكلية صرغتمش [بمدرسة] نقله إليها

(تقع الكلية [المدرسة] الصرغتمشية على مقربة من جامع ابن طولون. وهى تنسب إلى مؤسسها سيف الدين صرغتمش الناصرى أمير رأس نوبة. وقد توفى سجينا فى الإسكندرية سنة ٧٥٩ هـ/ ١٣٥٧ / ١٣٥٨م) (نوردرها فى حرف الصاد إن شاء الله تعالى).

وقد شغل عده مناصب قضائية. ولكنه لم يكن يستقر فيها طويلا بسبب دسائس البلاط السلطانى، فكثر عدد مرات عزله من القضاء وإعادة تعيينه فيه. ورأى ابن خلدون أن يخص الأزهر بنصيب وافر من نشاطه العلمى، فانتقل إلى الأزهر يتصدر حلقا دراسية تناولت أول الأمر الحديث والفقه المالكى. ودرس عليه فريق من كبار العلماء مثل الحافظ ابن حجر العسقلانى المحدث والمؤرخ. وكذلك المقريزى وغيرهما. وقد حرص مؤرخو مصر الإسلامية على تسجيل هذا الحادث العلمى الفذ، وهو قيام ابن خلدون بالتدريس فى الأزهر، فقال المقريزى «وفى هذا الشهر (شوال ٧٨٤ / ديسمبر ١٣٨٢ - يناير ١٣٨٣) قدم شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون من بلاد المغرب، واتصل بالأمير الطنبغا الجوبانى (هو أمير من أمراء البلاط المملوكى السلطانى، اتصل به ابن خلدون، وساعده على تقديمه للسلطان). وتصدر للاشتغال بالجامع الأزهر، فأقبل الناس إليه، وراقهم كلامه، وأعجبوا به» (المقريزى: السلوك ٣/ ٤٨٠) وحذا هذا الحذو المؤرخ على بن داود الجوهرى الصيرفى، فذكر، وهو يستعرض حوادث شهر شوال سنة ٧٨٤، وصول ابن خلدون إلى مصر وقيامه بالتدريس فى الأزهر. وقال فى هذا الصدد «وصل الشيخ العلامة المتفنن أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون المالكى من بلاد المغرب، واتصل بالأمير الطنبغا الجوبانى أمير مجلس، وصار عنده فى أوج العظمة، وتصدر لانتشار العلم وإقرائه بالجامع الأزهر، فهرع الناس وأقبلوا عليه،



وأعجبهم كلامه الرائق ومعناه الفائق» (نزهة النفوس ١/ ٥٠، ٥١ وقال أبو المحاسن بن تغرى بردى فى ترجمته لابن خلدون «واستوطن القاهرة، وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر مدة واشتغل وأفاد» و(المنهل الصافى ٢/ ٣٠٠). أما السخاوى فقد أشار - كما سبق أن ذكرنا - إلى النشاط العلمى لابن خلدون فى الأزهر بقوله « وتلقاه أهلها، أى أهل مصر، وأكرموه، وأكثروا ملازمته والتردد عليه، بل تصدر للإقراء بالجامع الأزهر مدة ... » وهكذا نلمس إجماعا من صفوة علماء مصر على التنويه بأهمية انضمام ابن خلدون إلى أسرة الأزهر عالما محاضرا عملاقا بسط على الخاصة من تلاميذه نظرياته فى علم الاجتماع. والتاريخ. والعمران البشرى بنوعيه البدوى والحضرى، والعصبيات الصغيرة والكبيرة، ونشأة الدول وأطوارها، وعلوم اللغة والأدب، وغير ذلك من موضوعات ونظريات كان قد عرضها فى مقدمته الشهيرة. وقد امتدت إقامة ابن خلدون فى مصر ثلاثة وعشرين عاما حتى جاز إلى ربه فى القاهرة فى اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٨٠٨ هـ (الرابع عشر من شهر مارس سنة ١٤٠٦م) عن ثمانية وسبعين عاما. ويهمنا أن نذكر أن استيطانه مصر

واشتغاله بالتدريس فى الأزهر وإقامته فى رواق المغاربة وتردده على مكتبة هذا الرواق، وكانت أغنى مكتبات الأروقة، كل أولئك أتاح له الفرصة لتنقيح وتهذيب مؤلفيه الخالدين اللذين وضعهما قبل قدومه إلى مصر وإضافة مزيد من المادة العلمية إليهما فى مواطن كثيرة. وهذان الكتابان هما «العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر»، ومقدمته الشهيرة. وانصبت الإضافات التى وضعها فى رواق المغاربة، على تاريخ الدول الإسلامية بالمشرق وأنباء الدول المغربية والأندلس فى عصره، كما وصل فى حوادث عصره حتى نهاية القرن الثامن الهجرى (٢٣ من شهر سبتمبر ١٣٩٧) بعد أن كان يقف بها عند سنة ٧٨٣ هـ (١٣٨١ ـ ١٣٨٢ م) كما استمر ابن خلدون فى كتابة ترجمة حياته فى أثناء إقامته فى مصر إلى قبيل وفاته وضمنها فصولا جديدة عن دولة المماليك فى مصر ونشأة التتار.

وقد ترك ابن خلدون. كأستاذ فى الأزهر، بصمات قوية واضحة وبارزة فى التفكير المصرى. ولعل تلميذه ـ المقريزى ـ وهو شيخ مؤرخى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ـ كان أكثر أعلام الفكر فى مصر تأثرا بآراء ابن خلدون. فقد بهره علمه الغزير وثقافته الواسعة المتعددة الجوانب ونظرياته وآراؤه فى الاقتصاد والاجتماع. وكان المقريزى يذكر اسمه مسبوقا بكلمة «شيخنا» ومقرونا بعبارة «العالم العلامة». ويعد كتاب المقريزى «إغاثة الأمة بكشف الغمة» من آثار هذا الاتصال الفكرى بين العملاقين ولقائهما العلمى فى رحاب الأزهر. وقد تناول المقريزى فى هذا الكتاب الكوارث التى أصابت مصر منذ عصور موغلة فى القدم حتى عصره، ونحا المقريزى فى الشرح والتعليل منحى شيخه ابن خلدون فى مقدمته وكان لنشاط ابن خلدون العلمى فى الأزهر وفى رواق المغاربه آثار أخرى فى التفكير المصرى، فقد اعتمد عليه بعض أعلام الكتاب المسلمين فى مصر والمعاصرين له، واقتبسوا فى كتاباتهم من مقدمته ومن تاريخه. ويمثل هؤلاء أبو العباس أحمد القلقشندى كما استفاد بعض العلماء المسلمين فى مصر فوائد أدبية من اشتغال ابن خلدون بالتدريس فى الأزهر. فعلى الرغم من أن ابن حجر العسقلانى قد حمل على ابن خلدون حملات عنيفة، طلب إلى ابن خلدون أن يمنحه الإجازة العلمية التقليدية التى كان الظفر بها من عالم عملاق يعد شرفا كبيرا يسعى إليه العلماء... واستجاب ابن خلدون له، وأصدرها له ولعدة من زملاء ابن حجر بخطه وتوقيعه فى منتصف شهر شعبان ٧٩٧ (الخامس من شهر يونيو ١٣٩٥). وقد نشر الأستاذ عنان صورة فوتوغرافية لهذا الإجازة العلمية بشطريها طلب منح الإجازة العلمية، والنص الحرفى لهذه الإجازة.

قالت المؤلفة: نشرنا صورة مخطوط إجازة ابن خلدون لابن حجر العسقلانى فى م ٢ / ٣٧٥ فارجع إليها.

وقد اختلفت حياة ابن خلدون فى بلاد المغرب عن حياته فى مصر. كان فى الأولى سياسيا ومؤلفا. وفى مصر غلب عليه الطابع العلمى الأكاديمى البارز. وكانت حياته فى مصر أكثر دعة واستقرارا، وأوفر ترفا من حياته فى المغرب، على الرغم من سحب الكآبة التى كانت تغشى رغادة الحياة التى عاشها فى مصر بسبب غرق أفراد أسرته فى البحر بالقرب من الإسكندرية وهم فى طريقهم إليه («أروقة الأزهر» / ٨٣ـ ٨٦).

وصورتا المخطوط المصاحبتان لهذه المادة أخذتا من مجلة الفيصل (انظر ثبت المراجع)، وقد جاء عنهما فى ظهر غلاف المجلة ما يلى:

صفحتان من كتاب تاريخ ابن خلدون يظهر فيه خط المؤلف نفسه، وهذا يدل على أن المخطوطة تم عرضها ومقابلتها وتصحيحها على المؤلف قبل وفاته.

ويعد الكتاب نسخة فريدة ومنقحة وهى من مخطوطات القرن التاسع الهجرى، تناول فيها المؤلف فضل علم التاريخ والعمران، وأخبار العرب منذ بدء الخليقة، وأخبار البربر وما تعاقب فيهم من الدول القديمة بديار المغرب.

وفى الصفحة الأولى من المخطوطة عبارة بخط العالم والمؤرخ المشهور تقى الدين المقريزى (٧٦٦ ـ ٨٤٥ هـ) صاحب كتاب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» (الذى يعرف بخطط المقريزى) ونصها: «انتقاه داعيا لمؤلفه وواقفه ومعيره أحمد بن على المقريزى سنة ٨٣٣ هـ». ومثل هذا التقريظ الذى نجده فى بعض المخطوطات من علماء أجلاء يؤكد على أهمية المخطوطة. والعبارة السابقة التى كتبها المقريزى نفسه تدل على إعجابه بكتاب ابن خلدون ونفاسته وقيمته العلمية النادرة لكل مؤرخ وباحث. وتعد بحق مصدرا

أساسيا لكل دارس للفترة التى تناولها المؤلف وللمشتغلين بعلمى التاريخ والاجتماع.

والصورتان ـ هنا ـ مأخوذتان من النصف الثانى والأخير من الكتاب، أما النصف الأول فموجود فى دار الكتب الوطنية فى تونس حسب إفادة الدكتور إبراهيم شبوح المدير العام للدار.

والمخطوطة من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية فى الرياض، برقم ١٨٨٧ هـ (مجلة الفيصل).

أما الصورة الثالثة فهى من مخطوطة «كتاب التعريف» التى أشرنا إليها فى مادة «التعريف (كتاب ـ)» فى م ٩ / ٥٨٨، وفى الهامش الأيمن من الصفحة كتابة مائلة قليلا كتبت بخط يختلف عن نسق كتابة المتن الحسنة وينسب هذا الشرح إلى ابن خلدون.

(الضوء اللامع لشمس الدين السخاوى م ٢ جـ ٤ / ١٤٥، ١٤٦، والفتح المبين فى طبقات الأصوليين ـ فضيلة الشيخ عبد الله مصطفى المراغى ٣ / ١٣، ١٤، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٤٦٢، وتاريخ الأدب العربى ـ أحمد حسن الزيات / ٤٠٩ ـ ٤١٢، وكتابات مضيئة فى التراث الجغرافى العربى ـ د. شاكر خصباك / ٢٤٨، ٢٤٩، والوسيط فى الأدب العربى ـ الشيخ أحمد الإسكندرى والشيخ مصطفى عنانى / ٣٠٥، و «أروقة الأزهر» ـ أ. د عبد العزيز محمد الشناوى. دراسات فى الحضارة الإسلامية الهيئة المصرية العامة ١٩٨٥، م ٢ / ٨٣ ـ ٨٦، ومجلة الفيصل. العدد (١٨٢) شعبان ١٤١٢ هـ ـ فبراير ١٩٩٢ م. انظر أيضا الموسوعة الصوفية ـ د. عبد المنعم الحفنى / ١٤٤ ـ ١٤٦، والعلوم عند العرب ـ قدرى حافظ طوقان / ٢١٣ ـ ٢١٨، و «ابن خلدون مفكرا اقتصاديا» ـ د. إبراهيم عويس. مجلة العربى. العدد ٣٤٣ شوال ١٤٠٧ هـ ـ يونيو ١٩٨٧ م / ١٨٧ ـ ٢٢، والأعلام للزركلى ٣ / ٣٣٠).

* الخُلْع:

جاء فى كتاب الخُلْع من تيسير الوصول ما يلى:

١ ـ عن ثوبان رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: أيما امرأة اختلعت من زوجها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة». أخرجه الترمذى.

وفى أخرى لأبى داود: «أيما امرأة سألت من زوجها طلاقها، وذكر نحوه».

وفى أخرى للنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه: «إن المختلعات هن المنافقات».

٢ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما: «أن امرأة (اسمها حبيبة بنت سهل الأنصارية كما فى الموطأ) ثابت بن قيس بن شماس أتت رسول الله ﷺ، فقالت له: ما أعتب على ثابت فى خلق ولا دين ولكنى أكره الكفر فى الإسلام: تعنى تبغضه، فقال ﷺ: أتردين عليه حديقته؟ قالت نعم، فقال ﷺ: أقبل الحديقة وطلقها تطليقة» أخرجه البخارى والنسائى.

(الحديقة): البستان من النخل إذا كان عليه حائط.

٣ ـ وعن نافع عن مولاة لصفية (هى بنت أبى عبيد) رضى الله عنها: «أنها اختلعت من زوجها بكل شىء لها فلم ينكر ذلك ابن عمر رضى الله عنهما» أخرجه مالك (تيسير الوصول ٢ / ٥١، ٥٢).

وفى المعجم الوسيط (١ / ٢٥٠): الخُلْع أن يطلق الرجل زوجته على فدية منها. والخُلع بضم الخاء المعجمة.

«الخُلْع» ملخصا هو افتداء المرأة نفسها من زوجها بمال تدفعه إليه.

وهو جائز إذا كانت كارهة له، وتضررت به.

ويستحب ألا يأخذ منها أكثر من مهرها.

ويكون بالتراضى، فإن لم يرض فللقاضى إلزام الزوج بالخلع!

ويحرم على الزوج إيذاؤها لتختلع.

ويجوز فى الطهر والحيض.

ولا يملك المخالع مراجعتها فى العدة. ! (مختصر الأحكام الفقهية / ١٩٥).

وتفصيل ذلك جاء لفضيلة الشيخ السيد سابق على النحو التالى:

الحياة الزوجية لا تقوم إلا على السكن، والمودة، والرحمة، وحسن المعاشرة، وأداء كل من الزوجين ما عليه من حقوق. وقد يحدث أن يكره الرجل زوجته، أو تكره هى زوجها.

والإسلام فى هذه الحال يوصى بالصبر والاحتمال،

وينصح بعلاج ما عسى أن يكون من أسباب الكراهية، قال الله تعالى:

﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾ [النساء: ١٩].

وفي الحديث الصحيح:

«لا يفرك مؤمن مؤمنة: إن كره منها خلقا رضي منها خلقا آخر».

إلا أن البغض قد يتضاعف، ويشتد الشقاق، ويصعب العلاج، وينفد الصبر، ويذهب ما أسس عليه البيت من السكن والمودة، والرحمة، وأداء الحقوق، وتصبح الحياة الزوجية غير قابلة للإصلاح، وحينئذ يرخص الإسلام بالعلاج الوحيد الذي لا بد منه.

فإن كانت الكراهية من جهة الرجل، فبيده الطلاق، وهو حق من حقوقه، وله أن يستعمله في حدود ما شرع الله.

وإن كانت الكراهية من جهة المرأة، فقد أباح لها الإسلام أن تتخلص من الزوجية بطريق الخلع، بأن تعطي الزوج ما كانت أخذت منه باسم الزوجية لينهي علاقته بها.

وفي ذلك يقول الله ـ سبحانه وتعالى:

﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا، إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وفي أخذ الزوج الفدية عدل وإنصاف، إذ أنه هو الذي أعطاها المهر وبذل تكاليف الزواج، والزفاف، وأنفق عليها، وهي التي قابلت هذا كله بالجحود، وطلبت الفراق، فكان من النصفة أن ترد عليه ما أخذت.

وإن كانت الكراهية منهما معا: فإن طلب الزوج التفريق فبيده الطلاق وعليه تبعاته، وإن طلبت الزوجة الفرقة، فبيدها الخلع وعليها تبعاته كذلك.

قيل إن الخلع وقع في الجاهلية. ذلك أن عامر بن الظرب: زوج ابنته ابن أخيه، عامر بن الحارث، فلما دخلت عليه، نفرت منه، فشكا إلى أبيها، فقال لا أجمع عليك فراق أهلك ومالك وقد خلعتها منك بما أعطيتها.

تعريفه:

والخلع الذي أباحه الإسلام مأخوذ من خلع الثوب إذا أزاله، لأن المرأة لباس الرجل، والرجل لباس لها، قال الله تعالى.

﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ [البقرة: ١٨٧].

ويسمى الفداء، لأن المرأة تفتدي نفسها بما تبذله لزوجها.

وقد عرفه الفقهاء بأنه «فراق الرجل زوجته ببدل يحصل له».

والأصل فيه ما رواه البخاري، والنسائي، عن ابن عباس. قال:

«جاءت امرأة ثابت بن قيس بن شماس إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الإسلام. (أي أنها لا تريد مفارقته لسوء خلقه، ولا لنقصان دينه، ولكن كانت تكرهه لدمامته، وهي تكره أن تحملها الكراهية على التقصير فيما يجب له من حق، والمقصود بالكفر كفران العشير) فقال رسول الله ﷺ: «أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم فقال رسول الله ﷺ: أقبل الحديقة وطلقها تطليقة».

ألفاظ الخلع:

والفقهاء يرون أنه لا بد في الخلع من أن يكون بلفظ الخلع أو بلفظ مشتق منه. أو لفظ يؤدي معناه. مثل المبارأة والفدية. فإذا لم يكن بلفظ الخلع ولا بلفظ فيه معناه. كأن يقول لها: أنت طالق، في مقابل مبلغ كذا وقبلت، كان طلاقا على مال ولم يكن خلعا.

وناقش ابن القيم هذا الرأي فقال:

«ومن نظر إلى حقائق العقود ومقاصدها دون ألفاظها، يعد الخلع فسخا بأي لفظ كان، حتى بلفظ الطلاق».

وهذا أحد الوجهين لأصحاب أحمد.

وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، ونقل عن ابن عباس.

ثم قال ابن تيمية: «ومن اعتبر الألفاظ ووقف معها واعتبرها في أحكام العقود جعله «بلفظ الطلاق طلاقا».

ثم قال ابن القيم مرجحا هذا الرأي.

وقواعد الفقه وأصوله تشهد أن المرعي في العقود حقائقها ومعانيها، لا صورها وألفاظها.

ومما يدل على هذا أن النبى ﷺ أمر ثابت بن قيس أن يطلق امرأته فى الخلع تطليقة، ومع هذا أمرها أن تعتد بحيضة وهذا صريح فى أنه فسخ، ولو وقع بلفظ الطلاق.

وأيضا فإنه سبحانه ـ علق عليه أحكام الفدية بكونه فدية ومعلوم أن الفدية لا تختص بلفظ، ولم يعين الله ـ سبحانه لها لفظا معينا. وطلاق الفداء طلاق مقيد، ولا يدخل تحت أحكام الطلاق المطلق. لما لا يدخل تحتها فى ثبوت الرجعة والاعتداد بثلاثة قروء بالنسبة الثابتة (زاد المعاد ٤/ ٢٧).

العوض فى الخلع:

الخلع ــ كما سبق ــ إزالة ملك النكاح فى مقابل مال. فالعوض جزء أساسى من مفهوم الخلع. فإذا لم يتحقق العوض لا يتحقق الخلع. فإذا قال الزوج لزوجته: خالعتك وسكت لم يكن ذلك خلعا، ثم إنه إن نوى الطلاق، كان طلاقا رجعيا. وإن لم ينو شيئا لم يقع به شىء، لأنه من ألفاظ الكناية التى تفتقر إلى النية.

كل ما جاز أن يكون مهرا جاز أن يكون عوضا فى الخلع:

ذهبت الشافعية إلى أنه لا فرق فى جواز الخلع، بين أن يخالع على الصداق، أو على بعضه، أو على مال آخر، سواء كان أقل من الصداق، أم أكثر. ولا فرق بين العين، والدين والمنفعة.

وضابطه أن «كل ما جاز أن يكون صداقا جاز أن يكون عوضا فى الخلع»، لعموم قوله تعالى:

﴿فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾.

ولأنه عقد على بضع فأشبه النكاح. ويشترط فى عوض الخلع أن يكون معلوما متمولا مع سائر شروط الأعواض، كالقدرة على التسليم، واستقرار الملك وغير ذلك، لأن الخلع عقد معاوضة، فأشبه البيع والصداق، وهذا صحيح فى الخلع الصحيح.

أما الخلع الفاسد فلا يشترط العلم به، فلو خالعها على مجهول، كثوب غير معين، أو على حمل هذه الدابة، أو خالعها بشرط فاسد. كشرط ألا ينفق عليها وهى حامل، أو لا سكنى لها، أو خالعها بألف إلى أجل مجهول ونحو ذلك ـ بانت منه بمهر المثل.

أما حصول الفرقة: فلأن الخلع ـ إما فسخ أو طلاق، فإن كان فسخا. فالنكاح لا يفسد العوض، فكذا فسخه، إذ الفسوخ تحكى العقود... وإن كان طلاقا، فالطلاق يحصل بلا عوض... وما له حصول بلا عوض فيحسن مع فساد العوض، كالنكاح، بل أولى، ولقوة الطلاق وسرايته.

أما الرجوع إلى مهر المثل، فلأن قضية فساد العوض ارتداد العوض الآخر، والبضع لا يرتد بعد حصول الفرقة، فوجب رد بدله. ويقاس بما ذكرنا ما يشبهه، لأن ما لم يكن ركنا فى شىء لايضر الجهل به كالصداق.

ومن صور ذلك ما لو خالعها على ما فى كفها، ولم يعلم فإنها تبين منه بمهر المثل. فإن لم يكن فى كفها شىء. ففى الوسيط أنه يقع طلاقا رجعيا، والذى نقله غيره أنه يقع بائنا بمهر المثل.

أما المالكية فقالوا: يجوز الخلع بالغرر كجنين ببطن بقرة أو غيره، فلو نفق الحمل (أى هلك) فلا شىء له، وبانت.

وجاز بغير موصوف، وبثمرة لم يبد صلاحها، وبإسقاط حضانتها لولده. وينتقل الحق له.

وإذا خالعها بشىء حرام. كخمر، أو مسروق علم به ـ فلا شىء له، وبانت، وأريق الخمر، ورد المسروق لربه، ولا يلزم الزوجة شىء بدل ذلك، حيث كان الزوج عالما بالحرمة ـ علمت هى أم لا.

أما لو علمت هى بالحرمة دونه فلا يلزمه الخلع.

الزيادة فى الخلع على ما أخذت الزوجة من الزوج:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن يجوز أن يأخذ الزوج من الزوجة زيادة على ما أخذت منه، لقول الله تعالى:

﴿فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وهذا عام يتناول القليل والكثير.

روى البيهقى عن أبى سعيد الخدرى قال:

«كانت أختى تحت رجل من الأنصار، فارتفعا إلى رسول الله ﷺ فقال: أتردين حديقته؟ قالت: وأزيد عليها، فردت عليه حديقته وزادته» (يرى علماء الحديث أن هذا الحديث ضعيف).

ويرى بعض العلماء: أنه لا يجوز للزوج أن يأخذ منها أكثر مما أخذت منه. لما رواه الدراقطنى بإسناد صحيح:

أن أبا الزبير قال: «إنه كان أصدقها حديقة، فقال النبى ﷺ: أتردين عليه حديقته التى أعطاك؟ قالت: نعم وزيادة. فقال النبى ﷺ: أما الزيادة فلا، ولكن حديقته. قالت: نعم».

وأصل الخلاف فى هذه المسألة الخلاف فى تخصيص عموم الكتاب بالأحاديث الأحادية ...

فمن رأى أن عموم الكتاب يخصص بأحاديث الآحاد. قال: لا تجوز الزيادة، ومن ذهب إلى أن عموم الكتاب لا يخصص بأحاديث الآحاد، رأى جواز الزيادة.

وفى «بداية المجتهد» قال:

«فمن شبهه بسائر الأعواض فى المعاملات، رأى أن القدر فيه راجع إلى الرضا، ومن أخذ بظاهر الحديث لم يجز أكثر من ذلك، فكأنه رآه من باب أخذ المال بغير حق».

الخلع دون مقتض:

والخلع إنما يجوز إذا كان هناك سبب يقتضيه. كأن يكون الرجل معيبا فى خَلقه، أو سيئا فى خُلقه، أو لا يؤدى للزوجة حقها، وأن تخاف المرأة ألا تقيم حدود الله، فيما يجب عليها من حسن الصحبة، وجميل المعاشرة، كما هو ظاهر الآية.

فإن لم يكن ثمة سبب يقتضيه فهو محظور. لما رواه أحمد والنسائى من حديث أبى هريرة: «المختلعات هن المنافقات». وقد رأى العلماء الكراهة.

الخلع بتراضى الزوجين:

والخلع يكون بتراضى الزوج والزوجة، فإذا لم يتم التراضى منهما فللقاضى إلزام الزوج بالخلع، لأن ثابتا وزوجته رفعا أمرهما للنبى ﷺ، وألزمه الرسول بأن يقبل الحديقة، ويطلق. كما فى الحديث.

الشقاق من قبل الزوجة كاف فى الخلع:

قال الشوكانى:

وظاهر أحاديث الباب أن مجرد وجود الشقاق من قبل المرأة كاف فى جواز الخلع.

واختار ابن المنذر أنه لا يجوز حتى يقع الشقاق منهما جميعا، وتمسك بظاهر الآية، وبذلك قال طاووس، والشعبى وجماعة من التابعين ... وأجاب عن ذلك جماعة، منهم الطبرى، بأن المراد، أنها إذا لم تقم بحقوق الزوج كان ذلك مقتضيا لبغض الزوج لها، فنسبت المخالفة إليهما لذلك. ويؤيد عدم اعتبار ذلك من جهة الزوج أنه ﷺ لم يستفسر ثابتا عن كراهته لها عند إعلانها بالكراهة له.

حرمة الإساءة إلى الزوجة لتختلع:

يحرم على الرجل أن يؤذى زوجته بمنع بعض حقوقها. حتى تضجر وتختلع نفسها، فإن فعل ذلك فالخلع باطل، والبدل مردود، ولو حكم به قضاء.

وإنما حرم ذلك حتى لا يجتمع على المرأة فراق الزوج والغرامة المالية، وقال الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾** [النساء: ١٩]، والعضل التضيق والمنع).

ولقوله سبحانه:

﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا﴾ [النساء: ٢٠].

ويرى بعض العلماء نفاذ الخلع فى هذه الحال مع حرمة العضل.

وأما الإمام مالك فيرى أن الخلع ينفذ على أنه طلاق، ويجب على الزوج أن يرد البدل الذى أخذه من زوجته.

جواز الخلع فى الطهر والحيض:

يجوز الخلع فى الطهر والحيض، ولا يتقيد وقوعه بوقت، لأن الله سبحانه أطلقه ولم يقيده بزمن دون زمن. قال الله تعالى:

﴿فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ [البقرة: ٢٢٩].

ولأن الرسول ﷺ أطلق الحكم فى الخلع بالنسبة لامرأة ثابت بن قيس، من غير بحث، ولا استفصال عن حال الزوجة، وليس الحيض بأمر نادر الوجود بالنسبة للنساء.

قال الشافعى:

«ترك الاستفصال فى قضايا الأحوال مع قيام الاحتمال ينزل منزلة العموم فى المقال. والنبى ﷺ لم يستفصل هل هى حائض أم لا؟».

ولأن المنهى عنه الطلاق فى الحيض، من أجل ألا تطول عليها العدة. وهى ـ هنا ـ التى طلبت الفراق، واختلعت نفسها ورضيت بالتطويل.

الخلع بين الزوج وأجنبى:

يجوز أن يتفق أحد الأشخاص مع الزوج على أن يخلع الزوج زوجته، ويتعهد هذا الشخص الأجنبى بدفع بدل الخلع للزوج، وتقع الفرقة، ويلتزم الأجنبى بدفع البدل للزوج. ولا يتوقف الخلع فى هذه الصورة على رضا الزوجة لأن الزوج يملك إيقاع الطلاق من نفسه بغير رضا زوجته، والبدل يجب على من التزم به.

وقال أبو ثور: لا يصح لأنه سفه، فإنه يبذل عوضا فى مقابلة ما لا منفعة له فيه، فإن الملك لا يحصل له.

وقيده بعض علماء المالكية، بأن يقصد به تحقيق مصلحة أو درء مفسدة، فإن قصد به الإضرار بالزوجة فلا يصح. ففى «مواهب الجليل»:

«ينبغى أن يقيد المذهب بما إذا كان الغرض من التزام الأجنبى ذلك للزوج، حصول مصلحة، أو درء مفسدة ترجع إلى ذلك الأجنبى، مما لا يقصد به إضرار المرأة».

وأما ما يفعله أهل هذا الزمان فى بلدنا من التزام أجنبى ذلك وليس قصده إلا إسقاط النفقة الواجبة فى العدة للمطلقة على مطلقها، فلا ينبغى أن يختلف فى المنع ابتداء، وفى انتفاع المطلق بذلك بعد وقوعه نظر.

الخلع يجعل أمر المرأة بيدها:

ذهب الجمهور، ومنهم الأئمة الأربعة، إلى أن الرجل إذا خالع امرأته ملكت نفسها وكان أمرها إليها، ولا رجعة له عليها؛ لأنها بذلت المال لتتخلص من الزوجية، ولو كان يملك رجعتها لم يحصل للمرأة الافتداء من الزوج بما بذلته له. وحتى لو رد عليها ما أخذ منها، وقبلت ـ ليس له أن يرتجعها فى العدة؛ لأنها قد بانت منه بنفس الخلع.

روى عن ابن المسيب والزهرى: أنه إن شاء أن يراجعها فليرد عليها ما أخذه منها فى العدة، وليشهد على رجعته.

جواز تزوجها برضاها:

ويجوز للزوج أن يتزوجها برضاها فى عدتها، ويعقد عليها عقدا جديدا.

خلع الصغيرة المميزة (أحكام الأحوال الشخصية):

ذهب الأحناف إلى أنه إذا كانت الزوجة صغيرة مميزة، وخالعت زوجها، وقع عليها طلاق رجعى ولا يلزمها المال.

أما وقوع الطلاق، فلأن عبارة الزوج: معناها تعليق الطلاق على قبولها، وقد صح التعليق لصدوره من أهله، ووجد المعلق عليه، وهو القبول ممن هى أهل له، لأن الأهلية للقبول تكون بالتمييز ـ وهى هنا صغيرة مميزة ـ ومتى وجد المعلق عليه وقع الطلاق المعلق.

وأما عدم لزوم المال: فلأنها صغيرة ليست أهلا للتبرع، إذ يشترط فى الأهلية للتبرع: العقل والبلوغ، وعدم الحجر لسفه أو مرض.

وأما كون الطلاق رجعيا: فلأنه لما لم يصح التزام المال، كان طلاقا مجردا لا يقابله شيء من المال؛ فيقع رجعيا.

خلع الصغيرة غير المميزة:

وأما الصغيرة غير المميزة فلا يقع خلعها طلاقا أصلا؛ لعدم وجود المعلق عليه، وهو القبول ممن هو أهله.

خلع المحجور عليها (أحكام الأحوال الشخصية / ١٥٥):

قالوا: وإذا كانت الزوجة محجورا عليها لسفه وخالعها زوجها على مال وقبلت، لا يلزمها المال، ويقع عليها الطلاق الرجعى، مثل الصغيرة المميزة فى أنها ليست أهلاً للتبرع، ولكنها أهل للقبول.

الخلع بين ولى الصغيرة وزوجها:

وإذا جرى الخلع بين ولى الصغيرة وزوجها، بأن قال زوج الصغيرة لأبيها: خالعت ابنتك على مهرها، أو على مائة جنيه من مالها، ولم يضمن الأب البدل له. وقال: قبلت، طلقت، ولا يلزمها المال ولا يلزم أباها.

أما وقوع الطلاق فلأن الطلاق المعلق يقع متى وجد المعلق عليه، وهو هنا قبول الأب، وقد وجد.

أما عدم لزومها المال؛ فلأنها ليست أهلا لالتزام التبرعات.

وأما عدم لزوم أبيها المال، فلأنه لم يلتزمه بالضمان، ولا إلزام بدون التزام. ولهذا إذا ضمنه لزمه. وقيل: لا يقع الطلاق في هذه الحال لأن المعلق عليه قبول دفع البدل. وهو لم يتحقق، وهذا القول ظاهر، ولكن العمل بالقول الأول.

خلع المريضة:

لا خلاف بين العلماء في جواز الخلع من المريضة، مرض الموت، فلها أن تخالع زوجها. كما للصحيحة سواء بسواء.

إلا أنهم اختلفوا في القدر الذي يجب أن تبذله للزوج مخافة أن تكون راغبة في محاباة الزوج على حساب الورثة:

فقال الإمام مالك:

يجب أن يكون بقدر ميراثه منها. فإن زاد على إرثه منها تحرم الزيادة ويجب ردها، وينفذ الطلاق. ولا توارث بينهما إذا كان الزوج صحيحا.

وعند الحنابلة: مثل ما عند مالك، في أنه إذا خالعت بميراثه منها، فما دونه صح ولا رجوع فيه، وإن خالعته بزيادة بطلت هذه الزيادة.

وقال الشافعي: لو اختلعت منه بقدر مهر مثلها جاز. وإن زاد على ذلك كانت الزيادة من الثلث وتعتبر تبرعا...

أما الأحناف: فقد صححوا خلعها بشرط ألا يزيد عن الثلث مما تملك، وأنها متبرعة، والتبرع في مرض الموت وصية، والوصية لا تنفذ إلا من الثلث للأجنبي، والزوج صار بالخلع أجنبيا.

قالوا: وإذا ماتت هذه المخالعة المريضة وهي في العدة. لا يستحق زوجها إلا أقل هذه الأمور، بدل الخلع. وثلث تركتها. وميراثه منها. لأنه قد تتواطأ الزوجة مع زوجها في مرض موتها وتسمى له بدل خلع باهظا، يزيد عما يستحقه بالميراث. فلأجل الاحتياط لحقوق ورثتها، وردا لقصد المواطأ عليه. قلنا: إنها إذا ماتت في العدة لا يأخذ إلا أقل الأشياء الثلاثة. فإن برئت من مرضها ولم تمت منه، فله جميع البدل المسمى؛ لأنه تبين أن تصرفها لم يكن في مرض الموت.

أما إذا ماتت بعد انقضاء عدتها فله بدل الخلع المتفق عليه، بشرط ألا يزيد عن ثلث تركتها، لأنه في حكم الوصية.

والذي عليه العمل الآن في المحاكم بعد صدور قانون الوصية سنة ١٩٤٦: أن للزوج الأقل من بدل الخلع، وثلث التركة التي خلفتها زوجته، سواء أكانت وفاتها في العدة أم بعد انتهائها، إذ أن هذا القانون أجاز الوصية للوارث، وغير الوارث - ونص على نفاذها فيما لا يزيد عن الثلث بدون توقف على إجازة أحد.

وعلى هذا، فلا يكون حاجة إلى فرض محاباة زوجها بأكثر من نصيبه ومنعها من ذلك.

هل الخلع طلاق أم فسخ:

ذهب جمهور العلماء إلى أن الخلع طلاق بائن، لما تقدم في الحديث من قول رسول ﷺ: «خذ الحديقة وطلقها تطليقة».

ولأن الفسوخ إنما هي التي تقتضي الفرقة الغالبة للزوج في الفراق، مما ليس يرجع إلى اختياره. وهذا راجع الى الاختيار، فليس بفسخ.

وذهب بعض أهل العلم، منهم أحمد، وداود من الفقهاء وابن عباس، وعثمان، وابن عمر من الصحابة. إلى أنه فسخ، لأن الله تعالى ذكر في كتابة الطلاق، فقال:

﴿الطلاق مرتان﴾.

ثم ذكر الافتداء. ثم قال:

﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره﴾ [البقرة: ٢٣٠].

فلو كان الافتداء طلاقا لكان الطلاق الذي لا تحل له فيه إلا بعد زواج، وهو الطلاق الرابع.

ويجوّز هؤلاء أن الفسوخ تقع بالتراضي، قياسا على فسوخ البيع كما في الإقالة (بداية المجتهد ٢/ ٦٥).

قال ابن القيم: والذي يدل على أنه ليس بطلاق أنه سبحانه وتعالى رتب الطلاق بعد الدخول الذي لا يستوف عدده ثلاثة أحكام، كلها منتفية عن الخلع:

أحدها: أن الزوج أحق بالرجعة فيه.

الثاني: أنه محسوب من الثلاث، فلا تحل بعد استيفاء العدد، إلا بعد دخول زوج وإصابته.

الثالث: أن العدة فيه ثلاثة قروء.

وقد ثبت بالنص والإجماع أنه لا رجعة في الخلع وثبت بالسنة وأقوال الصحابة أن العدة فيه حيضة واحدة، وثبت بالنص جوازه بعد طلقتين، ووقوع ثالثة بعدها. وهذا ظاهر جدا في كونه ليس بطلاق. (قال الخطابي: هذا أقوى دليل لمن قال: إن الخلع فسخ وليس بطلاق، إذ لو كان طلاقا لم يكتف بحيضة للعدة).

وثمرة هذا الخلاف تظهر في الاعتداد بالطلاق، فمن رأى أنه طلاق، احتسبه طلقة بائنة، ومن رأى أنه فسخ لم يحتسبه، فمن طلق امرأته تطليقتين ثم خالعها، ثم أراد أن يتزوجها فله ذلك، وإن لم تنكح زوجا غيره، لأنه ليس له غير تطليقتين. والخلع لغو.

ومن جعل الخلع طلاقا قال: لم يجز له أن يرتجعها حتى تنكح زوجا غيره، لأنه بالخلع كملت الثلاث.

هل يلحق المختلعة طلاق؟

المختلعة لا يلحقها طلاق، سواء قلنا بأن الخلع طلاق أو فسخ، وكلاهما يصير المرأة أجنبية عن زوجها، وإذا صارت أجنبية عنه، فإنه لا يلحقها الطلاق.

وقال أبو حنيفة: المختلعة يلحقها الطلاق، ولذلك لا يجوز عنده أن ينكح مع المبتوتة أختها.

عدة المختلعة:

ثبت من السنة أن المختلعة تعتد بحيضة. ففي قصة ثابت أن النبي ﷺ قال له:

«خذ الذي لها عليك وخل سبيلها. قال: نعم. فأمرها رسول الله ﷺ أن تعتد بحيضة واحدة وتلحق بأهلها».

رواه النسائي بإسناد رجاله ثقاة.

وإلى هذا ذهب عثمان، وابن عباس، وأصح الروايتين عن أحمد، وهو مذهب إسحاق بن راهويه، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وقال:

من نظر هذا القول وجده مقتضى قواعد الشريعة. فإن العدة إنما جعلت ثلاث حيض، ليطول زمن الرجعة، ويتروى الزوج ويتمكن من الرجعة في مدة العدة، فإذا لم تكن عليها رجعة فالمقصود براءة رحمها من الحمل، وذلك يكفي فيه حيضة كالاستبراء.

وقال ابن القيم: هذا مذهب أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وعبد الله بن عمر، والربيع بنت معوذ، وعمها - رضي الله عنهم - وهو من كبار الصحابة، فهؤلاء الأربعة من الصحابة لا يعرف لهم مخالف منهم، كما رواه الليث بن سعد، عن نافع مولى ابن عمر: أنه سمع الربيع بنت معوذ بن عفراء، وهي تخبر عبد الله بن عمر، أنها اختلعت من زوجها على عهد عثمان بن عفان. فجاء عمها إلى عثمان، فقال له: إن ابنة معوذ اختلعت من زوجها اليوم، أفتنتقل؟ فقال عثمان: لتنتقل، ولا ميراث بينهما. ولا عدة عليها. إلا أنها لا تنكح حتى تحيض حيضة. خشية أن يكون بها حبل. فقال عبد الله ابن عمر: فعثمان خيرنا وأعلمنا.

ونقل عن أبي جعفر النحاس في كتاب «الناسخ والمنسوخ» أن هذا إجماع من الصحابة.

ومذهب الجمهور من العلماء أن المختلعة عدتها ثلاث حيض إن كانت ممن يحيض (فقه السنة م ٢ حـ د/ ٤٣٦ - ٤٤٩).

قال ابن القيم:

وأفتى النبي ﷺ أن المرأة إذا ادعت طلاق زوجها، فجاءت على ذلك بشاهد عدل استحلفت زوجها، فإن حلف بطلت شهادة الشاهد، وإن نكل فنكوله بمنزلة شاهد آخر، وجاز طلاقه، ذكره ابن ماجه من رواية عمرو بن أبي سلمة، وقد روى له مسلم في صحيحه (أعلام الموقعين ٤ / ٤٢٩).

أما عن النظم فقد ورد هذا البيت في منظومة رسالة ابن أبي زيد القيرواني إذ يقول عن الخُلع:

والخُلْع طلقة تبينُها وإن
لم يُسَم تطليقا بتعويض قُرِنْ

(الفتح الرباني ٢ / ٣٧).

ويأتي شرح الشارح في الصفحات ٣٧ - ٣٩ وهو لا يخرج عما أوردناه آنفا.

وجاءت الأبيات التالية في منظومة صفوة الزبد للإمام الشيخ أحمد بن رسلان الشافعي. يقول الناظم رحمه الله:

يصح من زوج مكلف بلا
كره ببذل عوض لم يُجهلا

أمـــا الـــذى بـــالخمـــر أو مع جهل
فـإنـــــه يـــــوجـب مهـــــر المثـل
تملك نفسهـــــا بــــــه ويمتنع
طـــلاقهـــا ومـــا لـــه أن يـــرتجع

(متن الزبد / ٨٣).

كما جاءت الأبيات التالية فى منظومة «السبل السوية لفقه السنن المروية» للشيخ حافظ بن أحمد الحكمى الذى يقول:

وامـــــرأة محـــــرم إن تسـشـــلا
طـــلاقهـــا بـــدون بـأس انجـــلا
ومـــا لـــه إضـــرارهـــا لتفتـــدى
تلك حـــدود الله فـــاحـــذر تعتـــدى
إلا إذا عشــــــرتــــــه لـم تستطع
فمـــا عليهـــا حـــرج أن تختلع
يجـــوز بـــالقليل والكثيـــر لا
مـــا زاد عن مهـــر فمنع نقـــلا
ويلـــزم التـــراض بـــاتفـــاق
أو حكم حـــاكـم مع الشقـــاق
ونفسهـــا تملك بعـــد الافتـــدا
لا رجعـــة إلا بعقـــد جـــددا
والخلع فسخ لا طـــلاق فى الأصح
تعتـــد حيضـــة كمـــا الحـــديث صح
والأكثـــرون طلقـــة قـــد عـــدُّوا
وكـــالطـــلاق عنـــدهم تعتـــدُّ
إلا إذا قـــد كـــان سمى أكثـــرا
فهـــو الـــذى سمـــاه فيمـــا أثـــرا

(مجموع / ٨٦).

(تيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٢ / ٥١، ٥٢، والمعجم الوسيط ١/ ٢٥٠، ومختصر الأحكام الفقهية لعلى ابن فريد الكشجنورى الهندى ـ تحقيق يوسف البدرى، مراجعة د. محمد أحمد عاشور / ١٩٥، وفقه السنة ـ فضيلة الشيخ السيد سابق م٢ حـ ٧ / ٤٣٦ ـ ٤٤٩؛ وأعلام الموقعين عن رب العالمين للعلامة شمس الدين أبى بكر بن قيم الجوزية ـ تحقيق الشيخ عبد الرحمن الوكيل ٤ / ٤٢٩، والفتح الربانى شرح على نظم رسالة ابن أبى زيد القيروانى ـ محمد أحمد الملقب بالداه الشنقيطى ٢ / ٣٧، ومتن الزبد فى الفقه. الشيخ الإمام أحمد بن رسلان الشافعى / ٨٣، ومجموع: «السبل السوية لفقه السنن المروية ـ نظم حافظ بن أحمد الحكمى / ٨٦. انظر أيضا منهاج المسلم ـ أبو بكر جابر الجزائرى / ٤٥٣، ٤٥٤، وعمدة الفقه لابن قدامة ـ تخريج أبى عبد العزيز عبد الله بن سفر عبادة العبدلى الغامدى، ومحمد دغيليب البراق العتيبى / ١٠٥، وجمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد للإمام محمد بن محمد بن سليمان ١ / ٢٣٤، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٣ / ٩٦، ٩٧).

*** خِلع التشريف:**

قال الراغب الأصفهانى فى مادة «خلع»:

وإذا قيل خلع فلان على فلان فمعناه أعطاه ثوبا، واستفيد معنى العطاء من هذه اللفظة بأن وصل به على فلان بمجرد الخلع (المفردات/ ١٥٥).

ويقصد بخلع التشريف هنا الثياب التى كان السلطان فى دولة المماليك يعطيها لطبقات الشعب المختلفة تشريفا لهم. وقد تناولها بالوصف ل. أ. ما ير صاحب كتاب «الملابس المملوكية» (العنوان المترجم) مما ننقله لك فيما يلى. يقول المؤلف:

الواقع أنه فى كتاب عن تاريخ الأزياء الإسلامية، نرى من الواجب إفراد فصل خاص لثوب التشريف الذى يطلق عليه اسم «خلعة». وقد كان فى العصور السابقة للعصر المملوكى غالبا عبارة عن ثوب يلبسه الحاكم نفسه ويعطيه كهدية بعد أن يخلعه من فوق جسده ـ وكان هذا التصرف يعتبر أصلا بمثابة وعد شخصى بالأمان أكثر منه رمزا للتكريم ـ ثم أصبحت خلعة التشريف فى القرن الرابع عشر بمثابة هدية شائعة، إلى حد أنه أمكن لموظفى الدولة اعتبارها حقا مكتسبا كمرتباتهم سواء بسواء. وقد وردت فقرات عديدة فى المراجع التاريخية تثبت أن طابع الخلعة كان هبة معتادة وبخاصة تلك الفقرات التى تشير إلى التغييرات التى حدثت فى خصائص «ثوب التشريف» وبناء عليه، أصبح من النادر أن نسمع فى خلال حكم المماليك، أن ثياب التشريف كانت من الملابس التى يرتديها السلطان نفسه. ومع ذلك نقرأ أنه لما أرسل السلطان الملك «المظفر يوسف بن عمر» من بنى رسول هدايا ثمينة إلى

السلطـان «بيبرس» ، أرسل إليـه الأخير ردا على ذلك قميصا (كأمان) ودرعا (جـوشن) . وكان فى الأصل يرتـديهما لنفسه . وفى حفل زفـاف نجله «بـركـة قان» من ابنـة «قلاوون» أهـدى بيبرس إلى قـلاوون «خلعة» تشريف كاملـة وشربوشا كـان هو نفسه يـرتديهما . وفى السـابع والعشرين من شهـر رجب سنة ٨٣٧ هجرية (التاسع عشر من مارس سنة ١٤٣٤ ميلادية) ، عندما تنحى «كريم الدين» عن عمله كوزير، وعين «استادارا» للسلطان أهـدى قباء سلطـانيا من أقبيـة السلطان . وفـى سنة ٨٦٢ هجـرية عنـدمـا أراد السلطـان «إينال» أن يكـرم الأميـر «أزبك بن ططخ» ، الذى لـم يكن يشغل أيـة وظيفة حتى ذلك الحين ، خلع على «أزبك» هذا «معطفا ـ سلاريا» من ملابسه الخاصـة (انظر مـادة «إينال (قبـة وخانقـاه ومدرسـة السلطان الأشرف ـ) » فى م ٦ / ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ومادة «أزبك بن ططخ» فى م ٤ / ٥٠) وفى عام ٨٨٢ هجرية خلال جولة تفتيشية فى سوريا خلع «قـايتباى» على «قانصوه اليحيـاوى» ، الذى كان حينئـذ حـاكما على حلب ، «سـلاريـة» من الصـوف الأبيض ومبطنة بفراء السمـور الرمادى مما كـان السلطان نفسه يرتـديه وقتئذ على أننا غالبا ما نقرأ عن «ثياب التشريف» التى صنعت خصيصا من أجل السلطان ، ولو أنه لم يلبسها .

ولعله من الصعوبة بمكان ، بل من المتعذر تماما ، تحديد الأجزاء التى كـانت تتكون منهـا الخلعة ، فقد قـرأنا المـرة تلو المـرة عن الخلعة «الكـاملة» دون تحـديـد نوعيـة القطع التى كانت تتألف منهـا . وأحيانـا كان ثوب التشـريف يقتصر على «قباء» أو «عبـاءة» كما كـان يشتمل غالبـا على متنوعـات من ملابس الأمراء كـالأحزمة أو القلانس التى كـان يشار إليها على التخصيص بوصفها أشياء مضافـة إلى الخلعة ، وأحيانا أخرى كانت الخلعـة تشتمل على أجزاء من الثيـاب ، بل وفى بعض الظـروف كـانت تتضمن أسلحـة . والخلعـة التى منحت لأبى الفداء سنة ٧١٥ هجرية (١٣١٥ ميـلادية) كانت تحتوى على مسكـوكات وأقمشـة كـذلك وفى بعض الحـالات الاستثنائيـة أيضا كانت تحتوى على درع فارس وكسوة جواد مزركشة . ومن المحتمل أن يكـون مـؤرخو العصـر المملـوكى من أجل هـذا السبب قد اعتادوا الجمع بين هذه الأشياء كلها ، تحت عنوان واحـد هـو : الخلع والتشـاريف . ومثل هـذه التفـاصيل التى نجـدها فى المـراجع تبعث على الظن بأن ثوب التشـريف لم



توزيع الخلع من قبل مدرب السلطان

يكن لـه خصائص معينـة من حيث تفصيلـه بل إنـه بقدر مـا نعرف عن شكلـه من معلومـات ، كان كأى ثوب عـادى آخر ، اللهم إلا إذا كان قـد صنع أو بطن أو حلى بأهداب أو أشـرطة من مواد نفيسة وأسماء الملابس المستخدمة كثياب للتشريف تخلع على الأمراء ، كانت تماثل تمامـا تلك التى يرتديها عادة أى شخص فى حياتـه اليومية . ومن ثم كـانت تتنوع وتختلف باختلاف طبقات الشعب .

والواقع أن ذلك التنوع المذهـل فى ثياب التشريف خلال العصر المملـوكى ، قد صنف بدقة حسب طبقـات المماليك ويبدو ذلك واضحا من كتـاب مسالك الأبصار لابن فضل الله العمـرى ، حتى أن الإنسـان ليجـد صعوبـة كبـرى إذا أراد أن يحاول محـاولة أفضل وأدق ممـا قدمه هـذا المؤلف بأسلـوبه الخاص . ولكن بما أن المخطوطين الوحيدين الخاصين بهذا الكتـاب واللـذين تحت تصـرفى قـد عانيـا كثيـرا على أيـدى النساخين الـذين نقلوهما إلينا ، ولمـا كان «كاترمير» قـد ترجم أحدهمـا ، لذلك أفضل أن أقدم ترجمـة لهذا الفصل من واقع اقتباس مطول من كتاب الخطط للمقريزى :

«وكانت لأهـل الدول فى الخلع عـوايد ، وهم على ثـلاثة أنواع : أرباب السيوف والأقلام والعلماء ، فأما أرباب السيوف فكانت خلع أكـابر أمراء المئين الأطلس الأحمـر الرومى (من آسيا الصغرى) وتحته الأطلس الأصفر الرومى ، وعلى الفوقانى طرز زركش ذهب وتحـه سنجاب ، وله سجف من ظـاهره مع

الغشاء قندس، وكلوته زركش بذهب وكلاليب ذهب، وشاش لانس رفيع موصول به في طرفيه حرير أبيض مرقوم بألقاب السلطان، مع نقوش باهرة من الحرير الملون، مع منطقة ذهب.

ثم تختلف أحوال المنطقة بحسب مقاديرهم، فأعلاها ما عمل بين عمدها بواكر وسطي ومجنبتان بالبلخش والزمرد واللؤلؤ، ثم ما كان ببيكارية واحدة مرصعة ثم ما كان ببيكارية واحدة غير مرصعة، وأما من تقلد ولاية كبيرة منهم فإنه يزاد سيفا محلى بذهب يحضر من السلاح خاناه، ويجلبه ناظر الخاص، ويزاد فرسا مسرجا ملجما بكنبوش ذهب، والفرس من الاصطبل، وقماشه من الركاب خاناه، ومرجع العمل في سروج الذهب والكنابيش إلى ناظر الخاص.

وكان رسم صاحب حماة من أعلى هذه الخلع، ويعطى بدل الشاش اللانس شاش من عمل الإسكندرية حرير شبيه بالطول، وينسج بالذهب، ويعرف بالمتمر ويعطى فرسين أحدهما كما ذكر، والآخر يكون عوض كنبوشه زنارى أطلس أحمر. وكان لنائب الشام - على ما استقر في أيام الناصر محمد بن قلاوون - مثل هذا، وزيد لـ «تنكز» تركيبة زركش ذهب دائرة بالقباء الفوقاني.

ودون هذه الرتبة في الخلع نوع يسمى طرد وحش يعمل بدار الطراز التي كانت بالإسكندرية وبالقاهرة وبدمشق، وهو مجوخ جاخات (مزين بأشرطة) كتاب بألقاب السلطان، وجاخات طرد وحش، وجاخات ألوان ممتزجة بقصب مذهب، يفصل بين هذه الجاخات نقوش، وطراز هذا يكون من القصب، وربما كبر بعضهم فركب عليه طرازا مزركشا بالذهب، وعليه فرو سنجاب وقندس كما تقدم، وتحت القباء الطرد وحش قباء من المفرج الإسكندراني الطرح، وكلوته زركش بكلاليب وشاش على ما تقدم، وحياصة ذهب، فتارة تكون ببيكارية، وتارة لا يكون بها بيكارية، وهذا لأصاغر أمراء المئين ومن يلحق بهم.

ودون هذه الرتبة في الخلع «كمخا» عليه نقش من لون آخر غير لونه، وقد يكون من نوع لونه بتفاوت بينهما، وتحت سنجاب بقندس، والبقية كما تقدم، لا أن الحياصة والشاش لا يكونان بأطراف رقم، بل تكون مجوخة بأخضر وأصفر مذهب، والحياصة لا تكون ببيكارية.

ودون هذا المرتبة «كمخا» تكون واحدة بسنجاب مقندس والبقية على ماذكر، وتكون الكلوتة خفيفة الذهب، وجانباها يكادان يكونان خاليين بالجملة، ولا حياصة له، ودون هذه الرتبة مُحْرَم لون واحد، والبقية على ما ذكر، خلا الكلوتة والكلاليب ودون هذه الرتبة محرم مقندس، وهو قباء ملون بجاخات من أحمر وأخضر وأزرق، وغير ذلك من الألوان بسنجاب وقندس، وتحته قباء إما أزرق أو أخضر، وشاش أبيض بأطراف من نسبة ما تقدم ذكره. ثم دون هذا من هذا النوع (بالرغم من أنه لرتبة أقل).

وأما الوزراء والكتاب فأجل ما كانت خلعهم الكمخا الأبيض المطرز برقم حرير ساذج وسنجاب مقندس وتحته كمخا أخضر وبقيار (شال العمائم) كان من عمل دمياط مرقوم وطرحة.

ثم دون هذه الرتبة عدم السنجاب، بل يكون القندس بدائر الكمين وطول الفرج (الفتحة) ودونها (دون هذه الرتبة) ترك الطرحة، ودونها أن يكون التحتاني محرما ودون هذا أن يكون الفوقاني من الكمخا لكنه غير أبيض، ودونه أن يكون الفوقاني محرما أبيض، ودونه أن يكون تحته عَتَّابي.

وأما القضاة والعلماء فإن خلعهم من الصوف بغير طراز ولهم الطرحة، وأجلُّهم أن يكون أبيض، وتحته أخضر، ثم ما دون ذلك.

وكانت العادة أن أهبة الخطباء - وهي السواد - تحمل إلى الجوامع من الخزانة وهي دلق مدور، وشاش أسود وطرحة سوداء وعلمان أسودان مكتوبان بأبيض أو بذهب وثياب «المبلغ» قدام الخطيب مثل ذلك خلا الطرحة.

والشيء الهام الذي يجب ألا يغيب عن ذاكرتنا، هو ذلك الطابع الرسمي للخلعة فإن أي ترقية إلى منصب أعلى كان معناه ضمنا «منح خلعة» حتى غدا التعبير بـ «خلع عليه بنيابة» شائعا تماما كما شاع التعبير بكلمة «لبس» (خلعة أو تشريف)، ولو أنه مع ذلك يعتبر تعبيرا ضعيفا للدلالة على التعيين الفعلي وبالمثل أصبح التعبير عن قرار الترقية مختصرا في كلمات مثل «فلان من الناس عُيِّن وزيرا» «دون الإشارة إلى

منحة تشريف» وهناك أمر مهم آخر هو تعيين موظف ليشغل وظيفتين فى وقت واحد، فعندئذ كان يتلقى ثوبين للتشريف. وهكذا نقرأ أن أحد رجال الدين قد عين فى وظيفتى قاض وخطيب، فمنحه السلطان «لاجين» ثوبين للتشريف، لكل منصب منهما ثوب خاص به. ولما نصب طشتمر البدرى حاكما لحلب، تلقى ثوبا للتشريف ليرتديه عند وصوله إلى حلب، ثم بعد ذلك قُدِّم له ولكل فرد من أبنائه «قباء» خاصا بالرحلة. كما أنه فى إحدى المناسبات منح أمير عظيم ثوبين للتشريف لرحلة واحدة.

وكان من المهم جدا أن تظهر الخلعة للناس فى المناسبات، فقد حدث فى شهر صفر سنة ٧١٦ هجرية (١٣١٦ ميلادية) أن وجدنا الشيخ «محمد بن مسلم» قاضى قضاة الحنابلة فى دمشق يرتدى الخلعة أثناء ذهابه إلى عمله، ويخلعها عقب قراءة المرسوم الخاص بتعيينه. ولما عين الشيخ «برهان الدين السوسى» قاضيا لقضاة مكة، ارتدى خلعته لمدة أسبوع من قراءة مرسوم تعيينه الصادر من السلطان. وينطبق هذا الوضع حتى على الحكام المستقلين، فعندما تلقى السلطان مراد العثمانى ثلاثة أثواب للتشريف من «شاه رخ» ظهر بها أمام السفراء.

والغالب أن تسمى هذه الثياب بأسماء تطابق المناسبة التى منحت من أجلها، فمثلا حين يرقى أمير إلى منصب نائب كان ثوب التشريف الذى يخلع عليه يجب أن يطلق عليه اسم «خلعة النيابة» والوزير الذى يرقى حديثا يجب أن يتلقى «خلعة الوزارة» بالنسبة لمن يعين حديثا فى منصب من المناصب كان يحصل أحيانا على خلعة تسمى «خلعة الاستقرار» وإذا امتدت خدمة أحد الموظفين الرسميين أو ثبت فى وظيفته، أو حامت حوله بعض الشكوك، ثم أريد استمراره مع ذلك فى العمل، أطلق اسم «خلعة الاستمرار» على ثوب التشريف الذى يخلع عليه، وعند وصول موظف كبير من أحد الأقاليم وجب تهنئته بسلامة الوصول بأن يخلع عليه «خلعة القدوم»، وعند استئذانه فى الرحيل من السلطان قبل سفره وجب منحه «خلعة السفر» وغالبا ما كان يشار إلى هذه الأخيرة مع نوع الثياب التى كانت تستخدم فى نفس أغراض «خلعة السفر». وإذا استقبل السلطان أميرا فى مجلسه بعد تغيبه لمرضه، كان يمنح ثوبا للتشريف يطلق عليه «خلعة العافية» للدلالة على شفاء الأمير. وفى حالة الصفح عن أمير معزول وجب أن يمنح «خلعة الرضاء» أو «خلعة الرضا» وكانت هذه الخلعة تمنح أحيانا دون أن يشغل صاحبها أية وظيفة، وحتى الإقالة - وليس طبعا لسبب مخل بالشرف - كانت تعتبر فرصة لتقديم خلعة يطلق عليها اسم «خلعة العزل» وأحيانا كان انقطاع مثل هذه الخلع يعنى فى ذاته الإقالة.

(مُنح سلار واحدة عند جلوس محمد بن قلاوون على العرش للمرة الثالثة، النويرى حوادث سنة ٧٠٩ هجرية، ومنح الوزير بدر الدين حسين بن نصر الله فى مناسبة مماثلة جُبة - مبطنة أو بسجف من فراء السمور ويستدل منه على أن خلعة العزل كانت بدورها على قدر كبير من الفخامة، السلوك بتاريخ السابع عشر من شهر ربيع الثانى، سنة ٨٤٢ هجرية، وحدث فى سنة ٨٥٢ هجرية أن منح محتسب مدينة القدس واحدة).

وكان رفض ثوب التشريف يعتبر إساءة خطيرة، إذ كان ذلك يعنى إعلان العصيان أو على الأقل المجاهرة بالعداء وعلى العكس من ذلك كان قبول خلعة التشريف علامة للتعبير عن الخضوع والولاء للسلطان.

وكان ثوب التشريف الخاص برجل الدين يماثل ثوب الرجل العسكرى، من حيث طريقة التفصيل والمظهر المألوف، ولعله مما يبعث على الحيرة مبدئيا، أننا نقرأ بين الفينة والفينة عن بعض رجال الدين ممن منحوا ثيابا للتشريف كانت فى حقيقتها - بقدر ما لدينا من معلومات حاليا - ملابس عسكرية، فمثلا عند افتتاح «برسباى» لمسجده فى يوم الجمعة الموافق الحادى والعشرين من شهر شوال سنة ٨٢٧ هجرية (الحادى عشر من أكتوبر سنة ١٤١٩ ميلادية) خلع على قاضى قضاة الحنفية، محمد بن سعد الديرى «كاميلية» من الصوف مبطنة بفرو سمور.

وهذا دليل على ضعف الإنسان حتى من أصحاب المناصب الرفيعة من المشايخ الذين يذهبون إلى أبعد الحدود من أجل حبهم للترف والذين كان عليهم أن يتغلبوا - فى كثير من الظروف المواتية - على أية عقبات تحول بين المسلم وبين ارتداء الذهب والحرير والأقمشة الفاخرة الأخرى التى لا تتفق

وأحكام الدين، كما قرأنـا أيضا «أن العادة» قد جرت أن يخلع محمد بن قلاوون على القاضى «كريم الدين» الذى كان يعمل فى منصب «نـاظر الخاص»، ثيابا للتشـريف تشمل ثـوبين أحـدهمـا (فـوقـانى) والآخـر (تحتـانى) من الأطلس الأبيض وكلاهمـا به بنود مطـرزة وطاقية مستـديرة مزركشـة يطلق عليها اسم «قبع زركش»، وحدث أكثر من ذلك، أن خُلع على أحد القضاة ثوب للتشريف مذهبا فقبله.

هذا فى الوقت الذى وجد فيه بعض رجال الدين ممن كان لديهم - رغم ولائهم للسلطان - الشجـاعة الكافية لرفض ثياب التشـريف المصنـوعة من أقمشـة تحـرمهـا الأحكـام الـدينيـة فيحدثنا السيوطى أن «تقى الدين بن دقيق العيد» - وكان رجلا كثيـر التقـوى والـورع ويشغل وظيفـة قـاضى مصـر فى عهـد السلطان لاجين - رفض ثـوبا للتشريف لأنه كـان مصنوعا من الحرير، وكـان يرتديه لاجين نفسه ثم «أمر أن يستبـدل به آخر من الصوف، ولذلك ظل يحتفظ به للآن القرن (١٥ م)».

قالت المؤلفـة: نجد من المناسب أن نذكـر هنا أن الإمام السيوطى فى كـلامه على عادة المملكة المصـرية فى الخلع والـزى امتنع عن إدراج وصف خلع الأمـراء والـوزراء والقضـاة وغيـرهم فهـو يقـول: وأمـا خلعهم وخلع الـوزراء ونحـوهم فأسقطتها من كـلام ابن فضل الله لأنها ما بين حـرير وذهب؛ وذلك محرم شرعا، وقد التـزمت ألا أذكر فى هـذا الكتاب شيئا أُسأل عنـه فى الآخرة، إن شاء الله تعـالى (حسن المحـاضرة ٢ / ٣٢٠).

ومن جهة أخـرى، كانت المـلابس التى يوزعهـا السلطان خليل على مختلف رجال الدين (من جميع المذاهب) عشية رحيله لغزو عكا، يطلق عليها اسم «ثوب» لا «خلعة».

وعلى أى حال، يجب أن نضع فى الحسبـان، أن ملابس التشريف الأميرية مثل المتمرات والكـوامل كانت تمنح أحيانا إلى العمال العاديين. ومن المحتمـل أن يكون ذلك متبعا فى حـالة منح ثـوب غير مميـز الطابع إلى شخص لا يحق لـه أن تخلع عليـه خلع التشريف (المعلمـون المعماريـون والعمال المهرة). ويجب أن يكون مثل هذا الثوب فى الغالب مصنوعا من قماش فاخر نـوعا وأخف وزنا عن المألوف، حتى يتمكن الشخص من ارتدائه فوق جميع ملابسـه وفى مناسبات خاصة للغايـة، وكان هـذا الثوب يطوى ويلـف حول وسط الشخص كالزنار. والواقع أنه حدث قرب نهاية عصر المماليك أن انحط قـدر «ثوب التشـريف» فعـلا كأى شىء آخر فكـان يصنع من أقمشة أقل جودة وأكثر رخصا. فقد حدث مثلا فى سنة ٩١٢ هجرية (فبراير سنة ١٥٠٧ ميـلادية) بمناسبة عيـد الفطر، أن أهدى قانصوه الغـورى بعضا من تلك الثياب التى أطلق عليها «ثيـاب التشـريـف»، وكـانت مصنـوعـة مـن القطن الملـون ويساوى الثـوب منها ثلاثـة دنانيـر، وهى تعتبر بديـلا للثياب الفاخرة التى جرت العادة بإهدائها فى أيام الرخاء الماضية.

ولم يكن السلطان وحده هو الذى تقتصر عليه عادة إهداء ثيـاب التشريف إذ كـان من المألوف أن يقـوم بذلك الخلفـاء أحيانا، وأمـراء البيت المالك، والولاة، وكبار مـوظفى الدولة مع أتباعهم فى المنـاسبات وبصفة خاصة عنـد تلقيهم بشارة بأخبار سارة منهم وحدث أيضا أن أرسلت السلطانة ثوبا (ليس بخلعة) إلى أطباء السلطان. وقد عـرفنا ملكات أخريات قمن بتوزيع ثياب للتشريف.

وكـانت ثيـاب التشـريف تصنع أصـلا فى المصـانع السلطانيـة، ولكن فى العصر الجركسى كانت تصنع خـاصة وتباع فى سوق الشرابشيين فى القاهرة، وبمضى بعض الوقت حـرم بيعها فـى السوق الحـرة، ووضعت تحت رقـابـة «ناظـر الخـاص» وأصبح لا يمكن لأى شخص ابتياعها عدا السلطان نفسه، الذى كان يمكنه شراء الثياب من السوق رأسا.

وكان سـلاطين المماليك يمنحـون السفراء الأجانب ثيـابا للتشريف محـاكاة على طراز الزى المملوكـى، ويبدو أن هذا التقليـد كـان إذ ذاك عادة متبعـة فى بـلاط سـلاطين الشـرف الأدنى، ومنذ كـان سفراء المماليك لدى سـلاطين آل عثمان يعـودون بثيـاب تشـريف عثمـانيـة. وكـان مبـدأ منح ثيـاب التشريف معمولا به بالنسبة للأوروبيين المسيحيين فنجد مثلا أن بطـرس الشهيد — يتلقى ثوبـا للتشريف من قمـاش ذهبى بطراز سجلت عليه كتابات بالحروف العربية مخيطة فيه. وفى تقارير بـاجانى الخاصة بـاستقبال دومنيكو تريفيـزان ذكر «أنه لبس ثوبـا من المخمل الأحمر القـرمزى مبطنـا بفراء ومحـاكا على الطـراز المغـربى، (المـوسكى)، ومزودا كـذلك بيـاقـة عريضـة من فراء القاقم» وكذلك مثل بين يـدى السلطان نجل

تريفيزان وقنصل الاسكندرية وهما فى ثياب للتشريف مماثلة، كما ذكر أن تريفيزان قد منح ثوبين آخرين أقل قيمة، من الحرير الأسود والأبيض، أعطى أحدهما إلى كاتب السر (السكرتير) والآخر إلى الترجمان. وقد يكون من الأهمية بمكان معرفة ما إذا كان سفراء المماليك يتلقون ثيابا للتشريف على النمط الأوربى من بلاط الملوك المسيحيين القلائل الذين كانت للمماليك علاقات دبلوماسية معهم (مثل ملوك برشلونة، والبندقية، وقبرص)، فإذا كان الأمر كذلك، فهل كان لديهم الجرأة على ارتدائها عند وصولهم إلى القاهرة، حسبما جرت به العادة من ارتداء ثياب التشريف التى تمنح إليهم من الحكام المسلمين؟ والحق أنهم منحوا ثيابا للتشريف وظهروا بها فى حضرة السلطان وهو أمر معروف وغير قابل للجدل، إلا أن الأمر الوحيد القابل للمناقشة هو طريقة صنع تلك الثياب ومن جهة أخرى فإن الحقيقة الثابتة هى أنه كان من بين الهدايا التى حملت إلى القاهرة والإسكندرية بواسطة السفراء البنادقة، منسوجات متنوعة وكذلك ملابس مخيطة.

(الملابس المملوكية/ ١٠١ـ١١٤).

وعن خلع التشريف أيضا يذكر المسبحى أنه «فى يوم الإثنين لخمس خلون من شهر رمضان، أُجلس طيب الخازن فى بيت المال متوليا له، وخلع الظاهر عليه خلعا حَسِنية مذهبة نفيسة، وحُمل على بغلة بسرج ولجام مذهب محلى. وخلع على مسرة الخازن، فيه، وأُجلس فى خزانة الخاصة، متوليا لها، وحمل على فرس بسرج ولجام مذهب محلى؛ وجعل رفق، الخادم الأسود، الملقب بعدة الدولة، يخرج إليهما بأوامر مولانا ـ صلوات الله عليه ـ ويدخل بها.

وفيه خلع على ثلاثة أنفس من أولاد ابن جراح كانوا مقيمين بمصر، وحُملوا على ستة أرؤس من الخيل بسروجها ولجمها مصفحة».

كما يذكر خلع السلطان بمناسبة وفاء النيل فيقول:

وفى رابعه زين العامة أسواق البلد، وخلَّقوا وجوه الصبيان، ونادوا بوفاء النيل ستة عشر ذراعا، فخلع على ابن أبى الرداد خلعا دبيقية مذهبة ورداء محشوًا مذهبا وعمامة شرب مذهبة، وحُمل على بغلين بسرجين ولجامين مذهبين، أحد السرجين مصفح، وأعطى ست عشرة قطعة ثياب وثلاثة آلاف درهم. وبلغ الماء أصبعين من سبعة عشر ذراعا، فكان يوما حسنا كثيرا فيه سرور الناس.

وفيه خلع على بقى الخادم الأسود، غلام بدر الدولة نافذ، ثوب مثقل طميم وعمامة قاضى [قاض] مذهبة، وسيف ذهب، وقُلد الشرطتين بمصر، وحمل على فرس بسرج ولجام مذهب، عوضا عن جلال الدولة ابن كافى.

(أخبار مصر فى سنتين/ ١٨١، ١٨٢، ٢٤٦).

وقد تكلم على مبارك على منح الخلع والإنعامات والرواتب، فبدأ أولا بالكلام على اختلاف الأزياء باختلاف الرتب فقال:

ولم تكن تلك الهبات قاصرة على طوائف العسكر، بل كانت متعدية إلى أصحاب الأقلام، والقضاة على طبقاتهم، والعلماء والخطباء على اختلافاتهم.

وقد أطال المقريزى فى شرح الإنعامات الواصلة كل سنة لأكابر المئين ومن دونهم، كما أطاله فيمن تقدم ذكرهم. وكان ذلك يصرف من الخزانة السلطانية، ومحلها بالقلعة، ولها ناظر من القضاة الأعلام.

وكانت العادة أن الخلعة إذا خلقت أعيدت للخزانة، وصرف بدلها. ومن نظر إلى ما يكون بها من الزركش والجوهر والذهب، رأى أن الخلعة الواحدة تفوق الحد فى المصاريف. وكانت خلع أكابر المئين من الأطلس الأحمر الرومى، وتحته الأطلس الأصفر الرومى، وعليها طراز وزركش مذهب بكلاليب من الذهب، وشاش لانس رفيع موصول حرير أبيض، مرقوم عليه ألقاب السلطان منقوش بالحرير الملون النقوش الباهرة، ومنطقة بالذهب مختلفة بحسب الرتبة، فأعلاها به البلخش والزمرد واللؤلؤ، وبيكارية مرصعة وغير مرصعة.

ومن تقلد ولاية يعطى له سيف محلى بالذهب، وفرس بسرجه ولجامه، وله كنبوش من الذهب أيضا. وكان لكل منهم علامة تميزه بحسب الدرجة والولاية. وأما أمير أقل من مائة وأقل منه، فكل بحسبه.

وأجل خلع الكُتَّاب الكمخ الأبيض المطرز بالحرير الساذج، والسنجاب المقندس، وتحته كمخ أخضر، وبيقار مرقوم وطرحة، ودونها عدم السنجاب، ويكون القندس بدائر

الكُمَّين فقط، ودونهـا تـرك الطـرحـة، وهـكذا لتمـييز الدرجـات.

وكانت خلع القضاة والعلماء من الصوف بغير طراز، ولهم الطرحة، وأجلها البيضاء، ثم الخضراء، ثم غيرهما.

وخلع الخطبـاء هى السـواد، تحمل إلـى الجـامع من الخـزينة، وهى دلق مـدور، وشـاش أسود، وطرحة سـوداء، وعلمان أسودان، مكتوب فيهما بـالأبيض أو بالذهب. وثياب المبلغ مثل ذلك، ما خلا الطرحة.

ثم ينقتل على مبـارك إلى الكلام على عـادات منح الخلع والإنعامات والرواتب فيقول:

وكان للسلطان عادات فى إعطاء الخلـع، كابتداء جلوسه على الدست، وتشمل الخلع حينئذ سائر رجـال الدولة، وقد خلع فى يـوم إقامـة الأشـرف بن حسين بن محمد بن قـلاوون ألف ومـائتـا خلعـة، وكـوقـت اللعب بـالكـرة، فيخلع على الجـوكنـدارية، ومـن له خـدمـة فى ذلك، وكأيـام الأعيـاد، وأوقـات الصيد، فإذا سـرح أحـد مصيده أو أحضـر غزالـة أو نعامة خلع عليـه بما يناسب قدره، وكـذا يخلع على البردارية وحملة الجـوارح، ومن يجرى مجراهـم فى كل سنـة عند أوان الصيد.

وكـان ينعم على غلمـان الطشتخـانـة والشـرابخـانـة والفرشخانة، ومن يجـرى مجراهم، وكذا من يصل إلى الباب من الأغراب زائرا، أو مهاجرا من مملكـة أخرى تدر عليه أنواع العطايا والأرزاق والخلع على حسب حاله، وكذا التجار الذين يبيعون من متـاجرهم للسلطان يخلع عليهم، فضـلا عما لهم من الـرواتب الدائمـة من الخبـز والتوابل والحلـوى، والعليق والمسامحـات، فى نظيـر ما يباع من الرقيق، مـع ما يترك لهـم من حقـوق أخرى، ولو بـاع أحدهـم للسلطان ولو واحـدا من الـرقيق، فلــه خلعـة كـاملـة، زائدة على أصـل الثمن. ولـه إنعامات وسفارات، تطلق على سبيل الإتجار (الخطط ١ / ١٣٤ ـ ١٣٦).

(المفـردات فى غـريب القرآن للـراغب الأصفهـانى ـــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٥٥ ـ، والملابس المملـوكية ـ ل. أ. ماير، ترجمة صالح الشيتى، مـراجعة وتقـديم د. عبد الـرحمن فهمى محمد / ١٠١ ـ ١١٤، وحسن المحاضـرة للحافظ جلال الـدين عبد الـرحمن السيوطى ـ بتحقيق محمـد أبى الفضل إبـراهيم ٢ / ٣٢٠، وأخبـار مصـر فى سنتين محمـد بن عبيـد الله المسبحى ـــ تحقيق وليم ج ميلـورد / ١٨١، ١٨٢، ٢٤٦، والخـــطط التوفيقـيـة الجديـدة لعلـى باشـا مبـارك ١/ ١٣٤ ـ ١٣٦).

ملاحظة: الصورة المصاحبـة لهذه المادة وهى عن توزيع الخلع من قبل منـدوب السلطـان، وقـد أخـذت من كتـاب مجتمع مـدينة دمشق للـدكتـور يـوسف جميل نعيسة الجـزء الأول.

*** خلع النعلين فى الوصول إلى حضرة الجمعين:**

خلع النعلين فى الـوصـول إلى حضـرة الجمعين: للشيخ أبى القاسم... ابن قسى شيخ الصـوفية هو أبو القـاسم أحمد ابن قسى الأنـدلسى المتـوفى سنـة ٥٤٥ وهـو مختصـر أولـه الحمد لله الـذى أوجد بالحـرفين دائرة الوجود إلخ... وشـرحه الشيخ محيى الـدين محمـد بن على بن عربـى المتوفى سنـة ٦٣٨ ثمان وثلاثين وستمائة ذكر فيه أن المصنف كان من أهل الأدب والفضل متضلع [متضلعـا] من اللغـة فـلا يقصـد إلى كلمـة إلا لحكمـة يراهـا وشـرحـه أيضا الشيخ عبـدى شـارح الفصوص.

(كشف الظنون ١ / ٧٢٢).

*** الخلعة الخليفتى:**

وتسمى أيضا السواد الخليفتى. وهى عمامة سوداء مدورة بعذبة ذهب قدر ذراع مع أنها كانت مستطيلة أيام الفاطميين ـ تسمى التكفيفة أو الناعورة، وقد تكون لها قرون طوال، وتكون فى مقام التاج.

(التعـريف بمصطلحـات صبح الأعشـى ـــ محمـد قنـديل البقلى / ١٢١).

*** الخِلعى (٤٠٥ ـ ٤٩٢ هـ / ١٠١٤ ـ ١٠٩٩ م):**

الخلعى، بكسـر الخـاء المعجمـة، وفتح الـلام على بن الحسن بـن الحسين بـن محمـــد، أبـــو الحسـن الخلعى الشـافعى، مسنـد الـديـار المصـريـة فى عصـره. أصلـه من الموصل، ومولده ووفاتـه بمصر. كان يبيع الخلع لملوك مصر وأمـرائهـا، فنسب إليها (انظـر مـادة «خلع التشـريف») وولى القضاء فحكم يوما واحدا واستعفى، وانـزوى بالقرافة (فى ابن خلكان «القـرافة الصغـرى»)، حتى قيل له «القـرافى». وكان قبره فيهـا يعرف بقبـر «قاضى الجن والإنس» وبإجـابة الـدعاء

عنده صنف كتاب «الفوائد» فى الحديث ويعرف بفوائد الخلعى. وخرَّج أحمد بن الحسين الشيرازى أجزاء من مسموعاته فى الحديث سماها «الخلعيات»(فى ابن خلكان: «أجزاء من مسموعاته آخر من رواها عنه أبو رفاعة») (الأعلام ٤ / ٢٧٣، وحسن المحاضرة ١ / ٤٠٤، والرسالة المستطرفة / ٦٩) وقد أدرجها حاجى خليفة تحت عنوان «الخلعيات من أجزاء الحديث» وقال إن أحمد بن حسين الشيرازى جمعها فى عشرين جزءا (كشف الظنون ١ / ٧٢٢).

وقد ذكره الحافظ السيوطى فيمن كان بمصر من الفقهاء الشافعية وقال عنه بالإضافة إلى ما تقدم: وكان فقيها صالحا، له كرامات وتصانيف وروايات متسعة، وكان أعلى أهل مصر إسنادا ... وكان والده أيضا فقيها شافعيا (حسن المحاضرة ١ / ٤٠٤، ٤٠٥).

كما ذكره صاحب الرسالة المستطرفة فى مؤلفى الأجزاء الحديثية (انظر مادة «الأجزاء الحديثية فى م ٢ / ٤٢٣ ـ ٤٢٩).

(الأعلام للزركلى ٤ / ٢٧٣، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٤٠٤، ٤٠٥، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ٦٨، ٦٩).

*** الخلعيات من أجزاء الحديث:**

انظر: الخلعى.

*** خَلَفَ:**

عن ورود اللفظ فى القرآن الكريم جاء ما يلى فى مفردات الراغب الأصفهانى:

خَلْف: خلف ضد القدام، قال تعالى ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه﴾ [الرعد: ١١] وقال تعالى ﴿فاليوم نُنجِّيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية﴾ [يونس: ٩٢] وخلف ضد تقدم وسلف، والمتأخر لقصور منزلته يقال له خلف ولهذا قيل الخلف الردىء والمتأخر لا لقصور منزلته يقال له خلف، قال تعالى ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ [الأعراف: ١٦٩] و [مريم: ٥٩] وقيل: سكت ألفا ونطق خلفا: أى رديئا من الكلام ... وقيل لمن فسد كلامه أو كان فاسدا فى نفسه يقال تخلف فلان فلانا إذا تأخر عنه وإذا جاء خلف آخر وإذا قام مقامه ومصدره الخلافة، وخلف خلافة بفتح الخاء فسد فهو خالف أى ردىء أحمق، ويُعبَّر عن الردىء بخلف نحو: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة﴾ [مريم: ٥٩] ويقال لمن خلف آخر فسدَّ مسده خلف والخلفة يقال فى أن يخلف كل واحد الآخر، قال تعالى: ﴿وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة﴾ [الفرقان: ٦٢] وقيل أمرهم خلفة: أى يأتى بعضه خلف بعض قال الشاعر:

* *بها العين والآرام يمشين خلفة* *

وأصابته خلفة كناية عن البطنة وكثرة المشى وخلف فلان فلانا قام بالأمر عنه إما معه وإما بعده، قال تعالى ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون﴾ [الزخرف: ٦٠] والخلافة النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه فى الأرض، قال تعالى: ﴿هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض﴾ [فاطر: ٣٩]، ﴿وهو الذى جعلكم خلائف الأرض﴾ [الأنعام: ١٦٥] وقال تعالى: ﴿ويستخلف ربى قوما غيركم﴾ [الأنعام: ١٦٥] والخلائف جمع خليفة، وخلفاء جمع خليف، قال تعالى ﴿ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض﴾ [ص: ٢٦]، ﴿وجعلناهم خلائف﴾ [يونس ٧٣]، ﴿جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ [الأعراف: ٦٩] والاختلاف والمخالفة أن يأخذ كل واحد طريقا غير طريق الآخر فى حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد لأن كل ضدين مختلفان وليس كل مختلفين ضدين، ولما كان الاختلاف بين الناس فى القول قد يقتضى التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة، قال تعالى: ﴿فاختلف الأحزاب﴾ [مريم: ٣٧] ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ [هود: ١١٨] ﴿واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ [الروم: ٢٢]، ﴿عم يتساءلون * عن النبإ العظيم * الذين هم فيه مختلفون﴾ [النبأ: ١ ـ ٣]، ﴿إنكم لفى قول مختلف﴾ [الذاريات: ٨] وقال تعالى: ﴿مختلفا ألوانه﴾ [النحل: ١٣] وقال تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات﴾ [آل عمران: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿فهدى الله الذى آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾ [البقرة: ٢١٣]، ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا﴾ [يونس: ١٩]، ﴿ولقد بوأنا بنى إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم

العلم إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ [يونس: ٩٣] وقال فى القيامة ﴿وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ [النحل: ٩٢]، وقال تعالى ﴿ليبين لهم الذى يختلفون فيه﴾ [النحل: ٣٩] وقوله تعالى: ﴿وإن الذين اختلفوا فى الكتاب﴾، [البقرة: ١٧٦] قيل معناه خلفوا نحو: كسب واكتسب، وقيل أتوا فيه بشىء خلاف ما أنزل الله، وقوله تعالى: ﴿لاختلفتم فى الميعاد﴾ [الأنفال: ٤٢] فمن الخلاف أو من الخلف وقوله تعالى ﴿وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله﴾ [الشورى: ١٠]وقوله تعالى: ﴿فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ [آل عمران: ٥٥] وقوله تعالى ﴿إن فى اختلاف الليل والنهار﴾ [يونس: ٦] أى فى مجىء كل واحد منهما خلف الآخر وتعاقبهما، والخلف المخالفة فى الوعد، يقال وعدنى فأخلفنى أى خالف فى الميعاد ﴿بما أخلفوا الله ما وعدوه﴾ [التوبة: ٧٧] وقال تعالى: ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ [آل عمران: ٩] وقال تعالى: ﴿فأخلفتم موعدى﴾ [طه: ٨٦] ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ [طه: ٨٧] وأخلفت فلانا وجدته مخلفا، والإخلاف أن يسقى واحد بعد آخر، وأخلف الشجر إذا اخضر بعد سقوط ورقه، وأخلف الله عليك يقال لمن ذهب ماله أى أعطاك خلفا وخلف الله عليك أى كان لك منه خليفة، وقوله تعالى ﴿لا يلبثون خلفك﴾ [الإسراء: ٧٦] بعدك، وقرئ ﴿خلافك﴾ أى مخالفة لك، وقوله تعالى: ﴿أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف﴾ [المائدة: ٣٣] أى إحداهما من جانب والأخرى من جانب آخر وخلّفته تركته خلفى، قال تعالى ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله﴾ [التوبة: ٨١] أى مخالفين ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ [التوبة: ١١٨] ﴿قل للمخلفين﴾ [الفتح: ١٦] والخالف المتأخر لنقصان أو قصور كالمتخلف قال تعالى ﴿فاقعدوا مع الخالفين﴾ [التوبة: ٨٣] والخالفة عمود الخيمة المتأخر، ويكنّى بها عن المرأة لتخلفها عن المرتحلين وجمعها خوالف، قال تعالى ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ [التوبة: ٨٧] ووجدت الحى خلوفا أى تخلفت نساؤهم عن رجالهم، والخلف حد الفأس الذى يكون إلى جهة الخلف وما تخلّف من الأضلاع إلى ما يلى البطن، والخلاف شجر كأنه سمىَ بذلك لأنه يخلف فيما يظن به أو لأنه يخلف مخبره منظره (أوردناه تحت عنوانه فانظره فى موضعه)، ويقال للجمل بعد بزوله مخلف عام ومخلف عامين، وقال عمر رضى الله عنه: لولا الخِلِّيفَى لأذّنت أى الخلافة وهو مصدر خلف.

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٥٥ ـ ١٥٧).

* **خلف الأحمر (-نحو ١٨٠ هـ/ نحو ٧٩٦ م):**

أورده الزبيدى فى طبقاته فى الطبعة الثالثة من اللغويين البصريين (الطبقات / ١٦١ ـ ١٦٥) قال عنه الزركلى: خلف ابن حيان، أبو محرز، المعروف بالأحمر، راوية، عالم بالأدب، شاعر، من أهل البصرة. كان أبواه موليين من فرغانة، أعتقهما بلال بن أبى موسى الأشعرى. قال معمر بن المثنى: خلف الأحمر معلّم الأصمعى ومعلم أهل البصرة، وقال الأخفش: لم أدرك أحدا أعلم بالشعر من خلف والأصمعى. وكان يضع الشعر وينسبه إلى العرب، قال صاحب مراتب النحويين: وصنع خلق على شعراء عبد القيس شعرا كثيرا، وعلى غيرهم، عبثا به، فأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة. وله «ديوان شعر»، وكتاب «جبال العرب وما قيل فيها من الشعر» و «مقدمة فى النحو» (مطبوع) (الأعلام ٢ / ٣١٠، وإنباه الرواة ١ / ٣٥٠).

وقال عنه القفطى: خلف الأحمر بن حيان بن محرز أبو محرز مولى بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى. من أبناء الصغد الذين سباهم قتيبة بن مسلم، فوهبه سلم بن قتيبة بن مسلم لبلال (الصُّغد، بضم الصاد (ويقال بالسين أيضا): قرى متصلة خلال الأشجار والبساتين، من سمرقند إلى قريب من بخارى)وهو أحد رواة الغريب واللغة والشعر ونقاده والعلماء به وبقائليه وصناعته. وله صنعة فيه. وهو أحد الشعراء المحسنين، ليس فى رواة الشعر أحد أشعر منه.

وكان يبلغ من حذقه واقتداره على الشعر أن يشبه شعره بشعر القدماء؛ حتى يشبه بذلك على جلة الرواة، ولا يفرقون بينه وبين الشعر القديم؛ من ذلك قصيدته التى نحلها ابن أخت تأبط شرا، التى أولها:

إن بالشعب الذى دون سلع
لقتيلا دمه ما يُطَلُّ

جازت على جميع الرواة، فما فطن بهـا إلا بعد دهر طويل بقوله:

خبـــر مـــا نـــابنـــا مصمئـل
جـلَّ حتـى دق فيـــــــه الأجـل

فقال بعضهم:

﴿ جل حتى دق فيه الأجل ﴾

من كلام المولدين. فحينئذ أقر بها خلف.

وخرج خلف الأحمر يوما على أصحابه، فأنشدهم قول النمر بن تولب:

ألـمَّ بصحبتـي وهـم هجـــــود
خيـــال طـــارق من أم حصـن

في طبقات الزبيدي / ١٦١: «هجوع» بدل «هجود»)

وقال: لـو كان مكـان «أم حصن» «أم حفص» كيف يكون قوله بعده:

لهـــا مـــا تشتهـى عسل مصفَّـى
وإن شـــاءت فحـــوَّارى بسمـن

فقالوا: لا ندري، فقال:

﴿وإن شاءت فحوارى بلمص﴾

واللمص: الفالوذج.

ووصفه العلماء بعلم الشعر. وقد أغنانا المبرد في «الروضة» عن التطويل في ذكره، وكان قد تعبد في آخر عمره.

(في هامش الأصل ص ٢٩٤ «وقال ابن سلام: كنا لا نبالي إذا حدثنا عنه خبرا أو أنشدنا شعرا ألا نسمعه من صاحبه. وقال شمر: هو أول من أحدث السماع بالبصرة، وذلك أنه جاء إلى حماد الراوية فسمع منه، وكان ضنينا بأدبه».

وفي طبقات الشعراء لابن سلام ص ٧: «وقال قائل لخلف: إذا سمعت أنا بالشعر واستحسنته فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك. فقال له: إذا أخذت أنت درهما فاستحسنته، فقال لك الصراف: إنه رديء؛ هل ينفعك استحسانك له!».

وكان أبو نواس تلميذا له، ويفتخر به، ورثاه في ديوانه ١٣٢ ــ ١٣٥، قصيدتان يرثي بهما خلفا؛ ومما جاء في إحداهما:

لمـــا رأيت المنـــون آخـــذة
كـل شـــديـــد وكـل ذي ضعـف
بـت أعـــزي الفـــؤاد عـن خلـف
وبـــــات دمعـي إلا يفـض يكـف
أنسـى الـــرزايـــا ميت فجعت بـــه
أمسـى رهيـن التـــراب فـي جـــدف
لا يهم الحـــاء فـي القـــراءة بـــالخـــا
ء ولا لامهـــا مـــع الألـــف
ولا يعمـي معنـى الكـــلام ولا
يكـــون إنشـــاده عـن الصحـف
وكـــان ممـن مضـى لنـــا خلفـــا
فليس منـــه إذ بـــان مـن خلـف)

لـه ترجمة في إشارة التعيين ١١٣، والأمالي لأبي علي القالي ١ / ١٥٦ ـ ١٥٧، وبغية الوعاة / ٢٤٢، وتلخيص ابن مكتوم / ٦٦، وتهذيب اللغة للأزهري ١ / ٤، وروضات الجنات / ٢٧٠ والشعر والشعراء / ٧٦٣ ـ ٧٦٥، وطبقات ابن قاضي شهبة ١ ــ ٣٣٤، والفهرست ٧٤، واللآلي لأبي عبيد البكري / ٤١٢ـ٤١٣، والمزهر ٢ / ٤٠٣، والمعارف / ٢٣٧، ومعجم الأدباء ١١ / ٦٦ ـ ٧٢، ونزهة الألباء / ٦٩ ـ ٧١. وانظر الأغاني ٣ / ٤٣، ٩ / ٣٩، ١٤ / ٣١، و١٧ / ١١، ١٢، و ١٨ / ٧٧، ٨٠، ٨١. ويطلق «الأحمر» على أربعة، أشهرهم اثنان: خلف بن حيان وعلي بن حسن الكوفي. والثالث أبان بن عثمان الطولوي والرابع أبو عمرو إسحاق بن مرار (انظر مادة «الأحمر» في م ٢ / ٧٠٠، ٧٠١). (إنباه الرواة ١ / ٣٤٨ـ٣٥).

(الأعلام للزركلي ٢ / ٣١٠، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ـ بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ١ / ٣٤٨ ـ ٣٥٠. انظر أيضا طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ـ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم / ١٦١ ـ ١٦٥).

*** خلف البزار (١٥٠ـ٢٢٩):**

هو خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب بن هشيم

ابن ثعلب بن داود بن مقسم بن غالب أبو محمد الأسدى ويقال خلف بن هشام وابن أبى طالب بن غراب الإمام العلم أبو محمد البزار بالراء البغدادى أحد القراء العشرة الرواة عن سليم عن حمزة.

ولد سنة خمسين ومائة وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين وابتدأ فى الطلب وهو ابن ثلاث عشرة وكان ثقة كبيرا زاهدا عابدا عالما، روى عنه أنه قال أشكل على باب من النحو فأنفقت ثمانين ألف درهم حتى حفظته أو قال عرفته، وروى عنه أيضا أنه كان يكره أن يقال له البزار ويقول قدمت الكوفة فصرت إلى سليم فقال ما أقدمك؟ قلت أقرأ على أبى بكر بن عياش فدعا ابنه وكتب معه ورقة إلى أبى بكر لم أدر ما كتب فيها فأتيناه فقرأ الورقة وصعَّد فى النظر ثم قال أنت خلف؟ قلت نعم أنت الذى لم تخلف ببغداد أحدا أقرأ منك؟ فسكتُّ فقال لى اقعد هات اقرأ قلت عليك قال نعم قلت لا والله لا أقرأ على من يستصغر رجلا من حملة القرآن ثم خرجت فوجه إلى سليم فسأله أن يردَّنى فأبيت ثم مذمت واحتجت فكتبت قراءة عاصم عن يحيى بن آدم. هذا وقد أخذ القرآن عرضا عن سليم بن عيسى وعبد الرحمن بن أبى حماد عن حمزة ويعقوب بن خليفة الأعشى وأبى زيد سعيد بن أوس عن المفضل الضبى، وروى الحروف عن إسحاق المسيبى وإسماعيل بن جعفر وعبد الوهاب بن عطاء ويحيى بن آدم وعبيد بن عقيل وروى رواية قتيبة عنه فيما ثبت عندنا من طريق ابن شنبوذ والمطوعى أداء وسماعا وسمع من الكسائى الحروف ولم يقرأ عليه القرآن، قال أبو على الأهوازى فى مفردة الكسائى قال الفضل بن شاذان عن خلف أنه قرأ على الكسائى والمشهود عند أهل النقل لهذا الشأن أنه لم يقرأ عليه وإنما سأله عنها وسمعه يقرأ القرآن إلى خاتمته وضبط ذلك عنه بقراءته عليهم وكذا قال الحافظ أبو العلا وهو صحيح والله أعلم.

روى عنه قراءة الأعمش عن زائدة بن قدامة، وروى القراءة عنه عرضا وسماعا أحمد بن إبراهيم وراقه وأخوه إسحاق بن إبراهيم وإبراهيم بن على القصار وأحمد بن يزيد الحلوانى وإدريس بن عبد الكريم الحداد وأحمد بن زهير وأحمد بن محمد البرائى وسلمة بن عاصم وعبد الله بن عاصم شيخ الغضايرى وعلى بن الحسين بن سلم ومحمد بن إسحاق شيخ ابن شنبوذ ومحمد بن الجهم ومحمد بن مخلد الأنصارى ومحمد بن عيسى والفضل بن أحمد الزبيدى وعلى بن محمد ابن نازك وإبراهيم بن إسحاق ومحمد بن إبرهيم ومحمد بن سعيد الضرير وأبو بكر أسد المؤدب وعبيد بن عقيل وعبد الوهاب بن عطاء وموسى بن عيسى وأبو الوليد بن عبد الملك ابن القاسم وعمر بن فايد فيما ذكره الهذلى قال ابن أشتة كان خلف يأخذ بمذهب حمزة إلا أنه خالفه فى مائة وعشرين حرفا فى اختياره وقد تتبع ابن الجزرى اختياره فلم يره يخرج عن قراءة الكوفيين بل ولا عن قراءة حمزة والكسائى وشعبة إلا فى حرف واحد وهو قوله تعالى: ﴿وحرام على قرية﴾ [الأنبياء: ٩٥]فقرأها خلف كحفص. مات رحمه الله فى جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين ببغداد مختف من الجهمية (البحث والاستقراء / ٥٠، ٥١) انظر مادة «الجهمية» فى م ١٢ / ٤٢٥ - ٤٣١.

وقال عنه فضيلة الشيخ إبراهيم عطوة عوض:

عنايته بالحديث:

حدث عنه مسلم فى «صحيحه»، وأبو داود فى «سننه»، وأحمد بن حنبل، وأبو زرعة الرازى، وأحمد بن أبى خيثمة، ومحمد بن إبراهيم بن أبان السراج، وأبو يعلى الموصلى، وأبو القاسم البغوى، وعدد كثير.

وثَّقه ابن معين والنسائى وقال الدارقطنى: كان عابدا فاضلا.

قال الحسين بن فهم: ما رأيت أنبل من خلف بن هشام. كان يبدأ بأهل القرآن. ثم يأذن للمحدثين، وكان يقرأ علينا من حديث أبى عوانة خمسين حديثا. وورد أن خلفا كان يصوم الدهر.

راوياه:

روى قراءة الإمام خلف إسحاق الوراق، وإدريس الحداد فأما إسحاق فهو إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله أبو يعقوب المروزى ثم البغدادى، ويعرف بـ «وراق خلف» وراوى اختيار خلف فى القراءة عن خلف نفسه، كان - رحمه الله - ثقة قرأ على خلف اختياره، وقام به بعده، وقرأ على الوليد ابن مسلم، وكان قيما بالقراءة، وأقرأ خلقا كثيرا.

توفى سنة ست وثمانين ومائتين.

وأما إدريس فهو إدريس بن عبد الكريم الحداد، أبو الحسن البغدادى كان إماما ضابطا متقنا ثقة، قرأ على خلف ابن هشام روايته واختياره وعلى محمد بن حبيب الشمونى.

روى القراءة عن إدريس خلق كثير منهم ابن مجاهد وابن مقسم. سئل عنه الدارقطنى، فقال: ثقة وفوق الثقة بدرجة.

طرق إسحاق الوراق عن خلف.

أما إسحاق الوراق عن خلف فمن طريق السوسنجردى، وهو أبو الحسين أحمد بن عبد الله بن الخضر بن مسرور. وكان ثقة ضابطا متقنا.

توفى فى رجب سنة اثنتين وأربعمائة، عن نيف وثمانين سنة.

ومن طريق بكر بن شاذان، وهو أبو القاسم. وكان ثقة واعظا، مشهورا نبيلا.

توفى فى شوال سنة خمس وأربعمائة.

ومن طريق محمد بن إسحاق الوراق. وتوفى قديما ووقع فى كتب ابن مهران ما يقتضى أنه توفى سنة ست وثمانين ومائتين.

وطريق أبى على الحسن بن عثمان النجار المعروف بـ «البرصاطى» وكان مقرئا حاذقا ضابطا.

وتوفى فى حدود الستين وثلاثمائة وغير هؤلاء عن إسحاق كثير.

طرق إدريس عن خلف.

وأما إدريس فمن طريق أبى إسحاق إبراهيم بن الحسين ابن عبد الله النساج، المعروف بالشطى. وكان مقرئا ضابطا متقنا.

وتوفى فى حدود السبعين وثلثمائة.

وطريق أبى العباس الحسن بن سعيد بن جعفر المطوعى - السابق فى رواية ورش.

وطريق أبى الحسن أحمد بن عثمان بن جعفر بن بويان، السابق فى رواية قالون.

وغير أولئك كثير وإذ قد انتهينا من هذا العرض للقراء العشرة. فإننا نحب أن نلفت النظر إلى أن جملة (الطرق) للأئمة العشرة جميعا على وجه التقريب: هى تسعمائة طريق، وثمانون طريقا، وذلك بحسب تشعب الطرق من أصحاب الكتب.

وفائدة ما فصل من الطرق، وذكر من الكتب هو عدم التركيب فى القراءات مع عزو كل قراءة إلى إمامها، فإنها إذا ميزت وبينت ارتفع وقوع الخلط بينها، قال الإمام ابن الجزرى فى طيبته:

وهذه الرواة عنهم طرق ... أصحها فى نشرنا يحقق

باثنين فى اثنين وإلا أربع ... فهى زها ألف طريق تجمع

(يقصد بلفظ «نشرنا كتابه» النشر فى القراءات العشر»)

سنده:

قرأ خلف على «سليم» صاحب حمزة كما تقدم، وعلى يعقوب بن خليفة الأعشى صاحب أبى بكر، وعلى أبى زيد سعيد بن أوس الأنصارى، وصاحب المفضل الضبى، و«أبان» العطار.

وقرأ أبو بكر، والمفضل، وأبان على «عاصم». وتقدم سند عاصم.

وروى الحروف (ويقصد بها: القراءات) عن إسحاق المسيبى صاحب «نافع». وعن يحيى بن آدم عن أبى بكر أيضا، وعن الكسائى. ولم يقرأ عليه عرضا. وتقدمت أسانيدهم متصلة إلى النبى - ﷺ.

مذهبه فى القراءة:

إن قراءة الإمام خلف لم تخرج عن قراءة الكوفيين إلا فى حرف واحد هو قوله تعالى: من سورة [الأنبياء: ٩٥]: ﴿**وحرام على قرية**﴾ قرأها بفتح الحاء والراء بعدها ألف بينما قرأها الكوفيون إلا حفصا وخلفا «وحرم» بكسر الحاء وتسكين الراء وحذف الألف (قال أبو شامة فى إبراز المعانى: «وحرم وحرام» لغتان كـ «حل وحلالى»).

وروى عنه أبو العز القلانسى فى إرشاده السكت بين السورتين فخالف الكوفيين - قاله فى النشر.

(يراد بالسكت بين السورتين قطع الصوت زمنا يسيرا من

غير تنفس في آخر السورة مع حذف البسملة في أول السورة التالية) («رجال القراءات / ٣٢ـ ٣٥).

ويضيف فضيلة الشيخ محمد الصادق قمحاوى إلى ما تقدم عن منهج الإمام خلف البزار فى القراءة ما يلى:

١ ـ يصل آخر السورة بأول التالية من غير بسملة كحمزة.

٢ ـ يقرأ بتوسط المدّين المتصل والمنفصل.

٣ ـ يقرأ بنقل حركة الهمزة إلى السين قبلها مع حذف الهمزة فى لفظ فعل الأمر من السؤال حيث وقع وكيف ورد إذا كان قبل السين واو نحو ﴿وسألوا الله من فضله﴾ [النساء: ٣٢] أو فاء نحو ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ [الأنبياء: ٧] (البحث والاستقراء/ ٩٣).

(البحث والاستقراء ـ محمد الصادق قمحاوى / ٥٠، ٥١، ٩٣، و«رجال القراءات: الإمام خلف البزار الكوفى ـ فضيلة الشيخ إبراهيم عطوة عوض مجلة الأزهر. الجزء الأول، السنة الحادية والستون، المحرم ١٤٠٩ هـ ـ أغسطس، سبتمبر ١٩٨٨ م/ ٣٢ـ ٣٥».

انظر أيضا تاريخ القراء العشرة ورواتهم وتواتر قراءاتهم ومنهاج كلٍّ فى القراءة ـ فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى بدون تاريخ / ٣١، وغاية النهاية فى طبقات القراء للإمام ابن الجزرى ١/ ٢٧٢ـ ٢٧٤).

*** خلف بن إبراهيم الخاقانى (ـ ٤٢٠ هـ):**

من شيوخ أبى عمرو الدانى، وعليه اعتمد فى قراءة ورش فى التيسير وغيره.

وهو خلف بن إبراهيم بن محمد بن جعفر بن خاقان: أبو القاسم المصرى المقرىء أحد الحذاق فى قراءة ورش. قرأ على أحمد بن أسامة التجيبى، وأحمد بن محمد بن أبى الرجاء ومحمد بن عبد الله المعافرى وأبى سلمة الحمراوى، وسمع من عبد الله بن جعفر الورد وأحمد بن محمد الرازى وابن أبى الموت وجماعة.

قال تلميذه أبو عمرو الدانى: كان ضابطا لقراءة ورش متقنا لها مجودا مشهورا بالفضل والنسك واسع الرواية صادق اللهجة كتبنا عنه الكثير من القراءات والحديث والفقه سمعته يقول: كتبت العلم ثلاثين سنة، وذهب بصره دهرا ثم عاد إليه توفى ٤٠٢ هـ.

(غاية النهاية فى طبقات القراء للإمام ابن الجزرى ١ / ٢٧١، والمكتفى فى الوقف والابتدا للإمام أبى عمرو الدانى ـ دراسة وتحقيق جايد زيدان مخلف / ٢٥).

*** خلف بن محمد (٤٢١ ـ ٥٠٨ هـ):**

خلف بن محمد بن خلف أبو القاسم الأنصارى المعروف بابن العُريبى بضم المهملة وفتح الراء وآخر الحروف ساكنة ثم موحدة. من أهل المرية. أخذ عن أبى عمرو الدانى يسيرا، قرأ عليه أبو بكر بن نمارة وأبو العباس بن العريف (غاية النهاية ١ / ٢٧٢، والمكتفى / ٣٢)، روى عن أبى العباس أحمد بن عمرو العذرى وأبى بكر بن صاحب الأحباس وأبى على الغسانى وغيرهم وكان معتنيا بالآثار جامعا لها كتب بخطه علما كثيرا ورواه، وكان حسن الضبط أخذ الناس عنه بعض ما رواه، وكان شيخا أديبا، وكان يقرض الشعر وربما أجاد (المكتفى / ٣٢).

ولد سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ومات سنة ثمان وخمسمائة (غاية النهاية ١ / ٢٧٢).

(غاية النهاية فى طبقات القراء للإمام ابن الجزرى ١ / ٢٧٢، والمكتفى فى الوقف والابتدا للإمام أبى عمرو الدانى ـ دراسة وتحقيق جايد زيدان مخلف / ٣٢).

*** الخلفاء:**

عقد الخوارزمى صاحب مفاتيح العلوم الفصل الثانى فى ذكر الخلفاء وملوك الإسلام ونعوتهم وألقابهم فقال:

أولهم أبو بكر عبد الله بن أبى قحافة يدعى خليفة رسول الله ﷺ ولقبه عتيق ونعته الصديق، ثم عمر بن الخطاب وهو الفاروق وهو أول من دعى أمير المؤمنين من الخلفاء، ثم عثمان بن عفان وهو ذو النورين، ثم على بن أبى طالب وهو الوصى. رضوان الله عليهم أجمعين.

ثم بعدهم بنو أمية ولا نعوت لهم ولا ألقاب أولهم معاوية ابن صخر أبى سفيان بن حرب، ثم ابنه يزيد ثم ابنه معاوية بن يزيد ثم مروان بن الحكم ثم ابنه عبد الملك بن مروان ويلقب بأبى الذبان ثم الوليد بن عبد الملك بن مروان ثم أخوه سليمان ابن عبد الملك ثم عمر بن عبد العزيز بن مروان ويلقب بأشج بنى أمية ثم يزيد بن عبد الملك ثم أخوه هشام بن عبد الملك وهو أحول بنى أمية ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك ثم يزيد

ابن الوليد بن عبد الملك ويلقب بالناقص ثم أخوه إبراهيم بن الوليد ثم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وهو آخرهم وكان يلقب بالحمار ويعرف بالجعدى.

ثم ولد العباس بن عبد المطلب رضوان الله عليهم أجمعين أولهم عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وهو السفاح ثم أخوه عبد الله بن محمد وهو المنصور ثم ابنه محمد وهو المهدى ثم ابنه موسى وهو الهادى ثم أخوه هرون هو الرشيدى ثم ابنه محمد بن هارون وهو الأمين ثم أخوه عبد الله ابن هارون وهو المأمون ثم أخوه محمد أبو إسحاق بن هارون وهو المعتصم ثم ابنه هارون بن محمد وهو الواثق ثم أخوه جعفر وهو المتوكل ثم ابنه محمد بن جعفر وهو المنتصر ثم أحمد بن محمد بن المعتصم وهو المستعين ثم الزبير بن المتوكل وهو المعتز ثم محمد بن الواثق وهو المهتدى ثم أحمد بن المتوكل وهو المعتمد والموفق كان ولى عهده وهو أخوه واسمه طلحة ثم أحمد بن الموفق وهو المعتضد ثم ابنه على وهو المكتفى ثم أخوه جعفر وهو المقتدر ثم أخوه محمد وهو القاهر ثم أبو العباس أحمد بن المقتدر ولقبه الراضى ثم أخوه إبراهيم وهو المتقى ثم عبد الله بن المكتفى وهو المستكفى ثم الفضل بن المقتدر وهو المطيع ثم ابنه عبد الكريم وهو الطائع (مفاتيح العلوم / ٦٦، ٦٧).

وللحافظ السيوطى قصيدة حافلة فى أسماء الخلفاء ووفياتهم انتهى فيها إلى المستعصم بالله قتيل التتار، وننقلها لك فيما يلى، وقد ختم بها كتابه «تاريخ الخلفاء».

قال رحمه الله:

الحمد لله حمدا لا نفاد له
وإنما الحمد حقا رأى من شكرا
ثم الصلاة على الهادى النبى، ومن
سادت بنسبته الأشراف والكبرا
إن الأمين رسول الله مبعثه
لأربعين مضت فيما رووا عمرا
وكان هجرته فيها لطيبته
بعد الثلاثة أعواما تلى عشرا
ومات فى عام إحدى بعد عشرتها
فيا مصيبة أهل الأرض حين سرى
وقام من بعده الصديق مجتهدا
وفى ثلاثة عشر بعده قبرا
وهو الذى جمع القرآن فى صحف
وأول الناس سمى المصحف الزبرا
وقام من بعده الفاروق ثمت فى
عشرين بعد ثلاث غيبوا عمرا
وهو الذى اتخذ الديوان، وافتراض الـ
ـعطاء، قيل: وبيت المال والدررا
سن التراويح والتاريخ، وافتتح الـ
ـفتوح جما، وزاد الحد من سكرا
وهو المسمى أمير المؤمنين، ولم
يدعى به قبله شخص من الأمرا
وقام عثمان حتى جاء مقتله
بعد الثلاثين فى ست وقد حُصرا
وهو الذى زاد فى التأذين أوله
فى جمعة، وبه رزق الأذان جرى
وأول الناس ولى صحب شرطته
حمى الحمى أقطع الإقطاع إذ كثرا
وبعد قام على، ثم مقتله
لأربعين فمن أرداه قد خسرا
ثم ابنه السِّبط نصف العام، ثم أتى
بنى أمية يبغون الوغى زُمرا
فسلم الأمر فى إحدى؛ لرغبته
عن دار دنيا بلا ضير ولا ضررا
وكان أول ذى ملك معاوية
فى النصف من عام ستين الحمام عُرا
وهو الذى اتخذ الخصيان من خدم
كذا البريد ولم يسبقه من أمرا
واستخلف الناس لما أن يبايعهم
والعهد قبل وفاة لابن له ابتكرا
ثم اليزيد ابنه أخبث به ولدا
فى أربع بعدها ستون قد قبرا
وابن الزبير، وفى سبعين مقتله
بعد الثلاث، وكم بالبيت قد حصرا

وفى ثمانين مع ست تليه قضى
عبد المليك له الأمر الذى اشتهرا
ضرب الدنانير فى الإسلام معلمة
وكسوة الكعبة الديباج مؤتجرا
وهو الذى منع الناس التراجع فى
وجه الخليفة مهما قال أو أمرا
وأول الناس هذا الاسم سُمِّيَهُ
وأول الناس فى الإسلام قد غدرا
ثم الوليد ابنه فى قبل مارجب
فى الست من بعد تسعين انقضى عمرا
وهو الذى منع الناس النداء له
باسم، وكانت تنادى باسمها الأمُرا
وقام بعد سليمان الخيار وفى
تسع وتسعين جاء الموت فى صفرا
وبعده عمر ذاك النجيب، وفى
إحدى تلى مائة قد ألحدوا عمرا
وهو الذى أمر الزهرى خوف ذها
ب العلم أن يجمع الأخبار والأثرا
تم اليزيد، وفى خمس قضى، وتلا
هشام فى الخمس والعشرين قد سطرا
ثم الوليد، وبعد العام مقتله
من بعد ماجاء بالفسق الذى شُهِرا
ثم اليزيد، وفى ذا العام مات، وقد
أقام ست شهور مثل ما أثرا
وبعده قام إبراهيم، ثم مضى
بالخلع سبعين يوما قد أقام ترى
وبعده قام مروان الحمار، وفى
ثنتين بعد ثلاثين الدماء جرى
وقام من بعده السفاح ثم قضى
بعد الثلاثين فى ست وقد جُدرا

وقام من بعده المنصور، ثمت فى
خمسين بعد ثمان محرما قُبرا
وهو الذى خص أعمالا مواليه
وأهمل العرب حتى أمرهم دثرا
ثم ابنه ـ وهو المهدى ـ مات لدى
تسع وستين مسموما كما ذكرا
ثم ابنه ـ وهو الهادى ـ وموتته
فى عام سبعين لما هَمَّ أن غدرا
ثم الرشيد، وفى تسعين تاليه
ثلاثة مات فى الغزو الرفيع ذرا
ثم الأمين، وفى تسعين تاليه
ثمانيا جاءه قتل كما قدرا
وقام من بعده المأمون، ثمت فى
ثمان عشرة كان الموت فاعتبرا
وقام معتصم من بعده، وقضى
فى عام سبع وعشرين الذى أثرا
وهو الذى أدخل الأتراك منفردا
ديوانه، واقتناهم جالبا وَشرا
ثم ابنه الواثق المالى الورى رُعُبا
وفى ثلاثين مع ثنتين قد غبرا
وذو التوكل ما أزكاه من خلف
ومظهر السنة الغراء إذ نصرا
فى عام سبع يليها أربعون قضى
قتلا حباه ابنه المدعو منتصرا
فلم يقم بعده إلا اليسير كما
قد سنه الله فيمن بعضه غدرا
والمستعين، وفى عام اثنتين تلى
خمسين خلع وقتل جاءه زمرا
وهو الذى أحدث الأكمام واسعة
وفى القلانس عن طول أتى قصرا

وقام من بعده المعتز، ثمت فى
خمس وخمسين حقا قتله أثرا
والمهتدى الصالح الميمون مقتله
من بعد عام، وقفى قبله عمرا
وقام من بعده بالأمر معتمد
فى عام تسع وسبعين الحمام عرا
وذاك أول ذى أمر له حجروا
وأول الناس موكولا به قهرا
وقام من بعده بالأمر معتضد
وفى ثمانين مع تسع مضت قُبرا
ثم ابنه المكتفى بالله أحمد فى
خمس وتسعين سبحان الذى قدرا
فى عام عشرين فى شوال بعد مثى
ثلاثة مقتل المدعوِّ مقتدرا
وبعده القاهر الجبار مخلعه
فى اثنتين وعشرين وقد سمرا
وقام من بعده الراضى، ومات لدى
تسع وعشرين وانسب عنده أجرا
والمتقى ومضى بالخلع منسملا
من بعد أربعة الأعوام فى صفرا
وقام بالأمر مستكفيهم، وقفا
من بعد عام لأمر المتقى أثرا
ثم المطيع، وفى ستين يتبعها
ثلاثة فى أخير العام قد عبرا
ثم ابنه الطائع المقهور، مخلعه
عام الثمانين مع إحدى كما أثرا
ثم الإمام أبو العباس قادرهم
فى اثنين من بعد عشرين مضت قبرا
ثم ابنه قائم بالله مات لدى
سبع وستين من شعبان قد سطرا

والمقتدى مات فى بسبع بأولها
بعد الثمانين جد الملك واقتدرا
وقام من بعده مستظهر، وقضى
فى سادس القرن ثنتين تلى عشرا
وقام من بعده مسترشد، ولدى
تسع وعشرين فيه القتل حل عرا
ثم ابنه الراشد المقهور مخلعه
من بعد عام فلا عين ولا أثرا
والمقتفى مات من بعد التمكن فى
خمس وخمسين وانقادت له النُّصرا
وقام من بعده مستنجد، وقضى
من بعد ستين فى ست وقد شعرا
والمستضىء بأمر الله مات لدى
خمس وسبعين بالإحسان قد بَهَرا
وقام من بعده بالأمر ناصرهم
ومات ثنتين مع عشرين إذ كبرا
وقام من بعده بالأمر ظاهرهم
تسعا شهورا فأقلل مدة قصرا
وقام من بعده مستنصر، وقضى
لأربعين وكم يرثيه من شعرا
وقام من بعده مستعصم ولدى
ست وخمسين كان الفتنة الكبرا
جاء التتار فأردوه وبلدته.
فيلعن الله والمخلوقة التترا
مرت ثلاث سنين بعده، وبلى
نصف ودهر الورى من قائم شغرا
وقام من بعد ذا مستنصر، وثوى
فى آخر العام قتلا منهم وسرى
أقام ست شهور ثم راح لدى
مهَلٍّ ستين لم يبلغ بها وطرا

وقام من بعده في مصر حاكمهم
على وهي لا كمن من قبله غبرا
ومات في عام إحدى بعد سبع مئى
وقام من بعد مستكفيهم وجرى
في أربعين قضى إذ قام واثقهم
ففي اثنتين مضى خلعا من الأمرا
وقام حاكمهم من بعده، وقضى
عام الثلاث مع الخمسين معتبرا
وقام من بعده بالأمر معتضد
وفي الثلاثة والستين قد عبرا
وذو التوكل يتلوه أقام إلى
بعد الثمانين في خمس وقد حصرا
وبايعوا واثقا بالله، ثمت في
عام الثمان قضى وسمه عمرا
وبايعوا بعده بالله معتصما
لعام إحدى وتسعين أزيل ورا
وذو التوكل ردوه، أقام إلى
ذا القرن عام ثمان منه قد قبرا
في عهده زيد من بعد الأذان على
خير النبيين تسليم كما أمرا
وأحدث السمة الخضراء للشرفا
ياحسنها من سمات بوركت خضرا
أولاده منهم خمس مبجلة
جاءوا الخلافة إذ كانت لهم قدرا
فالمستعين وآل الأمر أن خلعوا
في شهر شعبان في خمس تلى عشرا
وقام من بعده بالأمر معتضد
لأربعين تليها الخمسة احتضرا
وقام بالأمر مستكفيهم، وقضى
في عام الاربع والخمسين مصطبرا

وقام قائمهم من بعد ثمت في
تسع وخمسين بعد الخلع قد حصرا
وقام من بعده مستنجد دهرا
خليفة العصر رقاه الإله ذرى
وليس يعرف في الأعصار قبلهم
خمس ولوا إخوة بل أربع أمرا
ولا شقيقان إلا غير خامسهم
كذا الرشيد مع الهادي كما ذكرا
كذا سليمان من بعد الوليد، كذا
نجلا الوليد يزيد والذي أثرا
وما تكرر في بغداد من لقب
ولا تلا ابن أخ عمٌ خلا نفرا
اثنان فالمقتفي عن راشد، وكذا
مستنصر بعد مقتول التتار عرا
أولئك القوم أرباب الخلافة، خلـ
سبعين من غير نقص عدها حصرا
من الصحابة سبع كالنجوم، ومن
بني أمية اثنان تلي عشرا
ولم أعد أبا عبد المليك؛ فذا
باغ كما قاله من أرخ السيرا
وعدة من بني العباس شامخة
إحدى وخمسون لا قلت لهم نصرا
تبقى الخلافة فيهم كي يسلمها الـ
ـمهدي منهم إلى عيسى كما أثرا
وبعد نظمي هذا النظم في مدد
قضى خليفتنا المذكور مصطبرا
في عام الأربع في شهر المحرم من
بعد الثمانين يوم السبت قد قبرا
وبويع ابن أخيه بعده، ودعى
بذي التوكل كالجد الذي شهرا

ولم يسم إمام في الأولى سبقوا
عبد العزيز سواه فاسمه ابتكرا
فالله يبقيه ذا عز، ويحفظه
وجعل الملك في أعقابه زُمرا
ومات عام ثلاث بعد تسع مئي
سلخ المحرم عن عهد لمن سطرا
لنجله البر يعقوب الشريف، وقد
لقب مستمسكا بالله في صفرا

(تاريخ الخلفاء/ ٥١٧_٥٢٢).

هذا وقد ذكر الإمام السيوطي قبل بداية قصيدته هذه أن بعض الأقدمين عمل أرجوزة في أسماء الخلفاء ووفياتهم انتهى فيها إلى أيام المعتمد.

وقد أورد الإمام بدر الدين العيني في عقد الجمان ضمن أحداث سنة ٦٥٦ هـ مقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله على أيدي التتار أرجوزة قال إنها لبعض الفضلاء وإن الناظم ذكر فيها جميع الخلفاء، وهذه هي الأبيات:

الحمد لله العظيم عرشه
القاهر الفرد القوي بطشه
مقلب الأيام والدهور
وجامع الأنام للنشور
ثم الصلاة بدوام الأبد
على النبي المصطفى محمد
وآله وصحبه الكرام
السادة الأئمة الأعلام
وبعد هذا هذه أرجوزه
نظمتها لطيفة وجيزه
نظمت فيها الراشدين الخلفا
من قام بعد النبي المصطفى
ومن تلاهم وهلم جرا
جعلتها تبصرة وذكرا
ليعلم العاقل ذو التصوير
كيف جرت حوادث الأمور
وكل ذي مقدرة وملك
معرضون للفناء والهلك
وفي اختلاف الليل والنهار
تبصرة لكل ذي اعتبار
والملك للجبار في بلاده
يورثه من شاء من عباده
وكل مخلوق فللفناء
وكل ملك فإلى انتهاء
ولا يدوم غير ملك الباري
سبحانه من ملك قهار
منفرد بالعز والبقاء
وما سواه فإلى انقضاء
أول من بويع بالخلافه
بعد النبي ابن أبي قحافه
أعني الإمام العادل الصديقا
ثم ارتضى من بعده الفاروقا
ففتح البلاد والأمصارا
واستأصلت سيوفه الكفارا
وقام بالعدل قياما يرضي
بذاك جبار السما والأرض
ورضي الناس بذي النورين
ثم علي والد السبطين
ثم أتت كتائب مع الحسن
كادوا بأن يجددوا بها الفتن
فأصلح الله على يديه
كما عزا نبينا إليه
وأجمع الناس على معاويه
ونقل القصة كل راويه
فمهَّد الملك كما يريد
وقام فيه بعده يزيد

ثم ابنه وكان براً راشدا	مقتديا بسنة الرسول
أعني أبا ليلى وكان زاهدا	والراشدين من ذوي العقول
فترك الإمرة لا عن غلبه	فجرع الإسلام كاس فقده
ولم يكن منه إليها طلبه	ولم يروا مثلا له من بعده
وابن الزبير بالحجاز يدأب	ثم يزيد بعده هشام
في طلب الملك وفيه ينصب	ثم الوليد فت منه الهام
وبالشام بايعوا مروانا	ثم يزيد وهو يدعى ناقصا
بحكم من يقول كن فكانا	فجاءه حمامه معافصا
فلم يدم في الملك غير عام	ولم يصل مده إبراهيما
وعافصته أسهم الحمام	وكان كل أمره سقيما
واستوسق الملك لعبد الملك	وأسند الملك إلى مروانا
وثار نجم سعده في الفلك	فكان من أموره ما كانا
وكل من نازعه في الملك	وانقرض الملك على يديه
خر صريعا بسيوف الهلك	وحادث الدهر سطا عليه
فقُتل المصعب بالعراق	وقتله قد كان بالصعيد
وسير الحجاج ذا الشقاق	ولم تفده كثرة العديد
إلى الحُجاز بسيوف النقم	وكان فيه حتف آل الحكم
وابن الزبير لائذ بالحرم	واستنزعت عنهم ضروب النعم
فجاء بعد قتله فصلبه	ثم أتى ملك بني العباس
ولم يخف في أمره من ربه	لازال فينا ثابت الأساس
وعند ما صفت له الأمور	وجاءت البيعة من أرض العجم
تقلبت لحينه الدهور	وقلدت بيعتهم كل الأمم
ثم أتى من بعده الوليد	فكل من نازعهم من الأمم
ثم سليمان الفتى الرشيد	خر صريعا لليدين والفم
ثم استفاض في الورى عدل عمر	وقد ذكرت من تولى منهم
تابع أمر ربه كما أمر	حتى تولى القائم المستعصم
وكان يدعى بأشج القوم	أولهم ينعت بالسفاح
وذي الصلاة والتقى والصوم	وبعده المنصور ذو النجاح
فجاء بالعدل وبالإحسان	ثم أتى من بعده المهدي
وكف أهل الظلم والطغيان	يتلوه موسى الهادي الصفي

وجاء هارون الرشيد بعده
ثم الأمين حين ذاق بعده
وقام بعد قتله المأمون
وبعده المعتصم المسكين
واستخلف الواثق بعد المعتصم
ثم أخوه جعفر مسوف كرم
وأخلص النية في التوكل
لله ذي العرش القديم الأول
فأدحض الباطل في زمانه
وقامت السنة في أوانه
ولم يبق بدعة مضله
وألبس المعتزلي ذله
فرحمة الله عليه أبدا
ما غار نجم في السماء وبدا
وعندما استشهد قام المنتصر
والمستعين بعده كما ذكر
وجاء بعد موته المعتز
والمهتدي المكرم الأعز
وبعده استولى وقام المعتمد
ومهد الملك وساس المعتضد
والمكتفي في صحف العلياء سطر
وبعده ساس الأمور المقتدر
واستوسق الملك بعز القاهر
وبعده الراضي أخو المفاخر
والمتقي من بعد والمستكفي
ثم المطيع ما به من خلف
والطائع الطائع، ثم القادر
القائم الزاهد وهو الشاكر
والمقتدي من بعده المستظهر
ثم أتى المسترشد الموقر
وبعده الراشد، ثم المقتفي
وحين مات استنجدوا بيوسف
والمستضيء العادل في أفعاله
الصادق المصدوق في أقواله
والناصر الشهم الشديد الباس
ودام طول مكثه في الناس
ثم تلاه الظاهر الكريم
وعدله كل به عليم
ولم تطل أيامه في المملكه
غير شهور واعترضته الهلكه
وعهده كان إلى المستنصر
العادل البر الكريم المغتفر
دام يسوس الناس سبع عشره
وأشهرا بعزمات بره
ثم توفي عام أربعينا
وفي جمادى صادف المنونا
وبايع الخلائق المستعصما
صلى عليه ربنا وسلما
يبعث نجب الرسل في الآفاق
يقضون بالبيعة والوفاق
وشرفوا بذكره المنابرا
ونشروا من جوده المفاخرا
وسار في الآفاق حسن سيرته
وعدله الزائد في رعيته

تمت الأرجوزة.

وقال ابن كثير رحمه الله: وقلت أنا بعد ذلك:

ثم ابتلاه الله بعد بالتتار
أتباع جنكز الخان الجبار
صحبة ابن ابن له هلاكو
فلم يكن من أسره فكاك

قمـــزقـــوا جنـــوده وشملـــه
وقتلـــوه نفســـه وأهلـــه
ودمـــروا بغـــداد والبـــلادا
وقتلـــوا الأجنـــاد والأولادا
وانتهبـــوا المـــال مع الحـــريم
ولـم يخـــافـــوا سطـــوة العظيم
وغـــرهـم إنظـــاره وحلمـــه
ومـــا اقتضـــاه عـــدلـــه وحكمـــه

(عقد الجمان١ / ٢١٠-٢١٦).

(مفاتيح العلوم للخوارزمى / ٦٦، ٦٧، وتاريخ الخلفاء للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد / ٥١٧ - ٥٢٢، وعقد الجمان لبدر الدين محمود العينى - حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ١ / ٢١٠ - ٢١٦).

ونوافيك فى المواد التالية ببيان عن الخلفاء وفقا لعصورهم على النحو التالى :

١ - الخلفاء الراشدون.

٢ - الخلفاء الأمويون، وهؤلاء أوردناهم فى مادة «بنو أمية» فى م ٧ / ٥١٢ - ٥٢٣ فارجع إليها.

٣ - الخلفاء العباسيون.

٤ - الخلفاء الفاطميون.

*** الخلفاء الأمويون:**

انظر مادة «بنو أمية» فى م ٧ / ٥١٢ - ٥٢٣.

*** الخلفاء الراشدون:**

١ - أبو بكر، عبد الله عتيق، الصديق ....
١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ.

٢ - عمر بن الخطاب، الفاروق ....
٢٢ جمادى الآخرة ١٣ هـ.

٣ - عثمان بن عفان، ذو النورين ....
٢٩ ذى الحجة ٢٣ هـ.

٤ - على بن أبى طالب، المرتضى ....
١٧ ذى الحجة ٣٥ هـ.

(معجم الأنساب / ١).

ويأتى ذكر الخلفاء الراشدين وبيعتهم رضى الله عنهم فى الباب الثانى من الجزء الثانى من كتاب تيسير الوصول للإمام ابن الديبع، وهو باب مطول (من ص ٣٩ إلى ٥٢) فارجع إليه إن شئت.

وقد أوردنا ترجمة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى م ٧ / ٣٥٤ - ٣٦٥، ونورد تراجم بقية الخلفاء الراشدين فى مواضعها إن شاء الله تعالى.

(قال ابن طباطبا - والأمر كما قال - : «فأما خلافة الأربعة الأول... فإنها كانت أشبه بالرتب الدينية من الرتب الدنيوية فى جميع الأشياء كان أحدهم يلبس الثوب من الكرباس الغليظ، وفى رجله نعلان من ليف، وحمائل سيفه ليف، ويمشى فى الأسواق كبعض الرعية... وكانوا يعدون هذا من الدين الذى بعث به النبى صلوات الله عليه وسلام» (تاريخ الدول الإسلامية / ٢٩).

ويتكلم اليعقوبى المؤرخ فى كتابه الموسوم بمشاكلة الناس لزمانهم عن الخلفاء من ناحية أثر سلوكهم على الرعية فحيثما كانت القدوة صالحة صلح حال المقتدون. وفيما يلى ما أورده عن الخلفاء الراشدين من هذه الناحية. قال رحمه الله :

قال الشيخ الإمام الحافظ العلامة أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن واضح رحمه الله :

فأما الخلفاء وملوك الإسلام، فإن المسلمين فى كل عصر تبع للخليفة، يسلكون سبيله، ويذهبون مذاهبه، ويعملون على قدر ما يرون منه، ولا يخرجون عن أخلاقه وأفعاله وأقواله.

أبو بكر:

(كانت بيعته رضى الله عنه كما هو مبين أعلاه يوم الإثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة ١١ هـ).

فكان أبو بكر بعد رسول الله ﷺ أزهد الناس، وأشدهم تواضعا وتقللا فى لباسه، وكان يلبس - وهو خليفة - الشملة والعباءة. وقدمت عليه أشراف العرب وملوك اليمن وعليهم التيجان وبرود الوشى والحبر، فلما رأى القوم تواضعه ولباسه نزعوا ما كان عليهم، وذهبوا مذهبه، واقتفوا أثره.

وكان ذو الكلاع ملك حمير فيمن قدم على أبى بكر فى عشيرته وقومه وعليه التاج، وكان له عشيرة ألف عبد خولا فى مخاليفه، فلما رأى لباس أبى بكر قال: ما ينبغى أن نفعل بخلاف ما عليه خليفة رسول الله ﷺ، فنزع لباسه الأول، وتشبه بأبى بكر، حتى إنه رئى فى سوق المدينة يحمل جلد شاة على قفاه، فقالت له عشيرته وقومه: فضحتنا! أنت سيدنا! تحمل جلد شاة بين المهاجرين والأنصار؟.

قال: أفأردتم منى أن أكون جبارا فى الجاهلية جبارا فى الإسلام؟.

وكان الأشعث بن قيس ملك كندة يلبس التاج، ويُحيا بتحية الملوك فلما أسلم بعد ارتداده وزوجه أبو بكر أخته أم فروة بنت أبى قحافة تواضع بعد التكبر، وتذلل بعد التجبر، حتى كان يشد عليه شملة خلقة، ثم يهنأ البعير بيده، تشبها بأبى بكر، وإطراحا للأخلاق التى كان عليها فى الجاهلية.

وكان أبو بكر رحمه الله، لا يحمل أحدا من الأشراف على التجاوز، حتى إنه بلغه عن أبى سفيان بن حرب أمر يكرهه، فدعا به، فجعل يصيح عليه وأبو سفيان يتذلل له، ويتواضع بين يديه، وأقبل أبو قحافة يقوده قائده ــ وكان قد عمى ــ فسمع صياح أبى بكر، فقال لقائده: على من يصيح أبو بكر؟ قال: على أبى سفيان بن حرب. قال: أبا عتيق! أعلى أبى سفيان ترفع صوتك؟ لقد تعديت طورك! فقال: يا أبت إن الله قد رفع بالإسلام قوما ووضع آخرين!.

عمر رضى الله عنه:

(ولى عمر رضى الله عنه الخلافة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة، وقيل لسبع بقين منها سنة ١٣ هـ).

وكان عمر بن الخطاب رحمه الله ــ مع تواضعه وخشونة ملبسه ومطعمه ـ شديدا فى ذات الله، فكان عماله وسائر من يحضره أو يغيب عنه يتشبهون به ولا يفارق أحد مذهبه من أصحاب رسول الله ﷺ.

(وحسبه من خشونة ملبسه ما أخبربه أنس: لقد رأيت بين كتفى عمر أربع رقاع فى قميص له، وما ذكره أبو محصن الطائى: رئى على عمر بن الخطاب وهو يصلى إزار فيه رقاع بعضها من أدم وهو أمير المؤمنين).

أما عيشه، فعن الحسن قال: كلموا حفصة أن تكلم أباها أن يلين من عيشه شيئا، فقالت: يا أبتاه، أو يا أمير المؤمنين، إن قومك كلمونى أن تلين من عيشك: فقال: غششت أباك ونصحت لقومك).

وكان يلبس الجبة الصوف، ويشتمل بالعباءة، ويهنأ البعير، ويحمل قربة الماء على ظهره لأهله، وكان العامل من عماله وهم أمراء الأمصار ــ وقد فتح الله عليهم، وخولهم، ومكن لهم، وأغناهم، وكفاهم يتحفون، ويخلعون النعال ويلبسون الخفاف، ويلبسون غلاظ الثياب، وإذا قدموا عليه قدموا شعثا، غبرا، غلاظا ثيابهم، شحبة ألوانهم. فإن رآهم، أو بلغه عنهم غير ذلك أنكره عليهم، وكان ركوبهم الإبل أكثر من ركوبهم للخيل على التشبه بعمر، وسلوك فعله، وما كانوا عليه على عهد رسول الله ﷺ، حتى إنه رئى على أبى عبيدة بن الجراح ـ وهو أمير الشام وقد فتحها الله عليه ـ جبة صوف قد تغيرت رائحتها، فقال أبو عبيدة: لقد جلست إلى رسول الله ﷺ فيما هو أشد رائحة من هذا فما أنكره.

(جاء فى هامش (١) التعليق التالى للمحقق الأستاذ محمد كمال الدين عز الدين:

الحق أن الإسلام لم يفرض هذا الزهد البالغ فى طيبات الحياة من الحلال على أحد، وقد كان النبى ﷺ ــ وهو إمام الأمة وهاديها إلى الحق ـ أطيب الناس جسما وثوبا، وكان يرى وبيص الطيب فى مفرقه. وإنما هى شدة الخوف من الدنيا وشدة الرجاء فى نعيم الآخرة، قد صرفت الهمم عما أحل لها، لا تحريما لما أحل الله، بل تواضعا لجلاله ورجاء لما عنده، وحسب أبى عبيدة إشفاقا من الدنيا على شدة بلائه أن يقول: وددت أنى كبش فذبحنى أهلى فأكلوا لحمى وحسوا مرقى! رضى الله عن أمين هذه الأمة أبى عبيدة بن الجراح).

وكان سلمان الفارسى عامل عمر بن الخطاب على المدائن، وكان يلبس غليظ الثياب، ويركب الحمارة ببرذعة مرسنة بحبل ليف. وحضرته الوفاة، فأتاه سعد بن أبى وقاص فقال له: أوصنى يا أبا عبد الله! فقال: نعم. اذكر الله عند همك إذا هممت، وعند لسانك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمت! وجعل سلمان يبكى! فقال له: يا أبا عبد الله، ما يبكيك؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن فى الآخرة عقبة لا يقطعها إلا المخفون!» وأرى هذه الأساور حولى! فنظرنا فما رأينا فى بيته إلا إداوة، أو ركوة، أو قدرا، أو مطهرة.

(فى طبقات ابن سعد «حدثنا أبو المليح عن حبيب بن أبي مرزوق عن هريم قال: رأيت سلمان الفارسى على حمار عرى، وعليه قميص سنبلانى قصير ضيق الأسفل - وكان رجلا طويل الساقين كثير الشعر، وقد ارتفع القميص حتى بلغ قريبا من ركبته. قال: ورأيت الصبيان يحضرون خلفه، فقلت: ألا تنحون عن الأمير؟ فقال: دعهم فإنما الخير والشر فيما بعد اليوم» ٢ / ٦٢ - الجزء الرابع - طبقات ابن سعد).

وولى عمر بن الخطاب عمير بن سعد الأنصارى جند حمص، فأقام حولا ثم انصرف على جمله، على الحال التى مضى من عند عمر بها، فقال عمر: ويح قوم وليت عليهم ما عرفوا لك حقا! أو كما قال.

عثمان رضى الله عنه:

وكان عثمان بن عفان رحمه الله فى السماحة، والجود، وصلة الأرحام ورفع القرابة، واتخاذ المال، على ما كان عليه، فامتثل الناس فعله، فبنى عثمان داره بالمدينة، وأنفق عليها مالا جليلا، وشيدها بالحجارة، وجعل على أبوابه مصاريع الساج، واتخذ أموالا بالمدينة وعيونا وإبلا.

(عن عبيد الله بن دارة: كان عثمان رجلا تاجرا فى الجاهلية والإسلام، وكان يدفع ماله قراضا. وعن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه: أن عثمان دفع إليه مالا مضاربة على النصف (٢ / ٤١ جـ٣ الطبقات) فلا عجب أن يصنع عثمان رضى الله عنه ما صنع، والله تعالى لم يحرم الكسب الحلال والاستمتاع بالطيبات من الرزق مع أداء حقه تعالى منها)...

وفى أيام عثمان اتخذ أصحاب رسول الله ﷺ (يعنى أغنياؤهم) الأموال، وبنوا الدور، فبنى الزبير بن العوام داره المشهورة بالبصرة، وفيها الأسواق والتجارات، وبنى الزبير أيضا دارا بالكوفة. ودارا بمصر، ودارا بالإسكندرية ... وبنى طلحة بن عبيد الله دورا وعقارات... وبنى عبد الرحمن بن عوف داره فوسعها...

وبنى سعد بن أبى وقاص داره بالعقيق (وهو من أعظم وديان المدينة) فشيدها وجعل لها شرفات.

وبنى المقداد قصره بالجرف (قرب المدينة) باللبن، وجصص باطنه وظاهره، وجعل له شرفات، ولم يفعل هذا أحد من الناس على عهد عمر، وإنما فعلوه بعده.

على:

وكان على بن أبى طالب عليه السلام مشغلا أيامه كلها بالحرب، إلا أنه لم يلبس ثوبا جديدا، ولم يتخذ ضيعة، ولم يعقد على مال إلا ما كان له بينبع، ... فما تصدق به، وحفظ الناس عنه الخطب، فإنه خطب بأربعمائة خطبة حفظت عنه، وهى التى تدور بين الناس، ويستعملونها فى خطبهم وكلامهم.

(ذكر المسعودى أن تركته كانت سبعمائة درهم بقيت من عطائه أراد أن يشترى بها خادما لأهله. وقيل: ترك لأهله مائتين وخمسين درهما ومصحفه وسيفه).

(ص ٦٠٩ ــ المجلد الأول طبعة التحرير سنة ١٩٦٦ بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد.

على أنه رضى الله عنه جعل ما كان له فى ينبع وغيرها صدقة جارية كما ورد فى وصيته التى ذكرها عبد الرزاق فى مصنفه ١٠/ ٣٧٤) (مشاكلة الناس لزمانهم / ١٣٩ - ١٤٤، و ط دار الكتاب الجديد بيروت / ٩ - ١٥).

ويسجل أمير الشعراء أحمد شوقى فى أرجوزته التاريخية الحافلة فضائل الخلفاء الراشدين مما ننقله لك فيما يلى، ونتبع الأبيات بشرح معانى بعض الألفاظ. وقد رقمنا الأبيات ليسهل الرجوع إليها. قال الناظم رحمه الله:

١ ـــ *الخلفاء الراشدون أربعة*
مرضية سنتهم متبعة

٢ ـــ *فى الذكر لم يغفل لهم حديث*
وذكرهم سيّره الحديث

٣ ـــ *العمران وابن أروى وعلى*
فى الذروة الشماء والأوج العلى

٤ ـــ *خلائف الله أئمة الهدى*
وطأ للحق بهم ومهّدا

٥ ـــ *كلهمو ابن أمسه ويومه*
عماد داره عميد قومه

٦ ـــ *هم النجوم فى سماء غالب*
ومطالع الهادى المنير الغالب

٧ ـــ نماهــمو كمــا نمــاه فهْــر
فبينهم واشجــة وصهـــر

٨ ـــ معــادن الوفــاء والإخــاء
صحــابــة الشــدة والــرخــاء

٩ ـــ مــا منعــوا الله ولا نبيــه
قيــاد نفس سمحــة أبيـــه

١٠ ـــ ومــا الحــواريون خــلف عيسى
أحــث منهــم للنجــاة عيســا

***

١١ ـــ رعــاة شــاء وتجــار مــال
كــالــرسل فـي هــذا وفي الكمــال

١٢ ـــ قــد كفلــوا الإســلام فـي صبـاه
فـأيهـم نــادى دعـى أبــاه

١٣ ـــ بالنــفس والنفــيس أيــدوه
وبــالقنــا والــرأى شيــدوه

١٤ ـــ وأمنــوا ديك الهــدى فصــاحــا
وآمنــوا بفجــره مُنصــاحــا

١٥ ـــ كلهمــو فيــه المجيــب الأول
عطــوه غــايــات الــرضى ونــولــوا

١٦ ـــ فــاسبق إذا الحق دعــا مستنصــرا
وكــن إذا عــد الحمــاة الخنصــرا

١٧ ـــ مــا حمــل النفــس علــى الأشق
كقــائل الصــدق وحــامي الحق

١٨ ـــ حتى جبــا الأرض إليهــم من جبــا
وملكــوا الــدنيــا فكــانــوا أعجبــا

١٩ ـــ حــدِّث عــن الخليفــة الخميص
والملــك المخــرَّق القميـص

٢٠ ـــ مثل الجــواد زانــه الإضمار
والشمس زادت حسنهــا الأطمــار

٢١ ـــ لا يعقــدون في الجبــاه العسجــدا
بـل التــراب للمليك سجــدا

وتحت أقــدامهم التيجــان
ينــدبهــا اللــؤلــؤ والمــرجــان

كســرى ببطـن الأرض عطـل المفــرق
وقيصــر ينــدب تــاج المشــرق!

وفيما يلي شرح بعض الألفاظ :

البيت ٣ : ابن أروى : عثمان .

البيت ٧ : فهر: هو أبو غالب سيد قريش ومن أجداد الرسول .

البيت ١٠ : عيسا : العيس: الإبل، أي هربا من الدنيا وطلبا للآخرة .

البيت ١٩ : الخميص: الجائع (دول العرب وعظماء الرجال/ ٣٣، ٣٤).

(معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ـ زامباور ـ أخرجه د. زكي محمد حسن وزملاؤه / ١، و «مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر» لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي ـ تحقيق محمد كمال الدين عز الدين. مجلة معهد المخطوطات العربية م ٢٦ جـ ١. جمادى الآخرة ١٤٠٠ هـ ـ مايو ١٩٨٠ م / ١٣٩ ـ ١٤٤، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس في ثنايا النص، وطبعة دار الكتاب الجديد ـ تحقيق وليم ملورد / ٩ ـ ١٥، ودول العرب وعظماء الإسلام ـ نظم أحمد شوقي بك / ٣٣، ٣٤).

*** الخلفاء العباسيون:**

الخلفاء جمع خليفة. وكان الخليفة العباسي يقيم في بغداد، وقد انتقلت الخلافة العباسية إلى مصر من بغداد زمن سلاطين المماليك، وكانت اسمية فقط وكان الخليفة العباسي شبه سجين لا حول له ولا قوة ولا يظهر إلا في الاحتفالات الدينية. وكانوا في أول أمرهم في بغداد هم الذين يقومون بالحكم في الممالك الإسلامية (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١٢١).

وفيما يلي بيان بأسمائهم وتواريخ ولاية كل منهم، ونتبعه ببيان لوزرائهم :

(أ) الخلفاء :

١ ـ أبو العباس عبد الله السفاح بن محمد ....
١٣ ربيع الأول ١٣٢ .

٢ ـ أبو جعفر عبد الله المنصور بن محمد ....
١٣ ذى الحجة ١٣٦ .

٣ ـ أبو عبد الله محمد المهدى بن المنصور ....
٦ ذى الحجة ١٥٨ .

٤ ـ أبو محمد موسى الهادى بن المهدى ....
٢٢ المحرم سنة ١٦٩ هـ .

٥ ـ أبو جعفر هارون الرشيد بن المهدى ....
١٦ ربيع الأول ١٧٠ .

٦ ـ أبو موسى محمد الأمين بن الرشيد ....
٣ جمادى الآخرة ١٩٣ .

٧ ـ أبو جعفر عبد الله المأمون بن الرشيد ....
٢٦ المحرم ١٩٨ .

إبراهيم المبارك بن المهدى، إلى ١٥ ذى الحجة ٢٠٣ ......
٥ المحرم ٢٠٢ .

٨ ـ أبو إسحاق محمد المعتصم بالله بن الرشيد ....
١٦ رجب ٢١٨ .

العباس بن المأمون، نودى به خليفة بدمشق ....
٢١٨ .

محمد بن القاسم، المدعى العلوى ....
٢١٨ .

٩ ـ أبو جعفر هارون الواثق بالله بن المعتصم ....
١٨ ربيع الثانى ٢٢٧ .

١٠ ـ أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم ....
٢٣ ذى الحجة ٢٣٢ .

١١ ـ أبو جعفر محمد المنتصر بالله بن المتوكل..........................
٤ شوال ٢٤٧ .

١٢ ـ أبو العباس أحمد المستعين بالله بن محمد بن المعتصم ....
٣ ربيع الثانى ٢٤٨ .

١٣ ـ أبو عبد الله محمد المعتز بالله بن المتوكل، قتل ....
٤ المحرم ٢٥٢

١٤ ـ أبو إسحاق محمد المهتدى بالله بن الواثق، قتل ....
٢٧ رجب ٢٥٥

١٥ ـ أبو العباس أحمد المعتمد على الله بن المتوكل ....
١٨ رجب ٢٥٦ .

١٦ ـ أبو العباس أحمد المعتضد بالله بن الموفق بن المتوكل .
٢٠ رجب ٢٧٩ .

١٧ ـ أبو محمد على المكتفى بالله بن المعتضد ....
٢٢ ربيع الثانى ٢٨٩ .

١٨ ـ أبو الفضل جعفر المقتدر بالله بن المعتضد..........................
١٢ ذى القعدة ٢٩٥ .

أبو العباس عبد الله المرتضى بن المعتز ....
٢١ ربيع الأول ٢٩٦ .

أبو منصور محمد القاهر..........................
١٥ المحرم ٣١٧ .

١٩ ـ أبو منصور محمد القاهر بالله بن المعتضد ....
٢٧ شوال ٣٢٠ .

٢٠ ـ أبو العباس أحمد الراضى بالله بن المقتدر ....
٦ جمادى الأولى ٣٢٢ .

٢١ ـ أبو إسحاق إبراهيم المتقى لله بن المقتدر ....
٢٠ ربيع الأول ٣٢٩ .

٢٢ ـ أبو القاسم عبد الله المستكفى بالله بن المكتفى..........................
٢٠ صفر ٣٣٣ .

٢٣ ـ أبو القاسم الفضل المطيع لله بن المقتدر ....
١٢ جمادى الآخرة ٣٣٤ .

٢٤ ـ أبو الفضل عبد الكريم الطائع لله بن المطيع ....
١٣ ذى القعدة ٣٦٣ .

٢٥ ـ أبو العباس أحمد القادر بالله بن إسحاق بن المقتدر... .
١٩ رجب سنة ٣٨١ هـ .

٢٦ ـ أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله بن القادر ....
١١ ذى الحجة ٤٢٢ .

ثورة البساسيرى ....٤٥٠ ـ ٤٥١ .

٢٧ ـ أبو القاسم عبد الله عدة الدين المقتدى بأمر الله بن محمد بن القائم ....١٣ شعبان ٤٦٧ .

٢٨ ـ أبو العباس أحمد المستظهر بالله بن المقتدى ....
١٥ المحرم ٤٨٧ .

٢٩ ـ أبو منصور الفضل المسترشد بالله بن المستظهر ....
١٦ ربيع الثانى ٥١٢ .

٣٠ ـ أبو جعفر المنصور الراشد بن المسترشد ....
١٧ ذى القعدة ٥٢٩ .

٣١ ـ أبو عبد الله محمد المقتفى لأمر الله بن المستظهر ....
١٨ ذى القعدة ٥٣٠ .

٣٢ ـ أبو المظفر يوسف المستنجد بالله بن المقتفى....................
٢ ربيع الأول ٥٥٥ .

٣٣ ـ أبو محمد الحسن المستضىء بأمر الله بن المستنجد..............
٩ ربيع الثانى ٥٦٦ .

٣٤ ـ أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضىء ....
٢ ذى القعدة ٥٧٥ .

٣٥ ـ أبو نصر محمد الظاهر بأمر الله بن الناصر ....
٣٠ رمضان ٦٢٢ .

٣٦ ـ أبو جعفر المنصور المستنصر بالله بن الظاهر......................
١٤ رجب ٦٢٣ .

٣٧ ـ أبو أحمد عبد الله المستعصم بالله بن المستنصر قتله هولاكو فى ١٤ صفر ٦٥٦ ....١٠ جمادى الآخرة ٦٤٠ .

الخلفاء العباسيون فى مصر:

١ ـ أبو القاسم أحمد المستنصر بن الظاهر ....
١٣ رجب ٦٥٩ .

٢ ـ أبو العباس أحمد الحاكم [الأول] بن الحسين (القبى) ....
٨ المحرم ٦٦١ .

٣ ـ أبو ربيعة سليمان المستكفى [الأول] بن الحاكم.....................
جمادى الأولى ٧٠١ .

٤ ـ أبو إسحاق إبراهيم الواثق [الأول] بن المستمسك بن الحاكم ....٦ ذى القعدة ٧٤٠ .

٥ ـ أبو العباس أحمد الحاكم [الثانى] بن المستكفى ....
٢١ ذى الحجة ٧٤٠ .

٦ ـ أبو الفتح أبو بكر المعتضد [الأول] بن المستكفى ....
جمادى الآخرة ٧٥٣ .

٧ ـ أبو عبد الله محمد المتوكل [الأول] بن المعتضد ....
جمادى الأولى ٧٦٣ .

٨ ـ أبو يحيى زكريا المعتصم بن الواثق [الأول] ....
ربيع الأول ٧٧٩

المتوكل (للمرة الثانية)............................ربيع الثانى ٧٧٩ .

٩ ـ أبو حفص عمر الواثق [الثانى] بن الواثق [الأول]
رجب ٧٨٥ .

المعتصم (للمرة الثانية) ....١٩ شوال ٧٨٨ .

المتوكل (للمرة الثالثة) ....١٠ جمادى الأولى ٧٩١ .

١٠ ـ أبو الفضل عباس (أو يعقوب) المستعين بن المتوكل.........
رجب سنة ٨٠٨ هـ.

١١ ـ أبو الفتح داود المعتضد [الثانى] بن المتوكل...................
١٦ ذى الحجة ٨١٦ .

١٢ ـ أبو ربيعة سليمان المستكفى [الثانى] بن المتوكل.............
٤ ربيع الأول ٨٤٥ .

١٣ ـ أبو بكر حمزة القائم بن المتوكل ....
المحرم ٨٥٥ .

١٤ ـ أبو المحاسن يوسف المستنجد بن المتوكل ....
رجب ٨٥٩ .

١٥ ـ أبو الأعز عبد العزيز المتوكل [الثانى] بن المستعين ....
٢٦ المحرم ٨٨٤ .

١٦ ـ أبو الصبر يعقوب المستمسك بن المتوكل [الثانى]..........
صفر ٩٠٣ .

١٧ ـ المتوكل [الثالث] بن المستمسك ....

المستمسك (للمرة الثانية)..٩٢٢ .

المتوكل [الثالث] (للمرة الثانية) ....٩٢٣ .

(ب) وزراء الخلفاء العباسيين :

السفاح :

أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمدانى.......................
ربيع الأول ١٣٢ .

أبو جهم بن عطية .... رجب ١٣٢ .

خالد بن برمك .... ١٣٣ .

المنصور:

خالد بن برمك، استبقى ....١٣ ذى الحجة ١٣٦ .

أبـو أيـوب سليمـان بن أبـى سليمـان مخلـد المـوريـانى الخوزى........................ جمادى الآخرة ١٣٨ .

أبو الفضل الـربيع بن يونس بن محمـد بن عبد الله بن أبى فروة الحفار

المهدى :

أبـو عبيد الله (أو عبـد الله) معـاوية بـن عبيد الله بن يسـار الأشعرى .... ١٥٨ .

(الزنديق) قتل سنة ١٦٩

أبو عبـد الله يعقوب بن داود بن عمـر بن طهيمان، تـوفى بمكة ١٨٧ .... حول سنة ١٦٣ .

أبو الفضل الربيع بن يونس (للمرة الثانية).......................

حول سنة ١٦٦ .

الفيض بن أبى صالح

الهادى :

أبو الفضل الربيع بن يونس (للمرة الثالثة) ....

المحرم ١٦٩ .

إبراهيم بن ذكوان الحرانى

الرشيد :

يحيى بن خالد بن برمك ....ربيع الأول سنة ١٧٠ هـ .

الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك

جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ، توفى سنة ١٨٧ ....

. ١٧٧

أبو العبـاس الفضل بن الربيع بـن يونس، ابن الـوزير أبى الفضل ....المحرم ١٨٧ .

الأمين :

أبو العباس الفضل ، استبقى ، اعتـزل فى رجب سنة ١٩٦ وتوفى فى ذى القعدة سنة ٢٠٨ .... ١٩٣ .

المأمون:

الفضل بن سهل بن عبـد الله السـرخسى ذو الـريـاستين، توفى فى ٢ شعبان سنة ٢٠٢ ....١٩٦ .

الحسن بن سهل (أخـو السـابق) تـوفى فى مستهل ذى الحجة سنة ٢٣٦ .... شعبان ٢٠٢ .

أحمد بن أبى خالد الأحول ....حول سنة ٢٠٥

أحمد بن يوسف بن القاسم ٢١٠

أبو عباد ثابت بن يحيى بن يسار الرازى

أبو عبد الله محمد بن يزداد بن سويد

المعتصم :

أبو العباس الفضل بن مروان بن ماسرخس، توفى فى ربيع الثانى سنة ٢٥٠ .... مستهل رمضان ٢١٨ .

أحمد بن عمار بن شاذى .... رجب ٢٢١ .

أبـو جعفـر محمد بن عبـد الملك بن أبى حمـزة أبـان بن الزيات .... ٢٢٥ .

الواثق :

ابن الزيات، استبقى ....ربيع الأول ٢٢٧ .

المتوكل :

ابن الزيات، استبقى، ثم قتله الخليفة فى ١٩ ربيع الأول سنة ٢٣٣ ....ذو الحجة ٢٣٢ .

أبو الوزير ربيع الأول ٢٣٣ .

أبو جعفر محمد بن الفضل الجرجرائى

أبـو الحسن عبيـد الله بن يحيى بن خـاقـان الخـراسـانى (الخاقانى الأول) .... حول سنة ٢٤٠ .

المنتصر :

أحمد بن الخصيب .... شوال ٢٤٧ .

المستعين :

أحمد بن الخصيب، استبقى.......................................

ربيع الثانى سنة ٢٤٨ هـ .

أتامش، قتله العامة فى ربيع الثانى سنة ٢٤٩ ....

. ٢٤٨

أبو صالح عبد الله بن محمد بن يزداد بن سويد.....................

ربيع الثانى ٢٤٩ .

أبو جعفر محمد بن الفضل الجرجرائى (للمرة الثانية)........

. ٢٤٩

المعتز:

أبو الفضل جعفر بن محمودالإسكافى ....٢٥٢ .

أبو موسى عيسى بن فروخانشاه

أبو جعفر أحمد بن إسرائيل الأنبارى.........................

حول ٢٥٢ .

أبو الفضل جعفر بن محمود الإسكافى (للمرة الثانية)

المهتدى:

الإسكافى، استبقى ....رجب ٢٥٥ .

أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو بن الحصين ابن قتال بن مت ٢٥٥ .

المعتمد:

عبيد الله بن يحيى الخاقاني [الأول]، (للمرة الثانية)، توفى سنة ٢٦٣.............................. رجب ٢٥٦ .

الحسن بن مخلد بن الجراح، توفى في ذى القعدة سنة ٢٦٣ ....ذو القعدة ٢٦٣ .

أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد، (للمرة الثانية) .... ذو الحجة ٢٦٣

أبو الصقر إسماعيل بن بلبل .... ذو الحجة ٢٦٥ .

أحمد بن صالح بن شيرزاد القطربلى..........صفر ٢٧٧ .

عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد................ ٢٧٧ .

المعتضد:

عبيد الله بن سليمان، توفى فى الخدمة سنة ٢٨٨ .... ٢٧٩ .

أبو الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد، المسمى ولى الدولة .... ٢٨٨ .

المكتفى:

الوزير السابق، توفى سنة ٢٩١ ....٢٨٩ .

أبو أحمد العباس بن الحسن بن أحمد بن القاسم بن عبد الله بن أيوب الجرجرائى.............................. ٢٩١ .

محمد بن داود بن الجراح ....(ابن المعتز) ٢٩٦ .

المقتدر:

العباس بن الحسن الجرجرائي، استبقى .... ١٢ ذى القعدة ٢٩٥ .

أبو الحسن على بن محمد بن الفرات (ابن الفرات الأول) ٢٢ ربيع الثانى ٢٩٦ .

أبو على محمد بن عبيد الله بن يحيى، (الخاقانى الثانى) ٤ ذى الحجة سنة ٢٩٩ هـ .

على بن عيسى بن داود بن الجراح .... المحرم ٣٠١ .

ابن الفرات [الأول] (للمرة الثانية)، قبض عليه فى ٢٢ جمادى الأولى سنة ٣٠٦ ....٨ ذى الحجة ٣٠٤ .

أبو محمد حامد بن العباس، قتله أبو المحسن .... جمادى الآخرة ٣٠٦ .

ابن الفرات الأول، (للمرة الثالثة). قتل فى ١٣ ربيع الأول سنة ٣١٢ .... ١٣ ربيع الثانى ٣١١ .

أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله (الخاقانى الثالث) .... ربيع الأول ٣١٢ .

أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن أحمد (أو سليمان) بن الخصيب ....١١ رمضان ٣١٣ .

على بن عيسى بن الجراح، (للمرة الثانى)، توفى فى ذى الحجة سنة ٣٣٤ ....١١ ذى القعدة ٣١٤ .

أبو على محمد بن على بن الحسن (ابن مقلة الأول) .... ١٥ ربيع الأول ٣١٦ .

أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد .... ٣٠ جمادى الأولى ٣١٨ .

أبو القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذانى .... ٢٦ رجب ٣١٩ .

الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، عميد الدولة ....٢٩ رمضان ٣١٩ .

أبو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات [الثانى]... ٢٨ ربيع الثانى ٣٢٠ .

القاهر:

أبو على محمد بن على بن مقلة [الأول]، (للمرة الثانية) .... ٢٩ شوال ٣٢٠ .

محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، توفى فى ٣ ذى الحجة سنة ٣٢١ .... مستهل شعبان ٣٢١ .

أبن الخصيب، (للمرة الثانية) ....١٣ ذى القعدة ٣٢١.

الراضى:

ابن مقله [الأول]، (للمرة الثالثة) ....

٢٦ جمادى الأولى ٣٢٢.

عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح، أخو الوزير الذى ولى فى ٣٠١................. ١٥ جمادى الأولى ٣٢٤.

أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخى، شهران ونصف ....

مستهل جمادى الآخرة ٣٢٤.

أبو القاسم سليمان، بن مخلد، (للمرة الثانية) ....

١٥ رجب ٣٢٤.

أبو الفتح الفضل، بن الفرات [الثانى]، (للمرة الثانية).......

ذو الحجة ٣٢٤.

ابن مقلة الأول، (للمرة الرابعة) ....ربيع الثانى ٣٢٦.

ابن الفرات الثانى، (للمرة الثالثة) ....١٥ شوال ٣٢٧.

أبو عبد الله أحمد بن محمد البريدى [الأول]......................

٦ رجب ٣٢٧.

أبو القاسم سليمان بن مخلد، (للمرة الثالثة)......................

٢٠ ذى القعدة ٣٢٨.

المتقى:

ابن مخلد، استبقى ....٢٠ ربيع الأول ٣٢٩.

أبو الخير أحمد بن محمد بن ميمون، ٣٣ يوما ....

٣ شعبان ٣٢٩.

البريدى [الأول]، (للمرة الثانية) ٢٤ يوما ....

٦ رمضان ٣٢٩.

أبو إسحاق محمد بن أحمد الإسكافى القراريطى، ٤٣ يوما ....١٢ شوال ٣٢٩.

أبو جعفر محمد الكرخى، (للمرة الثانية)، ٣٣ يوما ....

٢٥ ذى القعدة ٣٢٩.

أبو عبد الله الكوفى .... ٢٨ ذى الحجة ٣٢٩.

البريدى [الأول]، (للمرة الثالثة)، ١٣ يوما ....

٢٥ ربيع الثانى سنة ٣٣٠

القراريطى، (للمرة الثانية) ٤٢ يوما ....

٨ جمادى الأولى ٣٣٠.

ظل المنصب خاليا من ٢٠ جمادى الآخرة حتى ١١ شوال سنة ٣٣٠ أثناء وجود البريدى ببغداد.

القراريطى، (للمرة الثالثة)، إلى ٢٦ جمادى الآخرة سنة ٣٣١ .... ١٥ شوال ٣٣٠.

أبو العباس أحمد بن عبيد الله الأصبهانى، ٥١ يوما ....

١٢ رجب ٣٣١.

القراريطى، (للمرة الرابعة)، ٢٠ يوما ....

٥ رمضان ٣٣١.

أبو الحسين على بن محمد بن على، ابن مقلة [الثانى]، سنة وخمسة أشهر .... ٢٥ رمضان ٣٣١

المستكفى:

أبو الفرج محمد بن على السامرى، ٤٢ يوما ولم يكن خليفته أبو عبد الله بن أبى سليمان ....٢٩ صفر ٣٣٣

أو من جاء بعده إلا كتابا يدبرون شئون الخليفة الخاصة

ثمة ثغرة كبيرة (تشمل عهود المطيع والطائع والقادر)

القائم:

أبو طاهر محمد بن أيوب ....

أبو القاسم على بن حسن بن أحمد بن محمد بن المسلمة، رئيس الرؤساء .... ٤٣٧.

أبو نصر محمد بن محمد، فخر الدولة، ابن جهير [الأول] .... ٤٥٠.

ثورة البساسيرى .... ٤٥٠ ـ ٤٥١.

أبو الفتح محمد بن المنصور بن أحمد بن دارست ....

١٥ ربيع الثانى ٤٥٣.

فخر الدولة، (للمرة الثانية) ....٣٠ رمضان ٤٥٤.

أبو يعلى الحسين بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم الهمدانى ....٤٦٠.

فخر الدولة، (للمرة الثالثة) صفر ٤٦١.

المقتدى:

فخر الدولة، استبقى ....٤٦٧.

محمد بن محمد بن محمد، عميد الدولة، ابن جهير [الثاني] ....٩ ذي الحجة ٤٦٧.

أبو شجاع ظهير الدين، مؤقتا، لبضعة أيام ....٤٧١.

ابن جهير [الثاني]، (للمرة الثانية) ....٤٧١.

أبو الفتح المظفر، ابن رئيس الرؤساء، لوقت قصير .... ٤٧٦.

أبو شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم الهمداني الروذرواري، ثبت نهائيا .... ٤٧٦.

عميد الدولة، (للمرة الثانية) .... ذو الحجة ٤٨٤.

المستظهر:

أبو القاسم علي بن محمد بن محمد، ابن جهير [الثالث]، قوام الدين، زعيم الرؤساء رمضان ٤٩٣.

أبو المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب، مجد الدين .... المحرم ٥٠١.

زعيم الرؤساء، (للمرة الثانية).................... رجب ٥٠٢.

المسترشد:

أبو علي الحسن بن علي بن صدقة، جلال الدين [الأول] (عميد الدولة) .... ربيع الثاني سنة ٥١٢ هـ.

الشريف أبو القاسم علي بن طراد الزينبي العباسي .... جمادى الأولى ٥١٦.

أبو نصر أحمد بن نظام الملك .... شعبان ٥١٦.

جلال الدين [الأول]، (للمرة الثانية)، توفي في ١٥ رجب سنة ٥٢٢ ....٥١٧.

أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني، شرف الدين، توفي في رمضان سنة ٥٣٢ .... رجب ٥٢٢.

الراشد:

أبو الرضا محمد بن صدقة، جلال الدين [الثاني]، توفي سنة ٥٥٦ ....ذو القعدة ٥٢٩.

المقتفي:

الشريف أبو القاسم علي، (للمرة الثانية)..................... ذو القعدة ٥٣٠

سديد الدولة الأنباري .... ٥٣٠.

أبو نصر المظفر بن علي بن محمد، نظام الدين، ابن جهير [الثالث] .... ٥٣٥.

أبو القاسم علي بن صدقة، مؤتمن الدولة، قوّام الدين ...... ٥٣٥.

أبو المظفر يحيى بن محمد بن سعيد بن الحسن بن أحمد ابن الحسني جهم بن عمرو الشيباني، عون الدين، ابن هبيرة [الأول] ....٣ ربيع الثاني ٥٤٤.

المستنجد:

ابن هبيرة [الأول]، استبقى، ولقبه سلطان العراق .... ٣ ربيع الأول ٥٥٥.

محمد بن يحيى، عز الدين، ابن هبيرة [الثاني]، ابن السابق .... ١٣ جمادى الأولى ٥٦٠.

أبو جعفر أحمد بن محمد بن سعيد، شرف الدين بن البلدي، قتل سنة ٥٦٦ .... ٥٦٣.

المستضيء:

أبو الفرج محمد بن أبي الفتوح عبد الله بن رئيس الرؤساء، أستاذ الدار عضد الدين، قتل في ذي القعدة سنة ٥٧٣ .... ربيع الثاني ٥٦٦.

أبو الفضل يحيى بن عبيد الله بن محمد بن المعمر بن جعفر، زعيم الدين.......................................٥٦٦.

أبو بكر منصور بن أبي القاسم نصر، ظهير الدين، ابن العطار .... ربيع الأول ٥٧٠.

الناصر:

ابن العطار، استبقى ....٢ ذي القعدة ٥٧٥.

أبو الفتح بن الصاحب، مجد الدين .... ذو القعدة ٥٧٥.

أبو المظفر عبيد الله بن يونس، جلال الدين ....٥٨٣.

سعيد بن علي بن حديدة، معز الدين الأنصاري، أبو المعالي (الملقب ابن حديد) توفي في جمادى الآخرة سنة ٦١٠ ....٦ صفر ٥٨٤.

أبو المظفر محمد بن أحمد، مؤيد الدين، ابن القصاب ٥٩٠.

السيد الناصر بن المهدى العلوى الرازى البغدادى، ناصر الدين .... ٤ شعبان ٥٩٢.

محمد بن محمد بن عبد الكريم، مؤيد الدين، برز القمى ٥٩٢.

الظاهر:

محمد بن محمد بن عبد الكريم، مؤيد الدين، برز القمى ٣٠ رمضان سنة ٦٢٢هـ.

المستنصر:

الوزير السابق نفسه .... ١٤ رجب ٦٢٣.

أبو الأزهر أحمد بن محمد، ناصر الدين، ابن الناقد .... ٦٢٣.

المستعصم:

الوزير السابق نفسه .... ١٠ جمادى الآخرة ٦٤٠.

أبو طالب محمد بن أحمد، مؤيد الدين، ابن العلقمى ٦٤٠.

هولاكو يستولى على بغداد .... ١٤ صفر ٦٥٦.

أبو القاسم على بن محمد، شرف الدين

ربيع الثانى ٦٥٦.

عطا ملك، علاء الدين الجوينى .... ٦٦١.

(معجم الأنساب / ٢ ـ ١١).

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٢١ عن صبح الأعشى للقلقشندى ١٠ / ١٣٤، ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ـ زامباور.) أخرجه د. زكى محمد حسن وزملاؤه / ٢ / ١١).

الخلفاء العباسيين (قبة ـ) (حوالى ٦٤٠هـ / ١٢٤٢ ـ ١٢٤٣م) أثر ٢٧٦:

من آثار الأيوبيين قبة الخلفاء العباسيين التى تقع خلف المشهد النفيسى وتضم رفاة أفراد من الخلفاء العباسيين وكذا أولاد الظاهر بيبرس البندقدارى ومقرنص هذه القبة يتفق مع مقرنص قبة شجرة الدر المبنية فى العصر الأيوبى وتشبهها أيضا فى أشكال العقود المحارية الجصية الموجودة بقاعدة القبة من الخارج. وتقع قبة شجرة الدر بشارع الخليفة تجاه مشهد السيدة رقية. وقد أمرت بإنشائها شجرة الدر المدفونة بها.

(العمار الإسلامية فى مصر ـ د. كمال الدين سامح / ٣٥).

*** الخلفاء الفاطميون:**

أول ظهورهم ببلاد المغرب فى سنة ٢٩٦ هـ وأول خلفائهم أبو محمد عبيد الله وتلقب بالمهدى ثم تلقب بنوه من بعده بألقاب الخلافة المضاف فيها اسم الله كالقائم بأمر الله والمنصور بالله إلى أن كان منهم المعز لدين الله أبو تميم معد وهو الذى استولى على مصر من أيدى الأخشيديين فى سنة ٣٥٩ هـ وتداول خلفاؤهم بها مثل هذه الألقاب إلى أن كان آخرهم العاضد لدين الله عبد الله وانقرضت خلافتهم باستيلاء الدولة الأيوبية.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١٢١، ١٢٢)

وفيما يلى بيان بأسمائهم وتواريخ ولايتهم، يتبعه بيان بوزرائهم:

١ـ الخلفاء:

١ ـ المهدى، أبو محمد عبيد الله، (توفى فى ١٤ ربيع الأول سنة ٣٢٢ .... ٤ ربيع الثانى سنة ٢٩٧ هـ.

٢ ـ القائم، أبو القاسم محمد (عبد الرحمن)، (توفى فى ١٣ شوال سنة ٣٣٤) .... ١٤ ربيع الأول ٣٢٢.

٣ ـ المنصور، أبو طاهر إسماعيل، (توفى فى ٢٩ شوال سنة ٣٤١) .... ١٣ شوال ٣٣٤.

٤ ـ المعز، أبو تميم معد، (توفى فى ٣ ربيع الثانى سنة ٣٦٥) مستهل ذى القعدة ٣٤١.

فتحت مصر .... شعبان سنة ٣٥٨.

دخل المعز القاهرة .... رمضان سنة ٣٦٢.

٥ ـ العزيز، أبو منصور نزار، (توفى فى ٢٨ رمضان سنة ٣٨٦) ٥ ربيع الثانى ٣٦٥.

٦ ـ الحاكم، أبو على المنصور، (اختفى فى ٢٧ شوال سنة ٤١١) .... ٢٩ رمضان ٣٨٦.

٧ ـ الظاهر، أبو الحسن على، (توفى فى ١٥ شعبان سنة ٤٢٧) .... ١٠ ذى الحجة ٤١١.

٨ ـ المستنصر، أبو تميم معد، (توفى فى ١٨ ذى الحجة سنة ٤٨٧) .... ١٥ شعبان سنة ٤٢٧ هـ.

٩ ـ المستعلى، أبو القاسم أحمد، (توفى فى ١٤ صفر سنة ٤٩٥) .... ذو الحجة ٤٨٧ .

١٠ ـ الآمر، أبو على المنصور، (اغتيل فى ٢ ذى القعدة سنة ٥٢٤)........................ ١٤ صفر ٤٩٥ .

فترة شغور: من ٢ ذى القعدة سنة ٥٢٤ إلى ١٥ المحرم سنة ٥٢٦ ، والخليفة المزعوم:

أبو القاسم المنتظر، (القائم فى آخر الزمان أو المهدى حجة الله على العالمين) تحت وصاية الوزير أبى على أحمد بن الأفضل

١١ ـ الحافظ، أبو الميمون عبد المجيد، (توفى فى ٥ جمادى الآخرة سنة ٥٤٤) .... ١٥ المحرم ٥٢٥ .

١٢ ـ الظافر، أبو المنصور إسماعيل، (اغتيل فى ٣٠ المحرم سنة ٥٤٩) .... ٦ جمادى الآخرة ٥٤٤ .

١٣ ـ الفائز، أبو القاسم عيسى، (توفى فى ١٧ رجب سنة ٥٥٥) .... مستهل صفر ٥٤٩ .

١٤ ـ العاضد، أبو محمد عبد الله، (خلع فى ٣ المحرم وتوفى فى ١٠ المحرم سنة ٥٦٧) .... رجب ٥٥٥ .

أقيمت الخطبة للعباسيين .... المحرم ٥٦٧ .

(ب) وزراء الخلفاء الفاطميين :

العزيز:

أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هرون بن داود ابن كلّس، اليهودى، (ولد سنة ٣١٨، أسلم فى ١٨ شعبان سنة ٣٥٦) .... ٣٦٥ .

جبر بن القاسم .... شوال ٣٧٣ .

ابن كلس، (للمرة الثانية)، (توفى فى ٥ ذى الحجة سنة ٣٨٠) .... المحرم ٣٧٣ .

أبو الحسن على بن عمر، العداس (دون لقب وزير)........... المحرم ٣٨١ .

أبو الفضل جعفر، ابن الفرات (الثالث)، .... المحرم ٣٨٣

أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن بازيار الموصلى........ ٣٨٤ .

أبو محمد الحسن بن عمار بن أبى الحسين، أمين الدولة .... سنة ٣٨٥ هـ .

الفضل بن الصالح الوزيرى، (بضعة أيام)............ ٣٨٥ .

عيسى بن نسطورس، (نصرانى)، (حتى رمضان سنة ٣٨٦) .... ذو القعدة ٣٨٥ .

الحاكم:

الأستاذ أبو الفتوح برجوان الصقلبى، (اغتيل فى ٢٦ ربيع الثانى سنة ٣٩٠) .... رمضان ٣٨٦ .

أبو العلاء فهد بن إبراهيم الرئيس، (اغتيل فى ٨ جمادى الآخرة سنة ٣٩٣)........................ ربيع الثانى ٣٩٠ .

أبو الحسن على بن عمر، العداس، (للمرة الثانية)، (ولى شهرا ثم اغتيل فى رجب سنة ٣٩٣) .... جمادى الآخرة ٣٩٣ .

أبو الحسن على بن الحسين، ابن المغربى (الثانى)، (اغتيل فى ٣ ذى الحجة سنة ٤٠٠) .... شعبان ٣٩٣ .

الحسين بن طاهر الوزان، أمين الأمناء، (اغتيل فى جمادى الآخرة سنة ٤٠٥)............ ١٩ ربيع الأول ٤٠٣ .

عبد الرحمن بن أبى السيد (اغتيل بعد اثنين وستين يوما من توليته) .... جمادى الآخرة ٤٠٥ .

أبو العباس الفضل بن جعفر، ابن الفرات (الرابع)، (اغتيل بعد خمسة أيام من توليته) .... شعبان ٤٠٥ .

أبو الحسن على بن جعفر بن فلاح، الكتامى، قطب الدين، سيف الدولة ذو الرياستين .... شعبان ٤٠٥ .

الظاهر:

أبو الحسين عمار بن محمد، خطير الملك، رئيس الرؤساء .... ذو الحجة ٤١١ .

أبو الفتوح موسى بن الحسين، بدر الدولة، (خلع ثم اغتيل فى ٢٠ شوال سنة ٤١٣)............ ربيع الأول ٤١٢ .

أبو الفتح المسعود بن طاهر الوزان، شمس الملك المكين .... المحرم ٤١٣ .

أبو محمد الحسن بن صالح الروذبارى، عميد الدولة .

أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائى، نجيب الدولة .... ٤١٨ .

المستنصر:

الجرجرائى، (استبقى)........ شعبان ٤٢٧ .

ابن الأنبارى، (قتل فى ٥ المحرم سنة ٤٤٠) .... رمضان ٤٣٦ .

أبو منصور (أو نصر) صدقة بن يوسف الفلاحى، (كان يهوديا ثم أسلم . مات مقتولا) .... ٤٤٠ .

أبو البركات الحسين (أو الحسن) بن عماد الدولة محمد (ابن أخى الجرجرائى) .... ٤٤٠ .

أبو الفضل سعيد بن مسعود ....شوال سنة ٤٤١ هـ .

أبو محمد الحسن (أو الحسين) بن على بن عبد الرحمن اليازورى .... المحرم ٤٤٢ .

أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلى، شرف الملة، كفيل الدين .... المحرم ٤٥٠ .

أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين المغربى [الرابع] .... ٢٥ ربيع الثانى ٤٥٠ .

البابلى، (للمرة الثانية) .... ٩ رمضان ٤٥٢ .

خلفه وزراء لم تطل أيامهم

أبو النجم بدر الجمالى المستنصرى، أمير الجيوش (مولى جمال الدولة بن عمار توفى فى ربيع الأول سنة ٤٨٧) .... ٢٨ جمادى الأولى ٤٦٦ .

أبو القاسم شاهنشاه الأفضل بن بدر الجمالى أمير الجيوش، (توفى فى ٣٠ رمضان سنة ٥١٥) .... ربيع الأول ٤٨٧ .

المستعلى:

الأفضل، (استبقى) .... ذو الحجة ٤٨٧ .

شرف المعالى بن الأفضل ....

الآمر:

شرف المعالى، (استبقى)، (اغتيل فى ٢٣ رمضان سنة ٥١٥) .... صفر ٤٩٥ .

أبو عبد الله محمد المأمون بن فاتك بن مختار البطائحى، (ولد فى سنة ٤٧٨، وصلب فى ٤ رمضان سنة ٥١٩)........ مستهل ذى القعدة ٥١٥ .

دون وزراء .... ٥١٩ ـ ٥٢٥ .

الحافظ:

أبو على أحمد بن الأفضل، المسمى (كتيفات)، (اغتيل فى ١٦ المحرم سنة ٥٢٦) .... المحرم ٥٢٥ .

يانس (مملوك أرمنى)، (دس له السم فى ٢٦ ذى الحجة سنة ٥٢٦) .... المحرم ٥٢٦ .

أبو على الحسن بن الحافظ، (ولى العهد ووزير أبيه)........ ذو الحجة ٥٢٦ .

أبو الربيع سليمان، (ابن الخليفة)، (مات بعد شهرين)........ ٥٢٨ .

أبو المظفر بهرام تاج الملوك سيف الإسلام، (مسيحى أرمنى انتخبه الجند)........ ١١ جمادى الآخرة ٥٢٩ .

رضوان بن الولخشى، (فر فى ١٤ شوال سنة ٥٣٣) .... ١٢ جمادى الأولى ب٥٣١ .

دون وزراء .... ٥٣٣ ـ ٥٤٤ .

الظافر:

أبو الفتح نجم الدين سليمان بن محمد، بن مصال اللكى، (توفى فى ذى القعدة سنة ٥٤٤)........ رجب ٥٤٤ .

أبو الحسن على بن سلاَّر، الملك العادل سيف الدين (ابن السلار) (قتله زوج ابنته وخليفته العباس فى ٦ المحرم سنة ٥٤٨) .... ١٥ شعبان سنة ٥٤٤ .

العباس بن أبى الفتوح بن تميم، الأفضل ركن الدين، (أمير زيرى) .... المحرم ٥٤٨ .

الفائز:

الملك الصالح طلائع بن رزيك، أبو الغارات، (ولد سنة ٤٩٠، توفى فى ١٩ رمضان سنة ٥٥٦)........ ١٩ ربيع الأول ٥٤٩

العاضد:

أبو شجاع العادل محيى الدين رُزِّيْك بن طلائع .... رجب ٥٥٥ .

أبو شجاع شاور بن مجير بن نزار ....٢٢ المحرم ٥٥٨ .
أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوَّار اللخمى، الملك المنصور (توفى فى رمضان ٥٥٩) .... رمضان ٥٥٨ .
شاور، (للمرة الثانية)...................... مستهل رجب ٥٦٠ .
شيركوه، (توفى فى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٥٦٤) ٥٦٣
صلاح الدين .... جمادى الآخرة ٥٦٤
(معجم الأنساب / ١٤٤ ـ ١٥٠) .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٢١، ١٢٢، عن صبح الأعشى للقلقشندى ٥ / ٤٧٨، ٤٧٩، ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ـ زامباور. أخرجه د. زكى محمد حسن وزملاؤه / ١٤٤ ـ ١٥٠).

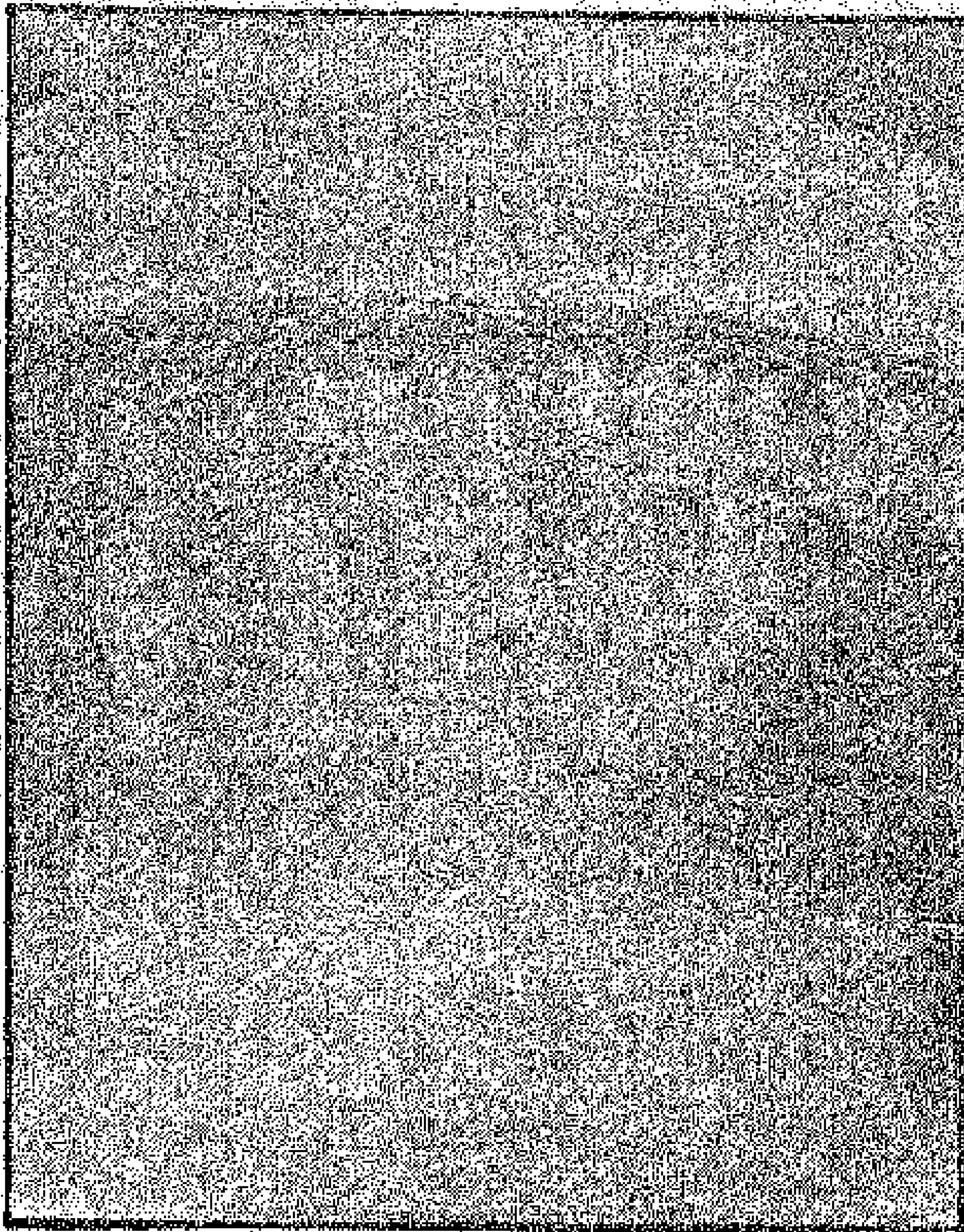
*** الخلفاء (منذنة جامع ـ) (سوق الغزل):**

تتوسط هذه المئذنة بغداد الشرقية القديمة وتطل الآن على شارع الجمهورية من الجهة اليسرى (اسم شارع الجمهورية يعرف الآن باسم شارع الخلفاء تخليدا للجامع نفسه) والمعروف أن المكان الذى تقع فيه هذه المئذنة كان مشغولا بجامع خاص بدار الخلافة، أمر ببنائه الخليفة المكتفى بالله ٢٨٩ ـ ٢٩٥ هـ / ٩٠٢ ـ ٩٠٨ م. وكان يعرف آنذاك بجامع القصر ثم صار يدعى بجامع دار الخلافة وسمى أيضا بجامع الخلفاء وما زال يدعى بذلك إلى يومنا هذا وكان خلفاء بغداد، بعد وفاة المكتفى، يؤدون صلاة الجمعة فيه. وتذكر كتب التاريخ أن هذا الجامع قد هدم وأعيد بناؤه فى فترة الحكم الإيلخانى، عام ٦٨٧ هـ / ١٢٨٩ م. ولكن البناء الأخير تهدم وظلت المئذنة فقط وصارت تدعى بمئذنة سوق الغزل بعد أن اقتطع جزء من بناء الجامع لإنشاء سوق كان يباع فيها الغزل.

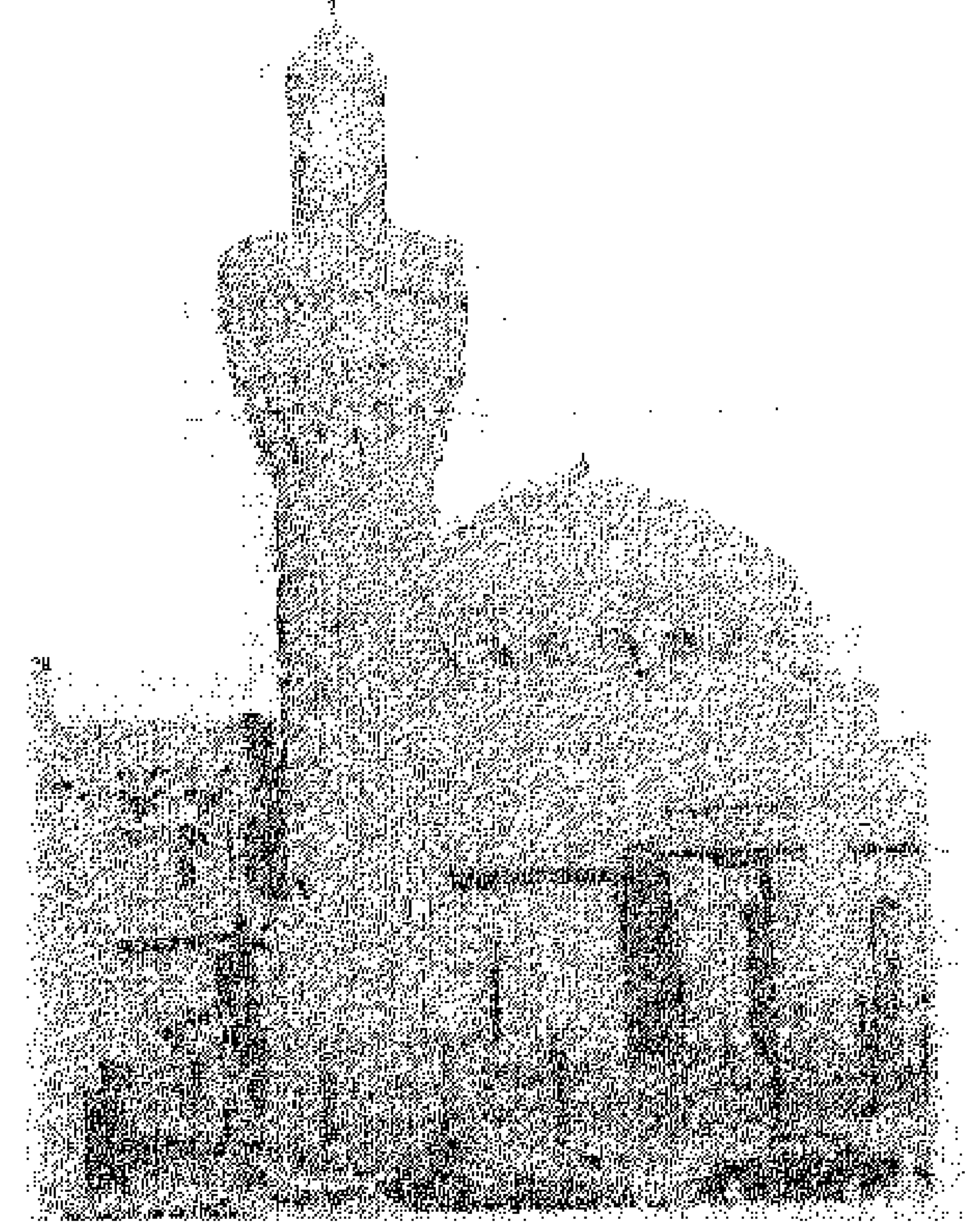
تدل مبانى العهد الإيلخانى، الدينية والمدنية والتى تقوم الآن فى العراق، على فشل قتلة الخليفة ومخربى بغداد ومعاهدها العلمية والفنية فى تحويل نهار الحضارة العربية الإسلامية إلى ليل مظلم يعكس تأخرهم وبداوتهم ووثنيتهم فاضطروا إلى اعتناق الإسلام ورعاية رجاله وتعمير بيوت الله وغيرها من المرافق العامة فى أغلب مدن العراق. وكان جامع الخلفاء من بين تلك الأبنية التى أمروا بتشييدها فى عاصمة ملكهم. ويظهر أن الخراب بدأ يدب فى أجزاء الجامع فتهدم وظلت مئذنته فقط التى تعكس استمرار طراز العمارة العربية الإسلامية بعد سقوط بغداد.

تعرضت المئذنة أيضا لتخريب شوه كسوتها الزخرفية الجميلة وأصبحت عام ١٩٤٠ مجرد برج من طابوق ضخم جدا مشوه المعالم. وقد حاولت السلطة الاستعمارية البريطانية نفسه ولكن محاولتها باءت بالفشل فسارعت مديرية الآثار العامة لتحمى هذا الأثر من الاندثار فقامت بصيانته وترميمه واستغرق ذلك وقتا طويلا حيث ابتدأت أعمال الصيانة منذ عام ١٩٤٠ ولم تنته إلا قبيل سنوات. وأنجزت المديرية إعادة بناء ما تهدم من المئذنة وتحشية حنايا المقرنصات بزخارف آجرية دقيقة جدا وكست البدن أيضا بحلية زخرفية. ونظرا لما لجامع الخلفاء من أهمية دينية، قامت رئاسة ديوان الأوقاف ببناء جامع عند المئذنة يتألف من بيت صلاة ضخم تعلوه قبة كبيرة جدا مفلطحة وأروقة وممرات توصل الجامع بشارع الخلفاء وتحيط بمئذنته. ومن المؤسف ان البناء الجديد غير متناسق وغير منسجم مع المئذنة القديمة وينم عن جهل واسع بطراز عمارة الجامع الأصلى.

مئذنة سوق الغزل متميزة بضخامتها حيث يبلغ ارتفاعها ٣٣ مترا، ومحيط قاعدتها ٢٠,٦٤ مترا ومحيط بدنها



(لوح ٥١) : مقرنصات تاجية جوسق المئذنة



(لوح ٥٠) مئذنة سوق الغزل

٢٠ ,١٦ مترا. فهى أضخم وأطول مآذن بغداد السابقة واللاحقة، وهى فريدة أيضا فى شكل قاعدتها التى تتألف من اثنى عشر وجها أو ضلعا ويبلغ ارتفاعها ثمانية أمتار. ولا وجود لمثل هذه القاعدة من حيث عدد أضلاعها ومحيطها فى أى من مآذن بغداد أيضا.

وصفتها الثالثة هى وجود حوضين الأول يتوج قاعدتها ومنه تبدأ سلالم المئذنة التى تؤدى إلى الحوض الثانى الذى يتوج البدن ويحيط برقبة أسطوانية رشيقة نسبيا ومنتهية برأس نصف كروى بصلى الشكل. بدن المئذنة أسطوانى الشكل مثل أبدان معظم مآذن العراق التى بنيت بعد مئذنة «عنة» ويخترق البدن سلمان حلزونيان لا يلتقيان إلا فى الحوض الثانى وهذه صفة رابعة لم نجدها فى مآذن بغداد السابقة واللاحقة وإن كنا نجد سوابقها فى حدباء الموصل ومظفرية أربيل.

أما صفتها الخامسة فهى صفوف المقرنصات، الجميلة المعقدة التركيب المتقنة التكوين، التى تسند حوضى المئذنة، ويضاهى جمال المقرنصات، الحشوات الزخرفية الآجرية المحفورة تفريغا والتى شغل حنايا المقرنصات وأجزاء من المئذنة والتشكيلات الزخرفية التى تغطى كامل البدن والمصنوعة من التفنن فى صف الطابوق وهذه ميزتها السادسة على الرغم من أن هذه الزخارف مجددة قياسا على زخارف مئذنة الكفل وزخارف المدرسة المستنصرية والمدرسة الشرابية السابقتين على بناء جامع الخلفاء (لوح ٥٠).

ومقرنصات مئذنة جامع الخلفاء هى أبرز عناصرها المعمارية وهى متقدمة جدا من حيث تركيبها وتكوينها إذا ما قورنت بمقرنصات مآذن جوامع بغداد، فالحوض الأول يستند على أربعة صفوف منها تتنوع فى أشكالها ومستوى بروز رؤوس عقودها. فمقرنصات الصف الأول فردية ولكن بشكلين متبادلين ينتهى رأس الضيقة منهما فى مستوى الخط الأول: أما الواسعة منهما فيرتفع عقدها ليفصل بين مجاميع مقرنصات الصف الثانى ويرتفع بارتفاعها ولكن عقده مزدوج يبرز الرأس الأعلى منه فقط. وعدد المقرنصات بين كل اثنين من هذه الحنايا أربع فقط. ومقرنصات الصف الثالث ثلاثية التكوين ومقرنصات الصف الرابع بسيطة متشابهة ولكن امتدادات رؤوس عقودها تلتقى لتشكل صفا آخر من رؤوس حنايا فقط وبمستوى وجه حافة الحوض الخارجية (لوح ٥١).

يستند الحوض الثانى على ستة صفوف من الحنايا المقرنصة لا تختلف كثيرا فى تركيبها عن مقرنصات الحوض الأول لكنها خالية من الحشوات الزخرفية ويحتمل جدا أنها كانت مزينة بمثل هذه الحشوات خصوصا إذا ما قورنت مع مقرنصات مئذنة الكفل.

ومما يزيد فى جمال مقرنصات الحوض الأول الحشوات الزخرفية الآجرية التى تشغل حنايا المقرنصات وأكتاف عقودها والأشرطة الضيقة التى تفصل بينها وتؤطرها. وتتألف تشكيلات هذه الحشوات من أشكال هندسية ونباتية متنوعة صيغت بدقة وعناية على أرضية من الزخارف المفرغة الدقيقة. وتبرز الأشكال الهندسية عن مستوى الأرضية. أما العناصر النباتية فبمستوى الزخارف المفرغة. والحقيقة وكما ذكرنا، أن أشكال هذه الزخارف وتقنيتها منقولة من زخارف المدرسة المستنصرية والمدرسة الشرابية ولم يبق من حشوات المقرنصات المزخرفة ليستدل بها فى إشغال هذه المقرنصات بالزخارف. امتدت الأشكال الزخرفية لتغطى وجوه الحوض الاثنى عشر حيث تتألف وحداتها من أشكال هندسية متداخلة

الزخارف المفرغة. وتغطى هذه التحلية أيضا القسم الأسفل من القاعدة.

البدن مغطى أيضا بتشكيلات زخرفية، وجميعها مجددة وعلى طراز زخارف جدران المستنصرية من الخارج. ومثل المآذن السابقة لم يحل بالزخارف الجزء الأسفل من البدن وبارتفاع رأس عقد السلم. ويتوج هذا الجزء شريط ضيق من تشكيلات زخرفية تناظر تلك التى تزين الحوض، ويلى ذلك نطاق واسع جدا بارتفاع ما تبقى من البدن عدا الشريط العلوى منه، مشغول بوحدة ناتجة من التفنن فى صف الطابوق الذى يبرز قليلا عن مستوى وجه البدن ويظهر وكأنه كتابة كوفية لكلمة معينة فى أوضاع مختلفة. والشكل الأساسى فيه عبارة عن صلبان معقوفة تتصل نهايات أذرعها بعضها مع البعض الآخر. وتنتهى التشكيلة من الأعلى عند حافة بارزة لشريط مفتول ضيق يحدد الشريط الأعلى المحفوف أيضا من الأعلى بشريط مفتول يناظر الشريط الأسفل. ويظهر جليا أن الشريط الأعلى هذا كان مشغولا بكتابة تذكارية على نمط مئذنة جامع الكفل. ويخلو الحوض الأعلى والرقبة والرأس من التحلية الزخرفية. والملاحظ أن الطابوق المزجج لم يستعمل فى تحلية هذه المئذنة.

(العمارات العربية الإسلامية فى العراق ـ د. عيسى سلمان وزميلاته ١ / ٢٠٩-٢١٢، ٢١٦).

*الخَلْق:

عن ورود اللفظ فى القرآن الكريم جاء ما يلى فى مفردات الراغب الأصفهانى:

خلق: الخلق [بفتح الخاء وسكون اللام]: أصله التقدير المستقيم ويستعمل فى إبداع الشىء من غير أصل ولا احتذاء قال: ﴿**وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق**﴾ [الأنعام: ٧٣] أى أبدعهما بدلالة قوله: ﴿**بديع السموات والأرض**﴾ [البقرة: ١١٧] و [الأنعام: ١٠١] ويستعمل فى إيجاد الشىء من الشىء نحو: ﴿**خلقكم من نفس واحدة**﴾ [الأعراف: ١٨٩]، ﴿**خلق الإنسان من نطفة**﴾ [النحل: ٤] ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة**﴾ [المؤمنون ١٢]، ﴿**ولقد خلقناكم**﴾ [الأعراف: ١١] ﴿**خلق الجان من مارج**﴾ [الرحمن: ١٥]. وليس الخلق الذى هو الإبداع إلا لله تعالى ولهذا قال فى الفصل بينه تعالى وبين غيره ﴿**أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكّرون**﴾ [النحل: ١٧] وأما الذى يكون بالاستحالة فقد جعله الله تعالى لغيره فى بعض الأحوال كعيسى حيث قال: ﴿**وإذ تخلق من الطير كهيئة الطين بإذنى**﴾ [المائدة: ١١٠] والخلق لا يستعمل فى كافة الناس إلا على وجهين: أحدهما فى معنى التقدير كقول الشاعر:

فلأنت تفرى ما خلقت وبعـ
ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

والثانى فى الكذب نحو قوله تعالى: ﴿**وتخلقون إفكا**﴾ [العنكبوت: ١٧] إن قيل قوله تعالى: ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ [المؤمنون: ١٤] يدل على أنه يصح أن يوصف غيره بالخلق، قيل إن ذلك معناه أحسن المقدرين، أو يكون على تقدير ما كانوا يعتقدون ويزعمون أن غير الله يبدع، فكأنه قيل فاحسب أن ههنا مبدعين وموجدين فالله أحسنهم إيجادا على ما يعتقدون كما قال: ﴿**خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم**﴾، [الرعد: ١٦] ﴿**ولآمرنهم فليغيرن خلق الله**﴾ [النساء: ١١٩] فقد قيل إشارة إلى ما يشوهونه من الخلقة بالخصاء ونتف اللحية وما يجرى مجراه، وقيل معناه يغيرون حكمه وقوله تعالى: ﴿**لاتبديل لخلق الله**﴾ [الروم: ٣٠] فإشارة إلى ما قدره وقضاه وقيل معنى ﴿**لا تبديل لخلق الله**﴾ نهى أى لا تغيروا خلقة الله ...

وكل موضع استعمل الخلق فى وصف الكلام فالمراد به الكذب ومن هذا الوجه امتنع كثير من الناس من إطلاق لفظ الخلق على القرآن وعلى هذا قوله تعالى ﴿**إن هذا إلا خلق الأولين**﴾ [الشعراء: ١٣٧] وقوله تعالى: ﴿**ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق**﴾ [صٓ: ٧] والخلق يقال فى معنى المخلوق والخَلْق والخُلُق فى الأصل واحد كالشرب والشرب والصَّرم والصُّرم لكن خُص الخلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخُص الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة. قال تعالى: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾

[القلم: ٤] وقرىء «إن هذا إلا خَلْق الأولين» [الشعراء: ١٣٧] والخلاق ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه قال تعالى: ﴿وما له في الآخرة من خلاق﴾ [البقرة: ٢٠٠] وفلان خليق بكذا: أى كأنه مخلوق فيه ذلك كقولك مجبول على كذا أو مدعو إليه من جهة الخلق. وخلق الثوب وأخلق وثوب خلق ومخلق وأخلاق نحو حبل أرمام وأرمات، وتصور من خلوقة الثوب الملامسة فقيل جبل أخلق وصخرة خلقاء وخلقت الثوب ملسته، واخلولق السحاب منه أو من قولهم هو خليق بكذا، والخلوق ضرب من الطيب.

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٥٧، ١٥٨. انظر أيضا منتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر للإمام ابن الجوزى ـ تحقيق ودراسة محمد السيد الصفطاوى، ود. فؤاد عبد المنعم أحمد / ١٠٧، ١٠٨).

*** الخُلق:**

الخُلُق بضم الخاء واللام عرفه الشريف الجرجانى بقوله:

الخلق: عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة سميت الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا وإنما قلنا إنه هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك فى نفسه، وكذلك من تكلف السكوت عند الغضب بجهد أو روية لا يقال خُلُقه الحلم، وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خُلُقه السخاء، ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء (التعريفات / ١٣٥، ١٣٦).

وقد فصل الكلام عليه التهانوى فى كشافه فقال (لاحظ تخفيفه الهمزة فى بعض الألفاظ).

الخُلُق بضمتين وسكون الثانى أيضا فى اللغة العادة والطبيعة والدين والمروة [والمروءة] والجمع الأخلاق وفى عرف العلماء ملكة تصدر بها عن النفس الأفعال بسهولة من غير تقدم فكر وروية وتكلف فغير الراسخ من صفات النفس كغضب الحليم لا يكون خلقا، وكذا الراسخ الذى يكون مبدأ للأفعال النفسية بعسر وتأمل كالبخيل إذا حاول الكرم، وكالكريم إذا قصد بإعطائه الشهرة، وكذا ما تكون نسبته إلى الفعل والترك على السواء كالقدرة، وهو مغاير للقدرة بوجه آخر أيضا، وهو أنه لا يجب فى الخلق أن يكون مع الفعل كما وجب ذلك عند الأشاعرة فى القدرة فما قال المحقق التفتازانى فى المطول فى بحث التشبيه من أن الخلق كيفية نفسانية تصدر عنها الأفعال بسهولة أى تصدر عن النفس بسببها الأفعال بسهولة مبنى على عدم التحقيق هكذا ذكر أبو القاسم فى حاشية المطول.

ثم الخلق ينقسم إلى فضيلة هى مبدأ لما هو كمال ورذيلة هى مبدأ لما هو نقصان وغيرهما وهو ما يكون مبدأ لما ليس شيئا منهما، وتوضيحه أن النفس الناطقة من حيث تعلقها بالبدن وتدبيرها إياه تحتاج إلى قوى ثلاث إحداها القوة التى بها تعقل ما يحتاج إليه فى تدبيره وتسمى بالقوة العقلية والنطقية والملكية، والنفس المطمئنة وتعبر عنها أيضا بقوة هى مبدأ إدراك الحقائق والشوق إلى النظر فى العواقب والتمييز بين المصالح والمفاسد.

وثانيتها القوة التى بها تجذب ما ينفع البدن ويلايمه من المآكل والمشارب وغير ذلك وتسمى بالقوة الشهوانية والبهيمية والنفس الأمارة.

وثالثتها ما تدفع به ما يضر البدن ويؤلمه وتعبر عنها أيضا بما هى مبدأ الإقدام على الأهوال والشوق إلى التسلط وتسمى قوة غضبية سبعية ونفسا لوامة. قيل: أو الظاهر أن إطلاق النفس على هذه القوى الثلاث من باب إطلاق اسم المحل على الحال ثم صار حقيقة عرفية.

ثم اعلم أن لكل واحدة من هذه القوى ثلاث أحوال: طرفان ووسط فالفضيلة الخلقية هى الوسط من أحوال هذه القوى والرذيلة هى الأطراف وغيرهما ما ليس شيئا منهما أى من الوسط والأطراف. فالفضائل الخلقية أصولها ثلاثة هى الأوساط من أحوال هذا القوى.

والرذائل الخلقية أصولها ستة هى أطراف تلك الأوساط ثلاثة منها من قبيل الإفراط، وثلاثة أخرى من قبيل التفريط وكلا طرفى كل الأمور مذموم. فمن اعتدال أحوال القوة الملكية تحدث الحكمة وهى هيئة للقوة العقلية العملية متوسطة بين الجربزة التى هى إفراط هذه القوة وهى استعمال

القوة الفكرية فيما لا ينبغي كالمتشابهات وعلى وجه لا ينبغي كمخالفة الشرائع وبين البلاهة والغباوة التى هى تفريطها وهى تعطيل القوة الفكرية بالإرادة والوقوف عن اكتساب العلوم النافعة.

والحكمة هى معرفة الحقائق على ما هى عليه بقدر الاستطاعة وهى العلم النافع المعبر عنه بمعرفة النفس ما لها وما عليها المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا﴾ [البقرة: ٢٦٩] هكذا فى التلويح. وقد عرفت فى لفظ الحكمة أن الحكمة بهذا المعنى ليست من أقسام علم الحكمة والظن بأنها من أنواعه باطل.

ومن اعتدال القوة الشهوانية تحدث العفة وهى هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور والخلاعة الذى هو إفراطها وهو الوقوع فى ازدياد اللذات على ما يجب وبين الخمود الذى هو تفريطها وهو السكوت عن طلب اللذات بقدر ما رخص فيه العقل والشرع ففى العفة تصير الشهوانية منقادة للناطقة.

ومن اعتدال الغضبية تحدث الشجاعة وهى هيئة للقوة الغضبية متوسطة بين التهور الذى هو إفراطها وهو الإقدام على ما لا ينبغى وبين الجبن أى الحرز عما ينبغى الذى هو تفريطها ففى الشجاعة تصير السبعية منقادة للناطقة ليكون إقدامها على حسب الدراية من غير اضطراب فى الأمور الهائلة حتى يكون فعلها جميلا وصبرها محمودا وإذا امتزجت الفضائل الثلاث حصلت من اجتماعها حالة متشابهة هى العدالة فبهذا الاعتبار عبر عن العدالة بالوساطة وإليه أشير بقوله عليه الصلاة و السلام «خير الأمور أوساطها» والحكمة فى النفس البهيمية بقاء البدن الذى هو مركب النفس الناطقة لتصل بذلك إلى كمالها اللائق بها ومقصدها المتوجه إليه وفى السبعية كسر البهيمية وقهرها ودفع الفساد المتوقع من استيلائها واشتراط التوسط فى أفعالها كيلا تستبعد الناطقة فى هوائها وتصرفاتها عن كمالها ومقصدها وقد مثل ذلك بفارس استردف سبعا وبهيمة للاصطياد فإن انقاد السبع والبهيمة للفارس واستعملهما على ما ينبغى حصل مقصود الكل بوصول الفارس إلى الصيد والسبع إلى الطعم والبهيمة إلى العلف وإلا هلك الكل وأما أن هذه النفوس الثلاثة نفوس متعددة أم نفس واحدة مختلفة بالاعتبارات أم قوى وكيفيات للنفس الإنسانية فمختلف فيها هكذا يستفاد من شرح المواقف والتلويح (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٤٤٦ ـ ٤٤٨).

وقد أوردنا مادة بعنوان «حُسن الخلق» فى م ١٤ / ٤٧ ـ ٥٤. أما سوء الخلق فقد أفرد له أبو منصور الثعالبى فصلا قصيرا جاء فيه مايلى: إذا كان الرجل سيىء الخلق فهو زَعِر وعَزْوَر، فإذا زاد سوء خلقه فهو شرس وشكِس (عن أبى زيد) فإذا تناهى فى ذلك فهو عِكس وعِكص (عن الفراء) (فقه اللغة / ٩٣).

(التعريفات للشريف الجرجانى ـ تحقيق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٥، ١٣٦، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٤٤٦ ـ ٤٤٨، وفقة اللغة وأسرار العربية لأبى منصور الثعالبى / ٩٣).

انظر مادة: «حسن الخلق» فى م ١٤/ ٤٧ ـ ٥٤.

*** خلق أفعال العباد:**

عن مذهب أهل السنة والجماعة فى مسألة خلق الله تعالى أفعال العباد يقول الإمام الباقلانى رحمه الله:

اعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى هو الخالق وحده لا يجود أن يكون خالق سواه، فإن جميع الموجودات من أشخاص العباد وأفعالهم وحركات الحيوانات قليلها وكثيرها حسنها وقبيحها خلق له تعالى لا خالق لها غيره فهى منه خلق وللعباد كسب على ما قدمنا بيانه بقوله تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ [البقرة: ٢٨٦] وأمثال هذه الآية من الأدلة على الفرق بين الخلق والاختراع والكسب.

فالواحد منا إذا سمى فاعلا فإنما يسمى فاعلا بمعنى أنه مكتسب لا بمعنى أنه خالق لشىء. وقالت المعتزلة، والنجارية، والجهمية، والروافض: إن أفعال العباد مخلوقة للعباد بقدرة العباد وأن كل واحد منا ينشىء ما ينشىء ويخلق ما يفعل وليس لله تعالى على أفعالنا قدرة جملة ونعوذ بالله من هذا الاعتقاد وسوء المقال. والدليل على صحة مذهب أهل السنة والجماعة وبطلان قول من خالفهم من أهل الزيغ والبدع الكتاب والسنة وإجماع الأمة وأدلة العقل فالدليل من الكتاب أكثر مما يحصى لكن أذكر منه ثلاثة تنبه اللبيب على بقيتها إن شاء الله تعالى (جاء فى هامش (١) هذا التعليق للمحقق فضيلة الشيخ زاهد الكوثرى).

لعل النجارية والجهمية مقحمتان فى هذا الموضع بقلم الناسخ بل لا يعرف هذا فى المعتزلة إلا من عهد الجبائى كما هو مشروح فى موضعه).

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٦] فأخبر تعالى أنه خالق لأعمالنا على العموم كما أخبر أنه خالق لصورنا وذواتنا على العموم وهذا من أوضح الأدلة من الكتاب.

الثاني: قوله تعالى: ﴿خالق كل شيء﴾ [الأنعام: ١٠٢]، و [الرعد: ١٦]، ومعلوم أن أفعالنا مخلوقة إجماعا وإن اختلفنا فى خالقها وهو تعالى قد أدخل فى خلقه كل شيء مخلوق فدل على أنه لا خالق لشيء مخلوق غيره سبحانه وتعالى. فإن قيل فكلامه شيء فيجب أن يكون مخلوقا. قلنا: قد احترزنا بحمد الله تعالى عن هذا السؤال بقولنا إنه أخبر أنه خلق كل شيء مخلوق وكلامه وصفات ذاته تعالى قد أثبتنا أنها غير مخلوقة ولا خالقة بل هى صفة الخالق تعالى قديمة بقدمه موجودة بوجوده قبل جميع المخلوقات فبطل هذا السؤال.

وجواب آخر يبطل هذا السؤال وهو أنك تقول: إن الله تعالى مخاطِب والمخاطب لا يدخل تحت الخطاب ألا ترى أن الواحد منا إذا قال دخلت الدار فضربت من فيها، أو أخرجت من فيها، أو أعطيت من فيها لا يدل ذلك على أنه دخل تحت الخطاب بأن يكون ضرب نفسه، ولا أخرج نفسه ولا أعطى نفسه، لأنه مخاطب والمخاطب لا يدخل تحت الخطاب وكذلك قوله تعالى: ﴿خالق كل شيء﴾ هو مخاطب فلا يدخل تحت الخطاب بذاته. ولا بصفاته جل عن ذلك وتعالى كما قال: ﴿الواحد القهار﴾ [يوسف: ٣٩]، و [الرعد: ١٦]، و[إبراهيم: ٤٨]، و [ص: ٦٥]، و [الزمر: ٤]، و[غافر: ١٦] قهر الكل ولم يدخل فى القهر ذاته وصفاته. فافهم التحقيق لتدفع به كل بدعة وتمويه من أهل البدع إن شاء الله.

الثالث: قوله تعالى: ﴿الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ [الروم: ٤٠] والدلالة من هذه الآية من أوجه:

أحدها: أنه قال تعالى: ﴿الله الذى خلقكم﴾ وهذا عام فى ذواتنا وصفاتنا ثم أكد ذلك بقوله تعالى: ﴿ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ يعنى ثم خلق أرزاقكم وعند المخالف أن العبد يخلق أفعاله ورزقه فهو خلاف ما أخبر الله تعالى به من كونه خالقا لنا ولأرزاقنا.

الوجه الثانى: من الدلالة أنه قال: ﴿ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ فكما لايقدر أحد أن يخلق موته ولا حياته فكذلك لا يقدر أن يخلق فعله ورزقه من حركة ولا سكون ولا غير ذلك.

الثالث: سبحانه وتعالى نزه نفسه عن عقدهم وخبثهم إذ أضافوا فعل شيء وخلقه إلى غيره فقال سبحانه وتعالى: ﴿عما يشركون﴾ ثم أكد ذلك بعده بمواضع فقال: ﴿هل من خالق غير الله﴾ [فاطر: ٣] سبحانه وتعالى وقال: ﴿أفمن يخلق كمن لايخلق﴾[النحل: ١٧].

وأما الدليل من السُّنة فكثير أيضا غير أنى أذكر منه خبرين ننبه العاقل الفطن على الاستدلال بأمثالهما من السنة:

الأول: ما روى عنه ﷺ أنه قال: «إن الله خلق كل صنعة وصانعها» (أخرجه البخارى فى خلق الأفعال) وصنعة الصانع إنما هى بحركاته وأفعاله سواء كان فى صنعة مباحة وطاعة ككتابة القرآن، والحديث. والفقه. ومحظورة من تصوير صور الحيوان أو عمل السلاح ليقتل به المسلمين. فصح بهذا الخبر أن الله جل وعلا خالق للفاعل منا ولفعله.

الخبر الثانى: قوله ﷺ لابن عباس رضى الله عنهما: «فرغ ربك من أربع: من الخَلق، والخُلق. والرزق، والأجل فلو جهد الخلق على أن يؤتوك ما لم يقدّره الله لم يقدروا على ذلك» وروى: «لو جهد الخلق على أن ينفعوك أو يضروك لم يقدروا على ذلك» والمخلوقات منها الضار والنافع فى العاجل والآجل وقد جعل ﷺ كل ذلك إلى تقدير الله تعالى وخلقه له ولم يجعل إلى العباد شيئا من ذلك فاعلمه وتحققه.

ويدل على صحة ما قلناه إجماع المسلمين وأنهم يقولون: لا خالق إلا الله كما يقولون: لا رازق. ولا محيى، ولا مميت إلا الله تعالى. فنقول فلا يكون الخلق من غيره وأثبتوه خالقا.

ويدل على صحة ما قلناه من جهة العقل وأنه لا خالق إلا الله تعالى وهو كثير جدا لكن نختصر على قدر فيه الكفاية إن شاء الله تعالى.

فمن ذلك: أن نقول لهم: إن قلتم إن الواحد منا يخلق أفعاله، من طاعة، أو معصية، أو إيمان، أو كفر فقد شركتم بيننا وبين الله تعالى فى الخلق وأنه لا يتم خلقه إلا بخلقنا. وذلك أن الجسم لا يخلو من حركة، أو سكون، أو كفر، أو

إيمان، أو طاعة أو معصية، فصح أن جميع الذوات مشتركة بمخلوق الآخر وهذا شرك ظاهر نعوذ بالله منه.

دليل آخر من جهة العقل: وإنه لا خالق إلا الله لأن الخالق الصانع أقل ما يوصف به علمه بخلقه كما قال: ﴿ألا يعلم من خلق﴾ [الملك: ١٤] ونحن نجد الواحد منا يفعل ما لا يعلم فعله فيه ولا يحصره ولا يعده بقدرة حتى إن الواحد منا يريد أن يتكلم صوابا فيرمى خطاء إلى غير ذلك فيفعل ما لا يعلمه ولا يريده. وأيضا الواحد منا إذا خرج إلى المسجد حتى وصل إليه فعند المخالف أن كل خطوة خطاها خلقها وأنشأها ولو سئل عن عدد كل خطوة خطاها لم يدر ما يقول ولا يعلمه ولا يعرفه فلم يبق إلا أن الخالق لأفعالنا وأكسابنا هو الله تعالى الذى يعلمها كما قال: ﴿ألا يعلم من خلق﴾.

دليل آخر من جهة العقل: وهو من شرط الخالق للشيء أن يكون قادرا على (خلق الشيء وضده فإن من يقدر على خلق الحياة يقدر على خلق ضدها وهو الموت، وكذلك من يقدر على خلق التفريق فى الجسم يقدر خلق الاجتماع له حق يعود كما كان جسما مؤلفا، ولما وجدنا أحدنا لا يقدر على ذلك صح أنه غير خالق، ولما وجدنا الخالق تعالى يقدر على خلق الشيء وضده دل على أنه هو الخالق لا خالق سواه، وقد قيل عن الشيخ الإمام أبى بكر بن فورك رضى الله عنه أنه كان مع إسماعيل المعروف بالصاحب فى بستان وكان يعتقد شيئا من ذلك فأخذ سفرجلة وقطعها من الشجرة وقال له: ألست أنا قطعت هذه السفرجلة؟ فقال له رضى الله عنه مجيبا: إن كانت تزعم أنك خلقت هذه التفرقة فيها فاخلق وصلها بالشجرة حتى تعود كما كانت فبهت وتحير ولم يقدر على جواب. (ابن فورك زميل المؤلف فى عهد طلب العلم عند الباهلى وإن كانا متباعدى الدار فى عهد إمامتهما ونشرهما العلم، ونوه بجواب ابن فورك هنا كما بلغه تقديرا لصاحبه كما هو شأن الإخلاص فى العلم).

وبلغنى أيضا إن بعض القدرية وقف على إحدى رجليه وشال الأخرى وقال: ألست أنا رفعت هذه وحطت هذه؟ فقال له بعض أهل السنة: أن كنت تزعم أنك خلقت الشيل فاخلق الشيل فى الأخرى حتى تصير مشتالة معها فبان له الحق ورجع عن قوله الباطل.

دليل آخر من جهة العقل: وهو أنك تقول حقيقة الخلق والأحداث هو إخراج الشيء من العدم إلى الوجود وإذا كان الواحد منا على زعمكم يقدر أن يخلق حركة معدومة حتى يخرجها من العدم إلى الوجود. وأن يخلق شيئا زائدا فيخرجه من العدم إلى الوجود، وأن يخلق له لونا غير لونه فيخرجه من العدم إلى الوجود وفى هذا القول الخبيث التسوية بين قدرة الله تعالى وقدرة العباد وأنهم يقدرون على ما يقدر عليه. تعالى ربنا عن ذلك علوا كبيرا.

فصل: نذكر فيها شبها يزعمون أن لهم فيها حجة وليس لهم حجة بحمد الله تعالى كما قال: ﴿حجتهم داحضة عند ربهم﴾ [الشورى: ١٦] فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ [الواقعة: ٢٤] قالوا: فاثبت لنا العمل والعمل هو الفعل والفعل هو الخلق فالجواب: أنه تعالى أرادها هنا بالعمل الكسب والعبد مكتسب على ما بينا. يدل على ذلك أنه قال فى موضع آخر: ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾ [التوبة: ٨٢] نحن لا نمنع أن يكون سمى كسب العبد عملا له إنما نمنع أن يكون العبد خالقا مخترعا لفعله مخرجا له من العدم إلى الوجود وقد بينا أن الخلق والاختراع والخروج من العدم إلى الوجود لا يقدر عليه إلا الله تعالى فلم يكن لهم فى الآية حجة.

فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤] وبقوله تعالى: ﴿الذى أحسن كل شيء خلقه﴾ [السجدة: ٧] وبقوله تعالى: ﴿وإذ تخلق من الطين﴾ [المائدة: ١١٠] فالجواب من أوجه:

أحدها: أنه يعنى بقوله ﴿أحسن الخالقين﴾ يعنى أحسن المقدرين فعيسى عليه السلام يقدر الطين صورة والخلق يقدرون الصورة صورة لا أنهم يخرجون الصورة من العدم إلى الوجود فقال تعالى ﴿أحسن الخالقين﴾ أى المقدرين فاعلم ذلك.

جواب آخر: وذلك أن الله تعالى هو الخالق لا خالق سواه لكن لما ذكر معه غيره قال ﴿أحسن الخالقين﴾ وإن كان هو الخالق على الحقيقة دون غيره كما يقال: عدل العُمَرين وإنما هو أبو بكر وعمر لكن لما جمع بينهما سماهما باسم واحد وكذلك قول الفرزدق:

أخذنا بأكناف السماء عليكم
لنا قمراها والنجوم الطوالع

والقمر واحد لكن لما جمعه مع الشمس سماهم قمرين.

وكان تعالى لما علم من الكفار ومنكم أن تجعلوا معه غيره خالقا قال ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤] على زعمهم أن معه خالقا غيره وهذا كقوله تعالى: ﴿وهو أهون عليه﴾ [الروم: ٢٧] على زعمكم لأن عندهم أن النشأة أهون من الإعادة فذكر ذلك على سبيل الرد عليهم والإنكار لقولهم أن معه خالقا غيره لا أنه أثبت معه خالقا غيره.

جواب آخر: وذلك أن لفظة أفعل في كلام العرب قد يراد بها إثبات الحكم لأحد المذكورين وسلبه عن الآخر من كل وجه وذلك في قوله تعالى: ﴿أصحاب الجنه يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا﴾ [الفرقان: ٢٤] فأثبت حسن المقيل لأهل الجنة مع حسن المستقر وسلب ذلك عن أهل النار أصلا ورأسا لأن أهل النار ليس لهم حسن مستقر ولا حسن مقيل فكذلك قوله تعالى: ﴿أحسن الخالقين﴾ أثبت الخلق له وأنه هو المنفرد به دون غيره. وكذلك يقول القائل: العسل أحلى من الخل.

لا يريد أن للخل حلاوة بوجه بل يريد إثبات الحلاوة للعسل وسلبها عن الخل أصلا ورأسا. فكذلك قوله تعالى: ﴿أحسن الخالقين﴾ أثبت الخلق له دون غيره. فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ [الملك: ٣] فكيف يجوز أن يكون خالقا لكفر الكافرين، وعصيان العاصين وفيه من التفاوت غير قليل.

فالجواب: ان هذا سوء فهم وذلك أن هذا أراد به سبحانه وتعالى خلق السموات في الصورة وأنه ليس فيها فطور ولا شقوق أجمع المفسرون على ذلك فلا حجة لكم فيها ثم إن أول الآية حجة عليكم لأنه قال: ﴿الذى خلق الموت والحيات﴾ [الملك: ٢] وبين الموت والحياة تفاوت وهو خالق الجميع لا خالق لذلك غيره فكذلك كفر الكافرين وإيمان المؤمنين وإن كان بينهما تفاوت في الحكم فليس بينهما تفاوت في الإيجاد والاختراع وإحكام الخلق فصح أن الآية حجة عليهم لا لهم.

فان احتجوا بقوله تعالى: ﴿فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان﴾ [القصص: ١٥] فلو كان الله الخالق لوكزة موسى لقال هذا من عمل الرحمن الجواب من وجهين.

أحدهما: أن قول موسى هذا القول على وجه الأدب أي إني أرتكب مانهيت عنه من شره النفس ووسوسة الشيطان ألا تراه قال في ضلال السبعين من قومه لما لم يكن له في ذلك كسب: ﴿إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء﴾ [الأعراف: ١٥٥] فيجب على العبد عند خطأه وذنبه أن يرد اللوم والتقصير إلى نفسه والى وسوسة الشيطان ولا يرد ذلك إلى خلق الله تعالى وإرادته لأنه يصير كالمحتج عليه تعالى وليس لأحد عليه حجة: ﴿قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ [الأنعام: ١٤٩] ومثل هذا قول أبيه آدم عليه السلام وحواء: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ [الأعراف: ٢٣] فردا التقصير والنقص واللوم إلى أنفسهما لأن هذا موضع الأدب والتذلل لا موضع الاحتجاج ومثل هذا كثير.

الجواب الثاني: أن الإجماع منا ومنكم أن الوكزة ليست خلق الشيطان ولا عمله بل هي عندنا من خلق الله تعالى واختراعه ولموسى عليه السلام كسب. وعلى عقدهم النحس أنها خلق موسى وعمله وليس لله فيها خلق ولا اختراع ولا عمل فبطل احتجاجهم بالآية ولم يبق إلا ما قلناه وهو أنه أراد بقوله: ﴿من عمل الشيطان﴾ [القصص: ١٥] أي زين ذلك وحسنه لي والله المعين.

فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء: ٧٩] فأوضح تعالى أن السيئة منا والحسنة منه فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه لا يصح لكم الاحتجاج معشر المعتزلة بهذه الآية بوجه من الوجوه ولا بسبب من الأسباب لأن ظاهرها فيه تعلق لمن يقول إن الخير خلق الله تعالى وفعله والشر خلقنا وفعلنا وأنتم تقولون بظاهر هذه الآية لأنكم تقولون إن أحسن الحسن وخير الخير الإيمان والمعرفة. وتقولون ليس لله في هذا قدرة ولا خلق وإنما هو بقدرة العبد المؤمن وخلقه فلا حجة لكم فيها.

الجواب الثاني: أن صريح النص في أول هذه الآية حجة عليكم لأنه يقال رد عليهم وأمر نبيه عليه السلام أن يرد عليهم بقوله تعالى: ﴿قل كل من عند الله﴾ [النساء: ٧٨] ثم جهلهم وإياكم وأكد ذلك بقوله: ﴿فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا﴾ [النساء: ٧٨] فصارت الآية حجة واضحة عليكم لا لكم.

الجواب الثالث: قوله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء: ٧٩] وهذا صحيح من وجهين:

أحدهما: أن مثله في القرآن كثير. من ذلك قوله تعالى: ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾ [آل عمران: ١٩١] تقديرا الكلام يقولون: ربنا ما خلقت هذا باطلا. ومثله قوله تعالى: ﴿والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون ...﴾ [الأنعام: ٩٣] ومثله أيضا قوله تعالى: ﴿الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب﴾ [آل عمران: ١٠٦] تقدير الكلام ﴿فأما الذين اسودت وجوههم﴾ [١٠٦] فيقال لهم ﴿أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب﴾ [١٠٦] فكذلك هذا فتقدير الكلام فيه (لا يكادون يفقهون) فيقولون ﴿ما أصابك من حسنة﴾، [النساء: ٧٩].

الوجه الثاني: أن هذه الآية إن لم تحمل على ما قلناه صار بعضها ينقض بعضا ويخالف بعضا. وليس في كتاب الله تعالى مناقضة ولا اختلاف فصح ما قلناه لأنه قال في أول الآية: ﴿كل من عند الله﴾، [النساء: ٧٨] ثم يرجع في سياقها فيقول: لا إنما البعض مني والبعض من خلقي كلا والله بل ذكر ذلك في سياق الآية تجهيلا لقائله وردا عليه فافهم الحق وادفع به الباطل.

فإن احتجوا فقالو: وجدنا أفعالنا واقعة على حسب قصدنا فوجب أن يكون خلقا لنا وفعلا لنا قالوا: وبيان ذلك أن الواحد منا إذا أراد أن يقوم قام، وإذا أراد ان يقعد قعد، وإذا أراد أن يتحرك تحرك، وإذا أراد أن يسكن سكن وغير ذلك. فإذا حصلت أفعاله على حسب قصده ومقتضى إرادته دل على أن أفعاله خلق له، وفعل له. فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن هذا غير صحيح أولا فإنا نرى من يريد شيئا ويقصده ولا يحصل ما يريد ولا ما يقصد. فإنه ربما أراد أن ينطق بصواب فيخطيء، وربما أراد أكلا لقوة وصحة فيضعف ويمرض، وربما ابتاع سلعة ليربح فيخسر، وربما أراد القيام فيعرض له ما يمنعه منه إلى غير ذلك فبطل ما ذكرتموه وصح أن فعله خلق لغيره يجرى على حسب مشيئة الخالق تعالى وإنما يظهر كسبه لذلك الفعل بعد تقدم المشيئة والخلق من الخالق. (وأما إرادة العبد للفعل فهي مدار تكليفه وهي بيده جعلها الله هكذا تحقيقا لمسئولية العبد عن أفعاله، وهي متقدمة تقدما ذاتيا على الخلق كما جرت عادة الله على ذلك فيكون اختيار العبد بعيدا عن سمة الجبر).

الجواب الثاني: أن وقوع الكسب من الخلق على حسب القصد منهم لا يدل ذلك على أنه خلق لهم واختراع. ألا ترى أن مشي الفرس والدابة يحصل على قصد الراكب وإرادته من عدو، وتقريب. واستطراف، ووقوف إلى غير ذلك: ولا يقول عاقل إن لراكب خلق جري الفرس ولا سرعتها ولا غير ذلك من أفعالها فبطل أن يكون حصول الفعل على قصد الفاعل يدل على أنه خلقه، وكذلك أيضا السفن يحصل سيرها وتوجهها في السير من يمين إلى شمال على حسب قصد الملاح ولا يدل ذلك على أن الملاح خلق سير السفن ولا توجهها فإن كابروا الحقائق وقالوا نقول إن ذلك خلقه الملاح والفارس فقد خرجوا عن الدين وسووا بين الخالق والعباد وأن قدرة كل واحد منهما تتعلق بمقدورات وهذا كفر صراح. وإن قالوا: حركات السفن تقع على حسب قصد الملاح وليس بخلق له. قلنا: فكذلك أفعال أحدنا قد تقع ولا نقول إنها تقع في كل حال على حسب قصده ولا يدل ذلك على أنه خلقها فاخترعها. يؤكد ذلك أن البياض يحصل في الناطف عند قصد الناطفي له، ولا يقول أحد إن واحدا منا يقدر أن يخلق لونا لغيره ولا لنفسه فلا يمتنع أن يكون الفعل قد يحصل على حسب قصد أحدنا وليس هو خلقا له ولا موجودا له من العدم إلى الوجود فاعلم ذلك. يؤكد هذا أيضا أن نمو الزرع يحصل على حسب قصد الزارع وقيامه عليه بسقيه وغير ذلك ولا يقول أحد إن نمو الزرع خلقه الزارع ولا أنه خلق في الحبة أضعاف عددها وكذلك ما حصل فيه النمو من الفسيل والتين وغير ذلك.

وكذلك سِمَنُ الدابة يحصل على قصد العالف لها والساقي ولا يقول أحد إن العالف والساقي هو الذي خلق الشحم والسمن في الدابة. وكذلك دود القز يحصل منه القز على حسب قصد القائم عليه والمربي له ولا يقال إن القز خلقه في الدود إلا الله تعالى وإن كان حاصلا على حسب إرادة القائم عليه وقصده وكذلك فيما يحصل من الواحد منا

إذا أراد الله تعالى حصوله على حسب قصده لايدل على أنه هو خلقه بل الخالق له هو الله تعالى.

فإن قيل فإذا لم يكن أحدنا خالقا لفعله فكيف يكون ملوما عليه ومعذبا به ويستحق عليه المدح والثواب أو الذم والعقاب؟ فالجواب:

إننا لانقول إن المدح والثواب، ولا الذم والعقاب يحصل بفعل الفاعل منا حتى يوجب ذلك كونه خلقا له واختراعا بل نقول: إن ذلك يحصل بحكم الله تعالى ويجب ويستحق بحكمه لا بأن يوجب الواجب عليه خلق أوجبه عليه. ألا ترى بالإجماع منا ومنكم ومن جميع المسلمين أن الدية تجب على العاقلة بقتل غيرها خطأ وإن لم تفعل العاقلة شيئا يستحق به إيجاب ذلك عليها وأن ذلك الذى فعلته خلق لها بل هو خلق لغيرها وهو الله تعالى عند المسلمين وخلق للقاتل على زعمكم فصح أن الوجوب حصل بإيجاب الله وحكمه لا بخلق العاقلة وفعلها، وكذلك جميع الأحكام فى الدنيا والآخرة إنما تجب وتستحق بإيجاب الله تعالى وإرادته لا بكونها خلقا للفاعل فاعلم ذلك وتحققه.

وكذلك أيضا الأكل فى الصيام ناسيا فعل العبد كما هو فعل له عند تعمده لكن الله تعالى حكم بأن أحدهما مبطل ومفطر ويذم ويعاقب عليه، والآخر بالضد من ذلك وإن كان الجميع فعلا للعبد فصح أن ذلك إنما يكون بحكم الله تعالى لا بكونه خلقا للفاعل فصح ما قلناه وبطل ما توهموه.

فإن قيل: من فعل الطاعة كان طائعا، ومن فعل المعصية كان عاصيا فالجواب: إن هذا غير صحيح لأن كون البارى تعالى خالقا وفاعلا لا يوجب أن يتصف بالطاعة والمعصية لأن الطاعة صفة الطائع والمعصية صفة العاصى، ولا يوجب ذلك وصف خالق الطاعة والمعصية بكونه طائعا عاصيا. ألا ترى أن الأسود صفة لمن قام به السواد ولا يكون صفة لله تعالى وإن كان تعالى هو خالق السواد. فكذلك التحرك صفة لمن له الحركة لا صفة من خلق الحركة. والولد لمن له الولد لا لمن خلق الولد. والحلاوة صفة العسل لا لمن خلق الحلاوة فيه. وكذلك الحموضة فى الخل صفة الخل لا لمن خلق الحموضة فيه. وكذلك الموت إذا خلقه الله فى أحدنا صا ميتا واتصف بذلك ولا يوجب أن يتصف الخالق للموت بأنه ميت لما خلق الموت وفعله بالحى فكذلك المعصية صفة من حلت به المعصية، والطاعة صفة لمن حلت به الطاعة ولا يوجب ذلك وصف خالقهما بأنه طائع ولا عاص.

فإن قيل: لا يجوز أن يكون الله خالق الظلم، والجور، والكذب لأن من فعل الظلم كان ظالما، ومن فعل الجور كان جائرا، ومن فعل الكذب كان كاذبا والله تعالى يتنزه عن جميع ذلك. فصح أن هذه الأشياء ليست بفعل له، ولا خلق له.

فالجواب: أن هذا السؤال هو الأول بعينه والجواب عنه قد تقدم لكن نزيد هاهنا جوابا آخر وذلك أنا نقول: ليس الأمر على ما يقع لكم بل نقول إن الله تعالى خلق الظلم ظلما للظالم به، وخلق الجور جورا للجائر به، وخلق الكذب كذبا للكاذب به كما أنه خلق الظلمة ظلمة الظلم بها، وخلق الضوء ضوء للمستضىء به، وخلق الحمرة حمرة للأحمر بها، وخلق السواد سوادا للأسود به، وخلق السم سما للمسموم به. فكما أن الله تعالى خلق الظلمة الليل، والضياء للنهار، والحمرة للأحمر، والسواد للأسود. والسم للحية ولا يوجب ذلك كونه ظلمة ولا ضياء ولا سوادا ولا حمرة ولا سمًّا فكذلك خلق الطاعة طاعة للطائع بها، والكذب كذبا للكاذب به، والجور جورا للجائر به ولا يوجب ذلك كونه جائرا ولا ظالما ولا كاذبا فصح ما قلناه وبطل ما قالوه.

جواب آخر: وذلك أن الظلم والكذب والجور ليس من حيث الصورة والفعل وإنما يكون كذبا إذا خالف الأمر، وكذلك الجور والظلم وهذا كله يصح الوصف به لمن فوقه آمر أمره، وناه نهاه وهم الخلق. وأما الخالق فليس فوقه آمر ولا ناه فلا يصح وصفه بشىء من هذا فاعلم ذلك وتحققه فإنه أصل قوى تدفع به جميع ظنونهم الفاسدة.

فإن قيل: لا يجوز أن يقال للجور والكذب هذا خلق الله بل يعرض عن ذلك ولا يقال، فصح أنه خلق لغيره.

فالجواب: أن هذا السؤال غير صحيح لأنك إن أردت الإطلاق فى العموم فجائز بأن تقول: يا خالق المخلوقات، وياخالق الموجودات، وياخالق كل شىء، وياخالق الضر والنفع. وإن أردت ذلك على الخصوص بأن تقول: يا خالق الكذب والجور فلا يجوز من طريق الأدب والإذن فى ذلك كما أنا نقول ياخالق المخلوقات فنعم بذلك السموات، والأرض، والشمس، والقمر، والقردة، والخنازير، والكلاب، والجعلان وغير ذلك من سائر المخلوقات فلا يجوز أن تقول على

الانفراد ياخالق الاقذار والأنجاس ونحو ذلك من طريق الأدب وإنه لم يؤذن لنا فى ذلك بل ندعوه بأسمائه الحسنى كما أمر فقال: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ [الأعراف: ١٨٠] (الإنصاف / ٢٧-٣٩).

وفى الباب السادس عشر من كتابه «شفاء العليل» تكلم الإمام ابن القيم على ما جاء فى السنة من تفرد الرب تعالى بخلق أعمال العباد كما هو منفرد بخلق ذواتهم وصفاتهم وقد أطال فى هذا الباب وننقل لك هنا بعضا مما جاء فيه قال رحمه الله:

قال البخارى فى كتاب خلق أفعال العباد: حدثنا على بن عبد الله ثنا مروان بن معاوية ثنا أبو مالك عن ربعى بن حراش عن حذيفة قال قال النبى ﷺ «إن الله يصنع كل صانع وصنعته» قال البخارى وتلا بعضهم عند ذلك ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٦] حدثنا محمد أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة نحوه موقوفا عليه وأما استشهاد بعضهم بقوله تعالى ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ بحمل ما على المصدر أى خلقكم وأعمالكم فالظاهر خلاف هذا وأنها موصولة أى خلقكم وخلق الأصنام التى تعملونها فهو يدل على خلق أعمالهم من جهة اللزوم فإن الصنم اسم للآلة التى حل فيها العمل المخصوص، فإذا كان مخلوقا لله كان خالقه متناولا لمادته وصورته. قال البخارى وحدثنا عمرو بن محمد حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن طاوس عن ابن عمر: كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك قال البخارى وحدثنى إسماعيل قال حدثنى مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون كل شيء بقدر حتى العجز والكيس ورواه مسلم فى صحيحه عن طاووس وقال سمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله ﷺ «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس» قال البخارى وقال ليث عن طاووس عن ابن عباس ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ [القمر: ٤٩] حتى العجز والكيس قال البخارى سمعت عبيد الله بن سعيد يقول سمعت يحيى بن سعيد يقول مازلت أسمع أصحابنا يقولون أفعال العباد مخلوقة. قال البخارى حركاتهم وأصواتهم وأكسابهم وكتابتهم مخلوقة وقال جابر بن عبد الله كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وإسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فيسره لى ثم بارك لى فيه وإنكنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضِّنى به (انظر مادة «الاستخارة (صلاة -) (في م ٤ / ٢١٤) قال ويسمى حاجته قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح فقوله إذا همَّ أحدكم بالأمر صريح فى أنه الفعل الاختيارى المتعلق بإرادة العبد وإذا علم ذلك فقوله أستقدرك بقدرتك أى أسألك أن تقدرنى على فعله بقدرتك ومعلوم أنه لم يسأل القدرة المصححة التى هى سلامة الأعضاء وصحة البنية وإنما سأل القدرة التى توجب الفعل فعلم أنها مقدورة لله ومخلوقة له وأكد ذلك بقوله فإنك تقدر ولا أقدر أى تقدر أن تجعلنى قادرا فاعلا ولا أقدر أن أجعل نفسى كذلك وكذلك قوله تعلم ولا أعلم أى حقيقة العلم بعواقب الأمور ومآلها والنافع منها والضار عندك وليس عندى وقوله يسره لى أو اصرفه عنى فإنه طلب من الله تيسيره إن كان له فيه مصلحة وصرفه عنه إن كان فيه مفسدة وهذا التيسير والصرف متضمن إلقاء داعية الفعل فى القلب أو إلقاء داعية الترك فيه ومتى حصلت داعية الفعل حصل الفعل وداعية الترك امتنع الفعل وعند القدرية ترجيح فاعلية العبد على الترك منه ليس للرب فيه صنع ولا تأثير فطلب هذا التيسير منه لا معنى له عندهم فان تيسير الأسباب التى لا قدرة للعبد عليها موجود ولم يسأله العبد وقوله ثم رضِّنى به يدل على أن حصول الرضا وهو فعل اختيارى من أفعال القلوب أمر مقدور للرب تعالى وهو الذى يجعل نفسه راضية وقوله فاصرفه عنى واصرفنى عنه صريح فى أنه سبحانه هو الذى يصرف عبده عن فعله الاختيارى إذا شاء صرفه عنه كما قال تعالى فى حق يوسف الصديق ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ [يوسف: ٢٤] وصرف السوء والفحشاء هو صرف دواعى القلب وميله إليها فينصرفان عنه بصرف دواعيهما وقوله واقدر لى الخير حيث كان يعم الخير المقدور للعبد من طاعته وغير المقدور له فعلم أن فعل العبد للطاعة والخير أمر مقدور لله إن لم يقدره الله لعبده لم يقع من العبد ففى هذا الحديث الشفاء فى مسألة

القدر. وأمر النبى ﷺ الداعى به أن يقدم بين يدى هذا الدعاء ركعتين عبودية منه بين يدى نجـواه وأن يكونا من غير الفريضة ليتجـرد فعلهمـا لهـذا الغـرض المطلـوب. ولمـا كـان الفعل الاختيارى متوقفـا على العلم والقدرة والإرادة لا يحصل إلا بها توسل الداعى إلى الله بعلمـه وقدرته وإرادته التى يـؤتيه بها من فضله وأكـد هذا المعنى بتجرده وبراءتـه من ذلك فقال: إنك تعلم ولا أعلم وتقـدر ولا أقدر وأمـر الداعى أن يعلق التيسير بالخير والصرف بالشر وهو علم الله سبحانه تحقيقا للتفويض اليه واعترافا بجهل العبد بعواقب الأمور كما اعترف بعجزه ففى هذا الدعاء إعطاء العبودية حقهـا وإعطاء الربوبية حقها وبالله المستعان.

وفى الترمـذى وغيـره من حـديث الحسن بن على قـال: علمنى رسول الله ﷺ كلمـات أقولهن فى الوتـر «اللهم اهدنى فيمن هـديت، وعـافنى فيمن عـافيت وتـولنى فيمن تـوليت، وبارك لى فيمـا أعطيت وقنى شر مـا قضيت، إنك تقضى ولا يُقْضَىٰ عليك، إنه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت».

فقوله اهـدنى سؤال للهداية المطلقـة التى لا يتخلف عنها الاهتداء وعند القـدرية أن الرب سبحانـه وتعالى عن قولهم لا يقدر على هذه الهـداية وإنما يقدر على هداية البيـان والدلالة المشتركة بين المؤمنين والكفار.

وقوله فيمن هديت فيه فوائد أحـدها أنه سؤال له أن يدخله فى جملـة المهـديين وزمـرتهم ورفقتهم، الثـانيـة تـوسل إليـه بإحسانـه وإنعامـه أى ياربى قد هـديت من عبادك بشـرا كثيرا فضلا منك وإحسانا فأحسن إلىَّ كما أحسنت إليهم كما يقول الرجل للملك اجعلنى من جملـة من أغنيته وأعطيته وأحسنت إليـه الثالثـة أن ما حصل لأولئك من الهـدى لم يكن منهـم ولا بأنفسهم وإنما كان منك فأنت الذى هديتهم.

وقوله وعافنى فيمن عافيت إنمـا يسأل ربه العافية المطلقة وهى العافيـة من الكفر والفسوق والعصيان والغفلـة والإعراض وفعل ما لا يحبـه وترك ما يحبـه فهذا حقيقـة العافية ولهـذا ما سئل الـرب شيئـا أحب إليه من العـافيـة لأنهـا كلمة جـامعـة للتخلص من الشر كله وأسبابه.

وقوله وتولنى فيمن توليت سؤال للتولى الكامل ليس المراد بـه ما فعلـه بالكـافرين من خلق القـدرة وسلامـة الآلة وبيـان للطريق فإن كان هـذا هو ولايته للمؤمنين فهـو ولى الكفار كما هو ولى المؤمنين وهو سبحانه يتـولى أولياءه بأمور لا توجد فى حق الكفار مـن توفيقهم وإلهامهم وجعلهم مهـديين مطيعين ويدل عليـه قولـه: إنه لا يـذل من واليت فإنـه منصور عـزيز غالب بسبب تـوليك له. وفى هذا تنبيه على أنـه من حصل له ذل فى الناس فهو بنقصان ما فاته من تولى الله وإلا فمع الولاية الكاملة ينتفى الذل كله ولـو سلط عليه بالأذى من فى أقطارها فهو العزيز غير الذليل.

وقوله وقنى شر ما قضيت يتضمن أن الشر بقضائه فإنه هو الذى يقى منـه وفى المسند وغيره أن رسول الله ﷺ قـال لمعاذ ابن جبل «يـامعاذ والله إنى لأحبك فـلا تنس أن تقول دبـر كل صلاة اللهم أعنى على ذكـرك وشكرك وحسن عبـادتك» وهذه أفعال اختيارية قد سأل الله أن يعينه على فعلها وهذا الطلب لا معنى لـه عند القدريـة فإن الإعانـة عندهم الإقـدار والتمكين وإزاحة الأعـذار وسلامـة الآلة وهـذا حاصل للسـائل وللكفار أيضا والإعانة التى سألها أن يجعله ذاكرا شاكرا محسنا لعبادته كما فى حديث ابن عباس عنه ﷺ فى دعائه المشهور: «أعنى ولا تعن علىَّ وانصـرنى ولا تنصـر علىَّ، وامكـر لى ولا تمكـر علىَّ، واهدنى ويسـر الهدى لى وانصـرنى على من بغى على رب اجعلنى لك شكـارا لك ذكارا لك رهـابـا لك مطواعـا لك مخبتا إليك أواها منيبـا رب تقبل توبتى واغسل حوبتى وأجب دعوتى وثبت حجتى واهـد قلبى وسدد لسـانى واسلل سخيمة صدرى» رواه الامام أحمد فى المسنـد وفيه أحد وعشرون دليلا فتأملها.

وفى الصحيحين أنه ﷺ كـان يقول بعد انقضاء صـلاته: «لا إله إلا الله وحـده لا شريـك له له الملـك وله الحمـد وهو على كل شىء قديـر اللهم لا مانع لمـا أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد». وكـان يقول ذلك الدعاء عند اعتداله من الركـوع ففى هذا نفى الشريك عنه بكل اعتبار وإثبـات عموم الملك لـه بكل اعتبـار وإثبـات عموم الحمـد وإثبات عموم القـدرة وأن الله سبحانه إذا أعطى عبدا فـلا مانع له وإذا منعه فلا معطى له. وعند القدرية أن العبد قد يمنع من أعطى الله ويعطى من منعه فإنـه يفعل باختياره عطـاء ومنعا لم يشأه الله ولم يجعله معطيـا مانعا فيتصـور أن يكون لمن أعطى مانع ولمن منع مُعط وفى الصحيح أن رجلا سأله أن يدله على عمل يدخل بـه الجنة فقال إنـه ليسير على من يسّره الله عليه

فدل على أن التيسير الصادر من قِبله سبحانه يوجب اليسر فى العمل وعدم التيسير يستلزم عدم العمل لأنه ملزومه والملزوم ينتفى لانتفاء لازمه . والتيسير بمعنى التمكين وخلق الفعل وإزاحة الأعذار وسلامة الأعضاء حاصل للمؤمن والكافر والتيسير المذكور فى الحديث أمر آخر وراء ذلك وبالله التوفيق والتيسير .

وفى الصحيح عنه ﷺ أنه قال لأبى موسى «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة إلا بالله» وقد أجمع المسلمون على هذه الكلمة وتلقيها بالقبول وهى شافية كافية فى إثبات القدر وإبطال قول القدرية وفى بعض الحديث إذا قالها العبد قال الله أسلم عبدى واستسلم وفى بعضه فوض إلىّ عبدى قال بعض المنتسبين للقدر لما كانت القدرة بالنسبة إلى الفعل وإلى الترك بحصول الدواعى على التسوية ومادام الأمر كذلك امتنع صدور الفعل فإذا رجح جانب الفعل على الترك بحصول الدواعى وإزالة الصوارف حصل الفعل وهذه القوة هى المشار إليها بقولنا لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم وشأن الكلمة أعظم مما قال فإن العالم العلوى والسفلى له تحول من حال إلى حال وذلك التحول لا يقع إلا بقوة يقع بها التحول فكذلك الحول وتلك القوة قائمة بالله وحده ليست بالتحويل فيدخل فى هذا كل حركة فى العالم العلوى والسفلى وكل قوة على تلك الحركة سواء كانت الحركة قسرية أو إرادية أو طبيعية وسواء كانت من الوسط أو على الوسط وسواء كانت فى الكم أو الكيف أو فى الأين كحركة النبات وحركة الطبيعة وحركة الحيوان وحركة الفلك وحركة النفس والقلب والقوة على هذه الحركات التى هى حول فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ولما كان الكنز هو المال النفيس المجتمع الذى يخفى على أكثر الناس وكان هذا شأن هذه الكلمة كانت كنزا من كنوز الجنة فأوتيها النبى ﷺ من كنز تحت العرش وكان قائلها أسلم واستسلم لمن أزِمَّة الأمور بيديه وفوض أمره إليه وفى المسند والسنن عن أبى الديلمى قال أتيت أُبى بن كعب فقلت فى نفسى شىء من القدر فحدثنى بشىء لعل الله يذهبه عنى من قلبى فقال : إن الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو أنفقت مثل أُحُد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير ذلك كنت من أهل النار» قال فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت فكل منهم حدثنى بمثل ذلك عن رسول الله ﷺ وهذا الحديث حديث صحيح رواه الحاكم فى صحيحه وله شأن عظيم وهو دال على أن من تكلم به أعرف الخلق بالله وأعظمهم له توحيدا وأكثرهم له تعظيما وفيه الشفاء التام فى باب العدل والتوحيد فإنه لا يزال يجول فى نفوس كثير من الناس كيف يجتمع القضاء والقدر والأمر والنهى وكيف يجتمع العدل والعقاب على المقضى المقدر الذى لابد للعبد من فعله ثم سلك كل طائفة فى هذا المقام واديا وطريقا فسلك الجبرية وادى الجبر وطريق المشيئة المحصنة الذى يرجح مثلا على مثل من غير اعتبار علة ولا غاية ولا حكمة قالوا وكل ممكن عدل والظلم هو الممتنع لذاته فلو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لكان متصرفا فى ملكه . والظلم تصرف القادر فى غير ملكه وذلك مستحيل عليه سبحانه قالوا ولما كان الأمر راجعا إلى محض المشيئة لم تكن الأعمال سببا للنجاة فكانت رحمته للعباد هى المستقلة بنجاتهم فكانت رحمته خيرا من أعمالهم وهؤلاء راعوا جانب الملك وعطلوا جانب الحمد والله سبحانه له الملك وله الحمد .

وسلكت القدرية وادى العدل والحكمة ولم يوفوه حقه وعطلوا جانب التوحيد وحاروا فى هذا الحديث ولم يدروا ما وجهه وربما قابله كثير منهم بالتكذيب والرد له وأن الرسول لم يقل ذلك قالوا وأى ظلم يكون أعظم من تعذيب من استنفد أوقات عمره كلها واستفرغ قواه فى طاعته وفعل ما يحبه ولم يعصه طرفة عين وكان يعمل بأمره دائما فكيف يقول الرسول ﷺ إن تعذيب هذا يكون عدلا لا ظلما قالوا ولا يقال إن حقه عليهم وما ينبغى له أعظم من طاعاتهم فلا تقع تلك الطاعات فى مقابلة نعمه وحقوقه فلو عذبهم لعذبهم بحقه عليهم لأنهم إذا فعلوا مقدورهم من طاعته لم يكلفوا بغيره فكيف يعذبون على ترك ما لا قدرة عليه وهل ذلك إلا بمنزلة تعذيبهم على كونهم لم يخلقوا السموات والأرض ونحو ذلك مما لا يدخل تحت مقدورهم قالوا فلا وجه لهذا الحديث إلا رده أو تأويله وحمله على معنى يصح وهو أنه لو أراد تعذيبهم جعلهم أمة واحدة على الكفر فلو عذبهم فى هذه الحال لكان غير ظالم لهم وهو لم يقل لو عذبهم مع كونهم مطيعين له عابدين له لعذبهم وهو غير ظالم لهم ثم أخبر أنه لو عمهم بالرحمة لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم ثم أخبر أنه لا يقبل من العبد عمل حتى يؤمن بالقدر والقدر هو علم الله بالكائنات

وحكمه فيها ووقفت طائفه أخرى فى وادى الحيرة بين القدر والأمر والثواب والعقاب فتارة يغلب عليهم شهود القدر فيغيبون به عن الأمر وتارة يغلب عليهم شهود الأمر فيغيبون عن القدر وتارة يبقون فى حيرة وعمى وهذا كله إنما سببه الأصول الفاسدة والقواعد الباطلة التى بنوا عليها ولو جمعوا بين الملك والحمد والربوبية والإلهية والحكمة والقدرة وأثبتوا له الكمال المطلق ووصفوه بالقدرة التامة الشاملة والمشيئة العامة النافذة التى لا يوجد كائن إلا بعد وجودها والحكمة البالغة التى ظهرت فى كل موجود لعلموا حقيقة الأمر وزالت عنهم الحيرة ودخلوا إلى الله سبحانه من باب أوسع من السموات السبع وعرفوا أنه لا يليق بكماله المقدس إلا ما أخبر به عن نفسه على ألسنة رسله وأن ما خالفه ظنون كاذبة وأوهام باطلة تولدت بين أفكار باطلة وآراء مظلمة فنقول وبالله التوفيق وهو المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله (شفاء العليل ١٠٩-١١٣).

أما عن النظم الذى جاء فى أن الله تعالى هو خالق أفعال العباد فقد ذكره الشيخ عبد الغنى إسماعيل فى البيتين التاسع عشر والعشرين من منظومته الموسومة بكفاية الغلام، وننقلهما فيما يلى مع شرح الناظم لكل منهما. قال الناظم رحمه الله:

١٩ ـ *وكل ما يوجد من فعل البشر*
فإنه بخلقه خير وشر

٢٠ ـ *كلف عبده وما قد جارا*
وهو الذى يجعله مختارا

وإليك الشرح:

البيت ١٩: (وكل ما) أى أمر أو الذى (يوجد من فعل البشر) بفتح الباء الموحدة وفتح الشين المعجمة، وهم بنو آدم، سموا بذلك لظهورهم بخلاف الجن، أو لظهور بشرتهم، وهى: ظاهر جلد الإنسان، أو من البشارة بالفتح وهى: الجمال، ولا واحد له من لفظه كالقوم والجيش ويوضع موضع الواحد والجمع، والمرأة أيضا.

(فإنه) أى كل ما يوجد [من ذلك] حاصل وكائن (بخلقه) سبحانه وتعالى، أى: تقديره وإيجاده (خير) بالجر بدل من فعل البشر، بدل بعض من كل. (وشر)، معطوف على خير، والضمير العائد على المبدل منه محذوف، تقديره: خيره وشره: والمراد: أفعالهم الاختيارية الصادرة منهم، منسوبة إلى قوة حياتهم العرضية، وتأثير قدرتهم المجازى، وتخصيص إرادتهم، واختيارهم الجزئى، فإن الله ـ تعالى ـ خالق جميع ذلك منسوبا إليهم، كما خلق أعضاءهم الجسمانية منسوبة إليهم، فهى أفعالهم كسبا، وأفعاله تعالى خلقا وإيجادا. ويصح نسبة فعل واحد إلى فاعلين مختلفين بنسبتين مختلفتين، كالدار المستأجرة، منسوبة إلى مالكها، وإلى مستأجرها، بنسبتين مختلفتين نسبة الملك ونسبة التصرف.

البيت ٢٠: (كلف) بتشديد اللام، أى: الله تعالى (عبده) العاقل البالغ بما كلفه به من الاعتقاد الصحيح المطابق لما ورد فى الكتاب والسنة على طريقة السلف الصالحين من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين، والعمل الصالح الخالى من البدعة على حسب الطاقة فعلا وكفا بمقتضى أحد المذاهب الأربعة.

(وما قد جارا) بألف الإطلاق، أى: ما جار ـ سبحانه وتعالى ـ فى تكليفه له بذلك، لأن الجور فى حق مخترع جميع المخلوقات من العدم لا يتصور أصلا، فإنه يتصرف فى ملكه بما يريد، وإنما الظلم والجور هو: التصرف فى ملك الغير ولا غير معه تعالى يملك شيئا أصلا إلا بإيجاده ـ سبحانه وتعالى ـ وتمليكه، فالمالكون والمملوكون كلهم ملكه ـ جل وعلا ـ يتصرف فيهم كيف يشاء، فإن كان تصرفه فيهم موافقا لمرادهم فى الدنيا كان فضلا أو استدراجا، وفى الآخرة فضلا فقط، وإن كان تصرفه فيهم غير موافق لمرادهم فى الدنيا والآخرة كان عدلا وحكمة، والجور عليه تعالى محال.

(وهو) سبحانه وتعالى لا غيره (الذى يجعله) أى يجعل عبده المكلف (مختارا) أى يخلقه كذلك يختار الخير أو يختار الشر، فيثيبه على ما يخلقه له من فعل الخير، ويعاقبه على ما يخلقه له من فعل الشر **﴿لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون﴾** [الأنبياء: ٢٣] (رشحات الأقلام / ٣٧، ٣٨).

(الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للإمام القاضى أبى بكر محمد بن الطيب الباقلانى ـ عرَّف الكتاب، وقدمه للقراء، وكتب هوامشه صاحب الفضيلة الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثرى / ٢٧ ـ ٣٩، وشفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل للإمام ابن قيم الجوزية مكتبة الرياض الحديثة. الرياض بدون تاريخ / ١٠٩ ـ ١١٣، ورشحات الأقلام شرح كفاية الغلام فى أركان الإسلام للعلامة الشيخ عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى ـ تحقيق محمد خالد الخرسة / ٣٧، ٣٨).

انظر مادة أفعال العباد « فى م ٥ / ٤٥٦ ـ ٤٦٠.

* خلق أفعال العباد (كتاب -):

خلق أفعال العباد: للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى المتوفى سنة ٢٥٦ ست وخمسين ومائتين صنفه بسبب ما وقع بينه وبين الذهلى ويرويه عنه يوسف بن ريحان ابن عبد الصمد والفربرى أيضا وهو من تصانيفه الموجودة قاله ابن حجر العسقلانى.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٧٢٢).

* خَلق الإنسان:

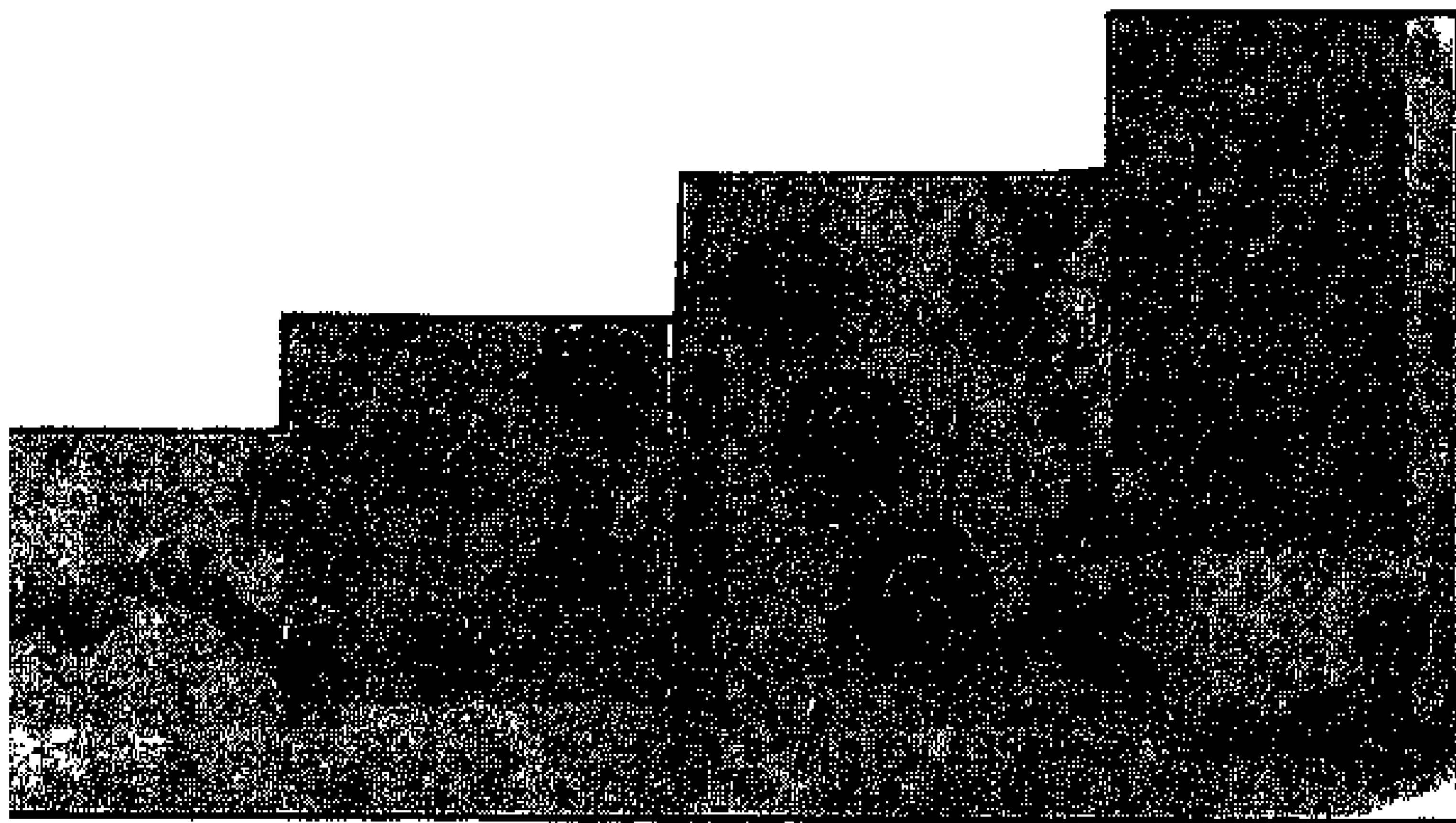
سبق أن أوردنا مادة بعنوان «الأجنة (علم ـ)» «فى م ٢ / ٤٦١ ـ ٤٦٦»، ونستكمل فى هذه المادة ما ورد عن خلق الإنسان فى مصنفات التراث الإسلامى وهو نموذج جيد من كتاب النزهة المبهجة للشيخ عمر بن داود الأنطاكى فقد أورد فيه بحثا طويلا مستفيضا عن كل ما يتعلق بخلق الإنسان (ص ١٤٣ ـ ١٩٣) ونكتفى هنا بنقل بعض ما جاء فيه وللقارىء أن يرجع إلى الكتاب إن أراد الاستزادة:

١ ـ المبحث الأول: فى تحقيق مبدأ الخلقة وكيفية التلون والتخليق:

وأبلغ ما أرشد إلى تقرير ذلك أشرف الكتب الإلهية وأدق المعاجز السماوية المنزل على خلاصة العالم وعين أفراد بنى آدم، قال جل من قائل **﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾** يعنى إيجادا واختراعا لعدم سبق المادة الأصلية **﴿من سلالة﴾** [المؤمنون: ١٢] هى الخلاصة المختارة من الكيفيات الأصلية بعد الامتزاج بالتفعل الثانى مما ركب منها بعد امتزاج القوى والصور، والتنويه باسمه إما للصورة والرطوبات الحسية أو لأنه السبب الأقوى فى تحجر الطين وانقلابه وكسر سورة الحرارة وإحياء النبات والحيوانات اللذين هما أصل الغذاء الكائنة عنه النطف وهذا الماء هو المرتبة الأولى والطور الأول وقوله **﴿من سلالة﴾** يشير إلى أن المواليد كلها أصول للإنسان وأنه المقصود بالذات الجامع لطباعها ثم جعله نطفة بالإنضاج والتخليص الصادر عن القوى المعدة لذلك؛ ففى قوله تعالى **﴿ثم جعلناه نطفة﴾** [المؤمنون: ١٣] تحقيق لما صار إليه الماء من خلع الصور البعيدة والضمير إما للماء حقيقة أو للإنسان بالمجاز الأولى، وقوله **﴿فى قرار مكين﴾** [المؤمنون: ١٣] يعنى الرحم (نورد مادة «الرحم» فى موضعها إن شاء الله تعالى) يعنى الرحم وهذا هو الطور الثانى ثم قال مشيرا إلى الطور الثالث **﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾** [المؤمنون: ١٤] أى صيرناها دما قابلا للتمدد والتخلق باللزوجة والتماسك؛ ولما كان بين هذه المراتب من المهلة والبعد ما سنقرره عطفها بثم المقتضية للمهلة كما بين أدوار كواكبها فإن زحل يلى أيام السلالة المائية لبردها والمشترى يلى النطفة لرطوبتها والمريخ يلى العلقة لحرارتها وهذه الثلاثة هى أصحاب الأدوار الطوال.

ثم شرع فى المراتب القريبة التحويل والانقلاب التى تليها الكواكب المتقاربة فى الدورة وهى ثلاثة: أحدها ما أشار إليه بقوله **﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾** أى حولنا الدم جسما صلبا قابلا للتفصيل والتخطيط والتصوير والحفظ وجعل مرتبة المضغة فى الوسط وقبلها ثلاث حالات وبعدها كذلك لأنها الواسطة بين الرطوبة السيالة والجسم الحافظ للصور وقابلهم بالشمس لأنها بين العلوى والسفلى كذلك وجعل التى قبلها علوية لأن الطور الإنسانى فيها لا حركة له ولا اختيار فكأنه هو المتوليه أصالة وإن كان فى الحالات كلها كذلك لكن هو أظهر فانظر إلى دقائق مطاوى هذا الكتاب، وتحويل العلقة إلى المضغة يقع فى دون الأسبوع وكذلك ما بعدها.

وثانيها مرتبة العظام المشار إليها بقوله تعالى **﴿فخلقنا**



المضغة عظاما﴾ أى صلبنا تلك الأجسام بالحرارة الإلهية حتى اشتدت وقبلت التوثيق والربط والإحكام والضبط وهذه مرتبة الزهرة وفيها تتخلق الأعضاء المنوية المشاكلة للعظام أيضا ويتحول دم الحيض غاذيا كما هو شأن الزهرة فى أحوال النساء، وقوله تعالى ﴿فكسونا العظام لحما﴾ أى حال تحويل الدم غاذيا للعظام لا يكون عنه إلا اللحم والشحم وكل ما يزيد وينقص وهذا شأن عطارد تارة يتقدم وتارة يتأخر ويعتدل وكذا اللحم فى البدن، وهذه المرتبة هى التى يكون فيها الإنسان كالنبات ثم يطول الأمر حتى يشتد ثم يتم إنسانا يفيض بالحياة والحركة بنفخ الروح فلذلك قال معلما للتعجب والتنزيه عند مشاهدة دقيق هذه الصناعة ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤] وهذا هو الطور السابع الواقع فى حيز القمر.

وفى هذه الآية دقائق الأولى عبَّر فى الأول بخلقنا لصدقه على الاختراع. وفى الثانى بجعلنا لصدقه على تحويل المادة ثم عبَّر فى الثالثة وما بعدها كالأول لأنه أيضا إيجاد ما لم يسبق.

الثانية: مطابقة هذه المراتب لأيام الكواكب المذكورة ومقتضياتها للمناسبة الظاهرة وحكمة الربط الواقع بين العوالم.

الثالثة قوله: ﴿فكسونا﴾ وهى إشارة إلى أن اللحم ليس من أصل الخلقة اللازمة للصورة بل كالثياب المتخذة للزينة والجمال وأن الاعتماد على الأعضاء والنفس خاصة. (الرابعة) قوله تعالى: ﴿ثم أنشأناه﴾ سماه بعد نفخ الروح إنشاء لأنه حينئذ قد تحقق بالصورة الجامعة. الخامسة قوله: ﴿خلقا آخر﴾ ولم يقل إنسانا ولا آدميا ولا بشرا لأن النظر فيه حينئذ لما سيفاض عليه من خلع الأسرار الإلهية فقد آن خروجه من السجن وإلباسه المواهب. فقد يتخلق بالملكيات فيكون خلقا ملكيا قدسيا أو بالبهيمية فيكون كذلك أو بالحجرية إلى غير ذلك فلذلك أبهم الأمر وأحاله على اختياره وأمر بتنزيهه عن هذا الأمر الذى لا يشاركه فيه غيره.

وفيها من العجائب ما لا يمكن بسطه هنا وكذلك سائر آيات هذا الكتاب الأقدس ينبغى أن تفهم على هذا النمط. إذا عرفت هذا فإيضاح هذه الأصول أنه سبحانه حين قضى بإيجاد الأشخاص توليدا أفاض على الأعضاء قوى تقدر بها على تفصيل جزء من الغذاء هو أخلصه تكون فيه الصورة بالقوة ثم أودع الشاهية بين الذكور والإناث فإذا التقيا واتصلا انفصل بالفعل المخصوص ذلك الجزء فانصب فى القرار المكين من الإناث وهو الرحم...

٢ ـ المبحث الثانى فى تحقيق أول عضو يتكون:

اختلف أهل الصناعة فى ذلك فقال المعلم أول عضو يتكون القلب لأنه مبدأ الحياة ومعدن الغريزية وموضعه الوسط فهو مركز هذه الدائرة ونظير الشمس فى الفلك وفيه توليد الأرواح التى لا يكون بدونها البدن حيا ولأنها ألطف واللطيف يسبق الكثيف فى التوليد فلو لم يكن القلب أولا لبقيت الأرواح لا فى محل وهو محال، وذهب أبقراط إلى أن أول ما يتكون الدماغ لأنه مبدأ الأعصاب وموضع القوى النفسية ولأنه شاهد الدماغ فى البيضة أول متكون وهذا مردود لأن الأعصاب لا ضرورة إلى سبق أصلها لعدم الحاجة إلى الحس والحركة حينئذ ولأن القوى النفسية يستحيل وجودها قبل الحيوانية التى لا يولدها سوى القلب وسبقه فى الفرخ على تقدير صحته غير لازم فى الإنسان لاختلافهما، على أنه يجوز أن يكون القلب هو السابق أيضا ولم يظهر لصغره وكثرة دم البيضة وقال الرازى أول متكون الكبد لأنه يولد الدم والحاجة داعية إليه فى التغذية وهذا لا ينبغى أن يذكر عن مثل هذا لسخافته وذلك لأن الغذاء حينئذ غير محتاج إليه للاكتفاء بالحرارة فى إصلاح المنى ثم الدم وقد تكلف الملطى الرد هنا بقوله يمكن أن تكون الغاذية فى القلب أو مصاحبة للمنى من الأب.

الثالث فى تفصيل مدد التكوين فى الأطوار السبعة السابقة قد وقع فى ذلك اختلاف كثير من الحكماء وكلام صاحب الشرع عليه أفضل الصلاة والسلام، ومن اعتبر الطوارىء وحرر الموجبات والموانع وتغير الموضوع والمحمول رأى الخلاف ساقطا والأمر واحدا وذلك أن القاعدة أن الحرارة أسرع فعلا من البرودة والرطوبة أطوع من اليبس فالمنى إما أن يكون بين شخصين بينهما الصبوة والنمو ولا شك حينئذ فى سرعة تخلق الصورة، ثم من القواعد أن الذكورة من حيث هى أحر من الأنوثة فإن أضفتها إلى تلك أسرعت السرعة أيضا، ثم إن كان المنى كائنا عن نحو الفراريج والسكر وأضيف هذا إلى ما

مر اشتـدت السرعة أيضـا لذلك ومتى كـان ذلك كله فى زمن الربيـع وفى بلد جنوبـى تضاعف الحـال فى قوة السرعـة فإذا عرفت هـذه الأمور وما تـوجبه عرفت أن لضـدها الكلى البطء الكلى ولما نقص بحسبه وفى الشباب والـذكورة وغـذاء نحو العسل وزمن الصيف والبلد الشرقى لـه غاية اليبس وبالعكس جزئيا وكليا .

فإذا أحكمت ذلك فلنقرر حكم المدة المذكورة فى معتدل فى كل ما ذكر . فنقـول إذا وقع منى معتدل فى مطلق الأحكام فى رحم بـدأ فى التغير من أول درجـة فيغلى ويخرج منـه زبد يستقر فى وسطـه فى اليوم الثالث ثم نقطة فى أعـلاه فى الرابع ثم أخرى فى السادس عن يمين الـوسط فالأول القلب والثانى الدماغ والثـالث الكبد وهذه الأيام يسمى المنى فيهـا رغوة ثم ترسم خطوط العروق يوم العاشر وحينئذ يتغير إلى الحمرة حتى يكون علقة فى الخامس عشر وقد نفذت الدموية فى جوانبه ما خـلا أغشية فى الخـارج قيل إنها من منى الإنـاث خاصـة ثم تأخـذ فى التصلب حتى تكمل فى السـابع والعشرين مضغـة صلبـة بالنسبـة إلى ما قبلهـا ثم فى الثامن والعشـرين ينفصل الدماغ عن المنكبين وتتميز الأعضاء شيئا فشيئا حتى تتم خلقة الذكر على الغرض المذكور فى سبعة وثلاثين والأنثى فى أحد وأربعين قالوا فـلا يمكن ظهور ذكورية قبل الثـلاثين ولا أنوثية قبل الأربعين فى سقط فعلمت حدود السـرعة والبطء ثم تنبت من الأعضاء الرئيسية خوادمها كما عرفت وتمتد الشرايين خارقة الأغشية حتى تتصل بشـرايين الرحم وكذا البواقى ويكـون تمام تثبيت ذلك فى الخامس والستين فى ذكر معتدل ويبدأ الغذاء من الدم حينئـذ فتكون الدمـويات كـاللحم فإن قيل على هذا يلزم تأخـر القلب لأنه دموى ، قلنا ليس المـراد بأن كل أحمر دمـوى فإن القلب دموى وحمـرته لاستتـاره وقوة الحـرارة ومن حقق النظـر فى أجـزاء جـوهره رأى البيـاض . ألا تـرى أن رئة الجنين أشـد حمرة مع أنهـا بيضـاء لكنها تكـون كذلك لقلـة الهواء وكـذلك أوردته مما يلى أوردة الأم لامتصاصهـا الدم ثم يكمل هذا الاكتساء وهو الطور السادس على الغرض المذكور بعد ثـلاثة وسبعين يوما ثـم يكون وجهه إلى ظهر أمـه وراحتاه على ركبتيه ورجـلاه إلى جنبيه ورأسه بينهما ثم يتسع لـه الرحم بقدر ما ينمـو ويصير فيه من الحرارة والـروح الطبيعى ما ينمو به على رأس ثمانين يـوما ثم تتولد الحيوانيـة بعد التسعين وهو فى ذلك كلـه قبل هذا كـالمعـدن لا حس ولا حركـة وبعدهـا كالنبات من غير إرادة ، فإذا تم له مـائة يوم ترقت الحيوانية إلى الدمـاغ فتحرك بالحرارة لا بـالإرادة كالنبات مع الهـواء ويكون حكمه بعد ذلك كالضعيف إلى عشرة أيام ثم يكون كالذى بين النوم واليقظة إلى تمام عشـرين فحينئذ تكمل فيه القوة ويلبس الحيـوانية التـامة فإذا عـرفت ذلك عـرفت أن لا نزاع بين قـول صاحب الشرع عليه أفضل الصلاة والسلام «وإن خلق أحدكم ليجمع فى بطن أمه أربعين يـوما» الحديث فإنـه أشار بأن نفخ الروح بعد مائة وعشـرين يوما ، فانظر إلى دقـة هذا النظر وقوة هـذه المعـرفة حيـث لـم يسم الروح إلا الـروح النفسـانى لأنـه الأصل فى الشعور والإدراك وبه الإنسان نـاطق وهم قد صرحوا بأن النفخ يكون بعـد سبعين يوما فكـلامهم عن الروح الطبيعى المقصود للغذاء وكلامه عن الأصل كما عرفت فلا خلاف غير أنه صاحب النظر الأعلى فى جميع المقاصد.

قالـت المؤلفة : الحـديث الـذى أورده الأنطاكى آنفـا هو الحديـث الرابع من الأربعين النـووية لـلإمام النـووى ، ونورده بتمـامه فيمـا يلى ، فهـو حديث عظيـم جامع لجميع أحـوال الإنسـان ، إذ فيـه حال مبـدئه وهـو خلقـه وحال معـاده وهـو السعادة أو الشقاء ومـا بينهما وهو الأجل وما يتصـرف فيه وهو الرزق :

عن أبى عبد الرحمن عبـد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قـال : حـدثنـا رسول الله ﷺ وهـو الصـادق المصـدوق : «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يـوما نطفة ، ثم يكون علقـة مثل ذلك ، ثم يكـون مضغة مثل ذلك ، ثـم يرسل إليـه الملك فينفخ فيـه الـروح ويؤمـر بأربع كلمـات : بكتب رزقـه وأجلـه وعملـه وشقى أو سعيـد ، فوالله الـذى لا إلـه غيـره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنـة حتى ما يكون بينـه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النـار حتى ما يكون بينـه وبينها إلا ذراع فيسبق عليـه الكتـاب فيعمل بعمل أهل الجنـة فيدخلها» رواه البخارى ومسلم .

راجع شـرحه فى كل من : شـرح الأربعين حديثـا النوويـة للإمـام ابن دقيق العيد ١٩ ـ ٢١ ، وشرح متن الأربعين النـووية فى الأحاديث الصحيحـة النبويـة للإمام النـووى شرح الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصارى / ٣١ ـ ٣٥ .

ونستكمل كلام داود الأنطاكى الذى يقول :

فإذا تم أمره أخذ فى التحرك إلى أن يشتد فى السابع فيمزق الأغشية أولا فأولا حتى يقدم على تفصيل العروق ويطلب الهرب من المكان الضيق فيخرج فى التاسع لأنه بيت النقلة والحركة فإن سقط على الهيئة المذكورة فطبيعى وإلا فلا وما قيل من أن وجه الأنثى إلى بطن أمها فباطل لأنه لا بد وأن يكون ظهر الولد إلى بطن الأم لأنه أقدر على ما ينزل إلى البطن من غيره لما فيه من العظام . . . فروع : الأول : اختلاف القدود يكون إما من جهة الماء فإن غزر كان الولد عظيم الخلقة وإلا فلا أو من جهة الرحم فقد يكون جافيا قليل المطاوعة فيمنع الطفل من النمو كالفاكهة إذا جعلت فى قالب ومن ثم ينجب البغل الذى يكون الفرس أمه لسعة رحمها بخلاف العكس (التذكرة ١ / ١٤٣ ـ ١٤٥).

أما من الناحية اللغوية فإن ابن الأجدابى صاحب كفاية المتحفظ يسوق الأسماء المختلفة الخاصة بمراحل نمو الإنسان المختلفة مما يتضح معه ثراء اللغة العربية فى الألفاظ فيقول :

ما دام الولد فى بطن أمه ، فهو:

جنين فإذا ولد فهو: منفوس وأمه نفساء . ، فإذا خرج رأسه قبل رجليه فهو: وجيه ، وإن خرجت رجلاه قبل رأسه فهو: يتن وذلك مذموم (اليتن الولد المنكوس ، تخرج رجلا المولود قبل رأسه وهو الأتن والوتن ويسمى : طفلا و... رضيعا ، فإذا ارتفع شيئا وأكل فهو: جفر والأنثى جفرة (الجفر: الصبى إذا تنفخ لحمه وأكل) . فإذا فطم فهو: فطيم ورضيع فإذا قوى وخدم فهو: حَزَوَّر فإذا ارتفع فوق ذلك هو: يافع ، فإذا قارب الاحتلام فهو: مراهق فإذا بلغ الحلم فهو: محتلم وحالم . فإذا بقل وجهه فهو: طار يقال طرَّ وجهه ، وطرَّ شاربه . فإذا جاوز وقت النكاح ولم يتزوج فهو: عانس ، فإذا اجتمع وتم فهو: كهل فإذا رأى البياض فهو: أشيب و... أشمط ، فاذا استبانت فيه السن فهو: شيخ ، فإذا ارتفع عن ذلك فهو: مسن ، فإذا ارتفع عن ذلك فهو: قحم ، فإذا قارب الخطو فهو: دالف ، فإذا زاد عن ذلك فهو: هرم و (هم) فإذا ذهب عقله من الكبر فهو: خرف .

وقال بعضهم :

الولد ما دام فى بطن أمه فهو: جنين فإذا ولد سمى : صبيا فإذا فطم سمى : غلاما إلى سبع سنين ثم يصير: يافعا إلى عشر حجج ثم يصير: حزورا إلى خمس عشرة سنة (الحزور: الغلام إذا قارب الحلم) ثم يصير قمدا إلى خمس وعشرين سنة (القمد : القوى الشديد أو الصلب) ثم يصير عنطنطا إلى ثلاثين سنة ثم يصير: صُمُلا إلى أربعين سنة (الصمل : الشديد الخلق من الناس) ثم يصير: كهلا إلى خمسين سنة ثم يصير: شيخا إلى ثمانين سنة ، ثم يصير بعد ذلك : هما (الهم : الشيخ البالى الفانى) .

فأما المرأة :

فهى ما دامت صغيرة فهى : جارية فإذا كعب ثديها ، أى استدار فى صدرها فهى : كاعب ، فإذا ارتفع ثديها فهى : ناهد فإذا قاربت الحيض فهى : معصر ، فإذا رأت الدم فهى : عارك وإذا بلغت العشرين ولم تتزوج فهى : عانس ، وما دامت المرأة ، بكرا لم تتزوج فهى : عانق فإذا تزوجت فهى : ثيب فإذا بلغت ثلاثين أو فوقها فهى : شهلة فإذا جاوزت الأربعين فهى : عوان و نصف فإذا عجزت وفيها بقية من شباب فهى : حيزبون .

(العوان من النساء : التى كان لها زوج أو هى الثيب جمع عون . النصف من النساء : المرأة بلغت نصف عمرها أو التى بلغت ٤٥ أو ٥٠ سنة) (كفاية المتحفظ / ٣٤ ـ ٣٧) .

(النزهة المبهجة فى تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة لداود بن عمر الأنطاكى المطبوع بهامش تذكرة أولى الألباب للمؤلف نفسه ١ / ١٤٣ ـ ١٥٥ ، وشرح الأربعين النووية للإمام العلامة ابن دقيق العيد / ١٨ ـ ٢١ ، وشرح متن الأربعين النووية فى الأحاديث الصحيحة النبوية للإمام يحيى ابن شرف النووى ـ تحقيق وتعليق عبد الله إبراهيم الأنصارى / ٣١ ـ ٣٥ ، وكفاية المتحفظ وغاية المتلفظ فى اللغة لابن الأجدابى الطرابلسى ـ تحقيق عبد الرازق الهلالى / ٣٤ ـ ٣٧ . انظر أيضا اجتهادات فى التفسير العلمى فى القرآن الكريم ـ د . محمد عادل أبو الخير. الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ مارس ١٩٨٨ م ١٥ / ٢١ ـ ٢٩ ، ومع الطب فى القرآن الكريم ـ د . عبد الحميد دياب ، و د . أحمد قرقوز، تقديم د . محمود ناظم نسيمى / ٣٩ ـ ٤٣ ، ٨٠ ـ ٩٢ ، وتحفة الودود بأحكام المولود للعلامة ابن قيم الجوزية / ١٩٥ ـ ٢١٦).

*** خَلْق الإنسان (كتب فى ـ):**

خلق الإنسان : أى فى أسماء أعضائه وصفاته ، صنف فيه جماعة من الأدباء واللغويين لأنه من اللغة منهم ابن قتيبة

عبد الله بن مسلم النحوى المتوفى سنة ٢٧٦ ست وسبعين ومائتين، وأبو الحسين أحمد بن فارس اللغوى المتوفى سنة ٣٩٥ خمس وتسعين وثلثمائة، وأبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى، وأبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابى، وأبو القاسم يوسف بن عبد الله الزجاجى، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى، وأبو محمد قاسم الأنبارى النحوى، وأبو مالك عمرو بن كركرة، والقاضى بيان الحق محمود بن أبى الحسن (ابن الحسين) النيسابورى، وأبو على حسن بن عبد الله الأصبهانى (المعروف بلكذه) وثابت بن على «سعيد» الكوفى، وأبو القاسم محمد بن محمود النيسابورى، وأبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوى، وأبو بكر محمد بن عثمان المعروف بالجعد، وأبو عمرو إسحاق بن مرار الشيبانى، وأبو الطيب محمد بن أحمد الوشاء النحوى، وأبو على إسماعيل ابن القاسم القالى، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج النحوى المتوفى سنة ٣١٠ عشر وثلثمائة (نشره المستشرق برونله سنة ١٩٠٠ م فى ليدن، ثم حققه ونشره الدكتور إبراهيم السامرائى، بغداد ١٩٦٣ م). وأبو موسى سليمان بن محمد المعروف بالحامض النحوى، وأبو حاتم سهل بن محمد السجستانى، وأبو زيد سعيد بن أوس الخزرجى المتوفى سنة ٢١٥ خمس عشرة ومائتين) وأبو جعفر محمد بن النحاس النحوى، وأبو القاسم عمر بن محمد بن الهيثم، ومحمد بن حبيب النحوى المتوفى سنة ٣٠٥ خمس وثلثمائة وأبو سعد داود بن الهيثم التنوخى «المتوفى سنة ٣١٦، وأبو مخلد (وأبو الحلم) [وأبو محلم] محمد بن هشام اللغوى المتوفى سنة ٢٤٥ خمس وأربعين ومائتين، والشيخ أبو عبد الله محمد بن عيسى بن أصبع نظم فيه وشرف الدين (هو شرف الدين على ابن يوسف بن حيدرة الطبيب المتوفى بدمشق سنة ٦٦٧) الرحبى لم يسبق إلى مثله وجلال الدين عبد الرحمن السيوطى سماه غاية الإحسان (كشف ١ / ٧٢٢، ٧٢٣، والأعراب الرواة / ٣٣٢).

وعن كتاب الأصمعى المذكور أعلاه يقول الدكتور عبد الحميد الشلقانى:

لم يكتب الأصمعى مقدمة لكتابه، وأول الكتاب: قال أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى ويقال للمرأة فى أول ما تحمل نسئت وهى نسىء، فإن اشتهت على حملها شيئا فهى وحمى، والمصدر الوحم. قال العجاج:

أزمان ليل عام ليلى وحمى

أى ـ شهوتى ـ ووحمى فعلى من الوحم).

وسار على هذا النهج سيرا رتيبا، فبعد أن تكلم عن الأطوار الأولى لحالة الأم انتقل إلى الجنين فتحدث عن أطواره حين ولد (فإن خرج المولود قبل رأسه قيل ولدته يتنا، وقال الأصمعى عن عيسى بن عمر: سألت ذا الرمة عن مسألة فقال: أتعرف اليتن؟ قلت: نعم، قال: فإن مسألتك هذه يتن أى أنها جاءت على غير وجهها).

ثم يصفه عندما يصيح، وذكر الأسماء فى هذه الأطوار، وكيف استعملت مجازيا فيقول: (فإذا خرج وصاح قيل قد استهل، وكل شىء رفع صوته استهل، ومن ذلك أهلّ بالعمرة والحج، ويقال: استهلت السماء، واستهل المطر، وهو الصوت).

فإذا انتهى من الناحية العضوية عرَّج على الخلقية، وفى كل هذه الخطوات تستهويه الصيغ اللغوية كالمذكر والمؤنث، والمشتقات من فعل ومصدر وصفة ـ واعتمد على كتاب الأصمعى كثيرون من علماء اللغة بعده كأبى عبيد فى الغريب المصنف، واعتمد عليه الزجاج اعتمادا تاما وذكر القالى أوصاف الإنسان فى كتاب الأمالى منسوبة للأصمعى وتوسع ابن سيده فى خلق الإنسان وصدَّر به كتاب المخصص فاستغرق الجزء الأول وبعض الثانى.

هذا الكتاب وأمثاله هو الأصل الذى دارت حوله الدراسات اللغوية مما استخلصه الرواة من شعر العرب وما سمعوه فى رحلاتهم من أفواه الأعراب. وأحسب الذين كتبوا فى خلق الإنسان، والحيوان، والحشرات، والنبات، لم يقصدوا فى هذه التآليف أبحاثا علمية بقدر ما أرادوا أن تكون أوعية يضعون فيها ما صنفوه من ألفاظ لغوية، وكأنها عن عناوين لأكوام من الكلمات، بعضها مرتب، وبعضها وضع عفو الخاطر وكيفما اتفق ــ ومجموع هذه الكتب هو معجم لغوى على وجه من الوجوه التى اتجه إليها جمع اللغة (الأعراب الرواة / ١٦٣، ١٦٤).

ويوجد مخطوط كتاب الأصمعى هذا فى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض وجاء بيانه كما يلى:

رقم الحفظ: ٢٣٨ ـ ف.

الفن: لغة.

عنوان المخطوطة: خَلْق الإنسان.

عنوان المخطوط الفرعي: ...

اسم المؤلف: عبد الملك بن قريب بن علي، الأصمعي، أبو سعيد.

اسم الشهرة: الأصمعي.

تاريخ وفاته: ٢١٦ هـ القرن ٣ هـ ـ ٩ م.

المصادر: بروكلمان ١ / ١٠٤.

بروكلمان ـ ملحق ١ / ١٦٣.

كحالة ٦ / ١٨٧.

الأعلام ٤ / ١٦.

بداية المخطوطة: ما يذكر من حمل المرأة وولادتها والمولود، قال أبو سعيد يقال للمرأة في أول ما تحمل وهي .. فإن اشتهت على حملها شيئا فهي وحمى ...

نهاية المخطوطة: وهذه كلمة تقال في النفي لاتقال له ها بسس إنما يقال له ماله ... تم الكتاب بأسره.

نوع الخط: مغربي.

تاريخ النسخ: القرن ٨ هـ/ ١٤ م.

عدد الأوراق: ١ / ٤٤ ق.

عدد الأسطر: ١٥ س.

ملاحظات عامة: نسخة جيدة وكاملة تناول فيها المؤلف أحوال الإنسان منذ ولادته وقبل ذلك، وما يطرأ عليه من تقلبات، وتقلُّب أحواله في الدنيا ... إلخ.

مكان الحفظ: فينا ـ المكتبة الوطنية برقم ٣٥٥ (فهرس المصورات / ١٧٦).

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٧٢٢، ٧٢٣، والأعراب الرواة، د. عبد الحميد الشلقاني / ٣٣٢، ١٦٣، ١٦٤ وفهرس المصورات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. الرياض. العدد الثاني، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م / ١٧٦).

* **خَلْق الدنيا وما فيها:**

خَلْق الدنيا وما فيها: للشيخ أبي الحسن محمد بن عبد الله الكسائي. مجلد أوله: الحمد لله الذي أنبت الخلق نباتا ... إلخ بدأ فيه باللوح والقلم ثم ذكر خلق السموات والأرض والأنبياء والجن والإنس بسرد الآثار والأخبار.

(كشف الظنون ١ / ٧٢٣).

* ***خَلْق الفرس:***

قال حاجي خليفة:

خلق الفرس: صنف فيه جماعة منهم أبو القاسم يوسف ابن عبد الله الزجاجي النحوي، وأبو بكر محمد بن القاسم، وأبو محمد القاسم الأنباري، وأبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي، وأبو عبد الله محمد بن زياد ابن الأعرابي، وثابت ابن علي [سعد] الكوفي وأبو علي الكوفي (هو محمد بن المستنير المعروف بقطرب المتوفى سنة ٢٠٦)، وأبو علي حسن بن عبد الله الأصبهاني، وأبو الحسن نصر بن سميل [نضر بن شميل] النحوي المتوفى سنة أربع ومائتين، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج، وأبو الطيب محمد بن أحمد الوشاء.

(كشف الظنون ١ / ٧٢٣).

* **خلق القرآن (محنة):**

وجدنا أن خير ما نبدأ به هذه المادة لإزالة ما قد يقع من وهم بشأن عبارة «خلق القرآن» هو البيتان اللذان وردا في منظومة الإمام إبراهيم اللقاني الموسومة «بجوهرة التوحيد» وما صاحبها من شرح شاف لشيخ الإسلام إبراهيم البيجوري. قال الناظم رحمه الله:

ونـزِّه القرآن أي كلامه
عن الحدوث واحذر انتقامه
فكل نصٍّ للحدوث دلاّ
احمل على اللفظ الذي قد دلا

ويشرح شيخ الإسلام إبراهيم البيجوري رحمه الله هذين البيتين فيقول: قوله: «ونـزه القرآن ... إلخ» أي واعتقد أيها المكلف تنزه القرآن بمعنى كلامه تعالى عن الحدوث خلافا للمعتزلة القائلين بحدوث الكلام زعما منهم أن من لوازمه الحروف والأصوات، وذلك مستحيل عليه تعالى، فكلام الله تعالى عندهم مخلوق لأن الله خلقه في بعض الأجرام. ومذهب أهل السنة أن القرآن بمعنى الكلام النفسي ليس

بمخلوق، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذى نقرؤه فهو مخلوق لكن يمتنع أن يقال القرآن مخلوق ويراد به اللفظ الذى نقرؤه إلا فى مقام التعليم، لأنه ربما أوهم أن القرآن بمعنى كلامه تعالى مخلوق، ولذلك امتنعت الأئمة من القول بخلق القرآن. وقد وقع فى ذلك امتحان كبير لخلق كثير من أهل السنة، فخرج البخارى فارًا وقال: اللهم اقبضنى إليك غير مفتون فمات بعد أربعة أيام، وسجن عيسى بن دينار عشرين سنة، وسئل الشعبى فقال: أما التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فهذه الأربعة حادثة وأشار إلى أصابعه فكانت سبب نجاته، واشتهرت أيضا عن الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه، وحبس الإمام أحمد وضرب بالسياط حتى غشى عليه. ويذكر أن النبى ﷺ قال للإمام الشافعي في المنام: «بشر أحمد بالجنة على بلوى تصيبه فى خلق القرآن» فأرسل له كتابا ببغداد فلما قرأه بكى ودفع للرسول قميصه الذى يلى جسده وكان عليه قميصان، فلما دُفع للشافعى غسله وادَّهن بمائه، وهل القرآن بمعنى اللفظ المقروء أفضل أو سيدنا محمد ﷺ؟ تمسَّك بعضهم بما يروى، كل حرف خير من محمد وآل محمد، لكنه غير محقق الثبوت. والحق أنه ﷺ أفضل، لأنه أفضل من كل مخلوق كما يؤخذ من كلام الجلال المحلى على البردة، ويؤيده أنه فعل القارئ والنبى ﷺ أفضل من القارئ وجميع أفعاله، والأسلم الوقف عن مثل هذا فإنه لا يضر خلو الذهن عنه. ا هـ ملخصا من حاشية الشيخ الأمير.

«قوله أى كلامه» تفسير للقرآن، فالمراد منه هنا كلامه تعالى. ولما كان الأكثر إطلاق القرآن على اللفظ المقروء دفع توهم ذلك بتفسيره بكلامه تعالى. فالقرآن يطلق على كل من النفسى واللفظى، والأكثر إطلاقه على اللفظى. وأما كلام الله فيطلق أيضا على كل من النفسى واللفظى، والأكثر إطلاقه على النفسى.

«قوله عن الحدوث» أى الوجود بعد العدم فليس مخلوقا بل هو صفة ذاته العلية، خلافا للمعتزلة فى قولهم بأنه مخلوق وليس صفة ذاته العلية. وإنما عبَّر بالحدوث مع أن المشهور بين القوم التعبير بالخلق لضرورة النظم أو للرد على محمد البلخى من المعتزلة القائل بأن كلام الله تعالى محدث وليس بمخلوق زعما منه أن قولنا مخلوق يوهم أنه كذب يتعالى الله عنه، ورد بأن الحدوث مثل الخلق فهو كمن هرب من المطر ووقف تحت الميزاب. ا هـ

«قوله واحذر انتقامه» أى وخِفْ انتقام الله منك إن قلت بحدوثه. «قوله فكل نص ... إلخ» أى إذا تحققت ما سبق فكل نص ... إلخ، فالفاء فاء الفصيحة، وهذا فى الحقيقة جواب عما تمسك به المعتزلة من النصوص الدالة على الحدوث مثل ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [القدر: ١]، ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ [الحجر: ٩] والمراد من النص الظاهر من الكتاب أو السنة، وقوله «للحدوث دلَّا» أى دل على حدوث القرآن فاللام بمعنى «على»، والألف فى «دلا» للإطلاق وقوله «احمل ... إلخ» خبر المبتدأ الذى هو «كل»، والرابط محذوف والتقدير احمله ... إلخ. وقوله «على اللفظ» أى على القرآن بمعنى اللفظ المنزل على نبينا ﷺ، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه. والراجح أن المنزل اللفظ والمعنى وقيل المنزل: المعنى. وعبر عنه النبى ﷺ بألفاظ من عنده، لكن التحقيق الأول لأن الله خلقه أولا فى اللوح المحفوظ، ثم أنزله فى صحائف إلى سماء الدنيا فى محل يقال له بيت العزة فى ليلة القدر كما قال تعالى ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ [القدر: ١]، ثم أنزله على النبى ﷺ مفرقا بحسب الوقائع. وقوله «الذى قد دلا» صفة للفظ، والألف فى دلا للإطلاق والمراد الذى قد دل على الصفة القديمة بطريق دلالة الالتزام كما تقدم. والحاصل أن كل ظاهر من الكتاب والسنة دل على حدوث القرآن فهو محمول على اللفظ المقروء لا على الكلام النفسى، لكن يمتنع أن يقال القرآن مخلوق إلا فى مقام التعليم كما سبق (تحفة المريد/ ٥٨، ٥٩).

وهذا التحذير الذى أنهى به شيخ الإسلام البيجورى شرحه أعلاه يفسر التسمية الشائعة «محنة القول بخلق القرآن» وهو ما نتناوله فى هذه المادة. ونبدأ بتلخيص لتلك المحنة لفضيلة الشيخ محمد عبد الحليم الرفاعى جاء فى كتابه «البيان المبين» حيث يقول:

كانت مسألة القول بخلق القرآن الكريم نقطة سوداء فى صحيفة الخليفة المأمون، ومن قال بها بعده، كما كانت محنة أليمة للعلماء الذين دُعوا للقول بها وقبولها ومحكا لهم لمعرفة المؤمن المخلص لدينه من المنافق المرائى ولم تكن

مسألة القول بخلق القرآن والدعوة إليها فى صدر الإسلام بل ظهرت فى أيام الخليفة أبى العباس عبد الله المأمون ـ المتوفى سنة ٢١٨ ـ ابن هارون الرشيد.

وكان المأمون يعتقد هذا القول ويدعو إليه بكل ما أوتى من قوة فأجابه طائفة وامتنع آخرون والمجيبون منهم من أجاب عن يقين واعتقاد ومنهم من أجاب نفاقا ورياء، وخوفا من العقاب وانتظارا للأجر والجزاء والذين امتنعوا كثير، منهم الإمام أحمد ابن حنبل المتوفى سنة ٢٤٩ والذى «قال القرآن هو كلام الله ولا أزيد على هذا» مخالفا بقوله هذا عقيدة المأمون ومن تشيع له، الأمر الذى دعا الخليفة إلى حبسه وظل محبوسا حتى جاء المعتصم بعد المأمون فطلب عقد مجلس لأحمد بن حنبل ودعاه من السجن للمناظرة فناظره علماء المعتصم ثلاثة أيام وهو يغلبهم بإقامة الحجة عليهم وفى اليوم الرابع عمد المعتصم إلى القسوة عليه وكان صائما غير أنه مع هذه القسوة فى العذيب لم يزد على قوله، القرآن كلام الله ولا أزيد على ذلك. وظل على اعتقاده بهذه العقيدة الخالصة الصادقة حتى أطلقه من السجن وندم على ضربه ولقى من اجراء إيلامه وضربه عقوبات أليمة ظاهرة، ذاعت وانتشرت حتى كادت لا تخفى على أحد.

ولم يزل الإمام أحمد بن حنبل يعانى من الضرب والإيلام حتى توفاه الله سنة ٢٤٩ رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين أجمل الجزاء (البيان المبين / ٣١، ٣٢).

ويتناول الإمام محمد أبو زهرة مسألة خلق القرآن وموقف السلف الصالح منها، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل والإمام ابن تيمية. فيقول رحمه الله:

من المسائل المتصلة بالصفات والوحدانية مسألة خلق القرآن التى أثارها الجهم بن صفوان (انظر مادة «الجهمية» فى م ١٢ / ٤٢٥ ـ ٤٣١) والجعد بن درهم فى العصر الأموى، وقد قتل خالدُ بن عبد الله القسرى الجعدَ بن درهم لقوله هذا إذ كان واليا على الكوفة.

والأساس الذى بنى عليه الجهم والجعد قولهما إن القرآن مخلوق هو نفى صفة الكلام، وكل صفات المعانى، فقالا إن القرآن مخلوق وجاء المعتزلة فنفوا هذه الصفات وقالوا هذه المقالة نفسها، ولذلك كان ابن تيمية يقول عن نفاة الصفات جميعا إنهم جهمية؛ لأنه يعتبر كل من ينفى الصفات مقلدا للجهم بن صفوان فى قوله، ولأن المعتزلة قالوا إن القرآن مخلوق والمأمون كان يعتقد اعتقادهم قال مثل مقالهم، ودعا إلى هذا القول، واعتبر فى آخر حياته من يقول إن القرآن غير مخلوق ملحدا فى دين الله؛ لأنه يعدد القدماء!

وقد ابتدأ المأمون بإعلان ذلك الرأى فى سنة ٢١٢ من الهجرة النبوية الشريفة وعقد لذلك مجالس المناظرة، وأدلى فيها بحجته، وترك الناس أحرارا فى أول أمره؛ لأنه لم يعلن إلحاد من يخالفه فى أول الأمر، ولذلك لم يرهق الناس فى عقائدهم، ولم يحملهم على فكرة لا يرونها؛ ولا يستسيغون الخوض فيها؛ ولكن فى السنة التى توفى فيها، وهى سنة ٢١٨ أخذ يدعو الناس إلى اعتناق هذه الفكرة بقوة السلطان، واعتبر من لم يقل هذا القول فاسد الاعتقاد؛ وأمر بوضع السلاسل فى أعناق الفقهاء والمحدّثين الذين لم يقولوا مقالته، وأوصى من بعده من الخلفاء بتنفيذ ما بدأ به، وكان ذلك بوسوسة وزيره أحمد بن أبى دؤاد المعتزلى. ولقد قام المعتصم والواثق من بعده بحق الوصية؛ حتى جاء المتوكل فكشف الغمة وأزال البلاء ومنع إرهاق الفقهاء والمحدثين.

وكان أشد من استمسك واستعصم إمام أهل الأثر أحمد ابن حنبل، نزل به الأذى فى عهد الخلفاء الثلاثة المأمون والمعتصم والواثق، ولم ينقطع امتحانه إلا فى عهد المتوكل؛ فقد أبعد المعتزلة فرفعت المحنة.

ومن الحق علينا أن نعرف رأى الإمام أحمد فى هذه القضية، لأنه رأى ابن تيمية وهو الذى وجهه ودافع عنه، ولأن ابن تيمية يراه رأى السلف الصالح.

ورأى أحمد فى هذا المقام هو الذى سجله فى رسالته إلى المتوكل وهذه الرسالة تدل على أن الإمام أحمد لا يستحسن الخوض فى مثل هذا ولا يتعمق فيه، ولا يرضاه وإن خاض فيه يخوض كارها، ليمنع الناس من أن يفتنوا بما يدعو إليه أهل الجدل فى الدين ولذا ختم الرسالة بقوله: «لست بصاحب كلام ولا أرى الكلام فى شىء من هذا».

وتدل الرسالة أيضا على أن الإمام أحمد رضى الله عنه يرى أن القرآن غير مخلوق وهو ينطق بهذا تابعا للسلف الصالح

الذين قالوه، ولم يبتدعه ابتداعا، ولولا أنه حسب أن بعض التابعين قاله ما نطق به، ويزكى هذا الرأى بأن القرآن كلام الله، وكلام الله غير خلق الله، وبأن القرآن أمر. والأمر غير الخلق، وبأن القرآن من علم الله سبحانه وتعالى، وعلم الله غير خلقه، وقد أخذ هذا كله من نصوص القرآن، ومن أحاديث النبى ﷺ وأخبار الصحابة.

والأساس أن ما يصدر عن صفات الله تعالى وقدرته أيسمى خلقا، وتطلق عليه كلمة مخلوق أم لا يسمى خلقا، ولا تطلق عليه كلمة مخلوق؟ فالسلفيون لا يسمونه مخلوقا والمعتزلة والجهمية من قبلهم سموه مخلوقا.

هذا رأى أحمد بن حنبل ونظره، ويتبعه فى ذلك ويناصره تقى الدين بن تيمية، فهو يرى أن القرآن غير مخلوق؛ ويرى أن ذلك رأى السلف؛ وأن من يقول غير ذلك مبتدع؛ وهو بعد ذلك يوضح نظر أحمد بالدليل ويوجهه بالنقول، ويقربه إلى العقول.

وأول ما يتجه ابن تيمية فى تقريب ذلك النظر نفسه أنه يقرر أن القرآن الذى يُقرأ هو كلام الله تكلم به وأوحى به إلى نبيه الكريم، والقراءة التى هى صوت القارئ الذى يسمع، هى على ذلك غير القرآن، فهى نطق العبد، أما القرآن فكلام الله، ولذلك قال تعالى ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ [التوبة: ٦] وقال النبى ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»، وقد سمع النبى ﷺ أبا موسى الأشعرى، وهو يقرأ القرآن فقال له أبو موسى «لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا».

وإذا كانت القراءة صوت العبد فهى مخلوقة كما أن العبد مخلوق، ومثل القراءة المداد الذى تكتب به المصاحف فهو ليس كلام الله سبحانه وتعالى، وإن كان المكتوب كلامه سبحانه، ولقد قال تعالى: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا﴾ [الكهف: ١٩] ففرق سبحانه وتعالى بين المداد الذى تكتب به كلماته: وبين كلماته.

بعد هذا يتجه ابن تيمية إلى توضيح فكرة الإمام أحمد والسلف رضى الله عنهم القائمة على أن الله سبحانه قد تكلم بالقرآن ــ وأنه غير مخلوق فيقول: «السلف قالوا: لم يزل الله متكلما إذا شاء بالعربية، كما تكلم بالقرآن العربى، وما تكلم به فهو قائم به ليس مخلوقا منفصلا عنه، فلا تكون الحروف التى هى مبانى أسماء الله الحسنى وكتبه المنزلة مخلوقة؛ لأن الله تكلم بها» (مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية جـ٣ ص ٢١، ٢٢ طبع المنار).

وإن أقصى ما هوجم به رأى الإمام أحمد هو أن القرآن غير مخلوق؛ إذ أنه لو قيل هذا لكان مؤدى ذلك أن يكون القرآن قديما، وحينئذ يتعدد القدماء ولا تتحقق الوحدانية التى توجب ألا يكون قديم غير ذات الله سبحانه وتعالى، ولذلك كانت المساجلة التى قامت بين المعتزلة وغيرهم تقوم على أساس أن المعتزلة يستمسكون بمنع تعدد القدماء، ولو قيل إن القرآن غير مخلوق لتعدد القدماء.

ولقد رد ابن تيمية الأساس الذى بنى عليه الاعتراض فأتاه من قواعده، فبين أن القرآن إن كان غير مخلوق فليس معناه أنه قديم، ويقرر أن الإمام أحمد لم يقل إن القرآن قديم بل لم يتجاوز أنه قال: إنه غير مخلوق، ولا تلازم بين كونه غير مخلوق، وكونه قديما، فلا يلزم من أن يكون غير مخلوق أن يكون قديما، لأنه لا يعتبر كل ما يقوم بالذات العلية يكون قديما بقدمها؛ إذ كل ما ينسب إلى الذات العلية من أفعال وأحداث يصدر عنها، ويعتبره ابن تيمية قائما وقت حدوثه والأحداث حادثة بحدوث موضعها، فالله خالق، والمخلوق حادث، وذات الخلق والإيجاد حادث بحدوث موضوعه. والخلق والإيجاد لا يقال إنهما مخلوقان، أ نهما قديمان، وإن الفلاسفة هم الذين أوجدوا التلازم بين القدم وكونه غير مخلوق، وقد ساقتهم إلى ذلك فروض عقلية لا تلزم السلف، إذ هى ظنيات تتضافر فتكون نتائج ظنية.

ويقول ابن تيمية فى هذا المقام: «والسلف اتفقوا على أن كلام الله منزل غير مخلوق... فظن بعض الناس أن مرادهم أنه قديم العين، ثم قالت طائفة هو معنى واحد، وهو الأمر بكل مأمور، والنهى عن كل منهى، والخبر بكل مخبر، والله سبحانه وتعالى إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا. وهذا

القول مخالف لشرع والعقل» (الكتاب المذكور / ١٥٦).

ولقد قال رضى الله عنه أيضا : «وحينئذ فكلامه قديم مع أنه يتكلم بمشيئته وقدرته . وإن قيل إنه ينادى ويتكلم بصوت لا يلزم من ذلك قدم صوت معين، وإذا كان قد تكلم بالقرآن، والتوراة والإنجيل، لم يمتنع أن يتكلم بالياء قبل السين ... »(الكتاب المذكور / ١٠٦).

ومعنى هذا أن صفة الكلام قديمة بقدم الذات، لكن التكلم ذاته ليس بقديم، وعلى ذلك فالقرآن ليس بقديم كما أنه ليس بمخلوق.

ويستخلص من هذا أن ابن تيمية يقول : القرآن غير مخلوق ولا يقول إنه قديم، بل هو حادث بحدوث التكلم من الله سبحانه وتعالى بمشيئته وإرادته عندما يتكلم، وأنزل على النبى ﷺ كلامه بالروح الأمين جبريل.

وإذا كان الأمر كما خرج ابن تيمية قول الإمام أحمد عليه؛ فالحقائق لم تكن موضع خلاف بين السلف والمعتزلة بالنسبة للقرآن، فكلاهما قال إنه ليس بقديم، إنما الخلاف فى أن يقال عنه مخلوق أو لا يقال، ولذلك قال الأستاذ الشيخ محمد عبده فى هذا المقام :

«قد ورد أن الله كلم بعض أنبيائه، ونطق القرآن بأنه كلام الله؛ فمصدر الكلام المسموع عنه سبحانه لا بد أن يكون شأنا من شئونه قديما بقدمه، أما الكلام المسموع نفسه المعبر عن ذلك الوصف القديم فلا خلاف فى حدوثه، ولا أنه خلق من خلقه، وخصص بالإسناد لاختياره له سبحانه فى الدلالة على ما أراد إبلاغه لخلقه، ولأنه صادر عن محض قدرته ظاهرا وباطنا، بحيث لا مدخل لوجود آخر بوجه من الوجوه، سوى أنه ما جاء على لسانه مظهر لصدوره، والقول بخلاف ذلك مصادرة للبداهة، وتجرؤ على مقام القدم بنسبة التغير والتبدل إليه فإن الآيات التى يقرؤها القارئ تحدث، وتفنى بالبداهة كلما تليت، والقائل بقدم القرآن المقروء أشنع حالا وأضل اعتقادا من كل ملة جاء القرآن نفسه بتضليلها، والدعوة إلى مخالفتها، وليس القول بأن الله أوجد القرآن بدون دخل لكسب بشر فى وجوده ما يمس شرف نسبته، بل هو ما دعا الدين إلى اعتقاده، فهو السنة وهو ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه وكل ما خلفه فهو بدعة وضلالة».

«وإن نقل إلينا من ذلك الذى فرق الأمة وأحدث فيها الأحداث وخصوصا فى أوائل القرن الثالث من الهجرة وإباء بعض الأئمة أن ينطق بأن القرآن مخلوق، فقد كان منشؤه التحرج والمبالغة فى التأدب من بعضهم وإلا فإنه يجل مقام مثل الإمام ابن حنبل عن أنه يعتقد أن القرآن المقروء قديم، وهو يتلوه كل ليلة بلسانه ويكيفه بصوته».

وهذا الجزء الأخير من كلام الأستاذ الإمام صحيح، فإن الإمام أحمد لم يقرر أن القراءة قديمة ولا غير مخلوقة، ولم يقرر قط أن القرآن قديم كما خرج الإمام ابن تيمية، إنما قرر أن القرآن غير مخلوق، وقد خرج ابن تيمية رأيه على أنه لا يعد ما كان صادرا عن الله قائما بذاته مخلوقا له، وإن ادعاء أن أحمد قد ذكر أن القرآن قديم، فإنما أذيعت نسبته إليه فى القرن الرابع برواية مجهولة، وقد أنكر ابن تيمية نسبة ذلك إلى الإمام : وأيده فى الإنكار الذهبى المؤرخ فى تاريخه.

وبذلك يتحرر رأى ابن تيمية وأحمد معا، فى كون القرآن غير مخلوق وأنه غير قديم. (ابن تيمية / ٢٤٨ ـ ٢٥٢).

ويسوق الإمام الرازى فى كتابه «حجج القرآن» حجج القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وهو عقيدة أهل السنة والجماعة، وحجج أهل الضلال القائلين بخلق القرآن، وننقله وفقا لتقسيماته من حيث الأبواب والفصول :

الباب الحادى عشر فى حجج القائلين بأن القرآن كلام الله. وهو مشتمل على فصول :

الفصل الأول فى حجج من قال بأن كلام الله عز وجل صوت وحرف :

وذلك فى عشر آيات : فى الأعراف : **﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة﴾**، وفى مريم : **﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾**، وفى النمل : **﴿فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين * ياموسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾**، وفى القصص : **﴿فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إنى أنا الله رب العالمين﴾**، وفى طه : **﴿فلما أتاها نودى أن يا موسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس**

طوى﴾، وفى الشعراء: ﴿وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين﴾، وفى القصص: ﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾، وفى النازعات: ﴿هل أتاك حديث موسى * إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى﴾، والنداء فى اللغة ليس إلا الصوت، وفى سبأ: ﴿حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم﴾، وفى يس: ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾.

الفصل الثانى فى حجج القائلين بأن المسموع عين كلام الله تعالى لا العبارة عن الكلام:

وذلك فى أربع آيات: فى البقرة: ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾، وفى التوبة: ﴿وإنْ أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾، وفى البقرة: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله﴾، وفى النساء: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾.

الفصل الثالث فى حجج القائلين بقدم القرآن:

وذلك فى اثنى عشر موضعا: فى الأعراف: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾، وفى النحل: ﴿إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾، وفى يس: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾، وفى هود: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لقُضى بينهم وإنهم لفى شك منه مريب﴾، وفى طه: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما﴾، وفى حمٓ السجدة [فصِّلت] ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وإنهم لفى شك منه مريب﴾، وفى حمٓ عسٓق: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم﴾، وفى الصافات: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾، وفى هود: ﴿وأهلك إلا من سبق عليه القول﴾، وفى المؤمنون: ﴿وأهلك إلا من سبق عليه القول﴾، وفى الكهف: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى﴾.

الباب الثانى عشر فى حجج القائلين بخلق القرآن. وهو مشتمل على فصول:

الفصل الأول: فى الخلق.

وذلك فى خمسة مواضع: فى الأنعام: ﴿وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم﴾، وفى الرعد: ﴿قل الله خالق كل شىء﴾ وفى الفرقان: ﴿وخلق كل شىء فقدره تقديرا﴾، وفى الزمر: ﴿الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل﴾ وفى حمٓ المؤمن [غافر] ﴿ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا إله إلا هو﴾.

الفصل الثانى فى الجَعْل:

وذلك فى موضعين: فى حمٓ السجد: [فصلت] ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فُصِّلت آياته﴾ وفى الزخرف: ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾.

الفصل الثالث فى الحدوث.

وذلك فى خمسة مواضع فى الكهف ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ وفى الزمر: ﴿الله نزَّل أحسن الحديث﴾، وفى الطلاق: ﴿لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾، وفى الأنبياء: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ وفى الشعراء: ﴿ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين﴾ وفى هود: ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ وما صادفه فعل بعد فعل يكون محدثا.

الفصل الرابع

حجة من قال بأن القرآن ليس بكلام الله عز وجل.

فى الحاقة: ﴿إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر﴾، وفى التكوير: ﴿إنه لقول رسول كريم * ذى قوة﴾ (حجج القرآن/ ٦٤-٦٧).

وقد انبرى الإمام أبو الحسن الأشعرى للجهمية الذين يقولون بأن القرآن مخلوق، يقارعهم الحجة بالحجة، ويقدم الدليل تلو الدليل على بطلان زعمهم، وهو ما ننقله لك فيما يلى من كتابه «الإبانة» ... قال رحمه الله فى باب: الكلام فى أن القرآن كلام الله غير مخلوق:

إن سأل سائل عن الدليل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، قيل له: الدليل على ذلك قوله عز وجل: ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ [الروم: ٢٥] وأمر الله هو كلامه وقوله، فلما أمرهما بالقيام فقامتا لا تهويان كان قيامهما بأمره. وقال عز وجل: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف: ٥٤] فالخلق جميع ما خلق داخل فيه، لأن الكلام إذا كان لفظه عاما فحقيقته أنه عام، ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان، فلما قال ﴿ألا له الخلق﴾ كان هذا فى

جميع الخلق، ولما قال ﴿والأمر﴾ ذكر أمرا غير جميع الخلق، فدل ما وصفنا على أن أمر الله غير مخلوق.

فإن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال﴾ [البقرة: ٩٨]؟ قيل له: نحن نخص القرآن بالإجماع وبالدليل، فلما ذكر الله عز وجل نفسه وملائكته ولم يدخل في ذكر الملائكة جبريل وميكال وإن كانا من الملائكة ذكرهما بعد ذلك كأنه قال: الملائكة لا لجبريل وميكال ثم ذكرهما بعد ذكر الملائكة فقال ﴿وجبريل وميكال﴾. ولما قال ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ ولم يخص قوله ﴿الخلق﴾ دليل كان قوله ﴿ألا له الخلق﴾ في جميع الخلق، ثم قال بعد ذكره الخلق ﴿والأمر﴾ فأبان الأمر من الخلق، وأمر الله كلامه، وهذا يوجب أن كلام الله غير مخلوق. وقال عز وجل: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ [الروم: ٤] يعني من قبل أن يخلق الخلق ومن بعد ذلك. وهذا يوجب أن الأمر غير مخلوق.

دليل آخر ومما يدل من كتاب الله على أن كلامه غير مخلوق قوله عز وجل: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل: ٤٠] فلو كان القرآن مخلوقا لوجب أن يكون مقولا له «كن» فيكون، ولو كان الله عز وجل قائلا للقول «كن» كان القول قولا، وهذا يوجب أحد أمرين: إما أن يؤول الأمر إلى أن «قول الله» غير مخلوق، أو يكون كل «قول» واقعا «بقول» لا إلى غاية، وذلك محال، وإذا استحال ذلك صح وثبت أن لله عز وجل «قولا» غير مخلوق.

سؤال: فإن قال قائل: معنى قول الله ﴿أن يقول له كن فيكون﴾ إنما بكونه فيكون. قيل: الظاهر أن ﴿يقول له﴾ لا يجوز أن يكون قول الله للأشياء كلها «كوني» هو «الأشياء» لأن هذا يوجب أن تكون الأشياء كلها كلام الله عز وجل ومن قال ذلك أعظم الفرية، لأنه يلزمه أن يكون كل شيء في العالم من إنسان وفرس وحمار وغير ذلك كلام الله، وفي هذا ما فيه، فلما استحال ذلك صح أن قول الله للأشياء «كوني» غيرها، وإذا كان غير المخلوقات فقد خرج كلام الله عز وجل عن أن يكون مخلوقا، ويلزم من أثبت كلام الله مخلوقا أن يثبت الله غير متكلم ولا قائل، وذلك فاسد، كما يفسد أن يكون علم الله مخلوقا وأن يكون الله غير عالم، فلما كان الله عز وجل لم يزل عالما ـ إذا لم يجز أن يكون لم يزل بخلاف العلم موصوفا ـ استحال أن يكون لم يزل بخلاف الكلام موصوفا، لأن خلاف الكلام الذي لا يكون معه كلام سكوت أو آفة، كما أن خلاف العلم الذي لا يكون معه علم جهل أو شك أو آفة، ويستحيل أن يوصف ربنا عز وجل بخلاف العلم، ولذلك يستحيل أن يوصف بخلاف الكلام من السكوت والآفات، فوجب ـ لذلك ـ أن يكون لم يزل متكلما، كما وجب أن يكون لم يزل عالما.

دليل آخر: وقال الله عز وجل: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي﴾ [الكهف: ١٠٩] فلو كانت البحار مداد كتب لنفدت البحار وتكسرت الأقلام ولم يلحق الفناء كلمات ربي، كما لا يلحق الفناء علم الله عز وجل، ومن فني كلامه لحقته الآفات، وجرى عليه السكوت. فلما لم يجز ذلك على ربنا عز وجل صح أنه لم يزل متكلما، لأنه لو لم يكن متكلما وجب السكوت والآفات، تعالى ربنا عن قول الجهمية علوا كبيرا.

فصل:

وزعمت الجهمية كما زعمت النصارى، لأن النصارى زعمت أن «كلمة الله» حواها بطن مريم، وزادت الجهمية عليهم فزعمت أن كلام الله مخلوق حل في شجرة كانت الشجرة حاوية له (في الإصحاح الثالث من سفر الخروج في التوراة أن موسى جاء إلى جبل حوريب من أرض مدين فظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة ـ وفسروا العليقة بأنها شجرة من شجر السنط ـ فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق، فقال موسى: أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم، لماذا لا تحترق العليقة. فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال: «موسى موسى ... إلخ». فمن هذا الموضع في التوراة أخذ الجهمية أن كلام الله حل في شجرة، ودسوا ذلك في كتب العقائد).

فلزمهم أن يكون الشجر بذلك الكلام متكلما، ووجب عليهم أن مخلوقا من المخلوقين كلم موسى، وأن الشجرة قالت: ﴿يا موسى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾ [طه: ١٤] وقد قال الله عز وجل: ﴿ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [السجدة: ١٣] وكلام الله عز وجل من الله، لا يجوز أن يكون كلامه الذي هو منه

مخلوقا فى شجرة مخلوقة، كما لا يجوز أن يكون علمه الذى هو منه مخلوقا فى غيره، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. جواب: ويقال لهم كما لا يجوز أن يخلق الله عز وجل إرادته فى بعض المخلوقات كذلك لا يجوز أن يخلق كلامه فى بعض المخلوقات. ولو كانت إرادة الله مخلوقة فى بعض المخلوقات لكان ذلك المخلوق هو المريد لها، وذلك يستحيل، وكذلك يستحيل أن يخلق الله كلامه فى مخلوق، لأن هذا يوجب أن ذلك المخلوق متكلم له، ويستحيل أن يكون كلام الله عز وجل كلاما للمخلوق.

دليل آخر ومما يبطل قولهم أن الله عز وجل قال مخبرا عن المشركين أنهم قالوا: ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ [المدثر: ٢٥] يعنى القرآن، فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد جعله قولا للبشر، وهذا ما أنكر الله على المشركين. وأيضا فلو لم يكن الله متكلما حتى خلق الخلق ثم تكلم بعد ذلك لكانت الأشياء قد كانت لا عن أمره ولا عن قوله ولم يكن قائلا لها: كونى. وهذا رد القرآن، والخروج عما عليه جمهور أهل الإسلام.

فصل:

واعلموا رحمكم الله أن قول الجهمية إن كلام الله مخلوق يلزمهم به أن يكون الله عز وجل لم يزل كالأصنام التى لا تنطق ولا تتكلم لو كان لم يزل غير متكلم، لأن الله عز وجل يخبر عن إبراهيم عليه السلام أنه قال لقومه لما قالوا له: من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ قال: ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ [الأنبياء: ٦٣] فاحتج عليهم بأن الأصنام إذا لم تكن ناطقة متكلمة لم تكن آلهة، وأن الإله لا يكون غير ناطق ولا متكلم، فلما كانت الأصنام التى لا يستحيل أن يحييها الله وينطقها لا تكون آلهة فيكف يجوز أن يكون من يستحيل عليه الكلام فى قدمه إلها؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وإذا لم يجز أن يكون الله سبحانه فى قدمه بمرتبة دون مرتبة الأصنام التى لا تنطق فقد وجب أن يكون لم يزل متكلما.

دليل آخر: وقد قال الله تعالى مخبرا عن نفسه أنه يقول: ﴿لمن الملك اليوم﴾[غافر: ١٦]؟ وجاءت الرواية أنه يقول هذا القول فلا يرد عليه أحد شيئا، فيقول ﴿لله الواحد القهار﴾.

فإذا كان عز وجل قائلا مع فناء الأشياء - إذ لا إنسان ولا ملك ولا حى ولا جان ولا شجر ولا مدر - فقد صح أن كلام الله عز وجل خارج عن الخلق، لأنه يوجد ولا شىء من المخلوقات موجود.

دليل آخر وقد قال الله عز وجل: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ [النساء: ١٦٤]، والتكليم هو المشافهة بالكلام، ولا يجوز أن يكون كلام المتكلم حالاً فى غيره مخلوقا فى شىء سواه، كما لا يجوز ذلك فى العلم.

دليل آخر: وقال الله عز وجل: ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾ [سورة الإخلاص] فكيف يكون القرآن مخلوقا واسم الله فى القرآن هذا يوجب أن تكون أسماء الله مخلوقة، ولو كانت أسماؤه مخلوقة لكانت وحدانيته مخلوقة، وكذلك علمه وقدرته، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

دليل آخر: وقد قال الله تعالى: ﴿تبارك اسم ربك﴾ [الرحمن: ٧٨] ولا يقال للمخلوق «تبارك» فدل هذا على أن أسماء الله غير مخلوقة. وقال: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ [الرحمن: ٢٧] فكما لا يجوز أن يكون وجه ربنا مخلوقا فكذلك لا تكون أسماؤه مخلوقة.

دليل آخر: وقد قال الله عز وجل: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط﴾ [آل عمران: ١٨] ولا بد أن يكون شهد بهذه الشهادة وسمعها من نفسه لأنه إن كان سمعها من مخلوق فليست شهادة له، وإذا كانت شهادة له وقد شهد له بها فلا يخلو أن يكون شهد بها قبل كون المخلوقات أو بعد كون المخلوقات، فإن كان شهد بها بعد كون المخلوقات فلم تتسق شهادته لنفسه بآلهية الخلق، وكيف يكون ذلك كذلك وهذا يوجب أن التوحيد لم يكن، فشهد به شاهدا قبل الخلق، ولو استحالت الشهادة بالوحدانية قبل كون الخلق لاستحال إثبات التوحيد ووجوده وأن يكون واحدا قبل الخلق، لأن ما تستحيل الشهادة عليه فمستحيل، وإن كانت شهادته لنفسه بالتوحيد قبل الخلق فقد بطل أن يكون كلام الله عز وجل مخلوقا، لأن كلامه شهادته.

دليل آخر: ومما يدل على بطلان قول الجهمية، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق أن أسماء الله من القرآن، وقد قال الله عز وجل ﴿سبح اسم ربك الأعلى * الذى خلق فسوى﴾[الأعلى: ١، ٢] ولا يجوز أن يكون ﴿اسم ربك الأعلى * الذى خلق فسوى﴾ مخلوقا، كما لا يجوز أن يكون ﴿جد ربنا﴾ مخلوقا، قال الله فى سورة الجن ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ [الجن: ٣] وكما لا يجوز أن تكون عظمته مخلوقة كذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقا.

دليل آخر: وقد قال الله عز وجل: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء﴾ [الشورى: ٥١] فلو كان كلام الله لا يوجد إلا مخلوقا فى شىء مخلوق لم يكن لاشتراط هذه الوجوه معنى، لأن الكلام قد سمعه جميع الخلق ووجدوه - بزعم الجهمية - مخلوقا فى غير الله عز وجل، وهذا يوجب إسقاط مرتبة النبيين صلوات الله عليهم، ويجب عليهم إذا زعموا أن كلام الله لموسى خلقه فى شجرة أن يكون من سمع كلام الله عز وجل من ملك أو من نبى أتى به من عند الله أفضل مرتبة فى سماع الكلام من موسى لأنهم سمعوه من نبى، ولم يسمعه موسى من الله عز وجل وإنما سمعه من شجرة. وأن يزعموا أن اليهودى إذا سمع كلام الله من نبى عليه السلام أفضل مرتبة فى هذا المعنى من موسى بن عمران، لأن اليهودى سمعه من نبى من أنبياء الله وموسى سمعه مخلوقا فى شجرة، ولو كان مخلوقا فى شجرة لم يكن مكلما لموسى من وراء حجاب، لأن من حضر الشجرة من الجن والإنس قد سمعوا الكلام من ذلك المكان، وكان سبيل موسى وغيره فى ذلك سواء فى أنه ليس كلام الله له من وراء حجاب. جواب: ثم يقال لهم إذا زعمتم أن معنى أن الله عز وجل كلم موسى أنه خلق كلاما كلمه به، وقد خلق الله عندكم فى الذراع كلاما، لأن الذراع قالت لرسول الله ﷺ: لا تأكلنى فإنى مسمومة، فلزمكم أن ذلك الكلام الذى سمع النبى ﷺ كلام الله عز وجل، فإن استحال أن يكون الله تكلم بذلك الكلام المخلوق فما أنكرتم من أنه مستحيل أن يخلق الله عز وجل كلامه فى شجرة لأن كلام المخلوق لا يكون كلاما، فإن كان كلام الله، وكان معنى أن الله تكلم - عندكم - أنه خلق الكلام، فيلزمكم أن يكون الله متكلما بالكلام الذى خلقه فى الذراع. فإن أجابوا إلى ذلك قيل لهم: فالله عز وجل - على قولكم - هو القائل «لا تأكلنى فإنى مسمومة» تعالى الله عن قولكم وافترائكم عليه علوا كبيرا. وإن قالوا: لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقا فى ذراع، قيل لهم: ولذلك لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقا فى شجرة. جواب: ثم يسألون عن الكلام الذى أنطق الله به الذئب لما أخبر عن نبوة النبى ﷺ فيقال لهم: إذا كان الله عز وجل يتكلم بكلام يخلقه فى غيره، فما أنكرتم أن يكون الكلام الذى سمعه من الذئب كلاما لله، ويكون إعجازه يدل على أنه كلام الله، وفى هذا ما يجب عليهم أن الذئب لم يتكلم به وأنه كلام الله عز وجل، لأن كون الكلام من الذئب معجز، كما أن كونه من الشجرة معجز، فإن كان الذئب متكلما بذلك الكلام المفعول فما أنكرتم أن الشجرة متكلمة بالكلام إن كان خلق فى شجرة وأن يكون المخلوق قال: يا موسى إنى أنا الله عز وجل، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. جواب: ثم يقال لهم: إذا كان كلام الله عز وجل مخلوقا فى غيره عندكم، فما يؤمنكم أن يكون كل كلام تسمعونه مخلوقا فى شىء وهو حق أن يكون كلام الله عز وجل؟ فإن قالوا: لا تكون الشجرة متكلمة، لأن المتكلم لا يكون إلا حيا. قيل لهم: ولا يجوز خلق الكلام فى شجر، لأن من خلق الكلام فيه لا يكون إلا حيا، فإن جاز أن يخلق الكلام فيما ليس بحى فلم لا يجوز أن يتكلم من ليس بحى. ويقال لهم: ألا قلتم إنه يقول من ليس بحى، لأنه عز وجل أخبر أن السماوات والأرض ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت: ١١] جواب: ثم يقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل لإبليس: ﴿وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين﴾ [ص: ٧٨]؟ فلا بد من نعم. يقال لهم: فإذا كان كلام الله مخلوقا وكانت المخلوقات فانيات فيلزمكم - إذا أفنى الله عز وجل الأشياء - أن تكون اللعنة على إبليس قد فنيت، فيكون إبليس غير ملعون، وهذا ترك لدين المسلمين، ورد لقول الله عز وجل ﴿وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين﴾. وإذا كانت اللعنة باقية على إبليس إلى يوم الدين - وهو يوم الجزاء، وهو يوم القيامة - لأن الله عز وجل قال: ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة: ٤] يعنى يوم الجزاء، ثم هى أبدا فى النار. واللعنة كلام الله وهو قوله ﴿عليك لعنتى﴾ فقد وجب أن يكون كلام الله عز وجل لا يجوز عليه الفناء وأنه غير مخلوق، لأن المخلوقات يجوز عليها العدم، فإذا لم يجز ذلك على كلام الله عز وجل فهو غير مخلوق.

الرد على الجهمية : ثم يقال لهم : إذا كان غضب الله غير مخلوق وكذلك رضاه وسخطه، فلم لا قلتم إن كلامه غير مخلوق، ومن زعم أن غضب الله مخلوق لزمه أن غضب الله وسخطه على الكافرين يفنى، وأن رضاه عن الملائكة والنبيين يفنى، حتى لا يكون راضيا عن أوليائه ولا ساخطا على أعدائه، وهذا الخروج عن الإسلام. ويقال خبرونا عن قول الله عز وجل : ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل : ٤٠] أتزعمون أن قوله للشيء «كن» مخلوق مراد لله؟ فإن قالوا : لا، قيل لهم : فما أنكرتم أن يكون كلام الله الذى هو القرآن غير مخلوق، كما زعمتم أن قول الله للشيء «كن» غير مخلوق. وإن زعموا أن قول الله للشيء «كن» مخلوق، قيل لهم : فإن زعمتم أنه مخلوق مراد فقد قال الله عز وجل ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ فيلزمكم أن قوله للشيء «كن» قد قال له «كن» وفي هذا ما يجب أحد أمرين : إما أن يكون قول الله لغيره «كن» غير مخلوق، أو يكون لكل قول قول لا إلى غاية وذلك محال. فإن قالوا : إن لله قولا غير مخلوق، قيل لهم : فما أنكرتم أن تكون إرادة الله للإيمان غير مخلوقة. ثم يقال لهم : ما العلة لما قلتم إن قول الله للشيء «كن» غير مخلوق؟ فإن قالوا : لأن القول لا يقال له «كن» فيقال لهم : والقرآن غير مخلوق لأنه قول الله، لا يقول لقوله «كن».

الرد على الجهمية : ويقال لهم : أليس لم يزل الله عالما بأوليائه وأعدائه؟ فلا بد من نعم. قيل لهم : فهل تقولون إنه لم يزل مريدا للتفرقة بين أوليائه وأعدائه؟ فإن قالوا : نعم، قيل لهم : فإذا كانت إرادة الله لم تزل فهي غير مخلوقة، وإذا كانت إرادته غير مخلوقة فلم لا قلتم : إن كلامه غير مخلوق؟ فإن قالوا : لا، نقول لم يزل مريدا للتفريق بين أوليائه وأعدائه زعموا أن الله لا يريد التفريق بين أوليائه وأعدائه ونسبوه سبحانه إلى النقص، تعالى عن قول القدرية علوا كبيرا.

جواب : ويقال لهم : إن الشيء المخلوق إما أن يكون بدنا من الأبدان، شخصا من الأشخاص، أو يكون نعتا من نعوت الأشخاص. فلا يجوز أن يكون كلام الله شخصا، لأن الأشخاص يجوز عليها الأكل والشرب والنكاح، ولا يجوز ذلك على كلام الله عز وجل. ولا يجوز أن يكون كلام الله نعتا لشخص مخلوق. لأن النعوت لا تبقى طرفة عين، لأنها لا تحتمل البقاء، وهذا يوجب أن يكون كلام الله قد فنى ومضى، فلما لم يجز أن يكون شخصا ولا نعتا لشخص لم يجز أن يكون مخلوقا، على أن الأشخاص يجوز أن تموت، فمن أثبت كلام الله شخصا مخلوقا لزمه أن يجوز الموت على كلام الله عز وجل، وذلك مما لا يجوز، وأيضا فلا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقا في شخص مخلوق، كما لا يجوز أن يكون نعتا لشخص مخلوق. ولو كان مخلوقا في شخص ككلام الإنسان مفعولا فيه كان لا يمكن التفريق بين كلام الله وكلام الخلق إذا كانا مخلوقين في شخص مخلوق، كما لا يجوز أن يكون علمه مخلوقا في شخص مخلوق.

جواب : ويقال لهم أيضا : لو كان كلام الله مخلوقا لكان جسما أو نعتا لجسم، ولو كان جسما لجاز أن يكون متكلما، والله قادر على قلبها، وفي هذا ما يلزمهم ويجب عليهم أن يجوّزوا أن يقلب الله القرآن إنسانا أو جنيا أو شيطانا، تعالى الله عز وجل أن يكون كلامه كذلك. ولو كان نعتا لجسم كالنعوت والله قادر على أن يجعلها أجساما لكان يجب على الجهمية أن يجوّزوا أن يجعل الله القرآن جسما متجسدا يأكل ويشرب وأن يجعله إنسانا ويميته، وهذا ما لا يجوز على كلامه عز وجل (الإبانة / ٤٠ ـ ٥٤).

وبعد هذا عقد الإمام الأشعري بابا للرد على من وقف في القرآن وقال : لا أقول إنه مخلوق، ولا أقول إنه غير مخلوق، جاء فيه ما يلى :

جواب : يقال لهم : لم زعمتم ذلك وقلتموه؟ فإن قالوا : قلنا ذلك لأن الله لم يقل فى كتابه إنه مخلوق ولا قاله رسول الله ولا أجمع المسلمون عليه. ولم يقل فى كتابه إنه غير مخلوق ولا قال ذلك رسوله ولا أجمع عليه المسلمون. فوقفنا لذلك، ولم نقل إنه مخلوق، ولا إنه غير مخلوق. يقال لهم : فهل قال الله عز وجل لكم فى كتابه قفوا فيه ولا تقولوا غير مخلوق، وقال لكم رسول الله ﷺ توقفوا عن أن تقولوا إنه غير مخلوق؟ وهل أجمع المسلمون على التوقف عن القول إنه غير مخلوق؟ فإن قالوا «نعم» بهتوا، وإن قالوا «لا» قيل لهم : فلا تقفوا عن أن تقولوا غير مخلوق بمثل الحجة التى ألزمتم أنفسكم التوقف. ثم يقال لهم : ولم أبيتم أن يكون فى كتاب الله ما يدل على أن القرآن غير مخلوق؟ فإن قالوا : لم نجده، قيل

لهم : ولم زعمتم أنكم إذا لم تجدوه فى القرآن فليس موجودا فيه؟ ثم إنا نوجدهم ذلك ونتلو عليهم الآيات التى احتججنا بها فى كتابنا هذا واستدللنا على أن القرآن غير مخلوق كقوله عز وجل : ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف : ٥٤]، وكقوله تعالى : ﴿إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل : ٤٠]، وكقوله تعالى : ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى﴾ [الكهف : ١٠٩] وسائر ما احتججنا فى ذلك من آى القرآن .

ويقال لهم : يلزمكم أن تقفوا فى كل ما اختلف الناس فيه ولا تقدموا فى ذلك على قول ، فإن جاز لكم أن تقولوا ببعض تأويل المسلمين إذا دل على صحتها دليل فلم لا قلتم إن القرآن غير مخلوق بالحجج التى ذكرناها فى كتابنا هذا قبيل هذا الموضع .

سؤال : فإن قال قائل : حدثونا ، أتقولون إن كلام الله فى اللوح المحفوظ؟ قيل له : كذلك نقول ، لأن الله عز وجل قال : ﴿بل هو قرآن مجيد * فى لوح محفوظ﴾ [البروج : ٢١ ، ٢٢] فالقرآن فى اللوح المحفوظ ، وهو فى صدور الذين أوتوا العلم ، قال الله عز وجل : ﴿بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم﴾ [العنكبوت : ٤٩] وهو متلو بالألسنة ، قال الله تعالى : ﴿لا تحرك به لسانك﴾ [القيامة ١٦]والقرآن مكتوب فى مصاحفنا فى الحقيقة ، محفوظ فى صدورنا فى الحقيقة ، متلو بألسنتنا فى الحقيقة ، مسموع لنا فى الحقيقة ، كما قال الله عز وجل : ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ [التوبة : ٦] .

سؤال : فإن قال : حدثونا عن اللفظ بالقرآن كيف تقولون فيه؟ قيل له : القرآن يقرأ فى الحقيقة ويتلى ، ولا يجوز أن يقال بلفظ ، لأن القائل لا يجوز له أن يقول : إنه كلام ملفوظ به ، لأن العرب إذا قال قائلهم : لفظت باللقمة من فمى ، معناه رميت بها ، وكلام الله عز وجل لا يقال يلفظ به ، وإنما يقال يقرأ ويتلى ، ويكتب ويحفظ . وإنما قال قوم «لفظنا بالقرآن» ليثبتوا أنه مخلوق ويزينوا بدعتهم وقولهم بخلقه ، فدلسوا كفرهم على من لم يقف على معناهم ، فلماوقفنا على معناهم أنكرنا قولهم .

ولا يجوز أن يقال إن شيئا من القرآن مخلوق ، لأن القرآن بكماله غير مخلوق .

سؤال : إن قال قائل : أليس قد قال الله تعالى : ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون﴾[الأنبياء : ٢]، قيل له : الذكر الذى عناه الله عز وجل ليس هو القرآن ، بل هو كلام الرسول عليه السلام ووعظه إياهم ، وقد قال الله تعالى لنبيه : ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [الذاريات : ٥٥]، وقد قال الله تعالى : ﴿ذكرا * رسولا...﴾ [الطلاق : ١٠ ، ١١] فسمى الرسول ذكرا والرسول محدث ، وأيضا فإن الله عز وجل قال ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهو يلعبون﴾ [الأنبياء : ٢] يخبر أنهم لا يأتيهم ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون . ولم يقل : لا يأتيهم ذكر إلا كان محدثا ، وإذا لم يقل هذا لم يوجب أن يكون القرآن محدثا . ولو قال قائل ما يأتيهم رجل من التميميين يدعوهم إلى الحق إلا أعرضوا عنه ، لم يوجب هذا القول أنهم لا يأتيهم رجل إلا كان تميميا ، فكذلك القول فيما سألونا عنه .

سؤال : وإن سألونا عن قول الله عز وجل : ﴿قرآنا عربيا﴾ [يوسف : ٢] و [طه : ١١٣] و [الزمر: ٢٨] و [فصلت : ٣] و[الشورى : ٧]، و [الزخرف : ٣] قيل لهم : الله عز وجل أنزله وليس مخلوقا . فإن قالوا : قد قال الله : ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ [الحديد : ٥٥] والحديد مخلوق ، قيل لهم : الحديد جسم موات ، وليس يجب إذا كان القرآن منزلا أن يكون جسما مواتا ، ولذلك لا يجب إذا كان القرآن منزلا أن يكون مخلوقا ، إن كان الحديد مخلوقا . جواب . ويقال لهم : قد أمرنا الله عز وجل أن نستعيذ به وهو غير مخلوق ، وأمر أن نستعيذ بكلمات الله التامات ، وإذا لم نؤمر أن نستعيذ بمخلوق من المخلوقات وأمرنا أن نستعيذ بكلام الله فقد وجب أن كلام الله غير مخلوق (الإبانة / ٤١ـ٥٤ ، ٦٣ـ٦٧) .

كذلك يدحض الإمام القاضى الباقلانى حجج القائلين بخلق القرآن من المعتزلة فى عدد من المسائل ويقدم الدليل تلو الدليل على بطلان زعمهم ، مما ننقله فيما يلى . قال رحمه الله :

مسألة : اعلم أن الله تعالى متكلم له كلام عند أهل السنة والجماعة وأن كلامه قديم ليس بمخلوق ، ولا مجعول ، ولا محدث بل كلامه قديم صفة من صفات ذاته كعلمه وقدرته وإرادته ونحو ذلك من صفات الذات . ولا يجوز أن يقال كلام الله عبارة ولا حكاية ولا يوصف بشىء من صفات الخلق ولا

يجوز أن يقول أحد لفظى بالقرآن مخلوق ولا غير مخلوق ولا أنى أتكلم بكلام الله هذه جملة أنا أفصلها واحدا واحدا إن شاء الله تعالى.

مسألة: فأما الدليل على كون كلام الله قديما غير مخلوق فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾[الأعراف: ٥٤] فصّل بين الخلق والأمر فدل على أن الأمر غير مخلوق لأن كلامه أمر ونهى وخبر. وأيضا قوله تعالى: ﴿والله يقول الحق﴾ [الأحزاب: ٤] ويدل عليه أيضا قوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل: ٤٠] ولو أن كلامه مخلوق لاحتاج فى خلقه إلى قول يقول به كن واحتاج القول إلى قول ثالث والثالث إلى رابع إلى ما لا نهاية له وهذا محال باطل فثبت أن القول الذى تكون به الأشياء المخلوقة غير مخلوق وهو كلامه القديم.

ويدل عليه من السنة قوله ﷺ: «فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه». فلما كان فضل الله على خلقه بقدمه ودوامه لأنه غير مخلوق وهم مخلوقون فكذلك القول فى كلامه فوجب أن يكون غير مخلوق، وكلامهم مخلوقا.

ويدل عليه أيضا أن أبا الدرداء لما سأل رسول الله ﷺ عن القرآن فقال: «كلام الله غير مخلوق».

ويدل عليه أيضا إجماع الصحابة وهو أن عليا عليه السلام لما أنكر عليه التحكيم وكفر الخوارج فقال بحضرة الصحابة: والله ما حكمت مخلوقا وإنما حكّمت، القرآن. ولم ينكر ذلك منكر فدل على أنه إجماع ولأنه لو كان مخلوقا لم يخل أن يكون خلقه فى نفسه أو غيره. أو فى شيء ولا يجوز أن يكون مخلوقا فى نفسه لأن ذاته لا تقوم بها المخلوقات والحوادث يتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

ولا يجوز أن يكون خلقه فى غيره لأنه لو كان خلقه فى غيره لكان ذلك الغير إلها، آمرا، ناهيا قائلا: ﴿يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ [النمل: ٩] وهذا محال باطل ولا يجوز أن يكون خلقه فى غير شيء لأنه يؤدى إلى وجود كلام من غير متكلم وهذا محال. فإذا ثبت بطلان هذه الثلاثة الأقسام لم يبق إلا أنه غير مخلوق بل هو صفة من صفات ذاته، قديم بقدمه، موجود بوجوده، موصوف به فيما لم يزل وفيما لايزال. ولا يجوز أن يباينه ولا يزايله ولا يحل فى مخلوق ولا يتصف بالحلول رأسا فاعلم ذلك وتحققه.

فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ [الرعد: ١٦] وربما قرر عليك هذا السؤال؛ والدليل كما قرره بشر المريسى على عبد العزيز المكى وهو أنه قال له: أتقول إن القرآن شيء أو ليس بشيء؟ فقال: بل هو شيء فقال يا أمير المؤمنين سلم أن القرآن مخلوق لأن الله تعالى قال: ﴿الله خالق كل شيء﴾ والجواب أن يقال فى أول الأمر أى شيء أردت بقولك إنه شيء فإن أردت أنه موجود ثابت فنعم، وإن أردت بقولك إنه شيء كالأشياء من حيث خروجه من العدم إلى الوجود كالأشياء الموجودة بعد العدم فلا نقول ذلك.

والموجود الثابت لا يدل على أنه مخلوق محدث فإن الله موجود ثابت دائم الوجود ليس بمخلوق. وأما الجواب على جملة ﴿خالق كل شيء﴾ فالمراد به الخصوص دون العموم فإنه بعضه قطعا وأنه غير داخل فى ذلك كما سمى نفسه فقال: ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ [يوسف: ١٢] ثم قال: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [الأنبياء: ٣٥] ولا تدخل نفسه فى ذلك وإنما المراد به كل نفس منفوسة مخلوقة، كذلك قوله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾ [الرعد: ١٦] يعنى مما يصح فيه الخلق والحدث، وصفات ذاته قديمة بقدمه وموجودة بوجوده فلم تدخل فى ذلك. ومثل هذا فى القرآن كثير فإن الله تعالى قال فيما أخبر به عن داود وسليمان عليهما السلام: ﴿يا أيها الناس عُلِّمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء﴾ [النمل: ١٦] ولم يؤتيا سماء ولا أرضا، ولا شمسا ولا قمرا ولا جنة، . ولا نارا، ولا ملائكة، ولا عرشا ولا غير ذلك وإنما أراد أوتينا من كل شيء ينبغى لمثلنا. وكذلك قوله تعالى: فى قصة بلقيس: ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ [النمل: ٢٢] ومعلوم أنها لم تؤت النبوة ولا تسخير طير إلى غير ذلك إنما أراد به الخصوص دون العموم لأنها ما دمرت هودا، ولا السماء، ولا الملائكة، ولا الجبال إلى غير ذلك.

قال الشريف الأجل جمال الإسلام: ووقع لى جواب أخصر من هذا وأجود إن شاء الله وهو: أن يقول الآية حجة عليكم وإن القرآن ليس بمخلوق وذلك أنه سبحانه وتعالى أفرد الخالق من المخلوق فسمى نفسه خالقا وسمى كل شيء دونه

مخلوقا فالخالق بجميع صفات الذات غير مخلوق لأن الاسم هـو المسمى على ما قـررنا وهـذا صحيح لأن الخالق هـو الله العالم، القادر، المريد، المتكلم وكلامه هو القرآن فدل على أنه غير مخلوق ولا داخل فى الأشياء المخلوقة، والذى يفهم من ذلك فإن كل عـاقل يعلم أنـه يصنع كل شـىء غيـر ذاتـه بصفاتها من قدرته، وحياتـه، وعلمه وكلامه. وكذلك إذا قيل آخذ الملك اليوم كل أحد، وصغر كل صفة وحقرها ومعلوم أن ذاته مـا دخلت في المفعوليـن ولا دخلت صفاته فـى التحقير والتصغير فكذلك قوله: ﴿الله خالق كل شيء﴾ [الرعد: ١٦] يعنى غير ذاته، وذاته قديمة غير مخلوقة بجميع صفاتها فصح أن الآيـة حجة عليهم لا لهم. فإن احتجـوا بقـوله تعـالى ﴿ما يأتيهم من ذكـر من ربهم محـدث﴾ [الأنبياء: ١٢] فوصفه بالحدث والحدث هو الخلق الجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الآية حجة عليهم لأنها تدل على أن من الذكر ما ليس بمحدث لأنه لـم يقل ما يأتيهم من ذكر إلا كان محدثا فثبت أن من الذكر ما هـو قديم ليس بمحدث فيجب أن يكون القرآن لأن الإجماع قد وقع على أن كل ذكر غيره. مخلوق فلم يبق ذكر غير مخلوق غير كلامه سبحانه وتعالى.

الجواب الثـانى: أن الذكر هاهنـا يراد به وعظ الـرسول ﷺ لهم وتـوعـده لهم وتخـويفـه لأن وعظ الـرسل عليهم السـلام يسمى ذكرا يـدل عليه قولـه تعالى: ﴿فذكر إنمـا أنت مذكر﴾ [الغـاشيـة: ٢١] ويقال: فـلان فى مجلس الـذكـر يعنى فى مجلس الـوعظ. الـذى يحقق ذلك أن قريشـا لـم تلعب عنـد سماع القرآن ولكنها كانت تفحم عنـد سماعه حتى قال عتبة: «والله لقد سمعت كـلاما مـا هو بـالشعر، وإن أسفلـه لمغدق وإن أعلاه لمثمر، وإن عليـه لطلاوة، وإن له لحلاوة» وفـزعوا أيضا أن تفتتن عند سماعه نساؤهم وأولادهم حين كان يقرأ أبو بكر رضى الله عنه.

الجواب الثالث: أنه أراد ما يأتيهم من نهى محدث مجدد بعد نبى إلا استمعـوه وهم يلعبون هل هذا إلا بشـر، وقد سمى الله تعالى رسـوله ذكرا بقـوله: ﴿رسـولا يتلـو عليكم آيـات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بـالله ويعمل صالحا يدخلـه جنات تجرى من تحتهـا الأنهـار خـالديـن فيها أبـدا قـد أحسن الله لـه رزقـا﴾ [الطلاق: ١١]. فإن احتجـوا بقوله تعـالى: ﴿وكان أمـر الله مفعولا﴾ [النســاء: ٤٧] ﴿وكـان أمـر الله قـدرا مقـدورا﴾ [الأحزاب: ٣٨] فالجواب: أنـه تعالى أراد عقابه وانتقـامه من الكافرين ونصره للمؤمنين وما حكـم به وقدره من أفعاله وهذا بمنزلة قوله ﴿حتى إذا جاء أمرنا﴾ [هود: ٤٠] يعنى ما أمرنا به من زيادة الماء وإغراق الكافرين من قوم نوح عليه السلام ولم يعن (قـولنا) وكـذلك أيضا قـال: ﴿وما أمـر فرعون بـرشيد﴾ [هود: ٩٧] مـن شأنه وأفعـاله وطـرائقه ولم يـرد «قولـه» وهذا بمنزلة قول القائل:

فقلـت لهـــــا أمــــــرى إلى الله كلـــــه

وإنـى إليــــه فى الإيـــــاب لـــــراجع

يعنى سرّى وأفعالى ولـم يرد بـذلك الأمر من القول، وجمع هـذا أمـور، وجمع الأمـر من القـول الأوامـر. ولـولا عجـزهم وجهلهم لم يلجؤا إلى مثل هـذا التمويه على العـوام والجهال مثلهم. ولو نظروا إلى قـوله تعالى: ﴿وأفوض أمرى إلى الله﴾ [غافـر: ٤٤] تعـالى إنه أراد بـذلك أفعـالى وأمورى دون أمـره الذى هو قوله: ﴿حتى يتبين لهم أنـه الحق﴾ [فصلت: ٥٣] روجعوا إليه.

فإن احتجـوا بقـولـه تعـالى: ﴿إنا جعلنـاه قرآنـا عربيـا﴾ [الزخرف: ٣] والمجعول مخلوق بدليل قوله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حى﴾ [الأنبياء: ٣٠] أى خلقنا فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدهـا: أن معنى ذلك أنا سمينـاه قرآنا عـربيا، والجعل يكون بمعنـى التسمية بدليـل قوله عـز وجل: ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ [الحجر: ٩١] يعنى سمـوه فبعضهم سمـاه شعرا، وبعضهم سحرا. وبعضهم كهانة إلى غير ذلك ولم يرد أنهم خلقوه وكذلك قـوله تعالى ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عبـاد الـرحمن إنـاثـا أشهـدوا خلقهم ستكتب شهـادتهم ويسئلون﴾ [الـزخـرف: ١٩] يعنى سمـوهم وحكمـوا عليهم بذلك ولم يـرد أنهم خلقوهم. وكذلك قولـه تعالى: ﴿وجعلوا لله أندادا﴾ [إبراهيم: ٣٠] يعنى سموا. وكذلـك قوله تعالى: ﴿مـا جعل الله من بحيرة ولا سـائبـة ولا وصيلة ولا حـام ولكن الـذين كفـروا يفترون علـى الله الكذب وأكثرهـم لا يعقلـون﴾ [المائدة: ١٠٣] وفى القرآن مثل هذا كثير.

الجواب الثاني: أنه أراد أنا جعلنا قراءته وتلاوته بلسان العرب وأفهمنا أحكامه. والمراد به باللسان العربي وتكون الفائدة فى ذلك الفرق بينه وبين التوراة والإنجيل لأنه جعل تلاوة الكتابين المذكورين وإفهام أحكامهما باللسان العبرانى والسريانى وجعل تلاوة هذا الكتاب وإفهام أحكامه والمراد به بلسان العرب ولو عرفوا الفرق بين التلاوة والمتلو لم يموهوا بمثل هذا التمويه.

والجواب الثالث: أن الجعل إذا عُدِّى إلى مفعول واحد كان ظاهره الخلق. وإذا عدى إلى مفعولين كان ظاهره الحكم والتسمية فى أكثر الاستعمال، ولذلك لا يجوز أن يقول القائل: جعلت النجم والرجل ويسكت حتى يصله بقوله: جعلت النجم هاديا ودليلا، وجعلت الرجل صديقا وصاحبا. فلما قال الله تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾ [الأحزاب: ٣] تعدى إلى مفعولين فيكون بمعنى الحكم والتسمية.

فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ [النحل: ١٠١] وقالوا: ما يغير ويبدل فهو مخلوق لا محالة قلنا: هذا جهل منكم أيضا وذلك أن التبديل والنسخ إنما يكون ويتصور فى الرسم من خط أو تلاوة؛ أو فى حكم فيكون تقديم الكلام وإذا بدلنا حكم آية أو تلاوة آية دون المتلو القديم الذى لا يتصور عليه تبديل ولا تغيير وقد بين ذلك سبحانه وتعالى وأخبر أن كلامه القديم لا يغير ولا يبدل.

دليل الأول: قوله تعالى: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ [النحل: ١٠١] يعنى حكم آية أو تلاوتها.

ودليل الثانى: قوله تعالى: ﴿ولا مبدل لكلمات الله﴾ [الأنعام: ٣٤] وقوله تعالى: ﴿لا مبدل لكلماته﴾ [الأنعام: ١١٥] فأخبر تعالى أن التبديل يتصور فى أحكام كلامه وتلاوة كلامه دون كلامه القديم الذى هو صفة من صفات ذاته، ولو حققوا الفرق بين التلاوة والمتلو سلموا وجميع من وافقهم من الجهال الذين سلموا لهم وفق مذهبهم من خلق القرآن معنى ومنعوه نطقا نعوذ بالله من الجهل وسنبين هذا الأمر إن شاء الله على الاستيفاء بالكمال فى مسئلة الفرق بين التلاوة والمتلو، والقراءة والمقروء.

فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك﴾ [الإسراء ـ ٨٦] وقالوا: ما جاز عليه الذهاب والعدم فإنه مخلوق.

فالجواب عن هذا السؤال مثل الجواب المتقدم لأن الذهاب والعدم إنما يكون فى الحفظ والرسم دون المحفوظ الذى هو كلام الله تعالى. ويدل على صحة هذا أن ابن مسعود رضى الله عنه لما قال: استكثروا من قراءة القرآن قبل أن يرفع فقيل له: كيف يرفع وقد حفظناه فى صدورنا وأثبتناه فى مصاحفنا؟. فقال: يسرى عليه فيذهب حفظه من الصدور، ورسمه من المصاحف. وهذا صحيح لأن حفظ المخلوق مخلوق مثله وحفظه مخلوق مثله فتصور عليه الذهاب والعدم بالنسيان والمحو. وأما المحفوظ والمكتوب الذى هو كلامه القديم فلا يتصور عليه ذلك فاعلم ذلك وتحققه (وصف القرآن القائم بالله سبحانه بالمكتوب، والمحفوظ، والمتلو، من قبيل وصف المدلول بوصف الدال مجازا كما حققه التفتازانى فى شرح المقاصد).

فإن احتجوا بقول النبى ﷺ: «لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن تناله أيديهم»، قالوا: وما جاز أن ينتقل ويتحول ويسافر به فهو مخلوق. قلنا: كم هذا التمويه الذى تشبهون به على العوام وجُهَّال الناس، لأن النبى ﷺ إنما أراد بهذا الكلام حمل المصحف الذى فيه كلام الله مكتوب ولم يرد بذلك نفس كلامه القديم الذى هو صفة من صفات ذاته وقد قرنه ﷺ بما يدل على أن المراد به المصحف دون غيره ألا تراه قال: «مخافه أن تناله أيديهم» ومعلوم أن الذى تناله أيديهم إنما هو المصحف دون غيره وقد بين عليه السلام ذلك فى حديث آخر، وهو قوله ﷺ لبعض أصحابه: «لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر» يريد بذلك الصحف التى يكتب فيها القرآن دون نفس القرآن الذى هو كلام الله تعالى لأنه صفة من صفات ذاته ولا يتصور على صفات ذاته اللمس ونيل الأيدى.

فإن قالوا: أجمعنا على أن القرآن سور. والسور آيات، والآيات كلمات والكلمات حروف وأصوات. وجميع ذلك يدل على كونه محدثا مخلوقا لأن السور معدودة محسوبة لها أول وآخر، وكذلك الآيات والحروف وما دخله الحصر والعد وكان له أول وآخر فهو مخلوق، وهذه الشبهة التى سخَّمت وجوه من وافقهم فى مقالتهم هذه من أهل السنة الجهال بطرق

التحقيق حيث سلموا لهم مع زعمهم أن كلامه ليس بمخلوق ما قرروه من هذه الشبهة وقالوا مثل قولهم إن كلامه حروف وأصوات فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(قال السعد في شرح المقاصد: (انتظم من المقدمات القطعية والمشهورة قياسان ينتج أحدهما قدم كلام الله تعالى، وهو أنه من صفات الله وهي قديمة، والآخر حدوثه وهو أنه من جنس الأصوات، وهي حادثة، فاضطر القوم إلى القدح في أحد القياسين ومنع بعض المقدمات ضرورة امتناع حقية النقيضين، فمنعت المعتزلة كونه من صفات الله تعالى، والكرامية كون كل صفة قديمة، والأشاعرة كونه من جنس الأصوات والحروف، والحشوية كون المنتظم من الحروف حادثا، ولا عبرة بالكلام بالكرامية والحشوية، فبقي النزاع بيننا وبين المعتزلة. وهو في التحقيق عائد إلى إثبات الكلام النفسي ونفيه. وأن القرآن هو أو هذا المؤلف من الحروف الذي هو كلام حسي أولا، فلا نزاع لنا في حدوث الكلام الحسي ولا لهم في قدم النفسي لو ثبت» ثم قال السعد: وعلى البحث والمناظرة في ثبوت الكلام النفسي وكونه هو القرآن ينبغي أن يحمل ما نقل من مناظرة أبي حنيفة وأبي يوسف ستة أشهر ثم استقر رأيهما على أن من قال بخلق القرآن فهو كافر» وهذا التحقيق هو مفتاح هذا البحث الطويل العريض وقد أثبت المصنف الكلام النفسي بكل ما جلاه في موضعه، وحدوث ما سواه مما في الأذهان والألسنة والخطوط جلي واضح عند أرباب العقول فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون».

والجواب عن هذه الشبهة: أن يقال لهم: أما ما ذكرتم من الحصر، والتحديد والتبعيض، والحروف، والأصوات فجميع ذلك راجع إلى تلاوة المخلوقين دون كلام الله تعالى الذي هو صفة من صفات ذاته لأن جميع ما ذكرتم يحتاج إلى مخارج من لسان. وشفتين، وحلق. والله يتعالى يتنزه عن جميع ذلك. بل نقول إن كلامه صفة له قديمة لا يحتاج فيه إلى أداة من صوت، أو حرف، أو مخرج. يتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

وكذلك ما ذكرتم من الحصر، والعد، والأول، والآخر إنما ذلك راجع إلى تلاوة المخلوقين لكلامه، وكتبتهم لكلامه دون كلامه الذي هو صفة وقد بيّن ذلك سبحانه وتعالى بأظهر بيان لمن كان له فهم صحيح لأنه تعالى قال: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾ [الكهف: ١٠٩].

وقوله تعالى: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾ [لقمان: ٢٧] ومعلوم أن الكاتب منا يكتب عدة مصاحف بمحبرة واحدة، ويتلو التالي منا عدة ختمات فالمحصور والمعدود المحدود الذي يتصف بأول وآخر صفاتنا من تلاوتنا لكلامه، وخطنا لكلامه، وحفظنا لكلامه فأما صفته التي هي كلامه على الحقيقة فلا تتصف بالزوال، والحصر، والعد، والأول والآخر على ما أخبر سبحانه وتعالى على مقتضى التحقيق لأن كل ما اتصف بالبداية والفراغ والحصر والعد فإنما هي صفة المخلوق لا صفة الخالق القديمة بقدمه الموجودة بوجوده التي لا يجوز أن تتقدم عليه ولا تتأخر عنه فاعلم هذه الجملة وتحققها تسلم من ضلالة الفريقين وتخلص من جهل الطائفتين (الإنصاف / ٦٢ - ٧٠).

وهكذا نرى كيف نقض الإمام الباقلاني أدلة المعتزلة في دعوى خلق القرآن، وكيف أوضح أن الآيات والآثار التي تمسكوا بها لا تدل على حدوث الكلام النفسي القائم بالله، وقد أفاض في بيان كلام الله تعالى على مذهب الأشاعرة.

(تحفة المريد على جوهرة التوحيد - شيخ الإسلام إبراهيم بن محمد البيجوري / ٥٨، ٥٩، والبيان المبين في علوم كتاب الله رب العالمين - فضيلة الشيخ محمود عبد الحليم الرفاعي. هدية مجلة الأزهر. جمادى الآخرة ١٤١١ هـ / ٣١، ٣٢، وابن تيمية - الإمام محمد أبو زهرة / ٢٤٨ - ٢٥٢، وحجج القرآن للإمام أبي الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي / ٦٤ - ٦٧، والإبانة عن أصول الديانة للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري / ٤١ - ٥٤، ٦٣ - ٦٧، والإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للإمام القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني - عرّف الكتاب، وقدمه للقراء، وكتب هوامشه العلامة صاحب الفضيلة الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري / ٦٢ - ٧٠. انظر أيضا شرح الطحاوية في العقيدة السلفية لقاضي القضاة العلامة صدر الدين علي ابن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي - تحقيق أحمد محمد شاكر / ١١٠ - ١٢٤، والحديث والمحدثون - محمد محمد أبو زهو ٣١٨ - ٣٢٢).

* **الخلقة:**

الخلقة بالكسر وسكون اللام اختلف العلماء فى تفسيرها فقيل هى مجموع الشكل واللون وهى من الكيفيات المختصة بالكميات وقيل الشكل المنضم إلى اللون وقيل كيفية حاصلة من اجتماعهما كذا فى شرح المقاصد (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٤٤٦).

وقد عقد ابن الأجدابى الطرابلسى بابا فى «الحَلْى» جمع «حلية» وهى الصفة والخلقة والصورة، يقال حلية الرجل: صفته وخلقته وصورته (المعجم الوسيط ١ / ١٩٥) ومن هذا الباب يتضح مدى ثراء اللغة العربية في الألفاظ . قال المؤلف رحمه الله .

إذا كان الرجل عظيم الجبهة فهو: أجبه، فإذا كان شعر رأسه كثيرا، فهو : أفرع والمرأة ، فرعاء، وإذا كان شعر رأسه سابلا فى وجهه حتى تضيق به الجبهة فهو: أغم، فإذا انكشف رأسه من الشعر فهو: أصلع، فإذا انحسر الشعر عن جانبى ناصيته يمينا وشمالا فهو: أنزع فإذا زاد قليلا فهو: أجلح فإذا كان طويل الحاجبين دقيقهما، فهو: أزج، فإن كان متصل الحاجبين فهو: أقرن، فإن انقطعا فكان ما بينهما نقيا فهو: أبلج فإن كان عظيم العينين فهو: أعين، فإن كان فى عينيه نتوء وظهور فهو: جاحظ العينين. والمرأة جاحظة فإن كان واسع العينين حسنهما فهو: أنجل والمرأة، نجلاء، فإن كان شديد سواد الحدقة فهو: أدعج فإن كان سوادها خفيفا فهو: أشهل ، فإن كان سواد عينيه مائلا إلى أنفه فهو: أقبل فإن كان صغير العينين، ضعيف البصر فهو: أخفش فإن كان فى أنفه ارتفاع واستواء فهو: أشم، فإن ارتفع وسط الأنف عن طرفيه فهو: أقنى والمرأة قنواء. فإن صغرت أرنبته وقصر أنفه فهو: أذلف والمرأة ذلفاء فإن قصر أنفه ومالت أرنبته فهو: أخنس والمرأة خنساء . فإن عرض الأنف وتطامنت قصبته فهو: أفطس والأنثى فطساء ؛ فإن كان مقطوع الأنف فهو: أجدع فإن كان فى الشفة العليا شق فهو: أعلم، فإن كان ذلك فى الشفة السفلى فهو: أفلح فإن كان فى شفتيه سواد فهو : ألعس وألمى والأنثى لعساء ولمياء، فإن كان واسع الفم فهو: أفوه... فإن تقدمت ثناياه السفلى فلم تقع عليه العليا، فهو: أفلج، فإن اختلفت أسنانه فطال بعضها وقصر بعض فهو: أشغى، فإن علت أسنانه خُضْرة فهو: أقلح، فإن كان لسانه يتردد فى كلامه فهو: أرت، فإن تردد فى التاء فهو: تمتام وإن تردد فى الفاء فهو: فأفاء فإن كان يخرج الحرف من غير مخرجه مثل أن يجعل الراء غينا أو نحو ذلك فهو: ألثغ، فإن كان عظيم اللحية فهو: ألحى، فإن قصر شعرها وكثر، فتلك: الكثاثة يقال رجل كث اللحية . فإن لم يكن فى عارضيه شعر فهو: ثط والجمع ثطاط، فإن كان له شارب وليس فى ذقنه ولا عارضيه شيء فهو: كوسج فإن لم يكن فى وجهه شعر فهو: سناط .

ومن نعوت خلق الانسان.

الجنأ وهو انكباب الظهر على الصدر. يقال رجل أجنأ و... القعس خروج الصدر ودخول الظهر وهو ضد «الحدب». و... الصكك اصطكاك الركبتين. الفحج تباعد ما بين الساقين، يقال رجل أفحج و... الوكع ميل إبهام الرجل على الأصابع وذلك أن تركب الإبهام السبابة حتى يرى شخص أصلها خارجا و ... الفدع اعوجاج القدم وذلك أن تميل من أصلها من الكعب وطرف الساق و... الحنف إقبال إحدى القدمين على الأخرى، يقال رجل أحنف وامرأة حنفاء (كفاية المتحفظ / ٣٧-٤٠).

كما يعقد أبو منصور الثعالبى فصلا فى معايب خُلق الإنسان جاء فيه ما يلى :

إذا كان صغير الرأس فهو أصعل وسمعمع . فإذا كان فيه عوج فهو أشدف (عن ابن الأعرابى) فإذا كان عريضه فهو أفطح . فإذا كانت به شجة فهو أشج فإذا أدبرت جبهته وأقبلت هامته فهو أكبس فإذا كان ناقص الخَلْق فهو أكشم . فإذا كان معوج القد فهو أخفج فإذا كان مائل الشق فهو أحدل فإذا كان طويلا منحنيا فهو أسقف. فإذا كان منحنى الظهر فهو أدَنُّ فإذا خرج ظهره ودخل صدره فهو أحدب، فإذا خرج صدره ودخل ظهره فهو أقعس. فإذا كان مجتمع المنكبين يكادان يمسان أذنيه فهو ألص. فإذا كان فى رقبته ومنكبيه انكباب إلى صدره فهو أجنأ وأدنأ. فإذا كان يتكلم من قبل خيشومه فهو أغن. فإذا كانت فى صوته بحة فهو أصحل، فإذا كان فى وسط شفته العليا طول فهو أبظر. فإذا كان معوج الرسغ من اليد والرجل فهو أفدع. فإذا كان يعمل بشماله فهو أعسر. فإذا كان يعمل بكلتا يديه فهو أضبط وهو غير معيب. فإذا كان غير منضبط اليدين فهو أطبق. فإذا كان قصير الأصابع فهو أكزم. فإذا ركبت إبهامه سبابته فرؤى أصلها خارجا فهو أوكع

فإذا كان معوج الكف من قبل الكوع فهو أكوع. فإذا كان متباعد ما بين الفخذين والقدمين فهو أفحج والأفج أقبح منه. فإذا اصطكت ركبتاه فهو أصك. فإذا اصطكت فخذاه فهو أمذح. فإذا تباعد صدور قدميه فهو أحنف. فإذا مشى على صدرها فهو أقفد فإذا كان قبيح العرج فهو أقزل (فقه اللغة / ٩١، ٩٢).

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٤٤٦، والمعجم الوسيط ١/ ١٩٥، وكفاية المتحفظ وغاية المتلفظ فى اللغة لابن الأجدابى الطرابلسى - تحقيق عبد الرزاق الهلالى / ٣٧ - ٤٠، وفقه اللغة وأسرار العربية لأبى منصور الثعالبى / ٩١، ٩٢).

* **ابن خَلّكان (٦٠٨-٦٨١ هـ / ١٢١١-١٢٨٢ م):**

القاضى ابن خلكان بفتح الخاء وتشديد اللام كما رؤى بخطه. وهو اسم جده لا كما قال الأسنوى: إنه نسبة إلى قرية البرمكى الإربلى (القلائد الجوهرية ١/ ١٩٢).

هو شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن أبى بكر بن خلكان بن باول، بفتح الواو، بن شاكل، بفتح الكاف، بن الحسين بن مالك بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، الإمام العلامة شمس الدين أبو العباس، البلخى الأصل، الإربلى المولد، الدمشقى الدار والوفاة، الشافعى، قاضى قضاة دمشق وعالمها ومؤرخها صاحب وفيات الأعيان مولده بإربل فى يوم الخميس حادى عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة، وأمه من نسل خلف بن أيوب صاحب أبى حنيفة رضى الله عنه (وهو خلف بن أيوب العامرى البلخى، من أصحاب محمد وزفر صاحبىَ الإمام أبى حنيفة، واختلف فى سنة وفاته ما بين ٢٠٥ أو ٢١٥ أو ٢٢٠ هـ) ونشأ بإربل، وهى قلعة حصينة ومدينة كبيرة جنوب شرق الموصل، وتفقه بالموصل، ثم قدم دمشق فى عنفوان شبيبته فأقام بها مدة يسيرة، وتوجه إلى ديار مصر واشتغل بها أيضا، وحصل من كل علم طرفا جيدا، وبرع فى الفقه والأصول والعربية وغير ذلك، وأفتى ودرس، ونظم ونثر، ولى قضاء دمشق من القاهرة، وخرج منها فى السابع والعشرين من ذى الحجة سنة ست وستين وستمائة، وتوجه إلى دمشق فدخلها فى المحرم سنة سبع وستين، فباشرها مدة عشر سنين.

وفى أول ولايته للقضاء ورد عليه الخبر بأن يبرز المرسوم الشريف الظاهرى بأن يكون بدمشق أربع قضاة ووصل ثلاثة تقاليد لشمس الدين عبد الله بن محمد عطاء الحنفى الأذرعى (المتوفى سنة ٦٧٣ هـ/ ١٢٧٤ م)، ولزين الدين عبد السلام الزواوى المالكى (المتوفى سنة ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢ م)، ولشمس الدين عبد الرحمن الحنبلى (وهو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلى المتوفى سنة ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣م)، وكانوا قبل ذلك نوابا للشافعى.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة ومن العجيب اجتماع ثلاثة قضاة لقب كل واحد منهم شمس الدين فى زمن واحد، فقال بعض الأدباء شعرا:

بدمشق آية قد ظهـ ... ـرت للناس تماما
كلما ازدادوا شموسا ... زادت الدنيا ظلاما

وقال غيره:

أهل دمشق استرابوا ... من كثرة الحكام
إذ هم جميعا شموس ... وحالهم فى ظلام

ثم صرف قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان هذا عن قضاء دمشق، وقدم إلى القاهرة ودام بها نحوا من سبع سنين، وتولى الحكم بها نيابة عن قاضى القضاة بدر الدين السنجارى (المتوفى سنة ٦٨٦ هـ/ ١٢٨٧ م) ودرس بالقاهرة بالمدرسة الفخرية، وفى أثناء إقامته بالقاهرة أتم القسم الأول من معجمه التاريخى، وأفتى، وصنف، إلى أن أعيد إلى دمشق قاضيا بعد القاضى عز الدين بن الصائغ (المتوفى سنة ٦٨٣ هـ/ ١٢٨٤ م) وتوجه إلى دمشق، فلما قرب منها خرج نائبها الأمير عز الدين أيدمر (المتوفى سنة ٧٠٠ هـ/ ١٣٠٠ م) بجميع الموكب والأمراء وأرباب الوظائف لتلقيه، وأما رؤساء دمشق فإنهم تلقوه من عدة مراحل، وهنأ الشعراء بعدة قصائد، من ذلك ما أنشده الشيخ رشيد الدين عمر بن إسماعيل الفارقى (المتوفى سنة ٦٨٩ هـ/ ١٢٨٩ م):

أنت فى الشام مثل يوسف فى مصـ ... ـر وعندى أن الكرام جناس
ولكل سبع شداد وبعد السبـ ... ـع عام فيه يغاث الناس

قلت هذا القول لمدة مفارقته الحكم بدمشق إلى أن عاد

ثانيا إليه ... ودام في هذه الولاية بدمشق إلى سنة ثمانين وستمائة، صرف عن القضاء لأنه اتهم بمعاضدة نائب دمشق على الخروج على السلطان فعزل، وعاش بقية حياته مدرسا بالمدرسة الأمينية، ثم لزم داره إلى أن توفي يوم السبت سادس عشرين شهر رجب، وقيل سادس عشرة، سنة إحدى وثمانين وستمائة بالمدرسة النجيبية بدمشق، ودفن بجبل قاسيون .

وكان إماما عالما بارعا، متقنا كثير الفضائل، أديبا، شاعرا، جامعا، مؤرخا، وتاريخه وفيات الأعيان مشهور سيأتي الكلام عنه، وكان جوادا، ممدحا، مدحه شعراء عصره بغرر القصائد، وكان يجيز عليها الجوائز السنية، وكان عنده عقل واحتمال، وستر عن العورات وعلو همة، ولما كان معزولا بالديار المصرية حصل له ضائقة، فبلغ الأمير بدر الدين الخازندار (المتوفى سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) ذلك فأمر له بنفقة هائلة ومائة أردب قمح، فامتنع من قبولها.

وذكره الحافظ قطب الدين في تاريخه، قال كان إماما عالما، أديبا بارعا، وحاكما عدلا، ومؤرخا جامعا.

وذكره أيضا الحافظ أبو محمد البرزالي في معجمه وقال فيه: أحد علماء عصره المشهورين، وسيد أدباء دهره المذكورين، جمع بين علوم جمة: فقه وعربية وتاريخ ولغة وغير ذلك، وجمع تاريخا نفيسا اقتصر فيه على المشهورين من كل فن، وولي قضاء الشافعية مدة، ودرس وأفتى، وسمع الحديث من ابن المكرم الصوفي البغدادي (المتوفى سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) باربل، سمع منه البخاري عن أبي الوقت وهو عبد الأول بن عيسى السجزي ثم الهروي الصوفي المحدث الجليل، أبو الوقت، المتوفى سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م، وسمع من الشاوي، وهو يوسف بن محمود بن يعقوب الشاوي المصري الصوفي، المتوفى سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م، وابن الجميزي، وأجازه المؤيد الطوسي، وهو المؤيد بن محمد بن علي بن حسن، رضي الدين الطوسي، مسند خراسان، المتوفى سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م، وأبو روح، وهو عبد المعز محمد أبو الفضل بن أحمد بن أبي روح الهروي البزار الصوفي، المتوفى سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١م، وابن الصفار، وهو أبو بكر القاسم بن عبد الله بن عمر، المعروف بابن الصفار النيسابوري الشافعي، المتوفى سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م، والحسين بن أحمد القشيري، وإسماعيل، ومحمد بن علي بن عبد الله السيد الحسيني وآخرين من نيسابور، وذكر مولده ثم قال: له يد طولى في علم اللغة، لم ير في وقته من يعرف ديوان المتنبي كمعرفته، وكان مجلسه كثير الفوائد والتحقيق والبحث، لا يوجد فيه غير ذلك اهـ.

وقال الشهاب محمود في تاريخه: كنت كثير الاجتماع به في مباشرته الثانية للاقتباس من فوائده، يرحمه الله اهـ.

قلت: وأثنى عليه أيضا غير واحد، وقد طال الشرح في ذلك، ولا بد من ذكر شيء من شعره، فمن ذلك.

يارب إن العبد يخفي عيبه
فاستر بحلمك ما بدا من عيبه
ولقد أتاك وما له من شافع
لذنوبه فاقبل شفاعة شيبه

(المنهل الصافي ٢ / ٨٩-٩٤).

ويصف صاحب عقد الجمان عودة ابن خلكان إلى قضاء الشافعية ضمن أحداث سنة ٦٧٧ هـ فيقول:

وفي أوائل المحرم جاء الخبر إلى دمشق بأن شمس الدين ابن خلكان، تولى قضاء الشافعية بدمشق، عودا على بدء، وذلك بعد أن عزل عن قضاء دمشق مدة سبع سنين، فلما جاء الخبر بذلك امتنع قاضي القضاة عز الدين بن الصائغ عن الحكم، وقد كان منصب القضاء بينهما دولا، ثم وصل ابن خلكان إلى دمشق، فدخلها يوم الخميس الثالث والعشرين من المحرم، فخرج نائب السلطنة الأمير عز الدين أيدمر، ومعه جميع الأمراء والموكب لتلقيه، وفرح الناس به فرحا شديدا، ومنهم من تلقاه إلى الرملة، ومدحه الشعراء، فكان فيمن أنشد الفقيه شمس الدين محمد بن جعفران:

لما تولى قضاء الشام حاكمه
قاضي القضاة أبو العباس ذو الكرم
من بعد سبع شداد قال خادمه
ذا العام فيه يغاث الناس بالنعم

وفي يوم الأربعاء ثالث صفر ذكر ابن خلكان الدرس بالظاهرية التي بنيت موضع دار العقيقي بدمشق، ولم تكن

المدرسة تكاملت بعد، وحضر نائب السلطنة عز الدين أيدمر وبقية القضاة والأعيان، وكان مدرس الشافعية رشيد الدين عمر بن إسماعيل الفارقي، ومدرس الحنفية الشيخ صدر الدين سليمان الحنفي.

قال صاحب عقد الجمان: وفي العشر الأواخر من ذي العقدة سنة ٦٧٧ هـ : فتحت المدرسة النجيبية، وحضر تدريسها القاضي شمس الدين بن خلكان بنفسه، ثم نزل عنها لولده كمال الدين موسى (هو موسى بن أحمد بن محمد البرمكي، كمال الدين المتوفى سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م، والمدرسة النجيبية بدمشق: أنشأها النجيبي جمال الدين أقوشي النجمي) (عقد الجمان ٢ / ١٩٨ ـ ٢٠٠).

وقد اشتهر ابن خلكان بكتابه «وفيات الأعيان وأنباء أبناء هذا الزمان» وهو معجم تاريخي لم يذكر فيه من تراجم الصحابة والتابعين إلا طائفة قليلة، ولم يترجم فيه للخلفاء، وإنما قصره على تراجم العلماء والملوك والأمراء والوزراء وكل من له شهرة بين الناس، وقد بذل عناية فائقة في تحقيق نسب كل واحد، تحرى سنة ولادته ووفاته وضبط الأعلام ضبطا دقيقا (الفصل ٢ / ٢٦٨). وقد ابتدأه بالقاهرة في سنة أربع وخمسين وفي أثنائه سار إلى يحيى بن خالد ولما سافر إلى الشام مع الظاهر بيبرس في سنة تسع وخمسين واشتغل بالقضاء تعطل عن إتمامه إلى أن رفع من الخدمة فرجع إلى مصر، واشتغل بإكماله فأتمه في الثاني والعشرين من جمادى الثانية سنة اثنتين وسبعين وستمائة، وهو من أعظم الكتب وقد اشتغل باختصاره الملك الأفضل عباس بن الملك المجاهد على صاحب اليمن المتوفى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وسماه مختصر تاريخ ابن خلكان، وذيله كثير من المؤرخين، فمن ذلك كتاب لفضل الله السخاوي وآخر لحسين بن أيبك ذكره المؤرخ ابن قاضي شهبة، وكتاب لعبد الرحمن بن حسين الملقب بزين الدين العراقي وقد جمع المؤرخ حسن بن عمر كتابا سماه معاني أهل البيان من وفيات الأعيان (الخطط التوفيقية الجديدة ١٠ / ٤٠، ٤١).

والكتاب مظهر من مظاهر العناية والتدقيق العلمي، وقد امتاز بتحري الصحة والابتعاد عن كثير من الخرافات والفحش، وليس بين كتب التاريخ في هذا العصر ما يضاهيه في شرف منزلته وعظم فائدته، وقد نال شهرة في الشرق والغرب، وهو سهل العبارة، جلي الأسلوب، بلغ الغاية في الدقة والتمحيص، وبين تضاعيفه مباحث جليلة الشأن في التاريخ والأدب (المفصل ٢ / ٢٦٨). وإن كان يؤخذ عليه روايته لكثير من الأخبار التي لا تخلو من مبالغة، أو وضعها على علاتها متوخيا في ذلك أمانة النقل. وقد اشتمل الكتاب على ٦٤٦ ترجمة. (الوسيط / ٣٠٣).

وقد ترجم «وفيات الأعيان» إلى الفارسية سنة ٨٩٥ هـ، وترجمه دي سلان إلى الإنجليزية، ونشر في لندن في أربعة مجلدات سنة ١٨٤٢ ـ ١٨٧١ م، وأشهر ذيل له «فوات الوفيات» لمحمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ، وهو وإن كان تمم على «وفيات الأعيان» إلا أنه لم يدرك شأو سابقه لا في الضبط ولا في ذكر تاريخ الوفيات (الفصل ٢ / ٢٦٨، والوسيط / ٣٠٣).

قالت المؤلفة: النسخة التي عندي من فوات الوفيات هي بعنوان «فوات الوفيات والذيل عليها» لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، طبع دار صادر بيروت سنة ١٩٧٣، وتقع في خمسة مجلدات.

توفي ابن خلكان بإيوان المدرسة النجيبية عشية السبت سادس عشرين رجب سنة إحدى وثمانين وستمائة، ودفن بسفح قاسيون عن ثلاث وسبعين سنة رحمه الله تعالى (القلائد الجوهرية ١ / ١٩٣).

له ترجمة في البداية والنهاية ١٣ / ٣٠١ وقد ذكر ابن كثير أن وفاته كانت بالمدرسة النجيبية يوم السبت آخر النهار، في السادس والعشرين من رجب من السنة المذكورة هنا.

وترجم له ابن العماد في شذرات الذهب ٥ / ٣٧١ ـ ٣٧٣ وذكر انه سمع البخاري من ابن مكرم وتفقه بالشام والموصل وسكن مصر مدة وولي قضاء الشام عشر سنين.

كما ترجم له ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٧ / ٣٥٣ وابن شاكر في فوات الوفيات ١ / ١٠٠ ـ ١٠٨، والسيوطي في حسن المحاضرة ١ / ٥٥٥ وغيرهم (درة الحجال ١ / ٧).

كما أن له ترجمة في: الدليل الشافي ١ / ٧٤ رقم ٢٦٠، المقفى: ترجمة أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، النجوم الزاهرة ٧ / ٣٥٣ ـ ٣٥٥، تذكرة النبيه ١ / ٧٤ ـ ٧٥، درة الأسلاك / ٧١، الدارس ١ / ١٩٣، روضات

الجنات / ٨٧، فوات الوفيات ١ / ١٠٠ ترجمة ٤٥، طبقات الشافعية ٥ / ١٤، محمد محيي الدين عبد الحميد: مقدمة كتاب وفيات الأعيان ١ / ٤ وما بعدها، تاريخ ابن الفرات المجلد السابع / ٢٥٣ (المنهل الصافي ٢ / ٨٩).

(القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لمحمد بن طولون الصالحي ـ بتحقيق محمد أحمد دهمان ١ / ١٩٢، ١٩٣، والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغرى بردى ـ حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين، تقديم د. سعيد عبد الفتاح عاشور ٢ / ٨٩ ـ ٩٤، وعقد الجمان لبدر الدين محمود العيني ـ تحقيق د. محمد محمد أمين ٢ / ١٩٨ ـ ٢٠٠، والمفصل في تاريخ الأدب العربي ـ أحمد الإسكندري وزملاؤه ٢ / ٢٦٧، ٢٦٨، والخطط التوفيقية الجديدة لعلي باشا مبارك ـ إعداد عبد المجيد شلقامي ١٠ / ٤٠، ٤١، والوسيط في الأدب العربي وتاريخه ـ الشيخ أحمد الإسكندري، والشيخ مصطفى عناني / ٣٠٣، ودرة الحجال في أسماء الرجال لابن القاضي ـ تحقيق د. محمد الأحمدي أبي النور ١ / ٧. انظر أيضا الأعلام للزركلي ١ / ٢٢٠).

قالت المؤلفة: لدى زيارتنا للمدرسة العادلية بدمشق يوم الثلاثاء ٣ صفر ١٤١٢ هـ / ١٣ أغسطس ١٩٩١ م شاهدنا الغرفة التي كان يقيم فيها ابن خلكان وألف فيها كتابه «وفيات الأعيان».

*** الخُلَّة:**

الخلة بالضم والتشديد في اللغة المحبة وعند السالكين أخص منها وهي تخلل مودة في القلب لا تدع فيه خلاء إلا ملأته لما تخلله من أسرار إلهية ومكنون الغيوب والمعرفة لاصطفائه عن أن يطرقه نظر لغيره ومن ثم قال النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا وبالجملة فهي تخلية القلب عما سوى المحبوب.

واختلفوا في أن مقام المحبة أرفع أم مقام الخلة فقال قوم المحبة أرفع لخبر البيهقي أنه تعالى قال ليلة الإسراء يا محمد سل تعط فقال يارب إنك اتخذت إبراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال ألم أعطك خيرا من هذا إلى قوله واتخذتك حبيبا. ولأن الحبيب يصل بلا واسطة بخلاف الخليل قال تعالى في نبينا **﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾** [النجم: ٩] وفي إبراهيم **﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾** [الأنعام: ٧٥] وقال قوم الخلة أرفع ورجحه جماعة متأخرون كالبدر الزركشي وغيره لأن الخلة أخص من المحبة إذ هي توحيدها فهي نهاية ومن ثم أخبر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بأن الله اتخذه خليلا ونفى أن يكون له خليل غير ربه مع إخباره بحبه لجماعة من الصحابة وأيضا فإنه تعالى يحب التوابين والمتطهرين والصابرين والمقسطين والمتقين وخلّته خاصة بالخليلين. قال ابن القيم وظن أن المحبة أرفع وأن إبراهيم خليل ومحمدا حبيب غلط وجهل ورد ما احتج به الأولون مما مر بأنه إنما يقتضي تفضيل ذات محمد على ذات إبراهيم مع قطع النظر عن وصف المحبة والخلة وهذا لا نزاع فيه إنما النزاع في الأفضلية المستندة إلى أحد الوصفين والذي قامت عليه الأدلة استنادها إلى وصف الخلة الموجودة في كل من الخليلين فخلة كل منهما أفضل من محبته كذا في فتح المبين شرح الأربعين للنووي. وفي الصحائف الخلة من مراتب المحبة وتعريفه تخلية القلب عما سوى المحبوب (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٤٤٩، ٤٥٠).

والخلة: الخليل والصديق يستوي فيه المذكر والمؤنث لأنه في الأصل مصدر قولك خليل بيِّن الخلة والخلولة وجمعه خلال كما في المختار، تقول في التذكير والتأنيث: هو خلة وفي، وهي خلة وفية (الرسالة الرشادية / ٢٥).

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١ / ٤٤٩، ٤٥٠، والرسالة الرشادية فيما يجوز تذكيره وتأنيثه معا في العربية ـ محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٥).

*** خلو الناصحين:**

من مصنفات التراث الإسلامي في التصوف.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلي:

الرقم ١٤٩٤ تصرف ٢٠٠.

كتاب في التصوف والوعظ والإرشاد باللغة التركية.

المؤلف: مصطفى بن محمد الأنقرويدر؟

أوله: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين اعلموا وفقكم الله تعالى أي الله تعالى حضر ندبك مؤمن موحد ...

آخره: مناجاة: إلهي روز قل بزفتو الرينه وأروز طفر وستك بوللريكة ...

الخط نسخ واضح، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر بعض الصفحات مجدولة بالأحمر.

اسم الناسخ: حافظ أحمد أفندي.

تاريخ النسخ: رجب سنة ١٢٣٢ هـ.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - وضع محمد رياض المالح ١ / ٥٠٣، ٥٠٤).

*** الخلوتي (أيوب) (٩٩٤-١٠٧١ هـ / ١٥٨٥-١٦٦١ م):**

قال عنه الزركلي:

أيوب بن أحمد بن أيوب القرشي الماتريدي الحنفي الخلوتي: شيخ من كبار المتصوفين. أصل آبائه من البقاع العزيزي (في الشام) ومولده ومنشأه ووفاته في دمشق. تلقى أنواع العلوم، وكان شيخ وقته. له عدة رسائل منها «ذخيرة الفتح» و «رسالة اليقين» و «الرسالة الأسمائية في طريق الخلوتية» و «التحقيق في سلالة الصديق» وله نظم، و «ثبت - خ» عندي، في جزء لطيف، أجاز به محمد بن علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن العدوي القرشي و «وصية - خ» في ٥ صفحات، عندي، أوصى بها ولده محمدا المكنى بأبي الصفاء (الأعلام ٢ / ٣٧).

قالت المؤلفة: رسالة «التحقيق في سلالة الصديق» التي أوردها الزركلي أعلاه أدرجت في فهرس الظاهرية بلفظ «لسلالة» بدلا منه «في سلالة» وجاء بيان المخطوط كما يلي:

الرقم ٧١٧٢.

- رسالة أنشأها المؤلف عند زيارته لآل البكري وأشار إلى موضوع «الحقيقة» وأنها في جدهم أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

المؤلف: أيوب بن أحمد بن أيوب الخلوتي الحنفي البقاعي المتوفى سنة ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م (في الأعلام ١٦٦١ م).

أولها: الحمد لله الذي جعل غاية سيره قدم الصدق الحصول على سهم السعادة ونهاية التخلق بسورة الإخلاص انكشاف سر القضاء والإرادة...

آخرها:

ومن عادة القادة الكرام إعادة الإفادة المرام شعر:

وليس مرامي غير رام بطرفه
إلى مجدكم والمجد ما بعده مرمى

ولله الحمد أولا وآخرا...

الخط نسخي جميل، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ: أحمد بن طبيخ.

تاريخ النسخ: ١٩ ذي الحجة سنة ١١٧٧ هـ بالصالحية بمدرسة الشيخ أبي عمر بن قدامة.

ملاحظات ونسخة مراجعة مصادر عن الكتاب: هدية العارفين ١ / ٢٢٩، إيضاح المكنون ١ / ٥٦١ (مخطوطات الظاهرية ١ / ٢٦٥، ٢٦٦).

(الأعلام للزركلي ٢ / ٣٧، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٢٦٥، ٢٦٦).

خط أيوب بن أحمد الخلوتي

*** الخلوتي (جامع شاهين-): ٩٤٥ هـ.**

قال عنه علي مبارك: هذا المسجد بسفح المقطم مرتفع الأرضية يصعد عليه بمزلقان، ومنقوش على بابه في الحجر: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ [التوبة: ١٨] أنشأ هذا الجامع ووقفه العبد الفقير إلى الله تعالى جمال الدين عبد الله نجل العارف بالله تعالى الشيخ شاهين الخلوتي افتتح سنة خمس وأربعين وتسعمائة. انتهى. وبه أربعة أعمدة من الحجر، وقبلته

مشغولة بقطع من الرخام الملون والصدف يكتنفها عمودان من الرخام ومنبر خشب ودكة قائمة على عمود من الرخام .

وهناك بداخله تربتان إحداهما تربة من الرخام مكتوب بدائرها آية الكرسى، وبأسفل المسجد جملة من خلاوى الصوفية، وله ميضأة ومرافق وبه صهريج صغير وهو الآن غير مقام الشعائر.

وقال النابلسى فى رحلته : وسرنا إلى أن دخلنا جامع الشيخ شاهين الدمرداشى نسبة إلى الشيخ دمرداش المحمدى لأنه كان رفيقه واشتهر به، وقد أخذ الشيخ شاهين المذكور عن الشيخ أحمد بن عقبة اليمنى وحسين جلبى المدفون بزاوية الشيخ دمرداش وعن الشيخ عمر الروشنى واشتهر بالصلاح، وكان كثير المكاشفة للناس وكان يغتسل لكل صلاة. مات سنة أربع وخمسين وتسعمائة ودفن فى زاويته بسفح الجبل، وبنى السلطان عليه قبة ووقف عليه أوقافا، كذا ذكره المناوى فى طبقاته .

ثم قال النابلسى : فدخلنا مزاره ورأينا مقامه فى ذلك الجامع يطل على مزارات القرافة المباركة، وفيه منبر ومحراب لإقامة صلاة الجمعة . وهناك ثلاثة قبور: القبر الكبير قبر الشيخ شاهين وبجانبه قبر ولده الشيخ جمال الدين، ثم قبر ولد ولده الشيخ محمد شاهين . فوقفنا هناك وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى انتهى باختصار.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٥ / ٧٥، ٧٦) .

*** الخلوتى (زاوية-):**

قال عنها على مبارك كما كانت فى زمانه فقال :

هذه الزاوية بالجودرية وهى قديمة مقامة الشعائر ولها أوقاف جارية عليها بمعرفة ناظرها الشيخ محمد الأمير من ذرية الشيخ محمد الأمير الكبير، وفيها ضريح يقال له ضريح الشيخ الخلوتى .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ٧٣) .

*** الخلوتى (سيد محمد):**

انظر: الخلوتى (كريم الدين) .

***الخلوتى (شاهين) (-٩٥٤ هـ):**

قال عنه على مبارك :

هو الشيخ شاهين المحمدى المترجم فى طبقات الشعرانى بأنه أحد أصحاب سيدى عمر الروشنى بناحية توريز العجم . كان من جند السلطان قايتباى ومقربا عنده فسأله أن يخليه لعبادة ربه ففعل وأعتقه، فساح إلى بلاد العجم وأخذ عن شيخه المذكور ثم رجع إلى مصر، فسكن الجبل المقطم وبنى فيه معبدا وحفر له فيه قبرا ولم يزل مقيما به لا ينزل إلى مصر نحو ثلاثين سنة .

وكان له الشهرة العظيمة بالصلاح فى دولة بنى عثمان وتردد الأمراء والوزراء لزيارته ولم يكن ذلك فى مصر لأحد فى زمنه، وكان كثير المكاشفات قليل الكلام جدا تجلس عنده اليوم كاملا لا تكاد تسمع منه كلمة، وكان كثير السهر متقشفا فى اللبس معتزلا عن الناس إلى أن توفاه الله تعالى سنة نيف وتسعمائة رضى الله عنه انتهى .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٥ / ٧٥ انظر: الخلوتى (جامع شاهين-) .

*** الخلوتى (كريم الدين) ٨٩٦-٩٨٦ هـ/ ١٤٩٠-١٥٧٨ م):**

هو الشيخ محمد بن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتى. ولد سنة ٨٩٦ هـ (نوفمبر سنة ١٤٩٠م) ونشأ نشأة صوفية فصار يحضر مجالس الذكر لينشد فيها، إذ كان حسن الصوت، وقد أخذ عن الشيخ دمرداش الذى عطف عليه وقربه منه وتلقى عنه علوم الأوفاق والحرف والزايرجة والرمل، فأتقنها وتألق نجمه، حتى أنتهت إليه الرياسة فى طريق الخلوتية، وكثر تلامذته، وحسن أعتقاد الناس فيه، وأقام فى زاوية بالقرب من قنطرة سنقر إلى أن توفى إلى رحمة الله تعالى فى جمادى الآخرة سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٨م) عن نحو تسعين سنة، وكثر أسف الناس عليه، وبعد الصلاة عليه فى الجامع الأزهر دفن بهذا المسجد (تاريخ المساجد الأثرية (٣٤٢) .

وقد ترجم له على مبارك فقال عنه :

سيدى محمد هذا كما فى حاشية الشيخ الصاوى على خريدة التوحيد نقلا عن المناوى فى الكواكب الدرية فى مناقب الصوفية : هو ابن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتى، ولد سنة ست وتسعين وثمانمائة، ونشأ فى كنف الله حتى شب وترعرع فصار يميل إلى الخير ، ويحضر مجالس الذكر وينشد فيها كلام القوم، ورزق حسن الصوت وطيب النغمة، أخذ عن الشيخ دمرداش فأحبه وقربه وشغله بالطريق

وأخلاه مرارا، وظهرت نجابته وجدَّ واجتهد واشتهر، وتلقى عنه علم الأوفاق والحرف والزايرجه والرمل فأتقن ذلك، ولما دنت وفاة الشيخ أجاز جماعته واستخلف الشيخ حسنا ولم يتعرض لـه مع نجابتـه فلزم الأدب وسكت، فلمـا احتضر الشيخ قـال لولـده الشيخ محمد: قصـرنا فى شأن الشيخ كريـم الدين مع استحقاقـه، وأشهدكم أنى أجزته فـاكتبوا لـه وأعطوه جبتى، فكتب له ولد الشيخ من الإجـازة صدرا فمات الشيخ، فأكمله بعده لكنـه أعطى الجبة لغيره فأخـذها ولبسهـا فقُتل، فدفعت للموصى له بها فكان ذلك علامـة تقدمه، فاجتمع عليه خلق كثيرون، وانتهت إليـه الريـاسة فى طريق الخلـوتية وعـلا قدره وظهر أمـره، ولما كثرت جماعتـه تحول إلى زاوية بـالقرب من قنطرة سنقر علـى الخليج. وكان هينا لينا متواضعـا للزائرين، مهيبا على السالكين، أخلى مرة رجلا فقال: يا سيدى أدركت كل ما يـدرك بالقـوى الحواس بـذاتى، حتى كأنى عين الاسم الـذى أشتغل بـه من جميع جهـاتى. فـزجـره زجـرة مـزعجـة ارتعدت منه جميع جوارحه فزال منه ذلك. وكان هو والعارف الشعـرانى فى عصر واحـد يقصدان للـزيارة والتسليك، فلمـا مات الشعـرانى انفرد الخلوتى بـالوجاهة وأقبل عليـه الخاص والعام. ولـم يزل الشيخ مقيما علـى الإرشاد، وأمره دائمـا فى ازدياد، بحيث إنه إذا خرج من الشارع يكثر الزحام على تقبيل يديه ورجليـه، وما برح كذلك حتى وافـاه الحمام فى جمادى الآخـرة سنـة ست وثمانين وتسعمـائة عن نحـو تسعين سنـة، وأغلقت البلـد لمشهـده، وحمل نعشـه على الأصـابع من زاويته إلى الجـامع الأزهر وصلى عليه فيه، ثم رجعـوا به ودفن بزاويته رحمه الله تعالى انتهى (الخطط ٤ / ٢٢٦، ٢٢٧).

(تـاريخ المساجـد الأثريـة ـ حسن عبـد الوهـاب / ٣٤٢، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ٢٢٦، ٢٢٧).

انظر : الخلوتى (مسجد كريم الدين ـ).

*** الخـلوتى (مسـجد كـريم الـديـن) (١١٧٣ هـ / ١٧٥٩م) أثـر ٤١٤):**

ذكره على مبارك فى الجوامع فقال عنه:

هـذا الجـامع داخل قنطـرة آق سنقر بـالقـرب من جـامع حسين باشا أبى أصبع. مكتوب على وجـه بابه أبيات وتاريخ سنـة ثـلاث وعشـرين ومائة وألـف، وهو مقـام الشعـائر تـام المنافع وبداخله ضريح سيدى محمد الخلوتى المنسوب إليه هذا الجامع، يعمل له مولد كل سنة.

(الخطط ٤ / ٢٢٦).

كما ذكره الأستاذ حسن عبد الوهـاب فى المساجد الأثرية وقال عنـه: هذا المسجد بشـارع البرمـونى عند تلاقيـه بشارع الخليج المصرى عند قنطرة سنقـر... وقد اتخذت زاويته (أى زاويـة الشيخ كريـم الدين) مقـرا للخلـوتية، ومـدفنـا لبعض مشايخهـا، فقد زارهـا سنة ١١٠٥ هـ / ١٦٩٤ الـرحالـة عبد الغنى النـابلسى، وذكر مـن دفن بها بقـولـه: «... مررنـا على جـامع الخلوتيـة، فـدخلنا إليـه، وزرنا هنـاك قبـور الخلوتيـة الدمـرداشية وهم: الشيخ كـريم الدين، والملقب بكـوزلبغا، والشيخ عبد الجواد، والشيخ أحمد، والشيخ محمد، والشيخ محمد مـاميه والـد الشيخ عبد الـرحمن الخلوتى، فقـرأنا لهم الفاتحة، ودعونا الله تعالى»

ووجود اسم «كـوزلبغا» ضمن من ذكر فى هذه الأسمـاء له أهميـة كبيرة، فقـد لفت النظـر إلى أن جـامع الخلـوتية هـو الجامع الذى أنشأه فى هـذه المنطقة كوزلبغا فى دولـة الظاهر جقمق، فقد ترجمه السخاوى وقال عنه (الضوء اللامع ج ٦).

«وخدم عنـد فيروز السـاقى، ثم تـوجه للعبـادة والتلاوة، وبنى جامعا على الخليج الحاكمـى بالقرب من شق الثعبان، وقنطرة سنقـر وانقطع به إلى أن مـات فى أيام الظـاهر جقمق» وهـذا التحـديـد ينطبق على المـوقع المـوجـود فيـه المسجد الحالى.

وفى سنـة ١١٧٣ هـ (١٧٥٩ م) جـدد المسجـد الأمير إيوازبك، ولم يبق من المسجد القديم الذى أنشأه كوزلبغا إلا الجزء الأسفل من المنارة حتى الدورة الأولى.

ومكتوب بحزامها: «بسم الله الرحمن الرحيم، يأيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحـوه بكرة وأصيلا (الآية). صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم».

وباقى المنارة يـرجع إلى تجديد إيوازبـك، كما أن الباب الخـارجى للمسجد والـوجهة المتصلـة بـه أحدث عهـدا من عمـارة إيـوازبك، وقـد عنى إيـوازبك بـزخرفـة بـابـه الأوسط بالنقوش والكتابات، والقاشانى ومكتوب عليه:

بـــالحسنين آل بيت طـــاهــــر

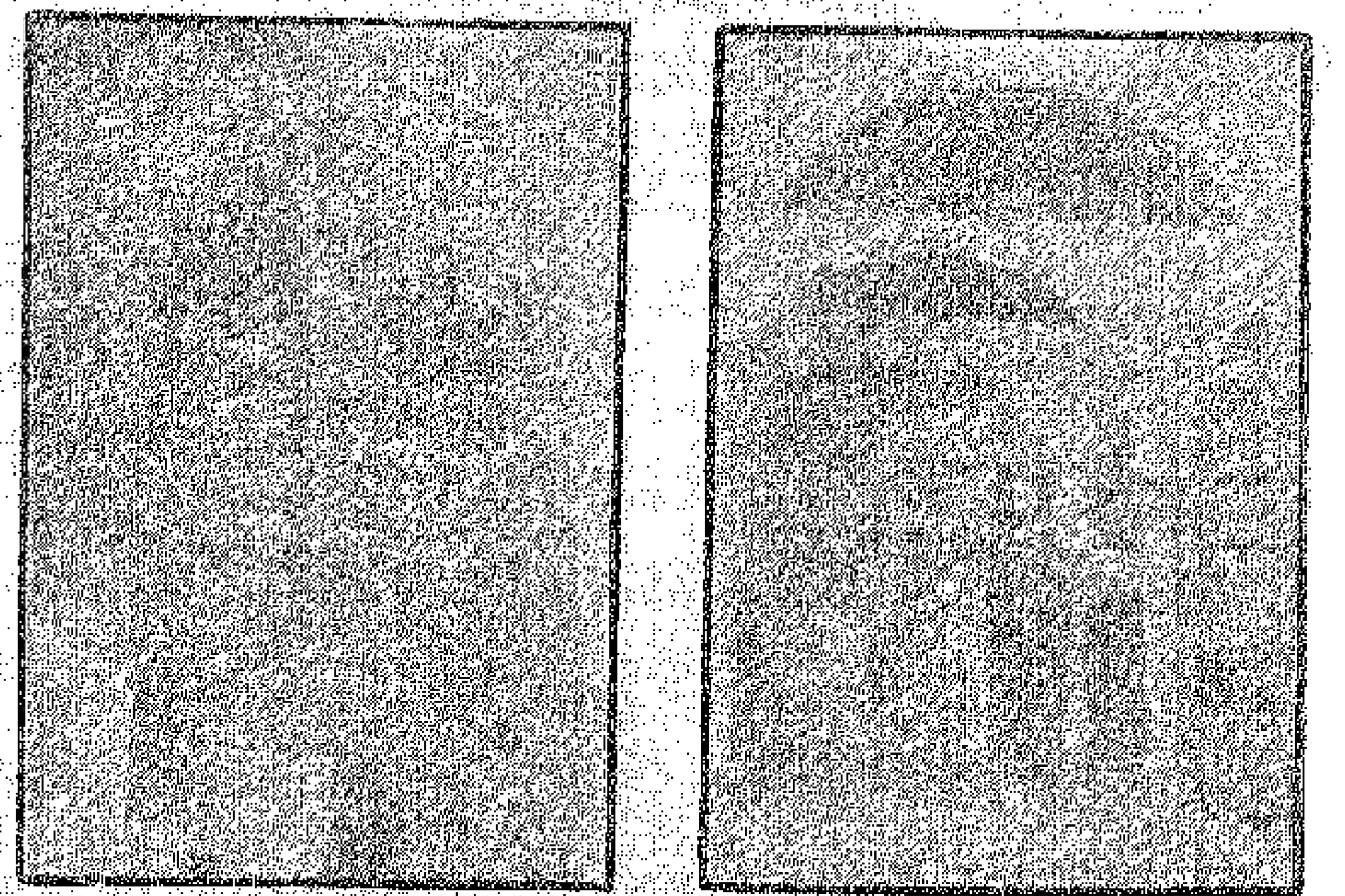
لـــك تعط مــا تـــرجـــوه من مفـــاخـــر

فـــالخلـــوتـى ذو التقـى لمـــا بهـم
لاذ ارتقـى فى كـل ســر بـــاهـــر
مسجـــده قـــد زاد فى إشـــراقـــه
نـــورا بـــديعـــا حسن المـــآثـــر
جـــدده من قـــد أنيـــر قلبـــه
فقلت منشـــدا بقـــول ظـــاهـــر
يـــا سعـــد إيـــواز فقـــد أرختـــه
أبشـــر بعفـــو من معـــز قـــادر
١١٧٣

انظر مادة «أبجد» فى م ٢ / ٨٤ ـ ٨٨، ومادة «حساب الجمل» فى م ١٣ / ٥٤٩ ـ ٥٥٤

وداخل المسجد يتكون من ثلاث إيوانات تحدق بصحن مكشوف، أكبرها الإيوان الشرقى المشتمل على ثلاثة أروقة بها ستة عمد رخامية والجانبين القبلى والبحرى من رواق واحد، وداخل هذا المسجد تسوده البساطة، شأن مساجد ذلك العصر، ويسترعى النظر فى هذا الإيوان اشتماله على محرابين: أحدهما يمين المنبر، ويتألف من قطعة واحدة من حجر البازلت الأسود، ويعلوه تربيعة حديثه من القاشانى، منقوش بها بيت ريفى وشجرة وحولها ترابيع صغيرة من القاشانى.

أما الإيوان الغربى فقد حل فى قسم منه باب يوصل إلى باب المنارة وإلى قبة كبيرة أقيمت على عقود حليت أركانها



مسجد كريم الدين الخلوتى . سنة ١١٧٣ هـ ــ ١٧٥٩ م

٢٤٧ ــ الإيوان الشرقى ٢٤٨ ــ الباب الداخلى

بمقرنصات. وتحت هذه القبة وفى الحجرة غربيها قبور كريم الدين الخلوتى، والشيخ عبد الجواد، والشيخ عبد الرحمن الخلوتى وغيرهم ولا شك أن كوزلبغا مدفون مع هؤلاء على ما رواه النابلسى الرحالة (تاريخ المساجد الأثرية / ٣٤٢، ٣٤٣).

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ٢٢٦، وتاريخ المساجد الأثرية ـ حسن عبد الوهاب / ٣٤٢ ـ ٣٤٣).

انظر: الخلوتى (كريم الدين).

*** الخلوتية:**

إحدى الطرق الصوفية، أسسها الولى الشيخ محمد الخلوتى، وهى طريقة تركية ازدهرت بمصر إبان القرنين الثانى عشر والثالث عشر الهجرى، وقد انتشرت فى مصر على يد الشيخ مصطفى كمال الدين البكرى المتوفى سنة ١١٦٢ هـ، ولها فروع منها: الدمرداشية، المغازية، الصيفية، البهوتية، المصيلحية، الصاوية، السمانية، المسلمية، العلوانية، الشبراوية، الهراوية، البكرية، المروانية، الغنيمية، الحبيبية، الجنيدية، الجودية، القايانية.

وذكر يونس الشيخ إبراهيم السامرائى نقلا عن إحصاء دائرة المعارف الإسلامية أن الخلوتية فرع من السهروردية فى خراسان مؤسسها ظهير الدين المتوفى سنة ١٣٩٧ م، وانتشرت فى تركيا، ولها فروع كثيرة، ففى الأناضول الجراحية والاغتباشية والعشاقية والينازانية والسنبلية والشمسية والكلشنية والشجاعية.

وفى مصر: الصيفية والحفنوية والسباعية والصارية والدرديرية والمغازية، وفى النوبة والحجاز والصومال: الصالحية، وفى بلاد القبائل الرحمانية (تاريخ الطرق الصوفية / ٦٧، ٨٣).

ويذكر الأستاذ الدكتور يوسف جميل نعيسة الطريقة الخلوتية فى دمشق فيقول عنها: اشتقت هذه التسمية من الخلوة، ولم يكن لاتباعها من علم أو زى يميزهم سوى لبسهم التاج وهذه الطريقة فارسية الأصل ترد فى سندها إلى أبى النجيب السهروردى (٤٩٠ هـ ـ ٥٦٣ هـ) مؤسس الطريقة السهروردية وقد لعب ابن أخيه أبو حفص عمر السهروردى البغدادى دورا كبيرا فى تحديد آداب لهذه الطريقة فى كتابه (عوارف المعارف) وهو الذى يعتبر مؤسسها الحقيقى وكان السهروردى سنيا فى اتجاهه وتأثر به سعدى الشيرازى شاعر

الفرس، وقد عنى السهروردى فى كتابه بالكلام عن الرياضة العملية لحياة الربط والخلوة أو السماع إلى جانب عنايته بالبحث بالمنامات والأحوال والمعرفة.

ثم: التفتازانى. ص ٢٩٠. والخلوتية طريقة مصلحة من السهروردية انتشرت بين الطبقات الحاكمة فى تركية وسورية وكانت الخلوة من لوازم هذه الطريقة وهى الخلوة السرية للتفرد بالله فى الذكر فى مكان طاهر والأفضل أن يكون مسجد الجماعة وأن ينوى الفرد الاعتكاف والصوم. والأولى أن يتجرد عن كثرة الأكل والشرب. فإن ذلك أولى. فإن العطش فى الطريق أمر عظيم بل هو مسرع الفتح إذا ساعد التوفيق والعناية ويشرب شيئا من الماء والدبس أو العسل ويكون ذكره فى الخلوة (انظر: المحبى. خلاصة الأثر١. ص ٢٥٠).

وكانت الخلوتية من الطرق الصوفية ذات الشأن فى دمشق، لها أتباع كثيرون بين الفئات الحاكمة فى تركيا ودمشق، وهى ما أطلق عليها اسم (الفئة المدرسية) وكان منها فئة ثانية أطلق عليها اسم (الفئة التجريبية) ولم يكن تأثيرها السياسى كبيرا كالفئة الأولى. ويلاحظ ذلك من خلال تراجم شيوخ الخلوتية فى دمشق الذين كانوا من أصول محلية (أو عربية) على عكس النقشبندية.

ومعلوماتنا تكاد تكون معدومة عن أول من أدخل هذه الطريقة إلى دمشق. ولكن هناك بعض الإشارات فى هذه الفترة على أن شيخها كان فى آل اليافى. وكانت عادة هذه الطريقة أن لا تنصب خليفة لشيخها إلا أجنبيا عنه. ودليلها أن النبى اختار الصديق للخلافة مع كونه أجنبيا عنه فى وجود عمه العباس وابن عمه على بن أبى طالب. وراعت هذه الطريقة تلك القاعدة. وتأكد لنا ذلك من اطلاعنا على أسماء شيوخها فى دمشق، وكان منهم الشيخ شاكر العقاد المولود سنة ١١٥٧ هـ / ١٧٤٤ ـ ١٧٤٥ م، ثم حسن بن عبد اللطيف الدمشقى الشهير بالعمرى المتوفى سنة ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٦م، وهو تلميذ لأحمد البعلى الدمشقى الخلوتى، ثم عمر اليافى المتوفى ١٢٣٢ هـ / ١٨١٦ م ـ ١٨١٧م، ورجل الفتوى هاشم التاجى الجنينى الذى اشتهر بفتاواه والمتوفى سنة ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٧م، ثم الشيخ محمد شمس الدين بن حسن الطباخ المتوفى سنة ١٢٣٧ هـ / ١٨٢١ م، والذى أخذ الطريق عن أبيه وأصبح شيخا للطريقة الخلوتية، ثم الشيخ أمين أفندى الجندى المولود سنة ١٢٢٩ هـ / ١٨١٣ ـ ١٨١٤ والشيخ عبد الله الكتانى الصالحى المولود ١٢٠٨ هـ / ١٨٩٣ م والمتوفى سنة ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥م.

ثم الخلوتية البكرية التى تنسب إلى مصطفى البكرى وهى خلوتية مصلحة. وكان شيخ هذا الفرع الشيخ محمد المبارك الذى أخذ الطريق عن المرشد العاقل الشيخ محمد المهدى الكلاوى، ثم عمر أفندى الغزى المتوفى سنة ١٢٦١ هـ / ١٨٤٥ م وأخذ الطريق عن الأستاذ مصطفى النحلاوى البكرى وكان لهذا الفرع من الخلوتية مكان لإقامة الذكر وإفادة المريدين يقع فى المشهد اليافى فى (حجرة كبيرة) من الجامع الأموى. ثم الخلوتية المصلحة السفرجلانية التى ترأسها تاجر دمشقى ناجح هو خليل أفندى السفرجلانى (١٧٩٠ ـ ١٨٣٨ م).

أما الفرع الخلوتى الطباخى فكان شيخا له فى سنة ١١٥٨ هـ / ١٧٤٦ م، الشيخ يوسف الطباخ ومن بعده الشيخ خالد النابلسى الدجانى ثم ابن شيخه حسن الدجانى الشهير بالطباخ، وكان لهذا الفرع حجرة فى المدرسة السمسياطية يقيم الذكر فيها بعد صلاة الجمعة ومن مشايخ هذا الفرع الشيخ محمد الزهدى بن عمر الدمياطى الأصل الدمشقى الحنفى، الذى أحيا هذه الطريقة، أخذ الطريق عن والده ومات سنة ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤م، ثم الشيخ محمد شمس الدين بن حسن المعروف بالطباخ الذى توفى سنة ١٢٣٧هـ.

وكان للطريقة الخلوتية (مقدم) يساعد شيخها فى إقامة الأذكار وتسليك المريدين. فمثلا محمد المهدى المغربى الزواوى المالكى كان مقدما لهذه الطريقة وكان يسلك المريدين ويقيم الأذكار فى المدرسة الخضيرية، توفى سنة ١٢٢٦ هـ / ١٨١٢ م. وكان للطريقة الخلوتية زاوية خاصة بها تقع بالقرب من باب جيرون، وكان أبو بكر الدسوقى الخلوتى الشافعى المولود فى دمشق سنة ١١٢٤ هـ / ١٧١٣ م يقيم الذكر والتوحيد على عادتهم فى تلك الزاوية. ويذكر إبراهيم الخيارى الذى زار دمشق فى القرن الثامن عشر أن هذه الزاوية كانت فى باب البريد، وعلى العموم فباب البريد وباب

جيرون ليسا بعيدين عن بعضهما وربما التبس الأمر على الخيارى كونه ليس من أبناء دمشق.

وكانت لهذه الطريقة زاوية وتكية بالقرب من باب الله خارج دمشق أنشأها الوالى أحمد باشا المعروف بكوجك أحمد الأرنؤودى الذى حكم دمشق سنة ١٠٣٥ هـ / ١٦٣٠م. ومن مشايخ الخلوتية فى دمشق أبو السعود بن أيوب الحنفى الدمشقى ثم يوسف المملوك الذى أخذ الطريق عن حسن الطباخ المتوفى سنة ١١٢٣ هـ / ١٧١٢ م والذى أخذ الطريق بدوره عن الشيخ حسن الكتانى الصالحى ثم محمد العباس الذى أخذ الطريق عن إبراهيم بن سعد الدين الخلوتى ولم يخلفه أحد من ذريته على زاويتهم، ثم حسن النخال الذى أخذ الطريق عن مصطفى الصديقى الدمشقى ولقنه الذكر وأسماه وأجازه بالخلافة وألبسه كسوة الطريقة، وكان معاشه من عقارات ورثها عن آبائه يقتات بها كفافا.

آداب الطريقة الخلوتية:

كانت لهذه الطريقة آدابها وتقاليدها شأن بقية الطرق الصوفية. وكانت فى معظمها شكلية تتعلق بمجاهدة النفس وقهر الجسد وتحديد نوع من الطعام وكمية ماء الشرب، ثم الانقطاع عن الأهل والولد والزوجة ... وسائر الناس. وكانت تقاليدها فى هذا المجال تختلف من فرع إلى آخر من فروعها وكانت لهم طريقة فى الأذكار يرددون فى خلوتهم كلمة (لا إله إلا الله) آلاف المرات فلا تخرج تلك العبارة بعد ذلك إلا على شكل (هو هو هو)، وينشدون كلام السادة الصوفية ويقوم بذلك أحد المنشدين أو يرددون ذلك سوية فى مجالسهم، كما كانوا يكثرون من الاستغفار والتسبيح والصلاة على النبى.

وكانت لهم تقاليدهم فى خلوة الجماعة بحيث لا تتجاوز الثلاثة الأيام، أما الفرد الواحد فيخلو لنفسه حسبما شاء من ثلاثة أو سبعة أو خمسة عشر أو ثلاثين يوما أو سبعين يوما فى العام، أو العمر كله وهى الخلوة الكلية بالسر المطلق. ويرى بعضهم أن الإنسان لا يتخلص من أحكام نفسه إلا إذا توالت مجاهداته لها وتتابعت خلوته حولا كاملا بحيث يسيطر على نفسه كليا ولا تعود تستولى عليه.

(يذكر المحبى فى كتابه خلاصة الأثر... أن أحد فروع الخلوتية فى مدينة حلب. كان فى كل ستة أيام من الشتاء له خلوة عامة يجتمع فيها المريدون فيصومون ثلاثة أيام ويأكلون عند المساء مقدار أوقيتين من الحريرة ورغيفا من الخبز أكثر من أوقية، ولا يشربون الماء القراح بل يشربون القهوة ويستمرون فى الذكر والعبادة آناء الليل وأطراف النهار وأما باقى الأيام فيقومون سحرا ويتهجدون على قدر طاقتهم ثم يأخذون فى الذكر إلى وقت الأسحار ثم يصلون الصبح لكون الشيخ حنفيا ويقرؤن الأوراد ويصلون الإشراق، وهكذا يفعلون العبادات فى أوقات الصلوات المفروضات).

ولقد اختار الخلوتيون اثنى عشر اسما تذكر بالترتيب شيئا بعد شيء على حسب الورد. وكانوا يتقيدون بنوع من الزى خاص بهم. كما تمسكوا بمظاهر أبعدتهم كثيرا عن جوهر العبادة الصوفية الأصلية. فكنت ترى المريدين أثناء الإذكار محلقين يدورون وقد وضعوا أيديهم بعضها فى بعض يذكرون الله فى رقصة يسمونها الهوية قائلين (هو هو هو) وكان بعضهم يركبون أيديهم إلى الوراء أما رؤوسهم فيحركونها بالتصعيد والتسفيل والتلوى على هيئة لعبة يسميها النصارى ركض الديك (مجتمع مدينة دمشق ٢ / ٤١٤-٤١٧).

(تاريخ الطرق الصوفية - يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ٦٧، ٨٣، ومجتمع مدينة دمشق - د. يوسف جميل نعيسة ٢ / ٤١٤-٤١٧).

*** الخلوتية الحفنوية (القرباشلية):**

الطريقة الصوفية المنسوبة إلى سيدى محمد الخلوتى كما ذكرنا فى المادة السابقة وقد أوردنا له ترجمة تحت عنوان «الحفنى (محمد بن سالم) فى م ١٤ / ٢١-٣٢٤.

وقد عقد الشيخ الجبرتى فصلا فى عجائبه فى ذكر أخذ العهد بطريق الخلوتية جاء فيه ما يلى: لاحظ الألقاب التى يضفيها على المترجم لهم مما كان سائدا فى عصره.

وهى نسبة إلى سيدى محمد الخلوتى أحد أهل السلسلة، ويعرفون أيضا بالقرباشلية نسبة إلى سيدى على أفندى قره باش أحد رجالها أيضا، وهذا هو الاسم الخاص المميز لهم عن غيرهم من الخلوتية، ولذلك قال السيد البكرى فى الألفية:

والخلوتية الكرام فرق
قد نهجوا نهج الجنيد فرقوا
وخيرهم طريقنا العليه
من قد دعوا بالقربا شليه

وهى طريقة مؤيدة بالشريعة الغراء والحنيفية السمحاء ليس فيها تكليف بما لا يطاق، وكانت خير الطرق لأن ذكرها الخاص بها: لا إله إلا الله، وهى أفضل ما يقول العبد كما فى الحديث الشريف.

وكان المترجم رضى الله عنه اشتغل بالسلوك وطريق القوم بعد الثلاثين، فأخذ على رجل يقال له الشيخ أحمد الشاذلى المغربى المعروف بالمقرى فتلقى منه بعض أحزاب وأوراد، ثم قدم السيد البكرى من الشام سنة ١١٣٣، فاجتمع عليه الشيخ بواسطة بعض تلامذة السيد، وهو السيد عبد الله السلفيتى، فسلم عليه وجلس فجعل السيد ينظر إليه وهو كذلك ينظر إليه، فحصل بينهما الارتباط القلبى، ثم قام وجلس بين يدى السيد بعد الاستئذان، وكانت عادة السيد إذا أتاه مريد أمره أولا بالاستخارة قبل ذلك إلا هو، فلم يأمره بها، وذلك إشارة إلى كمال الارتباط، فأخذ عليه العهد حالا، ثم اشتغل بالذكر والمجاهدة، فرأى فى منامه فى بعض الليالى السيد البكرى والشيخ أحمد الشاذلى المذكور جالسين والشيخ حمد يعاتبه على دخوله فى الطريق، ويعاتب أيضا السيد، فقال له السيد: هل لك معه حاجة؟ قال: نعم لى معه أمانة. وإذا بجريدة خضراء بيد السيد، فقال له: هذه أمانتك قال: نعم. فكسرها نصفين ورماها للشاذلى وقال له: خذ أمانتك ثم انتبه. فأخبر السيد فقال له: هذا اتصال بنا وانفصال عنه. وهذه هى النسبة الباطنية التى صار بها سلمان الفارسى وصهيب من أهل البيت. وقال ابن الفارض فى التائية على لسان الصادق ﷺ:

وإنى وإن كنت ابن آدم صورة
فلى فيه معنى شاهد بالأبوة

فإن آدم له أب من حيث النسبة الظاهرة وهو أب لآدم من حيث النسبة الباطنة لأنه نائب عنه فى الإرسال ومنبأ بخده فى الإنزال، ولم يستمد من الحضرة العلية إلا بواسطته، ولذلك لما توسل به قبلت توبته وزادت محبته ولم يجعل مهر حواء سوى الصلاة والسلام عليه، كما ورد ذلك كله وهو من المعلوم ضرورة. فظهر بهذا أن هذه النسبة أعظم من تلك لترتب الثمرة عليها. ثم سار فى طريقة القوم أتم سير حتى لقنه الأستاذ الاسم الثانى والثالث، ومن حين أخذ عليه العهد لم يقع منه فى حق الشيخ إلا كمال الأدب والصدق التام وهو الذى قدمه وبه ساد أهل عصره. فمن ذلك إنه كان لا يتكلم فى مجلسه أصلا إلا إذا سأله فإنه يجيبه على قدر السؤال، ولم يزل يستعمل ذلك معه حتى أذن له بالتكلم فى مجلسه فى بعض رحلاته إلى القاهرة، وسببه أنه لما رأى إقبال الناس عليه وتوجههم إليه قال له: انبسط إلى الناس واستقبلهم لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمر النعم. ومما اتفق له أن شيخه المذكور قال له مرة: تعال الليلة مع الجماعة واذكروا عندنا فى البيت. فلما دخل الليل نزل شتاء ومطر شديد فلم يتخلف وذهب حافيا والمطر يسكب عليه وهو يخوض فى الوحل، فقال له: كيف جئت فى هذه الحالة. فقال: ياسيدى أمرتمونا بالمجيء ولم تقيدوه بعذر، وأيضا لا عذر والحالة هذه لإمكان المجيء، وإن كنت حافيا. فقال له: أحسنت، هذا أول قدم فى الكمال، إلى غير ذلك. ولما علم الشيخ صدق حاله وحسن فعاله قدمه على خلفائه وأولاه حُسْن ولائه ودعاه بالأخ الصادق ومنحه أسرارا وأراه عيون الحقائق وكيفية تلقين الذكر وأخذ العهد، كما وجد بخط الأستاذ بظهر ثبت عبد الله بن سالم البصري ما نصه:

هذه صورة أخذ العهد أرسلها إليه السيد البكرى الصديقى الخلوتى حين أذنه بأخذ العهود على طريقة السادة الخلوتية.

ونص ما كتب كيفية المبايعة للنفس الطائعة أن يجلس المريد بين يدى الاستاذ ويلصق ركبته بركبته والشيخ مستقبل القبلة، ويقرأ الفاتحة ويضع يده اليمنى فى يده مسلما له نفسه مستمدا من إمداده، ويقول له: قل معى أستغفر الله العظيم ثلاث مرات، ويتعوذ ويقرأ آية التحريم: **﴿يا أيها الذى آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا﴾** إلى **﴿قدير﴾**[التحريم: ٨] ثم يقرأ آية المبايعة التى فى الفتح ليزول الاشتباه، وهى: **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾** [الفتح: ١٠] اقتداء برسول الله ﷺ، إلى قوله تعالى **﴿عظيما﴾**[الفتح: ١٠] ثم يقرأ فاتحة الكتاب ويدعو الله لنفسه وللآخذ بالتوفيق ويوصيه بالقيام بأوراد الطريق والدوام على ذوق أهل هذا الفريق، وعرض الخواطر وقص الرؤيات العواطر وإذا وقعت الإشارة بتلقين الاسم الثانى لقنه ليبلغ الأمانى. وفتح له باب توحيد الأفعال إذ لا غيره فعال، وفى الثالث توحيد الأسماء ليشهد السر الأسمى، وفى الرابع توحيد الصفات ليدرجه إلى أعلى

الصفات، وفى الخامس توحيد الذات ليحظى بأوفر اللذات، وفى السادس والسابع يكمل له التوابع. ونسأل الله تعالى الهداية والرعاية والعناية والدراية والحمد لله رب العالمين، انتهى. هذا ما كتب بخطه الشريف. قال ورأيت أيضا الثبت المذكور ما نصه:

ثم رأيت فى الفتوحات الإلهية فى نفع أرواح الذوات الإنسانية وهو كتاب نحو كراس لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى ما نصه: إذا أراد الشيخ أن يأخذ العهد على المريد فليتطهر وليأمره بالتطهر من الحدث والخبث ليتهيأ لقبول ما يلقيه إليه من الشروط فى الطريق ويتوجه إلى الله تعالى ويسأله القبول لهما ويتوسل إليه فى ذلك بمحمد ﷺ، لأنه الواسطة بينه وبين خلقه، ويضع يده اليمنى على يد المريد اليمنى بأن يضع راحته على راحته ويقبض إبهامه بأصابعه ويتعوذ ويبسمل ثم يقول: الحمد لله رب العالمين أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ويقول المريد بعده مثل ما قال. ثم يقول اللهم إنى أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وأولياءك، أنى قد قبلته شيخا فى الله ومرشدا وداعيا إليه، ثم يقول الشيخ اللهم إنى أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وأولياءك أنى قد قبلته ولدا فى الله فاقبله واقبل عليه وكن له ولا تكن عليه، ثم يدعو كأن يقول اللهم أصلحنا وأصلح بنا واهدنا واهد بنا وأرشدنا وأرشد بنا، اللهم أرنا الحق حقا وألهمنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، اللهم اقطع عنا كل قاطع يقطعنا عنك ولا تقطعنا عنك ولا تشغلنا بغيرك عنك انتهى.

قلت والمراتب السبعة التى أشار إليها السيد فى الكيفية المتقدمة هى مراتب الأسماء السبعة وللنفس فى كل مرتبة منها مرتبة باسم خاص دال عليها: الاسم الأول لا إله إلا الله وتسمى النفس فيه أمارة، والثانى «الله» وتسمى النفس فيه لوامة، والثالث «هو» وتسمى النفس فيه ملهمة، والرابع «حق» وهو أول قدم يحله المريد من الولاية وتسمى النفس فيه مطمئنة، والخامس «حى» وتسمى النفس فيه راضية، والسادس «قيوم» وتسمى النفس فيه مرضية، والسابع «قهار» وتسمى النفس فيه كاملة، وهو غاية التلقين. وكلها ما عدا الأول منها تلقن فى الأذن اليمنى إلا السابع ففى اليسرى، وتلقينها بحسب ما يراه الشيخ من أحوال المريدين أفعال وأقوال وعالم مثال.

واعلم أن سلسلة القوم هذه فى كيفية أخذ العهد والتلقين مروية عن النبى ﷺ، وهو يرويه عن جبريل وهو يرويه عن الله عز وجل. وفى بعض الروايات روايته عن رؤساء الملائكة الأربع والنبى ﷺ لقن عليا رضى الله عنه، وصورة ذلك كما فى ريحان القلوب فى التوصل إلى المحبوب لسيدى يوسف العجمى أن عليا سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، دلنى على أقرب الطرق إلى الله تعالى. فقال «ياعلى، عليك بمداومة ذكر الله فى الخلوات» فقال على رضى الله عنه: هذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون. فقال رسول الله ﷺ: «ياعلى لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله» فقال على: كيف أذكر يا رسول الله قال غمض: عينيك واسمع منى ثلاث مرات ثم قال أنت ثلاث مرات وأنا أسمع، فقال النبى ﷺ: «لا إله إلا الله» ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته وعلى يسمع، ثم قال على: لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته والنبى ﷺ يسمع. ثم لقن على الحسن البصرى رضى الله عنهما على الصحيح عند أهل السلسلة الأخيار من المحدثين. قال الحافظ السيوطى: الراجح أن البصرى أخذ عن على ومثله عن الضياء المقدسى، ومن المقرر فى الأصول أن المثبت مقدم على النافى ثم لقن الحسن البصرى حبيبا العجمى وهو لقَّن داود الطائى، وهو لقَّن معروفا الكرخى، وهو لقَّن سريًّا السقطى، وهو لقن أبا القاسم سيد الطائفتين الجنيد البغدادى، وعنه تفرقت سائر الطرق المشهورة فى الإسلام. ثم لقن الجنيد ممشاد الدينورى، وهو لقَّن محمد الدينورى، وهو لقن القاضى وجيه الدين، وهو لقَّن عمر البكرى، وهو لقن أبا النجيب السهروردى، وهو لقن قطب الدين الأبهرى، وهو لقَّن محمد النجاشى، وهو لقن شهاب الدين الشيرازى، وهو لقن جلال الدين التبريزى، وهو لقَّن إبراهيم الكيلانى، وهو لقن أخى محمد الخلوتى، وإليه نسبة أهل الطريق وهو لقن بير عمر الخلوتى، وهو لقن أخى بيرام الخلوتى وهو لقن عز الدين الخلوتى، وهو لقن صدر الدين الخيالى، وهو لقن يحيى الشروانى صاحب ورد الستار، وهو لقن بير محمد الإرزنجانى، وهو لقن جلبى سلطان المشهور بجلبى خليفة،

وهو لقن خير التوقادي، وهو لقن شعبان القسطموني، وهو لقن إسماعيل الجورومي، وهو المدفون في باب الصغير في بيت المقدس عند مرقد سيدي بلال الحبشي، وهو لقن سيدي علي أفندي قره باش أي أسود الرأس باللغة التركية، وإليه نسبة طريقنا كما مر وهو لقن مصطفى أفندي ولده وخلفاؤه كما قال السيد الصديقي أربعمائة ونيف وأربعون خليفة، وهو لقن عبد اللطيف بن حسام الدين الحلبي، وهو لقن شمس الطريقة وبرهان الحقيقة السيد مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي، وهو لقن قطب رحاها ومقصد سرها ونجواها شيخنا الشيخ محمد الحفناوي، وهو لقن وخلف أشياخا كثيرة منهم بركة المسلمين وكهف الواصلين الصوفي الصائم القائم العابد الزاهد الشيخ محمد السمنودي المعروف بالمنير شيخ القراء والمحدثين وصدر الفقهاء والمتكلمين.

من مناقبه الحميدة صيام الدهر مع عدم التكلف لذلك، وقيام الليل يقرأ في كل ركعة ثلث القرآن وربما نصفه أو جميعه في كل ركعة، هذا ورده دائما صيفا وشتاء فتى وشيخا يافعا، ومنها تواضعه وخموله وعدم رؤية نفسه، ويبرأ من أن تنسب إليه منقبة.

ومنهم علامة وقته وأوانه الولي الصوفي الشيخ حسن الشبيبني ثم القوي طلب العلم وبرع فيه وفاق على أقرانه ثم جذبته أيدي العناية إلى الشيخ فأخذ عليه العهد ولقنه أسماء الطريق السبعة على حسب سلوكه في سيره، ثم ألبسه التاج وأجازه بأخذ العهود والتلقين والتسليك، وصار خليفة محضا، فأدار مجالس الذكر ودعا الناس إليها من سائر الأقطار وفتح الله عليه باب العرفان حتى صار ينطق بأسرار القرآن.

ومنهم العالم النحرير الصوفي الصالح السالك الراجح الشيخ محمد السنهوري ثم الفوى طلب العلم حتى صار من أهل الإفتاء والتدريس. وانتصب للتأكيد والتأسيس، ثم دعته سعادة حضرة القوم فسلك مع المجاهدة وحسن السيرة على يد الأستاذ حتى لقنه الأسماء السبعة وألبسه التاج وأقامه خليفة يهدي لأقوم منهاج، ثم أذن له في التوجه إلى بلده فتوجه إليها وربى بها المريدين، وأدار مجالس الأذكار بتلك البقاع وعم به في الوجود الانتفاع.

ومنهم البحر الزاخر حائز مراتب المفاخر الولي الرباني والصوفي في العالم الإنساني الشيخ محمد الزعيري اشتغل بالعلم حتى برع وصار قدوة لكل مقتدي وجذوة لمن لا يهتدي، ثم سلك على يد الأستاذ فأخذ عليه العهد ولقنه الأسماء على حسب سيره وسلوكه، ثم خلفه وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك.

ومنهم الحبر العلامة والبحر الفهامة شيخ الإفتاء والتدريس الشيخ خضر رسلان اشتغل على الشيخ مدة مديدة ولازمه ملازمة شديدة وأخذ عليه العهد في طريق الخلوتية حتى تلقن الأسماء، وألبسه الشيخ التاج وصار خليفة مجازا بأخذ العهود والتسليك.

ومنهم الشيخ الصوفي الولي صاحب الكرامات والأيادي، والمكرمات شيخنا الشيخ محمود الكردي أخذ على الشيخ العهد والطريق ولقنه الأسماء، فكان محمود الأفعال معروف بالكمال، ثم ألبسه التاج وصار خليفة وأجازه بالتلقين والتسليك، فأرشد الناس وأزال عن قلوبهم الوسواس. وهو مشهور البركة يعتقده الخاص والعام كثير الرؤية لرسول الله ﷺ، ومن كراماته أنه متى أراد رؤية النبي ﷺ رآه. وله مكاشفات عجيبة نفعنا الله بحبه ولا حجبنا عن قربه، وهو الذي قام للإرشاد والتسليك بعد انتقال شيخه وسلك على يده كثير ممن خلفوه من بعده منهم الشيخ الصالح الصوفي والشيخ محمد السقاط والشيخ العلامة شيخ الإسلام والمسلمين مولانا الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر الآن، والإمام الأوحد الشيخ محمد بدير الذي هو الآن بالقدس الشريف والمشار إليه في التسليك بتلك الديار والشيخ الصالح الناجح إبراهيم الحلبي الحنفي والسيد الأجل العلامة والرحالة الفهامة السيد عبد القادر الطرابلسي الحنفي والشيخ الإمام العمدة الهمام الشيخ عمر البابلي وغيرهم، أدام الله النفع بوجودهم.

ومنهم العالم العلامة الألمعي الفهامة بقية السلف والخليفة ونعم الخلف الشيخ محمد سبط الأستاذ المترجم أطال الله بقاءه.

ومنهم الشيخ الفهامة الأديب الأريب واللوذعي النجيب الشيخ محمد الدمنهوري الشافعي.

ومنهم الشيخ الصوفي القدوة الشيخ أحمد الغزالي تلقن منه الأسماء وتخلف عنه وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك.

ومنهم العالم العامل الشيخ أحمد القحافى الأنصارى أخذ العهد وانتظم فى سلك أهل الطريق وتلقن الأسماء وصار خليفة مجازا فأرشد الناس وافتتح مجالس الأذكار.

ومنهم تاج الملة وإنسان عين المجد من غير علة ذو النسب الباذخ والشرف الرفيع الشامخ السيد على القناوى، تلقن الأسماء وألبس التاج وصار خليفة حق ومجازا بالتلقين والتسليك، فأدار مجالس الأذكار وأشرقت به الأنوار.

ومنهم العلامة العامل والفهامة الواصل الفاضل الشيخ سليمان المنوفى نزيل طندتا لقنه وأرشده وخلفه وألبسه التاج وأجازه فسلك وأرشد وله أحوال عجيبة.

ومنهم الصوفى الصالح الشيخ حسن السخاوى نزيل طندتا أيضا لقنه وخلفه وألبسه التاج فدعا الناس لأقوم منهاج.

ومنهم علامة الأنام الشيخ محمد الرشيدى الملقب بشعير لقنه وخلفه وأجازه فكثر نفعه.

ومنهم العلامة الأوحد ومن على مثله الخناصر تُعقد الشيخ يوسف الرشيدى الملقب بالشيال، رحل أيضا إليه فتلقن منه وسلك على يديه حتى صار خليفة، وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك ورجع إلى بلاده بأوفر زاد، وأدار مجالس الذكر وأكثر المراقبة والفكر حتى كثرت أتباعه وعم انتفاعه.

ومنهم العمدة المقدم الهمام الناسك السالك الشيخ محمد الشهير بالسقا لقنه وأجازه بالتلقين والتسليك فكثر نفعه وطاب صنعه.

ومنهم فريد دهره وعالم عصره معدن الفضل والكمال قطب الجمال والجلال الشيخ باكير أفندى لقنه وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك.

ومنهم بدر الطريق وشمس أفق التحقيق العالم العلامة والصوفى الفهامة الشيخ محمد الفشنى لقنه وخلفه وألبسه التاج فأخذ العهود ولقن وسلك وفاق فى سائر الآفاق وتقدم فى الخلاف والوفاق.

ومنهم العالم العامل والشهم الماهر الكامل الشيخ عبد الكريم المسيرى الشهير بالزيات تلقن العهد والأسماء حسب سلوكه وسيره، وأجيز بأخذ العهود والتلقين والتسليك فزاد نورا على نور وحُبى بلذة الطاعة والحبور.

ومنهم شيخ الفروع والأصول الجامع بين المعقول والمنقول، علامة الزمان والحامل فى وقته لواء العرفان، الشيخ أحمد العدوى الملقب بدردير (تأتى ترجمته فى حرف الدال إن شاء الله تعالى)، جذبته العناية إلى نادى الهداية فجاء إلى الشيخ وطلب منه تلقين الذكر فلقنه وسار أحسن سير وسلك أحسن سلوك، حتى صار خليفة بأخذ العهود والتلقين والتسليك مع المجاهدة والعمل المرضى.

ومنهم أيضا الشيخ العلامة الولى الصوفى الشيخ محمد الرشيدى الشهير بالمعصراوى.

ومنهم الإمام الجامع والولى الصوفى النافع مولاى أحمد الصقلى المغربى، تلقن وتخلق وأجيز بأخذ العهود والتلقين والتسليك.

ومنهم الأمجد العامل بعمله والمزدرى السحر بفهمه الشيخ سليمان البتراوى ثم الأنصارى.

ومنهم الصالح العامل الفهامة العابد الزاهد الشيخ إسماعيل اليمنى، تلقن وسلك مع التقى والعفاف والملازمة الشديدة والخدمة الأكيدة وحسن المجاهدة.

ومنهم النحرير الكامل واللوذعى الفاضل مؤلف المجموع الشيخ حسن بن على المكى المعروف بشمه، الناظم الناثر الحاوى الخير المتكاثر وغير هؤلاء ممن لم نعرف كثير.

(عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرتى ١ / ٣٤١-٣٥١).

انظر مادة الحفنى (محمد بن سالم) فى م ١٤ / ٣٢١ - ٣٢٤.

*** الخلوتية القرباشلية:**

انظر: الخلوتية الحفنية (القرباشلية).

*** خلوصى:**

من الخطاطين وهو الحاج خلوصى بن عثمان محمد شمس الدين ولد فى بلدة قسطمونى، أخذ الخط عن محمود الراجى ثم تخصص بالثلث والنسخ على يد الخطاط «وصفى»، قصده طلاب الخط فى كل صوب ومن جملتهم «شفيق» ابن شقيقته، ذكر هاشم البغدادى بأن خلوصى أستاذ خط التعليق وأن مصطفى حليم من تلاميذه، توفى خلوصى سنة ١٢٩١ هـ.

(نفائس الخط العربى - حسن قاسم حبش / ٢٧٤).

انظر: الخط العربى (علم -)، الخطاطون

*** الخَلُوق:**

الخَلُوق والخِلاق: ضرب من الطيب، وقيل: الزعفران ... وقد تخلق وخلقته: طلبته بالخلوق ... وقد تخلقت المرأة

بالخَلوق. والخلوق: طيب معروف يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة، وقد ورد تارة بإباحته وتارة بالنهى عنه، والنهى أكثر وأثبت، وإنما نُهى عنه لأنه من طيب النساء، وهنّ أكثر استعمالا له منهم. قال ابن الأثير: والظاهر أن أحاديث النهى ناسخة (لسان العرب ١٤ / ١٢٤٧).

وفيما يلى ما ورد من الأحاديث فى الخلوق:

١ ـ عن أنس رضى الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يتزعفر الرجل» أخرجه الخمسة.

وقال الترمذى: معناه أن يتطيب به.

٢ ـ وعنه رضى الله عنه قال: «أتى رجل إلى النبى ﷺ وعليه أثر صفرة، وكان ﷺ قلما يواجه أحدا بشىء فى وجهه يكرهه» فلما خرج قال: «لو أمرتم هذا أن يغسل عنه هذا». أخرجه أبو داود.

٣ ـ وعن يعلى بن مرة رضى الله عنه قال: «رأى رسول الله ﷺ رجلا متخلقا فقال: اذهب فاغسله، ثم اغسله، ثم لاتعد». أخرجه الترمذى والنسائى.

٤ ـ وعن أبى موسى رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: لا يقبل الله صلاة رجل فى جسده شىء من خلوق». أخرجه أبو داود.

الخلوق: ضرب من الطيب ذو لون، يقال تخلق: إذا أطلى به.

(لسان العرب لابن منظور ١٤ / ١٢٤٧، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الديبع الشيبانى ٢ / ١٣٧، ١٣٨).

***الخلوة:**

هى المكان الذى ينقطع فيه العابد للعبادة، وفى المسيحية يقوم الراهب بحبس نفسه للعبادة، فى الخلوة. وفى الإسلام انقطع بعض الصوفية للعبادة فى الخلوة وزهدوا فى الدنيا ولبسوا الثياب المرقعة (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١٢٢).

يقول الدكتور توفيق الطويل: كان المراد بالخلوة اعتزال المريد للناس للتفرغ لذكر الله والانقطاع لعبادته، ولهذا كثرت الخلوات بين جدران الزوايا وخارج جدرانها، روى النابلسى فى رحلته إلى مصر أنه لما زار زاوية الدمرداش رأى خارج ضريحه «نحو خمسين أو ستين خلوة ذات أسوار وأنوار، وهى التى تسمى مساجد الأنوار يختلى بها المريدون» وصعد إلى سطح هذا القصر العالى (الزاوية) فوجد هناك رواقا كبيرا يتلألأ نوره وفيه كذلك كثير من الخلوات (رحلة النابلسى / ١٣٩).

ولعل انتشار الزوايا فى أرض مصر يساعد على تصور كثرة الخلوات التى عرفها أهل التصوف أيام العثمانيين، بل لم تكن الزوايا وحدها مقر الخلوات، فقد وجد بين المتصوفة من أخلص العبادة لله أو لمنفعة نفسه دون أن تكون له زاوية يقيم فيها مع مريديه. وقد أقام بعض هؤلاء «مغاور» يختلون بها للتعبد والذكر. وكان بعض هذه المغاور رحبا ملحوظ التناسق. فكانت مغارة الشريف أبى عبد الله المغاورى منقوشة فى الجبل مستوية مهندمة طولها داخل الجبل نحو خمسة وستين ومائة قدم وعرضها أكثر من عشرة أذرع وكانت الخلوات تقام أحيانا فى المنازل وتزدان جدرانها بالكلمات المأثورة وقد كانت خلوة جلال الدين البكرى بداره قاعة صغيرة جدا بإيوانين متقابلين وهى «لطيفة البناء ظريفة الفناء بها النور الساطع والسر اللامع القاطع» وعلى جدرانها اثنان وعشرون بيتا من الشعر نظمت بتاريخ عام ٩٧٩ هـ.

التزامات الخلوة:

وللخلوة التزامات لا تستقيم بدونها، كأن يعود المريد نفسه قبل دخولها ندرة الكلام وقلة الأكل حتى يتيسر له بعد ذلك أن يصوم فى خلوته، لأن الجوع يحلل من جسمه الأجزاء الترابية والمائية. أما الشبع والارتواء فيجلبان النوم ويصرفان عن ذكر الله ومن الأدب تيقظ القلب فى حضرة الله ومن لم يلتزم ذلك الشرط فقد أساء الأدب. يقول عمر بن الفارض:

إذا ما بدت ليلى فكلى أعين

وإن هى ناجتنى فكلى مسامع

ومن آدابها صفاء النية والرغبة فى الكف عن أذى الناس وإراحتهم من شره وانقطاع المريد عن زوجه وولده وعشيرته وسائر الناس، وإدامة تفكيره فى شيخه، مع الاعتقاد بأن خلوته مقبرته التى لن يبرحها إلى يوم الدين كما يقول الشعرانى والمنير وإن تفاوت أهل التصوف فى ذلك، هذا بالإضافة إلى آداب المريد نحو الصور والأشباح التى تتراءى له، وعلى المريد ألا يكتم عن شيخه ما يراه فى أثناء خلوته مما ينشأ عن الجو المعنوى الذى يحيط به نفسه، وهذا فوق شروط الخلوة ونحوها.

ثمرات الخلوة:

إذا صحت الخلوة أفلحت الرياضة وأتت من الثمرات فوق ما يتصوره العقل، منها أن يكشف المريد عالم الغيب المحجب، ويدرك أسرار الحيوانات والحشرات ويعطى القدرة على فعل الكرامات وإتيان الخوارق والتصرف فى الكون بالهمة فيمشى على الماء ويطير فى الهواء ويقتحم النيران ويفعل كل ما لا يقوى عليه سائر البشر أقام المنزلاوى فى خلوته نحو عام يقرأ فى الليل ختما وفى النهار ختما ثم خرج ينفق من الغيب ويسد نفقات المريدين الذين كانوا يقيمون فى زاويته وقد بلغوا المائة عدًّا ويتعهد بالإنفاق وجوه البر والخير من تعمير المساجد وبناء المارستانات ومد الأسمطة وغير ذلك وغير هذا من ثمرات توهمها هؤلاء العجزة الذين أعوزتهم القدرة على الضرب فى زحمة الحياة، والظفر من الدنيا بأوفى نصيب، فالتمسوا فى عالم الخيال تحقيق ما يشتهون... !

(التصوف فى مصر ١ / ٦٧ - ٦٩).

ويوجد بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) مخطوط فى التصوف بعنوان «الخلوة» وجاء بيانه كما يلى:

الخلوة.

الرقم ١٣٤٢ تصوف ١٦.

كتاب فى الخلوة يتضمن سؤالا وقع للمؤلف عن الخلوة المطلقة فأجاب عنها مع الإضافة إليها عن الخلوات المقيدة وضمنها خلوة الهدهد، خلوة الصمدانية، وخلوة القرين وغير ذلك وتكلم عن التنزلات الإلهية.

المؤلف: أبو عبد الله محمد بن على الطائى الأندلسى المشهور بالشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى المتوفى سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠م.

أوله: الحمد لله الذى ألهم الصفوة من عباده اتخاذ الخلوات، ونزه أسرارهم وخواطرهم منه عن الجولان فى ملكوت الأرض والسماوات، ونصبها مثالا لأحديته من أكثر الوجوه والجهات، وجعل نعته فيما نعته فى فردانيته من عدم الحركة والالتفات...

آخره: وكذلك خلوة يا حى يا قيوم عظيمة الفائدة، وكذلك ياعلى يا عظيم ياحليم، وما من ذكر إلا وله نتيجة تخصه فإذا فهمت كيفية حالات الخلوة وصورتها فادخلها بأى ذكر شئت...

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات: نسخة مراجعة.

مصادر عن الكتاب: عقود الجوهر / ٣٣.

مصادر عن المؤلف: الأعلام ٧ / ١٧٠، معجم المؤلفين ١١ / ٤٠.

بعض نسخ الكتاب: الجمعية الآسيوية بالبنغال ٦٣٨ / ٥، الأزهر ٣ / ٥٦٤ برلين ٢٩١٦ - ٢٩١٧، المتحف البريطانى ٨٨٦ / ٥، المكتب الهندى ٦٧٧ / ٢، باتنا ١ / ١٢٨ و ٤٠٨.

شرح الكتاب: شرحه العلامة الجنوبرى راجع معجم المؤلفين ١٠ / ١٦٥.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل). البقلى / ١٢٢ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٥ / ٤٧٤، والتصوف فى مصر إبان العصر العثمانى / د. توفيق الطويل ١ / ٦٧ - ٦٩، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٥٠٤، ٥٠٥).

***الخليج المصرى:**

قال الحافظ السيوطى نقلا عن المقريزى:

قال المقريزى: هذا الخليج بظاهر فسطاط مصر، ويمر من غربى القاهرة، وهو خليج قديم احتفره بعض قدماء ملوك مصر، بسبب هاجر أم إسماعيل حين أسكنها إبراهيم عليه السلام بمكة، ثم تمادته الدهور والأعوام، فجدد حفره ثانيا بعض من ملك مصر من ملوك الروم بعد الإسكندر، فلما فتحت مصر على يد عمرو بن العاص، جدد حفره بإشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فحفر عام الرمادة، وكان يصب فى بحر القلزم، ولم يزل على ذلك إلى أن قام محمد بن عبد الله بن حسين بن حسن بن على بن أبى طالب بالمدينة، فكتب الخليفة المنصور إلى عامله بمصر أن يطم هذا الخليج حتى لا تحمل الميرة من مصر إلى المدينة، فطم وانقطع من حينئذ اتصاله ببحر القلزم، وصار على ماهو عليه الآن.

وكان هذا الخليج يقال له أولا خليج أمير المؤمنين - يعنى

عمر بن الخطاب ـ لأنه الذى أشار بتجديد حفره، ثم صار يقال له خليج مصر؛ فلما بنيت القاهرة بجانبه من شرقيه صار يعرف بخليج القاهرة، والآن تسميه العامة بالخليج الحاكمى. وتزعم أن الحاكم احتفره، وليس بصحيح، وكان اسم الذى حفره فى زمن إبراهيم عليه السلام طوطيس (فى المقريزى: «طوطيس بن ماليا»، وهو الجبار الذى أراد أخذ سارة، وجرى له معها ما جرى، ووهب لها هاجر. فلما سكنت هاجر مكة وجهت إليه تعرِّفه أنها بمكان جدب، فأمر بحفر نهر فى شرقى مصر بسفح الجبل حتى ينتهى إلى مرفأ السفن فى البحر الملح فكان يُحمل إليها الحنطة، وأصناف الغلات، فتنقل إلى جدة، ويحمل من هناك على المطايا، فأحيا بلد الحجاز مدة. وكان اسم الذى حفره ثانيا أرديان (فى المقريزى: (أندرو مانوس) قيصر، وكان عبد العزيز بن مروان بنى عليه قنطرتين فى سنة تسع وستين، وكتب اسمه عليهما، ثم جددهما تكين أمير مصر فى سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة، ثم جددهما، الإخشيد فى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ثم عمرتا فى أيام العزيز، وكان موضع هاتين القنطرتين خلف خط السبع سقايات، وهى التى كانت تفتح عند وفاء النيل فى زمن الخلفاء، وكان الخليفة يركب لفتح الخليج فلما انحسر النيل عن ساحل مصر، وربا الجرف أهملت هذه القنطرة فدثرت، وعملت قنطرة السد عند فم بحر النيل، وكان الذى أنشأها الملك الصالح أيوب فى سنة بضع وأربعين وستمائة.

قال ابن عبد الظاهر: وأول من رتب حفر خليج القاهرة على الناس المأمون بن البطائحى، وجعل عليه واليا بمفرده.

ولأبى الحسن الساعاتى فى كسر يوم الخليج

إن يـــوم الخليج يـــوم مـن الحســـــ
ـــن بـــديع المـــرئى والمسمـــوع

كم لـــديـــه من ليث غـــاب صئـــول
ومهــــاة مثـل الغــــزال المـــروع

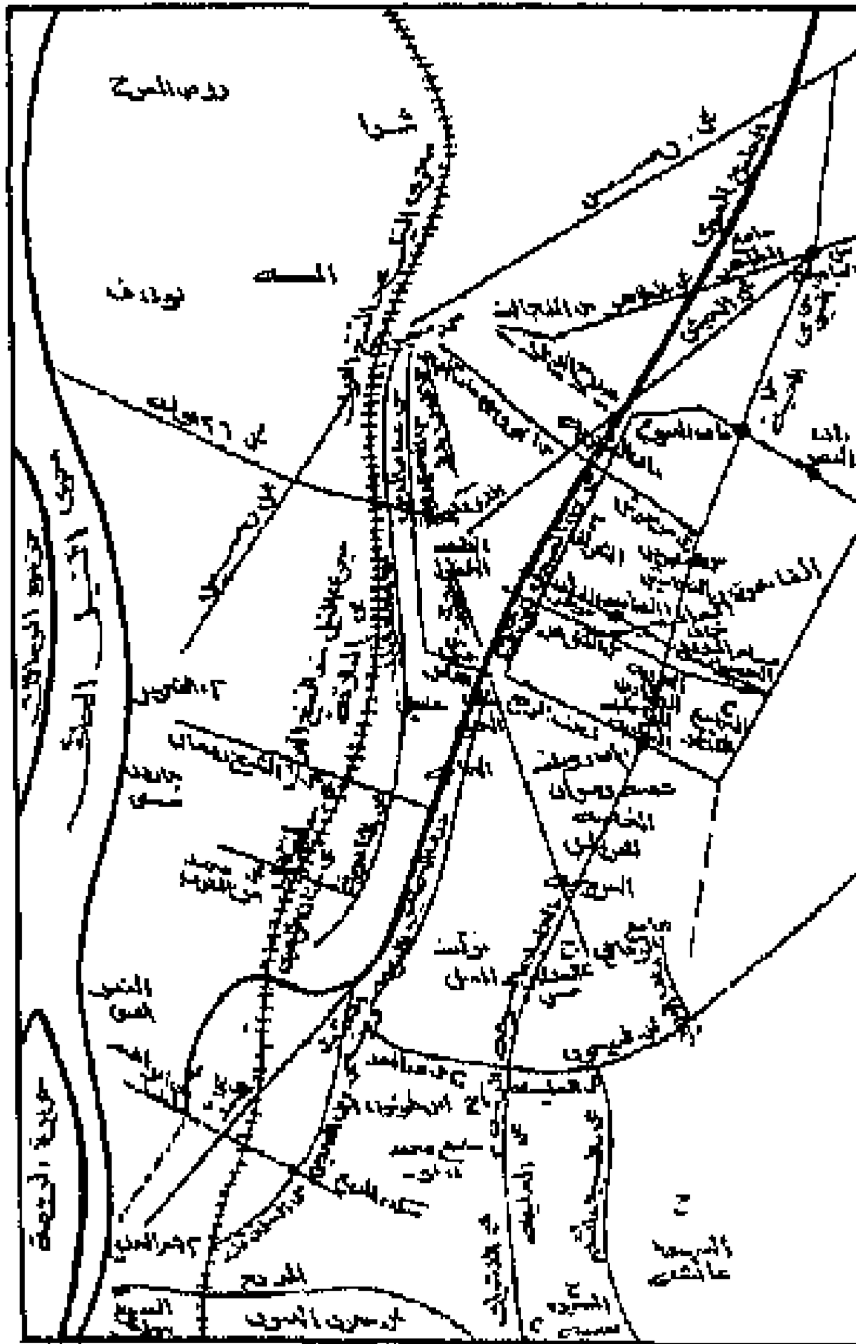
وعلـى الســــــد عـــــــزة قبـل أن
تملكـــــه ذلـــــة المحب الخضـــــوع

كســــروا جســـره هنـــاك فحـــاكى
كســـر قلـب يتلـــوه فيض دمـــوع

(حسن المحاضرة ٢ / ٣٨٧، ٣٣٨).

رسم كروكى (١)

يبين موقع الخليج المصرى بالنسبه لمجرى النيل عند الفتح العربى وبالنسبه لمجرى النيل الحالى . وموقع القاهرة الفاطميه بالنسبه للخليج



وعن القناطر والمناظر على الخليج يقول الأستاذ محمد كمال السيد محمد:

ذكرنا أن عمرو بن العاص جدد حفر الخليج سنة ٢٣ هـ (٦٤٤ م). وأن عبد العزيز بن مروان أثناء ولايته على مصر أنشأ قنطرة على الخليج سنة ٦٩ هـ. وأن هذه القنطرة قد اندثرت فيما بعد ــ بعد الفاطميين. وجهل مكانها. ورجحنا أنه كان بالجانب الغربى من موقع ميدان السيدة زينب الحالى.

كما ذكرنا أنه بالقرب من هذه القنطرة كانت منظرة السكرة التى أنشأها الفاطميون لحضور حفل جبر الخليج. ورجحنا أن مكان هذه المنظرة كان محل المدرسة السنية للبنات والمعلمات بأول شارع الناصرية بالسيدة زينب.

وظلت قنطرة عبد العزيز بن مروان هى سبيل العبور إلى الجانب الغربى من الخليج حتى أنشئت القاهرة المعزية سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) فأنشأ القائد جوهر على الخليج قنطرة أمام الباب الذى عرف بباب القنطرة كان موقعها بميدان باب الشعرية الحالى.

وبتقدم العمران توالى إنشاء القناطر على الخليج. فقد

جدول بالترتيب الجغرافى للقناطر على الخليج

الترتيب الجغرافى	الرمز	اسم القنطرة	الموقع وملحوظات
١	ع	الفم	ميدان فم الخليج
٢	م	السد	بعدها
٣	ع	القصر العينى	بعدها
٤	م	السباع	ميدان السيدة زينب
٥	م	عمر شاه	أمام حارة عمر شاه
٦	ع	شاهين باشا	بعدها
٧	م	قطز دمر	أو درب الجماميز جنوبى امتداد مجلس الشعب الجديد .
٨	م	آق سنقر	عند مدخل المحكمة الجديدة أمام شارع اسماعيل باشا أبو جبل .
٩	ن	اللبق كلر	أمام شارع مصطفى باشا عبد الرازق (سكة رحبة عابدين سابقا)
١٠	م	باب الخرق	ميدان باب الخلق عند تقاطع شارعى القلعة والخليج
١١	ع	لاينث باشا	أمام المتحف الإسلامى .
١٢	م	الأمير حسين	أمام النهاية البحرية لمحكمة مصر عند مدخل شارع الأمير حسين
١٣	ع	الشيخ المفتى	أمام جامع البنات عند سكة الناصرية
١٤	ن	الحلبى	قبل تقاطع شارع الأزهر بقليل
١٥	م	الموسكى	عند تقاطع شارع الموسكى
١٦	ع	بين الصورين	بعدها
١٧	ن	الشعراوى	أمام شارع الخرنفش وقد تدل على مبارك أنها من إنشاء أسرة محمد على ولكن بخريطة نابليون نجدها باسم elGucliddl . وهى غير قنطرة الظاهر التى أسماها الفرنسيون La nouvelle
١٨	م	باب القنطرة	بميدان باب الشعرية عند ابتداء شارع أمير الجيوش وقد سماها على مبارك قنطرة باب الشعرية
١٩	م	باب الشعرية	أو الخروبى عند تقاطع الخليج مع السور الشمالى للقاهرة . وقد أسماها الفرنسيون قنطرة الخروبى .
٢٠	م	الجديدة	بالظاهر عند تقاطع الخليج المصرى مع الخليج الناصرى
٢١	م	الأوز	بعدها
٢٢	ع	سكة حديد السويس	عند تقاطع الخليج مع خط الترام وسكة حديد المطرية .
٢٣	م	قناطر بنى وائل	عند الزوايل الكبرى وأسماها على مبارك الزوايل القديمة .
٢٤	م	قنطرة الأميرية	عند الأميرية وأسماها على مبارك الزوايل الجديدة .

ذكر المقريزى - بخلاف قنطرة عبد العزيز بن مروان التى كانت قد اندثرت - أربع عشرة قنطرة لغاية منتصف القرن التاسع الهجرى (١٥ م). واستجدت ثلاث قناطر بعد المقريزى لغاية دخول الفرنسيين فى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى. وفى زمن أسرة محمد على استجدت سبع قناطر. فيكون مجموع القناطر على الخليج أربعا وعشرين قنطرة.

ومن القناطر الأربع عشرة التى ذكرها المقريزى واحدة فقط أنشئت فى عهد الفاطميين. وأربع قناطر فى عهد الأيوبيين. وتسع قناطر فى عهد السلاطين المماليك. أو بعبارة أدق: واحدة فى عهد الظاهر بيبرس، وسبعا فى عهد الناصر محمد ابن قلاوون، وواحدة فى عهد الصلاح صلاح الدين بن الناصر محمد بن قلاوون.

وفيما يلى جدول بالترتيب الجغرافى لهذه القناطر. وقد رمزت بحرف (م) القناطر التى ذكرها المقريزى، وبحرف (ن) للقناطر التى حدثت بعده لغاية دخول الفرنسيين، وبحرف (ع) للقناطر التى أنشئت فى عهد أسرة محمد على.

ونحن نعتبر الإنشاء فقط دون الترميم أو التجديد. فالإنشاء لضرورة عمرانية. أما التجديد فللاحتفاظ بوضع قائم (أسماء ومسميات / ٨٨، ٨٩).

(حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢ / ٣٨٧، ٣٨٨، وأسماء ومسميات من مصر القاهرة - محمد كمال السيد محمد / ٨٨، ٨٩، وبه الخريطة ص ٤٤، والجدول ص ٩٠).

* الخليج الناصرى:

حفره الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة، لما بنى الخانقاه بسرياقوس، فأراد إجراء الماء من النيل إليها ليرتب عليه السواقى والزراعات، وفوض أمره إلى أرغون النائب، فحفر فى مدة شهرين من أول جمادى الأولى إلى سلخ جماد الآخرة، وبنى فخر الدين ناظر الجيش عليه قنطرة، وبنى قديدار والى القاهرة قنطرة قديدار وقناطر الأرز وقناطر الأميرية (انظر المقريزى ١ / ١١٥).

(حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السوطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢ / ٣٨٩).

* الخليفة:

الخلفية: وهو السلطان الأعظم يخلف من قبله ويسد مسده يذكر وقد يؤنث، فيقال فى تذكيره وتأنيثه هو الخليفة وهى الخليفة وتاؤه للنقل كما صرح به غير واحد، وفى المصباح أنها للمبالغة ومثله فى النهاية لابن الأثير.

وفى المختار وغيره: الخليفة السلطان الأعظم وقد يؤنث، وأنشد الفراء:

أبوك خليفة ولدته أخرى
وأنت خليفة ذاك الكمال

والشاهد فى قوله ولدته أخرى (أى ولدته خليفة أخرى) فأنث الفعل لتأنيث الفاعل (لسان العرب ١٤ / ١٢٣٥ والرسالة الرشادية / ٢٥، ٢٦).

والخليفة هو من يخلف غيره فى الزمان أو المهمة، جاء فى مفردات الراغب الأصفهانى: تخلف فلان فلانا إذا تأخر عنه وإذا جاء خلف آخر وإذا قام مقامه، ومصدره الخلافة. وخلف فلان فلانا قام بالأمر عنه، إما معه وإما بعده، قال تعالى ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون﴾ [الزخرف: ٦٠] والخلافة النيابة عن الغير، إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف، وعلى

هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض، قال تعالى ﴿هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض﴾ [فاطر: ٣٩] وقال: ﴿ويستخلف ربى قوما غيركم﴾ [هود: ٥٧] وقال ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض﴾ [ص: ٢٦] ومما ذكره الأصفهانى يمكن أن يفهم قول الله تعالى فى شأن آدم ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠] فهى خلافة تشريف، ولله أن يفعل فى تنظيم كونه ما شاء دون احتياج لمن يشركه أو يساعده فى ملكه فهو الغنى، وليس الخليفة مساعدا لله ولا نائبا عنه لغيابه، تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

يقول الماوردى فى كتابه «الأحكام السلطانية» (ص ١٥):

واختلفوا هل يجوز أن يقال: يا خليفة الله، فجوزه بعضهم لقيامه بحقوقه فى خلقه. ولقوله تعالى ﴿وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾ [الأنعام: ١٦٥] وامتنع جمهور العلماء من جواز ذلك ونسبوا قائله إلى الفجور، وقالوا: يستخلف من يغيب أو يموت والله لا يغيب ولا يموت، وقد قيل لأبى بكر الصديق رضى الله عنه: يا خليفة الله، فقال: لست بخليفة الله ولكنى خليفة رسول الله ﷺ.

والخليفة فى الإسلام هو من خلف رسول الله ﷺ فى سياسة الأمة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وهو الإمام الأعظم، وهو أمير المؤمنين عامة. وعرفه العلماء بأنه من يخلف الرسول فى إقامة الدين بحيث يجب اتباعه على الأمة كافة، وذلك ليخرج من ينصبه الإمام فى ناحية، ويخرج المجتهد الآمر بالمعروف (بيان للناس ١ / ١٨٩، ١٩٠).

ويقصد بالخلافة النهوض بأعباء الأمة الإسلامية نيابة عن الرسول بعد وفاته وهى الطبقة الأولى فى طبقات الولايات. ويتولاها الشخص بأحد طريقين:

الطريق الأول: عهد من الخليفة الأول. كما عهد أبو بكر إلى عمر بن الخطاب.

الطريق الثانى: بيعة من أهل الحل والعقد إن لم يوجد عهد من الخليفة قبله كما بويع أبو بكر.

وقد قام بالخلافة بعد الرسول الخلفاء الراشدون، والخلفاء الأمويون، والخلفاء العباسيون ببغداد، والخلفاء الأمويون بالأندلس، والخلفاء العباسيون بمصر بعد انقراض الخلافة فى بغداد.



(١) استقبال سفار من البندقية نقلا عن متحف اللوفر وأرشيف الصور الفوتوغرافية.

وكان الخليفة العباسى بالقاهرة يبايعه السلطان والعلماء والقضاة ثم يفوض الأمور العامة إلى السلطان، ويدعى له قبل السلطان، على المنابر إلا فى مصلى السلطان خاصة فى مصلاه بقلعة الجبل والسلطان يستبد بما عدا هذا من أمور الدولة: من تولية وعزل، وإقطاع إقطاعات حتى للخليفة نفسه. وظل الأمر كذلك حتى عام ٨١٥ هـ حيث استقل الإمام المستعين بالله بأمر الخلافة. ودعى له وحده على المنابر ومن يقرأ عهود الخلفاء إلى السلاطين يجد أنهم كانوا يفوضون إليهم تفويضا شاملا أمور الدين والدنيا كما جاء فى صبح الأعشى. وكان الخليفة يقول فى عهد التولية:

فوضت إليك جميع أمر المسلمين، وقلدتك ما تقلدته من أمور الدين (ابن قيم الجوزية / ١٧، ١٨).

ويرى بعض الخلفاء أن لقب «خليفة» يدل على معنى النيابة. والقيام مقام النبى فى أمته. ولقد أصبحت تعنى فى أيام المماليك ـ كما تنص عليها تقاليد الخلفاء العباسيين فى مصر ـ أنه من أسرة النبى ﷺ من فرع بنى العباس ـ الذين تولوا الخلافة من قبل فى العراق، وقضى المغول على خلافتهم وأبو بكر الصديق رضى الله عنه هو أول خليفة فى الإسلام، وعمل الخليفة الأساسى هو مبايعة السلطان وذلك حتى تصبح سلطات السلطان ونوابه وموظفيه شرعية؛ ويكون ذلك لكل من وصل إلى السلطنة حتى ولو حدث ذلك عدة مرات أو حتى لو كان السلطان فى حجر مرضعة؛ فمثلا الخليفة

المعتضد بالله ٨٤٥ هـ بايع ستة سلاطين؛ ولكن من ناحية أخرى كان الخليفة ومعه القضاة الأربع يقوم أيضا بعزل السلطان أو خلعه بناء على تدخل كبار الأمراء المماليك وتولية غيره (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١٢٢).

فأما عن لقب «الخليفة» وتاريخه وتطوره ومترادفاته فيقول الدكتور حسن الباشا: استعمل لفظ «خليفة» كلقب للحاكم الأعلى الذى أسند إليه أمر الإشراف على الأمة الإسلامية بعد النبى ﷺ. وقد أطلق لأول مرة على أبى بكر الصديق، وكان يحمل إذ ذاك معنى خلافة النبى ﷺ على حكم المسلمين.

وعلى الرغم من استمرار استعمال هذا اللقب فإن مدلوله كان يختلف باختلاف الأسرات الحاكمة: ففى صدر الإسلام كان يقصد منه خلافة النبى ﷺ بينما فى الدولة العباسية عنى به خلافة الله. ومما يوضح ذلك ورود لقب «خليفة الله» على سكة باسم المأمون بتاريخ سنة ٢٠٣ هـ بالمحمدية. والحق أنه على مر الزمن انتزع من الإمام العباسى سلطته السياسية فصار مدلول اللقب أقرب إلى الرئاسة الدينية.

وقد ظهر لقب «الخليفة» على النقود والنقوش كلقب عام على الخلفاء. ومن أقدم استعمالاته على الآثار وروده فى نقش بتاريخ سنة ١٠١ هـ على الكعبة خاص بالوليد بن يزيد الأموى، وعلى النقود وروده على سكة بتاريخ سنة ١٦١ هـ من أرمينيا باسم المهدى العباسى، وعلى أخرى من أذربيجان، ومثلها بأران بتاريخ سنة ١٦٦ هـ. وكان يرد على طرز قطع النسيج: فورد مثلا على قطع من النسيج بتاريخ سنة ١٩٠ هـ باسم الرشيد من تونة، وعلى أخرى بتاريخ سنة ٣١٣ هـ من مصر باسم المقتدر بالله.

وكان أيضا يضاف إلى اللقب ياء النسبة: فكان يقال «خليفتى» على الرغم من الخطأ النحوى. ومن ذلك ما ذكره ابن فضل الله العمرى فى كتابه «التعريف» حين ذكر «الأبواب الشريفة الخليفتية»، وما ذكره الحسن بن أبى محمد الصفدى فى كتابه «نزهة المالك والمملوك» عند ذكر «الشاش الخليفتى».

ومن الصفات التى كانت تلحق بهذا اللقب فى صيغة الجمع فى بعض الأحيان صفة «الراشدين»: فكان يقال «الخلفاء الراشدون». ولا يزال هذا اللقب يطلق عرفا على الخلفاء الأربعة الأول: أبى بكر وعمر وعثمان وعلى. كما أطلقت الصفة على خلفاء الموحدين بشمال إفريقية: حيث ورد فى مكة باسم أبى يوسف يعقوب بن المنصور. ويلاحظ أن صفة «الراشد» نفسها تشير إلى الأحقية فى الخلافة.

وكان لفظ «خليفة» يضاف أحيانا إلى لفظ الجلالة لتأكيد معنى الخلافة من الله فيقال مثلا «خليفة الله» «وخليفة الله على كافة أهل الإسلام» «وخليفته فى أرضه ونائبه فى خلقه». كما استعمل اللفظ بمعناه اللغوى البحت مضافا إلى بعض الألقاب مثل «خليفة أمير المؤمنين»، «وخليفة فتى مولانا وسيدنا».

خليفة الله: أضيف «خليفة» إلى لفظ الجلالة لتأكيد معنى خلافة الله الذى اتصل بالخليفة فى العصر العباسى. ولعل هذا المعنى قد جاء من الآية القرآنية ﴿**إنى جاعل فى الأرض خليفة**﴾ [البقرة: ٣٠] فلما كان آدم خليفة الله، والأنبياء خلفاء آدم، وآخرهم محمد ﷺ، والخلفاء خلفاء محمد ﷺ فإن الخليفة بذلك خليفة الله، أو ربما جاء ذلك المعنى من أن الخليفة العباسى كان يعتبر نفسه المفوض من الله سبحانه لإقرار دينه فى الأرض، ونشر الإسلام، وبذلك فهو خليفته على خلقه، ومن هنا ظهر هذا اللقب ومترادفاته مثل «خليفة الله على كافة أهل الإسلام»، «وخليفته فى أرضه، ونائبه فى خلقه».

وقد أطلق لقب «خليفة الله» على المأمون فى سكة بتاريخ سنة ٢٠٣ هـ من المحمدية.

خليفة الله على كافة أهل الإسلام: أطلق على الخليفة الناصر فى نص إنشاء بتاريخ سنة ٥٨٤ هـ فى عين عرفات بمكة. وهو يتصل اتصالا وثيقا برغبة الناصر فى استعادة مجد الخلافة دينيا وسياسيا، ومحاولته نشر نفوذه على جميع المسلمين، مما حدا به إلى التقرب إلى الشيعة، وانضمامه إلى الفتوة. ويؤكد هذه الرغبة ظهور اللقب فى مكة، مهوى أفئدة جميع المسلمين.

خليفة فى أرضه ونائبه فى خلقه: أطلق على الإمام المستنصر بالله فى نص بتاريخ نسة ٦٢٤ هـ من بغداد وفى هذا اللقب ادعاء بالسيادة على جميع العالم من مسلمين وغير مسلمين وهو بذلك يعلو على اللقب السابق الخاص بأهل الإسلام.

خليفتك: ورد هذا اللقب فى نص إنشاء من ح سنة ٦٧٠ هـ فى جوك مدرسة فى سبواس فى تركيا وقد جاء فيه «اللهم أيد وانصر عبدك وخليفتك السلطان الأعظم والخاقان المعظم، مولا ملوك العرب والعجم، ظل الله فى العالم، أدام الله دولته وسلطنته إلى يوم القيامة.

ويلاحظ أن لقب خليفتك ـ وهو مرادف «لخلفية الله» ـ قد أطلق هنا على السلطان، وربما كان ذلك من أثر القضاء على الخلافة العباسية مما أدى ببعض الولاة فى مختلف جهات العالم الإسلامى إلى ادعاء أحقيتهم فى الولاية العامة. وكان من أثر سقوط خلافة بغداد أن استقدم بيبرس إلى مصر بعض أفراد الأسرة العباسية، وأحيا الخلافة بالقاهرة. وربما كان رد الفعل لذلك ادعاء السلاطين فى سيواس بأحقيتهم فى الولاية العامة، واتخاذ هذا اللقب كمظهر لهذه الأحقية. ولعل اتخاذ لقب «خليفتك» كان مقدمة لإطلاق لقب «الإمام الأعظم» على أواخر سلاطين المماليك فى مصر من قبيل المنافسة.

خليفة أمير المؤمنين: ورد فى طراز قطعة من النسيج بتاريخ سنة ٤١٠ هـ من مصر خاص بالحاكم وولى عهده عبد الرحيم بن إلياس بن أحمد بن المهدى بالله ولعل «خليفة» هنا بمعنى ولى عهد أو نائب.

خليفة فتى مولانا وسيدنا الإمام المستنصر: أطلق على الأفضل بن بدر الجمالى فى نص بتاريخ سنة ٤٨٧ هـ فى جامع أحمد بن طولون. والمقصود «بفتى مولانا» هنا بدر الجمالى. ولما كان هذا اللقب قد أطلق فى حياة بدر الجمالى فربما قصد به ولى العهد أو النائب شأن «خليفة أمير المؤمنين» (الألقاب الإسلامية/ ٢٧٥ ـ ٢٧٩).

وعن لقب أمير المؤمنين وأنه من سمات الخلافة يقول ابن خلدون فى مقدمته فى الفصل الثانى والثلاثين:

فى اللقب بأمير المؤمنين وإنه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء وذلك أنه لما بويع أبو بكر رضى الله عنه وكان الصحابة رضى الله عنهم وسائر المسلمين يسمونه خليفة رسول الله ﷺ ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن هلك فلما بويع لعمر بعهده إليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله ﷺ وكأنهم استثقلوا هذا اللقب بكثرته وطول إضافته وأنه يتزايد فيما بعد دائما إلى أن ينتهى إلى الهجنة ويذهب منه التميز بتعدد الإضافات وكثرتها فلا يعرف فكانوا يعدلون عن هذا اللقب إلى ما سواه مما يناسبه ويدعى به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الأمير وهو فعيل من الإمارة وقد كان الجاهلية يدعون النبى ﷺ أمير مكة وأمير الحجاز وكان الصحابة أيضا يدعون سعد بن أبى وقاص أمير المؤمنين لإمارته على جيش القادسية وهم معظم المسلمين يومئذ واتفق أن دعا بعض الصحابة عمر رضى الله عنه يا أمير المؤمنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال إن أول من دعاه بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وقيل بريد جاء بالفتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر ويقول أين أمير المؤمنين وسمعها أصحابه فاستحسنوه وقالوا أصبت والله اسمه إنه والله أمير المؤمنين حقا فدعوه بذلك وذهب لقبا له فى الناس وتوارثه الخلفاء من بعده سمة لا يشاركهم فيها أحد سواهم إلا سائر دولة بنى أمية.

ثم إن الشيعة خصوا عليا باسم الإمام نعتا له بالإمامة التى هى أخت الخلافة وتعريضا بمذهبهم فى أنه أحق بإمامة الصلاة من أبى بكر لما هو مذهبهم وبدعتهم فخصوه بهذا اللقب ولمن يسوقون إليه منصب الخلافة من بعده فكانوا كلهم يسمون بالإمام ما داموا يدعون لهم فى الخلفاء حتى إذا استولوا على الدولة يحولون اللقب فيما بعده إلى أمير المؤمنين كما فعله شيعة بنى العباس فإنهم ما زالوا يدعون أئمتهم بالإمام إلى إبراهيم الذى جهروا بالدعاء له وعقدوا الرايات للحرب على أمره فلما هلك دعى أخوه السفاح بأمير المؤمنين وكذا الرافضة بإفريقيا فإنهم ما زالوا يدعون أئمتهم من ولد إسماعيل بالإمام حتى انتهى الأمر إلى عبيد الله المهدى وكانوا أيضا يدعونه بالإمام ولابنه أبى القاسم من بعده فلما استوثق لهم الأمر دعوا من بعدهما بأمير المؤمنين وكذا الأدارسة بالمغرب كانوا يلقبون إدريس بالإمام وابنه إدريس الأصغر كذلك وهكذا شأنهم.

وتوارث الخلفاء هذا اللقب بأمير المؤمنين وجعلوه سمة لمن يملك الحجاز والشام والعراق والمواطن التى هى ديار العرب ومراكز الدولة وأهل الملة والفتح وازداد لذلك فى عنفوان الدولة وبذخها لقب آخر للخلفاء يتميز به بعضهم عن بعض لما فى أمير المؤمنين من الاشتراك بينهم فاستحدث

لذلك بنو العباس حجابا لأسمائهم الأعلام عن امتهانها فى ألسنة السوقة وصونا لها عن الابتذال فتلقبوا بالسفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد إلى آخر الدولة واقتفى أثرهم فى ذلك العبيديون بإفريقية ومصر وتجافى بنو أمية عن ذلك بالمشرق قبلهم مع الغضاضة والسذاجة لأن العروبية ومنازعها لم تفارقهم حينئذ ولم يتحول عنهم شعار البداوة إلى شعار الحضارة وأما بالأندلس فتلقبوا كسلفهم مع ما علموه من أنفسهم من القصور عن ذلك بالقصور عن ملك الحجاز أصل العرب والملة والبعد عن دار الخلافة التى هى مركز العصبية وأنهم إنما منعوا بإمارة القاصية أنفسهم من مهالك بنى العباس حتى إذا جاء عبد الرحمن الداخل الآخر منهم وهو الناصر بن محمد ابن الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط لأول المائة الرابعة واشتهر ما نال الخلافة بالمشرق من الحجر واستبداد الموالى وعيثهم فى الخلفاء بالعزل والاستبدال والقتل والسمل ذهب عبد الرحمن هذا إلى مثل مذاهب الخلفاء بالمشرق وإفريقية وتسمى بأمير المؤمنين وتلقب بالناصر لدين الله وأخذت من بعده عادة ومذهب لقن عنه ولم يكن لآبائة وسلف قومه واستمر الحال على ذلك إلى أن انقرضت عصبية العرب أجمع وذهب رسم الخلافة وتغلب الموالى من العجم على بنى العباس والصنائع على العبيديين بالقاهرة وصنهاجة على أمراء إفريقية وزناتة على المغرب وملوك الطوائف بالأندلس على أمر بنى أمية واقتسموه وافترق أمر الإسلام فاختلفت مذاهب الملوك بالمغرب والمشرق فى الاختصاص بالألقاب بعد أن تسموا جميعا باسم السلطان.

فأما ملوك المشرق من العجم فكان الخلفاء يخصونهم بألقاب تشريفية حتى يستشعر منها انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم مثل شرف الدولة وعضد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة ونصير الدولة ونظام الملك وبهاء الدولة وذخيرة الملك وأمثال هذه وكان العبيديون أيضا يخصون بها أمراء صنهاجة فلما استبدوا على الخلافة قنعوا بهذه الألقاب وتجافوا عن ألقاب الخلافة أدبا معها وعدولا عن سماتها المختصة بها شأن المتغلبين المستبدين كما قلناه ونزع المتأخرون أعاجم المشرق حين قوى استبدادهم على الملك وعلا كعبهم فى الدولة والسلطان وتلاشت عصبية الخلافة واضمحلت بالجملة إلى انتحال الألقاب الخاصة بالملك مثل الناصر والمنصور وزيادة على ألقاب يختصون بها قبل هذا الانتحال مشعرة بالخروج عن ربقة الولاء والاصطناع بما أضافوها إلى الدين فقط فيقولون صلاح الدين، أسد الدين، نور الدين. وأما ملوك الطوائف بالأندلس فاقتسموا ألقاب الخلافة وتوزعوها لقوة استبدادهم عليها بما كانوا من قبيلها وعصبيتها فتلقبوا بالناصر والمنصور والمعتمد والمظفر وأمثالها كما قال ابن أبى شرف ينعى عليهم:

مما يزهدنى فى أرض أندلس
أسماء معتمد فيها ومعتضد
ألقاب مملكة فى غير موضعها
كالهر يحكى انتفاخا صورة الأسد

وأما صنهاجة فاقتصروا عن الألقاب التى كانت الخلفاء العبيديون يلقبون بها للتنويه مثل نصير الدول ومعز الدولة واتصل لهم ذلك لما أدالوا من دعوة العبيديين بدعوة العباسيين ثم بعدت الشقة بينهم وبين الخلافة ونسوا عهدها فنسوا هذه الألقاب واقتصروا على اسم السلطان وكذا شأن ملوك مغراوة بالمغرب لم ينتحلوا شيئا من هذه الألقاب إلا اسم السلطان جريا على مذاهب البداوة والغضاضة ولما محى رسم الخلافة وتعطل دستها وقام بالمغرب من قبائل البربر يوسف بن كاشفين ملك لمتونة فملك العدوتين وكان من أهل الخير والاقتداء نزعت به همته إلى الدخول فى طاعة الخليفة تكميلا لمراسم دينه فخاطب المستظهر العباسى وأوفد عليه بيعته عبد الله بن العربى وابنه القاضى أبا بكر من مشيخة إشبيلية يطلبان توليته إياها على المغرب وتقليده ذلك فانقلبوا إليه بعهد الخلافة له على المغرب واستشعار زيهم فى لبوسه ورتبته وخاطبه فيه يا أمير المؤمنين تشريفا واختصاصا فاتخذها لقبا ويقال إنه كان دعى له بأمير المؤمنين من قبل أدبا مع رتبة الخلافة لما كان عليه هو وقومه المرابطون من انتحال الدين واتباع السنة.

وجاء المهدى على أثرهم داعيا إلى الحق آخذا بمذاهب الأشعرية ناعيا على أهل المغرب عدولهم عنها إلى تقليد السلف فى ترك التأويل لظواهر الشريعة وما يؤول إليه ذلك من التجسيم كما هو معروف فى مذهب الأشعرية وسمى أتباعه الموحدين تعريضا بذلك النكير وكان يرى رأى أهل البيت فى

الإمام المعصوم وأنه لا بد منه فى كل زمان يحفظ بوجوده نظام هذا العالم فسمى بالإمام لما قلناه أولا من مذهب الشيعة فى ألقاب خلفائهم وأردف بالمعصوم إشارة إلى مذهبه فى عصمة الإمام وتنزه عند اتباعه عن أمير المؤمنين أخذا بمذاهب المتقدمين من الشيعة ولما فيها من مشاركة الأغمار والولدان من أعقاب أهل الخلافة يومئذ بالمشرق ثم انتحل عبد المؤمن ولى عهده اللقب بأمير المؤمنين وجرى عليه من بعده خلفاء بنى عبد المؤمن وآل أبى حفص من بعدهم استئثارا به عمن سواهم لما دعا إليه شيخهم المهدى من ذلك وأنه صاحب الأمر وأولياؤه من بعده كذلك دون كل أحد لانتفاء عصبية قريش وتلاشيها فكان ذلك دأبهم ولما انتقض الأمر بالمغرب وانتزعه زناتة ذهب أولهم مذاهب البداوة والسذاجة وأتباع لمتونة فى انتحال اللقب بأمير المؤمنين أدبا مع رتبة الخلافة التى كانوا على طاعتها لبنى عبد المؤمن أولا ولبنى أبى حفص من بعدهم ثم نزع المتأخرون منهم إلى اللقب بأمير المؤمنين وانتحلوه لهذا العهد استبلاغا فى منازع الملك وتتميما لمذاهبه وسماته والله غالب على أمره (مقدمة ابن خلدون / ٢٢٧ - ٢٣٠).

وعن مقام الخلافة والخليفة يقول الشيخ محمد الخضرى رحمه الله:

مقام الخلافة هو مقام نيابة عن سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ فى حراسة الدين وسياسة الدنيا وكان الخلفاء الراشدون يستمدون أقوالهم وأفعالهم من كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أو سنة رسول الله ﷺ ولذلك كانت الأمة تنظر إلى الخليفة نظرها إلى رسول الله ﷺ يبذلون له الطاعة فى سرهم وعلانيتهم ممتثلين قوله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾** [النساء: ٥٩] وقوله تعالى **﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون * ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا﴾** [النحل: ٩١، ٩٢] وقوله **﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما﴾** [الفتح: ١٠] فكانوا يرون أن عصيان الخليفة مروق عن الدين وخروج عن حده ولم يكن ذلك نتيجة تكبر أو ترفع من الخلفاء. حاشا لله. بل كان أصغر الناس يقف له الخليفة حتى تقضى حاجته اقتداء برسول الله ﷺ وكان عمر يجالس الفقراء والمساكين لا يأنف فى ذلك.

هذا كان حال الأمة مع الخليفة أما الخليفة فكان لا يعتقد فى نفسه أنه أرقى درجة من الأمة قال أبو بكر فى أول خطبة له «قد وليت عليكم ولست بخيركم» ولم يكن يظن لنفسه أدنى تصرف فى أموالهم ولا دمائهم. قال رسول الله ﷺ فى خطبة الوداع «أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا» ولما أرسل خالد بن الوليد لأبى بكر هدية الفرس التى اعتادوا تقديمها لملوكهم عهدها من الجزية وأمر خالدا أن يحسبها منها ولما جاءت عمر ذخائر الأكاسرة بعد فتح العراق ردها لتباع وتقسم على الفاتحين كما أمر الله تعالى. ولما عدا جبلة ابن الأيهم الغسانى (آخر ملوك الغساسنة بالشام) على الأعرابى فلطم وجهه أبى عمر إلا القصاص وكان عمر يرسل لجميع الأمة فى الأمصار أن من آذاه وال أو أمير فليواف الموسم ليقتص له، فكان الأمراء والولاة يخشون إيذاء مسلم أو ذمى لئلا يقتص منهم على رؤوس الأشهاد فينفضحوا فكانت الأمة فى نظر الخليفة سواء لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى. قال أبو بكر فى أول خطبة له «الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له الحق، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه».

ولم يكن الخليفة يحتجب عن الرعية حتى يصعب على أحد منهم أن يكلمه فكان عمر لا يبالى أن يجلس فى المسجد أو فى السوق وكانت الرحمة للأمة ملء قلوبهم تشبها برسول الله ﷺ سماه الله الرءوف فكان أبو بكر وعمر يخرجان بالليل يتفقدان أحوال البائسين من الأمة حتى لا يكون لأحد عليهما حجة يوم لا ينفع مال ولا بنون. وكان عمر يقول: والله الذى بعث محمدا بالحق لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب - يعنى بذلك نفسه - وكان إذا ولى عاملا يقول: اللهم إنى لم أبعثهم ليأخذوا أموالهم ولا يضربوا أبشارهم، من ظلمه أميره فلا إمرة عليه دونى. وكان يحمل الدقيق على ظهره ليوصله إلى الفقراء والمساكين. روى الطبرى عن زيد بن أسلم عن أبيه قال خرجت مع عمر بن الخطاب رحمه الله إلى حرة واقم حتى إذا

كنا بصرار إذا نار تؤرث فقال يـا أسلم إنى أرى هؤلاء ركبا قصر بهم الليل والبرد انطلق بنـا فخرجنا نهرول حتى دنـونا فإذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبـة على النار وصبيانها يتضاغون، فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضوء ـ وكره أن يقول يا أصحاب النار ـ قالت : وعليك السلام، قال : أ أدنو. قالت : ادن بخيـر أو دع . فدنـا فقال مـا بالكم قـالت قصر بنـا الليل والبرد قال: فمـا بال هؤلاء الصبية يتضاغـون قالت: الجوع . قال: أىّ شىء فى هذه القدر؟

قالت: مـاء أسكتهم به حتى يناموا، الله بيننـا وبين عمر. قال: أى رحمك الله ما يـدرى عمر بكم. قالت: يتولـى أمرنا ويغفل عنا . فأقبل علىّ فقال: انطلق بنـا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلا فيـه كبة شحم فقال: احمله علىّ فقلت أحملـه عنك. قال: احمله علـىّ مرتين أو ثلاثـا. كل ذلك وأنا أقول أنا أحمله عنك. فقال فى آخر ذلك أنت تحمل عنى وزرى يـوم القيـامـة لا أُمّ لك. فحملتـه عليــه فـانطلق وانطلقت معـه نهـرول حتى انتهينـا إليهـا فألقى ذلك عنـدهـا وأخرج من الـدقيق شيئا فجعل يقول ذرى علىّ وأنـا أحرك لك وجعل ينفخ تحت القدر وكـان ذا لحية عظيمـة فجعلت أنظر إلى الدخـان من خلل لحيته حتـى أنضج أدم القدر ثم أنـزلها وقال: أبغينى شيئـا فأتته بصحفة فـأفرغها فيهـا ثم جعل يقول أطعميهم وأنا أسطح لك فلم يزل حتى شبعـوا ثم خلى عندها فضل ذلك، وقام فقمت معـه فجعلت تقول جـزاك الله خيرا، أنت أولى بهذا الأمر من أمير المـؤمنين. فيقول قولى خيرا إنك إذا جئت أميـر المـؤمنين وجدتنى هنـاك إن شـاء الله ثم تنحى عنها. ثم استقبلهـا وربض مربض السبع فجعلت أقـول له إن لك لشأنــا غيـر هــذا وهــو لا يكلمنى حتى رأيت الصبيــة يضطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدأوا. فقام وهو يحمد الله ثم أقبل علىّ وقال: يا أسلم إن الجـوع أسهرهم وأبكاهم فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم.

بقـدر مـا كـانت رحمتهم كـانت شـدتهم فى جـانب الله وحدوده لا يبالـون على من أقاموها عليه متبعين ما قـاله رسول الله ﷺ حينما سرقت المرأة المخزومية وكلموه فى أن يعفو عن قطع يدها «إنه أهلك من كـان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدهـا» وحدَّ عمر ابنه فى شراب له فمات، لم تمنعـه رقة الأبوة عـن إقامة حـد الله، وعلى العموم فكـان خُلقهم القرآن والسنـة لا ينحـرفون عنهـا يمنة ولا يسـرة ويجتهدون أن يصيبوا ما كان رسـول الله ﷺ يعمله فى أمره كله (إتمام الوفاء / ١٠٥ ـ ١٠٧).

وعن ضرورة وجـود خليفة واحـد لجميع المسلمين، وعن كيفية انعقـاد الخلافة لـه وشروطهـا جاء هذا البيـان من الأزهر الشريـف:

والمفـروض أن يكون الخليفـة واحـدا لجميع المسلمين، لكن حدث فى تـاريخ الإسلام أن قامت خلافـات متعددة فى أماكن متفـرقة. وكل دولة إسـلامية فى هذا العصر لهـا رئيسها المستقل، والواجب أن يجمعهم جميعا رئيس واحـد كالنظام المتبع فى الدول ذات الـولايات المتعددة، لتتعـاون جهودهم على الدفـاع عن كيانهم ودينهم وعلى نشر الإسـلام فى العالم كله بصورة واحدة بعيدة عن المذاهب والخلافات، وقد قامت صيحــات أخيـرة تنـادى بـذلك من أجـل مصلحـة الأمــة الإسلامية، ولتواجه تيار الاستعمـار الجارف والقوى التى تريد النيل من الإسـلام بصورة أو بأخـرى، وقـد وقفت فى طريقهـا عقبات كان من أكبرها الاستعمار الذى لا يريد للإسلام صحوة يسيطر بهـا على العالم كمـا سيطر من قبل، وكـذلك تمسك كثير من حكـام الدول الإسلاميـة باستقلال الشخصيـة وعدم التبعية بأية صورة لأى حـاكم آخر، على الرغم من دورانهم فى فلك دول أخرى لا تريـد الخير للإسلام، ونرجـو الله أن يهدينا جميعا إلى الصراط المستقيم.

إن إقـامة الحكـومـة الإسـلامية أمـر واجب، أجمع عليـه المسلمـون منذ عهـد الصحابـة، مع اختـلافهم فى كون هــذا الـوجوب عقليـا أو شرعيـا، وبصـرف النظر عن أدلـة كل من الفـريقين فإن النتيجـة هى وجـوب إقـامة إمـام يتـولى شئـون المسلمين، ولأهمية هذا الأمر شغل به المسلمون أول ما شغلوا عقب وفاة النبى ﷺ، ولم يدفنوه حتى فرغوا من اختيار أبى بكر خليفة له.

يقـول الماوردى فى كتـابه الأحكـام السلطانيـة: فإذا ثبت وجوب الإمامـة ففرضها على الكفايـة كالجهاد وطلب العلم، فإذا قام به من هو من أهلها سقـط فرضها عن الكافة، وإن لم

يقم بها أحد خرج من الناس فريقان، أحدهما أهل الاختيار حتى يختاروا إماما للأمة، والثانى أهل الإمامة حتى ينتصب أحدهم للإمامة.

والمراد أن يكون هناك ناخبون ومرشحون للإمامة، وذكر شروط الناخبين وأهمها العدالة بشروطها، والعلم الذى يعرف به من يستحق الإمامة بشروطها، والرأى والحكمة المؤديان إلى اختيار أصلح المرشحين.

والمعنى أن يكون الناخبون على مستوى خاص من الخلق والأمانة والذمة وحسن السلوك، وعلى وعى كامل بما يشترط فى المرشح، ومع الوعى والعلم لا بد من الخبرة والحكمة للموازنة بين المرشحين واختيار أصلحهم بكامل الحرية.

كما ذكر الماوردى شروط المرشحين وأهمها العدالة والعلم المؤدى إلى الاجتهاد فى النوازل، والرأى المفضى إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح.

يقول الماوردى فى الأحكام السلطانية (ص٥) فى حكم ما إذا اختل شرط العدالة فى الإمام: الجرح فى عدالته وهو الفسق ضربان، أحدهما ما تابع فيه الشهوة والثانى ما تعلق فيه بشبهة.

فأما الأول منهما فمتعلق بأفعال الجوارح وهو ارتكابه للمحظورات وإقدامه على المنكرات تحكيما للشهوة وانقيادا للهوى، فهذا فسق يمنع من انعقاد الإمامة ومن استدامتها، فإذا طرأ على من انعقدت إمامته خرج منها.

وأما الثانى فمتعلق بالاعتقاد المتأول بشبهة تعترض فيتأول لها خلاف الحق فقد اختلف العلماء فيها فذهب فريق منهم إلى أنها تمنع من انعقاد الإمامة ومن استدامتها، وقال كثير من علماء البصرة أن الفسق لا يمنع من انعقاد الإمامة ولا يخرج به منها.

هذا، وقد اشترط فى الإمام أن يكون ذكرا، للإجماع على أن المرأة لا يجوز أن تكون إماما وإن اختلفوا فى جواز كونها قاضية فيما تجوز شهادتها فيه (تفسير القرطبى ١ / ٢٧٠).

إن هذه الشروط وهذه المقاييس الموضوعة للناخبين والمرشحين كفيلة بسد الثغرات التي يشكو منها كثير من الناس عند إجراء الانتخابات أو الاستفتاءات لأى غرض وعلى أى شكل تتم، وتتلخص فى الكفاءة والنزاهة، أو العلم والخلق، ويجمعهما قول سيدنا يوسف عندما طلب أن يكون على خزائن أرض مصر ﴿**إنى حفيظ عليم**﴾ [يوسف: ٥٥] وقول ابنة الشيخ الكبير عن موسى ﴿**إن خير من استأجرت القوى الأمين**﴾ [القصص: ٢٦].

وقد اختلف فى عدد من تنعقد به الإمامة من الناخبين على مذاهب شتى، فقالت طائفة لا تنعقد إلا بجمهور أهل الحل والعقد فى كل بلد ليكون الرضاء عاما، لكن رد هذا ببيعة أبى بكر من أهل المدينة الحاضرين.

وقالت طائفة: أقل من تنعقد به منهم خمسة، أو واحد ويرضى الباقون، وذلك لانعقاد بيعة أبى بكر بعمر وأبى عبيدة وأسيد بن حضير وبشر بن سعد وسالم مولى أبى حذيفة، وتابعهم الناس، ولأن عمر جعل الشورى فى ستة ليعقد لأحدهم برضاء الخمسة، وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة.

وقال آخرون من علماء الكوفة: تنعقد بثلاثة، يتولاها أحدهم برضاء الاثنين، ليكونوا حاكما وشاهدين كالزواج.

وقالت طائفة: تنعقد بواحد، لأن العباس قال لعلى: امدد يدك أبايعك، فيقول الناس: عم رسول الله بايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان ولأنه حكم وحكم الواحد نافذ (الأحكام السلطانية / ٧٤٦).

هذا، والستة أصحاب الشورى هم: على وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله.

وإذا كان اختيار أحد من جماعة يتولى شئونهم يتطلب مواصفات معينة فى هذا النائب تتصل بالمهمة التى اختير من أجلها، فإن اختيار الخليفة أو الإمام لا بد أن يكون من جماعة ذات مستوى خاص يتناسب مع خطورة المهمة، ومن هنا كان هؤلاء هم الصفوة الممتازة من ذوى الرأى وأطلق عليهم اسم أهل الحل والعقد أى الموافقة والمخالفة عند النقاش وتبادل وجهات النظر، وعند التولية والعزل.

روى مسلم (شرح صحيح مسلم ١٢/ ٢٠٥) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: حضرت أبى حين أصيب، فأثنوا عليه وقالوا: جزاك الله خيرا، فقال: راغب وراهب، قالوا: استخلف، فقال: أتحمل أمركم حيا وميتا؟ لوددت أن حظى

منها الكفاف، لا علىّ ولا لىّ، فإن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى ــ يعنى أبا بكر ـ وإن أتركへ فقد ترككم من هو خير منى رسول الله ﷺ. قال عبد الله: فعرفت أنه حين ذكر رسول الله غير مستخلف.

قال النووى: حاصله أن المسلمين أجمعوا على أن الخليفة إذا حضرته مقدمات الموت وقبل ذلك يجوز له الاستخلاف وتركه، فإن تركه فقد اقتدى بالنبى فى هذا وإلا فقد اقتدى بأبى بكر. وأجمعوا على انعقاد الخلافة بالاستخلاف وعلى انعقادها بعقد أهل الحل والعقد لإنسان إذا لم يستخلف الخليفة، وأجمعوا على جواز جعل الخليفة الأمر شورى بين جماعة كما فعل عمر بالستة، وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة.

يقول الماوردى فى الأحكام السلطانية فى انعقاد الخلافة بالاستخلاف والعهد: وعلى الإمام أن يعهد الأحسن الناس، وأن يعقد وحده البيعة له حتى لو لم يستشر أحدا من أهل الاختيار، لكن هل يكون ظهور الرضا من أهل الاختيار شرطا فى انعقاد البيعة أو لا ؟ قال بالأول بعض علماء البصرة، والصحيح الثانى، لأن بيعة عمر لم تتوقف على رضا الصحابة، ولأن الإمام أحق بها فكان اختياره فيها أمضى وقوله فيها أنفذ (الأحكام السلطانية/ ١٠).

هذا، وقد تتم الخلافة بالغلب والقهر، أى بدون عهد وبدون ترشيح واختيار، فإن كان الخليفة مسلما وجبت طاعته فى المعروف.

صح فى الحديث أن عبد الله بن عمرو بن العاص ــ وهو صحابى جليل ـ قال لرجل سأله عن موقفه من معاوية الذى استولى على الحكم وحارب عليا وجماعته وأنفق على هذه الحروب أموال المسلمين ـ قال له: أطعه فى طاعة الله واعصه فى معصية الله ـ ولم يأمره بقتاله والخروج عليه.

وقد سئل سهل بن عبد الله التسترى عن ذلك فقال: تجيبه وتؤدى إليه ما يطالبك من حقه ولا تنكر فعاله ولا تفر منه، وقال ابن خويز منداد تتم البيعة لمن وثب على الأمر (تفسير القرطبى ١ / ٢٦٩).

وإن كان كافرا لم تنعقد إمامته لكفره، وتحرم طاعته والتعاون معه كالتتار فى الزمن الأول، والمستعمرين فى الزمن الحالى الذين يحكمون المستعمرات حكما مباشرا دون تعيين أمير أو حاكم عليهم منهم فإن عينوا واحدا من المسلمين وجبت طاعته فى المعروف.

(قال الحافظ ابن حجر فى كتابه فتح البارى ١٦ / ١١٢: وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما فى ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته فى ذلك، بل تحب مجاهدته لمن قدر عليها. وقال فى ص ٢٤١: ينعزل بالكفر إجماعا فيجب على كل مسلم القيام بذلك، فمن قوى على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعليه الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض) (بيان للناس ١ / ١٨٩ ـ ١٩٥).

بقى أن نتكلم على الزى الخاص بالخليفة (بعد الخلفاء الراشدين) وقد عقد له ل. أ. ماير فصلا جاء فيه ما يلى:

كان الخلفاء العباسيون عامة ـ ممن تولوا الخلافة فى مصر خلال الفترة من (عام ١٢٦١ ـ ١٥١٧ ميلادية) ـ يعيشون فى ظل سلاطين المماليك ولذلك لم يسترعوا انتباه فنانى القرون الوسطى الشرقيين الذين صوروا مشاهد بلاط السلاطين بدقة كما لم يسترعوا انتباه تلك الفئة من الفنانين الأوربيين الذين أتيحت لهم فرصة عمل رسومات تخطيطية لبعض حفلات الاستقبال الرسمية (انظر الصورة). وقد وضع هؤلاء الخلفاء فى أرفع مكان وأسماه، بحيث تعذر اتخاذهم نماذج للصور التى تزين الكتب الخاصة بالتدريبات العسكرية، أى كتب الفروسية ولذا لم يكن هناك ما يدعو إلى إظهارهم وحاشيتهم عند توضيح وتزيين النصوص الخاصة بتلك الكتب التى تعتبر من أحسن ما صور خلال العصر المملوكى، مثل كتاب كليلة ودمنة، ومقامات الحريرى، والجزرى، وهو كتاب فنى فى الحيل الهندسية وهكذا حرمنا من أى رسم شرقى أو غربى لملابسهم وأزيائهم، وأصبح لزاما علينا أن نكشف عنها وسط ضباب المراجع الأدبية وحسب.

وكان الخلفاء العباسيون فى مصر يواظبون على اتباع تقاليد بغداد فى لبس السواد وهو الزى الذى ظل يميز ملابسهم ويتخذ «شعارا» لأتباعهم ومن يلوذ بهم وطبقا لمنصبهم الذى كان روحيا أكثر منه زمنيا دنيويا وكانوا غالبا ما يرتدون زيهم الدينى المميز لهم. وكان غطاء الرأس عند

الخلفاء يتكون من عمامة مدورة لطيفة لها طرف (عذبة) يتدلى خلف الظهر يطلق عليه اسم الرفرف ويبلغ طوله قدمين (٦٠ سم) وعرضه قدم واحدة وهو مرسل من أعلى العمامة إلى أسفلها؛ وكانوا يرتدون ثوبا ذا أكمام ضيقة يطلق عليه اسم «القباء» ويضعون فوق ثيابهم «كاملية»ضيقة عند الكم مفرجة الذيل من خلف تبدأ من الحافة السفلى مرتفعة إلى أعلى، ولدينا مواصفات عديدة لملابسهم، وعلى الأخص تلك التى كانت تلبس أثناء حفلات تنصيبهم أو بمناسبة احتفالات رسمية أخرى. ونذكر منها على سبيل المثال: أن «الخليفة» «المستكفى بالله» شهد موقعة شقحب صحبة السلطان «محمد بن قلاوون» وهو يرتدى عمامة لها عذبة طويلة، ويتقلد سيفا محلى بالزخارف فوق كتف ردائه الأسود كما أنه فى حفل تنصيب الخليفة «المستكفى» نفسه تلقى ثوبا أسود للتشريف أى «خلعة» (انظر مادة «خلع التشريف»).وطرحة سوداء للرأس وفى أثناء تتويج السلطان «فرج بن برقوق» تلقى الخليفة «المتوكل» ثوبا أسود للتشريف (خلعة سوداء)، وعمامة سوداء مطرزة ولبس فوق رأسه طرحة سوداء مطرزة، وفى أثناء موكب عام، ركب فيه الخليفة محمد المتوكل على الله بن يعقوب فى أول شهر رمضان من عام ٩١٤هجرية ليقدم تهانيه للسلطان قانصوه الغورى بمناسبة حلول الشهر المبارك كان هذا الخليفة يرتدى «عمامة بغدادية» وهى عبارة عن عمامة صغيرة لها طرف أو طرفان مسترسلان كما أشرنا إلى ذلك من قبل. ونقرأ أحيانا أن ملابس الخليفة لم تكن كلها سوداء دائما. ونضرب مثلا لذلك، أنه فى حفل تتويج الملك المنصور أبى بكر بن محمد بن قلاوون (فى الثانى والعشرين من محرم سنة ٧٤٢ هجرية)، كان الخليفة يرتدى ثوبا أخضر للتشريف «خلعة» ويضع فوق عمامته (التى لم يذكر لونها) طرحة سوداء بها زركشة بيضاء (القلقشندى ٣ / ٢٧٦، وحسن المحاضرة للسيوطى ٢ / ٧٧): قال إن التطريز كان من الذهب. وهذا يلبس بواسطة الخلفاء العباسيين (فى مناسبات خاصة للغاية) من ألوان أخرى، ووجد الوضع نفسه فى العراق أيضا، كما حدث مثلا حينما دخل الخليفة المأمون مدينة بغداد فى الخامس عشر من صفر سنة ٢٠٤ هجرية وهو يرتدى ثيابا خضراء وأصر أن يلبس جميع أتباعه المخلصين اللون نفسه (ومع هذا فقد ألغى المرسوم بعد مضى أسبوع من تاريخ صدوره، وعادوا إلى ارتداء السواد ثانية).

وبالمثل، فى ذى الحجة سنة ٩٢٠ هجرية، ركب الخليفة عن يمين السلطان ـ عند دخول الأخير القاهرة عقب عودته من مدينة الإسكندرية ـ وكان يرتدى عمامة بغدادية وقباء من الصوف الأبيض بمقلب (بقلابة) من الصوف الأخضر، بل ووجدت مناسبات رسمية ظهر فيها الخليفة فى ثوب أكثر تواضعا، وهكذا حدث عندما بويع الخليفة المستعين بالله بالسلطنة فى دمشق، وكان مرتديا ثوبه الخاص بالتشريف، وهو عبارة عن ثوب «فوقانى» أسود لا غير، أخذ من خزانة ملابس خطيب للجمعة بمسجد قريب وفى خلال حكم السلاطين الجراكسة، حُرِّم على الخليفة ارتداء ثوب الخلافة، فكان يرتدى أحيانا ملابس الطبقة العسكرية الأرستقراطية السائدة فى عصره. فمثلا، فى سنة ٨٥٧ هجرية، فى حفل تتويج عثمان بن جقمق، خلع على الخليفة رداء من الحرير الأطلس المبرقش بزخارف من الخطوط المتموجة يطلق عليه اسم «أطلس مُتَمَّر»، وخلع فى الوقت نفسه على الأتابك، ثوبا للتشريف مماثلا، وكذلك حدث نفس الشىء فى مناسبات مختلفة لبعض الشخصيات الرسمية الأخرى من الطبقة العسكرية الرفيعة. وفى شهر شعبان من عام ٩١٤ هجرية، ظهر الخليفة يعقوب المستمسك بالله ساعة تنحيته لولده عن الخلافة بقميص من الصوف الأبيض «سلارى» مبطن بفراء «السمور»، اختير من بين ملابس السلطان نفسه وحدث خلال مناسبتين على الأقل أن أنعم على أقارب الخليفة أيضا بملابس الإمارة (الملابس المملوكية / ٢٣ـ ٢٨).

(لسان العرب لابن منظور ١٤ / ١٢٣٥، والرسالة الرشادية ـ محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٥، ٢٦، وبيان للناس من الأزهر الشريف ١ / ١٨٩ ـ ١٩٥، وابن قيم الجوزية عصره ومنهجه ـ د. عبد العظيم عبد السلام شرف الدين / ١٧، ١٨ والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٢٢، والألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٧٥ ـ ٢٧٩، ومقدمة ابن خلدون / ٢٢٧ ـ ٢٣٠، وإتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء ـ الشيخ محمد الخضرى / ١٠٥ ـ ١٠٧، والملابس المملوكية ـ ل. أ. ماير ـ ترجمة صالح الشيتى، تقديم د. عبد الرحمن فهمى محمد / ٢٣ ـ ٢٨).

انظر: الخلافة، الخلفاء، ومادة «الإمام» فى م ٦ / ٣٨ ـ ٤٢، و «الإمامة» فى م ٦ / ٤٦ ـ ٤٨، و «البيعة» فى م ٨ / ٢١٤ ـ ٢٢١).

*** ابن خليفة (٨٠١-٨٨٩ هـ):**

من شيوخ المدرسة السلامية فى بيت المقدس.

وهو الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن مسعود بن محمد بن موسى المغربى الجابرى، المقدسى، المالكى، المعروف بابن خليفة:

تولى ابن خليفة المغربى مشيخة المدرسة السلامية كما يذكر السخاوى (الضوء اللامع ٨ / ٤٤).

وكان ابن خليفة قد ولد فى بيت المقدس. سنة ٨٠١ هـ، ونشأ فيه، وتلقى تعليمه، وأخذ عن عدد من العلماء، فقد «حفظ القرآن عن الفقيه عبد الله البسكرى» (المتوفى سنة ٨٢٩ هـ) شيخ دار القرآن السلامية، ثم تلاه تجويدا على عدد من العلماء، ودرس الفقه، وخاصة المالكى منه، و حفظ غالب الرسالة فى الفقه المالكى، قرأ فيها على بعض العلماء المالكية. وسمع الحديث، وأخذ التصوف عن والده.

كل هذا قبل أن يتولى مشيخة السلامية. ولا شك أنه درس بالسلامية موضوعات فى العلوم الشرعية مثل القراءات، والفقه، والحديث، وربما درس التصوف، وأخذ عنه طالبو العلم، وكان السخاوى واحدا منهم. فقد ذكر أنه لقى ابن خليفة، وقرأ عليه فى الحديث وغيره. وأضاف السخاوى أن ابن خليفة تبرأ مما ينسب لأبيه من انتحال مقالة ابن عربى، فهل يعنى هذا أنه كان عارفا بابن عربى ومذهبه؟.

وتبوأ ابن خليفة مكانة كبيرة فى بيت المقدس، فقد ولى مشيخة المغاربة فى بيت المقدس. و مشيخة الفقراء المتسبين لأبى مدين. وتصدر بالمسجد الأقصى، وولى التوقيت فيه.

وقد استمر مشتغلا بالعلم إلى أن توفى فى بيت المقدس سنة ٨٨٩ هـ. (الضوء اللامع ٨ / ٤٤).

(المدارس فى بيت المقدس - د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ٢ / ١٤، ١٥).

*** الخليفة الأندلسى:**

حين غلب بنو العباس على الأمر بالعراق انتزع الأمويون الخلافة منهم وأقاموها بالأندلس وأول من ولى الخلافة منهم بالأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل لدخوله الأندلس فى سنة ١٣٩ هـ، ولم يتلقب بلقب من ألقاب الخلافة جريا على قاعدتهم الأولى فى الخلافة وجرى على ذلك من بعده من خلفائهم إلى أن ولى منهم عبد الرحمن بن محمد المعروف بالمقبول فتلقب بالناصر بعد أن مضى من خلافته تسع وعشرون سنة. وتبعه من بعده منهم على ذلك إلى أن ولى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن الناصر عبد الرحمن فتلقب بالمرتضى بالله، وهو أول من أضيف فى لقبه بالخلافة منهم اسم الله مجاراة لبنى العباس وذلك فى حدود سنة ٤٠٠ هـ. وبقى الأمر على ذلك فى خلفائهم إلى أن كان آخرهم هشام بن محمد فتلقب بالمعتمد بالله وانقرضت خلافتهم بالأندلس بعد ذلك بانقراضه فى سنة ٤٢٨ هـ.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١٢٢، ١٢٣ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٥ / ٤٧٨).

*** خليفة الأئمة:**

من ألقاب الشيعة، والمراد من يعتقدونه من الأئمة المعصومين كالإمامية ونحوهم، وبه يكتب لإمام الزيدية باليمن.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١٢٣ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٦ / ٤٧).

*** خليفة بن خياط (-٢٤٠ هـ / -٨٥٤م):**

أدرجه الزركلى تحت عنوان «خليفة العُصْفُرى، وقال عنه: خليفة بن خياط بن خليفة الشيبانى العصفرى البصرى، أبو عمرو، ويعرف بشباب، محدث نسابة إخبارى، صنف «التاريخ» عشرة أجزاء، طبع جزء منه، و «الطبقات» ثمانية أجزاء، طبع جزء منه، وكان مستقيم الحديث، من متيقظى رواته (الأعلام ٢ / ٣١٢).

وللدكتور أكرم ضياء العمرى كتاب بعنوان «مسند خليفة ابن خياط»، وهو أحاديث مجموعة، وجاء فى مقدمة التحقيق ما يلى:

لقد ألف خليفة بن خياط المعروف بشباب العصفرى ستة كتب هى: الطبقات، والتاريخ، وطبقات القراء، وأجزاء القرآن وأعشاره وأسباعه وآياته، وتاريخ الزمنى والعرجان والمرضى والعميان، والمسند. وقد وصل إلينا من مؤلفاته كتاباه التاريخ والطبقات حيث نشرتهما للمرة الأولى سنة ١٩٦٧ م وأعدت نشرهما بعد ذلك مرة ثانية. ومنذ أن بدأت

عملي ـ قبل أكثر من عشرين عاما ـ بتحقيق الطبقات حاولت جمع سائر الاقتباسات عن خليفة في كتب التراث المتنوعة سواء كانت في الحديث أو التراجم أو التاريخ، وبعد أن أثبت الكثير منها في حواشي الطبقات والتاريخ بقيت مجموعة طيبة من الأحاديث النبوية التي أحسب أنها من «مسند» خليفة بن خياط، ذلك المسند الذي فقد فيما يبدو منذ وقت مبكر حيث لا تشير كتب الفهارس والأثبات والمعاجيم إليه، وأقدم من أشار إليه ابن أبي حاتم الرازي (ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل مجلد ١ ق ٢ / ٣٧٨ وانظر عن نقده لمسند خليفة مقدمة تاريخ خليفة بن خياط) ثم سماه من المتأخرين إسماعيل باشا البغدادي (هدية العارفين ١ / ٣٥٠) ولعله استند إلى كلام ابن أبي حاتم، ثم لم أجد من سماه سواهما.

ونظرا لصعوبة الوقوف على أحاديث مسند خليفة، ورغبة مني في إكمال ما يمكن إكماله من مؤلفات خليفة ومادته العلمية فقد أعددت هذه الأحاديث للنشر ونظمت المسانيد على أسماء الصحابة ثم التابعين ورتبت الأسماء على حروف المعجم، ومن الواضح أن هذه الأحاديث المجموعة لا تمثل إلا قسما صغيرا من الأصل المفقود. ولكنها تعين في التعريف على الجانب الحديثي من ثقافة خليفة بن خياط، وتعرِّف ـ من خلال الأسانيد ـ بالعديد من شيوخه، والرواة عنه. ولعل بعض هؤلاء الرواة عنه ممن روى مسنده المفقود. والذي لم تسم له المصادر راويا، ولكن يبدو من المقتطفات التي أوردها الإمام البخاري في «الصحيح» و «التأريخ الكبير» و«الأدب المفرد» أنه حصل على حق رواية مسند خليفة حيث يعبر عن طريقة تحمله له بصيغ السماع.

كذلك روى عنه الدارمي مباشرة في سننه.

كما روى الطبراني في «المعجم الكبير» والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» عن خليفة بواسطة موسى بن زكريا التستري راوي التاريخ والطبقات فيبدو أنه روى المسند أيضا حيث اعتمد الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) على روايته أيضا في «المستدرك» فيذكر سنده هكذا (حدثنا أحمد بن يعقوب الثقفي ثنا موسى بن زكريا التستري) وأحيانا (أخبرني عبد الله بن محمد بن موسى ثنا محمد بن أيوب انبا خليفة).

كما روى الطبراني مرة بواسطة (الحسين بن علي العطار المصيصي) وكذلك روى الخطابي عن خليفة مرة بهذا الإسناد (حدثنا أحمد بن سلمان النجاد نا أحمد بن محمد البرتي نا خليفة).

وأما أبو نعيم الأصبهاني فيروي عن خليفة بهذين الإسنادين:

الأول: حدثنا أبو إسحاق بن حمزة ثنا أحمد بن الحسين الحذاء حدثنا خليفة.

الثاني: حدثنا سليمان بن أحمد قال ثنا عبدان بن أحمد قال ثنا خليفة. ومن طريق عبدان هذا يروي أبو الشيخ الأنصاري في «الأمثال» أيضا والواقع أنه يصعب القطع بأن هؤلاء الرواة عن خليفة جميعهم قد رووا مسنده، ولكن يغلب على الظن أن موسى بن زكريا التستري هو أحد رواة المسند، كما يغلب على الظن أن الإمام البخاري روى مسند خليفة.

وبالطبع فإنه لا يمكن معرفة عدد أحاديث المسند، ولا عدد الصحابة والتابعين الذين خرَّج لهم فيه، ولكن يتضح من المقتطفات أنه يخرج أحاديث كثيرة للمكثرين من الصحابة، فقد حوت المقتطفات أربعة عشر حديثا من مسند أنس بن مالك، وستة أحاديث من مسند أبي هريرة وأربعة أحاديث من مسند جابر بن عبد الله، في حين احتوت على حديث واحد في معظم المسانيد. ويبلغ عدد مسانيد الصحابة التي تضمها المقتطفات خمسة وأربعين مسندا للصحابة وعشرة مسانيد للتابعين فمجموعها خمسة وخمسون مسندا.

ومن حيث درجة الأحاديث فإنها مثل سائر كتب المسانيد تشتمل على الصحيح والحسن والضعيف، ومعظم الأحاديث متصلة مرفوعة ومنها أربعة فقط مرسلة.

ورغم مكانة خليفة العلمية وغزارة أحاديثه فلم يخرج له أحد من أصحاب الكتاب الستة سوى البخاري الذي غالبا ما يروي عنه في المتابعات وتمتاز أحاديث خليفة بعلو الأسانيد إذا ليس بينه وبين النبي ﷺ في أغلبها سوى أربعة من الرواة.

(الأعلام للزركلي ٢ / ٣١٢، ومسند خليفة بن خياط ـ د. أكرم ضياء العمري / ٧ ـ ١١).

*** الخليفة (حي ـ):**

حي الخليفة جزء من منطقة القلعة وبه مسجد الإمام الشافعي الذين بناه صلاح الدين الأيوبي أيام بناء القلعة، ولقد

دفن الإمام الشافعى فيه وأعيد بناؤه أكثر من مرة، وبجواره المدرسة الصالحية لتدريس مذهب الإمام الشافعى.

وهناك مسجد الإمام الليثى، وهو مسجد شهير للفقيه المصرى وأعمدته من الرخام الجميل وهناك نقوش إسلامية على الخشب فى أروقة المسجد، وبه قبر الإمام به مقصورة خشبية مطعمة بالصدف. وبجوارها لوحة رخامية كتب عليها آية الكرسى وهى تحفة فريدة.

وهناك، وفى الجنوب من حى الخليفة ... يوجد مسجد السيدة نفيسة حفيدة سيدنا على بن أبى طالب، وهو تحفة معمارية على الطراز الإسلامى الفريد، ويتميز بالنقش على القيشانى ذى الألوان والرسوم البديعة وقد جدد أكثر من مرة.

وقد اشتهرت منطقة السيدة نفيسة بسوق أثرية هى سوق الحمام حيث كانت تتم فيه عمليات بيع وشراء الحمام الزاجل.

وبين ميدان القلعة وجامع أحمد بن طولون يوجد شارع تاريخى هو شارع الصليبية، ويوجد به سبيل أم عباس «أم الخديوى عباس» الذى أصبح مدرسة.

وبالمنطقة أحياء كثيرة مثل حى التونسى والسيدة عائشة ... ويوجد بها ضريح مصطفى كامل زعيم مصر الوطنى الذى وهب حياته وشبابه فداء لمصر، ونقل جثمان الزعيم محمد فريد إلى جوار رفيق نضاله ودفن بجوارهما مؤرخ مصر العظيم عبد الرحمن الرافعى.

إن منطقة القلعة ... منطقة عامرة بالحياة والناس وفيها تشم الرائحة العطرة لتاريخ مصر القديم.

(موسوعة محافظات مصر : القاهرة، الجيزة وزارة الإعلام، الهيئة العامة للاستعلامات / ١٣).

*** أبى خليفة (خزانة -):**

خزانة كتب أبى خليفة فى البصرة: صاحب هذه الخزانة، من أهل المائة الرابعة للهجرة. وقد جمع كتبها فى داره فى البصرة. وليس لدينا من أخبار خزانته سوى ذكر خفيف لها فى حكاية ساقها التنوخى فى نشواره، على لسان أبى على الحسن ابن سهل بن عبد الله الإيذجى، قال: «وحدثنى صديق لأبى وعمى، أيام وفدا إلى كور الأهواز فى فتنة الزنج، فلما قدمت إلى البصرة قدمتها مع أبى، فأنزلنا أبو خليفة داره وأكرمنا، ومكننى من كتبه. فكنت أقرأ عليه كلما أريد وأسمع كيف شئت وأحب، وأكتب وأنسخ لنفسى أصوله. فإذا كان الليل جلسنا وتحادثنا، فربما رمت القراءة فيجيبنى، فإذا أضجرته بكثرة القراءة عليه يقول: يابنى روحنى. فأقطع القراءة. وإذا استراح أخرج من كمه دفترا فى ورق أصغر من الورق العتيق، فيقول اقرأ علىَّ هذا فإنه خطى وما تقرأه على فهو غير خطى، فكنت أقرأ عليه منه، وكان فيه ديوان عمران بن حطان ...»

(نشوار المحاضرة للتنوخى ٢ / ١٦٦).

(خزائن الكتب القديمة فى العراق - كوركيس عواد / ٢٢٦).

*** الخليفى (- ١١٢٧ هـ):**

قال عنه الجبرتى:

الإمام العلامة الشهير الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد ابن عطية بن عامر بن نوار بن أبى الخير الموساوى الشهير بالخليفى الضرير أصله من الشرق، وقدم جده أبو الخير وكان صالحا معتقدا وأقام بمنية موسى من أعمال المنوفية فحصل له بها الإقبال ورزق الذرية الصالحة واستمروا بها، وولد الشيخ بها ونشأ بها وحفظ القرآن ثم ارتحل إلى القاهرة واشتغل بالعلوم على فضلاء عصره فتفقه على الشمس العنانى والشيخ منصور الطوخى وهو الذى سماه بالخليفة لما ثقل عليه نسبة الموسوى، فسأله عن أشهر أهل بلده فقال: أشهرها من أولياء الله تعالى سيدى عثمان الخليفى، فنسبه إليه، ولازم الشهاب البشبيشى وأخذ عنه فنونا وحضر دروس الشهاب السندوبى والشمس الشرنبابلى وغيرهما وأجازه الشيخ العجمى واجتهد وبرع وحصل وأتقن وتفنن وكان محدثا فقيها أصوليا نحويا بيانيا متكلما عروضيا منطقيا آية فى الذكاء وحسن التعبير مع البشاشة وسعة الصدر وعدم الملل والسآمة وحلاوة المنطق وعذوبة الألفاظ، انتفع به كثير من المشايخ. توفى فى عصر يوم الأربعاء خامس عشر صفر ودفن صبيحة يوم الخميس سادس عشرة بالمجاورين سنة سبع وعشرين ومائة وألف عن ست وستين سنة.

(عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرتى ١ / ١٢٨).

* **خليل (ـ ٧٦٠):**

قال عنه ابن الخطيب الشهير بابن قنفذ، وقد ذكره في وفيات سنة ٧٦٠ هـ:

وفي سنة ستين وسبعمائة توفى الشيخ خليل إمام حرم مكة محمد بن عبد الرحمن المالكي المحدث المفتى فى مسائل الحج وغيره اهـ.

وهو خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر المالقى ثم المكى، اسمه محمد واشتهر بخليل، فقيه مالكى، أصله من مالقة بالأندلس. ولى الإفتاء بمكة. ذكره التنبكتى وقال: قال الشيخ خالد البلوى فى رحلته: «هو من أعظم من لقيته بمكة قدرا وأرفعهم خطرا، وأشرفهم مكانة وذكرا، استفدت من المناسك تفقها ومعاينة فانتفعت به أعظم انتفاع وسمعت عليه وأجازنى عامة» وذكره أبو محمد عبد الله بن فرحون فى كتابه «تاريخ المدينة» وأثنى عليه وقال: «توفى ليلة الإثنين لعشر بقين من شوال سنة ست وسبعمائة».

(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى ـ تحقيق عادل نويهض / ٣٥٨، ٣٥٩ وهامش ٣ للمحقق).

* **الخليل:**

قال الإمام النووى فى مادة «خلل»:

تكرر فى الأحاديث فى المهذب ذكر الخليل فى حديث «هذا وضوئى ووضوء خليلى إبراهيم» وقوله «أوصانى خليلى بثلاث» قال الإمام أبو الحسن الواحدى فى قول الله عز وجل **﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾** [النساء: ١٢٥] قال أبو بكر بن الأنبارى الخليل معناه المحب الكامل المحبة والمحبوب الموفى بحقيقة المحبة اللذان ليس فى حبهما نقص ولا خلل قال فتأويل قول الله تعالى **﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾** اتخذ الله إبراهيم محبا له خالص الحب ومحبوبا له وشرفه بلزوم هذا الاسم له الذى لا يستحق مثله إلا أنبياؤه ومن شرفه الله تعالى ورفع قدره قال ابن الأنبارى وقال بعض أهل العلم معناه واتخذ الله إبراهيم فقيرا إليه لا يجعل فقره وفاقته إلى غيره ولا ينزل حوائجه بسواه فالخليل على هذا القول فعيل من الخلة بمعنى الفقير ونحو هذا هذا قال الزجاج الخليل المحب الذى ليس فى محبته خلل فجائز أن يكون إبراهيم سمى خليلا لأنه الذى أحبه الله تعالى محبة تامة وأحب الله هو محبة تامة قال وقيل الخليل الفقير قال الواحدى فهذان القولان ذكرهما جميع أهل المعانى. والاختيار هو الأول لأن الله عز وجل خليل إبراهيم وإبراهيم خليل الله عز وجل ولا يجوز أن يقال الله تعالى خليل إبراهيم من الخلة التى هى الحاجة هذا آخر كلام الواحدى. وقال القاضى عياض رحمه الله تعالى: أصل الخلة الاختصاص والاستصفاء. وقيل أصلها الانقطاع إلى من خاللت. وقيل الخلة صفاء المودة وقيل هى المحبة والألطاف.

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٣ / ٧ ـ ٩).

* **ابن خليل (٩١٣ هـ):**

ذكره الشيخ نجم الدين الغزى فى الطبقة الأولى من المائة العاشرة وقال عنه:

أحمد بن أحمد بن خليل: أحمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن خليل الشيخ العلامة شهاب الدين أبو العباس الحاضرى الأصل الحلبى الحنفى عرف بابن خليل، أخذ عن الحافظ برهان الدين الحلبى سبط ابن العجمى وكان يفتى بحلب ويعظ بجامعها وكان وعظه نافعا يكاد يغيب لفرط خشوعه وكان ديِّنا خيِّرا تلمذ له شيخ الشيوخ بحلب الموفق بن أبى ذر المحدث قال ابن الحنبلى وأخبرنى أنه كان يتمثل بقول القائل:

وكان فؤادى خاليا قبل حبكم
وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبى هواك أجبته
فلست أرى قلبى لغيرك يصلح

توفى سنة ثلاث عشرة وتسعمائة بحلب وتأسف الناس عليه رحمه الله تعالى.

(الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزى ـ حققه وضبط نصه د. جبرائيل سليمان جبور ١ / ١٣٠، ١٣١).

* **أبو خليل (إبراهيم) (نحو ١٢٩٠ـ١٣٧٦ هـ / ١٨٧٣ـ١٩٥٦ م):**

الأستاذ الجليل الشيخ إبراهيم أبو خليل من أعلام الصوفية بالزقازيق، انتقلت إليه شياخة الطريقة الخليلية بعد وفاة والده سيدى الحاج محمد أبى خليل مؤسس الطريقة نشأ الشيخ

إبراهيم أبو خليل فى بيت تتلى فيه آيات الله والحكمة، أقام قواعده والده العارف بالله «سيدى الحاج محمد أبو خليل» مؤسس الطريقة الخليلية والذى ينتهى نسبه إلى الدوحة النبوية المباركة فهو من أبوين شريفين فمن جهة أبيه ينتهى نسبه الشريف إلى سيد الشهداء الإمام أبى عبد الله الحسين ومن جهة والدته ينتهى نسبه إلى إمام الزهاد الإمام الحسن رضى الله عنهما وإليه يرجع كل الفضل فيما أفاء الله سبحانه وتعالى على نجله «الشيخ إبراهيم أبى خليل» من عطاءات وفيوضات ربانية تليق بنسبه الطاهر الشريف، فقد كان والده رحمه الله هو معلمه الذى لقنه من التصوف دروس العلم والحكمة.

وكان والده كذلك حريصا على أن يرى فى ابنه المعلم الصوفى والإمام والقدوة للمتقين من أجل ذلك كان الشيخ «إبراهيم أبو خليل» عند حسن ظن والده فيه ـ إماما ومعلما صوفيا وشيخا للطريقة الخليلية خلفا لوالده جمع أبناءها جميعهم على أوراد دينية واحدة ألهمه إياها الحق سبحانه وتعالى كما وضع لهم من الوصايا والعظات والحكم المأثورة استخلاصا من كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ ما ينير لهم طريق السير ويملأ قلوبهم بالإيمان الحق بالله ورسوله.

ولد الشيخ إبراهيم أبو خليل بمدينة الزقازيق فى عام ١٨٧٣ م. وتربى فى كنف والده رحمه الله على الصلاح والتقوى وحفظ القرآن الكريم فى صغره وأجاد قراءته وكان إذا قرأ بكى وأبكى.

ثم سلك طريق الصوفية وأخذ العهد على والده رحمه الله، فاستمد من روحه آيات بينات وعطايا عاليات جعلت منه إنسانا مثاليا فى معاملاته وسلوكه بين الناس أمينا وفيا طاهرا نقيا فأحبوه وتعلقت قلوبهم به وقد عهد إليه والده بأموره الدنيوية فاشتغل بالتجارة ردحا من الزمن ثم اختار عند ربه تجارة لن تبور وعكف على العبادة بصدق وجد حتى تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه.

ولما انتقل والده رحمه الله إلى الرفيق الأعلى خلفه شيخا للطريقة الخليلية فجاهد وكافح طويلا فى سبيل نشر دعوة الطريق إلى الله سبحانه وتعالى فهدى الله سبحانه على يديه



الشيخ إبراهيم أبو خليل

إلى الإيمان الحق قلوبا غلفا ونفوسا قد استحوذ عليها الشيطان فأنساها ذكر الله تعالى.

فقد كان من طراز من الرجال فريد من الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا، طبيعته التى فطر عليها تسليم وانكسار وخشية عظمى من الحق تبارك وتعالى، وكانت بساطته رحمه الله أهم عناصر عظمته، كما كان قلبه الكبير الذى يمتلىء شفقة ورحمة أهم مميزات صفاته.

وقد صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها سبحانه وتعالى عام ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٦م. ودفن فى المسجد المسمى باسم والده بالزقازيق رضى الله عنهما ونفع الجميع بمأثوراته وعطاءاته الربانية.

وخلفه فى رسالته الصوفية نجله الشيخ محمود إبراهيم أبو خليل الذى كان ينيبه عنه والده فى حضور المجالس والندوات الدينية التى كان يقيمها أتباع الطريقة، ثم أشرف على شئون الطريقة عندما اختلى والده فى أخريات حياته سبع سنوات للتفرغ لعبادة الحق سبحانه وتعالى.

وكانت جهوده الموفقة، رحمه الله، فى العمل على دعم الطريقة ونشر دعوتها سببا فى أن منحته مشيخة الطرق الصوفية سجادة خليلية، وهذا فى المفهوم الصوفى لا يكون إلا للطريقة التى ظهر دورها فى الهدى الدينى والإصلاح

الاجتماعي وصار لها كيان مستقل بمناهجها الشرعية.

ولما توفي الشيخ محمود إبراهيم أبو خليل في عام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨ م دفن إلى جوار والده الشيخ إبراهيم أبي خليل، بمسجد الشيخ أبي خليل، وخلفه ابنه الشيخ محمد محمود إبراهيم شيخا للسجادة العامة للطريقة الخليلية بقرار من المجلس الأعلى للطرق الصوفية رقم ٨٨ / ٥ بتاريخ ٢٠ / ١٢ / ١٩٨٨ بالجلسة رقم ١١.

وقد ورد في كتاب «الإشراقات الصوفية الإبراهيمية في الطريقة الخليلية» (ص ٥٤٣) سلسلة نسب الشيخ أبي خليل رحمه الله بها تسعة وعشرون اسما حتى مولانا الحسين بن علي كرم الله وجهه من السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، بنت رسول الله ﷺ.

وللشيخ إبراهيم أبي خليل رحمه الله عدد من المؤلفات، أو ما يمكن أن يسمى «فيوضات» بعضها نظم وبعضها الآخر أدعية وصلوات، وكلها مما يتعبد به أتباع الطريقة الخليلية في مجالسهم الدينية ليلا. وبيانها كما يلي: كتاب «الفتح الأسنى» في نظم أسماء الله الحسن منظومة.

كتاب «الكنز الثمين» في الصلاة على سيد المرسلين.

كتاب «الوسيلة» منظومة.

كتاب «الشفاعة» منظومة.

كتاب «الفاتحة ودعاؤها» - الإخلاص بالدعاء»

كتاب «الحصن الحصين بدعاء يس»

كتاب «الأسرار النافعة بدعاء الواقعة» - «سر الفتاح بدعاء سورة الانشراح».

كتاب «السر المسطور في حروف النور».

كتاب «الرياضة الروحية».

كتاب «البيان في مولد مَن خُلُقه القرآن». وهو نثر يتخلله نظم.

كتاب «السعادة» منظومة، وهي من المدائح النبوية.

وننقل لك فيما يلي منظومة «الفتح الأسنى في نظم أسماء الله الحسنى» نستكمل بها مادة «أسماء الله الحسنى» التي أوردناها في م ٤ / ٤٧١ - ٤٨١. قال الإمام الشيخ إبراهيم أبو خليل رحمه الله:

بدأت ببسم الله والحمد مثنيا
على المصطفى خير الأنام مصليا
شفيعي لذنبي يوم لا ذو شفاعة
سواه مجابا حين يسأل راضيا
عليه صلاة الله ثم سلامه
وآل وأصحاب ومن جاء تاليما
توسلت بالهادي إلى الله راجيا
رضا منك يا رحمن فاقبل رجائيا
وأنت «رحيم» صاحب المن والعطا
«مليك» البرايا فاستجب لي دعائيا
وقدِّس أيا قدوس نفسي عن الهوى
ليسلم قلبي يا «سلام» من الريا
ويا «مؤمن» هب لي أمانا وعصمة
من الخلق وارفع يا «مهيمن» ذكريا
دعوت وجاهي يا «عزيز» تذلُّلي
إليك ويا «جبار» فاجبر لكسريا
تجليت يا ذا الكبرياء بعزة
قصمت بها من كان في الأرض عاتيا
فمزق بقهر منك يا «متكبر»
عدوي ويا «خلاَّق» حسِّن خلاقيا
ويا «باريء» اجعلني على خير حالة
بحقك وارفع يا «مصور» قدريا
بفضلك يا «غفار» جد لي برحمة
وبالحفظ يا «قهار» كن لي منجيا
وهب لي أيا وهاب كل فضيلة
بسر اسمك «الرزاق» أجزل عطائيا
وبالفتح يا «فتاح» جُد لي بمنة
فأنت رجائي يا «عليم» وحسبيا

ويا «قابض» اقبض روح كل معاند
ويا «باسط» النعماء فابسط لرزقيا

ويا «خافض» اخفض من يريد مذلتي
ويا «رافع» ارفعني بعز وكن ليا

معز أنلني منك عزا وهيبة
وطوّق عدوي يا «مذل» الدواهيا

«سميع» الدعا طهر لساني ونجني
من الفحش واستر يا «بصير» عيوبيا

ويا «حكم» أروى قضاؤك غلتي
ويا «عدل» بالحسنى أقلت عثاريا

«لطيف» بحالي أنت فارحم تضرعي
«خبير» فكن للسر والجهر راعيا

«حليم» «عظيم» تُمهل العبد رحمة
ليدنو بالطاعات من كان نائيا

«غفور» كثير الصفح ربي فخصني
بفضلك واقبل يا «شكور» ثنائيا

«عليٌّ» فحطم من أتى متعاليا
علي وشرف يا «كبير» مقاميا

وأنعم بحفظ يا «حفيظ» من العدا
وغذ لقلبي يا «مقيت» وروحيا

وجرد فؤادي يا «حسيب» من السوى
وأعظم مقامي يا «جليل» وجاهيا

«كريم» فما جود لغيرك ينتمي
«رقيب» فأصلح يا إلهي حاليا

«مجيب» فحاشا أن يخيب من التجا
إليك فيسر «واسع» الجود رزقيا

«حكيم» «ودود» فاشفني وتولني
لتجذب بالنعمى إليك فؤاديا

«مجيد» فألبسني من المجد حُلة
تشرفني يا «باعث» يوم بعثيا

«شهيد» فأشهدني رضاك ألذ به
ويا «حق» ثبتني على الحق هاديا

وأنت «وكيل» من توكل مؤمنا
كفيت فساند يا «قوي» لضعفيا

«متين» فمتّني بأيد وقوة
وهيئ لرشد يا «ولي» أموريا

«حميد» فسبح يا فؤادي بحمده
ويا «محصي» الأنفاس كن لي مزكيا

ويا «مبدئٌ» أنت «المعيد» بقدرة
شهدت فأكرم يا إلهي معاديا

بما لاسمك «المحيي» من السر أحيني
سعيدا وجندل يا «مميت» عدويا

ويا «حي» ... أذهب موت قلبي فلم أزل
بذكرك يا «قيوم» ما دمت شاديا

ويا «واجد» وجِّه ليَ الخير أينما
حللت وهب يا «ماجد» لي ترقيا

ويا «واحد» حسبي رضاك فجد به
ويا «صمد» كن للحوائج قاضيا

ويا «قادر» عجزي عن السير عاقني
و «مقتدر» إن لا تغثني فمن ليا

«مقدم» ألحقني بقوم جليسهم
سعيد وراجيهم ينال الأمانيا

«مؤخر» فاغفر لي تقاعس همتي
عن المقصد الأسمى وهب لي المعاليا

ويا «أول»! مُبدٍ بغير بداية
إلى السابقين الغرِّ أرجو انتسابيا

ويا «آخر» اجعل لي اقتداء وأسوة
بخاتم رسل الله واقبل متابيا

ويا «ظاهر» اجعل سر جودك ظاهرا
عليَّ وهَبْ يا «باطن» لي تجليا

تبـــاركـت مـــا «وال» ســـواك وإننـى
علـى العهــد مـا أوليت يـا «متعــاليـا»
ويـا «بـر» يـا «تـواب» هـب لـى هـدايـة
وتـب وتقبل يـــا إلهى دعـــائيـــا
وخـــذ بيــدى واشـــدد إليك عـــزائمى
فـــلا حـــول لـى وارفع بتقـــواك شأنيـا
«أمنتقمـــا» خـــذ لـى بثأرى فليس لـى
ســواك عفـــوا فــامـح بـالعفـــو ذنبيـا
«رءوف» فـأنــــزل من عـــلاك سكينــة
علىَّ وشـــرف «مــالك الملك» قـــدريـا
ويـــا «ذا الجـــلال» المستعين بك اكتفى
بإكـــرامك المشهـــود فـاسمح بـه ليـا
ويـــا «مقسط» اجعلنى بنــورك مقسطـا
ويـــا «جـامع» وجـه لـــذاتك وجهيـا
«غنـى» أتينـــا معتفين فكـن لنـــا
بســـر اسمك «المغنى» كفيـــلا وكـــافيـا
ويـــا «مـــانع» امنعنى من الغى واحمنى
ويـا «ضـار» فـاجعلنى من الضـر نـاجيـا
ويـــا «نـــافع» انفعنى بمـــا أنت أهلـــه
وهب لـى التقى والمكــرمـات الغــواليـا
ويـــا «نـــور» لم يـدرك صفـــاتك واصف
ســـواك ومـــا ضل الـــذى كنت «هـــاديـا»
ويـــا «مبـدع» الأكــوان إبـــداع قـــدرة
شـــواهـــد أن لا غيـــر وجهك «بــاقيـا»
سـألتك نـــورا للبصيـــرة والحجـــا
وســرى وجهـــرى ثم قـــولـى وفعليـا
ويـــا «وارث» أنت الـــرشيـــد فأولنـى
رضـــاك وجـــرد من ســـواك فـــؤاديـا
وأنت «صبـــور» يـــا إلهى فكن بنـــا
رءوفـــا رحيمـــا ثم أحسن ختـــاميـا

وتنتهى المنظومة بالدعاء للإخوان وللناظم وأبيه رحمها الله.

وفى منظومة «الوسيلة» يذكر الشيخ أبو خليل رحمه الله رسول الله ﷺ، وأهل العباءة، والسيدة زينب، والسيدة سكينة، والسيدة فاطمة النبوية، والسيدة رقية، وزين العابدين، والسيدة نفيسة، وأهل بدر، والأئمة الأربعة أبا حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل، وابن السعد، كما يذكر من أقطاب التصوف السيد أحمد البدوى، ووالد الناظم الشيخ محمد أبا خليل، والشاذلى، وإبراهيم الدسوقى، والرفاعى وغيرهم.

وأما منظومة «الشفاعة» فيقسمها الشيخ أبو خليل رحمه الله إلى أبواب: الباب الأول فى الوجد والغرام (وهو وجد الصوفية). والباب الثانى فى مدح رسول الله ﷺ، والباب الثالث فى مولده ﷺ، والباب الرابع فى معجزاته ﷺ، والباب الخامس فى فضل القرآن، والباب السادس فى الإسراء، والباب السابع فى الجهاد.

وأما منظومة «السعادة» فهى من المدائح النبوية.

وفيما يلى بيان بأوراد الطريقة الخليلية:

١ ـ أن يذكر الله عز وجل بالأسماء الآتية: مع ملاحظة المعنى قدر الطاقة، وتلاوة كل اسم مائة ألف مرة، ولا يُحسب العدد إلا ليلا.

وهاهى الأسماء التى يذكر بها الله تعالى ليلا، كل اسم مائة ألف مرة.

الاسم	معناه	الاسم	معناه	الاسم	معناه
١ ـ لا إله إلا الله	لا معبود بحق إلا الله	٢ ـ الله	علم على الذات العلية	٣ ـ هـــو	حاضر لا يغيب
٤ ـ حـــى	دائم الحيـــاة	٥ ـ واحـــد	لا ثـــانى له	٦ ـ عزيـــز	لا نظير له
٧ ـ ودود	كثير الود لعباده	٨ ـ حـــق	ثابت لا يتغيـــر	٩ ـ قهـــار	يَقهر ولا يُقهر
١٠ ـ قيـــوم	قائم بأسباب مخلوقاته	١١ ـ وهّـاب	كثير العطـــاء	١٢ ـ مهيمن	مطلع على أفعال مخلوقاته
	١٣ ـ باســـط	يبســـط الرزق لمن يشـــاء من عباده			

٢ ـ وأن يصلى على النبى ﷺ قدر الطاقة نهارا بالصيغة الآتية: «اللهم صلِّ على سيدنا محمد عدد ما فى علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله» .

والصيغة الآتية تقرأ بعد كل صلاة ثلاث مرات: اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه عدد حروف القرآن حرفا حرفا وعدد كل حرف ألفا ألفا، وعدد صفوف الملائكة صفا صفا وعدد كل صف ألفا ألفا وعدد الرمال ذرة ذرة، وعدد كل ذرة ألف ألف مرة عدد ما أحاط به علمك وجرى به قلمك ونفذ به حكمك فى بَرِّك وبحرك وسائر خلقك. عدد ما أحاط به علمك القديم من الواجب والجائز والمستحيل. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه مثل ذلك .

والصيغ الآتية يقرأ كل منها نهارا مائة مرة أستغفر الله العظيم التواب الرحيم. اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم لا إله إلا الله الملك الحق المبين سيدنا محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين.

(الإشراقات الصوفية الإبراهيمية فى الطريقة الخليلية. مجموعة كتب العارف بالله الشيخ إبراهيم أبى خليل. عنيت بنشره مشيخة السجادة العامة للطريقة الخليلية. الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ / ٥ ـ ٧، ١٢، ١٣، وما بعدها والرياضة الروحية للإمام الجليل سيدى الشيخ إبراهيم أبى خليل. مطبعة دار التأليف الطبعة السادسة ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩ م / ١٠٣).

*** خليل أغا (سبيل):**

قال عنه على مبارك كما كان فى زمانه:

هو بجوار مشهد الإمام الشافعى. أنشأه خليل أغا باش أغوات والدة الخديوى إسماعيل فى سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف، وجعل بجواره مدفنا وبستانا نضرا وعدة مساكن وشعائره مقامة من طرفه.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ١٧١).

*** خليل أغا مستحفظان ـ(سبيل ـ) (١٠١٨ هـ):**

قال عنه على مبارك كما كان فى زمانه:

هو بشارع المغربلين أنشأه خليل أغا مستحفظان، وأنشأ فوقه مكتبا لتعليم القرآن العظيم، وذلك فى سنة ثمانى عشرة بعد الألف وهما عامران إلى الآن، ويصرف عليهما من ريع وقفهما بمعرفة الديوان.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ١٧١).

*** خليل أفندى المقاطعجى (سبيل وكتاب ـ) ١٠٤٢ هـ / ١٦٣٢ م، أثر ٧١:**

يصفه الدكتور محمود حامد الحسينى بقوله:

يقع بحارة الكعكيين ويشغل حاليا ناصية عطفة السلارى وتقاطعها مع شارع الدردير، وهو سبيل مستقل ويعلوه كتاب، كما يحتوى على شباكين للتسبيل. والكتاب حاليا فى حالة سيئة وتهدم جزء من واجهته الشمالية الشرقية.

وقد استطعت قراءة نصين تأسيسيين لهذا السبيل ورد بكل منهما اسم المنشىء وتاريخ الإنشاء.

النص الأول: بأعلى الشباك البحرى وهو عبارة عن لوحة تأسيسية من سطرين مضمونها كالآتى:

﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾ إلى ﴿مشكورًا﴾ أنشأ هذا السبيل المبارك الأمير خليل أفندى سنة ألف اثنين وأربعين» .

وأما الثانى: بإزار السقف بحجرة التسبيل فهو:

﴿إن الأبرار يشربون﴾ إلى ﴿وأسيرا﴾ أنشأ هذا المكان المبارك من فضل الله تعالى الجناب الكريم العالى خليل أفندى من أمراء الجراكسة أعزه الله تعالى وأبقاه وجعل الجنة مثواه بمحمد وآله فى شهر رجب المبارك من شهور سنة اثنين [اثنتين] وأربعين بعد الألف من الهجرة» .

ويفهم من النصين السابقين أن المنشىء هو خليل أفندى من أمراء الجراكسة وتاريخ الإنشاء هو ١٠٤٢ هجرية .

ويحتوى السبيل فى واجهته البحرية على باب الدخول يجاوره شباك التسبيل الذى يعلوه عتب مستقيم وعقد عاتق بينهما نفيس مغطى ببلاطات خزفية (قاشانى) يعلو ذلك اللوحة التأسيسية السالفة الذكر، كما توجد على جانبى العتب والعقد العاتق حشوات بها زخارف نباتية وزجزاجية فى الحجر.

وبالواجهة الجنوبية الشرقية شباك للتسبيل سُد حاليا إلى منتصفه نتيجة لضياع تغشيته النحاسية فى الجزء السفلى منه .

ومما يلاحظ على هاتين الواجهتين أن المعمار قد اهتم بالأولى وجعل فوقها واجهة للكتّاب عبارة عن بائكة من عقدين على عمود أوسط، ولم يعط للثانية اهتماما خاصة فى جزئها

العلوى الخاص بالكتاب فتركها مصمتة على الرغم من أنها واجهة حرة على حارة جانبية وتفتح عليها بشباك للتسبيل .

أما عن تكوين السبيل من الداخل فعبارة عن مدخل فى الواجهة البحرية يؤدى إلى دهليز مستطيل يفتح يسارا بباب على حجرة التسبيل وهى حجرة مستطيلة الشكل تحتوى على دخلتين مستطيلتين بهما شباكا التسبيل وبصدرها دخلة الشاذروان.

والسبيل يشبه فى ذلك تخطيط سبيل إبراهيم بك المناسترلى (أثر ٥٠٨، وقد أوردناه فى م ٢ / ١٠٩، ١١٠ فانظره فى موضعه) ومن حسن الحظ فإن سقف حجرة التسبيل ما زال فى حالة جيدة من الحفظ وهو من الخشب المنقوش بالذهب والألوان ويشبه فى زخارفه سقف سبيل الست صالحة . يرتكز هذا السقف على إذار خشبى يحتوى على آية قرآنية ، وكتابات تأسيسية سبق ذكرها .

(الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة - د. محمود حامد الحسنى / ١٤٧ - ١٤٨).

* **خليل البكرى (السيد -) (- ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٩ م):**

ترجم له على مبارك فى خططه عند الكلام على شارع البكرى التى بها دار السيد خليل البكرى فقال :

والدار التى جددها السيد خليل البكرى، وكانت بجوار دار الست خاتون المذكورة، وهو - كما فى الجبرتى - الأجل المبجل، السيد خليل البكرى الصديق والدته من ذرية شمس الدين الحنفى، وأخوه السيد أحمد الصديقى، الذى كان متوليا على سجادتهم، ولما مات السيد أحمد لم يتولها المترجَم، لما فيه من الرعونة، وارتكابه أمورا غير لائقة، بل تولاها ابن عمه السيد محمد أفندى مضافة لنقابة الأشراف، فتنازع مع ابن عمه المذكور، وقسموا بيتهم الذى بالأزبكية نصفين، وعمَّر منابه (أى نصيبه) عمارة متقنة، وزخرفه، وأنشأ فيه بستانا زرع فيه أصناف الأشجار، ثم لما توفى السيد محمد أفندى تولى المترجم مشيخة السجادة، وتولى نقابة الأشراف السيد عمر مكرم الأسيوطى، فلما طرق البلاد الفرنساوية تدخل المترجَم فيهم، وخرج السيد عمر مع من خرج هاربا من الفرنساوية إلى بلاد الشام، وعرف المترجم الفرنساوية أن النقابة كانت لبيتهم، وأنهم غصبوها منه، فقلدوه إياها، واستولى على وقفها وإيرادها، وانفرد بسكن البيت، وصار له قبول عند الفرنساوية، وجعلوه من أعاظم رؤساء الديوان الذى نظموه لإجراء الأحكام بين المسلمين، فكان وافر الحرمة، مقبول الشفاعة عندهم، وازدحم بيته بالدعاوى والشكاوى، واجتمع عنده كثير من مماليك الأمراء المصرية الذين كانوا خائفين، وعدة خدم وقواسة، ومقدم كبير، وسراجين وأجناد واستمر على ذلك إلى أن حضر يوسف باشا الوزير فى المرة الأولى التى انتقض فيها الصلح، ووقعت الحروب فى البلدة بين العثمانية والفرنساوية، والأمراء المصرية وأهل البلدة، فهجم على داره المتهورين [المتهورون] من العامة ونهبوه. (انتهى).

ولا التفات لما قاله الجبرتى مما لا يناسب شرف هذا البيت العالى المقدار، سيما والأحوال الجارية فى أوقات الفتن لا يوقف لها على قرار، ولا تعلم لها حقيقة، ولا يوصل لها إلى أصل صحيح، وقد رجع للمترجم ما أخذ منه، وانتظم حاله على أحسن مما كان، وعادت له أبهته، واكتسب بما حصل له كمالا ووقارا، وعمر عمارات فاخرة، وعاش عيشة هنيئة وانفصل عن نقابة الأشراف، وتولاها السيد عمر مكرم كما كان قبل الفرنساوية، وعن مشيخة سجادة السادة البكرية، وانتقلت إلى ابن عمه السيد محمد أفندى أبى السعود، سار فى المشيخة على أحسن الأحوال، وأكمل الأخلاق مدة حياته، ولزم المترجم الخمول مقتصرا على إصلاح شئونه، وتنقل فى أماكن متعددة، منها دار الخواجة أحمد محرم، أقام بها مدة، ثم انتقل إلى بيت عبد الرحمن كتخدا القازدغلى بحارة عابدين، وجدد به عمارة فاخرة، واشترى دارا بدرب الجماميز بعطفة الفرن، وأتقن تشييدها، وغرس فيها بستانا جميلا، ولم يزل على خموله، ملازما إصلاح شئونه، إلى أن توفى إلى رحمة الله تعالى فى منتصف شهر ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف، ودفن عند أسلافه بمدفن السادة البكرية بجوار سيدنا ومولانا الإمام الشافعى - رضى الله عنه - ورحمهم أجمعين (الخطط ٣ / ٣٨٨، ٣٨٩).

وقد فصل هذه الترجمة وأضاف إليها الأستاذ محمد كمال السيد فى بحث له جاء فيه مايلى :

لم يكن السيد خليل من علماء الأزهر. وإن كان الأرجح

أنه تلقى دراسته بالأزهر مثل عموم المثقفين فى ذلك العصر. ولكنه كان سليل البيت البكرى الصديقى. وينتهى نسبه إلى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

وساق لهم صاحب الخطط التوفيقية سلسلة من النسب بها (٣٨) اسما حتى وقت على باشا مبارك «الخطط طبعت سنة ١٣٠٥هـ/ سنة ١٨٨٧ م) وهى تتفق إلى حد كبير مع سلسلة النسب التى ذكرها الجبرتى (آخر تاريخ الجبرتى سنة ١٢٣٦ هـ) ــ سنة ١٨٢٠ م) مع اختلافات يسيرة فى ترتيب بعض الأسماء. وهى خلافات تغتفر نظرا لتكرر الأسماء. فمثلا نجد اسم محمد فى ثلاثة أجيال متعاقبة، ولكل منهم كنية ولقب ومن الصعب ضبط مثل هذه الأمور فى فترة ثلاثة عشر قرنا. ونميل إلى ترجيح ما ذكره على مبارك فهو على ما يبدو قد استمد معلوماته من آل البيت البكرى بما عندهم من مستندات.

كما يبدو أنه أراد مجاملتهم فردد مانقل إليه من تاريخهم أنهم ينتسبون إلى البيت النبوى الكريم عن طريق والدة جدهم السادس عشر (ابتداء من السيد عبد الباقى الموجود فى زمن على مبارك).

فهى شريفة من نسل الحسن المثلث بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن على بن أبى طالب.

وفى هذا بعض الشك. فقد ذكر ابن عقبة [ابن عنبة] فى كتاب «عمدة الطالب فى نسب آل أبى طالب» أن الحسن المثلث لم يعقب إلا من ولده عبد الله. وفى كتاب الفيروزابادى (النفحة العنبرية فى أنساب خير البرية) أن المعقبين من أولاد الحسن المثنى خمسة. وليس فيهم الحسن المثلث. وذكر أن الحسن المثلث مات مسموما فى عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان. وفى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (جـ ٢ ص ٥٩) أن الحسن المثلث أعقب عليا الذى أعقب الحسين الذى ثار وقتل سنة ١٦٩ هـ. فهذه ثلاثة أقوال متضاربة.

ولكن لا نرى داعيا للتفصيل والمناقشة. فنسبة الشرف للبيت النبوى الكريم قد تأتى بالتواتر. كما قد تأتى من طريق النساء، وقد تولى بعض السادة البكرية نقابة الأشراف. ولم يكن يجوز هذا إلا إذا كان معاصروهم يعتبرونهم منهم.

كذلك أرجع على مبارك وجودهم فى مصر إلى ما قبل سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) بناء على حجة موجودة بخزانتهم بالتاريخ المذكور أن المظفر تقى الدين شاهنشاه بن أيوب (أخا صلاح الدين) أنشأ مدرسة للشافعية بالفيوم. وأوقف عليها أطيانا. وشرط التدريس فيها «السيدنا ومولانا شيخ الإسلام والمسلمين. بقية السلف الصالحين، سلالة صديق سيد المرسلين، أبى الأشراف نجم ابن مولانا أبى المكارم عيسى ابن مولانا أبى المحامد شعبان، الصديق الشافعى، ثم من بعده لذريته ونسله وعقبه المقلدين لمذهب الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعى».

ونجم المذكور بهذه الحجة هو الجد الخامس والعشرون (ابتداء من السيد عبد الباقى الموجود بزمن على مبارك) بسلسلة النسب التى ساقها صاحب الخطط التوفيقية.

فلا شك أنه بيت عريق فى المجد. وكانت لهم مساكن متعددة بباب الخلق، وعابدين، وعلى الخليج المصرى تجاه زاوية جلال الدين الشهيرة بالجامع الأبيض (غربى شارع بور سعيد بين باب الشعرية والظاهر). وبالأزبكية بدرب عبد الحق. والأخير كان مطلا على بركة الأزبكية وكان يعمل فيه المولد النبوى الكريم فى عهد الفرنسيين. كما سنذكر بإذن الله.

وعند تنظيم منطقة الأزبكيه فى عهد إسماعيل أخذ منهم بيت الأزبكية المذكور وعوضهم عنه بسراى عباس باشا الأول بالخرنفش وصار مكان جزء من بيت الأزبكية مبنى صندوق الدين قبل إلغائه بين البوستة العمومية وميدان إبراهيم باشا.

وكان لهذه الأسرة علامة مميزة. وهى أنه إذا دنا أجل أحدهم يظهر بعقبه الأثر الشريف ــ وهو أشبه باللدغة ــ ويرجعونها إلى اللدغة التى أصابت أبا بكر الصديق فى الغار مع الرسول عليه الصلاة والسلام فى أثناء الهجرة إلى المدينة. وإذا ظهرت هذه العلامة قطع الأمل من شفاء المريض. وهى دليل على صحة النسب عندهم. وتظهر العلامة عند وفاتهم من رجال ونساء وأطفال حتى ولو كان سقطا (الخطط التوفيقية ٣/ ١٢١).

وكان شيخ السجادة البكرية يجمع أحيانا ـ فضلا عن الخلافة البكرية ـ نقابة الأشراف ومشيخة الطرق الصوفية

والأضرحة والتكايا. وناهيك بما لبعض الأضرحة الكبيره مثل الإماميـن الحسـين والشافعـي وغيرهـما مـن أوقـاف ونـذور.

ويحسن أن نذكر أن نقابة الأشراف لم تكن وقفًا على أسرة معينة. بل تولاهما أشراف من أسر شريفة مختلفة مثل الرفاعى والسادات الوفائية وغيرهما.

وفى سنة ١١٦٨ هـ (١٧٥٥ م) تولى نقـابة الأشـراف أبو الأمداد أحمد سبط أبى الخير عبد الخالق أبى الوفا. فلما عين سنـة ١١٧٦ فى خلافـة بيتهم (السـادات الوفـائية) تنـازل عن نقابة الأشراف للسيد محمد البكرى. وهو ابن عم السيد خليل المتـرجَم له وزوج أختـه. وكانـت مشيخة السجـادة البكريـة وقتذاك للسيد أحمد البكرى أخى السيد خليل.

وأبو الـوفا لقب أسرة السادات الـوفائية. وبعـد أبى هادى محمد سلف أبى الأمداد أحمد المذكور انقطع نسل الأسرة من الذكـور. فتولى أحمـد المذكـور مشيخة السجـادة الوفـائية. ووالـدتـه ووالدة شمـس الدين أبـى الأمداد محمـد السـادات المعـروف فى زمن الفرنسيين ومحمـد على بنتـا عم. وشمس الدين هو ابن عبد الرحمن عارفين الملقب بالخواجة لقب كبار التجار فى البضائع الأجنبية ـ وهو ليس من السادات الوفائية.

ولم يكن السيـد خليل محل تقـدير من أسـرتـه ومن أولى الأمر. لمـا فى سلوكـه من رعونـة. ولارتكابـه أمورا غيـر لائقة كتعبيـر الجبرتى. فلمـا توفـى أخوه السيـد أحمد سنـة ١١٩٥ تخطـوه فى مشيخة الطـريق. وعينـوا ابن عمـه السيد محمـد البكـرى الصـديقى المـذكـور فجمـع بين المشيخـة ونقـابـة الأشراف.

ثم تخطوه مرة ثانية لما توفى السيد محمد البكرى المذكور سنة ١١٩٦ هـ فعينـوا ابنه محمد أفندى البكـرى فى المشيخة ونقـابـة الأشـراف فظل فيهمـا حتى تـوفى سنـة ١٢٠٨ هـ (١٧٩٣م).

وقـد أخطأ الجبـرتى عندمـا ذكـر أن خليلا هـو ابن خـال محمد أفندى البكرى المذكور. فالواقع أنه خال محمد أفندى البكـرى ولفظ «ابـن» أضيف سهـوا من المـؤلف أو خطأ من الناسخ أو الناشر. وقد ذكر الأستاذ محمـد فريد أبو حديد كتابـه «سيرة السيد عمـر مكرم ص ٤٤» أن السيـد خليل خال محمد أفندى البكرى.

وبعد وفـاة محمد أفنـدى البكرى تـولى مشيخـة السجادة البكرية خاله السيد خليل المترجـم له. أما نقابة الأشراف فقد تولاها السيد عمر مكرم.

يدلنـا هذا على على أن السيد خليـل لم يكن محل ثقة أو تقدير من أهله أو من الأمراء الذين كان بيدهم الأمر وقتذاك. فقـد انتقل مـراد بك فى المـرتين السـابقتين وألبس الخليفـة الخلعة وقلـده المنصبين. ولما استقر الرأى أخيـرا على تعيينه اكتفى بتوليتـه خلافـة بيتهم. أما نقـابة الأشـراف فقد أعطيت للسيد عمـر مكرم الـذى كان نجمـه بدأ فى الصعـود وأخذت شخصيته تظهر فى مجرى الأحداث.

فلمـا قدم الفـرنسيـون. وخـرج السيد عمـر مكـرم مع من خـرجوا إلى الشـام. تـداخل خليل معهم. وأفهمهم أن نقابـة الأشـراف لبيتهم. وأنها غصبت منـه. فقلـدوه إياهـا فى ربيع الأول سنة ١٢١٣ هـ (أغسطس سنة ١٧٩٨ م). واستولى على وقفهـا. ونودى فى المـدينة «بأن كل من كـان له دعـوى على شريف فليرفعها إلى النقيب»

وعظم شأنه بتعيينـه فى الديوان فضلا عن مشيخـة الطريق ونقابة الأشراف. فازدحم بابه بأصحاب الدعاوى والشكاوى. ولجأ لخدمته مماليك الأمراء المتغيبين يحتمون به.

وكـان عند خـلافه مع ابن عمـه على الخـلافة. قـد قسم المنزل الذى بالأزبكية وعمَّر نصيبـه وأنشأ به بستانا به أصناف الأشجار والفواكـه. فلما استقرت له الأمـور فى عهد الفرنسيين استولى على بقية المنزل وضمه إلى نصيبه وانفرد بسكنه. وكان يحتفل فى منزله هـذا بليلة المولد النبوى. فيدعـو كبار القواد الفـرنسيين للعشاء. ويخلع عليـه صـارى عسكر (أى القـائد الأكبر) خلعة فى هذه المناسبـة. وهـم من جانبهم يرسلون إلى منزله الطبلخاناه الكبيرة (فـرقة من الموسيقى) تدق الطبول مع المزامير المختلفة الأصـوات. ويطلقون صـواريخ ناريـة فى الهـواء.

والشعب المصـرى شـديـد الحسـاسيـة بسلـوك قـادتـه وزعمائه. فلما قامت ثورة القاهـرة الثانية (مارس / أبريل سنة ١٨٠٠ م) بعد نقض معاهدة العـريش. اتهمه الشعـب بموالاة الفرنسيين. وهجم عليه طائفة من جنود الأتراك والمماليك مع بعض العـامـة، فنهبـوا داره بـالأزبكيـة. وسحبـوه مع أولاده

وحريمه إلى الجمالية ماشيا على قدميه عارى الرأس . وأهين أشنع إهانة . فلما وصلوا الجمالية أخذه أحمد محمود محرم التاجر (أحد أعضاء الديوان الثانى) إلى منزله فآواه حتى انتهت الثورة.

ولما فرض كليبر بعد هذا الغرامة الفادحة على أهالى القاهرة تأديبا لهم . أعفاه من هذه الغرامة لما حصل له . بل وعوضه عما فقد . وبعد أن تخربت داره بالأزبكية انتقل إلى بيت البارودى بباب الخلق ثم إلى بيت عبد الرحمن كتخدا القازدغلى بشارع رحبة عابدين (شارع مصطفى باشا عبد الرازق حاليا).

وبعد خروج الفرنسيين نزعت منه نقابة الأشراف . فقد حضر شخص من استانبول فى ديسمبر سنة ١٨٠١ م ومعه مرسوم بولايته النقابة . ولم يكن هذا الشخص محل ثقة من الأهالى والأشراف . فقد حصل على هذا المرسوم بطرق مريبة . فراجع ولاة الأمر فى مصر السلطان فى استانبول . فعزل . وتقرر بدله نقيبا للأشراف السيد عمر مكرم فى ١٨ / ٤ / ١٨٠٢ م.

ولما تولى خسرو باشا ولاية مصر جمع الوالى الجديد المشايخ فى ١٩ / ٣ / ١٠٨٢ م وتكلم معهم فى عزل السيد خليل البكرى عن مشيخة البكرية . فوافقوه . وتعين بدله فى المشيخة السيد محمد أبو السعود البكرى من فرع آخر غير فرعه من البيت البكرى.

وهكذا نزعت منه نقابة الأشراف ومشيخة البكرية.

وكان قد عقد لابنه أحمد على بنت المرحوم محمد أفندى البكرى السابق له فى المشيخة . فتصدى له السيد عمر مكرم والشيخ محمد السادات وآخرون بعد عزل خليل من المشيخة والنقابة وأبطلوا العقد وفسخوا النكاح ببيت القاضى.

وقصة أخرى تدل على هوان خليل البكرى بعد خروج الفرنسيين ــ فقد ذكر الجبرتى فى ١٢ من ربيع الأول سنة ١٢١٦ هـ (٢٣ / ٧/ ١٨٠١ م) أى بعد خروج الفرنسيين من القاهرة بأيام:

حضر اليسرجى (وهو تاجر الرقيق الأبيض أما تاجر الرقيق الأسود فكان يسمى الجلاب غالبا) الذى كان جلب مملوكا للشيخ البكرى وادعى أنه قهره فى أخذ المملوك بالفرنسيس، وأخذه منه دون القيمة ، وأنه كان أحضره على ذمة مراد بك . وطال بينهما النزاع . وآل الأمر بينهما إلى انتزاع المملوك من خليل . وكان قد أعتقه وعقد له على ابنته فأبطلوا العتق . وفسخوا الزواج . وأخذ المملوكَ عثمانُ بك الطنبورجى المرادى . ودفع للشيخ دراهمه . ولجلابه باقى الثمن.

واشترى خليل لنفسه دارا بحارة الفرن (متفرعة من شارع إسماعيل بك خلف حارة السادات بدرب الجماميز) واشترى بيتين بجوارها من بيوت الأمراء الأقدمين ضمهما إليها . وعمر الجميع عمارة متقنة . وباع فى سبيل ذلك حصصه والتزامه . واكتفى بما يخصه فى وقف جده لأمه الشيخ الحفنى (شيخ الأزهر توفى سنة ١١٧١ هـ / ١٧٥٧ م) وكانت هذه الدار كبيرة تصل حدودها إلى دار السادات الوفائية . فبعد وفاة خليل سنة ١٢٢٣ هـ (سنة ١٨٠٩ م) تعرض الشيخ السادات لابنه أحمد وأخذ بستان هذه الدار بأبخس الأثمان . فأضافه إلى بستان السادات . وأقام جدارا سد به شبابيك منزل البكرى وأظلمه وتوفى خليل البكرى فى فقر ودين وخمول.

وقد أغفلنا ذكر بعض المخزيات فى سلوك خليل البكرى التى وردت فى تاريخ الجبرتى تنزيها لمجلة الأزهر عن ترديدها . ولكن نقول إنه جميل من على باشا مبارك أن يحاول ستر عثرات شخص من بيت كريم له مكانته الاجتماعية والدينية فى وقته فقد قال فى ختام ترجمة السيد خليل البكرى . بعد أن أغفل ذكر بعض الوقائع التى ذكرها الجبرتى وخفف من ألفاظ البعض الآخر: «ولا التفات لما قاله الجبرتى مما لا يناسب شرف هذا البيت العالى المقدار. سيما والأحوال الجارية فى أوقات الفتن لا يوقف لها على قرار. ولا تعلم لها حقيقة ولا يوصل لها إلى أصل صحيح».

كما قال فى ختام الفذلكة التى ذكرها عن البكرية : «فلا يريبن القارئ ما عسى أن يقف عليه فى بعض الكتب مما يخالف ذلك فإنه مع قلته لا يعول عليه».

مع أنه لم يذكر فى هذه الفذلكة اسم السيد خليل فى حين أنه ذكر فيها جميع ما أمكنه الوصول إليه من تراجم من تولوا المشيخة . بل وتراجم من كان لهم ذكر من فروعهم ولم يتولوا المشيخة.

وهو إنكار عاطفى لم يقم عليه أى دليل . فهو مجرد

نفى . ولا يعيب الأسرة أن ينحرف بعض أعضائها . فى فترات أجيال كثيرة العدد، فالناس بشر، ولا عصمة إلا لنبى . وليس من حق المؤرخ أن يخفى الوقائع . وإن كان يجوز له أن يفسرها أو يوجد لها المبررات . (الأزهر جامعا وجامعة» / ١٢٠٢ ـ ١٢٠٩).

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٣ / ٣٨٨، ٣٨٩، و«الأزهر جامعا وجامعة أو مصر فى ألف عام» ـ محمد كمال السيد ـ مجلة الأزهر. الجزء الخامس، السنة الحادية والخمسون، رجب ١٣٩٩ هـ ـ يونية ١٩٧٩ م / ١٢٠٢ ـ ١٢٠٩).

*** خليل أمير المؤمنين:**

يقول الدكتور حسن الباشا :

خليل أمير المؤمنين : عرف هذا اللقب فى الدولة الفاطمية : فأطلق على اليازورى بدلا من «خالصة أمير المؤمنين» الذى كان قد لقب به عند إسناد الوزارة إليه فى المحرم سنة ٤٤٢ هـ .

ثم استعمل للملوك الأيوبيين منذ صلاح الدين : فبعد أن خطب للعباسيين أرسل إليه الخليفة المستضىء الخلع والألوية ولقبه «بخليل أمير المؤمنين» ؛ وورد هذا اللقب ضمن ألقابه فى نص إنشاء بتاريخ شهر صفر سنة ٥٨١ هـ من قلعة جندى بسوريا . وفضلا عن ذلك كان يستعمل للعادل أثناء سلطنة صلاح الدين : فأطلق عليه فى نص بتاريخ سنة ٥٧٩ هـ على قلعة القاهرة ؛ ولما تسلطن العادل سنة ٦٠٤ هـ أرسل إليه الخليفة العباسى الناصر يقلده جميع البلاد التى فتحها ويخاطبه «بشاهنشاه، ملك الملوك، خليل أمير المؤمنين» . وورد اللقب ضمن ألقابه فى نقوش أثرية ببيت المقدس بتاريخ سنة ٥٨٩ هـ وبدمشق من سنة ٦٠٥ هـ إلى سنة ٦١٠ هـ، وبالقاهرة بتاريخ سنة ٦٠٨ هـ وأطلق اللقب أيضا على الملك الصالح أيوب فى نص بتاريخ سنة ٦٤١ هـ فى مدرسته، كما كان يطلق على ابنه من شجر الدر: خليل .

وفى عهد المماليك صار هذا اللقب يطلق بصفة دائمة على أولاد الملوك فكان خليل بن قلاوون يلقب به قبل سلطنته .

وبالإضافة إلى ذلك كان يطلق على بعض الملوك الأجانب حين يكتب إليهم عن السلطان .

ورتبه القلقشندى تاليا فى الرتبة «لقسيم أمير المؤمنين»، وعلل ذلك من ناحية لغوية بأن القسيم بمعنى المقاسم أى أنه قاسم أمير المؤمنين الملك وساهمه فى الأمر فصارا فيه مشتركين، أما خليل فمأخوذ من الخلة وهى الصداقة، وفرق بين من يقاسم الخليفة فيصير عديله فى الأمر، وبين من يكون خليله أو صاحبه .

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٠٠، ٢٠١).

*** الخليل بن أحمد ١٠٠ ـ ١٧٥ هـ ٧١٨ ـ ٧٨٦م):**

الخليل بن أحمد إمام العربية مذكور فى الروضة فى باب الاعتكاف هو إمام العربية أبو عبد الرحمن البصرى الخليل بن أحمد الأزدى الفراهيدى والفراهيد بفتح الفاء وكسر الهاء وبدال مهملة هذا هو الصواب . وقال السمعانى هو بذال معجمة وهو تصحيف بلا شك . وكتب العلماء من الطوائف متظاهرة متطابقة على أنه بالمهملة . قال الجوهرى فى صحاحه : كان يونس يقول فرهودى والفراهيد بطن من الأزد . (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٧٧، ١٧٨)، وكان يونس يقول : فُرْهُودى مثل قردوسى . والفراهيد : صغار الغنم (إنباه الرواة ١ / ٣٤١) قال ابن أبى حاتم روى الخليل عن عثمان بن حاضر عن ابن عباس . وعن أيوب السختيانى روى عنه النضر بن شميل والأصمعى وعلى بن نصر ووهب بن جرير. قال ابن قتيبة فى المعارف كان الخليل ذكيا لطيفا فطنا واتفق العلماء على جلالته وفضائله وتقدمه فى علوم العربية من النحو واللغة والتصريف والعروض وهو السابق إلى ذلك المرجوع فيه إليه وهو شيخ سيبويه إمام أهل العربية وكان الخليل ورعا قال أهل التواريخ والأنساب لم يسم أحد بعد نبينا ﷺ أحمد قبل أبى الخليل هذا واعلم أن فى العلماء والرواة ستة يسمى كل واحد منهم الخليل بن أحمد أولهم أبو عبد الرحمن هذا (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٧٨) .

وقد شب على حب العلم، فتلقى عن أبى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفى وغيرهما، ثم ساح فى بوادى الجزيرة العربية، وشافه الأعراب فى الحجاز ونجد وتهامة إلى أن ملأ جعبته، ثم آب إلى مسقط رأسه البصرة، واعتكف فى داره دائبا على العلم ليله ونهاره هائما بلذته الروحية، فنبغ فى العربية نبوغا لم يسبق إليه، وبلغ الغاية فى تصحيح القياس

واستخراج مسائل النحو، قال الزبيدى: «وهو الذى بسط النحو ومد أطنابه وسبب علله وفتق معانيه وأوضح الحجاج فيه، حتى بلغ أقصى حدوده وانتهى إلى أبعد غاياته، ثم لم يرض أن يؤلف فيه حرفا أو يرسم منه رسما ترفعا بنفسه وترفعا بقدره إذ كان قد تقدم إلى القول عليه والتأليف فيه. فكره أن يكون لمن تقدمه تاليا، وعلى نظر من سبقه محتذيا، واكتفى فى ذلك بما أوحى إلى سيبويه من علمه، ولقنه من دقائق نظره ونتائج فكره ولطائف حكمته، فحمل سيبويه ذلك عنه وتقلده وألف فيه الكتاب الذى أعجز من تقدم قبله، كما امتنع على من تأخر بعده».

فلا غرو أنه لولا تعهد الخليل النحو فى نشأته لبعد عنه طور النضج والكمال، فللخليل فضل النهوض به كما لأبى الأسود فضل تكوينه، نعم، قد اتفقت كلمة العلماء على أن الخليل واضع فن الموسيقى العربية، وواضع علم العروض والقافية (نشأة النحو/ ٧٧، ٨٧).

استنبط من العروض وعلله ما لم يستخرجه أحد، ولم يسبقه إلى علمه سابق من العلماء كلهم. وقيل إنه دعا بمكة أن يرزق علما لم يسبقه إليه أحد، ولا يؤخذ إلا عنه، فرجع من حجه، ففتح عليه بالعروض.

(قال حمزة الأصفهانى: إن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم التى لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض؛ الذى لا عن حكيم أخذه، ولا على مثال تقدمه احتذاه، وإنما اخترعه من ممر له بالصفارين، من وقع مطرقة على طست، وروى ابن خلكان أن الخليل كان يقطع بيتا من الشعر، فدخل عليه ولده فى تلك الحالة، فخرج إلى الناس وقال: إن أبى قد جن، فدخل الناس عليه، وهو يقطع البيت، فأخبروه بما قال ابنه، فقال له:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى
أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتى فعذلتنى
وعلمت أنك جاهل فعذرتكا)

وللخليل بن أحمد قصيدة على «فَعَلُنْ فَعَلُنْ» ثلاثة متحركات وساكن، وله قصيدة أخرى على «فَعْلُنْ فَعْلُنْ» متحرك وساكن، فالتى على ثلاثة متحركات وساكن قصيدته التى فيها:

سُئلوا فأبوا فلقد بخلوا
فلبئس لعمرك ما فعلوا
أبكيت على طلل طربا
فشجاك وأحزنك الطلل

والتى على «فَعْلن» ساكنة العين قوله:

هذا عمرو يستعفى من
زيد عند الفضل القاضى
فانهوا عمرا إنى أخشى
صول الليث العادى الماضى
ليس المرء الحامى أنفا
مثل المرء الضيم الراضى

فاستخرج المحدثون من هذين الوزنين وزنا سموه «المخلَّع»، وخلطوا فيه من أجزاء هذا وأجزاء هذا.

(وروى أبو الطيب اللغوى فى مراتب النحويين أيضا: «ومن بدائعه (الخليل) ما أخبرنا به محمد بن يحيى قال: أنشدنى عمر بن عبد الله أبو حفص العتكى قال: أنشدنى أبو الفضل جعفر بن سليمان بن محمد بن موسى النوفلى عن الحرمازى، للخليل ثلاثة أبيات على قافية واحدة، يستوى لفظها ويختلف معناها. وإنما أراد أن يبين أن تكرار اللفظ فى القوافى ليس بضائر؛ إذا لم يكن لمعنى واحد، وأنه ليس بإيطاء. والأبيات:

ياويح قلبى من دواعى الهوى
إذ رحل الجيران عند الغروبْ
أتبعتهم طرفى وقد أمعنوا
ودمع عينى كفيض الغروبْ
بانوا وفيهم طفلة حرة
تفتر عن مثل أقاح الغروبْ

فالغروب الأول: غروب الشمس، والغروب الثانى: جمع غرب، وهى الدلو العظيم المملوءة، والغروب الثالث: جمع غرب، وهى الوهاد المنخفضة.

والخليل بن أحمد أول من دوّن معجما فى اللغة بتأليفه معجما فى اللغة «كتاب العين» (نشأة النحو / ٧٨)يقول الإمام النووى: وبعض العلماء ينسبون كتاب العين إليه وبعضهم ينكر ذلك ويقول كانت مقطعات جمعها الليث بن المظفر بن نصر بن سيار صاحب الخليل وزاد فيها ونقص ونسبها إلى الخليل وهو برىء منها واتفقوا على كثرة الأغاليط فى كتاب العين وكثيرا مما ينقل الأزهرى فى تهذيب اللغة عن العين من الأغاليط ويقول هذا من عدد الليث (تهذيب الأسماء ١ / ١٧٨).

ويقول القفطى:

واستنبط أيضا من علم النحو ما لم يسبق إليه، وحصر علم اللغة بحروف المعجم وسماه كتاب «العين».

وأما «كتاب العين» فقد اختلف الأئمة فيه، فمنهم من ينسبه إليه، ومنهم من يحيل نسبته إلى غيره، وقد استوفى ابن درستويه الكلام فى ذلك فى كتاب له مفرد لهذا النوع، ملكته بخط تيزون الطبرى(هو إبراهيم بن أحمد بن محمد أبو إسحاق الطبرى) وهو تصنيف مفيد.

(سمى كتاب «العين باعتبار أول أجزائه، وقد راعى فى هذا الترتيب مخارج الحروف، فبدأ بحروف الحلق ثم ما بعدها من حروف الحنك ثم الأضراس، ثم الشفة، وجعل حروف العلة آخرا، وهى الحروف الهوائية. ونسب بعضهم كتاب العين إلى الليث بن نصر بن سيار الخراسانى. قال الأزهرى: كان الليث رجلا صالحا عمل كتاب العين ونسبه إلى الخليل لينفق كتابه باسمه، ويرغب فيه من حوله. وقال بعضهم: عمل الخليل من كتاب العين قطعة من أوله إلى حرف الغين، وكمله الليث، ولهذا لا يشبه أوله آخره، وقد نقل السيوطى فى المزهر ص (١ / ٧٦) وما بعدها آراء العلماء التى دارت حول هذا الموضوع. وانظر كشف الظنون ١٤٤١ / ١٤٤٣) (إنباه الرواة ١ / ٣٤٣).

وللخليل بن أحمد بعدئذ مأثرة الشكل العربى المستعمل الآن (نشأة النحو / ٧٨).

وكان الخليل من الزهاد، وقال: إن لم تكن هذه الطائفة - يعنى أهل العلم - أولياءَ الله، فليس له ولى.

وذكر النسابون أنهم لا يعرفون بين النبى وأبى الخليل من اسمه أحمد سواه. ووهم يحيى بن معين، وقال فى نسب أبى السفر: (السفر بفتح السين والفاء، وهو سعيد بن محمد، وقيل أحمد أبو السفر الهمدانى الكوفى) «ابن أحمد»، وهو أقدم من أبى الخليل. والصحيح فى اسمه «ابن يحمد».

وكان من الزهاد فى الدنيا والمنقطعين إلى العلم. ويروى عنه أنه قال: إن لم تكن هذه الطائفة - يعنى أهل العلم - أولياء الله فليس لله ولى.

وقد كان وجه إليه سليمان بن على من الأهواز - وكان واليها - يلتمس منه الشخوص إليه وتأديب أولاده ويرغبه - ويقال: إن الذى وجه إليه سليمان بن حبيب بن المهلب. من أرض السند يستدعيه إليه - وكان الخليل بالبصرة، فأخرج الخليل إلى رسول سليمان بن على خبزا يابسا وقال: ما عندى غيره، وما دمت أجده فلا حاجة لى فى سليمان. فقال الرسول: فماذا أبلغه عنك؟ فأنشأ يقول.

أبلغ سليمان أنى عنك فى سعة — وفى غنى، غير أنى لست ذا مال

سخَّى بنفسى أنى لا أرى أحدا — يموت هُزْلا ولا يبقى على حال

(أخبار النحويين البصريين / ٥٥).

ويحكى القفطى ذلك على النحو التالى:

وكان الخليل عفيف النفس؛ لا يختار صحبة الملوك والأمراء. ووجه إليه سليمان بن حبيب بن المهلب من السند يستزيره - وكان له عليه جار (يريد بالجارى ما كان يجريه عليه من رزق) فكتب إليه:

أبلغ سليمان أنى عنه فى دعة — وفى غنى غير أنى لست ذا مال

سخى بنفسى أنى لا أرى أحدا — يموت هزلا ولا يبقى على حال

الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه — ولا يزيدك فيه حول محتال

والفقر فى النفس لا فى المال تعرفه — ومثل ذاك الغنى فى النفس والمال

فلما بلغ سليمان قطع جاريه عليه عنه، فقال:

إن الذي شق فمي ضامن
لي الرزق حتى يتوفاني
حرمتني خيرا كثيرا فما
زادك في مالك حرماني

فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته، وكتب إلى الخليل يعتذر، وأضعف جائزته، فقال الخليل:

وزلة يكثر الشيطان إن ذكرت
منها التعجب جاءت من سليمانا
لا تعجبن لخير زل عن يده
فالكوكب النحس يسقي الأرض أحيانا

وأنشد له المبرد في معناه:

صلب الهجاء على امرئٍ من قومنا
إذ حاد عن سنن السبيل وحادا
أعطى قليلا ثم أقلع نادما
ولربما غلط البخيل فجادا

ثم يقول القفطي:

وقال النضر بن شميل: أقام الخليل في خص من أخصاص البصرة (الخص: البيت من القصب) لا يقدر على فلس، وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال؛ ولقد سمعته يقول: إني لأغلق على بابي، فما تجاوزه همتي.

وقال وهب بن جرير: كان الخليل بن أحمد يكثر إنشاد بيت الأخطل:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد
ذخرا يكون كصالح الأعمال

وقيل: لم يكن بعد الصحابة أذكى من الخليل، ولا أجمع لعلم العرب (إنباه الرواة ١ / ٣٤٤، ٣٤٥).

شعره:

وكان الخليل يقول الشعر، البيتين والثلاثة ونحوها. قال ابن قتيبة:

وأنشدنا «ابن هانئ» صاحب «الأخفش» قال: أنشدني «الأخفش» له: [بسيط]

واعمل بعلمي ولا تنظر إلى عملي
ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري

وأنشدنا له أيضا:

[متقارب]

كفَّاه لم تُخلقا للندى
ولم يك بُخلهما بدعهْ
فكف عن الخير مقبوضة
كما نقصت مائة سبعه
وكف ثلاثة آلافها
وتسع مئين لها شرعه

(المعارف / ٥٤٢).

ويروى له في الزهد:

وقبلك داوى المريضَ الطبيبُ
فعاش المريض ومات الطبيب
فكن مستعدا لداعي الفناء
فإن الذي هو آت قريب

والخليل أستاذ سيبويه، وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل، وكلما قال سيبويه: وسألته، أو: قال، من غير أن يذكر قائله. فهو الخليل.

(أخبار النحويين البصريين / ٥٦).

مصنفاته:

يقول القفطي:

والذي تحقق أن الخليل صنفه: كتاب «العين» في اللغة، مشهور. كتاب «العروض». كتاب «الشواهد». كتاب «النقط والشكل»، كتاب في «العوامل»، منحول عليه، كتاب «النغم» (روى الزبيدي في الطبقات: «لما صنع إسحاق بن إبراهيم كتابه في النغم واللحون عرضه على إبراهيم بن المهدي، فقال: أحسنت يا أبا محمد، وكثيرا ما تحسن، فقال إسحاق: بل أحسن الخليل؛ لأنه جعل السبيل إلى الإحسان. قال إبراهيم: ما أحسن هذا الكلام! فمن أخذته؟

قال: من ابن مقبل؛ إذ سمع حمـامة من المطوقات، فـاهتاج لمن يحب، فقال:

فلـــو قبل مبكــــاهـــا بكيت صبــابـــة
بلـى شفيـت النفس قبـل التنـــــــدم
ولكـن بكت قبلـى فهــــاج لى البكـــا
بكـــاهـــا فقلت الفضـل للمتقـــدم)

(إنباه الرواة ١ / ٣٤٦).

ويضيف صاحب الفهرست كتاب «الإيقاع» (الفهرست / ٦٥، وأضاف الزركلي: كتاب «معانى الحروف» (مخطوط)، وكتـاب «جملـة آلات العرب» (مخطـوط) و «تفسير حـروف اللغـة» (مخطوط)، ولم يذكر كتاب «الشواهد») الأعـلام ٢ / ٣١٤).

ويحصى الـدكتـور زيـد بن عبـد المحسن الحسين، فى بحث قيم له، «مبدعات الخليل» فيقول:

قضى الخليل حياة حـافلة بالمنجزات الضخمـة والأعمال الخالـدة ... ونذر نفسـه للعلم حتى سهل قيـاده، فكان ذروة شـامخة تنحط عنها الذرى ... ».

وقد أطلعتنا دراسة الخليل على عناصر الإبداع التى توفرت له والتى قادته إلى الآتى:

١ ـ إبداع فى علم اللغة.
٢ ـ إبداع فى علم الصوتيات.
٣ ـ إبداع فى علم العروض.
٤ ـ إبداع فى الفكر التربوى.

إبداع الخليل فى اللغة:

قال الليث بـن المظفر كنت أسير إلى الخليـل بن أحمد، فقال لى يوما: لو أن أنسانـا قصد وألَّف حروف ألف وباء وتاء وثاء على ما أمثِّله لاستوعب فى ذلك جميع كلام العرب، فتهيأ له أصل لا يخـرج عنه شىء منه بتة، قـال: فقلت له: وكيف يكون ذلك؟ قال: يـؤلفه على الثنائى، والثلاثى، والـرباعى، والخماسى وأنه ليس يعرف للعـرب كلام أكثر منه، قال الليث فجعلت أستفهمـــه ويصف لى، ولا أقـف على مــا يصف فاختلفت إليه فى هذا المعنى أياما...

وقال الخليل: «لو أن إنسانـا قصد وألف حروف ألف وباء وتاء وثـاء ...إلخ) يدل دلالة واضحة على تمثله فكرة تأليف أبنيـة الكلمات، فـاللغـة تتألف من حـروف مشكل مادتهـا، والحروف فى العـربية تسعة وعشرون، فـلا بد للدارس إذن أن يعرف طبيعتها وخصائصها، وما يقوم عليه بناء الكلمة، وما لا دخل له فى البناء، ولا بد أن يكـون الخليل قد أطال النظر فى ذلك، وتدبر أمر هذه الحروف، فلم يمكنه ترتيب الحروف من ذلك، فبحث وفكر فأمـدتـه عبقريتـه بفكـرة قلب التسلسل الحـرفى المعهود (أ ب ت ث) ليـرتبهـا بحسب مخرجهـا من الحلق.

وهو فى ذلك يرمى إلى إعـادة تنظيمها على أساس علمى واضح، وهـذا أسلـوب علمى يبتدعـه المبـدعـون لتكون لـه الديمـومة والقـوة والفاعليـة، وهو أسلـوب يدلنـا على عقلية الخليل المنظمة غاصت فى اللغة معـرفة وتبحرا لتعود بها إلى بناء جديد يعتمد دراسة الأصـوات باستخدام مخارج الحروف التى تتألف منها اللغة عن طـريق جهاز النطق، «ليعرف مواقع تلك الأصوات فى جهاز النطق، ويقف على خصائصها، وما يترتب على تآلفها وتجاورهـا، واستطاع بذلك أن يفسر ظواهر لغوية لم تكن لتفهم بدون فهم سابق لطبيعة الحروف وتفاعلها بتجاورها وتمازجها» (د. مهـدى مخـزومى، عبقـرى مـن البصـرة / ٣٥).

وقـد أعمل الخليل ذهنه فى اللغـة مستخـدما الإحصـاء، فوجد أن مبلغ عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل على مراتبها الأربع من الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى من غير تكـرار اثنـا عشـر ألف ألف وثـلاثمـائة ألف وخمسـة آلاف وأربعمائة واثنا عشر (٤١٢, ٣٠٥, ١٢) ثم قسمها كالآتى:

الثنائى: سبعمائة وستة وخمسون (٧٥٦) بناء.

والثلاثى: تسعـة عشـر ألفـا وستمـائة وستـة وخمسـون (١٩, ٦٥٦) بناء.

والـربـاعى: أربعمـائة وواحـد وتسعـون ألفـا وأربعمـائة (٤٩١, ٤٠٠) بناء والخمـاسى: أحـد عشر مليـون وسبعمائة وثلاثة وتسعون ألفا وستمائة (٦٠٠, ٧٩٣, ١١).

وقد جمعتها فوجدتها قد وصلت إلى المجموع الذى ذكره وهو (٤١٢, ٣٠٥, ١٢). وقد أدرك الخليل نظرية المحاكاة لأصـوات الطبيعة، وهى إحـدى نظـريـات نشأة اللغة، قـال الخليل: «صر الجندب صريرا، وصـرصر الأخطب صرصرة، كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطـالة ومدا، وتوهموا فى

صوت الأخطب ترجيعا». وقال: «صلّ اللجام صليلا، فلو حكيت ذلك قلت: صل تمد اللام وتثقلها، وقد خففتها من الصلصلة، وهما جميعا صوت اللجام، فالتثقيل مد، والتضعيف ترجيع» (تهذيب الأزهرى ١ / ٤٩).

وقد لخص أبو الطيب اللغوى إبداع الخليل فى اللغة، فقال: وإبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها، فمن ذلك تأليفه كلام العرب فى الحروف فى الكتابة المسمى بكتاب «العين» فإنه هو الذى رتب أبوابه، وتوفى من قبل أن يحشوه. ومهما قيل فى نسبة كتاب العين فإن المتفق عليه أن الخليل هو مبدع أبوابه وطريقته وإن اختلف فى حشوه.

٢ ـ إبداع الخليل فى الصوتيات:

«لا نعلم أحدا قبل الخليل تناول الحروف بالدرس تناول الخليل إياها، وإليه وحده يعزى هذا العمل الضخم الذى كان متمما للعَمل القرآنى الذى بدأه أبو الأسود، والذى كان عملا علميا يستند إلى فهم واع لطبيعة العربية، فقد أبدل الحركات بالنقط، التى كان أبو الأسود قد استخدمها رموزا للفتحة والضمة والكسرة فى أواخر الكلمات، فقد رمز للفتحة بألف صغيرة ترسم فوق الحرف، وللضمة بواو صغيرة ترسم فوق الحرف، والكسرة بياء راجعة (ـے) استغنى عن أحد شقيها ترسم تحت الحرف... وزاد على هذا، فوضع رمزا للهمزة، ورمزا للتشديد على ما نعرف اليوم، ووضع رموزا أخرى للإشمام، والروم وغيرهما (تهذيب الأزهرى ١ / ٥٠).

ولم يقتصر نفع هذه العلامات على أواخر الكلمات فقط، بل شملت سائر الحروف التى تتألف منها الكلمة، ولم يخش معها من تصحيف أو تحريف، لأنها ليست بنقط فتختلط بنقط الإعجام التى وضعها نصر بن عاصم الليثى تلميذ أبى الأسود، واستطاع الدارسون أن يضبطوا كلمات النصوص القرآنية بالحركات ضبطا كاملا، واستطاع اللغويون أن يضبطوا بها أوزان المفردات اللغوية على اختلافها...

وبملاحظة الخليل الحروف على هذا النحو، واستقراء صفاتها والوقوف على طبائعها، وكلامه على المجهور والمهموس، والمستعلى والمستفلى، والشديد، والرخو والأذلق، والمصمت، والصحيح والمعتل، ووضعه هذه الألقاب وغيرها، وكلامه على أبنية الكلمات، وجد الدارسون أمامهم السبل ممهدة، فظهرت طائفة القراء اللغويين الذين أفادوا من عمل الخليل وسموا أنفسهم بأهل التجويد، وطائفة أخرى انصبت عنايتها على النظر فى بناء الكلمة.

ومن الطريف حقا أن نرى مصطلحات علم الأصوات الحديثة تتفق أكثرها مع المصطلحات التى وضعها الخليل وهى قريبة منها كل القرب، بل كان كثير منها يشير إلى أنها مصطلحات الخليل ترجمة تكاد تكون حرفية.

ولم يكن لعلم الأصوات اللغوية عند الغربيين تاريخ بعيد، وكل ماكان لهم من ذلك، هو ماسبق إليه اليونان من دراسة للظواهر الصوتية من ناحية السماع ولم يتناولوا دراسة الأصوات من حيث مخارجها، ولا من حيث صفاتها بالصورة التى تمت على يد الخليل، ولم يسبق الخليل إلا بهذه الدراسة، ودراسة صوتية أخرى، قام بها الهنود، تناولت مخارج الحروف فقط (مهدى مخزومى، عبقرى من البصرة / ٤٠، ٤١).

٣ ـ إبداع الخليل لعلم العروض:

قال حمزة بن حسن الأصفهانى فى كتابه «التنبيه على حدوث التصحيف» إن دولة الإسلام لم تخرج للعلوم التى لم يكن لها عند علماء العرب أصول أبدع من الخليل، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذى لا عن حكيم أخذه، ولا على مثال تقدمه احتذاه، وإنما اخترعه من ممر له بالصفارين من وقع مطرقة على طست» (وفيات الأعيان ٢ / ٢٤٥).

وقال الخليل: «رتبت البيت من الشّعر ترتيب البيت من بيوت العرب الشعر ـ يريد الخباء ـ قال: فسميت الإقواء ما جاء من المرفوع فى الشعر والمخفوض على قافية واحدة. وقال: وإنما سميته إقواء لتخالفه، لأن العرب تقول: أقوى الفاتل إذا جاءت قوة من الحبل تخالف سائر القوى. وقال: وسميت تغير ما قبل حرف الروى سنادا من مساندة بيت إلى بيت إذا كان كل واحد منهما ملقى على صاحبه مستويا هكذا... وقال: والإكفاء ما اضطرب حرف رويه فجاء مرة نونا، ومرة ميما، ومرة لاما... مأخوذ من قولهم: بيت مكفأ إذا اختلفت شقاقه التى فى موجزه، والكفاءة الشقة فى مؤخر البيت، والإيطاء رد القافية مرتين.

أما أجزاء التفعيلة، من سبب ووتد، وفاصلة، فهى من

جنس تسمية بيت الشعر بالبيت، لأن الأسباب والأوتاد من لوازم الخباء، وهى كذلك من إجراء التفعيلات التى يقوم عليها بيت الشعر» (المرزبانى، الموشح / ٢١).

ولم يدفعنى إلى ذكر مسميات علم العروض وتفصيلها كما جاءت على لسان الخليل، إلا لألفت النظر إلى إبداع الخليل فى اختراع الأسماء من مسميات البيئة العربية المحيطة به والتى عاشها، فأخذ مسميات الشِّعر من مسميات خباء الشَّعر الذى يعيش فيه العربى فى البادية، وهى أحدث ما يعرض اليوم فى الأسس التعليمية من طرق ناجحة تقوم على اعتماد التمثيل والتقريب من البيئة، وقد خلد وحده البيت العربى الذى يعيش فيه البدوى من العرب والحضرى منهم أيام الربيع، خلد مسميات البيت فى مخترعه العلمى.

ولا بد من التنويه هنا بما جاء فى دائرة المعارف الإسلامية، وفيها: «نقول وفن العروض قديم عند اليونان ولأرسطو فيه كتاب جليل، لكن لا يمكننا القول إن الخليل اهتدى إلى ذلك من الوقوف على كتب اليونان لأن هذه الكتب لم تترجم ولم تختلط علوم اليونان بعلوم العرب إلا فى زمن المأمون وبعده» (دائرة المعارف الإسلامية ٧ / ٤٦١).

ولا يلتفت إلى ما جاء بعد ذلك من قول يعتبره المدققون هذيانًا وذلك قول بعضهم إن الخليل كان له إلمام تام باليونانية (المصدر السابق) وما هذا القول إلا نفثة من النفثات الشعوبية التى رأت إبداع الخليل للعروض أمرًا عجيبًا، فزعمت معرفته التامة باليانونية ليسلبوه هذا الفخر زاعمين أن منشأه من اليونان.. إلا أن المتفق عليه أيضًا أن الخليل هو مخترع علم العروض الذى قَصُرَ على أوزان العرب، ومن طريف ما قيل عن إبداع هذا أن الخليل تعلق بأستار الكعبة وقال: اللهم ارزقنى علمًا لم يسبقنى إليه الأولون، ولا يأخذه إلا الآخرون ثم رجع وعمل العروض.

الإبداع التربوى فى فكر الخليل:

رأينا الخليل قد بزَّ أقرانه، وأبدع فى اللغة والصوتيات والعروض، فما آراؤه التربوية، وما نصيب الفكر التربوى عنده؟

لم يخلف لنا الخليل كتابا منفردًا فى التربية، ولكنه ترك كثيرًا من الوصايا التربوية التى تناول فيها العلم والعلماء والطلبة، أى أنه تناول الحديث عن العناصر الأساسية فى التربية، الذين يشكلون المادة الأولية والمعلمين الذين يجرون عمليات التفاعل التربوية، والمادة العلمية التى تصب فى أذهان التلاميذ بأساليب مختلفة حسب ما يراه كل مربٍّ لإحداث التفكير المطلوب فى سلوك المتعلمين، وقد استخدم فى كل هذه المعطيات المنهج التجريبى لأنه كان عمليًا تجريبيًا فى كل منهجه الإبداعى، فأظهر معرفة واسعة بأصول العلم وبأشكال المعلمين والمتعلمين.

وأظهر أسلوبًا فى التعليم ينم عن إدراكه للفروق الفردية فى التربية والاجتماع وأبدع فى المنهج التجريبى العملى كما أبدع فى البعد النظرى.

فهو فى تعامله مع التلاميذ معلما يكشف لهم سر العلم ويعطيهم مفاتيحه حيث يقول: «العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك» ويذهب أبعد من ذلك ليؤكد على الالتزام العلمى فيقول: «ثم أنت فى إعطائه إياك بعضه مع إعطائك إياه كلك على خطر». فقد تفلح معه وقد لا تفلح (روضات الجنات، مخطوطة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية / ٢٧٣).

ويؤكد على الأسلوب الموسوعى فى التعليم فمن الأجدى والأنفع للطالب أن يتعلم كل العلوم وإذا احتاج علما ما، فإنه لا بد له للوصول إليه من تعلم ما لا يحتاج إليه، فكان يقول: لا يصل أحد إلى ما يحتاج إلا بعلم ما لا يحتاج إليه» (المصدر السابق).

ويتناول الحديث عن أنسب أوقات الدراسة فيراه وقت السحر، لأن ذهن الإنسان يكون صافيا، وهذا موافق تماما للمعطيات العلمية والتربوية المعاصرة وعنه يقول: «أصفى ما يكون ذهن الإنسان، وقت السحر» (المصدر السابق). وأما وصول المتعلم إلى أكمل ما يسعى إليه فى حياته التعليمية فهو فى سن الأربعين يقول: «أكمل ما يكون الإنسان عقلا وذهنا إذا بلغ أربعين سنة» (المصدر السابق).

وينبه المتعلم إلى الاستقلال بشخصيته ومنهجيته وعدم التأثر بالمعلم، والانسياق وراءه إلا بعد سماع ما عند غيره للوصول إلى صحة ما يقوله، وهذا مما اكتسبه بالتجربة والدربة وسمعه من أستاذه أيوب السختياني، فخلده في قوله: «لا يعلم الإنسان خطأ معلمه حتى يجالس غيره» (المصدر السابق).

وقد كان الخليل يدرك الفروق الفردية في التربية والتعليم والاجتماع، ويُعد في هذا الجانب التربوي سبَّاقا لعصره، إذ أن هذا الموضوع (الفروق الفردية) هو من أهم ما تعنى به الدراسات الحديثة في التوجيه النفسي، والمناهج التربوية والتخطيط الاجتماعي لإعداد أفراد المستقبل، وأهمية دراسة الفروق تأتي من أن الفرد هو حجر الزاوية في كل إصلاح جذري عميق، وأن التوجيه والمناهج والتنظيم لا تحقق النجاح إذا تجاهلت تكوين الأفراد الذي تتفاعل معهم، ولم تدرك ما يمتازون به من مواهبُ واستعدادات (الفروق الفردية، د. عبد الحميد الهاشمي / ٣).

ولذا فقد ظهر من حلقة الخليل تلاميذ متخصصون بسبب براعة الخليل في اكتشاف مواهبهم ومعالجتهم تعليميا حسب الفروق التي بينهم، فكان سيبويه متخصصا في العروض.

وقد توصل الخليل إلى الكشف عن الفروق الموجودة بين تلاميذه وتحسس درجات الذكاء عندهم بالتجربة.

«فإذا وجه التلميذ أو التحق بحلقة دون توجيه، ورأى المدرس في هذه الحالة أو تلك أن التلميذ ينبغي له أن يفارق هذه الحلقة إلى سواها فإن المدرس ما كان يتردد في إبلاغ التلميذ هذه النتيجة، وينصحه بأن يغير الموضوع الذي شغل نفسه به، ويدرس موضوعا آخر، قال ابن جماعة: «وإذا علم أن تلميذا لا يفلح في فن أشار عليه بتركه والانتقال إلى غيره مما يرجى فيه فلاحه» (تذكرة السامع / ٥٧).

روى أن يونس بن حبيب كان يختلف إلى الخليل بن أحمد يتعلم منه العروض، فصعب عليه تعلمه، فقال له الخليل يوما: من أي بحر قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئا فدعه
وجاوزه إلى ما تستطيع؟

ففطن يونس لما عناه الخليل، فترك العروض، وأخذ يتعلم النحو، وقواعد اللغة حتى أصبح في ذلك إماما وعالما شهيرا (نسب هذا الخبر في مصادر أخرى للأصمعي).

وهنا يتجلى أدب الخليل الشخصي، وحسن التوجيه، وهذا الخبر يفيد أن الخليل كان يعقد حلقات منفصلة واحدة للعروض، وأخرى للنحو، وثالثة للغة وما على التلميذ هنا إلا أن يحضر حلقة علمية أخرى غير العروض.

وقد تنبه الخليل إلى مسألة الجزاء في التربية ووضع لها الضوابط اللازمة وأكد أن استعمال «الحزم في وقت الاستغناء فيه غنى عن الاحتيال في وقت الحاجة إليه، وحسب المرء من الشر أن يرضى من نفسه فسادا لا يصلحه ومن علم بفساد نفسه علم بصلاحها» (دائرة المعارف الإسلامية جـ٧ مادة الخليل بن أحمد).

وينتقل الخليل من خلال منهجه التربوي التجريبي إلى طبقات المعلمين خاصة والناس عامة، فيرى أنهم ينقسمون إلى أقسام «من الناس من يدرك أنه يدري فذاك عالم فاتبعوه، ومنهم من يدري ولا يدري أنه يدري فذاك ضال فأرشدوه، ومنهم من لا يدري أنه لا يدري فذاك طالب فعلموه، ومنهم من لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذاك جاهل فاحذروه» (مراتب النحويين/ ٢١).

وهذا التقسيم يجعلنا نقف على معارف الخليل بالتحليل النفسي فهو يوضح نفسيات المعلمين للمتعلمين، وهذه مسألة تبحث الآن في أطر التربية المستقبلية إذ يحكم على المعلمين من خلال آراء التلاميذ فهم الزبائن الذين يرتادون محله وهو التاجر الذي يعرض عليهم ما عنده ويرغبهم في الأخذ منه أو عدم الأخذ.

وهو ينبه المتعلمين إلى نفسيات بعض الناس ممن لا علم عندهم، وهم لا يعلمون أنه لا علم عندهم، وهذا أمر هام جدا، فهو يجعل قيمة العلم عند المتعلم مرتبطة بالنتيجة أو بالمحصول العلمي، وينبني على هذا الوصول إلى أن الخليل أدرك الخطوط الرئيسية لعلم الاتصال من وإلى ومن وإلى. أي من المتعلم إلى المعلم، ومن المعلم إلى المتعلم، فمن المعلمين من يرسل مادة تعليمية هامة وهو يعلم أنها عامة، ويعلم قيمة ما يقوله، وهذا أمر يشد الانتباه، وما على المتعلم

هنا إلا أن يتلقف هذه الرسالة فيضعها فى موضعها الصحيح .

ومن هؤلاء المعلمين من يعتقد نفسه أدنى مما هى عليه ولا يعلم حقيقة ما عنده، وتبعا لهذا فإن التلاميذ أيضا يجهلونه، فإذا أرسل إليهم رسالته مليئة بإلهام المفيد أدرك المتلقى أنه يسمع مادة علمية رفيعة المستوى، ولكن المرسل يرسلها دون أن يعلم قيمتها وقيمة ما عنده، وهنا يأتى دور المرسل إليه بتنبيه المرسل على قيمة الرسالة، ويطالبه بالمزيد ليدرك من خلال الإقبال على ما عنده قيمة علمه، وهذا يشكل تعزيزا إيجابيا، يجعله داريا بأن الذى عنده صالح قابل للعطاء، فيعطى وينمى مواهبه بناء على صحة النتائج التي توصل إليها،

ومن هؤلاء من يأتى خاوى الوفاض، لا يملك شيئا من علم الأسلوب وهؤلاء صاروا يشكلون الأكثرية فى زماننا هذا ...

وينتقل الخليل إلى العنصر الثالث من عناصر التعليم بعد المتعلم والمعلم وهو عنصر المادة التعليمية، فيرى أن العلوم أربعة:

- علم له أصل وفرع .
- وعلم له أصل ولا فرع له .
- وعلم له فرع ولا أصل له .
- وعلم لا أصل له ولا فرع .

فأما الذى له أصل وفرع، فالحساب ليس بين أحد من المخلوقين فيه خلاف، وأما الذى له أصل ولا فرع، فالنجوم لها حقيقة يبلغ تأثيرها فى العالم .

وأما الذى له فروع ولا أصل له، فالطب وأهله منه على التجارب إلى يوم القيامة، والعلم الذى لا أصل له ولا فرع فالجدل، يعنى الجدل بالباطل.

وهذا أيضا يدل على قدرة الخليل على تقسيم العلوم تقسيما يدل على مبلغ علمه وسعة عقله، ويمكن التعامل على هذا التقسيم فى عصرنا مع الرياضيات وعلم الفضاء وعلوم الطب والبحث العلمى، وعلم الفلسفة والديالكتيك [علم اللهجات] .

ويتجاوز الخليل الجوانب التربوية ليصل إلى الجوانب الأخلاقية، ويظل مولعا بالتقسيم والتفصيل أسلوبا من أساليبه التربوية، فيضع أربع نقاط تعرف بهن الآخرة، ليتعظ الناس وتهذب النفوس، وتصفوا الرؤوس .

- الصفح قبل الاستقالة (الاستقالة: طلب الصفح) .
- تقديم حسن الظن قبل التهمة
- البذل قبل المسألة .
- مخرج العذر قبل العتب (إنباه الرواة ١ / ٣٤٦، ٣٤٧) .

وإذا عدنا إلى عناصر الإبداع عند الخليل، وإلى موقفه من العلم والعلماء ودعوته إلى التكثر من العلم للمعرفة، والتقلل منه للحفظ، نكون قد وقفنا على منهج متكامل وضعه الخليل للتربية والإبداع، وإيجاد الشخصية المنتجة، ونكون قد أعطينا جانبا جزئيا من جوانب الخليل المتعددة، ولا غرابة أن تكون للخليل جوانب كثيرة يظهر فيها ذكاؤه الذى اتفق عليه علماء الأمصار وأدباؤهم فى مؤتمر أدبى عقدوه بمكة، وحكاه التنوخى، قال: «اجتمعنا بمكة أدباء كل أفق فتذاكرنا أمر العلماء، فجعل أهل كل بلد يرفعون علماءهم ويصفونهم ويقدمونهم، حتى جرى ذكر الخليل، فلم يبق أحد إلا قال: «الخليل: أذكى العرب وهو مفتاح العلوم ومصرفها» (مراتب النحويين / ٢٩) .

وإذا كان هذا إجماع الأدباء فى المؤتمر الأدبى الأول الذى عقد للأدب العربى، فإن العلماء لهم فيه رأى آخر، يقول عنهم المحدث العالم الجليل سفيان بن عيينة وهو قوله: «من أحب أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد» («الخليل الفراهيدى / ١٨٣ - ١٩٣) .

ونلخص هذا كله فنقول: نبغ الخليل بن أحمد فى العربية نبوغا لم يكن لأحد ممن تقدمه أو تأخر عنه، وكان غاية فى تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله، فبسطه وفرع على أصوله وجعله علما مضبوطا ، ولقن ذلك تلميذه سيبويه فكان كتابه الذى يعتبر أصل كل كتاب فى النحو معقودا أكثره بلفظ الخليل. والخليل هو الواضع للشكل المستعمل الآن فى ضبط الحروف .

ومما يشهد له بحدة الفكر وبعد النظر اختراعه العروض علما كاملا لم يحتج إلى تهذيب بعده، وابتكاره طريقة تدوين المعجمات بتأليف كتاب العين، وتدوينه كتابا دقيقا

فى الموسيقى على غير معرفة بلغة أجنبية أو اشتغال بلهو وزاد فى الشطرنج قطعة سماها جملا لعب بها الناس زمنا. وبقى الخليل مقيما بالبصرة طول حياته زاهدا متعففا متقشفا مكبًّا على العلم والتعليم حتى مات (الوسيط / ٢٣٠).

ولد ــ رحمه الله ــ سنة مائة بالبصرة، وتوفى سنة سبعين ومائة. وكان سبب موته أنه قال: أريد أن أقرب نوعا من الحساب تمضى به الجارية إلى البقال، فلا يمكنه ظلمها، ودخل المسجد، وهو معمل فكره فى ذلك، فصدمته سارية، وهو غافل عنها بفكره، فانقلب على ظهره، فكانت سبب موته. وقيل: بل كان يقطِّع بحرا من العروض. والله أعلم أى الأمرين كان.

له ترجمة فى إشارة فى التعيين الورقة ١٨ ـ ١٩، والأنساب ٤٢١ أ، وتاريخ أبى الفدا ٢ / ٨، وتاريخ ابن كثير ١٠ / ١٦١ ـ ١٦٢، وتقريب التهذيب / ٧٢، وتلخيص ابن مكتوم / ٦٥ ـ ٦٦، وتهذيب التهذيب ٣ / ١٦٣ ـ ١٦٤، وتهذيب اللغة للأزهرى ١ / ٤ ـ٥، وخلاصة تذهيب الكمال / ٩١، وابن خلكان ١ / ١٧٢ ــ ١٧٥، وروضات الجنات / ٢٧٢ ـ ٢٧٦، وسرح العيون / ١٨٤ ـ ١٨٧، وشذرات الذهب ١ / ٢٧٥ ـ ٢٧٧، وشرح مقامات الحريرى للشريشى ٢ / ٢٤٦ ـ ٢٤٨، وطبقات الزبيدى / ٢٢ ــ ٢٥، وطبقات ابن قاضى شهبة ١/ ٣٣٥ ــ ٣٣٨، وطبقات القراء لابن الجزرى ١ / ٢٧٥، والفلاكة والمفلوكين / ٦٩ ــ ٧٠، وكشف الظنون / ١٤٤١ ـ ١٤٤٤، واللباب ٢ / ٢٠١، ومرآة الجنان ١/ ٣٦٢ ـ ٣٦٧، ومراتب النحويين / ٤٣ ـ ٦٤، والمزهر ٢ / ٤٠١ ـ ٤٠٢، ٤٦١، ومسالك الأبصار جـ ٤ مجلد ٢ / ٢٧٣ ـ ٢٧٦، ومعجم الأدباء ١١ / ٧٢ ــ ٧٧، والنجوم الزاهرة ١ / ٣١١ ـ ٣١٢ و ٢ / ٨٢، ونزهة الألباء ٥٤ ـ ٥٩.

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٧٧، ١٧٨، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى ــ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٣٤١ ــ ٣٤٦ وفيه وفاته سنة ١٧٥، ونشأة النحو ـ الشيخ محمد الطنطاوى / ٧٧، ٧٨ وفيه وفاته سنة ١٧٥، وأخبار النحويين البصريين لأبى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى ـ تحقيق د. محمد إبراهيم البنا / ٥٥، ٥٦، والمعارف لابن قتيبة ـ حققه وقدم له د. ثروت عكاشة / ٥٤٢، والأعلام للزركلى ٢/ ٣١٤ وفيه وفاته سنة ١٧٠، و «الخليل الفراهيدى» ـ د. زيد بن عبد المحسن الحسين. من أعلام التربية العربية الإسلامية. مكتب التربية العربى لدول الخليج م ١ / ١٨٣ ــ ١٩٣، والوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ــ الشيخ أحمد الإسكندرى والشيخ مصطفى عنانى / ٢٣٠).

*** خليل بن إسحاق:**

انظر: الشيخ خليل.

*** خليل بن أيبك:**

انظر: صلاح الدين الصفدى.

*** الخليل بن قلاوون (الأشرف ـ) (٦٦٦ ـ ٦٩٣ هـ / ١٢٦٨ ـ ١٢٩٤):**

وهو السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجمى، جلس على العرش يوم وفاة أبيه فى يوم الأحد سابع ـ ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة. وكان والده قلاوون قد وكل إليه أمر السلطنة فى حياته بعد موت أخيه الملك الصالح على بن قلاوون فى سنة سبع وثمانين وستمائة، ثم تربع على تخت الملك بعد موت أبيه بعد أن جدد الأمراء والجند الحلف بالولاية له.

والأشرف خليل هو السلطان الثامن من ملوك دولة المماليك البحرية وأولادهم. (مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ٢ / ٨٢).

قال عنه الزركلى وقد أدرجه تحت عنوان «الأشرف ابن قلاوون»: خليل بن قلاوون الصالحى، الملك الأشرف صلاح الدين، ابن السلطان الملك المنصور، من ملوك مصر. ولى بعد وفاة أبيه (سنة ٦٨٩ هـ) واستفتح الملك بالجهاد فقصد البلاد الشامية وقاتل الإفرنج، فاسترد منهم عكا وصورا وصيدا وبيروت وقلعة الروم وبيسان وجميع الساحل، وتوغل فى الداخل. وكان شجاعا مهيبا عالى الهمة جودا، له آثار عمرانية، وللشعراء أماديح فيه قتله بعض المماليك غيلة بمصر. يقول «وليام موير: الضربة القاتلة التى قضت على جنود الصليب كانت على يد السلطان خليل (الأعلام ٢ / ٣٢١).

وتوافينا الدكتورة سعاد ماهر بتفاصيل ذلك على النحو التالى:

فى عام ٦٩٠ هـ أخذ الملك الأشرف فى التجهيز للسفر

إلى البلاد الشامية، وإتمام ما كان قد قصد إليه والده من حصار عكا، فأرسل إلى البلاد الشامية بعد أن استتب له أمر الملك، فجمع العساكر وعمل آلات الحصار وجمع الصناع. خرج بعساكره من الديار المصرية وسار حتى نازل عكا فى يوم الخميس رابع شهر ربيع الآخر سنة ٦٩٠ هـ بما اجتمع عنده من جند مصر وجند الشام والعديد من المتطوعين، ونصب عليها المجانيق الكبار الفرنجية خمسة عشر منجنيقا، منها ما يرمى بقنطار دمشقى، وأكبر ومنها دونه. وأما المجانيق. الشيطانية وغيرها فكثيرة.

ولما ضاق الخناق بأهل عكا استنجدوا بصاحب قبرس، فقدم إليهم فأشعلوا نيرانا عظيمة فرحا بمقدمه، غير أنه لما رأى انحلال أمرهم وعظم ما دهمهم، عاد إلى بلاده بعد أن لبث فيهم ثلاثة أيام.

لم يزل الحصار يطوق مدينة عكا والمسلمون يجدون فى الاستيلاء عليها حتى انحلت عزائم من بالمدينة وضعف أمرهم واختلفت كلمتهم.

فلما كان فجر يوم الجمعة سابع جمادى الأولى، ركب السلطان والعساكر وزحفوا عليها قبل طلوع الشمس وعند ملاصقة عسكر السلطان لسور المدينة، هرب الفرنج، وملكت المدينة بالسيف، ولم تمض ثلاث ساعات من النهار المذكور، إلا وقد استولى المسلمون عليها ودخلوها؛ فهرب الفرنج قاصدين البحر فتبعتهم العساكر الإسلامية وأسرتهم ولم ينج منهم إلا القليل. غيرا أن جماعة الديوية والاستبارية عصوا أمر التسليم كما استتر الأرمن فى أربعة أبراج عالية فى وسط المدينة فحصروا فيها.

وفى اليوم الثانى لفتح المدينة، قصد جماعة من الجند وغيرهم الدار والبرج الذى فيه الديوية فطلب من فيهما الأمان فأمنهم السلطان وفى اليوم الثامن والعشرين من جمادى المذكورة أخذ السلطان البرج الذى بقى بعكا وأنزل من فيه بالأمان، وكان قد أغلق من سائر جهاته، فعزل السلطان النساء والصبيان ناحية وضرب رقاب الرجال أجمعين. والعجيب أن الله سبحانه وتعالى قدر فتح عكا فى مثل اليوم الذى أخذها الفرنج فيه، ومثل الساعة التى أخذوها فيها، فإن الفرنج كانوا قد استولوا على عكا فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة فى الساعة الثالثة من النهار وأمنوا من كان بها من المسلمين ثم قتلوهم غدرا. وقدر الله تعالى أن يسترجعها المسلمون منهم فى هذه المرة يوم الجمعة فى الساعة الثالثة من النهار، ووافق السابع عشر من جمادى الأولى وأمنهم السلطان ثم قتلهم كما فعل الفرنج بالمسلمين، فانتقم الله تعالى من عاقبتهم.

جهز السلطان عند منازلته عكا جماعة من الجند جعل مهمتهم حفظ الطرق وتعرف أخبار الفرنج المنهزمين، فلم يشعر الأمير علم الدين سنجر الصوابى رئيس تلك الحملة، إلا ومواكب الفرنج المنهزمين من عكا قد قصدت ميناء صور، فحال بينهم وبين الميناء، فطلب أهل صور أمانا فأمنهم على أنفسهم وأموالهم فسلموه المدينة وقد كانت صور من الموانى الحصينة حتى أن صلاح الدين الأيوبى لم يستطع فتحها فيما فتح من مدن الساحل، بل كان صلاح الدين كلما فتح مكانا وأمن أهله أوصلهم إلى صور لمناعتها. وأخيرا ألقى الله فى قلوب أهلها الرعب فسلموها من غير قتال إذ لم يكن أمر الاستيلاء عليها يدور فى خلد الملك الأشرف.

رحل الملك الأشرف عن عكا قاصدا دمشق فزينت له المدينة واحتفل بقدومه احتفالا عظيما ولما استقر بدمشق شرع فى تجهيز حملة لإخضاع بلاد سيس، غير أن رسل صاحبها أظهروا الطاعة وطلبوا رضاء السلطان عليهم مع استعدادهم لإعطاء السلطان كل ما يطلبه من قلاع أو مال فتم الاتفاق على أن يسلم صاحب سيس لنواب السلطان ثلاث قلاع وهى: بهسنا ومرعش وتل حمدون وفرح الناس بذلك لأنها كانت مصدر قلق للمسلمين وخصوصا بهسنا التى كثيرا ما شن أصحابها الغارات على المسلمين.

عاد السلطان إلى الديار المصرية وفى سنة ثلاث وتسعين وستمائة قصد ومعه وزيره الصاحب شمس الدين بن السلعوس، نائب سلطنته الأمير بدر الدين بيدرا وجميع الأمراء إلى الصيد، فلما وصل إلى الطرانة فارقه وزيره ابن السلعوس متوجها إلى الإسكندرية أما السلطان فإنه نزل بالحمامات للصيد وكلف نائبه أن يأخذ العساكر ويتقدمه غير أن الأخير عاد وضرب السلطان ضربة قطع بها يده ثم تابعه الأمير حسام الدين لاجين وغيره فى الإجهاز عليه.

ولما قُتل السلطان، بايع الأمراء بيدار بالسلطنة وبينما هو عائد إلى القاهرة إذا بمماليك السلطان الأشرف يتقدمون فى نحو ألف وخمسمائة فارس مطالبين بدم أستاذهم والانتقام من بيدرا ومن معه وكان يتزعم هؤلاء الأمير زين الدين كتبغا فأحاطوا ببدرا الذى تفرق عنه أصحابه لما عرفوا أن الدائرة ستدور عليه وقد تمكن زين الدين كتبغا من القبض على بيدرا وقتله.

(مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ـ د. سعاد ماهر محمد ٣/ ٨٢ـ ٨٥).

*** خليل بن قلاوون (ضريح الأشرف) (٦٩٠ هـ):**

يقع ضريح السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون السابق ترجمته بشارع الخليفة بقسم الخليفة وجاء وصفه المعمارى للدكتورة سعاد ماهر كما يلى:

يشبه ضريح السلطان الأشرف خليل ضريح فاطمة خاتون المجاور له، إلى حد كبير سواء من حيث المساحة أو الأسلوب المعمارى أو الزخارف الجصية والخطية، ولذلك فإن كزويل يعتقد أن المعمار الذى قام بالتنفيذ واحد فى الاثنين. ويتكون الضريح من مكعب تقريبا طول ضلعه (١٤) مترا من الخارج. وترتكز الجدران من الخارج على قاعدة مشطوفة ارتفاعها ٣٥ سم وعرضها ١٦ سم، قد زال كثير من هذه القاعدة ولم يبق منها إلا أجزاء فى الضلع الشرقى والضلع الغربى. وتستدق الجدران إلى أعلى وعلى ارتفاع (٢٣, ١١) مترا تبدأ الشرفات المدرجة التى تشبه تلك الموجودة فى سقيفة الضريح.

وفى وسط كل ضلع من أضلاع الضريح يوجد باب ما عدا جدار القبلة حيث تتوسطه القبلة والأبواب كلها مستطيلة إذ يبلغ وسعها (١,٨٠) مترا وارتفاعها (٢,٩٠) مترا ويعلو كل باب عتب خشبى فوقه عقد عاتق. وتعلو كل باب وكذا بروز المحراب نافذة طويلة معقودة يعلوها عقد مدبب ويحيط بها زخارف قالبية ويعلو الزخارف القالبية فى النافذتين الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية بقايا كتابات كوفية جصية تشبه تلك الموجودة فى ضريح فاطمة خاتون.

وتعلو المكعب رقبة مثمنة مبنية من الآجر ارتفاعها حوالى (٦) أمتار وفى كل ضلع من أضلاع المثمن توجد حنية بداخلها نافذة. وترتكز عقود الحنايا على أعمدة مندمجة. وفى كل أركان المربع توجد درجة من الخارج تفصل بين المربع ومنطقة الانتقال إلى مثمن الرقبة.

ويشبه الضريح من الداخل كذلك ضريح فاطمة خاتون، إذ تحيط بالأبواب الثلاثة وكذا المحراب حنايا مستطيلة إذ يبلغ طولها (٣,١٠) أمتار ويبلغ عمقها ٤٥ سم وعلى جوانبها أعمدة، زالت معظمها الآن. وفى الجزء العلوى من حنية توجد النوافذ التى أشرنا إليها سابقا.

وعلى ارتفاع ٩ أمتار من أرضية الضريح توجد فى أركان المربع ثلاثة صفوف من المقرنصات كل صف يحتوى على خمسة مقرنصات. ويقع الصف الأول من المقرنصات على مستوى نهاية النافذة التى تتوسط كل ضلع من أضلاع المربع. وبين أركان وعلى ارتفاع صفى المقرنصات توجد نافذة ذات ثلاث فتحات. والمقرنص المتوسط فى الصف الثالث قد فتح على شكل نافذة فى مستوى الفتحة العليا فى النافذة ذات الثلاث فتحات وهى ترى واضحة من الخارج فوق الدرج الذى يفصل بين المربع ومثمن الرقبة. ويعلو صفوف المقرنصات الثلاث شريط جميل من الزخارف جزؤه السفلى يحتوى على كتابات قرآنية بالخط النسخى محصورة فى ثمانية بحور تفصل بينها دوائر. والجزء العلوى يحتوى على زخارف نباتية محورة يتخللها (٢٤) نافذة مستديرة ملئت كلها بزخارف هندسية من الجص، وإن كان ثمان منها فقط هى المفتوحة وهى التى تتوسط أضلاع مثمن الرقبة. ويعلو شريط الزخرفة الذى يحتوى على النوافذ المستديرة إفريز من الخشب زالت زخارفه تماما، ويعلو ذلك مباشرة كوابيل خشبية لعلها كانت حوامل لسلاسل القناديل أو المشكاوات.

لقد قوّيت القبة بثمانى دعامات نصف دائرية، كما فتح فيها عند بدايتها أربع نوافذ وشكل القبة غير عادى وهى تشبه قبة الملك الصالح نجم الدين أيوب. وكانت القبة فى الأصل قبل الترميمات التى أجريت لها سنة ١٩١٧ مبنية من صفين من الآجر مع مونة جيدة للغاية.

ويبدو الضريح من الخارج وكأنه خال من الزخارف فيما عدا الزخارف الجصية فى النوافذ، وشريط الكتابة والشرفات. أما فى الداخل فقد كانت هناك ألواح رخامية تكسو الجدران

إلى ارتفاع تاج الأعمدة المندمجة فى الحنايا أى إلى ارتفاع (١٠ ,٣) أمتار وإن كان قد زال معظمها ولم يبق غير أجزاء صغيرة فى محراب السقيفة التى تتقدم الضريح . كما توجد بقايا للرخام الملون فى تجويف المحراب . وهناك أشرطة جصية تفصل الصف الأول من المقرنصات وكذا الشريط الذى يعلو الصف العلوى من المقرنصات الذى سبق وصفه . كما يعلو النوافذ الأربع التى تعلو أبواب الضريح شريط من الزخارف الجصية كما ملئت النوافذ من الداخل والخارج بزخارف جصية مخرمة ومعشقة بالزجاج تشبه تلك الموجودة بضريح الصالح نجم الدين والخلفاء العباسيين .

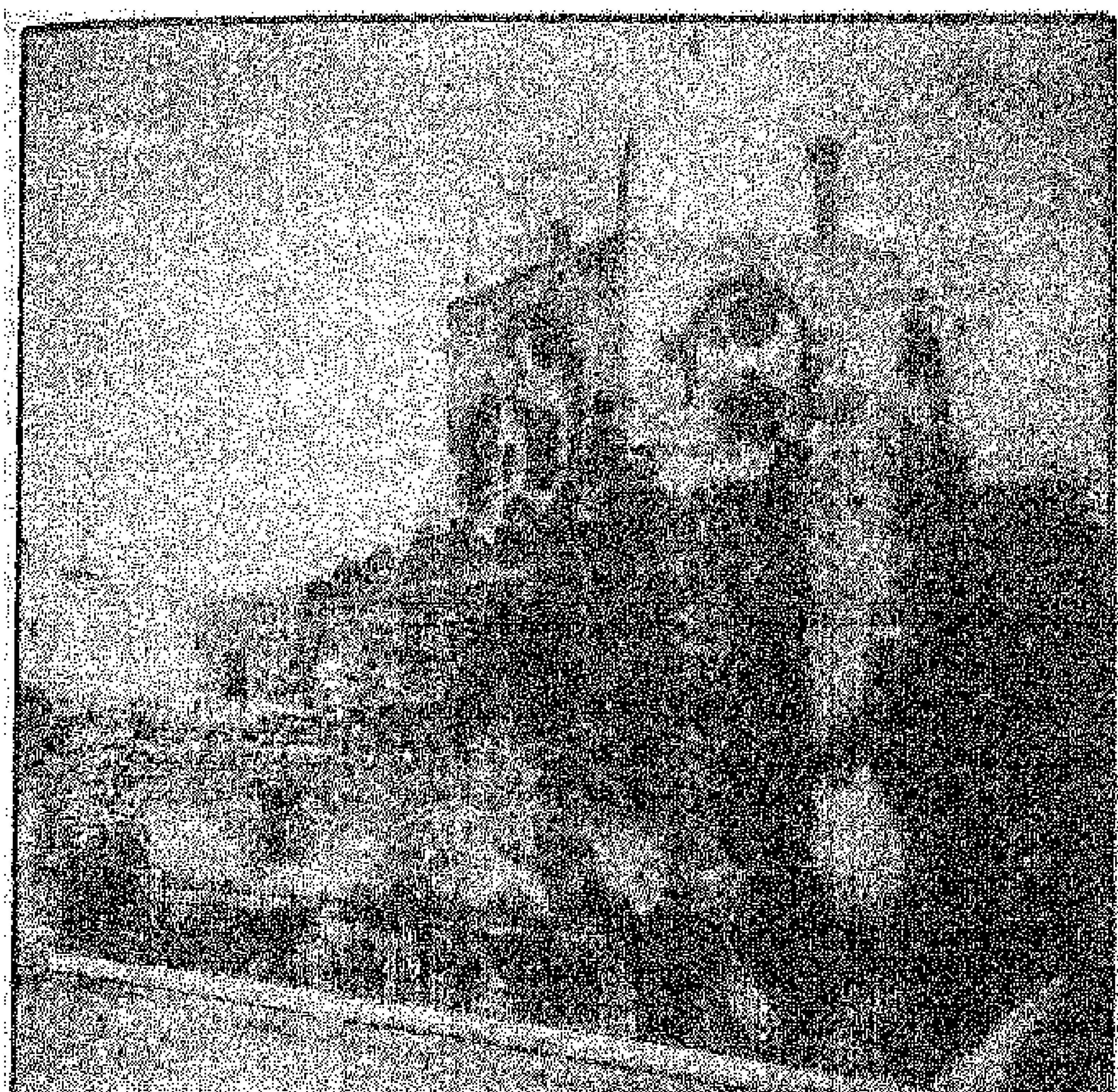
ويتقدم الضريح سقيفة زال جزؤها الشمالى الشرقى ، ويبلغ ارتفاع جدرانها (٨) أمتار إلى بداية الشرفات . ويدخل إلى هذه السقيفة من باب يتوسط الضلع الشمالى الغربى على محور مدخل الضريح تماما . وكما يوجد على جانبى باب الضريح يوجد حنيتان زالت أعمدتهما المندمجة ، كذلك نجد على جانبى مدخل السقيفة من الداخل حنيتين . وفى الضلع الشمالى الشرقى يوجد باب بجانبه حنية عمقها ٥٠ سم تعلوها نافذة ، كما يبدو أنه كان يوجد باب فى الضلع الجنوبى الغربى يؤدى إلى الملحق . ومن المرجح أنه كان يوجد شريط من الزخرفة الجصية فى نهاية الجدار وقبل السقف المسطح ،



قبة السلطان الأشرف خليل بن قلاوون

الطرق التى تزخرف رقبة قبة ضريح الأشرف خليل





ضريح الأشرف خليل بن قلاوون

كما هو الحال فى ضريح فاطمة خاتون ، وكذلك فى مسجد الظاهر بيبرس . ولذلك فإن كرزويل يعتقد أن هذه السقيفة إضافة متأخرة بالنسبة للضريح .

أما عن تاريخ الضريح فإنه يبدو واضحا فى شريط الكتابة التى تحيط بأعلى جدران الضريح من الخارج ، فقد جاء فيها أن القبة بنيت فى شهور سنة ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م أى أنها بنيت قبل موت السلطان قلاوون الذى توفى سنة ١٢٩٠ . ولذلك فإن «برشم» يقول بأن الضريح بنى قبل أن يصبح الأشرف خليل وليا للعهد وأنه كان ملاصقا لمدرسة أنشأها الأشرف خليل وإن كان لم يبق من تلك المدرسة شىء يدل عليها .

(مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ـ د. سعاد ماهر محمد٣ / ٨٦ـ ٨٨) .

*** خليل بن كيكلدى العلائى:**

انظر: العلائى .

*** خليل الخالدى (مكتبة الشيخ -):**

من مكتبات القدس الشريف ، أعاده الله ديار إسلام . يقول الدكتور العسلى

كان الشيخ خليل الخالدى من أفذاذ العلماء

بالمخطوطات وأخبار العرب وعلمائهم ومؤلفيهم وكتبهم. وقد طاف بالعديد من البلدان للاطلاع على خزائن كتبها ولجمع المخطوطات ونوادر الكتب. فزار الأندلس والمغرب ومصر والشام وتركيا وغيرها لهذا الغرض وقد جمع فى مكتبته حوالى خمسة الآف مخطوط، وكان يحفظ كتبه فى صناديق ويضن بها فلا يعيرها، حرصا عليها من الضياع. توفى الشيخ خليل الخالدى سنة ١٣٦٠ هـ/ ١٩٤١م وقد وضعت كتبه ومخطوطاته فى داره الكائنة فى الزاوية الشمالية الغربية من الحرم سنوات عديدة. ثم نقلت إلى المتحف الإسلامى ثم إلى مكتبة المسجد الأقصى حيث توجد الآن. بيد أن كثيرا من كتبها القيمة قد ضاع ونهب عندما احتل الإسرائيليون القدس عام ١٩٦٧. وما تزال معظم مخطوطاتها الباقية محفوظة فى صناديق، تنتظر الصيانة والفهرسة والبحث.

(معاهد العلم فى بيت المقدس - د. كامل جميل العسلى / ٣٩٠).

*** خليل الزهاوى:**

خليل إبراهيم الزهاوى من الخطاطين ولد سنة ١٩٤٦ م فى خانقين. مارس أعمال التخريم ثم اتجه إلى الحرف العربى سنة ١٩٦٣ م التقى بالخطاط هاشم البغدادى ومير حسين (زرين خط) عمل فى دائرة الفنون التشكيلية بوزارة الإعلام.

(نفائس الخط العربى - حسن قاسم حبش / ٢٧٥).

*** خليل صادق (١٢٨٢-١٣٣٢ هـ / ١٨٦٥-١٩١٥م):**

خليل صادق الطرابلسى: فاضل، متصوف، من فقهاء الحنفية. من أهل طرابلس الشام. مولده ووفاته فيها. له «منح البر» فى شرح حزب البر للشاذلى، و «مناداة الخليل فى مناجات الجليل» و «كنز الصلات فى صيغ الصلوات» و«حسن المبنى فى أسماء الله الحسنى» و «رد الأسرار فى ورد الأذكار» و «ديوان شعر» منظوماته، وثلاث رسائل فى «علم الأنساب».

(الأعلام للزركلى ٢ / ٣١٨).

*** خليل الظاهرى (٨١٣-٨٧٣ هـ / ١٤١٠-١٤٦٨م):**

ترجم له على باشا مبارك تحت هذا الاسم فقال عنه: أما خليل الظاهرى فعلى ما وجدته فى كتاب الأنيس المفيد لدساسى، هو ابن شاهين صاحب كتاب كشف الممالك فى بيان الطرق والمسالك، كان والده شاهين من مماليك الملك الظاهر سيف الدين أبى الفتح من سلاطين الدولة الجركسية المتوفى سنة أربع وعشرين وثمانمائة هجرية بعد أن ملك ثلاثة أشهر. (فى الضوء اللامع م٢ جـ ٣/ ١٩٥: خليل بن شاهين غرس الدين الشيخى شيخ الصفوى الظاهرى برقوق).

وفى الأعلام ٢ / ٣١٨: خليل بن شاهين الظاهرى، غرس الدين، يعرف بابن شاهين... نسبته إلى الظاهر برقوق، وكان أبوه شاهين من مماليكه).

وقد تكلم المقريزي فى كتابة السلوك لمعرفة دول الملوك فى سنة إحدى عشرة وثمانمائة وسنة اثنتى عشرة وثمانمائة على شاهين هذا وقال: إنه كان دويدار الأمير شيخ، وفى السابع من رجب سنة تسع وثلاثين وثمانمائة خلع السلطان برسباى على الأمير غرس الدين خليل بن شاهين خلعة، وكان إذ ذاك حاكم الإسكندرية وتعين على دار الضرب بالقاهرة، وفى رجب من سنة أربعين وثمانمائة تقلد الوزارة وصار أمير الحج، وفى تاسع عشر شوال خرج إلى بركة الحج بالموكب المعتاد وسافر منها فى الثالث والعشرين منه ولم يزل فى وظيفة دار الضرب وأقام أخاه فيها مدة غيابه، وفى الخامس من ربيع سنة إحدى وأربعين خلع عليه خلعة وجعل حاكما على الكرك فمضى إليها من وقته، وفى سنة اثنتين وأربعين فى جمادى الثانية نقله السلطان جقمق إلى ولاية صفد وصار أميرا كبيرا، وفى شهر ذى القعدة من تلك السنة جعل واليا على ملاطيا، وفى شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وأربعين صار أمير ألف وانتقل إلى دمشق بدل الأمير طنبغا.

وفى مقدمة كتاب كشف الممالك للمترجم ما نصه: يقول العبد الفقير إلى الله تعالى خليل بن شاهين الظاهرى لطف الله به، إنى صنفت كتابا وسميته كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك يشتمل على مجلدين ضخمين يشتملان على أربعين بابا، جملة ذلك ستون كراسة فى قطع الكامل معتمدا فى ذلك على ما شاهده العيان، أو تحققته من نقل الثقات الأعيان الذين يرتكن إليهم غاية الارتكان، وعلى ما اطلعت عليه من كتب المتقدمين وما ضبطته منقولا عن المشايخ المعتبرين، ثم رأيت ذلك المصنف مطولا فانتخبت من ملخصه هذا المجلد وسميته (زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك) وجعلته اثنى عشر بابا واختصرت الكلام فيه

لاشتغالى بغيره من المصنفات انتهى (الخطط التوفيقية الجديدة ٨ / ٢٨٠، ٢٨١).

قالت المؤلفة: كتاب «زبدة كشف الممالك» هذا عندى ويأتى بيانه فى ثبت المراجع.

يضيف السخاوى فى الضوء اللامع قوله: لما مات الظاهر رجع خليل إلى حلب ثم إلى طرابلس فتمرض حتى كانت منيته بها فى جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ودفن بها فى تربة كان أعدها لنفسه، وكان يتعانى الأدب مع اشتغال ومشاركة فيه ومذاكرة حسنة بالتاريخ والشعر، وفهم جيد، وقد خمّس «البردة»، وكتبت عنه ما أنشدنيه لنفسه مما أودعته فى الجواهر وخاطب به شيخنا (يقصد شيخ الإسلام ابن حجر):

وقائلة من فى القضاة بأسرهم
يلازم تقوى الله طرا بلا ضجر
ويرأف فى الأحكام بالخلق كلهم
ويدعو لهم فى كل ليل إلى السحر
فقلت لها فهو الإمام أولو النهى
وذاك شهاب العسقلانى ابن الحجر
له كتب فى كل فن لقارئٍ
وشرح عجيب للبخارى من الخبر
وفى النحو والتصريف لم يسر مثله
كذا فى المعانى والبيان وفى الأثر

فأجابه شيخنا بما كتبته عنه أيضا:

أيا غرس فضل أثمر العلم والندى
فلله ما أزكى وما أطيب الثمر
يجود وينشى بالغنا ما أراده
فمستطلع دُرًا ومستنزل الدرر
لك الخير قد حركت بالنظم خاطرا
له مدة فى العمر ولت وما شعر
وقلدت جيدى طوق نعماك جائدا
فعالا ونطقا صادق الخبر والخبر
مناسبة اسمينا خليل وأحمد
لرأس أولى النظم الإمام الذى غبر

وكذا عندى من مراسلاته مع شيخنا غير ذلك، وقد كتب لى ولده ترجمته بخطه وقال إن شيخنا أجازه بالفتيا والتدريس بعد أن لازمه رواية ودراية حتى كان مما سمعه عليه مناقب الشافعى من تأليفه، وشهد له بأنه شارك أهل العلم فى فنونهم مشاركة فطن، إلى غير ذلك مما أورده شيخنا فى عدة سجعات؛ قال ولده وله نحو ثلاثين مصنفا فى الفقه والتفسير والتعبير والتاريخ والإنشاء وغيرها سمى يوسف بن تغرى بردى منها «المواهب فى اختلاف المذاهب» مرتب على أبواب الفقه؛ و «المنيف فى الإنشاء الشريف»، و «الكوكب المنير فى أصول التعبير»؛ و «الإشارات فى علم العبارات» «والدرة المضية فى السيرة المرضية»، وديوان شعره وهو فى عدة مجلدات، وقال إنه أنشده قصيدة قالها للملك الظاهر فى شرح حاله حين عزل عن أتابكية حلب قصد فيها الوزن والقافية وإنه وجد له مذاكرة بالشعر والتاريخ بحسب الحال.

(الضوء اللامع م ٢ جـ ٣ / ١٩٦، ١٩٧).

قالت المؤلفة: فات السخاوى أن يذكر من بين مؤلفات خليل الظاهر كتاب «زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك»، وقد ذكره الزركلى فى الأعلام ٢ / ٣١٨، كما ذكره وعلق عليه الدكتور عبد الرحمن حميدة فى كتابه (انظر ثبت المراجع) وهذا الكتاب هو الذى جعله يدرج خليل الظاهرى من بين الجغرافيين العرب. ونفرد لكتاب «زبدة كشف الممالك» مادة خاصة فى حرف الزاى إن شاء الله تعالى.

*** الخليل (مدينة):**

تقع مدينة الخليل على بعد ٤٤ (أربعة وأربعين) كيلو مترا جنوبى القدس، أعاده الله ديار إسلام وتعد من أقدم المدن الفلسطينية قبل عصر موسى عليه السلام. وغلب عليها اسم «الخلَيل» لأن بها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام (انظر مادة «إبراهيم الخليل عليه السلام» فى م ٢ / ١٣٠ ـ ١٤٣، ومادة «الحرم الإبراهيمى» فى م ١٣ / ٣٨٩ ـ ٣٩٥) قال عنها الدكتور محمد عبد الرحمن:

ومدينة الخليل من المدن التى تتميز بتاريخ طويل وحافل بالوقائع، فتدل الآثار التى اكتشفت فيها على أن تاريخها يرجع إلى أكثر من ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد، هذا يعنى أنها

بنيت منذ حوالى ٥٥٠٠ سنة أى بعد فترة وجيزة من بناء الأهرام فى مصر.

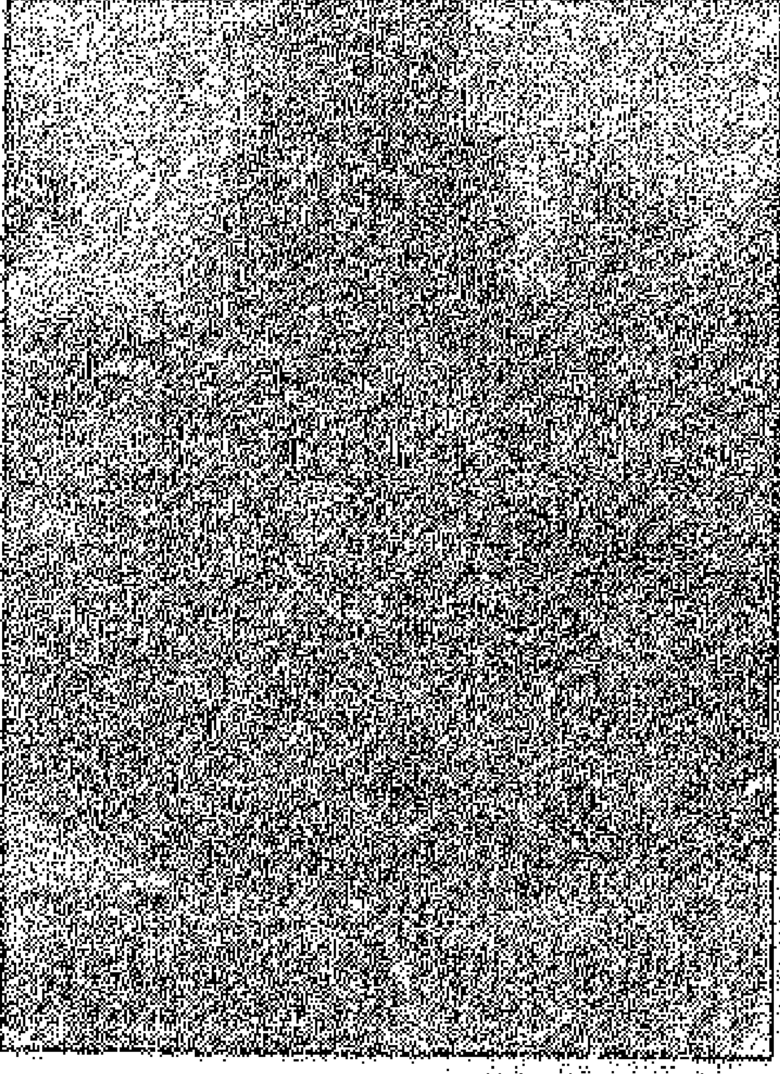
وقد كانت المدينة تدعى فى الأصل قرية أربع (بمعنى أربعة) نسبة إلى منشئها الملك أربع العربى الكنعانى المنتمى إلى قبيلة العناقيين . وهى التى كانت منازلها ممتدة على الجبال الواقعة بين الخليل والقدس، وقد كانوا يوصفون بالجبابرة، مع العلم أن الكنعانيين حكموا المنطقة من ٣٥٠٠ ـ ١٢٠٠ ق. م.

وقد وفد إليها واتخذها مقرا له النبى إبراهيم، وذلك فى أوائل القرن التاسع عشر قبل الميلاد حيث سكن بعض السنين تحت بلوطات مِمْر أو بطمات ممرا الواقعة فى شمال الخليل (انظر الصورة) وعند وفاته دفن فيها وبعض أفراد أسرته مثل زوجته سارة وولده إسحاق، وزوجته رفقة، ويعقوب وولده يوسف، بعد أن تم تحنيط جثتيهما ونقلهما من مصر، بالإضافة إلى زوجة سيدنا يعقوب ليقه. وهذه الأضرحة واقعة فى مغارة المكفيلة التى اشتراها خليل الرحمن من عفرون بن صوفر الحيثى.

وعندما خضعت المدينة للعبرانيين الذين خرجوا مع موسى من مصر وذلك إثر هزيمة الكنعانيين، أطلقوا عليها اسم حبرون نسبة إلى أحد أبناء كالب بن يقنة اليهودى، وحبرون اسم يهودى يعنى عصبة، صحبة، اتحاد، وقد اتخذها داود ابن سليمان قاعدة له لأكثر من سبع سنين، وفى عهد ولده سليمان اهتم بأضرحة إبراهيم وعائلته.

وقد ورد وصف للخليل فى كثير من كتب الرحالة والمؤرخين وذلك قبيل وقوعها فى يد الصليبيين سنة ١٠٩٩ م، فقد وصفها الإصطخرى فى كتابه المسالك والممالك الذى ألفه سنة ٩٥١ م «إنها مدينة صغيرة تقع جنوب بيت لحم وتعرف بمسجد إبراهيم عليه السلام، وفى المسجد الذى يجمع فيه الجمعة قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام صفا، وقبور نسائهم صفا بحذاء كل قبر من قبورهم قبر امرأة صاحبه، والمدينة فى وهدة بين الجبال كثيفة الأشجار، وأشجار هذه الجبال وسائر جبال فلسطين وسهلها زيتون وتين وجميز وعنب، وسائر الفواكة أقل من ذلك».

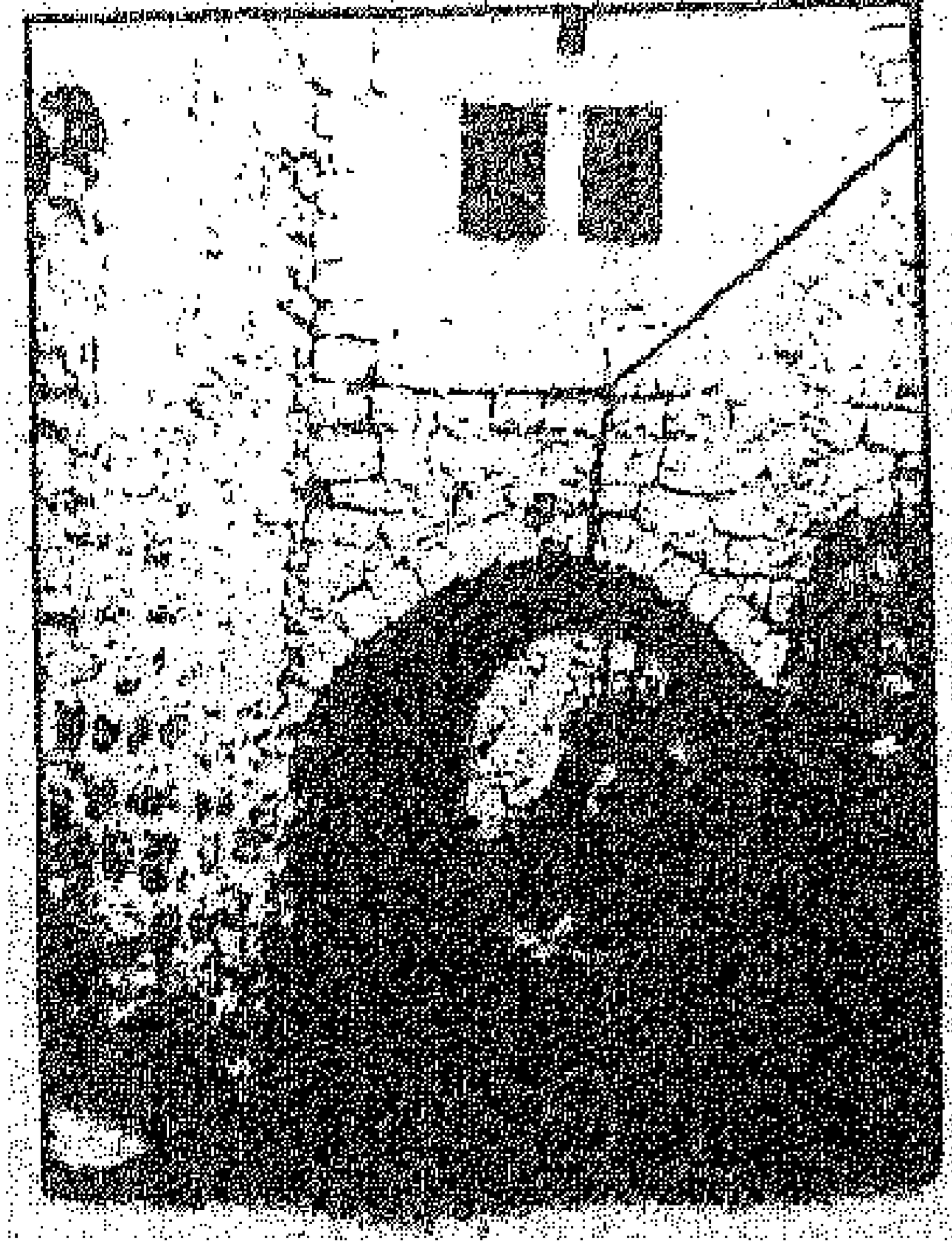
وقد تكرر الوصف السابق للمدينة ومنطقتها وذلك بصورة إجمالية فى كتيب رحالة ومؤرخين آخرين، منهم على سبيل المثال المؤرخ البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان، وابن الفقيه فى كتابه البلدان سنة ٩٠٣ م، والرحالة البشارى المقدسى فى مؤلفه أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم سنة ٩٨٥م، والرحالة الفارسى ناصر خسرو فى مؤلفه سفر نامة سنة ١٠٤٧ م، وعبد الله البكرى الأندلسى المتوفى سنة ١٠٩٤م فى مؤلفه معجم ما استعجم وغيرهم.



شجره البلوط المشهورة في الخليل

وفى أواخر القرن الحادى عشر وبالتحديد سنة ١٠٩٩ م، سقطت الخليل فى يد الصليبيين، وأطلقوا عليها قلعة القديس إبراهام، وفى عام ١١٦٨ م أصبحت المدينة مركزا لأبرشية، وهى كلمة يونانية تعنى المجاورة وهى من اصطلاحات المسيحيين الكنائسية واستعملها العرب لدارة المطران أو الأسقف، وفى سنة ١١٧٢م بنيت كنيسة على موقع الحرم الإبراهيمى الشريف وإلى الغرب منها شيدت القلعة، ولكن بعد معركة حطين سنة ١١٨٧ م (انظرها فى موضعها فى م ١٤ / ٢٧٥ ـ ٢٨١) استطاع القائد الإسلامى صلاح الدين الأيوبى أن يحررها من الصليبيين ويحول كنيستها إلى جامع وهو الحرم الحالى، وينقل إليه منبر عسقلان.

وكانت مدينة الخليل فى الفترة المملوكية مركزا هاما من مراكز البريد خاصة مع مصر وغزة ومع غور الصافى والكرك والشوبك، كما أنها كانت محطة للبريد الجوى ووسيلته الحمام الزاجل وذلك عبر مصر ـ غزة ـ الخليل ـ غور الصافى ـ الكرك (استوفينا ذلك فى مادة «بطائق الحمام» فى م ٧ / ١٩٢ فانظرها فى موضعها) وإن مع نهاية حكمهم كانت


منظر عام لحارة الشيخ في البلدة القديمة

المدينة تضم ٢٢ زاوية، معظمها قد دثر، علاوة على عدد من الحارات وأهمها: حارة الشيخ على البكاء، حارة الأكراد، حارة الجبارنة، حارة المشيرقة، حارة السواكنة، حارة الحدايدة وغيرها.

كما أنها كانت تضم عددا من المدارس وعيون الماء والمقابر والمساجد فالمدارس أهمها القيمرية والفخرية، وعيون الماء عين سارة، عين الحمام، عين السمقية وغيرها، أما المقابر فأهمها مقبرة البقيع والمقبرة السفلى. هذا بالإضافة إلى أن أصول الكثير من عائلات المدينة ترجع إلى هذه الفترة، مثال ذلك عائلة القواسمى منسوبة إلى الفقيه شرف الدين سليمان وكان موجودا سنة ٦٩٦ هـ، وعائلة الجعبرى نسبة إلى الشيخ برهان الدين أبو إسحاق بن إبراهيم بن أبى العباس المقرئ الجعبرى، والذى ولد بقلعة جعبر على الضفة اليسرى لنهر الفرات الأوسط فى سورية سنة ٦٤٠ هـ (انظر ترجمته فى م ١٢ / ١٨٩ - ١٩١)، وعائلة القيمرى نسبة إلى الشيخ شمس الدين محمد بن خليل بن أحمد بن الصلاح خليل القيمرى الذى ولد سنة ٨٢١ هـ بالخليل وغيرها من العائلات.

وبعد الحكم المملوكى سيطر الأتراك العثمانيون على المدينة سنة ١٥١٧ م، واستمر حكمهم لها حتى سنة ١٩١٧ م. ويعتبر القرن الثامن عشر من عصور الخليل الزاهية، حيث اشتهرت فى هذه الفترة ببعض الصناعات من أشهرها الصابون، غزل القطن وكان يباع فى القدس وغزة، ومصنع للزجاج وهو الوحيد فى سورية الكبرى فى ذلك الوقت، مما يؤكد ريادة المدينة فى هذه الصناعة، وفيه كانت تصنع الخواتم الملونة وأساور وخلاخيل وأشياء أخرى، يبعثون بها إلى الأستانة، كما اشتهرت الخليل فى هذه الفترة أيضا بمحاصيلها الزراعية المتنوعة كالعنب والزيتون والقطن، هذا علاوة على شهرة أهلها بالتجارة مما دفعهم إلى الهجرة إلى المناطق المجاورة مثل الكرك، مصر، يافا والقدس وغيرها.

ومن أهم الأحداث التى تعرضت لها الخليل ومنطقتها فى ظل الحكم العثمانى، وقوعها فى يد إبراهيم باشا المصرى، وذلك فى الفترة مابين ١٨٣١ - ١٨٤٠ م بعد معارك عديدةبينه و بين سكان المنطقة.

وعلى أثر انتهاء حكم العثمانيين للخليل والذى استمر زهاء أربعة قرون، انتقلت السيطرة على المدينة كغيرها من مدن فلسطين إلى الاستعمار البريطانى سنة ١٩١٧ م، وهذا مرتبط بظروف الحرب العالمية الأولى وانتصار الحلفاء بها. وقبل التحدث عن هذه الفترة من الضرورى التعرف على المدينة وخصائصها فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، من خلال بعض ما كتبه الكتّاب، فقد ورد ذكر الخليل فى قاموس الكتاب المقدس ومؤلفه جورج يوسف والمطبوع سنة ١٨٩٤ م، ووصفت بأنها ذات موقع مرتفع يبعد نحو ٢٠ ميلا جنوب أورشليم، ١٠٠ ميل من الناصرة، وتعرف بجبرون الزاهرة أو الخليل إشارة إلى إبراهيم وهى مشهورة بعمل الزجاج ولها عدة أبواب وأبنيتها من الحجر الكلسى كما ذكر «بذكر» فى دليله المطبوع سنة ١٩١٢ م بأنها كانت تضم ٢٢ ألف نسمة منهم ٢٠٠٠ يهودى، وضواحيها خصبة تكثر فيها عيون الماء وتضم سبعة أحياء «علاوة على الأحياء اليهودية» وهى: حى الشيخ على البكاء، باب الزاوية، القزازين نسبة إلى عمال الزجاج، العقابة، الحرم، المشارقة وقيطون وأن الخليل القديمة كانت تقوم بالقرب من المدينة الحالية على تلة الرميدة المغطاة بأشجار الزيتون، وكانت تضم بركتين هما بركة القزازين وبركة السلطان وذلك فى جنوبها الغربى.

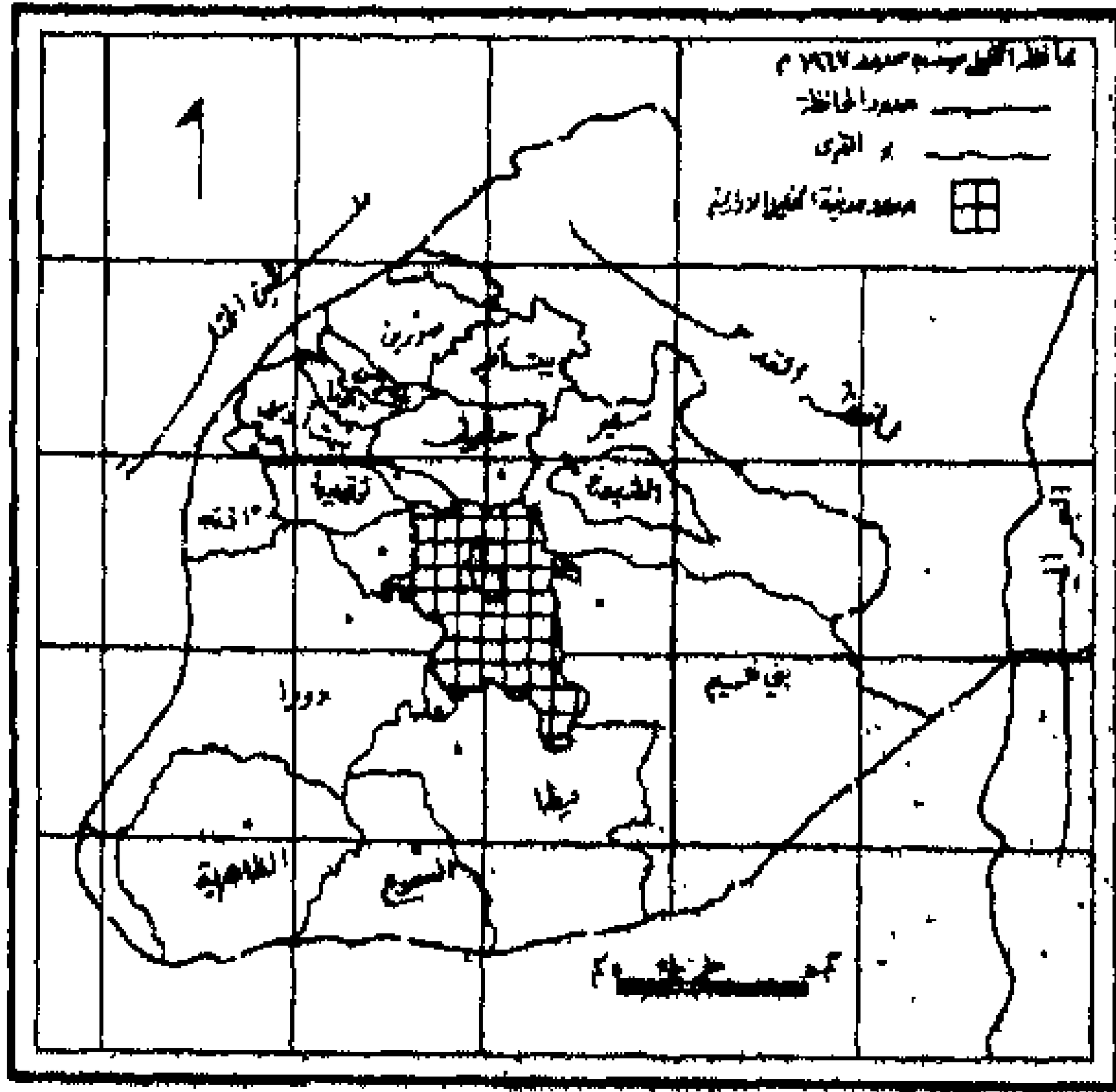
كان فى الخليل سنة ١٩٠٣ أربع مدارس حكومية تضم ٣٨٧ طالبا علاوة على أربع مدارس لليهود بها ٤٢ طالبا، كما كان بها مدرستان أجنبيتان بهما ٣٢ طالبا.

أما فيما يتعلق بفترة الاستعمار البريطاني فكما سبق وذكر فقد وقعت المدينة في براثنه بين عام ١٩١٧ ـ ١٩٤٨ . وخلال هـذه الفترة بـرزت الخليل كمدينـة فلسطينية كبيـرة قُدر عـدد سكانهـا سنة ١٩٢٢ بـ(١٦٥٧٧) نسمـة، غالبيتهم (٩٧٪) مسلمـون، و (٦ , ٢٪) يهـود و (٤ , ٠٪) مسيحيـون، وارتفع العدد إلى (١٧٥٣١) نسمة ١٩٣١ م. وقد كانت المدينة قبل هذا التـاريخ مركز قائمقـام، إلا أنها أصبحت بعد ذلك مـركز نائب حاكم ملحقا بلواء غزة.

وقبيل انتهاء الانتـداب البريطاني قدر عـدد سكان الخليل سنـة ١٩٤٥ بـــ(٢٤٥٦٠) نسمـة غـالبيتهـم العظمى من المسلمين، حيـث لم تكن تضم ســوى (٦ , ٠٪) فقـط من المسيحيين و (٤ , ٠ ٪) آخرين، أمـا المساحة للسنة نفسها فقد بلغت (٢٧٩١) دونمًـا كمساحة مبنية، منها (٨ , ١١٪) طرقا ووديانا، و (٧ , ٠٪) أملاك يهود، أما المساحة الإجمالية لأراضيها فقد قدرت بـ (٧٢٨٥١) دونمًا منها (٨٣ , ٠٪) طرق ووديان و (٦ , ٠٪) تسربت لليهود.

ومدينة الخليل كغيرها من القرى والمدن الفلسطينية، قام سكانها وسكان منطقتها بالعديد من الثورات في محاولة منهم لوضع حـد للاحتلال البـريطاني وتهـويد فلسطين. ومن أهم هذه الثـورات ثورة البـراق في آب سنة ١٩٢٩ م التي أدت إلى خروج الصهـاينة من الخليل، وقد ارتبطت بهـذه الثـورة أسماء بعض شهداء المدينة وفلسطين، ولعل من أشهرهم عطا أحمد الـزير ومحمـد خليل جمجـوم وهم من أبناء الخليـل، وفـؤاد حسن حجـازي من أبنـاء صفـد، وقـد أعـدمتهم السلطـات البريطانية سنة ١٩٣٠ بعد سجنهم في مدينة عكـا، وقد قال فيهم الشاعر إبـراهيم طوقان ثلاثيته الحمـراء المشهورة، وقد شاركت بلدية الخليل كبلديات فلسطين الأخرى مشاركة فعالة في الإضراب التاريخي الشهير سنة ١٩٣٦ م.

بعد انسحـاب بريطانيـا سنة ١٩٤٨، وعلى أثـر الحروب العربية الصهيـونية وإقامة الكيان الصهيـوني على أساس قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ م، بقيت الخليل عربية، وفي سنة ١٩٥٠ أصبحت جـزءا من الأردن وعاصمـة لمحافظـة الخليل وذلك حتى ٨ حـزيـران سنـة ١٩٦٧ حيث وقعت تحت الاحتـلال الصهيـوني ولا زالت حتى الوقت الـراهن تقـاوم هـذه السيطـرة ومحاولات تهويدها وتدنيس مقدساتها.



وخلاصـة القول، فيمـا يتعلق بمدينـة الخليل، يتبين أنها مرت بـ ١٥ فترة تاريخية يمكن توضيحها على النحو التالي:

١ـ العصر الحجري.

٢ـ العصر الكنعاني الأول: ٣٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ ق. م.

٣ـ العصر الكنعاني المتوسط: ٢٠٠٠ ـ ١٥٠٠ ق. م.

٤ـ العصر الكنعاني الأخير: ١٥٠٠ ـ ١٢٠٠ ق. م.

٥ـ العصري الحديدي: ١٢٠٠ ـ ٥٨٧ ق. م.

٦ـ العصري الفارسي: ٥٨٧ ـ ٣٣٢ ق. م.

٧ـ العصر اليوناني: ٣٣٢ ـ ٦٣ ق. م.

٨ـ العصر الروماني: ٦٣ ق. م ـ ٦٣٨ م.

٩ـ العصر الإسلامي: ٦٣٨ ـ ١٠٨٧ م.

١٠ـ الفترة الصليبية: ١٠٨٧ ـ ١٢٥٠ م.

١١ـ العصر المملوكي: ١٢٥٠ ـ ١٥١٦ م.

١٢ـ العهد العثماني: ١٥١٧ ـ ١٩١٧ م.

١٣ـ العهد البريطاني: ١٩١٧ ـ ١٩٥٠ م.

١٤ـ العهد الأردني: ١٩٥٠ ـ ١٩٦٧م.

١٥ـ الاحتلال الصهيوني: ١٩٦٧م.

وقد تبين من الدراسـة التـاريخية كذلك أن الخليل قـد سميت بأسماء متعددة يمكن إيجازها كما يلي:

١ـ قـرية أربع: سميت بهذا الاسـم نسبة إلى الملك أربع

بانيها ، وهو من الكنعانيين من قبيلة العناقيين والتى تعنى الجبارين أو الجبابرة .

٢ ـ حبرون : أطلق هذا الاسم على المدينة على يد العبرانيين ، وهو اسم يهودى يعنى صحبه أو اتحاد .

٣ ـ خليل الرحمن : بعد أن تم الفتح الإسلامى لبلاد الشام أطلق المسلمون عليها هذا الاسم نسبة إلى نبى الله إبراهيم عليه السلام .

٤ ـ إبراهام : عندما احتل الصليبيون المنطقة عام ١١٠٠ م سموها بهذا الاسم بدلا من خليل الرحمن ، وذلك بعد أن اقتطعها الأمير الصليبى غودوفرى دى بوايون وحتى مملكة القدس إلى الصليبى جيرهاردى آمين .

٥ ـ الخليل : وقد سميت فى الفترات الإسلامية بعدة أسماء منها مسجد إبراهيم ، بيت إبراهيم ، خليل الرحمن ، وأخيرا سميت بالخليل فى بداية القرن العشرين .

مما تقدم يمكن القول إن الخليل مدينة موغلة فى القدم ، عربية النشأة ، ساهمت وظيفتها الدينية بدرجة أساسية فى استمرارية وجودها ، وذلك على الرغم من تعدد الأقوام بدياناتهم المختلفة والذين تعاقبوا على حكمها ، وإنها فى الوقت الراهن تشكل إحدى المدن الفلسطينية الهامة وقاعدة لمحافظة الخليل أو لوائها ، ويقطنها حتى نهاية ١٩٨٥ م حوالى ٧٠ ألف نسمة وحدود بلديتها كالتالى :

من الشمال : أراضى قرى سعير وحلحول وبيت كاحل .

من الشرق : أراضى قريتى سعير وبنى نعيم .

من الجنوب : أراضى قريتى يطا والريحية .

من الغرب : أراضى قرية الريحية ودورا وتفوح وبيت كاحل .

أما الوحدات الإدارية التى تضمها محافظة الخليل فهى تتألف بالإضافة إلى بلدية الخليل من ثلاث بلديات أخرى هى حلحول ، دورا ويطا ، ثم على مجموعة من القرى الكبيرة يتبع بعضها العديد من القرى الصغيرة والخراب ، والقرى الكبيرة هى : سعير ، الشيوخ ، بنى نعيم ، بيت أمر ، صوريف ، خراس ، نوبا ، بيت أولا ، بيت كاحل ، ترقوميا ، خربة جمرورة ، أذنا ، تفوح ، الظاهرين ، السموع والريحية (انظر الخريطة) .

(قصة مدينة : الخليل ـ د. محمد عبد الرحمن / ٧ ـ ١٠ ، ١٣ ـ ١٨)

انظر مادة «إبراهيم الخليل عليه السلام» م ٢ / ١٣٠ ـ ١٤٣ ، ومادة «الحرم الإبراهيمى» فى م ١٣ / ٣٨٩ ـ ٣٩٥) .

*** خليل المغربى (- ١١٧٧ هـ / - ١٧٦٣ م):**

خليل بن محمد المغربى ، أبو المرشد ، فقيه مالكى ، تونسى الأصل ، مصرى المولد والقرار . له مؤلفات منها : «ثبت» رواه عبد الحى الكتانى ، و «شرح المقولات العشر» سماه «بغية الإرادات فى شرح المقولات» مخطوط فى دار الكتب والأزهرية . قال الجبرتى : ولى خزانة كتب المؤيد ـ بالقاهرة ـ مدة ، فأصلح ما فسد منها ، ورم ما تشعث . وتوفى عائدا من الحج ، فى منزلة يقال لها «أكرى» (الأعلام ٢ / ٣٢٢) .

وفيما يلى ما كتبه على مبارك نقلا عن الجبرتى . قال رحمه الله :

وفى الجبرتى : أن جامع المؤيد كان به خزانة كتب معتبرة وكان المغير عليها الإمام الفقيه المحدث المحقق الشيخ خليل بن محمد المغربى الأصل المالكى المصرى أتى والده من المغرب إلى مصر ، ثم ولد المترجم فنشأ على عفة وصلاح وأقبل على تحصيل المعارف فأدرك منها مقصوده وحضر دروس الشيخ الملوى والسيد البليدى وغيرهما من فضلاء الوقت ، وفاق أقرانه فى التحقيقات واشتهر ، وكان حسن الإلقاء والتقرير حاد القريحة جيد الذهن ، تولى الخزانة المذكورة مدة فأصلح ما فسد منها ورم ما تشعث .

ومن مؤلفاته شرح المقولات العشر وهو مفيد جدا .

توفى يوم الخميس الخامس والعشرين من المحرم سنة سبع وسبعين ومائة وألف بالرى ، وهو منصرف من الحج رحمه الله تعالى ، انتهى (الخطط ٥ / ٢٩٨) .

(الأعلام للزركلى ٢ / ٣٣٢ وماجاء بهامش (١) من مراجع ، والخطط التوفيقية الجديدية لعلى باشا مبارك ٥ / ٢٩٨) .

*** الخليلى (- ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م):**

خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزوينى ، أبو يعلى الخليلى : قاض ، من حفاظ الحديث ، العارفين برجاله . له «الإرشاد فى علماء البلاد» مخطوط فى الرباط (٥٢٨ ك) ذكر فيه المحدثين وغيرهم من العلماء على ترتيب البلاد إلى زمانه (الأعلام ٢ / ٣١٩) .

وكتاب «الإرشاد فى علماء البلاد» هذا ما ذكره صاحب الرسالة المستطرفة فى الكتب المؤلفة فى تواريخ الرجال وأحوالهم (الرسالة المستطرفة / ٩٧، ٩٨)، كما ذكره صاحب كشف الظنون فقال عنه:

الإرشاد فى علماء البلاد: للشيخ الإمام أبى يعلى خليل ابن عبد الله الخليلى القزوينى الحافظ المتوفى سنة «٤٤٦» ذكر فيه المحدثين وغيرهم من العلماء على ترتيب البلاد إلى زمانه وترجم كل بلد أو ناحية أوله الحمد لله ولى الطول والإحسان... إلخ ورتبه الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفى المتوفى سنة تسع وسبعين وثمانمائة على الحروف. وله الإرشاد فى أخبار قزوين (كشف ١ / ٧٠).

(الأعلام للزركلى ٢ / ٣١٩، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد ابن جعفر الكتانى / ٩٧، ٩٨، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٧٠).

*** الخليلى (مكتبة-):**

من مكتبات القدس الشريف، أعاده الله ديار إسلام. قال عنها الدكتور العسلى:

وربما كان أقدم مكتبات القدس العائدة للأسر والأشخاص هى مكتبة الشيخ محمد الخليلى المتوفى سنة ١١٤٧ هـ.

قدم الشيخ محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلى المولد ثم القدسى بيت المقدس سنة ١١٠٤ وسكن فى المدرسة البلدية وعاش فيها إلى أن توفى سنة ١١٤٧. وفى هذه المدرسة كانت مكتبته التى وقفها بموجب حجة وقف مؤرخة فى سنة ١١٣٩. وقد ذكر حسن بن عبد اللطيف الحسينى فى كتابه المخطوط «أعيان القدس فى القرن الثانى عشر»، فى سياق ترجمته للشيخ الخليلى، هذه المكتبة فقال «وجمع مولانا خزانة كتب علم فريدة، من الكتب الصحيحة المجيدة أوقفها وسبلها، وهى الآن نفع نافع لكل طالب وصدقة جارية كافية للطالب» (نص حجة وقف الخليلى فى «وثيقة مقدسية تاريخية - الشيخ محمد الخليلى») وأوردت الوقفية ثبتا بأسماء الكتب الموقوفة: ومنها سبعة مصاحف شريفة وكتب عديدة فى التفسير والحديث والفقه والأصول والتوحيد والتصوف والقراءات والفرائض والحساب والفلك والنحو والمعانى والبيان واللغة والمنطق والصرف والعروض والآداب والطب والخواص. ومجاميع فيها رسائل متعددة فى علوم مختلفة.

وقف الشيخ الخليلى الكتب على نفسه مدة حياته ثم على أولاده وأحفاده ما تناسلوا فإذا انقرضوا فعلى أقرب عصبات الواقف ما تناسلوا فإذا انقرضوا فعلى الزاوية المحمدية فى صحن الصخرة، وعلى الفقهاء الشافعية. ووضع الواقف شروطا عديدة للمحافظة على الكتب بحيث لا تباع ولا توهب ولا ترهن ولا تهدى لأحد من الحكام والأعيان ولا تستبدل. ومن هذه الشروط العناية بالكتب وترميمها وتجليدها وعدم إعارتها إلا لطلبة العلم... ومن هذه الشروط أن تبقى الكتب تحت أيدى الموقوف عليهم فى المدرسة البلدية ما داموا فيها.

ضمت خزانة الشيخ الخليلى حوالى سبعة آلاف كتاب (المفصل للعارف ص ٤٤٩ لا عن كراس نشره مدير الآثار بحكومة فلسطين سنة ١٩٥٥) من بينها حوالى ٥٠٠ مخطوط (خزائن الكتب العربية فى الخافقين / ٢٩٤).

وقد كانت الكتب والمخطوطات فى الفترة الأخيرة فى المتحف الإسلامى ثم نقلت منه إلى مكتبة المسجد الأقصى قبل بضع سنوات حيث توجد الآن. ورغم كل الشروط التى وضعها الشيخ الخليلى للمحافظة على كتبها فإن الزمان قد ذهب بأكثرها. وفى هذا الصدد قال الدكتور إسحاق موسى الحسينى فى مقدمته لوقفية الشيخ الخليلى «ويحزننا أن نذكر أنه عندما تطوع السيدان فهمى الأنصارى ويوسف المظفر وأنا فى فهرسة هذه المخطوطات فى العام الماضى روعنا بأن معظم المخطوطات الثمينة مفقودة وأن عددا كبيرا منها تالف...» (المصدر السابق / ١٣).

(معاهد العلم فى بيت المقدس - د. كامل جميل العسلى / ٣٨٨، ٣٨٩).

*** الخليلية:**

إحدى الطرق الصوفية بالزقازيق مؤسسها الشيخ محمد أبو خليل رحمه الله، وخلفه فى مشيخة الطريقة ولده الشيخ إبراهيم أبو خليل رحمه الله، الذى أوردنا ترجمته وما يتعلق بالطريقة فى مادة «أبو خليل (إبراهيم)» فانظرها فى موضعها.

وقد ذكر الأستاذ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى فى كتابه «تاريخ الصوفية» (ص ٨٣) نقلا عن إحصاء دائرة المعارف الإسلامية تحت رقم ٥٦ اسم «الخليلية» وقال عنها إنها طريقة تونسية صغيرة.

*** الخليلية الإبراهيمية:**

انظر: أبو خليل (إبراهيم)، الخليلية.

*** الخليلية (المدرسة ـ) (٧٤٥ هـ):**

ذكرها الأستاذ العلبى فى المدارس الحنفية وقال عنها:

بناها الأمير سيف الدين طقتمر الخليلى نائب حمص الذى توفى فيها، ونقل إلى دمشق فدفن فى القبيبات.

وتقع المدرسة خارج باب الفرج، مقابل حمام المحتسب، ولم نستطع معرفة موقع هذا الحمام، للجزم بموقع المدرسة. وقد ذكر ابن كثير فى حوادث سنة ٧٤٥ هـ، عبارة تلفت النظر وربما تلقى ضوءا على المدرسة والواقف، قال:

«فى شهر ربيع الآخر، عملت منارة خارج باب الفرج، وفُتحت مدرسة كانت دارا قديمة، فجعلت مدرسة للحنفية ومسجدا، وعملت طهارة عامة ومصلى للناس، كل ذلك منسوب إلى الأمير (تقطم) وصوابها طقتمر الخليلى، أمير حاجب كان، وهو الذى جدد الدار المعروفة به بالقصاعين.

فإذا كان طقتمر هذا حاجبا بدمشق، قبل أن يكون نائبا بحمص، فهذا يعنى أن الإشكال الأول قد أمكن حله، وعرف اسم الواقف، ومعنى طقتمر: الحديد القاسى.

أما المدرسة، فقد ذهب الأستاذ طلس إلى أنها ربما تكون هى نفسها جامع الخليلى فى سوق ساروجة، ولقد زرنا الجامع المذكور، وهو خلف سوق النحاسين وليس فى سوق ساروجة، فوجدنا فيه ضريحا فى مدخله للشيخ عبد الله الليمونى، وعلى واجهته كتابة تشير إلى تجديده سنة ١٠١٠ هـ، فغلب على الظن أنه هو المدرسة الخليلية، لتقارب الأوصاف والملامح، على أننا لا نستطيع الجزم بذلك حتى معرفة موقع حمام المحتسب تماما، والمشكلة أن هذا الحمام أشد غموضا من المدرسة نفسها.

وقد ذكر النعيمى هذا المدرسة ضمن مدارس الشافعية، وليس له على ذلك دليل، لأن عبارة ابن كثير واضحة وصريحة، ولم يذكر النعيمى عن هذه المدرسة أكثر مما ذكره الحسينى فى ذيل العبر، فى ترجمة الواقف، وقد ورد ذكر «جامع الخليلى» فى وقفية مصطفى لالا باشا سنة ٩٧١ هـ الجامع، أو المدرسة.

(خطط دمشق ـــ أكرم حسن العلبى / ١٨٧، ١٨٨. انظر أيضا الدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى ـ عنى بنشره وتحقيقه جعفر الحسنى ـــ / ٢٣٦ وهامش (١) للمحقق).

*** الخمار:**

قال الراغب الأصفهانى فى مادة «خمر»:

أصل الخمر ستر الشىء ويقال لما ينستر به خمار لكن الخمار صار فى التعارف اسما لما تغطى به المرأة رأسها، وجمعه خُمُر، قال تعالى: **﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾** [النور: ٣١] واختمرت المرأة وتخمرت (المفردات / ١٥٩).

والخمار شىء تلبسه النساء يشبه ما يسمى الآن «بالطرحة» (مجموعة من النظم / ٥) وجاء فى اللسان: الخمار للمرأة، وهو النصيف، وقيل: الخمار ما تغطى به المرأة رأسها، وجمعه أخْمِرة وخُمْر وخُمُر، والخِمِرُّ، بكسر الخاء والميم وتشديد الراء: لغة فى الخِمار (عن ثعلب)، وأنشد

** ثم أمالت جانبَ الخِمِرِّ **

والخِمرة: من الخِمار كاللحفة من اللحاف. يقال: إنها لحسنة الخِمرة. وفى المثل: إن العوان لا تعلَّم الخِمرة أى أن المرأة المجربة لا تعلم كيف تفعل: وتخمرت بالخمار واختمرت: لبسته، وخمرت به رأسها: غطته وفى حديث أم سلمة: أنه كان يمسح على الخف والخمار، أرادت بالخمار العمامة، لأن الرجل يغطى بها رأسه كما المرأة تغطيه بخمارها، وذلك إذا كان قد اعتم عِمة العرب، فأدارها تحت الحنك، فلا يستطيع نزعها فى كل وقت، فتصير كالخفين، غير أنه يحتاج إلى مسح القليل من الرأس، ثم يمسح على العمامة بدل الاستيعاب، ومنه قول عمر، رضى الله عنه، لمعاوية: ما أشبه عينك بخِمرة هند، الخِمرة: هيئة الاختمار، وكل مغطى: مخمر. وروى عن النبى ﷺ أنه قال: خمروا آنيتكم، قال أبو عمرو: التخمير التغطية (لسان العرب ١٤ / ١٢٦١).

وجاء فى تيسير الوصول ما يأتى عن خُمُر النساء :

١ـ عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : «لما نزل قوله تعالى : ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ [الأحزاب : ٥٩] خرجن نساء الأنصار كأن على رءوسهن الغربان من الأكسية» . أخرجه أبو داود .

٢ـ وعن عائشة رضى الله عنها . قالت : «دخلت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها ، وقال : يا أسماء : إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا ، وأشار إلى وجهه وكفيه» . أخرجه أبو داود .

٣ـ وعن دحية الكلبى رضى الله عنه قال : «أتى رسول الله ﷺ بقباطى فأعطانى قبطية . وقال : اصدعها صدعين ، فاقطع إحدهما قميصا . وأعط الآخر امرأتك تختمر به ، ولتجعل تحته ثوبا لا يصفها» . أخرجه أبو داود .

(القباطى) ثياب رقاق بيض بمصر ، واحدتها قبطية بضم القاف ، وأما بكسر القاف فمنسوب إلى القبط ، الجيل المعروف . و (الصدع) الشق : أى شقها نصفين ، وكل واحد منهما صدع بكسر الصاد ، وأما بالفتح فهو المصدر .

٤ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «كانت أم سلمة رضى الله عنها لا تضع جلبابها عنها وهى فى البيت طلبا للفضل» . أخرجه رزين .

٥ـ وعن مالك «أنه بلغه أن أمة كانت لعبد الله بن عمر رآها عمر وقد تهيأت بهيئة الحرائر فأنكر ذلك عليها» (تيسير الوصول ٢ / ١٣٨ ، ١٣٩) .

تقول الشاعرة المصرية عائشة التيمورية المتوفاة سنة ١٣٢٠ هـ قصيدة لها فى الفخر تزهو ببلوغها العلياء دون أن يكون لبسها الخمار كفتاة مسلمة عائقا عن ذلك :

ما عقانى خجلى عن العليا ولا

سَدْلُ الخمار بلمتى ونقابى

(مجموعة من النظم والنثر / ٥) وانظر مادة «الحجاب» فى م ١٣ / ١٤٣ـ١٤٥) .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٥٩ ، ومجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع / ٥٠ ، ولسان العرب لابن منظور ١٤ / ١٢٦١ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٤ / ١٣٨ ، ١٣٩) .

*** خُمارَوَيْه (٢٥٠-٢٨٢ هـ / ٨٦٤-٨٩٦ م):**

أبو الجيش خُمارَوَيْه بن أحمد بن طولون ، من ملوك الدولة الطولونية بمصر ، الأمير التركى ، وليها بعد وفاة أبيه (سنة ٢٧٠ هـ) وله من العمر عشرون عاما (الأعلام ٢ / ٣٢٤) ترجم له صلاح الدين الصفدى فأجمل حياته فى هذه الأبيات :

ثم ولى بعد خمارويه

والسحب تستجدى ندى يديه

أنسى الورىٰ جود أبيه أحمدا

حتى أزال نوره وأخمدا

وابنته زوَّجها بالمعتضد

فعاد سلما بعد ما قد كان ضد

أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون

ثم فصلها بقوله : وكان مفرط الجود ، لا يبالى بما يطلق من الأموال . وكان أوسع صدرا وأكثر نفقة من أبيه ، إلا أن أحمد كان يجد فى نفقاته وخمارويه يهزل ، وكان يكتب خطا حسنا ...

كان يوما على نهر ثورا (أحد فروع نهر بردى الذى يخترق دمشق) يتصيد ، فانحدر من الجبل أعرابى عليه كساء ، فأخذ بشكيمة لجامه وهو منفرد وعلى يده بازى . فنفر البازى ، فصاح به الغلمان فقال : دعوه . فقال الأعرابى :

إن السنان وحد السيف لو نطقا

لحدثا عنك بين الناس بالعجب

أفنيت مالك تعطيه وتنفقه

يا آفة الفضة البيضاء والذهب

فالتفت أبو الجيش إلى الغلام الذى معه خريطة النفقة ، وكان رسمها خمسمائة دينار ، ففرَّغها فى كسائه ، فقال : أيها الملك زدنى ، فالتفت إلى الغلمان فقال لهم : اطرحوا سيوفكم ومناطقكم . فطرحوها عليه . فقال : أيها الملك ، أثقلتنى . فقال : أعطوه بغلا يحمل ذلك عليه . ولما عاد إلى منزله أعطى لكل من أعطى الأعرابى سيفا ومنطقة من ذهب .

(الخريطة : وعاء من جلد أو نحوه يشد على ما فيه من أموال للإنفاق . والمناطق مفردها «منطقة» بكسر الميم ، وهى ما يتمنطق به ، أى يجعل نطاقا يُشد به الوسط) .

وفى سنة ست وسبعين ومائتين: تحرك الأفشين، وقصد أرمينية والجبال فى جيش عظيم، وقصد مصر، فلقيه أبو الجيش فى بعض أعمال دمشق، وانهزم الأفشين واستأمن أكثر عسكره، وسار خمارويه حتى بلغ الفرات، ودخل أصحابه الرقة فملك من الفرات إلى بلاد النوبة.

(الأفشين من قواد المعتمد على الله، تحرك لقتال خمارويه بمصر فانهزم، واسمه محمد بن أبى الساج. توفى سنة ٢٨٢ ببرذعة وهى كرسى أعمال أذربيجان، وقيل إنها من آران وفيات الأعيان ٢ / ٢٥٠).

وكان مولده سنة خمسين ومائتين، توفى فى سنة اثنتين وثمانين ومائتين فى ذى الحجة بدمشق، ونقل تابوته إلى مصر، ودفن عند أبيه. وكانت ولايته اثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يوما، اجتمع عليه خدامه فى الحمام وقتلوه وهربوا (فى المقريزى ١ / ٣٢١ والأعلام ٢ / ٣٢٤ قتلوه فى فراشه).

فأمسكهم طغج بن جف وقتلهم، وأشهرهم وهم خدامه طاهر ولؤلؤ وناشى وسابور، ومحافظ ونظيف (ذكر ابن عساكر أسماء الخدم الذين قتلوه وقال إنه قتل بقصره فى دير مران خارج دمشق) (تحفة ذوى الألباب ١/ ٣١٨-٣٢١).

ويصف المقريزى فى خططه الحزن على مقتل خمارويه بقوله: وكان لدخول تابوته يوم عظيم، واستقبله جواريه وجوارى غلمانه ونساء قواده ونساء القطائع بالصياح وما يصنع فى المآتم، وخرج الغلمان وقد حلوا أقبيتهم، وفيهم من سود ثيابه وشققها، وكانت فى البلد ضجة عظيمة وصرخة تتعتع القلوب حتى دفن، وكانت مدته اثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يوما (المواعظ والاعتبار ١ / ٣٢١، ٣٢٢).

وكان أبو الجيش أصغر من أخيه أبى العباس، فاختاره جماعة أبيه على أخيه الأكبر، وعقدوا له البيعة، وقتلوا أخاه. وسعى وزير المعتضد عبيد الله بن سليمان مع أبى الجيش خمارويه على أن يقتصر على حمص ودمشق والأردن وفلسطين ومصر والبرقة وما والاها. ويخلى عما كان فى يده من ديار مصر وقنسرين والعواصم وطريق الفرات والثغور، فأجاب إلى ذلك، وكتب سجلا أشهد فيه على المعتضد وعلى خمارويه.

وسأل خمارويه أن يزوج المعتضد ابنه المكتفى بابنته قطر الندى، فقال المعتضد: أنا أحق بها، فتزوجها سنة ٢٨٢ هـ على صداق مبلغه ألف ألف درهم. وكانت بارعة فى الحسن والجمال والعقل (توفيت سنة ٢٨٧ هـ) وجهزها أبوها جهازا عظيما قيل: إنه كان مما فيه ألف هاون ذهب. وقيل: إن الجهاز كان بألف ألف درهم. وأعطى أبوها لابن الجصاص مائة ألف دينار. وقال له: توجه بها، واشتر من طرائف العراق ما تحتاج إليه. وقال المعتضد يوما لها: لم لا تشكرين الله تعالى على أن جعل زوجك أمير المؤمنين؟ فقالت له: لم (ولم) تشكر أنت الله تعالى على أن جعل أبا الجيش بن طولون من رعيتك. والتزم أبوها أن يحمل إلى المعتضد فى كل سنة مائتى ألف دينار (تحفة ذوى الألباب ١/ ٣٢٢، ٣٢٣).

ولا يزال اسم الأميرة قطر الندى اسما لبلدة قرب الصالحية الحالية، كما لا يزال اسمها باقيا فى الأغانى الشعبية بالقاهرة حتى الوقت الحاضر.

واتبع خمارويه سياسة والده فى الاهتمام بمرافق الدولة، وتخصيص الأموال للفقراء والمحتاجين، كما اشتهر بالقصور الفخمة التى شيدها فى عاصمته «القطائع» (وموضعها مجموعة الأراضى والشوارع والحارات الواقعة بين السيدة زينب والقلعة بالقاهرة) (تاريخ العالم الإسلامى / ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٤). وقد أنشأ خمارويه بستانا وقصرا من أعجب المبانى وكان شجاعا حازما (الأعلام ٢ / ٣٢٤).

(الأعلام للزركلى ٢ / ٣٢٤، وتحفة ذوى الألباب فيما حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى - حققه إحسان بنت سعيد خلوصى، وزهير حميدان الصمصام. وزارة الثقافة - إحياء التراث العربى (٨٥) منشورات وزارة الثقافة فى الجمهورية العربية السورية. دمشق ١٩٩١، ١ / ٣١٨-٣٢٣، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ١/ ٣٢١، ٣٢٢ وتاريخ العالم الإسلامى - د. إبراهيم أحمد العدوى / ٢٥٥، ٢٥٦).

انظر أيضا تاريخ ولاة مصر لأبى عمر محمد بن يوسف الكندى، مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧ م / ١٨١-١٨٧).

انظر مادة «أحمد بن طولون» فى م ٢/ ٦٥٥-٦٥٧.

*** الخُماهان:**

من الأحجار التى أوردها التيفاشى (انظر ترجمته فى م ١١

/ ١٧٧ ـ ١٨٠) فى كتـابه النفيس « أزهار الأفكار فى جـواهر الأحجار « (أوردنا ه فى م ٤ / ٧٤، ٧٥).

قال عنه التيفاشى: ويسمى حجر الصرف (الصرف صبغ أحمر ويطلق أيضا على شجر أحمر يسمى الدم).

أصل تكونه فى معدنه:

هذا الحجر أسـود حديدى وقد تقدم القـول فى تكون هذا النوع من الأحجـار فى أصل تكون الأحجـار الحديديـة) (مما أغنى عن تكراره).

معدنه الذى يتكون فيه:

يجلب من الكـرك على مسيرة سبعـة أيـام من مصر ومنـه يحمل إلى سائر البلاد.

(كرك بفتـح أوله وثـانية وكاف أخـرى كلمة أعجميـة اسم لقلعة حصينة جـدا فى طرف الشام من نواحى البلقـاء بين أيله وبحر القلـزم والبيت المقدس، وهى سن جبل عـال تحيط به أودية إلا من جهـة الربض انظـر ياقـوت، معجم البلدان ٤ / ٢٦٢ وقـال البيـرونى فى الجماهـر ٢١٦ أن معـدنـه فى جبل المقطم ونواحيه بأرض مصر).

جيده ورديئه:

أجـوده الأسود الشـديد السـواد الـذى يضرب إلى الحمـرة الحديدية.

خواصه ومنافعه:

خـاصيـة هـذا الحجـر النفـع من مضـرة شـرب الشـراب الصرف، وبذلك عـرف وبها يسمى، وذلك بأن يحك وتشرب حكاكته وله فى ذلك أثر ومنفعة ظاهرة.

قيمته وثمنه.

زنة رطـل منه بثلاثـة دراهم نقـرة، إلا أنه بغير مصـر أغلى (لقرب معدنه من مصر).

وفيمـــا يلى الشـــروح والتعليق للمحققين (انظـــر ثبت المراجع):

الخماهان:

قـال عنـه التيفاشـى إنه يسمى أيضـا «حجر الصـرف»، ويطلق هذا الاسم على صبغ أحمر، وكذلك على شجر أحمر يسمى الدم (انظر لسان العرب ١ / ٩٥).

ولـولا هـذه التسميـة الثانيـة ــ بجـانب النـذر اليسيـر من الصفات التى أورد ذكرها التيفاشى لكـانت هناك صعوبة بالغة فى الوصول إلى الاسم العلمى الحديث لهذا المعدن.

ولقد تخبط داود الجلبى المـوصلى بالفعل فى ذلك حيث اعتقد أن الخماهان هو معدن الكروميت ذو التركيب الكيميائى ح (كرح) $_2$ أ$_4$ وهو أحد الأكاسيد المزدوجة للحديد والكروم، وأن الهيماتيت هـو المقصود بالشاذنة أو الشـاذنج والواقع أن الشاذنـة من الأملاح النحـاسية كمـا ورد فى باب الـدهنج ولا علاقة لها بالخماهان.

ولقد وصفه التيفـاشى بأنه حجر أسود حـديدى وأن أجوده الأسود الشديد السواد الذى يضـرب إلى الحمرة الحديدية كما ذكر أن معدنـه قريب من مصر ولذلك فإن ثمنـه فى غير مصر أغلا.

وأصل كلمـة هيماتيت يـونـانى تعنى «حجر الـدم» وذلك للون الأحمر الـداكن لمسحوق هذا الحجر والـذى يشبه الدم المجفف. هذا ويعتقد أن كلمة، خمـاهان فارسية نقلت عن المعنى اليونانى لكلمة هيماتيت بعد تطويعها للسان الفارسى ومنه نقلت إلى العربية كما هى دون تحريف.

ويسمى معدن الهيمـاتيت بالألمـانية أيضا «حجـر الدم» لنفس السبب ــ ويلزم التنـويـه هنا بأن الترجمـة الإنجليزيـة الحرفيـة لهذا الاسم هى "Blood stone" وهـى لا تعنى فـى اللغة الإنجليزية معدن الهيماتيت، فهذا المصطلح يطلق فى الإنجليزية علـى أحد ضروب معدن المـرو الخضراء المنقطة بنقط حمراء واضحة.

ومعـدن الهيماتين واحـد من مجموعـة أكاسيـد الحديـد المعروفة ـ تركيبه الكيميائى هو ح $_2$ أ$_3$ ـ يوجد فى ضروب عديدة أقلها انتشارا هو الضرب الأسود المتبلور الذى نادرا ما يستخدم كحجـر كريم والـذى يقصده التيفـاشى ـ أمـا الضرب الآخـر الأوسع انتشارا فهـو الأحمر الطوبى الذى يوجـد على درجات متفاوتـة من التماسـك ـ ابتداء مـن المسحوق الناعـم الأحمر الذى استخدمه الهنود الحمر فى طلاء وجوههم قبل المعارك ـ إلى الخـام الأحمـر البطـروخى المتمـاسك إلـى الهيمـاتيت الصلب الأسود المتبلـور الذى يقول عنه التيفـاشى بأن أجوده هو الأسود الشديد السواد الذى يضرب إلى الحمرة الحديدية.

ويتبلور هذا النوع من الهيماتيت فى النظام السداسى على

هيئة معينى الأوجه ـ ولقد وجدت مجموعات جميلة ونادرة من هـذه البلورات فى جـزيـرة إلبا، هـذا وقد يـوجـد الخماهـان المتبلور أيضا على هيئة ورود مكونة من بلورات لوحية متراصة بنفس طريقـة أوراق الورد المعـروف ـ ولـذا فإنها تسمى «ورود الحديـد» وتصل صلادة الأصنـاف النفقية من الخمـاهان إلى حوالى ٥,٦ أما كثافتها النـوعية فتتراوح بين ٩٥,٤ ـ ١٦,٥ ـ كما أن لها بـريقا فلزيا لامعا ويتميز الخمـاهان مهما اختلفت ألوانه بخاصية هامة وهى أن حكاكته تكون حمراء اللون دائما ـ ومن هنا كانت التسمية بحجر الدم.

وقـد وجدت قطع من الخمـاهـان المتبلور ضمن منـاجم البابليين القديمة وفى آثار قدماء المصريين كما يعتقد أن اللون الأحمر الجميل فى الألوان الفرعونية يستمد ثباته على مر آلاف السنين من لون حكاكة الخماهان الحمراء.

ومعـدن الخماهـان موجـود بكثـرة فى مصر ــ فمنه النـوع الأحمـر البطروخى المـوجـود فى أسـوان والذى يستخـدم فى صنـاعة الحـديد والصلب فى حلـوان ـ وأمـا الأنواع السـوداء المتبلورة فتـوجد فى مناطق متفـرقة بـالصحراء الشرقيـة. ولقد أشار التيفـاشى بالفعـل إلى أن معدنه قـريب من مصـر. هذا بـالإضـافة إلى مـا اكتشف حـديثـا بـالـواحات البحـريـة من احتيـاطيات هـائلة من ضـروب قريبـة الشبه بـالخماهـان هى الليمونيت والجوثيت وغيرهما.

(أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار لأحمد بن يوسف حسن التيفاشى ـ تحقيق وتعليق وشـرح د. محمـد يـوسـف حسن، ود. محمـود بسيـونى خفاجى / ١٩٢، ١٩٣ وهامش التحقيق / ٢٩٠، ٢٩١).

انظر مـادة «أزهار الأفكار فى جواهـر الأحجار» فى م ٤ / ٧٤، ٧٥، وصـور مخطوطـه فى مادة «التيفـاشى فى م ١١ / ١٧٨ـ١٨٠).

* **الخمائر:**

من مخطوطـات العلوم والطبيعيات بمعهد المخطـوطات العربية وجاء بيانه كما يلى:

الخمائر:

تأليف جابر بن حيان الصوفى

أوله: الحمـد لله حق حمده، وصلى الله على النبى الأمى وآله وسلم. نبدأ على اسم الله تعالى وعونه فى صفة التخمير، فنقول ... إلخ.

وآخره: فأما عمل الخميرة: فـألق من هذا الإكسير مثقالا على عشرة مثاقيل زيبق السوق، فيعقـده إكسيرا مثل الزنجفر، تقع الحبـة منـه على رطل من الإبـار، فيعقده ذهبـا بحـول الله وقوته، وإنه وهاب كريم رب عظيم.

ــ نسخـــة بقلم نسخ فـــارسى [مكتـوبـــة سنـة ١٠٨١] ومسطرتها ٢٥ سطرا.

(ضمن مجمـوعه من ورقـة رقم ١٣٩ ــ ١٤٣) سم ١٢ × ١٩.

[دار الكتب المصرية ـ ٧٣١ طبيعيات].

(فهرس المخطـوطات المصورة، معهد المخطـوطات العربيـة جـ ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات ـ وضع فؤاد سيد. القاهرة ١٩٦٣ / ٣٩، ٤٠).

انظر ترجمة جابر بن حيان فى م ١١ / ٣٩٢ـ٤٠٢.

* **الخمر:**

قال الـراغب الأصفهانـى: الخمر سميت لكـونها خـامرة لمقر العقل، وهـو عند بعض الناس اسم لكل مسكـر. وعند بعضهـم اسم للمتخـذ من العنب والتمـر لمـا روى عنـه ﷺ: «الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة» ومنهم من جعلها اسمـا لغيـر المطبـوخ، ثم كميـة الطبخ التى تسقط عنـه اسم الخمـر مختلف فيهـا، والخمـار الـداء العـارض من الخمـر وجعل بناؤه بناء الأدواء كالزكام والسعال (المفردات / ١٥٩).

وقال الزبيدى فى معجمه: العربى تسمى العنب خمرا قال ابن سيده وأظن ذلك لكـونها منه حكـاها أبو حنيفـة قال وهى لغـة يمانيـة وقال فى قـوله تعـالى ﴿إنى أرانى أعصـر خمـرا﴾ [يوسـف: ٣٦] إن الخمر هنا العنب (معجم أسماء النباتات / ٥٤)

وقال الإمام النووى:

الخمـر هـى الشـراب المعـروف وهـى مـؤنثـة فـى اللغـة الفصيحـة المشهورة وذكـر أبـو حـاتم السجستانى فـى كتابـه المذكـر والمؤنث فى موضعين منه أن قـوما فصحاء يذكـرونها قال سمعت ذلك ممن أثق به منهم وذكـرها أيضا ابن قتيبة فى أدب الكاتب فيمـا جاء فيها لغتـان التذكيـر والتأنيث ولا يقال

خمرة بالهاء في اللغة الفصيحة . وقد تكرر استعمالها بالهاء في الوسيط وهي لغة ولا إنكار عليه وقد روينا في الجعديات الكتاب المعروف عن النبي ﷺ أنه قال «الشيطان يحب الخمرة» هكذا هو في الرواية بالهاء وكذا ذكر هذه اللغة الجوهري وغيره قال الجوهري : خمرة وخُمِر وخُمُور كتمرة وتمر وتمور. وذكر أبو حاتم أنه يقال خمرة كما قالوا دقيقة وسويقة وذهبة وعسلة . قال شيخنا جمال الدين بن مالك في كتابه المثلث : الخمرة هي الخمر. قال الإمام أبو الحسن الواحدي الخمر عند أهل اللغة سميت خمرا لسترها العقل . قال الليث : اختمار الخمر إدراكها وغليانها ومخمرها متخذها وخمرت الدابة أخمرها سقيتها الخمر. قال الكسائي يقال اختمرت خمرا ولا يقال أخمرتها وأصل هذا الحرف التغطية وقيل سميت خمرا لأنها تغطي حتى تدرك . وقال ابن الأنباري سميت خمرا لأنها تخامر العقل أي تخالطه . هذا كلام أهل اللغة في هذا الحرف . وأما حدها فقد اختلف العلماء فيه فقال سفيان الثوري وأبو حنيفة وأهل الرأي الخمر ما اعتصر من العنب والنخلة فيغلي بطبعه دون عمل النار وما سوى ذلك ليس بخمر وقال مالك والشافعي وأحمد وأهل الأثر رضي الله عنهم أن الخمر كل شراب مسكر فسواء كان عصيرا أو نقيعا مطبوخا كان أو نيئا واللغة تشهد لهذا قال الزجاج القياس أن ما عمل عمل الخمر يقال له خمر وأن يكون في التحريم بمنزلتها هذا آخر كلام الواحدي (تهذيب الأسماء واللغات ٣ / ٩٨ ، ٩٩) .

والخمر من الكبائر السبعين التي أحصاها الإمام الذهبي في كتابه الموسوم بالكبائر (٦٠ ـ ٦٦) .

حد شارب الخمر :

قال الإمام الماوردي في الفصل الثالث في حد الخمر :

كل ما أسكر كثيره أو قليله من خمر أو نبيذ حرام حد شاربه سواء سكر منه أو لم يسكر. وقال أبو حنيفة يحد من شرب الخمر وإن لم يسكر، ولا يحد شرب النبيذ حتى يسكر.

والحد : أن يجلد أربعين بالأيدي وأطراف الثياب ويبكت بالقول الممض والكلام الرادع للخبر المأثور فيه . وقيل بل يحد بالسوط اعتبارا بسائر الحدود ويجوز أن يتجاوز الأربعين إذ لم يرتدع بها إلى ثمانين جلدة ، فإن عمر رضي الله عنه حد شارب الخمر أربعين إلى أن رأى تهافت الناس فيه فشاور الصحابة فيه وقال أرى الناس قد تهافتوا في شرب الخمر فماذا ترون؟ فقال علي رضي الله عنه . أرى أن تحده ثمانين ، لأنه إذا شرب الخمر سكر، وإذا سكر هذى ، وإذا هذى افترى ، فحده ثمانين حد الفرية فجلد فيه عمر بقية أيامه ، والأئمة من بعده ثمانين فقال علي رضي الله عنه : ما أحد أقيم عليه الحد فيموت فأجد في نفسي منه شيئا ألحق قتله إلا شارب الخمر فإنه شيء رأيناه بعد رسول الله ﷺ، فإن حد شارب الخمر أربعين فمات منها كانت نفسه هدرا ، وإن حد ثمانين فمات ضمنت نفسه .

وفي قدر ما يضمن منها قولان : أحدهما جمع ديته لمجاوزته النص في حده . والثاني نصف ديته لأن نصف حده نص ونصفه مزيد . ومن أكره على شرب الخمر أو شربها وهو لا يعلم أنها حرام فلا حد عليه ، وإن شربها لعطش حد لأنها لا تروى ، وإن شربها لداء لم يحد لأنه ربما يبرأ بها ، وإذا اعتقد إباحة النبيذ حُد وإن كان على عدالته ، ولا يحد السكران حتى يقر بشرب الخمر المسكر أو يشهد عليه شاهدان أنه شرب مختارا ما لم يعلم أنه مسكر. وقال أبو عبيد الزبيري أحده للسكر وهذا سهو، لأنه قد يكره على شرب المسكر.

وحكم السكران في جريان الأحكام عليه كالصاحي إذا كان عاصيا بسكره ، فإن خرج عن حكم المعصية لإكراهه على شرب الخمر أو شرب ما لا يعلم أنه مسكر لم يجر عليه قلم المغمى عليه .

واختلف في حد المسكر فذهب أبو حنيفة إلى أن حد السكر ما زال معه العقل حتى لا يفرق بين الأرض والسماء ولا يعرف أمه من زوجته ، وحده أصحاب الشافعي بأنه ما أفضى بصاحبه إلى أن يتكلم بلسان متكسر ومعنى غير منتظم ويتصرف بحركة مختبط ومشي متمايل وإذا جمع بين اضطراب الكلام فهما وإفهاما وبين اضطراب الحركة مشيا وقياما صار داخلا في حد السكر وما زاد على هذا فهو زيادة في حد السكر (الأحكام السلطانية / ١٩٧ ، ١٩٨) .

وعن حد شارب الخمر يقول الإمام أحمد بن رسلان الشافعي :

يحـــد كـــامل بشـــرب مسكـــر
بـأربعيـن جلـــــدة وعـــــزّر
إلـى ثمـــانين أجـــز والعبـــد
بنصفـــه وإنمـــا يحــد
إن شهـــد العـــدلان أو أقـــرا
لا نكهـــة وإن تقــايــا خمــرا

(متن الزبد فى الفقة / ٩٨).

وقال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى فى حد المسكر:

وأيمـــا مكلـف قـــد شـــربــا
مـن مسكـــر على اختيـــار ضـــربـا
بـــذاك أربعيـن وليعـــزر
إلـى ثمـــانيـن بنص الأثـــر
والعبـــد نصف ذا بـــلا إنكـــار
بشــاهـــدى عـــدل أو الإقـــرار
ومن تقيــاهـــا فـــذا قـــد شــربــا
دون تـــردد وجـــدا ضـــربـا
وجـــاء فيمن منـــه سكـــر وحـــدا
دون اعتـــراف تـــرك بحث أسنـــدا
وقـــد روى عـن ابـن أم عبـــد
بـــوجـــد ريحهـــا إقـــام الحــد
والقتـل فـى رابعـــة قـــد أمـــرا
بـــه وصح النسخ مـن غيـــر مـــرا

(مجموع / ١٠٢).

وقال الإمام أبو زيد القيروانى:

ومـن الخمـــر أو نبيـــذ مسكـــرا
ذاق فكـــالقــــذف وإن لم يسكـــرا

(الفتح الربانى ٣ / ٢٣).

وقد جاء فى السنة النبوية تشديد عظيم فى شرب الخمر وبيعها وشرائها وعصرها وحملها وأكل ثمنها، وترغيب عظيم فى ترك ذلك والتوبة منه.

ونسوق فيما يلى ماجاء عن الخمر من الأحاديث النبوية الشريفة فى كتاب الأشربة مع شىء من الشرح حين يقتضى الأمر:

قال الله تعالى: **﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾** [المائدة: ٩٠].

باب «تحريم الخمر».

(١) «عن أبى سعيد الخدرى قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس إن الله يبغض الخمر، وفى رواية عنه: ولعل الله سينزل فيها أمرا، فمن كان عنده منها شىء فليبعه ولينتفع به، قال: فما لبثنا إلا يسيرا حتى قال ﷺ: إن الله حرم الخمر، فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شىء فلا يشرب ولا يبيع. قال: فاستقبل الناس بما كان عندهم منها طرق المدينة فسفكوها». «رواه مسلم».

(٢) وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب بالمدينة قال: يا أيها الناس إن الله تعالى يعرِّض بالخمر ولعل الله سينزل فيها أمرا. فمن كان عنده شىء منها فليبعه ولينتفع به، قال: فما لبثنا إلا يسيرا حتى قال ﷺ: إن الله تعالى حرم الخمر، فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شىء فلا يشرب ولا يبع، قال: فاستقبل الناس بما كان عندهم منها فى طريق المدينة فسفكوها. «رواه مسلم».

(٣) عن عمر رضى الله عنه قال: «لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم بيِّن لنا فى الخمر بيانا شفاء فنزلت الآية التى فى سورة البقرة **﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير﴾**[البقرة: ٢١٩] قال: فدعى عمر فقرئت عليه: قال:

اللهم بيِّن لنا فى الخمر بيانا شفاء. فنزلت الآية التى فى سورة النساء **﴿يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾**[النساء: ٤٣] فكان منادى رسول الله ﷺ إذا أقيمت الصلاة ينادى: ألا لا يقربن الصلاة سكران فدعى عمر فقرئت عليه ـ فقال: اللهم بيِّن لنا فى الخمر بيانا شفاء، فنزلت هذه الآية **﴿فهل أنتم منتهون﴾** [المائدة: ٩١]فقال عمر: انتهينا» «أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى».

(٤) وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «نزل فى الخمر ثلاث آيات، فأول شىء نزلت **﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾** الآية، فقيل حرمت الخمر، فقيل يا رسول الله ننتفع بها كما قال الله عز وجل فسكت عنهم، ثم أنزلت هذه الآية: **﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾** فقيل حرمت الخمر بعينها، فقالوا يارسول الله إنا لا نشربها قرب الصلاة فسكت عنهم، ثم نزلت: **﴿يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ...﴾** الآية فقال رسول الله ﷺ: حرمت الخمر» «رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده».

«الخمر مفتاح كل شر».

(٤) عن أبى الدرداء قال «أوصانى خليلى ﷺ: لا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر» «رواه ابن ماجه»

(٥) وعن الخباب بن الأرت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إياك والخمر فإن خطيئتها تفرع الخطايا كما أن شجرتها تفرع الشجر». «رواه ابن ماجه».

(٦) وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتى ليلة أسرى به بإيلياء بقدحين من خمر ولبن فنظر ﷺ - إليها ثم أخذ اللبن فقال جبريل الحمد لله الذى هداك للفطرة، ولو أخذت الخمر غوت أمتك» «رواه البخارى ومسلم والنسائى».

باب «مدمن الخمر»

(٧) عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال:

«لا يدخل الجنة مدمن خمر». «رواه ابن ماجه»

(٨) وعن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حرمها فى الآخرة» «رواه البخارى».

(٩) ولمسلم من طريق أيوب عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر فى الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها فى الآخرة».

باب: التغليظ والتشديد على شارب الخمر

(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لا يزنى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن».

وعن أبى هريرة أيضا: كان أبو بكر يلحق معهن: «ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم فيها حين ينتهبها وهو مؤمن» «رواه البخارى».

(٢) وعن أبى هريرة رضى الله عنه: أن النبى ﷺ قال:

«لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع المسلمون إليه أبصارهم وهو مؤمن».

باب: عقوبة حد شارب الخمر فى الدنيا

(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

«أُتى النبى ﷺ برجل قد شرب فقال اضربوه فقال أبو هريرة فمنا الضارب بيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه فلما انصرف قال بعض القوم أخزاك الله، قال لاتقولوا هكذا لا تعينوا عليه الشيطان» «رواه أحمد والبخارى وأبو داود».

(٢) عن أنس أن النبى ﷺ «أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين قال وفعله أبو بكر - فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن أخف الحدود ثمانين فأمر به عمر» «رواه أحمد ومسلم وأبو داود وصححه».

(٣) وعن أنس بن مالك أن نبى الله ﷺ «جلد فى الخمر بالجريد والنعال ثم جلد أبو بكر أربعين فلما كان عمر ودنا الناس من الريف والقرى قال ما ترون فى جلد الخمر فقال عبد الرحمن بن عوف أرى أن نجعلها كأخف الحدود قال فجلد عمر ثمانين». «رواه مسلم».

(٤) وعن السائب بن يزيد قال:

(كنا نؤتى بالشارب فى عهد رسول الله ﷺ وفى إمرة أبى بكر وصدرا من إمرة عمر فنقوم إليه نضربه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا حتى كان صدرا من إمرة عمر فجلد فيها أربعين حتى إذا عتوا فيها وفسقوا جلد ثمانين». «رواه أحمد والبخارى».

باب: تحريم التجارة فى الخمر والأوجه التى لعنت الخمر فيها.

(١) عن عائشة قالت: «لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة فى الربا خرج رسول الله ﷺ فحرَّم التجارة فى الخمر» «رواه ابن ماجه».

(٢) وعن ابن عباس قال: «بلغ عمر أن سمرة باع خمرا فقال: قاتل الله سمرة ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال: لعن الله اليهود «حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها»«رواه ابن ماجه»

(٣) وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه». «رواه أبو داود».

(٤) وعن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لعنت الخمر على عشرة أوجه بعينها، وعاصرها ومعتصرها

وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها وشاربها وساقيها «رواه ابن ماجه».

باب : حكم التداوى بالخمر

(١) عن وائل بن حجر «أن طارق بن سويد الجعفى سأل النبى ﷺ عن الخمر فنهاه، فقال إنما أصنعها للدواء قال إنه ليس بدواء ولكنه داء». «رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وصححه».

(٢) وعن أبى الدرداء قال قال رسول الله ﷺ «إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام». رواه أبو داود. وقال ابن مسعود فى المسكر «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم». «ذكره البخارى ـ نيل الأوطار».

باب : تخليل الخمر

(١) عن أنس أن النبى ﷺ سئل عن الخمر تتخذ خلا... فقال لا «رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وصححه».

(٢) وعن أنس أن أبا طلحة سأل النبى ﷺ عن أيتام ورثوا خمرا قال أهرقها، قال أفلا نجعلها خلا قال لا «رواه أحمد وأبو داود».

(٣) وعن أبى سعيد قال «قلنا لرسول الله ﷺ لما حرمت الخمر إن عندنا خمرا ليتيم لنا، فأمرنا فأهرقناها». «رواه أحمد».

(٤) وعن أنس أن يتيما كان فى حجر أبى طلحة فاشترى له خمرا فلما حرمت سئل النبى ﷺ أتتخذ خلا؟ قال لا «رواه أحمد والدارقطنى».

باب : «كل مسكر خمر».

(١) عن أنس قال: «إن الخمر حرمت والخمر يومئذ البسر والتمر» متفق عليه، وفى لفظ قال: «حرمت علينا حين حرمت وما نجد خمر الأعناب إلا قليلا وعامة خمرنا البسر والتمر» «رواه البخارى».

وفى لفظ «لقد أنزل الله هذه الآية التى حرم فيها الخمر وما فى المدينة شراب إلا من تمر» «رواه مسلم».

(٢) وعن أنس قال «كنت أسقى أبا عبيدة وأبى بن كعب من فضيخ زهو وتمر فجاءهم آت فقال إن الخمر حرمت. فقال أبو طلحة قم يا أنس فأهرقها فأهرقتها». «متفق عليه».

(٣) عن ابن عمر قال «نزل تحريم الخمر وإن بالمدينة يومئذ لخمسة أشربة ما فيها شراب العنب». «رواه البخارى».

(٤) وعن ابن عمر أن عمر قال على منبر النبى ﷺوسلم : أما بعد.

«أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهى من خمسة: من العنب والتمر والعسل والحنطة، والشعير، والخمر ما خامر العقل» «متفق عليه».

(٥) وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ «إن من الحنطة خمرا ومن الشعير خمرا ومن الزبيب خمرا ومن التمر خمرا ومن العسل خمرا». «رواه الخمسة إلا النسائى زاد أحمد وأبو داود «وأنا أنهى عن كل مسكر».

(٦) وعن عائشة قالت: «سئل رسول الله ﷺ عن البتع وهو نبيذ العسل وكان أهل اليمن يشربونه، فقال ﷺ «كل شراب أسكر فهو حرام».

(٧) وعن أبى موسى قال: قلت يارسول الله أفتنا فى شرابين كنا نصنعهما باليمن البتع وهو من العسل ينبذ حتى يشتد، والمزر وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد، قال وكان رسول الله ﷺ قد أعطى جوامع الكلم بخواتمه، فقال «كل مسكر حرام» «متفق عليها».

(٨) «وعن جابر أن رجلا من جيشان، وجيشان من اليمن سأل النبى ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر، فقال أمسكر هو، قال نعم فقال «كل مسكر حرام إن على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال، قالوا يارسول الله وما طينة الخبال قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار». «رواه مسلم وأحمد والنسائى».

(٩) وعن ابن عباس، عن النبى ﷺ قال:

«كل مخمَّر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب مسكرا بخست صلاته أربعين صباحا فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال ـ قيل: وما طينة الخبال يارسول الله ؟ قال صديد أهل النار، ومن سقاه صغيرا لا يعرف حلاله من حرامه كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال». «رواه أبو داود»

(١٠) وعن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام» «رواه الجماعة إلا البخارى وابن ماجه» وفى

روايـة «كل مسكـر خمـر وكـل خمـر حـرام» «رواه مسلم والدارقطني».

(١١) وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت «نهى رسول الله ﷺ، عن كل مسكر ومفتر». «رواه أبو داود».

ولأهمية هذا الباب نتبعه بالشرح التالي:

أحاديث الباب تدل على أن كل مسكر حرام وأن كل مسكر خمر وكل خمر حرام ولو كان ذلك من الحنطة أو الشعير أو الذرة أو العسل أو غيرها ـ فقد ذكر عمر رضى الله عنه الأشربة الخمسة التى كانت معروفة حين نزلت آية التحريم ﴿**إنما الخمر والميسر... إلخ**﴾ وهى شراب العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير ولكنه لم يقتصر على ذلك بل أورد عبارته الجامعة «الخمر ما خامر العقل» فأراد رضى الله عنه بذلك التنبيه على أن المراد بالخمر فى آية التحريم ليس خاصا بالمتخذ من العنب بل يتناول المتخذ من غيره.

وأما ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة»، رواه الجماعة إلا البخارى» فليس فيه نفى الخمرية عن نبيذ الحنطة والشعير والذرة وغير ذلك مما وردت به الأحاديث الصحيحة.

قال الشوكانى فى نيل الأوطار. وإنما خص بالذكر هاتين الشجرتين لأن أكثر الخمر منهما وأعلى الخمر وأنفسه عند أهله منهما وهذا نحو قولهم: المال الإبل والحج عرفات ونحو ذلك وقال القرطبى فيما نقله عنه الشوكانى: هذه الأحاديث وغيرها على صحتها وكثرتها تبطل مذهب الكوفيين القائلين بأن الخمر لا يكون إلا من العنب لقوله تعالى:

﴿**أعصر خمرا**﴾ وما كان من غيره مما تنبذ ولا يعصر فلا تسمى خمرا ولا يتناولها اسم الخمر وهو قول مخالف للغة العرب والسنة الصحيحة وللصحابة لأنهم لما نزل تحريم الخمر فهموا من الأمر باجتناب الخمر تحريم كل مسكر ولم يفرقوا بين ما يتخذ من العنب وبين ما يتخذ من غيره بل سووا بينهما وحرموا كل نوع منهما ولم يتوقفوا ولا استفصلوا ولم يشكل عليهم شىء من ذلك بل بادروا إلى إتلاف ما كان من غير عصير العنب وهم أهل اللسان وبلغتهم نزل القرآن فلو كان عندهم فيه تردد لتوقفوا عن الإراقة حتى يستكشفوا ويستفصلوا ويتحققوا التحريم لما كان قد تقرر عندهم من النهى عن إضاعة المال فلما لم يفعلو ذلك بل بادروا إلى إتلاف الجميع علمنا أنهم فهموا التحريم ثم يضاف إلى ذلك خطبة عمر بما يوافق ذلك ولم ينكر عليه أحد من الصحابة قوله:

«ومن سقاه أى المسكر صغيرا لا يعرف حلاله من حرامه كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال» يدل على أن الكبير مسئول عن تربية الصغير ومما يقدمه له من حلال أو حرام.

وحديث ابن عباس رضى الله عنهما. من شرب المسكر بخست صلاته أربعين صباحا فإن تاب تاب الله عليه. فإن عاد الرابعة كان حق على الله أن يسقيه من طينة الخبال».

يدل على مدى خطورة الخمر وتأثيرها السىء حتى على العبادات فإنها ترد صلاة شاربها فلا يقبلها الله أربعين يوما. فإن تاب فإن الله يقبله بواسع رحمته ﴿**وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات**﴾ فمعنى بخست صلاته أى لم يقبلها الله أربعين صباحا.

لما رواه الترمذى عن عبد الله بن عمر قال. قال رسول الله ﷺ.

«من شرب الخمر لم يقبل الله صلاته أربعين صباحا فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا. فإن تاب تاب الله عليه ـ فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا. فإن تاب تاب الله عليه ـ فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا، فإن تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال، قيل يا أبا عبد الرحمن وما نهر الخبال ـ قال نهر من صديد أهل النار» وفى شرح الإمام ابن العربى المالكى على صحيح الترمذى تعليقا على عدم قبول التوبة بعد الرابعة:

وقد قال العلماء من العابدين: إن نكث التوبة دائما والاستخفاف بحقها مرة بعد مرة يورث القلب قسوة ربما لم يقدر المرء على تلقينها عند الخاتمة، وقد ضعف الحويل (تصغير الحول) ووقع فى البدن التبديل واشتغل بما يرى من التهاويل. ومن أجل هذه الآثار السيئة للمسكرات ينهى رسول الله ﷺ عن تناولها ولو احتيج إليها ـ كما يُدَّعى للتقوى ـ

أو للتدفئة. روى ديلم الحميدى قال «سألت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله، إنا بأرض باردة، نعالج فيها عملا شديدا، وإنا نتخذ شرابا من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا، وعلى برد بلادنا قال هل يسكر؟؟ قلت نعم قال: فاجتنبوه: قال: قلت فإن الناس غير تاركيه قال: فإن لم يتركوه فقاتلوهم رواه أبو داود».

فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على أن الحاجة إلى المسكر لا تبيح المسكر إنما تبيحه الضرورة فقط وبقدر ما يدفعها فقط.

وحديث أم سلمة رضى الله عنها «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر».

«المفتر»: كل شراب يورث الفتور والخدر فى الأطراف والفترة الانكسار والضعف والفتور مقدمة السكر وهو منهى عنه لأنه ذريعة إليه وما أدى إلى الحرام فهو حرام. وهذا الحديث يدعونا إلى بيان حكم الحشيش والأفيون وغيرهما من الجامدات.

ومما لا شك فيه أن هذه النباتات مسكرة أو هى» على الأقل مفترة ومخدرة. وأحاديث الباب صريحة فى تحريم كل مسكر وفى أن حكمه حكم الخمر مائعا كان أو جامدا

وحديث أم سلمة صريح كذلك فى النهى عن كل مسكر مفتر... لذلك فإننا نرى وبالله التوفيق حرمة تناول الحشيش وغيره مما شابهه.

قال الإمام القسطلانى: ويدخل فى قوله كل مسكر حرام حشيشة الفقراء وغيرها وقد جزم النووى وغيره بأنها مسكرة. ا. هـ.

ولعل من المفيد أن نذكر هنا ما ورد فى فتاوى ابن تيمية جـ ٤ عن كلمة الحشيش.

قال: هذه الحشيشة الصلبة حرام سواء سكر منها أو لم والسكر منها حرام باتفاق المسلمين ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل مرتدا لايصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين.

ثم قال: وكل ما يغيب العقل فإنه حرام وإن لم تحصل به نشوة ولا طرب فإن تغييب العقل حرام بإجماع المسلمين ـ والمحققون من الفقهاء علموا أنها مسكرة وإنما يتناولها الفجار لما فيها من النشوة والطرب ـ فهى تجامع الشراب المسكر فى ذلك، والخمر توجب الحركة والخصومة، وهذه توجب الفتور والذلة ــ وفيها مع ذلك من فساد المزاج والعقل وفتح باب الشهوة وما توجبه من الدياثة مما هى من شر الشراب المسكر.

وإنما حدثت فى الناس بحدوث التتار وعلى تناول القليل منها والكثير حدا الشرب ثمانون سوطا أو أربعون إذا كان مسلما.

وقال فى موضع آخر من فتاويه

والصحيح أن الحشيش مسكرة كالشراب فإن آكليها ينتشون بها ويكثرون تناولها بخلاف البنج وغيره فإنه لا ينشى ولا يشتهى «وقاعدة الشريعة أن ما تشتهيه النفوس من المحرمات كالخمر والزنا ففيه الحدود ومالا تشتهيه كالميتة ففيه التعزير».

والحشيشة مما يشتهيها آكلوها ويمتنعون عن تركها ونصوص التحريم فى الكتاب والسنة تشمل ما يتناولها ويتناول غيرها (انظر مادة «الحشيش» فى م ١٤ / ٢١٢ـ٢١٥).

وقال ابن القيم فى كتابه زاد المعاد الجزء الرابع فى باب ما يحرم بيعه.

إن الخمر يدخل فيها كل مسكر مائعا كان أو جامدا عصيرا أو مطبوخا، فيدخل فيها لقمة الفسق والفجور، يعنى «الحشيشة» قال لأن هذا كله خمر بنص رسول الله ﷺ الصحيح الصريح الذى لا مطعن فى سنده ولاجدال فى متنه! وصح عنه قوله ﷺ «كل مسكر خمر» وصح عن أصحابه وهو أعلم الناس بخطابه أن الخمر ماخامر العقل على أنه لو لم يتناول لفظه ﷺ كل مسكر لكان القياس الصحيح الصريح الذى استوى فيه الأصل من كل وجه حاكما بالتسوية بين أنواع المسكر فالتفريق بين نوع ونوع تفريق بين متماثلين من جميع الوجوه.

وقال الصنعانى فى سبل السلام:

ويحرم ما أسكر من أى شىء وإن لم يكن مشروبا كالحشيش ومن قال إنها لا تسكر وإنما تخدر فهى مكابرة فإنها تحدث ما تحدث الخمر من الطرب والنشوة ـ وإذا سلم عدم الإسكار فهى مفترة.

وقد روى أبو داود عن أم سلمة رضى الله عنها أنه. «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر».

باب: «ماأسكر كثيره فقليله حرام».

(١) عن عائشة رضى الله عنهـا قالت: «قال رسول الله ﷺ كل مسكر حرام، وما أسكر الفـرق منه فملء الكف منه حرام» «رواه أحمد وأبو داود والترمذى وقال حديث حسن».

(الفرق بفتح الراء وسكـونها مكيال معروف بـالمدينة يسع ستة عشر رطلا وقيل هو بفتح الراء ستة عشر رطلا فإذا سكنت فهو مائة وعشرون رطلا.

قوله فملء الكف منه حرام ــ وفى رواية للإمام أحمد فى الأشربة بلفظ «فالأوقية منه حرام».

وفى رواية فالحسوة منه حرام.

وليس المـراد حقيقـة الفـرق ولا ملء الكف أو الأوقيـة أو الحسوة وإنما هو تمثيل للكثير وللقليل قال الشوكانى فى نيل الأوطار: وذكره ملء الكف أو الأوقيـة فى الحديث على سبيل التمثيل وإنما العبرة بأن التمثيل شامل للقطرة ونحوها.

قال ابن رسلان فى شـرح السنن: (أجمع المسلمون على وجوب الحد على شـاربها سواء شرب قليلا أو كثيـرا ولو قطرة واحدة).

(٢) وعن ابن عمـر عن النبى ﷺ قـال: «ما أسكر كثيـره فقليلـه حرام». رواه أحمـد وابن ماجـه والدارقطنى وصححـه» ولأبى داود وابن ماجه والترمذى مثله سواء من حـديث جابر، وكذا لأحمد والنسائى وابن مـاجه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وكذلك للـدارقطنى من حديث الإمام على ابن أبى طالب رضى الله عنه.

(٣) وعن سعد بن أبى وقاص أن النبى ﷺ (نهى عن قليل ما أسكر كثيره) «رواه النسائى والدارقطنى».

باب

«تسمية الخمر بغير اسمها»

(١) عن عبد الرحمن بن غنم الأشعرى قال: حدثنى أبو عامر أو أبو مالك الأشعـرى ـ والله ما كذبنى ـ سمع النبى ﷺ يقول: «ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم ـ يعنى الفقير ـ لحاجـة ـ فيقولون ارجع إلينـا غدا فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة» «رواه البخارى».

(٢) وعن الإمام أحمد وابن أبى شيبة والبخارى فى تاريخه من طريق مالك بن أبى مريم عن عبد الرحمن بن غنم عن أبى مـالك الأشعـرى عن رسول الله ﷺ «ليشـربن أنـاس من أمتى الخمر يسمونهـا بغير اسمها تغدو عليهم القيـان وتروح عليهم المعـازف» «ذكـره القسطـلانى فى شـرحـه على صحيح البخارى».

(٣) وعن مالك بن أبى مريم قال «دخل علينا عبد الرحمن ابن غنم فتذاكرنا الطلاء فقال: حـدثنى أبو مالك الأشعرى أنه سمع رسـول الله ﷺ يقـول: «ليشربن نـاس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها»«رواه أحمد وأبو دادو وابن ماجه».

(٤) وعن عبادة بن الصـامت قال: «قـال رسول الله ﷺ: لتستحلن طائفة من أمتى الخمر باسم يسمونها إياه»

«رواه أحمد وابن ماجه وقال تشرب مكان تستحل»

(٥)وعن أبى أمـامة قـال: قال رسول الله ﷺ: «لا تـذهب الليالى والأيـام حتى تشرب طائفـة من أمتى الخمر ويسمـونها بغير اسمها». «رواه ابن ماجه».

(٦) وعن ابن محيريـز عن رجل من أصحاب النبى ﷺ، عن النبى ﷺ قال: «يشـرب ناس من أمتى الخمر ويسمـونها بغير اسمها». رواه النسائى».

(٧) وعن أبى الجويريـة قال: سألت ابن عباس رضى الله عنهما عن البـاذق فقال: «سبق محمد الباذق فمـا أسكر فهو حرام. قال: الشراب الحلال الطيب. قال: ليس بعد الحلال الطيب إلا الحرام الخبيث».

وإليك الشرح:

قوله «يسمونها بغير اسمها» قال فى شرح صحيح الترمذى يريـد يغيرون وصفتها ويعـدلون اسمهـا ويبقى معناها ــ وهذا أصل فى أن الأحكـام إنمـا تتعلق بمـعانـى الأسمـاء لا بألـقابها.

وقـال الشـوكانى «يسمـونهـا بغيـر اسمها» يعنى يسمـونـا الداذى بدال مهملة وبعد الألف ذال معجمة.

قـال الأزهـرى: هـو حَبٌّ يطـرح فى النبيـذ فيشتـد حتى يسكر، أو يسمـونها بالطـلاء، وهو مـا طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه.

قـال أبـو داود وقـال سفيـان الثـورى: الـداذى شـراب الفاسقين.

«والباذق» قال فى القاموس البـاذق بكسر الذال وفتحها ما طبخ من عصير العنب أدنى طبخة فصار شديدا.

وقال الجواليقي أصله باذه وهو أن يطبخ العصير حتى يصير مثل طلاء الإبل.

قوله «سبق محمد الباذق فما أسكر فهو حرام» أي سبق حكم محمد ﷺ بتحريم الخمر تسميتهم إياها بالباذق حيث قال: ما أسكر فهو حرام ــ فليس التحريم منوطا بمجرد الاسم حتى يكون تغيير الاسم مغيرا للحكم وإنما الاعتبار بالإسكار فإن وجد فالتحريم ثابت سواء سمي المسكر باسمه الذى كان أو غُير إلى اسم آخر.

قال القسطلاني: وقال الحافظ أبو ذر: مما رأيته في هامش اليُونينية أن الاسم ـ أي الباذق ـ حدث بعد الإسلام.

وأحاديث الباب مما أخبر به الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه مما خصه الله تعالى بعلمه أنه سيقع في أمته، وقد وقع وشرب الناس الخمر بعد أن خلعوا عليها مختلف الأسماء كالطلاء أو الطلى والباذق والداذى وكالبيرة والبوظة المسكرة وغير ذلك مما يشربه الناس في هذه الأيام مستحلين لها متأولين فيها أو مسترسلين في شربها استرسالهم في الحلال غير مبالين بحرمتها وهي في حقيقة أمرها خمر يسكر كثيرها فقليلها حرام وإن سميت بمختلف الأسماء بل قد تكون حرمتها أشد من حرمة الخمر.

فقد نقل في الفتح عن أبي الليث السمرقندي أنه قال: شارب المطبوخ إذا كان يسكر أعظم ذنبا من شارب الخمر لأن شارب الخمر يشربها وهو يعلم أنه عاص بشربها، وشارب المطبوخ يشرب المسكر ويراه حلالا، وقد قام الإجماع على أن قليل الخمر وكثيره حرام. ومن استحل ما هو حرام بالإجماع فقد كفر.

يؤخذ من الأحاديث أن أحكام الشريعة منوطة بحقيقة الشيء ومعناه لا باسمه ولقبه فإنه لما قال أبو الجويرية لابن عباس إن الباذق هو الشراب الحلال الطيب لأنه عصير العنب الحلال الطيب

قال ابن عباس: اشرب الحلال الطيب فإنه ليس بعد الحلال الطيب إلا الحرام الخبيث حيث تغير عن حالته الأولى الطيبة إلى الخمرية الخبيثة المحرمة).

كما تدل الأحاديث على جواز إخبار الرسول ﷺ عن بعض الغيبيات التي ستقع مستقبلا مما هو آيات على صدق رسالته صلوات الله وسلامه عليه. (المنتخب من السنة ٩ / ١١٩ ـ ١٥٨).

وفي معنى هذه الأحاديث جاءت فتوى للإمام الأكبر الأسبق الشيخ محمود شلتوت رحمه الله ردا على سؤال يقول:

يستبيح بعض الناس ألوانا من النبيذ المسكر زاعمين أنه ليس من الخمر المحرمة، كما يستبيح آخرون تناول المواد المعروفة بالمخدرات مستندين إلى مثل هذا الزعم، فما رأى الإسلام؟

فأجاب رحمه الله قائلا:

أمران يرتبطان بالخمر، وأحكامه تمام الارتباط، ولا بد للمسلمين من معرفتهما حتى يكونوا على بينة من أمر دينهم بالنسبة لما تلوكه بعض الألسنة المنحرفة، ذات القلوب الفاسدة والأفكار الزائغة ـ فيما يتعلق بمعنى الخمر وملحقاته ـ إما جهلا وإغراقا في الجهالة بأساليب التحريم القرآنية، والقواعد التشريعية في الإسلام وإما محاولة لطمس الحقائق الدينية الواضحة عن طريق الخداع وإلباس الحق بالباطل انتزاعا للمسلمين من دينهم وطمسا لشعائرهم، وتحريضا لهم على اقتحام حرمات الله باسم الفهم والرأى، وما هو في واقعه إلا كيد للإسلام وخديعة للمسلمين.

الخمر كل ما أسكر:

وأول هذين الأمرين هو أن الخمر في لسان الشرع واللغة، اسم لكل ما يخمر العقل ويغطيه ولا عبرة بخصوص المادة التي يتخذ منها فقد يكون من العنب، وقد يكون من غيره، والأحاديث الصحيحة الواردة في الخمر، واضحة في أن ذلك هو معناها «كل مسكر حرام»، «إن من الحنطة خمرا، ومن الشعير خمرا، ومن العسل خمرا، وأنا أنهى عن كل مسكر».

بيّن الرسول معنى الخمر هكذا، وهكذا فهم الأصحاب من كلمة خمر، وبادر حين نزل تحريمها المؤكد بأساليب التحريم القوية المتعددة ــ كل من كان عنده شيء منها ـ بإراقته دون أن ينظر إلى المادة التي اتخذ منها، وهكذا خطب عمر رضي الله عنه فقال أيها الناس، إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمس: من العنب، والتمر، والعسل، والحنطة، والشعير، والخمر ما خامر العقل»، وكان ذلك في محضر كبار الصحابة وغيرهم ولم ينكر عليه أحد منهم.

انحراف فى معنى الخمر:

ومن هنا نعلم أن الذين يعلنون فى مجالسهم الخاصة انقيادا لشهواتهم، وعبثا بالدين والعقول، أن المحرم، هو خصوص المتخذ من العنب، أو منه ومن التمر لا غير، وأن المتخذ من غيرهما لا يحرم تناوله، قوم لا يكترثون بلغة الألفاظ ودلالتها. ولا ببيان الرسول، ولا يركنون إلى فهم أصحابه الذين تحدثوا عما شاهدوا وسمعوا، وهم بعد هذا كله يغالطون أنفسهم، ويخدعون غيرهم فى سر تحريم الخمر الذى حرمها الله لأجله، ودين الله بيّن واضح، ولا ينبغى أن تتخذ آياته سبيلا للهو واللعب، وليس تحريم الخمر من التكاليف «التعبدية» التى لا يدرك المؤمن سر تكليفه بها، وإنما هو من التكاليف المعقولة التى يلمس الإنسان سر تحريمها ويراه واضحا فى نفسه، وفى نفس غيره عقلا، وصحة، ومالا، وكرامة.

سر تحريم الخمر:

أما الأمر الثانى، من الأمرين «موضوع الفتوى» فهو أن الإسلام حين قرر حرمة الخمر وعقوبة شاربها، لم ينظر إلى أنها سائل يشرب، وإنما نظر إلى الأثر الذى تحدثه فى شاربها من زوال العقل الذى يفسد عليه إنسانيته، ويسلبه مكانة التكريم التى منحه الله إياها، ويفسد عليه أيضا ما يجب أن يكون بينه وبين الناس من صلات المحبة والصفاء، ويطوع له مع هذا، انتهاك الأعراض، وقتل النفوس، ويعكر عليه صفو المعرفة بالله، الناشئة عن مراقبته وتذكر عظمته.

وتلك عنوان أضرارها الروحية والاجتماعية التى حرمت لأجلها، كما تضمنها وأشار إليها بأساليب التحريم المتعددة القوية قوله تعالى من سورة المائدة **﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاه فهل أنتم منتهون﴾** [المائدة: ٩٠، ٩١].

وقد كشف البحث الإنسانى فى ضوء هذا الوحى الإلهى الكريم، أن للخمر مع هذه الأضرار، أضرارا أخرى، أجمع عليها الأطباء، فى الكبد والمعدة، وسائر الأجهزة، وأن هذه الأضرار، كان لها فى القضاء على الإنسان أشد ما عرف للأمراض الفتاكة من القضاء عليه.

الخمر أشد فتكا بالإنسان من السل:

وفى مذكراتى الخاصة بهذا الشأن، نبأ لوكالة من وكالات الأنباء من باريس فى شهر مايو سنة ١٩٥٦ جاء فيه: أذاع معهد الإحصاء القومى فى فرنسا اليوم، (٢٥ مايو) أن الخمور بدأت تقتل من الفرنسيين أكثر مما يقتل مرض السل وقال المعهد، أن ٤٠٠, ١٧ فرنسى ماتوا فى العام الماضى من الخمر، بينما لم يمت سوى ٠٠٠, ١٢ بالسل، ومنذ خمس سنوات كانت ضحايا السل ٠٠٠, ٢٦ وضحايا الخمر ١٣٠٠٠.

هذا تقرير رسمى، عماده إحصاء المعهد القومى فى فرنسا لضحايا الخمر ومرض السل، وحسب الذين يميلون إلى الخمر، أو يحاولون خديعة الناس عن حكمها فى الإسلام، أن يعرفوا ذلك ليتبين لهم كيف يرحمهم الله الحكيم بتحريم الخمر، وكيف يصورها لهم بأنها **﴿رجس من عمل الشيطان﴾** وأى رجس بعد هذا؟

وهذا كله فوق ما يحدثه شربها من الأضرار الاقتصادية التى تذهب بأموال شاربها سفها بغير علم - إلى خزائن الذين اصطنعوها وصدروها، وتفننوا فى سبل الإعلان عنها والإغراء بها، وفوق ما تحدثه من الأضرار الأدبية فى الذهاب بالحشمة والوقار، واحترام الأهل والأبناء والأصدقاء، وفوق التوارث لرجسيتها بين الآباء والأبناء والأحفاد، ولهذا كله حرم الإسلام الخمر.

ليس التحريم خاصا بالسائل المشروب.

هذه الأضرار التى ظهرت للخمر وعرفها الناس، والتى لم تظهر ويعلمها الخبير بطبائع الأشياء، هى مناط تحريمها وإذا كانت هذه الآثار المتعددة النواحى هى مناط التحريم، كان من الضرورى لشريعة تبنى أحكامها على حفظ المصالح ودفع المضار، أن تحرم كل مادة من شأنها أن تحدث مثل تلك الأضرار أو أشد، سواء أكانت تلك المادة سائلا مشروبا، أو جامدا مأكولا، أو مسحوقا مشموما، وهذا طريق من طرق التشريع الطبيعية، عرفه الإنسان منذ أدرك خواص الأشياء، وقارن بعضها ببعض، وقد أقره الإسلام طريقا للتشريع، وأثبت

بـه «حكم مـا عـرف للـذى لم يعـرف لاشتـراكهمـا فى الخـواص».

ومن هنا لـزم ثبوت تلك الأحكام فى كل مادة ظهـرت بعد عهد التشريع، وكان لها مثل آثار الخمر أو أشد.

ومن الواضح أن قـوله عليـه الصلاة و السـلام «كل مسكر حرام» لايقصد به مجرد التسمية لأن الرسول ليس واضع أسماء ولغات و إنما القصـد منه: أنه يأخذ حكم الخمـر فى التحريم والعقوبة:

و إذا كـان من المحس المشاهـد، والمعـروف للنـاس جميعـا، أن المواد المعـروفة الآن «بـالمخدرات» كـالحشيش والأفيـون والكـوكـايين، لهـا من المضـار الصحيـة والعقليـة والروحية والأدبية والاقتصادية والاجتماعية، فوق ما للخمر كان من الضـرورى حرمتهـا فى نظر الإسـلام، إن لـم يكن بحرفيـة النص، فبروحه ومعناه، وبالقاعـدة العامة الضرورية التى هى أول القواعـد التشريعية فى الإسلام، وهى دفع المضـار، وسد ذرائع الفساد.

حرمة المخدرات:

وبـذلك أجمع على حرمـة «المخـدرات» فقهاء الإسـلام الذين ظهرت فى عهدهم.

وتبينوا آثارها السيئة فى الإنسان، وبيئته ونسله، وعرفوا أنها فوق آثار الخمر الذى حرمته النصوص الصريحة الواضحة فى كتاب الله وسنة رسوله، وحرمه النظر العقلى السليم.

قرروا حرمتها، وقرروا عقوبة تناولها كما قرروا حرمة الاتجار بهـا وعقوبـة المتجرين. وقرروا أن استحـلالهـا كاستحـلال الخمـر، وقد جـاء فى كتبهم «ويحـرم أكل البنج والحشيش والأفيـون لأنهـا مفسـدة للعقل، وتصـد عن ذكـر الله وعن الصلاة، ويجب تعزير آكلها بما يردعه».

وقال ابن تيمية: «إن فيها من المفاسد ما ليس فى الخمر، فهى أولى بالتحـريم، ومن استحلها، وزعم أنها حـلال، فإنه يستتـاب، فإن تـاب، و إلا قتل مـرتـدا، لا يصلى عليـه، ولا يدفن فى مقابر المسلمين» وقـال تلميذه، ابن القيم: «يدخل فى الخمـر كل مسكـر، مـائعـا كـان أو جـامـدا، عصيـرا أو مطبوخا؛ واللقمة الملعونـة، لقمة الفسق والفجور التى تحرك القلب السـاكن، إلى أخبث الأمـاكن». ويعنـى بـاللقمـة الملعـونـة، «الحشيشـة»، هـذه اللقمـة التى تـذهب بنخـوة الرجال، وبالمعانى الفاضلة فى الإنسان، وتجعله غير وفىٍّ إذا عاهد، وغير أمين إذا اؤتمن، وغيـر صادق إذا حدث ـ تميت فيه الشعور بـالمسئوليات، والشعور بالكرامـات، وتملؤه رعبا ودناءة وخيـانة لنفسه ولمن يعاشـر، وبذلك يصبح كمـا ترون عضـوا غير صـالح فى المجتمع الفـاضل، بل عضـوا فاسـدا مـوبوءا؛ يسـرى وباؤه وفسـاده إلى المجتمع الفـاضل فيوبئـه ويفسده. وإذن، فمن أوجب الواجبات، العمل على ردعه، وقاية للمجتمع من شره.

ولقد أدركت الأمم التى وصلـت إليها تلك المواد، مـا لها من آثار سيئـة تقوض المجتمع، وقامت الحكومـات الساهرة على مصلحة شعوبها بمكافحتهـا، فرصدت الأموال الطائلة. وبـذلـت الجهـود المضنيـة فى سبيل القضـاء عليهـا وعلى المتجرين بها، ومن هنا، يكون الذين نسمع عنهم، أو يسمع الناس منهم، أن «الحشيشة وما إليهـا» لم يحرمها القرآن، ولم تحـرمها سنـة الـرسول، ولم يـرد عن الأئمـة الأوائل شىء فى تحـريمها، من الـذين يفتـرون على الله الكذب، ومن الـذين يقـولون على الله بغيـر علم، ومن الـذين يعملون على إفسـاد المجتمع الإسـلامى، عن طـريـق دس السم فى الـدسم، وبذلك تكـون جريمتهم مضاعفة، جريمـة إفساد المجتمع، وجريمة الافتراء على الله، وجريمة استخدام الدين فى الشهوة والهـوى و إفسـاد المسلمين. نعم، لم تـرد فى القـرآن ولا فى أقـوال الـرسـول عليـه الصـلاة والسـلام، ولا أقـوال الأئمـة المتقـدمين، شىء خاص بتلـك المواد، لا فى حلهـا ولا فى حـرمتها، لأنهـا لـم تكن معـروفـة فى زمنهم جميعها، وإنمـا ظهـرت كما قـال الإمام ابن تيميـة، فيها بين المـائة السادسـة والمائة السـابعة من الهجـرة، حينما ظهرت دولـة التتار. وإذا كانت قواعـد التشريع فى الإسلام معروفـة، وأن تحريم الخمر ليس تعبديا، و إنما كان محرما لما فيه من الضرر، كانت تلك المواد ولا شك محرمة فى نظر الإسلام، وكان تحريمها من نوع تحريم الخمر إن لم يكن أشد.

أما بعد، فهذا هو حكم الإسلام فى كل ما أسكر، وفى كل ما يخرج بالإنسان عن إنسانيته. و إذا كانت حكومتنا قد وفقت فاتخذت العـدة القوية لحفظ المجتمع من «اللقمـة الملعونة»

وكان تحريمها فى نظر الشرع والدين، أثرا ضروريا من آثار تحريم الخمر، فإنى أعتقد أنها تقدر ما للخمر من آثار مفجعة فى الصحة، وفى العقل، وفى المال، وفى الأسر، وفى الأبناء والأحفاد، وأعتقد أيضا، أن نهضتنا الإصلاحية التى ستتناول بإذن الله وتوفيقه جميع فروع الحياة. لا بد أن يكون من عمدها ووسائلها محاربة الخمر بجميع أنواعه، كما حاربت الحشيشة وأخواتها ـ محاربة تطهر المجتمع من آثارها السيئة. ونرجو أن نرى قريبا أن قوى المكافحة التى نوجهها وترسل شواظها نحو المخدرات، تتجهت أيضا إلى مكافحة (أم الخبائث) شربا وتجارة واستيرادا.

﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ [الأنفال: ٢٤].

(الفتاوى/ ٣٤٠ـ٢٤٦)

قالت المؤلفة: أفردنا مادة خاصة للحشيش فى حرف الحاء فى م ١٤ / ٢١٢ ـ ٢١٥ فانظرها فى موضعها.

أما عن إباحة الخمر للعلاج فيقول فضيلة الشيخ السيد سابق:

وقد اتفق العلماء على إباحة الحرام للمضطر ولم يختلف منهم أحد.

وإنما اختلفوا فى التداوى بالخمر، فمنهم من منعه ومنهم من أباحه. والظاهر أن المنع هو الراجح، فقد كان الناس فى الجاهلية قبل الإسلام يتناولون الخمر للعلاج. فلما جاء الإسلام نهاهم عن التداوى بها وحرمه، فقد روى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى عن طارق بن سويد الجعفى أنه سأل رسول الله ﷺ عن الخمر فنهاه عنها، فقال: إنما أصنعها للدواء. فقال: «إنه ليس بدواء، ولكنه داء».

وروى أبو داود عن أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال:

«إن الله أنزل الداء والدواء، فجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تتداووا بحرام».

وكانوا يتعاطون الخمر فى بعض الأحيان قبل الإسلام اتقاء لبرودة الجو، فنهاهم الإسلام عن ذلك أيضا.

فقد روى أبو داود أن ديلم الحميرى سأل النبى ﷺ فقال: يارسول الله، إنا بأرض باردة، نعالج فيها عملا شديدا، وإنا نتخذ شرابا من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا. قال رسول الله ﷺ: هل يسكر؟ قال: نعم. قال: فاجتنبوه، قال: إن الناس غير تاركيه، قال: فإن لم يتركوه فقاتلوهم.

وبعض أهل العلم أجاز التداوى بالخمر بشرط عدم وجود دواء من الحلال يقوم مقام الحرام، وأن لا يقصد المتداوى به اللذة والنشوة، ولا يتجاوز مقدار ما يحدده الطبيب.

كما أجازوا تناول الخمر فى حال الاضطرار، ومثل الفقهاء لذلك بمن غص بلقمة فكاد يختنق ولم يجد ما يسيغها به سوى الخمر.

أو من أشرف على الهلاك من البرد، ولم يجد ما يدفع به هذا الهلاك غير كوب أو جرعة من خمر، أو من أصابته أزمة قلبية وكاد يموت. فعلم أو أخبره الطبيب بأنه لا يجد ما يدفع به الخطر سوى شرب مقدار معين من الخمر.

فهذا من باب الضرورات التي تبيح المحظورات (فقه السنة م ٢ جـ ٥ / ٢١، ٢٢).

وللإمام الأكبر الأسبق الشيخ محمود شلتوت رحمه الله فتوى بشأن حامل الخمور أو نقل الخمور جاء فيها ما يلى:

رجل يعمل فى نقل الخمور من السفن إلى الميناء وبالعكس، ويسأل إذا كان هذا العمل لعنة على حد قول العلماء: «شارب الخمر، وعاصرها، وبائعها وحاملها ملعونون»؟

فأجاب رحمه الله قائلا:

لعنة شارب الخمر وعاصرها:

لنا مع صاحب هذا السؤال ومع جميع المسلمين كلمتان:

أولهما: أن لعنة شارب الخمر وعاصرها وبائعها وحاملها، ليست من قول العلماء وإنما هى من قول الرسول ﷺ، وقد روى ذلك عنه عليه الصلاة والسلام أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم وهم ابن عمر، وابن عباس، وابن مسعود، وأنس. واللفظ الوارد فى رواية ابن عمر، هو: قال رسول الله ﷺ «لعن الله الخمر وشاربها، وساقيها وبائعها، ومبتاعها وعاصرها، وآكل ثمنها، ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه» والمراد بمبتاعها: مشتريها. والمراد بمعتصرها: طالب عصرها، أى عصر عنبها مثلا.

إذا حرم الإسلام شيئا حرم الوسيلة إليه :

أما الكلمة الثانيـة فهى الجواب عن السؤال، وليعلم أولا: أن الشـريعة الإسـلامية إذا حـرمت شيئا على المسلم حـرمت عليه أن يفعل وسائله التى تفضى إليه، ومن هنا حرم النظر إلى محاسن المرأة الأجنبيـة ومفاتنها، وحرم الخلـوة بها فى مكان خاص، لأن النظرة والخلوة وسيلتـان إلى الوقوع فى المحرم، وهـو المخـالطة الشـرعية. وحـرم الخطوات التى يخطـوهـا المسلم فى سبيل وصوله إلى مكـان الشراب المحرم بقصد أن يشربه، وهكذا يحرم الإسلام على المسلم كل وسيلة يصل بها إلى مفـارقـة شىء محـرم عليه، وهـذا بـالنظـر إلى الشخص الواحد.

فاعل الوسيلة إذا لم يقصد الإعانة على المعصية :

أما إذا فعل الوسيلة شخص، وفعل المحرم شخص آخر، فإن فاعل الوسيلة إذا كـان يقصد بفعلها تمكين الآخر من فعل المحرم كـان فعلها محـرما عليه، وكـانت اللعنة لاحقـة به ولا شك، ومثال هذا أن يعطى إنسان آخر سـلاحا ليقتل به بريئا، أو يهيىء لـه مكـانا ليقتلـه فيـه، فهـو شـريك بالإعـانـة على المحرم، وبتهيئة وسـائله، أما إذا فعل الوسيلـة دون أن يدخل فى حسابه قصد تمكين غيره من المعصية وإنما قصد فقط أن يقوم بعمل يستأجر عليـه ويأخذه غيره ولا علاقـة له ولا تفكير فى فعل المحـرم، ولا فيمن يفعل المحـرم، كـانت الحـرمـة واللعنـة خـاصتين بمن بـاشـر المحـرم دون أن يلحقـه شىء منهمـا، واستحق هو الأجـر وكان لـه حلالا طيبـا، وهذا هـو تخريج الإمام أبى حنيفة لهذا الحديث وأمثاله مما تضمن لعنة من يفعلون وسائل المحرمات التى يفعلها غيرهم.

هؤلاء العمال لا يقصدون إعانة على محرم :

ونحن نرى هـذا الرأى ونفتى بـه بالنسبة إلى هـؤلاء العمال الذين يشتغلـون فى تفريغ السفن وشحنها، وإن كـان التفريغ والشحن لصنـاديق الخمـور أو لقطعـان الخنـازيـر؛ فإن من الواضح جدا أن هؤلاء لا يقصدون، ولا يدخل فى حسابهم أن يعينوا أحدا على شرب الخمر أو أكل الخنزير؛ وإنما يقصدون فقط أجـر عملهم الذى لا عـلاقة له بـالشاربين ولا بـالآكلين والمعصية تحصـل بعد ذلك بفعل فـاعل مختار، هـو شارب الخمـر، وآكل الخنـزير. والحكـم بحل أجور هـؤلاء العمـال وعدم لحوق اللعنة لهم هو ما يقتضيه اليسر، ودفع الحرج عن الناس الـذى بنيت عليه الشـريعة الإسـلامية ﴿**يريـد الله بكم اليسـر ولا يريـد بكم العسر**﴾ [البقـرة: ١٨٥]، ﴿**وما جعل عليكم فى الديـن من حرج**﴾ [الحج: ٧٨] (الفتـاوى / ٣٤٧ـ ٣٤٩).

وأمـا عن الأحـاديث القـدسيـة فقـد أورد الإمـام المنـاوى الحديـث القدسى التـالى: «من ترك الخمـر وهو يقـدر عليه لأسقينه منـه فى حظيرة القدس، ومن تـرك الحرير وهـو يقدر عليه لأكسونه إياه فى حظيرة القدس» رواه البزار عن أنس.

ويشـرح هـذا الحـديث القـدسى الشيخ محمـد منير الدمشقى فيقول:

الخمر مؤنثة فى اللغـة الفصيحة المشهورة، وأصل الخمر ستر الشيء وتغطيته وسميت خمرا لكونها خامرة لمقر العقل، قال الـواحدى: الخمـر عند أهل اللغـة سميت خمرا لستـرها العقل. قال الليث: اختمار الخمر إدراكها وغليانها ومخمرها متخذها وخمرت الدابة أخمرها سقيتها الخمر، قال الكسائى: يقال اختمـرت خمرا ولا يقـال أخمرتهـا. وأصل هـذا الحرف التغطية، وقيل سميت خمـرا لأنها تغطى حتى تـدرك وحظيرة القـدس الجنـة وهى فى الأصل المـوضع الذى يحـاط عليـه لتأوى إليه الغنم والإبل يقيها البـرد والريح، ويطلق أيضا على الشـريعة وكـلاهما صحيح، فـالشـريعة حظيـرة منها يستفـاد القدس أى الطهـارة. والتقديس التطهير ومنـه بيت المقدس، والحرير معروف.

والمعنى أن من ترك شـرب الخمر بأن لم يشربـه ابتداء أو تركـه بعد أن شربـه مدة وهو يقـدر على شربه ليسقينـه المولى جل ذكره من خمـر الجنة فى حظيرة القدس ـ أى فى الجنة ـ التى قال الله تعالى فى وصفها فى كتابه المبين ﴿**يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشـاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون**﴾ [الصـافات: ٤٥ ـ ٤٧] أى يطـاف على أهل الجنـة بكأس فيه خمـر كمـا تجـرى العيون على وجـه الأرض وهذه الكأس بيضـاء صافيـة اللون تـرى من الظاهـر ذات لذة وأشـد بيـاضـا من اللبن وليس كخمـر الـدنيـا يغتـال العقـول ويذهب بها ولا يسكـرون بعد شربها فـلا يصيبهم منها مرض ولا صداع وتغيب بل يملكون حواسهم وشعورهم ويجدون لذة

لو عرضت على أهل الدنيا لماتوا من شدة لذتها واستطابتها . اللهم لا تحرمنا منها . والخمر جاء الشرع بتحريمها واستنكارها وبيان مضارها واستفظاعها والتهديد لمن شربها ووعيده قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة : ٩٠ ، ٩١] وقال تعالى : ﴿يأأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ [النساء : ٤٣] وقال تعالى : ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ [البقرة : ٢١٩] أخبر سبحانه بأن الخمر والميسر فيهما إثم كبير لأن مضرتهما كبيرة ولا إثم إلا ما كان ضارا فإثم شارب الخمر ينشأ من فساد عقله وإضعاف القوة العاقلة فيصدر عنه ما يصدر عن فساد العقل من المخاصمة والمشائمة وقول الفحش والزور و إفشاء السر لا سيما فى السياسة الدولية فإن كثيرا من الأسرار الحربية تؤخذ بطريق السكر وله حوادث كثيرة متكررة ، وتعطيل الصلوات وسائر ما يجب عليه ومخالطة الفساق والفجار وغشيان بيوت الدعارة والملاهى وضياع الأموال وغير ذلك مما فساده ظاهر لكل عاقل هذه مضاره الخلقية والمالية .

وأما مضاره الصحية : إفساد وفقد شهوة الطعام وتغيير الخلق فالسكارى تسرع إليهم النشوة فتجحظ أعينهم وتمتقع سحنتهم وتعظم بطونهم ومرض الكبد والكلى وداء السل الذى يفتك فى البلاد الأوربية فتكا ذريعا على عناية أهلها بقوانين الصحة ولكن لا وقاية من شرور السكر إلا بتركه . وقد قيل : إن نحو نصف الوفيات فى بعض بلاد أوربا بداء السل .

قال الأستاذ المرحوم السيد رشيد رضا . ولم يكن هذا الداء معروف أو منتشرا فى مثل هذه البلاد ـ مصر قبل شيوع السكر فيها فهو من الأدواء التى حملها إليها الأوربيون وقد كثر كثرة فاحشة فى مصر على أن جوها لا يساعد على انتشاره . وقال أحد أطباء ألمانيا : اقفلوا لى نصف الحانات أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات والبيمارستانات والتكايا والسجون، وقد قال بعض الأطباء إن المسكر لا يتحول إلى دم كما تتحول سائر الأغذية بعد الهضم بل يبقى على حاله فيزاحم الدم فى مجاريه فتسرع حركة الدم وتختل موازنة الجسم وتتعطل وظائف الأعضاء أو تضعف وتخرج عن وضعها الطبيعى المعتدل ، فمن تأثيره فى اللسان إضعاف حاسة الذوق وفى الحلق الالتهاب ، وفى المعدة ترشيح العصارة الفاعلة فى الهضم حتى يغلظ نسيجها وتضعف حركتها وقد يحدث فيها احتقانا والتهابا ، وفى الأمعاء التقرح ، وفى الكبد تمديده وتوليد الشحم الذى يضعف عمله وكل هذا يتعلق بما يسمونه الجهاز الهضمى ، ومن تأثيره فى الدم أنه بممازجته له يعيق دورته وقد يوقفها أحيانا فيموت السكور فجأة . ويضعف مرونة الشرايين فتتمدد وتتغلظ حتى تفسد أحيانا فيفسد الدم ولو فى بعض الأعضاء فتكون الغنغرينا التى تقضى بقطع العضو الذى تظهر فيه لئلا يسرى الفساد إلى الجسد كله فيكون هالكا ومن تأثيره فى جهاز التنفس إضعاف مرونة الحنجرة وتهييج شعب التنفس ، وأهون ضرر ذلك بحة الصوت والسعال وأعظمها تدرن الرئة أى السل الفاتك بالشبان والقاطع لجميع لذات الإنسان .

وأما تأثيره فى المجموع العصبى فهو الذى يولد الجنون ويهلك النسل فولد السكور لا يكون نجيبا وولد ولده يكون شرا من ولده وأضعف بدنا وعقلا ، وقد يؤدى تسلسل هذا الضعف إلى انقطاع النسل بالمرة لا سيما إذا جرى الأبناء على طريق الآباء كما هو الغالب ، وأطباء الإفرنج وعلماؤهم مجمعون على أن ضرر الخمر أكبر من نفعها ، وقد ألفت جمعيات فى أوروبا وأمريكا ومصر للسعى فى إبطال المسكرات فهم يتعاهدون على عدم الشرب وعلى الدعوة إلى ذلك والسعى لدى الحكومات بالتشديد على بائع الخمور فالإيام والأجيال كلما تقدمت وارتقت تؤيد قول القرآن بأن إثم الخمر والميسر أكبر من نفعهما فإن أطباء هذا العصر يصفون من مضرات الخمر ما لم يكن معروفا عند الأطباء المتقدمين وهو ما أطلقه الله تعالى لعباده ليبحثوا فيه ويتبينوا صدقه بأنفسهم لتكون عقولهم مؤيدة لكتابه بوجوب اجتنابه .

قال بعض الشعراء وأشار إلى ما فيها من المفاسد والمصالح :

رأيت الخمر صالحة وفيها
خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله أشربها صحيحا
ولا أشفى بها أبدا سقيما

ولا أعطى بهـــــا ثمنـــــا حيـــــاتى

ولا أدعـــو لهـــا أبـــدا نـــديمـــا

أما عن السعادة الزائفة، والشجاعة الوهمية، والتخيلات الخادعة التى توحيها الخمر إلى شاربها فيقول الشاعر:

وإذا شـــــربـــت فـإنـنـــى

رب الخـــورنق والســـديـــر

وإذا صحـــــوت فـإنـنـــى

رب الشـــويهـــة والبعيـــر

وقال آخر:

ونشـــربهـــا فتتـــركنـــا ملـــوكـــا

وأســـدا مـــا ينهنهنـــا اللقـــاء

(الإتحافات السنية / ١٧٢ ـ ١٧٥).

ومن أمثلة البحوث الطبية المعاصرة فى الخمر ومضارها وحكمة تحريمها بحث للدكتور أحمد شوقى الفنجرى يربط فيه بين الطب والدين جاء فيه ما يلى:

نعرف الخمر من ناحية مكوناتها(أو من الناحية الطبية) بأنها كل سائل يحتوى على نسبة معينة من الكحول وتتراوح المشروبات الروحية فى هذه النسبة. فهى فى البيرة لا تزيد على ٣٪ ويزداد الكحول إلى ٢٥٪ فى المشروبات الأقوى ويصل التركيز إلى ٥٠٪ فى المشروبات الروحية المركزة.

ومن المعروف طبيا أن بعض الأدوية والأملاح الضرورية لصحة الإنسان كأدوية السعال تذاب فى مادة الكحول.. وكذلك بعض أنواع المياه الغازية مثل الكولا.. وتسمى المادة المذابة المستخلص الكحولى..

ولا تدخل هذه الأدوية والسوائل علميا ولا شرعيا فى باب الخمور لأن مادة الكحول فيها غير حرة لا تؤدى إلى السُّكْر.

وتعرف الخمر فى الإسلام:

إنها كل مادة مسكرة. وذلك لقول رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام» وهذا يوسع المعنى لكى يشمل أى مادة تؤدى إلى السكر أو الإدمان ولو لم تكن خمرا.

كيف تؤثر الخمر فى الإنسان:

يتوقف تأثير الخمر على عاملين: العامل الأول: الكحول وتركيزه فى الدم. فإذا شرب الإنسان كأسين من البيرة فإن نسبة الكحول تصل فى دمه إلى ٥ مجم فى كل ١٠٠ سم من الدم وهى نسبة كافية لإحداث التأثير المطلوب عند المبتدئين.. ويزيد تأثير الكحول بالتدريج كلما زاد تركيزه فى الدم. فإذا وصل التركيز إلى ٥٠ مجم كحول فى ١٠٠ سم دم فإن الإنسان يفقد قوة التركيز الذهنى.. ويفقد السيطرة على عواطفه أو التحكم فيها.. وقد ينخرط فى الضحك فى مواقف الجد والحزن. وقد ينخرط فى البكاء دون مبرر.. ولكنه غالبا يستطيع السيطرة على عضلاته وأطرافه أثناء المشى فى هذه المرحلة فلا يترنح.

فإذا زاد تركيز الكحول فى الدم إلى ١٥٠ مجم فى كل ١٠٠ سم فإن الإنسان يتمايل فى الهواء من السكر ويفقد السيطرة على عضلاته وأطراف جسمه، وبديهى أن كل مراكز الفكر العليا تتعطل فى هذا الدرجة عن العمل.

- العامل الثانى: هو استجابة الجهاز العصبى للإنسان.

فقد لوحظ أن الناس يتأثرون بالجرعة الأولى بدرجات متفاوتة.. فمنهم من يعتريه انفعال شديد وهياج ومنهم من يخلد إلى السكون أو النوم من نفس الجرعة.

ويرجع الخطر الأكبر من الخمر فى أن الجهاز العصبى يعوَّد على الكحول بالتدريج.. بحيث إن الكمية التى تؤدى بالإنسان فى المرات الأولى إلى الشعور بالراحة بعد تعب أو باللذة أو نسيان الهموم، فإنه لا يكفيه فى المرات التالية أن يتناول ضعفا أو ثلاثة أضعافها ليحصل على نفس التأثير. وهذا هو ما يؤدى به إلى الإدمان.

ولذلك فإن العلم الحديث يكذب كل من يدعى القدرة على الاعتدال فى الشرب بصفة دائمة.

أثر الكحول على الجهاز العصبى للإنسان:

يقرر العلم الحديث أن مخ الإنسان يتكون من مراكز مختلفة فالوظائف الراقية توجد فى المراكز العليا من المخ. والوظائف الأقل رقيا توجد فى المراكز الأسفل منها.

وأعلى المراكز فى مخ الإنسان هى التى تختص بالإرادة وضبط النفس والسلوك الاجتماعى.. ثم تأتى أسفل منها مراكز العقل والتفكير.. ثم مراكز الحكم على الأشياء ثم مراكز الذاكرة.. وأسفل من هذه تأتى المراكز المسيطرة على العواطف والأحاسيس.

ويسري مفعول الخمر من أعلى إلى أسفل.. أي أنها تؤثر على الوظائف الأرقى في المخ أولا.. ولذلك فإن أول شيء يتأثر في الإنسان بالكميات القليلة جدا من الخمر هو الإرادة وضبط النفس والسلوك الاجتماعي فإذا زادت الكمية تأثرت مقدرته على التركيز الذهني وهكذا.

أثر الخمر على الشخصية:

لقد جاء في تقرير المجلس الوطني لمكافحة الخمور في بريطانيا أن شرب الخمر مدة طويلة يؤدي إلى تحلل الشخصية.. ويسبب ضعف الإرادة وشرود الذهن.. ومدمن الخمر لا يمكن الثقة بأقواله ولا بوعوده ولو في صحوته.. كما لا يمكن الاعتماد عليه في المسائل المالية أو القيادية.

فهو سريع التأثر سريع الغضب، كثير الهواجس والأوهام وأغلب هؤلاء المدمنين يصبح فاشلا في عمله مشاغبا وعنيفا في بيته عديم الثقة في زوجته وأولاده..!!

أثر الخمر على أعضاء الجسم الأخرى:

لكي تعرف الضرر الصحي للخمر يمكنك إحضار خلية حية نشيطة الحركة مثل الأميبا والنظر إليها تحت الميكروسكوب وهي تتحرك وتأكل فإذا وضع في الماء كحول بنسبة ١٪ فإن هذه الخلية يقل نشاطها وتمتنع عن الطعام.. وإذا زيدت الكمية فإنها تصاب بالتسمم وتموت وهذا هو ما يحدث في خلايا أجسامنا عند شرب الكحول.

١ ـ تأثير الكحول على القلب والأوعيه الدموية:

يتسبب الكحول بنسبة ١٪ في زيادة عدد نبضات القلب ١٠ نبضات في الدقيقة عن المعتاد مما يجهد عضلات القلب، ومنذ قديم الزمان كان هناك اعتقاد شائع بين الأطباء والمرضى أن الكحول يوسع الشريان التاجي للقلب وكان الأطباء حتى عهد قريب ينصحون المرضى بضيق أوعية القلب والذبحة القلبية بأن يتناولوا كمية قليلة من الكحول فيزول الألم ويستأنف المريض حركته.. وقد أثبتت البحوث الطبية الحديثة خطأ هذه النظرية وضررها.

(أ) فقد ثبت أن الكحول ليس له تأثير مباشر على الشريان التاجي للقلب.

(ب) وأن ألم الذبحة القلبية يخف نتيجة لتأثير الكحول المخدر على مراكز الألم في المخ.

(جـ) وأن كمية الكحول إذا زادت أحدثت تسمما في عضلات القلب وإجهادا. من هذه العوامل مجتمعة فقد يشعر المريض بزوال الألم وبالراحة الوهمية فلا يلزم الفراش فيتعرض للموت.

وهكذا جاءت البحوث العلمية لتؤكد حكمة الرسول في قوله: «لم يجعل الله شفاء أمتي فيما حرم عليها».

قالت المؤلفة: لم أعثر على هذا الحديث في ما بين يدي الساعة من مراجع.

وهكذا أصبح الأطباء ينصحون أي إنسان معرض للذبحة القلبية بالإقلاع عن السجائر والخمر.

٢ ـ تأثير الكحول على خلايا الدم:

للدم وظيفتان رئيسيتان: فبواسطة الكرات الحمراء يمتص الدم الأوكسجين من الرئة ويتخلص من ثاني أكسيد الكربون.. وبواسطة الكرات البيضاء يقاوم البكتريا والميكروبات التي تصل إلى الجسم، وإذا وضعت قطرة كحول في ماء بنسبة ١٪ على نقطة دم فإن الكرات الحمراء تتحول إلى صفراء ويقل نشاط الكرات البيضاء، ومعنى ذلك في جسم الإنسان الحي أن يقل امتصاص الدم للأوكسجين فتصاب خلايا الجسم بما يشبه الاختناق وتتعب العضلات بسرعة كما تقل مقاومة الجسم لشتى أنواع الأمراض والميكروبات.

وقد أجرت إحدى الهيئات الطبية في بريطانيا بحثا على فريقين من عمال «السكة الحديد» أحدهما: تناول قليلا من الكحول قبل العمل، والآخر: لم يشرب الكحول فوجدت: أن الفريق الأول تعب بسرعة وكان إنتاجه أقل.

٣ ـ تأثير الكحول على الكبد

يتسبب الكحول في المرض المعروف بـ «تليف الكبد الكحولي» وهو مرض منتشر في أوروبا ونادر جدا في البلاد الإسلامية وفيه يموت عدد كبير من خلايا الكبد الحية وتتحول إلى نسيج ليفي، وإذا كانت نسبة التلف كبيرة أدى ذلك إلى الوفاة المبكرة. وقد أجرى عالم نمساوي كبير بحثا على نسبة الوفيات في أوروبا وأمريكا من حالات تليف الكبد، فوجد أن هذه النسبة قد قلت إلى النصف خلال سنوات الحرب العظمى الثانية عندما كانت الخمور شحيحة ولا يحصل الإنسان عليها إلا مع بطاقة التموين، وكذلك كانت الحالة في أمريكا عندما كانت الخمور ممنوعة.

٤ ـ الخمر ونقص الفيتامينات :

ويصاحب شرب الخمر نقص شديد فى الفيتامينات فى الجسم خصوصا فيتامين (ب) بأنواعه وفيتامين (س) [جـ] : مما يؤدى إلى ظهور مرض (البلاجرا) و (البرى برى) و(الإسقربوط). وتظهر هذه الحالة بشكل رعشة فى اليدين وثقل فى اللسان وضعف فى العضلات واضطراب فى حساسية الجلد وقد يؤدى الأمر إلى شلل الأطراف وتضخم فى القلب.

بعض المعتقدات الخاطئة عن الخمر:

يعتقد كثير من الناس أن القليل من الخمر يفيد ولا يضر. فهناك اعتقاد سائد بأنها تفتح الشهية للطعام. . وأنها مدرة للبول وأنها تبعث الدفء فى الجسم عند البرد الشديد. . كما يدعى بعض الناس أنها تخلق جوا اجتماعيا مرحا.

وقد رأينا أن نبين هنا رأى البحث العلمى الغير متحيز فى كل واحدة من هذه المعتقدات :

١ ـ تأثير الخمور على شهية الطعام :

هناك اعتقاد سائد بأن الخمور بكميات قليلة وخصوصا البيرة تفتح الشهية للأكل. . وقد وجد العلم أن هذا الشعور مرجعه إلى التأثير النفسى فقط بسبب تخدير المراكز العليا فى المخ. . وبدراسة التأثير الفسيولوجى للكحول على المعدة وجد أنه يزيد الحموضة. . ويسبب الخمول فى حركة الهضم والامتصاص كما يؤدى إلى الالتهابات المزمنة فى غشاء المعدة وهذه بدورها قد تؤدى إلى القرحة. . وكثير من الناس يصابون بالقىء مهما قلّت كمية الكحول التى يشربونها.

ومن المعروف أن الشعوب التى تكثر من شرب البيرة تصاب بالإمساك المزمن وتربى كروشا كبيرة بسبب تمدد المعدة من الكميات الضخمة من السوائل التى يشربونها.

٢ ـ تأثير الخمر على الكلى والجهاز البولى :

من المعتقدات الشائعة أيضا أن البيرة والخمور مدرة للبول وأنها تساعد على طرد الحصوة والرمل وغسيل مجرى البول. . وحقيقة الأمر أن البيرة يدخل فى تركيبها بعض الأملاح والأحماض الكاوية مثل حامض السليسيليك الذى يحفظها من التعفن. . وبذلك تصبح عملية إدرار البول نوعا من إرهاق الكلى وإتلاف نسيجها، وكثير من مدمنى الخمر يصابون باحتباس البول أو بعدم السيطرة على التبول. .

٣ ـ هل تزيل الخمر البرد وتبعث الدفء :

هذا الاعتقاد الشائع أيضا غير صحيح. . والذى يحدث أن الأوعية الدموية فى الجلد والوجه تتمدد عند تناول كمية قليلة من الخمر. . ويتدفق فيها الدم فيسبب احمرار الجلد والوجه مما يسبب (التوهم) بأن الجسم قد ارتفعت حرارته ولكن الواقع أن هذا التمدد فى الأوعمية يؤدى إلى خروج الحرارة الداخلية من الجسم وهبوط حرارته هذا إلى جانب أن الكحول يحدث تخديرا فى مراكز تنظيم الحرارة بالمخ وفى القطب الشمالى يحظر على أعضاء بعثات الاستكشاف تناول الخمر لأنها قد تؤدى إلى هبوط الحرارة الداخلية وتجمد الأعضاء والوفاة المفاجئة ! !

٤ ـ الخمر والتأثير الاجتماعى.

يرى كثير من الناس أن تناول الخمر يجعل الإنسان اجتماعيا يحب الناس والجلوس مع الأصدقاء وأنه يصبح أكثر مرحا وودا. . وربما كان فى ذلك بعض الحقيقة للوهلة الأولى، . ولكننا لو تعمقنا فى دراسة الأسباب لوجدنا أن الخمر تسبب بعض التخدير فى العقل الواعى مما يقلل شعور الإنسان بواقعه ويقلل من تحفظه فى الكلام فينطلق لسانه بغزارة ويبدو اجتماعيا ودودا. . وهذا نوع من الحلول السلبية لمشاكل الحياة. . ومن أخطر مظاهره أن هذه الروح الاجتماعية المرحة لا يعقبها أى تصرف إيجابى لخدمة الغير أو المروءة والنجدة.

وإذا كان الهدف هو خلق روح اجتماعية وجعل الإنسان ودودا يحب الناس فليكن ذلك بالأسلوب الإيجابى (لا السلبى) وعن طريق الدين والعقيدة لا عن طريق تخدير للناس ونسيانهم لواقعهم.

٦ ـ هل هناك شارب خمر معتدل :

من الملاحظ أن جميع من يشربون الخمر يدعون دائما أنهم معتدلون وأنهم يستطيعون المحافظة على هذا الاعتدال مدى حياتهم وكثيرا ما تجد إنسانا يتطوح فى الهواء سكرا ثم يدعى ويقسم أنه غير سكران وأنه معتدل فى الشرب. . وردا على هذه المغالطات :

فقد نشرت جمعية منع المسكرات فى نيويورك إحصائية

تقول: إن بين كل عشرة أشخاص يشربون الخمر ثلاثة يصابون بالإدمان وينقلبون إلى مرضى صحيا واجتماعيا.

أما السبعة الباقون فهم عرضة للإفراط فى الشرب أكثر من مرة إلى حد فقدان أحدهم السيطرة على جسمه أو على أخلاقه.

وقد وجد أن ثلاثة من هؤلاء السبعة قد تعرضوا لحوادث سيارات بسبب الإفراط فى الشرب فى بعض المرات.

وأن اثنين منهم تعرضوا لخلافات عائلية أو خسارة فى العمل بسبب الإفراط فى الشرب مرة أو أكثر.

وبذلك يصبح مجموع من يتعرضون للتفريط فى الخمر وبكل ما يتبعه من مشاكل سبعة بين كل عشرة يشربون أى ٧٠٪.

وهذا وحده يسقط حجة من يدعى الاعتدال فى الخمر ويجعل الحل العلمى الوحيد للمشكلة هو منعها منعا قاطعا وليس مجرد الاعتدال فى الشرب كما يدعى بعض فلاسفة الغرب.

الخمر كمشكلة اجتماعية واقتصادية فى أوروبا:

ولا تكاد الخمر أن تكون مشكلة ذات بال فى العالم الإسلامى.. وذلك بفضل الحسم القاطع الذى واجهها به الإسلام.. أما فى باقى العالم وخصوصا فى أوروبا وأمريكا فهى تشكل مشكلة اجتماعية واقتصادية خطيرة.. ففى كل بلد متطور نجد عشرات الهيئات المختصة فى الدعوة ضد المسكرات وفى علاج المدمنين كما نجد الكثير من المستشفيات ودور النقاهة المختصة بهذه المشكلة.

وقد نشر المجلس الوطنى للمسكرات فى أمريكا سنة ١٩٦٦ إحصائية يذكر فيها أن فى أمريكا وحدها ٦ ملايين رجل وامرأة يدمنون الخمر إلى حد التسمم وأن الخمر تتسبب فى:

١٠٪ من حالات الجنون والاضطراب العقلى التى أدخلت المستشفيات.

٣٠٪ من حالات الطلاق وتشرد الأطفال.

٢٥٪ من حوادث السيارات.

٦٥٪ من أسباب البطالة أو التهرب من العمل.

وبلغت خسائر أمريكا فى هذه السنة بسبب الخمر وحدها ٢,٥ بليون دولار.

الإسلام والخمر:

يعتبر الإسلام الدين الوحيد الذى جاء بأمر قاطع فى النهى عن الخمر.. وقد اتبع الإسلام فى ذلك أسلوبا فريدا فى نوعه سبق به أحدث الطرق العلمية والنفسية بعدة قرون.. ونلخص هذا الأسلوب فى أمرين.

أولا: التدرج فى المنع حتى لا يشق على الناس.

ثانيا: ربط الأوامر بالأحداث الواقعية مستفيدا من التأثير النفسى والسيكولوجى فإن أول آية نزلت عن الخمر كانت عندما قال عمر: «اللهم بيِّن لنا فى الخمر بيانا شافيا» فنزل قوله تعالى:

﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ [البقرة: ٢١٩].

وهنا قال بعض الناس حرمت الخمر وانتهوا عنها.

وقال آخرون: يارسول الله دعنا ننتفع بها كما قال الله عز وجل. فسكت رسول الله عنهم ... وكان بعضهم يحضر الصلاة وهو سكران فلا يدرى ما يقول، وعاد عمر يدعو ربه: «اللهم بيِّن لنا فى الخمر بيانا شافيا» فنزلت الآية الثانية: **﴿يأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾** [النساء: ٤٣].

فقال بعضهم حرمت الخمر.

وقال بعضهم لا نشربها قرب الصلاة فسكت رسول الله عنهم ... ثم دعا عمر ربه «اللهم بيِّن لنا فى الخمر بيانا شافيا» فنزلت الآية الثالثة الحاسمة:

﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

فلما نزلت هاتان الآيتان جاء الناس إلى الرسول فقال لهم «حرمت الخمر».

ومن أحاديث الرسول فى الخمر قوله ﷺ «اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر» (الحاكم عن ابن عباس الترغيب ٤ / ٢٩٨).

«من لقى الله مدمن خمر لقيه كعابد الوثن» (رواه ابن حبان عن ابن عباس ـ الترغيب ٤ / ٢٩٧).

وقوله: «من شرب الخمر سقاه الله من حميم جهنم يوم القيامة» (الطب الوقائى فى الإسلام / ٢٢٥٩ ـ ٢٧١).

ثم يتكلم الأستاذ الدكتور الفنجرى على حد الخمر، وهو ما سبق أن أوردناه فلم نجد حاجة لنقله هنا ثم يقول سيادته:

علاج مشكلة الخمر:

إن الطريق الصحيح لعلاج مشكلة الخمر هو الجمع بين:

ـ التربية الدينية.

ـ والتثقيف الصحى.

ـ فالطب وحده لابد أن يفشل كعلاج.

ـ كما أن الوعظ الدينى وحده لا يحقق النتائج المرجوة دون الإقناع العلمى والطبى.

وأول قاعدة فى هذا العلاج هى «الوقاية خير من العلاج».

ومعنى ذلك منع الخمر منعا قاطعا فى المجتمع الإسلامى وذلك يشمل منع بيعها والاتجار فيها ومنع صنعها أو استيرادها وما أصدق قول رسول الله ﷺ: «لعن الله الخمر، وشاربها وساقيها، ومبتاعها، وبائعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه وآكل ثمنها» (رواه ابن ماجه عن ابن عمر ـ الترغيب جـ ٤ ص ٢٩٣).

إن الإنسان بطبيعته يكون فى أحسن حالاته الصحية إذا عاش على الفطرة التى خلقنا الله عليها.. وليس فى فطرة الله مخدر ولا منبه ولا خمر.. ولو نشأ الشباب والجيل الجديد فى مجتمع لايرى فيه الخمر ولا يسمع عنها فإنه لن يحس بفقدان شيء، وسوف ينشأ فى حياة صحية سليمة.

وقد أثبتت الأبحاث العلمية أن مدمن الخمر يبدأ هذه العادة مجاراة لأهله أو أصدقائه. وقد لا يكون بين هؤلاء سكير ولا مدمن للخمر ولكن استجابة الناس لهذه المسكرات تختلف من جسم إلى آخر ومن شخصية إلى أخرى، فمنهم من يكتفى بجرعات صغيرة ويتوقف عند حد معين ومنهم من يصاب بالإدمان بعد أول تجربة... وكثيرا جدا ما يتحول الشخص المعتدل إلى مريض مدمن عندما تصادفه مشكلة كبيرة فى حياته أو صدمة نفسية.. وكل واحد من هؤلاء المدمنين يعتبر فى الطب مريضا بالجسم والعقل والروح فى وقت واحد.. ولذلك كان العلاج الأول هو العلاج الجذرى أى منع الخمور من المجتمع منعا قاطعا.

وقد لوحظ بالتقصى والبحث العلمى أن معظم حالات شرب الخمر ترجع إلى أسباب ثلاثة:

السبب الأول: هو الاعتقاد السائد بين الناس بأن للخمر فوائد جنسية أو اجتماعية أو أنها ضد البرد.. وقد سبق تفنيد هذه المعتقدات فعلاجها يكون بالتثقيف الصحى والتوعية العلمية.

السبب الثانى: التخلص من مشاكل الحياة والهروب من الواقع.

السبب الثالث: الفراغ والملل. وخير علاج لهذين العاملين الأخيرين هو بعث العقيدة الدينية فى نفوس الشباب، فالدين يعطى الإنسان هدفا وغاية ويبعث فى النفس الشجاعة لمواجهة الحياة بدلا من الهروب من المشاكل بالمخدرات والمسكرات.

هل يشهد المؤمن مجلس الخمر؟:

لا يجوز للمسلم المؤمن أن يحضر مجلس الخمر إلا إذا أراد بحضوره الإصلاح والتوجيه.

أما أن يجلس معهم من باب الرفقة والتسلية أو من باب المجاملة ولو لم يشرب فهذا حرام.. فالله تعالى يقول فى وصفه للمؤمنين: ﴿**والذين لا يشهدون الزور**﴾ [الفرقان: ٧٢] وكلمة الزور هنا لا تقتصر على المعنى الدارج وهو شهادة الزور فهذه من أقصى درجات الباطل. ولكن القصد منها أن المؤمن الحق لا يحضر مجلسا فيه زور أى باطل أو أمر حرمه الله ولو كان فى حضوره متفرجا ورسول الله يقول:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار فيها خمر» (رواه البزار عن ابن عمر ـ الترغيب ٤ / ٣٠١).

وإلا فإن المؤمن مطالب بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فإذا جلس فى مجلس خمر أو باطل فعليه أن لا يكون سلبيا يتفرج على الآخرين. بل عليه تقديم النصح والإرشاد بالحسنى ولو اقتضى الأمر منه حضور مجلسهم لهذا الغرض

وليس للمجاملة فهذا أمر لا بأس به بل هو جهاد فى سبيل الله يجزى عليه .

والمؤمن الحق المتمسك بدينه تكون له هيبة وحياء فى نفوس الناس فلا يقدمون على عمل الباطل فى حضوره .

أما إذا خاف المسلم من نفسه ضعفا حيال الخمر أو يئس من إصلاح الجماعة فعليه أن يعتزلهم ويتجنب مجالسهم (الطب الوقائى فى الإسلام / ٢٥٩ ـ ٢٧٥) .

وثمة بحث آخر يربط بين الطب والدين ، وهو عن المسكرات والمخدرات للدكتور محمد عادل أبى الخير يثبت فيه أن لفظ «الخمر» كما ورد فى القرآن الكريم تنطوى تحته جميع المواد المخدرة ، ويعدد هذه المواد فيقول :

سئلت منذ بضعة أعوام بعد كتابة الجزء الأول من الاجتهادات فى التفسير العلمى للقرآن الكريم عن سبب عدم ذكر المخدرات فى القرآن الذى لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فرجعت إلى القرآن وآياته المحكمة لأستدل منها على هذا الأمر الغريب . و بدءا ذى بدء أقول إن لفظة «المخدرات» هى لفظة جديدة فى اللغة العربية أى محدثة (المعجم الوسيط) وهى جمع مخدر وهى المادة التى تسبب فى الإنسان والحيوان فقدان الوعى بدرجات متفاوتة . فلما عدت إلى القرآن وجدته قد ذكر كلمة «خمر» و حرمها نصًّا ولفظا فى الآيات . ثم وجدت كلمة «سكر» التى جاءت فى سورة النحل وذهبت إلى المعجم فوجدته يقول إن معناها هو كل ما يسكر من خمر وشراب وفعلها سكر سكورا ومعناه فتر وسكن . ومن هنا ابتدأت الخيط من أوله لأن القرآن حرم الخمر جميعا ولم يحرم السكر نصا ولفظا فى الآيات ، فهل يجمع لفظ الخمر السكر والمخدرات؟ وهل المخدرات تعتبر خمورا من الوجهة العلمية والقرآنية؟ هذا ما سنصل إليه إن شاء الله فى المقال .

وجاءت الخمر فى اللغة إنها ما أسكر من عصير عنب وفاكهة وتمر، أو مغلى الشعير والذرة والأرز المتخمر (المعجم) .

وفى لغة العلم سميت خمرا لأنها تركت حتى تتخمر وهو تحلل بطىء بفعل الأنزيمات (مثل الزيماز)، أو خمائر الكائنات الدقيقة (مثل الفطريات)، والمواد الكيماوية (مثل الأحماض والقلويات) التى تحول المواد العضوية إلى مواد خامرة للعقل .

وتعرَّف الخمر فى الدين بأنها كل ما خالط العقل أو ستره أو حجبه أو خامره وجعله بين الصحوة والغفوة سواء اتخذ من مواد طبيعية أو غيرها مما تفقد الإدراك السليم أو الإحساس أو الوعى .

فهل هذا التعريف الدينى سليم من الناحية اللغوية أو لا ثم من الناحية العلمية ثانيا ثم من الناحية الفقهية ثالثا؟ هذا ما سأحاول الإجابة عليه فى إطار التفسير العلمى لآيات القرآن الكريم . فلقد جاء القرآن بأربع آيات كريمة توضح لنا الجواب الكامل عن هذه الجوانب الكلية .

فلقد جاء فى سورة النحل المكية الآية [٦٧] : ﴿ومن ثمرات النخيل والأعنب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا﴾ وذلك لأن فى ذلك الوقت من فجر الإسلام كان المسلمون قلة وكانوا مازالوا يعتادون شرب المسكرات المستخرجة من تخمير منقوع التمور وعصائر العنب التى كانت تزرع فى مكة والطائف ويثرب . ويتضح أن القرآن قد أطلق لفظ «سكر» على هذا الشراب المتخمر الذى يسكر شاربه ويجعله سكران وذلك لوجود مادة الكحول الإيثيلى التى نتجت عن تخمر الجلوكوز والفركتوز بفعل خمائر الفطريات . والسكران يمر بمراحل تعرضت لدراسة العلم الحديث نوردها كالتالى :

المرحلة الأولى : وهى مرحلة السرور والانتشاء وهى تستمر حتى يتلعثم الكلام ويقل الاتزان فى الحركات .

المرحلة الثانية : مرحلة الاختلال فى التفكير والاضطراب فى السرد مع الشعور بالدوار وانعدام الاتزان حتى يصل إلى مرحلة الهياج .

المرحلة الثالثة : مرحلة عدم التوافق العضلى الحركى العصبى مع الذهول والخبل وعدم الاستجابة للمؤثرات الخارجية .

المرحلة الرابعة : مرحلة فقدان الوعى مع التخدير العام ويصاحبها هبوط فى درجة الحرارة وهبوط فى الدورة الدموية والتنفس .

هذه هى حالة السكر كما تبينها العلم فى مراحلها الأربعة حسب كمية المسكر التى يتناولها الفرد وبعض الحالات

تنتهى بالموت لهبوط وظائف مراكز المخ المختلفة. ومعروف أنه بعد تعاطى كميات معينة على مدى معين من الفترات الزمنية يتعود الفرد على هذا التعاطى ثم يصبح مدمنا أى يعتمد اعتمادا أساسيا على هذا المسكر. ومضار الخمر على العقل والجسم بعد التعود على تعاطيها وبعد إدمانها كثيرة الحصر ونعلم تأثيرها على الجهاز الهضمى والدورى والتنفسى والتناسلى والجهاز العصبى والعقلى وعلى الكبد والكلى والعينين وعلى حياة الإنسان الاجتماعية.

إذن المسكر قد تخمر وخمر العقل ويؤدى إلى حالة الإدمان ولكنه لا يؤدى إلى أعراض إقطاعية شديدة.

والرواية كما جاءتنا هى: عندما هاجر رسول الله ﷺ إلى يثرب (المدينة المنورة) واستقر بها وانتشر الإسلام فى أرجائها وسأله بعض الصحابة الأجلاء عن موقف الإسلام من هذه الأشياء التى تذهب بالعقل والصحة وكذلك سأله عن الميسر الذى يذهب بالمال، فنزلت الآية الكريمة من سورة البقرة تقول **﴿يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾** [٢١٩]. فهنا وردت كلمة «الخمر». فهل يصح أن نقول أن كل خمر مسكر؟ أم أن نقول أن كل مسكر خمر؟ فالإجابة أن كل مسكر قد تخمر وأنه فيه خمر للعقل ولكن كل خمر ليس فيه سكر وعدم اتزان وعربدة، لأن الخمر كما اتفق عليه هو الذى يخمر العقل كما فسره العلم، وهو الذى تخمر كما فسرته اللغة، وهو ما يفسد الفرد والمجتمع كما فسره الشرع، وهو ما يحدث الإدمان و هو ما فسره الطب. وأمثلة الخمر كثيرة أسوق منها ملخصا لما فى المباحث العلمية والكتب الدراسية:

١ ـ نبات الخشخاش: الذى يستخرج من عصيره بعد تشريط ثماره سائل أبيض مثل اللبن لا يضر ولا يخمر شاربه ولكن حين تركه على الثمرة تخرج الإنزيمات الموجودة داخل العصارة وتتعرض للهواء الجوى فيحدث التخمر فيتخمر ذلك السائل ويتحول إلى عصارة لزجة القوام ثم سوداء اللون متماسكة القوام نفاذة الرائحة وتتحول المادة الكربوهيدراتية به إلى مادة الأفيون الخام الذى يحتوى على ٣٥ عنصرا فعالا أهمها المورفين بنسبة ١٠٪ والكودايين بنسبة $\frac{1}{2}$٪ وبعملية تقطير للمورفين يستخرج مسحوق الهيروين الشديد التركيز والشديد الفتك.

قالت المؤلفة أوردنا مادة «الخشخاش» فى م ١٥ / ٥٤٤ ـ ٥٤٧ فانظرها فى موضعها.

٢ ـ نبات الكوكا: الذى يستخرج منه بعد تخمير مطحون مسحوق أوراقه بفعل الحوامض (حامض الكبريتيك) أو القلويات (كربونات الصوديوم) أو (النوشادر) ليستخرج منه بعد التقطير مسحوق الكوكايين الذى يصنع منه مادة الكراك التى تعد أشد المخدرات فتكا.

٣ ـ نبات القات: وهو نبات برى يحتوى العنصر الفعال فيه على قلويدات وكذلك حامض الأسكوربيك والكافيين والتانين والأمينوبرديبو ـ فينون، ومازالت الدراسات مستمرة لمعرفة باقى مكوناته التى تحتوى على أنزيمات منشطة لهذه القلويدات لتفرز المادة المخدرة مع لعاب (خمائر) المتعاطى فى فمه حين تخزينه لمضغه واستحلابه.

وهذه المواد النباتية المخمرة المخدرة يختلف تأثيرها عن تأثير المسكرات المخمرة حيث إنها لا تحتوى على الكحول ولكنها تؤثر على مراكز العقل والمخ العليا التأثير التالى:

إحساس بالاطمئنان وزوال الاكتئاب والتعب النفسى والجسمانى مع الازدياد فى الرغبة للكلام ثم تبدأ المرحلة الثانية بميل إلى الندم مع رعشات واختلاجات مع هلوسات فكرية يصاحبها احتقان فى الوجه واضطراب فى التنفس. وحينما تزاد الجرعة يحدث هبوط فى الجهاز الدورى والجهاز التنفسى ينتهيان بتنفس كاين ـ ستوك الذى ينتهى بأسفكسيا الاختناق. وهذه الأعراض مختلفة عن أعراض السكر التى يوجد بها التلعثم وانعدام الاتزان.

ولكن كما يحدث فى المسكرات من دفع المتعاطى إلى الإدمان فإن هذه المخدرات المخمرة تحدث الإدمان أيضا ولكن بطريقة أسرع.

وتعريف الإدمان هو تزايد الرغبة والحاجة القهرية للاستمرار فى التعاطى للحصول على المستحضر بأى وسيلة لأن المدمن يعتمد نفسيا وجسمانيا على العقار. ويترتب على ذلك أضرار اجتماعية ونفسية وجسمانية كثيرة نورد منها ما ينطبق على المواد الثلاث السابقة وهى:

(أ) أعراض جسمية لاستمرار التعاطى (أعراض مصاحبة) مثل: الأرق المزمن، الارتعاش، عدم الشهية للأكل والشرب،

التثاؤب المستمر، سيلان المخاط من الأنف، الإمساك المزمن.

(ب) أعراض انقطاعية (حين انقطاع العقار عن المدمن) وهى زيادة العرق، والقيء، الإسهال، تقلصات شديدة بالبطن، الشعور بالبرودة، تشتت الفكر، ضيق فى التنفس.

(جـ) أعراض نفسية مزمنة نتيجة لاستمرار التعاطى: من اضطراب للجهاز العصبى بازدياد الحساسية للانفعالات والأصوات، وحدة المزاج، الجبن والخوف من التفاهات، والهوس والضمور الفكرى.

٤ ـ القُنَّب: وينقسم إلى: القنب الهندى أى الحشيش والبانجو أو الماريجوانا أو القنب الأوروبى وشجيراتها لها ذكر وأنثى تختلف فيهما كمية العصارة والمادة الراتنجية الفعالة المسماه تتراهيدروكنابينول بجانب ٤٠٠ عنصر آخر ثلثها على الأقل ضار للعقل وتؤخذ الأنواع الغنية من القمم الزهرية للنبات أى الزهرة والعنق، وفى الأنواع الرديئة تؤخذ من أوراق وفروع النبات. وتجرش هذه المواد النباتية الخام ليخرج منها المادة الراتنجية التى تتخمر بفعل الإنزيمات الموجودة فى داخل النبات حين تعرضها للجو وتتحول إلى المادة المخدرة. ثم يكمر الناتج ويخلط بمواد أخرى لإنتاج الأنواع المختلفة من زيت وغبارة وكبس. وتعاطى هذا المخدر يؤدى إلى: حالة انتشاء مبدئية مع ميل للضحك على أى كلام، وقدرة على استعادة الذاكرة. ثم تبدأ المرحلة الثانية بفقدان تقدير المسافة والزمن (مما يؤدى إلى حوادث السيارات) مع فقدان السيطرة على حركة اليدين والقدمين ثم انعدام التركيز والإتيان بأفعال غريبة مع الشعور بالسعادة وعدم المبالاة وأحلام اليقظة. وفى المرحلة الثالثة يبدأ التأثير على المراكز المختلفة ويصيبها بالهبوط مثل المركز التنفسى والدورى والسمبثاوى، ويحدث هبوط فى ضغط الدم ثم هبوط وثقل فى التنفس. وفى المرحلة الأخيرة تبدأ هذه المراكز فى التوقف وتحدث الوفاة للهبوط الشديد فى ضغط الدم وانعدام التنفس وفقدان الوعى وذلك عند تعاطى كمية كبيرة قاتلة.

والحشيش يصيب متعاطيه بحالة إدمان بدون أعراض انقطاعية شديدة (اجتهادات / ٥٠ ـ ٥٤).

(جاء فى الكبائر للذهبى عن الحشيشة:

فوالله ما فرح إبليس بمثل فرحه بالحشيشة لأنه زينها للأنفس الخسيسة فاستحلوها واسترخصوها:

قل لمن يأكل الحشيشة جهلا

عشت فى أكلها بأقبح عيشه

قيمة المرء جوهر فلماذا

يا أخا الجهل بعته بحشيشه)

(الكبائر / ٦٦ و ٦٥).

قالت المؤلفة: أوردنا مادة «الحشيش» فى م ١٥ / ٢١٢ ـ ٢١٥).

٥ ـ المواد المسببة للهلوسة وهى مواد عديدة منها:

(أ) ليسارجين(L.S.D) الذى يباع فى صورة أقراص مصنعة من تبخير سائل مخمر من فطر ينمو على الشوفان أو القمح.

(ب) الميسكالين: وهو العنصر الفعال فى مخمر عصير الصبار.

(جـ) السيلوسيبين من تخمير عش الغراب.

(د) البوفوتنين من تخمر غدد الضفادع الاستوائية مع فطر معين.

(هـ) مواد أخرى مصنعة ومخمرة بيولوجيا أو كيماويا لها نفس تأثير السابقات وتماثله فى التركيب الكيماوى.

وهذه المواد كلها تؤخذ كمشروب أو كأقراص أو كبسولات أو تعطى عن طريق الحقن وهى تؤدى إلى تأثير مخيف على خلايا المخ بحيث إن متعاطيها يتخيل هلوسات غير طبيعية تشوش الواقع الذى حوله. وهى تؤدى إلى الإدمان مع انحطاط للشخصية وأعراض انقطاعية نفسية شديدة.

٦ ـ المواد المنشطة: وهى كثيرة أيضا ومصنعة وتحدث أعراضا مماثلة لجنون العظمة بجانب هلوسة بصرية وسمعية مع العرق وجفاف الحلق. ولها تأثير منشط مع نزعات عدوانية وهذيان مع ازدياد اليقظة وانتعاش وقتى. وهى تؤدى إلى أعراض الإدمان مع أعراض انقطاعية فى صورة اكتئاب شديد يستغرق وقتا طويلا للعلاج مما يدفع المتعاطى إلى العودة إليها. ومنها:

(أ) الأمفيتامينات: مثل البنزدرين والدكسامفيتامين (الماكستون) والميتامفيتامين.

(ب) المواد المشابهة للامفتامينات: الريتالين ـ البريلودين.

وهذه كلها مستخرجة من اتحادها مع قلويات فتخمرت وهى تخمر العقل. ولها استعمالات طبية محددة.

٧ ـ المثبطات ومهبطات الجهاز العصبى: وهى تستعمل كمنومات وتعتبر مأمونة الجانب فى جرعات صغيرة وقد خضعت للرقابة الدولية على المخدرات فى ١٩٧١ وهى تبطئ النشاط الذهنى. وهى إما طويلة الأثر مثل الفينوباربيتون المسكن، أو متوسطة الأثر مثل الأموباربيتال المنوم أو قصيرة الأثر مثل سيكوباربيتال الذى ينتج فى شكل كبسولات حمراء (الفراولة) والجلوتثميد والميتاكوالين وهى جميعا مواد مصنعة مخمرة.

وتعاطى جرعة صغيرة منها تجعل المتعاطى يبدو مسترخيا فى حالة نفسية طيبة، وتعاطى جرعة كبيرة تحدث ثقلا فى الحركة وترنحا مع عدم القدرة على الإمساك بالأشياء (تماما مثل السكران)، إذن فهو دواء مسكر وينطبق عليه ما ينطبق على الكحوليات، حتى إن الخمارون يغشون بعض المشروبات الكحولية بهذه المستحضرات. ويحدث الإدمان بطريقة سريعة ويجب أن يقنن تعاطيه طبيا فقط.

٨ ـ المواد البترولية: سمعت عن حالات قليلة من تعاطى بعض الناس لأحد منتجات تقطير البترول مدعين أنه ليس من المواد المسكرة أو المخدرة ولا يدرج فى قانون المخدرات، مستعملينه لما له من أثر فى إحداث حالة تماثل الغيبوبة على الدماغ مما يدَّعون أنه يثير فيهم الانتشاء. وهو خطر قاتل لما له من تأثير مدمر على خلايا الجهاز العصبى عموما، ومما يمكن أن يحدثه من جلطات فى الأوعية الدموية فى مختلف أجزاء الجسم. ولكنهم نسوا أن زيت البترول ما هو إلا ناتج عن تحلل وتخمر بلايين الكائنات البحرية الدقيقة والصغيرة والمحاريات التى كانت تعيش فى قاع البحار والمحيطات وأصبحت مادة يستقطر منها ويستخرج هذا العنصر. فهو خمر من أصلها يحرم استعمالها بغرض التعاطى تحريما تاما.

٩ ـ الإيثير والإيثيريات: الذى يستعمله البعض عن طريق الشم لتأثيره المخدر على العقل. وهذه تستخرج من تخمر السليولوز النباتى مع إضافة القلويات فهو أيضا مخمر ومقطر ويعتبر من الخمور الخامرة للعقل إذا استعمل فى الأغراض غير الطبية.

ويتبع هذه المواد الإيثيرية جميع المواد الكيماوية الطبية التى تستعمل فى تخدير المرضى أثناء العمليات الجراحية تخديرا كليا حيث قد يستعملها البعض فى جرعات مخففة لإحداث الأثر الخامر للعقل. وهذه كلها تقع تحت نص القياس فى الشرع فتعاطيها باطل إذا أخذت لهذا الغرض ولكنها تستعمل للأسباب الطبية كما أحلها الله.

ومن هنا يتضح أن جميع المواد المخدرة قد تخمرت تخمرا كيميائيا فعليا بفعل الحوامض أو القلويات أو الأنزيمات أو الخمائر وهى تخمر العقل وتدخل تحت بند الخمر بالتعريف العلمى لها كما ورد فى أول المقال وكما جاءت فى القرآن الكريم قبل معرفتنا لها بقرابة أربعة عشر قرنا.

ونعود ثانية إلى الآية ٢١٩ من سورة البقرة التى أتت لشعوب الأرض جميعا فى كل الأزمان وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، فلقد حسب بعض الصحابة أن للخمر بعض المنافع وكذلك فى الميسر فشربوا المسكرات التى كانت بين يديهم، بينما البعض الآخر خاف من إثمهما وامتنعوا عن الخمر والميسر. ويروى أن بعض القوم فرحوا وشربوا سكرا ثم قاموا لصلاة المغرب فأخطأ الإمام فى سرد آية جهرا فنزلت فيهم الآية ٤٣ من سورة النساء: **﴿يأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلوة وأنتم سكرى حتى تعلموا ما تقولون﴾**، فامتنع الناس عن دخول الصلاة وهم سكارى لما فى شرب الكحوليات من تأثير مسكر يتلعثم فيه اللسان وينعدم فيه الاتزان بينما يفقد به الوعى إذا زاد السكر عن حده. ولكن بعضهم لم يكف عن شربها بعد الصلوات ظنا منهم بأنه لا ضرر من ذلك فاجتمعوا يوما ـ كما تقول الرواية ـ التى جاءت فى كتب التفسير السابقة ـ فى دار حيان بن مالك وسكروا ولعبوا وقالوا شعرا وتناشدوا وافتخروا ثم تهاجوا فتضاربوا وتعاركوا وشكا بعضهم لرسول الله فنزلت الآيات الكريمة الرابعة: **﴿يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلم رجس من عمل الشيطن فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطن أن يوقع بينكم العدوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل أنتم منتهون﴾** [المائدة: ٩٠، ٩١].

وبهذه الآية حرمت الخمر جميعا بعد أن جعلها الله رجسا وقاذورات وخمر العقل، وبين الله لنا أن الشيطان يدخل في مجالس الخمر والميسر ليصد الناس عن ذكر الله وعن الصلاة وعن تقوى الله والخشية منه فيصبح المسلم عبثا على المجتمع ومن أعوان الشيطان.

ومما قيل يتضح أن الخمر تشمل جزءين متعارف عليهما:

أولا: المسكرات: هي خمر تتخمر من النخيل والأعناب وغيرها من الثمار النباتية وتحدث خمرا للعقل وتحدث الإدمان بأعراضه المصاحبة الجسمية وأعراضه الانقطاعية وأعراضه المزمنة النفسية.

ثانيا: المخدرات: التى تكون من أصل نباتي مخمر أو من أصل كيماوى يماثل المفعول والتأثير الأقربازيني (المخلقة) فهى مخمرة بواسطة الخمائر أو الكيماويات وهى تحدث خمرًا للعقل وتحدث الإدمان بأعراضه المصاحبة والمزمنة الانقطاعية الجسمانية منها أو النفسية أو كليهما، فهى خمر تخمرت وتخمر العقل ويستحق متعاطيها إقامة الحد عليه.

إذن فإن التفسير الدينى أو الفقهى لكلمة الخمر هو صحيح لغويا وعلميا وطبيا وفقهيا، ولو أنهم نسوا المخدرات، فلزم توضيح ذلك.

ولكننا لا يمكن أن نغفل ما جاء بالآية الكريمة ﴿فيهما إثم كبير ومنافع للناس﴾، حيث أن إثم الميسر والخمر أكثر وأولى بنا أن نتركهما بسبب ما فيهما من الضرر بالمال والصحة على الرغم من أنه سبحانه وتعالى جعل لنا هذه الأشياء أيضا لمنفعة فيها. فالكل يعلم فوائد الكحول فى الطب والتطبيب وفي الروائح العطرية وفوائد المخدرات فى تخدير الألم والمثبطات فى عملها للتسكين ومثبطات الجهاز العصبى فى تهدئة الأمراض النفسية وبعد العمليات الجراحية وأثناءها وفوائد المنبهات فى تنشيط الجهاز العصبى فى جرعاتها المقننة المحددة.

تبقى نقطة هامة فى موضوع تحريم الخمر بكافة مشتقاتها الموجودة فى صورة طبيعية أو صورة مصنعة حيث إن بعض الناس يقولون إن الخمر لم تحرم تحريما مانعا قاطعا لفظيا كما حرمت الميتة والدم ولحم الخنزير مثلا.. والرد على هذا يتضمن نقاطا كثيرة، منها:

أولا: نواهى الله هى كالأوامر: فمهما كان لفظ الكف أو الاجتناب أو النهى فهو قاطع ويجب إطاعته بلا تردد.

ثانيا: الآيات الوارد بها التحريم منها:

﴿يا أيها الذين ءامنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ [المائدة: ٩٠].

فلقد جاء الرجس في آية أخرى من سورة يونس تقول **﴿ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾**[يونس: ١٠٠].

وفي سورة التوبة: **﴿فأعرضوا عنهم إنهم رجس﴾** [التوبة: ٩٥].

وفى سورة الأنعام: **﴿كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾** [الأنعام: ١٢٥].

فواضح أن الرجس يقع على الذين لا يؤمنون وعلى الذين لا يعقلون وعلى المتخلفين عن الجهاد فى سورة التوبة، وكل واحدة منها تعتبر كبيرة من الكبائر فإن الخمر فى هذه المرتبة. والرجس هو العذاب والحرام واللعنة والفعل القبيح القذر (المعجم) وخمر العقل فى المسكرات والمخدرات يحدث بعد المرحلة الأولى من تعاطيه وهذا هو المقصود.

ثالثا: أما الاجتناب فلقد جاء في آيات أخر:

﴿والذين اجتنبوا الطغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى﴾ [الزمر: ١٧].

﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾[النساء: ٣١].

﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش﴾ [الشورى: ٣١].

والمفهوم والواضح والثابت أن الاجتناب هو عدم الرجوع إلى الشيء مهما كان السبب ومهما كانت الظروف. فالخمور بكافة أنواعها من مسكرات ومخدرات رجس من عمل الشيطان أمرنا الله باجتنابها أى عدم الرجوع إليها بعد معرفة أضرارها ومعرفة أبعاد تحريمها وأبعاد عناصرها وموادها الكيماوية والطبيعية المخمرة سواء قبل تعاطيها أو عند استهلاكها.

وعقوبة التعـزير فى أمور فقهية كثيـرة ـ وهى التأديب بغير حد شرعى منصـوص عليه فى الشريعة ـ (انظر مـادة «التعزير» في م ٩/ ٦٠٢ ـ ٦٠٧) هى فى الخمر تفويضية بحسب ما يراه الحاكم أو ولى الأمر فى كل زمان ومكان وحال حيث إن عقوبة زراعتها تختلف عـن صناعتها، تختلف عـن جلبها، تختلف عن التجـارة فيهـا، تختلف عن تـرويجهـا، تختلف عن تعاطيهـا، تختلف فى أسباب وكمية تعاطيهـا، وتختلف فى أنواعهـا. المتعددة العديدة التى تتبـاين فى التأثير على العقل وعلى إحداث الإدمان من عدمـه. كما أن العقوبة تختلف إذا ما كانت مسكرات أو مخدرات سامة.

(اجتهادات فى التفسير العلمى فى القرآن الكريم ٢ / ٥٠ ـ ٦٠).

وقد أفـرد ابن الأجدابـى الطرابلسى بـابا فى كتـابه «كفـاية المتحفظ» فى أسماء الخمر ونعوتها جاء فيه مايلى:

المُـدام، القهوة، الـراح، الـرحيق، السُّـلاف، السَّلافـة الخرطوم، القرقف، الشَّمول، الخندريس، العُقار، الأسفنط، المفـديـة، الصهبـاء، المشعشعـة، وهى الممـزوجـة وكذلـك، المعرَّقـة، المصنقة، العاتـق: (الخمر القـديمة)، البتع: نبيـذ العسل، الجعـة: (نبيـذ الشعير)، المـزر: (نبيـذ الحنطـة)، السكـركـة: (نبيـذ الـذرة، وهـو شـراب الحبشة)، الطـلاء: المطبوخ بالنار، المُسطـار: الحامض من الخمـر، المـزَّاء: ضـرب مـن الأشربـة، السَّكَـر: كل شـراب يسكر، القُمحَّان: الزبد الـذى يعلو الخمر، الحَبَابُ: الطرائق التى تكـون فيهـا من المـزج، السباء: شـراء الخمـر، يقـال: سبأت الخمر اسبأها، إذا اشتريتها.

١ ـ المدام: المطر الدائم: الخمر وهى المدامة.

٢ ـ القهوة: الخمـر. ويطلق على مـا يشرب من مطبـوخ البن.

٣ ـ الراح: الخمر: جمع راحة: الارتياح.

٤ ـ الـرحيق: الخمـر أو أطيبهـا وأعتقهـا وأفضلهـا أو الخالص الصافى منها.

٥ ـ السلاف والسلافة: الخمر أو ماتعصر، أو ما سال من غير عصر أو أخلصها وأفضلها.

٦ ـ الخرطوم: الخمر السريعة الإسكار.

٧ ـ القرقف: الخمر يرعد صاحبهـا من إدمانه إياها. وقد يوصف بها الماء البارد ذو الصفاء.

٨ ـ الشمول: الخمر عرضها للشمال فبردت وصفت.

٩ ـ الخندريس: الخمر القديمة.

١٠ ـ العقار: الخمر أو هى التى لا تلبث أن تسكر.

١١ ـ الأسفنط: أعلى الخمـر وصفـوتهـا أو الطيب من عصير العنب.

١٢ ـ الصهبـاء: الخمر المعصـورة من عنب أبيض (كفاية المتحفظ/ ١١٧، ١١٨).

أمـا عن النظم فلدينـا نمـاذج من شعـر أبى زيد الفـازازى الذى قال يذم الخمر:

الخمـر متلفـة لـديـنك فـاحـذر
ودليلـة نحـو الخنـا والمنكـر

وهـى الجحيم معجـلا ومـؤجـلا
فـائن العنـان عـن الجحيم وأقصـر

كـم ورَّطت فـى عسـرة من مـوسـر
كمـا ورَّطـت فـى عطبـة مـن معسـر

مـا استـودع العقـلاء طـى ضلـوعهم
شيئـا أضـر مـن الشـراب المسكـر

يـا مـن يمـد إلـى المـدام يمينـه
شلـت يمينك بـائعـا أو مشتـرى

سيـان ألقيت البنـان علـى الطـلا
للشـرب أو ألقيتهـا فـى مجمـر

نـاران إلا أن هـذى لا تـرى إلا
بمقلـة مبصـر مستبصـر

طهـر فـؤادك مـن نجـاسـة إثمهـا
أو لا فـأعـد للعـذاب الأكبـر

أنت المنجس مـا شـربت نـدامـة
ولـو أغتسلت بمـاء سبعـة أبحـر

مـاذا تـريـد إلـى شـراب مـورد
وردا يسـوءك ريـه فى المصـدر

ترد الحساب به وأنت مروع
تخشى العقاب وأنت منه بمنظر
إن كنت ترغب فى الأمان فلا تكن
ممن يسير على الطريق الأوعر
أتبيع دينك فى الضلال بجرعة
قُبِّحت بطَّالا ، زمان المتجر
يا شؤمها من جرعة مذمومة
سلبتك دينك حيث لم تتشعر
فكأننى بك فى القيامة نادما
أسفا تعض أنامل المتحسر
إن لم تتب منها فإنك ضحكة
للناظرين وسبة فى المعشر
وإذا فقدت العقل كنت بهيمة
فى جلد إنسان وحسبك فانظر
ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتى
يا حاضرا وكأنه لم يحضر
والله لا فهم الحقيقة سامع
قد بات فى علم الضرورة يمترى
فاحذر عليك عقوبة فى شربها
وإذا أنبت إلى المتاب فأبشر
يارب إنا مخطئون جهالة
فاصفح لنا واستر علينا واغفر

البيت ١ : الخنا : الفحش .

وقال أيضا فى مثل ذلك :

يا مكثرا قاله وقيله
وجاعلا كأسه فضيله
أفنى التراث الذى حواه
فيها ويفنى الذى بقى له
ويحك لا يخدعنك أنس
من بعده وحشة طويلة
ترجو نجاة بغير فعل
وتلك لا شك مستحيله
يا ليت شعرى بأى قول
بأى حول بأى حيله
تأمل زلفى لدى مليك
تأتى إليه بلا وسيله
فقال والخوف قد أراه
من رشده عندها سبيله
أرجو إلهى وأتقيه
لكن ظنونى به جميله

وقال فى مثل ذلك :

يا شارب الراح فى أوقات غفلته
ومستترا بأبواب وأستار
إذا دجا الليل واشمطت ذوائبه
خلا بكأس وأوتار ومزمار
أما علمت بأن الله مطلع
يحصى فعالك من جهر وإسرار
لو كنت فى ظلمات البحر محتجبا
عن كل مرمى لأسماع وأبصار
لم تخف منك عن الرحمن خافية
بل كل فعلك مقدور بمقدار
ماذا يفيدك جهل الناس كلهم
بما كتمت ولا يخفى عن البارى
لا يطغينك ستر الله مذ زمن
فكم أتى دون تسويف وإصرار
فارجع عن الذنب مختارا مراجعة
أو سوف ترجع عنه غير مختار
وإن أبيت سوى الإصرار تصحبه
فهل ترى لك من صبر على النار

وقال فى مثل ذلك :

رأيت ذنوب العالمين قبيحة
وأقبحها طرا مخامرة الخمر
فإن الخنا صدع وفى العقل جبرة
وإن لم يكن عقل فيأسا من الجبر
فما حال من كل المساوى جميلة
لديه وحتم السر فى قبضة الجهر
يرى البدر وهو البدر فى صبغة الدجى
ويسمع لفظ النهى فى صيغة الأمر

وأعظم من هـــــذا وذلك كلــــه
عـذاب لظى مـا لامـرىء فيـه من الصبـر

وقال في مثل ذلك :

يـــا مــــدمن الخمـــر غيـــر آل
فـي تـــركـــه أمـــر ذي الجـــلال
أبشــــر بفقـــر وهتك ستـــر
وقبح ذكـــر وســـوء حــال
ومــــورد فـي المعـــاد تفضي
منـــه إلـى طينـــة الخبـــال
فـــــراجـع الحـق لا تعلـل
نفسك في الفـــوز بـــالمحـــال
واضــــرع إلـى الله واستقلــــه
فـإنـــه خيـــر مستقـــال
وسلـــه فـــوزا يجبك فضــــلا
وهـل جـــواب بـــلا ســـؤال
يـــاصـــاح إن لـم تكن تبـــالي
عنك فمـن ذا الـــذي يبـــالي

ولأخيه القاضي أبي عبد الله في ذمها أيضا (هو محمد بن يخلفتن أخو عبد الرحمن . كان فقيها أديبا) .

مـــا خمـــر العقل فهـــو خمـــر
والخمـــر عنـــد اللبيب جمـــر
جمــاع إثـم غــوُل لــوفـــد
بـأس وبــؤس ضَـــر وضُـــر
يـــا شـــارب الخمـــر مستســـرا
مـــا دون رب العبـــاد ســـر
لا تســـدل الســـر مـــا على مـن
يعصـي إلـــه السمـــاء ستـــر
واذكـــر إذا مـــا الحيـــاة ولت
وحـــان مـــوت وتـم عمــــر
وجــــاء مـــوت وجــــاء قبـــر
وجــــاء بعث وجــــاء حشـــر
واجتمع النـــاس فـي صعيـــد
والنهـي نهـي والأمـــر أمـــر
والنـــار قـــد سُعِّـــرت وقـــالت
هـل مـن مـــزيـــد فقيل صبـــر
هنـــاك تلقـى لـــذيـــذ مـــا قـــد
جنيت مـن الإثـم وهـــو مـــر
أي مقـــام إن لـم يكـن مـن
غـــافـــر كـل الـــذنـــوب غفـــر

(آثار أبي زيد الفازازي / ٥٨ ـ ٦١) .

(المفردات في غريب القرآن للراغب للأصفهاني ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١٥٩ ، ومعجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي ــ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطي / ٥٤ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي ٣ / ٩٨ ، ٩٩ ، والأحكام السلطانية للإمام الماوردي / ١٩٧ ، ١٩٨ ، ومتن الزبد في الفقه للإمام أحمد بن رسلان الشافعي ، شرح المناوي / ٩٨ . ومجموع : «السبل السوية لفقه السنن المروية» ــ نظم حافظ بن أحمد الحكمي / ١٠٢ ، والفتح الرباني شرح على نظم أبي زيد القيرواني ـ محمد أحمد الملقب بالداه الشنقيطي ٣/ ٢٣ ، والمنتخب من السنة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م ٩ / ١١٩ ــ ١٥٨ ، والفتاوى للإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت / ٣٤٠ ــ ٣٤٩ ، وفقه السنة ـ فضيلة الشيخ السيد سابق م ٢ جـ ٥ / ٢١ ، ٢٢ ، والإتحافات السنية بالأحاديث القدسية للإمام عبد الرءوف المناوي ، وعليه «النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية» للشيخ محمد منير الدمشقي / ١٧٢ ـ ١٧٥ ، والطب الوقائي في الإسلام ـ د . أحمد شوقي الفنجري / ٢٥٩ ـ ٢٧٥ ، واجتهادات في التفسير العلمي في القرآن الكريم ـ د . محمد عادل أبو الخير ٢ / ٥٠ ــ ٦٠ ، والكبائر للإمام شمس الدين الذهبي ط مكتبة الكليات الأزهرية / ٦٦ ، وط دار التراث العربي / ٦٥ وكفاية المتحفظ وغاية المتلفظ في اللغة لابن الأجدابي الطرابلسي ـ تحقيق عبد الرزاق الهلالي / ١١٧ ، ١١٨ ، وآثار أبي زيد الفازازي الأندلسي . نصوص أدبية من القرن الهجري السابع جمعها بعض تلاميذه في حياته ــ تقديم وتحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة / ٥٨ ـ ٦١ . انظر أيضا فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني ـ وثق نصوصه وحقق أصوله وضبط أحاديثه ووضع فهارسه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد . ط دار الغد العربي م ١٥ / ٤٠٣ ـ ٤٣٥ ، ومع الطب في القرآن الكريم ـ د . عبد الحميد دياب ود . أحمد قرقوز ، تقديم د . محمود ناظم نسيمي / ١٤٠ ــ ١٥٣ ، وعمدة الأحكام

من كلام خير الأنام للحافظ عبد الغنى المقدسى الجماعيلى المطبوع فى كتاب نفائس - بتحقيق محمد حامد الفقى / ٣٣٥، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٤٣ - ١٤٦، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٣٥ - ١٣٨، ومختصر الأحكام الفقهية لعلى بن فريد الكشجنورى الهندى - تحقيق يوسف البدرى، مراجعة د. محمد أحمد عاشور / ٢٠٠، ومتن الغاية والتقريب لأبى شجاع / ٥١، والمنهيات لأبى عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى - تحقيق محمد عثمان الخشت / ١٣٧ - ١٤٠).

* **خمرة بابل وغناء البلابل:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٦١١٧

- كتاب فى الغزليات وما تساجل به المؤلف مع إخوانه وقد ألفه بناء على طلب نقيب السادة الأشراف محمد بن كمال الدين حمزة.

المؤلف: أبو الفيض عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى الحنفى الدمشقى النقشبندى القادرى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م.

أوله: الحمد لله رب العالمين على كماله، حيث عن وصف الجميع علا، فسبحانه من إله تفرد بالعظمة والجلال ... وبعد فيقول ...

هذا الذى قد ناولته يد الهوى
كبيرا بها أودت مكابدة النوى
وقد اهتصرت ثمار غصن صبابتى
ولكل قلب فى الصبابة ما نوى

آخرها:

أو برد تعود النار كالثلج عنده
سوى أنها حمراء والثلج أبيض

. . . .

وإن قام من ديوانه لبيوته
فبالطيب منه إنه لسمبوح

كان الفراغ من كتابة هذا الديوان ...

الخط نسخى جميل، الحبر: أسود.

تاريخ النسخ: سنة ١٣٢٠ هـ.

مصادر عن الكتاب: مقدمة الفتح الربانى له طبع بيروت ص ٣٧ برقم ٦٥.

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٤ / ٢٧١.

يقول الأستاذ محمد رياض المالح واضع الفهرس:

بعض نسخ الكتاب: رأيت نسخة عند الأستاذ أديب النابلسى بدمشق من أحفاد العارف النابلسى.

طبعة الكتاب: أعلنت المطبعة الأنسية ببيروت أنه من مطبوعاتها على الغلاف الأخير لكتاب ذخائر الأغلاق لابن عربى ولكنى لم أطلع عليه مطبوعا وأخبرنى الأستاذ أحمد عبيد بأنه لم يطبع.

قالت المؤلفة: أوردنا للأستاذ أحمد عبيد رحمه الله ترجمة فى م ٢ / ٦٧٨ - ٦٨٣.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٥٠٥، ٥٠٦).

* **خمرة الحان ورنة الألحان فى شرح رسالة الشيخ أرسلان:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٦٠٢١

شرح رسالة أرسلان فى التصوف ألفها سنة ١٠٨٨ هـ.

المؤلف: أبو الفيض عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى الدمشقى الحنفى النقشبندى القادرى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م.

أوله: الحمد لله الذى طهر قلوب أوليائه بمياه اليقين من دنس الأغيار ورفع عن وجوه عقولهم قناع الغفلة والاغترار...

آخره: قصيدة فى مدح الشيخ أرسلان جاء فى آخرها:

وسقى قبرا حواه حيا
من عظيم اللطف هتان

دائم الأزمـــــــان مـــــــا انعطفت
بـــــالصبـــــا فى الـــــروض أغصـــــان

الخط نسخ واضح ، الحبر: أسود وخطوط حمر تحت بعض كلماته .

ملاحظات : نسخة مراجعة .

نسخة ثانية .

الرقم ٥١١٩ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر: أسود معنونة بالأحمر.

اسم الناسخ : محمد بن حسن البيطار.

تاريخ النسخ : ١٣ جمادى الثانية سنة ١٢٥٤ هـ .

نسخة ثالثة :

الرقم ٤٩٠٠

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ : محمد سعد الدين بن عبد الغنى النابلسى .

ملاحظات : نسخة مراجعة ومقابلة .

نسخة رابعة :

الرقم ٨٣٤٦

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد مقروء ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ : إبراهيم بن محمد الدكدكجى تلميذ المؤلف .

تاريخ النسخ : سنة ١١٣١ هـ .

ملاحظات : نسخة قيمة عليها تملكات مقابلة ومراجعة على أصل المؤلف من قبل تلميذه الدكدكجى وذلك سنة ١١٣٢ هـ .

نسخة خامسة :

الرقم ١١٤١٨

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود .

اسم الناسخ : محمد بن عبد القادر المجذوب .

تاريخ النسخ : لعله سنة ١٣٢٧ لأنه مكتوب فقط ١٠٢٧ ومر بعض المجاميع قريبة لهذا التاريخ .

ملاحظات : نسخة مراجعة .

نسخة سادسة .

الرقم ٨٢٨٣

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخى جميل ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر بجدولة بالأحمر.

اسم الناسخ : إسماعيل بن خليفة الحموى .

تاريخ النسخ : ١١ ربيع الأول سنة ١١٥٩ هـ .

ملاحظات : نسخة خزائنية مزخرفة الورقة الأولى ونقلت عن مسودة المؤلف .

مصادر عن الكتاب : عقود الجوهر ٦٠ .

يقول الأستاذ محمد رياض المالح واضع الفهرس : مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ٢٧١ ، ابن شاشو، ٦٧ ، النبهانى جامع الكرامات ٢ / ٨٥ ويعد الأستاذ الصديق الدكتور بكرى علاء الدين دراسة عن حياته ومصنفاته .

طبعة الكتاب : ١ ـ مطبعة التضامن الأخوى سنة ١٣٥٠ هـ / ١٩٣٢م بـ ١٨٤ ص ٢ مطبعة العلم بدمشق ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م بتحقيق الأستاذ المرحوم عزة حصرية معتمدا بذلك على النسختين اللتين عندى وغيرهما وقد ساعدته فى ذلك .

بعض نسخ الكتاب : الأوقاف ببغداد ١٣٨ ، وأحتفظ بنسختين مخطوطتين إحداهما مراجعة ومقابلة على نسخة المؤلف بالذات (فهرس الظاهرية ١ / ٥٠٦ ـ ٥٠٩) .

ويوجد مخطوط بالخزانة الطلسية بحلب وجاء بيانه كما يلى :

وهو جزء فى نسخة جيدة متقنة مضبوطة مكتوبة بقلم نسخى جيد أولها «الحمد لله الذى طهر قلوب أوليائه بمياه اليقين من دنس الأغيار ورفع عن وجوه عقولهم قناع الغفلة والاغترار وألبسهم حلل المعرفة والاعتبار، وما ألبس عليهم آياته البينات فى الليل والنهار، والصلاة والسلام على مفتاح خزانة الغيب المطلق ... أما بعد ... هذا أمطرته سموات

إلهامي وفاضت به عليَّ في حضرة فتحي بحار التجلي السامي وضعته للرسالة الشريفة بل الجوهرة المنيفة التي تغرق بها بحر الفيض الأقدس في العالم الأنفس على لسان الأمجد الأفخم والضرغام الأعظم زبدة الأولياء . . سيدي الشيخ رسلان المنسوب إلى دمشق الشام لكونه نشأ فيها ومات بها عليه رحمه الملك العلام . . » وآخرها « . . قال المؤلف أدام الله بقاه وقد فرغنا نهار الخميس الرابع والعشرين من شهر رجب المبارك من سنة ١٠٨٨ هـ» مقياسه : ١٦ × ٢١ (المنتخب ق ٤ / ٣٥٤، ٣٥٥).

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٥٠٦ ـ ٥٠٩ ، والمنتخب من المخطوطات العربية في حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٤ / ٣٥٤ ، ٣٥٥).

*** الخُمْرة:**

الخُمرة : بضم الخاء وسكون الميم وفتح الراء : حصيرة أو سجادة تنسج من سعف النخل وترمل بخيوط (المعجم الوسيط ١ / ٢٥٥) .

ذكرها ابن سعد في طبقاته تحت عنوان «ذكر الخُمرة التي كان يصلي عليها رسول الله ﷺ » قال :

أخبرنا عفان بن مسلم ، حدثنا ثابت بن يزيد ، حدثنا عاصم الأحول ، عن أبي قلابة قال : دخلت بيت أم سلمة فسألت ابنة ابنها أم كلثوم ، عن مصلى النبي ﷺ ، فأرتني المسجد ، فإذا فيه خمرة ، فأردت أن أنحيها فقالت : إن النبي ﷺ ، كان يصلي على الخمرة . وأخبرنا يحيى بن عباد ، حدثنا حماد بن سلمة عن الألندق بن قيس ، عن ذكوان ، عن عائشة أن النبي ﷺ ، كان يصلي على الخمرة . أخبرنا عبيدة ابن حميد التيمي ، حدثني سليمان الأعمش ، عن ثابت بن عبيد ، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال : قالت عائشة : قال رسول الله ﷺ ، ناوليني الخُمرة من المسجد ، قالت قلت : إني حائض ، فقال : إن حيضتك ليست في يدك .

أخبرنا محمد بن سابق ، حدثنا زائدة عن إسماعيل السدي عن عبد الله البهي قال : حدثتني عائشة أن رسول الله ﷺ ، كان في المسجد فقال للجارية : ناوليني الخمرة ، فقالت : إنها حائض ، فقال : إن حيضتها ليست في يدها . فقالت عائشة : أراد أن نبسطها فيصلي عليها ، أخبرنا محمد بن الصباح ، حدثنا هشيم ، أخبرنا ابن أبي ليلى عن نافع ، عن ابن عمر أن رسول الله ، ﷺ ، قال : ياعائشة ناوليني الخُمرة من المسجد ، قالت : يارسول الله إني حائض ، قال : إنها ليست في يدك ، أخبرنا سعيد بن سليمان ، حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن البهي ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ صلى على الخمرة . أخبرنا هاشم بن القاسم ، حدثنا شعبة ، وأخبرنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد بن العوام ، جميعا عن الشيباني ، عن عبد الله بن شداد عن ميمونة بنت الحارث أن رسول الله ﷺ كان يصلي على الخُمرة .

(المعجم الوسيط ١ / ٢٥٥ ، وطبقات ابن سعد . كتاب التحرير م ٩ جـ ١ / ١٦٠) .

*** الخُمس:**

قال ياقوت :

وأما الخمس : فخمس غنائم أهل الحرب ، والركاز العادي ، وما كان من عرض ، أو معدن ، فهو الذي اختلف فيه أهل العلم ، فقال بعضهم : هو للأصناف الخمسة المسمين في الكتاب لما قال عمر ، رضي الله عنه ، وهذه لهولاء ، وقال بعضهم : سبيل الخمس سبيل الفيء ، يكون حكمه إلى الإمام ، إن رأى أن يجعله فيمن سمى الله جعله ، وإن رأى أن الأفضل للمسلمين والأوفر لحظهم أن يضعه في بيت مالهم لنائبة تنزل بهم ومصلحة تعن لهم ، مثل سد ثغر ، وإعداد سلاح وخيل وأرزاق أهل الفيء من المقاتلين والقضاة وغيرهم ممن يجرى مجراهم ، فعل .

ثم عاد فذكر صيغة الجمع «الأخماس» فقال :

وأما الأخماس : فمنها : خمس الغنيمة التي كان يأخذها النبي ، ﷺ ومنها أخماس المعدن واشتقاقه من عدن بالمكان ، إذا أقام به وثبت ، وكان ذلك لازما له كمعدن الذهب والفضة والحديد والصفر وما يستخرج من تراب الأرض بالحيلة أبدا ، ففيه الخمس ، ومنها سيب البحر ، وهو ما يلقيه ، كالعنبر وما أشبهه ، فكأنه عطاء البحر ، فيه الخمس ، ومنها : ما يأخذه العاشر من أموال المسلمين وأهل الذمة والحرب ، التي يتردد بها في التجارات . ثم نقول الآن : قال أهل العلم : أيما أهل حصن أعطوا الفدية ، من حصنهم ، ليكف عنهم ، ورأى الإمام ذلك حظا للدين والإسلام فتلك

المدينة للمسلمين، فإذا ورد الجند على حصن، وهم فى منعة لم يظهر عليهم بغلبة، لم تكن تلك الفدية غنيمة للذين حضروا دون جماعة المسلمين.

وكل ما أخذ من أهل الحرب من فدية، فهى عامة وليست بخاصة من حضر، وقال يحيى بن آدم: سمعت شريكا يقول: إنما أرض الخراج ما كان صلحا على الخراج يؤدونه إلى المسلمين. قال يحيى: فقلت لشريك: فما حال السواد؟ قال: هذا أخذ عنوة فهو فىء، ولكنهم تركوا فيه، فوضع عليهم شىء يؤدونه. قال: وما دون ذلك من السواد فىء، وما وراءه صلح. وأبو حنيفة، رضى الله عنه، يقول: ما صولح عليه المسلمون، فسبيله سبيل الفىء، وروى عن النبى، ﷺ، أنه قال: لعلكم تقاتلون قوما، فيدفعونكم بأموالهم دون أنفسهم وأبنائهم، ويصالحونكم على صلح، فلا تأخذوا فوق ذلك، فإنه لا يحل لكم. ورخص بعض الفقهاء فى الازدياد على ما يحتمل الزيادة، وفى يده الفضل من أهل الصلح، واتبعوا فى ذلك سننا وآثارا ممن سلف، إلا أن الفرق بين الصلح والعنوة، وإن كانا جميعا من العشر والخراج. إلا أنه وقع فى ملك أهل العنوة خلاف، ولم يقع فى ملك أهل الصلح. وكره بعض أهل النظر شراء أرض أهل العنوة، واجتمع الكل على جواز شراء أرض أهل الصلح، لأنهم، إذا صولحوا قبل القدرة عليهم والغلبة لهم، فأرضوهم، ملك فى أيديهم. وقال الشافعى، رضى الله عنه: إن مكث أهل الصلح أعواما لا يؤدون ما صولحوا عليه من فاقة أو جهد، كان ذلك عليهم إذا أيسروا. وقال أبو حنيفة، رضى الله عنه: يؤخذون بأداء ما وجب عليهم مستأنفا ولا شىء عليهم فيما مضى. وهو قول سفيان الثورى. وقال مالك وأهل الحجاز: إذا أسلم الرجل من أهل الصلح أخذ من أرضه العشر وسقطت حصته من الصلح، فإن أهل قبرس لو أسلموا جميعا، كانت أرضهم عشرية، لأنها لم تؤخذ منهم، وإنما أعطوا الفدية عن القتل. وأبو حنيفة وسفيان وأهل العراق يجرون الصلح مجرى الفىء، فإن أسلم أهله أجروا على أمرهم الأول فى الصلح، إلا أنه لا يزداد عليهم فى شىء، وإن نقضوا، إذا كان مال الصلح محتاجا لمعايشهم، فلا بأس به.

(معجم البلدان لياقوت الحموى ١١/ ٤٢، ٤٦).

* **خمس:**

قال الراغب الأصفهانى فى مادة «خمس»:

أصل الخمس فى العدد، قال تعالى: ﴿**ويقولون خمسة سادسهم كلبهم**﴾ [الكهف: ٢٢] وقال تعالى ﴿**فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما**﴾ [العنكبوت: ١٤] والخميس ثوب طوله خمس أذرع، ورمح مخموس كذلك: والخمس من أظماء الإبل، وخمست القوم أخمسهم أخذت خمس أموالهم، وخمستهم أخمسهم كنت لهم خامسا، والخميس فى الأيام معلوم.

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى/ ١٥٩).

* **ابن خمس:**

من مصطلحات علم الحديث.

ابن خمس: الصبى ابن خمس سنين يصح له السماع. وهو أول زمن حدده بعض المحدثين لصحة السماع، منهم القاضى عياض. ونقل ابن الصلاح أن على هذا استقر العمل بين أهل الحديث فيكتبون لابن خمس فصاعدا.

(مجمع مصطلحات توثيق الحديث ـ د. على زوين/ ٩).

* **خمسة عشر (كتاب.):**

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية.

تأليف جابر بن حيان الصوفى.

وهو المقالة الخامسة عشرة من كتاب «السبعين».

أوله: قد سبق لنا قبل كتابنا هذا أربعة عشر كتابا، ذكرنا فيها علوما كثيرة من الحيوان وتدبيره، وقد ذكرت فى الكتاب الذى قبل هذا من العلامات الداخلة فى هذه التدابير فى اليوم الخامس عشر، وقد سميت كتابى هذا «رسالة خمسة عشر» وذلك لازم فى التدبير، وسنذكر فى الرسائل التى تلى كتابنا هذا ما يكون فى عشرين وثلاثين وعشرة أياما من العلامات فاعرفه ... إلخ.

وآخره: وعلامة التكرر يزداد الإكسير فى الحل والعقد بمقدار واحد، وإن عناصره تلطف، ويلطفها ما يصفو، وبصفائها ما يعمل العمل الكامل إن شاء الله تعالى.

ـ نسخة بقلم نسخ جميل، تمت كتابة فى بلدة تبريز سنة ٦٨٨.

ومسطرتها ١٧ سطرا ٢١×١١ سم

(ضمن مجموعة من ص ١٢٦ ـ ١٣٠)

[مكتبة بروسة حسين جلبي ـ ١٥].

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات ـ وضع فؤاد سيد. القاهرة ١٩٦٣ / ١٢١).

*** خمسة موالٍ فى نسق:**

هم كما ذكرهم ابن قتيبة:

داود بن خالد بن دينار،

وأخواه: «سهل»، و «يحيى»، أبنا «خالد».

وكلهم قد روى عنهم الحديث. هم موالى «آل حنين» الذين منهم: إبراهيم بن عبد الله بن حنين، وكان يروى عنه «الزهرى».

«وآل حنين» موالى «مثقب»؛ و «مثقب» مولى «مسحل»؛ و «مسحل» مولى «شماس»؛ و «شماس» مولى «العباس بن عبد المطلب».

(المعارف لابن قتيبة ـ حققه وقدم له د. ثروت عكاشة / ٥٩٠).

*** الخمط:**

خمط: قال أبو حنيفة الدينورى زعم بعض الرواة أنه شجر كالسدر وحمله كالتوت وقيل شجر له شوك نقل ذلك عن الفراء ونقله الزمخشرى فى الكشاف عن أبى عبيدة فتأمل. وقال أيضا الخمط فى الآية ثمر الأراك وهو البرير

قالت المؤلفة: يقصد بالآية قوله تعالى: ﴿**وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل**﴾ [سبأ: ١٦] وقال الليث هو ضرب من الأراك له حمل يؤكل وهذا قد نقله الجوهرى وقال ابن الأعرابى: الخمط ثمر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به ... إلخ.

(معجم أسماء النباتات/ ٥٤).

وجاء فى المفردات:

الخمط شجر لا شوك له، قيل هو شجر الأراك، والخمطة الخمر إذا حمضت، وتخمط إذا غضب يقال تخمط الفحل هدر.

(المفردات/ ١٥٩).

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ـ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى / ٥٤، والمفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٥٩).

*** الخمير:**

قال داود الأنطاكى:

هو دقيق يعجن بالماء أو شىء من الأدهان واللبن ويترك ليلة فأكثر وأجوده الذى عُمل من الحنطة أو الشعير وغيرهما ردىء لا يجوز استعماله وهو حار فى الأولى إن كان من الشعير وإلا ففى الثانية يابس فيها وقيل فى الثالثة مركب القوى لتعفينه وحمضه بالحرارة الغريبة خفف محلل وإذا أذيب بقدره أربع مرات ماء عذبا وطرح لكل أوقية منه دانق من كل من السكر والطباشير والزعفران وشرب قطع الحمى والعطش واللهيب فإن زيد مثقالان من الخل قطع الإسهال الصفراوى وإذا أصلح منه طعام لناقه عدل بدنه وانهضم. وغذاؤه جيد، وإذا لُت بزيت وسواد النحاس ولصق على الداحس والدماميل والخنازير فجرها خصوصا إن زاد ملحه. وإن عجن بالحناء والسمن وطليت به الصلابات والأورام المعجوز عنها تحللت من وقتها وفيه سر عظيم من الأعمال المكتومة الملوكية وهو أنه إذا عصر من النعنع جزء وسحق من الخردل مثله ومن الشبت نصف عشر أحدهما ومن الخمير مثل الجميع ثلاث مرات وطبخ الكل بعشرة أمثاله ماء حتى يرجع إلى النصف وصفى وعقد بالعسل واستعمل عند الحاجة هضم هضما لا يصبر معه عن الأكل ونقى المعدة من نكاية البلغم والحراقات وأصلح الشهية إصلاحا لا يعدله غيره وإن أخذ على المعاجين المهيجة بلغها المنافع المطلوبة وهو يصدع ويضر صدر المريض وتصلحه الكثيرا وشربته إلى ثمانية عشر (التذكرة ١ / ١٤٦).

وقد أورده المظفر الرسولى فى المعتمد نقلا عن مصادر ثلاثة رمز لها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

قال:

«ع» قوة الخمير لطيفة، يسيرة الحرارة، تجذب من عمق البدن بلاء وأذى، وتحلل، وهو مركب من قوى متضادة؛ وذلك أن فيه حموضة باردة، وحرارة من قبل العفونة، وفيه حرارة طبيعية من قبل الملح، وقوة الخمير من دقيق الحنطة مسخن، حار، ملطف وإذا خلط بالملح أنضج الدماميل، وفتح أفواهها. وينضج الأورام العارضة فى أسفل القدم، وإذا عدم أصله فيتخذ من الدقيق والزيت، ويعجن الدقيق بقليل زيت، ويترك ليلة، فيصبح من الغد خميرا قاطعا، وإذا حل بالماء وخلط به مثل ربعه دهن بنفسج، وتغرغر به، نفع من أورام الحلق الباطنة، وإذا حُل بالماء، وصنع به حساء، وقطر فيه قطرات من خل يسيرة وشرب، أمسك البطن، وعقل إسهاله. «ح» رطوبته ويبسه بقدر كثرة ملحه وقلته. وطريه حار فى الدرجة الثانية، وعتيقه حار يابس، فى الدرجة الثالثة، وفيه قوى متضادة: برد من قبل حموضته، وحرارة من قبل عفنه، وحرارة طبيعية من قبل ملحه ودقيقه، وفيه قوة تجلو، وهو يجذب المواد البلغمية إلى ظاهر البدن، ويحلل، ويضمد به الوجع الكائن فى أسفل القدمين، وينضج الدماميل. «ف» معروف. والعتيق أقوى فى جذب المواد، حار فى الثانية وعتيقه حار يابس، ضماده ينضج الدماميل، ويحلل المواد العميقة، ويستعمل منه بقدر الحاجة.

(تذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٤٦، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٣٨، ١٣٩ انظر أيضا القانون فى الطب لابن سينا ـ شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د أحمد شوكت الشطى / ٣٢٢).

*** الخميس أو الخماس:**

من أساليب القتال فى الحروب الإسلامية. أخذ الخلفاء بنظام الخماس، وذلك بترتيب القوات فى الجهات الأربع، ميمنة وميسرة، ومقدمة، وساقة (مؤخرة)، ثم جعل القلب فى الوسط. ولما ابتكرت القيادة العربية هذه التعبئة، سمى الجيش الذى يقاتل بهذا الأسلوب «الخميس» وجعلوه خمسة أقسام.

(أ) الميمنة والميسرة: فى الجناحين وتكون الميمنة عن يمين القلب، والميسرة عن يساره.

(ب) المقدمة والساقة: فى الأمام والوراء، تكون المقدمة فى طليعة القلب من الجيش والساقة وراءه.

(جـ) القلب وهو القسم الخامس ويجعلونه فى مركز الأقسام الأربعة، ويكون مقر القائد العام وحاشيته، مثلما يكون لكل قسم آخر آمر وحاشية وراية وشعار خاص وتكون الأثقال على جنب.

ولقد ظل هذا النظام مرعيا ومعمولا به قرونا عدة، فقد أخذ به الأمويون. وأخذ به العباسيون مع بعض التعديلات. ومع ذلك فهناك من قائل بأن تعبئة الكراديس بدأت فى معركة اليرموك، وكان للعرب فيها أربعون ألفا من المشاة والفرسان تحت قيادة خالد بن الوليد، فعدل فى تعبئة هذا العدد الضخم وقسم جنده إلى ٣٨ كردوسا فى كل كردوس أكثر من ألف جندى، ثم رتبهم فى ثلاث فرق، وجعل القلب مؤلفا من ١٨ كردوسا أمر عليها أبا عُبيدة والجناحين من عشرة كراديس، وكان الجناح الأيمن تحت قيادة عمرو بن العاص والأيسر ليزيد بن أبى سفيان، فى حين احتفظ خالد بالقيادة العليا.

شن البيزنطيون هجوما كاد يكون ساحقا، فأمر خالد الجناحين ـ الأيمن والأيسر ـ بالتصدى للهجوم، وحينما كان الجناحان يشغلان العدو أمر خالد القلب بالتقدم فشطر خيالة العدو عن مشاته، وبذلك فرّت خيالة العدو بعد عزلها، بيد أن خالد حال بين المسلمين وبين مطاردتها (ربما كان ذلك أفضل) وهاجمت جميع قوى المسلمين الأعداء وكان ذلك سنة ١٣ هـ/ ٦٣٤ م.

ولنقرأ بعد ذلك ما فعله الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه فى معركة صفين سنة ٣٧ هـ/ ١٥ من يوليو ٦٥٧م أى بعد معركة اليرموك بأربع وعشرين سنة فقد اتبع الخليفة أسلوب الزحف بالصفوف على نحو ما فعله النبى ﷺ واضعا مشاة المقاتلين فى صفوف ووضع حملة الدروع فى الصفوف الأمامية، ثم أمر جنده بالانتظار حتى يقترب العدو منهم وتصير رماحهم فى صدور العدو، وأشار على رجاله بأن ينحنوا على رماحهم إلى الأمام فى أثناء الهجوم ليجعل تأثيرها أشد،

ونظم الخيالة فى كراديس وكانوا مسلحين بالقسى والسيوف. وعند الالتحام وضعوا قسيهم جانبا واستخدموا السيوف، وكان جيش معاوية قرابة خمسين ألفا من الجنود يكاد يقترب عددا من جيش على. . ثم اصطدم الجيشان وكادت أن تكون مذبحة دموية لمدة يومين دون الوصول إلى نتيجة حاسمة. وفى اليوم الثالث بدا النصر يحالف عليا، وسرعان ما لجأ معاوية إلى استخدام الحيلة بأن أمر رجاله بأن يثبتوا القرآن فى أعلى رماحهم صائحين «لندع الله يقول كلمته»... وسرعان ما كان لهذه العبارة أثرها السحرى بين صفوف المجاهدين العلويين فأحجموا عن القتال. واضطر الخليفة علىٌّ إلى موافقته على اتفاقية الهدنة، واختيار بعض المحكمين لفض النزاع. وبعد ستة أشهر تقرر التحكيم لكن دون الوصول إلى نتيجة. . ومنذ ذلك الحين حدث الانشقاق العظيم بين المعسكرين، فاستقل معاوية بالشام واحتل مصر (٦٥٨ م) فى حين حكم الخليفة على العراق وفارس، وكانت قاعدته الكوفة. .

ويبدو أنه فى أيام حكم الخلفاء الراشدين استخدمت تعبئتان فى القتال، هما: نظام الصف الزاحف وتعبئة الكردوس، ويستدل على ذلك ما ورد فى مطلع خطبة الخليفة على لجنده لحضهم على القتال، قال: إن الله قد دلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، فأخبركم أنه يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص «فسووا صفوفكم وقدموا الدارع وأخروا الحاسر»، والخطبة طويلة وهى تنطوى على خلاصة نظم الحرب والقتال فى أيام الخلفاء الراشدين.

(الحرب عند العرب ــ د. عبد الرحمن زكى. كتابك (٨٨) دار المعارف ١٩٧٧ / ٤٣-٤٦).

انظر مادة «الحروب الإسلامية» فى م ١٣ / ٤٠١-٤٠٧.

*** الخميس فى أحوال أنفس نفيس:**

أورده حاجى خليفة تحت عنوان «الخميس فى أحوال النفس النفيس» وصحح بين معكوفتين إلى [فى أحوال أنفس نفيس] قال:

فى السير للقاضى حسين بن محمد الديار بكرى المالكى نزيل مكة المكرمة المتوفى بها فى حدود سنة ٩٦٠ ستين وتسعمائة [٩٦٦] وهو كتاب مشهور مرتب على مقدمة وثلاثة أركان وخاتمة المقدمة فى خلق نوره عليه الصلاة والسلام، والركن الأول فى الحوادث من المولد إلى البعثة، والثانى من البعثة إلى الهجرة والثالث من الهجرة إلى الوفاة، والخاتمة فى الخلفاء الأربعة وبنى أمية وآل عباس وغيرهم من السلاطين إلى جلوس السلطان سراد الثالث إجمالا وفرغ من تأليفه فى ثامن شعبان من سنة ٩٤٠ أربعين وتسعمائة وقد اختلف فى إعجام الخاء وإهمالها فى الخميس فقيل إنه بالمهملة سماه باسم مكة ورأيت بخط العلامة قطب الدين المكى أنه ينقط فوق الخاء وهو المشهور (كشف ١ / ٧٢٥).

يوجد مخطوطه فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى تحت عنوان «الخميس فى أحوال أنفس نفيس»:

الرقم ١٨٥٨٠

لحسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى المؤرخ المتوفى فى حدود سنة ٩٦٦ هـ / ١٥٥٩ م.

الأول: (الحمد لله الذى خلق نور نبيه قبل كل أوائل ثم خلق كل شىء من الأعالم وجعل ...).

نسخة نفيسة ناقصة قليلا من الأول كتبها بقلم النسخ عبد المنعم بن جمعة الحواوشى المصرى الأزهرى لخزانة كريمى جلبى السندى فى القسطنطينية سنة ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤ م.

القياس ٣٧٢ ص ٢٦,٥ × ١٨ سم ٢٧ س.

معجم المؤلفين ٤ / ٤٧ طبع أكثر من مرة معجم ٨٩٧.

نسخة أخرى.

جيدة الخط كتبها محمد السمان الزبيدى سنة ١٠٤٦ هـ ١٦٣٦ م تنتهى بحوادث سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م.

الرقم ١٦١٤

القياس ٦٩١ ص ٢٩ × ٢٠ سم ٢٥ س

(فهرس التاريخ والتراجم والسير / ١٦٨، ١٦٩).

كما يوجد مخطوط فى معهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى تحت عنوان «الخميس فى أحوال أنفس النفيس»:

أوله: «المعين هو الله ... الذى خلق نور نبيه قبل كل أوائل ... هذه مجموعة فى سير سيد المرسلين وشمائل خاتم النبيين».

وآخره: «ثم تولى السلطنة بعده ابنه السلطان سليمان، وهو الحادى عشر من ملوك بنى عثمان ... فى أول القرن العاشر. والله أعلم».

نسخة كتبت بقلم معتاد بخط محمد بن محمد الدسياوى. فرغ منها فى المحرم سنة ٩٦٨ هـ. وهى فى ٢٠٨ ورقات، ومسطرتها ٢٤ سطرا.

[رواق الأتراك، الأزهر ٩٤١ تاريخ] UNESCO

ويوجد جزء منه من نسخة أخرى:

يبدأ بالموطن الخامس فى وقائع السنة الخامسة من الهجرة النبوية. وآخره فى ذكر السلطان سليمان العثمانى: «وكان مولده فى أول القرن العاشر والله أعلم بالصواب ... هذا ما تيسر لجامع هذا الكتاب ... وكان فرغ من تأليفه ... سنة أربعين وتسعمائة».

نسخة كتبت بخط نسخى جيد، سنة ٩٤٩ هـ، كتبها عبد القادر بن على المصرى، فى ٢٩٠ ورقة، ومسطرتها ٢٩ سطرا.

[المدرسة الأحمدية بالموصل ٣٩] UNESCO

(فهرس المخطوطات المصورة / ١٦٣، ١٦٤).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٧٢٥، ومخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٦٨، ١٦٩، وفهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ، جـ ٢ ق ٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م / ١٦٣، ١٦٤).

انظر أيضا التاريخ والجغرافية فى العصور الإسلامية ـ عمر رضا كحالة / ١١١، ١١٢.

*** الخمسين فى أصول الدين:**

الخمسين فى أصول الدين: مختصر للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ ست وستمائة رتب على المسائل الخمسين أوله: الحمد لله الذى تحير العقول... إلخ أدرج فيه الدلائل الجلية والقواعد الأصولية (كشف ١ / ٧٢٥).

قالت المؤلفة: هذا الكتاب عندى وهو بعنوان «المسائل الخمسون فى أصول الدين» وهو العنوان الصحيح كما يتضح من صورة المخطوط ص ١٤. تحقيق د. أحمد حجازى السقا. المكتب الثقافى. القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٨٩ ويقع فى ٧٤ صفحة + ٤ فهرس.

*** الخنازير:**

مما يرد ذكره فى التراث الإسلامى فى الطب.

الخنازير: علة معروفة، وهى قروح صلبة تحدث فى الرقبة (اللسان ١٥ / ١٢٧٦) وجاء فى ذيل تذكرة أولى الألباب ما يلى:

الخنازير سميت بذلك لاعترائها الخنازير غالبا وهى أصلب منها ما ينفجر ظاهره وما ينبسط ويقرح مشققا وأسبابها التخم وتخليط الغذاء وقلة التنقية (العلاج) يلطف الغذاء ما أمكن ويستعمل الرياضة على الجوع وتنقية الأخلاط بالقىء والإسهال ثم الأضمدة المارة فى السلع كالداخليون معجونا معه رماد الإيرسا (الذيل / ١٨٢).

وقال عنها داود الأنطاكى، وقد أدرجها بين أمراض ما فوق المرىء والقصبة وأجزاء من الفم:

الخنازير صلابات كالسلع تتحجر بين الأغشية من الأخلاط الغليظة وعلاماتها الالتهاب إن كانت حارة والكمودة إن كانت عن السوداء (العلاج) تفصد الدموية ثم ينقى الخلط ويضمد بعد ذلك بكل محلل كالأشق وأحثاء البقر والبزر... ومتى لم تخالط الجلد جاز قطعها وعلاجها بعلاج الجراح وما خرج قرب الأذن منها فهو الذبحة وحكمها كالخوانيق (انظر مادة «الخوانيق») (النزهة المبهجة ٢ / ٣٨).

وقال صاحب كتاب التنوير: الخنازير: غدد صلبة متحجرة، فربما كانت واحدة، وربما كانت عدة وتكون مثل جوزة فى كيس. وتكون فى الأكثر فى العنق والإبط والأُربية (كتاب التنوير / ٣٢) الأربية: أصل الفخذ مما يلى البطن أو لحمة فيه (المعجم الوجيز/ ١١).

(لسان العرب لابن منظور ١٥ / ١٢٧٦، وذيل تذكرة أولى الألباب لمؤلف مجهول / ١٨٢، والنزهة المبهجة لداود بن عمر الأنطاكى المطبوع بهامش تذكرة أولى الألباب للمؤلف نفسه ٢ / ٣٨، وكتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية لأبى منصور الحسن بن نوح القمرى ـ تحقيق وفاء تقى الدين / ٣٢، والمعجم الوجيز / ١١).

*** الخنانى (ـ١٢٠٧ هـ):**

ذكره الجبرتى فى وفيات سنة ١٢٠٧ هـ وقال عنه:

ومات الإمام العلامة والوجيه الفهامة الشيخ أحمد بن محمد بن جاد الله بن محمد الخنانى المالكى البرهانى وجده الأخير يعرف بأبى شوشة وله مقام يزار بأم خنان بالجيزة نشأ فى طلب العلم وحضر أشياخ الوقت ولازم السيد البليدى وصار معيدا لدروسه بالأزهر والأشرفية وانتفع بملازمته له انتفاعا كليا وانتسب إليه وأجازه مطولة بخطه، ونوه بشأنه، فلما توفى شيخه المذكور تصدر لإقراء الحديث مكانه بالمشهد الحسينى، واجتمع عليه الناس وحضره من كان ملازما لحضور شيخه من تجار المغاربة وغيرهم واعتقدوا صلاحه وتحبب إليهم وواسوه بالصلاة والزكوات والنذور وواظب الإقراء بالأزهر أيضا وزيارة مشاهد الأولياء وإحياء لياليها بقراءة القرآن والذكر ويقوم دائما من الثلث الأخير من الليل ويذهب إلى المشهد الحسينى ويصلى الصبح بغلس فى جماعة. وزاد اعتقاد الناس فيه واتسعت دنياه مع المداومة على استجلابها وإمساكها. وبآخرة اشترى دارا عظيمة بحارة كتامة المعروفة الآن بالعينية بالقرب من الأزهر وانتقل إليها وسكنها. وكان يخرج لزيارة قبور المجاورين فى كل يوم جمعة قبل الشمس.

ولم يزل تعاوده الأمراض حتى توفى رحمه الله وما رأيته قط إلا وهو يتلو قرآنا أو يطالع كتابا سامحه الله تعالى.

(عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرتى ٢ / ١٥٢، ١٥٣).

***الخنثى:**

نبات أورده المظفر الرسولى نقلا عن مصدريس رمز لهما بالحرفين التاليين:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

قال:

الخنثى ــ «ع» هو نبات معروف، وله ورق شبيه بورق الكراث الشامى، فى رأسه زهر أبيض، وله أصول طوال مستديرة، شبيهة فى شكلها بالبلوط، حريفة مسخنة، ولا ينتفع من هذا الدواء إلا بأصله، كما ينتفع من اللوف بأصله، وقوته تجلو وتحلل، فإن أحرق وصار رمادا كان أشد إسخانا وتجفيفا، وأكثر تلطيفا وتحليلا، وهو يشفى داء الثعلب إذا أحرق أصله وضمد برماده، بعد حك الموضع بخرقة خشنة، وإذا شربت أدرت البول والطمث، وإذا شرب منها وزن درهمين بشراب، نفعت من وجع الجنبين والسعال ووهن العضل، وإذا أكل من أصله مقدار كف سهَّل القيء، وثلاث دراهم منه تشفى نهش الهوام. وينبغى أن يضمد موضع النهشة أيضا بالورق والأصل والزهر، مخلوطا بالشراب وطبيخ الأصل بدردى الشراب ضمادا ينفع من القروح الوسخة والخبيثة، وللأورام العارضة للثدى، والحصى والخراجات والدماميل. وماؤه وحده أو مخلوط بكندر وعسل وشراب ومر، يفتر، ويقطر فى الأذن التى يسيل منها القيح يوافقها، وفى الأذن المخالفة لناحية الضرس والوجع يسكن وجعه.

«ج» نبات ورقه كورق الكراث، وله ساق أملس، على رأسه زهر وله أصول طوال مستديرة كاللينوفر، وهو حريف، وأصله الأشراش، وهو حار يابس، وقيل: إنه بارد رطب، وهو قول بعيد، ورماده ينفع من البهق الأبيض، ويطلى به ويجلس فى الشمس، وزهره إذا نقع فى شراب ينفع ذلك الشراب من لدغ العقرب (المعتمد ١ / ١٣٩، ١٤٠).

كما أورده الشيخ داود الأنطاكى فقال عنه:

الخنثى: جبلى يطول نحو ذراع ورقه كالكراث وعليه قطع كالبلوط وأصله كالسوسن يدرك بآب (أغسطس) ويرفع فى ظل تبقى قوته عشر سنين ويحمل بزرا فى مثل أقماع البصل وهو حار يابس فى أول الثالثة يجبر الكسر ويحلل الرياح شربا ...، ويجلو الآثار كالبهق طلاء ويحلل الورم... ويبرئ داء الثعلب شربا وضمادا خصوصا برماده ويدر ويذهب اليرقان ويفتت الحصى ويلحم الجراح ويبرئ القروح الباطنة وهو يضر الكلى وتصلحه المصطكى وشربته إلى ثلاثة (التذكرة ١ / ١٤٧).

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٣٩، ١٤٠، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٤٧).

*** الخنثى المشكل:**

حكم الخنثى المشكل فى الميراث:

المراد بالخنثى المشكل، هو المولود الذى لم تتبين ذكورته، ولا أنوثته، حال ولادته، فينتظر به البلوغ ليكشف عن حاله فإذا أريد قسمة التركة فإن الطريقة التى عليها بعض أهل العلم هى أن يعطى نصف حظ ذكر، ونصف حظ أنثى (منهاج المسلم / ٤٨٩).

وجاء فى التعريفات:

الخنثى فى اللغة: من الخنث، وهو اللين، وفى الشريعة شخص له آلتا الرجال والنساء أو ليس له شىء منهما أصلا (التعريفات / ١٣٦).

وهذا الثانى مشكل لا يتضح ما دام صبيا فإذا بلغ أمكن اتضاحه، والأول قد يتضح وإن كان صبيا وقد لا يتضح ولإشكالهما أو اتضاحهما علامات منها البول والشهوة وغيرهما، ومحل ذكر ذلك وبسطه كتب الفقه والغرض هنا كيفية إرث المشكل وإرث من معه من الورثة حال إشكاله ولا يتصور أن يكون المشكل زوجا ولا زوجة لعدم صحة مناكحته ولا أبا ولا أما ولا جدا ولا جدة لأنه لو كان واحدا ممن ذكر لكان واضحا والفرض أنه مشكل.

قال صاحب الرحبية:

وإن يكون فى مستحق المال
خنثى صحيح بيِّن الإشكال
فاقسم على الأقل واليقين
تَحْظَ بحق القسم والتبيين

ويشرح سبط المارديني البيتين فيقول:

إذا مات إنسان وخلف ورثة فيهم (خنثى) مشكل (بيِّن الإشكال) أى ظاهر الإشكال فيعامل هو ومن معه من الورثة بأصغر الأمرين من ذكورة الخنثى وأنوثته فيعطى كل واحد الأقل المتيقن عملا بـ (اليقين) ويوقف الباقى إلى اتضاح حال المشكل فيعمل بحسبه أو إلى أن يصطلحوا فلو مات عن ابن وولد خنثى مشكل فبتقدير ذكورة الخنثى يكون المال بينه وبين الابن بالسوية لكل واحد منهما نصف المال، وبتقدير أنوثته يكون للخنثى الثلث وللابن الثلثان فيقدر الخنثى أنثى فى حق نفسه فيأخذ الثلث فقط ويقدر ذكرا فى حق الابن فيأخذ الابن النصف لأنه متيقن به ويوقف السدس الباقى بينهما حتى يتضح حال المشكل أو يصطلحا.

وعلم من مفهوم كلامه أنه لو لم يختلف نصيب الخنثى أو لم يختلف نصيب غيره لمن معه من الورثة أنه يعطى نصيبه كاملا لأنه الأقل فلو خلف أخا شقيقا وولد أم خنثى مشكلا كان له السدس فرضا لأنه لا يختلف بذكورته ولا بأنوثته وللشقيق الباقى، ولو خلف بنتا وولد أبوين أو ولد أب خنثى مشكلا فللبنت النصف فرضا وللخنثى الباقى تعصيبا لأنه إما عصبة بنفسه أو عصبة مع غيره، ولو خلف زوجة وأما وولدا خنثى مشكلا وابنا فللزوجة الثمن وللأم السدس لأن فرضهما لا يختلف بذكورة الخنثى ولا بأنوثته وللخنثى ثلث الباقى وللابن نصف الباقى ويوقف سدس الباقى بينهما. فمسألة ذكورته تصح من ثمانية وأربعين ومسألة أنوثته تصح من اثنين وسبعين والجامعة لهما مائة وأربعة وأربعون لتوافقهما بثلثى الثمن للزوجة منها ثمانية عشر، وللأم أربعة وعشرون، وللخنثى بتقدير أنوثته أربعة وثلاثون، وللابن أحد وخمسون بتقدير ذكورة الخنثى، والموقوف بينهما سبعة عشر. وفهم من كلام الناظم أيضا أنه لو كان الخنثى أو غيره من الورثة يرث بتقدير ولا يرث بتقدير آخر لم يعط شيئا لأن الأقل هو لا شىء له فلو ترك ولدا خنثى مشكلا وعما فبتقدير ذكورته له الكل ولا شىء للعم، وبتقدير أنوثته له النصف فرضا والباقى للعم فيقدر ذكرا فى حق العم وأنثى فى حق نفسه فيعطى الخنثى النصف ويوقف النصف الآخر بينه وبين العم، ولو خلفت زوجا وولد أخ خنثى مشكلا وعمًّا، فللزوج النصف والباقى للخنثى بتقدير ذكورته ولا شىء له بتقدير أنوثته لأن بنت الأخ ساقطة فيكون الباقى للعم فلا يعطى الخنثى ولا العم شيئا ويوقف النصف الباقى بينهما إن ظهر الخنثى ذكرا أخذه أو أنثى أخذه العم (شرح الرحبية / ٨، ٦٩).

(١) ذكورية

	٤٨
زوجة	٦
أم	٨
خنثى	١٧
ابن	١٧
٠	٠

(٢) أنوثته

	٧٢	١٤٤
زوجة	٩	١٨
أم	١٢	٢٤
خنثى	١٧	٣٤
ابن	٣٤	٥١
٠	٠٠	١٢٧
		١٧

انتهى من الحاشية

باقى موقوف. انتهى من الحاشية

(منهاج المسلم ــ أبو بكر جابر الجزائرى / ٤٨٩ ، والتعريفات للشريف الجرجانى ــ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٦ ، وشرح الرحبية فى الفرائض لأبى عبد الله محمد بن على الرحبى ـ شرح الشيخ محمد بن محمد سبط المارديني / ٦٨ ، ٦٩).

انظر خلاصة الفرائض.

*** الخنجر:**

من أسلحة العرب الهجومية.

يعرف بالصلت وهو السكين الكبيرة أو المدية ، استعمل فى معظم البلاد العربية والإسلامية وانتقل إلى البلقان.

(الحرب عند العرب ــ د. عبد الرحمن زكى. كتابك (٨٨)، دار المعارف ١٩٧٧ / ٣٥).

*** الخندروس:**

ذكره المظفر الرسولى نقلا عن مصدرين رمز لهما بالحرفين التاليين:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

قال: الخنْدروس «ع» هو غذاء جيد مثل الحنطة. وهو صنف له حبتان، وهو أغذى من الأرز، وأشد عقلا للبطن، وأجود للمعدة ، وهو حب له تغرية وسحوج ، ومزاجه شبيه بمزاج الحنطة ، إلا أنه أشد لزوجة منها ، فلذلك يمكن فيه الإنضاج كما يمكن فى الحنطة ، وإذا طبخ بخل وتضمد به قلع الجرب المتقرح ، وأبرأ الأظفار إذا عرض لها تشقق أو تقشر ، وأبرأ النواصير العارضة فى المآقى ، ويعمل من طبيخه حقنة نافعة من قرحة الأمعاء التى يعرض معها ألم مؤذ. «ج» هو الحنطة الرومية ، وهى حارة رطبة لزجة ، غذاؤها أبرد من غذاء الحنطة غير الرومية ، وجيده الكبار الحديث الرزين ، وهو حار رطب ، الممضوغ منه ينفع الأورام الجاسية ، ودقيقها خاصة بالزعفران دواء للكلف. الشربة: بقدر الكفاية (المعتمد ١ / ١٣٩).

كما ذكره داود الأنطاكى فقال عنه: الخندروس: الحنطة الرومية تشبه الحنطة لكنها خشنة وحبها ليس بالمستطيل وهى حارة يابسة فى الثانية إذا شربت حللت البلغم والدم الجامد ونفعت من النهوش طلاء أيضا ويضمد بها المستسقى فتحلل ترهله وتقوى الأعصاب وكذا نطولها (التذكرة ١ / ١٤٦ ، ١٤٧).

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٣٩ ، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٤٦ ، ١٤٧).

*** الخندق (غزوة):**

وهى غزوة الأحزاب. قال الإمام النووى:

الخندق المذكور فى قولهم يوم الخندق تكرر ذكره فى هذه الكتب هو خندق مدينة رسول الله ﷺ حفره رسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله تعالى عنهم لما تحزبت عليهم الأحزاب فيوم الخندق هو يوم الأحزاب وكان فى سنة أربع من الهجرة وقيل سنة خمس وكانت مدة حصارهم خمسة عشر يوما ثم أرسل الله تعالى على الكفار ريحا وجنودا لم يرها المسلمون فهزمهم بها. فى صحيح البخارى فى أول باب غزوة الخندق قال قال موسى بن عقبة كانت غزوة الخندق فى سنة أربع. وحديث ابن عمر عرضت يوم أحد ويوم الخندق (تهذيب الأسماء واللغات ٣ / ١٠٢).

قال الإمام ابن الديبع: غزوة الخندق وهى الأحزاب، وكانت فى شوال سنة أربع.

١ ــ عن أنس رضى الله عنه قال: «خرج النبى ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم. فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة.

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدا
على الجهاد ما بقينا أبدا»

أخرجه الشيخان والترمذى:

٢ ــ وعن البراء رضى الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ وهو ينقل معنا التراب، ولقد وارى التراب بياض بطنه، وهو يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا

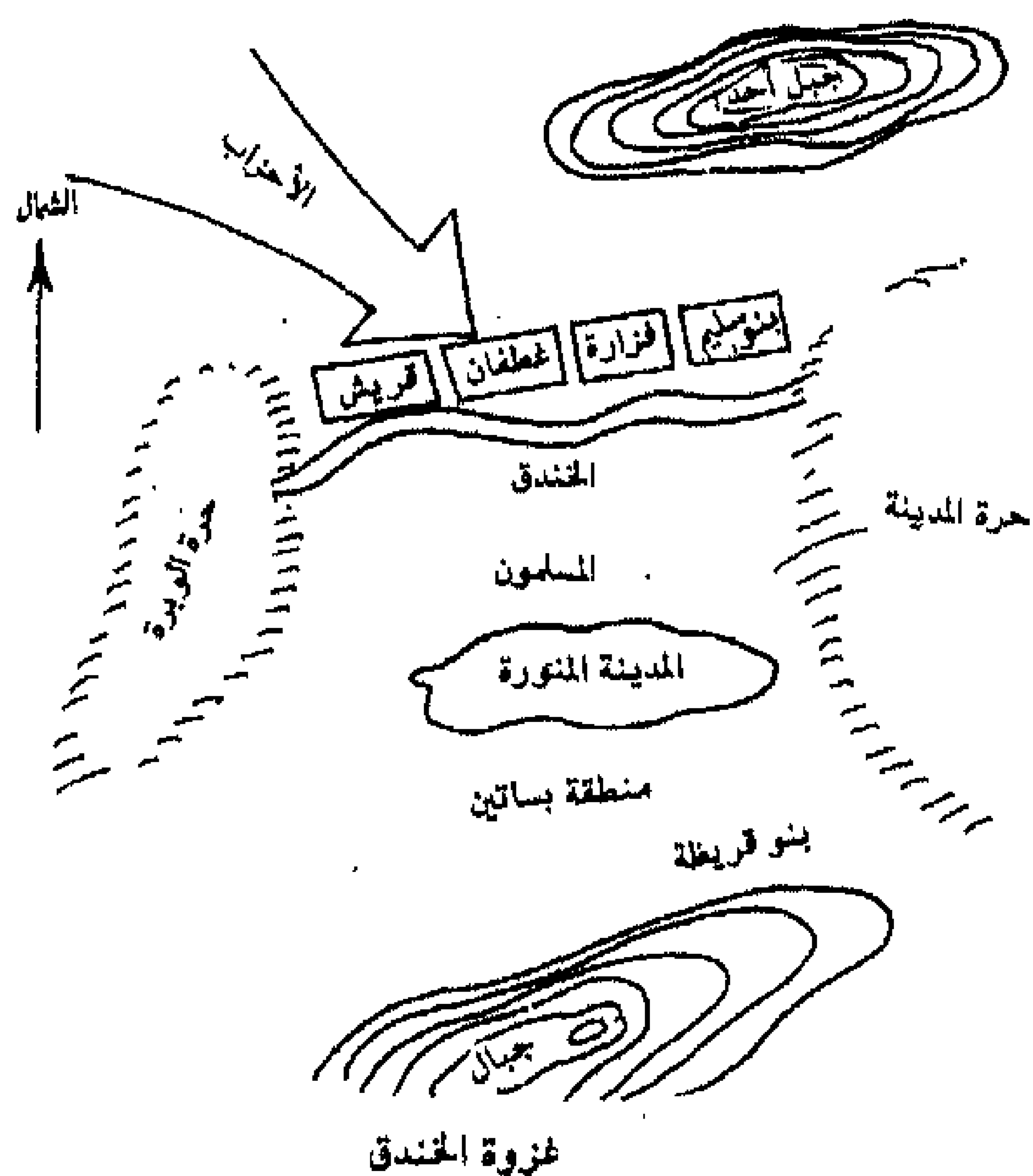
فأنـــــــــزلن سكينـــــــــة علينـــــــــا
وثبت الأقـــــــــدام إن لاقينـــــــــا
والمشـــــركـــــون قـــــد بغـــــوا علينـــــا
إذا أرادوا فتنـــــــــــة أبينـــــــــــا

ويرفع بها صوته». أخرجه الشيخان.

٣ ـ وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «لما رجع النبى ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل وهو ينفض على رأسه من الغبار، فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعناه. اخرج إليهم. فقال: فإلى أين؟ قال: هاهنا وأشار إلى بنى قريظة فخرج إليهم. فنزلواعلى حكمه. فرد الحكم إلى سعد بن معاذ. فقال: إنى أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم، وكان سعد أصيب يوم الخندق فى أكحله فضرب عليه ﷺ خيمة فى المسجد ليعوده من قريب، وفى رواية قال سعد: اللهم إنك تعلم أنه ليس قوم أحب إلىَّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه. اللهم فإنى أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقى من حرب قريش شىء فأبقنى حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتى فيها. فانفجرت من ليلته فلم يرعهم، وفى المسجد خيمة من بنى غفار، إلا الدم يسيل إليهم. فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الذى يأتينا من قبلكم. فإذا سعد يغذو جرحه دما. فمات منها» أخرجه الشيخان.

(الأكحل) عرق فى وسط اليد يكثر فصده. وقوله (فلم يرعهم) أى فلم يفزعهم إلا هو، والروع الفزع. وقوله (يغذو) غذا الجرح بالذال المعجمة يغذو غذوا: إذا سال دما.

٤ ـ وعن جابر رضى الله عنه قال: «إن سعد بن معاذ رُمِى يوم الأحزاب قطعوا أكحله أو أبجله. فحسمه رسول الله ﷺ بالنار فانتفخت يده فنزفه الدم. فحسمه أخرى فانتفخت يده. فلما رأى ذلك قال: اللهم لا تخرج نفسى حتى تقر عينى من بنى قريظة فاستمسك عرقه، فما قطر قطرة حتى نزلوا على حكمه، فحكم فيهم أن تقتل رجالهم وتستحيا نساؤهم. فقال ﷺ: أصبت فيهم حكم الله، وكانوا أربعمائة. فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات رضى الله عنه» أخرجه الترمذى وصححه.



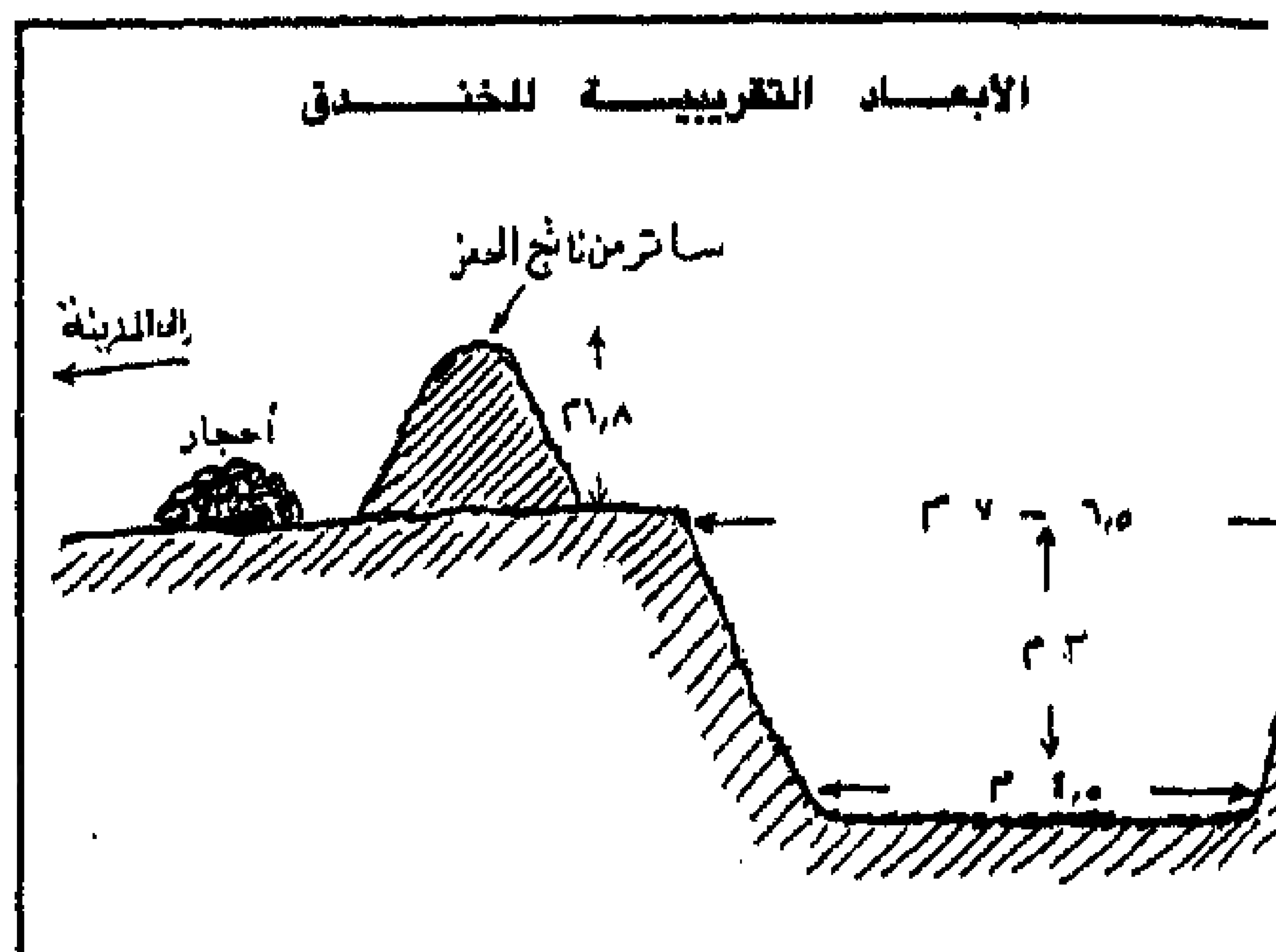
غزوة الخندق

(الحسم) الكى لينقطع الدم (والاستحياء) الإبقاء وهو استفعال من الحياة.

(تيسير الوصول ٣/ ١٨٥ـ١٨٧).

وتفصيل ذلك كما أورده ابن عبد البر هو كما يلى. قال رحمه الله: ثم كانت غزوة الخندق فى شوال من السنة الخامسة، وكان سببها أن نفرا من اليهود، منهم كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، وسلام بن مشكم، وحيى بن أخطب النضريون، وهوذة بن قيس وأبو عمار من بنى وائل ـ وهم كلهم يهود، وهم الذين حزبوا الأحزاب وألّبوا وجمعوا ـ خرجوا فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل، فأتوا مكة، فدعوا قريشا إلى حرب رسول الله ﷺ ووعدوهم من أنفسهم بعون من انتدب إلى ذلك، فأجابهم أهل مكة إلى ذلك. ثم خرج اليهود المذكورون إلى غطفان فدعوهم إلى مثل ذلك فأجابوهم.

فخرجت قريش يقودهم أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى على فزارة والحارث بن عوف المرى على بنى مرة ومسعود بن رخيلة على أشجع. فلما سمع رسول الله ﷺ باجتماعهم وخروجهم إليه شاور أصحابه، فأشار عليه سلمان بحفر الخندق، فرضى رأيه. وقال المهاجرون يومئذ: سلمان منا، وقالت الأنصار: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: سلمان منا أهل البيت.



وعمل المسلمـــون في الخنـــدق مجتهـــدين، ونكص المنافقون، وجعلوا يتسللون لواذا فنزلت فيهم آيات من القرآن ذكرهـا ابن إسحاق وغيـره. وكـان من فـرغ من المسلمين من حصته عاد إلى غيره فأعانه حتى كمل الخندق. وكان فيه آيات بينات وعـلامات للنبوات مـذكورات عند أهل السيـر والآثار، منها أن كدية (الكدية: الحجر الضخم الصلد) اعتاصت على المسلمين، فدعوا رسول الله ﷺ إليها، فضربها بالفأس ضربة طار منها الشرار وقطع منها الثلث، وقال: الله أكبر فتح قيصر والله إني لأرى القصـور الحمر. ثم ضـرب الثـانية فقطع منهـا الثلث الثـاني. وقـال: والله أكبـر فتح كسـرى والله إني لأرى القصور البيض ثم ضرب الثالثة فقطع الثلث الباقي، وقال الله أكبر فتح اليمن والله إني لأرى باب صنعاء (وكأنما سلم رسول الله ﷺ لأصحابه في ذلك اليوم مفاتيح تلك البلدان).

وقـد نصـر الله عبـده وصـدق وعـده، والحمـد لله رب العالمين. (وقـد اختلف في مدة حفـر الخندق، فقيل: كمل في ستة أيـام، وقيل: في بضعة عشـر يومـا، وقيل: في أربعة وعشرين يوما).

فلما فرغ رسـول الله ﷺ أقبلت قـريش في نحو عشرة آلاف بمن معهم من كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان من أهل نجد حتى نزلـوا إلى جانب أُحد. وخرج رسـول الله ﷺ والمسلمون حتى نـزلوا ــ بظهر سلع (أي أنهم نـزلوا بسفحـه وجعلوا إليـه ظهورهم) في ثلاثة آلاف، وضربوا عسكرهـم، والخندق بينهم وبين المشركين. واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم في قول ابن شهاب.

(في بعض المصادر أن قـريشا ومن معها من كنـانة وأهل تهـامة كـانـوا أربعة آلاف وكـان معهم ثـلاثمائة فـارس وألف وخمسمـــائة بعير وأن جميع من وافـي الخنـدق من قـريش وغطفان والعرب كانوا عشرة آلاف).

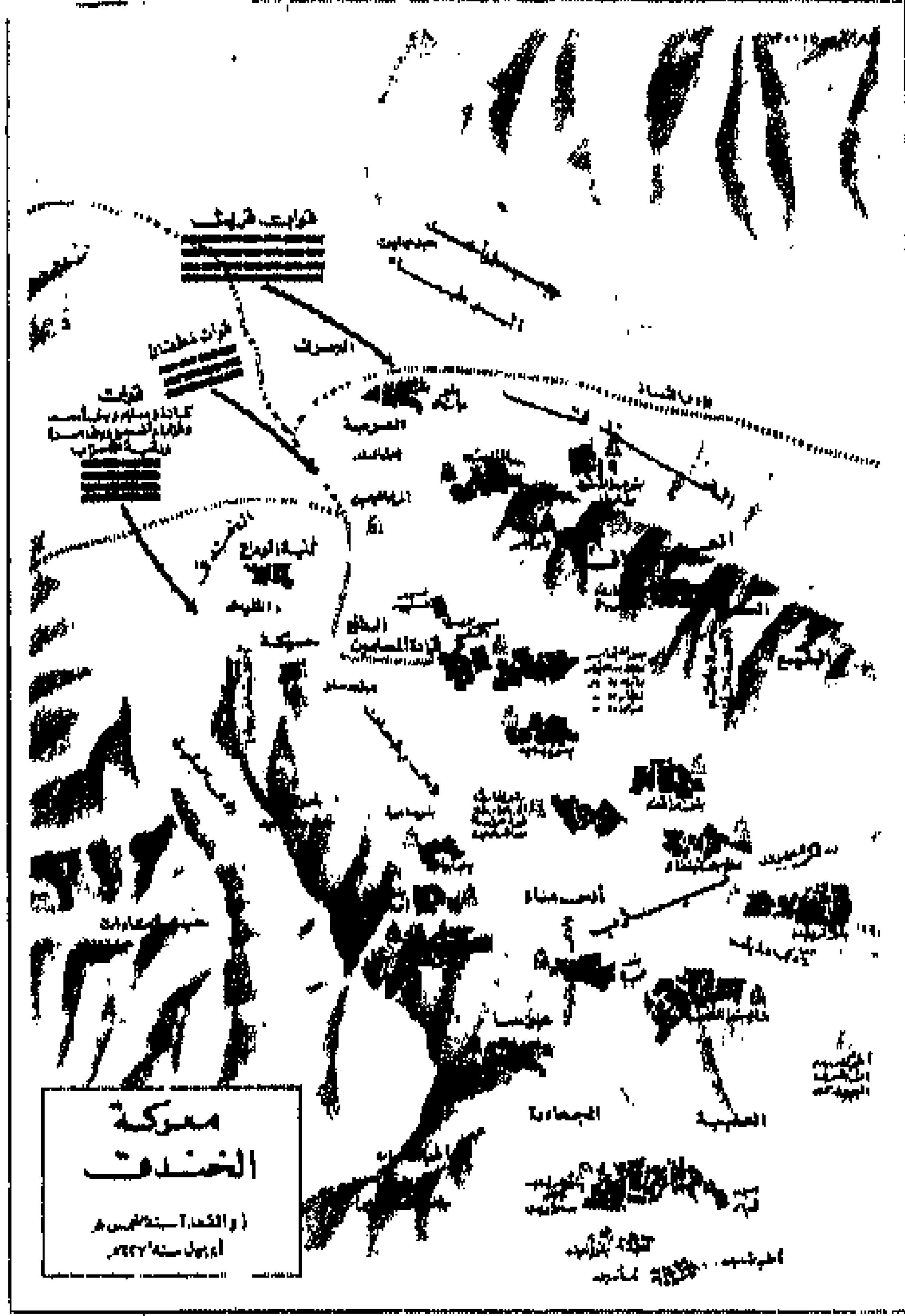
وخـرج عدو الله حيي بن أخطب النضـري حتى أتى كعب ابن أسـد القرظي وكـان صـاحب عقـد بني قريظـة ورئيسهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ وعاقده وعاهده. فلما سمع كعب ابن أسـد بحيي بن أخطب أغلق دونـه باب حصنـه، وأبى أن يفتح له، فقال له: افتح لي يـا كعب بن أسد، فقال: لا أفتح لك فإنك رجل مشئوم تدعوني إلى خلاف محمـد وأنا عاقدته وعاهـدته ولم أر فيه إلا وفـاء وصدقا، فلست بنـاقض ما بيني وبينـه، فقـال حيي: افتح لي حتى أكلمك فأنصـرف عنك، قال: لا أفعل، قـال: إنما تخـاف أن آكل معك جشيشتك. فغضب كعب وفتح له، فقـال حيي: إنما جئتك بعز الـدهر: جئتك بقريش وسـادتها وغطفان وقـادتها قد تعـاقدوا على أن يستأصلوا محمدًا ومن معه. فقـال له كعب: جئتني والله بذل الـدهر وبجهـام لا غيث فيـه، ويحك يـاحيي! دعني فلست بفاعـل ما تدعوني إليه. فلم يـزل حيي بكعب يعـده ويغره، حتى رجع إليـه وعاهده علـى خذلان النبي ﷺ وأصحـابه وأن يصيـر معهم. وقال لـه حيي بن أخطب: إن انصرفت قـريش وغطفان دخلت عنـدك بمن معي من يهود. فلمـا انتهى خبر كعب وحيي إلى رسول الله ﷺ والمسلمين بعث سعد بن عبادة وهو سيـد الخزرج وسيـد الأوس سعد بن معـاذ وبعث معهما عبد الله بن رواحة وخوَّات بـن جبير، وقال لهم رسول الله ﷺ: انطلقوا إلى بني قريظة فإن كان ما قيل لنـا حقا فالحنوا لنا لحنا نعرفه، ولا تفتوا في أعضاد المسلمين، وإن كان كذبا فاجهروا به للناس (اللحن: أصله العدول عن طريق الصواب وهو ضد النحو فإنه قصد الطريق الصواب، والمراد ههنا: تكلموا بكلام يفهم منـه الغـرض ولا يفهمـه غيـرنـا. وهكـذا المعـاريض والتـوريـة، وهـو أصل في جـواز الكنـايـة بـالمظنـات وبالمرجمـات. ويحتاج المرء إلى ذلك إما دينـا أو دنيا حيث يحتاج إلى الكتمان. وعلى هذا حمل قوله:

منطق صائب وتلحن أحيا
نا وخير الكلام ما كان لحنا

أي تورى فى كلامها وتعرض. وبهذا فسره الحجاج بن يوسف لامرأته هند بنت أسماء، وكانت أخت هذا الشاعر مالك بن أسماء. وبلغ الحديث الجاحظ وقد فسر البيت فى كتاب البيان والتبيين بأن المراد باللحن الخطأ فندم، واعترف بأنه أخطأ، فقيل له: هلا تغيره؟ فقال كيف؟ قد سارت به البغال الشهب وأنجد فى البلاد وغار. وفى الحديث ما يدل على أنه لا يجوز التخذيل ولا إشاعة الأخبار الموهنة للمسلمين وإن كانت صحيحة، بل تطوى ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ والله أعلم انظر الروض الأنف ٢ / ١٩٠)، فانطلقوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما قيل لهم عنهم، ونالوا من رسول الله ﷺ. وقالوا: لا عهد له عندنا. فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكانت فيه حدة، فقال له سعد بن عبادة: دع عنك مشاتمتهم، فالذى بيننا وبينهم أكبر من المشاتمة. ثم أقبل سعد وسعد حتى أتيا رسول الله ﷺ فى جماعة المسلمين، فقالا: عضل والقارة. يعرضان بغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع: خُبيب وأصحابه. فقال رسول الله ﷺ: أبشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف، وأتى المسلمين عدوُّهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظنوا بالله الظنون (من فوقهم: أى من فوق الوادى من قبل المشرق حيث كانت غطفان وجموعها، ومن أسفل منهم أى من بطن الوادى من قبل المغرب حيث كانت قريش وجموعها، وفى ذلك نزلت الآية: ﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا﴾ [الأحزاب: ١٠].

وأظهر المنافقون كثيرا مما كانوا يسرون، فمنهم من قال: إن بيوتنا عورة فلننصرف إليها، فإنا نخاف عليها (وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا﴾ [الأحزاب: ١٣]) وممن قال ذلك أوس بن قيظى - إلا أنه مع ذلك ولد ولدا سيدا فاضلا وهو عرابة بن أوس الذى قال فيه الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد
تلقاها عرابة باليمين



وقد قيل إن له صحبة بالنبى ﷺ. ومنهم من قال: يعدنا محمد أن نفتح كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط، وممن قال ذلك معتب بن قشير أحد بنى عمرو بن عوف.

وأقام رسول الله ﷺ وأقام المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر لم يكن بينهم حرب إلا الرمى بالنبل والحصا. فلما رأى رسول الله ﷺ أنه اشتد على المسلمين البلاء بعث إلى عيينة بن حصن الفزارى وإلى الحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة لينصرفا بمن معهما من غطفان وأهل نجد ويرجعا بقومهما عنهم. وكانت هذه المقالة مراوضة ولم تكن عقدا. فلما رأى رسول الله ﷺ أنهما قد أنابا (أى رجعا) ورضيا أتى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر ذلك لهما واستشارهما، فقالا: يارسول الله هذا أمر تحبه فنصنعه لك، أو شىء أمرك الله به فنسمع له ونطيع، أو أمر تصنعه لنا؟ قال: بل أمر أصنعه لكم، والله ما أصنعه إلا لأننى قد رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة. فقال له سعد بن معاذ: يارسول الله، والله لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد

الله ولا نعرفه وما طمعوا قط أن ينالوا منا ثمرة إلا بشراء أو قرى (القرى: الضيافة) فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك نعطيهم أموالنا، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فسُر رسول الله ﷺ بذلك، وقال لهم: أنتم وذاك. وقال لعيينة والحارث: انصرفا، فليس لكم عندنا إلا السيف. وتناول الصحيفة (هي كتاب كان الرسول وعيينة بن حصن والحارث بن عوف قد كتبوه ليكون عقدا بينهم ولكن دون شهادة وكأنه كان نسخة للمراجعة). وليس فيها شهادة فمحاها.

فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون على حالهم والمشركون يحاصرونهم ولا قتال منهم إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو ابن عبد ود العامري من بني عامر بن لؤي، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، وضرار بن الخطاب الفهري - وكانوا فرسان قريش وشجعانهم - أقبلوا حتى وقفوا على الخندق. فلما رأوه قالوا إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثم تيمموا (أي قصدوا) مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيلهم فاقتحمت منه وصاروا بين الخندق وبين سلع. وخرج على بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها، وأقبلت الفرسان نحوهم. وكان عمرو بن عبد ود قد أثبتته الجراح يوم بدر، فلم يشهد أُحدًا وأراد يوم الخندق أن يُرى مكانه. فلما وقف هو وخيله نادى: هل من مبارز؟ فبرز له على بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال له: يا عمرو إنك عاهدت الله فيما بلغنا عنك أنك لا تدعى إلى إحدى خلتين إلا أخذت إحداهما، قال: نعم، وقال: إني أدعوك لله عز وجل والإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك. قال: وأدعوك إلى البراز، قال: يا بن أخي والله ما أحب أن أقتلك لما كان بيني وبين أبيك، فقال له علي: أنا والله أحب أن أقتلك. فحمي عمرو بن عبد ود العامري ونزل عن فرسه، وسار نحو عليٍّ، فتنازلا وتجاولا، وثار النقع بينهما حتى حال دونهما، فما انجلى النقع حتى رؤى عليٌّ على صدر عمرو يقطع رأسه. فلما رأى أصحابه أنه قد قتله علي اقتحموا بخيلهم الثغرة منهزمين هاربين، وقال علي - رضي الله عنه - في ذلك:

نصر الحجارةَ من سفاهة رأيه
ونصرتُ دين محمد بضراب
لا تحسبن الله خاذل دينه
ونبيه يا معشر الأحزاب
نازلته وتركته متجدلا
كالجذع بين دكادك وروابي

(في البيت الأول: يريد بالحجارة الأنصاب التي كانوا يقدسونها ويذبحون لها. وفي البيت الثالث: متجدلا: لاصقا بالأرض، والدكادك: جمع دكدك وهو الرمل اللين. والروابي: التلال والمرتفعات).

ورُمي يومئذ سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل (وهو وريد في الذراع يكثر فصده، أو هو عرق الحياة وفي كل عضو منه شعبة) رماه حبان بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي. فلما أصابه قال له: خذها إليك وأنا ابن العرقة، فقال له سعد: عرق الله وجهك في النار، وقيل: بل الذي رماه أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم.

ولحسان بن ثابت مع صفية بنت عبد المطلب خبر طريف يومئذ - وكان حسان قد تخلف عن الخروج مع الخوالف بالمدينة - ذكره ابن إسحاق وطائفة من أهل السير، وقد أنكره منهم آخرون، فقالوا لو كان في حسان من الجبن ما وصفتم لهجاه بذلك من كان يهاجيه في الجاهلية والإسلام، ولهُجي بذلك ابنه عبد الرحمن، فإنه كان كثيرا ما يهاجي الناس من شعراء العرب مثل النجاشي وغيره.

وأتى رسول الله ﷺ نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي، فقال: يارسول الله إني قد أسلمت، ولم يعلم قومي بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال له رسول الله ﷺ: إنما أنت رجل واحد من غطفان، فلو خرجت فخذّلت عنا كان أحب إلينا من بقائك فاخرج فإن الحرب خدعة. فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة - وكان ينادمهم في الجاهلية - فقال: يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة مابيني وبينكم، قالوا: قل، فلست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، وفيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه (أي أعنتموهم وساعدتموهم) فإن رأوا نهزة أصابوا وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل، ولا طاقة لكم به، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا

منهم رهنًا . ثم خرج حتى أتى قريشا ، فقال لهم : قد عرفتم ودى لكم معشر قريش وفراقى محمدًا وقد بلغنى أمر أرى من الحق أن أبلغكموه نصحا لكم ، فاكتموا علىَّ ، قالوا : نفعل قال : أتعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ماكان من خلافهم محمدًا وأرسلوا إليه إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ من قريش وغطفان رهنًا رجالاً ونسلمهم إليكم لتضربوا أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى تستأصلهم . ثم أتى غطفان ، فقال مثل ذلك . فلما كانت ليلة السبت وكان ذلك من صنع الله عز وجل لرسوله وللمؤمنين أرسل أبو سفيان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان يقول لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخفُّ والحافر (الخف : الإبل ، والحافر: الخيل) فاغدوا صبيحة غد للقتال حتى نفاجىء محمدًا . فأرسلوا إليهم إن اليوم يوم السبت ، وقد علمتم ما نال منا من تعدى فى السبت ، ومع ذلك فلا نقاتل معكم أحدًا حتى تعطونا رهنًا . فلما رجع الرسول بذلك قالوا : صدقنا والله نعيم بن مسعود . فردوا إليهم الرسل ، وقالوا : والله لا نعطيكم رهناً أبدًا ، فاخرجوا معنا إن شئتم ، وإلا فلا عهد بيننا وبينكم ، فقال بنو قريظة : صدق والله نعيم بن مسعود . وخذل بينهم واختلفت كلمتهم وبعث الله عليهم ريحًا عاصفا فى ليال شديدة البرد ، فجعلت الريح تقلب أبنيتهم ، وتكفأ قدورهم (أى تقلبها) .

فلما اتصل برسول الله ﷺ اختلاف أمرهم بعث حذيفة بن اليمان ليأتيه بخبرهم ، فأتاهم واستتر فى غمارهم ، وسمع أبا سفيان يقول : يا معشر قريش ليتعرف كل امرىء منكم جليسه . قال حذيفة : فأخذت بيد جليسى وقلت : من أنت؟ فقال : أنا فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، ولقد هلك الكراع والخف (الكراع : الخيل ، والخف : الإبل) وأخلفتنا بنو قريظة ولقينا من هذه الريح ما ترون ، ما يستمسك لنا بناء ولا تثبت لنا قدر ولا تقوم لنا نار ، فارتحلوا ، فإنى مرتحل . ووثب على جمله . فما حل عقال يده (أى يد البعير) لا وهو قائم . قال حذيفة : ولولا عهد رسول الله ﷺ إلى إذ بعثنى ، وقال لى : سر إلى القوم فاعلم ما هم عليه ولا تحدث شيئا لقتلته بسهم . ثم أتيت رسول الله ﷺ عند رحيلهم فوجدته قائمًا يصلى ، فأخبرته ، فحمد الله .

ولما أصبح رسول الله ﷺ وقد ذهب الأحزاب رجع إلى المدينة (وكان رجوعه من غزوة الخندق يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من ذى القعدة) ووضع المسلمون سلاحهم ، فأتاه جبريل ـ ﷺ ـ فى صورة دحية بن خليفة الكلبى على بغلة عليها قطيفة ديباج فقال له : يا محمد إن كنتم قد وضعتم سلاحكم فما وضعت الملائكة سلاحها ، إن الله يأمرك أن تخرج إلى بنى قريظة وإنى متقدم إليهم فمزلزل بهم .

فأمر رسول الله ـ ﷺ ـ منادياً ينادى فى الناس : لا يصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة . وكان سعد بن معاذ إذ أصابه السهم دعا ربه ، فقال : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها ، فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه ، اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة (الدرر / ١٦٩ ـ ١٧٧) .

ويتناول اللواء أ.ح محمد جمال الدين محفوظ أحداث غزوة الخندق مركزا على عملية حفر الخندق باعتباره التنظيم الهندسى للدفاع عن المدينة المنورة ، فيقول ، مستخدما المصطلحات العسكرية الحديثة :

الخندق لأول مرة فى الإسلام :

علم الرسول ﷺ بتجهز المشركين لمهاجمة المدينة فشاور أصحابه فأشار سلمان الفارسى بحفر خندق للدفاع عن المدينة ، ولم يكن حفر الخنادق للأغراض الدفاعية معروفًا عند العرب من قبل .

قال سلمان : «يارسول الله ، إنا كنا بأرض فارس إذا خفنا العدو . خندقنا علينا» .

وقد أخذ الرسول ـ ﷺ ـ بما أشار سلمان وخرج فى نفر من المهاجرين والأنصار يستطلع الأرض ، فارتاد موضعا فى شمال المدينة واختط فيه الخندق ، وكان شمال المدينة هو الناحية المكشوفة التى يستطيع المشركون أن يدخلوا المدينة منها (انظر الخريطة) .

وجاء فى مغازى الواقدى : «وكان الخندق ما بين جبل بنى عبيد بخربى ، إلى راتج فكان للمهاجرين من ذباب إلى راتج ، وكان للأنصار ما بين ذباب إلى خربى ، فهذا هو الذى حفره رسول الله ﷺ ـ والمسلمون وشبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية ، وهى كالحصن .

وخندقت بنو عبد الأشهل على نفسها مما يلى راتج إلى خلفها حتى جاء الخندق من وراء المسجد، وخندقت بنو دينار من عند خربى إلى موضع دار ابن أُبى، ورفع المسلمون النساء والصبيان إلى الآطام (الحصون)».

العوامل التى حكمت تخطيط الخندق:

لقد كانت طبيعة الأرض فى المنطقة من أهم العوامل التى حكمت تخطيط الخندق وقضت أن يكون «خط الدفاع الرئيسى» عن المدينة من الجهة الشمالية، فقد كانت المدينة محاطة بموانع طبيعية فى الجهات الثلاثة الأخرى، فمن جهة الشرق كانت حرة واقم (الحرَّة: أرض فيها حجارة سود متشيطة، أى صخور بركانية) ومن الغرب كانت حرة وبرة، ومن الجنوب كان جبل سلع.

وبالإضافة إلى ذلك كانت آطام (حصون) بنى قريظة فى الجنوب الشرقى تكمل نطاق الأمن من جهة الجنوب إلا إذا غدر بنو قريظة بعهدهم الذى كان بينهم وبين المسلمين بألا يناصروا عليهم عدوا.

كما أن بقية المدينة قد تم تحصينها بسد الفرج بين البيوت حتى أصبحت كالحصن.

التنظيم الهندسى للخندق (انظر الرسم).

اتساع الخندق.

لم نوفق فى المصادر والمراجع لنص صريح موثق يحدد اتساع الخندق، ولكن يمكن أن نصل إلى معرفة اتساعه على وجه يكون أقرب ما يمكن إلى الحقيقة بدراسة العوامل الآتية:

لقد كان الغرض من حفر الخندق هو منع فرسان العدو من اقتحامه وعبوره، فلا بد أن يكون اتساعه وعمقه بحيث لا تستطيع الخيل اقتحامه.

(٢) الجواد العربى يستطيع تخطى الخنادق التى اتساعها ثمانية أمتار، وذلك طبقا لرأى الاتحاد المصرى للفروسية الذى استطلعنا رأيه فى هذا الشأن على أنه يمكن تخفيض هذا الرقم قليلا بالنظر إلى اختلاف ظروف وإمكانات إعاشة الخيل والعناية بها وتدريبها على القفز بين ذلك الوقت والوقت الحاضر.

(٣) ورد فى الموسوعة العسكرية (٢/ ١٨٢) أن عرض الخندق فى غزوة الأحزاب كان حوالى ٦ أمتار. كما جاء فى كتاب: «الفن الحربى فى صدر الإسلام» مايلى: «وأظن أن قفزة الجواد الجيد تقارب الأمتار الستة» إلا أننا نقدر عرض الخندق ما بين ٥,٦ م إلى ٧ أمتار ودلينا على ذلك مايلى:

أ- أدرك فرسان المشركين بعد استطلاعهم للخندق أن اتساعه يتجاوز قدرة خيلهم على القفز الطويل، فجعلوا يطوفون بالخندق بحثا عن مكان يضيق فيه ليعبروا منه، وحتى عند محاولتهم العبور فى المكان الضيق لم يكن الأمر سهلا بل إنهم اضطروا إلى استخدام القسوة مع خيلهم حتى تعبر.

روى البيهقى عن ابن إسحاق، ومحمد بن عمر عن شيوخه قال: «فجعلوا (أى المشركين) يطوفون بالخندق يطلبون مضيقا، يريدون أن يقحموا خيلهم إلى النبى - ﷺ - فتيمموا مكانا من الخندق ضيقا قد أغفله المسلمون فجعلوا يكرهون خيلهم ويضربونها حتى اقتحمت».

ب- بعض الذين حاولوا اقتحام الخندق فشلوا وسقطوا فيه.

فقد روى أبو نعيم أن رجلا من آل المغيرة قال: لأقتلن محمدا، فأوثب فرسه فى الخندق فوقع، فاندقت عنقه».

أما عرض الخندق عند القاع فيقدر بأربعة أمتار ونصف تقريبا لضرورة ذلك هندسيا لضمان ثبات الرمال عند حافتى الخندق، وعدم انهيارها إلى داخله.

عمق الخندق.

كان عمق الخندق حوالى ثلاثة أمتار (أى خمسة أذرع ومتوسط طول الذراع ستون سنتيمترا).

فقد ذكر الحلبى وهو يصف قدرة سلمان الفارسى الخارقة عند حفر الخندق: «كان رجلا قويا يعمل عمل عشرة رجال فى الخندق أى فكان يحفر فى كل يوم خمسة أذرع فى عمق خمسة أذرع» وهذا العمق مع الاتساع السابق ذكره يحقق الهدف المطلوب وهو منع الخيل من اقتحام الخندق.

نصيب الفرد الواحد فى الحفر.

روى الطبرانى بسند لا بأس به عن عمرو بن عوف المزنى «أن رسول الله ﷺ خط الخندق من أجم الشيخين طرف بنى حارثة حتى بلغ المزاد فقطع لكل عشرة أربعين ذراعا» أى أن نصيب الفرد الواحد كان أربعة أذرع (٢٥٠ سم).

طول الخندق .

إذا كان نصيب الفرد الواحد أربعة أذرع وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف، فيكون طول الخندق اثنى عشر ألف ذراع أى حوالى ستة كيلو مترات أو يزيد .

المدة التى استغرقها الحفر

وردت فى مدة حفر الخندق روايات مختلفة كان أقصرها ستة أيام وأطولها ما يقرب من شهر. ونقدر أن تكون هذه المدة حوالى أسبوعين بالنظر إلى حجم العمل .

أدوات الحفر.

استخدم المسلمون أدوات الحفر الآتية :

(١) المساحى : جمع مسحاة (بكسر الميم وبالسين المهملتين) وهى المجرفة من الحديد (الجاروف) ـ والسحو: الكشف والإزالة .

(٢) الكرازين : جمع كرزين وهو الفأس .

(٣) المكاتل : جمع مكتل وهو زنبيل يعمل من الخوص لنقل الرمال والأحجار.

تقسيم العمل .

وفضلا عن تحديد نصيب لكل فرد فى الحفر وهو أربعة أذرع (٥ ,٢ م) كما قدمنا فقد قسم الرسول ـ ﷺ ـ الخندق بين المهاجرين والأنصار، فكان المهاجرون يحفرون من ناحية راتج إلى ذباب ، وكان الأنصار يحفرون من ذباب إلى جبل أبى عبيدة .

ساتر الوقاية .

وقد جعل المسلمون الردم والأحجار الناتجة من الحفر إلى جانب الخندق من ناحية المدينة وعلى مسافة مناسبة من حافته (متر أو مترين مثلا) لمنع تساقط الرمال داخل الخندق، وهذا الساتر له دور كبير فى الدفاع إذ يحقق ما يلى :

١ ـ تأمين حماية المقاتلين المسلمين من أنظار العدو وسهامه مع تأمين ظروف أفضل لهم للرصد والرمى والحركة ، من أجل ذلك يمكن تقدير ارتفاع الساتر بثلاثة أذرع تقريبا أى حوالى ١٨٠ سنتيمترا .

٢ ـ حماية حرية المناورة بالقوات خلف الساتر وخاصة القوات المكلفة بالقيام بالهجوم المعاكس .

٣ ـ تيسير عمليات الإخلاء (إخلاء الجرحى) وعمليات إمداد القوات بمطالبها الإدارية .

أما الحجارة فقد جعلت فى أكوام متقاربة وراء الساتر على طول الخندق لكى يستخدمها المسلمون عند الحاجة فى رمى المشركين الذين يحاولون اقتحام الخندق أو يسقطون فيه كما سيأتى .

القيادة والسيطرة .

وقد أحكم الرسول القائد ﷺ ـ سيطرته ـ فى إطار القيادة والسيطرة على المعركة على أعمال التنظيم الهندسى وحفر الخندق نجلى ذلك فيما يلى :

١ ـ تقسيم العمل بين المهاجرين والأنصار وتحديد نصيب الفرد كما قدمنا .

٢ ـ إشرافه ـ ﷺ ـ على أعمال الحفر بل والمشاركة فيه .

٣ ـ عدم ذهاب أى فرد إلى أمر خاص (كقضاء الحاجة) إلا بعد الاستئذان منه ـ ﷺ ـ .

قال ابن إسحاق : «وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التى لا بد منها ، يذكر ذلك لرسول الله ـ ﷺ ـ ويستأذنه فى اللحوق بحاجته ، فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة فى الخير واحتسابا له (السيرة النبوية) .

٤ ـ اتخاذه ﷺ مركز قيادة فى قبة (خيمة) صغيرة مستديرة .

٥ ـ استمرار العمل طوال النهار مع الراحة ليلا .

٦ ـ استعماله ﷺ ابن أم مكتوم على المدينة .

٧ ـ حل المشكلات و إزالة العقبات التى تعترض المسلمين .

قال ابن إسحاق كان مما بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يحدث : أنه اشتدت عليهم فى بعض الخندق كدية . فشكوها إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ، فدعا بإناء من ماء ، فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية فيقول من حضرها : فوالذى بعثه بالحق نبيا لانهالت (تفتتت) حتى عادت كالكثيب لا ترد فأسا ولا مسحاة . كما روى ابن إسحاق أن سلمان الفارسى قال : ضربت فى ناحية من

الخنـدق، فغلظت عليَّ صخرة ، ورسـول الله ــ ﷺ ـ قـريب منى، فلمـا رآنى أضرب ورأى شدة المكـان عليَّ، نزل فـأخذ المعول من يدى، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة .

قـال: ثم ضـرب به ضـربـة أخرى، فلمعت تحته بـرقـة أخرى .

قال: ثم ضرب به الثالثة، فلمعت تحته برقة أخرى .

قـال: قلت بأبى أنت وأمى يـا رسول الله، ما هـذا الـذى رأيت، لمع تحت المعـول وأنت تضـرب؟ قـال: أوقـد رأيت ذلك يا سلمـان؟ قال: قلت: نعم. قـال: أما الأولى فإن الله فتح على بهـا اليمن، وأما الثانيـة فإن الله فتح على بهـا الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق .

حراسة الخندق وصد محاولات اختراقه .

وكـان رسـول الله ــ ﷺ ــ والمسلمـون قبـالـة عـدوهم لا يستطيعون الزوال عـن مكانهم يعتقبون خندقهم يحرسونه أى يتنـاوبـون حراسته ليل نهـار لـرصـد حركـات العـدو وكشف محاولاته لاقتحام الخندق والقضاء عليها .

روى محمد بن عمـر عن أم سلمة رضى الله عنهـا قالت : كنت مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى الخندق، وكنا فى قر شديد (أى برد) فإنى لأنظـر إليه ليلة قام فصلى مـا شاء الله أن يصلى فى قبته، ثم خرج فنظر ساعة فأسمعه يقول: هذه خيل المشركين تطيف بالخندق، ثم نادى عباد بن بشر.

فقال عباد: لبيك .

قال: أمعك أحد؟

قال: نعم، أنا فى نفر من أصحابى حول قبتك .

قال: انطلق فى أصحـابك فأطف بالخنـدق، فهذه خيل المشركين تطيـف بكم، يطمعون أن يصيبوا منكـم غرة، اللهم فادفع عنـا شرهم، وانصرنا عليهم وأغلبهم، فـلا يغلبهم أحد غيرك، فخرج عباد فى أصحابـه فإذا هو بأبى سفيان بن حرب فى خيل المشركين يطوفون بمضيق من الخندق، وقد نذر بهم (أى علموا وحـزروا) المسلمـون فرمـوهم بـالحجـارة والنبل (السهام) حتى أذلقهم المسلمون بالرمى، فانكشفوا منهزمين إلى منازلهم .

وكانت فى الخندق ثلمة (أى مضيق) لم يوضح المؤرخون طبيعتها أو سببها، والمرجح أن يكون المسلمـون تركوها لأنها تؤدى إلى أرض سبخة وهى أرض ذات نـز وملح تصعب فوقها الحركة والمناورة مما يجعلها «أرض قتل» وفخا إذا وقع فيه من يحاول اقتحام الخندق يسهل القضاء عليه .

قال: ابن إسحاق: «ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم (أى تسرع) حتى وقفـوا على الخنـدق . . وثـم تيممـوا مكـانـا ضيقـا من الخنـدق فضـربـوا خيلهم فـاقتحمت منـه، فجـالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع وخرج على بن أبى طـالب ـ رضى الله عنه ــ فى نفر معه من المسلمين حتى أخـذوا عليهم الثغرة التى أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم . . «ثم جرت مبـارزة بين على وبين عمرو بن عبد ود قتل فيهـا عمرو، فخـرجت خيلهم منهـزمة حتـى اقتحمت من الخندق هـاربـة (السيرة النبوية) .

وبالنظـر للأهمية التكتيكية لهـذه الثغرة أو المضيق، فإن الرسول ـ ﷺ ـ كان أحيانا يحرسها بنفسه . فقد روى محمد بن عمر عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : «كان رسول الله ـ ﷺ ـ يختلف إلى ثلمة فى الخندق يحرسها» .

ثم إن المسلمين كـانـوا يعبـرون من خـلال هـذه الثلمـة لمطاردة أولئك الأعداء الهاربين، فحينما قتل عمرو بن عبد ود رجع من وصل الخندق من المشـركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير ــ رضى الله عنه ـ كما تبعهم كـذلك عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه .

الأمن والسرية .

كان الخنـدق مفاجأة للمشـركين لم يكونـوا قط يتوقعـونها حتى قالـوا: هذه مكيدة لم تكـن العرب تكيدهـا . فدل ذلك على أمرين فى غاية الأهمية :

(١) أن المسلمين كـانـوا على علم مسبق بنوايـا أعـدائهم بـالخـروج من مكـة لمهـاجمتهـم وذلك بفضـل يقظـة رجـال استخباراتهم فقد بعث العباس عم النبي ـ ﷺ ـ برسالة تحمل هذه المعلومات مع رسول سريع الحركة حتى أنه قطع المسافة من مكة إلى المدينة فى ثلاثة أيام .

(٢) أن استخبـارات المشـركين عجـزت على المستـويين الاستراتيجى والتكتيكـى عن اكتشاف أمر الخنـدق وذلك رغم أن حفـره استغرق مـدة ليست بالقصيـرة (حوالى أسبوعين .

واستخدم المسلمون يوم الخندق شعارا (وهو المعروف بكلمة سر الليل هو: «حمّ لا ينصرون»)ولقد خرجت طليعتان (مفرزتا استطلاع) للمسلمين فالتقتا ولا يشعر بعضهم ببعض ولا يظنون إلا أنهم العدو، فكانت بينهم جراحة وقتل ثم نادوا بشعار «حمّ لا ينصرون» فكف بعضهم عن بعض، فكانوا بعد ذلك إذا دنا المسلمون بعضهم من بعض نادوا بشعارهم.

حماية الجبهة الداخلية.

ولم يغفل المسلمون أمر الجبهة الداخلية (المنطقة الإدارية) فى المدينة فاتخذوا الإجراءات الكفيلة بتأمينها وحمايتها وخاصة من الخطر الذى قد يأتى من جهة يهود بنى قريظة إذا نقضوا عهدهم، ومن ذلك ما يلى:

(١) رأت صفية عمة الرسول ـ ﷺ ـ وكانت فى أحد الحصون الخلفية عشرة من اليهود يستترون ويرمون الحصن، ودنا أحدهم إلى باب الحصن، فأخذت سيفا (أو عمودا) ثم نزلت فقتلته به، وألقت برأسه على اليهود، فتفرقوا».

(٢) أراد الرسول ـ ﷺ ـ أن يتحرى عما بلغه من نقض بنى قريظة للعهد، فبعث سعد بن معاذ بن النعمان ومعه بعض الصحابة، وقال: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه (أى يقولون كلاما يخالف ظاهره معناه، بحيث لا يفهمه إلا الرسول ـ ﷺ ـ)، ولا تفتوا فى أعضاد الناس (حرصا على الروح المعنوية للمسلمين)، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس، قال: فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم.

(٣) وبعث الرسول ـ ﷺ ـ مفرزتين قويتين لحراسة المدينة، الأولى تتألف من مائتى رجل بقيادة سلمة بن أسلم ابن حريش الأشهلى.

والثانية تتألف من ثلاثمائة رجل بقيادة زيد بن حارثة، وكانوا يظهرون التكبير، فكان لذلك أثره فى إيقاع الرهبة فى قلوب بنى قريظة وردعهم، فرجعوا عما كانوا قد هموا به بالإغارة على المدينة ليلا («التنظيم الهندسى للدفاع عن المدينة ٢٢ / ٤١١ـ٤١٦).

أما عن الآيات القرآنية التى نزلت فى غزوة الخندق، وهى فى سورة الأحزاب، فقد وردت فى سيرة ابن هشام على النحو التالى:

قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى فى أمر الخندق، وأمر بنى قريظة من القرآن، القصة فى الأحزاب، يذكر فيها ما نزل من البلاء، ونعمته عليهم، وكفايته إياهم حين فرج ذلك عنهم ـ بعد مقالة من قال من أهل النفاق ـ **﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا﴾** [الأحزاب: ٩] والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة، وكانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة. يقول الله تعالى: **﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا﴾** [الأحزاب: ١٠] فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغطفان يقول الله تبارك وتعالى: **﴿هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا * وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾** [الأحزاب: ١١، ١٢] لقول معتب بن قشير إذ يقول ما قال. **﴿وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا﴾** [الأحزاب: ١٣] لقول أوس بن قيظى ومن كان على رأيه من قومه **﴿ولو دخلت عليهم من أقطارها﴾** [الأحزاب: ١٤]: أى المدينة.

قال ابن هشام: الأقطار: الجوانب؛ وواحدها: قطر، وهى الأقتار، وواحدها: قتر.

قال الفرزدق:

كم من غنى فتح الإله لهم به
والخيل مقعية على الأقطار

(أى ساقطة على أجنابها تريد القيام)

ويروى: «على الأقتار» وهذا البيت فى قصيدة له.

﴿ثم سئلوا الفتنة﴾: أى الرجوع إلى الشرك **﴿لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا * ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولّون الأدبار وكان عهد الله مسئولا﴾** [الأحزاب: ١٥] فهم بنو حارثة، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بنى سلمة حين همتا بالفشل يوم أحد، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبدا،

فذكر لهم الذى أعطوا من أنفسهم، ثم قال تعالى: ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا * قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا * قد يعلم الله المعوقين منكم﴾: أى أهل النفاق ﴿والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا﴾: أى إلا دفعا وتعذيرا ﴿أشحة عليكم﴾: أى للضغن الذى فى أنفسهم ﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت﴾: أى إعظاما له وفرقا منه ﴿فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد﴾ [الأحزاب: ١٦ - ١٩]: أى فى القول بما لا تحبون، لأنهم لا يرجون آخرة، ولا تحملهم حسبة (الحسبة: طلب الأجر) فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده.

قال ابن هشام: سلقوكم: بالغوا فيكم بالكلام، فأحرقوكم وآذوكم. تقول العرب: خطيب سلاق، وخطيب مسلق ومسلاق. قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة:

فيهم المجد والسماحة والنجـ

ـدة فيهم والخاطب السلاق

وهذا البيت فى قصيدة له.

﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ قريش وغطفان ﴿وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا﴾ [الأحزاب: ٢٠].

ثم أقبل على المؤمنين فقال: ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ [الأحزاب: ٢١]: أى لئلا يرغبون بأنفسهم عن نفسه، ولا عن مكان هو به.

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به، فقال: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومازادهم إلا إيمانا وتسليما﴾: أى صبرا على البلاء وتسليما للقضاء، وتصديقا للحق، لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله ﷺ ثم قال: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه﴾ [الأحزاب: ٢٢، ٢٣]: أى فرغ من عمله، ورجع إلى ربه، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد.

قال ابن هشام: قضى نحبه: مات، والنحب: النفس، فيما أخبرنى أبو عبيدة وجمعه: نحوب. .

قال ابن إسحاق: ﴿ومنهم من ينتظر﴾: أى ما وعد الله به من نصره، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه. يقول الله تعالى: ﴿وما بدلوا تبديلا﴾ [الأحزاب: ٢٣] أى ما شكوا وما ترددوا فى دينهم، وما استبدلوا به غيره. ﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما * ورد الله الذين كفروا بغيظهم﴾: أى قريشا وغطفان ﴿لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب﴾: أى بنى قريظة ﴿من صياصيهم﴾ [الأحزاب: ٢٤ - ٢٦] والصياصى: الحصون والآطام التى كانوا فيها. (انظر مادة «بنو قريظة» فى م ٧ / ٥٢٦، ٥٢٧).

وأما ما قيل من شعر فى أمر الخندق مما أورده ابن إسحاق فمنه قول كعب بن مالك يذكر استبسال المسلمين فى القتال وصبرهم وتوكلهم على الله، وكيف أن الله تعالى رد الذين كفروا لم ينالوا خير (كما فى الأحزاب: ٢٥) وكيف أرسل عليهم ريحا وجنودا لم يروها (كما فى الأحزاب: ٩) ويذكر قتلهم سعد بن معاذ قال كعب بن مالك يجيب ضرار بن الخطاب بن مرداس:

وسائلة تسائل ما لقينا

ولو شهدت رأتنا صابرينا

صبرنا لا نرى لله عدلا

على ما نابنا متوكلينا

وكان لنا النبى وزير صدق

به نعلو البرية أجمعينا

نقاتل معشرا ظلموا وعقوا

وكانوا بالعداوة مرصدينا

نعاجلهم إذا نهضوا إلينا

بضرب يعجل المتسرعينا

ترانا فى فضافض سابغات

كغدران الملا متسربلينا

وفى أيمـــانـنــــا بيض خفــــاف
بهـــا نشفى مـــراح الشـــاغبينــــا
بـــاب الخنـــدقين كأن أســـدا
شـــوابكهن يحمين العـــرينــــا
فـــوارسنـــا إذا بكـــروا وراحـــوا
على الأعـــداء شـــوســـا معلمينــا
لننصـــــر «أحمـــــدا» والله حتى
نكـــون عبـــاد صـــدق مخلصينـــا
ويعلم أهـل مكـــة حيـن ســـاروا
وأحـــزاب أتـــوا متحـــزبينـــا
بأن الله ليس لـــه شــــريك
وأن الله مـــولى المــــؤمنينـــا
فإمـــا تقتلـــوا «سعـــدا» سفـــاهــا
فإن الله خيـــر القـــادرينـــا
سيـــدخلـــه جنـــانــا طيبـــات
تكـــون مقـــامـــة للصـــالحينـــا
كمـــا قـــد ردكم فـــلاّ شـــريـــدا
بغيظكـم خـــزايـــا خـــائبينــا
خـــزايـــا لـم تنـــالـــوا ثَمَّ خيـــرا
وكـــدتم أن تكـــونـــوا دامـــرينــا
بـــريـح عـــاصف هبت عليكم
فكنتم تحتهــــــا متكمهينـــــا

فلاًّ: الفل: المنهزمون.

متكمهين: المتكمه فى الأصل من ولد أعمى. والمراد أنهم لا يبصرون.

وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق أيضا:

لقـــد علم الأحـــزاب حين تـألبـــوا
علينـــا ورامـــوا ديننـــا مـــا نـــوادع
أضـــاميم مـن قيس بـن عيـــلان أصفقت
وخنـــدف لم يـدروا بمـــا هـــو واقع
يـــذودوننـــا عـن ديننـــا ونـــذودهم
عـن الكفـــر والـــرحمـن راء وســـامع
إذا غـــايظـــونـــا فى مقـــام أعـــاننـــا
على غيظهـم نصـــــــر مـــن الله واسع
وذلك حفـظ الله فينـــا وفضلـــه
علينـــا ومـن لم يحفـظ الله ضـــائع
هـــدانـــا لـــدين الحق واختـــاره لنـــا
ولله فـــوق الصـــانعين صنـــائع

أضاميم: جماعات، وأصفقت: اجتمعت على أمر.

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى قصيدة له.

(السيرة النبوية ٣/ ١٤٩-١٥٣، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٣).

دعاؤه ﷺ على الأحزاب

عن عبد الله بن أبى أوفى، قال: دعا رسول الله على الأحذاب فقال:

«اللهم منزِّل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم، وزلزلهم» - البخارى ٥ / ١١١ (من المنتخب من السنة ١ / ٢٣٩).

انظر فى غزوة الخندق - وتسمى غزوة الأحزاب: الواقدى ٣٦٢ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٤٧ والطبرى ٢ / ٥٦٤ وأنساب الأشراف ١/ ١٦٥ والبخارى ٥/ ١٠٧ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٢ / ١٤٥، ١٢ / ١٧١ وابن سيد الناس ٢ / ٥٤ وابن كثير ٤ / ٩٢ والنويرى ١٧ / ١٦٦ والسير الحلبية ٢ / ٤٠١. (الدرر / ١٦٩).

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٣ / ١٠٢، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٣ / ١٨٥-١٨٧، والدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر - تحقيق د. شوقى ضيف / ١٦٩-١٧٧، و «التنظيم الهندسى للدفاع عن المدينة فى غزوة الأحزاب» - لواء أ. ح محمد جمال الدين محفوظ. مجلة الأزهر. الجزء الرابع، السنة الثالثة والستون، ربيع الآخر ١٤١١ هـ - نوفمبر ١٩٩٠ م/ ٤١١-٤١٦، والسيرة النبوية لابن هشام - قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٣ / ١٤٩-١٥٣، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٣، والمنتخب من السنة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٣٨٥ هـ - ١ / ٢٣٩» انظر أيضا العمليات التعرضية والدفاعية عند

المسلمين ـ الرائد نهاد عباس الجبورى / ٦٠ ـ ٦٤، ومعجم المعارك الحربية ـ ماجد اللحام / ١٣٦ ـ ١٣٨، وأيام العرب فى الإسلام ـ محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاورى / ٥٩ ـ ٦٧، وأخبار مدينة الرسول المعروف بالدرة الثمينة للإمام الحافظ محمد بن محمود بن النجار ـ حققه وعلق عليه صالح محمد جمال / ٦٠ ـ ٦٥.

ملاحظة: الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من المصادر التالية:

١ ـ الخريطة من أطلس تاريخ الإسلام ـ د. حسين مؤنس.

٢ ـ الرسم من معجم المعارك الحربية ـ ماجد اللحام / ١٣٧.

٣ ـ رسم الخندق من بحث لواء أ. ح محمد جمال الدين محفوظ بمجلة الأزهر. انظر ثبت المراجع.

*** الخندمة (جبل-):**

من الجبال المباركة بمكة وحرمها. وجاء فى الجامع اللطيف (ص ٢١١) أن جبل الخندمة. جبل شامخ مشهور معروف فى ظهر أبى قبيس. ومن فضائله ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه ما مطرت مكة قط إلا كان للخندمة عزة، وذلك أن فيه قبر سبعين نبيا أخرجه الفاكهى. والله أعلم بصحته. وفيه يقول القائل فى يوم الفتح:

إنك لو شهدت يوم الخندمه
إذ فر صفوان وفر عكرمه

ويروى ابن هشام كيف أن صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبى جهل، وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا، وقد كان حماش بن قيس بن خالد أخو بنى بكر، يعد سلاحا قبل دخول رسول الله ﷺ، ويصلح منه فقالت له امرأته: لماذا تعد ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء، قال: والله إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم، ثم قال:

إن يقبلوا اليوم فما لى عله
هذا سلاح كامل وألّه
وذو غرارين سريع السله

(الألة: الحربة ذات السنان الطويلة، غرارين: حدين).

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل وعكرمة، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئا من قتال، فقتل كرز بن جابر، أحد بنى محارب بن فهر، وخنيس ابن خالد بن ربيعة بن أصرم، حليف بنى منقذ، وكانا فى خيل خالد بن الوليد فشذا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقتلوا جميعا، قتل خنيس بن خالد قبل كرز بن جابر. قال ابن هشام: خنيس بن خالد من خزاعة وكان يكنى أبا صخر.

وأصيب من جهينة سلمة بن الميلاء؛ من خيل خالد بن الوليد، وأصيب من المشركين ناس قريب من اثنى عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا، ثم انهزموا، فخرج حماش منهزما حتى دخل بيته، ثم قال لامرأته: أغلقى علىَّ بابى، قالت فأين ما كنت تقول؟ فقال:

إنك لو شهدت يوم الخندمهْ
إذ فر صفوان وفر عكرمهْ
وأبو يزيد قائم كالموتمه
واستقبلهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه
ضربا فلا يسمع إلا غمغمه
لهم نهيب خلفنا وهمهمه
لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

(السيرة النبوية ٤ / ٣٧، ٣٨).

(الجامع اللطيف لمولانا جمال الدين محمد جار الله، على بن ظهيرة / ٢١١، والسيرة النبوية لابن هشام ـ قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٤ / ٣٧، ٣٨).

*** الخندمة (يوم-):**

انظر: الخندمة (جبل-)

*** الخنزير:**

تتناول مصنفات التراث الإسلامى «الخنزير» فى إطار عدد من العلوم منها علم الحيوان، وعلم الفقه، وعلم الطب. وقد درج الشيخ كمال الدين الدميرى فى كتابه «حياة الحيوان الكبرى» أن يجمع بين هذا كله فى معظم الحالات.

ومن ثم نبدأ بما أورده عن الخنزير، وهو هنا يتكلم على الخنزير البرى تمييزا له عن الخنزير البحرى الذى يقول عنه:

(الخنزير البحرى) سئل مالك عنه فقال أنتم تسمونه

خنزيرا يعنى أن العرب لا تسميه بذلك لأنها لاتعرف فى البحر خنزيرا والمشهور أنه الدلفين وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الدال المهملة قال الربيع سئل الشافعى رضى الله تعالى عنه عن خنزير الماء فقال يؤكل. وروى أنه لما دخل العراق قال فيه حرمه أبو حنيفة وأحله ابن أبى ليلى، وروى هذا القول عن عمر وعثمان وابن عباس وأبى أيوب الأنصارى وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهم والحسن البصرى والأوزاعى والليث وأبىٰ مالك أن يقول فيه شيئا وأبقاه مرة أخرى على جهة الورع وحكى ابن أبى هريرة عن ابن خيران أن أكارًا صاد له خنزير ماء وحمله إليه فأكله وقال كان طعمه موافقا لطعم الحوت سواء وقال ابن وهب سألت الليث بن سعد عنه فقال إن سماه الناس خنزيرا لم يؤكل لأن الله حرم الخنزير.

وفيما يلى ما أورده عن الخنزير البرى:

(الخنزير البرى) بكسر الخاء المعجمة جمعه خنازير وهو عند أكثر اللغويين رباعى وحكى ابن سيده عن بعضهم أنه مشتق من خزر العين لأنه كذلك ينظر فهو على هذا ثلاثى يقال تخازر الرجل إذا ضيق جفنه ليحدد النظر كقولك تعامى وتجاهل قال عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه فى يوم صفين:

إذا تخازرت وما بى من خزر

ثم كسرت الطرف من غير حور

ألفيتنى ألوى بعيد المستمر

كالحية الصماء فى أصل الشجر

أحمل ما حملت من خير وشر

وكنية الخنزير أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وأبو عتبة وأبو علية وأبو قادم وهو يشترك بين البهيمية والسبعية فالذى فيه من السبع الناب وأكل الجيف والذى فيه من البهيمية الظلف وأكل العشب والعلف... يقال إنه ليس لشىء من ذوات الأنياب والأذناب ما للخنزير من القوة فى نابه حتى إنه يضرب بنابه صاحب السيف والرمح فيقطع كل مالاقى من جسده من عظم وعصب، وربما طال ناباه فيلتقيان فيموت عند ذلك جوعا لأنهما يمنعانه من الأكل وهو متى عض كلبا سقط شعر الكلب وهو إذا كان وحشيا ثم تأهل لا يقبل التأديب ويأكل الحيات أكلا ذريعا ولا يؤثر فيه سمومها وهو أروغ من الثعلب وإذا جاع ثلاثة أيام ثم أكل سَمِنَ فى يومين وهكذا تفعل النصارى بالخنازير فى الروم يجيعونها ثلاثة أيام ثم يطعمونها يومين لتسمن وإذا مرض أكل السرطان فيزول مرضه. وإذا ربط على حمار ربطا محكما ثم بال الحمار مات الخنزير.

ومن عجيب أمره إنه إذا قلعت إحدى عينيه مات سريعا وفيه من الشبه بالإنسان أنه ليس له جلد يسلخ إلا أن يقطع بما تحته من اللحم. وروى البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال «والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عليه السلام حَكَمًا مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» وفى رواية «ويهلك فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الدجال ويمكث فى الأرض أربعين سنة ثم يتوفاه الله فيصلى عليه المسلمون» وهذا الحديث رواه أبو داود فى آخر سننه فى كتاب الملاحم مطولا قال الخطابى وفى قوله ويقتل الخنزير دليل على وجوب قتل الخنازير وبيان أن أعيانها نجسة وذلك أن عيسى عليه السلام إنما ينزل فى آخر الزمان وشريعة الإسلام باقية وقوله ويضع الجزية معناه أنه يضعها عن النصارى واليهود وأهل الكتاب ويحملهم على الإسلام فلا يقبل منهم غير دين الحق فذلك معنى وضعها. وفى أواخر الموطأ عن يحيى بن سعيد أن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام لقى خنزيرا على الطريق فقال له اذهب بسلام فقيل له أتقول هذا لخنزير فقال عيسى عليه الصلاة والسلام إنى أخاف أن أعوِّد لسانى النطق بالسوء... وذكر ابن أبى الدنيا عن سعيد بن عبد العزيز أنه قال قيل لأبى أسيد الفزارى من أين تعيش فحمد الله تعالى وكبره وقال يرزق الله الكلب والخنزير ولا يرزق أبا أسيد. وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال: طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضع العلم فى غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والدروالذهب» وفى إسناده كثير بن شنظير وهو مختلف فى توثيقه وتضعيفه وقال فى الإحياء: جاء رجل إلى ابن سيرين فقال رأيت أنى أقلد الدر أعناق الخنازير فقال أنت تعلِّم الحكمة غير أهلها، وفيه أيضا فى الباب السادس من أبواب العلم روى أن رجلا كان يخدم موسى عليه الصلاة والسلام فجعل يقول حدثنى موسى صفى الله حدثنى موسى نجى الله حدثنى موسى كليم الله حتى أثرى وكثر ماله

ففقده موسى عليه السلام وجعل يسأل عنه فلم يجد له أثرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفى يده خنزير وفى عنقه حبل أسود فقال ياموسى أتعرف فلان قال نعم قال هو هذا الخنزير فقال موسى عليه السلام يارب أسألك أن ترده إلى حاله الأول حتى أسأله بم أصابه ذلك فأوحى الله تعالى إليه لو دعوتنى بالذى دعا به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ولكن أخبرك لم صنعت به هذا لأنه كان يطلب الدنيا بالدين . وكذلك رواه الإمام أبو طالب المكى فى قوت القلوب وفى المستدرك عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال «يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو فيصبحون وقد مسخوا خنازير وليخسفن الله بقبائل منها ودور منها حتى يصبحوا فيقولوا قد خسف الليلة بدار بنى فلان وليرسلن عليهم حجارة كما أرسلت على قوم لوط وليرسلن عليهم الريح العقيم بشربهم الخمر وأكلهم الربا ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وقطعهم الرحم» ثم قال صحيح الإسناد .

الحكم : لا يجوز بيع الخنزير لما روى أبو داود من حديث أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن الله عز وجل حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه» واختلفوا فى جواز الانتفاع به فكرهت طائفة ذلك وممن منع منه ابن سيرين والحكم وحماد والشافعى وأحمد وإسحاق ورخص فيه الحسن والأوزاعى وأصحاب الرأى وهو نجس العين كالكلب يغسل ما نجس بملاقاة شىء من أجزائه سبعا إحداهن بالتراب .

ويحرم أكله لقوله تعالى **﴿قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس﴾** [الأنعام : ١٤٥] والرجس النجس قال الإمام العلامة أقضى القضاة الماوردى الضمير فى قوله تعالى **﴿فإنه رجس﴾** عائد على الخنزير لكونه أقرب مذكور ونظيره قوله تعالى **﴿واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون﴾** [النحل : ١١٤]ونازعه الشيخ أبو حيان وقال إنه عائد على اللحم لأنه إذا كان فى الكلام مضاف ومضاف إليه عاد الضمير على المضاف دون المضاف إليه لأن المضاف هو المحدث عنه والمضاف إليه وقع ذكره بطريق العرض وهو تعريف المضاف وتخصيصه وقال شيخنا الأسنوى رحمه الله تعالى : وما ذكره الماوردى أولى من حيث المعنى وذلك أن تحريم اللحم قد استفيد من قوله تعالى **﴿أو لحم خنزير﴾** فلو عاد الضمير لزم خلو الكلام من فائدة التأسيس فوجب عوده إلى الخنزير ليفيد تحريم اللحم والكبد والطحال وسائر أجزائه وقال القرطبى فى تفسير سورة البقرة لا خلاف أن جملة الخنزير محرمة إلا الشعر فإنه يجوز الخرازة به ونقل ابن المنذر الإجماع على نجاسته وفى دعواه الإجماع نظر لأن مالكا يخالف فيه . نعم هو أسوأ حالا من الكلب فإنه يستحب قتله ولا يجوز الانتفاع به فى حالة بخلاف الكلب وقال شيخ الإسلام النووى رحمه الله ليس لنا دليل على نجاسته بل مقتضى المذهب طهارته كالأسد والذئب والفأرة وقد روى أن رجلا سأل النبى ﷺ عن الخرازة بشعره ، فقال لا بأس بذلك رواه ابن خويز منداد قال ولأن الخرازة به كانت على عهد النبى ﷺ وبعده موجودة ظاهرة ولم يعلم أنه ﷺ أنكرها ولا أحد من الأئمة بعده وقال الشيخ نصر المقدسى لا يجوز المسح على خف خرز بشعره ولا الصلاة فيه وإن غسله سبعا إحداهن بالتراب لأن التراب والماء لا يصلان إلى مواضع الخرز المتنجسة قال الإمام النووى وهذا الذى ذكره الشيخ أبو الفتح نصر هو المشهور وقال القفال فى شرح التلخيص سألت الشيخ أبا زيد عنه فقال الأمر إذا ضاق اتسع ومراده أن بالناس ضرورة إليه فتصح الصلاة فيه لذلك وفى الشرح والروضة فى أواخر كتاب الأطعمة قريب من ذلك ولا يجوز اقتناء الخنزير سواء كان يعدو على الناس أو لم يكن يعدو فإذا كان يعدو وجب قتله قطعا و إلا فوجهان أحدهما يجب قتله ، والثانى يجوز قتله ويجوز إرساله وهو ظاهر نص الشافعى فالوجهان فى وجوب قتله وأما اقتناؤه فلا يجوز بحال كما صرح به فى شرح المهذب وغيره وفى سنن أبى داود من حديث عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال أحسبه عن رسول الله ﷺ قال «إذا صلى أحدكم إلى غير سترة فإنه يقطع صلاته الكلب والحمار والخنزير واليهودى والمجوسى والمرأة الحائض ويجزئ عنه إذا مروا بين يديه قذفه بحجر» وفيه أيضا من حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال «من باع الخمر فليشقص الخنازير» قال الخطابى معناه فليستحل أكلها وقال فى النهاية معناه فليقطعها ويفصلها أعضاء كما

تفصل الشاة إذا بيع لحمها والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنزير فإنهما فى التحريم سواء وهذا لفظ أمر معناه النهى تقديره من باع الخمر فليكن للخنازير قصَّابا وجعله الزمخشرى من كلام الشعبى .

الأمثال : قالوا أطيش من عفر والعفر ولد الخنزير والعفر أيضا الشيطان والعفر أيضا العقرب . وقالوا أقبح من خنزير وقالوا أكرهه كراهة الخنازير الماء الموغر وأصله أن النصارى تغلى الماء للخنازير فتلقيها فيه لتنضج فذلك هو الإيغار قال أبو عبيد ومنه قول الشاعر

ولقد رأيت مكانهم فكرهتهم

ككراهة الخنزير للإيغار

وقال ابن دريد : الإيغار أن يغلى الماء للخنازير فتسمط وهى حية ...

التعبير : الخنزير تدل رؤيته على الشر والنكد والإفلاس وعلى المال الحرام وتدل رؤية إناثه على كثرة النسل فأن حصل له منه ضرر فى المنام ربما تنكد من نصرانى . وقيل الخنزير فى المنام عدو قوى ملعون خدوع عند النوائب غدار فمن رأى أنه ركب خنزيرا نال مالا وقهر عدوا كما وصفت ومن أكل لحم الخنزير مطبوخا نال مالا وتجارة من غير حل . ومن رأى أنه تحول خنزيرا نال مالا مع ذلة ووهن فى الدين . ومن رأى أنه يمشى كما يمشى الخنزير نال سرورا وقرة عين . وأولاد الخنازير هموم لمن ملكها والخنزير الأهلى خصب لمن رآه بداره وكل حيوان يتربى عاجلا ويألف فهو تمام قصد من رآه وقضاء حاجته والبرى يدل للمسافر على مطر أو برد . ومن رعى الخنازير فى المنام فإنه يلى على قوم من اليهود والنصارى . ومن رأى كأن زوجته صارت خنزيرة فإنه يطلقها لأنها حرمت عليه ولحمه خير لجميع الناس لأن الخنزير لا ينفع إلا بعد موته وهو مال حرام لقوله تعالى ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ [البقرة : ١٧٣] ففيه إشارة لذلك والله أعلم (حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٧٥ ـ ٢٧٨).

وقال عنه القزوينى : الخنزير حيوان سمج والعين تكرهه . له نابان كنابى الفيل يضرب بهما ، ورأسه كرأس الجاموس ، وله ظلف كما للبقر والغنم ... وإذا دفنت سفرجلة ينبش الأرض كلها حتى يظفر بها . والخنزير أنسل الحيوان لأن الأنثى قد تضع عشرين خنوصا والخنزير يأكل الحيات أكلا ذريعا وسموم الحيات لا تؤثر فى الخنزير ، وهو أروغ من الثعلب يهرب عن من قصده حتى يمشى خلفه كثيرا ويتعب ثم يكر عليه فيضربه بنابه يقطعه ، وإذا جاع ثلاثة أيام ثم أكل سمن فى يومين وهكذا تفعل بها النصارى بالروم يجوعونها ثلاثا ثم يعلفونها لتسمن ، وإن مرض أكل السرطان يزول مرضه . ومن خواصه العجيبة ما ذكروا أن الخنزير إذا شد على ظهر الحمار بحيث لا يقدر على الحركة فإذا بال الحمار مات الخنزير ، والفيل يهرب من صوت الخنزير (عجائب المخلوقات / ٢٥٧) .

والآيات الكريمة التى وردت فى تحريم لحم الخنزير أربع هى :

قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم والحم الخنزير وما أهل به لغير الله﴾ [البقرة : ١٧٣] ؛

﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ [المائدة : ٣] .

﴿إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس﴾ [الأنعام : ١٤٥] .

﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ [النحل : ١١٥] .

ومن ثم كان تحريم لحم الخنزير فى الإسلام يقول الدكتور الفاضل العبيد عمر :

حرم الإسلام أكل لحم الخنزير منذ القرن السابع الميلادى ومنذ ذلك التاريخ السحيق نجد أن العالم يكتشف يوما بعد يوم الأضرار الصحية التى تنتج من تناول هذا اللحم النجس . وتدريجيا فهم العلماء أن فى عدم تناول لحم الخنزير وقاية من عدة أمراض . فقد نشرت مجلة «الأربعاء» السعودية بتاريخ الثانى من جمادى الأول ١٤٠٥ هـ موجزا لدراسة علمية أجراها الأستاذ الدكتور هانزريكفيج مدير المعهد الطبى الألمانى عن ازدياد الأمراض وتدهور صحة الإنسان من جراء تناول لحم الخنزير . فقد ذكر هذا الطبيب أنه خلال الحرب العالمية الثانية لاحظ الأطباء الألمان أن جنودهم فى شمال إفريقيا يتعرضون إلى مرض غريب يظهر على شكل دمامل فى

أطرافهم السفلية، مما يقضى معالجتهم فترات طويلة فى ظروف صعبة . وظلت هذه المشكلة تقلق أذهان القوات المسلحة الألمانية، وفشل الأطباء فى تفسير هذه الظاهرة المرضية المعقدة . إلى أن استطاعت مجموعة من الأطباء الألمان التوصل إلى معرفة السبب بعد مقارنة الغذاء الذى يتناوله الجنود الألمان بذلك الذى يتناوله المواطنون المسلمون فى شمال إفريقيا والذين لا يصابون بمثل هذه الأمراض الداخلية والجلدية . ومن ثم لجأ الأطباء إلى تطبيق الغذاء المحلى على الألمان . فإذا بهذا المرض الغريب يختفى تماما، بعد أن تم منع تناول كل ما له علاقة بلحم الخنزير وشحمه .

وبعد نهاية الحرب قام العلماء الألمان بأبحاث علمية أثبتت أن تناول لحم الخنزير الطازج يسبب حدوث التهابات فى الزائدة الدودية والمرارة، وتعفنات فى الأمعاء الغليظة، ومرض التيفوس والقرحة المعدية وبعض الأمراض الجلدية . ولاحظ الأطباء الألمان أيضا أن المواطنين الألمان كانوا يعانون من نقص وندرة فى لحم الخنزير بعد نهاية الحرب، الأمر الذى دفعهم إلى تناول الخضروات والقمح والبطاطس، وأصبحوا أصحاء تماما . ولكن بعد سنوات قليلة، توفر لحم الخنزير فى ألمانيا، فظهرت بوادر الأمراض الجلدية والداخلية . وخلال الخمسينات والستينات فوجىء الأطباء بازدياد عدد حالات السرطان مثل سرطان المعدة والمرىء والأمعاء . وقد تبين لهم أن السبب الرئيسى لذلك يعود إلى تناول لحم الخنزير ومشتقاته . ومن التجارب العلمية التى أجريت على الحيوانات اكتشف العلماء أن الحيوانات التى كانت تأكل لحم الخنزير قد أصيبت بالسرطان والأمراض الجلدية على عكس الحيوانات التى كانت تتغذى باللحوم الأخرى . ودفع ذلك مدن الملاهى والسيركات للامتناع عن تقديم أى نوع من أنواع مشتقات الخنزير إلى حيواناتها . كما توقفت المؤسسات المشرفة على رعاية الثروة السمكية عن تقديم لحم الخنزير ومشتقاته للأسماك التى تربى فى الأحواض والبحيرات .

وأوضح الدكتور ريكفيج الأضرار الناتجة من تناول لحم الخنزير فى النقاط التالية :

أولا : ان لحم الخنزير يحتوى على نسبة عالية من الدهون والشحوم وتوجد الخلايا الدهنية داخل لحم الخنزير نفسه، على عكس لحم البقر أو الغنم . ونظرا لأن الدهون فى حد ذاتها تحتوى على نسبة كبيرة من الزلال والحراريات، فإن من يأكل لحم الخنزير يشكو عادة من البدانة المتزايدة وسوء الهضم وتراكم الشحوم، وما يتبع ذلك من أمراض .

ثانيا : زيادة الدهون فى لحم الخنزير تؤدى إلى ارتفاع نسبة الكولسترول فى جسم من يأكله، ويتحد من ثمَّ الكولسترول مع الدم ويسبب أمراض القلب وارتفاع ضغط الدم والجلطة الدموية وضيق التنفس واختلال الدورة الدموية والجلطة الدماغية والشلل النصفى (يأتى المزيد عن ذلك فيما بعد) .

ثالثا : أن أخطر أنواع الأغذية المنتشرة فى أوربا وأمريكا والتى تسبب السرطان وأمراض القلب وانتفاخ الأنسجة والبدانة هى أطعمة لحم الخنزير المتداولة على شكل سجق أو قديد أو لحوم مملحة . حيث تحتوى هذه الأطعمة على نسبة كبيرة من بقايا لحم الخنزير .

رابعا : أن تراكم مخلفات لحم الخنزير ومشتقاته فى جسم الإنسان يؤدى إلى أمراض العظام والمفاصل ومرض النقرس والتشوه فى العمود الفقرى وتقل نسبة مقاومة الجسم للأمراض والأصابات .

خامسا : أن وجود مادة الهستامين فى لحم الخنزير يسبب حدوث البؤر والدمامل والالتهابات الداخلية والخارجية، وخاصة قرحة المعدة والتهاب الجلد وتساقط وانتفاخ الوجه والأطراف السفلية من جسم الإنسان .

سادسا : أما السجق المعروف باسم «هوت دوجز» فهو من أخطر أنواع لحم الخنزير ومشتقاته . ويتكون من أحشاء الخنزير ورئته وبعض التوابل التى تخفى رائحة هذه المواد . فقد ثبت لدى الأطباء الألمان أن تناول هذا النوع من الطعام يعتبر العامل الأساسى فى انتشار أمراض البرد ونزلات الشتاء . وهى الأمراض التى تسببها الفيروسات المتواجدة فى لحم الخنزير ورئته .

سابعا : أن الأمراض المعدية والأوبئة والسموم التى تنتشر بين الخنازير تدخل جسم الإنسان ولا تخرج منه بالطرق

العادية المعروفة بل تخرج فى شكل دمامل جلدية وتؤدى إلى تحولات فى لون الجلد والوجه، وتظهر الحكة والالتهابات والفطور على الجلد. وهذا يعزى لأن البيئة التى تعيش فيها الخنازير تعتبر وسطا مناسبا لانتشار هذه الأمراض والجراثيم (الطب الإسلامى عبر القرون / ١٣٢ ـ ١٣٤).

ويحصر الدكتور أحمد شوقى الفنجرى الأسباب الطبية والعلمية التى تدعو إلى تحريم لحم الخنزير فى خمسة أسباب يوضحها على النحو التالى:

السبب الأول: يرجع إلى كثرة أصابة الخنزير بأنواع خطيرة من الديدان وأهمها دودة التنيا ودودة التريكينا.

(أ) الإصابة بدودة الخنزير الشريطية:

وقد يقول قائل إن البقر أيضا قد يتعرض لنوع مختلف من الدودة الشريطية وليس الخنزير وحده. وهنا وبالبحث العلمى تبرز لنا حكمة الله.

فهناك فارق كبير من ناحية الخطر على صحة الإنسان وحياته بين دودة الخنزير ودودة الحيوانات الأخرى.

فدودة الخنزير اسمها العلمى ساليوم لتمييزها عن دودة البقرة والمسماة ساجيناتا.

وهناك فوارق ميكروسكوبية وعلمية بين الدودتين ولكن الفارق الذى يهمنا هو مدى ضررها بالإنسان. فدودة البقرة عندما تصل إلى أمعاء المصاب تصيبه بأعراض طفيفة ويمكن القضاء عليها بأدوية بسيطة تعطى بالفم.

أما دودة الخنزير فإنها لا تكتفى بالحياة فى الأمعاء فكثيرا ما تكمل دورة حياتها فى جسم نفس الشخص المريض أو فى جسم أى إنسان آخر إذ تخرج الأجنة (اليرقات) من البيض وتخترق جدار الأمعاء إلى الدورة الدموية وتتوزع على الأجهزة الحيوية للجسم حيث تتحوصل اليرقة فى غلاف سميك الجدار وقد تصل إلى حجم حبة الفول (٢ سم تقريبا) ومما يزيد خطرها أنها تفضل التحوصل فى الجهاز العصبى وتسمى الحوصلة ـ فإذا كانت الحوصلة فى المخ أصابت الإنسان بالجنون أو الشلل أو التشنجات العصبية.

ـ وإذا كانت فى العين أصابتها بالعمى.

ـ وإذا كانت فى جدار القلب أصابته بالهبوط أو الذبحة القلبية.

ـ وقد أثبتت الفحوصات المخبرية أن بين كل ١٠٠ (مائة) ورم بالمخ أزيل بالجراحة وفحص ميكروسكوبيا وجد أن ٢٥ منهم من دودة الخنزير أى بمعدل الربع.

ومعروف أن هذه الحوصلة فى مثل هذه الحالات لا تتأثر بالأدوية العادية التى تعطى بالفم لأنها تكون مغطاة بجدار سميك عازل وفى كثير من الأحيان تترسب مادة الكالسيوم فى الجدار.

وحتى اليوم لا يعرف العلم أسباب اتخاذ دودة الخنزير دون سائر الديدان لهذا المسار الغريب الذى يتنافى مع مبدأ المحافظة على النوع. وذلك لأن انتقالها من أمعاء الإنسان إلى التحوصل فى عضلات جسمه سوف يؤدى إلى توقف دورة حياتها برغم أن المراجع العلمية تذكر أن اليرقة تعيش فى هذه الحوصلة إلى مدة قد تزيد على ٢٣ عاما.

والتعليل الوحيد هو أن الخنزير ربما كان فى العهود السابقة للتاريخ يأكل لحم الإنسان الميت وبذلك وحده تنتقل الدودة من الإنسان إلى الخنزير مرة أخرى وتكمل دورة حياتها.

وحتى عصرنا هذا لم يكتشف الطب الحديث أى دواء أو علاج لإصابة الإنسان بحوصلة دودة الخنزير والعلاج الوحيد حتى يومنا هذا هو إزالتها بالجراحة.. إذا أمكن الوصول إلى مكانها.

(ب) الدودة الثانية التى تصيب الإنسان عن طريق الخنزير هى التريكينا:

وقد جاء فى أحد الإحصاءات العالمية أن بين كل ٦ خنازير فى أمريكا يوجد واحد مصابا بهذا المرض. وبديهى أن هذه النسبة تزيد جدا فى البلاد المتخلفة وقد بلغ عدد المصابين من البشر فى العالم بهذا المرض سنة ١٩٤٧، ٢٦ مليون إصابة.

ويذكر الدكتور ج. جوردون أن كل طرق الوقاية عن طريق فحص لحم الخنزير أثبتت عدم فعاليتها علاوة على تكاليفها الباهظة كما أنها تعطى الإنسان شعورا كاذبا بالسلامة من الإصابة بالمرض.

وأعراض الإصابة بالتريكينا فى الإنسان تشمل ارتفاع الحرارة وتورم الوجه ونزلة معوية حادة وقد تؤدى إلى هبوط

القلب . وفى كثير من الأحيان يصعب تشخيص المرض ويعالج على أنه حمى عادية وخاصة أنه من الصعب اكتشاف الدودة عن طريق تحليل البراز.

ومن المهم أن نعرف أن الطب الحديث لم يكتشف حتى يومنا هذا أى علاج للإصابة بالتريكينا فى الإنسان.

ومعنى ذلك أنه لا يوجد أى علاج طبى لهذين النوعين من ديدان الخنزير.

طهو اللحم لقتل الديدان:

من المعروف أن الطهو الجيد للحوم فى درجة لا تقل عن ٧٠ م ولمدة كافية قد تصل إلى ٣ ساعات يمكنه أن يقتل جميع الديدان فى الغنم والبقر. . ولكن الخنزير يختلف عن لحم البقر فى سرعة طهوه واستوائه أى أنه يستوى فى درجة حرارة أقل وفى مدة أقصر من غيره من اللحوم وأتذكر أننى عندما كنت أدخل أى مطعم للشوى فى أوروبا كنت أطلب لحم بقر وطلب زملائى الأوروبيون لحم خنزير، فكان لحم الخنزير يأتيهم بعد عشر دقائق على النار فى حين أن مثيلتها من لحم البقر وعلى نفس النار كانت لا تأتينى قبل نصف ساعة وربما أكثر. .

ومن هنا تذكر المراجع العلمية أن لحم الخنزير يستوى على النار ويكون صالحا للأكل قبل أن تموت الديدان فيه وخاصة التى بالداخل.

وجدير بالذكر أن الوقاية الوحيدة المضمونة التى يراها الأطباء الوقائيون من الإصابة بهذه الدودة هى فى عدم أكل لحم الخنزير فى المناطق الموبوءة بهذا المرض وهذا هو نفس الحل الذى توصل إليه الإسلام منذ ١٤ قرنا من الزمان.

وأخيرا قد يقول قائل: إن العلم الحديث قد جعل الناس فى أوروبا يهتمون بنظافة الخنزير ويضعونه فى حظائر حديثة لا يأكل فيها إلا الأعشاب والبطاطس والخضروات ولكن الملاحظ برغم ذلك أن ديدان الخنزير ما زالت منتشرة فى أكثر أنحاء العالم وخاصة فى آسيا كلها وشرق أوروبا وجميع بلدان أمريكا اللاتينية وإذا كان مجموع المصابين بديدان الخنزير فى العالم حسب آخر إحصائية سنة ١٩٤٧ كانوا ٢٩ مليونا من البشر فلا بد أن هذا العدد قد تزايد الآن.

السبب الثانى: أن لحم الخنزير أكثر قابلية لنقل جميع الأمراض الميكروبية المعدية من كل اللحوم الأخرى.

فقد جاء فى نشرة هيئة الصحة العالمية سنة ١٩٥٣ أن مخبراتها فى الدانمارك التى تقوم بفحص أنواع اللحوم الحيوانية قد وجدت أن لحم الخنزير هو أكثر قابلية للتلوث ونقل الميكروبات. وقد وجد أن ٦٠ ٪ فقط من لحوم الخنازير فى الدانمارك خالية من الميكروبات والباقى ٤٠٪ يحمل أنواعا مختلفة من الميكروبات المعدية وغير المعدية. كما جاء فى النشرة أن الميكروبات الشديدة العدوى فى لحوم الغنم لا تزيد عن ٣ ٪ فى حين أن هذه النسبة فى لحم الخنزير ١٤ ٪ أى أكثر من أربعة أضعاف. وجاء فى تعليل ذلك أن نسبة التعادل القلوى فى لحوم الخنزير تكون عالية مما يساعد على سرعة نمو الميكروبات فى عضلاته وسهولة معيشتها فيها سواء كان حيا أم بعد ذبحه. فإذا كانت هذه النسب فى خنازير الدانمارك أنظف بلد فى العالم فما بالك بغيرها من البلدان. ومن هذه الحقيقة نرى أن لحم الخنزير هو أسرع اللحوم إلى التلوث وخاصة فى المناطق الحارة.

السبب الثالث: آكلات اللحوم محرمة على الإنسان:

ولكى نفهم هذا السبب علينا أن نسأل أنفسنا أولا. . لماذا لا يأكل الإنسان القطط والكلاب والذئب والثعلب؟ . بل لماذا لا يأكل لحم أخيه الإنسان وربما كان لحمها ألذ من غيره وأكثر فائدة لجسمه؟ . وما هو شعور أى فرد منا لو قيل له وهو يهم بأكل لحم أن هذا ليس لحم أرنب ولكنه لحم قط أو كلب أو قيل له إن هذا ليس لحم بقر ولكنه لحم إنسان؟ .

لاشك أننا نصاب بالغثيان والقيء. .

ويرجع ذلك إلى حقيقة علمية هامة. .

فمن المعروف أن الحيوانات تنقسم من الناحية العلمية إلى نوعين:

(أ) قسم يسمى آكلات العشب مثل الغزال والجمل والبقر والغنم والأرنب.

(ب) وقسم يسمى آكلات اللحوم مثل الأسد والذئب والثعلب والكلب وتعرف آكلات اللحوم علميا بأنها ذات الناب لأن لها أربعة أنياب كبيرة فى الفك العلوى والسفلى.

ويعتبر الخنزير حسب هذا التقسيم العلمى من آكلات اللحوم لأن له أنيابا كبيرة لا يوجد مثلها فى الغنم والبقر.

وهذا التقسيم العلمى لا يقتصر على الحيوانات وحدها بل

يشمل الطيور أيضا إذ تنقسم إلى آكلات عشب ونباتات كالدجاج والحمام.

وإلى آكلات لحوم كالصقور والنسور والغراب والحدأة والتمييز العلمي بينهما أن الطائر آكل اللحوم له مخلب حاد يقتل فريسته ويمزقها ولا يوجد مثل هذا المخلب في الطيور المستأنسة والداجنة.

ومنذ عرف الإنسان الحضارة حتى يومنا هذا لم يحاول أكل لحم الحيوانات أو الطيور آكلة اللحوم إلا فيما ندر وفى الظروف القاهرة أو فى بعض القبائل المتخلفة جدا.

ومن الحقائق المذهلة أن الإسلام قد حدد هذا التقسيم العلمي ونبه إليه منذ أربعة عشر قرنا من الزمان. إذ يقول رسول الله:

«حرم على أمتى كل ذى مخلب من الطير وكل ذى ناب من السباع».

قالت المؤلفة: أورد الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير، باب المناهى، حديثين بهذا المعنى. الأول بالفظ «نهى عن أكل كل ذى ناب من السباع» رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى ثعلبة.

والحديث الثانى بلفظ: «نهى عن أكل كل ذى ناب من السباع، وعن كل ذى مخلب من الطير» لأحمد فى مسنده، ومسلم وأبى داود والنسائى عن ابن عباس، وقال حديث صحيح.

والسؤال الآن هو: لماذا يحرم أكل هذه الحيوانات؟. ونقول ردا على ذلك:

١ ـ لأن هذه اللحوم تصيب آكلها بالضراوة والميل إلى العنف للأسباب الآتية:

(أ) من المعروف فى علم التغذية أن الإكثار من أكل اللحوم عامة وبصرف النظر عن نوعية هذه اللحوم يؤدى إلى ارتفاع الضغط وسرعة الانفعال وهياج الأعصاب. وقد نبه الإسلام إلى هذه الحقيقة قبل أن يقررها علماء التغذية فى عصرنا الحديث. فرغم أن الإسلام قد نهى عن المذاهب النباتية وحث على أكل اللحوم إلا أنه قد نهى عن الإكثار منها إذ يقول رسول الله ﷺ:

«إياكم والإكثار من اللحم فإن للحم ضراوة مثل ضراوة الخمر» ويقول أيضا: «لا بارك الله فى أهل بيت لحميين».

قالت المؤلفة: لم أعثر على أى من هذين الحديثين فيما بين يدى الساعة من مراجع ويمضى الدكتور الفنجرى فيقول:

ولكى تقدر مدى هذه الضراوة عليك أن تقارن بين حيوانين أحدهما كل أكله لحم كالذئب والثعلب وبين آخر كل أكله العشب كالغزال والغنم.. وحتى بين الحيوانات المستأنسة قارن بين القط فى شقاوته ومكره وبين الأرنب فى مسالمته ووداعته.

وقد لاحظت أثناء زيارتى للمكسيك والبلاد التى تهوى المراهنة على قتال الديوك أنهم يلجأون إلى إطعام هذه الديوك المقاتلة باللحوم بدلا من الحبوب لكى تزداد ضراوة وحبا فى القتل والقتال مما يجعل هذه الطيور لا تكتفى بإنهاء القتال قبل أن يُقتل أحدها وهو أمر مخالف لطبيعتها فى الحياة العادية.

(ب) من المعروف أيضا أن نوعية اللحم الذى تأكله الشعوب المختلفة يؤثر على طبائع هذه الشعوب بسبب احتواء هذه اللحوم على سميات ومفرزات داخلية ناتجة عن عملية التمثيل الغذائى التى كانت تجرى فى جسم ذلك الحيوان وهذه المفرزات والهرمونات تحول فى دم الحيوان وفى عضلاته وتنتقل إلى معدة البشر فتؤثر فى أخلاقهم وطبائعهم». ولا يقتصر هذا التأثير على اللحم وحده بل على كل المنتجات الحيوانية وأولها اللبن.. فلبن الحمير مثلا له تأثير على طبيعة الطفل الرضيع يختلف عن لبن الغنم.

والحيوان المفترس عندما يهم باقتناص فريسته تفرز فى جسمه هرمونات ومواد تساعده على غريزة القتال واقتناص الفريسة ويقول الدكتور (س ليبج) المرجع فى علم التغذية أن هذه الإفرازات تخرج فى جسم الحيوان حتى وهو حبيس فى القفص عندما تقدم له قطعة لحم لكى يأكلها. ويعلل لنظريته هذه بقوله: «ماعليك إلا أن تزور حديقة الحيوانات مرة وتلقى نظرة على النمر فى حركاته العصبية أثناء تقطيعه قطعة اللحم ومضغها فترى صورة الغضب والاكفهرار مرسومة على وجهه. ثم ارجع بصرك إلى الفيل وراقب حالته الوديعة عندما

يأكل العشب والحَب وهـو يلعب مع الأطفـال ويحيـي الزائريـن».

من هـذه المعلـومـات نخرج بحقيقتين هـامتين يمكن تطبيقهما على الخزير:

الأولى: أن الخنـزيـر بحكم انتمـائه إلى عـائلـة آكـلات اللحوم أكثر عنفا وشراسة من الغنم والأبقار آكلات العشب . . ورغم أن الخنزير الـذى يباع في الأسواق حاليـا هو فصيلة من الخنازير الوحشية تم لـلإنسان استئناسها منذ آلاف السنين إلا أن هذا الخنـزير المستأنس لا تـزال فيه ضـراوة أجداده. ومن المعروف عن أنثى الخنزير أنها كثيرا ما تصاب بحالات عصبية بعد الـولادة كما يحـدث للحيوانـات المفترسـة فتقتل أولادها كلهم أو بعضهم ثم تأكلهم. وقـد تهاجم من يقتـرب منها من البشر بضـراوة . . وعادة يضطـر رعاة الخنـزير إلى خلع أنيـابه وهو صغيـر حتى لا يصبح خطرا عنـدما يكبـر. والملاحظ أن علماء العرب الأقدمين أمثال ابن سينا كانوا يقولون عن الخنزير هذه العبارة: «الخنزير منه الأليف والوحشى فهو وحشى».

الحقيقـة الثانيـة: أن أكل لحم الخنزيـر بصفة رئيسيـة فى طعام الإنسان لا بـد بالتالى وبالبـديهة أن يصيب آكله بشىء من الضراوة والعنف ولعل لحم الخنزير هو أحد أسباب ظاهرة العنف المنتشـرة فى المجتمع الأوروبى والأمـريكى والتى مـا زالوا فى حيرة من تعليل أسبابها.

٢ ـ تأثير هذه اللحوم على ترابط الأسرة والعفة الجنسية:

جاء فى بعض كتب الفقـه (ومنها الموسوعـة الفقهية باب الأطعمـة ص ٤٧) أن لحم الخنزيـر قد يكـون له تأثيـر سيىء على العفة والغيـرة الجنسية. وهـذه ظاهرة جـديدة بـالاهتمام والتحليل العلمى. لقد ذكرنا أن طبـائع الإنسان وأخلاقه تتأثر بنـوع اللحوم التى يأكلهـا وطبيعة هـذه الحيونـات فى حياتهـا الخاصة ... ومن المعروف فى طبيعـة الحيوانات آكلة اللحوم إنها لا ترتبط بنظام الأسرة الواحدة . . وغالبا يكون للذكر أكثر من أنثى كما أن الأنثى لا ترتبط بذكر واحد . . وكثيرا ما يتعدى الـذكـر على إناث غيره ويقتلـه ليستـولى على إناثـه . . وقـد لوحظت هـذه الحالة فى معظم القبـائل البشرية البـدائية التى تعيش على آكـلات اللحـوم. حيـث يقل الارتبـاط الأسـرى ويعيشون حيـاة أقرب إلى حيـوانات الغـابة. وربمـا كان لحم الخنزير هو أحد أسباب ضعف العفة الجنسية وظهور الكثير من الظواهر الشاذة مثل تبادل الـزوجات والزواج الجماعى بين الكثيرين من شعوب العالم الغربى.

الخنزير له صفات آكلات اللحوم:

بعض الناس قد يعترض بأن الخنزير قد أصبح مستأنسا فى أوروبا فـى حظائر ومزارع نظيفـة يعيش فيها على أكـل البقول والنباتات فلم تعد تنطبق عليه اليوم صفات آكلات اللحوم ونرد على ذلك بالنقاط الآتية:

١ ــ حسب التقسيم العلمى فإن كل حيوان لـه ناب كبيـر لكى يقطع به اللحم يعتبر من آكلات اللحوم والخنزير له أربعة أنياب كبيرة فى فكيه لا يوجد مثلها فى الغنم والبقر.

٢ ـ أن العبرة هنا ليست بنوعية الأكل وحدها ولكن بنوعية الحيوان وطبيعتـه التى يتوارثها فى دمـه عن أجداده الأولين . . ومهما استؤنس الحيـوان وحاولنا تغيير طعامـه وطباعه فستظل فيـه بعض صفـاتـه الأولى المتـوارثـة وسيظـل الثعلب ثعلبـا والخنـزيـر خنـزيـرا ولو تـربيـا فى البيـوت أو الأقفـاص آلاف السنين.

٣ ــ ومعظم المـراجع العلمية تضـع الخنزيـر فى فصيلـة تسمى أومنيفـارا وهى التى تأكل اللحوم والنبـاتات معـا ومنها الكلب والقط والإنسان والخنزير وهى فصيلة وسط بين آكلات اللحوم وآكلات العشب.

٤ ــ وبرغم أن معيشـة الخنـزير فـى الحظائر النظيفـة فى أوروبا فما أن يخرج إلى الغـابة أو الحقل مع الرعاة حتى يقبل على التهام الفئران الميتة والرمم وإذا دهست سيارة عابرة أحد الخنازير فإن القطيع يتجمع حول جثته ليأكله ويجد فى ذلك لذة أكثر من البقول التى تقدم إليه.

٥ ـ وتذكر المراجع العلمية أن محاولة إطعام الخنزير على النباتات والخضراوات وحدها قد فشلت فى أوروبا وأمريكا إذ وجـد أنه لا ينمـو النمو الكـافى كغيره من الخنـازير الطليقـة وذلك لأن أمعاءه ليست طـويلة الطول الكافى للحيـاة النباتية مثل الغنم وقد وجـدوا أن الطعام المثـالى له هـو الذى يشمل وجبـات من اللحم إلى جـانب النبات وغـالبـا يطعمونـه لحم خنـزيـر أو غنم أو خيل فهو لا يختلـف فى هذه الحـالـة عن الذئب أو الكلب.

من هذه الحقائق نجد أن كل ماينطبق على آكلات اللحوم ينطبق على الخنزير مهما كان مستأنسا ويعيش على الأعشاب .

السبب الرابع : دهن الخنزير يسبب عسر الهضم ويزيد احتمال الإصابة بالذبحة القلبية وتصلب الشرايين .

من المعروف طبيا أن اللحوم المختلفة التى يأكلها الإنسان تتوقف سهولة هضمها فى المعدة على كمية الدهنيات التى تحويها وعلى نوع هذه الدهون . . فكلما زادت كمية الدهنيات كان اللحم أصعب فى الهضم ومن هذه الناحية يحتوى لحم الخنزير على أكبر كمية من الدهن بين جميع اللحوم ثم يليه الغنم وأقلهم لحم البقر.

وقد جاء فى الموسوعة العلمية الأمريكية أن كل ١٠٠ رطل من لحم الخنزير تحتوى على ٥٠ رطلا من الدهن أى بنسبة ٥٠٪ فى حين أن الدهن فى الضأن يمثل ١٧٪ فقط وفى العجول ٥٪ .

وليست هذه هى المشكلة الوحيدة . ولكن نوع الدهن أيضا يختلف إذ ثبت بالتحليل أن دهن الخنزير يحتوى على نسبة كبيرة من الأحماض الدهنية المعقدة منها تريجلسربدز وتبلغ نسبة الكولسترول فى دهن الخنزير إلى الضأن إلى العجول ٩ ، ٧ ، ٦ ومعنى ذلك بحسبة بسيطة أن الكوليسترول فى لحم الخنزير ١٥ خمسة عشر ضعفا لما فى البقر. ولهذه الحقيقة أهمية خطيرة .

لأن هذه الدهنيات تزيد مادة الكوليسترول فى دم الإنسان وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعى تترسب فى الشرايين وخصوصا شرايين القلب وتسبب تصلب الشرايين وارتفاع الضغط وهى السبب الرئيسى فى معظم حالات الذبحة القلبية والتى تسمى : القاتل رقم ١ فى أوروبا .

وقد ظهر من الإحصاءات التى نشرت عن مرض الذبحة القلبية وتصلب الشرايين أن نسبة الإصابة بهذين المرضين فى أوروبا أضعاف النسبة فى العالم العربى .

ونحن لا نريد أن ننكر أو نتجاهل أن التوتر العصبى الذى تخلقه الحضارة الحديثة فى المجتمعات الصناعية مثل أوروبا وأمريكا من أهم أسباب مرض الذبحة القلبية . وأن هذا التوتر أقل بكثير فى المجتمعات المتخلفة أو الزراعية ولكن العلم لا ينكر أيضا الدور الخطير الذى يلعبه الكوليسترول فى الذبحة وتصلب الشرايين وهكذا يجتمع العاملان معا فى المجتمع الأوروبى .

خامسا ـ الإنفلونزا الخنزيرية القاتلة .

لقد اكتشف العلم الحديث أخيرا أن الخنزير يقوم بدور حامل الميكروب أو خزان للميكروب فى حالة وباء الإنفلونزا الذى يعتبر فى العصر الحديث أشد الأوبئة فتكا فى العالم .

ولهذا السبب سميت الإنفلونزا الخنزيرية لأن نوبات الوباء تظهر أولا بين المزارعين المشرفين على الخنازير (الطب الوقائى / ٢٩٠ـ٣٠٣) .

هذه بعض الأمراض والأضرار التى تنجم عن أكل لحم الخنزير كما أفاض فى وصفها الدكتور الفنجرى . ويضيف إليها الدكتور محمد عادل أبو الخير الأمراض التالية التى ينقلها الخنزير:

١ ـ كوليرا الخنازير: وهى مرض حاد يسببه فيروس .

٢ ـ الإجهاض النتن : وتحدثه بكتريا البروسيلا الخنزيرية .

٣ ـ الحمرة الجلدية : الحادة والمزمنة . والأولى مميتة فى بعض الأحيان . والثانية تحدث تورم المفاصل .

٤ ـ مرض التقشر الجلدى (باراكيراتوتس) .

٥ ـ طفيل الإسكارس : وهو معد للإنسان .

كما يضيف سببا لما أوردناه آنفا ، الذى من أجله حرم لحم الخنزير، وهو يتصل بالخنزير نفسه وطبائعه فيقول سيادته :

لقد نزه الله البشر عن الحيوانية والدنس فى الأديان السماوية جميعا ، ولقد جاءت الأديان كلها تحمى الإنسان وتسمو به فوق بهيمية الحيوانات وتصرفاتها التلقائية البدائية ، وطهرته عن الرجس ، والخبائث من الأكل والخبائث من الأفعال ـ كما أنها سمت به عن أكل المحرمات ولذلك فلقد حرم الإسلام أكل الميتة ـ إلا ميتة البحر ـ لما فيها من حيوانية وشرور فى أكلها ، ولو تركت الميتة لأصابها العفن ، مما يضر الإنسان إذا أكلها ضررا شديدا . وكذلك حرم الدم . فإذا نظرنا إلى الخنزير من حيث طباعه البهيمية نجد أنه :

١ ـ حيوان شره فى أكله شراهة لا توجد فى غيره من

الحيوانات. حيث إنه يأكل حتى يأتى على الأكل كله الذى أمامه، وإذا أكل حتى تمتلىء بطنه أو انتهى الأكل ــ أخذ يتقيأ ويرجع الأكل الذى أكله، ليأكله ثانية ويشبع شراهته. فهو حيوان لا يستنكف بل يحب أن يأكل ما تقيأ.

٢ ـ يأكل أى مأكول أمامه ويأكل أى فضلات أمامه بشرية كانت أم حيوانية أو نباتية، حتى إنه أيضا يأكل فضلاته، أو برازه، حين لا يجد أمامه أى شيء يؤكل.

٣ ــ يبول على طعامه وأكله إذا وجده أمامه، ثم يأكله ثانية.

٤ ـ يأكل القمامة والعفن والمعفن وروث البهائم.

٥ ــ الحيوان الثديى الوحيد الذى يأكل الطين. ويأكله بكميات كبيرة ولساعات طويلة إذ ترك بدون إزعاج.

٦ ـ حين يهاجم الخنزير فإنه ينفعل انفعالا حيوانيا شديدا ويستعمل أنيابه فى جرح خصمه.

ثم يقول الدكتور أبو الخير: ثبت بالأبحاث العلمية الحديثة فى قطرين من أقطار العالم الشرقى والغربى وهما الصين والسويد، أحدهما معظمه وثنى والآخر معظمه ملحد، أثبت علماء هذين القطرين أن أكل الخنزير مسئول هام عن سرطان المستقيم والقولون الذى ترتفع نسبته ارتفاعا مذهلا فى دول أوروبا وأمريكا أساسا وفى دول آسيا التى تأكل الخنزير كالصين والهند، بينما تنخفض انخفاضا ملحوظا يصل إلى واحد من الألف فى الدول الإسلامية. ولقد صدر هذا البحث فى سنة ١٩٨٦ ميلادية من هاتين الدولتين فى المؤتمر السنوى العالمى لأمراض الجهاز الهضمى الذى عقد فى ذلك العام فى ساوباولو (اجتهادات فى التفسير العلمى فى القرآن الكريم / ١٢٢ - ١٢٤).

ومن الأمراض التى ينقلها الخنزير بقذارته تلك التى أحصاها مؤلفا كتاب «مع الطب فى القرآن الكريم» الدكتور عبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز، وهى كما يلى، وقد حذفنا منها ما سبق وروده آنفا تفاديا للتكرار:

١ ـ الزحار الزقى: تسببه طفيلة الزقيات الكولونية التى تعيش فى أمعاء الخنزير الذى يعتبر أهم مصادر العدوى ينتشر المرض عالميا ويكثر فى الأماكن التى تنتشر فيها تربية الخنازير وتداولها.

٢ ـ الداء البريمى اليرقانى النزفى (داء وايل): وهو ينتقل للإنسان عن طريق الماء الملوث ببول الخنزير أو الكلاب أو الجرذان، أما الداء البريمى نموذج (رومونا) فمستودعه الأساسى هو الخنزير.

٣ ـ شريطية السمك العريضة: وهى تصيب الإنسان، يبلغ وطولها (٣ ـ ١٠ م) ويلعب الخنزير دور العائل الخازن فى دورة حياتها.

٤ ــ الأميبا النسيجية وتسبب للإنسان الزحار الأميبى، يلعب الخنزير فيها دور العائل العادى.

٥ ــ الحمرانية (حصبة الخنزير) وهو مرض يصاب به الخنزير وغيره من الحيوانات وينتقل منه إلى بعض فئات الناس (كاللحامين والدباغين والسماكين) وتكون بشكل لوحة محمرة، ومؤلمة جدا وحارقة على الأيدى مع أعراض عامة كالحرارة والقشعريرة، والتهاب العقد والأوعية البلغمية.

(مع الطب فى القرآن الكريم / ١٣٧، ١٣٨).

أما عن الفتاوى التى تتصل بأحكام الخنزير فقد أورد فضيلة الشيخ عطية صقر فى كتابه القيم الفتوى التالية:

س: ما حكم الفراجين «الفرش» التى تصنع من شعر الخنزير؟

ج: معلوم أن لحم الخنزير يحرم أكله كما قال تعالى **﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾** [المائدة: ٣] وتحريم أكل اللحوم يشمل تحريم كل أجزائه من الشحم والكبد والطحال وغيرها، لقوله تعالى **﴿قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس﴾** [الأنعام: ١٤٥] لأنه الضمير فى قوله **﴿فإنه رجس﴾** عائد على لفظ الخنزير لا على لفظ «لحم» لأن تحريم اللحم معلوم بالنص عليه، فلو عاد الضمير عليه لزم خلو الكلام من فائدة التأسيس، فوجب عوده إلى كلمة «خنزير» ليفيد الكلام تحريم بقية أجزائه.

ومع تحريم أكل أى جزء منه فهو نجس، إن الله وصفه بأنه رجس، والرجس هو النجس. وجمهور الفقهاء على نجاسته حيا وميتا بدليل هذه الآية، وإن كان فى الدليل مناقشة، فقد يراد بالنجاسة النجاسة الحكمية وهى حرمة

الأكل، وليس النجاسة العينية، كنجاسة المشركين فى قوله تعالى ﴿إنما المشركون نجس﴾ [التوبة : ٢٨] فالمراد نجاسة الاعتقاد وليس النجاسة العينية، حيث لم يقل أحد بأن المشرك ينجس.

على مثال ما جاء فى قوله تعالى ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان﴾ فنجاسة الأنصاب والأزلام حكمية وهى الحرمة، وليست نجاسة عينية.

ولما كانت الآية لاتدل دلالة قطعية على نجاسة الخنزير نجاسة عينية استدل بعض العلماء على ذلك بالقياس على نجاسة الكلب، لأنه أسوأ حالا منه حيث لا يجوز الانتفاع به، ولكن هذا الدليل غير مسلّم، لأن الحشرات لا ينتفع بها ومع ذلك هى طاهرة.

ومن هنا قال النووى: ليس لنا - أى الشافعية - دليل على نجاسة الخنزير، بل مقتضى المذهب طهارته كالأسد والذئب والفأر، ونقل ابن المنذر الإجماع على نجاسة الخنزير، لكن دعوى الإجماع فيها نظر، لأن مالكا يخالف فيه ويقول بطهارته.

نخلص من هذا إلى أن الخنزير يحرم أكله، أما طهارته فالجمهور على أنه نجس، والبعض قال إن طاهر كالحمار والذئب يحرم أكلهما ومع ذلك هما طاهران.

وكل حيوان لم يذبح ذبحا شرعيا أو كان مما يحرم أكله حتى لو كان طاهرا حال حياته كالحمار فإنه يعتبر «ميتة» ولحم الميتة مع حرمة أكله نجس، والنجاسة تشمل الجلد والشعر وكل ما يتصل به، غير أن جلد الميتة يطهر بالدباغ عند الجمهور، إلا جلد الكلب والخنزير فلا يطهره الدباغ، ومثله الفراء والشعر، ومذهب داود الظاهرى وأبى يوسف أن الدباغ يطهر كل جلود الميتة حتى الكلب والخنزير، لأن الأحاديث الواردة فى ذلك لم يفرق فيها بين الكلب والخنزير وما سواهما، ذكره النووى فى شرح صحيح مسلم ونقله الشوكانى فى نيل الأوطار (١ / ٧٥). وعليه فلا يجوز استعمال جلد الخنزير وشعره فى ملابس أو أحذية أو غيرهما على رأى جمهور العلماء.

(من هذه الأحاديث ما رواه مسلم «أيما إهاب دبغ فقد طهر» وما رواه الدارقطنى «طهور كل أديم دباغه»).

هذا هو حكم شعر الخنزير إذا أخذ بعد موته، أما إذا أخذ حال حياته فإن حكمه كحكم ميتته، وميتته نجسة فشعره بالتالى نجس، وذلك لحديث رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين «ما قطع من حى فهو كميتته» (الإقناع للخطيب ج ١ ص ٢٤). واستثنى العلماء من هذا الحديث شعر وصوف ووبر مأكول اللحم فهى طاهرة. وعلى هذا لا يجوز استعمال شعر الخنزير إذا قص منه وهو حى فى عمل الفراجين «الفرش» حتى لو غلى هذا الشعر وعقم سواء أخذ حال الحياة أو بعد الموت، لأن هذه الإجراءات الصحية لا تطهره، بل هى للتأكد من خلوه من الأمراض المعدية، والنجاسة باقية، لأنها نجاسة عين لا تطهر بهذه الرسائل مطلقا، بخلاف الشىء الطاهر الذى لاقته النجاسة فإنه يقال عنه إنه متنجس، ويطهر بالغسل بالماء على ما هو مفصل فى كتب الفقه:

هذا، وقد يقرأ فى بعض الكتب أن شعر الخنزير يجوز الانتفاع به فى خرازة النعال، لما روى أن رجلا سأل النبى ﷺ عن ذلك فقال لا بأس، كما رواه ابن خويز منداد، فكانت الخرازة به موجودة فى عهد النبى وبعده، ولم يعلم أنه أنكرها ولا أحد من الأئمة بعده.

لكن جواز خرازة النعال بشعر الخنزير لا ينفى نجاسته، ولذلك لا يجوز المسح على النعل المخروز به ولا الصلاة فيه، وإن أجاز بعضهم ذلك فهو عند الضرورة (حياة الحيوان الكبرى للدميرى - خنزير برى) (أحسن الكلام ٣ / ٢٨٦ - ٢٨٨).

(حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١ / ٢٧٥ - ٢٧٨، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٢٥٧، ٢٥٨، والطب الإسلامى عبر القرون - د. الفاضل العبيد عمر / ١٣٢ - ١٣٤، والطب الوقائى فى الإسلام - د. أحمد شوقى الفنجرى / ٢٩٠ - ٣٠٣، واجتهادات فى التفسير العلمى فى القرآن الكريم - د. محمد عادل أبو الخير / ١٢٢ - ١٢٤، ومع الطب فى القرآن الكريم - د. عبد الحميد دياب، و د. أحمد قرقوز، تقديم د. محمود ناظم نسيمى / ١٣٧، ١٣٨، وأحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام - فضيلة الشيخ عطية صقر ٣ / ٢٨٦ - ٢٨٨).

انظر مادة «الحشر (سورة -) فى م ١٤ / ٢٠٠ - ٢٠٦.

*** الخنساء (ـ ٢٤ هـ / ـ٦٤٥م):**

قال الإمام النووى : خنساء بنت خذام الأنصارية الصحابية مذكورة فى المختصر ثم فى المهذب فى كتاب النكاح وهى التى أنكحها أبوها وهى كارهة فرد رسول الله ﷺ نكاحها . روى حديثها هذا أبو داود والنسائى وغيرهما وهى خنساء بفتح الخاء المعجمة وبعدها نون ساكنة والألف ممدودة بنت خذام بخاء معجمة مكسورة ثم ذال معجمة مخففة ابن خالد وقيل ابن وديعة من بنى عمرو بن عوف وكنية خذام أبو وديعة والصحيح أن أباها كان زوجها وهى ثيب وقيل وهى بكر روى لها عن رسول الله ﷺ ثمانية أحاديث (تهذيب ٢ / ٣٤٢).

وأفاض الكلام عنها الأستاذ أحمد حسن الزيات رحمه الله فقال :

هى السيدة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية . والخنساء لقب غلب عليها : نبتت فى دوحة الشرف، وازدهرت فى روضة الفضل، فكان أبوها وأخواها معاوية وصخر سادات سليم من مضر. وكانت بارعة الجمال والأدب فخطبها دريد بن الصمة سيد هوازن وفارس جشم، فردته وآثرت التزوج فى قومها. ولما قوض الدهر ركنى بيتها بموت أخويها معاوية وصخر جزعت عليهما أشد الجزع، وبكتهما أحر البكاء، ورثتهما بأبلغ الرثاء، ولا سيما صخر لما بلته من كثرة إحسانه، وشدة حنانه، وقوة جنانه. ثم وفدت فى قومها على الرسول ﷺ فأسلمت، وأنشدته فاهتز لشعرها واستزادها بقوله : هيه يا خناس ! وكان الظن أن تنهنه الخنساء بعد إسلامها دموع الجزع على أبيها وأخويها تعزيا بالدين وعزوفا عن سنة الجاهلية، إلا أن وجدها على صخر كان وراء الصبر وفوق العزاء، فلم تزل تبكيه وترثيه حتى ابيضت عيناها من الحزن. وكانت تقول : كنت أبكى له من الثار، وأنا اليوم أبكى له من النار. على أن السن والزمن والدين ما زالت بهذه الكبد القريحة حتى اندملت؛ فوجدت الخنساء فى شيخوختها آسيا من روح الله ومواسيا من فضله، فقبلت مصرع بنيها الأربعة صابرة محتسبة وقد حرضتهم على القتال فى حرب القادسية فاستشهدوا جميعا، فلم تزد على أن قالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم، وأرجو أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته . ثم توفيت بالبادية عام ٢٤ هـ.

شعرها :

ليس فى شواعر العرب قبل الإسلام وبعده من تفوق الخنساء فى رصانة شعرها، ورقة لفظه، وحلاوة جرسه، ولربما ضارعت فى هذه الصفات الشعراء الفحول. ويرى النابغة وجرير وبشار أنها أفضل من الرجال، لما فى شعرها من قوة الرجولة ورقة الأنوثة. وقد غلب فى شعرها الفخر والرثاء. أما الفخر فلأن أباها أمثل قومه، وأخويها خير مضر؛ وأما الرثاء فلفجيعتها فيهم وطول وجدها عليهم. والأسى يدق الشعور، ويرق العاطفة، ويفتق القريحة فى الرجل، فكيف به فى المرأة؟ وكانت لا تقول إلا البيتين أو الثلاثة قبل مقتل أخويها، فلما قتلا فاض الدمع من عينها، والشعر من قلبها، فأتت فى رثائها بالمعجب المعجز. وظلت الخنساء فى شعرها بدوية جاهلية، فلم تتأثر بالإسلام كثيرا ولا قليلا.

نموذج من شعرها .

قالت ترثى أخها صخرا :

أعينَىَّ جُودا ولا تجمدا — ألا تبكيان لصخر الندى؟

ألا تبكيان الجرىء الجميل — ألا تبكيان الفتى السيدا؟

رفيع العماد طويل النجا — د ساد عشيرته أمردا

إذا القوم مدُّوا بأيديهم — إلى المجد مد إليه يدا

فنال الذى فوق أيديهم — من المجد ثم انتمى مصعدا

يحمله القوم ما عالهم — وإن كان أصغرهم مولدا

وإن ذُكر المجد ألفيته — تأزر بالمجد ثم ارتدى

وقالت ترثيه أيضا

ألا يا صخر إن أبكيت عينى — فقد أضحكتنى زمنا طويلا

دفعت بك الخطـوب وأنت حي
فمن ذا يـدفع الخطب الجليـلا؟
إذا قبح البكـاء على قتيل
رأيت بكـاءك الحسن الجميـلا

وقالت ترثي وتفتخر:

تعـرّقنى الـدهـر نهسـا وحـزًّا
وأوجعنى الـدهـر قـرعـا وغمـزا
وأفنى رجـالى فبـادوا معـا
فـأصبح قلبى بهم مستفـزا
كـأن لـم يكـونـوا حمى يتقى
إذا النـاس فى ذاك من عـز بـزا
وخيل تكـدس بـالـدارعين
وتحت العجـاج يجمـزن جمـزا
ببيض الصفـاح وسمـر الـرمـاح
فبـالبيض ضـربـا وبـالسمـر وخـزا
جـززنـا نـواصى فـرسـانهـا
وكـانـوا يـظنون ألا تجـزا
ومـن ظـن ممن يـلاقى الحـروب
بـألا يُصـاب فقـد ظن عجـزا
نعـف ونعـرف حـق القـرى
ونتخـذ الحمـد ذخـرا وكنـزا
ونلبس فى الحـرب نسج الحـديـد
وفـى السلم نلبس خـزا وبـزا

ومن قولها:

إن الـزمـان ومـا يفنى لـه عجب
أبقى لنـا ذنبـا واستـؤصل الـراس
إن الجـديـدين فى طـول اختـلافهمـا
لا يفسـدان ولكن يفسـد النـاس

(تاريخ الأدب العربى/ ١٤٩ـ ١٥١).

قال الزركلى: لها «ديوان شعر» مطبوع فيه ما بقى محفوظا من شعرها (الأعلام ٢ / ٨٦).

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٢ / ٣٤٢، وتاريخ الأدب العربى ـ أحمد حسن الزيات / ١٤٩ ـ ١٥١، والأعلام للزركلى ٢ / ٨٦).

* **الخُنَّس:**

جاء فى اللسان فى مادة «خنس»: الخنوس: الانقباض والاستخفاء. وأنخس: انقبض وتأخر. وقيل: رجع... وفى الحديث: «الشيطان يوسوس إلى العبد، فإذا ذكر الله خنس»، أى انقبض منه وتأخر. قال الأزهرى: وكذا قال الفراء فى قوله تعالى: ﴿**من شر الوسواس الخناس**﴾ [الناس: ٤] قال: إبليس يوسوس فى صدور الناس، فإذا ذكر الله خنس...

والكواكب الخُنَّس: الدرارى الخمسة تخنس فى مجراها وترجع وتكنس كما تكنس الظباء وهى: زحل، والمشترى، والمريخ، والزُهرة، وعطارد، لأنها تخنس أحيانا فى مجراها حتى تخفى تحت ضوء الشمس، وتكنس أى تستتر كما تكنس الظباء فى المغار، وهى الكناس، وخنوسها استخفاؤها بالنهار، بينا نراها فى آخر البرج كرت راجعة إلى أوله، ويقال: سميت خُنَّسا لتأخرها، لأنها الكواكب المتحيرة التى ترجع وتستقيم ويقال: هى الكواكب كلها تخنس فى المغيب، أو لأنها تخفى نهارا، ويقال هى الكواكب السيارة منها دون الثابتة.

الزجاج فى قوله تعالى: ﴿**فلا أقسم بالخنس * الجوار الكنس**﴾ [التكوير: ١٥، ١٦]، قال: أكثر أهل التفسير فى الخنس أنها النجوم، وخنوسها أنها تغيب، وتكنس تغيب أيضا كما يدخل الظبى فى كناسه، قال: والخُنَّس جمع خناس ا. هـ (لسان العرب لابن منظور ١٥ / ١٢٧٧).

* **الخنفساء:**

يأتى وصفها فى المراجع الحديثة على النحو التالى: هى فصيلة من الحشرات تحور الزوج الأول من الأجنحة فيها إلى غطاء ينطوى تحته الزوج الثانى منها. والهيكل الخارجى يكون فى العادة شديد الصلابة وفى الغالب يكون لامعا براقا كالمعدن.

وكثير من الخنافس توقع أضرارا بالغة بالمحاصيل، ومن هذه الخنفساء المعروفة بالويفل التى توقع أضرارا بالقطن والحبوب، وخنفساء كولورادو التى تؤذى محاصيل

البطاطس، في حين أن هناك أنواعا أخرى تأكل الأخشاب والأثاث. ومن أنواع الخنافس الشائعة أيضا الجعل الأوربى، وسوس الحنطة (وهو في طور اليرقة) والحباحب (سراج الليل) الذي ينبعث منه ضوء، والخنفساء الدوارة، والخنفساء المائية الضخمة (دائرة معارف الشباب / ٤٣٩، ٤٤٠).

أما بالنسبة لمصنفات التراث الإسلامي فقد أوردها القزويني (عجائب المخلوقات / ١٩٣، ١٩٤) ثم أوردها من بعده الشيخ كمال الدين الدميري فقال عنها: الخنفساء: معروفة، ونونها زائدة، وهي بفتح الفاء ممدودة، الأنثى خنفساء.

وضم الفاء في كل ذلك لغة والخنفس اسم للكثير من الخنافس وقال الأصمعي لا يقال خنفساءة بالهاء وكنيتها أم الفسو وأم الأسود وأم مخرج وأم اللجاج وأم النتن تتولد من عفونة الأرض وهي طويلة الطم، وبينها وبين العقرب صداقة ولهذا يسميها أهل المدينة الشريفة جارية العقرب وهي أنواع منها الجعل وحمار قبان وبنات وردان والحنطب وهو ذكر الخنافس... قال حنين بن إسحاق طريق طرد الخنافس أن يطرح في أماكنها الكرفس فإنها تهرب من ذلك المكان وروى ابن عدى في كامله في ترجمة أبي معشر واسمه نجيح عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال ليدعن الناس فخرهم في الجاهلية أو ليكونن أبغض إلى الله تعالى من الخنافس (حياة الحيوان الكبرى ١/ ٢٧٩).

وقال القزويني وقد أدرجها من الهوام والحشرات: الخنفساء هي الدويبة السوداء التي تتولد في الأرواث ذات الرائحة النتنة، ثم ساق ما أسماه الدميري «غريبة» فقال: حكى أن رجلا رأى خنفساء فقال: ماذا يريد الله من خلق هذه حُسْن شكلها أو طيب رائحتها؟ فابتلاه الله بقرحة حتى عجز الأطباء عنها فترك العلاج. فسمع ذات يوم صوت طبيب من الطرقيين ينادي في الدرب فقال: هاتوه حتى ينظر في أمري، فقالوا له ماذا تصنع برجل طرقي وقد عجز عنك حذاق الأطباء؟ فقال: هاتوه ونسمع قوله وليس فيه ضرر، فلما رأى الطبيب القرحة وسأل عنها قال عليَّ بالخنفساء، فضحك الحاضرون من قوله فتذكر العليل القول الذي سبق منه فقال: هاتوا ما طلب فإن الرجل على بصيرة فأحرقها وذر رمادها على القرحة فبرأت بإذن الله تعالى فقال للحاضرين: إن الله أراد أن يعرفني أن أخس الأشياء أعز الأدوية (عجائب المخلوقات / ٢٩٤، وحياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٧٩).

وحكى ابن خلكان في ترجمة جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي أنه كان عنده أبو عبيدة الثقفي فقصدته خنفساء فأمر جعفر بإزالتها فقال أبو عبيدة دعوها عسى أن يأتيني بقصدها إلى خير فإنهم يزعمون ذلك فأمر له جعفر بألف دينار فقال تحقق زعمهم فأمر بتنحيتها فقصدته ثانيا فأمر له بألف دينار أخرى.

الحكم: يحرم أكلها لاستخباثها. وقال الأصحاب ما لا يظهر فيه ضرر ولا نفع كالخنافس والدود والجعلان والسرطان والبغاث والرخمة والعظاءة والسلحفاة والذباب وأشباهها يكره قتلها للمحرم وغيره هكذا قطع به الجمهور. وحكى أمام الحرمين وجها شاذا أنه لا يحرم قتل الطيور والحشرات ودليل الكراهة أنه عبث بلا حاجة وقد ثبت في صحيح مسلم عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وليس من الإحسان قتلها عبثا. وروى البيهقي عن قطبة الصحابي رضي الله تعالى عنه أنه كان يكره أن يقتل الرجل ما لا يضره.

الأمثال: قالوا الخنفساء إذا مست نتنت أي جاءت بالنتن الكثير يضرب لمن ينطوي على خبث معناه لا تفتشوا على ما عنده فإنه يؤذيكم بنتن معايبه وقال خلف الأحمر النحوي يهجو العتبي:

لنا صاحب مولع بالخلاف
كثيرا الخطاء قليل الصواب
ألج لجاجا من الخنفساء
وأدهى إذا ما مشى من غراب

(دائرة معارف الشباب ـ د. فاطمة محجوب / ٤٣٩، ٤٤٠، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ٢٩٤، وحياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميري ١/ ٢٧٩، ٢٨٠).

*** أبو خُنَيس الغفارى:**

أبو خُنَيْس الغفارى، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ فى غزاة تهامة حتى إذا كنا بعسفان جاءه أصحابه، فقالوا: يارسول الله، أجهدنا الجوع، فأذن لنا فى الظَّهْر أن نأكله. فقال له عمر: لو دعوت لهم فى أزوادهم بالبركة، فذكر حديثا حسنا فى أعلام النبوة. حديثه هذا عند أبى بكر بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر شيخ مالك، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى ربيعة ـ أنه سمع أبا خنيس الغفارى يقول: خرجت مع رسول الله ﷺ . . فذكر الحديث.

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٤ / ١٦٤٠).

*** خوات بن جبير (ـ ٤٠ هـ)**

خوات بن جبير: الصحابى مذكور فى الوسيط فى صلاة الخوف وهو بفتح الخاء المعجمة وتشديد الواو وهو خوات بن جبير بن النعمان بن أمين بن امرىء القيس وهو البرك بضم الباء الموحدة وفتح الراء المهملة بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ابن مالك بن أوس الأنصارى الأوسى وكنيته أبو عبد الله. وقيل أبو صالح قلت ويحتمل أنهما كنيتان له كما لغيره كنيتان بل كُنًى وهو أحد فرسان رسول الله ﷺ شهد بدرا هو وأخوه عبد الله ابن جبير فى قول بعضهم وقال موسى بن عقبة أنه رجع من الصفراء لمرض أو جرح أصابه فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره وكذلك قال الحفاظ ابن منده وأبو نعيم الأصبهانيان وأبو عمر بن عبد البر النمرى الشاطبى لا القرطبى كما ظنه ابن الأثير فى معرفة الصحابة وكذا قاله أيضا من أصحاب السير والمغازى محمد بن إسحاق بن يسار والكلبى وهو صاحب «ذات النحيين» فى الجاهلية وهى امرأة من بنى تيم الله. روى عن النبى ﷺ فى صلاة الخوف ما أسكر كثيره فقليله حرام. وتوفى بالمدينة سنة أربعين وعمره أربع وتسعون سنة مائة إلا ست سنين قاله ابن منده وأبو نعيم الأصبهانيان وأبو عمر بن عبد البر رحمهم الله تعالى (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٧٨، ١٧٩).

قال ابن قتيبة: هو من «الخزرج»، ويكنى أبا صالح، ويقال: يكنى أبا عبد الرحمن.

ومات بالمدينة سنة أربعين، وله عقب. وأخوه: عبد الله ابن جبير، أمير الرماة «يوم أحد»، وقتل«عبد الله» يومئذ. ولا عقب له (المعارف / ٣٢٧).

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٧٨، ١٧٩، والمعارف لابن قتيبة، حققه وقدم له د. ثروت عكاشة / ٣٢٧).

*** خواتم الحكم وحل الرموز وكشف الكنوز من لطائف العلوم والحكم:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٨١٣٩

ـ رتبه على ثلاثمائة وستين سؤالا من لطائف الأسئلة الحكمية والأجوبة العلمية استخرجها من كتب المحققين كالفتوحات المكية لابن عربى وكنز الأسرار للصنهاجى والمناسبات للنيسابورى وغيرها.

المؤلف: علاء الدين على دده بن مصطفى الموستارى السكتوارى المشهور بشيخ التربة المتوفى سنة ١٠٠٧ هـ/ ١٥٩٨ م.

أوله: الحمد لله العلى الأعلم، الفياض الذى علَّم الإنسان ما لم يعلم، الحكيم الذى جعل قلوب الحكماء أوعية الحكم، واصطفى منهم فى علمه القدم، فصير العقل المنور كالقلم، والقلب السليم كاللوح المكرم، فأثنى على الحكماء فى كتابه الكريم ...

آخره: وقد ورد أيضا فى يوم القيامة كأنه ألف سنة قال أهل التفسير ذلك فى طوائف دون طوائف، فللحشر مواقف ومواطن بحسب الأشخاص من جهة الأعمال والأحوال والمقامات، وأخرج ابن عطية فى تفسيره عن عكرمة ...

الخط نسخى جميل، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر.

اسم الناسخ: إبراهيم.

تاريخ النسخ: سنة ١١٣٤ هـ.

ملاحظات: نسخة حسنة.

مصادر عن الكتاب: معجم المطبوعات ١٣٦٢، فهرس الخديوية ٦ / ١٣٧

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٧/ ٢٤٣

طبعة الكتاب: الشرفية بمصر سنة ١٣١٤ هـ بـ ٢٠٦ ص.

بعض نسخ الكتاب: الأوقاف ببغداد ١٣٨ الفهرس الأول أي الكشاف.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٥١٠، ٥١١).

* **خواتم السور:**

معرفة خواتم السور هي النوع الثامن من علوم القرآن الكريم وفقا لتقسيم الإمام البدر الزركشي، والنوع الحادي والستون فقا لتقسيم الإمام السيوطي وقد قال كل منهما:

وهي مثل الفواتح في الحسن؛ لأنها آخر مايقرع الأسماع؛ فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة؛ مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوف النفس إلى ما يذكر بعد.

ومن أوضحه خاتمة سورة إبراهيم: ﴿**هذا بلاغ للناس**﴾ [إبراهيم: ٥٢] وخاتمة سورة الأحقاف: ﴿**بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون**﴾ [٣٥] ولأنها بين أدعية ووصاياوفرائض ومواعظ وتحميد وتهليل، ووعد ووعيد؛ إلى غير ذلك. كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة فاتحة الكتاب؛ إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلال؛ ففصل جملة ذلك بقوله: ﴿**الذين أنعمت عليهم**﴾ [الفاتحة: ٧]؛ والمراد المؤمنون؛ ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيده ليتناول كل إنعام؛ لأن من أنعم عليه بنعمة الإيمان فقد أنعم عليه بكل نعمة؛ لأن نعمة الإيمان مستتبعة لجميع النعم؛ ثم وصفهم بقوله: ﴿**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾ [الفاتحة: ٧] يعني أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من غضب الله والضلال المسببين عن معاصيه وتعدي حدوده. وكالدعاء الذي اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة.

(وذلك قوله تعالى: ﴿**ربنا وإليك المصير**﴾ [٢٨٥] ﴿**ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا...**﴾ [٢٨٦]).

وكالوصايا التي ختمت بها سورة آل عمران، بالصبر على تكاليف الدين، والمصابرة لأعداء الله في الجهاد ومعاقبتهم، (وذلك قوله تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾ [٢٠٠])، والصبر على شدائد الحرب والمرابطة في الغزو المحضوض عليها بقوله: ﴿**ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**﴾ [الأنفال: ٦٠]، والتقوى الموعود عليها بالتوفيق في المضايق وسهولة الرزق في قوله: ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾ [الطلاق: ٢، ٣] وبالفلاح لأن ﴿**لعل**﴾ من الله واجبة.

وكالوصايا والفرائض التي ختمت بها سورة النساء (وذلك قوله تعالى: ﴿**يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد...**﴾ [١٧٦])وحسن الختم بها لأنها آخر مانزل من الأحكام عام حجة الوداع.

وكالتبجيل والتعظيم الذي ختمت به المائدة: ﴿**لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير**﴾ [المائدة: ١٢٠]، ولإرادة المبالغة في التعظيم اختيرت «ما» علىٰ «من» لإفادة العموم، فيتناول الأجناس كلها.

وكالوعد والوعيد الذي ختمت به سورة الأنعام بقوله: ﴿**إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم**﴾ [١٦٥] ولذلك أورد على وجه المبالغة في وصف العقاب بالسرعة وتوكيد الرحمة بالكلام المفيد لتحقيق الوقوع.

وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذي ختمت به سورة الأعراف.

(وذلك قوله تعالى: ﴿**إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون**﴾ [٢٠٦]) والحض على الجهاد وصلة الأرحام الذي ختم به الأنفال.

(وذلك قوله تعالى: ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم**﴾ [٧٥]).

ووصف الرسول ومدحه والاعتداد على الأمم به وتسليمه ووصيته والتهليل الذي ختمت به براءة. (وذلك قوله تعالى: ﴿**فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم**﴾ [١٢٩])، وتسليته عليه الصلاة والسلام الذي ختم بها سورة يونس (وذلك قوله تعالى: ﴿**واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين**﴾، [١٠٩] (مثلها خاتمة هود (وذلك قوله تعالى: ﴿**فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون**﴾ [١٢٣]) ووصف القرآن ومدحه الذي ختم به سورة

يوسف (وذلك قوله تعالى: ﴿ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ [١١١])، والرد على من كذب الرسول الذى ختم به الرعد. (وذلك قوله تعالى: ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ...﴾ [٤٣]).

ومدح القرآن وذكر فائدته والعلة فى أنه إله واحد الذى ختمت به إبراهيم (وذلك قوله تعالى: ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به ...﴾ [٥٢])، ووصية الرسول التى ختم بها الحجر (وذلك قوله تعالى: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ [٩٩]) وهو مفسر بالموت فإنها فى غاية البراعة وتسلية الرسول بطمأنينته ووعد الله سبحانه الذى ختمت به النحل (وذلك قوله تعالى: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ [١٢٨])، والتحميد الذى ختمت به سبحانه (وذلك قوله تعالى: ﴿وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ...﴾ [الإسراء: ١١١].

وتحضيض الرسول على البلاغ والإقرار بالتنزيه، والأمر بالتوحيد الذى ختمت به الكهف (وذلك قوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد ...﴾ [١١٠])(البرهان ١/ ١٨٢-١٨٥ والإتقان ٢/ ١٣٧).

كان هذا ما أورده كل من الإمام البدر الزركشى والإمام الجلال السيوطى، ثم يضيف الإمام السيوطى ما يلى قائلا:

وانظر إلى سورة الزلزلة كيف بدئت بأهوال القيامة وختمت بقوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ [٧، ٨] وانظر إلى براعة آخر آية نزلت وهى قوله تعالى: ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله﴾ [البقرة: ٢٨١] وما فيها من الإشعار بالآخرية المستلزمة للوفاة. وكذا آخر سورة نزلت وهى سورة النصر فيها الإشعار بالوفاة، كما أخرج البخارى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس أن عمر سألهم عن قوله تعالى ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ [١] فقالوا: فتح المدائن والقصور. قال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: أجل ضرب لمحمد نُعيت له نفسه. وأخرج أيضا عنه قال: كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال: لِمَ يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من قد علمتم، ثم دعاهم ذات يوم فقال: ما تقولون فى قول الله ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم لم يقل شيئا، فقال لى: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ وذلك علامة أجلك «فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا فقال عمر: إنى لا أعلم منها إلا ماتقول (الإتقان ٢/ ١٣٧، ١٣٨).

(البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى - تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١/ ١٨٢ - ١٨٥ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص، والإتقان فى علوم القرآن لشيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٢/ ١٣٧، ١٣٨).

انظر مادة «الحروف المقطعة فى أوائل بعض السور» فى م ١٣/ ٤٨٩-٤٩٩.

*** خواتيم سورة الحشر:**

عن سؤال يقول: ما هى خواتيم الحشر وما ثواب قراءتها يجيب فضيلة الشيخ عطية صقر بقوله: خواتيم الحشر الواردة فى الحديث «من قرأ خواتيم الحشر فى ليل أو نهار فمات فى ذلك اليوم أو الليلة فقد ضمن الله له الجنة» المراد بها الآيات التى فى آخر سورة الحشر المبدوءة بقوله تعالى: ﴿هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم﴾ [٢٢].

وقد ذكر القرطبى فى تفسيره هذا الحديث ولم يذكر درجته. وجاء فى حاشية الجمل على الجلالين حديث أخرجه الترمذى وقال: إنه حسن غريب «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكّل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حين يمسى؛ وإن مات من يومه مات شهيدا، ومن قرأها حين يمسى فكذلك».

ومهما يكن من شيء فإن هذه الآيات منها بعض أسماء الله الحسنى التى أمرنا أن ندعوه بها فى قوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقراءتها لها ثوابها إن شاء الله، بكل حرف عشر حسنات كما صحت بذلك الأحاديث.

(أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام - فضيلة الشيخ عطية صقر. ط دار الغد العربى ٣/ ٢٩٤).

* **خواجا يارسا (٧٥٦ـ٨٢٢ هـ / ١٣٥٥ـ١٤١٩م):**

نسبه وشيوخه وتلاميذه:

محمد بن محمد بن محمود الحافظي النجاري المعروف بخواجا يارسا ولد سنة ٧٥٦ هـ وأخذ الفقه عن أبي الطاهر محمد بن محمد بن الحسن الطاهري وحصَّل الفروع والأصول وبرع في المعقول والمنقول وقرأ على علماء عصره وبز أقرانه فنشأ عالما فقيها من أكابر فقهاء الحنفية محدِّثا أصوليا مفسرا وأخذ عنه ولده أبو نصر يارسا محمود وقد رحل المترْجَم له إلى عدة بلاد لنشر العلم وقد خرج حاجًّا ومر على نسف وصفاتيان وبلخ وهراة وجام وغيرها فعرف قدره علماء هذه البلاد فأنزلوه منزلته وانتفعوا به ولما حج قصد إلى المدينة وقد توفى فيها.

مصنفاته ووفاته:

من مؤلفاته الفصول الستة في الأصول، وفصل الخطاب في التصوف، وتصنيف في تفسير القرآن الكريم في مائة مجلد. وكانت وفاته سنة ٨٢٢ وصلى عليه شمس الدين محمد بن حمزة الفناري ودفن ليلة الجمعة بجوار سيدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

(الفتح المبين في طبقات الأصوليين ... صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى المراغي ٣/ ٢٤ وما بهامشه من مصادر).

* **الخواجه:**

قال أحمد تيمور باشا:

الخواجه وقد يرسمه بعضهم بألف في آخره بدل التاء لفظ فارسي دخيل في التركية ويرسم في اللغتين بهاء في آخره غير منطوقة وهو لقب تكريم عندهم يرادف الأغا والأفندي والسيد وما في معناها، ويطلق أيضا على الأساتذة المعلمين ولا سيما المشايخ المعممين منهم، وقد يحرف في هذا المعنى فيقال فيه خوجة بحذف الألف التي بعد الواو. وفي الفوائد البهية في تراجم الحنفية أن النقشبندية يطلقون الخواجه على مشايخهم للتكريم. ورأينا في بعض التواريخ تلقيب الوزراء به ثم لقب به كبار التجار واستعمل في ذلك إلى عصر الجبرتي ولما كثر نزوح الإفرنج إلى مصر في أوائل هذا العصر وكان أغلب الوافدين منهم في أول الأمر تجاراً كرموهم بهذا اللقب ثم توسعوا فيه فأطلقوه على كل إفرنجي ثم قيل للوجيه من غير المسلمين وإن لم يكن إفرنجيا وقد فصلنا الكلام عليه في معجم العامية المصرية (الآثار النبوية / ٥٤).

وقال الدكتور حسن الباشا:

لفظ فارسي بمعنى المعلم أو الكاتب أو التاجر أو الشيخ أو السيد. وقد استعمل في العالم الإسلامي كلقب عام. وكان اللقب في استعماله يأتي أحيانا في أول الألقاب. ومن أمثلة استعمالاته في النقوش أن أطلق على مقدم المشايخ يوسف ابن كثير العلي في نص جنائزي بتاريخ شهر شوال سنة ٥٥٧ هـ من نخجوان، وعلى التاجر رشيد الدين عزيزي بن أبي الحسين الزنجاني في نقش بتاريخ شهر المحرم سنة ٥٥٩ هـ على سطل من البرنز المكفت بالفضه من إيران. وكان هذا اللقب يطلق أحيانا على من يمت بصلة إلى الأصل الفارسي: ومن ذلك إطلاقه على الخواجا مصطفى ابن الخواجا محمود ابن الخواجا رستم البرصاوي، المشرف على بعض التجديدات في الجامع الأزهر في عهد الملك الأشرف قايتباي في نص بتاريخ شهر شعبان سنة ٩٠٠ هـ في الجامع الأزهر. ومن الملاحظ أن ورود اسم رستم ضمن سلسلة أسماء الملقب يؤكد أصله الفارسي. وفضلا عن ذلك فقد استعمل اللقب في عصر المماليك ضمن ألقاب التجار الأعاجم من الفرس ونحوهم.

واستعمل كتاب الإنشاء في عصر المماليك كذلك اللقب مضافا إلى ياء النسبة: «الخواجكي»، بزيادة الكاف التي تدخل في الفارسية مع ياء النسبة في هذه الحالة. ومكان اللقب في هذه الصيغة يأتي ضمن سلسلة ألقاب التجار في آخر الألقاب المفردة: أي قبل لقب التعريف الخاص المضاف إلى «الدين»؛ وكانت مهمته حينئذ الدلالة على وظيفة الملقب دلالة خاصة؛ ومثلها في ذلك مثل «الحاكي» للقضاة، «والوزيري» للوزراء من العسكريين، «والصاحبي» للوزراء من المدنيين (الألقاب الإسلامية / ٢٧٩، ٢٨٠).

(الآثار النبوية ـ أحمد تيمور باشا / ٥٤، والألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٧٩، ٢٨٠).

* **خُوار:**

قال ياقوت:

خوار: بضم أوله، وآخره راء: مدينة كبيرة من أعمال الري

بينها وبين سمنان للقاصد إلى خراسان على رأس الطريق تجوز القوافل فى وسطها، بينها وبين السرى نحو عشرين فرسخا، جئتها فى شوال سنة ٦١٣، وقد غلب عليها الخراب؛ وقد نسب إليها قوم من أهل العلم، منهم: أبو يحيى زكرياء بن مسعود الأشقر الخوارى، حدث عن على بن حرب الموصلى. وخوار أيضا: قرية من أعمال بيهق من نواحى نيسابور؛ وقد نسب إليها قوم من أهل العلم، منهم: أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخوارى البيهقى، إمام مسجد الجامع بنيسابور أحد الأئمة المشهورين.

حدث عن الإمامين أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى وأبى الحسن على بن أحمد الواحدى بقطعة من تصانيفهما، . روى عنه جماعة من الأئمة، آخرهم شيخنا المؤيد بن محمد بن على الطوسى وغيره، فإنه حدث عنه بالوسيط وغيره، ومات فى تاسع عشر شعبان سنة ٥٣٦؛ وأخوه عبد الحميد بن محمد الخوارى، حدث عن الحافظ أبى بكر البيهقى، حدث عنه أبو القاسم بن عساكر. وخوار أيضا: قرية من نواحى فارس. والخوار: قرية فى وادى ستارة من نواحى مكة قرب بُرْزة، فيها مياه ونخيل.

(معجم البلدان / ٢٩٤).

***الخوارج:**

الخوارج اسم يطلق على كل من خرج على الإمام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه، سواء كان الخروج فى أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة فى كل زمان.

والخوارج أطلقت عليهم أسماء... منها:

١ - الحرورية: لأنهم حينما انشقوا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عند رجوعه من صفين إلى الكوفة، انحازوا إلى «حروراء»، وهى قرية من قرى الكوفة.

٢ - الشراة: وذلك لقولهم: شرينا أنفسنا فى طاعة الله. آخذين هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾.

٣ - المارقة: وهم - طبعا - لا يرضون بهذا الاسم، لاعتقادهم أنهم هم المؤمنون، ومن عداهم هم الكافرون والمشركون والمارقون.

وأول من خرج على أمير المؤمنين على رضى الله عنه جماعة ممن كان معه فى حرب صفين، وأشدهم خروجا عليه ومروقا من الدين: الأشعث بن قيس الكندى، ومسعر بن مذكى التميمى، وزيد بن حسين الطائى حين قالوا: القوم يدعوننا إلى كتاب الله، وأنت تدعونا إلى السيف! حتى قال: أنا أعلم بما فى كتاب الله! انفروا إلى بقية الأحزاب: انفروا إلى من يقول: كذب الله ورسوله، وأنتم تقولون: صدق الله ورسوله قالوا: لترجعن الأشتر عن قتال المسلمين وإلا فعلنا بك مثل ما فعلنا بعثمان. فاضطر إلى رد الأشتر بعد أن هزم الجمع وولوا مدبرين وما بقى منهم إلا شرذمة قليلة فيهم حشاشة قوة. فامتثل الأشتر أمره.

وكان من أمر الحكمين: أن الخوارج حملوه على التحكيم أولا. وكان يريد أن يبعث عبد الله بن عباس رضى الله عنه فما رضى الخوارج بذلك، وقالوا: هو منك. وحملوه على بعث أبى موسى الأشعرى على أن يحكم بكتاب الله تعالى. فجرى الأمر على خلاف ما رضى به. فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه، وقالوا: لم حكّمت الرجال؟ لا حكم إلا لله، وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان (الملل والنحل ١ / ١١٤، ١١٥).

وهذه طائفة كانت فى أول نشأتها قد نقمت على الخليفة الثالث، عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه، أشياء منها: إيثاره آله بالولايات، فخرجت عليه، وانتهى الأمر بقتله، ثم انضموا إلى من بايعوا على بن أبى طالب بالخلافة، ثم نقموا عليه ارتضاءه تحكيم أبى موسى الأشعرى، وعمرو بن العاص، مع أنهم، هم الذين أشاروا عليه بقبول التحكيم، ثم انتقضوا عليه بعد ذلك، وعاثوا فى الأرض فسادا، فقاتلهم، حتى قُتل منهم خلق كثير، وفر من بقى منهم، ومن بعد مقتل على، توالى خروجهم على الخلفاء من بنى أمية، ثم من بنى العباس وواقعاتهم مروية مشهورة فى التاريخ وقد انقسموا فرقا كثيرة، ونجحوا فى بلاد المغرب، وانتشر مذهبهم بين قبائل البربر، وانحاز بعضهم إلى الجهة الشرقية الجنوبية من جزيرة العرب («البحث عن الفقه الإسلامى» / ٢٤٦).

ويفصل ذلك فضيلة الشيخ محمد محمد أبو زهو، فيقول رحمه الله منذ قتل الخليفة عثمان رضى الله عنه، انصدع بناء

الإسلام، ودب الشقاق بين جماعة المسلمين، فقد بايع الناس على بن أبى طالب، ولكن لم تصف له الخلافة يوما واحدا ولم تستقم له البلاد جميعها. فهذه الشام فى يد معاوية الذى قام يطالب بدم عثمان وامتنع عن بيعة على حتى يثأر للخليفة المقتول. فوقعت حروب طاحنة بين على ومعاوية أكلت كثيرا من أصحاب رسول الله ﷺ، وانتهى الأمر بموقعة صفين التى آل أمرها إلى التحكيم فرضيه من أصحاب على جماعة وأنكره آخرون. وبذلك رجعوا متخاصمين بعد أن جاءوا إخوانا متحابين.

انقسم المسلمون من ذلك الحين إلى «خوارج» وهم الذين يعدون قبول التحكيم كفرا فحكموا بكفر على وأصحابه لقبولهم التحكيم. «وشيعة» وهم الذين شايعوا عليا وقبلوا التحكيم وأصبح لهم عقيدة فى الإمامة خاصة بهم «وجمهور» وهم الذين لم يتلوثوا ببدعة الخروج أو التشيع. وكان منهم فريق مع على وفريق مع معاوية وفريق وقف على الحياد فلم يغمس يده فى تلك الفتنة أو يلوثها بهذه الدماء.

أصبح الخوارج خطرا على جيش على فاشتغل بحروبهم فكان ذلك قوة لمعاوية الذى كان فى أطوع جند. ثم إنه لم يطل الحال على ذلك حتى تطوع ثلاثة من الخوارج بقتل هؤلاء الثلاثة الذين كانوا سببا فى هذه المنازعات على ومعاوية وعمرو بن العاص فنجا من القتل عمرو ومعاوية وأصيب خليفة المسلمين على كرم الله وجهه بطعنة من خارجى أثيم يدعى عبد الرحمن بن ملجم. وبقتل على اجتمع أهل الكوفة وبايعوا ابنه الحسن فمكث فى الخلافة ستة أشهر وأياما. ثم تنازل عنها لمعاوية على صلح أبرم بينهما حقنا للدماء وذلك سنة إحدى وأربعين التى سميت بعام الجماعة لاجتماع الناس على معاوية. ولكن رغم تنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة لم تخمد جذوة الشيعة ولم تهدأ ثورة الخوارج بل تغالى كل فريق فى رأيه واشتط كل حزب فى عقيدته حتى أصبح لكل طائفة منزع دينى خاص كان له أثره فى الحديث والفقه.

ثم يقول رحمه الله عن مبدأهم العام ورأيهم فى الخلافة كان من رأيهم أن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر فإذا ما اختير الإمام فليس له أن يتنازل أو يحكّم، وأن الخلافة ليست فى بيت بعينه فهى ليست فى قريش وحدهم ولم يفرق الخوارج بين كافر وفاسق بل كل من تعدى حدود الله فهو فاسق والفاسق كافر لأن العمل عندهم جزء من الايمان فمرتكب الكبيرة فى نظرهم كافر.

اعترف الخوارج بصحة خلافة الشيخين أبى بكر وعمر لصحة انتخابهما. وبصحة خلافة عثمان فى سنيه الأولى التى سار فيها سيرة الشيخين فلما آثر قرابته بالولاية نقموا عليه. كذلك أقروا بصحة خلافة على رضى الله عنه إلى أن قبل التحكيم بينه وبين معاوية فى «صفين» فحكموا بكفره لأنه حكم الرجال فى دين الله ولا حكم إلا الله مستندين إلى قوله تعالى: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾ [المائدة: ٤٤] وأنكروا على معاوية استبداده بالخلافة فهو فى نظرهم غاصب لها، وكان من مذهبهم أن من تعاون مع معاوية ولم يبرأ من على وعثمان فهو كافر يستباح دمه. فعلى وشيعته ومعاوية وأعوانه وعثمان ومن لم يبرأ منه كل هؤلاء فى نظر الخوارج كفار تستحل دماؤهم.

والذى يظهر أن الخوارج فى مبدئهم كانوا قوما من الأعراب الجفاة الغلاظ الذين قال الله تعالى فى شأنهم ﴿**الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله**﴾ [التوبة: ٩٧] فليس فيهم أحد من أصحاب رسول الله ﷺ الذين استضاؤا بنور النبوة وفهموا القرآن على وجهه الصحيح، فلا عجب أن يغتر الخوارج بظواهر القرآن ولو كلفوا أنفسهم النظر فيه وحده لاهتدوا إلى آيات تأمر بالتحكيم فالله تعالى يقول فى سورة النساء ﴿**فابعثوا حكما من أهلها وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما**﴾ [النساء: ٣٥] فالتحكيم أمر مشروع والحكمان إنما يحكمان حسب ما أمر القرآن العزيز ﴿**فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول**﴾ [النساء: ٥٩] وإنما لم يرض على بالتحكيم أولا لأنه كان يرى الحق معه وأن طلب التحكيم إنما هو خدعة من معاوية وعمرو بن العاص، يريدان بها توهين جيش على وتخدير أعصابهم، لما رأياه من تفوقهم فى الموقعة، فرفعوا المصاحف على أسنة الرماح طالبين تحكيم كتاب الله. ولو أن أصحاب على أطاعوه فى عدم قبول التحكيم لتغير وجه التاريخ ولوقع معاوية وأهل الشام فى براثن الأسد ولكن أراد الله ما قد كان ولا راد لقضائه. قال العلامة ابن حزم فى كتابه الفصل (٤ -

١٥٦) «أنما حكَّم على رضى الله عنه أبا موسى وعمرا ليكون كل منهما مدليا بحجة من قدمه وليكونا متخاصمين عن الطائفتين ثم حاكمين لمن أوجب القرآن الحكم له. وإذ من المحال الممتنع الذى لا يمكن أن يفهم لغط العسكرين أو أن يتكلم جميع أهل العسكر بحجتهم فصح يقينا لا محيد عنه صواب على فى التحكيم والرجوع إلى ما أوجبه القرآن وهذا الذى لا يجوز غيره ولكن أسلاف الخوارج كانوا أعرابا قرءوا القرآن قبل أن يتفقهوا فى السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء لا من أصحاب ابن مسعود ولا من أصحاب عمر ولا أصحاب على ولا أصحاب عائشة ولا أصحاب أبى موسى ولا أصحاب معاذ بن جبل ولا أصحاب أبى الدرداء ولا أصحاب سلمان ولا أصحاب زيد وابن عباس وابن عمر، ولهذا تجدهم يكفِّر بعضهم بعضا عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها، فظهر ضعف القوم وقوة جهلهم». أهـ.

استحل الخوارج قتال جمهور المسلمين وقتلهم فحاربوا خلفاء بنى أمية وظلوا شجى فى حلق الدولة الأموية طيلة أيامها يقاتلونها فى شجاعة نادرة حتى أوشكوا أن يقضوا عليها. واستمر المهلب بن أبى صفرة ينازلهم الحروب وهم مستبسلون فى حربه لا يفترون عنها حتى أروه الأهوال. واستمروا على ذلك حتى جاءت الدولة العباسية فناوءوها فى أول أمرها ولكن أطاحت بهم تلك الحروب الطويلة فخمدت جذوتهم وانكسرت شوكتهم وأراح الله المسلمين من شرهم.

ثم يقول فضيلة الشيخ محمد محمد أبو زهر رحمه الله عن فقه الخوارج.

كان جهلهم بالحديث وعدم تحملهم له عن غيرهم لأنه متهم فى نظرهم سببا فى أن فقههم جاء مخالفا لأحكام الشريعة الإسلامية بل منه ما جاء مخالفا لنصوص القرآن الكريم. فمنهم من يرى أن التيمم جائز ولو على رأس بئر ومنهم من يرى أن الواجب من الصلاة إنما هو ركعة واحدة بالغداة وأخرى بالعشى. ومنهم من يرى الحج فى جميع شهور السنة. ومنهم من يبيح دم الأطفال والنساء ممن لا ينتمى إلى عسكرهم. ومنهم من أباح نكاح بنات البنات وبنات البنين مما يدل على جهل عميق حتى بالقرآن الكريم وأكثر ذلك أتاهم كما قلنا من أنهم لا يعتدون برواية جمهور المسلمين وكيف يأخذون دينهم عن قوم هم كفار فى نظرهم وإنما يعتمدون ما رواه لهم أئمتهم وهم كما قلنا خلو من العلم بسنة رسول الله ﷺ بل خلو من فهم أحكام القرآن على وجهها الصحيح. ثم لا يغيب عن البال أن هذا الحكم لا يسرى على جميع أفراد الخوارج بل قد وجد منهم فيما بعد أفراد وأئمة تفقهوا فى الدين ورووا الحديث واعتمدهم كما قال ابن الصلاح فى مقدمته بعض أئمة الحديث كالبخارى فقد احتج بعمران بن حطان وهو من الخوارج لا سيما إذا علمت أن الخوارج يحكمون بكفر من يكذب لأن مرتكب الكبيرة كافر فى نظرهم والكذب من الكبائر.

ثم يقول رحمه الله عن الخوارج ووضع الحديث.

هذا ومع أن الخوارج يحكمون بكفر الكاذب فقد وجد من بعضهم الوضع فى الحديث والكذب على رسول الله ﷺ لتأييد مذاهبهم الباطلة حتى تروج لدى أتباعهم فابن الجوزى فى مقدمة كتاب الموضوعات يروى عن ابن لهيعة أنه قال: سمعت شيخًا من الخوارج تاب ورجع فجعل يقول: إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم فإنا كنا إذا هوينا أمرًا صيَّرناه حديثًا. وهذا عبد الرحمن بن مهدى يقول فيما نسبوه إلى النبى ﷺ من قولهم «إذا أتاكم الحديث عنى فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنا قلته ... إلخ»: أن الخوارج والزنادقة وضعوا ذلك الحديث. وهذا ليس ببعيد من قوم وقفوا عن ظواهر الكتاب وردوا الحديث إذا جاء من غير من ينتمون إليه. إلا أن وضع الخوارج للحديث لم يكن بالكثرة التى جاءت عن الشيعة وذلك لأمور:

١ ـ أن الخوارج كان من مذهبهم تكفير الكاذب وذلك مما يجعل الكذب فيهم قليلا.

٢ ـ أنهم كانوا لبداوتهم وجفاء طبعهم وغلظتهم غير مستعدين لقبول أفراد من الأمم الأخرى كالفرس واليهود الذى اندسوا فى الشيعة ووضعوا كثيراً من الأحاديث.

٣ ـ كان عماد الخوارج فى محاربة خصومهم إنما هو أسلحتهم وقوتهم وشجاعتهم وكانوا مع ذلك صرحاء لا يعرفون التقية التى استخدمها الشيعة. (انظر مادة «التقية» فى م ١٠ / ٣٠٤ ـ ٣٠٧) لذلك تراهم لم يلجأوا إلى الكذب لانتقاص أعدائهم لأنهم فى نظرهم كفار وليس بعد الكفر عيب ينتقص

به صاحبه فلم يبق سوى السيف يعملونه فى رقابهم من غير مداهنة ولا مداجاة.

فكل هذه العوامل كان لها أثر فى تقليل الكذب فى الحديث من الخوارج بالنسبة إلى غيرهم من الفرق الأخرى. ومع ذلك لم يعدموا أفرادًا منهم اصطنعوا الأكاذيب واختلقوا الأحاديث كما رأيت (الحديث والمحدثون / ٨٢ ـ ٨٧).

وقد انقسمت الخوارج إلى فرق كثيرة منهم المعتدل والمتغالى (ومن زعمائهم، عبد الله بن وهب الراسبى، وحرقوص بن زهير البجلى، وعبد الله بن الكواء، ونافع بن الأزرق، ونجدة بن عامر).

وغلاتهم انحرفوا عن الجادة وخرجوا بمبادئهم عن ملة الإسلام مثل:

اليزيدية الذين قالوا ببعثة رسول من العجم بكتاب ناسخ للقرآن، والميمونية الذين أباحوا نكاح بنات الأولاد وبنات أولاد الإخوة والأخوات، وأنكروا أن سورة يوسف من القرآن.

وأعدل طوائفهم وأقربها إلى الملة هى فرقة الإباضية (أوردناها فى م ٢ / ٧١ ـ ٧٥ فانظرها فى موضعها). ولهذا كتب لها البقاء إلى اليوم. أما باقى الخوارج فقد حاربوا الأمويين والعباسيين إلى منتصف القرن الثالث الهجرى وكانت نهايتهم.

وقد عرف عن الخوارج أنهم عُبَّاد زُهَّاد يصومون النهار، ويقومون الليل، ويقرءون القرآن. كما عرف عن مجموعهم مبالغتهم فى التشنيع على سيدنا علىٍّ وقسوتهم فى معاملة مخالفيهم وقد قال الإمام على: «لا تقاتلوا الخوارج بعدى فليس مَنْ طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فناله، وقال عمر بن عبد العزيز لهم: «إنى قد علمت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب دنيا أو متع، ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم سبيلها «وهذا القول فى المعتدلين منهم (مذكرة الفرق / ١٥، ١٦).

قال الإمام الشهرستانى: وكبار الفِرق منها: المحكِّمة، والأزارقة، والنجدات، والبهيسية، والعجاردة، والثعالبة، والإباضية، والصفراوية، والباقون فروعهم (الملل والنحل ١ / ١١٥).

قال المقريزى: فى الكلام على الخوارج، وهم الفرقة العاشرة حسب إحصائه: الخوارج، ويقال لهم النواصب، والحرورية نسبة إلى حروراء موضع خرج فيه أولهم على علىٍّ رضى الله عنه وهم الغلاة فى حب أبى بكر وعمر، وبغض على ابن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين، ولا أجهل منهم فإنهم القاسطون المارقون خرجوا على علىٍّ رضى الله عنه، وانفصلوا عنه بالجملة، وتبرءوا منه، ومنهم من صحبه، ومنهم من كان فى زمنه وهم جماعة قد دون الناس أخبارهم وهم عشرون فرقة، أهـ.

ثم يعدد المقريزى هذه الفرق العشرين ونكتفى هنا بذكر أسمائها، ومن شاء الاستزادة فليرجع إلى الأصل. وهذه الفرق هى: الحكمية، والأزارقة، والنجدات، والصفرية، والعجاردة، والميمونية، والشعبية، والحمزية، والحازمية، والمعلومية مع المجهولية، والصلتية، والأحسنية، والمعبدية، والشيبانية، والشبيبية، والرشيدية، والمكرمية، والحفصية، والإباضية، واليزيدية (المواعظ والاعتبار ٢ / ٣٥٤، ٣٥٥) يقول الإمام الأكبر صاحب الفضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق: والإباضيون فى إمامة مسقط بسلطنة عمان، وفى بلاد زنجبار بشرق أفريقيا، وجبال وبلاد طرابلس بليبيا وجزيرة جربة بتونس، وجنوب الجزائر، والمؤرخون يعتبرون هذه الطائفة من الخوارج، لكنهم أنفسهم، ينكرون ذلك («بحث عن الفقه الإسلامى» ٢ ـ/ ٢٤٧).

وبرغم تطرف الخوارج الشديد سواء فى موقفهم من الإمام على، أو بالنسبة للإمام وأحقية عزله أو قتله، فقد كانوا شديدى التمسك بالقرآن وتطبيق أحكامه، حتى لقد سماهم الشهرستانى (الملل والنحل) «أهل صيام وصلاة» لكنهم تطرفوا تطرفا دينيًّا شابهه تطرفهم السياسى، فقد اعتبروا مرتكبى الكبائر كفارًا، بل اعتبروا أيضا من يرتكب الصغائر كفارًا، ثم ألحقوا مذمة الكفر على كل معارضيهم. وقد تعددت فرق الخوارج نتيجة للاجتهادات وللمآرب الخاصة، وقد انطبعت هذه الاتجاهات فى المبادئ الأساسية للخوارج، فنجد الفرق العشرين للخوارج تخالف كل فرقة منها الأخرى فى تعاليمها كلها أو بعضها (حضارة الدول العربية / ١٥٧، ١٥٨).

يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات رحمه الله قبل أن يسوق نماذج من شعر الخوارج:

وكانوا مع هـذا الورع الشديد والخشية البـالغة يقسون على مخالفيهم، فلا يرحمـون ضعف المرأة، ولا براءة الطفل، ولا شيخوخة الهـرم، ولا وشائج الرحم، لأنهم ـ كما ظنوا ـ باعوا أنفسهم وأموالهم لله بأن لهـم الجنة، فقطعوا أسبـاب الحياة، وأماتوا عـواطف الدنيا، وقاتلوا وقتلـوا فى سبيل هذا المذهب وتلك الغـايـة. وهم لصراحـة بـداوتهم، وشـدة عصبيتهم، وخلـوص عقيدتهم ومـا تقتضيه دعـوتهم من إدمان الحجـاج والمنـاظـرة أسلس الناس منطقـاً، وأروعهم كـلامـاً، وأمتنهم شعـرًا. ولكـن الشعـر كـان عنـدهـم فى المحل الثـانى من الخطابـة، لقيـام أمـرهم على الإقنـاع والجـدل بـآيـات الله وأحاديث الـرسول؛ وغنـاء الشعر فى ذلك قليل. فإذا مـا برز الخارجى للخصم، أو هجم على المـوت، أو وقع فى الأسر، جاشت نفسه بمتين الرجـز، أو رصين القصيد، يضمنه وصفه للحـرب، وولهـه للقتـال، وزهـده فى الحيـاة، واستخفـافـه بـالموت، وشـوقه إلـى الشهادة، وظمأه إلى الجنـة، فى لفظ جزل وأسلوب قوى. وقلما يدور شعرهم على غير ذلك. فمن الرجز قول ابن أم حكيم:

أحمـل رأسـاً قـد سئمت حملـه
وقـد مللت دهنـه وغسلـه
ألا فتى يحمل عنى ثقله!

ومن القصيدة قول معاذ بن جوين يحرض قومه وهو أسير:

ألا أيهـا الشـارون قـد حـان لامـرىء
شـرى نفسـه لله أن يتـرحـلا
أقمتم بـدار الخـاطئين جهـالـة
وكـل امـرىء منكم يصـاد ليقتـلا
فشـدوا على القـوم العـداة فإنهـا
أقـامتكم للـذبح رأيـا مضلـلا
ألا فـاقصـدوا يـاقـوم للغـايـة التى
إذا ذكـرت كـانت أبـر وأعـدلا
فيـاليتنى فيكم على ظهـر سـابح
شهـدتُ القُصيـرى دارعـاً غيـر أعـزلا
فيـا رب جمع قـد فللت، وغـارة
شهـدت، وقـرن قـد تـركت مجنـدلا

وقول الطرماح بن حكيم:

لقـد شقيْتُ شقـاءً لا انقطـاع لـه
إن لـم أفـز فـوزة تنجى مـن النـار
والنـار لـم ينج من لهيبهـا أحـد
إلا المنيبُ بقلـب المخلـص الشـارى
أو الـذى سبقـت من قبل مـولـده
لـه السعـادة مـن خـلاَّقهـا البـارى

وقوله:

وأمسى شهيـدًا ثـاويـاً فـى عصـابـة
يصـابـون فـى فج من الأرض خـائف
فـوارس مـن شيبـان ألَّـف بينهم
تقى الله نـزَّالـون عنـد الـزواحف
إذ فـارقـوا دنيـاهمـو فـارقـوا الأذى
وصـاروا إلى ميعـاد مـا فـى المصـاحف

وكقول قَطَرى بن الفجاءة فى يوم دولاب:

فلم أر يـومـا كـان أكثـر مقصعـاً
يمـج دمـاً مـن فـائظ وكليـم
وضـاربـة خـدًا كـريمًـا على فتى
أغـر نجيب الأمهـات كـريـم
أصيب بـدولاب ولـم تك مـوطنًـا
لـه أرض دولاب وديـر حميم
فلـو شهـدتنـا يـوم ذاك وخيلنـا
تبيـح مـن الكفـار كـل حـريم
رأت فتيـة بـاعـوا الإلـه نفـوسهم
بجنـات عـدن عنـده ونعيم

وقليلا مـا يجادل الخوارج بالشعـر ويقارعـون بالهجـاء، لاعتمادهم فى الجدل على الخطابة، وفى القراع على السيف. ومن هـذا القليل قول بعضهم فى الجـدل وقـد هزم أربعون منهم ألفين لابن زياد:

أألفـا مـؤمـن فيمـا زعمتم
ويقتلكـم بـآسك أربعـونـا

كذبتم ليس ذاك كما زعمتم
ولكن الخوارج مؤمنونا
هى الفئة القليلة قد علمتم
على الفئة الكثيرة ينصرونا

وقول عمران بن حطان فى هجاء الإمام :

لله در المرادى الذى سفكت
كفاه مهجة شر الخلق إنسانا
أمسى عشية غشاه بضربته
مما جناه من الآثام عريانا

وماحمله على ذلك إلا أنه من القعدة لضعفه عن الحرب لكبر سنه فجاهد بلسانه (تاريخ الأدب العربى / ١٣٤ ـ ١٣٦) .

وقد عرضت على الإمام ابن تيمية مسألة فى الخوارج والبغاة وعما إذا كانت الشريعة قد فرقت بينهما فى الأحكام ، وأجاب عنها رحمه الله ، وننقلها فيما يلى :

(مسألة) فى البغاة والخوارج ، هل هى ألفاظ مترادفة بمعنى واحد أم بينهما فرق ، وهل فرّقت الشريعة بينهما فى الأحكام الجارية عليهما أم لا؟ وإذا ادّعى مدَّعٍ أن الأئمة اجتمعت على أن لا فرق بينهم إلا فى الاسم ، وخالفه مخالف مستدلاً بأن أمير المؤمنين عليًّا رضى الله عنه فرَّق بين أهل الشام وأهل النهر فهل الحق مع المدعى أو مع مخالفه؟

(الجواب) الحمد لله . أما قول القائل أن الأئمة اجتمعت على أن لا فرق بينهما إلا فى الاسم فدعوى باطلة ، ومدعيها مجازف فإن نفى الفرق بينهما إنما هو قول طائفة من أهل العلم من أصحاب أبى حنيفة والشافعى وأحمد وغيرهم ، مثل كثير من المصنفين فى قتال أهل البغى فإنهم قد يجعلون قتال أبى بكر مانعى الزكاة وقتال على الخوارج وقتاله لأهل الجمل وصِفِّين إلى غير ذلك من قتال المنتسبين إلى الإسلام من باب قتال أهل البغى ، ثم مع ذلك فهم متفقون على أن مثل طلحة والزبير ونحوهما من الصحابة من أهل العدالة لا يجوز أن يحكم عليهم بكفر ولا فسق ، بل مجتهدون إما مصيبون وإما مخطئون ، وذنوبهم مغفورة لهم ويطلقون القول بأن البغاة ليسوا فُسّاقًا فإذا جعل هؤلاء وأولئك سواء لزم أن تكون الخوارج وسائر من يقاتلهم من أهل الاجتهاد الباقين على العدالة ، ولهذا قال طائفة بفسق البغاة ولكن أهل السنة متفقون على عدالة الصحابة .

وأما جمهور أهل العلم فيفرقون بين الخوارج المارقين وبين أهل الجمل وصفين وغير أهل الجمل وصِفين ممن يعد من البغاة المتأولين ، وهذا هو المعروف عن الصحابة وعليه أصحاب مالك وأحمد والشافعى وغيرهم ، وذلك أنه قد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال : تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أوْلَى الطائفتين بالحق .

وهذا الحديث يتضمن ذكر الطوائف الثلاثة ويبين أن المارقين نوع ثالث ليسوا من جنس أولئك ، فإن طائفة على أولى بالحق من طائفة معاوية ، وقال فى حق الخوارج المارقين «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم ، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن فى قتلهم أجرًا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة» وفى لفظ «لو يعلم الذين يقاتلونهم ما لهم على لسان نبيهم لنكلوا عن العمل» .

وقد روى مسلم أحاديثهم فى الصحيح من عشرة أوجه ، روى هذا البخارى من غير وجه ورواه أهل السنن والمسانيد وهى مستفيضة عن النبى ﷺ ، متلقاة بالقبول ، أجمع عليها علماء الأمة من الصحابة ومن اتبعهم واتفق الصحابة على قتال هؤلاء الخوارج وأما الجمل وصِفِّين فكانت منهم طائفة قاتلت من هذا الجانب ، وأكثر أكابر الصحابة لم يقاتلوا لا من هذا الجانب ولا من هذا الجانب .

واستدل التاركون للقتال بالنصوص الكثيرة عن النبى ﷺ فى ترك القتال فى الفتنة ، وبينوا أن هذا قتال فتنة ، وكان علىٌّ رضى الله عنه مسرورًا لقتال الخوارج ، ويروى الحديث عن النبى ﷺ فى الأمر بقتالهم وأما قتال صفين فذكر أنه ليس معه فيه نص ، وإنما هو رأى رآه ، وكان أحيانا يحمد من لم ير القتال .

وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال فى الحسن إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» . فقد مدح الحسن وأثنى عليه بإصلاح الله به بين الطائفتين أصحاب على وأصحاب معاوية ، وهذا يبين أن ترك

القتال كان أحسن وأنه لم يكن القتال واجبًا ولا مستحبًا، وقتال الخوارج قد ثبت عنه أنه أمر به وحض عليه فكيف يسوى بين ما أمر به وحض عليه، وبين ما مدح تاركه وأثنى عليه فمن سوّى بين قتال الصحابة الذى اقتتلوا بالجمل وصفين وبين قتال ذى الخويصرة التميمى وأمثاله من الخوارج المارقين والحرورية المعتدين كان قولهم من جنس أقوال أهل الجهل والظلم المبين. ولزم صاحب هذا القول أن يصير من جنس الرافضة والمعتزلة الذين يُكفِّرون أو يُفسِّقون المقاتلين بالجمل وصفين، كما يقال مثل ذلك فى الخوارج المارقين، فقد اختلف السلف والأئمة فى كفرهم على قولين مشهورين مع اتفاقهم على الثناء على الصحابة المقتتلين بالجمل وصفين والإمساك عما شجر بينهم.

وأما أهل البغى فإن الله تعالى قال فيهم **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾** فلم يأمر بقتال الباغية ابتداء فالاقتتال ابتداء ليس مأمورًا به، ولكن إذا اقتتلوا أمر بالإصلاح بينهم، ثم إن بغت الواحدة قوتلت، ولهذا قال من قال من الفقهاء إن البغاة لا يبتدئون بقتالهم حتى يقاتلوا.

وأما الخوارج فقد قال النبى ﷺ فيهم «أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن فى قتلهم أجرًا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة. وقال لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»، وكذلك مانعو الزكاة فإن الصديق والصحابة ابتدءوا قتالهم وقال الصديق والله لو منعونى عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، وهم يقاتلون إذا امتنعوا من أداء الواجبات وإن أقروا بالوجوب، ثم تنازع الفقهاء فى كفر من منعها وقاتل الإمام عليها مع إقراره بالوجوب على قولين هما روايتان عن أحمد كالروايتين عنه فى تكفير الخوارج، وأما أهل البغى المجرد فلا يكفرون باتفاق أئمة الدين، فإن القرآن قد نص على إيمانهم وإخوتهم مع وجود الاقتتال والبغى والله أعلم (الفتاوى م ٤ جـ ٢ / ٢٠٨، ٢٠٩).

أما ماقيل من الشعر فى الخوارج فنسوق منه هذه الأبيات من أرجوزة القاضى نعمان حيث يقول فى أصل ما تقوله الخوارج ومن قال بقولها فى صفة القائم بعد النبى ﷺ وأمره وحاله:

وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص:

٢٦٨ـ *وقال من قال من الخوارج*
لم ندر ما كان من المخارج

٢٦٩ـ *إن كان قد أمر أو لم يأمرْ*
ونحن فى ذاك أولو بصائر

٢٧٠ـ *نقيم فينا واليًا، نرضاهُ*
ما قام لله، فإن عصاهُ

٢٧١ـ *قمنا عليه فانتزعنا أمرهُ*
نكف عنا بأسه وشره

٢٧٢ـ *فاجتمع الكل على التقرير*
بأنه لابد من أمير

ويقول فى الرد على الخوارج ومن قال بقولها:

٣٧٩ـ *ثم نقولُ بعد للخوارجِ*
كمثل ما قد قلت فى التحاججِ

٣٨٠ـ *لكل من زعم عند الذكرِ*
بأنه لم يك كان يدرى

٣٨١ـ *هل كان أوصى الصادق المبعوثُ*
وذاك فيما قلته مبثوثُ

٣٨٢ـ *وهو مقال الخارجى الجائرِ*
على الذى روى على التذاكرِ

٣٨٣ـ *لأنه يقول باستقامةِ*
لم أدر، هل أمرت بالإمامةِ

٣٨٤ـ *أم لا، وقد أوجبها افتراضا*
فى قوله واعترض اعتراضا

٣٨٥ـ *قيل له، أليس قد أنبانا*
ربك حين أنزل البيانا

٣٨٦ـ *بأنه قد أمر الرسولا*
بأن يبين للورى التنزيلا

٣٨٧ـ *فهل أبان ذاك لما أمرهْ*
أو كان قد كتمه أو سترهْ؟

٣٨٨ــ فإن تكن عن ذاك قد نزهتهُ
فاطلب بيانه الذي جهلتهُ
٣٨٩ ــ فإن يقل، ليست بفرض مفترَضْ
دخل لما قال هذا، إذ نقضْ
٣٩٠ــ مقاله في جملة المرجئةْ
والرد في ذلك بالسويَّةْ
٣٩١ ــ عليه، كالرد عليهم أوّلا
ولو أتى مكررًا لثقلا

ثم يقول في الرد على الخوارج في إنكارهم الحكومة :

١٦٤٧ــ قد مر في المقدَّم المعلوم
ذكر ابتداء سبب التحكيم
١٦٤٨ــ وما أراد القوم في ابتدائهم
به من الخلاص من أعدائهم
١٦٤٩ــ وذكر ما قال عليٌّ فيه
وعلمه بما انطووا عليه
١٦٥٠ــ من مكرهم به ونصب الخدعةْ
ولم يكن لما أتاه بدعةْ
١٦٥١ــ لأنهم دعوا إلى البيان
والحكم بالسنة والقرآن
١٦٥٢ــ وسألوا الإرشاد والدليلا
فلم يجد لردهم سبيلا
١٦٥٣ــ والحكم بالحق وبالسداد
فرض من الله على العباد
١٦٥٤ــ وقد ذكرت شرطه عليهم
بذاك إذ قدمه إليهم
١٦٥٥ــ والله قد حكَّم فيما قالا
في وحيه المنزَّل الرجالا
١٦٥٦ــ عند جزاء الصيد للحُجَّاج
وفي الشقاق بينما الأزواج
١٦٥٧ــ وحكَّم النبي في اليهود
سعدا بحضرة من الشهود
١٦٥٨ــ وليس بين الناس من خلاف
في أن من حكم بائتلاف
١٦٥٩ــ في أهل حصن قد رضوا بحكمه
لعلمهم بفضله وعلمه
١٦٦٠ــ فإن قضى بالقتل في الرجال
والسبي في النساء والأطفال
١٦٦١ــ أو أن يباعوا أو يكونوا ذمه
أجاز أهل الحق فيهم حكمه
١٦٦٢ــ وإن قضى بأنهم أحرار
وهم على سبيلهم كفار
١٦٦٣ــ لم يجز الحكم له لأنه
خالف فيما قد قضاه السنه
١٦٦٤ــ وإنما كان عليٌّ حكما
على الذي شرطه وأبرما
١٦٦٥ــ أن يحكم الحاكم بالكتاب
وسنة النبي بالصواب
١٦٦٦ــ وذلك الذي دعا إليه
وقاتل القوم معا عليه
١٦٦٧ــ فلم يكن يصلح أن يمتنعا
لما أجابوا للذي كان دعا
١٦٦٨ــ لأنهم لو حكَّموا بالحق
كان إماما لجميع الخلق
١٦٦٩ــ وإذ أرادوا الكيد والخديعة
فحكمهم تبطله الشريعة
١٦٧٠ــ وكان مما قالت الخوارج
إذ أنكروا التحكيم لما حاججوا
١٦٧١ــ جهالة بأنه قبل لزمه
حُكم الذي حكمه وقدَّمه
١٦٧٢ــ وإن قضى بالجهل أو أضاعا
فجهلوا السنة والإجماعا

١٦٧٣ــ وقــال قــوم منهم قــد شكّــا
إذ قبـل الحكـم وإذ تلكّــــــــا
١٦٧٤ــ ولـم يكن شك وقـد ذكـرنــا
فســاد هــذا في الــذى قــدّمنــا
١٦٧٥ــ وقــال قــوم حكّـم الكفــارا
فـأنجـــد الجهل بهم وغـــارا
١٦٧٦ــ ومــا هم كمــا حكــوا كفــار
لكنهـم لمـــا بغـــوا وجـــاروا
١٦٧٧ــ قــاتلهم حتى إذا أجــابــوا
للحكـم رأى أنهـم أنــــابـــوا
١٦٧٨ــ في ظـاهـر القول فلمـا أنكـروا
عـــاودهـم ولـم يكـــونـــوا كفـــروا
١٦٧٩ــ بـالله كـاليهــود والنصــارى
وكـــالمجـــوس إذ غـــدوا حيـــارى
١٦٨٠ــ لكنهم قـد كفـروا بـالطـاعـة
لمــا بغـــوا وفـــارقـــوا الجمـــاعــه
١٦٨١ــ وهـم على أصـل مـن الإســلام
وحكمهـم فـى أكثـــر الأحكــــام
١٦٨٢ــ كحكمنـــا بغيـــر مـــا التيــاث
فـى عقـــدة النكــــاح والميـــراث
١٦٨٣ــ ولـــيس تُســـبى لهـم ذريــــه
ولا نســـاؤهـم على الكليــــــه
١٦٨٤ــ ويـؤمنـــون بـالصلاة الخمس
ليســـوا من افتــــراضهــــا في لبس
١٦٨٥ــ ولا من الحج ولا الجهـــاد
لأهـل دار الشـــرك والأعـــــادى
١٦٨٦ــ وليس فيمــا بينهم فـى الحـــال
وبيـن أهـل العـــدل و المقـــــال
١٦٨٧ــ غيـر قبـول الأمـر والأحكـام
والسمـع والطـــاعـــة لــــلإمـــام
١٦٨٨ــ فـإذ أجـــابــوه إلى التسليم
للحكـم بـــالكتـــاب والمعلـــوم
١٦٨٩ــ من سنّـة النبى ثم طــالبــوا
بيـــان مـــا قــد جهلـــوا فـــالـــواجب
١٦٩٠ــ أن يمنحــوا من ذاك مـا قــد طلبـوا
وذاك فـى الحـق لهـم قـــــــد يجب
١٦٩١ــ وإن يكـــونـــوا غيــر ذاك أضمــروا
فـإنمـــا الحكـم على مـــا يظهــــروا

وفيما يلى تعليق المحقق على بعض الأبيات:

البيتـان ٣٨٣، ٣٨٤: يقول الخـوارج إنهم لا يـدرون هل أقام النبى أحدا أو لم يُقم، ومع هذا فإنهم يعتقدون أن الإمامة واجبة.

البيتان ٣٨٥، ٣٨٦: قال الله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل: ٤٤].

البيتـان ١٦٥٥، ١٦٥٦: يشيـر إلى قـولـه تعـالى ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق بينهما إن الله كان عليما خبيرا﴾ [النساء: ٣٥] وقوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمـدا فجزاء مثل مـا قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم﴾ [المائدة: ٩٥].

الأبيـات ١٦٥٧ ــ ١٦٦٠: حكم سعـد بن معـاذ فى بنى قريظة. ابن هشام ٣/ ٢٥٠، ٢٥١.

البيت ١٦٧٣: تلكأ: أى أبطأ

البيت ١٦٨٤: اللبس: اختـلاط الأمـر، لبس عليه الأمـر يلبسه لبسا فالتبس إذا خلطه عليه حتى لا يعرف جهته (الأرجوزة المختارة/ ٥٢، ٦٢، ١٧١ـ١٧٥، ٢٥٩، ٢٦٢، ٣٠٦).

(الملل والنحل للشهرستانى ـ تحقيق محمد سيد كيلانى ١/ ١١٤، ١١٥، و «البحث عن الفقه الإسلامى» ـ صـاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جـاد الحق على جـاد الحق شيخ الأزهـر. دراسـات فى الحضـارة الإسلاميـة. الهيئة المصرية العامـة للكتاب ١٩٨٥، ٣/ ٢٤٦، ٢٤٧، الحديث والمحدثون ـ محمد محمد أبو زهو/ ٨٢ـ٨٧، ومذكرة الفرق ـ حسن متولى. الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م/ ١٥، ١٦ والمـواعظ والاعتبـار فى الخطط و الآثـار لتقى الدين المقـريـزى ٢/ ٣٥٤ـ٣٥٦، وحضارة الدولة العربية فى عهـد الرسول والخلفاء الراشدين والدولة الأموية ـ د. أحمـد رمضان أحمد محمد/ ١٥٧، ١٥٨، وتاريخ الأدب العربى ـ أحمد حسن الـزيات/ ١٣٤ـ١٣٦، والفتاوى لابن تيمية

ط. دار الغد العربى م ٤ جـ ٢ / ٢٠٨، ٢٠٩، والأرجوزة المختارة للقاضى النعمان - تحقيق وتعليق إسماعيل قربان حسين بونا والا / ٥٢، ٦٢، ٦٣، ١٧١ - ١٧٥، ٢٦٢، ٣٠٦. انظر أيضا حجج القرآن للإمام أبى الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازى / ٥٨ - ٦٤، ونقد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى / ٨٧ - ٩٤، والعقد الفريد لابن عبد ربه - بتحقيق محمد سعيد العريان ٢ / ٢١٨ - ٢٢٢).

***خوارزم:**

من أقاليم بلاد ما وراء النهر (انظر هذه المادة فى م ٧ / ٣٩٠ - ٣٩٥ فانظرها فى موضعها) وهى فى شمال خراسان انظر مادة «خراسان» فى م ١٥ / ٣٨٢ - ٣٩٣). قال المقدسى عن خوارزم:

فأما خوارزم فهى كورة على حافتى جيحون. قصبتها العظمى بهيطل، ولها قصبة بخراسان. وهم يخالفون أهل الجانبين فى الرسوم واللسان والخلق والطباع، وهى كورة جليلة، واسعة كثيرة المدن. ممتدة العمارة، على عمل بلاد الروم وسجستان وكازرون. لا ينقطع المنازل والبساتين، كثيرة المعاصروالمزارع والشجر والفواكه والخيرات، مفيدة لأهل التجارات.

أهل فهم وعلم وفقه وقرائح وأدب، وأقل إمام فى الفقه والأدب والقرآن لقيته إلا وله تلميذ خوارزمى، قد تقدم وزجا (أى نجح وأفلح) إلا أن فيهم انغلاقا، ولا لهم ظُرف ولا لباقة، ولا أثين ولا لطافة. رغفانهم صغار، وفراسخهم كبار، قد رزقهم الله تعالى الرخص والخصب، وخصهم بصحة القراءة والزهد. أهل ضيافة ونهمة فى الأكل وبأس وشدة فى الحرب.

وسمعت طائفة من أهل نسا وأبيورد يذكرون أنهم يذهبون إلى بلخان ويحملون من ثمَّ بيضا كثيرا. قالوا: وأبقار ودواب قد توحشت. قلت: فلم رؤوسكم تخالف رؤوس الناس؟ قالوا: إن قدماءنا فعلوا ثلاثة أشياء غلبوا بها أهل البلدان. أما الواحدة فإنهم كانوا يغزون الترك، فيأسرونهم، وفيهم شبه من الترك. فما كانوا يعرفون، فربما وقعوا إلى الإسلام فبيعوا فى الرقيق. فأمروا النساء إذا ولدن أن يربطن أكياس الرمل على رؤوس الصبيان من الجانبين حتى ينبسط الرأس فبعد ذلك لم يسترقوا، ورد من وقع منهم إلى الكورة، والثانية جعلوا الدرهم أربعة دوانق لئلا يخرجها التجار من عندهم، فإلى اليوم الفضة تحمل إلينا ولا تخرج من عندنا، وأنسيت الثالثة. واعلم أن مثل خوارزم فى إقليم المشرق كسجلماسة فى المغرب، وطباع خوارزم كالبربر، وهى ثمانون فى ثمانين، متصلة المنازل، عزيزة الأنهار، معدن السمك والأعقام، ومطرح الغز والأتراك اسم قصبتها الكبرى «كاث»، ومن مدنها الهيطلية، غردمان، وإيخان، أرذخيوه، نوكفاغ، كردر، فردا خكان، جشيرة، سدور، زردوخ، قرية براتكين، مدكمينية، واسم قصبتهم الخراسانية: الجرجانية. ومن مدنها: تروزوار، زمخشر، أوزارمند، وزارمند، دسكا خان خاس، خشميشن، مداميثن، خيوه، كردرا نخاس، هزاراسب، جكربند، جاز، درغان، جيت، جرجانية الصغرى، جيت، سدفر، مساسان، كاردار، أندرستان (أحسن التقاسيم / ٢٢٧ - ٢٢٩).

وقد زارها ابن بطوطة فى رحلته فى أواخر سنة ٧٣٣ وقال عنها: وصلنا إلى خوارزم، وهى أكبر مدن الأتراك وأعظمها وأجملها وأضخمها، لها الأسواق المليحة والشوارع الفسيحة، والعمارة الكثيرة، والمحاسن الأثيرة، وهى ترتج بسكانها لكثرتهم، وتموج بهم موج البحر، ولقد ركبت بها يوما ودخلت السوق، فلما توسطته، وبلغت منتهى الزحام فى موضع يقال له الشور، لم أستطع أن أجوز ذلك الموضع، لكثرة الازدحام، وأردت الرجوع فما أمكننى لكثرة الناس، فبقيت متحيرا، وبعد جهد شديد رجعت، وذكر لى بعض الناس أن تلك السوق يخف زحامها يوم الجمعة، لأنهم يسدون سوق القيسارية وغيرها من الأسواق، فركبت يوم الجمعة وتوجهت إلى المسجد الجامع والمدرسة.

وهذه المدرسة تحت إمرة السلطان أوزبك، وله فيها أمير كبير يسمى «قطلو دمور»، وهو الذى عَمَّر المدرسة وما معها من المواضع المضافة. وأما المسجد فعمرته زوجته الخاتون الصالحة «تُرابك» وبخوارزم مارستان (انظر مادة «البيمارستان» فى م ٨ / ٢٣٧ - ٢٤٤) له طبيب شامى، يعرف بالصهيونى، نسبة إلى صهيون من بلاد الشام. ولم أر فى بلاد الدنيا أحسن أخلاقا من أهل خوارزم، ولا أكرم نفوسا ولا أحب للغرباء. ولهم عادة جميلة فى الصلاة لم أرها لغيرهم: وهى أن

المؤذنين فى مساجدها يطوف كل واحد منهم على دور جيران مسجده معلما لهم بحضور الصلاة. فمن لم يحضر الصلاة مع الجماعة ضربه الإمام بمحضر الجماعة. وفى كل مسجد درة معلقة لذلك (الدرة: السوط يضرب به ومنه درة عمر بن الخطاب ـ المعجم الوسيط ١ / ٢٧٩)، ويغرّم خمسة دنانير تنفق فى مصالح المسجد، أو لإطعام الفقراء والمساكين، ويذكرون أن هذه العادة عندهم مستمرة على قديم الزمان. وبخارج خوارزم نهر جيحون (انظر مادة «جيحون» فى م ١٢ / ٥٧٠، ٥٧١) (مهذب رحلة ابن بطوطة ١ / ٢٩٧، ٢٩٨، وتاريخ البيمارستانات فى الإسلام / ٢٦٩).

وقال ابن الوردى فى خريدته: أرض خوارزم إقليم عظيم منقطع عن أرض خراسان وبعيد عما وراء النهر، ويحيط به مفاوز من كل جانب. وأول أعماله الظاهرية خوارزم وهى قاعدة هذه الأرض، وهى مدينة عظيمة. وفى الوضع مدينتان شرقية وغربية. فالأولى على ضفة نهرها الشرقية تسمى درغاشا، والثانية على ضفته الغربية وتسمى الجرجانية (خريدة العجائب / ٤٩).

وقد زارها ياقوت فى سنة ٦١٦ هـ (تاريخ البيمارستانات فى الإسلام/٢٦٩) وقال يصفها كما كانت فى زمانه:

قال ابن الكلبى: ولد إسحاق بن إبراهيم الخليل الخزر والبزر والبرسل وخوارزم وفيل؛ قال بطليموس فى كتاب الملحمة: خوارزم طولها مائة وسبع عشرة درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها خمس وأربعون درجة، وهى فى الإقليم السادس، طالعها السماك ويجمعها الذراع، بيت حياتها العقرب، مشرقة فى قبة الفلك تحت ثلاث وعشرين درجة من السرطان، يقابلها مثلها من الجدى، بيت ملكها مثلها من الحمل، بيت عاقبتها مثلها من الميزان، وقال أبو عون فى زيجه: هى فى آخر الإقليم الخامس، وطولها إحدى وتسعون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها أربع وأربعون درجة وعشر دقائق؛ وخوارزم ليس اسما للمدينة إنما هو اسم للناحية بجملتها، فأما القصبة العظمى فقد يقال لها اليوم الجرجانية وأهلها يسمونها كركانج، وقد ذكروا فى سبب تسميتها بهذا الاسم أن أحد الملوك القدماء غضب على أربعمائة من أهل مملكته وخاصة حاشيته فأمر بنفيهم إلى موضع منقطع عن العمارات بحيث يكون بينهم وبين العماثر مائة فرسخ، فلم يجدوا على هذه الصفة إلا موضع مدينة كاث، وهى إحدى مدن خوارزم، فجاؤوا بهم إلى هذا الموضع وتركوهم وذهبوا؛ فلما كان بعد مدة جرى ذكرهم على بال الملك فأمر قوما بكشف خبرهم، فجاؤوا فوجدوهم قد بنوا أكواخا ووجدوهم يصيدون السمك وبه يتقوّتون وإذا حولهم حطب كثير، فقالوا لهم: كيف حالكم؟ فقالوا: عندنا هذا اللحم، وأشاروا إلى السمك، وعندنا هذا الحطب فنحن نشوى هذا بهذا ونقوت به؛ فرجعوا إلى الملك وأخبروه بذلك فسمى ذلك الموضع خوارزم لأن اللحم بلغة الخوارزمية خوار والحطب رزم، فصار خوارزم فخفف وقيل خوارزم استثقالا لتكرير الراء؛ وقد جاء به بعض العرب على الأصل، فقال الأسدى:

أتانى، عن أبى أنس، وعيد،
فسَلَّ تغيظ الضحاك جسمى
ولم أعص الأمير، ولم أربه.
ولم أسبق أبا أنس برغم
ولكن البعوث جرت علينا.
فصرنا بين تطويح وغُرم
وخافت من رمال السُّغد نفسى.
وخافت من رمال خوارزم
فقارعت البعوث وقارعتنى
ففاز بضجعة فى الحى سهمى
وأعطيت الجعالة، مستميتا،
خفيف الحاذ من فتيان جرم

وأقر أولئك الذين نفاهم بذلك المكان وأقطعهم إياه وأرسل إليهم أربعمائة جارية تركية وأمدهم بطعام من الحنطة والشعير وأمرهم بالزرع والمقام هناك، فلذلك فى وجوههم أثر الترك وفى طباعهم أخلاق الترك وفيهم جلد وقوة، وأحوجهم مقتضى القضية للصبر على الشقاء، فعمروا هناك دورا وقصورا وكثروا وتنافسوا فى البقع فبنوا قرى ومدنا وتسامع بهم من يقاربهم من مدن خراسان فجاؤوا وساكنوهم فكثروا وعزوا فصارت ولاية حسنة عامرة؛ وكنت قد جئتها فى سنة ٦١٦، فما رأيت ولاية قط أعمر منها، فإنها على ما هى عليه من

رداءة أرضها وكونهـا سبخة كثيرة النزوز متصلة العمـارة متقاربة القرى كثيـرة البيوت المفردة والقصـور فى صحاريهـا، قَلَّ ما يقع نظرك فى رساتيقها على موضع لا عمارة فيه، هذا مع كثرة الشجر بها، والغالب عليه شجـر التوت والخلاف لاحتياجهم إليـه لعمـائرهم وطعم دود الإبـريسم، ولا فـرق بين المـار فى رساتيقهـا كلها والمـار فى الأسواق، ومـا ظننت أن فى الـدنيا بقعة سعتها سعة خوارزم وأكثر من أهلها مع أنهم قد مرنوا على ضيق العيش والقنـاعة بـالشىء اليسير؛ وأكثـر ضياع خـوارزم مدن ذات أسواق وخيرات ودكاكين، وفـى النادر أن يكون قرية لا سوق فيها مع أمن شامل وطمأنينة تامة.

والشتاء عندهم شديد جدا بحيث أنى رأيت جيحون نهرهم وعرضه ميل وهو جامد، والقـوافل والعجل الموقرة ذاهبة وآتية عليه؛ وذلك أن أحدهم يعمد إلى رطل واحد من أرز أو ما شاء ويكثر من الجزر والسلجم فيه ويضعه فى قِدر كبيرة تسع قربة ماء ويوقد تحتها إلى أن ينضج ويترك عليه أوقية دهنا ثم يأخذ المغرفة ويغـرف من تلك القِدر فى زبدية أو زبـديتين فيقنع به بقية يومـه، فإن ثُرد فيه رغيفا لطيفـا خبزا فهو الغايـة، هذا فى الغـالـب عليهم، على أن فيهم أغنيـاء متـرفهين إلا أن عيش أغنيائهم قـريب من هذا ليس فيه ما فى عيش غيـرهم من سعة النفقة وإن كان النـزر من بلادهم تكون قيمته قيمـة الكثير من بـلاد غيـرهم؛ وأقبح شىء عنـدهم وأوحشه أنهم يـدوسـون حشـوشهم بأقـدامهم ويـدخلـون إلى مسـاجـدهم على تلك الحـالة لا يمكنهم التحـاشى من ذلك لأن حشـوشهم ظاهـرة على وجـه الأرض، وذلك لأنهم إذا حفـروا فى الأرض مقـدار زراع واحد نبع المـاء عليهم، فدروبهم وسطـوحهم ملأى من القذر، وليس لأبنيتهم أسـاسات إنما يقيمون أخشـابا مقفصة ثم يسدونهـا باللبن، هذا غـالب أبنيتهم، والغالب على خلق أهلها الطول والضخامة، وكلامهم كأنه أصوات الزرازير، وفى رؤوسهـم عرض، ولهـم جبهات واسعة، وقيل لأحـدهم: لم رؤوسكم تخالف رؤوس الناس؟ فقال: إن قدماءنا كانوا يغزون الترك فيأسرونهم وفيهم شبه من الترك فما كـانوا يعرفون، فربما وقعوا إلى الإسلام فبيعوا فى الرقيق، فأمروا النساء إذا ولدن أن يربطن أكيـاس الرمل على رؤوس الصبيـان من الجانبين حتى ينبسط الرأس، فبعـد ذلك لم يسترقـوا ورد من وقع منهم إليهم إلى الكوفة؛ قال عبد الله الفقير إليه: وهذا من أحاديث العامة لا أصل له، هب أنهم فعلوا ذلك فيمـا مضى فالآن ما بالهم؟ فإن كانت الطبيعـة ورثته وولدته على الأصل الـذى صنعه بهم أمهاتهم كـان يجب أن الأعور الـذى قلعت عينه أن يلـد أعور وكذلك الأحدب وغير ذلك، وإنما ذكرت ما ذكر الناس.

قال البشارى: ومثل خوارزم فـى إقليم الشرق كسجلماسة فى الغرب، وطباع أهل خوارزم مثل طبع البـربر، وهى ثمانون فرسخـا فى ثمانين فرسخـا، آخر كلامـه؛ قلت: ويحيط بها رمال سيالة يسكنها قوم من الأتراك والتركمان بمواشيهم، وهذه الرمـال تنبت الغضا شبه الـرمال التى دون ديار مصـر، وكانت قصبتها قديما تسمى المنصورة، وكانت على الجانب الشرقى فأخذ الماء أكثر أرضها فـانتقل أهلها إلى مقابلها من الغربى، وهى الجـرجانيـة، وأهلها يسمـونهـا كركـانج، وحوَّطـوا على جيحون بالحطب الجـزل والطرفاء يمنعونـه من خراب منازلهم يستجدونه فى كل عام ويرمون ما تشعث منه، وقرأت فى كتاب ألفه أبى الريحان البيرونى فى أخبار خوارزم ذكر فيه أن خوارزم كانت تدعى قديما فيل، وذكـر لذلك قصة نسبتها فإن وجدها واحد وسهل عليـه أن يلحقها بهذا الموضع فعل مأذونـا له فى ذلك عنى؛ قال محمد بن نصر بن عنين الدمشقى:

خـــوارزم عنـــدى خيـــر البـــلاد
فــلا أقلعت سحبهـــا المغـــدقـــه
فطـــوبى لـــوجـــه امـــرىء صبحتـــــه أوجـــه فتيـــانها المشـــرقـــه
ومـــا أن نقمت بهـــا حـــالـــة
ســـوى أن أقـــامت بهـــا مقلقـــه

وكان المـؤذن يقوم فى سحـرة من الليل يقارب نصفـه فلا يـزال يزعق إلـى الفجر قـامت؛ وقـال الخطيب أبـو المؤيد الموفق بن أحمد المكى ثم الخوارزمى يتشوقها.

أأبكـــاك لمـــا أن بكى فـى رُبى نجـــد
سحـاب ضحـوك البـرق منتحب الـرعـد
لـــه قطـــرات كـــالـــلآلىء فى الثـــرى
ولـى عبـــرات كـــالعقيق على خـــدى
تلفت منهـــا نحـــو خـــوارزم والهـــا
حـــزينـــا، ولكن أيـن خـــوارزم من نجـــد؟

وقرأت فى الرسالة التى كتبها أحمد بن فضلان بن العباس ابن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمان رسول المقتدر بالله إلى ملك الصقالبة ذكر فيها ما شاهده منذ خرج من بغداد إلى أن عاد إليها فقال بعد وصوله إلى بخارى، قال: وانفصلنا من بخارى إلى خوارزم وانحدرنا من خوارزم إلى الجرجانية، وبينها وبين خوارزم فى الماء خمسون فرسخا؛ قلت: هكذا قال ولا أدرى أى شيء عنى بخوارزم لأن خوارزم هو اسم الإقليم بلا شك؛ ورأيت دراهم بخوارزم مزيفة ورصاصا وزيوفا وصفرا، ويسمون الدرهم طازجه، ووزنه أربعة دوانق ونصف، والصيرفى منهم يبيع الكعاب والدوامات والدراهم... فأقمنا بالجرجانية أياما وجمد جيحون من أوله إلى آخره، وكان سُمك الجمد تسعة عشر شبرا، قال عبد الله الفقير: وهذا كذب منه، فإن أكثر ما يجمد خمسة أشبار وهذا يكون نادرا، فأما العادة فهو شبران أو ثلاثة، شاهدته وسألت عنه أهل تلك البلاد، ولعله ظن أن النهر يجمد كله وليس الأمر كذلك، إنما يجمد أعلاه وأسفله جار، ويحفر أهل خوارزم فى الجليد ويستخرجون منه الماء لشربهم، لا يتعدى الثلاثة أشبار إلا نادرا، قال: وكانت الخيل والبغال والحمير والعجل تجتاز عليه كما تجتاز على الطريق، وهو ثابت لا يتحلحل، فأقام على ذلك ثلاثة أشهر فرأينا بلدا ما ظننا إلا أن بابا من الزمهرير فتح علينا منه، ولا يسقط فيه الثلج إلا ومعه ريح عاصف شديدة؛ قلت: وهذا أيضا كذب فإنه لولا ركود الهواء فى الشتاء فى بلادهم لما عاش فيها أحد، قال: وإذا أتحف الرجل من أهله صاحبه وأراد بره قال: تعالى إلىَّ حتى نتحدث فإن عندى نارا طيبة، هذا إذا بلغ فى بره وصلته، إلا أن الله عز وجل قد لطف بهم فى الحطب وأرخصه عليهم، حمل عجلة من حطب الطاغ وهو الغضا بدرهمين يكون وزنها ثلاثة آلاف رطل؛ قلت: وهذا أيضا كذب لأن العجلة أكثر ما تجر على ما اختبرته، وحملت قماشا لى عليها، ألف رطل لأن عجلتهم جميعها لا يجرها إلا رأس واحد إما بقر أو حمار أو فرس، وأما رخص الحطب فيحتمل إن كان فى زمانه بذلك الرخص، فأما وقت كونى بها فإن مائة مَنٍّ كان بثلث دينار ركنى، قال: ورسم سؤالهم أن لا يقف السائل على الباب بل يدخل إلى دار الواحد منهم فيقعد ساعة عند ناره يصطلى ثم يقول: يكند، وهو الخبز، فإن أعطوه شيئا وإلا خرج، قلت أنا: وهذا من رسمهم صحيح إلا أنه فى الرستاق دون المدينة شاهدت ذلك، ثم وصف شدة بردهم الذى أنا شاهدته من بردها أن طرقها تجمد فى الوحول ثم يمشى عليها فيطير الغبار منها، فإن تغيمت الدنيا ودفئت قليلا عادت وحولا تغوص فيها الدواب إلى ركبها، وقد كنت اجتهدت أن أكتب شيئا بها فما كان يمكننى لجمود الدواة حتى أقربها من النار وأذيبها، وكنت إذا وضعت الشربة على شفتى التصقت بها لجمودها على شفتى ولم تقاوم حرارة النفس الجماد، ومع هذا فهى لعمرى بلاد طيبة وأهلها علماء فقهاء أذكياء أغنياء، والمعيشة بينهم موجودة وأسباب الرزق عندهم غير مفقودة، وأما الآن فقد بلغنى أن التتر صنف من الترك وردوها سنة ٦١٨ وخربوها وقتلوا أهلها وتركوها تلولا، وما أظن أنه كان فى الدنيا لمدينة خوارزم نظير فى كثرة الخير وكبر المدينة وسعة الأهل والقرب من الخير وملازمة أسباب الشرائع والدين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

والذين ينسبون إليها من الأعلام والعلماء لا يحصون، منهم: داود بن رشيد أبو الفضل الخوارزمى، رحل فسمع بدمشق الوليد بن مسلم وأبا الزرقاء عبد الله بن محمد الصغانى، وسمع بغيرها خلقا، منهم بقية بن الوليد وصالح بن عمرو وحسان بن إبراهيم الكرمانى وأبو حفص عمر به عبد الرحمن الأمار وغيرهم، روى عنه مسلم بن الحجاج وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان وصالح بن محمد جزرة، روى البخارى عن محمد بن عبد الرحيم فى كفارات الأيمان، وقال البخارى مات فى سنة ٢٣٩، وآخر من روى عنه أبو القاسم البغوى (معجم البلدان ٢/ ٣٩٥-٣٩٨).

ولمحمود بن محمد بن العباس بن أرسلان العباسى، الخوارزمى كتاب «تاريخ خوارزم»، والمؤلف فقيه، محدث، مؤرخ، صوفى سمع وحدث ووعظ بالمدرسة النظامية، ثم رجع إلى بلده، وتوفى سنة ٥٦٨ هـ تقريبا — وفى كتابه هذا بسط الكلام فى وصف خوارزم وأهلها حتى بلغ إلى ثمانين مجلدة، وقد اختصرة شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ (التاريخ والجغرافية فى العصور الإسلامية / ١٧٦).

(أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى المعروف بالبشارى- وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم / ٢٢٧-

٢٢٩، ومهذب رحلة ابن بطوطة - وقف على تهذيبه وضبط غريبه وأعلامه أحمد العوامرى بك ومحمد أحمد جاد المولى بك ١ / ٢٩٧ - ٢٩٩ وخريدة العجائب لابن الوردى / ٤٩، وتاريخ البيمارستانات فى الإسلام - د. أحمد عيسى / ٢٦٩، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٣٩٥ - ٣٩٨، والتاريخ والجغرافية فى العصور الإسلامية - عمر رضا كحالة / ١٧٦).

انظر الخريطة المصاحبة لمادة «بلاد ما وراء النهر» فى م ٧ / ٣٩٢.

*** خوارزم (بيمارستان -):**

انظر: خوارزم.

*** الخوارزمى (جابر بن محمد) (٦٦٧-٧٤١ هـ / ١٢٦٩-١٣٤٠ م):**

قال عنه ابن تغرى بردى:

جابر بن محمد بن محمد بن عبد العزيز بن يوسف، العلامة افتخار الدين أبو عبد الله الخوارزمى الحنفى، الإمام الفقيه النحوى.

مولده فى عاشر شهر شوال سنة سبع وستين وستمائة، وتفقه على خاله أبى المكارم بن أبى المفاخر الخوارزمى، وقرأ المفصل والكشاف على أبى عاصم الأسفندرى عن سيف الدين عبد الله بن أبى سعيد محمود الخوارزمى، عن أبى عبد الله البَصرى عن الزمخشرى، وعلى جماعة أخر، وبرع، وأفتى ودرس، وأقرأ عدة سنين، وولى مشيخة الخانقاة الركنية المظفرية بيبرس الجاشنكير بالقاهرة، وسمع من الحافظ شرف الدين الدمياطى، وغيره.

مات فى المحرم سنة إحدى وأربعين وسبعمائة بظاهر القاهرة، ودفن بالقرافة، وكانت جنازته مشهودة، رحمه الله تعالى.

(المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى لابن تغرى بردى - حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ٤ / ٢٠٤).

انظر مادة «بيبرس الجاشنكير (مسجد وخانقاه -)» فى م ٨ / ٧٢ - ٧٨.

*** الخوارزمى (محمد بن أحمد) (-٣٨٧ هـ / ٩٩٧م):**

صاحب كتاب «مفاتيح العلوم» قال عنه الزركلى: محمد ابن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخى الخوارزمى، باحث من أهل خراسان له كتاب. مفاتيح العلوم «مطبوع» ألفه وأهداه للوزير العتبى (عبيد الله بن أحمد) ويعد كتابه من أقدم ما صنفه العرب على الطريقة الموسوعية. قال المقريزى: وهو كتاب جليل القدر (الأعلام ٥ / ٣١٢، ٣١٣).

وقد كتب عنه الأستاذ الدكتور أحمد رمضان أحمد باعتبار أن الخوارزمى من أشهر وأقدم مصنفى العلوم فى التاريخ الإسلامى بعد الفارابى، ويقارن بين منهج الفارابى فى كتابه «إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها» (أوردناه تحت عنوان أحمد «إحصاء العلوم» فى م ٢ / ٥٩١، ٥٩٢) وبين منهج الخوارزمى فى كتابة «مفاتيح العلوم» فيقول: ولد الخوارزمى سنة وفاة الفارابى (سنة ٣٣٩ هـ - ٩٥٠ م) وتوفى (سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م) عاش فى مدينة نيسابور بخراسان وأهدى كتابه (مفاتيح العلوم) إلى أبى حسن عبيد الله بن أبى العتبى وزير نوح الثانى السامانى، الذى حكم من (سنة ٣٣٦ هـ - ٩٧٦ م) إلى (سنة ٣٨٧ هـ - ٩٩٧م).

ويقدم الخوارزمى لكتابه «مفاتيح العلوم» فيقول: إن نفسه تتوق إلى تأليف كتاب يكون جامعاً لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات. متضمنا ما بين كل طبقة من العلماء من الممواصفات والاصطلاحات التى منها أو من أجلها ألفت الكتب المعاصرة لعلم اللغة حتى إن اللغوى المبرز فى الأدب إذا تأمل كتابا من الكتب فى أبواب العلوم والحكمة، ولم يكن يدرى شيئا من تلك الصناعة، لم يفهم شيئا منه كأنه الأمى والأغتم عند نظره إليه (قالت المؤلفة: فى نسختى: وكان كالأمى الأغتم ...).

مما تقدم يتبين لنا أن الغرض من هذا المؤلف، أن الخوارزمى أراد وضع كتاب فى علم اللغة العربية يعنى بتوضيح المعانى المختلفة التى يستعمل فيها اللفظ الواحد فى مختلف العلوم والمعارف ويستشهد الخوارزمى بلفظ «الرجعة» على سبيل الاستشهاد فإنها عند أصحاب اللغة، المرة الواحدة من الرجوع، لا يكادون يعرفون غيرها. وهى عند الفقهاء الرجوع فى الطلاق الذى ليس ببائن، وعند المتكلمين، ما يزعمه بعض الشيعة من رجوع الإمام بعد موته أو غيبته، وعند الكتاب حساب يرفعه المعطى فى العسكر لطمع واحد، وعند المنجمين، سير الكواكب الخمسة المتحيرة على خلاف نضد البروج (قالت المؤلفة: فى نسختى ص / ٣ وتم منها تصحيح الجملة).

وقد جاء فى دائرة المعارف الإسلامية عن الخوارزمى ما يلى: هو أقدم كاتب مسلم ألف كتابا موسوعيا هو (مفاتيح العلوم). ويستدل من كتابه أنه كان يلى وظيفة إدارية، وكان بحكم مقامه فى خراسان خبيرا بالأحوال السائدة فى المشرق خاصة. ويعد كتابه الذى كان العرب ينزلونه منزلة كبيرة عظيم

النفع في إظهارنا على معارف في مواضيع جد متباينة، وقد تناولها الخوارزمي في دقة وإتقان.

كذلك أضاف الخوارزمي إلى العلوم التي ذكرها الفارابي علمين هامين هما علم الطب وعلم الكيمياء، وما تفرع عنهما، وبذلك جاء أكثر شمولا للعلوم من كتاب الفارابي «إحصاء العلوم».

ولقد نقل عن الخوارزمي كثير من أطباء المسلمين الذين جاءوا من بعده، أسلوبه وطريقته في الكتابة الطبية مثل، ابن الجزار المتوفى (سنة ٤٠١ هـ / ١٠٠٩ م) في كتابه (زاد المسافر) لمعالجة الأمراض الباطنية (قالت المؤلفة: الكتاب عندي، وهو بتحقيق الدكتور محمد سويسي والدكتور الراضي الجازي ط الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٦)، وابن زهر الإشبيلي الأندلسي «التيسير في المداواة والتدبير» في معالجة الاستسقاء واتباع أغذية الحمية، وعمار الموصلي وهو من العصر الفاطمي توفي سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م في كتابه في علم العين وعللها ومداواتها، وابن النفيس المعروف باسم (ابن سيناء الثاني) توفي (سنة ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م) وكتابه في الدورة الدموية. وعلي بن عيسى وكتابه «التذكرة في طب العيون» الذي ذكر فيه (١٣٠) مرضا واستعمل (١٤٣) دواء. وابن الخاتمة المتوفى (٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م) (أوردنا ترجمته في م ١٥ / ٢٢٢ فانظرها في موضعها). وكتابه مبحث في الطاعون. وأبو القاسم من أبناء القرن العاشر الهجري وكتابه التعريف في الجراحة استعمل فيه (٢٠٠) آلة للجراحة، اشتهر عند الغرب أكثر من شهرته في المشرق. كما ذكر الخوارزمي في مقدمة كتابه أنه لم يحط بجميع العلوم والمعارف الإنسانية التي كانت موجودة في عصره بقوله: وسميت هذا الكتاب (مفاتيح العلوم) إذ كان مدخلا لها ومفتاحا لأكثرها.

أما عن المنهج الذي سلكه الخوارزمي في تصنيف مؤلفه «مفاتيح العلوم» فهو يختلف اختلافا جوهريا عن منهج الفارابي، ذلك أن استعانته بالتصنيف لتحقيق أغراضه، جعله ينحو نحوا عمليا في تقسيمه بعيدا عن المنهج الفلسفي لتصنيف العلوم، فجاء هدفه وأسلوبه علميا لا أكاديميا (تطور علم التاريخ الإسلامي / ١٨٤ - ١٨٦).

ونفرد مادة خاصة لكتاب الخوارزمي «مفاتيح العلوم» في حرف الميم إن شاء الله تعالى.

(الأعلام للزركلي ٥ / ٣١٢ - ٣١٣، وتطور علم التاريخ الإسلامي - أ. د. رمضان أحمد / ١٨٤ - ١٨٦).

*** الخوارزمي (محمد بن موسى) (- بعد ٢٣٢ هـ / - بعد ٨٤٧ م):**

العالم محمد بن موسى الخوارزمي صاحب كتاب «الجبر والمقابلة» الذي أفردنا له مادة خاصة في م ١٢ / ٥ - ١١.

قال عنه الزركلي: محمد بن موسى الخوارزمي، أبو عبد الله، رياضي فلكي مؤرخ، من أهل خوارزم (انظر هذه المادة في موضعها) ينعت بالأستاذ، أقامه المأمون العباسي قيما على خزانة كتبه، وعهد إليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها، وأمره باختصار «المجسطي» لبطليموس، فاختصره وسماه «السند هند» أي الدهر الداهر، فكان هذا الكتاب كما يقول «مالت برن» أساسا لعلم الفلك بعد الإسلام. وللخوارزمي كتاب «الجبر والمقابلة» تُرجم إلى اللاتينية ثم إلى الإنكليزية، ونُشر بهما وطُبع بالعربية «مختصر» منه، و «الزيج» نقل عنه المسعودي، و «التاريخ» نقل عنه حمزة الأصفهاني، و «صورة الأرض من المدن والجبال ... إلخ» مخطوط، و «عمل الأسطرلاب» و «وصف إفريقية» وهو قطعة من كتابه «رسم المعمور من البلاد». وعاش إلى ما بعد وفاة الواثق بالله (الأعلام ٧ / ١١٦).

وعرَّف به وبأهم أعماله الأستاذ الدكتور محمد جمال الدين الفندي فقال:

هو محمد بن موسى الخوارزمي المكنى بأبي جعفر، نبغ في حدود عام ٢٠٥ هـ. وعاصر الخليفة المأمون العباسي الذي أدرك فضل هذا العالم العربي، واتساع آفاق معرفته، فأغدق عليه النعم، وأولاه برعاية عظيمة، ولا يعرف تاريخ ميلاده، على وجه الدقة (وإن كانت هناك رواية تقول إنه ولد



الخوارزمي (محمد بن موسى) (٢٣٢ هـ / بعد ٨٤٧ م)

عام ٧٨٠ م وتوفى عام ٨٥٠ م) لأن أولئك العلماء لم يكن يهتم بميلادهم أحد، حتى يظهر نبوغهم فيحتفى بهم الجميع.

والخوارزمى عالم عربى، يزدهى به العلم فى كل عصر أبد الدهر، فهو مبتدع علم الجبر، وواضع أسسه، ومبتكر حساب اللوغاريتمات. ولهذا كان أهلا لتسميته بأبى الجبر.

وقد نبغ الخوارزمى فى علوم الحساب والفلك والجغرافيا، كما برع فى علوم الهيئة، وتميز بالذكاء فى استنباط الحقائق، وبنفاذ البصيرة عند الكلام، فكان أحد علماء العصر الإسلامى البارزين الذين لهم الفضل، كل الفضل، فى تطور العلوم الحديثة.

ويعتبر الخوارزمى بحق مبتكر علم الجبر، ومما يدل على إمامته فى هذا العلم، استخدامه التعبيرات الجبرية لأول مرة، وتكرار معادلاته الجبرية حتى يومنا هذا مثل:

$$س^{٢} + ٥ س = ٢٤ ؛ ٢ س + ٥ = س^{٢}$$

والخوارزمى أول من حل معادلات الدرجة الثانية الجبرية. كما كان أحد العلماء الأفذاذ الذين أحاطوا بمعارف عصرهم، وبرزوا فى كثير منها كالفلك والجغرافيا والحساب، ولذلك جعله المأمون من خلصائه المقربين كما سلفت الإشارة («تراث المسلمين فى ميدان العلوم» ٢ / ٢٦٨).

وقد اعتنى بالخوارزمى وبكتابه «الجبر والمقابلة» الأستاذ قدرى حافظ طوقان رحمه الله عناية كبيرة، مما ننقله لك فيما يلى. قال رحمه الله: الخوارزمى: أول من ألف فى الحساب والجبر والأزياج من رياضيى العرب.

ظهر الخوارزمى فى عصر «المأمون»، وكان ذا مقام كبير عنده، أحاطه بضروب من الرعاية والعناية وولاه منصب بيت الحكمة، وجعله على رأس بعثة إلى الأفغان بقصد البحث والتنقيب، وخلط بعض الإفرنج بينه وبين «أبى جعفر محمد ابن موسى بن شاكر»، وبقى معروفا بهذا الاسم مدة من الزمن؛ ونسبوا مؤلفات «أبناء موسى بن شاكر» إليه.

أصله من «خوارزم» وأقام فى «بغداد»، حيث اشتهر وذاع صيته وانتشر اسمه بين الناس، وبرز فى الرياضيات والفلك وكان له أكبر الأثر فى تقدمها، فهو أول من استعمل علم الجبر بشكل مستقل عن الحساب وفى قالب منطقى علمى، كما أنه أول من استعمل كلمة «جبر» للعلم المعروف الآن بهذا الاسم، ومن هنا أخذ الإفرنج هذه الكلمة واستعملوها فى لغاتهم. وكفاه فخرا أنه ألف كتابا فى الجبر - فى علم يعد من أعظم أوضاع العقل البشرى، لما يتطلبه من دقة وإحكام فى القياس - ولهذا الكتاب قيمة تاريخية علمية، فعليه اعتمد علماء العرب فى دراساتهم عن الجبر، ومنه عرف الغربيون هذا العلم.

كان لهذا الكتاب شأن عظيم فى عالم الفكر والارتقاء الرياضى، ولا عجب فهو الأساس الذى شيد عليه تقدم الجبر، ولا يخفى ما لهذا الفرع الجليل من أثر فى الحضارة، من ناحية الاختراع والاكتشاف اللذين يعتمدان على المعادلات والنظريات الرياضية.

كان «الخوارزمى» أول من ألَّف فى الجبر، وقد ورد فى «مقدمة ابن خلدون» ما يؤيد هذا، فقال عند الكلام عن الجبر والمقابلة: «... وأول من كتب فى هذا الفن «أبو عبد الله الخوارزمى»، وبعده «أبو كامل شجاع بن أسلم» وجاء الناس على أثره فيه، وكتابه فى مسائله الست من أحسن الكتب الموضوعة فيه، وشرحه كثير من أهل الأندلس...» (المقدمة / ٥٧٩).

وورد أيضا فى مقدمة «كتاب الوصايا بالجبر والمقابلة لأبى كامل شجاع بن أسلم»، ما يشير إلى أن «الخوارزمى» أول من ألَّف فى طرق علم الجبر، وأن «الخوارزمى» سبقه إلى ذلك، وورد أيضا ما نصه: «... فألفت كتابا فى الجبر والمقابلة رسمت فيه بعض ما ذكره «محمد بن موسى الخوارزمى» فى كتابه، وبينت شرحه وأوضحت ما ترك إيضاحه وشرحه...».

ومن الطبيعى أن شرح «أبى كامل» لبعض المسائل الغامضة فى كتاب «الخوارزمى»، لا يقلل من قيمته، بل على الضد يرفع من شأنه ويقيم الدليل على منزلته. وقد قدم «الخوارزمى» كتابه بتبيان الغاية التى من أجلها يضع العلماء كتبهم ومؤلفاتهم «... ولم تزل العلماء فى الأزمنة الخالية والأمم الماضية يكتبون الكتب، مما يصنفون من صنوف العلم ووجوه الحكمة، نظرا لمن بعدهم واحتسابا للأجر بقدر الطاقة، ورجاء أن يلحقهم من أجر ذلك وذخره، ويبقى لهم من لسان الصدق ما يصغر فى جنبه كثير مما كانوا يتكلفونه من

المؤونة، ويحملونه على أنفسهم من المشقة فى كشف أسرار العلم وغامضه، إما رجل سبق إلى ما لم يكن مستخرجا قبله فورثه من بعده، وإما رجل شرح مما أبقى الأولون ما كان مستغلقا، فأوضح طريقه وسهل مسلكه وقرب مأخذه، وإما رجل وجد فى بعض الكتب خللا فلمَّ شعثه وأقام أوده وأحسن الظن بصاحبه، غير راد عليه ولا مفتخر بذلك من فعل نفسه ...» (الخوارزمى: مقدمة كتاب الجبر والمقابلة / ١٥) وكذلك أشار فى المقدمة إلى أن «الخليفة المأمون» هو الذى طلب إليه وضع الكتاب وهو الذى شجعه على ذلك، كما بيَّن أيضا شأن «الكتاب» والفوائد التى يجنيها الناس منه فى معاملاتهم التجارية، وفى مسح الأراضى ومواريثهم ووصاياهم، ويقول فى هذا كله: «وقد شجعنا ما فضَّل الله به الإمام «المأمون» أمير المؤمنين مع الخلافة. التى حاز له إرثها وأكرمه بلباسها وحلاه بزينتها، من الرغبة فى الأدب وتقريب أهله وإدنائهم وبسط كنفه لهم، ومعونته إياهم على إيضاح ما كان مستبهما وتسهيل ما كان مستوعرا، على أنى ألفت من «كتاب الجبر والمقابلة» كتابا مختصرا، حاصرا للطيف الحساب وجليله، لما يلزم الناس من الحاجة إليه فى مواريثهم ووصاياهم، وفى مقاسمتهم وأحكامهم وتجاراتهم، وفى جميع ما يتعاملون به بينهم من مساحه الأرضين وكرى الأنهار والهندسة، وغير ذلك من وجوهه وفنونه، مقدما لحسن النية فيه، راجيا لأن ينزله أهل الأدب بفضل ما استودعوا من نعم الله تعالى وجليل آلائه وجميل بلائه عندهم منزلته، وبالله توفيقى فى هذا وفى غيره، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم» (الخوارزمى، مقدمة كتاب الجبر والمقابلة / ١٥، ١٦).

قسمَّ «الخوارزمى» الأعداد التى يحتاج إليها فى الجبر إلى ثلاثة أنواع: جزر أى «س»، ومال أى «س٢»، ومفرد وهو الخالى من «س» ثم يذكر الضروب الستة للمعادلات ـ على رأيه ـ وقد أتينا فى «باب الجبر» عليها، وأوضح أيضا حلولها بالتفصيل.

ومن هذه الأنواع والحلول يتبين أن العرب؛ كانوا يعرفون حلول معادلات الدرجة الأولى والدرجة الثانية، وهى نفس الطرق الموجودة فى كتب الجبر الحديثة، ولم يجهلوا أن لهذه المعادلات جذرين واستخرجوهما إذا كانا موجبين.

(جاء فى «كتاب الخوارزمى» المثل الآتى: ـ

«... وأما الأموال والعدد التى تعدل الجذور فنحو قولك، مال وواحد وعشرون من العدد يعدل ١٠ أجذاره» وبحسب الرموز تكون المعادلة.

$\text{س}^{٢} + ٢١ = ١٠\,\text{س}$ وقد حلها واستخرج جذريها ٣ أو ٧ راجع باب الجبر).

وتنبه «الخوارزمى» إلى الحالة التى يكون فيها الجذر كمية تخيلية، جاء فى كتابه:

«واعلم أنك إذا نصفت الأجذار وضربتها فى مثلها، فكان يبلغ ذلك أقل الدراهم التى مع المال، فالمسألة مستحيلة»، أى أنه حينما تكون الكمية التى تحت علامة الجذر سالبة ـ وفى هذه الحالة يقال لها تخيلية بحسب التعبير الرياضى الحديث ـ لا يكون هناك حل للمعادلة. وأتى على طرق هندسية مبتكرة فى حل بعض معادلات الدرجة الثانية. وقد أوردنا أنواعا منها فى فصل الجبر.

وورد أيضا حل المعادلات الآتية هندسيا:

$$\text{س}^{٢} + ٢١ = ١٠\,\text{س}$$

$$،\ \text{س}^{٢} = ٣\text{س} + \text{ع}$$

ثم يأتى بعد ذلك إلى «باب الضرب ويبين كيفية ضرب الأشياء؛ وهى الجذور بعضها فى بعض إذا كانت منفردة، أو كان معها عدد، أو كان يستثنى منها عدد، أو كانت مستثناة من عدد؛ وكيف تجمع بعضها إلى بعض، وكيف تنقص بعضها من بعض ...».

ويعقب بعد ذلك باب الجمع والنقصان؛ حيث وضع عدة قوانين لجمع المقادير الجبرية وطرحها وضربها وقسمتها، وكيفية إجراء العمليات الأربع على الكميات الصم، وكيفية إدخال المقادير تحت علامة الجذر، أو إخراجها منها.

(أبان «الخوارزمى» بأن: ـ

$$\text{حـ}\sqrt{\text{س}} = \sqrt{\text{حـ}^{٢}\,\text{س}}$$

$$،\ \frac{\sqrt{\text{س}}}{\sqrt{\text{ص}}} = \sqrt{\frac{\text{س}}{\text{ص}}}$$

$$،\ \sqrt{\text{س}} \cdot \sqrt{\text{ص}} = \sqrt{\text{س}\,\text{ص}}$$

، $\sqrt{\text{ح}^{٢}\,\text{ص}} = \text{ح}\sqrt{\text{ص}}$ وقد أوضح هذه بأمثلة عددية).

ثم يأتى إلى باب «المسائل الست» . ويقول فى هذا الصدد:

«... ثم اتبعت ذلك من المسائل بما يقرب من الفهم، وتخف فيه المئونة، وتسهل فيه الدلالة إن شاء الله تعالى ... ».

(« فالأولى من الست نحو قولك، عشرة قسمتها قسمين، فضربت أحد القسمين فى الآخر، ثم ضربت أحد هما فى نفسه فصار المضروب فى نفسه مثل أحد القسمين فى الآخر أربع مرات ... ».

أى $\text{س}^{٢} = \text{س}\,(١٠ - \text{س})$.

و«المسألة الثانية: عشرة قسمتها قسمين فضربت كل قسم فى نفسه، ثم ضربت العشرة فى نفسها، فكان ما اجتمع من ضرب العشرة فى نفسها مثل أحد القسمين مضروبا فى نفسه مرتين وسبعة أتساع مرة، أو مثل الآخر مضروبا فى نفسه ست مرات وربع مرة ... ».

أى $\frac{٧}{٩}\,٢\,\text{س}^{٢} = ١٠٠$

أو $\frac{١}{٤}\,٦\,(١٠ - \text{س})^{٢} = ١٠٠$.

و «المسألة الثالثة: عشرة قسمتها قسمين، ثم قسمت أحدهما على الآخر، فخارج القسمة أربعة ... ».

أى: $\frac{١٠ - \text{س}}{\text{س}} = ٤$

و«المسألة الرابعة: مال ـ وهنا يعنى بها كمية ـ ضربت ثلثه ودرهم فى ربعه ودرهم فكان عشرين ... ».

أى: $(\frac{١}{٣}\text{س} + ١)\,(\frac{١}{٤}\text{س} + ١) = \frac{١}{١٢}\,\text{س}^{٢} + \frac{١}{٣}\,\text{س} + \frac{١}{٤}\,\text{س} + ١ = ٢٠$.

و«المسألة الخامسة: عشرة قسمتها قسمين، ثم ضربت كل قسم فى نفسه وجمعتها، فكان ثمانية وخمسين درهما».

أى $\text{س}^{٢} + (١٠ - \text{س})^{٢} = ٥٨$.

و «المسألة السادسة: كمية ضربت ثلثها فى ربعها، فعادت الكمية وزيادة أربعة وعشرين درهما ... ».

أى: $\frac{١}{٣}\,\text{س} \times \frac{١}{٤}\,\text{س} = \text{س} + ٢٤$.

ويذكر «الخوارزمى» حلول جميع هذه المسائل).

ثم يأتى بعد ذلك إلى باب «المسائل المختلفة»، وفيه تجد مسائل مختلفة تؤدى إلى معادلات من الدرجة الثانية وكيفية حلها، وهى من نمط بعض المسائل التى نجدها فى كتب الجبر الحديثة التى تدرس فى المدارس الثانوية.

نأتى على مثال واحد لإعطاء فكرة عن نوع المسائل التى أتى بها «الخوارزمى»: «فإن قال: عشرة قسمتها قسمين، فقسمت هذا على هذا، وهذا على هذا، فبلغ ذلك درهمين وسدسا ... ».

أى: $\frac{\text{س}}{١٠ - \text{س}} + \frac{١٠ - \text{س}}{\text{س}} = ٢\frac{١}{٦}$

بعد هذه الأبواب؛ يأتى باب المعاملات حيث يقول:

«اعلم أن معاملات الناس كلها من البيع والشراء والصرف والإجارة وغير ذلك، على وجهين بأربعة أعداد يلفظ بها السائل وهى: المسعر والسعر والثمن والمثمن ... » ويوضح معانى هذه الكلمات، ويورد مسائل تتناول البيع والإجارات وما يتعامل به الناس من الصرف والكيل والوزن ... إلخ.

ويعقب المعاملات باب المساحة، وفيه: يوضح معنى الوحدة المستعملة فى المساحات، كما يأتى على مساحات بعض السطوح المستقيمة الأضلاع والأجسام ـ وكذلك مساحة الدائرة والقطعة، ويشير إلى النسبة التقريبية وقيمتها، وأورد برهانا لنظرية «فيثاغورس»، واقتصر على المثلث القائم الزاوية المتساوى الساقين، واستعمل كلمة «سهم» لتدل على العمود النازل من منتصف القوس على الوتر، ووجد من قطر الدائرة والسهم طول الوتر، كما وجد حجوم بعض الأجسام كالهرم الثلاثى والهرم الرباعى والمخروط (استعمل الخوارزمى كلمة «تكسير» لتدل إما على المساحة، وإما على الحجم).

وأخيرا يأتى كتاب الوصايا، حيث يتطرق إلى مسائل عملية، تتعلق بالوصايا، وتقسيم التركات، وتوزيع المواريث، وحساب الدور.

(نأتى على مسألة من المسائل التى وردت فى كتاب الوصايا:

«... رجل مات وترك أمه وامرأته وأخاه وأختيه لأبيه، وأوصى لرجل بتُسع ماله، فإن قياس ذلك أن تقيم فريضته، فتجدها من ثمانية وأربعين سهما. فأنت تعلم أن كل مال نزعت تُسعه بقيت ثمانية أتساعه، وأن الذى نزعت مثل ثُمن ما

أبقيت، فتزيد على الثمانية الأتساع ثمنها. وعلى الثمانية والأربعين مثل ثمنها ليتم مالك وهو ستة، فيكون ذلك أربعة وخمسين للموصى له بالتسع، من ذلك ستة وهو تسع المال، وما بقى فهو ثمانية وأربعون بين الورثة على سهامهم ...» راجع «كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمى» «ص ٦٨ ـ٩٢.

وعن حساب الدور: يدخل فى الحساب: باب فى التزويج والمرض، وباب فى العتق والمرض، وباب العقد فى الدور، وباب السلم فى المرض. راجع «كتاب الخوارزمى» ص ٩٢ـ١٠٦).

ولكتاب «الجبر والمقابلة» الذى فرغنا من شرح فصوله شأن تاريخى كبير إذ كل ما ألفه العلماء فيما بعد كان مبنيا عليه، فقد بقى عدة قرون مصدرا اعتمد عليه علماء العرب فى مختلف الأقطار فى بحوثهم الرياضية، كما أنه كان النبع الذى استقى منه فحول علماء أوروبا فى القرون الوسطى، وقد نقله إلى اللاتينية «روبرت أف شستر»، وكانت ترجمته أساسا لدراسات كبار العلماء أمثال: «ليونارد أف بيزا» الذى اعترف بأنه مدين للعرب بمعلوماته الرياضية، وكردان وترتجليا، وباسيولى، ولوكا، وفراى وغيرهم. ولا يخفى أنه على بحوث هؤلاء تقدمت الرياضيات، وتوسعت موضوعات الجبر العالى.

وقد نشر الكتاب «فردريك روزن» كما نشر ترجمته فى لندن سنة ١٨٣١ م. وفى سنة ١٩١٥ م نشر «كاربنسكى» ترجمة للكتاب المذكور من ترجمة «شستر» اللاتينية، ولأول مرة ينشر الدكتوران الأستاذ على مصطفى مشرفة ومحمد مرسى أحمد، الأصل العربى «لكتاب الجبر والمقابلة»، مشروحا ومعلقا عليه باللغة العربية، وقد رجعنا إليه عند الكلام على فصوله وموضوعاته.

ولهذا الكتاب شروح كثير؛ منها:

شرح «عبد الله بن الحسن بن الحاسب المعروف بالصيدلانى» فى كتاب اسمه: «كتاب شرح كتاب محمد بن موسى الخوارزمى فى الجبر».

وكذلك «لسنان بن الفتح الحرانى» شرح للكتاب نفسه.

وهناك شروح أخرى لعلماء العرب فى عصور مختلفة، وقد اعتمدوا عليه وأخذوا عنه كثيرا، واستعملوا نفس المعادلات التى وردت فيه.

إن من أكبر المآثر بل من أكبر النعم التى جاء بها العرب على العالم، نقلهم الحساب الهندى وتهذيبهم الأرقام الهندية المنتشرة بين الناس، والمعروفة عند الغربيين بالأرقام العربية، لأنها وصلت إليهم عن طريق العرب بالأندلس.

ويعود الفضل فى تناول الأرقام إلى «الخوارزمى» عن طريق مؤلفاته وكتبه فى الحساب، وقد أوضحها وبيّن فوائدها ومزاياها. ويمتاز «الخوارزمى» على غيره، أنه وضع كتابا فى الحساب؛ كان الأول من نوعه من حيث الترتيب والتبويب والمادة. فقد نقله «أدلار داف باث» إلى اللاتينية تحت عنوان «الغورتمى»، وهذا الكتاب ـ وهو أول كتاب دخل أوربا ـ بقى زمنا طويلا مرجع العلماء والتجار والحاسبين، والمصدر الذى عليه يعتمدون فى بحوثهم الحسابية، وقد يعجب القارىء إذا علم أن الحساب بقى عدة قرون معروفا باسم «الغورتمى» نسبة إلى «الخوارزمى».

وأبدع «الخوارزمى» فى الفلك؛ وأتى على بحوث مبتكرة فيه وفى المثلثات؛ «فقد اصطنع زيجا ـ أى جداول فلكية ـ سماه «السند هند» وخالفه فى التعاديل والميل، فجعل تعاديله على مذاهب الفرس، وجعل ميل الشمس فيه على مذهب «بطلميوس ...».

وليس المهم أنه أبدع فى الفلك وتوفق فى الأزياج، بل المهم أن زيجه هذا كان له الأثر الكبير فى الأزياج الأخرى التى عملها العرب فيما بعد، إذ استعانوا به واعتمدوا عليه وأخذوا منه.

ويقول «ابن الآدمى»: «فاستحسنه أهل ذلك الزمان وطاروا به فى الآفاق، وما زال نافعا عند أهل العناية بالتعديل إلى زماننا هذا ...» وهو من المجددين لجغرافية «بطليموس»، وتجديده هذا ـ على رأى «نللينو» ـ «لا يعتبر مجرد تقليد للآراء الإغريقية، بل هو بحث مستقل فى علم الجغرافيه لا يقل أهمية عن بحث أى كاتب أوربى من مؤلفى ذلك العصر...»، وقد اختصر هذا الزيج «مسلمة بن أحمد المجريطى» فى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى.

ويظن بعض علماء الإفرنج؛ أن «الخوارزمى» كان أحد

الذين كلفهم «المأمون» قياس محيط الأرض. وقد بحثت فى هذا الموضوع فلم يثبت عندى أن «الخوارزمى» كان من البعثة التى اشتركت فى قياس درجة من درجات محيط الأرض.

وله مؤلفات أخرى (سبق أن أوردناها فى بداية المادة فارجع إليها).

وعلى كل حال؛ «فالخوارزمى» من أكبر علماء العرب، ومن العلماء العالميين الذين تركوا مآثر جليلة فى العلوم الرياضية والفلكية، فهو واضع الجبر فى شكل مستقل منطقى، وهو المبتكر لكثير من بحوث الجبر التى تدرس الآن فى المدارس الثانوية والعالية. وإليه يرجع الفضل فى تعريف الناس بالأرقام الهندية، وفى وضع بحوث الحساب بشكل علمى لم يسبق إليه ... حَلَّق فى سماء الرياضيات وكان نجما متألقا فيها، اهتدى بنوره علماء العرب وعلماء أوربا، وكلهم مدين له، بل المدنية الحديثة مدينة له، بما أضاف من كنوز جديدة إلى كنوز المعرفة الثمينة.

(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك / ١٥٤ - ١٦٢).

الخوارزمى وحلا معادلة الدرجة الثانية:

عن ذلك يقول الدكتور جلال شوقى والدكتور على الدفاع.

كان الحل الصحيح فى نظر الخوارزمى هو دائما القيمة الموجبة للشىء أو المجهول س التى تحقق منطوق المسألة، وقد تنبه الخوارزمى إلى إمكانية وجود حلين موجبين للمعادلة، من ذلك المثال الذى ساقه فى حالة «الأموال والعدد التى تعدل الجذور» حيث يقول الخوارزمى:

«... نحو قولك مال وأحد وعشرون من العدد يعدل عشرة أجذار» أى أن المعادلة عندما يعبر عنها بالرموز الرياضية المألوفة لنا اليوم تتخذ الصورة:

$$\text{س}^{٢} + ٢١ = ١٠\ \text{س}$$

ويورد الخوارزمى حل هذه المعادلة على النحو التالى: «فبابه أن تنصف الأجذار، فتكون خمسة، فاضربها فى مثلها، تكون خمسة وعشرين، فانقص منها الواحد والعشرين التى ذكر أنها مع المال، فيبقى أربعة، فخذ جذرها - وهو اثنان - فانقصه من نصف الأجذار - وهو خمسة - فيبقى ثلاثة، وهو المال الذى تريده، والمال تسعة.

وإن شئت فزد الجذر على نصف الأجذار، فتكون سبعة، وهو جذر المال الذى تريده، والمال تسعة وأربعون.

فإذا وردت عليك مسألة تخرجك إلى هذا الباب، فامتحن صوابها بالزيادة، فإن لم يكن فهى بالنقصان لامحالة.

وهذا الباب يعمل بالزيادة والنقصان جميعا، وليس ذلك فى غيره من الأبواب الثلاثة التى يحتاج فيها إلى تنصيف الأجذار.». فإذا ما نفذنا ما جاء بنص الخوارزمى لخرجنا بالنتيجة الآتية:

$$\frac{١٠}{٢} \times ٥ = ٢٥ - ٢١ = ٤ \text{، } \sqrt{٤} = ٢$$

$$\frac{١٠}{٢} - ٢ = ٣ = \text{الجذر، والمال} = ٩$$

$$\text{أو } \frac{١٠}{٢} + ٢ = ٧ = \text{الجذر، والمال} = ٤٩$$

هذان هما الحلان اللذان توصل إليهما الخوارزمى، ويمكننا أن نرى حل الخوارزمى فى ضوء التعبير بالرموز الرياضية المعاصرة: إذا عبرنا عن الصيغة العامة لمعادلة الدرجة الثانية بالمعادلة:

$$\text{أ}\text{س}^{٢} + \text{ب}\ \text{س} + \text{جـ} = \text{صفرا}$$

فإن جذري المعادلة يكونان كالآتى:

$$\text{س} = -\frac{\text{ب}}{٢\text{أ}} + \sqrt{\left(\frac{\text{ب}}{٢\text{أ}}\right)^{٢} - \frac{\text{جـ}}{\text{أ}}}$$

وبالتعويض بالقيم أ = ١، ب = -١٠، حـ = ٢١، وهى المعاملات الواردة فى مسألة الخوارزمى، يكون جذرا المعادلة:

$$\text{س} = \frac{١٠}{٢} \pm \sqrt{\left(\frac{-١٠}{٢}\right)^{٢} - ٢١}$$

ومن الواضح تطابق هذه النتيجة مع القيمتين اللتين حصل عليهما الخوارزمى بادئا بحساب الجذر التربيعى، ثم طرحه من أو إضافته إلى «نصف الأجذار» أى ($\frac{١٠}{٢}$) فى المثال.

قد يعود مصدر اعتراف الخوارزمى بالقيمة الموجبة فحسب لجذر معادلة الدرجة الثانية إلى اهتمامه - فى المقام الأول - بالتصدى لحل مشاكل الناس فى معاملاتهم، الأمر الذى قد يجعل الجواب السالب غير مستساغ ولا مقبول فى أمور المداولات والوصايا والمقاسمات وما إلى ذلك مما يهم الناس من أمور دنياهم.

حالة استحالة الحل.

يشير الخوارزمى فى كتابه إلى حالة يكون إيجاد قيم لجذر

معادلة الدرجة الثانية فيها أمرا مستحيلا، وهذه الحالة يحددها الخوارزمى بقوله:

«واعلم أنك إذا نصفت الأجذار فى هذا الباب، وضربتها فى مثلها، فكان مبلغ ذلك أقل من الدراهم التى مع المال، فالمسألة مستحيلة.

وإن كان مثل الدراهم بعينها، فجذر المال مثل نصف الأجذار سواء لازيادة ولانقصان.».

يعرض حديث الخوارزمى هنا لما نسميه اليوم بالمميِّز، وهو ما يقع تحت علامة الجذر التربيعى، نقصد:

$[(\frac{\text{ب}}{٢})^{٢} - \frac{\text{جـ}}{\text{أ}}]$.

فطالما كانت ($\frac{\text{ب}}{٢}$)^{٢} أكبر من ($\frac{\text{جـ}}{\text{أ}}$) كان هناك حل للمعادلة.

أما إن كانت ($\frac{\text{ب}}{٢}$)^{٢} أقل من ($\frac{\text{جـ}}{\text{أ}}$)،

فإن الكمية الموجودة تحت علامة الجذر التربيعى تكون سالبة، ولا يكون لها جذران حقيقيان، وهو ماعبر عنه الخوارزمى بقوله:

«فالمسألة مستحيلة»، واستمر الحال كذلك حتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد حين بدأت فكرة الكميات التخيلية.

أما الحالة الثانية التى أشار إليها الخوارزمى، فهى حالة تساوى الكميتين الموجودتين تحت علامة الجذر التربيعى (حالة انعدام المميز)، أى عندما تكون: ($\frac{\text{ب}}{٢}$)^{٢} = $\frac{\text{جـ}}{\text{أ}}$،

وفى هذه الحالة: س = $-\frac{\text{ب}}{٢}$

ويكون «جذر المال مثل نصف الأجذار سواء لازيادة ولا نقصان». أصاب الخوارزمى، ولا غرو فهو الذى وضع علم الجبر وعلمه للناس أجمعين (العلوم الرياضية فى الحضارة الإسلامية ١ / ٢٥٤-٢٥٧).

وفيما يلى مثل من الحلول الهندسية لمعادلات من الدرجة الثانية (علماء العرب/ ٧٤).

فرض الخوارزمى مثلثا طول أضلاعه: ١٥، ١٤، ١٣، وتوخى حساب مساحته كما يلى:

لتكن ح هـ = س

ب هـ = ١٤ - س

$١٥^{٢} - (١٤ - \text{س})^{٢} = ١٣^{٢} - \text{س}^{٢}$

وينتج أن س= ٥

الآن أ هـ^{٢} = $١٣^{٢} - ٥^{٢} = ١٤٤$

أ هـ ١٢

المساحة = $\frac{١٤ \times ١٢}{٢}$ = ٨٤

الأعلام للزركلى ٧ / ١١٦، و «تراث المسلمين فى ميدان العلوم» - د. محمد جمال الدين الفندى. دراسات فى الحضارة الإسلامية. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ م، -/ ٢٦٨، وتراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك - قدرى حافظ طوقان / ١٥٤ - ١٦٢، والعلوم الرياضية فى الحضارة الإسلامية - د. جلال شوقى و د. على الدفاع ١ / ٢٥٤ - ٢٥٦، وعلماء العرب - إعداد وتحقيق د. يوسف فرحات / ٧٤. انظر أيضا العلوم عند العرب - قدري حافظ طوقان / ٩٧ - ١٠٣، وتطبيق المنهج الرياضى فى البحث العلمى عند علماء المسلمين - د. محمد على محمد الجندى. دار الوفاء. المنصورة. الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م / ٥٢، ٥٣.

*** الخوارق الحسية:**

سأل سائل شيخ الجامع الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت رحمه الله يقول: هل كان للرسول معجزة غير القرآن؟ وهل يجب على المسلم أن يؤمن بكل ما روي من الخوارق الحسية من مثل تكثير الطعام القليل على يديه، وتسبيح الحصى ونحو ذلك؟

فأجاب رحمه الله قائلا:

لكل نبى آية تناسب زمنه:

صح عن النبى ﷺ أنه قال «ما من نبى من الأنبياء إلا أُعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر. وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله اليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».

وهذا الحديث يرشدنا فى شأن المعجزات إلى أمرين:

أحدهما خاص بالرسل السابقين. وهو أن الله أعطى كل نبى من المعجزات وخوارق العادات ما يكفى فى حمل الناس الذين يعاصرونهم ويشاهدونها على الإيمان بهم والتصديق برسالتهم، ومن ذلك ما جاء فى القرآن من آيات موسى وعيسى عليهما السلام. وهو كلها كما نرى معجزات حسية

تقع أمام الأقوام على يد صاحبها، وتنقرض بانقراض وقتها، وسبيل التصديق بها لم يكن إلا ورود الأخبار بها في المنقول المتواتر المقطوع بصحته وهو القرآن الكريم وبذلك كان القرآن شاهدا بالرسالات السابقة.

آية النبي محمد ﷺ:

أما الأمر الثاني: فهو خاص بالنبي محمد ﷺ، وهو أن الذي أعطاه الله إياه من المعجزات، كان غير الذي أعطاه للأنبياء السابقين، كان «وحيا» يسمع، ويفهم، ويعقل؛ فيدرك العقل منه جهات إعجازه ولا ينقرض بانقراض زمنه ولا بموت صاحبه؛ بل يظل قائما محفوظا بحفظ الله الذي أوحاه، ينظره الناس على توالي العصور، ويكثر المؤمنون به، وبرسالة صاحبه إلى يوم الدين.

ومن هنا يرجو الرسول عليه الصلاة والسلام أن يكون أكثر الأنبياء أتباعا يوم القيامة ولعلنا لو قارنا عدد المسلمين اليوم بعددهم يوم حياة الرسول لوجدنا مصداق ذلك الرجاء، ولعرفنا أن مرد ذلك إلى التأثر بروح الإعجاز الدائم الذي يحمله القرآن، ويتذوقه الإنسان.

القرآن هو المعجزة الخالدة.

٢ ـ وقد جاء في القرآن أن المعجزة التي تحدى بها عليه الصلاة السلام قومه، هي القرآن خاصة، **﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾** [البقرة: ٢٣] وأنه قد تحداهم بالقرآن على صور شتى: تحداهم بكله، وتحداهم ببعضه، وأنه سجل عليهم عجزهم عن الإتيان بمثله: **﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكٰفرين﴾** [البقرة: ٢٤] **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرءان لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا * ولقد صرفنا للناس في هذا القرءان من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾** [الإسراء: ٨٨، ٨٩] وراحوا يقترحون على النبي الآيات. ويطلبون منه خوارق كالتي يسمعونها عن الأنبياء السابقين **﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهٰر خلٰلها تفجيرا * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتٰبا نقرؤه﴾** [الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣].

- وقد رد القرآن عليهم في ذلك **﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا؟﴾** [الإسراء: ٩٣] **﴿قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين * أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتٰب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾** [الدخان: ٥٠، ٥١] وأخيرا يبين لهم الحكمة في عدم إجابتهم إلى ما اقترحوا من آيات، فيقول **﴿ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون﴾** [الأنعام: ٨]ويقول **﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾** [الإسراء: ٥٩] لم يجبهم الله إلى ما اقترحوا من آيات حسية يرونها بأعينهم، إبقاء عليهم، وحفظا لهم من عذاب الاستئصال الذي كان يلحق بالأولين حين يكذبون أنبياءهم بعد رؤية الآيات.

الخوارق ممكنة وواقعة:

٣ ـ وليس معنى هذا أن خوارق العادات غير ممكنة، أو غير حاصلة، كيف وهي منذ القدم تحت سلطان القدرة الإلهية، بها حصلت، وبها شوهدت، ولا تزال إلى يومنا هذا نرى ونسمع خوارق عادات في خلق الأشخاص، وفي مظاهر الكون: نراها في الإعصار، والصواعق، التي تنتزع المدن من أماكنها وتترك أهلها جاثمين، وهي مثل التي تحدث عنها القرآن الكريم في الأمم السابقة، وتحدث عما حدث لسليمان من نطق الحيوانات ومحادثتهم معه، وعما سيحدث من نطق جوارح الإنسان، وشهادتها عليه بما فعل **﴿حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصٰرهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾** [فصلت: ٢٠، ٢١].

لسنا نعلم كل نواميس الكون:

والله قد كون العالم على نواميس، بعضها ظاهر جلي، كثيرا ما يقف الإنسان بإيمانه عندها، ولكن ـ والله يقول **﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾** [الإسراء: ٨٥] لاينبغي الوقوف بالإيمان عند حد ما أدركنا وظهر لنا من تلك النواميس؛ فلله في خلقه شئون، وله وراء النواميس المألوفة، نواميس لايعلمها إلا هو، يجربها كما يريد على يد من يريد، ولا عن يد أحد.

فأنا أومن بخوارق العادات، أومن بإمكانها ووقوعها تكريما وتثبيتا لمن أراد الله أن يكرمه ويثبته، وانتقاما وعقوبة لمن أراد أن يعاقبه وينتقم منه، وأصدق الأخبار بها متى صحت الرواية، ونقلت النقل الصحيح السليم، ودرجة الإيمان بالخارق تتبع درجته فى النقل، فليس كل ما ينقل بصحيح، وليس كل الصحيح فى درجة واحدة من القوة؛ فمن المنقول: الموضوع، ومنه الضعيف، ومن الصحيح المتواتر القطعى، ومنه المشهور الظنى.

الخوارق الحسية لنبينا ليست إجابة للكفار:

وإنما الذى لا أقبله، أن يكون حصول الخارق إجابة لاقتراح الكفار. وإذا ما صح الخبر بشىء من الخوارق الحسية، مسندا إلى الرسول، وتواتر فى نقله، وآمنا به لصدق الرسول. فليس سبيله إجابة الكفار إلى ما اقترحوا، وليس سبيله المعجزة التى تحدى بها القوم وإنما سبيله كما قال القاضى عياض فيما نقله من المعجزات الحسية، كانشقاق القمر، وتسبيح الحصى، وحنين الجذع، ومحادثة الضب، ومخاطبة الأشجار، ونبع الماء من بين أصابع الرسول، وتكثير الطعام والشراب قال فى كل ذلك:

«إنى لم أجمع هذه الآثار التى وردت بالخوارق لمنكرى نبوته ﷺ ولا لطاعن فى معجزته وإنما جمعناه لأهل ملته الملبين لدعوته، المصدقين لنبوته، ليكون تأكيدا لهم فى محبتهم له، وزيادة فى أعمالهم، وليزدادوا إيمانا على إيمانهم ولتدل على عظيم قدره ﷺ»

وبذلك يتبين أن فائدة تلك الخوارق ترجع إلى المؤمنين بتأكيد محبتهم للرسول، وترجع للرسول بدلالتها على قدره عند ربه، ولم يقصد بها تحدى القوم أو إجابتهم إلى ما اقترحوا من آيات.

ولعلنا نجد فى آية الإسراء ما يرشد إلى أن المقصد به كان تكريم الرسول وتثبيت قلبه، وتطمينه على عناية الله به: ﴿لنريه من ءايٰتنا﴾ [الإسراء: ١] ﴿أفتمٰرونه على ما يرى﴾ [النجم: ١٢].

المدار على صحة النقل:

٤ ـ والرأى أن من اطمأن قلبه إلى صدق الرواية فى شىء من الخوارق الحسية، كان إيمانه بها حتما، تابعا لدرجة صدق الرواية عنده، ومن لم يطمئن إلى شىء منها فلا يتوقف صحة إيمانه بالرسول على إيمانه بها، وكفى بالقرآن ومتواتر أخلاقه ﷺ برهانا وبراهين على صدقه عليه الصلاة والسلام.

(الفتاوى للإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأسبق فضيلة الشيخ محمود شلتوت / ٤٢ ـ ٤٧).

*** خواشت:**

قالت ياقوت:

خواشت: بضم أوله ويفتح، وبعد الألف الساكنة شين معجمة ساكنة أيضا: من قرى بلخ؛ ينسب إليها أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن على الخواشتى، فقيه محدث، روى عن على بن عبد العزيز البغوى وعبد الصمد ابن المفضل.

(معجم البلدان ٢ / ٣٩٨).

*** خواص آية الكرسى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ١٠٤٣٧.

المؤلف: مجهول.

أولها: فصل فى التصريف بآية الكرسى الشريفة لقضاء الحاجات ونيل الرغبات. تقرأ آية الكرسى ثلاثا ثم تقول: الله الحى القيوم العلى العظيم مائة مرة، ثم تقرأ الدعوة الآتية مرة وإذا كان الأمر مهما جدا فاقرأ الصلاة الكمالية.

آخرها: صلاة وسلاما يتم نورهما ويدوم لنا أبدا ويتجدد ثوابهما ولا ينقطع سرمدا يا الله عدد ٣. إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد عدد ٣ وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم.

أوصاف المخطوط: نسخة حديثة كتبت بخط معتاد. وموضوعها أقرب إلى الأدعية من علوم القرآن.

ق	م	س
٢	١٧×١١	٢٤

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٢ / ١١٥، ١١٦).

*** خواص الأحجار:**

انظر: نزهة الأبصار فى خواص الأحجار.

* **خواص الأحجار من اليواقيت والجواهر:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علم الأحجار

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية.

تأليف عز الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن علي بن طرخان الأنصاري السويدي (٦٠٠ - ٦٩٠ هـ).

(بروكلمان ملحق ١ / ٦٥٠).

ابتدأه بالياقوت وختمه بحجر المغناطيس.

أوله: بعد الديباجة: فمنه الياقوت. قال أبو الريحان: الياقوت أربعة أنواع ... إلخ.

وآخره: وذلك أنه إذا أخذ منه زنة أوقية أو أقل، ثم وضع شيء من الفضة بعيدا عنه بقدر خمسة أذرع جذب الفضة ولو كانت مسمرة والله أعلم بالصواب.

ـ نسخة بقلم معتاد بخط محمد أبي اليسر بن أحمد شهاب بن محمد بن أبي الجود بن برهان الدين سنة ٩٨٩. في ٤ ورقات ومسطرتها ٢٨ سطرا.

[دار الكتب المصرية - ١٢٠ طب].

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات ـ وضع فؤاد سيد. القاهرة ١٩٦٣ / ٤٠).

* **خواص الأسماء:**

مخطوط بدار الكتب القطرية.

لعثمان النحريري الحنفي الشناوي.

ناقص الطرفين

المقاس ١٤ × ١٠ سم، مسطرتها ١٧ سطرا.

(المنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣ / ٤٥).

* **خواص أسماء الله الحسنى:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علوم القرآن الكريم مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٩٢٧٦.

المؤلف: جلال الدين؟

أولها: هذه معرفة خواص أسماء الله الحسنى وهي تسعة وتسعون أسما من إملاء الشيخ الأصل العالم جلال الحق والحقيق والشريعة والدين قدس الله تعالى سره. هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة .. من قرأها كل يوم ألف مرة جعله الله من أهل اليقين.

آخرها: يا وارث: كل من قرأ هذا الاسم ماية مرة قبل طلوع الشمس لم يصب جسده ألم..

ياصبور: كل من كان به مرض أو وجع في جسده يقرأ هذا الاسم ثلاثا وثلاثين فإن الله يصبره ويعفيه ويشفيه.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثالث عشر الهجري كتبت بخط معتاد وبالمداد الأسود، الأسماء الحسنى مكتوبة بالأحمر.

توجد هذه النسخة في مجموع يضم من الرسائل في التصوف والمنطق وغيرها، منها: مطالع الجود بتحقيق التنزيه في وحدة الوجود، الدرة الفاخرة في تحقيق مذهب الصوفية، إتحاف أهل الإيمان في أن النبي ﷺ لا يخلو عنه زمان أو مكان وغيرها.. على المجموع قيد وقف الشيخ حسن بن عبد اللطيف العمري، وقيدا تملك الأول باسم محمد بن إبراهيم ابن محمد الدكدجي. والآخر باسم علي بن محمد محب الدين، كتب المجموع بخطوط مختلفة وهو بحالة حسنة.

ق	م	س
٣(١٥٠-١٥٢)	٢٠,٥×١٥	٢٩

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم - وضعه صلاح محمد الخيمي ٢ / ١١٢، ١١٣).

* **خواص أسماء الله الحسنى:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علوم القرآن الكريم مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ١١١٦٣.

المؤلف: مجهول.

أولها: الله - وخاصيته زيادة اليقين، وتيسير المقاصد المحمودة في الذوات والصفات والأفعال فقد قالوا: من داومه بصيغة (يا ألله ياهو) رزقه الله كمال اليقين. وفي الأربعين الإدريسية - يا ألله المحمود في كل فعاله - قال السهروردي من تلاه يوم الجمعة قبل الصلاة على طهارة ونظافة ثياب خاليا سرا مائتي مرة تيسر له مطلوبه.

آخرها: الرشيد ـ وخاصية قبول العمل فليكن لذلك بعد العشاءماية مرة والله أعلم، الصبور ـ وخاصيته لدفع البلايا فمن ذكره قبل طلوع الشمس ماية مرة لم تصبه نكبة وبالله التوفيق.

أوصاف المخطوط: نسخة من بداية القرن الحادى عشر الهجرى كتبت سنة ١٠٠١ هـ (ق ٢٢) بخط نسخى معتاد وبالمداد الأسود الأسماء الحسنى مكتوبة بالأحمر. أحيطت الكتابة بأطر مرسومة بالأحمر.

على الورقة الأولى قيد تملك باسم محمد شمس الدين الرفاعى. توجد هذه النسخة فى مجموع يضم الصلوات المسماة بالكبريت الأحمر، وإسبال الكسا على النسا، وترقيق الأسل لتصفيق العسل، وقلائد العقيان فى مناقب الإمام أبى حنيفة النعمان لابن حجر.

. الغلاف من الجلد المزخرف ولكنه ممزق.

ق	م	س
١٣ (١ ـ ١٣)	٢٠×١٤	١٧.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٢ / ١١٤، ١١٥).

*** خواص الأسماء الحسنى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتب الأسد).

الرقم ٩٨٢٨

المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ١١٩ هـ.

أوله: قال الشيخ الأجل العالم العلامة جلال الدين قدس الله سره العزيز، هذا ما أمليته فى خواص أسماء الله الحسنى فمن ذلك **﴿هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة﴾** من قرأه كل يوم ألف مرة جعله الله من أهل اليقين.

«الرحمن» من قرأه بعد كل صلاة ماية مرة أزال الله عنه الغفلة والنسيان وقسوة القلب.

آخره: «النافع» من قرأ هذا الاسم فى السفر كل يوم لم يصبيه [يصبه] شىء ولو كان بين الأعداء: وإن قرأه فى سفينة جارية ماية مرة سلمها الله تعالى.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثالث عشر الهجرى مخرومة الآخر كتبت بخط نسخى معتاد، وبالمداد الأسود أسماء الله الحسنى مكتوبة بالأحمر، فى بداية المخطوط ذكر لقسم من الأسماء الحسنى.

أصيب المخطوط بالرطوبة فتلفت أوراقه الأولى.

ق	م	س
١٢ (٣ - ١٤)	١٨ × ١١ م	١١

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٢ / ١١٣، ١١٤).

*** خواص الأسماء الحسنى ـ منقولة من المناوى الكبير شرح الجامع الصغير:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ١٠٢١٩

المؤلف: مجهول.

أولها: الله ـ خاصيته زيادة اليقين لتيسير المقاصد المحمودة فى الذات والصفات والأفعال، فقد قالوا: من قرأه كل يوم ألف مرة بصيغة (يا الله، ياهو) رزقه كمال اليقين.

آخرها: الرفيع الشاهد: خاصيته الرجوع عن الباطل إلى الحق حتى إنه إذا أخذ من جبهة الولد العاق شعرا وقرأ عليه أو على الزوجة كذلك ألفا صلح حالها.

الواحد: خاصيته إخراج الخلق من القلب، فمن قرأه كل يوم ألف مرة أخرج الخلائق من قلبه فكفى خوف الخلق، وهو أصل كل بلاء. تم الخواص المنقول من شرح الجامع الصغير للمناوى.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثالث عشر الهجرى كتبت بخط نسخى جيد، الأسماء الحسنى مكتوبة بالمداد الأحمر. أصيبت النسخة بالرطوبة فتأثرت أعالى الأوراق.

ق	م	س
٦	١٨ × ١١ م	١٩.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٢ / ١٢٣).

*** خواص الأعداد المتحابة والمتباغضة (علم-):**

قال صاحب مفتاح السعادة:

واعلم: أن كنكة الملك ـ من حكماء الهند ـ استنبط الأعداد المتحابة. وذكر أنها إذا وضعت فى طعام أو شراب أو غير ذلك مما يستعمله شخصان، تألف بينهما محبة عجيبة،

وإن رسمتها على ثوبك لم يفارقك. والعدد الأصغر منها «كر»، والعدد الأكبر منها «دفر»، وترسمها برسم قلم الغبار، وتعطى الأصغر من شئت وتأكل أنت الأكبر، فإن الأصغر يطيع الأكبر بخاصية ظريفة. ويستعمل في الزبيب، والحب، والرمان وأشباهها من الفاكهة عددا لا رسما.

ثم إن أفلاطون الإلهي، بيّن خواص الأعداد المتحابة والمتباغضة، وذكر أنه: لو كتب الأعداد المتحابة في كوز لم يمسه الماء، وشرب منه شخصان، فإنه يتولد بينهما محبة أكيدة لم يعهد ذلك قبل؛ وأنه: لو روعي في الأعداد المتباغضة مثل ذلك، فإنه يظهر بينهما عداوة راسخة بإذن الله تعالى.

وأما طريق استخراج الأعداد المتحابة فقد بُين مستوفَى ببراهين عددية في كتاب «تذكرة الأحباب في بيان التحاب»؛ وهذا كتاب نفيس يدل على فضل مؤلفه، وعلو كعبه في العلوم الرياضية، يشهد بذلك كتابه المذكور.

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٧٤).

انظر: خواص الأعداد وجمع المتواليات.

*** خواص الأعداد وجمع المتواليات:**

مما أورده عالم الرياضيات بهاء الدين العاملي (انظر ترجمته في م ٧ / ٥٤٨ ـ ٥٥٠) في كتابه «الكشكول». فيقول الأستاذ الدكتور جلال شوقي عن ذلك:

تناول صاحب الكشكول في هذا المجال تعريف العدد. وبيان الأعداد المتحابة بيد أنه لم يأت فيها بجديد حيث سبقه إليها ثابت بن قرة الحراني. ثم عرج العاملي إلى الأعداد التامة والزائدة والناقصة. وربط بين صفات آدم وحواء وبين خواص الأعداد. وقدم تفسيرا للقول المنسوب إلى النبي عليه الصلاة والسلام من أن حواء خلقت من الضلع الأيسر (من اليسير أو القليل حسب قول العاملي) لآدم.

ولقد تعرّض العاملي لقواعد إيجاد مجموع الأعداد على النظم الطبيعي (أي جمع المتوالية الحسابية التي أساسها الواحد). ومجموع الأزواج دون الأفراد، ومجموع الأفراد دون الأزواج، كذا مجموع المربعات المتوالية، ومجموع المكعبات المتوالية، وهذه المتواليات جميعها قد سبق ورودها في متن كتاب العاملي «خلاصة الحساب» (انظر مادة «خلاصة الحساب»).

«أجمع الحسّاب على أن تعريف العدد بأنه نصف مجموع حاشيتيه، وهو لا يصدق على الواحد، إذ ليس له حاشية تحتانية، وفيه نظر. إذ الحاشية الفوقانية لكل عدد تزيد عليه بمقدار نقصان الحاشية التحتانية عنه. ومن ثمة كان مجموعهما ضعفه.

وقد أجمعوا على أن العدد إما صحيح أو كسر، فنقول الحاشية التحتانية للواحد هي النصف، فالفوقانية واحد ونصف، لأنها تزيد على الواحد بقدر نقصان النصف عنه، كما هو شأن حواشي الأعداد، والواحد نصف مجموعها.

فالتعريف المذكور صادق على الواحد، بل نقول: التعريف المذكور صادق على جميع الكسور أيضا، وليس مخصوصا بالصحاح، مثلا يصدق على الثلث أنه نصف مجموع حاشيتيه. فالتحتانية السدس والفوقانية ثلث وسدس. أعني نصفا، ولا شك أن الثلث نصف مجموع النصف والسدس، وهو المراد».

[٢] «للشيخ الرئيس رسالة في العشق، وقال فيها إن العشق سار في المجردات والفلكيات والعنصريات والمعدنيات والنباتات والحيوانات، حتى إن أرباب الرياضي قالوا الأعداد المتحابة، واستدركوا ذلك على إقليدس، وقالوا فاته ذلك ولم يذكره، وهي:

المائتان والعشرون عدد زائد، أجزاؤه أكثر منه، وإذا جُمعت كانت أربعة وثمانين ومائتين بغير زيادة ولا نقصان.

والمائتان والأربعة والثمانون عدد ناقص، أجزاؤه أقل منه، وإن جُمعت كانت جملتها مائتين وعشرين.

فلكل من العددين المتحابين أجزاء مثل الآخر:

فالمائتان والعشرون لها نصف، وربع، وخمس، وعشر، ونصف عشر، وجزء من أحد عشر، وجزء من اثنين وعشرين، وجزء من أربعة وأربعين، وجزء من خمسة وخمسين، وجزء من مائة وعشرة، وجزء من مائتين وعشرين، وجملة ذلك من الأجزاء البسيطة الصحيحة مائتان وأربعة وثمانون.

والمائتان والأربعة والثمانون ليس لها إلا نصف، وربع، وجزء من أحد وسبعين، وجزء من مائتين واثنين وأربعين، وجزء من مائتين وأربعة وثمانين، فذلك مائتان وعشرون.

فقد ظهر بهذا المثال تحاب العددين، وأصحاب العدد يزعمون أن لذلك خاصية عجيبة فى المحبة. مجرب. انتهى».

[٣] أشرف الأعداد العدد التام، وهو ما كانت أجزاؤه مساوية له: قالوا ولهذا كان عدد الأيام التى خلقت فيها السموات والأرض، وهو الستة، كما نطق به الذكر الحكيم.

وأما العدد الزائد أو الناقص فما زادت عليه أجزاؤه أو نقصت، كالاثنى عشر فإنه زائد، والسبعة فإنها ناقصة، إذ ليس لها إلا السُّبع.

قال فى الأنموذج (للمحقق الدوانى) وقد نظمت قاعدة فى تحصيل العدد التام، فقلت

حو باشد فرد أول ضع ف زوج الزوج ناقص وزايد.

بود مضروب ايشان تام وزن ناقص وزايد

ومعناه أنه يؤخذ زوج الزوج، وهو زوج لا يعده من الأفراد سوى الواحد.

وبعبارة أخرى عدد لا يعده عدد فرد، وهذا مبنى على أن الواحد ليس بعدد كالاثنين فى المثال المذكور، ويضعَّف حتى يصير أربعة، ويسقط منه واحد فيصير ثلاثة، وهو فرد أول لأنه لا يعده سوى الواحد فرد آخر وهو المراد بالفرد الأول، فتضرب الثلاثة فى الاثنين الذى هو زوج الزوج، فيصير ستة وهو العدد التام، وقس عليه.

مثلا تأخذ الأربعة، وهو زوج الزوج، وتضعفه حتى يصير ثمانية، وتسقط منه واحدا، فيصير سبعة، وهو فرد أول، فتضربه فى الأربعة فيصير ثمانية وعشرين، وهو أيضا عدد تام.

ومن خواص العدد التام أنه لا يوجد فى كل مرتبة من الآحاد والعشرات وما فوقها إلا واحدا.

لا يوجد مثلا فى مرتبة الآحاد إلا الستة، وفى العشرات إلا الثمانية والعشرين، فقس واستخرج الباقى كما عرفت».

[٤] «قال بعض أصحاب الأرتماطيقى (انظر مادة «الأرتماطيقى (علم ـ) فى م ٣/ ٥٥٩ ـ ٥٦١):

إن عدد التسعة بمنزلة آدم عليه السلام، فإن للآحاد نسبة الأبوة إلى سائر الأعداد.

والخمسة بمنزلة حواً، فإنها التى يتولد منها مثلها، فإن كل عدد فيه خمسة، إذا ضرب فيما فيه الخمسة، فلا بد من وجود الخمسة بنفسها فى حاصل الضرب ألبتة.

وقالوا فى قوله تعالى ﴿طه﴾ إشارة إلى آدم وحوآ، وكل من هذين العددين إذا جمع من الواحد إليه على النظم الطبيعى، اجتمع ما يساوى عدد الاسم المختص به، فإذا جمعنا من الواحد إلى التسعة، كان خمسةً وأربعين، وهو عدد آدم، وإذا جمع من الواحد إلى الخمسة، كان خمسة عشر، وهو عدد حوآ.

وقد تقرر فى الحساب إنه إذا ضرب عدد فى عدد، يقال لكل من المضروبين ضلع، وللحاصل مضلع.

وإذا ضربت الخمسة فى التسعة، حصل خمسة وأربعون، وهى عدد آدم، وضلعاه التسعة والخمسة.

قالوا وما ورد فى لسان الشارع صلوات الله عليه وآله من قوله خلقت حوآ من الضلع الأيسر لآدم، إنما ينكشف سره بما ذكرناه، فإن الخمسة هى الضلع الأيسر للخمسة والأربعين، والتسعة الضلع الأكبر، والأيسر من اليسير وهو القليل، لا من اليسار، انتهى».

[٥] «جمع الأعداد على النظم الطبيعى: بزيادة واحد على الأخير، وضرب المجموع فى نصف الأخير.

وجمع الأزواج دون الأفراد: بضرب نصف الزوج الأخير فيما يليه بواحد، والعكس بزيادة واحد على الفرد الأخير، وتربيع نصف الحاصل.

وجمع المربعات المتوالية بزيادة واحد على ضعف العدد الأخير، وبضرب ثلث المجموع فى مجموع تلك الأعداد.

وجمع المكعبات المتوالية بضرب مجموع تلك الأعداد المتوالية من الواحد فى نفسه».

ويسوق الأستاذ الدكتور جلال شوقى خمس مسائل من كتاب «الكشكول» لبهاء الدين العاملى ويشرحها، ما عدا المسألة الثالثة. وكتاب «الكشكول» طبعة مصر سنة ١٣٠٢ هـ ـ ١٨٤٤ م. المطبعة العامرة الشرفية (مطبعة الشيخ شرف موسى، بخان أبى طاقية بمصر). وهاهى المسائل الخمس وشرحها:

الكشكول ـ طبعة مصر ـ صفحة ٢٨٢ (الجزء الثالث).

شرح المسألة الأولى: يعرف العدد هنا بأنه نصف مجموع العدد السابق له والعدد اللاحق له (ويعبر عنهما في المتن بالحاشيتين). مثل ذلك الرقم ٥ نصف مجموع ٤ ، ٦ . وبالنسبة للواحد يقول العاملي إن التعريف السابق ينطبق عليه أيضا إذا اعتبرنا حاشيتيه هما $\frac{١}{٢}$ ، ١ $\frac{١}{٢}$ (أى أن الواحد حدا في سلسلة عددية تزايدها = $\frac{١}{٢}$).

كذلك بالنسبة للكسر $\frac{١}{٣}$. فإذا اعتبرناه حدا في متوالية حسابية تتزايد حدودها بالقيمة $\frac{١}{٦}$. يكون الكسر $\frac{١}{٣}$ وسطا حسابيا لـ $\frac{١}{٦}$ و(وهو الحاشية التحتانية). ($\frac{١}{٣} + \frac{١}{٦}$) = $\frac{١}{٢}$ (وهو الحاشية الفوقانية).

الكشكول ـ طبعة مصر ـ الصفحتان ١٩١ ، ١٩٢ (الجزء الثاني).

شرح المسألة الثانية: يشير بهاء الدين العاملي ـ في هذا النص إلى الأعداد المتحابة، ويسوق لها مثلا هو العددان ٢٢٠ ، ٢٨٤ : فالعدد ٢٢٠ يقبل القسمة على كل من الأعداد التالية (وهي عوامله).

٢ ، ٤ ، ٥ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ١١٠ ، ٢٢٠ فتكون أجزاؤه على التوالي: ١١٠ ، ٥٥ ، ٤٤ ، ٢٢ ، ٢٠ ، ١١ ، ١٠ ، ٥ ، ٤ ، ٢ ، ١ . ومجموع هذه الأجزاء هو ٢٨٤ ، ومن ثمَّ فهي أكثر من العدد نفسه، ومن هنا جاءت تسميته بعدد زائد.

أما العدد ٢٨٤ فإنه من الممكن قسمته على كل من الأعداد (العوامل):

٢ ، ٤ ، ٧١ ، ١٤٢ ، ٢٨٤ ، فتكون أجزاؤه على التوالي:

١٤٢ ، ٧١ ، ٤ ، ٢ ، ١ ، ومجموعها ٢٢٠ ، وهو أقل من العدد الأصلي ٢٨٤ ، ولذا يسمى عدد ناقص.

يتضح في هذا المثال أن العدد ٢٢٠ يقبل القسمة على مجموعة من الأعداد (يطلق عليها هنا عوامل العدد) تؤدي إلى أن يكون المجموع الحسابي لأجزائه هو ٢٨٤ ، بينما هذا العدد الأخير ٢٨٤ يقبل القسمة على مجموعة من الأعداد (العوامل) ليصبح المجموع الحسابي لأجزائه ٢٢٠ وهو العدد الأول. ومن ثمَّ تطلق على العددين ٢٢٠ ، ٢٨٤ تسمية العددين المتحابين.

هذا وينسب إلى ثابت بن قرة الحراني (٨٣٦ ـ ٩٠١م) أنه توصل إلى قاعدة لإيجاد الأعداد المتحابة. حيث إنه ألَّف فيها رسالة، يوجد مصور لها في معهد المخطوطات العربية٤٤٨ بالقاهرة تحت رياضيات رقم ١٨ .

المسألة الثالثة:

الكشكول ـ طبعة مصر ـ الصفحتان ٣٢٦ ، ٣٢٧ (الجزء الثالث).

المسألة الرابعة: الكشكول ـ صفحة ٢٩١ (الجزء الثالث).

شرح: يشير العاملي هنا إلى الربط بين صفات آدم وحواء وبين خواص الأعداد. فينقل عن بعض أصحاب الأرتماطيقي (أي الحساب) قولهم بأن آدم يقابل رقم ٩ ، وأن حواً تقابل رقم ٥ ، معتمدين في هذه النسبة إلى أن التسعة هي كبرى الأرقام العشرة من الصفر إلى التسعة، وبذلك تكون بمرتبة الأبوة بالنسبة إلى بقية الأرقام، وأن الخمسة ينشأ عن ضربها فيما فيه الخمسة عدد فيه خمسة، ومن ثمَّ وصفها بأنها التي يتولد منها مثلها.

فإذا أخذنا رقم ٩ وجدنا أن مجموع الأرقام من الواحد إليه (أى ١ + ٢ + ٣ + ٤ + ٥ + ٦ + ٧ + ٨ + ٩) =٤٥ وهو عدد آدم، ولتفسير ذلك يجدر بنا أن نشير إلى أن العرب ـ قبل استعمالهم الأرقام الهندية وتهذيبها ـ كانوا يشيرون إلى الأعداد بحروف الهجاء، كما كان الحال عند اليونان في صدر الفتح الإسلامي، وذلك على النحو التالي:

أ	١	ح	٨	س	٦٠	ت	٤٠٠
ب	٢	ط	٩	ع	٧٠	ث	٥٠٠
جـ	٣	ى	١٠	ف	٨٠	خ	٦٠٠
د	٤	ك	٢٠	ص	٩٠	ذ	٧٠٠
هـ	٥	ل	٣٠	ق	١٠٠	ض	٨٠٠
و	٦	م	٤٠	ر	٢٠٠	ظ	٩٠٠
ز	٧	ن	٥٠	ش	٣٠٠	غ	١٠٠٠

ومن هنا فإن كلمة آدم تشتمل على الحروف أ، د، م، وبالتالي يكون المقابل العددي لكلمة آدم هو:

أ+ د+ م = ١ + ٤ + ٤٠ = ٤٥

وهو نفس العدد الناتج عن جمع الأرقام من الواحد إلى التسعة (منزلة آدم) بتسلسلها الطبيعي.

كذلك الحال بالنسبة لكلمة حوآ. فإن المقابل العددي لها هو:

ح+ و +أ + ٨ + ٦ + ١ = ١٥

وهو نفس العدد الذي نحصل عليه بجمع الأرقام من الواحد إلى الخمسة (منزلة حوآ).

انظر مادة «أبجد» في م ٢ / ٨٤ ـ ٨٨، ومادة «حساب الجُمَّل» في م ١٣ / ٥٤٩ ـ ٥٥٤.

يعرج العاملي بعد تناوله لجمع مكونات كلمتي آدم وحوآ ومنزلتهما من الأرقام إلى السمات الناتجة عن عمليات الضرب، فيبدأ بتعريف الضلع والمضلع بأن الضلع هو المضروب أو المضروب فيه، وأن المضلع هو حاصل الضرب، ويستطرد قائلا بأن حاصل ضرب التسعة (وهي منزلة آدم) في الخمسة (وهي منزلة حوآ) هو ٤٥، وهو عدد آدم كما تقدم، فيكون ضلعا عدد آدم هما منزلتا آدم وحوآ (أي التسعة والخمسة).

وبناء على هذه الخواص يقول في تفسير خلق حوآ من الضلع الأيسر لآدم بأن منزلة حوآ وهو الخمسة هي الضلع الأصغر (الأيسر) من الضلعين ٩، ٥ المكونين للمضلع ٤٥ وهو عدم آدم.

المسألة الخامسة:

الكشكول ـ طبعة مصر ـ صفحة ٣١٣ (الجزء الثالث).

(١) أضيفت لتتفق مع القاعدة الثانية من الباب التاسع من كتاب «خلاصة الحساب»، وهي قاعدة صحيحة.

شرح المسألة الخامسة: يشير العاملي هنا إلى جمع المتواليات العددية على النظم الطبيعي، كذا جمع المربعات المتوالية والمكعبات المتوالية، وهو ما جاء ذكره تفصيلا بقواعد الباب التاسع من كتابه «خلاصة الحساب»:

جمع الأعداد على النظم الطبيعي

= (١ + ٢ + ٣ + ٤ + ... + ن)

$= (\text{ن} + ١)\,\frac{\text{ن}}{٢}$ (القاعدة الأولى)

جمع الأزواج دون الأفراد

= (٢ + ٤ + ٦ + ٨ + ... + (ن ـ ٢) + ن)

$= \frac{\text{ن}}{٢} . (\frac{\text{ن}}{٢} + ١)$ (القاعدة الثالثة)

جمع الأفراد دون الأزواج

= (١ + ٣ + ٥ + ٧ + ... + (ن ـ ٢) + ن)

$= (\frac{\text{ن} + ١}{٢})^{٢}$ (القاعدة الثانية)

جمع المربعات المتوالية

$= (١^{٢} + ٢^{٢} + ٣^{٢} + ٤^{٢} + ... + \text{ن}^{٢})$

$= \frac{٢\text{ن} + ١}{٣}\ [١ + ٢ + ٣ ... + \text{ن}]$

$= \frac{\text{ن}(\text{ن} + ١)(٢\text{ن} + ١)}{١ \times ٢ \times ٣}$ (القاعدة الرابعة).

جمع المكعبات المتوالية

$= (١^{٣} + ٢^{٣} + ٣^{٣} + ٤^{٣} ... + \text{ن}^{٣})$

$= (١ + ٢ + ٣ + ٤ + ... + \text{ن})^{٢}$

$= [\frac{\text{ن}(\text{ن} + ١)}{٢}]^{٢}$ (القاعدة الخامسة)

(الأعمال الرياضية لبهاء الدين العاملي ــ تحقيق وشرح وتحليل د. جلال شوقي / ١٨١ ـ ١٨٩).

*** خواص الأقاليم (علم ـ):**

قال صاحب مفتاح السعادة:

وهو علم يتعرف منه ما في كل أقليم أو بلد من المنافع والمضار والعجائب والغرائب. وهذا علم جليل ترتاح إليه النفوس. مثل: ما روى أن ببلاد الهند وردًا مكتوباً في الورقة منها: «محمد رسول الله»، رواه الذهبي في «الميزان». ونظيره ما ذكره ابن العديم في «تاريخه»، في ترجمة الحسن بن أحمد ابن الحسن الوراق الخواص المصيصي، أنه روى مسندًا إلى علي بن عبد الله الهاشمي، أنه رأى في بعض بلاد الهند وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء، عليها مكتوب بخط أبيض «لا إله إلا الله محمد رسول الله. أبو بكر الصديق عمر الفاروق».

فظننت أنه معمول، ففتحت وردة لم تفتح بعد فكان فيها مثل ذلك، وفي البلد منه شيء كثير، وأهل تلك القرية يعبدون الحجارة، ولا يعرفون الله عز وجل.

وحكى الشيخ اليافعي في كتابه المسمى «بروض الرياحين»، عن بعض الشيوخ، أنه ببلاد الهند، شجرة تحمل

ثمرة تشبه اللوز لها قشير، إن كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية، مكتوب عليها بالحمرة: «لا إله إلا الله. محمد رسول الله» كتابة جلية، وهم يتبركون بها، ويستسقون بها إذا منعوا من الغيث. فحدثت بها أبا يعقوب الصياد، فقال لى: ما أستعظم هذا. كنت أصطاد على نهر الأبلة، فاصطدت سمكة مكتوب على جنبها الأيمن أو أذنها اليمنى: «لا إله إلا الله»، وعلى جنبها الأيسر أو أذنها اليسرى: «محمد رسول الله»، فقذفتها فى الماء احترامًا لما عليها.

قلت: سمعت من أثق به، أنه يروى عمن يثق به، أنه رأى جرادة فى أحد جناحيها: لا إله إلا الله» وفى الآخر: «محمد رسول الله».

وأمثال هذه الغرائب والعجائب فى الآفاق. خارج عن إحاطة الأوراق. سبحان مبدعها ومخترعها، جل جلاله وعم نواله. وكتاب «عجائب المخلوقات» للقزوينى أتى بالعجب العجاب. وكتاب آخر فى هذا الباب أحسن من كتاب القزوينى، لكن لم أتذكر اسمه، ثم سألت عنه واحدًا من أصحابى، فقال: إنه «خريدة العجائب» لابن الوردى.

وفيها كتاب آخر، «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق» للشريف الصقلى، و «تقويم البلدان» لياقوت الحموى، وغير ذلك.

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٦٢، ٣٦٣).

قالت المؤلفة: عندى كتاب «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» للقزوينى، ط مصطفى البابى الحلبى. الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨٠ م، وكذلك عندى كتاب «خريدة العجائب وفريدة الغرائب» لابن الوردى. مطبوعات مكتبة ومطبعة الحاجه عبد السلام بن محمد بن شقرون. بدون تاريخ.

*** خواص الإكسير:**

من مخطوطات الكيمياء بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى:

تأليف جابر بن حيان الصوفى.

الموجود منه المقالة السادسة إلى المقالة الحادية عشرة وبها ينتهى الكتاب.

وأولها بعد البسملة: واعلم أن الإكسير الأعظم له خواص عجيبة، وقد رأيناها وامتحناها فوجدناها صحيحة، ومنها سريع، ومنها بطىء، فإنا لابد ضرورة محتاجون إلى أن نقول فى ماهيته أولا، وإنما هو من الأكاسير، فنقول ونبدأ بعون الله أن الإكسير الأعظم ينقسم قسمين تامين، أحدهما الذى يعمل البياض والثانى الذى يعمل الحمرة ... إلخ.

وآخره: وخاصيته: أنك إذا أخذته وجعلت منه فى لوائك حجراً زنة أربع دوانق، فلا تلق بلوائك عسكراً إلا هزمته.

ـ نسخة بقلم نسخ معتاد، لعله من خطوط القرن الحادى عشر، ومسطرتها ١٥ سطرا ١٤ × ٢١ سم.

(الكتاب الأول ضمن مجموعة)

[مكتبة الفاتح ـ ٥٣٠٩].

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات ـ وضع فؤاد السيد، القاهرة ١٩٦٣ / ٤٠، ٤١).

قالت المؤلفة: جاء فى المعجم الوسيط ١ / ٢٢ مادة الإكسير ما يلى: مادة مركبة، كان الأقدمون يزعمون أنها تحول المعدن الرخيص إلى ذهب.

*** خواص الإنسان:**

فى القسم السادس من بحثه فى حقيقة الإنسان يتناول القزوينى خواص الإنسان وفوائد أجزائه نسوق لك بعضًا منها فيما يلى:

أما خواصه فكثيرة:

منها النطق وهو القوة التى يعرف بها الإنسان ما فى ضمير غيره بواسطة رمز أو إشارة أو كناية والكلام أقوى الدلالات منها.

ومنها قوة التعجب وهى التى توجب الضحك عند رؤية ما يتعجب منه وذلك من خاصة الإنسان دون غيره من سائر الحيوانات.

ومنها نبات الشعر على رأسه بخلاف سائر الحيوان لأن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون شعر الحيوانات كسوتها ووقايتها من الحر والبرد، أما الإنسان فلما كانت كسوته من خارج جعل شعره على رأسه ليكون زينة ووقاية، وخلق الإنسان أزعر إذ لو كان أزغب لبطل الجمال وحاسة اللمس.

ومنهـا الشيب فإنـه لا يـوجـد إلا في الإنسـان وسببـه أن الإنسان أضعف حرارة وأكثـر رطوبة وبياض الشعـر إنما يكون من بلغم متعفن ولهذا لا يوجد إلا عند تغير المزاج إلى الرطوبة في آخر سن الكهولة عند قصور الحرارة وكثرة الرطوبة فيحدث بخار متراوح متعفن يتولد منه شعر أبيض.

ومنهـا أنه إذا لمس العضـو الـوجع بالكف خف وجعـه، وكذلك إذا أصابـه ضربة أو خدشـة يمسكها بكفه فيسكن في الحال.

ومنها سراية بعض الأمـراض، زعموا أن من أدام النظر إلى العين الـرمـدة تـرمـد عينـه، ومن خـالط الأجـرب والأبـرص والمجذوم يحل به مثله.

ومنهـا أن الأبـرص إذا مشى حـافيـاً على الأرض لا ينبت موضع قدمه.

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ٢٣١).

*** خواص أهل التخصيص والتنصيص:**

من مخطـوطات المنـاقب بمـركز الملك فيصل للبحـوث والدراسات الإسلامية بالرياض، وجاء بيانه كما يلي:

رقم الحفظ: ٦٧. ف.

الفن: مناقب.

عنـوان المخطـوطـة: خـواص أهل التخصيـص والتنصيـص.

اسم المـؤلف: محمـود بـن محمـد، القـزويني، ضيـاء الدين.

اسم الشهرة: القزويني.

تاريخ وفاته: ...

المصادر: نوادر المخطوطات العربية ٢ / ١٧٨.

بدايـة المخطوطة: ... مـا من أصحابي أحـد إلا لو شئت لوجدت عليه إلا أبا عبيدة، رضي الله عنه وعنهم وأجمعين.

نوع الخط: نسخ معتاد.

تاريخ النسخ: ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م القرن ٧ هـ

ملاحظات عامة: نسخة جيدة وكـاملة، تناول فيها مؤلفها خصـائص وصفات العشـرة المبشـرين بـالجنة من أصحـاب رسـول الله ﷺ، وفي آخر النسخـة شجرة بنسبـه عليه الصـلاة والسلام وأصحابه العشرة.

مكان الحفظ: رشيد أفندي، برقم ١٢٠ / ٣.

(فهـرس المصورات الميكـروفيلميـة بقسم المخطوطـات مركز الملك فيصل للبحـوث والدراسات الإسلاميـة الرياض. العدد الثاني، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م/ ٦٥).

*** خواص أوراد شهاب الدين السهروردي:**

من مصنفات التراث الإسلامي في التصوف

مخطـوط بـدار الكتب الظـاهـريـة بـدمشق (أو بمكتبـة الأسد).

الرقم ٨٧٣٤

ـ رسالة في خواص أسمـاء الله بحساب الجمل مع إقرانها بفضائل وما تنتجه من الخواص.

المـؤلف: أبـو حفص شهـاب الـدين عمـر بن محمـد السهروردي الشافعي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ١٢٣٤ على رواية.

أولهـا: الحمـد لله رب العـالميـن والصـلاة والسـلام على رسوله... اعلم أن هذه الرسالة في شرح خواص الأربعين اسم من أسمـاء الله تعالى العظيمة ينبغـي لكل إنسان ما يحـرم من بركات هذا الدعاء والاسم العظيم ثم الله.

آخرها: وكذلك يقبل الأعضـاء قبولاً حسناً لاستغذائها من الفضلاتً بسبب الـرياضة فتستقيم الصحـة بإذن الله عز وجل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم...

الخط نسخ معتاد الحبر: أسود.

تاريخ النسخ: سنة ١١٢٥ هـ.

مصـادر عن المـؤلـف: معجم المـؤلفين ٧ / ٣١٣، الأسنوي: طبقات الشافعية ٢ / ٦٣.

(فهـرس مخطوطـات دار الكتب الظـاهـرية. التصـوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٥١١، ٥١٢).

*** خواص البُردة في برء الداء:**

من مخطوطـات الأدب في مكتبة المتحف العـراقي وجاء بيانه كما يلي:

الرقم ٢٩١٠٤

لعبد السلام بن إدريس المراكشي المتوفى سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢م.

وهي شرح على البردة للبوصيري. ذكرها بروكلمان بالعنوان الذى ذكرناه (بروكلمان ٥ / ٩٥).

نسخة جيدة، ناقصة قليلا من الديباجة، كتبها إبراهيم بن محمد البلواجى سنة ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م، فى آخرها مجموعة من القصائد والتخاميس، كالقصيدة المضرية، والقصيدة الاستغفارية لأبى مدين المغربى، والقصيدة النعمانية، ومناجاة الميمونة لجمال القرمانى.

٧٨ ص. ٢١ × ١٥,٤٥ سم. ١١ س.

فى فهرس أوقاف الموصل نسب الكتاب لعبد السلام النابلسى ٥ / ١٧.

نسخة أخرى

الرقم ١٣٠٥٩ / ٢

جيدة الخط، مؤطرة الصفحات، كتبها سليمان بن عمر.

٨ ص ٢٤×١٦ سم. ١٧ س.

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥٩).

* **خواص البسملة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم.

مخطوطات بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٦٠٩٠

المؤلف: أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد ساسى البونى الجزائرى المتوفى سنة ١١٣٩.

أوله: قال الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المدقق أبو العباس البونى ... الحمد لله الذى أودع سره المصون عباده المخلصين وخص بغوامض علمه من اختار ولم يخالطهم ظنون فوصف نفسه الواصفون **﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾** ... وبعد فقد سألنى بعض أهل الرغبة والمجدين من الطلبة عن الله الكريم الخفى عن التعليم المودع فى بسم الله الرحمن الرحيم.

آخره: وإذا كتبت البسملة والقمر فى الحوت والطالع به سعيد فى رق غزال وحمله عاش سعيدا ومات شهيدا. ولم ير فى ماله ونفسه وأهله ما يكره ببركتها وفضائلها. وخواصها لاتحصى ولا توازيها الجبال والحمد لله رب العالمين.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى كتبت بخط فارسى معتاد وبالمداد الأسود، مع النسخة مجموعة من الرسائل، فيها شرح كلمات الإمام على كرم الله وجهه، ومناقب الإمام أبى حنيفة للزيلعى، والأحاديث الموضوعة لحسن بن محمد الصنعانى [الصغانى] المجموع مفروط الأوراق منزوع عن الغلاف وهو يحتاج إلى صيانة.

ق	م
٤ (٥٤ـ٥٧)	٢١,٥ × ١٥,٥.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٢ / ١١٦، ١١٧).

قالت المؤلفة: مؤلف كتاب الأحاديث الموضوعة المذكور أعلاه هو «الصغانى» «وليس الصنعانى»، والكتاب عندى وقد طبع بعنوان «موضوعات الصغانى» للإمام أبى الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن القرشى الصغانى المتوفى سة ٦٥٠ هـ ـ حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه نجم عبد الرحمن خلف. دار المأمون للتراث. دمشق بيروت. الطبعة الثانية.

* **الخَوّاص (جامع.):**

قال عنه على مبارك فى خططه:

وهو بحارة الخواص من الحسينية على يسار الذاهب من الحارة إلى السور المطل على باب النصر بقرب الموضع المعروف بالزلاقة. وبه منبر وخطبة وشعائره مقامة بنظر ديوان الأوقاف.

وفيه ضريح سيدى على الخواص رضى الله عنه عليه قبة صغيرة، وله حضرة كل أسبوع ومولد سنوى، وقد ذكرنا مناقبه من طبقات تلميذه سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى الكلام على بلدته البرلس.

وبجواره ضريح يقال إنه للشيخ محمد أبى البركات.

وبجواره ضريح عليه مقصورة من الخشب يقال إنه للشيخ يوسف العبرى.

وفى طبقات الشعرانى أن هناك قبر الشيخ ناصر الدين

النحاس. قال: كان من رجال الله المستورين، وكان على قدم التعب لا يذيق نفسه راحة ولا شهوة، وكان يذهب كل يوم إلى المذبح فيأتي بكروش البهائم وطحالاتها ونحو ذلك في قفة على رأسه، فيطعمها للكلاب والقطط العاجزة عن التقوت والحدا والغربان، وسافر إلى مكة على التجريد ولم يقبل من أحد شيئا ألبتة. وكان له كرامات كثيرة تركناها لكونه كان يحب الخمول. مات رضى الله عنه سنة خمس وأربعين وتسعمائة ودفن بزاوية الشيخ على الخواص رضى الله عنه خارج باب الفتوح بالمحروسة انتهى.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ٢٢٧، ٢٢٨).

انظر: الخواص (على).

*** خواص الحروف (علم،):**

قال صاحب مفتاح السعادة:

واعلم أن للحروف المذكورة في فواتح السور، بل للحروف مطلقا خواص جليلة، ومنافع جزيلة، يعرفها أهلها وقد أورد هذا العلم الشيخ عبد الرحمن البسطامى فى كتبه المؤلفة فى هذا الشأن.

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢ / ٥٤٧).

*** خواص حزب البحر للشاذلي:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٤٠١٢.

ـ تكلم فيه على خواص حزب البحر جعله من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة المقدمة على خواصه١ ـ الكلام على حقيقة الحزب وحكمته وحكمه ٢ ـ في شروطه والعمل به ونية واضعه ٣ ـ فى اختصاصه وسبب وضعه الخاتمة تدور على فصول ثلاثة مرجعها لحكم التشابه ووجهه وكيفيته.

المؤلف: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن أحمد بن زروق البرلسى الفاسى المتوفى سنة ٨٩٩ هـ / ١٤٩٣.

أوله: الحمد لله الذى فتح لأوليائه طرق الوسائل، وأجرى على أيديهم الكريمة أنواع الفضائل، فمن اقتدى بها انتصر واحتدى، ومن حاز عن طريقهم انعكس وتردى...

آخره: كما دارت بمدينة الرسول سبحان من ألجم كل متمرد بقدرته وأحاط علمه بما فى بره وبحره، سبحان الله وبحمده العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين والحمد لله رب العالمين...

الخط نسخ على القاعدة المغربية ردىء الخط، الحبر: أسود ومتنه بالأحمر.

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ١ / ١٥٥.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٥١٢).

*** خواص الدمياطية وشرحها:**

لأبى عبد الله محمد ولد ابن الحاج:

أولها: الحمد لله المنزه عن الحدوث والأعراض فى الأحكام والأفعال والحلول فى المحل والمكان الرحمن الرحيم العظيم الذى خلق العالم ودبر أمره حادثا وقديما وقد سبق ذلك فى علم غيبه قبل تصويره وبروزه.

أول القصيدة:

بدأت بباسم الله والحمد أولا
على نعم لم تحص فيها تنزّلا

آخر القصيدة:

كذا الأنبيا والآل والصحب كلهم
وبعد فحمد الله ختما وأولا

آخرها: ومن عطس وقال الحمد لله رب العالمين ثم تلا الأبيات مرة وصلى على النبى ﷺ أمنه الله تعالى من كل داء إلى العطسة الأخرى فمن واظب على ذلك لم تصبه نكبة فى جسده وإذا أراد الله به شيئا أنساه ذلك حتى يتصل به ما أراد.

تمت بعون الله الملك الوهاب.

الأبيات بالحمرة ولكل بيت أو مجموعة من الأبيات مربعات صغيرة وزعت الأبيات عليها بشكل هندسى جميل.

٥١ ق، ١٦ × ٢١ سم، ١٩ س، عام ١٣٠١هـ

(المستدرك على فهرس مخطوطات الشعر ـ إعداد رياض عبد الحميد مراد/ ٢٤، ٢٥).

* **الخواص الروحانية (علم-):**

قال صاحب مفتاح السعادة: علم الخواص الروحانية من الأوفاق العددية والحرفية والتكسيرات العددية والحرفية.

وهو علم باحث عن كيفية تمزيج الأعداد أو الحروف على التناسب والتعادل، بحيث يتعلق بواسطة هذا التعديل أرواح متصرفة تؤثر فى القوابل، حسب ما يراد ويقصد من ترتيب. الأعداد والحروف وكيفياتها.

وموضوعه: الأعداد أو الحروف.

وغايته: الوصول إلى المطالب الدينية أو الدنيوية أو الأخروية.

وغرضه وغايته وفائدته لا تخفى. وكتب عبد الرحمن المغربى نافعة فى هذا الباب، وكذا كتب الشيخ أحمد البونى، وغير ذلك من المشايخ.

وهذا العلم يمكن جعله من فروع علم الحساب، من حيث ترتيب الأعداد؛ ومن فروع علم الهندسة، من جهة تعديل تلك الأعداد أو الحروف فى الجداول الوفقية. لكن لما أمكن جعله من خواص الحروف باعتبار جعل الوفق حرفيا، ذكرناه فى علم الحروف التى هى من خواص القرآن ا. هـ.

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢ / ٥٤٨)

* **الخوّاص (سيدى على):**

انظر: الخواص (جامع ـ)، الخواص (على)

* **الخواص (علم-):**

قال حاجى خليفة:

علم الخواص هو علم باحث عن الخواص المترتبه على قراءة أسماء الله سبحانه وتعالى وكتبه المنزلة وعلى قراءة الأدعية ويترتب على كل من تلك الأسماء والدعوات خواص مناسبة لها كذا فى مفتاح السعادة لمولانا طاش كبرى زاده قال: واعلم أن النفس بسبب اشتغالها بأسماء الله سبحانه وتعالى والدعوات الواردة فى الكتب المنزلة تتوجه إلى جناب القدس وتتخلى عن الأمور الشاغلة لها عنه فبواسطة ذلك التوجه والتخلى تفيض عليها آثار وأنوار تناسب استعدادها الحاصل لها بسبب الاشتغال ومن هذا القبيل الاستعانة بخواص الأدعية بحيث يعتقد الرائى أن ذلك بفعل السحر انتهى. أقول: خواص الأشياء ثابتة وأسبابها خفية لأنا نعلم أن المغناطيس يجذب الحديد ولا نعرف وجهه وسببه وكذلك فى جميع الخواص إلا أن علل بعضها معقولة وبعضها غير معقولة المعنى ثم إن تلك الخواص تنقسم إلى أقسام كثيرة منها خواص الأسماء المذكورة الداخلة تحت قواعد علم الحروف، وكذلك خواص الحروف المركبة عنها الأسماء، وخواص الأدعية المستعملة فى العزائم وخواص القرآن. قال المولى المذكور وغاية ما يذكر فى ذلك كان مسنده [مستنده] تجارب الصالحين وورد فى ذلك بعض من الأحاديث أوردها السيوطى فى الإتقان وقال بعضها مرقوفات عن الصحابة والتابعين وما لم يرد [وأما ما لم يرد به] أثر فقد ذكر الناس من ذلك كثيرا والله سبحانه وتعالى أعلم بصحته.

ويقال الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحانى إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله سبحانه وتعالى فلما عز هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسمانى ويشير إلى هذا قوله عليه الصلاة والسلام «لو أن رجلا موقنا قرأ بها على جبل لزال» وأجاز القرطبى الرقية بأسماء الله سبحانه وتعالى وكلامه قال فإن كان مأثورا استحب وقال الربيع: سألت الشافعى عن الرقية فقال لابأس أن يرقى بكتاب الله تعالى وبما يعرف من ذكر الله. وقال الحسن البصرى ومجاهد والأوزاعى لا بأس بكتب القرآن فى إناء ثم غسله وسقيه المريض، وكرهه النخعى.

ومنها خواص العدد والوفق والتكسير. ومنها خواص الأعداد المتحابة والمتباغضة كما بين فى تذكرة الأحباب فى بيان التحاب وخواص البروج والكواكب وخواص المعدنيات وخواص النباتات وخواص الحيوانات ومنها خواص الأقاليم والبلدان وخواص البر والبحر وغير ذلك وصنف فى هذه الخواص جماعة منهم أحمد البونى والغزالى والتميمى والجلدكى فى كنز الاختصاص وهو كتاب مفيد فى تلك المقاصد وغيرهم.

(كشف الظنون ١ / ٧٢٥، ٦٢٦. انظر أيضا مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٤١، ٣٤٢).

* **الخوّاص (على):**

على الخواص أستاذ الإمام الشعرانى والذى نقل عنه فى

كتابيه الجواهر والدرر والطبقات، وكان حرفته ضفر الخوص، وهو مصرى من البرلس، وأمى لا يقرأ ولا يكتب ومع ذلك تكلم فى الطريقة وله مذهب وتفسيرات وتأويلات للقرآن والسنة حيرت العلماء. والخواص يحب للمريد أن تكون له حرفة ولم يكن يقبل ضمن تلاميذه إلا من كان من أصحاب الحِرف، ويقول إن السوقة وأهل الصنائع والحرف أعظم درجة عند الله وأنفع من المجاذيب لقيامهم فى الأسباب. والعالم عنده هو الذى علمه مستفاد من نقل فهو حاك لعلم غيره وله أجر الذى يحمل العلم فيؤديه، وأما الصوفى المتحقق فهو المُسلك أى من أهل التسليك، وعلمه خِضْرى أو لَدُنِّى يكفى الناس كلهم فى سائر ما يطلبونه. ولو أراد العالم أن يعلم مرتبته فى العلم فليرد كل قول حفظه إلى قائله وسيرى أنه لن يتبقى مما يعلمه إلا النزر اليسير الذى لا يمكن أن يصنع منه عالما. وبداية التصوف أن يعلم المبتدئ كل الشريعة بمجملها ومفصلها وخاصها وعامها وناسخها ومنسوخها، وليس بالرجل فى اعتبار أهل الطريق من يجهل حكما واحدا. ويشرح الخواص قول الإمام أحمد بن حنبل أن التقرب إلى الله بتلاوة كلامه بفهم وبغير فهم، أن الفهم لعلماء الشريعة فإن وسيلتهم للإحاطة بمضمون القرآن هو التفكير، وأما علماء الحقيقة أو العلماء من الصوفية فطريقتهم للإحاطة بذلك المضمون هو الكشف والتعريف الإلهى وذلك لا يحتاج إلى فهم، وقد أنكر الخواص على أهل المعرفة أن يخوضوا فى التدليل على وجود الله والبرهنة على وحدانيته لهذا السبب، وقال إن الحمار يكون حينئذ أعرف منهم بالله، فالإيمان بالله شىء لا يتحدث عنه لأنه وقر فى الصدر ولا يمكن التعبيير عنه، وما ورد فى السنة من ألفاظ الإيمان يرجع إلى التصديق والإذعان اللذين يفتحان على العلم بالمعلوم المستقر فى القلب بالفطرة ولذلك لم يسأل أحد رسول الله ﷺ عن حقيقة هذه الألفاظ ولا ناقشوا أصحابها. ومن يصح توحيده ينتفى عنه الرياء والإعجاب وسائر الدعاوى المضلة، لانه يشهد بأن كل الصفات والأفعال ليست له وإنما هى لله وحده، وكمال الإسلام والإيمان فى التسليم والرضا، ومناط ذلك القلب فإذا صلح القلب كان بيت الله ومهبط الوحى الأنور، فالبيت لا يقبل إلا مشاكله فكما أن الأحرف وعاء المعانى فكذلك القلب وعاء للحق والشرع والنور، وكما أن الحرف إذا تغير بعض صورته أو نقطه فسد المعنى فكذلك القلب إذا تغير بعض صورته وصفته فسد ما فيه، وإصلاح القلب يكون بإصلاح الطعمة، وإصلاح الطعمة يكون بالكسب فى الكون مع التوكل على الله، والتوكل حقيقة هو المراقبة لله. ومذهب الخواص الذى يعلنه هو ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ [الإسراء: ٢٣].

(الموسوعة الصوفية ـ د. عبد المنعم الحفنى / ١٥١، ١٥٢).

انظر: الخواص (جامع ـ).

*** خواص الفاتحة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٦٨٥٠

المؤلف: حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد ابن محمد بن أحمد الغزالى الطوسى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ.

أولها:

إذا ما كنت ملتمسا لرزق
ونجح القصد من عبد وحر
وتظفر بالذى تهوى سريعا
وتأمن من مخالفة وغدر
ففاتحة الكتاب فإن فيها
لما أمَّلت من خير وشر

آخرها: وميم الملك ونور النبوة وها الهداية، وواو الوقاية ولام ألف الولاية وياء اليقين، أن تسخر لى عبدك الأخيضر خادم الفاتحة تسخيرا أتصرف به فى كل الأمور إنك على كل شىء قدير يارب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الحادى عشر الهجرى كتبت بخط نسخى معتاد، وتتألف من قصيدة ومن دعاء وصلاة وطريقة العمل بقراءتها.

توجد هذه النسخة فى مجموع يضم عددا كبيرا من الرسائل فى موضوعات مختلفة ومجموعة كبيرة من المختارات

الشعرية والفوائد العامة والطبية والفقهية وغيرها. المجموع مفروط الأوراق مصاب بالرطوبة بعض أوراقه تالفة وغلافه ممزق.

ق	م	س
٢ (١٣٠ - ١٣١)	١٩ × ١٢	٢٠

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم - وضعه صلاح محمد الخيمى ٢ / ١١٧).

*** خواص القرآن:**

أدرجها الإمام البدر الزركشى تحت النوع السابع والعشرين من أنواع علوم القرآن الكريم وقال عنه:

وقد صنف فيه جماعة منهم التميمى، وأبو حامد الغزالى. قال بعضهم: وهذه الحروف التى فى أوائل السور جعلها الله تعالى حفظا للقرآن من الزيادة والنقصان؛ قال تعالى: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** [الحجر: ٩].

وذكر بعضهم أنه وقف على أن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه كان يكتبها على ما يريد حفظه من الأموال والمتاع، فيحفظ.

وأخبر رجل من أهل الموصل قال: كان الكيا الهراسى الإمام رحمه الله (انظر ترجمته فى م ٥ / ٦٣١، ٦٣٢) إذا ركب فى رحلة يقول هذه الحروف التى فى أوائل السور، فسئل عن ذلك فقال: ما جُعل ذلك فى موضع أو كتب فى شىء إلا حفظ تاليها وماله، وأمن فى نفسه من التلف والغرق.

وحكى عن الشافعى رحمه الله أنه شكا إليه رجل رمدا، فكتب إليه فى رقعة: **﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾**. **﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾** [قٓ: ٢٢] **﴿للذين آمنوا هدى وشفاء﴾** [فصلت: ٤٤]؛ فعلق الرجل ذلك عليه فبرأ.

وكان سفيان الثورى يكتب للمطلقة [من أصابها المخاض - طلق الولادة] رقعة تعلق على قلبها: **﴿إذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * وإذا الأرض مدت * وألقت﴾** [الانشقاق: ١ - ٤]. **﴿فخرج على قومه﴾** [القصص: ٧٩].

وروى ابن قتيبة قال: كان رجل من الصالحين يحب الصلاة بالليل وتثقل عليه، فشكا ذلك لبعض الصالحين فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ **﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى﴾** إلى قوله **﴿مددا﴾** [الكهف: ١٠٩]، ثم أضمر. فى أى وقت أضمرت فإنك تقوم فيه، قال: ففعلت فقمت فى الوقت المعين.

قال الغزالى: وكان بعض الصالحين فى أصبهان أصابه عسر البول، فكتب فى صحيفة: البسملة **﴿وبست الجبال بسا * فكانت هباء منبثا﴾**. [الواقعة: ٥، ٦]. **﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾** [الحاقة: ١٤]. **﴿دكا دكا﴾** [الفجر: ٢١]، وألقى عليه الماء وشربه فيستر عليه البول، وألقى الحصى.

وحكى الثعلبى فى تفسيره أن قوله تعالى: **﴿لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون﴾** [الأنعام: ٦٧] يكتب على كاغد، ويوضع على شق الضرس الوجع، يبرأ بإذن الله تعالى.

ويحكى أن الشيخ أبا القاسم القشيرى رأى النبى ﷺ فى المنام، فقال له رسول الله ﷺ: مالى أراك محزونا؟ فقال: ولدى قد مرض، واشتد عليه الحال، فقال له: أين أنت عن آيات الشفاء: **﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾** [التوبة: ١٤] **﴿وشفاء لما فى الصدور﴾** [يونس: ٥٧]. **﴿فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾** [النحل: ٦٩]. **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾**. [الإسراء: ٨٢]. **﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾** [الشعراء: ٨٠]. **﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾** [فصلت: ٤٤]! فقرأ هذه الآيات عليه ثلاث مرات فبرأ.

وحكى ابن الجوزى عن ابن ناصر عن شيوخه عن ميمونة بنت شاقولة البغدادية رضى الله عنها قالت: آذانا جار لنا، فصليت ركعتين، وقرأت من فاتحة كل سورة آية حتى ختمت القرآن، وقلت: اللهم اكفنا أمره، ثم نمت وفتحت عينى؛ وإذا به قد نزل وقت السحر فزلت قدمه، فسقط ومات.

وحكى عن ابنها أنه كان فى دارها حائط له جوف، فقالت: هات رقعة ودواة، فناولتها، فكتبت فى الرقعة شيئا، وقالت: دعه فى ثقب منه، ففعلت، فبقى نحوا من عشرين سنة، فلما ماتت ذكرت ذلك القرطاس، فقمت فأخذته فوقع الحائط، فإذا فى الرقعة: **﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾** [فاطر: ٤١]، ياممسك السموات والأرض، أمسكه.

ثم يسوق الإمام البدر الزركشى هذا التنبيه :

هذا النوع والذى قبله (يقصد معرفة فضائل القرآن) لن ينتفع به إلا من أخلص لله قلبه ونيته، وتدبر الكتاب فى عقله وسمعه، وعمر به قلبه، وأعمل به جوارحه، وجعله سميره فى ليله ونهاره، وتمسك به وتدبره. هنالك تأتيه الحقائق من كل جانب؛ وإن لم يكن بهذه الصفة كان فعله مكذبا لقوله؛ كما روى أن عارفا وقعت له واقعة، فقال له صديق له: نستعين بفلان فقال: أخشى أن تبطل صلاتى التى تقدمت هذا الأمر، وقد صليتها. قال صديقه: وأين هذا من هذا، قال: لأنى قلت فى الصلاة ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] فإن استعنت بغيره كذبت، والكذب فى الصلاة يبطلها، وكذلك الاستعاذة من الشيطان الرجيم لا تكون إلا مع تحقق العداوة، فإذا قبل إشارة الشيطان واستنصحه فقد كذب قوله، فبطل ذكره (البرهان ١/ ٤٣٤ - ٤٣٧).

أما الإمام السيوطى فقد أدرجها تحت النوع الخامس والسبعين من أنواع علوم القرآن الكريم وقال عنه :

أفرده بالتأليف جماعة منهم التميمى وحجة الإسلام الغزالى، ومن المتأخرين اليافعى، وغالب ما يذكر فى ذلك كان مستنده تجارب الصالحين، وها أنا أبدأ بما ورد من ذلك فى الحديث ثم ألتقط عيونا مما ذكر السلف والصالحون.

أخرج ابن ماجه وغيره من حديث ابن مسعود «عليكم بالشفاءين: العسل، والقرآن». وأخرج أيضا من حديث على «خير الدواء القرآن». وأخرج أبو عبيد عن طلحة بن مصرف قال: كان يقال: إذا قرئ القرآن عند المريض وجد لذلك خفة. وأخرج البيهقى فى الشعب عن واثلة بن الأسقع «أن رجلا شكا إلى النبى ﷺ وجع حلقه، قال: عليك بقراءة القرآن». وأخرج ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى قال «جاء رجل إلى النبي فقال: إنى أشتكى صدرى، قال. اقرأ القرآن» يقول الله تعالى ﴿وشفاء لما فى الصدور﴾ [يونس: ٥٧] أخرج البيهقى وغيره من حديث عبد الله بن جابر «فى فاتحة الكتاب شفاء من كل داء». وأخرج الخلعى فى فوائده من حديث جابر بن عبد الله «فاتحة الكتاب شفاء من كل شىء إلا السام» والسام: الموت. وأخرج سعيد بن منصور والبيهقى وغيرهما من حديث أبى سعيد الخدرى «فاتحة الكتاب شفاء من السم». وأخرج البخارى من حديثه أيضا قال «كنا فى مسير لنا فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحى سليم [لديغ] فهل معكم راق؟ فقام معها رجل فرقاه بأم القرآن فبرئ، فذكر للنبى ﷺ فقال: وما كان يدريه أنه رقية»

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن السائب بن يزيد قال. عوذنى رسول الله ﷺ بفاتحة الكتاب تفلا. وأخرج البزار من حديث أنس «إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شىء إلا الموت». وأخرج مسلم من حديث أبى هريرة «إن البيت الذى تقرأ في البقرة لا يدخله الشيطان».

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند بسند حسن عن أُبى بن كعب قال «كنت عند النبى ﷺ فجاء أعرابى فقال: يا نبى الله إن لى أخا وبه وجع، قال: ما وجعه؟ قال: به لمم، قال: فائتنى به، فوضعه بين يديه فعوذه النبى ﷺ بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة وهاتين الآيتين ﴿وإلهكم إله واحد﴾ [البقرة: ١٦٣] وآية الكرسى وثلاث آيات من آخر سورة البقرة وآية من آل عمران ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ [١٨] وآية من الأعراف ﴿إن ربكم الله﴾ [٥٤] وآخر سورة المؤمنين ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ وآية من سورة الجن ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ [٣] وعشر آيات من أول الصافات وثلاث آيات من آخر سورة الحشر وقل هو الله أحد والمعوذتين، فقام الرجل كأنه لم يشك قط».

وأخرج الدارمى عن ابن مسعود موقوفا: من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة وآية الكرسى وآيتين بعد آية الكرسى وثلاثا من آخر سورة البقرة لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شىء يكرهه، ولا يقرأن على مجنون إلا أفاق. وأخرج البخاري عن أبى هريرة فى قصة الصدقة «أن الجنى قال له: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبى ﷺ: أما أنه صدقك وهو كذوب».

.وأخرج المحاملى فى فوائده عن ابن مسعود: قال: قال رجل «يارسول الله علمنى شيئا ينفعنى الله به، قال آية الكرسى فإنه يحفظك وذريتك ويحفظ دارك حتى الدويرات حول دارك». وأخرج الدينورى فى المجالسة عن الحسن أن النبى ﷺ قال «إن جبريل أتانى فقال: إن عفريتا من الجن يكيدك،

فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى». وفى الفردوس من حديث أبى قتادة «من قرأ آية الكرسى عند الكرب أغاثه الله».

وأخرج الدارمى عن المغيرة بن سبيع وكان من أصحاب عبد الله قال: من قرأ وعشر آيات من البقرة عند منامه لم ينس القرآن، أربع من أولها وآية الكرسى وآيتان بعدها وثلاث من آخرها. وأخرج الديلمى من حديث أبى هريرة مرفوعا «آيتان هما قرآن وهما يشفيان وهما مما يحبهما الله تعالى، الآيتان من آخر سورة البقرة»، وأخرج الطبرانى عن معاذ «أن النبى ﷺ قال له: ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك من الدين مثل ثبير أداه الله عنك: **﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء﴾** إلى قوله **﴿بغير حساب﴾** [آل عمران: ٢٦، ٢٧] رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها تعطى من تشاء منهما وتمنع من تشاء، ارحمنى رحمة تغننى بها عن رحمة من سواك.

وأخرج البيهقى فى الدعوات عن ابن عباس: إذا استصعبت دابة أحدكم أو كانت شموسا فليقرأ هذه الآية فى أذنيها **﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون﴾** [آل عمران: ٨٣] وأخرج البيهقى فى الشعب بسند فيه من لا يعرف عن علىٍّ موقوفا: سورة الأنعام ما قرئت على عليل إلا شفاه الله تعالى.

وأخرج ابن السنى عن فاطمة «أن رسول الله ﷺ لما دنا ولادتها أمر أم سلمة وزينب بنت جحش أن يأتيا فيقرآ عندها آية الكرسى و **﴿إن ربكم الله﴾** [الأعراف: ٥٤] ويعوذاها بالمعوذتين». وأخرج ابن السنى أيضا من حديث الحسين بن على «أمان لأمتى من الغرق إذا ركبوا أن يقرءوا **﴿بسم الله مجراها ومرساها إن ربى لغفور رحيم﴾** [هود: ٤١]، **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾** [الأنعام: ٩١] وأخرج ابن أبى حاتم عن ليث قال: بلغنى أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر تقرأ على إناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور، الآية التى فى سورة يونس **﴿فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر﴾** إلى قوله **﴿المجرمون﴾** [يونس: ٨١، ٨٢] وقوله **﴿فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون﴾** [الأعراف: ١١٨] إلخ أربع آيات، وقوله **﴿إنما صنعوا كيد ساحر﴾** [طه: ٦٩] وأخرج الحاكم وغيره من حديث أبى هريرة «ما كربنى أمر إلا تمثل لى جبريل فقال: يا محمد قل توكلت على الحى الذى لا يموت و **﴿الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا﴾** [الإسراء: ١١١] وأخرج الصابونى فى المائتين من حديث ابن عباس مرفوعا: هذه الآية أمان من السرق **﴿قال ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾** [الإسراء: ١١٠] إلى آخر السورة. وأخرج البيهقى فى الدعوات من حديث أنس «ما أنعم الله على عبد نعمة فى أهل ولا مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت».

وأخرج الدارمى وغيره من طريق عبدة بن أبى لبابة عن زر ابن حبيش قال: من قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريد أن يقومها من الليل قامها. قال عبدة: فجربناه فوجدناه كذلك. وأخرج الترمذى والحاكم من حديث سعد بن أبى وقاص: دعوة ذى النون إذ دعا بها وهو فى بطن الحوت **﴿لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين﴾** [الأنبياء: ٨٧] لم يدع بها رجل مسلم فى شىء قط إلا استجاب الله له. وعند ابن السنى: إنى لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج عنه، كلمة أخى يونس **﴿فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين﴾** [الأنبياء: ٨٧] وأخرج البيهقى وابن السنى وأبو عبيد عن ابن مسعود «أنه قرأ فى أذن مبتلى فأفاق، فقال رسول الله ﷺ: ما قرأت فى أذنيه؟ قال **﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا﴾** [المؤمنون: ١١٥] إلى آخر السورة، فقال: لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال» وأخرج الديلمى وأبو الشيخ ابن حبان فى فضائله من حديث أبى ذر «ما من ميت يموت فيقرأ عنده يس إلا هون الله عليه».

وأخرج المحاملى فى أماليه من حديث عبد الله بن الزبير «من جعل يس أمام حاجته قضيت له» وله شاهد مرسل عند الدارمى. وفى المستدرك عن أبى جعفر محمد بن على قال: من وجد فى قلبه قسوة فليكتب يس فى جام بماء ورد وزعفران ثم يشربه، وأخرج ابن الضريس عن سعيد بن جبير أنه قرأ على رجل مجنون سورة يس فبرئ. وأخرج أيضا عن يحيى بن أبى كثير قال: من قرأ يس إذا أصبح لم يزل فى فرح حتى يمسى، ومن قرأها إذا أمسى لم يزل فى فرح حتى يصبح، أخبرنا من جرب ذلك.

وأخرج الترمذى من حديث أبى هريرة «من قرأ الدخان

كلها وأول غافر إلى ﴿إليه المصير﴾ [غافر: ١ ـ ٣] وآية الكرسى حين يمسى حفظ بها حتى يصبح، ومن قرأها حين يصبح حفظ بها حتى يمسى» ورواه الدارمى بلفظ «لم ير شيئا يكرهه».

وأخرج البيهقى والحارث بن أبى أسامة وأبو عبيد عن ابن مسعود مرفوعا «من قرأ كل ليلة سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا» وأخرج البيهقى فى الدعوات عن ابن عباس موقوفا فى المرأة تعسر عليها ولادتها قال: يكتب فى قرطاس ثم تسقى بسم الله الذى لا إله إلا هو الحليم الكريم، سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ [النازعات: ٤٦]، ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ [الأحقاف: ٣٥] وأخرج أبو داود عن ابن عباس قال: إذا وجدت فى نفسك شيئا: يعنى الوسوسة فقل: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم﴾ [الحديد: ٣].

وأخرج الطبرانى عن على قال «لدغت النبى ﷺ عقرب، فدعا بماء وملح وجعل يمسح عليها ويقرأ: قل يا أيها الكافرون وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس». وأخرج أبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم عن ابن مسعود «أن النبى ﷺ كان يكره الرقى إلا بالمعوذات». وأخرج الترمذى والنسائى عن أبى سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذات فأخذ بها وترك ما سواها. فهذا ما وقفت عليه فى الخواص من الأحاديث التى لم تصل إلى حد الوضع، ومن الموقوفات على الصحابة والتابعين. وأما ما لم يرد به أثر فقد ذكر الناس من ذلك كثيرا جدا، الله أعلم بصحته.

تنبيه: قال ابن التين. الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحانى إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله تعالى، فلما عز هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجثمانى. قلت: ويشير إلى هذا قوله ﷺ «لو أن رجلا موقنا قرأ بها على جبل لزال» وقال القرطبى تجوز الرقية بكلام الله تعالى وأسمائه، فإن كان مأثورا استحب.

وقال الربيع: سألت الشافعى عن الرقية فقال: لا بأس بها أن يرقى بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله تعالى. وقال ابن بطال: فى المعوذات سر ليس فى غيرها من القرآن لما اشتملت عليه من جوامع الدعاء التى تعم أكثر المكروهات من السحر والحسد وشر الشيطان ووسوسته وغير ذلك، ولهذا كان ﷺ يكتفى بها.

وقال ابن القيم فى حديث الرقية بالفاتحة: إذا ثبت أن لبعض الكلام خواص ومنافع، فما الظن بكلام رب العالمين ثم بالفاتحة التى لم ينزل فى القرآن ولا غيره من الكتب مثلها؟ لتضمنها جميع معانى الكتاب. فقد اشتملت على ذكر أصول أسماء الله تعالى ومجامعها وإثبات المعاد وذكر التوحيد والافتقار إلى الرب فى طلب الإعانة به والهداية منه، وذكر أفضل الدعاء وهو طلب الهداية إلى الصراط المستقيم المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمر به واجتناب ما نُهى عنه والاستقامة عليه، ولتضمنها ذكر أصناف الخلائق وقسمتهم إلى منعم عليه لمعرفته بالحق والعمل به، ومغضوب عليه لعدوله عن الحق بعد معرفته، وضال بعدم معرفته له، مع ما تضمنته من إثبات القدر والشرع والأسماء والمعاد والتوبة وتزكية النفس وإصلاح القلب والرد على جميع أهل البدع، وحقيق لسورة هذا بعض شأنها أن يستشفى بها من كل داء اهـ.

مسألة: قال النووى فى شرح المهذب: لو كتب القرآن فى إناء ثم غسل وسقاه المريض فقال الحسن البصرى ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعى: لا بأس به، وكرهه النخعى. قال: ومقتضى مذهبنا أنه لا بأس به فقد قال القاضى حسين والبغوى وغيرهما: لو كتب قرآنا على حلوى وطعام فلا بأس بأكله اهـ. قال الزركشى: وممن صرح بالجواز فى مسألة الإناء العماد النبهى مع تصريحه بأنه لا يجوز ابتلاع ورقة فيها آية، لكن أفتى ابن عبد السلام بالمنع من الشرب أيضا لأنه يلاقيه نجاسة الباطن، وفيه نظر (الإتقان ٢ / ٢٠٨ ـ ٢١٢).

(البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى ـ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٤٣٤ ـ ٤٣٧، والإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٢ / ٢٠٨ ـ ٢١٢. انظر أيضا طاش كبرى زاده ٢ / ٥٢٥ ـ ٥٢٩).

انظر: كشف السر المصون.

* **خواص القرآن:**

خواص القرآن : للحكيم أبى عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد كان حيا فى مصر سنة ٣٩٠، التميمى ذكر فيه أنه أخذه من بعض الحكماء بالهند. وللإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ خمس وخمسمائة، ولأبى بكر محمد بن عبد الله المالقى المتوفى سنة ٥٧٠ خمسين وسبعمائة.

(كشف الظنون ١ / ٧٢٧).

* **خواص القرآن - ترجمته بالتركية:**

لم يعلم مؤلفه.

ترجمه عن الفارسية محمود بن جنيد ابن هبة الله الخوارزمى لأحد أمراء الترك وهو يحيى بك ابن المرحوم أمين بك:

أحد المخطوطات التركية العثمانية بدار الكتب القومية أولها - الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ... إلخ.

- نسخة مخطوطة، بقلم نسخ، بدون تاريخ، فى ١٠٩ ورقات، مسطرتها ١١ سطرا فى ٥,٢٢×٥,١٥ سم.

(١٣٧ تصوف تركى).

(فهرس المخطوطات التركية العثمانية التى اقتنتها دار الكتب القومية منذ عام ١٨٧٠ حتى نهاية ١٩٨٠، ١ / ٢٠٠).

* **خواص القرآن العظيم:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٧٣٦٥.

المؤلف: أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على بن زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب المتوفى سنة ١٤٨ هـ سنة ٧٦٥ م.

أولها: قال الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد بن على بن زين العابدين بن الحسين الشهيد ابن على بن أبى طالب رضى الله عنه من كتب سورة البقرة وعلقها عليه زالت عنه الأوجاع كلها وإن علقت على صغير زالت عنه الأوجاع وهان عليه الفطام ولم يخف هواما بإذن الله تعالى وإن علقت على المصروع زال عنه الصرع بإذنه تعالى وفيها من المنافع ما لا حد له ولا نهاية.

آخرها: سورة الفاتحة من قرأها فى كل ساعة. تغفر له جميع الذنوب. وهى لكل مرض يقرأ عليه يبرأ بإذن الله تعالى - تم منافع القرآن العظيم.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثامن الهجرى مكتوبة بخط نسخى معتاد. أسماء السور مكتوبة بالأحمر. توجد هذه النسخة فى مجموع يحوى منافع القرآن فى المنام ومنافع القرآن للتميمى، المجموع مفروط الأوراق - الورقة الأولى والورقتان الأخيرتان من المجموع مكتوبة بخط مغاير للأصل، على الورقة الأولى قيد تملك باسم محمد بن محمود لطف الله تاريخ سنة ١٠٠٩ هـ. وقيد تملك آخر باسم محمد عطا الأيوبى.وثالث باسم محمد سعيد الأيوبى ثم مجموعة من الفوائد المختلفة، على الورقة الأخيرة قيد مطالعة باسم سليمان القادرى تاريخه ١١٩٨ وقيود تملك بأسماء أحمد مهدى بن محمد الأيوبى وآخر باسم محمد أمين الأيوبى سنة ١١٩٥.

ق	م	س
١٣ (٢٠-٣٣)	١٨×٢٦	١٧

نسخة ثانية مخرومة

الرقم ٩٥٩٤

أولها: فى قرطاس بمسك وماء ورد، وجعلها فى أنبوبة قصب ريحى قد قطعت قبل طلوع الشمس وشدت بشمع وعلقها على طفل أمن من الشيطان ومن جميع الحوادث.

سورة النساء: عن جعفر الصادق رضى الله عنه أن من كتبها وجعلها فى منزل أربعين ليلة ...

آخرها: سورة القارعة: إذا كتبت وعلقت على من هو مقتّر الرزق رزقه الله.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن العاشر الهجرى كتبت بخط نسخى جيد مشكول. أسماء السور والفواصل بين الآيات مكتوبة بالذهب. أصيبت بالرطوبة الشديدة وبالتلف وقد رممت بعض الأوراق قديما وبخاصة فى أوائلها وأواخرها.

ق	م	س
٦٨	١٢×١٥	٥

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٢ / ١١٨ ، ١١٩) .

*** الخواص الكبير أو المقالات الكبرى فى علم الصنعة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الكيمياء

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى :

تأليف أبى موسى جابر بن حيان الصوفى الأزدى .

أوله : الحمد لله كما هو أهله ومستحقه الكبير الجواد الفعّال لما يريد ، وتعالى عما يقوله الظالمون علوا كبيرا : من كان حافظا لقواعد كتبنا هذه وترتيبها وما عليه موضوعها فسيعلم علما يقينا أنا وعدنا أن نذكر فى جملة كتبنا مفردات من علم الخواص ، ولما كان سبيلنا فى جميع تعاليمنا أن نذكر فيها شروحنا فى جميع الأشياء لنخلص كتابنا هذا بتفسير كلمة «الخواص» وما معناها ، وترتيب كتب الخواص وكم فيها ، فنقول ونبدأ بعون الله وتأييده فى ذلك ... وجملة كتب الخواص إحدى وسبعون كتابا . منها سبعون كتابا برسم الخواص ، ومنها كتاب واحد يعرف بخواص الخواص ، وهو أشرف هذه الكتب ... وكتابنا هذا يعرف بكتاب الجمع ، معناه جمع الكتب ، والكتاب الثانى والثالث إلى السبعين يعرف بالرسالة الفلانية ، أعنى فى العدة إلى السبعين ، فإذا كملت بالحادى والسبعين كتاب خواص الخواص ، ترى فيه كيف الشىء الخاص وكيف يمكن إيجاد مثله «بالميزان» ...

وآخره : فاعلم ذلك وابن أمرك بحسبه والسلام ، وحق سيدى أنه يكون من جزءين ونصف من الذهب .

ـــ نسخة بقلم معتاد كتبها «على» ويبدو أنها من مخطوطات القرن الحادى عشر الهجرى فى ١٧٠ ورقة ومسطرتها ١٩ سطرا .

[مكتبة بلدية الإسكندرية ـ ٥٢٠٤ حـ]

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات ـ وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦٣ / ٤١ ، ٤٢) .

انظر مادة «جابر بن حيان» فى م ١١ / ٣٩٢ ـ ٤٠٢ .

*** خواص النباتات:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى :

خواص النباتات :

لعبد الغنى بن أبى سرحان بن مسعود الأزمورى .

(مجلة معهد المخطوطات ٥ / ٢٧٢) .

أوله : هذا الباب فى شرح أدوية باللسان اليونانى والسريانى والفارسى ، والعجمى ... جمعت ذلك فى هذه المقالة على حسب طاقتى ووسعى ورتبت ذلك على حروف المعجم .

وآخره : هنا انتهى القول فى الباب الخامس عشر ، فى شرح ما وقع من الأدوية المفردة من هذا الكتاب ...

نسخة بقلم مغربى ـ ضمن مجموعة .

من ورقة ١٨٦ إلى ٢٠٠ ٢٩ سطرا ٢١ × ٢٩ سم

[الخزانة العامة بالرباط ١٣٦٣ / ٣ د]

OUNESC

(فهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٢ الطب . الكتاب الثانى القاهرة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م / ٨٨) .

*** الخواطر السوانح فى كشف أسرار الفواتح:**

أى فى فواتح السور .

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٩١٦٩

المؤلف : زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله محمد بن جعفر بن الحسن المصرى المعروف بابن أبى الإصبع المتوفى سنة ٦٥٤ هـ .

أولها : الحمد لله واهب العقول ، ومميز الفاضل من المفضول ، والصلاة على السيد الرسول وعلى آله ... وبعد : فإنى لما أظلنى شهر رمضان المعظم ، أعظم الله تعالى علينا من بركاته ، ورزقنا العمل فيه بمرضاته . رغبت فى أن أشتغل بما يشغلنى عن الرفث ، ويذهلنى عن التدنس بالخبث ، ففكرت فى فصاحة القرآن العزيز وبلاغته ، وجوامع كلامه وفوائده وغرابة أسلوبه ونظمه ، وعجائب معانيه وبديعه وعذوبة ألفاظه .

آخرها: وقوله تعالى ﴿الٓمٓ * غلبت الروم﴾ [الروم: ١، ٢] وما أشبه ذلك. والإخبار بالغيب معجزة من كبار المعجزات وآية من أعظم الآيات. فقد صح استخراج المعجز من مفردات هذه الفواتح، فأشكر لمن استخرجها بما خطر له من الخواطر السوانح، وأسأل الله لك أيها المطلع على هذا الكتاب ولمؤلفه الثواب.

أوصاف المخطوط: نسخة من أوائل القرن الرابع عشر الهجري كتبها مع غيرها من الرسائل في المجموع حسنين الرفاعي الكمالي سنة ١٣١٣ هـ [٥٦] ق كتبت بخط نسخي حسن، الأبواب ورؤوس الفقر بالأحمر.

توجد هذه النسخة في مجموع يضم رسالة الأوائل في الحديث لعبد الله بن سالم البصري، ثم قصيدة في مديح رسول الله ﷺ المجموع بحالة حسنة ورقا وغلافا.

ق	م	س
٤٠ (١-٤)	٢٤×١٧	١٩.

المصادر: فوات الوفيات: ١ / ٢٩٤ - النجوم الزاهرة: ٧ / ٣٧.

شذرات الذهب: ٥ / ٢٦٥ - بروكلمان الذيل: ١ / ٥٣٩.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم وضعه صلاح محمد الخيمي ٢ / ١١٩، ١٢٠ انظر أيضا كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٧٢٧ وفيه العنوان بدون لفظ «كشف»).

*** الخواطر الفكرية في الفتاوى البكرية:**

الخواطر الفكرية في الفتاوى البكرية: للشهاب أحمد بن محمد بن عبد السلام الشافعي الذي ولد سنة ٨٤٧ سبع وأربعين وثمانمائة جمع فيه فتاوى شيخه.

(كشف الظنون ١ / ٧٢٧).

*** خواف:**

قال ياقوت:

خواف: بفتح أوله، وآخره فاء: قصبة كبيرة من أعمال نيسابور بخراسان، يتصل أحد جانبيها ببوشنج من أعمال هراة والآخر بزوزن، يشتمل على مائتي قرية، وفيها ثلاث مدن: سنجان وسيراوند وخرجرد؛ ينسب إليها جماعة من أهل العلم والأدب، منهم: أبو المظفر أحمد بن محمد بن المظفر الخوافي الفقيه الشافعي من أصحاب الإمام أبي المعالي الجويني، كان أنظر أهل زمانه وأعرفهم بالجدل وكان الجويني معجبا به. وولي قضاء طوس ونواحيها في آخر أيامه وبقي مدة ثم عزل عنها من غير تقصير بل قصد وحسد، ومات بطوس سنة ٥٠٠ ودفن بها، قال عبد الغافر: ولم يخلف مثله.

وأبو الحسن علي بن القاسم بن علي الخوافي الأديب الشاعر، سمع محمد بن يحيى الذهلي وأقرانه، روى عنه أبو الطيب أحمد الذهلي، وله مختصر كتاب العين.

(معجم البلدان ٢ / ٣٦٩).

*** خواقند:**

قال ياقوت:

خُواقَنْد: بضم أوله، وبعد الألف قاف مفتوحة ثم نون ساكنة، وآخره دال: بلد بفرغانة؛ منها الأديب المقرى أبو الطيب طاهر بن محمد بن جعفر بن الخير المخزومي الخواقندي، سمع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، سكن سمرقند، روى عنه ابنه محمد بن طاهر، وتوفي في صفر سنة ٥٠١.

(معجم البلدان ٢ / ٣٦٩).

*** ابن الخوام (٦٤٣-٧٢٤ هـ / ١٢٤٥-١٣٢٤م):**

هو «عماد الدين عبد الله بن محمد بن عبد الرزاق الحربوي بن الخوام». من أهل بغداد، ولد بها في سنة ٦٤٣ / ١٢٤٥، وتوفي فيها سنة ٧٢٤ هـ / ١٣٢٤ م.

من الذين اشتهروا بالعلوم الرياضية، ولا سيما الحساب. له من الكتب: «مقدمة في الطب». «الفوائد البهائية في القواعد الحسابية»، وفيه بحث في الحساب الهوائي. وشرحه كمال الدين الأصفهاني في كتاب سماه «أساس القواعد في أصول الفوائد». وشرحه أيضا يحيى أحمد الكاشي باسم «إيضاح المقاصد في الفوائد». وهناك شرح ثالث كتبه عبد العلي البرجندي فرغ منه سنة ٨٩١ هـ.

(تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك - قدري حافظ طوقان / ٤٠٥، والأعلام للزركلي ٤ / ١٢٦).

*** الخوانق:**

جمع «خانقاه» كما تجمع على «خانقاوات» و«خانقاهات». وأوردها كل من المقريزى وعلى مبارك بلفظ «الخونك» بالكاف قال على مبارك:

مفرد الخوانك: خانكاه بالكاف وهى كلمة فارسية معناها بيت، وقيل أصلها خونقاه بالقاف أى الموضع الذى يأكل فيه الملك، وقد بسطنا القول فى ذلك فى الكلام على الخانقاه السرياقوسية فراجعه.

قال المقريزى: حدثت الخوانك فى الإسلام فى حدود الأربعمائة من سنى الهجرة وجعلت لتخلى الصوفية فيها لعبادة الله تعالى، والصوفية: اسم لخواص أهل السنة المراعين أنفسهم مع الله الحافظين قلوبهم عن طوارق الغفلة، واشتهر هؤلاء بهذا الاسم قبل المائتين من الهجرة.

قال السهروردى رحمه الله: الصوفى يضع الأشياء فى مواضعها، ويدبر الأوقات والأحوال كلها بالعلم، يقيم الخلق مقامهم ويقيم أمر الحق مقامه ويستر ما ينبغى أن يستر ويظهر ما ينبغى أن يظهر ويأتى بالأمور من مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق وإخلاص؛ فمن لبس لِبسة الصوفية ولم يكن على هذه الصفة فليس منهم فى شىء.

وأول من اتخذ بيتا للعبادة: زيد بن صوحان بن صبرة عمد إلى رجال من أهل البصرة تفرغوا للعبادة وليس لهم كسب ولا غلة؛ فبنىَ لهم دوّرا وأسكنهم فيها، وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره؛ فدعاهم عبد الله بن عامر عامل عثمان بن عفان - رضى الله عنه - بالبصرة ليقربهم ويشيروا عليه فأتاه ابن صوحان وقال له: أتأتى إلى قوم قد انقطعوا إلى الله فتدنسهم بدنياك حتى إذا ذهبت أديانهم أعرضت عنهم فطاحوا لا إلى الدنيا ولا إلى الآخرة وقال لهم: قوموا إلى مواضعكم فقاموا انتهى ملخصا. وليس اسم الخانكاه اليوم مستعملا عندنا بمصر فى هذا المعنى، وإنما المستعمل بدله التكية والزاوية. (الخطط التوفيقية ٦ / ١٣٨).

وقال على مبارك فى موضع آخر:

وأول خانقاه بديار مصر حدثت فى زمن صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة تسع وخمسين وستمائة برسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة، ووقفها عليهم، ووقف عدة أملاك يصرف من ريعها عليها، ورتب للصوفية كل يوم طعاما؛ لحما وخبزا، وبنى لهم حماما بجوارها، ثم لما انقرضت دولة الأيوبية حذا حذوهم السلاطين الجراكسة وبعض الأمراء.

فصار فى مصر إلى أول القرن التاسع اثنتان وعشرون خانقاه، ثم لما زال ملك السلاطين الجراكسة. حصل ما حصل للمدارس من الإهمال وعدم الصرف وضياع الأوقاف التى عليها، فاندثر أغلبها، وتخرَّب كثير منها، وبقى الأمر على ذلك إلى أيامنا هذه فاستبدلت بالتكايا كما تقدم، وتنوسى اسم الخانقاه بالكلية، وهى كلمة فارسية، معناها بيت العبادة.

(الخطط التوفيقية الجديدة ١ / ٢٢٥).

قالت المؤلفة: والمستعمل فى سوريا أيضا هو لفظ «تكية» وعلى هذا الأساس أوردنا ما فى دمشق من تكايا فى مادة «التكية» فى م ١٠ / ٣٥٩، كما أوردنا التكايا التى فى القاهرة، المادة نفسها ص ٣٥٨، ٣٥٩ فانظرها فى موضعها.

ومن تعريفات كلمة «الخانقاه» أيضا أنها كلمة فارسية تتكون من لفظين: خوان بمعنى الأكل وجاه بمعنى المكان وكان يطلق على المكان الذى يأكل فيه الملك، ثم أطلقت بعد ذلك على مكان الصوفية (هنداوى: الألفاظ الأعجمية حرف (خ) (المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام/ ١٥٠) ويقول الدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين نقلا عن الأستاذ عامر المهندس أستاذ اللغة الفارسية أن كلمة «خانقاه» هى «خوانكاه» (بجيم قاهرية) ومعناها دير أو منزل أو معبد، ودخلت العامية باسم «خانكة» (ابن قيم الجوزية/ ٥٣).

ويقول الدكتور صالح لمعى مصطفى: وقد أقيمت أول خانقاه فى الإسلام فى حوالى ٤٠٠ هـ/ ١٠١٠م، إلا أنه قبل ذلك بكثير أقام زيد بن صبرة فى البصرة بالعراق فى عهد الخليفة عثمان بن عفان أول مسكن لإقامة بعض المسلمين حتى يتفرغوا للعبادة طوال اليوم ولا يعرف الشكل الأول لهذه المبانى التى انتشرت بعد ذلك عبر العالم الإسلامى.

وفى بعض الدراسات أرجعت الكلمة إلى خوان = طاولة أو إلى خواندن = ترتيل وذلك على أساس ارتباط هذه الكلمات بالتصوف، إلا أن ذلك يحتاج إلى الكثير من الإثبات.

وقد ظهرت كلمة خانقاه في المصادر في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي في خراسان، ففي المؤلف حدود العالم (مؤلف مجهول) والمكتوب في جورجان عام ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م ذكر فيه: «في سمرقند توجد خانقاه المانويين الذين أطلق عليهم المستمعين. وقد أشار ابن النديم في الفهرست عن نقل مركز المانيكيزم من بابل إلى سغديا، وعلى ذلك ليس من المستغرب وجود مركز لهم في سمرقند.

كذلك أشار المقدسي بأن الخوانق جزء أساسي من النظام الديني للكرامية. وقد ازدهرت جماعة الكرامي في خراسان، جورجان، جورجان، طبريستان، وغرب القدس حول قبر ابن كرام (توفي ٢٥٥ هـ/ ٨٦٩ م)، وكان لهم خوانق. ويعتبر نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بداية تطور الخوانق بظهور الشيوخ في نيسابور، وهو ما أشار إليه المقريزي، وتعتبر فترة النصف الأول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي فترة التأسيس والتنظيم. ومنذ هذه الفترة ألحق المدفن بالخانقاه. وقد أدى ارتباط التصوف مع المذهب الشافعي ثم بالمذهب الحنفي إلى الانتشار الكبير والسريع خارج إيران، فقد أنشأ السلاجقة في الربع الثالث من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي مجموعة من الخوانق في سوريا ودمشق.

وعلى الرغم من أن الأنصاري في طبقات الصوفية يشير إلى وجود خانقاوات في الرملة في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، إلا أنها على الأرجح ربط ساحلية ومنذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي أصبح لفظ خانقاه ورباط مترادفان وهو ما أشار إليه ابن جبير خلال زيارته لسوريا في العصر الأيوبي، أما في العراق فقد سادت كلمة رباط.

وقد انشرت الخوانق شرق خراسان وامتدت إلى أفغانستان ومملكة الغزنويين والغوريين، الذين هربوا إلى الهند حاملين معهم هذا النظام بعد قيام دولة المماليك. وقد أقامت طائفة الشيستية والسهروردية شبكة كبيرة من الخوانق في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي. وتختلف الأمثلة الهندية عن الأمثلة المصرية والسورية.

ويرجح أن نظام التصوف قدم من إيران إلى العراق وسوريا، ثم بعد ذلك في عهد صلاح الدين الأيوبي انتقل إلى مصر. فقد أقام صلاح الدين أول خانقاه في مصر وهي دار سعيد السعداء في عام ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م وكانت مخصصة للصوفية القادمين من الشام . . .

ويرجح أن نظام الخانقاه مأخوذ عن الرباط حيث إنه في الرباط كان المرابطون يؤهلون دينيا وروحيا بجانب تدريبهم عسكريا (سورة ٣ (آل عمران) آية ٢٠٠ : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾. وذلك للدفاع عن حدود الدولة الإسلامية حيث إن الرباط كان يقام على الحدود. وقد ظهر الرباط قبل الخانقاه. فنجد رباط المنستير تونس (١٧٩ هـ/ ٧٩٥م)، ورباط سوسة على خليج جابس بشمال إفريقيا (٢٠٦ هـ ٨٢١ م)، ورباط أبي شوتران في إيران (٣١٥ هـ/ ٩٢٧ م) والمقام من قبل حاكم سيستان في عهد السمانيد (التراث المعماري الإسلامي في مصر/ ٢١، ٢٢).

ومن ثم فإن الباحث يكاد أن يضل سبيل الاهتداء إلى وجوه التفرقة بين كل من الخانقاه، والرباط، والزاوية. وفي ذلك يقول الدكتور توفيق الطويل، تحت عنوان «الحياة في رحاب الخوانق والربط والزوايا :

ومن دلائل الصعوبة في التفرقة بين هذه الأنواع من المعابد، اشتراك الخوانق والربط في سبعة أمور وعدم انفراد أحد النوعين بخاصة تميزه عن النوع الآخر، أما وجوه الشبه بينهما فهي :

(١) أن الخوانق كالربط كانت بيوتا يشيدها الأمراء والملوك والأثرياء ليقيم فيها أهل التصوف ليلا ونهارا متفرغين إلى عبادة الله.

(٢) أنها كانت معاهد ثقافة يدرس فيها العلم الشائع يومذاك، فكان في رباط الآثار مثلا درس لفقهاء الشافعية يتولاه مدرس بطلبة يعيشون لطلب العلم في هذا الرباط كما ضم بين جدرانه خزانة كتب تعين على دراسة العلم، وكان في الرباط العلائي قراء وعشرة من الفقهاء عليهم أن يحضروا يوما في كل أسبوع، وأما الخوانق فحسبنا أن نسوق المثال بثلاث منها : خانقاه شيخو التي رتبت فيها مدة من الزمان دروس منها أربعة لطوائف الأئمة الأربعة، ودرس للحديث النبوي وآخر لإقراء القرآن بالروايات السبع، وكان لكل درس مدرس يتولاه

وطلبة اشترط فيها ألا يتغيبوا عن حضوره وحضور وظيفة التصوف، وخانقاه الجيغا المظفرى التى اشترط فى فقرائها أن يحضروا وظيفة التصوف وكان بجانبها كتاب يقرأ فيه الأيتام من أطفال المسلمين كتاب الله ويتعلمون فيه الخط، وخانقاه ركن الدين بيبرس وقد نظم فيها درس للحديث النبوى له مدرس يتولى تدريسه، وعنده عدة من المحدثين، وضمت قراءً يتناوبون القراءة ليلا ونهارا حتى اكتفى أهلها بالعلم الذى توفر بين جدرانها، فحرموا على الفقهاء أن ينزلوا ساحتها . . !

(٣) إن الجمعة كانت لا تقام فى أكثر هذه الخوانق والربط، روى المقريزى فى حديثه عن خانقاه سعيد السعداء ـ وهى من أكبر الخوانق التى عرفتها مصر ـ أن الصوفية بها كانوا يتوجهون إلى الجامع الحاكمى كل أسبوع لصلاة الجمعة فى موكب جميل كان الناس يقبلون لرؤيته من مصر إلى القاهرة تيمنا ببركة أهله وأن خانقاه سرياقوس التى انطوت على مائة خلوة لمائة صوفى كان بجانبها مسجد تقام فيه الجمعة، ولكن المقريزى يقول عن خانقاه البندقدارية إنها كانت خانقاه ومسجدا لله .

وكذلك الحال فى الربط، لم يرد ذكر لإقامة الجمعة فى غير اثنين منها (مع أن عددها عند المقريزى قد بلغ السبعة عشر رباطا) وهما رباط الست كليلة الذى كان رباطا ومسجدا لله ورباط الأفرم الذى ضم صوفية وشيخا وإماما ومنبرا يخطب عليه للجمعة وللعيدين .

(٤) أن منشئيها كانوا يحبسون عليها الأوقاف ويجرون على أهلها الأرزاق ويجزلون لهم العطاء، كان لصوفية سعيد السعداء فى كل يوم طعام ولحم وخبز وكان فى خانقاه ركن الدين بيبرس أربعمائة صوفى وفى الرباط المجاور له مائة من الجند وأبناء العجزة، فكان فيها مطبوخ يوزع منه على المجاورين اللحم والطعام وثلاثة أرغفة من خبز البر، وتفرق الحلوى على كل فقير من فقرائها، وإن كان هذا المقرر يتناسب مع حال النيل ورخاء العيش فى مصر وكان هذا هو الحال فى خانقاه بشتاك، ورتب للطلبة فى خانقاه شيخو طعام ولحم وخبز فى كل يوم وحلوى وزيت وصابون فى كل شهر وكان لها أوقاف جليلة وكان لفقراء خانقاه سرياقوس ثمن كسوة كل سنة وتوسعة فى كل رمضان والعيدين والمواسم، فوق ما كان لهم من طعام شهى وخبز نقى، وما كان يوزع عليهم من الحلوى وزيت الزيتون والصابون وثمن الفواكه عند ظهورها، وفوق ما كانت تضم الخانقاه من السكر وألوان الشراب وأنواع الأدوية وهكذا نرى الأرزاق والمعاليم والأوقاف فى خوانق بكتمر وقوصون وأم أنوك والخروبية وطيبرس .

وكذلك الحال فى الربط وإن كانت الأوقاف التى حبست عليها والمعاليم التى كانت توزع على سكانها والأرزاق التى كانت تصيب أهليها، أقل بكثير منها فى الخوانق ـ كما نرى فى رباط الآثار ورباط الأفرم والرباط العلائى وأكثر الربط لم يذكر شىء بشأن أرزاقه وأوقافه .

(٥) ولما كان الغرض من هذه الأرزاق والأحباس تهيئة الجو الصالح لتفرغ المجاورين لعبادة الله، فقد زودت بعض الخوانق والربط بالحمامات والمطابخ والمدافن، ومدت بالفرش وآلات النحاس والكتب والقناديل من النحاس المكفت أو الزجاج المذهب وغير ذلك من الأمتعة والنفائس التى لا ترى فى غير قصور الملوك والأثرياء كما نرى فى خانقاه بكتمر وطغاى النجمى والرباط العلائى وإن لم يتوفر هذا النعيم فى الكثير من الخوانق والربط .

(٦) والظاهر أن بعض الخوانق قد ضم نساء، فقد نص المقريزى على أن خانقاه سرياقوس كان بها حمام للرجل وآخر للنساء، وأما فى الربط فقد عرفنا أن النساء كان لهن رباط خاص بهن هو رباط البغدادية .

(٧) كان بأكثر الخوانق والربط قراء وأئمة ومؤذنون وبوابون... فوق من ضمت من فقراء وشيوخ (التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى / ٣٩ ـ ٤٢).

ويوافينا الدكتور محمد محمد أمين بمعلومات قيمة عن الأوقاف الخاصة بالخوانق فى مصر فى العصر المملوكى فيقول :

وجرت العادة أن يعين لكل خانقاه شيخ أو أكثر، وعدد من الصوفية مثال ذلك ما تنص عليه وثيقة وقف السلطان الغورى «ومن ذلك ستة آلاف درهم تصرف لرجلين من أكابر العلماء أهل الدين والورع والفقه يقررهما الناظر فى وظيفتى مشيخة التصوف بالخانقاه المذكورة بالسوية خارجا عن السكن

المعين لشيخ نوبة العصر والمبلغ الذى يعين لشيخ نوبة الصبح فى نظير السكن».

واشترط بعض الواقفين أن يكون مدرس الحنفية هو نفسه شيخا للصوفية، ويشترط فيه أن يكون «له قدم عالٍ فى شروط طريق الصوفية ويكون حسن الهيئة، حسن الاعتقاد، حافظا لنقول الفقهاء، وتأويل العلماء واختلاف المذاهب، ونصوص الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ومن بعده من أصحابه رضى الله عنهم».

ومن الوثائق ما تنص على أن يكون شيخ الصوفية واحدا منهم، «وشرط هذا الواقف المذكور بلغه الله ما يؤمله فى سائر الأوقات والدهور أن يكون شيخ الصوفية منهم لا من غيرهم، ومن بين من عرف بصحبة المشايخ، ولبس خرقة التصوف».

واختلف عدد الصوفية فى كل خانقاه حسب اتساعها، وريع أوقافها، وتراوح هذا العدد فى الغالب بين مائة صوفى، وعشرة نفر من الصوفية، فبينما تذكر وثيقة بيبرس الجاشنكير أن عدد الصوفية المنزلين بالخانقاه مائة نفر، فضلا عن مائة آخرين بالرباط، وبشرط ألا يزيد عدد الصوفية بالخانقاه «من المقيمين والمترددين والعزاب والمتزوجين لا يزيد عن أربع مائة نفس» نجد وثيقة السلطان الغورى تنص على أن عدد الصوفية ثمانون صوفيا من الفقراء المحتاجين، بينما ينخفض عدد الصوفية إلى عشرة أفراد فى الخانقاه الخروبية التى استجدها المؤيد، شيخ بالجيزة.

أما الشروط التى يجب أن تتوافر فى الصوفية النازلين بالخانقاه، فقد أجمعت معظم الوثائق على أن يكونوا من العارفين بطرائق الصوفية، وآدابهم، بغض النظر عن جنسيتهم وأعمارهم، من ذلك ما تذكره لنا وثيقة وقف بيبرس الجاشنكير أن الواقف «وقف ذلك وقفا شرعيا على الصوفية والمتصوفة الشيوخ والكهول والشبان البالغين العرب منهم والعجم، وغير ذلك من الأحباش على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم، الملتزمين بآدابهم وطرايقهم المقيم منهم بهذا المكان المذكور من أهل القاهرة ومصر المحروستين وطوابعهما (هكذا) وضواحيهما وغيرهما من البلاد والواردين إلى هذا المكان من الخوانق وغيرها من أى مكان كان قريبا أو بعيدا بطرايق الصوفية وآدابهم بحيث أن لا يدخل عليهم أحد من غير جنسهم بشفاعة شافع فالأولى العزاب إذا كان من الأهلية لذلك، ومن فعل خلاف ذلك فوزره على الشافع والمشفوع له».

ومن الواقفين من حرص على تقسيم الصوفية إلى قسمين يحضر أحد القسمين وظيفة التصوف فى الصباح، والقسم الثانى يحضر فى العصر، ولكل من القسمين شيخ خاص به، فجاء فى وثيقة وقف السلطان الغورى «ويقرر معها (شيخا التصوف) ثمانين صوفيا من الفقراء المحتاجين، وستة خدام، وستة عشر قارئ صُفّة ومادحين، ويقسمهم فرقتين، فرقة تحضر مع الشيخ فى نوبة الصبح دايما وفرقة تحضر مع الشيخ فى نوبة العصر دايما، على أن يجلس الشيخ بالخانقاه المذكورة صدرا على سجادته ويأخذ الباقون مجالسهم على قدر مرتبتهم فى الفضل، ويتقدم خادم المصحف والكرسى ويجعلان المصحف بين يدى الشيخ رافعين له على الكرسى ويدور خادم الربعة وخادم السجادة بأجزاء الربعتين الشريفتين على الحاضرين فيأخذ كل جزأه ويقرأ به إلى أن تنتهى قراءة الشيخ، ويقفل المصحف الشريف، فيتناوب قراء الصُّفة باليمنة واليسرى القراءة والأذكار ورفع العشر على ما جرت به عادة أمثالهم فى ذلك، فإذا فرغوا من القراءة ولم يبق إلا الدعا قام المادح وأنشد من مدح خير الورى محمد هادى الأمة وكاشف الغمة ﷺ وكلام القوم ما يحصل به الطرب والتواجد للسامعين ثم يجلس المادح ويدعو الداعى».

أما فى خانقاه بيبرس الجاشنكير فقد اقتصرت وظيفة التصوف بالنسبة للمقيمين والمترددين على الخانقاه، على وقت العصر، فقد نصت وثيقة الوقف على أن «يجتمع هو (شيخ الخانقاه)، وجماعة الصوفية المنزلون بهذه الخانقاه من مقيم ومتردد وقت العصر من كل يوم، بأسرهم ما لم يكن لأحد منهم عذر أو ضرورة، ويقرؤن بالإيوان العظيم ما تيسر على ما يراه شيخهم من ربع شريفة، ويدعو أحدهم بعد قراءته للواقف المسمى بأعاليه، وللناظر وللمسلمين بما يجريه الله على لسانه من الخير».

أما المقيمون بالخانقاه، والذين رتبهم شيخ التصوف بها، وهم حسب شرط الواقف مائة صوفى، فقد كان عليهم أن

يقوموا عقب كل صلاة مفروضة «يقرؤون آية الكرسي ويسبحون الله ثلاثا وثلاثين مرة، ويحمدون الله كذلك ـ ويكبرون كذلك وثلاثين مرة كما جاء في الحديث النبوي، فإذا فرغ مما ذكر يدعو كل واحد منهم للواقف المذكور أعلاه بما يجريه الله على لسانه من الخير».

ومن الواقفين من زاد في وظيفة التصوف، بجعل الحضور خمس مرات في كل يوم وليلة عقب كل صلاة، واعترف الواقف «أن هذا الحضور فيه زيادة بحضور أربعة أوقات في كل يوم على غيره»، كذلك من الواقفين من زاد في معلوم بعض الصوفية مقابل إسناد أعمال إضافية لهم مما يتعلق بالصوفية «فمنهم تسعة عليهم من العمل زيادات على حضورهم التصوف على ما يبين فيه، فأحد التسعة يكون خادما لشيخ الصوفية المذكور يجتمع مع مباشري الوقف المذكور أعلاه كلما اجتمعوا، وكذلك في يوم النفقة لعمل مصلحة الوقف المذكور ومستحقيه، والثاني من التسعة يكون كاتب غيبة الصوفية المذكورين يكتب غيبة من يغيب منهم غير أيام المسامحة الآتي ذكرها فيه فمن غاب منهم وفر معلومه من الفلوس والخبز أيام غيبته وأضيف إلى حاصل الوقف لجهة الوقف المذكورة، والثالث من التسعة يكون خادم الربعة ومفرقها وخادم المصحف الشريف المعلق ذلك بالصوفية وشيخهم على أن يتولى في كل وقت من أوقات حضور التصوف المذكور إحضار المصحف والربعة الشريفين من محلهما لمحل الحضور ويفرق الربعة وقت الحضور على الصوفية وجمعها بعد الفراغ من القراءة وجعلها هي والمصحف الشريف في محلهما على العادة في ذلك وغير ذلك مما جرت عادة خدام الربعة بعمله في مثل ذلك، والستة الباقون من التسعة قراء صفة يجلسون عند حضور التصوف ثلاثة أمامهم ثلاثة يقرؤن بعد فراغ قراءة الشيخ والصوفية سورة الإخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب وأوايل سورة البقرة وأواخرها وما جرت العادة به من ذكر الله تعالى والصلاة على رسول الله ﷺ، ثم يدعو بعد ذلك واحد منهم للنبي ﷺ وآله وأصحابه ثم لمولانا المقام الشريف المنوه باسمه الشريف أعلاه شرفه الله تعالى وعظمه ثم لأولاده وذريته ومن يلوذ به وجميع المسلمين.

وحرص الواقفون على تحديد كل ما يتعلق بوظيفة التصوف بدقة تامة، بما في ذلك طريقة جلوس الصوفية حول شيخهم وأمامه المصحف مرفوعا على كرسيه «على أن يحضر الصوفية الأربعون وشيخهم كل يوم وليلة بالجامع المذكور بالإيوان القبلي منه عقب كل صلاة من الصلوات الخمس المفروضات ويجلس الشيخ بالقبلة والصوفية عن يمينه ويساره مستديرين وقراء الصفة يتميزون عنهم في الجلوس ثلاثة أمام ثلاثة فيقدم أمام الشيخ المصحف الشريف مرفوعا على كرسيه ويفرق من الربعة الشريفة التي بالجامع المذكور على كل واحد من الصوفية جزء فيقرأ الشيخ ما تيسر له قراءته من القرآن العظيم بالمصحف الشريف وتقرأ الصوفية بالأجزاء الشريفة من الربعة الشريفة التي تفرق عليهم عند الحضور يختمون قراءتهم عند ختم الشيخ قراءته إن كان حاضرا وإلا فقدرها على العادة ثم يفتتح قراء الصفة بما عُيِّن وشرط عليهم أعلاه وعند نهايتهم ذلك يدعو أحد قراء الصفة الدعاء المذكور أعلاه على ما نص وشرح أعلاه كما جرت العادة به في حضور التصوف بمدارس الديار المصرية».

ومثال ذلك أيضا ما جاء في وثيقة وقف الأمير قرقماس عن ترتيب صوفية بالجامع الأزهر إذ نصت على أن «يصرف لعشرة أنفار صوفية يحضرون كل يوم مع شيخ لهم بالجامع الأزهر داخل المقصورة بعد صلاة العصر، فيجلس الشيخ جهة القبلة، والصوفية عن يمينه ويساره مستديرين ويقرؤن ـ بربعة شريفة يفرق على كل واحد جزء ويقرأ الشيخ ما تيسر قراءته من القرآن العظيم والصوفية بالأجزاء الشريفة من الربعة ويختمون قراءتهم (كذا) عند ختم الشيخ قراءته إن كان حاضرا وإلا فبقدرها على العادة في ذلك ويختمون قراءتهم بسورة الإخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب العزيز وخواتيم سورة البقرة والصلاة على النبي ﷺ».

وحرصت وثائق الوقف الخاصة بالخانقاوات والصوفية بوضع الشروط الكفيلة بانقطاع الصوفية للعبادة، فاشترط الواقفون تفضيل الأعزب على المتزوج للسكنى بالخانقاه، ومنهم من اشترط ألا ينزل بالخانقاه إلا من كان أعزبَ ولا يسمح للمتزوجين بسكنى الخانقاه إلا بغير «زوجات ولا جوارى على ممر الأيام والشهور والأعوام» ومثال ذلك ما جاء

فى إحدى الوثائق «وشرط الواقف أثابه الله تعالى الجنة، وضاعف عليه المنة أن يكون من هو ساكن بالخانقاه المذكورة عازبا غير متزوج»، ولم يستثن من هذا الشرط «إلا الشيخ خاصة فإنه يرخص له فى السكن بزوجته للضرورة».

كذلك حرص الواقفون على ألا يتغيب الصوفية لمدد طويلة خارج الخانقاه، وأقصى ما سمح به الواقفون من غياب هو خمس ليال كل شهر، فنصت إحدى الوثائق على أنه «وشرط على أرباب البيوت الإقامة والمبيت بها، ويسامح كل منهم بالمبيت خارج الخانقاه «لخمس ليال من كل شهر»، ويبدو أن هذا السماح للمتزوجين إذ نصت الوثيقة بعد ذلك مباشرة «وأن لا يعطى لأحد بيت بالخانقاه إلا بعد تكفية المجردين كما ذكر أعلاه».

ومن أجل ضبط حضور الصوفية رتب بعض الواقفين وظيفة «كاتب غيبة الصوفية» ويرتب رجلا ثقة أمينا عدلا غير ذى غرض يكون كاتب غيبة الصوفية الآتى ذكرهم يفعل ما جرت العادة بفعله من ضبط عدد من يغيب من الصوفية فى أوقات الحضور على العادة فى ذلك ... إلخ.

وفى مجال حرص الواقفين على أن ينقطع الصوفية للعبادة، نجد أن نظام عمارة الخانقاه أسس على أساس أن تكون الخانقاه وحدة قائمة بذاتها، وبداخلها عدد معين من الخلوات خصصت كل منها لأحد الصوفية، مثال ذلك ما جاء عن خانقاه سرياقوس فى وثيقة وقف الناصر محمد «الرباط بناحية سماسم المشتمل على ستين بيتا وجعله رباطا مأوى للفقراء الواردين إليه، والرباطان الباقيان المشتمل كل منهما على أحد وعشرين بيتا، فإنه جعل ذلك رباطين برسم سكنى الفقراء الصوفية المقيمين بهذا المكان المذكور على الدوام والاستمرار».

كذلك زودت الخانقاه بكل ما يحتاجه المقيمون بها، ورتبت من أجل ذلك بها الكثير من الوظائف التى يتولاها الصوفية أنفسهم، سواء من المقيمين بالخانقاه أو من بين المترددين عليها، حتى يتحقق للخانقاه استقلالها، ويمكن للصوفية بها أن يعيشوا فى معزل تام عن المجتمع، ينقطعون فيها للعبادة، فكان يوزع على الصوفية «خبز البر الطيب»، ولحم الضأن، وكان بالخانقاه طباخ يعد الطعام للصوفية، ووزان يقوم بوزن الطعام والخبز للصوفية ليحصل كل منهم على نصيبه حسب شرط الواقف، وهو حسب ما جاء بوثيقة بيبرس الجاشنكير ثلاثة أرطال من الخبز، وثلث رطل من اللحم الضأن، وكان لشيخ الخانقاه كمية مضاعفة، كما كان يصرف للمتصوفة درهمان ونصف فى الشهر برسم غسل ثيابهم، وكذلك درهم برسم دخولهم الحمام فى كل شهر «إن لم يكن حماما برسم دخولهم (الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر / ٢٠٨-٢١٩).

ويصف الدكتور صالح لمعى مصطفى الخانقاه والتكية من الناحية المعمارية فيقول:

ولا يختلف مسقط الخانقاه عن مسقط المدرسة إلا أنه فى بعض الأحيان تعمل الخلوات فى جناح منفصل، وذلك إذا اجتمعت المدرسة والخانقاه فى مجموعة واحدة. مثل ما حدث فى مدرسة وخانقاه برقوق بالنحاسين حيث عملت الخلوات منفصلة فى أربع وحدات سكنية خلف المدرسة بالجهة الغربية.

وفى العهد العثمانى أنشئت التكية بدلا من الخانقاه. وهى تختلف من ناحية المسقط وتجميع ونوع العناصر اختلافا جذريا عن الخانقاه. فالتكية مسقطها عبارة عن حوش به حديقة وفسقية. ويحيط بالحوش والجهات الأربع جاليرى يفتح على الصحن بعقود محمولة على أعمدة. ويغطى الجاليرى قباب كروية صغيرة. وينتظم حول الجاليرى غرف الدراويش المعقودة بالقبوات الدائرية ومسجد صغير. ويلحق بالتكية سبيل، وتكية السلطان محمود بالحبانية (١١٦٤ هـ/ ١٧٥٠ م) تعطينا فكرة عن هذه المنشآت فى ذلك العصر.

وقد جرت العادة على دفن الدراويش فيها بحوش ملحق بالمبنى. وتوضع دورات المياه كما هو الحال فى المدرسة والخانقاه فى منسوب منخفض عن منسوب المبنى ...

وكانت الخلوات عبارة عن حجرات صغيرة مفروشة ببلاط من الحجر الجيرى ويفرش عليها حصير. وقد يحتوى بعضها على مسطبة يرتفع منسوبها عن أرضية الغرفة بدرجة واحدة. والخلوة لها سقف عبارة عن قبو نصف دائرى. وتستعمل جلسات النوافذ المنخفضة كمسطبة للقراءة. ويغلب وجود فتحة أعلى الباب بها حاجز من الخشب الخرط حتى تتم

تهوية الغرفة مع ضمان عدم تعرض الجالس بالداخل لتيارات هوائية . هذا بالإضافة إلى تهوية وإنارة الطرقة بين الغرف على جانبيها ويلحق بها بالطابق الأرضي ـ مثل المدرسة ـ قاعات للشيوخ بالطوابق العليا مع الخلوات غرف للمدرسين أو الجهاز والإدارة ...

قالت المؤلفة : انظر صورة الخلوات (الخلاوى) التى بخانقاه بيبرس الجاشنكير فى مادة «بيبرس الجاشنكير (مسجد وخانقاه ـ)» فى م ٨ / ٧٧ .

ويقول الدكتور صالح لمعى مصطفى؛ وبالقاهرة حاليا تسع خانقاوات وهى :

١ ـ خانقاه إيدكين البندقدارى :

(٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ ـ ١٢٨٥ م ـ بقايا، أثر رقم ١٤٦).

٢ ـ خانقاه بيبرس الجاشنكير.

(٧٠٦ ـ ٧٠٩ هـ / ١٣٠٦ ـ ١٣١٠ م ـ فى حالة جيدة، أثر رقم ٣٢).

٣ ـ خانقاه أم أنوك

قبل (٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م ـ بقايا، أثر رقم ٨١).

٤ ـ خانقاه الأمير شيخون (شيخو)

(٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م ـ فى حالة جيدة، أثر رقم ١٥٢).

٥ ـ خانقاه السلطان برقوق

(٧٨٦ ـ ٧٨٨ هـ / ١٣٨٤ ـ ١٣٨٦ م ـ فى حالة جيدة ـ لوحة ١٤ ـ مساكن الصوفية متهدمة، أثر ١٨٧).

٦ ـ خانقاه سعد الدين بن غراب.

(٨٠٣ ـ ٨٠٨ هـ / ١٤٠١ ـ ١٤٠٦ م ـ بقايا، أثر رقم ٣١٢).

٧ ـ خانقاه فرج بن برقوق.

(٨٠١ ـ ٨١٣ هـ / ١٣٩٩ ـ ١٤١١ م ـ فى حالة جيدة ـ لوحة ١٩، أثر رقم ١٤٩).

٨ ـ خانقاه برسباى.

(٨٣٥ هـ / ١٤٣٢ م ـ المسجد فى حالة جيدة وباقى المبنى متهدم، أثر رقم ١٢١).

٩ ـ خانقاه الأشرف إينال

(٨٥٥ ـ ٨٦٠ هـ / ١٤٥١ ـ ١٤٥٦ م ـ مبانى متعددة ولكن فى حالة سيئة، أثر رقم ١٥٨).

(التراث المعمارى الإسلامى فى مصر / ٢٢ ـ ٢٥).

هذا بينما أحصى المقريزى عدد الخوانق فى مصر فى زمانه باثنتين وعشرين خانقاه ذكر منهم على مبارك ثمانى عشرة ورتبه هجائيا على النحو التالى :

خانقاه ابن غراب، خانقاه آقبغا (كان يجب أن تذكر قبل ابن غراب)، خانقاه أم أنوك، (أوردناها تحت عنوانها فى حرف الألف فى م ٦ / ٢٨ ـ ٣٠ مع صورة لها فانظرها فى موضعها)، خانقاه بشتاك، الخانقاه البندقدارية، خانقاه بيبرس، الخانقاه الجاولية، الخانقاه الجمالية، خانقاه الجيبغا المظفرى، خانقاه سعيد السعداء، الخانقاه الشرابيشية، خانقاه شيخو، خانقاه طغاى النجمى، خانقاه طيبرس، الخانقاه الظاهرية، خانقاه قوصون، الخانقاه المهمندارية، خانقاه يونس.

أما الخوانق الأربع التى أغفلها على مبارك وذكرها المقريزى فهى : خانقاه سرياقوس (وهى خارج القاهرة)، وخانقاه أرسلان، وخانقاه بكتمر، والخانقاه الخروبية.

أما عن التكايا بالقاهرة فيقول الدكتور صالح لمعى مصطفى :

ويوجد بالقاهرة حاليا خمس تكايا :

١ ـ تكية الدراويش المولوية الملحقة بمدفن حسن صدقة (مدفن حسن صدقة ٧١٥ ـ ٧٢١ هـ / ١٣١٥ ـ ١٣٢١ م ـ أثر رقم ٢٦٣).

٢ ـ تكية عبد الله المغاورى تعرف باسم التكية البكتاشية للمذهب البكتاشى ـ أول قبر بها مؤرخ عام ١٤٥٣ م.

٣ ـ تكية الجلشنى.

(٩٢٦ ـ ٩٣١ هـ / ١٥١٩ ـ ١٥٢٤ م للمذهب القادرى ـ أثر رقم ٣٣٢).

٤ ـ التكية السليمانية.

(٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م ـ أثر رقم ٢٥٥).

٥ ـ تكية السلطان محمود

(١١٦٤ هـ / ١٧٥٠ م - أقامها مصطفى أغا - أثر رقم ٣٠٨) (التراث المعمارى الإسلامى فى مصر / ٢٣، ٢٤).

ذلك كان عن الخوانق والتكايا فى مدينة القاهرة . أما عن دمشق فقد سبق أن أوردنا فى مادة «التكية» فى م ١٠ / ٣٥٩ ما ذكره الدكتور يوسف جميل نعيسة من أنه فى العهد العثمانى أقيمت التكايا بديلا عن الخوانق . وقد ذكر سيادته الخوانق فى هامش (١) فى نفس الموضع (ص ١٥٩) فقال :

وكان فى دمشق ست وعشرون خانقاه هى : الأسدية - الإسكافية - الأندلسية - الباسطية - والحامية الشبلية - الخاتونية - والدويرية - والروزنهارية - والسمسياطية - والشومانية - والشهابية - والشبلية - والشنباشية - والشريفية - وخانقاه الطاحون - والطاوسية - والقرية - وخانقاه القصر - والقصاعية - والكجحانية - والمجاهدية - والنهرية - والنجيبية - والناصرية - فى جبل قاسيون، والناصرية خلف (مجهولة) ثم اليونسية والنحاسية .

ومن الخوانق الحديثة، خانقاه أحمد باشا الشهير بين أمراء الأروام أى العثمانيين بشمسى أحمد باشا . تولى دمشق فطالت مدته، وبنى فيها خانقاها قبالة قلعة دمشق من جانب القبلى ملاصقة لخندقها . وجعل فيها حجرات للصوفية . وهى من محاسن دمشق، وما زالت هذه الخانقاه عامرة . ولكن لا على الصورة التى أرادها الواقف بل صارت جامعا . ويذكر النقشبندى أنه كانت فى دمشق فى القرن التاسع وظيفة شيخ الشيوخ وموضوعها التحدث على جميع الخوانق فى دمشق وأعمالها، والعادة أن يتولاها شيخ الخانقاه السمسياطية انظر: المقريزى . تقى الدين ابن أبى العباس أحمد بن على المتوفى سنة ٨٤٥ هـ «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» ح ٢ . / ٤١٤ و ٤١٦ . طبعة أوفست بغداد . ثم انظر: كرد على، محمد . خطط الشام . ٦ / ١٣٠ - ١٣٤ سنة ١٩٧٢ طبعة بيروت .

(مجتمع مدينة دمشق ١ / ١٥٩).

وعن الخوانق فى سوريا يقول الدكتور أحمد رمضان محمد :

من العمائر والمنشآت الدينية التى لعبت دورا هاما فى المجتمع الإسلامى عامة وبلاد الشام بصفة خاصة منذ القرن السادس الهجرى، الخوانق، وقد عدَّد لنا ابن شداد وابن الشحنة وابن العديم وغيرهم عدد الخوانق الموجودة بعواصم سورية الثلاث، فقالوا، أن عدد ما بحلب فى الشمال حتى نهاية القرن السابع الهجرى كان ثمان وعشرين خانقا منها سبع للنساء، وتحتوى العاصمة الوسطى دمشق على ثمان وثلاثين خانقاه ورباط أما العاصمة الجنوبية، القدس، فتحتوى على سبع وعشرين خانقاه ورباط وزاوية، هذا بخلاف ما فى هذه المدن وغيرها من الأضرحة والمزارات التى لا نستطيع أن نأتى لها على حصر .

ويعتبر القرن السادس الهجرى عصر انطلاق للصوفية فى بلاد الشام، فقد انتشرت بين طبقات الناس الذين عرفوا الكثير من مبادئها وأصولها التى صاغها الشعراء، حتى اتخذ منهم الملوك والسلاطين جلسائهم وانتصحوا بنصحهم مثل علاقة الخيوشانى وصلاح الدين . وكذلك كانت الصوفية موضع ثقة المجتمع على اختلاف طبقاته، ومن ثم فقد سعوا لإصلاح ذات البين بين مذاهب السنة والشيعة والتقريب بينهما .

وقيل إن أول خانقاه بنيت فى بلاد الشام للصوفية كانت برملة بيت المقدس بناها «أمير النصارى» حين استولى الفرنج على الديار القدسية، ويبين محمد كرد على السبب فى ذلك فيقول: إن أمير النصارى رأى طائفة من الصوفية وألفتهم فى طريقتهم، فسأل عنهم، ما هذه الألفة والصحبة والأخوة الخاصة بينكم؟ فقالوا له «الألفة والصحبة لله طريقتنا»، فقال لهم : «أبنى لكم مكانا لطيفا تتآلفون فيه وتتعبدون» . فبنى لهم تلك الخانقاه . وتشبه الخانقاه من حيث التصميم المعمارى إلى حد كبير المدرسة، إذ إن كلا منهما يحتوى على عدد من الإيوانات قد تكون اثنان أو أربعة، إلا أن المدرسة تحتوى على غرف لإقامة الطلاب، أما الخانقاه فتحتوى على خلاوى للصوفية .

ومن أحسن الأمثلة للخانقاه ذات التخطيط المتكامل وأقدمها فى حلب، خانقاه البلاط . أنشأها شمس الخواص لؤلؤ الخادم عتيق الملك رضوان بن تاج الدولة تتش وذلك سنة ٥٠٩ هـ / سنة ١١١٥ م . وعرفت باسم البلاط لأنها تقع فى سوق البلاط الذى يعرف الآن بسوق الصابون وكانت الخانقاه موقوفة على الفقراء المتجردين دون المتأهلين بحلب، ثم

هجرت واتخذت بيتا إلى أن أحياها الشيخ علاء الدين الجبرتى بنفقة الأمير تغرى بردى .

وكانت الخوانق الأولى فى القرن الرابع بسيطة لا تنظمها قواعد، حتى ظهر أبو سعيد بن أبى الجز الذى وضع الأسس الأولى لتنظيم الخوانق حتى عرف باسم (أبو الخانقاه) .

أو كما يقول الشيخ نصر (صقر الطريقة) (القزوينى ص ٢٤٢) .

(المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام / ١٥٠ ، ١٥١) .

وقد أفرد ابن الشحنة الباب الثانى عشر من كتابه لذكر ما بباطن حلب وظاهرها من الخوانق والربط جاء فيه ما يلى :

«قال» ابن شداد : فمما فى باطنها «خانقاه» القصر وهى تحت القلعة أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى وسميت بهذا الاسم لأنه كان مكانها قصر من بناء شجاع الدين فاتك وكان مبدأ عمارتها فى سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة .

«خانقاه» القديم أنشاها نور الدين أيضا وتولى النظر على عمارتها شمس أبو القاسم الطرسوسى . «وخانقاه» الست أم الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل نور الدين تحت القلعة فى سنة ثمان وسبعين وخمس مائة وبنت إلى جانبها تربة دفنت بها ولدها الملك الصالح .

«قلت» وجعلت بها قرَّاء عميان ووقفت عليها البستان المعروف بالبقعة غربى حلب . والله أعلم .

«خانقاه» البلاط أنشأها شمسى الخواص لؤلؤ الخادم عتيق الملك رضوان بن تاج الدولة تنش وهى أول خانقاه بنيت بحلب وذلك فى سنة تسع وخمس مائة وكان يتولى حلب نيابة فسمت نفسه إلى التغلب عليها فقتل (يقول خير الدين إن سوق البلاط هو سوق الصابون الآن) .

«خانقاه» الملك المعظم مظفر الدين كول بن زين الدين على كوجك صاحب إربل بالسهيلة وهى الآن معروفة بسويقة حاتم بالقرب من الجامع الكبير.

«خانقاه» بعرصة الفرانى أنشأها مجد الدين بن الدايه أبى بكر محمد بن محمد بن بوستكين وكانت وفاته سنة خمس وستين وخمس مائة .

«قلت» وعنه أخذ جدى محمود الشحنة نيابة حلب . والله أعلم .

«خانقاه» أنشأها سعد الدين كمشتكين الخادم مولى بنت الأتابك عماد الدين وتوفى سنة ثلاث وسبعين وخمس مائة مخنوقا بوتر.

«خانقاه» أنشأها شمس الدين أبو بكر أحمد بن العجمى وكانت دارا يسكنها فوقفها الشيخ شرف الدين أبو طالب أخيه على الصوفية عند موته وتوفى سنة إحدى وثلاثين .

«خانقاه» أنشأ الامير جمال الدين أبو الثنا عبد القاهر بن عيسى المعروف بابن التنبى ـ وتَنَّب كقنَّب قرية من بلد إعزار. والله أعلم ـ فى دار العقبة وكانت دارا يسكنها فوقفها عند موته فى رابع عشر المحرم سنة تسع وثلاثين وستمائة .

«خانقاه» أنشأها الأمير علاء الدين طيبغا كانت دارا يسكنها فوقفها على الصوفية عند موته سنة إحدى وثلاثين وستمائة .

«خانقاه» أنشأها بيرم مولى ست حارم بنت التعسنا خالة صلاح الدين فى دهليز دار الملك المعظم وتعرف بخانقاه حوشى .

«خانقاه» أنشأها الشيخ الفقيه الإمام العالم بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن شداد كانت دارا يسكنها وتوفى سنة اثنين وثلاثين وستمائة .

«خانقاه» أنشأها سعد الدين مسعود بن عز الدين أيبك قطس عتيق عز الدين فرخشاه وكانت دارا يسكنها فوقفها .

ـ «خانقاه» سنقر شاه وهى برأس زقاق البهاء قبلى دار العدل بحلب وهى من المشاهير . والله أعلم .

ثم ذكر خوانق النساء فقال : «خانقاه» أنشأتها الصاحبة فاطمة خاتون بنت الملك الكامل بالقطعية ثم توفت سنة ست وخمسين وستمائة .

ـ «خانقاه» أنشأتها بنت صاحب شيزر سابق الدين عثمان قبالة دورهم .

ـ «خانقاه» بدرب البنات .

ـ «خانقاه» أنشأتها زمرد خاتون وأختها بنتا حسام الدين لاجين عمر بن النورى وأمها أخت صلاح الدين يوسف .

ـ «خانقاه» أنشأها الأمير نور الدين محمود بن زنكى سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة.

ـ «خانقاه» أنشأتها بنت ولى قوص.

ـ «خانقاه» أنشأتها الملكة ضيفة خاتون بنت الملك العادل داخل باب الأربعين تجاه مسجد الشيخ الحافظ عبد الرحمن ابن الأستاذ.

ـ «خانقاه» تعرف بالكاملية قريبا من دار بنى الخشاب.

والخوانق التى بظاهر حلب.

ـ «خانقاه» أنشأها الأمير مجد الدين بن الدايه بمقام إبراهيم عليه السلام.

ـ «خانقاه» أنشأها الأمير شهاب الدين طغرلبك الأتابك خارج باب الأربعين بالجبيل.

ـ «خانقاه» أنشأتها الكاملية زوجة علاء الدين بن أبى الرجا.

«ثم ذكر الربط» وهى جمع الرباط.

«رباط» أنشأه الأمير سيف الدين على بن سليمان بن جندر بالرحبة الكبيرة وكانت فى دار تعرف ببدر الدين محمود ابن شكرى الذى خنقه الملك الظاهر غياث الدين غازى.

«رباط» يعرف بالخدام تحت القلعة لم يتصل بى ذكر بانيه.

«قلت» تحت القلعة رباطان للخدم أحدهما برأس درب الملك الحافظ والآخر برأس الزقاق المبلط بينه وبين السلطانية طريق.

«رباط» قريب من مدرسة النفرى. والله أعلم (الدر المنتخب / ١٠٦ ـ ١٠٩ وأحياء حلب وأسواقها / ٤٠٢).

يقول خير الدين الأسدى: فقدت الخانقاهات وظائفها ودرس أكثرها عدا خانقاه الفرافرة المائل إلى الخراب والذى ما يزال إلى الآن يحوى أخلاطا من الفقراء وأبناء السبيل. وكان بعض أهل الخير يقفون دورهم بعد موتهم للمتصوفة والفقراء (أحياء حلب وأسواقها / ٤٠٢، ٤٠٣).

أما عن الخوانق فى القدس الشريف، أعاده الله ديار إسلام، فقد ذكرها الدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدى، هى والزوايا، فعرَّف الخانقاه كما سبق أن عرفناها، وعرَّف الزاوية بقوله: الزاوية ركن البناء، والمقصود بها هنا مكان يقيم فيه شيخ ما، وهى أشبه أن تكون مدرسة يرتادها طالبو العلم، وغيرهم. وكانت الزوايا تقوم بدور علمى، ويمارس فيها التصوف. وقال بعضهم: لم يفرقوا بين الخانقاه، وبين الزاوية، والرباط.

ثم يقول: تعد الخوانق والزوايا من المعاهد والمؤسسات الدينية الإسلامية، وهى دور عبادة وعلم، وتقوم بأدوار مختلفة: دينية، وثقافية، واجتماعية. لقد كانت هذه المعاهد مراكز علم حقا، فكانت تدرس فيها المذاهب الفقهية. كما يدرس الحديث النبوى، والقراءات والتصوف، وغير ذلك من العلوم الشرعية وما يتصل بها، بشكل خاص. وكانت هذه المعاهد العلمية الدينية مراكز إقامة للوافدين أيضا. ومن هذا يتبين لنا الدور الثقافى والاجتماعى الذى كانت تقوم به.

ومما يوضح هذا الأمر الحديث عن الخانقاه الصلاحية فى بيت المقدس، والزاوية الختنية فيه، على سبيل المثال، وسنفصل الحديث عن هذين المركزين وغيرهما من المراكز فيما بعد.

ويوضح هذا الأمر أيضا أن بعض الخوانق كانت مدارس فكرية بكل ما فى الكلمة من معنى، وسيبدو ذلك جليا فى الحديث عن الخانقاه الصلاحية مثلا، ومن ذلك أنه رُتِّب بخانقاه ركن الدين بيبرس بالقاهرة، على سبيل المثال، درس للحديث النبوى له مدرس، وعنده عدة من المحدثين، ورتب القراء الذين كانوا يتناوبون القراءة فيها. ويبدو الأمر أكثر جلاء فى خانقاه سيف الدين شيخو بالقاهرة، فقد رتب فيها واقفها «دروسا عدة منها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الأربعة، وهم الشافعية، والحنفية، والمالكية، والحنابلة، ودرسا للحديث النبوى، ودرسًا لإقراء القرآن بالقراءات السبع، وجعل لكل درس مدرسا، وجماعة من الطلبة، وشرط عليهم حضور الدرس، وحضور وظيفة التصوف ...، وتخرج بها كثير من أهل العلم». ومن هذا يتضح الدور الذى كانت تقوم به مثل هذه المؤسسات فى الحركة الفكرية. وسيتضح هذا الدور بجلاء من خلال الحديث عما قامت به مثل هذه المؤسسات فى الحركة الفكرية، فى بيت المقدس.

وكانت بعض الزوايا تقوم بما كانت المدارس تقوم به، ويكفى أن نشير فى هذا المجال إلى الزاوية الختنية، وزاوية

الدركاة، فقد كـانتا مركزين من مراكز الحركة الفكـرية، وقامتا بدور فعال فيها، كما سنتبينه فيما بعد.

وليس هذا فحسب، فإن عددا من المدارس كانت تسمى زوايا أيضا، مثل: الزاوية أو المدرسة النصرية، وغيرها ا هـ.

لقد أنشئت هذه المراكز فى بيت المقدس، فـى العصر الأيـوبى، من قبل السـلاطين، والأمـراء، والقضـاء والشيـوخ وغيرهم.

ومن ذلك أن صلاح الدين أنشأ فى بيت المقدس الخانقاه الصلاحية، والزاوية الختنية، وأنشأ الملك شهاب الدين غازى ابن الملك العادل زاوية الدركاه فى سنة ٦١٣ هـ (المدارس فى بيت المقدس ١ / ٤٠٠ ـ ٤٠٢).

قالت المؤلفة: أوردنا زاويـة الختنية تحت عنوان «الختنية (المدرسة ـــ) مع صورة لها فى م ١٥ / ٣٤٩ ـ ٣٥١ فـانظرها فى موضعها.

ويعـدد الـدكتـور كـامل جميـل العسلى خـوانق القـدس الشريف فيـذكر الخانقاه الصـلاحية والدوادارية والكـريمية، والفخرية، والمنجكية، والمولوية، والأسعردية، وقد أوردناها تحت عنوانها فى م ٤ / ٣٦٥، والتنكزية، وقد أوردناها تحت عنوان «التنكزية (خانقاه ـ)» فى م ١٠ / ٥٢٧، وتحت عنوان «التنكزية (المدرسة ـــ بالقدس الشريف)» فى م ١٠ / ٥٢٨ ـ ٥٣٤ (معاهد العلم فى بيت المقدس / ٣٣٠ ـ ٣٤١).

هذا ونورد ما سقناه من أسماء الخوانق فى مواضعه إن شاء الله تعالى:

(الخطط التوفيقية الجديـدة لعلى باشا مبارك ٦ / ١٣٨ و ١ / ٢٢٥، والمجتمع الإسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ـ د. أحمد رمضان محمـد / ١٥٠، ١٥١، وابن قيم الجوزية ـ د. عبـد العظيم عبد السلام شـرف الدين / ٥٣، والتراث المعمـارى الإسلامى فى مصـر ـ د. صـالح لمعى مصطفى / ٢١ ـــ ٢٥، والتصـوف فى مصر إبـان العصـر العثمانى ـ د. توفيق الطويل / ٣٩ ـ ٤٢، والأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ـ د. محمد محمد أمين / ٢٠٨ ـ ٢١٩، ومجتمع مدينة دمشق ـ د. يـوسف جميل نعيسة / ١٥٩، والـدر المنتخب فى تاريخ مملكـة حلب لابن الشحنـة ـ تقديـم عبد الله محمـد الدرويش / ١٠٦ ـــ ١٠٩، وأحياء حلب وأسـواقها لخيـر الـدين الأسدى ـــ تحقيق عبـد الفتاح قلعـه جى / ٤٠٢، والمدارس فى بيت المقدس ـ د. عبـد الجليل حسن عبد المهدى ١ / ٤٠٠ ـ ٤٠٢. انظر أيضا المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الـدين المقـريـزى ٢ / ٤١٤ ـــ ٤٢٦، و «العـلاقـة بين النص التأسيسى والوظيفة والتخطيط المعمارى للمدرسة فى العصر المملوكى» ـ د. محمد حمزة إسماعيل. تاريخ المدارس الإسلامية (٥١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢ / ٢٩٥ ـ ٣٠٢).

انظر المواد التالية: بيبرس الجاشنكير (مسجد وخانقاه ـ) فى م ٨ / ٧٢ ـــ ٧٨، والتصـــوف (علم ـــ) فى م ٩ / ٤٦٣ ـ ٤٧٧، والتكية فى م ١٠ / ٣٥٧ ـ ٣٦٠.

*** الخوانيق:**

من المفـــردات الطبيـة التى تـــرد فى مصنفـات التـــراث الإسلامى فى الطب وجـاء تعريفها كمـا يلى: ورم يحدث فى الحنك واللهـاة والمبلع، ومن أنـواعـه الـذبحـة، والـذئبـة، واللوزتان.

(كتاب التنويـر فى الاصطلاحات الطبية لأبى منصـور الحسن بن نوح القمرى ـ تحقيق وفاء تقى الدين / ٢٣).

*** خُوجَانُ:**

قال ياقوت:

خُوجانُ: بضم أوله، وبعد الواو جيم، وآخره نون: قصبة كورة أستـوا من نـواحى نيسابـور، وأهلها يسمـونها خبـوشـان، بـالشين؛ ينسب إليهـا جمـاعـة وافـرة من العلمـاء، ومن المتأخرين: الأمير أبو الفضل أحمد بن محمـد بن أحمد بن أبى الفراتى الخوجـانى أخـو الأمير سعيـد من أهل خوجـان نيسابور مـن أولاد العلماء، وكان فاضلا، ولـى القضاء بقصبة خوجان وحمدوا سيرته، وذكـره أبو سعد فى التحبير وقال: ولد فى سنة ٤٦٥، ومات بقريـة زاذيك من نواحى أستوا فى شوال سنة ٥٤٤. وخوجان أيضا: قرية بالمغرب.

(معجم البلدان ٢ / ٣٩٩).

*** خُوَجَان:**

قال ياقوت:

خُوَجَّان: مثـل الذى قبله غير أن جيمه مشـددة: من قرى مرو، وأهلها يقولون خَجَّـان؛ ينسب إليها أبو الحارث أسد بن محمد بن يحيىٰ الخـوجَّانى، سمع ابن المقرى، وكان عـالما فاضلا؛ ومن خوجان محمد بن على بن منصور بن عبد الله بن أحمـد بن أبى العبـاس بن إسمـاعيل أبـو الفضل السنجى ثم الخوجَّانى أخو المقرى عقيق الأكبر، كان يسكن قرية خوجان

من قرى مرو، شيخ صدوق ثقة، سمع الحديث ونسخ بخطه وطلب بنفسه الحديث، وله رحلة إلى نيسابور، سمع بمرو أبا المظفر السمعانى وأبا القاسم إسماعيل بن محمد الزاهرى وأبا عبد الله محمد بن جعفر الكتبى، وبنيسابور أبا بكر أحمد بن سهل بن محمد السراج وأبا الحسن على بن أحمد المدينى وغيرهما، قرأ عليه أبو سعد، وكانت ولادته ليلة نصف شعبان سنة ٤٦٩ بمرو، ومات سنة ٥٣٨.

(معجم البلدان ٢/ ٣٩٩، ٤٠٠).

*** الخوخ:**

أورده المظفر الرسولى نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

قال:

«ع» فى الأنفس: شجرة الخوخ فى قضبانها وفى ورقها مرارة، فلذلك صار ورقها يقتل الديدان متى سحق ووضع على السُّرة، ومع هذا هو دواء يحلل، وأما ثمرته التى تؤكل فمزاجها رطب يبرد، والرطوبة المستكنة فيه وجرمها سريع الفساد رديئان فى جميع الخصال، فلا ينبغى أن يؤكل بعد الطعام، وكذلك تُمنع الأطعمة المولدة للدم الردىء الرطبة اللزجة، السريعة الانحدار عن المعدة، فإنها إذا أكلت بعد الطعام فسدت، وأفسدت ما قبلها من الأطعمة. وهو بارد رطب فى آخر الدرجة الأولى، أو فى مبدأ الثانية، يولد بلغما غليظا، سريع الفساد والعفونة فى المعدة. وهو جيد للمعدة الحارة، والعطش الملتهب، واللهيب منها. وهو مشهٍّ للطعام، ويطفىء الحرارة «ج» أجوده المسكى، والذى يخرج منه نواه بسهولة، وهو أسرع انهضاما وهو بارد رطب فى آخر الدرجة الثانية، وقيل فى الأولى، وهو ملين، وفيه قبض ما، وأقبضه المقدد، والبالغ منه صالح للمعدة، يشهِّى الطعام، وينفع من الحميات المحرقة، فلا يفسد كفساد المشمش، ويولد بلغما رقيقا، وقديده ليس بجيد الغذاء بطىء الهضم، وإن أكله بارد المزاج فليأكل بعده زنجبيلا مربى وعسلا..

«ف» نضيجه جيد للمعدة. وينفع من الجوع الكلبى. وهو بطىء الهضم، ويعفِّن الأخلاط، ويدفع ضرره الحلواء والخمر الريحانى.

وجاء فى هامش (١) مايلى:

الخوخ: منفعته تطفئة الصفراء، وتسكين الحرارة والحميات المحرقة مضرته: يرخى المعدة، ويولد البلغم، سريع الاستحالة. دفع ضرره: يحذر من شرب الماء البارد بعده، ويشرب بعده السكنجبين، والمبرود المزاج يأكل بعده شيئا من الزنجبيل المربى. اهـ والله أعلم (المعتمد١ / ١٤١، ١٤٢).

وقال عنه ابن سينا:

رطوبته سريعة العفونة. ملين، فيه قبض ما، وأقبضه المقدد وفيه منع للسيلان، والفج قابض. يقطع ورقه، إذا طلى به رائحة النورة «الكلس غير المنطفىء بالماء». يقطر ماء ورقه فى الأذن، فيقتل الديدان. وينفع دهنه فى الشقيقة، وأوجاع الأذن الحارة والباردة. النضيج منه جيد للمعدة، وفيه تشهية للطعام. ويجب أن لا يؤكل على غيره فيفسد عليه ويفسده. بطىء الهضم ليس جيد الغذاء، وإن كان أكثر غذاء. يضمد بورقه السُّرة فيقتل ديدان البطن. وكذلك إن شرب عصارته وورقه. النضيج منه يلين البطن، والفج عاقل (القانون فى الطب / ٣٢٣).

أما عن فلاحة الخوخ فيقول القزوينى:

الخوخ: قال صاحب الفلاحة: إذا أردت أن يحمر الخوخ غاية الحمرة فخذ النواة التى تنشق بنفسها واجعل فى شقها شيئا من الزنجفر وضع اللحم فيها ولا تنقها عن اللحم واترك لحمها عليها فإنها تثمر خوخا شديد الحمرة وإذا نقشت فى باطن النواة نقشا بالسكين أو كتابة يكون ذلك فى جميع أفراد ثمرتها، وإذا أخذت النوى وأخرجت ما فى جوفه من الأصل الذى يشرب به بحيث لا ينسد شىء من عيونه وغرسته فإذا أدرك لا يكون لثمرة تلك الشجرة نوى دون عظم وورق الخوخ يقطع رائحة الثوم، وإذا طلى به السرة قتل ديدان البطن (عجائب المخلوقات / ١٦٦).

ويقول مؤلف مجهول عن أعلام القرن الثامن الهجرى:

قال ابن وحشية: الخوخ أخو المشمش ومشاكل له فى

جميع أموره إلا فى البقاء، فإن المشمش أطول عمرا منه وذلك أن الخوخ أكثر ما يحمل أربع سنين، ثم يقطع حمله، وهو سريع القبول لما يرد عليه من الحر والبرد، والبرد يهلكه وينهكه. وأحسن ما زرع فى الوقت الذى زرع فيه المشمش، ويفلح كما يفلح (انظر الفلاحة النبطية لابن وحشية / ٤٨٢). قلت وهو نوعان: نوع يسمى الشعرى وهو أبيض فيه نقط حُمر، وله زغب وجرم، ونوع يسمى الأقرع وهو خلوقى اللون (من الأحمر والأصفر) ويسميه أهل مصر الزهرى، وفيه ما نصفه لون الزعفران ونصفه الآخر مثل الدم، وليس له زغب البتة، وهو ألطف جرما من الشعرى وأصدق حلاوة، وأطيب ريحا.

أما عما قيل فى الخوخ من شعر فقد ورد ما يلى فى الوصف والتشبيه:

قال بعضهم فى الخوخ الأقرع: *(الوافر)*

وبنت ندى مخطط الأعالى
بمحمر كلون الأرجوان
كوجنة غادة خافت رقيبا
فغطتها بمحمر البنان

(نسب الشعر فى نهاية الأرب ١١/ ١٤٠ إلى ابن القوطية، ونورد ترجمته فى حرف القاف إن شاء الله تعالى).

وقال آخر فى الخوخ الشعرى:

(البسيط)

وطيب الريق عذب آب فى آب
وزار مشتملا فى زى أعراب
فى مخمل النسج لم تحمل مناصبه
بين الفواكه من نقص ولا غاب
خالسته نظرى فاحمر من خجل
ثم انثنى معرضا عنى كمرتاب
من اسمه فيه مقلوبا ومبتدأ
أرنى على اللوز فى تطريز جلباب

(مفتاح الراحة ١٩٥-١٩٧).

وجاء فى حسن المحاضرة قول بعضهم:

كأنما الخوخ فى دوحه
وقد بدا أحمره العندمى
بنادق من ذهب أصفر
قد خُضِّبت أنصافها بالدم

(حسن المحاضرة ٢/ ٤٣٧، ٤٣٨).

وقال السيوطى فى واحدة من مقاماته هى «المقامة التفاحية»:

وما أدراك ما الخوخ بارد فى آخر الأولى رطب فى مبدأ الثانية، ينفع الأبدان اليابسة الحارة الواهية، جيد للمعدة الحارة يقطع اللهيب والعطش ومضاره ويشهى الطعام... ويطفىء الحرارة المطلقة وينفع المحموم وقت صعود الحمى الحادة إذا كانت غبا خالصة أو محرقة.

وورقه إذا دُق وعُصر وشُرب مرات متواليات أسهل حب القرع والحيات وإذا ضمد به السرة قتل ما فى البطن من الديدان، وإذا دُلِّك به بعد الطلاء بالنورة طيب الأبدان، ودهنه ينفع من الشقيقة ومن أوجاع الأبدان والآذان.

وكم فيه للشعراء من تشبيهات حسان

وقال الشاعر:

وخوخة بستان ذكى نسيمها
من المسك والكافور قد كسبت نشرا
ملبسة ثوبا من التبر نصفها
مصاغا وباقيها كياقوتة حمرا

وقال آخر:

وخوخة جمعت طعما ورائحة
ومظرا يا له من منظر حسن
فيها من الطعم أصنافا مضاعفة
طعم الفواكه مجنى من الغصن
وفى وسطها عجوة تشفى إذا عصرت
من كل داء جرى فى الرأس والبدن
أضحت شفاء وريحانا وفاكهة
زين الفواكه فى الأمصار والمدن

وقال آخر:

وخوخة يحكى لنا نصفها
وجْنة معشوق رآه الرقيب

ونصفـــــــه الآخــــــــر شبهتـــــــه

بلـــــون صب غـــــاب عنـــه الحبيـب

وجاء ما يلى فى هامش التحقيق (١):

إجاص شائك:

(شجر شائك من فصيلة الورديات ويسمى عندنا خوخ السياج)

مكان النبتة: برية فى السياج والأدغال والأحراج وحفافى (جوانب) الطرق والأراضى المقفرة. ويمكن زرعها.

أوصافها: شجرة يبلغ ارتفاعها نحو (٣) أمتار، قشرتها (لحاؤها) سواد، وفى أغصانها الكثير من الشوك المنفرد الصلب. تزهر فى شهرى نيسان وأيار، وقبل ظهور أوراقها. زهورا دائرية صغيرة ناصعة البياض لها رائحة اللوز المر، وتتكون منها أثمار كروية وحيدة النواة تنضج فى تشرين الأول ويصبح لونها أزرق أسود. أما الأوراق فصغيرة بيضية الشكل ومسننة الحوافى.

الجزء الطبى منها: الأزهار ما دامت ناصعة البياض فى شهر نيسان وأيار (إبريل ومايو) والأثمار المجففة فى الشمس فى شهرى تشرين الأول وتشرين الثانى (أكتوبر ونوفمبر).

المواد الفعالة فيها: فى الأزهار كلوكوزيد الفلافون وهو ملين ومعرق ومدر للبول ومسكن للتشنجات.

وفى الأثمار حوامض عضوية ومواد دابغة ومادة البكتين المجلطة.

استعمالها طبيا:

أ ـ من الخارج: يستعمل عصير الأثمار لمعالجة قروح الفم والرعاف (النزيف من الأنف).

ب ـ من الداخل: يستعمل مستحلب الأزهار كملين لطيف حتى للأطفال، ويعمل بالطريقة المعروفة وبنسبة نصف ملعقة كبيرة من أوراق الأزهار، لكل فنجان من الماء الساخن بدرجة الغليان. ويشرب فى المساء قبل النوم ويستمر على ذلك بضعة أيام. ويعالج بمستحلب الأزهار أيضا التهاب المثانة والكلى وصعوبة التبول الناتجة عن تضخم البروستات عند الشيوخ.. ويشرب منه فنجانان فى اليوم.

وتعطى الأثمار مطبوخة بالسكر (مربى) بمقدار ملعقة كبيرة ثلاث مرات يوميا لمعالجة الإسهال وتضخم الكبد (مقامات السيوطى / ٦٤ـ٦٦).

وذكره صاحب الأرجوزة الشقرونية فى فاكهة الخريف فقال محذرا من أضراره، وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص:

٣٢٥ ـــ *والخــوخ لا يعقبــه ســلامــه*

فكـن لمن يهـــواه ذا مــــلامـــه

٣٢٦ ـــ *يحــدث أمــراضــا كحمى العفنْ*

فـى الحين أو بعــــــد مضى زمــنْ

٣٢٧ـــ *فهــو وإن كــان لــدى الصفــراء*

مبـــــردا يحـــــدث شـــــر داء

٣٢٨ ـــ *أصلحــه بعــد أكلــه بعسل*

ومصطكـى لــــــدفع داء معضـل

(الطب العربى / ١٢٣، ١٢٥).

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٤١، ١٤٢، والقانون فى الطب لابن سينا ـ شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور، قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطى / ٣٢٣، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ١٦٦، ومفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من أعلام القرن الثامن الهجرى ـ تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، ود. إحسان صدقى العمد / ١٩٥ ـ ١٩٧، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢ / ٤٣٧، ٤٣٨، ومقامات السيوطى للحافظ جلال الدين السيوطى ـ تحقيق د. عبد الغفار سليمان البندارى ومحمد السعيد بسيونى زغلول / ٦٤ ـ ٦٦، والطب العربى فى القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية ـ تحقيق وتعليق د. بدر التازى، تعريب وتقديم د. عبد الهادى التازى).

*** الخَوْخَة:**

جاء فى اللسان: الخَوْخَة: واحدة الخوخ.. والخَوْخَة: كوة فى البيت تؤدى إليه الضوء. فالخَوْخَة: مخترق ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب، بلغة أهل الحجاز، وعم به بعضهم فقال: هى مخترق ما بين كل شيئين وفى الحديث: لا تبقى خوخة فى المسجد إلا سُدَّت غير خوخة

أبـى بكر الصـديق، رضى الله عنه، وفـى حديث آخـر: إلا خوخة على، رضوان الله عليه، هى باب صغير كالنافذة الكبيرة تكون بين بيتين ينصب عليها باب، قال الليث: وناس يسمون هـذه الأبواب التى تسميهـا العجم بنحـرقـات خَوْخـات (لسان العرب ١٥ / ١٢٨٤).

وقد ذكر المقريزى «الخوخ» من بين أخطاط القاهرة، وقد آثرنا أن ننقل مـا أورده برمته، مع ما جاء بـه من تراجم، تيسيرا على القارئ، وحتى لا تفقـد المادة ترابطهـا، وإليك البيان. قال المقريزى والقصد إيراد مـا هو مشهور من الخوخ أو لذكر فائدة، وإلا فالخُوَخُ والدروب والأزقة كثيرة جدا.

الخـوخ السبع: كـانت سبع خـوخ فيمـا يقـال متصلـة باصطبل الطارمة يتوصـل منها الخلفاء إذا أرادوا الجامع الأزهر فيخـرجـون من بـاب الـديلم الـذى هو اليـوم بـاب المشهـد الحسينى إلى الخوخ ويعبرون منها إلى الجامع الأزهر فإنه كان حينئذ فيما بيـن الخوخ والجامع رحبة وكان هـذا الخط يعرف أولا بخـوخة الأميـر عقيل ولم يكن فيـه مسـاكن ثم عرف بعـد انقضاء دولة الفاطميين بخط الخوخ السبع وليس لهذه الخوخ اليوم أثر ألبتة ويعرف اليوم بالأبارين.

باب الخوخة: هو أحد أبواب القاهرة مما يلى الخليج فى حـد القاهـرة البحرى يسلك إليـه من سـويقة الصـاحب ومن سويقة المسعـودى وكان هذا الباب يعرف أولا بخـوخة ميمون دبـه ويخـرج منه إلى الخليج الكبيـر وميمـون دبـه يكنى بأبى سعيد أحد خدام العزيز بالله.

خوخـة أيدغمش: هذه الخـوخة فى حكم أبواب القـاهرة يخـرج منها إلى ظـاهـر القـاهرة عنـد غلق الأبـواب فى الليل وأوقـات الفتن إذا غلقـت الأبـواب فينتهى الخـارج منهـا إلى الـدرب الأحمر واليـانسيـة ويسلك من هنـاك إلى باب زويلـة ويصار إليها من داخـل القاهرة إما من سوق الـرقيق أومن حارة الروم من درب أرقطـاى وهذه الخوخـة بجوار حمـام أيدغمش وهو أيدغمش الناصرى، الأمير علاء الدين أصله من مماليك الامير سيف الدولة يلبان الصالحى ثم صار إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون فلما قدم من الكـرك جعله أمير آخور عِوضا عن الأمير بيبـرس الحاجب ولم يـزل حتى مات الملك الناصر فقام مـع قوصون ووافقـه على خلع الملك المنصور أبـى بكر ابن الملك الناصر ثم لما هرب الطنبغا الفخرى اتفق الأمراء مع إيدغمش على الأميـر قوصـون فوافقهم على محـاربته وقبض على قـوصون وجماعتـه وجهزهم إلـى الإسكندرية وجهـز من أمسك الطنبغا ومن معه وأرسلهم أيضـا إلى الإسكندرية وصار إيـدغمش فى هذه النـوبة هـو المشـار إليه فى الحل والعقـد فأرسل ابنه فى جماعة مـن الأمراء والمشايخ إلى الكرك بسبب إحضار أحمد بن الملك النـاصـر محمد فلما حضر أحمد من الكـرك وتلقب بـالملك النـاصـر واستقر أمـره بمصـر أخـرج إيدغمش نائبا بحلب فسار إلى عين جالوت وإذا بالفخرى قد صـار إليه مستجيـرا به فـآمنه وأنـزله فى خيمـة فلما ألقى عنـه سلاحـه واطمأن قبض عليه وجهـزه إلى الملك النـاصـر أحمد وتـوجـه إلى حلب فأقـام بهـا إلى أن استقـر الملك الصـالح إسماعيل بن محمد فى السلطنة نقله عن نيابة حلب إلى نيابة دمشق فدخلهـا فى يوم العشرين من صفر سنـة ثلاث وأربعين وسبعمائة ومازال بها إلى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة منها فعـاد من مطعم طيـوره وجلـس بـدار السعـادة حتى انقضت الخدمـة وأكل الطارى وتحدث ثم دخل إلى داره فإذا جـواريه يختصـمن فضـرب واحـدة منهن ضربتيـن وشرع فى الضـربـة الثالثة فسقط ميتا ودفن من الغد فى تربته خارج ميدان الحصى ظاهر دمشق وكـان جوادا كريما وله مكانة عنـد الملك الناصر الكبير بحيث إنه أمَّر أولاده الثـلاثة وكان بعث الملك الصالح بالقبض عليه فبلغ القاصد موته فى قطيا فعاد.

خوخة الأرقى: بحاره الباطليـة يخرج منها إلى سوق الغنم وغيره وهى بجوار داره.

خوخة عسيلة: هذه الخوخة من الخوخ القديمة الفاطمية وهى بحـارة الباطليـة ممـا يلى حارة الـديلم فى ظهـر الزقـاق المعروف بخرابة العجيل بجوار دار الست حدق.

خوخة الصالحية: هذه الخوخة بجوار حبس الديلم قريبة من دار الصـالح طـلائع بن رزيك التى هـدمهـا ابن قـايمـار وعمرها وكانت تعرف هذه الخـوخة أولا بخوخة بحتكين وهو الأميـر جمـال الدولـة بحتكين الظـاهـرى ثم عرفت بخـوخـة الصالح طلائع بن رزيك لأن داره كانت هناك وبها كان سكنه قبل أن يلى وزارة الظافر.

خوخة المطوع : هذه الخوخة بحارة كتامة في أولها مما يلي الجامع الأزهر عند اصطبل الحسام الصفدى عرفت بالمطوع الشيرازى .

خوخة حسين : هذه الخوخة فى الزقاق الضيق المقابل لمن يخرج من درب الإسوانى ويسلك فيه إلى حكر الرصاصى بحارة الديلم ويعرف هذا الزقاق بزقاق المزار وفيه قبر تزعم العامة ومن لا علم عنده أنه قبر يحيى بن عقب وإنه كان مؤدبا للحسين بن على بن أبى طالب وهو كذب مختلق وإفك مفترى كقولهم فى القبر الذى بحارة برجوان إنه قبر جعفر الصادق وفى القبر الآخر إنه قبر أبى تراب النخشبى وفى القبر الذى على يسرة من خرج من باب الحديد ظاهر زويلة إنه قبر زارع النوى وإنه صحابى وغير ذلك من أكاذيبهم التى اتخذها لهم شياطينهم أنصابا ليكونوا لهم عزا .

وحسين هذا هو الأمير سيف الدين بن أبى الهيجاء صهر بنى رزيك وزوج ابنة الصالح بن رزيك وكان كرديا قدمه الصالح بن رزيك ابن الصالح لما ولى الوزارة ونوه به فلما مات وقام من بعده ابنه رزيك بن الصالح فى الوزارة كان حسين هذا هو مدبر أمره بوصية الصالح واستشار حسينا فى صرف شاور عن ولاية قوص فأشار عليه بإبقائه فأبى وولى الأمير أبا الرفعة مكانه وبلغ ذلك شاور فخرج من قوص إلى طريق الواحات فلما سمع رزيك بمسيره رأى فى النوم مناما عجيبا فأخبر حسينا بأنه رأى مناما فقال إن بمصر رجلا يقال له أبو الحسن على بن نصر الإرتاجى وهو حاذق فى التعبير فأحضره وقال رأيت كأن القمر قد أحاط به حنش وكأننى روّاس فى حانوت فغالطه الإرتاجى فى تعبير الرؤيا وظهر ذلك لحسين فأمسك حتى خرج وقال له ما أعجبنى كلامك والله لابد أن تصدقنى ولا بأس عليك فقال يا مولاى القمر عندنا هو الوزير كما أن الشمس الخليفة والحنش المستدير عليه حبس مصحف وكونه رواس، اقلبها تجدها شاور مصحفا وما وقع لى غير هذا فقال حسين اكتم هذا عن الناس وأخذ حسين فى الاهتمام بأمره ووطأ أنه يريد التوجه إلى مدينة الرسول ﷺ وكان قد أحسن إلى أهلها وحمل إليها مالا وقماشا وأودعه عند من يثق به هذه وأمر شاور يقوى ويتزايد ويصل الإرجاف به إلى أن قرب من القاهرة فصاح الصائح فى بنى رزيك وكانوا أكثر من ثلاثة آلاف فارس فأول من نجا بنفسه حسين وسار فسأل عنه رزيك فقالوا خرج فانقطع قلبه لأن حسينا كان مذكورا بالشجاعة مشهورا بها وله تقدم فى الدولة ومكانة وممارسة للحروب وخبرة بها ولم يثبت بعد خروج حسين بل انهزم إلى ظاهر طفيح فقبض عليه ابن النيض مقدم العرب وأحضره إلى شاور فحبسه وصدقت رؤياه ومات حسين فى سنة ...

خوخة الحلبى : هذه الخوخة فى آخر اصطبل الطارمة بجوار حمام الأمير علم الدين سنجر الحلبى وفى ظهر داره .
وسنجر الحلبى : أحد المماليك الصالحية ، ترقى فى الخدم إلى أن ولاه الملك المظفر سيف الدين قطز نيابة دمشق فلما قتل قطز على عين جالوت وقام من بعده فى السلطنة بالديار المصرية الملك الظاهر بيبرس ثار سنجر بدمشق فى سنة ثمان وخمسين وستمائة ودعا إلى نفسه وتلقب بالملك المجاهد وبقى أشهرا والملك الظاهر يكاتب أمراء دمشق إلى أن خامروا على سنجر وحاصروه بقلعة دمشق أياما فلما خشى أن يقبض عليه فر من القلعة إلى بعلبك فجهز إليه الظاهر الأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى وما زال يحاصره حتى أخذه أسيرا وبعث به إلى الديار المصرية فاعتقله الظاهر ومازال فى الاعتقال من سنة تسع وخمسين إلى سنة تسع وثمانين وسبعمائة مدة تنيف على ثلاثين سنة مدة أيام الملك الظاهر، وولديه، وأيام الملك المنصور قلاوون فلما ولى الملك الأشرف خليل بن قلاوون أخرجه من السجن وخلع عليه وجعله أحد الأمراء الأكابر على عادته فلم يزل أميرا بمصر إلى أن مات على فراشه فى سنة اثنين وتسعين وسبعمائة وقد جاوز تسعين سنة وانحنى ظهره وتقوس .

خوخة الجوهرة : هذه الخوخة بآخر حارة زويلة عرفت اليوم بخوخة الوالى لقربها من دار الأمير علاء الدين الكورانى والى القاهرة وكان من خير الولاة يحفظ كتاب الحاوى فى الفقه على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه وأقام فى ولاية القاهرة من محرم سنة تسع وأربعين وسبعمائة بعد أستدمر القلنجى والى القاهرة إلى ...

خوخة مصطفى : هذه الخوخة بآخر زقاق الكنيسة من حارة زويلة يخرج منها إلى القبو الذى عند حمام طاب الزمان المسلوك منه إلى قبو منظرة اللؤلؤة على الخليج عرفت بالأمير

فارس المسكين مصطفى أحد أمراء بنى أيوب الملوك وهو أيضا صاحب هذا الحمام.

خوخة ابن المأمون: هذه الخوخة فى حارة زويلة بالدرب الذى بقرب حمام الكويك، ويقال لهذه الخوخة اليوم باب حارة زويلة، وأصلها خوجة فى درب ابن المأمون البطائحى.

خوخة كوتيه آق سنقر: هذه الخوخة فى الزقاق الذى يظهر المدرسة الفخرية بآخر سويقة الصاحب كان يسلك منها إلى الخليج من جوار باب الذهب وموضعها بحذاء بيت القاضى أمين الدين ناظر الدولة ولم تزل إلى أن بنى المهتار عبد الرحمن البابا داره بجوارها فى سنى بضع وتسعين وسبعمائة فسدها وعرفت هذه الخوخة أخيرا بخوخة المسيرى وهو قمر الدين بن السعيد المسيرى.

خوخة أمير حسين: هذه الخوخة من جملة الوزيرية يخرج منها إلى تجاه قنطرة أمير حسين فتحها الأمير شرف الدين حسين بن أبى بكر بن إسماعيل بن حيدرة بيك الرومى حين بنى القنطرة على الخليج الكبير وأنشأ الجامع بحكر جوهر التوبى. وجرى فى فتح هذه الخوخة أمر لا بأس بإيراده وهو أن الأمير حسين قصد أن يفتح فى السور خوخة لتمر الناس من أهل القاهرة فيها إلى شارع بين السورين ليعمر جامعه فمنعه الأمير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة من ذلك إلا بمشاورة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان للأمير حسين إقدام على السلطان وله به مؤانسة فعرفه أنه أنشأ جامعا وسأله أن يفسح له فى فتح مكان من السور ليصير طريقا نافذا يمر فيه الناس من القاهرة ويخرجون إليه فأذن له فى ذلك وسمح به فنزل إلى السور وخرق منه قدر باب كبير ودهن عليه رنكه بعد ما ركب هناك بابا ومر الناس منه واتفق أنه اجتمع بالخازن والى القاهرة وقال له على سبيل المداعبة كم كنت تقول ما أخلّيك تفتح فى السور بابا حتى تشاور السلطان ها أنا قد شاورته وفتحت بابا على رغم أنفك فحنق الخازن من هذا القول وصعد إلى القلعة ودخل على السلطان وقال ياخوند أنت رسمت للأمير شرف الدين أن يفتح فى السور بابا وهو سور حصين على البلد فقال السلطان إنما شاورنى أن يفتح خوخة لأجل حضور الناس للصلاة فى جامعه فقال الخازن ياخوند ما فتح إلا بابا يعادل باب زويلة وعمل عليه رنكه وقصد يعمل سلطانا على البارد وما جرت عادة أحد بفتح سور البلد فأثر هذا الكلام من الخازن فى نفس السلطان أثرا قبيحا وغضب غضبا شديدا وبعث إلى النائب وقد اشتد حنقه بأن يسفر حسين بن حيدر إلى دمشق بحيث لا يبيت فى المدينة فخرج من يومه من البلد بسبب ما تقدم ذكره.

(لسان العرب لابن منظور ١٥ / ١٢٨٤، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ٢ / ٤٥ ـ ٤٧).

*** خودا بنده (ضريح):**

قال عنه الأستاذ الدكتور ثروت عكاشة:

أقيم هذا الضريح للأميرة خودا بنده ابنة السلطان أولجايتو أحد سلاطين الإيلخانات، غير أنه جاء مخالفا كل التقاليد المعمارية السائدة فى إيران فى ذلك الوقت. وهو واحد من النماذج المتأخرة لهذا الطراز من المقابر فى الأناضول، ويمتاز بغنى زخارفه. وتدلنا الأفاريز التى تثقلها المقرنصات والتى طوقت أعلى البناء وأسفله على مدى ما كان يتسم به الذوق السلجوقى من غرابة وشغف بقلب النظام التقليدى للعناصر المعمارية ووضعها فى غير مواضعها. ومع أن حشوات الزخرفة المركبة على مسطحات البناء جاءت ضحلة العمق إلا أنها تكشف عن أن الصُّناع كانوا لا يزالون على مستوى عال من الإجادة والبراعة. وتنفرد هذه المقبرة السداسية الأضلاع بنافذة فى كل واجهة من واجهاتها الستة متسقة مع سياج القضبان الحجرية الأنيقة، كما تزخر بنقوش زخرفية تمثل حوريات البحر، والمرأة العقاب «هاربى» أو أُسودا قد نهضت على قوائمها الخلفية. وأهم ما يسترعى انتباهنا فى هذا البناء الغريب أن منطقة الانتقال فوق الواجهات الست تحتوى على بروزات مثلثة مستندة إلى مقرنصات من أسفلها حولت المسدس إلى اثنى عشر ضلعا. وقد شُيد السقف الجمالونى العلوى من ستة أضلاع، محمَّلا على هذه البروزات التى تتوسط الواجهات الست مما أضفى على التصميم المعمارى حركة ديناميكية. وقد أحيت المثلثات البارزة أسطح واجهات المبنى الستة، ولعلها ترمز بحشواتها الزخرفية المعقودة فوق المقرنصات، ومن تحتها النافذة إلى العينين والأنف والفم فى وجه الإنسان.



ضريح خودابندا بالأناضول

والصورة تبين الأضلاع الستة السفلى تعلوها البروزات المثلثة فى كل ضلع من أضلاع المسدس. وقد ركبت أضلاع السقف الجمالونى الستة على رؤوس نتوءات هذه البروزات المثلثة، وليس على أضلاع المسدس نفسه كما هو المتوقع.

(القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية ـ د. ثروت عكاشة / ٢٨٣).

***الخَوَرْنَق:**

قال ياقوت:

الخَوَرْنَقُ: بفتح أوله وثانيه، وراء ساكنة، ونون مفتوحة، وآخره قاف: بلد بالمغرب، قرأت فى كتاب النوادر الممتعة لأبى الفتح بن جنى: أخبرنا أبو صالح السليل بن أحمد عن أبى عبد الله محمد بن العباس اليزيدى قال: قال الأصمعى سألت الخليل بن أحمد عن الخورنق فقال: ينبغى أن يكون مشتقا من الخِرْنِق الصغير من الأرانب، قال الأصمعى: ولم يصنع شيئا إنما هو من الخُورْنْقاه، بضم الخاء وسكون الواو وفتح الراء وسكون النون والقاف، يعنى موضع الأكل والشرب بالفارسية، فعربته العرب فقالت الخورنق ردته إلى وزن السفرجل؛ قال ابن جنى: ولم يؤت الخليل من قِبل الصنعة لأنه أجاب على أن الخورنق كلمة عربية، ولو كان عربيا لوجب أن تكون الواو فيه زائدة كما ذكر لأن الواو لا تجىء أصلا فى ذوات الخمسة على هذا الحد فجرى مجرى الواو كذلك، وإنما أتى من قبل السماع، ولو تحقق ما تحققه الأصمعى لما صرف الكلمة؛ أنَّى وسيبويه إحدى حسناته؟

والخورنق أيضا: قرية على نصف فرسخ من بلخ، يقال لها خبنك، وهو فارسى معرب من خرنكاه، تفسيره موضع الشرب؛ ينسب إليها أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد البسطامى الخورنقى، وهو أخو عمر البسطامى الخورنقى، كان يسكن الخورنق فنسب إليها، سمع أباه أبا الحسن بن أبى محمد وأبا هريرة عبد الرحمن بن عبد الملك ابن يحيى بن أحمد القلانسى وأبا حامد أحمد بن محمد الشجاعى السرخسى وأبا القاسم أحمد بن محمد الخليلى وأبا إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأصبهانى التاجر، وكانت له إجازة من أبى على السرخسى، كتب عنه أبو سعد، وكانت ولادته فى العشر الأخير من شهر رمضان سنة ٤٦٨ ببلخ، ووفاته بالخورنق فى السابع عشر من رمضان سنة ٥٥١؛ وأما الخورنق الذى ذكرته العرب فى أشعارها وضربت به الأمثال فى أخبارها فليس بأحد هذين إنما هو موضع بالكوفة قال أبو منصور: هو نهر؛ وأنشد:

وتجبى إليه السيلحون ودونها
صريفون فى أنهارها والخورنق

قال: وهكذا قال ابن السكيت فى الخورنق، والذى عليه أهل الأثر والأخبار أن الخورنق قصر كان بظهر الحيرة، وقد اختلفوا فى بانيه فقال الهيثم بن عدى: الذى أمر ببناء الخورنق النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدى بن نصر بن الحارث بن عمر بن لخم بن عدى بن مرة بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان، ملك ثمانين سنة وبنى الخورنق فى ستين سنة، بناه له رجل من الروم يقال له سِنِمَّار، فكان يبى السنتين والثلاث ويغيب الخمس سنين وأكثر من ذلك وأقل، فيُطلب فلا يُوجد، ثم يأتى فيحتج، فلم يزل يفعل هذا الفعل ستين سنة حتى فرغ من بنائه، فصعد النعمان على رأسه ونظر إلى البحر تجاهه والبر خلفه فرأى الحوت والضب والظبى والنخل فقال: ما رأيت مثل هذا البناء قط! فقال له سنمّار: إنى أعلم موضع آجُرَّة لو زالت لسقط القصر

كله، فقال النعمان: أيعرفها أحد غيرك؟ قال: لا، قال: لا جرم لأدعنها وما يعرفها أحد! ثم أمر به فقذف من أعلى القصر إلى أسفله فتقطع، فضربت العرب به المثل، قال شاعر:

جزاني جزاه الله شر جزائه، جزاء سنمار، وما كان ذا ذنب

سوى رَمِّه البنيان، ستين حجة، يعلُّ عليه بالقراميد والسكب

فلما رأى البنيان تم سحوقه، وآض كمثل الطود والشامخ الصعب

فظن سنمار به كل حبوة، وفاز لديه بالمودة والقُرْب

فقال اقذفوا بالعلج من فوق رأسه! فهذا، لعمر الله من أعجب الخطب

وقد ذكرها كثير منهم وضربوا سنمار مثلا، وكان النعمان هذا قد غزا الشام مرارا وكان من أشد الملوك بأسا، فبينما هو ذات يوم جالس في مجلسه في الخورنق فأشرف على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار مما يلي المغرب وعلى الفرات مما يلي المشرق والخورنق مقابل الفرات يدور عليه على عاقول كالخندق فأعجبه ما رأى من الخضرة والنور والأنهار فقال لوزيره: أرأيت مثل هذا المنظر وحسنه؟ فقال: لا والله أيها الملك ما رأيت مثله لو كان يدوم! قال: فما الذي يدوم؟ قال: ما عند الله في الآخرة، قال: فبم ينال ذلك؟ قال: بترك هذه الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده، فترك ملكه في ليلته ولبس المسوح وخرج مختفيا هاربا، ولا يعلم به أحد ولم يقف الناس على خبره إلى الآن، فجاؤوا بابه بالغداة على رسمهم فلم يؤذن لهم عليه كما جرت العادة، فلما أبطأ الإذن أنكروا ذلك وسألوا عن الأمر فأشكل الأمر عليهم أياما ثم ظهر تخليه من الملك ولحاقه بالنُّسك في الجبال والفلوات، فما رؤي بعد ذلك ويقال: إن وزيره صحبه ومضى معه؛ وفي ذلك يقول عدي بن زيد:

وتبين رب الخورنق، إذ أشرف يوما، وللهُدى تفكير

سره ما رأى وكثرة ما يمـ ـلك والبحر معرضا والسدير

فارعوى قلبه وقال فما غبـ ـطة حي إلى الممات يصير

ثم بعد الفلاح والملك والإمـ ـمَة وارتهم هناك القبور

ثم صاروا كأنهم ورق جفـ ـف، فألوت به الصبا والدبور

وقال عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة عند غلبة خالد بن الوليد على الحيرة في خلافة أبي بكر، رضي الله عنه:

أبعد المنذرين أرى سواما تروَّح بالخورنق والسدير

تحاماه فوارس كل حي، مخافة ضيغم عالي الزئير

فصرنا، بعد هلك أبي قبيس، كمثل الشاء في اليوم المطير

تقسَّمنا القبائل من معد كأنا بعض أجزاء الجزور

وقال ابن الكلبي: صاحب الخورنق والذي أمر ببنائه بهرام جور بن يزدجرد بن سابور ذي الأكتاف، وذلك أن يزدجرد كان لا يبقى له ولد وكان قد لحق ابنه بهرام جور في صغره عِلة تشبه الاستسقاء فسأل عن منزل مريء صحيح من الأدواء والأسقام ليبعث بهرام إليه خوفا عليه من العلة، فأشار عليه أطباؤه أن يخرجه من بلده إلى أرض العرب ويسقى أبوال الإبل وألبانها، فأنفذه إلى النعمان وأمره أن يبني له قصرا مثَّله على شكل بناء الخورنق، فبناه له وأنزله إياه وعالجه حتى برأ من مرضه، ثم استأذن أباه في المقام عند النعمان فأذن له، فلم يزل عنده نازلا قصره الخورنق حتى صار رجلا ومات أبوه فكان من أمره في طلب الملك حتى ظفر به ما هو متعارف مشهور؛ وقال الهيثم بن عدي: لم يقدم أحد من الولاة الكوفة إلا أحدث في قصرها المعروف بالخورنق شيئا من الأبنية، فلما قدم الضحاك بن قيس بنى فيه مواضع وبيَّضه وتفقده، فدخل إليه

شريح القاضي فقال: يا أبا أمية أرأيت بناء أحسن من هذا؟ قال: نعم، السماء وما بناها! قال: ما سألتك عن السماء، أقسم لتسبن أبا تراب، قال: لا أفعل، قال: ولم؟ قال: لأنا نعظم أحياء قريش ولا نسب موتاهم، قال: جزاك الله خيرا! وقال علي بن محمد العلوي الكوفي المعروف بالحماني:

كم وقفة لك بالخور — نق ما توازي بالمواقف
بين الغدير إلى السدير — إلى ديارات الأساقف
فمدارج الرهبان في — أطمار خائفة وخائف
دِمَنٌ كأن رياضها — يكسين أعلام المطارف
وكأنما غدرانها — فيها عشور في مصاحف
وكأنما أغصانها — تهتز بالريح العواصف
طُرر الوصائف يلتقين — بها إلى طرر المصاحف
تلقى أواخرها أوا — ئلها بألوان الزفارف
بحرية شتواتها، — برية منها المصائف
درية الصهباء كا — فورية منها المشارف

(معجم البلدان ٢/ ٤٠١_٤٠٣).

انظر: السّدير

* **الخورنق والسدير:**

انظر: الخورنق، السدير

* **خُوز**

قال ياقوت:

خوز: بضم أوله، وتسكين ثانيه، وآخره زاي: بلاد خوزستان يقال لها الخوز، وأهل تلك البلاد يقال لهم الخوز وينسب إليه؛ ومنهم: سليمان بن الخوزي، روى عن خالد الحذاء وأبي هاشم الرماني، حدث عنه عبد الله بن موسى؛ وعمرو بن سعيد الخوزي، حدث عنه عباد بن صهيب.

والخوز أيضا، شعب الخوز: بمكة؛ قال الفاكهي محمد ابن إسحاق: إنما سمي شعب الخوز لأن نافع بن الخوزي مولى عبد الرحمن بن نافع بن عبد الحارث الخزاعي نزله وكان أول من بنى فيه، ويقال شعب المصطلق، وعنده صُلِّي على أبي جعفر المنصور؛ ينسب إليه أبو إسماعيل إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي مولى عمر بن عبد العزيز، حدث عن عمرو ابن دينار وأبي الزبير وغيرهما بمناكير كثيرة وكان ضعيفا، روى عنه المعتمر بن سليمان والمعافى بن عمران الموصلي؛ وقال التوزي: الأهواز تسمى بالفارسية هُرمشير وإنما كان اسمها الأخواز فعربها الناس فقالوا الأهواز، وأنشد لأعرابي:

لا ترجعن إلى الأخواز ثانية — قُعيقعان الذي في جانب السوق
ونهر بط الذي أمسى يؤرقني — فيه البعوض بلَسب غير تشفيق

والخوز ألأم الناس وأسقطهم نفسا؛ قال ابن الفقيه قال الأصمعي: الخوز هم الفعلة وهم الذين بنوا الصرح واسمهم مشتق من الخنزير، ذهب أن اسمه بالفارسية خوه فجعله العرب خوز، زادوه زايا كما زادوها في رازي ومروزي وتوزي؛ وقال قوم: معنى قولهم خوزي أي زيهم زي الخنزير، وهذا كالأول، وروى أن كسرى كتب إلى بعض عماله: ابعث إليَّ بشرِّ طعام على شر الدواب مع شر الناس، فبعث إليه برأس سمكة مالحة على حمار مع خوزي؛ وروى أبو خيرة عن علي ابن أبي طالب، رضي الله عنه، أنه قال: ليس في ولد آدم شر من الخوز ولم يكن منهم نجيب؛ والخوز: هم أهل خوزستان ونواحي الأهواز بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان.

والخوزيون: محلة بأصبهان نزلها قوم من الخوز فنسبت إليهم فيقال لها در خوزيان؛ نسب إليها أبو العباس أحمد بن الحسن بن أحمد الخوزي يعرف بابن نجوكه، سمع أبا نعيم الحافظ، وقيل إنه آخر من حدث عنه السمعاني منه إجازة، ومات في سنة ٥١٧ أو ٥١٨؛ وأحمد بن محمد

ابن أبى القاسم بن فليزة أبـو نصر الأمين الخوزى الأصبهانى، سكن سكة الخوزيين، بها سمع أبـا عمرو بن منده وأبا العلاء سليمان بن عبد الرحيم الحسناباذى، مات يوم الأربعاء ثالث عشر شوال سنة ٥٣١؛ ذكره فى التحبير.

(معجم البلدان ٢/ ٤٠٤).

*** خوزان:**

قال ياقوت:

خوزان: بضم أوله، وبعد الواو زاى، وآخره نون: قرية من نـواحى هراة. وخـوزان أيضا: قـريـة من نواحى ينج ده كثيـرة الخير والخضرة، وهاتان من نـواحى خراسان؛ قال الحازمى: وخوزان من قـرى أصبهان ورأيتها، قـال: وقال لى أبـو موسى الحافظ وينسب إليها أحمد بن محمد الخوزانى شاعر متأخر، روى عنه أبو رجاء هبة الله بن محمد بن على الشيرازى؛ قال: انشدنى أحمد بن محمد الخوزانى لنفسه:

خـــذ فى الشبـــاب مـن الهـــوى بنصيب،
إن المشيب إليـــــه غيــــــر حبيب
ودع اغتــــرارك بـــالخضـــاب وعـــاره،
فـــالشيب أحسـن مـن ســـواد خضيب

وفى التحبير: محمد بن على بن محمد المعلم أبو سحمة الصوفى الخـوزانى من أهل مرو، وكـان شيخا فقيرا صـالحا، سمع أبا الفتح عبد الرزاق بـن حسان المنيعى، وسمع منه أبو سعد بالدرق، وكانت ولادتـه فى حدود سنة ٤٧٠، ومات فى سنة ٥٣٢ أو ٥٣٣.

(معجم البلدان ٢/ ٤٠٣، ٤٠٤).

*** خوزستان:**

الإقليم الحـادى عشـر من أقـاليم العـالـم وفقـا لتقسيم المقدسى، وقـد جعل المقدسى خوزستان مجمـوعة واحدة، وبهذا انفرد بذلك، وخالف الإصطخرى إذ جعل السوس كورة من كور هذا الإقليم.

وقد قسم المقـدسى إقليم خوزستان إلى سبع كـور، أولها من قبل الجبال: السوس، ثم جنديسابور (أوردناها فى م ١٢ / ٣٨٣، ٣٨٤)، ثم تُستــر (أوردنـــاهـــا فى م ٩ / ٣٣٠ـ ٣٣٢)، ثم عسكر مكرم، ثم الأهواز (أوردناها فى م ٦ / ٢٢٣ ـ ٢٢٥)، ثم رام هرمز، ثم الـدورق. وفيما يلى بيان بكل كورة وقصبتها ومدنها كما أوضحها المقدسى.

الكور	القصبة الناحية	المدن
١ ـ السوس من تخوم العراق وحد الجبال	السوس	بصنا. متوت، بيروت، البذان. قرية الرمل. كرخة.
٢ ـ جند يسابور		الدز، الروناش، بايوه، قاضبين. اللور.
٣ ـ تستر		ليس لهـا مدن، وهـذا ما يخـالف أصل المقدســـى الذى اعتبر أنه لا بد لكل قصبة من مدن.
٤ـ العسكر	عسكر مكرم	بهـا رستـاق المشـرقـان لهـا من المــدن: جـوبك، وزيســدان، سوق الثلثاء، حبك، ذو قرطم، برجان خان، طوق سوق العسكر يوم الجمعة. ثم إلـى خان طوق ست مـدائن على أســامى أيـام الأسبوع لكل يوم سوق.
٥ ـــ الأهـــواز مصر الإقليم		نهر تيرى، مناذر الكبرى. مناذر الصغرى، جوزدك بيـروه، سوق الأربعاء حصن مهدى، باسيان، شوارب، بندم، الدورق، وسنة، جبى.
٦ ـــ الـــدورق تـاخـم العـراق على القرنة	الدورق	آزر، أجم. بخسـا بـاذ، الـدز اندبار، ميراقيان، ميراثيان.
٧ ـ رام هرمز	رام هرمز	سنبل، إيـذج، تيرم، بـازنك، لاذ، غروة، بابج كوزوك.

(المقدسى/ ٧٦، ٩٨، ٩٩).

قال المقدسى عن خوزستان:

هذا إقليم أرضه نحاس نباتها الذهب، كثير الثمار والأرزاز والقصب، وفيه الإنجاص والحبوب والرطب، والأترنج الفائق والرمان والعنب، نزيه طيب أنهاره عجب. بزه الديباج والخز، والـرقاق من القطن والقـز. معدن السكـر، والقند (هـو عسل قصب السكر إذا جمد معرب) والحلواء الجيدة وعسل القطر. بـه تستـر التـى اسمهـا فى المشـرقين. والعسكـر التى تميـز الـدولتين، والأهـواز المشهـورة فـى الخـافقين. وبَصِنًـا التى ستورها فى الدنيا إلى سدرة المنتهى، ومثـــل خز الســوس

١٩ و ٢٠



لا ترى . ومع هذا به معادن النفط والقار، ومزارع الرياحين والأطيار. ثم واسطة بين فارس والعراق به كانت وقائع الإسلام وثَمّ معارك القوم وقبر دانيال لا يخلو من فقيه وأستاذ ولا فى الثمانية أفصح منهم لغات، به الدواليب الظريفة، والطواحين الغريبة، والأعمال العجيبة، والخصائص الكثيرة، والمياه الغزيرة. دخله كان يعضد الخليفة، وله آثين وطيبه . لم يطب لى فى الثمانية غيره ...

ولا تراهم مع تلك الأموال الجمة والتجارات العجيبة والصناعة النفيسة عندهم من التمييز والتدبير ما عند غيرهم، إذا ترعرع أولادهم طرحوهم فى الغرب وأبلوهم بالأسفار والكسب فيتيهون من بلد إلى بلد ولا حظ لهم فى علم ولا أدب . والخوز ما علا عن الأهواز لأن أكثر أهل الأهواز ناقلة من البصرة وفارس . وكنت يوما أسير مع أبى جعفر بن محسن بالأهواز فشاجره بعض السوقة فقال له أنتم معاشر الخوز لا خير فيكم، فقال له السوقى . الخوز ما كان فوق الأهواز مثل العسكر وجنديسابور والسوس وأما نحن فعراقيون ...

اعلم أن هذا الإقليم كان يعرف قديما بالأهواز وسبع كورها والآن قد تعطلت بعض تلك الكور واختلف فى بعض وناقص أصولنا بعض، وقد قلنا إن مثل الملوك فى علمنا مثل الصحابة فى علم الشريعة، إذا قال أحدهم قولا لم يُعلم له مخالف من الصحابة عمل بقوله وكان حجة، وكان عضد الدولة من أجلة ملوك زمانه لأن له فى الإسلام آثارا وعجائب ألا ترى إلى مدنه التى بناها وأنهاره التى كراها والأسماء التى اخترعها والأشياء التى ابتدعها. وقد كان يسمى هذا الإقليم سبع الكور وتعارف الناس ذلك فاتبعناه فى ذلك إذ لم نجد له مخالفا. فأولها من قبل الجبال السوس ثم جنديسابور ثم تُستر ثم عسكر مكرم ثم الأهواز ثم رام هرمز ثم الدورق هذه الأسامى تجمع الكور والقصبات وهن قليلات المدن والإقليم قريب الأطراف .

ثم يتكلم المقدسى على كل كورة من الكور السبع على حدة، وقد سبق أن ذكرنا فى أول المادة أننا أوردنا كلا من الأهواز، وتُستر، وجنديسابور، ونورد باقى الكور فى مواضعها إن شاء الله تعالى ــ وبعدها يتكلم على جمله شئون إقليم خوزستان فيقول :

هو إقليم حار مياهه معتدلة إلا ماء جنديسابور فإنه مع صحته خشن، وهواء السوس غير صحيح وكلما قرب من دجلة بغداد فهو أصحُّ، وبه نخل كثير، وليس به جبل شاهق ولا رمل دهس إلا بين البذان ونهر تيرى ولا يقع به ثلج ولا يتجلد الماء إلا بسواد رام هرمز ويشق أكثره الأنهار يجرى فى جميعها السفن . قليل النصارى غير كثير اليهود والمجوس، وبه مذكرون لهم جلبة وأدنى صيت، وبه متقرئون إلا الأهواز ورباطات وتصوف إلا العسكر، وقبلتهم غير صحيحة بخاصة بصِنًّا، ولما عُدت منه إلى البصرة قال لى أصدقائى يمزحون أعد الصلوات التى صليتها بخوزستان فإنهم يصلونها إلى غير القبلة .

ومذاهبهم مختلفة هو أكثر الإقليم معتزلة أما العسكر فكلهم وأكثر أهل الأهواز ورام هرمز والدورق وبعض أهل جنديسابور، وأما السوس وأجنادها فحنابلة وحُبيَّة، ونصف الأهواز شيعة، وبه أصحاب أبى حنيفة كثير ولهم فقهاء وأئمة وكبراء، وبالأهواز مالكيون. ولما دخلت السوس قصدت الجامع فى طلب شيخ أسمع منه شيئا من الحديث وعلىَّ جبة صوف قبرصية وفوطة بصرية فدفعت إلى مجلس الصوفية فلما

قربت منهم لم يشكوا إلا وأنا صوفي، فتلقوني بالترحيب والتحية وأجلسوني فيما بينهم وجعلوا يسألونني، ثم بعثوا رجلا فأتي بطعام فجعلت انقبض عن الأكل وما كنت صحبت هذه الطائفة قبل ذلك، فجعلوا يتعجبون من انقباضي وعدولي عن رسومهم، وقد كنت أحب أن أخالط هذه الطائفة وأعرف طريقتهم وأعلم حقائقهم، فقلت في نفسي هذا وقتك هذا موضع أنت به مجهول فانبسطت إليهم فكشفت ثوب الحياء عن وجهي، فمرة كنت أراسلهم وكرة أزعق معهم وتارة أقرأ لهم القصائد وأخرج معهم إلى الرباطات وأذهب إلى الدعوات حتى والله حللت من قلوبهم وقلوب أهل البلد بحيث لا غاية ووقع لي بها اسم وقصدني الزوار وحُملت إليَّ الثياب والصُّرر وكنت آخذه وأدفعه إليهم برمته في الوقت لأني كنت غنيا، في وسطي نفقة وافرة وأنا كل يوم في دعوة وأي دعوة وكانوا يظنون أني أفعله زهدا وجعل الناس يتمسحون بي ويذيعون خبري ويقولون لم نر فقيرا قط أفضل من هذا حتى إذا وقفت على سرائرهم وعرفت ما أردت منهم هربت منهم في سجو ليلة فأصبحت وقد قطعت أرضا. فبيا أنا يوم بالبصرة وعليَّ ثوبي وغلام يتبعني إذ رآني رجل منهم فوقف ينظر إليَّ شبه المتعجب فجزت عليه شبه المنكر.

ورسومهم لا يتطلس إلا وجيه أكثرها أردية مربعة والعوام بالمناديل والفوط، ولهم لباقة، وإذا صلى الإمام الغداة بجوامعهم اجتمع عليه الناس فختم بها ودعا وكذلك بشيراز، والخطباء به يلبسون الأقبية والمناطق (وهو ما يُشد به الوسط) على رسم العراق ولا يهللون بعد الجمعة ويلتفت الخطيب يمينا وشمالا ويضجون بالدعاء خلف الصلوات على رسم الشام ومصر. ويدخلون الحمامات بلا ميازر، ويكثرون خبز الأرز وركوب البقر ووضع حباب الماء (هي الجرار الضخمة) في الشوارع والطرق بين الأجناد على كل فرسخ وربما حُمل إليها الماء من بعد. ورسومهم قريبة من رسوم العراق يختارون ما كبر من الفصوص وجل من اللؤلؤ، ولا يرى في الإسلام أصح من موازين العسكر ثم الكوفة.

والتجارات به مفيدة لأن كل سكّر تراه ببلدان الأعاجم والعراق واليمن فمن ثَم يُحمل، ويرتفع من تستر الديباج الحسن والأنماط وثياب مروية حسنة وفواكه كثيرة، ومن السوس السكر الكثير وبز والخزوز، ومن العسكر مقانع القز تحمل إلى بغداد وبز جيد له بقاء وثياب القنب والمناديل وغير ذلك مما يرتفق به أهل الأهواز، وستور بصنا وأنماط قرقوب معروفة، وتعمل بنواحي واسط ستور يكتب عليها مما عُمل ببصنًا وتخرج خروجها وليست مثلها، ويعمل بالأهواز فوط من القز حسنة تلبسها النساء، ويعمل بنهر تيرى أُزُر كبار.

ولهم خصائص ليس مثل مُرى جنديسابور وحلواء الإقليم، وخز السوس غير العمائم لأن سكب الكوفة لا نظير له (السكب ضرب من الثياب) وسكر العنب، وببصنا الأنماط والستور الجيدة، وبُقُول حسنة، ودستنبوى تستر (نوع من البطيخ الأصفر) وقصب السوس، ورطب نهر تيرى في غاية الجودة.

ويقع عصبيات في الأهواز بين المروشيِّين وهم شيعة وبين الفضليين وهم سنة حروب، وبين أهل البذان وبصنًا، وبين أهل تستر والعسكر، وبين أهل تستر والسوس عصبيات من أجل تابوت دانيال عليه السلام، وذلك أنهم ذكروا لما ظهر قبر دانيال عليه السلام جعل في تابوت، فكان يحمل إلى المواضع يستسقى به، قالوا فتباعد التابوت عنا ثم عاد إلى تستر، فضبطوه فبعثنا إليهم عشرة من المشايخ رهائن إلى وقت رده، فلما حصلوه شقوا له هذا النهر وبنوا هذا الأزج وخلوا عليه الماء وبقى أولائك الرهائن عندهم، فمن ثَمَّ وقعت بيننا هذه العصبيات ومن أجل هذا ذهب قدر مشايخنا إلى اليوم.

ومَنُّ الإقليم في اللحم والسمك غير الأهواز أربعة أرطال ومَنُّ الخبز مكي ومن الأهواز بغدادى في كل شيء، ونقودهم مثل المشرق الذهب بالدوانيق كل دانق ثمان وأربعون تمونة وهي الأرزة، وكل ألف درهم وزنت بأصفهان فإنها تنقص بتستر خمسة وعشرين، ثم التسترية تزيد على الأهوازية بستة دراهم، وكل مائة دينار وزنت بقزوين فإنها تزيد بتستر خمسة وأربعة دوانيق، وكل مائة درهم وزنت بخراسان نقصت بخوزستان درهمين، وليس يعرفون القيراط.

ومكاييلهم المكّوك والكُرُّ والمختوم والكف والقفيز. فمكوك جنديسابور ثلاثة أمناء ونصف، والكر أربعمائة وثمانون، ومختوم الأهواز صاعان وهو ثلاثة أكف، والقفيز

سبعة أمناء من الحنطة، وكرُّهم ألف ومائتان وخمسون منا حنطة ويكون ألفا من الشعير.

وليس فى أقاليم الأعاجم أفصح من لسانهم وكثيرا ما يمزجون فارسيتهم بالعربية ويقولون أين كتاب وصلا كن وأين كار قطعا كن، وأحسن ما تراهم يتكلمون بالفارسية حتى ينتقلون إلى العربية، وإذا تكلموا بأحد اللسانين ظننت أنهم لا يحسنون الآخر، وفى كلامهم طنين ومد فى آخره، وإذا قالوا اسمع قالوا ببخش، ويسمون الكباد خيمال. ورؤوس أهل رام هرمز مبلطحة وليس لهم صفاء ولهم لسان لا يفهم ...

وخراج الأهواز ثلاثون ألف ألف درهم، وكانت الفرس تقسط على جميع الإقليم خمسين ألف ألف درهم.

وأما المسافات تأخذ من السوس إلى قرقوب مرحلة ثم إلى الطيب مرحلة، وتأخذ من السوس إلى بصنًا بريدين ثم إلى البذان مثلها. وتأخذ من جنديسابور إلى اللور مرحلة ثم إلى الدز مرحلتين ثم إلى رايكان مرحلة ثم إلى كل بايكان ٤٠ فرسخا مفازة ثم إلى كرج أبى دلف مرحلة. وتأخذ من تستر إلى قرية الرمل مرحلة ثم إلى بصنا مرحلة. وتأخذ من العسكر إلى الحصن مرحلة ثم إلى الحصن أيضا مرحلة ثم إلى رام هرمز مرحلة. وتأخذ من العسكر إلى تستر أو إلى الأهواز مرحلة مرحلة. وتأخذ من جنديسابور إلى السوس أو إلى تستر مرحلة مرحلة ومن بيروت إلى السوس أو البذان مرحلة مرحلة. وتأخذ من الأهواز إلى شوراب بريدا ثم إلى مندم مرحلة ثم إلى قصبة الدورق مرحلة. وتأخذ من الأهواز إلى سوق الأربعاء مرحلة ثم إلى حصن مهدى مرحلة ثم إلى فم العضدى مرحلة ثم أنت فى دجلة العراق. وتأخذ من حصن مهدى إلى بيان فى سبخة على الظهر مرحلة. واعلم أن نهر الأهواز ودجلة يفيضان إلى بحر الصين بينهما هذه السبخة، وكان الناس فى القديم يذهبون فى النهر إلى البحر ثم يعودون فيدخلون من البحر إلى دجلة ثم إلى الإبلّة، وكان على خطر وفى تعب حتى شق عضد الدولة نهرا عظيما من نهر الأهواز إلى نهر دجلة طوله أربعة فراسخ والطريق اليوم فيه. وتأخذ من الأهواز إلى أجم مرحلة ثم إلى آزر مرحلة ثم إلى رام هرمز مرحلة. وتأخذ من الأهواز إلى الدورق مرحلة ثم إلى خان مرحلة ثم إلى بصنا مرحلة ثم إلى قرية الرمل مرحلة ثم إلى قرقوب مرحلة. ولها طريقان أخريان. وتأخذ من الأهواز إلى نهر تيرى مرحلة ثم إلى نهر العباس مرحلة ثم إلى الخوزية مرحلة ثم تركب الماء إلى الإبلّة مرحلة. وتأخذ من الأهواز إلى الإسحاقية مرحلة ثم إلى الجسر المحترق مرحلة ثم إلى حصن مهدى مرحلة. وتأخذ من نهر العباس إلى عسكر أبى جعفر مرحلة ثم تعبر إلى الأبلة وهى طريق الدواب. وتأخذ من رام هرمز إلى سنبل مرحلتين ثم إلى ارَّجان مرحلة. وتأخذ من رام هرمز إلى تيرم مرحلة ثم إلى غروة مرحلة ثم إلى البازير بريدين ثم إلى إيذج مرحلة ثم إلى الدز مرحلة ومن الدز إلى الدولاب مرحلة ومن الرام إلى الزط مرحلة. وتأخذ من رام هرمز إلى بده مرحلة ثم إلى جسر جهنم مرحلة (أحسن التقاسيم / ٣٠٩ـ٣٢٢).

المرحلة: المسافة يقطعها السائر نحو يوم أو ما بين المنزلين (المعجم الوسيط ١ / ٣٣٥).

أما ياقوت الحموى فيقول عن خوزستان:

خوزستان: بضم أوله، وبعد الواو الساكنة زاى، وسين مهملة، وتاء مثناة من فوق، وآخره نون: وهو اسم لجميع بلاد الخوز المذكورة قبل هذا، واستان كالنسبة فى كلام الفرس؛ قال شاعر يهجوهم:

بخوزستان أقوام
عطاياهم مواعيد
دنانيرهم بيض
وأعراضهم سود

وقال المضرجى بن كلاب السعدى أحد بنى الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم شهدوا وقائع المهلب بن أبى صفرة للخوارج فقال:

ألا يا من لقلب مستجن
بخوزستان قد ملَّ المزونا
لهان على المهلب ما لاقى،
إذا ما راح مسرورا بطينا
ألا ليت الرياح مسخرات
لحاجتنا يرحن ويغتدينا

قال أبو زيد: وليس بخوزستان جبال ولا رمال إلا شىء يسير يتاخم نواحى تستر وجنديسابور وناحية إيذج وأصبهان، وأما أرض خوزستان فأشبه شىء بأرض العراق وهوائها وصحتها، فإن مياهها طيبة جارية ولا أعرف بجميع خوزستان

بلدا ماؤهم من الآبار لكثرة المياه الجارية بها، وأما تربتها فإن ما بعُد عن دجلة إلى ناحية الشمال أيبس وأصحُّ، وما كان قريبا من دجلة فهو من جنس أرض البصرة فى السبخ وكذلك فى الصحة، قال: وليس بخوزستان موضع يجمد فيه الماء ويروح فيه الثلج، ولا تخلو ناحية من نواحيها المنسوب إليها من النخل، وهى وخمة والعلل بها كثيرة خصوصا فى الغرباء المترددين إليها، وأما ثمارهم وزروعهم فإن الغالب على نواحى خوزستان النخل ولهم عامة الحبوب من الحنطة والشعير والأرز فيخبزونه وهو لهم قوت كرستاق كسكر من واسط، وفى جميع نواحيها أيضا قصب السكر إلا أن أكثره بالمسرقان ويرفع جميعه إلى عسكر مكرم، وليس فى قصبة عسكر مكرم شىء كثير من قصب السكر وكذلك بتستر والسوس وإنما يحمل إليها القصب من نواح أخر، والذى فى هذه الثلاثة بلاد إنما يكون بحسب الأكل لا أن يستعصر منه سكر، وعندهم عامة الثمار إلا الجوز وما لا يكون إلا ببلاد الصرود.

وأما لسانهم فإن عامتهم يتكلمون بالفارسية والعربية، غير أن لهم لسانا آخر خوزيا ليس بعبرانى ولا سُريانى ولا عربى ولا فارسى، والغالب على أخلاق أهلها سوء الخلق والبخل المفرط والمنافسة فيما بينهم فى النزر الحقير، والغالب على ألوانهم الصفرة والنحافة وخفة اللحى ووفور الشعر، والضخامة فيهم قليل، وهذه صفة لعامة بلاد الجروم، والغالب عليهم الاعتزال، وفى كورهم جميع الملل، وتتصل زاوية خوزستان هذه بالبحر فيكون له هور، والهور كالنهر يند من البحر ضاربا فى الأرض تدخله سفن البحر إذا انتهت إليه، فإنه يعرض وتجتمع مياه خوزستان بحصن مهدى وتنفصل منه إلى البحر فتتصل به ويعرض هناك حتى ينتهى فى طرفه المد والجزر ثم يتسع حتى لا يُرى طرفاه.

قالوا: وغزا سابور ذو الأكتاف الجزيرة وآمد وغير ذلك من المدن الرومية فنقل خلقا من أهلها فأسكنهم نواحى خوزستان فتناسلوا وقطنوا بتلك الديار، فمن ذلك الوقت صار نقل الديباج التسترى وغيره من أنواع الحرير بتستر والخز بالسوس والستور والفرش ببلاد بصنا ومتوث إلى هذه الغاية، والله أعلم.

(معجم البلدان ٢ / ٤٠٤، ٤٠٥).

(أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى المعروف بالشارى - وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم / ٣٠٩ - ٣٢٢، والمعجم الوسيط ١/ ٣٣٥، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٤٠٤، ٤٠٥).

*** الخوف:**

جاء فى اللسان: الخوف: الفزع، خافه يخافه خوفا وخيفة ومخافة. قال الليث: خاف يخاف خوفا، وإنما صارت الواو ألفا فى يخاف لأنها على بناء عمل يعمل، فاستثقلوا الواو فألقوها، ومنها ثلاثة أشياء: الحرف والصرف والصوت، وربما ألقوا الحرف بصرفها وأبقوا منها الصوت، وقالوا يخاف، وكان حده يَخْوَفُ بالواو منصوبة، فألقوا الواو واعتمد الصوت على صرف الواو قالوا خاف، وكان حده خَوِف بالواو مكسورة، فألقوا الواو بصرفها وأبقوا الصوت، واعتمد الصوت على فتحة الخاء فصار معها ألفا لينة، ومنه التخويف والإخافة والتخوف، والنعت خائف، وهو الفزع ...

والاسم من ذلك كله الخيفة، والخيفة: الخوف. وفى التنزيل العزيز: **﴿واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة﴾** [الأعراف: ٢٠٥] (لسان العرب ١٥ / ١٢٩٠، ١٢٩١).

وقال الإمام ابن الجوزى فى باب الخوف:

الخوف: خاصة من خواص النفس، يظهر عند المخوف. والخوف لما يستقبل والحزن لما فات.

والخوف فى القرآن على خمسة أوجه:

أحدها: نفس الخوف، ومنه فى آل عمران **﴿ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** [آل عمران: ١٧٠] وفى الأعراف **﴿وادعوه خوفا وطمعا﴾** [الأعراف: ٥٦].

والثانى: العلم، ومنه فى البقرة **﴿فمن خاف من موص جنفا﴾** [البقرة: ١٨٢] وفيها **﴿فإن خفتم ألا يقيما حدود الله﴾** [البقرة: ٢٢٩] وفى النساء **﴿فإن خفتم ألا تعدلوا﴾** [النساء: ٣] وفيها **﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا﴾** [النساء: ١٢٨] وفى الأنعام **﴿وأنذر به الذين يخافون﴾** [الأنعام: ٥١].

والثالث: الظن، ومنه فى البقرة **﴿إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله﴾** [البقرة: ٢٢٩].

والرابع: القتال، ومنه فى الأحزاب ﴿فإذا جاء الخوف﴾ [الأحزاب: ١٩] وفيها ﴿فإذا ذهب الخوف﴾ [الأحزاب: ١٩].

الخامس: النكبة تصيب المسلمين من قتل أو هزيمة، ومنه فى النساء ﴿أمر من الأمن أو الخوف﴾ [النساء: ٨٣].

(لسان العرب لابن منظور ١٥/ ١٢٩٠، ١٢٩١، ومنتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر للإمام ابن الجوزى - تحقيق ودراسة محمد السيد الصفطاوى ود. فؤاد عبد المنعم أحمد/ ١٠٥، ١٠٦).

* **الخوف (صلاة ـ)**

مشروعيتها:

قوله تعالى: ﴿**وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا * وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم، ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا**﴾ [النساء: ١٠١: ١٠٢].

كما وردت فى صلاة الخوف وكيفيتها أحاديث نبوية شريفة أوردها الإمام البخارى فى صحيحه (وأرقامها ٨٥٤ - ٨٥٩) وشرحها شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى فى «فتح البارى»، وهو ما ننقله هنا، وقد وضعنا تعليقات المحقق الأستاذ طه عبد الرءوف سعد بين أقواس فى ثنايا النص، كما احتفظنا بأرقام الأحاديث كما وردت فى النص ليسهل الرجوع إليها:

٩٤٢ - حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب عن الزهرى قال: سألته هل صلى النبى ﷺ - يعنى صلاة الخوف؟ قال: أخبرنى سالم أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد فوازينا العدو فصاففناهم، فقام رسول الله ﷺ يصلى لنا فقامت طائفة معه تصلى وأقبلت طائفة على العدو، وركع رسول الله ﷺ بمن معه وسجد سجدتين ثم انصرفوا مكان الطائفة التى لم تصل، فجاءوا فركع رسول الله ﷺ بهم ركعة وسجد سجدتين ثم سلم فقام كل واحد منهم فركع لنفسه ركعة وسجد سجدتين.

(أخرجه البخارى أيضا فى المغازى عن أبى اليمان. وأخرجه مسلم أيضا عن عبد بن أبى حميد، وأخرجه أبو داود عن مسدد بن عبد الملك وأخرجه النسائى أيضا عن عبد الأعلى بن واصل).

٢ - باب صلاة الخوف رجالا وركبانا.. راجل: قائم

٩٤٣ - حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد القرشى قال: حدثنى أبى قال: حدثنا ابن جريج، عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر نحوا من قول مجاهد: إذا اختلطوا قياما. وزاد ابن عمر عن النبى ﷺ: وإن كانوا أكثر من ذلك فليصلوا قياما وركبانا.

٣ - باب: يحرس بعضهم بعضا فى صلاة الخوف.

٩٤٤ - حدثنا حيوة بن شريح قال: حدثنا محمد بن حرب، عن الزبيدى عن الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قام النبى ﷺ وقام الناس معه، فكبر وكبروا معه، وركع وركع ناس منهم، ثم سجد وسجدوا معه، ثم قام للثانية فقام الذين سجدوا معه وحرسوا إخوانهم. وأتت الطائفة الأخرى فركعوا وسجدوا معه والناس كلهم فى صلاة ولكن يحرس بعضهم بعضا.

٤ - باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو.

وقال الأوزاعى: إن كان تهيأ الفتح ولم يقدروا على الصلاة صلوا إيماء كل امرىء لنفسه، فإن لم يقدروا على الإيماء أخروا الصلاة حتى ينكشف القتال أو يأمنوا فيصلوا ركعتين. فإن لم يقدروا صلوا ركعة وسجدتين فإن لم يقدروا فلا يجزيهم التكبير ويؤخرونها حتى يأمنوا؛ وبه قال: مكحول. وقال أنس: حضرت عند مناهضة حصن تُسْتَر عند إضاءة الفجر واشتد اشتعال القتال فلم يقدروا على الصلاة فلم نصل إلا بعد ارتفاع النهار، فصليناها ونحن مع أبى موسى ففُتح لنا. وقال أنس: وما يسرنى بتلك الصلاة الدنيا وما فيها.

٩٤٥ - حدثنا يحيى، قال: حدثنا وكيع، عن على بن المبارك، عن يحيى بن كثير، عن أبى سلمة، عن جابر بن عبد الله قال: جاء عمر يوم الخندق فجعل يسب كفار قريش ويقول: يارسول الله، ما صليت العصر حتى كادت الشمس أن تغيب فقال النبى ﷺ: وأنا والله ما صليتها بعد. قال: فنزل إلى بطحان فتوضأ وصلى العصر بعد ما غابت الشمس ثم صلى المغرب بعدها.

٥ ـ باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء .

وقال الوليد: ذكرت للأوزاعى صلاة شرحبيل بن السمط وأصحابه على ظهر الدابة . فقال : كذلك الأمر عندنا إذا تخوف الفوت . واحتج الوليد بقول النبى ﷺ : لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة .

٩٤٦ ـ حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء قال : حدثنا جويرية ، عن نافع عن ابن عمر قال : قال النبى ﷺ لنا ـ لما رجع من الأحزاب (انظر: الخندق (غزوة ـ) : لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة . فأدرك بعضهم العصر فى الطريق فقال بعضهم لا نصلى حتى نأتيها . وقال بعضهم بل نصلى ، لم يرد منا ذلك . فذكر للنبى ﷺ فلم يعنف أحدا منهم (قيل أشار بذلك إلى أن صلاة الخوف لا يشترط فيها التأخير إلى آخر الوقت كما شرطه من شرطه فى صلاة الخوف عند التحام القتال . وقيل يحتمل أن يكون للإشارة إلى تعيين المبادرة إلى الصلاة فى أول وقتها) .

٦ ـ باب التبكير والغلس بالصبح والصلاة عند الإغارة والحرب .

٩٤٧ ـ حدثنا مسدد قال : حدثنا حماد ، عن عبد العزيز ابن صهيب ، وثابت البنانى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ صلى الصبح بغلس ، ثم ركب فقال : الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ، فخرجوا يسعون فى السكك ويقولون : محمد والخميس ، قال والخميس : الجيش . فظهر عليهم رسول الله ﷺ فقتل المقاتلة وسبى الذرارى فصارت صفية لدحية الكلبى ، وصارت لرسول الله ﷺ ثم تزوجها وجعل صداقها عتقها . فقال عبد العزيز لثابت : يا أبا محمد ، أنت سألت أنسا ما أمهرها؟ . قال أمهرها نفسها ، فتبسم .

(صحيح البخارى ٢ / ١٨٩ ـ ١٩٤ ، وفتح البارى ٣ / ٤١٥ ـ ٤٢٩) .

وعن صلاة الخوف يقول الإمام الفقيه القاضى أبو شجاع :

وصلاة الخوف على ثلاثة أضرب أحدها أن يكون العدو فى غير جهة القبلة فيفرقهم الإمام فرقتين فرقة تقف فى وجه العدو وفرقة خلفه فيصلى بالفرقة التى خلفه ركعة ثم تتم لنفسها وتمضى إلى وجه العدو وتأتى الطائفة الأخرى فيصلى بها ركعة وتتم لنفسها ويسلم بها . والثانى أن يكون فى جهة القبلة فيصفُّهم الإمام صفين ويحرم بهم فإذا سجد سجد معه أحد الصفين ووقف الصف الآخر يحرسهم فاذا رفع سجدوا ولحقوه والثالث أن يكون فى شدة الخوف والتحام الحرب فيصلى كيف أمكنه راجلا أو راكبا مستقبل القبلة وغير مستقبل لها (متن الغاية والتقريب / ١٧ ، ١٨) .

ويقول الإمام ابن قدامة :

وتجوز صلاة الخوف على كل صفة صلاها رسول الله ﷺ ، والمختار منها أن يجعلهم الإمام طائفتين : طائفة تحرس والأخرى تصلى معه ركعة ، فإذا قام إلى الثانية نوت مفارقته وأتمت صلاتها وذهبت تحرس ، وجاءت الأخرى فصلت معه الركعة الثانية ، فإذا جلس للتشهد قامت فأتت بركعة أخرى ، وينتظر حتى تتشهد ثم يسلم بها . وإن اشتد الخوف صلوا رجالا وركبانا إلى القبلة وإلى غيرها ، يومئون بالركوع والسجود وكذلك كل خائف على نفسه يصلى على حسب حاله ، ويفعل كل ما يحتاج إلى فعله من هرب أو غيره (عمدة الفقه / ٢٤) .

أما عن النظم فلدينا النماذج التالية ، ونتبعها بالشرح إتماما للفائدة :

١ ـ منظومة ابن أبى زيد القيروانى ، وهو فى الفقه المالكى : قال الناظم (١ / ١٠٨) :

وسن بالرخصة فى حال السفر
إن ظن خوفا من عدو أو سفر
أن يتقدم الإمام بنفر
ونفر مواجه العدا تَدِرْ
فأمَّهم بركعة وقاما
حتى يُصَلُّوا ركعة تماما
فوقفوا مكانهم وصلى
بالآخرين الركعة اللَّتْ خلا
وليتشهد وليُسلِّم وقفوا
ركعتهم وانصرفوا كما قضوا
وفى سوى اثنتين ركعتين
صلى بالأولى ولكل عين

إقـــامـــة مع أذانـــه وإذا
مـــا اشتـــد عنـــد ذلك خـــوف فـإذا
صلـــوا بطـــائفتهم وحـــدانـــا
إيمـــاء أو رجـــالا أو ركبـــانـــا
مـــا شيـن أو جـــاريـن فـى ذا البـــال
مستقبليـن أو بـــــلا استقبـــال

وإليك الشرح:

(وسن بالرخصة فى حال السفر إن ظن خوفا من عدو أو سفر أن يتقدم الإمام بنفر ونفر مواجه العدا ندر فأمهم بركعة وقاما حتى يصلوا ركعة تماما فوقفوا مكانهم وصلى بالآخرين الركعة اللت خلا وليتشهد وليسلم وقفوا ركعتهم وانصرفوا كما قضوا) اتفق أهل المذاهب الأربعة على جواز صلاة الخوف من الكفار أو البغاة وهى أن يقسم الإمام الجيش فرقتين فرقة أمام العدو وفرقة تصلى معه فإن كانوا مسافرين أو الصلاة ركعتين كالجمعة والصبح صلى بالطائفة الأولى ركعة ويتمون ثم تأتى الطائفة الثانية فيصل بهم ركعة ويسلم ويتمون وعند المالكية الجمعة كالظهر، والأظهر أنه لا بد فى كل طائفة من اثنى عشر غير الإمام ممن تنعقد بهم وعند الشافعية تصح الجمعة فى الخوف حيث وقع بالبلد ويشترط أن يحضر الخطبة أربعون من كل فرقة ممن تنعقد بهم وعند الحنفية الجمعة كالظهر فى السفر وتصح فيها التفرقة فى الخوف وعند الحنابلة تجوز صلاة الجمعة فى الخوف إذا كان كل طائفة أربعين فأكثر ممن تجب عليهم.

(وفى سوى اثنتين ركعتين صلى بالأولى) ركعتين وأتموا لأنفسهم ثم تأتى الطائفة الثانية فيصلى بها ما بقى من صلاته فيسلم ويتمون لأنفسهم وقد اتفق أهل المذاهب الأربعة على جواز هذه الصفة. ما جاء فى صلاة الخوف قال الله عز وجل **﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾** [النساء: ١٠٢] وعن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع رسول الله ﷺ يوم ذات الرقاع صلاة الخوف أن طائفة صفت معه وصفت طائفة وجاه العدو فصلى بالتى معه ركعة ثم ثبت قائما وأتموا لأنفسهم ثم انصرفوا وصفوا وجاء العدو وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التى بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم رواه مالك ومسلم (ولكل عين إقامة مع أذانه وإذا ما اشتد عند ذلك خوف فإذا صلوا بطائفتهم وحدانا إيماء أو رجالا أو ركبانا ماشين أو جارين فى ذا البال مستقبلين أو بلا استقبال) اتفق أهل المذاهب الأربعة على أن الخوف إذا اشتد جاز للمجاهدين أن يصلوا مشاة أو ركبانا يومئون للركوع والسجود متوجهين للقبلة أو غيرها. ما جاء فى ذلك «عن مالك عن نافع أن عبد الله بن عمر كان إذا سئل عن صلاة الخوف قال يتقدم الإمام فى طائفة من الناس فيصلى بهم الإمام ركعة وتكون طائفة منهم بينه وبين العدو لم يصلوا فإذا صلى الذين معه ركعة استأخروا مكان الذين لم يصلوا ولا يسلمون ويتقدم الذين لم يصلوا فيصلون معه ركعة ثم ينصرف الإمام وقد صلى ركعتين فتقوم كل واحدة من الطائفتين فيصلون لأنفسهم ركعة ركعة بعد أن ينصرف الإمام فتكون كل واحدة من الطائفتين قد صلوا ركعتين فإن كان خوفا هو أشد من ذلك صلوا رجالا قياما على أقدامهم أو ركبانًا مستقبلى القبلة أو غير مستقبليهما قال مالك قال نافع لا أرى عبد الله بن عمر حدثه إلا عن رسول الله ﷺ» رواه مالك والبخارى (الفتح الربانى ١ / ١٠٨، ١٠٩).

٢ ـ منظومة صفوة الزبد للإمام أحمد بن رسلان، وهى فى الفقه الشافعى. قال الناظم (٤١، ٤٢):

أنـــواعهـــا ثـــلاثـــة فإن يكـن
عـــدونـــا فـى غيـــر قبلـــة فسن
تحـــرس فـــرقـــة وصلى مـن يـــؤم
بـــالفـــرقـــة الـــركعـــة الأولى وتتم
وحـــــرست ثـم يصلى ركعـــة
بـــالفـــرقـــة الأخـــرى ولـــو فـى جمعـــه
ثـــم أتمـــت وبهـــم يسلـــم
وإن يكـن فـى قبلـــة صفهـم
صفيـن ثـم بـــالجميع أحـــرمـــا
ومعـــه يسجـــد صف منهمـــا

وحـــرس الآخـــر ثم حيث قـــام
فيسجـــد الثـــانى ويلحق الإمـــام
وفى التحـــام الحـــرب صلـــوا مهمـــا
أمكنهم ركبـــانـــا أو بـــالإيمـــا

وإليك الشرح :

(قوله في غير قبلة) أي في غير جهتها أو فيها وحال دونهم حائل يمنع رؤيتهم وهذه صلاة رسول الله ﷺ بذات الرقاع رواها الشيخان أ هـ (قوله وبهم يسلم) ولو لم تفارقه الأولى بل ذهبت إلى وجه العدو ساكتة وجاءت الأخرى فصلت معه الثانية فلما سلم ذهبت إلى العدو وجاءت الأولى مكان الصلاة وأتمت وذهبت إلى العدو وجاءت الأخرى وأتمت صح لرواية ابن عمر والأولى رواية سهل واختارها الشافعي لسلامتها من كثرة المخالفة ولأنها أحوط لأمر الحرب وهذه الصلاة بكيفيتيها المذكورتين صلاة رسول الله ﷺ بذات الرقاع رواه الشيخان وله أن يصلي مرتين كل مرة بفرقة فتكون الثانية له نافلة وهذه صلاة رسول الله ﷺ ببطن نخل رواها الشيخان أيضا وتلك بكيفيتيها أفضل من هذه لأنها أعدل بين الطائفتين ولسلامتها عما في هذا صلاة من اقتداء المفترض بالمتنفل المختلف فيه ولهذا ترك الناظم هذا النوع الذي ذكره غيره رابعا اقتصارا على الأفضل . تنبيه : هذا كله إذا صلى ثنائية كما مر فإن صلى رباعية صلى بكل من الفرقتين ركعتين أو مغربا فيصلي بفرقة ركعتين وبالثانية ركعة وبالعكس وينتظر الفرقة الثانية في قيام الركعة الثالثة أهـ فتنى (قوله فيسجد الثاني) وهو من حرس في الركعة الأولى ويلحق الإمام ويسجد مع الإمام في الركعة الثانية هؤلاء الذين حرسوا أولا وحرس الآخرون وهم الفرقة الساجدة مع الإمام فإذا جلس الإمام للتشهد سجد من حرس وفي الركعة الثانية وتشهَّد الإمام وسلم بالجميع وهذه صلاة رسول الله ﷺ بعسفان كما رواه مسلم ا هـ (متن الزبد / ٤١، ٤٢).

٣ ـ منظومة السبل السوية لفقه السنن المروية ـ نظم الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي . قال الناظم (٢٨) :

على صفـــات قـــد أتت مختلفـــهْ
فيهـــا رووا لسبع عشـــرة صفـــه
وكلهـــا مجـــزئة فمن يصل
كيفيـــة منهـــا كفـــاه مـــا فعل
منهـــا أتى صـــلاة ركعتين
لكل فـــرقـــة بتسليمين
وفى روايـــة لكل فـــرقـــة
مع الإمـــام قل صـــلاة ركعـــة
مع القضـــا كل لنفســـه وفى
كيفيـــة القضـــاء أوصـــاف تفى
يـــؤخـــذ بـــالأحـــوط للحـــرس وفى
روايـــة بفعل الأولى يكتفى
وكل ذى حيث بغيـــر القبلـــه
عـــدونـــا فإن يكن فى القبلـــه
فجـــاء صفين يصفهم معـــا
وتـــابعـــوه فى الصـــلاة أجمعـــا
إلا السجـــود تسجـــد المقـــدمـــه
وتحـــرس الفـــرقـــة الأخـــرى قـــائمـــه
وسجـــدوا من بعـــدهم وقـــدمـــوا
لنحـــوه وأخـــر المقـــدم
وفعلـــوا فى الـــركعـــة الأخـــرى كمـــا
فى قبلهـــا وسلمـــوا إذ سلمـــا
وحيث شـــدة التحـــام حـــانـــا
صلـــوا رجـــالا كـــان أو ركبـــانـــا
لقبلـــة وغيـــر قبلـــة ولـــو
بـــركعـــة ولـــو بإيمـــاء رووا

(مجموع / ٢٨).

(صحيح البخاري . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٣٨٧ هـ، ٢/ ١٨٩ ـ ١٩٤، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني ـ وثق نصوصه وحقق أصوله وضبط أحاديثه ووضع فهارسه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ط دار الغد العربي ٣/ ٤١٥ ـ ٤٢٩، ومتن الغاية والتقريب للإمام الفقيه القاضي أبي شجاع / ١٧، ١٨ وعمد الفقه لابن قدامة ، ـ تخريج أبي عبد العزيز عبد الله بن سفر عبادة العبدلي الغامدي، ومحمد دغيليب البراق العتيبي / ٢٤، والفتح الرباني شرح على نظم رسالة أبي زيد القيرواني ـ محمد أحمد الملقب بالداه الشنقيطي / ١٠٨، ١٠٩، ومتن الزبد في الفقه للشيخ الإمام أحمد بن

رسلان الشافعي - شرح المناوى / ٤١، ٤٢، ومجموع: « السبل السوية لفقه السنن المروية » - نظم حافظ بن أحمد الحكمى / ٢٨، انظر أيضا منهاج المسلم - أبو بكر جابر الجزائرى / ٢٥١ - ٢٥٣، ومختصر الأحكام الفقهية لعلى بن فريد الكشجنورى - تحقيق يوسف البدرى، مراجعة د. محمد أحمد عاشور / ٧١، ٧٢).

*** الخوف من الله تعالى:**

فى الخوف من الله تعالى ومراقبته عز وجل قال الله تعالى **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾** [الحج: ١، ٢] والآيات فى ذلك كثيرة. وروى الشيخان عن أنس رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط فقال: « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين» (الخنين البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الأنف)وروى الشيخان عن ابن مسعود رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» وروى الشيخان عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة» وروى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال: إنكم لتعملون أعمالا أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات. «الموبقات المهلكات» وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «إن الله تعالى يغار وغيرة الله تعالى أن يأتى المرء ما حرم الله عليه» (مختصر كتاب رياض الصالحين / ١٣ - ١٥).

قال التهانوى:

الخوف بالفتح وسكون الواو عند أهل السلوك هو الحياء من المعاصى والمناهى والتألم منها قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم «أنا أخوفكم لله تعالى» وأوحى الى داود خفنى كما يخاف السبعَ الفأرُ وقال من خاف الله خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء كذا فى الصحائف فى الصحيفة التاسعة عشرة (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٤٤٤).

والإيمان بوجوب الخوف من الله تعالى من شعب الإيمان التى أحصاها الإمام البيهقى (الشعبة الحادية عشرة) لقوله تعالى: **﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾** [آل عمران: ١٧٥] **﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾** [المائدة: ٤٤]، **﴿وإياى فارهبون﴾** [البقرة: ٤٠] **﴿وهم من خشية ربهم مشفقون﴾** [الأنبياء: ٢٨] **﴿ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾** [الأنبياء: ٩٩٠] **﴿ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾** [الرعد: ٢١] **﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾** [الرحمن: ٩٠] **﴿ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد﴾** [إبراهيم: ١٤]ولحديث عدى بن حاتم رضى الله عنه فى الصحيحين: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» (أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة باب اتقوا النار ولو بشق تمرة ومسلم فى كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة): ولحديث أنس رضى الله عنه فيهما «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» (أخرجه الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أنس)وعاتب رجل بعض إخوانه على طول بكائه فبكى ثم قال

بكيت على الذنوب لعظم جرمى
وحق لكل من يعصى البكاء
ولو كان البكاء يرد همى
لأسعدت الدموع معا دماء

وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لا يجف فوه من هذا البيت:

ولا خير فى عيش أمرئ لم يكن له
من الله فى دار القرار نصيب

(دار القرار هى الجنة لقرار الصالحين فيها فلا يبغون عنها حولا.

وسمع أبو الفتح البغدادى هاتفا يهتف بالشونيزية:

وكيف تنام العين وهى قريرة
ولم تدر فى أى المحلين تنزل

فذهب عنه النوم (الشونيزية: مقبرة للصالحين ببغداد)

(مختصر شعب الإيمان / ٢٠، ٢١).

وجاء في تيسير الوصول في باب الخوف:

١ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» أخرجه الترمذي (أدلج: أي سار من أول الليل).

٢ ــ وعن أنس رضي الله عنه قال: «دخل رسول الله ﷺ على شاب وهو في الموت، فقال: كيف تجدك؟ فقال أرجو الله تعالى يا رسول الله وأخاف ذنوبي. فقال ﷺ: ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف». أخرجه الترمذي.

٣ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم»، أخرجه الخمسة إلا النسائي (اللهوات: جمع لهاة بفتح اللام، وهو: اللحمات في سقف أقصى الفم).

وزاد البخاري في رواية: «وكان إذا رأى غيما عرف في وجهه، فقلت: يا رسول الله الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون منه المطر، وأراك إذا رأيت غيما عُرف في وجهك الكراهة؟ فقال ياعائشة: ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب. قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا: هذا عارض ممطرنا» (العارض: السحاب الذي يعترض في أفق السماء).

٤ ــ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة لما قنط من جنته». أخرجه رزين.

٥ ـ وعن أبي بردة عامر بن أبي موسى رضي الله عنه قال: «قال لي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: هل تدري ما قال أبي لأبيك؟ قلت: لا. قال: إن أبي قال لأبيك يا أبا موسى: هل يسرك أن إسلامنا مع رسول الله ﷺ وهجرتنا معه، وعملنا كله معه يرد لنا، وأن كل عمل عملناه بعده نجونا منه كفافا رأسا برأس؟ فقال أبوك لأبي: لا والله، قد جاهدنا بعده وصلينا، وصمنا، وعملنا خيرا كثيرا، وأسلم على أيدينا بشر كثير، وإنا لنرجو أجر ذلك. قال أبي: لكني أنا والذي نفس عمر بيده لوددت أن ذلك يرد لنا، وأن كل شيء عملناه بعده نجونا منه كفافا رأسا برأس، فقلت: إن أباك والله خير من أبي» أخرجه البخاري (تيسير الوصول ٢ / ٢٤، ٢٥).

(مختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف الدين النووي ـ اختصره ورتبه الشيخ النبهاني / ١٣ ـ ١٥، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١ / ٤٤٤، ومختصر شعب الإيمان للإمام البيهقي ـ اختصار القزويني ــ حققه وكتب حواشيه عبد الله حجاج / ٢٠، ٢١، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيباني ٢ / ٢٤، ٢٥. انظر أيضا الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم القشيري / ١٠٠ ـ ١٠٤).

انظر: الخوف والرجاء.

*** الخوف والرجاء:**

كتاب «الخوف والرجاء» أحد أبواب كتاب «إحياء علوم الدين» لحجة الإسلام الغزالي، وقد اختصر «الإحياء» الإمام ابن الجوزي وسماه «منهاج القاصدين»، ثم اختصر «المنهاج» الإمام ابن قدامة وسماه «مختصر منهاج القاصدين»، وهو ما ننقله هنا، أي أننا ننقل مختصر المختصر وبالله التوفيق:

اعلم: أن الرجاء والخوف جناحان، بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع من طريق الآخرة كل عقبة كؤود، ولا بد من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسببهما، وما يتعلق بذلك. ونحن نذكرهما في شطرين:

الأول: في الرجاء. والثاني: في الخوف.

الشطر الأول: الرجاء.

واعلم: أن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين، وإنما يسمى الوصف مقاما إذا ثبت وأقام، فإن كان عارضا سريع الزوال سمي حالا، كما أن الصفرة تنقسم إلى ثابتة، كصفرة الذهب، وإلى سريعة، كصفرة الوجل، وإلى ما بينهما كصفرة المرض، وكذلك صفات القلب تنقسم إلى هذه الأقسام، وإنما سمي غير الثابت حالا، لأنه يحول عن القلب.

واعلم: أن كل ما يلاقيك من محبوب أو مكروه ينقسم إلى موجود في الحال، وإلى موجود فيما مضى.

فالأول: يسمى وجدا وذوقا وإدراكا.

والثاني: يسمى ذكرا، وإن كان قد خطر ببالك شيء في الاستقبال، وغلب على قلبك، سمي انتظارا وتوقعا، فإن كان المنتظر محبوبا، سمي رجاء، وإن كان مكروها، سمي خوفا.

فالرجاء: هو ارتياح لانتظار ما هو محبوب عنده، ولكن ذلك المتوقع لا بد له من سبب حاصل، فإن لم يكن السبب معلوم الوجود ولا معلوم الانتفاء، سمى تمنيا، لأنه انتظار من غير سبب. ولا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه، فأما ما يقطع به فلا، إذ لا يقال: أرجو طلوع الشمس وأخاف غروبها، لأن ذلك مقطوع به عند طلوعها وغروبها، ولكن يقال: أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه.

وقد علم أرباب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة، والقلب كالأرض، والإيمان كالبذر فيه، والطاعات جارية مجرى تنقية الأرض وتطهيرها، ومجرى حفر الأنهار ومساقى الماء إليها.

وإن القلب المستغرق بالدنيا، كالأرض السبخة التى لا ينمو فيها البذر.

ويوم القيامة هو يوم الحصاد، ولا يحصد أحد إلا ما زرع، ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان، وقل أن ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه، كما لا ينمو البذر فى الأرض السبخة.

فينبغى أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع، فكل من طلب أرضا طيبة، وألقى فيها بذرا جيدا غير مسوس ولا عفن، ثم ساق إليها الماء فى أوقات الحاجة، ونقى الأرض من الشوك والحشيش وما يفسد الزرع، ثم جلس ينتظر من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة، إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته، فهذا يسمى انتظار رجاء.

فأما إن بذر فى أرض سبخة صلبة مرتفعة لا يصل إليها الماء ولم يتعاهدها أصلا، ثم انتظر الحصاد، فهذا يسمى انتظاره حمقا وغرورا، لا رجاء.

وإن بث البذر فى أرض طيبة، ولكن لا ماء لها، وأخذ ينتظر مياه الأمطار، سمى انتظاره تمنيا لا رجاء.

فإذن اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد، ولم يبق إلا ما ليس إلى اختياره، وهو فضل الله سبحانه، بصرف الموانع المفسدات، فالعبد إذا بث بذر الإيمان، وسقاه ماء الطاعات، وطهر القلب من شوك الأخلاق الرديئة، وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت، وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة، كان انتظاره لذلك رجاء محمودا باعثا على المواظبة على الطاعات والقيام بمقتضى الإيمان إلى الموت، وإن قطع بذر الإيمان عن تعهده بماء الطاعات أو ترك القلب مشحونا برذائل الأخلاق، وانهمك فى طلب لذات الدنيا، ثم انتظر المغفرة، كان ذلك حمقا وغرورا. قال الله تعالى: **﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا﴾** [الأعراف: ١٦٩] وذم القائل: **﴿ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا﴾** [الكهف: ٣٦].

وروى شداد بن أوس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها، وتمنى على الله عز وجل الأمانى».

(أخرجه الترمذى (٢٤٦١) وأحمد ٤ / ١٢٤، وابن ماجه (٤٢٦٠) وفى سنده أبو بكر بن عبد الله بن أبى مريم الغسانى وهو ضعيف كان قد سرق بيته، فاختلط، وأخرجه الحاكم ١ / ٥٧، وصححه على شرط البخارى، فتعقبه الذهبى بقوله: لا والله أبو بكر واه).

وقال معروف الكرخى رحمه الله: رجاؤك لرحمة من لا تطيعه خذلان وحمق. ولذلك قال الله تعالى: **﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله﴾** [البقرة: ٢١٨].

المعنى: أولئك الذين يستحقون أن يرجوا، ولم يرد به تخصيص وجود الرجاء، لأن غيرهم أيضا قد يرجو ذلك.

واعلم: أن الرجاء محمود، لأنه باعث على العمل، واليأس مذموم، لأنه صارف عن العمل، إذ من عرف أن الأرض سبخة، وأن الماء مغور، وأن البذر لا ينبت، ترك تفقد الأرض، ولم يتعب فى تعاهدها.

وأما الخوف، فليس بضد الرجاء، بل رفيق له، كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى.

وحال الرجاء يورث طريق المجاهدة بالأعمال، والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال، ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله عز وجل، والتنعم بمناجاته، والتلطف فى التملق له، فإن هذه الأحوال لا بد أن تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك، أو شخصا من الأشخاص، فكيف لا يظهر ذلك فى حق الله سبحانه وتعالى؟ فمتى لم يظهر، استدل به

على حرمان مقام الرجاء، فمن رجا أن يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامات، فهو مغرور.

فصل فى فضيلة الرجاء.

روى فى «الصحيحين» من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدى بى» وفى رواية أخرى «فليظن بى ما شاء».

وفى حديث آخر من رواية مسلم: أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله».

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: أحبنى، وأحب من يحبنى، وحببنى إلى خلقى. قال: يارب: كيف أحببك إلى خلقك؟ قال: اذكرنى بالحسن الجميل، واذكر آلائى وإحسانى.

وعن مجاهد رحمه الله قال: يؤمر بالعبد يوم القيامة إلى النار، فيقول: ما كان هذا ظنى فيقول: ما كان ظنك؟ فيقول أن تغفر لى، فيقول: خلوا سبيله.

فصل فى دواء الرجاء والسبب الذى يحصل به.

اعلم: أن دواء الرجاء يحتاج إليه رجلان:

إما رجل قد غلب عليه اليأس حتى ترك العبادة.

وإما رجل غلب عليه الخوف حتى أضر بنفسه وأهله.

فأما العاصى المغرور المتمنى على الله مع الإعراض عن العبادة، فلا ينبغى أن يستعمل فى حقه إلا أدوية الخوف، فإن أدوية الرجاء تقلب فى حقه سموما، كما أن العسل شفاء لمن غلبت عليه البرودة، مضر لمن غلبت عليه الحرارة.

ولهذا يجب أن يكون واعظ الناس متلطفا، ناظرا إلى مواضع العلل، معالجا كل علة بما يليق بها، وهذا الزمان لا ينبغى أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء، بل المبالغة فى التخويف، وإنما يذكر الواعظ فضيلة أسباب الرجاء إذا كان مقصوده استمالة القلوب إليه، لإصلاح المرضى.

وقد قال على رضى الله عنه: إنما العالم الذى لا يقنط الناس من رحمة الله، ولا يؤمنهم مكر الله.

إذا عرفت هذا، فاعلم أن من أسباب الرجاء، ما هو من طريق الاعتبار، ومنها ما هو من طريق الإخبار. أما الاعتبار، فهو أن يتأمل جميع ما ذكرناه من أصناف النعم فى كتاب الشكر، فإذا علم لطائف الله تعالى بعباده فى الدنيا، وعجائب حكمته التى راعاها فى فطرة الإنسان، وأن لطفه الإلهى لم يقصر عن عباده فى دقائق مصالحهم فى الدنيا، ولم يرض أن تفوتهم الزيادات فى الرتبة، فكيف يرضى سياقتهم إلى الهلاك المؤبد؟! فإن من لطف فى الدنيا يلطف فى الآخرة، لأن مدبر الدارين واحد. وأما استقراء الآيات والأخبار، فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿**قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا**﴾ [الزمر: ٥٣] وقال تعالى: ﴿**والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض**﴾ [الشورى: ٤].

وأخبر تعالى أنه أعد النار لأعدائه، وإنما خوّف بها أولياءه، فقال: ﴿**لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده**﴾ [الزمر: ١٦]. وقال تعالى: ﴿**واتقوا النار التى أعدت للكافرين**﴾ [آل عمران: ١٣١]. وقال: ﴿**فأنذرتكم نارا تلظى * لا يصلاها إلا الأشقى * الذى كذب وتولى**﴾ [الليل: ١٤ـ ١٦]. وقال تعالى: ﴿**وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم**﴾ [الرعد: ٦].

ومن الأخبار ما روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن إبليس قال لربه عز وجل: بعزتك وجلالك، لا أبرح أغوى بنى آدم ما دامت الأرواح فيهم. فقال الله عز وجل: فبعزتى وجلالى، لا أبرح أغفر لهم ما استغفرونى» (أخرجه أحمد ٣ / ٢٩، ٧٦ والحاكم من حديث أبى سعيد الخدرى وفيه دراج عن أبى الهيثم وهو ضعيف فى روايته عنه، وأخرجه أحمد ٣ / ٤١ من طريق آخر ورجاله ثقات، إلا أن فيه انقطاعا).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذى نفسى بيده، لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون فيغفر لهم» رواه مسلم.

وفى «الصحيحين» من حديث عائشة رضى الله عنها، أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «سددوا وقاربوا وأبشروا،

فإنه لـن يدخل أحدا الجنـة عمله، قـالوا: ولا أنت يـا رسـول الله؟ قـال: ولا أنا إلا أن يتغمدنـي الله مـنه برحمتـه».

وفي «الصحيحين» من حـديث أبي سعيد الخـدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليـه وآله وسلم قـال: «يقول الله عز وجل يـوم القيامة: يـا آدم: قم فابعث بعث النـار فيقول: لبيك وسعـديك والخير في يـديك. يـا رب: وما بعث النـار؟ قال: من كل ألف تسعمـائة وتسعة وتسعـون، فحينئذ يشيب المولود، ﴿وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ [الحج: ٢]. فشق ذلك على الناس، حتـى تغيرت وجوههم، وقـالوا: يـا رسول الله! وأينا ذلك الواحد؟ فقـال صلى الله عليه وآله وسلم: «من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون، ومنكم واحد» فقال الناس: الله أكبر. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «والله إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة. والله إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنـة، والله إني لأرجـو أن تكـونـوا نصف أهل الجنة»، فكبـر الناس، فقـال: «ما أنتم يـومئذ فـي الناس إلا كالشعـرة البيضاء فـي الثور الأسود، أو كـالشعرة السـوداء في الثورة الأبيض».

فانظر كيف جـاء بالتخويف، فلما أزعج جـاء باللطف، ومتى اطمأنت القلوب إلى الهـوى، فينبغي أن تزعج فإذا اشتد قلقها، ينبغي أن تسكن ليعتدل الأمر.

وقال ابن مسعـود رضي الله عنه: ليغفرن الله عـز وجل يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر.

وروى أن مجوسيـا استضاف إبراهيم الخليل عليـه السلام فلم يضفـه وقـال: إن أسلمت، أضفتـك، فأوحى الله تعـالى إليـه: يـا إبراهيـم منذ تسعين سنـة أطعمـه على كفـره فسعى إبراهيم عليـه السلام خلفه، فرده وأخبـره في الحال، فتعجب من لطف الله تعالى. فأسلم.

فهـذه الأسبـاب التي تجتلب بهـا روح الرجـاء إلى قلـوب الخائفين واليائسين، فأمـا الحمقى المغرورون، فلا ينبغي أن يستمعوا شيئـا من ذلك، بل يسمعـون ما سنورده فـي أسباب الخـوف، فإن أكثر النـاس لا يصلحون إلا على ذلك، كعبـد السوء الذي لا يستقيم إلا بالعصا (مختصر منهاج القاصدين / ٢٩٧ ـ ٣٠١).

والإيمان بوجوب الرجاء من الله عز وجل من شعب الإيمان التي أحصـاها الإمـام البيهقي (الشعبـة الثانيـة عشـرة) لقولـه تعالى: ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ [الإسراء: ٥٧]، ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ [الأعراف: ٥٦].

﴿قل يـاعبادي الـذين أسـرفوا على أنفسهم لا تقنطـوا من رحمة الله إن الله يغفر الـذنوب جميعا إنه هـو الغفور الرحيم﴾ [الزمر: ٥٣] ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[النساء: ٤٨].

ولحديث أبـي هريرة في الصحيحيـن«لو يعلم المؤمـن ما عند الله من العقوبـة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكـافر ما عنـد الله من الـرحمة مـا قنط من جنتـه أحـد» (رواه مسلم في كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى)، ولحديث جابر في صحيح مسلم «لا يموتن أحدكـم إلا وهو يحسن الظن بالله». «رواه مسلـم في كتاب الجنـة وصفة نعيمهـا وأهلها بـاب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند المـوت)، وحديث أبي هريرة في الصحيحين. يقـول الله عز وجل «أنا عنـد ظن عبدي بـي وأنا معـه حين يذكـرني» وذكر الحـديث (رواه البخاري في كتـاب التوحيد ومسلم في التوبة).

وأنشد أبو عثمان سعيد بن إسماعيل:

مـــا بـــال دينك تـــرضى أن تـــدنســه

وإن ثـــوبـك مغســـول من الـــدنس

تـــرجـــو النجـــاة ولم تسلك مســالكهـــا

إن السفينــــــة لا تجـــــري على اليبس

(مختصر شعب الإيمان / ٢١ ـ ٢٣).

ونعـود إلى مـا بـدأنـاه مـن كتـاب «مختصـر منهـاج القاصدين». يقول المؤلف:

الشطـر الثـاني من الكتـاب في الخوف وحقيقته وبيـان درجاته وغير ذلك.

اعلم: أن الخوف عبـارة عن تألم القلب واحتـراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال.

مثال ذلك، من جنى على ملك جنـاية، ثم وقع في يده، فهـو يخـاف القتل، ويجوز العفـو، ولكـن يكـون تألـم قلبـه بحسب قـوة علمه بـالأسبـاب المفضية إلـى قتله، وتفـاحش

جنايته، وتأثيرها عند الملك، وبحسب ضعف الأسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية، بل عن صفة المخوف وعظمته وجلاله، إذ قد علم أن الله سبحانه، لو أهلك العالمين لم يبال، ولم يمنعه مانع، فبحسب معرفة الإنسان بعيوب نفسه، وبجلال الله تعالى واستغنائه، وأنه لا يسأل عما يفعل، يكون خوفه.

وأخوف الناس أعرفهم بنفسه وبربه، ولذلك قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا أعرفكم بالله، وأشدكم له خشية».

«أخرجه البخارى ١٠ / ٤٣٧، ومسلم (٢٣٥٦) من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: صنع رسول الله ﷺ أمرا فترخص فيه، فبلغ ذلك ناسا من أصحابه فكأنهم كرهوه، وتنزهوا عنه فبلغه ذلك، فقام خطيبا، فقال: «ما بال رجال بلغهم عنى أمر ترخصت فيه فكرهوه، وتنزهوا عنه، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم خشية له»».

وقال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨] وإذا كملت المعرفة، أثرت الخوف، ففاض أثره على القلب، ثم ظهر على الجوارح والصفات بالنحول والاصفرار والبكاء والغشى، وقد يفضى إلى الموت، وقد يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل.

وأما ظهور أثره على الجوارح، فبكفها عن المعاصى، وإلزامها الطاعات، تلافيا لما فرط، واستعدادا للمستقبل.

قال بعضهم: من خاف أدلج. وقال آخر: ليس الخائف من بكى، إنما الخائف من ترك ما يقدر عليه.

ومن ثمرات الخوف، أنه يقمع الشهوات، ويكدر اللذات، فتصير المعاصى المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه إذا علم أن فيه سما، فتحترق الشهوات بالخوف، وتتأدب الجوارح، ويذل القلب ويستكين، ويفارقه الكبر والحقد والحسد، ويصير مستوعب الهم لخوفه، والنظر فى خطر عاقبته، فلا يتفرغ لغيره، ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة، والمجاهدة، والضنة بالأنفاس واللحظات، ومؤاخذة النفس فى الخطرات والخطوات والكلمات، ويكون حاله كحال من وقع فى مخالب سبع ضار لا يدرى أيغفل عنه فيفلت، أو يهجم عليه فيهلكه، ولا شغل له إلا ما وقع فيه، فقوة المراقبة والمحاسبة بحسب قوة الخوف، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى، وصفاته، وبعيوب النفس، وما بين يديهما من الأخطار والأهوال.

وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره فى الأعمال، أن يمنع المحظورات، فإن منع ما يتطرق إليه إمكان التحريم. سمى ورعا، وإن انضم إليه التجرد والاشتغال بذلك عن فضول العيش، فهو الصدق.

فصل الخوف سوط الله تعالى

اعلم: أن الخوف سوط الله تعالى يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل، لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى.

والخوف، له إفراط، وله اعتدال، وله قصور.

والمحمود من ذلك الاعتدال، وهو بمنزلة السوط للبهيمة، فإن الأصلح للبهيمة أن لا تخلو عن سوط، وليس المبالغة فى الضرب محمودة، ولا المتقاصر عن الخوف أيضا محمود، وهو كالذى يخطر بالبال عند سماع آية، أو سبب هائل، فيورث البكاء، فإذا غاب ذلك السبب عن الحس، رجع القلب إلى الغفلة، فهو خوف قاصر قليل الجدوى، ضعيف النفع، وهو كالقضيب الضعيف الذى يضرب به دابة قوية فلا يؤلمها ألما مبرحا، فلا يسوقها إلى المقصد، ولا يصلح لرياضتها، وهذا هو الغالب على الناس كلهم، إلا العارفين والعلماء، أعنى العلماء بالله وبآياته، وقد عز وجودهم. وأما المترسمون برسوم العلم، فإنهم أبعد الناس عن الخوف.

وأما القسم الأول، وهو الخوف المفرط، فهو كالذى يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط، فهو أيضا مذموم، لأنه يمنع من العمل، وقد يخرج المرض والوله والموت، وليس ذلك محمودا، وكل ما يراد لأمر، فالمحمود منه ما يفضى إلى المراد المقصود منه، وما يقصر عنه أو يجاوزه، فهو مذموم، وفائدة الخوف الحذر، والورع، والتقوى، والمجاهدة والفكر، والذكر، والتعبد وسائر الأسباب التى توصل إلى الله تعالى، وكل ذلك يستدعى الحياة، مع

صحة البـدن وسلامـة العقل، فإذا قدح فى ذلك شـيء، كان مذموما.

فإن قيل: فما تقول فيمن مات من الخوف؟

فالجواب: أنه ينال لموته على تلك الحالة مرتبة لا ينالها لو مـات من غير خـوف، إلا أنه لـو عاش وترقـى إلى درجات المعارف والمعـاملة، كـان أفضل، فإن أفضل السعـادة طول العمر فى طـاعـة الله تعـالـى، فكل مـا أبطل العمـر والعقل والصحة فهو نقصان وخسران.

بيان أقسام الخوف

اعلم: أن مقـامات الخـائفين تختلف، فمنهم من يغلب على قلبه خوف المـوت قبل التـوبة، ومنهم من يغلب عليـه خـوف الاستـدراج بالنعم، أو خـوف الميل عن الاستقـامـة، ومنهم من يغلب عليـه خوف سـوء الخـاتمة، وأعلى من هـذا خوف السابقة، لأن الخاتمة فرع السابقة، والله تعالى يرفع من يشاء من غير وسيلة، ويضع من يشاء من غير وسيلة، لا يُسأل عما يفعل.

وقد قال: «هؤلاء فى الجنـة ولا أبالى، وهؤلاء فى النار ولا أبالى».

ومن أقسام الخائفين، من يخاف سكرات الموت وشدته، أو سؤال منكر ونكير، أو عذاب القبر.

ومنهم من يخـاف هيبـة الـوقـوف بين يـدى الله تعـالى، والخوف من المنـاقشة، والعبور على الصـراط، والخوف من النار وأهوالها، أو حرمان الجنة، أو الحجاب عن الله سبحانه وتعالى، وكل هذه الأسباب مكروهة فى أنفسها، مخوفة.

فأعلاهـا رتبة خوف الحجاب عن الله تعالـى، وهو خوف العارفين، وما قبل ذلك خوف الزاهدين والعابدين.

فصل فى فضيلـة الخـوف والـرجـاء ومـا ينبغى أن يكـون الغالب منهما.

فضيلة كـل شىء بقدر إعانتـه على طلب السعـادة، وهو لقـاء الله تعالى، والقـرب منه، فكل مـا أعان على ذلك فهـو فضيلـة. قال الله تعـالى: ﴿ولمن خـاف مقـام ربه جنتـان﴾ [الـرحمن: ٤٦] وقال تعـالى: ﴿رضى الله عنهم ورضـوا عنـه ذلك لمن خشى ربه﴾ [البينة: ٨].

وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إذا اقشعـر جلد العبـد من مخافـة الله عـز وجل تحاتت عنـه ذنوبه، كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها».

(رواه الطبرانى والبيهقى من حـديث العباس رضى الله عنه بسند ضعيف كما قال الحافظ العراقى).

وفى حـديث آخـر: «لن يغضـب الله على من كـان فيـه مخافة» (لم نجده).

وقال النبى صلى الله عليـه وآله وسلم: قـال الله عز وجل: «وعزتى وجلالى، لا أجمع على عبدى خوفين، ولا أجمع له أمنين، إن أمننى فى الدنيا، أخفته يوم القيامة، وإن خافنى فى الدنيا، أمنتـه يـوم القيامـة» (أخـرجه ابن حبـان (٢٤٩٤) من حديث أبى هريرة، وسنده حسن).

وعن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنـه قال: «عينان لاتمسهمـا النار أبـدا: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله».

واعلم: أن قول القـائل: أيما أفضل الخوف، أو الـرجاء؟ كقوله: أيما أفضل الخبز أو الماء؟

وجوابـه: أن يقال الخبز للجائع أفضل، والمـاء للعطشان أفضل، فإن اجتمعـا، نظر إلى الأغلب، فإن استـويا، فهمـا مستـاويان والخـوف والـرجـاء دواءان يداوى بهمـا القلـوب، ففضلهمـا بحسب الـداء المـوجـود، فإن كـان الغـالب على القلب الأمن من مكر الله، فـالخوف أفضل، وكـذلك إن كان الغالـب على العبد المعصية، وإن كـان الغالب عليـه اليأس والقنوط، فـالرجـاء أفضل. ويجـوز أن يقال مطلقـا: الخوف أفضل، كمـا يقال: الخبـز أفضل من السكنجبين لأن الخبـز يعالج به مرض الجوع، والسكنجبين يعالج به مرض الصفراء، ومرض الجـوع أغلب وأكثر، فـالحاجـة إلى الخبز أكثـر، فهو أفضل بهـذا الاعتبـار، لأن المعـاصى والاغتـرار من الخلق أغلب.

وإن نظرنا إلى موضع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل، لأن الـرجاء يستقى من بحـر الـرحمـة، والخوف يستقى من بحـر الغضب.

وأمـا المتقى، فالأفضل عنـده اعتدال الخـوف والرجـاء، ولذلك قيل: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه، لاعتدلا.

قال بعض السلف: لو نودى: ليدخل الجنة كل الناس إلا

رجلا واحدا، لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل. ولو نودى: ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحدا، لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل. وهذا ينبغى أن يكون مختصا بالمؤمن المتقى.

فإن قيل: كيف اعتدال الخوف والرجاء فى قلب المؤمن، وهو على قدم التقوى؟ فينبغى أن يكون رجاؤه أقوى.

فالجواب: أن المؤمن غير متيقن صحة عمله، فمثله من بذر بذرا ولم يجرب جنسه فى أرض غريبة، والبذر الإيمان، وشروط صحته دقيقة، والأرض القلب، وخفايا خبثه وصفائه من النفاق، وخبايا الأخلاق غامضة، والصواعق أهوال سكرات الموت، وهناك تضطرب العقائد، وكل هذا يوجب الخوف عليه، وكيف لا يخاف المؤمن؟

وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسأل حذيفة رضى الله عنه: هل أنا من المنافقين؟ وإنما خاف أن تلتبس حاله عليه، ويستتر عيبه عنه، فالخوف المحمود هو الذى يبعث على العمل، ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا.

وأما عند نزول الموت، فالأصلح للإنسان الرجاء، لأن الخوف كالسوط الباعث على العمل، وليس ثمة عمل، فلا يستفيد الخائف حينئذ إلا تقطيع نياط قلبه (النياط: عرق علق به القلب من الوتين) والرجاء فى هذه الحال يقوى قلبه، ويحبب إليه ربه، فلا ينبغى لأحد أن يفارق الدنيا إلا محبا لله تعالى، محبا للقائه، حسن الظن به.

وقد قال سليمان التيمى عند الموت لمن حضره: حدثنى بالرخص، لعلى ألقى الله وأنا أحسن الظن به.

فصل فى بيان الدواء الذى يستجلب به الخوف.

وذلك يحصل بطريقين:

أحدهما أعلى من الآخر. مثاله أن الصبى إذا كان فى بيت، فدخل عليه سبع، أو حية، ربما لم يخف منه، وربما مد يده إلى الحية ليأخذها يلعب بها، ولكن إذا كان معه أبوه فهرب منها وخافها، هرب الصبى، وخاف موافقة لأبيه، فخوف الأب عن معرفة، وخوف الولد من غير معرفة، بل هو تقليد لأبيه.

فإذا عرفت هذا، فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين:

أحدهما: الخوف من عذابه، وهذا خوف عامة الخلق، وهو حاصل بالإيمان بالجنة والنار، وكونهما جزائين على الطاعة والمعصية، ويضعف هذا الخوف بسبب ضعف الإيمان، أو قوة الغفلة.

وزوال الغفلة يحصل بالتذكر، والتفكر فى عذاب الآخرة، ويزيد بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم، أو سماع أخبارهم.

المقام الثانى: الخوف من الله تعالى، وهو خوف العلماء العارفين. قال الله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ [آل عمران: ٣٠].

وصفاته سبحانه تقتضى الهيبة والخوف، فهم يخافون البعد والحجاب.

قال ذو النون: خوف النار عند خوف الفراق، كقطرة فى بحر، ولعامة الناس حظ من هذا الخوف، ولكن بمجرد التقليد، فهو يضاهى خوف الصبى من الحية، تقليدا لأبيه، فلذلك يضعف، فإن العقائد التقليدية ضعيفة فى الغالب، إلا إذا قويت بمشاهدة أسبابها المولدة لها على الدوام، وبالمواظبة على مقتضاها فى تكثير الطاعات، واجتناب المعاصى، فإذا ارتقى العبد إلى معرفة الله تعالى، خافه بالضرورة، ولا يحتاج إلى علاج يجلب الخوف إلى قلبه، بل يخاف بالضرورة.

ومن قصر، فسبيله أن يعالج نفسه بسماع الأخبار والآثار، فيطالع أحوال الخائفين وأقوالهم، وينسب عقولهم ومناصبهم إلى مناصب الراجين المغرورين، فلا يتمارى فى أن الاقتداء بهم أولى، لأنهم الأنبياء والعلماء والأولياء.

وفى «صحيح مسلم» من حديث عائشة رضى الله عنها، قالت: دعى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جنازة غلام من الأنصار. فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يدرك الشر ولم يعمله، قال: «أو غير ذلك يا عائشة؟ إن الله عز وجل خلق للجنة أهلا، خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا، خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم».

ومن أعجب ما ظاهره الرجاء وهو شديد التخويف، قوله تعالى: ﴿وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾ [طه: ٨٢] فإنه علق المغفرة على أربعة شروط، يبعد تصحيحها.

ومن المخوفات قوله تعالى: ﴿والعصر * إن الإنسان لفى

خسر﴾ [العصر: ١، ٢] ثم ذكر بعدها أربعة شروط، بها يقع الخلاص من الخسران. وقال تعالى: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [السجدة: ١٣].

ومعلوم أنه لو كان الأمر مستأنفا لامتدت الأطماع فى التحيل، فأما ما حُق فى القدم، فلا يمكن تداركه، فليس إلا التسليم، لولا أن الله تعالى لطف بعارفيه، وروّح قلوبهم بالرجاء، لاحترقت من نار الخوف.

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه: ما أحد أمن على إيمانه أن يسلبه عند الموت إلا سلبه.

ولما حضرت سفيان الثورى الوفاة، جعل يبكى، فقال له رجل: يا أبا عبد الله: أراك كثير الذنوب، فرفع شيئا من الأرض وقال: والله لذنوبى أهون عندى من هذا، ولكن أخاف أن أسلب الإيمان قبل الموت.

وكان سهل رحمه الله تعالى يقول: المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصى، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر.

ويروى أن نبيا من الأنبياء، شكا إلى الله تعالى الجوع والعرى، فأوحى الله عز وجل إليه: عبدى، أما رضيت أن عصمت قلبك أن يكفرنى حتى تسألنى الدنيا؟! فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال: بلى قد رضيت، فاعصمنى من الكفر. فإذا كان هذا خوف العارفين من سوء الخاتمة مع رسوخ أقدامهم، فكيف لا يخاف ذلك الضعفاء؟!

ولسوء الخاتمة أسباب تتقدم على الموت، مثل البدعة، والنفاق، والكبْر، ونحو ذلك من الصفات المذمومة، ولذلك اشتد خوف السلف من النفاق.

قال بعضهم: لو أعلم أنى برىء من النفاق، كان أحب إلى مما طلعت عليه الشمس، ولم يريدوا بذلك نفاق العقائد، إنما أرادوا نفاق الأعمال، كما ورد فى الحديث الصحيح: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».

وسوء الخاتمة على رتبتين:

إحداهما أعظم، وهى أن يغلب على القلب والعياذ بالله شك، أو جحود عند سكرات الموت وأهواله، فيقتضى ذلك العذاب الدائم.

والثانية دونها، وهى أن يسخط الأقدار، ويتكلم بالاعتراض، أو يجور فى وصيته، أو يموت مصرا على ذنب من الذنوب.

وقد روى أن الشيطان لا يكون فى حال أشد على ابن آدم من حال الموت، يقول لأعوانه: دونكم هذا، فإنه إن فاتكم اليوم لم تلحقوه.

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم، أنه كان يدعو: «اللهم إنى أعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت». (أخرجه أبو داود (١٥٥٢) والنسائى ٨ / ٢٨٢ من حديث أبى اليسر أن رسول الله ﷺ كان يدعو «اللهم إنى أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردى، وأعوذ بك من الحرق والغرق والهدم وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت فى سبيلك مدبرا وأعوذ بك أن أموت لديغا» وسنده قوى، وصححه الحاكم).

قالت المؤلفة: ورد هذا الحديث فى كتاب الدعاء المستجاب للشيخ أحمد عبد الجواد (ص ١٥٨) بلفظ «اللهم إنى أعوذ بك من التردى والهدم والغرق والحرق ... إلخ» رواه النسائى والحاكم عن أبى اليسر رضى الله عنه اهـ.

قال الخطابى: وذلك أن يستولى على الإنسان حينئذ، فيضله ويحول بينه وبين التوبة أو يمنعه الخروج من مظلمة، أو يؤيسه من رحمة الله ويكره إليه الموت، فلا يرضى بقضاء الله عز وجل.

والأسباب التى تفضى إلى سوء الخاتمة لا يمكن انحصارها على التفصيل، لكن يمكن الإشارة إلى مجامع ذلك. أما الختم على الشك والجحود، فسببه البدعة، ومعناها أن يعتقد فى ذات الله تعالى، أو صفاته، أو أفعاله خلاف الحق، إما تقليدا، أو برأيه الفاسد، فإذا انكشف الغطاء عند الموت، بان له بطلان ما اعتقده، فيظن أن جميع ما اعتقده هكذا لا أصل له.

ومن اعتقد فى الله سبحانه وصفاته اعتقادا مجملا على طريقة السلف من غير بحث ولا تنقير، فهو بمعزل عن هذا الخطر إن شاء الله تعالى.

وأما الختم على المعاصى، فسببه ضعف الإيمان فى

الأصل، وذلك يورث الانهماك فى المعاصى، والمعاصى مطفئة لنور الإيمان، وإذا ضعف الإيمان ضعف حب الله تعالى، فإذا جاءت سكرات الموت، ازداد ذلك ضعفا، لاستشعاره فراق الدنيا، فإن السبب الذى يفضى إلى مثل هذه الخاتمة، وهو حب الدنيا، والركون إليها، مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله، فمن وجد فى قلبه حب الله تعالى، أغلب من حب الدنيا، فهو أبعد من هذا الخطر، وكل من مات على محبة الله تعالى، قدم به قدوم العبد المحسن المشتاق إلى مولاه، فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم، فضلا عما يستحقه من الإكرام.

ومن فارقه الروح فى حال، خطر بباله فيها لإنكار على الله سبحانه فى فعله، أو كان مصرا على مخالفته، قدم على الله قدوم من قدم به قهرا، فلا يخفى ما يستحقه من النكال.

فمن أراد طريق السلامة، تزحزح عن أسباب الهلاك، على أن العلم بتقليب القلوب وتغيير الأحوال، يقلقل قلوب الخائفين.

وقد ورد فى «الصحيحين» من حديث سهل بن سعد، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، وإنه لمن أهل الجنة، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار».

وروى: «إن العبد إذا عرج بروحه إلى السماء، قالت الملائكة: سبحان الله! نجا هذا العبد من الشيطان: يا ويحه! كيف نجا»؟!

وإذا عرفت معنى سوء الخاتمة، فاحذر أسبابها، وأعد ما يصلح لها، وإياك والتسويف بالاستعداد، فإن العمر قصير، وكل نفس من أنفاسك بمنزلة خاتمتك، لأنه يمكن أن تخطف فيه روحك، والإنسان يموت على ما عاش عليه، ويحشر على ما مات عليه.

واعلم: أنه لا يتيسر لك الاستعداد بما يصلح، إلا أن تقنع بما يقيمك، وترفض طلب الفضول، وسنورد عليك من أخبار الخائفين ما نرجو أن يزيل بعض القساوة من قلبك، فإنك متحقق أن الأنبياء والأولياء كانوا أعقل منك، فتفكر فى اشتداد خوفهم، لعلك تستعد لنفسك.

ذكر خوف الملائكة عليهم السلام

قال الله تعالى فى صفتهم: ﴿**يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ [النحل: ٥٠].

وقد روينا عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته». وذكر تمام الحديث (لم نجده).

وبلغنا أن من حملة العرش من تسيل عيناه مثل الأنهار، فإذا رفع رأسه قال: سبحانك ما تُخشى حق خشيتك، فيقول الله: لكن الذى يحلفون باسمى كاذبين لا يعلمون ذلك.

وعن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لما كان ليلة أسرى بى، رأيت جبريل عليه السلام كالشن البالى من خشية الله تعالى» (الشن: القربة).

وبلغنا أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبكى فقال له: «ما يبكيك، قال: ما جفت لى عين منذ خلق الله جهنم مخافة أن أعصيه، فيلقينى فيها».

وعن يزيد الرقاشى قال: إن لله تعالى ملائكة حول العرش تجرى أعينهم مثل الأنهار إلى يوم القيامة، يميدون كأنما تنفضهم الريح من خشية الله تعالى، فيقول لهم الرب عز وجل: يا ملائكتى ما الذى يخيفكم وأنتم عندى؟ فيقولون: يارب! لو أن أهل الأرض اطلعوا من عزتك وعظمتك على ما اطلعنا عليه، ما أساغوا طعاما ولا شرابا، ولا انبسطوا فى فرشهم، ولخرجوا إلى الصحارى يخورون كما تخور البقر.

وقال محمد بن المنكدر: لما خلقت النار، طارت أفئدة الملائكة من أماكنها، فلما خلق آدم عادت.

وروى أنه لم ظهر من إبليس ما ظهر، طفق جبريل وميكائيل يبكيان، فأوحى الله تعالى إليهما: «ما هذا البكاء؟ قالا: يارب! ما نأمن من مكرك. فقال تعالى: هكذا فكونا».

ذكر خوف الأنبياء عليهم السلام.

قال وهب: بكى آدم عليه السلام على الجنة ثلاثمائة عام، وما رفع رأسه إلى السماء بعد ما أصاب الخطيئة.

وقال وهيب بن الورد: لما عاتب الله تعالى نوحا عليه السلام فى ابنه فقال: ﴿**إنى أعظك أن تكون من الجاهلين**﴾ [هود: ٤٦] بكى ثلاثمائة عام حتى صار تحت عينيه أمثال الجداول من البكاء.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: كان يسمع لصدر إبراهيم عليه السلام إذا قام إلى الصلاة أزيز من بُعد خوفا من الله عز وجل.

وقال مجاهد: لما أصاب داود عليه السلام الخطيئة، خر لله ساجدا أربعين يوما حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطى رأسه، ثم نادى يارب: قرح الجبين، وجمدت العين، وداود لم يرجع إليه في خطيئته شيء، فنودي: أجائع أنت فتطعم؟ أم مريض فتشفى؟ أم مظلوم فتنصر، فنحب نحيبا هاج كل شيء نبت، فعند ذلك غفر له.

وقيل: كان داود عليه السلام يعوده الناس يظنون أنه مريض، وما به إلا شدة الفرق من الله عز وجل.

وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر الموت يقطر جلده دما.

وبكى يحيى بن زكريا عليهما السلام حتى بدت أضراسه، فاتخذت أمه قطعتين من لبود فألصقتهما بخديه.

ذكر خوف نبينا صلى الله عليه وآله وسلم

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قط مستجمعا ضاحكا، حتى أرى لهواته إنما كان يبتسم، وكان إذا رأى غيما وريحا عرف ذلك في وجهه، فقلت: يا رسول الله: الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عُرفت الكراهة في وجهك: فقال: «ياعائشة: ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب؟ قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا» أخرجاه في «الصحيحين» (اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق، أو ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم، جمعها لهوات ولهيات).

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء.

ذكر خوف أصحابه رضي الله عنهم.

روينا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يمسك لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد. وقال: يا ليتني كنت شجرة تعضد ثم تؤكل. وكذلك قال طلحة وأبو الدرداء وأبو ذر رضي الله عنهم.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسمع آية فيمرض فيعاد أياما. وأخذ يوما تبنة من الأرض فقال: ياليتني كنت هذه التبنة، يا ليتني لم أك شيئا مذكورا، ياليت أمي لم تلدني.

وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء وقال عثمان رضي الله عنه: وددت أني إذا مت لا أبعث.

وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: وددت أني كنت كبشا فذبحني أهلي. فأكلوا لحمي، وحسوا مرقي.

وقال عمران بن حصين: يا ليتني كنت رمادا تذروه الرياح.

وقال حذيفة رضي الله عنه: وددت أن لي إنسانا يكون في مالي، ثم أغلق عليَّ بابي، فلا يدخل عليَّ أحد حتى ألحق بالله عز وجل.

وكان مجرى الدمع في خد ابن عباس رضي الله عنه كالشراك البالي.

وقالت عائشة رضي الله عنها: يا ليتني كنت نسيا منسيا.

وقال علي رضي الله عنه: والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فما أرى اليوم شيئا يشبههم. لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا، بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا لله سجدا وقياما، يتلون كتاب الله تعالى، يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله عز وجل، ما دوا كما يميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين.

ذكر خوف التابعين ومن بعدهم.

قال هرم بن حيان: وددت والله أني شجرة أكلتني ناقة، ثم قذفتني بعرا، ولم أكابد الحساب يوم القيامة، إني أخاف الداهية الكبرى.

وكان علي بن الحسين إذا توضأ اصفر وتغير، فيقال: ما لك؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟

وكان محمد بن واسع يبكي عامة الليل لا يكاد يفتر.

وكان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير، ويبكي حتى تجري دموعه على لحيته. وبكى ليلة فبكى أهل الدار، فلما تجلت عنهم العبرة قالت فاطمة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين مم بكيت؟ قال: ذكرت منصرف القوم من بين يدي الله تعالى، فريق في الجنة، وفريق في السعير. ثم صرخ وغشي عليه.

ولما أراد المنصور بيت المقدس، نزل براهب كان ينزل به عمر بن عبد العزيز فقال له: أخبرني بأعجب ما رأيت من عمر. فقال؛ بات ليلة على سطح غرفتي هذه وهو من رخام،

فإذا أنـا بماء يقطر مـن الميزاب، فصعـدت فإذا هو سـاجد، وإذا دموع عينه تنحدر من الميزاب.

وقد روينـا عن عمر بن عبد العـزيز وفتح المـوصلي أنهما بكيا الدم.

وقـال إبـراهيم بن عيسى اليشكـرى: دخلت على رجل بالبحرين قد اعتزل الناس وتفرغ لنفسـه، فذاكرته شيئًا من أمر الآخـرة، وذكـر المـوت. قـال: فجعـل يشهق حتى خـرجت نفسه.

وقـال مسمع: شهدت عبـد الـواحد بـن زيد وهـو يعظ، فمات يومئذ في ذلك المجلس أربعة أنفس.

وكان يزيـد بن مرشد يبكي كثيرًا ويقول: والله لـو تواعدني ربي أن يسجنني فـي الحمـام، لكـان حقى أن لا أفتـر من البكاء، فكيف وقد تواعدنى أن يسجنني في النار إن عصيته؟!

وقال السرى السقطى: إنى لأنظر كل يوم إلى أنفى مخافة أن يكون قد اسود وجهى.

فهذه مخاوف الملائكة والأنبياء والعلماء والأولياء، ونحن أجدر بالخوف منهم، ولكن ليس الخوف بكثرة الذنوب ولكن بصفاء القلـوب وكمال المعرفة، وإنمـا أمنا لغلبة جهلنـا وقوة قساوتنا، فالقلب الصافى تحركه أدنى مخافة، والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ (مختصر منهاج القاصدين/ ٣٠٢ـ٣١٥).

قالـت المؤلفـة: ويوجد بـدار الكتب الظاهـرية بـدمشق (بمكتبة الأسد) مخطوط للغزالى بعنوان «الخوف والرجاء» جاء بيانه كما يلى:

الرقم: ٨٥٢٨

ـ كتاب الخوف والرجاء من كتاب إحياء علوم الدين الجزء الرابع ويوافق من ص١٠٤ ــ ١٣٦ طبعة الميمنية سنة ١٣١٢ هـ راجع إحياء علوم الدين.

المؤلف: أبو حـامد زين الدين محمد بـن محمد الغزالى الطوسى الشافعى المتوفى سنة ٥٠٥هـ/ ١١١١ ـ

أوله الحمد لله المرجو لطفه وثوابه، المخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب أوليـائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطف آلائه إلى النزول بفنائه.

آخرها: وإنما هى صفـاتك الحاضرة الآن قد انكشف لك صورتهـا فإن أردت أن تقتلها وتقهـرها وأنت قبل المـوت قادر عليها فافعل.

الخط نسخ معتاد مشكل، الحبـر: أسود وبعض كلمـاته بالأحمر.

ملاحظات: نسخة عادية عليها تملكات منها باسم سليم الجندى مفتى المعرة سنة ١٣٣٢ هـ (مخطوط الظاهرية١/ ٥١٣)

(مختصر منهاج القاصدين للإمام ابن قـدامة ـ قدم له الأستاذ محمد أحمـد دهمان، علق عليه شعيب الأرنوط وعبـد القادر الأرنـؤوط/ ٢٩٧ـ ٣١٥، ومختصر شعب الإيمان للإمام البيهقى، اختصار القزوينى ـ حققه وكتب حـواشيه عبـد الله حجاج/ ٢١ ــ ٢٣ والدعـاء المستجاب ــ جمع وتـرتيب أحمـد عبد الجـواد/ ١٥٨ وهـامش٤، وفهـرس مخطوطـات دار الكتب الظاهرية. التصوف ـ وضع محمد رياض المالح١/ ٥١٣).

* خَوْلان:

ذكرها بن حوقل في كتابه «صورة الأرض» فقال:

وبـلاد خـولان تشتمل على قـرى ومـزارع ومياه معمـورة بأهلها، وهي مفتـرشة بهـا أصناف من قبـائل اليمن. ونجران ونجرش مدينتان متقاربتان في الكبر وبها نخيل وتشملان على أحياء من اليمن كثيرة، وصعدة أكبر وأعمر منهما، وبها يتخذ مـا كـان يتخـذ بصنعـاء من الأدم. ويتخـذ بنجـران وجـرش والطـائف أدم كثيـر وأكثـره من صعـد، وبهـا مجمع التجـار والأمـوال، والحسنى المعـروف بـالـرسى بهـا مقيم (كتابات مضيئة/ ٧٠)

خَولان: بفتح أولـه، وتسكين ثانيه، وآخره نـون: مخلاف من مخـاليف اليمن منسوب إلى خـولان بن عمرو بن الحـاف ابن قضـاعة بن مـالك بن عمرو بن مـرة بن زيد بن مـالك بن حميـر بن سبأ؛ فتح هـذا المخـلاف فى سنة ثـلاث أو أربع عشرة فى أيـام عمر بن الخطاب، رضى الله عنـه، وأميره يعْلَى ابن مُنية وقتل وسبى، وفى خـولان كـانت النار التى تعبـدهـا اليمن، ويجـوز أن يكـون فعـلان من الخـول وهـم الأتبـاع. وخولان: قرية كانت بقـرب دمشق خربت، بها قبر أبى مسلم الخولانى وبها آثار باقية.

(معجم البلدان ٢/ ٤٠٧).

(كتابات مضيئـة فى التراث الجغرافى العربى ـ د. شـاكر خصباك/ ٧٠، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٤٠٧).

*ابن خَوْلان (-٨٠٣ هـ):

ذكره صاحب الطبقات السنية فقال هو إبراهيم بن محمد ابن عبد المحسن بن خولان الدمشقي الحنفي.

قال السخاوي: ذكره شيخنا (يقصد الحافظ ابن حجر) في «معجمه»، وقال: رافقنا في سماع الحديث بالقاهرة، ثم ولي وكالة بيت المال، بدمشق، وكانت لديه فضائل، وحدث عن أبي جعفر الغرناطي المعروف بابن الشرفي، بكثير من شعره.

مات في الكائنة العظمى، فيما أظن، وترجمه أيضا فيما قرأته بخطه، فيما استدركه على المقريزي، فقال: سمع كثيرا، وولي وكالة بيت المال، بدمشق، وكان يلازم يلبغا السالمي، فاعتنى به، وكان لطيف المحاضرة، مات بدمشق، في الفتنة العظمى، سنة ثلاث وثمانمائة. رحمه الله تعالى:

(الطبقات السنية في تراجم الحنفية للمولى تقي الدين عبد القادر التميمي الداري الغزي ـ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ١/ ٢٦٩، ٢٧٠. انظر أيضا الضوء اللامع لشمس الدين السخاوي ١/ ١٥٣).

*خَوْلة بنت الأزْوَر (- نحو ٣٥ هـ/ - نحو ٦٥٥م):

قال عنها الزركلي: خَوْلة بنت الأزْوَر الأسدي، شاعرة، كانت من أشجع النساء في عصرها، وتشبه بخالد بن الوليد في حملاتها. وهي أخت ضرار بن الأزور، لها أخبار كثيرة في فتوح الشام. وفي شعرها جزالة وفخر. توفيت في أواخر عهد عثمان رضي الله عنه (الأعلام ٢/ ٣٢٥).

قالت المؤلفة: ونحن نورد طرفا من أخبار شجاعتها النادرة، فهي مثال يحتذى بين النساء المسلمات.

قال الواقدي:

قال ووصل الخبر إلى خالد أن ضرارا (وهو أخو خولة) قد أسر بيد الروم، وأنه قتل من الروم خلقا كثيرا فعظم ذلك على خالد، وقال في كم العدو؟ قالوا في اثني عشر ألف فارس. فقال والله ما ظننت إلا أنهم في عدد يسير، ولقد غررت بقومي، ثم سأل عن مقدمهم من يكون؟ فقيل وردان صاحب حمص، وقد قتل ضرار ولده همدان، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم أرسل إلى أبي عبيدة يستشيره فبعث إليه أبو عبيدة يقول له: اترك على الباب الشرقي (أحد أبواب مدينة دمشق) من تثق به وسر إليهم فإنك تطحنهم بإذن الله تعالى. فلما وصل الجواب إلى خالد قال والله ما أنا ممن يبخل بنفسه في سبيل الله ثم أوقف بالمكان ميسرة بن مسروق العبسي رضي الله عنه ومعه ألف فارس، وقال له احذر أن تنفذ من مكانك. فقال ميسرة حبا وكرامة، وعطف خالد بالناس، وقال لهم أطلقوا الأعنة وقوّموا الأسنة فإذا أشرفتم على العدو فاحملوا حملة واحدة ليخلص فيها ضرار إن شاء الله تعالى إن كانوا أبقوا عليه، والله إن كانوا عجلوا عليه لنأخذن بثأره إن شاء الله تعالى وأرجو أن لا يفجعنا به، ثم تقدم أمام القوم وجعل يقول:

اليوم يوم فاز فيه من صدق
لا أرهب الموت إذا الموت طرق
لأروين الرمح من ذوي الحدق
لأهتكن البيض هتكا والدرق
عسى أرى غدا مقام من صدق
في جنة الخلد وألقى من سبق

فبينما خالد يترنم بهذه الأبيات، إذا نظر إلى فارس على فرس طويل وبيده رمح طويل وهو لا يبين منه إلا الحدق، والفروسية تلوح من شمائله وعليه ثياب سود وقد تظاهر بها من فوق لامته وقد حزم وسطه بعمامة خضراء وسحبها على صدره ومن ورائه، وقد سبق أمام الناس كأنه نار، فلما نظره خالد قال ليت شعري من هذا الفارس وايم الله إنه لفارس شجاع، ثم اتبعه خالد والناس، وكان هذا الفارس أسبق الناس إلى المشركين. قال وكان رافع بن عميرة الطائي رضي الله عنه في قتال المشركين وقد صبر لهم هو ومن معه إذ نظر خالدا وقد أنجده هو ومن معه من المسلمين، ونظر إلى الفارس الذي وصفناه وقد حمل على عساكر الروم كأنه النار المحرقة فزعزع كتائبهم وحطم مواكبهم، ثم غاب في وسطهم فما كانت إلا جولة الجائل حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء من الروم، وقد قتل رجالا وجندل أبطالا وقد عرض نفسه للهلاك، ثم اخترق القوم غير مكترث بهم ولا خائف وعطف على كراديس الروم في الناس وكثر قلقهم عليه، فأما رافع بن عميرة ومن معه فما ظنوا إلا أنه خالد وقالوا ما هذه الحملات إلا لخالد فهم على ذلك إذ أشرف عليهم رضي الله عنه وهو في كبكبة من الخيل: فقال رافع بن عميرة من الفارس الذي تقدم أمامك

فلقد بذل نفسه ومهجته. فقال خالد والله إننى أشد إنكارا منكم له ولقد أعجبنى ما ظهر منه ومن شمائله. فقال رافع أيها الأمير إنه منغمس فى عسكر الروم يطعن يمينا وشمالا.

فقال خالد معاشر المسلمين احملوا بأجمعكم وساعدوا المحامى عن دين الله. قال فأطلقوا الأعنة وقوّموا الأسنة والتصق بعضهم ببعض وخالد أمامهم إذ نظر إلى الفارس وقد خرج من القلب كأنه شعلة نار والخيل فى أثره، وكلما لحقت به الروم لوى عليهم وجندل، فعند ذلك حمل خالد ومن معه ووصل الفارس المذكور إلى جيش المسلمين. قال فتأملوه فرأوه قد تخضب بالدماء فصاح خالد والمسلمون لله درك من فارس بذل مهجته فى سبيل الله وأظهر شجاعته على الأعداء اكشف لنا عن لثامك. قال فمال عنهم ولم يخاطبهم وانغمس فى الروم فتصايحت به الروم من كل جانب وكذلك المسلمون، وقالوا أيها الرجل الكريم: أميرك يخاطبك وأنت تعرض عنه اكشف عن اسمك وحسبك لتزداد تعظيما فلم يرد عليهم جوابا، فلما بعد عن خالد سار إليه بنفسه وقال له ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبى بفعلك من أنت؟ قال فلما لج عليه خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه بلسان التأنيث، وقال: إننى يا أمير لم أعرض عنك إلا حياء منك لأنك أمير جليل وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور، وإنما حملنى على ذلك أنى محرقة الكبد زائدة الكمد، فقال لها من أنت؟ قالت أنا خولة بنت الأزور. المأسور بيد المشركين أخى وهو ضرار وأنى كنت مع بنات العرب وقد أتانى الساعى بأن ضرار أسير فركبت وفعلت ما فعلت. قال خالد نحمل بأجمعنا ونرجو من الله أن نصل إلى أخيك فنفكه.

ثم ينتقل الواقدى إلى الكلام على ثورة الأسيرات واشتراك خولة بنت الأزور.

(عندما انسحب أبو عبيدة وخالد عن حصار دمشق للتوجه إلى أجنادين ظن أهل دمشق بهم ضعفا وخرجوا لملاحقتهم بقيادة أخوين هما بولص وبطرس ولحقوا بمؤخرة الجيش واستطاعوا اقتطاع جزء منه فيهم النساء والأطفال وكانت المؤخرة بقيادة أبى عبيدة بينما تقدمه خالد مسرعا نحوا أجنادين) (انظر مادة «أجنادين (موقعة ـ)» فى م ٢ / ٤٥٤ ـ ٤٥٨).

قال: حدثني سعيد بن عمر عن سنان بن عامر اليربوعى، قال سمعت حبيب بن مصعب يقول: لما اقتطعوا من ذكرنا من نساء العرب سار بهم بطرس أخو بولص إلى أن نزل بهم على النهر الذى ذكرناه، ثم قال بطرس أنا لا أبرح من ههنا حتى أنظر ما يكون من أمر أخى ثم إنه عرض عليه النساء المأسورات فلم يعجبه منهن إلا خولة بنت الأزور أخت ضرار، قال بطرس هذه لى وأنا لها لا يعارضنى فيها أحد، فقال له أصحابه هى لك وأنت لها. قال وكل من سبق إلى واحدة يقول هى لى حتى قسموا الغنيمة على ذلك، ووقفوا ينتظرون ما يكون من أمر بولص وأصحابه، وكان فى النساء عجائز من حمير وتبع من نسل العمالقة والتبابعة وكن قد اعتدن ركوب الخيل وخوضات الليل والهجوم على القبائل، قال فاجتمعت النساء بعضهن على بعض فقالت لهن خولة بنت الأزور: يا بنات حمير بقية تبع أترضين بأنفسكن علوج الروم، ويكون أولادكن عبيدا لأهل الشرك، فأين شجاعتكن وبراعتكن التى نتحدث بها عنكن فى أحياء العرب ومحاضر الحضر ولا أراكن إلا بمعزل عن ذلك، وإنى أرى القتل عليكن أهون من هذه المصائب وما نزل بكم من خدمة الروم الكلاب.

فقالت عفرة بنت غفار الحميرية صدقت، ووالله يا بنت الأزور نحن فى الشجاعة كما ذكرت، وفى البراعة كما وصفت، لنا المشاهد العظام والمواقف الجسام، ووالله لقد اعتدنا ركوب الخيل وهجوم الليل غير أن السيف يحسن فعله فى مثل هذا الوقت، وإنما دهمنا العدو على حين غفلة وما نحن إلا كالغنم فقالت خولة يا بنات التبابعة والعمالقة خذوا أعمدة الخيام وأوتاد الأطناب ونحمل بها على هؤلاء اللئام فلعل الله ينصرنا عليهم أو نستريح من معرة العرب، فقالت عفرة بنت غفار والله ما دعوت إلا ما هو أحب إلينا مما ذكرت، ثم تناولت كل واحدة عمودا من أعمدة الخيام وصحن صيحة واحدة وألقت خولة على عاتقها عمود الخيمة وسعت من ورائها عفرة وأم أبان بنت عتبة وسلمة بنت زراع ولبنى بنت حازم ومزروعة بنت عملوق وسلمة بنت النعمان، ومثل هؤلاء رضى الله عنهن. فقالت لهن خولة: لا ينفك بعضكن عن بعض،

وكن كالحلقة الدائرة ولا تتفرقن فتملكن، فيقع بكن التشتيت. وحطمن رماح القوم واكسرن سيوفهن، قال فهجمت خولة أمامهن، فأول ما ضربت رجلا من القوم على هامته بالعمود فتجندل صريعا والتفت الروم ينظرون ما الخبر، فإذا هم بالنسوة، وقد أقبلن والعمد بأيديهن فصاح بهن بطريق يا ويلكن ما هذا، فقالت عفرة هذه فعالنا فلنضربن القوم بهذه الأعمدة ولا بد من قطع أعماركم وانصرام آجالكم يا أهل الكفر. قال فجاء بطرس، وقال تفرقوا عن النسوة ولا تبذلوا فيهن السيوف ولا أحد منكم يقتل واحدة منهن وخذوهن أسارى ومن وقع منكم بصاحبتي فلا ينالها بمكروه، فتفرق القوم عليهن وأحدقوا بهن من كل جانب وراموا الوصول إليهن فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا ولم تزل النساء لا يدنو اليهن أحد من الروم إلا ضربن قوائم فرسه فإذا تنكس عن جواده بادرت النساء بالأعمدة فيقتلنه ويأخذن سلاحه.

قال الواقدي: ولقد بلغني أن النسوة قتلن ثلاثين فارسا من الروم، فلما نظر بطرس إلى ذلك غضب غضبا شديدا وترجل وترجل أصحابه نحو النساء والنساء يحرض بعضهن بعضا ويقلن متن كراما ولا تمتن لئاما، وأظهر بطرس بأسه وتلهفه عندما نظر إلى فعلهن، ونظر إلى خولة بنت الأزور، وهي تجول كالأسد وتقول:

نحن بنات تبع وحمير
وضربنا في القوم ليس ينكر
لأننا في الحرب نار تسعر
اليوم تسقون العذاب الأكبر

قال فلما سمع بطرس ذلك من قولها، ورأى حسنها وجمالها، قال لها يا عربية اقصري عن فعالك فإني مكرمك بكل ما يسرك أما ترضين أن أكون أنا مولاك وأنا الذي تهابني أهل النصرانية ولي ضياع ورساتيق وأموال ومواش ومنزلة عند الملك هرقل، وجميع ما أنا فيه مردود إليك. أما ترضين أن تكوني سيدة أهل دمشق فلا تقتلي نفسك، فقالت له يا ملعون ويا ابن ألف ملعون والله لئن ظفرت بك لأقطعن رأسك والله ما أرضى بك أن ترعى لي الإبل فكيف أرضاك أن تكون لي كفؤا. قال فلما سمع كلامها حرض أصحابه على القتال، وقال أترون عارا أكبر من هذا في بلاد الشام أن النسوة غلبنكم فاتقوا غضب الملك، قال فافترق القوم وحملوا حملة عظيمة وصبرت النساء لهم صبر الكرام، فبينما هم على ذلك إذ أقبل خالد بن الوليد رضي الله عنه ومن معه من المسلمين، ونظروا إلى الغبار وبريق السيوف، فقال لأصحابه من يأتيني بخبر القوم فقال رافع بن عميرة الطائي أنا آتيك به قال ثم أطلق جواده حتى أشرف على النسوة وهن يقاتلن قتال الموت. قال فرجع وأخبر خالدا بما رأى، فقال خالد لا أعجب من ذلك أنهن من بنات العمالقة ونسل التبابعة، وما بينهن وبين تبع إلا قرن واحد (من كتاب فتوح الشام / ٦١ ـ ٧٠).

وقد ذكر ابن الحوراني خولة بنت الأزور من بين من دفنوا في الجانب الشرقي من دمشق وتوابعه وكذلك أخاها ضرار وقال إن قبره، يُزار ويُتبرك به (الإشارات / ٨٥، ٨٧).

(الأعلام للزركلي ٢ / ٣٢٥، ومن كتاب فتوح الشام لمحمد بن عمر الواقدي ـ اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها ماجد اللحام / ٦١ ـ ٧٠، والإشارات إلى أماكن الزيارات المسمى زيارات الشام لابن الحوراني ـ تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي / ٨٥).

***خولة بنت حكيم:**

خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمية زوج عثمان بن مظعون، ويقال لها أم شريك، ويقال لها خويلة (بالتصغير) ويقال هي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم. وقد اشتبه على كثيرين هذه بالتي قبلها من إفراد البخاري وخولة بنت ثعلبة صاحبة خولة بنت نامر وخولة أم حبيبة، والله أعلم بحقيقة الأمور (الرياض المستطابة / ٣٢٤).

قال هشام بن عروة عن أبيه: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ (الإصابة ٧ / ٧٠).

خرّج مسلم لخولة بنت حكيم حديثا واحدا وهو قولها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق.. الحديث.

وخرّج عنها الأربعة غير ابن ماجه، روى عنها سعد بن أبي وقاص وابن المسيب وجماعة (الرياض المستطابة / ٣٢٤).

(الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى ٧ / ٩، والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى / ٣٢٤).

*** خولة بنت مالك:**

خولة بنت مالك بن ثعلبة راوية كفارة الظهار وهى المجادلة ذكرها فى المهذب وهكذا وقع فى بعض نسخ المهذب خولة بنت مالك بن ثعلبة وفى بعضها خويلة بزيادة ياء وهما مرويان ورواية أبى داود بالياء وفى بعض الروايات خولة بنت ثعلبة بن أصرم وفى بعضها خولة بنت ثعلبة بن مالك وفى بعضها خويلة بنت خويلد بالتصغير فيهما وهى أنصارية امرأة أوس بن الصامت رضى الله عنه ويقال فيها أيضا جميلة بفتح الجيم كذا جاء فى رواية لأبى داود والبيهقى وغيرهما (تهذيب الأسماء واللغات ٢ / ٣٤٣).

قال أبو عمر: روينا من وجوه عن عمر بن الخطاب أنه خرج ومعه الناس فمر بعجوز فاستوقفته فوقف فجعل يحدثها وتحدثه فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز! فقال: ويلك، أتدرى من هى؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة بنت مالك بن ثعلبة التى أنزل الله فيها: **﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما﴾** [المجادلة: ١]. قال: وقد روى خليد بن دعلج عن قتادة قال: خرج عمر من المسجد ومعه الجارود العبدى فإذا بامرأة برزت على ظهر الطريق فسلم عليها عمر فردت عليه السلام فقالت: هيها ياعمر، عهدتك وأنت تسمى عُميرا فى سوق عكاظ تُرع الصبيان بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتق الله فى الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشى الفوت، فقال الجارود: قد أكثرتِ على أمير المؤمنين أيتها المرأة. فقال عمر: دعها، أما تعرفها؟ هذه خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصامت التى سمع الله قولها من فوق سبع سماوات فَعُمَرُ أحقُّ والله أن يسمع لها. قال أبو عمر: هكذا فى الخبر خولة بنت حكيم امرأة عبادة وهو وهم يعنى فى اسم أبيها وزوجها وخليد ضعيف سيىء الحفظ (الإصابة ٨ / ٦٩).

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام يحيى بن شرف الدين النووى ٢/ ٣٤٢، والإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى ٨ / ٦٩).

*** خونجان:**

قال ياقوت:

خونجان: بضم أوله، وبعد الواو الساكنة نون مفتوحة بعدها جيم، وآخره نون: قرية من قرى أصبهان؛ منها أبو محمد بن أبى نصر بن الحسن بن إبراهيم الخونجانى، شاب فاضل، سمع الحافظ أبا القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهانى وغيره.

(معجم البلدان ٢ / ٤٠٧).

*** الخونجى (٥٩٠-٦٤٦ هـ / ١١٩٤-١٢٤٨م):**

قال عنه الزركلى: محمد بن ناماوَر بن عبد الملك الخونجى، أبو عبد الله، أفضل الدين، عالم بالحكمة والمنطق. فارسى الأصل، انتقل إلى مصر، وولى قضاءها. وتوسع فيما يسمونه «علوم الأوائل» وصنف كتاب «كشف الأسرار عن غوامض الأفكار» مخطوط فى استانبول والقاهرة، فى الحكمة، و«الموجز» مخطوط فى المنطق، بالقاهرة، و«الجمل» اختصار «نهاية الأمل» لابن مرزوق التلمسانى وغير ذلك توفى بالقاهرة (الأعلام ٧ / ١٢٢).

وقد ذكره الحافظ السيوطى فى حسن المحاضرة فمين كان بمصر من أرباب المعقولات وعلوم الأوائل والحكماء والأطباء والمنجمين، وذكر من بين مؤلفاته شرحه مقالة ابن سينا. ثم قال عن توليه قضاء مصر: ولى قضاء الديار المصرية بعد عزل الشيخ عز الدين بن عبد السلام. قلت: فاعتبروا يا أولى الأبصار، يعزل شيخ الإسلام وإمام الأئمة شرقا وغربا ويولى عوضه رجل فلسفى! ما زال الدهر يأتى بالعجائب! (حسن المحاضرة ١ / ٥٤١).

كما ذكره ابن قنفذ القسنطينى فى وفيات سنة ٦٤٨ (كتاب الوفيات / ٣٢٠).

له ترجمة فى: شذرات الذهب ٥ / ٢٣٦، ٢٣٧، وذيل الروضتين / ١٨٢، ومفتاح السعادة ١ / ٢٤٦ وفيه وفاته سنة ٦٤٩ هـ، ولعله من خطأ الطبع.

(الأعلام للزركلى ٧ / ١٢٢، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ــ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٥٤١ وفيه وفاته سنة ٦٤٢ هـ).

*** الخوند:**

قال الدكتور حسن الباشا: الخوند لفظ فارسى عرفته اللغة التركية؛ وأصله «خداوند»، ومعناه السيد أو الأمير، ويخاطب به الذكور والإناث. وقد غلب استعماله فى العالم الإسلامى كلقب عام بمعنى السيدة أو الأميرة؛ وربما كان يحتفظ فى هذه الحالة بصيغته الفارسية «خوند»، وقد يرد معربا فتلحق به أداة التعريف «ال» أو تضاف إليه تاء التأنيث فى حالة استعماله المؤنث.

وقد استعمل هذا اللقب فى عصر المماليك كلقب من ألقاب النساء التى تتفرع على الأصول المؤنثة تأنيثا حقيقيا. وقد ورد فى كثير من النقوش المملوكية: ومن ذلك إطلاقه على شقرا بنت الناصر فرج فى نص بتاريخ سنة ٨٨٧ هـ فى ضريحه، وكذلك على زوجة الأشرف قايتباى فى نص من ح سنة ٩٠٥ هـ فى منبر مسجد الأميرة أصل باى بالفيوم.

وكان هذا اللقب يطلق على زوج السلطان أيضا: فقد ذكر خليل الظاهرى فى «زبدة كشف الممالك» بشأن القاعات أن القاعة الكبرى بالقلعة كانت برسم خوند الكبرى، وقاعة رمضان بها خوند الثانية، وقاعة المظفرية وبها خوند الثالثة، ثم قاعة المعلقة وبها خوند الرابعة، وقاعة البربرية برسم السرارى.

(الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٨٠، ٢٨١).

*** خوند (زاوية -):**

ذكرها على مبارك فى خططه (٢ / ٣٣٩) عند الكلام على شارع الشعرانى فقال عنها: وبآخره زاوية خوند بجوار ضريح الأربعين منقوش على بابها فى الحجر اسم فاطمة خوند، وهى مقامة الشعائر، وبها منبر، وكانت تعرف أولا بمدرسة أم خوند، وكان سيدى الوهاب الشعرانى يتعبد بها - كما هو مذكور فى كتاب وقفيته ا هـ.

ثم عاد وذكرها فى الزوايا (٦ / ٧٤) فقال عنها: زاوية خوند هى بخط بين السورين تجاه زاوية المغازى وأبى الحمائل مكتوب على بابها نقوش فى الحجر بقى منها اسم فاطمة خوند، وهى مقامة الشعائر وبها منبر.

وكان سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه يتعبد فى هذه الزاوية كما فى كتاب وقفيته، وعبر فى الطبقات عند ذكر مناقب الشيخ شهاب الدين الطويل النشيلى المجذوب بمدرسة أم خوند قال: كان يأتينى الشيخ شهاب وأنا فى مدرسة أم خوند ساكن فيقول: أقل لى بيضا قريصات. فأفعل له ذلك فيأكل البيض أولا ثم الخبز وحده ثانيا، وذكرنا ترجمته فى الكلام على زاويته ا هـ.

(الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك ٢ / ٣٣٩، و ٦ / ٧٤).

قالت المؤلفة: أدرجت هذه الزاوية فى فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة تحت عنوان «فاطمة أم خوند» (زاوية -) وجاء بيانها كمايلى: (النصف الأخير من القرن التاسع الهجرى / القرن الخامس عشر الميلادى) أثر رقم ٥٨).

*** أم خوند (مدرسة -):**

انظر: خوند (زاوية -):

*** خُوَى:**

قال ياقوت:

خوى: بلفظ تصغير خو: يوم من أيامهم فى هذا الموضع، ويقال: هو واد من وراء نهر أبى موسى؛ قال وائل ابن شرحبيل:

وغادرنا يزيد لدى خوى،
فليس بآيب أخرى الليالى

وقال أبو أحمد العسكرى (وفى رواية: أبو حامد العسكرى): يوم خوى يوم بين تميم وبكر بن وائل وهو اليوم الذى قتل فيه يزيد بن القحارية فارس بنى تميم، قتله شيبان ابن شهاب المسمعى؛ قال عامر بن الطفيل:

هلا سألت، إذا اللقاح تراوحت،
هدج الرئال، ولم تبل صرارا
إنا لنعجل بالعبيط لضيفنا،
قبل العيال، ونطلب الأوتارا
ونعد أياما لنا ومآثرا
قدما تبذ البدو والأمصارا
منها خوى والذهاب، وبالصفا
يوم تمهد مجد ذاك فسارا

وفي كتاب نصر: خوى واد يفرغ من فلج من وراء حفر أبي موسى. وخويٌّ أيضا: بلد مشهور من أعمال أذربيجان حصن كثير الخير والفواكه، ينسب إليها الثياب الخوية.

وينسب إليها أيضا أبو معاد عبدان الطبيب الخوى، يروى عن الجاحظ، روى عنه أبو على القالى ويوسف بن طاهر بن يوسف بن الحسن الخوى الأديب أبو يعقوب من أهل خوى، أديب فاضل وفقيه بارع حسن السيرة رقيق الطبع مليح الشعر مستحسن النظم، كتب لأبى سعد الإجازة وقد كان سكن نوقان طوس وولى نيابة القضاء بها وحمدت سيرته فى ذلك، وله تصانيف، من جملتها رسالة تنزيه القرآن الشريف عن وصمة اللحن والتحريم، وقال أبو سعد: وظنى أنه قُتل فى وقعة العرب بطوس سنة ٥٤٩ أو قبلها بيسير.

وينسب إليها أيضا أبو بكر محمد بن يحيى بن مسلم الخوى، حدث عن جعفر بن إبراهيم المؤذن، روى عنه أبو القاسم عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن إدريس الشافعى وغيره.

(معجم البلدان ٢ / ٤٠٨، ٤٠٩).

*** الخيار:**

خيار: بالكسر القثاء كما قاله الجوهرى وليس بعربى أصيل كما قاله الفنارى وصرح به الجوهرى وقيل شبه القثاء وهو الأشبه كما صرح به غير واحد (المعجم / ٥٥).

أورده المظفر الرسولى نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

قال:

«ع» الخيار أبرد وأغلظ وأثقل من القثاء، لأن برودته فى آخر الدرجة الثانية، وبرودة القثاء فى وسطها، ولذلك صار الخيار أشد تطفئة وتبريدا، ولأجل ذلك فعله فى توليد البلغم الغليظ، والإضرار بعصب المدة، وتفجيج الغذاء، أكثر من فعل القثاء، لأنه أثقل وأبعد انهضاما، فهو يولد الخلط البارد الغليظ المسمى خاما. والمختار منه ما كان جسمه صغيرا، وحبه رقيقا غزيرا متكاثفا، وأفضل ما يؤكل منه لبه فقط، لأنه أسرع انهضاما، وأكثر انحدارا، وهو يوافق الكبد والمعدة الملتهبتين، ولبه ألطف من لب القثاء، وإذا أكل اليسير منه طيب النفس. وخاصة الخيار إنه إن شمه من قد اختلف اختلافا كثيرا، أو أصابه غشى من حرارة مفرطة، وضعفت قواه، سكن عنه ما يجده. والخيار والقثاء إن جعل منهما سلائق، وأطعم صاحب الحميات الحادة، انتفع بها، وبزر الخيار بارد رطب فى الثالثة، نافع من احتراق الصفراء والدم، والورم الحار فى الكبد والطحال، ومن أوجاع الرئة وقروحها وجرم الخيال بطىء الانهضام، يدر البول إدرارا كثيرا، وهو قوى البرد جدا، وربما هاج منه وجع الخاصرة، وليحذره من يعتريه الرياح الغليظة. ولبه ينفع المحرورين.

«ج» يسمى القثد وهو ألطف من القثاء وأبرد، وفيه يسير قبض، وهو بارد رطب فى الدرجة الثانية، وينفع من الحميات المحترقة ويدر البول، وإذا أخذ من مائه ما بين ثلث رطل مع عشرة دراهم من السكر السليمانى أسهل المرار الأصفر، وقد يحدث عطشا لآكله طريا لاستحالته إلى المرار، ويحدث وجع المعدة والخواصر، ويصلحه العسل والزبيب.

«ف» يبرد أحشاء المحرورين، ويسكن العطش. المستعمل منه: بقدر الحاجة. (المعتمد ١ / ١٤٢، ١٤٣).

وقال عنه داود الأنطاكى:

الخيار نبت يشبه أصل البطيخ إلا أنه أدق وأنعم ورقا يغرس فى نحو مصر مرتين إحداهما بطوبه وأمشير ويدرك ببرموده والأخرى بتموز ويدرك بتوت فى غيرها مرة واحدة بأشباط وأذار ويدرك بحزيران وتموز (انظر مادة «أسماء الشهور» فى ٤/ ٥١٢) وهو نوعان: طويل يسمى بمصر الشامى، وقصير إلى استدارة محرف يسمى البلدى، وأجود الخيار الطويل الرقيق الأملس الغض فإن أخذ قبل انعقاد مائه فهو الجيد وإن كبر فليترك إلى بلوغه فإن الرطوبات الفجة تنحل فيها وشره المتوسط وهو بأسره بارد فى الثانية أو فى الثالثة رطب فيها أو فى الثانية يطفىء اللهيب والعطش وغليان الدم وكرب الصفراء ويسكن الصداع الحار ويفتح سدد الكبد ويدر البول ويفتت الحصى وإذا اعتصر ماؤه وشرب بسكر أسهل المحترقين واليابسين ويسكن الحميات وينفع من

البرقان منفعة ظاهرة ومتى غرس فيه القرنفل ثم نزع بعد ليلة وجعل فى ماء العسل وشرب جود اللون وفتح السدد وحل الرياح الغليظة الكائنة عن حرارة وسدد وأزال الخفقان من يومه وإن عصر الخيار وطلى بمائه الشعر منع القمل أن يتولد فيه وإن درس جميعه وعرك البدن به قطع الحرارة والحكة والجرب والخصف ونعّم البشرة وهو ردىء الهضم ثقيل نفاخ يولد القراقر ووجع الجنبين ويصلحه فى المحرورين السكنجبين وفى المبرودين العسل أو الزبيب أو النانخواه . وغلط من قال إنه لا يؤكل إلا مقشرا فإن أكله بقشره يخرجه عن المعدة سريعا قبل تعفينه ولا يجوز أكله مع لبن خصوصا للمبرود فإنه يجلب الفالج وبزره أجود من القثاء بل كله من كله لبعد العفونة فى الخيار ومتى أكل لبه نفع الكلى وحرقان البول وإذا مزج بالبورق والعسل ولطخ به الورم حلله (التذكرة ١ / ١٤٨).

ويضيف الدكتور سامى محمود من مستحدث الطب الحديث إلى ماجاء فى التذكرة أعلاه فيقول : هذا ما قاله داود عن الخيار . . والخيار من النباتات الزاحفة، وهو يحتوى على قدر كبير من الماء (٩٥٪) عُرف الخيار منذ أزل بعيد، وكان موطنه الهند ومنها انتقل إلى الشام ومصر وأوربا . والناس قد ألفوا تناول الخيار بمفرده أو ضمن مكونات السلطة، كما تفنن البعض فى صنع مخللات من الخيار لإضافته كنكهة جيدة وفاتح للشهية . والحقيقة أن الخيار له فوائد عديدة منها ما هو ظاهرى ومنها ما هو باطنى .

الخيار علاج للبشرة، وهو مهدئ للأعصاب ومفيد للمصابين بالسمنة (البدانة) . . والخيار من النباتات الخضراوية التى يفضل العامة تناولها بكثرة، وهو قد يؤكل منفردا، أو مخللا، أو يقطع على هيئة شرائح توضع على الأطعمة المختلفة أو السلاطات، ولعل ذلك يعود إلى قيمته الغذائية الكبيرة، فهو يحتوى على قدر معقول من فيتامين «أ» وفيتامين «ج» إضافة إلى الأملاح والأحماض المختلفة .

ويستعمل الخيار من الخارج (ظاهريا) لترطيب وتلطيف الجلد، فعصير الخيار الطازج ينقى جلد الوجه ويكسبه نضارة، ولهذا الغرض توضع شرائح من قشر الخيار على الوجه وتترك فترة كافية، أو يطلى الوجه بعصير الخيار فى المساء ليستمر مفعوله طوال الليل .

كما يستعمل الخيار طبيا من الداخل (باطنيا) كمسكن ومهدئ، والخيار المفروم مع اللبن الحليب يسكن العطش فى الحميات ويخفف الاضطرابات العصبية، كذلك يوصى مرضى البول السكرى بالإكثار من أكل الخيار الغض لتنقية الجسم من السموم .

وقد أثبتت التجارب أن خلاصة ثمرة الخيار لها تأثير انقباضى كبير على عضلات الرحم وذلك بتأثير مباشر على هذه العضلات مما يجعل له فائدة فى إدرار الطمث، كذلك ينصح بالإقلال من تناول الخيار فى الشهور الأولى من الحمل .

أيضا يعتبر الخيار من المأكولات المفيدة جدا للمصابين بالسمنة (البدانة) إذ أنه يمكن أن يعطى الإحساس بامتلاء المعدة والشعور بالشبع دون أن يسبب تراكم الشحم والدهن بالجسم(تذكرة داود / ٣٠٠، ٣٠١) .

أما عن فلاحة الخيار فيقول القزوينى :

الخيار: قال صاحب الفلاحة، إن أردت استعجال باكورته فاعمد إلى فخارة فى ذى ماء وازرع فيها الخيار بزرا وكلما سخنت الشمس أطلعها إليها وكذلك للمطر أيضا وإذا غابت الشمس ردها إلى أكفان البيوت وتعاهد سقيها نضحا ورشا، فإذا انسلخ الشتاء فانقل مافى الفخارة إلى الأرض فإذا نبتت فاقطع شيئا من أعلى ورقها فإنه يسرع بثمرته على جميع أصنافه بأيام يسيرة وإذا أردت أن لا يضره الدود فاخلط بزره إذا زرعته شيئا من النخاواه، ثمرته تنفع من الحميات المحرقة ويدر البول ويعطش فى الحال لاستحالته إلى الصفراء، بزره يدق ويطلى به الوجه يحسن اللون (عجائب المخلوقات / ١٨٧).

ويقول الشيخ عبد الغنى النابلسى : والخيار ويسمى القثد يزرع سقيا، وهو نوعان، صغير أبيض وأخضر مكتنز وأترجى اللون، وهو فى حاجة مستمرة إلى الماء، ويزرع بزره ويتعهد بالسقى، فإذا نبت فلا يرش بالماء وإلا احترق ورقه، وإذا سقى بالماء لا يغمر به، ويزرع بزره فى البيوت فى أوانى فخار مثقوبة إن أريد التبكير به، ويزرع فى آب (أغسطس)، ويؤكل فى الخريف وبعده، والخيار ألطف من القثاء وأبرد (علم الملاحة فى علم الفلاحة / ١٣٣).

وأما عن النظم فقد أورد الحافظ السيوطى هذين البيتين لبعضهم.

خيـــار حين تنسبـــه لبيت
كريحان السرور بـه اخضرار
كـأن نسيمــه أنفــاس حب
فليس لمغــرم عنـــه اصطبـــار

(حسن المحاضرة ٢/ ٤٤٣).

كما أورده الطبيب المغربي عبد القادر بن شقرون فى أرجوزته المعروفة بالشقرونية، من بين ما أسماه «ما تثمر البحيرة» وهى الخيار والقثاء والبطيخ والقرع بأنواعه وننقل هنا ما قاله عن الخيار، وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص. قال الناظم رحمه الله:

٢٦٧ ــ البـــرد ثم اللين فى الخيـــار
لا نكـــه يفضى إلى المـــرار
٢٦٨ ــ يطفى لهيب العطش الشـــديـــد
وغليـــان الـــدم بـــالتبـــريـــد
٢٦٩ ــ والـــرأى أن تأكلـــه بقشـــره
يخـــرج بـــالإســـراع قبل ضـــره
٢٧٠ ــ أضف أخى لمـــائه المعتصـــر
منـــه، هـــديت وزنـــه من سكـــر
٢٧١ ــ واشـــربـــه تسهل عفن الصفـــراء
بســـرعـــة وعفن الســـوداء

(الطب العربى/ ١١٦).

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ــ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى/ ٥٥، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٢٤٢، ١٤٣، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٤٨، وتذكرة داود للعلاج بالأعشاب والوسائل الطبيعية للطبيب العلامة داود الأنطاكى ــ الإشراف العلمى والإعداد د. سامى محمود/ ٣٠٠، ٣٠١ وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى/ ١٨٧، وعلم الملاحة فى علم الفلاحة للشيخ عبد الغنى النابلسى/ ١٣٣، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢/ ٤٤٣، والطب العربى فى القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونيه ـ تحقيق وتعليق د. بدر التازى، تعريب وتقديم د. عبد الهادى التازى/ ١١٦).

***خيار المجلس:**

انظر: الخيار (فى علم الفقه)

***خيار التعيين:**

أن يشترى أحد الثوبين بعشرة على أن يعيِّن أيًّا شاء

(التعريفات للشريف الجرجانى/ ١٣٧).

***خيار جنبر:**

انظر: خيار شنبر.

***خيار الرؤية:**

هو أن يشترى ما لم يره ويرده بخياره.

(التعريفات للشريف الجرجانى/ ١٣٧).

***خيار الشرط:**

انظر: الخيار (فى علم الفقه)

***خيارُ شَنْبَر:**

قال الزبيدى:

خيارُ شَنْبَر: شجر معروف وهو ضرب من الخروب شجره مثل كبار الخوخ والجزء الأخير منه معرب كثير بالإسكندرية ومصر وله زهر أصفر عجيب (المعجم/ ٥٥).

أورده المظفر الرسولى نقلا عن مصادر أربعة رمز إليها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية»

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى

ز: الزهراوى.

قال:

«ع» الخيار شنبر معروف، وثمره مألوف، وهو بمصر وإسكندرية وما والاهما، ومنهما يحمل إلى الشام. وشجرته وورقه قريب من شجر الجوز، وورقه زهر ياسمينى الشكل، خمس ورقات فى كل زهرة، فى نهاية الصفرة، فإذا قارب أن يذوى استحال لونه إلى البياض ويسقط، وتبرز أنابيب القضيب الشنبرية، منها الطويل ومنها القصير، كعناقيد

الخرنوب، شديدة الخضرة، ثم تسود إذا انتهت، وداخل أنابيبه طبقات لُب سود حلوة معسلة، وبين كل طبقتين نواة كنواة الخرنوب فى القدر، والمستعمل منه طبقاته، دون نواه وقصبه، والمختار منه ما اسود جوفه، وما كان براقا رزينا، ليس بمتحشف، وكان فى قصبه. و الخيار شنبر معتدل فى الحرارة والبرودة، وهو إلى الحرارة أميل، يسهل المرة الصفراء المحترقة، ويسكن حدة الدم، ويحلل الأورم الحارة أيضا، ويلين الصدر، وينقى العصب. والشربة منه: ثلاثة دراهم إلى عشرة دراهم، ويحل بالماء الحار، ويشرب، وهو يلين الأورام الصلبة طلاء وأورام الحلق والجوف، إذا تغرغر به مع طبيخ الزبيب، ومع عنب الثعلب، ويسهل بلا نكاية ولا أذى، ولا غائلة له، ويسقى للحبالى للمشى، ويُمْشِى المِرة، وينقى اليرقان، وينفع من وجع الكبد، ويطلى على النقرس والمفاصل، وإذا مرست فلوسه بماء الكزبرة الرطبة، ولعاب بزر قطونا، ثم تغرغر به، نفع من الخوانيق، ويسهل الطبيعة برفق، وينقى المعدة والأمعاء من الرطوبات والمرار، ويسهل خروج البراز المنعقد المتحجر، وإن سقى مع التمر هندى أسهل الصفراء وإن سقى مع التربد أسهل بلغما ورطوبة.

«ج» أجوده الهندى، وينفع من القولنج، وإسهاله بقوة جالية. والشربة: من خمسة دراهم إلى خمسة عشر درهما. وبدله: نصف وزنه ترنجبين. وثلاثة أوزانه لحم الزبيب، مع شيء من تربد.

«ف» مختازه الحديث الكثير العسل، معتدل فى الحر والبرد، ينفع من اليرقان ووجع الكبد، ويسهل البلغم والمرار، الشربة: عشرة دراهم. وقال: ينفع من المرة والصفراء ويقوى البدن، ويذهب بالحرارة والسحج.

«ز» بدله: مثل وزنه ترنجبين ونصف وزنه زبيب منزوع العجم. وقيل بدله: سكر سليمانى (المعتمد ١/ ١٤٣، ١٤٤).

وقال عنه داودالأنطاكى:

الخيار شنبر: يسمى البكتر الهندى شجر فى حجم الخرنوب الشامى لونا وورقا ويركب فيه لكنه لا ينجب إلا فى البلاد الحارة له زهر أصفر إلى بياض مبهج يزداد بياضه عند سقوطه ويخلف قرونا خُضْرا نحو نصف ذراع داخلها رطوبه سوداء وحب كحب الخرنوب بين فلوس رقيقة والمستعمل من ذلك كله الرطوبة وأجوده المقطوف بِبَابه وأن يستعمل بعد سنة ولا ينزع من قشرة إلا عند الاستعمال والمستعمل كما قطف ردى يبول الدم ويوقع فى الثفل والزحير وهو معتدل أو حار رطب فى الأولى أو . ' د فيها يخرج الصفراء المحترقة مع التمر هندى والبلغم مع التربد رالسوداء مع الهندبا أو البسفايج ويطفيء ضرر الدم بماء العناب ولعدم غائلته تسهل به الحبالى ويخرج الخام وينقى الدماغ والصدر ويفتح السدد ويزيل اليرقان وأهل مصر تستعمله بماء الجبن فى الحكة والاحتراقات والحب الفارسى وليس ببعيد ويضمد به النقرس ومع ماء عنب الثعلب يحلل الورم ومع الزعفران يفجر الخنازير والدبيلات وقشره بالزعفران والسكر بماء الورد يسهل الولادة مجرب ويسقط المشيمة وكذا قيل فى خيار الأكل وهو يضر البسفل ويصلحه العناب وشربته إلى ثلاثين درهما وبدله ثلاثة أمثاله شحم زبيب مع نصفه ترنجبين أو مثله رب سوس (التذكرة ١/ ١٤٨/ ١٤٩).

وقال عنه ابن سينا وقد أسماه «خيار جنبر» (الخروب الهندى): (جاء فى إحدى المخطوطات النباتية أن خيار جنبر هو الخروب الهندى).

منه كابلى، ومنه بصرى، ويمكن أن لا ينبت فى البصرة، إذ يحمل من الهند إلى البصرة. أجوده ما يؤخذ عن القصب، وما هو أبرق، وأدسم، وأجود قصبه أيضًا البراق الأملس. محلل ملين ينفع من الأورام الحارة فى الأحشاء، خصوصا فى الحلق، إذا تغرغر به، وبماء عنب الثعلب، ويطلى على الأورام الصلبة فينتفع به. يطلى به النقرس (مرض)، والمفاصل الوجعة. إذا مزج فى ماء الكزبرة الرطبة، بلعاب بزر قطونا، ثم يغرغر به من الخوانيق، منق للكبد، نافع من اليرقان، ووجع الكبد، ملين البطن، يخرج المرة المحرقة، والبلغم. وإسهاله إسهال بلا أذى، حتى يصلح للحبالى فيسهلن (القانون فى الطب/ ٣١٥).

وقال عنه صاحب المواكب الإسلامية: البق لا يقرب عوده، معقل للطبع، ويعمل منه دبسا يسمى عسل الخروب (المواكب الإسلامية ٢/ ٢٧٥).

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ــ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى/ ٥٥. والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا، ١/ ١٤٣، ١٤٤،

وتذكره أولى الألباب لداود بن عمر الأنطكي ١/ ١٤٨، ١٤٩، والقانون في الطب لابن سينا ـ شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطي/ ٣١٥، والمواكب الإسلامية لمحمد بن عيسى بن كنان الصالحي الدمشقي ـ تحقيق ودراسة د. حكمت إسماعيل، مراجعة محمد المصري ٢/ ٢٧٥. انظر أيضا مفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري ـ تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية. ود. إحسان صدقي العمد/ ٣٢٨).

***خيار العيب:**

خيار العيب: هو أن يختار رد المبيع إلى بائعه بالعيب

(التعريفات للشريف الجرجاني: ١٣٧)

انظر: الخيار (في علم الفقة).

*** الخيار (في علم الفقة):**

هو طلب خير الأمرين من الإمضاء أو الإلغاء (فقه السنة م ٣ ج ١١/ ٢٦٨) جاء في تيسير الوصول ما يلي في الخيار (الباب الخامس):

١ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما. أن النبي ﷺ قال «المتبايعان بالخيار ما لم يفترقا، أو يقول أحدهما للآخر: اختر، وربما قال: أو يكون بيع خيار». أخرجه الستة.

٢ـ وفي روايه للشيخين: «إذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا أو يخير أحدهما الآخر، فإن خير أحدهما الآخر فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع، وإن تفرقا بعد أن تبايعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب».

٣ـ وفي أخرى لمسلم: «كل بيعين لا بيع بينهما حتى يتفرقا إلا بيع الخيار».

٤ـ وله في أخرى. قال نافع: «وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا بايع رجلا فأراد أن لا يقيله قام فمشى هنيهة ثم رجع».

٥ـ وفي أخرى للترمذي: «كان ابن عمر إذا ابتاع بيعا وهو قاعد قام ليجب له».

٦ـ وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: «قال رسول ﷺ البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما». أخرجه الخمسة.

٧ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا إلا أن تكون صفقة خيار فلا يحل أن يفارق صاحبه خشية أن يستقيله». أخرجه أصحاب السنن.

٨ـ وفي أخرى لأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: لا يتفرقن اثنان إلا عن تراض».

٩ـ وعن جابر رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ خير أعرابيا بعد البيع». أخرجه الترمذي وصححه.

١٠ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال «قال رسول الله ﷺ: إذا اختلف البيعان فالقول قول البائع، والمبتاع بالخيار». أخرجه مالك والترمذي واللفظ له.

١١ـ وعن أبي الوضيء قال: «غزونا غزوة فنزلنا منزلا فباع صاحب لنا فرسا بغلام ثم أقاما بقية يومهما وليلتهما؛ فلما أصبحنا حضر الرحيل فقام الرجل إلى فرسه ليسرجه فندم فأتى الرجل فأخذه بالبيع فأبى الرجل أن يدفعه إليه، فقال: بيني وبينك أبو برزة صاحب رسول الله ﷺ، فأتياه فأخبراه فقال: أترضيان أن أحكم بينكما بقضاء رسول الله ﷺ؟ قال رسول الله ﷺ: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا. ولا أراكما افترقتما». أخرجه أبو داود. (تيسير الوصول ١/ ٧٤, ٧٥).

قال الإمام ابن قدامة في باب الخيار:

البيعان بالخيار ما لم يتفرقا بأبدانهما، فإن تفرقا ولم يترك أحدهما البيع فقد وجب البيع إلا أن يشترط الخيار لهما أو لأحدهما مدة معلومة فيكونان على شرطهما وإن طالت المدة إلا أن يقطعاه، وإن وجد أحدهما بما اشتراه عيبا لم يكن علمه فله رده أو أخذ أرش العيب، وما كسبه المبيع أو حدث فيه من نماء منفصل قبل علمه بالعيب فهو له لأن الخراج بالضمان. وإن تلفت السلعة أو عتق العبد أو تعذر رده فله أرش العيب، وقال النبي ﷺ: «لا تصروا الإبل والغنم، فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها، إن رضيها أمسكها وإن سخطها ردها وصاعا من تمر، فإن علم بتصريتها قبل حلبها ردها ولا شيء معها». وكذلك كل مدلس لا يعلم تدليسه فله رده (التدليس ستر عيب المبيع) أو كذلك لو وصف المبيع بصفة تزيد بها ثمنه فلم يجدها فيه كصناعة في العبد أو كتابة، أو أن الدابة هملاجة (الهملاجة: السريعة) والفهد صيود أو معلم، أو أن الطائر مصوت ونحوه. ولو أخبره بثمن المبيع فزاد عليه رجع عليه بالزيادة وحظها من الربح إن

كان مرابحة، وإن بان أنه غلط على نفسه خير المشترى بين رده وإعطائه ما غلط به، وإن بان أنه مؤجل ولم يخبرة بتأجيله فله الخيار بين رده وإمساكه. وإن اختلف البيعان فى قدر الثمن تحالفا، ولكل واحد منهما الفسخ إلا أن يرضى بما قال صاحبه. (عمدة الفقه/ ٤٩، ٥٠). ويبين فضيلة الشيخ السيد سابق أقسام الخيار على النحو التالى: وهى خيار المجلس وخيار الشرط، وخيار العيب:

خيار المجلس:

إذاحصل الإيجاب والقبول من البائع والمشترى وتم العقد فلكل واحد منهما حق إبقاء العقد أو إلغائه ما داما فى المجلس (أى محل العقد) ما لم يتبايعا على أنه لا خيار.

فقد يحدث أن يتسرع أحد المتعاقدين فى الإيجاب أو القبول ثم يبدو له أن مصلحته تقتضى عدم إنفاذ العقد فجعل له الشارع هذا الحق لتدارك ما عسى أن يكون قد فاته بالتسرع.

روى البخارى ومسلم عن حكيم بن حزام أن رسول الله ﷺ قال:

«البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيّنا بورك لهما فى بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما».

أى أن لكل من المتبايعين حق إمضاء العقد أو إلغائه ما داما لم يتفرقا بالأبدان، والتفرق فى كل حالة بحسبها، ففى المنزل الصغير بخروج أحدهما، وفى الكبير بالتحول من مجلسه إلى آخر بخطوتين أو ثلاث، فإن قاما معا أو ذهبا معا فالخيار باق.

والراجح أن التفرق موكول إلى العرف فما اعتبر فى العرف تفرقا حكم به وما لا فلا.

روى البيهقى عن عبد الله بن عمر قال: بعت من أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه مالا بالوادى بمال له بخيبر، فلما تبايعنا رجعت على عقبى حتى خرجت من بيته خشية أن يردنى البيع، وكانت السُّنة أن المتبايعين بالخيار حتى يتفرقا.

وإلى هذا ذهب جماهير العلماء من الصحابة والتابعين. وأخذ به الشافعى وأحمد من الأئمة وقالا: إن خيار المجلس ثابت فى البيع والصلح والحوالة والإجارة وفى كل عقود المعاوضات اللازمة التى يقصد منها المال.

(خالف ذلك أبو حنيفة ومالك قالا: إن خيار المجلس باطل. والعقد بالقول كاف لازم وإذا وجب البيع فليس لأحدهما الخيار وإن كانا فى المجلس. وحملا التفرق فى الحديث على التفرق فى الأقوال).

أما العقود اللازمة التى لا يقصد منها العوض مثل عقد الزواج والخلع فإنه لا يثبت فيها خيار المجلس. وكذلك العقود غير اللازمة كالمضاربة والشركة والوكالة.

خيار الشرط:

خيار الشرط هو أن يشترى أحد المتبايعين شيئا على أن له الخيار مدة معلومة وإن طالت إن شاء أنفذ البيع فى هذه المدة وإن شاء ألغاه (هذا مذهب أحمد. وذهب أبو حنيفة والشافعى إلى أن مدة الخيار ثلاثة أيام فما دونها. وقال مالك: المدة مقدرة بقدر الحاجة).

ويجوز هذا الشرط للمتعاقدين معا ولأحدهما إذا اشترطه.

والأصل فى مشروعيته:

١ـ ما جاء عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال.

«كل بيعين لا بيع بينهما حتى يتفرقا إلا بيع الخيار».

أى لا يلزم البيع بينهما حتى يتفرقا إلا إذا اشترط أحدهما أو كلاهما شرط الخيار مدة معلومة.

٢ـ وعنه أن النبى ﷺ قال:

«إذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعًا، أو يخير أحدهما الآخر فيتبايعا على ذلك فقد وجب البيع» رواه الثلاثة.

ومتى انقضت المدة المعلومة ولم يفسخ العقد لزم البيع.

ويسقط الخيار بالقول كما يسقط بتصرف المشترى فى السلعة التى اشتراها بوقف أو هبة أو سوم لأن ذلك دليل رضاه.

ومتى كان الخيار له فقد نفذ تصرفه.

متى يسقط:

ويسقط خيار الشرط بإسقاطهما له بعد العقد وإن أسقطه أحدهما بقى خيار الآخر وينقطع بموت أحدهما.

خيار العيب

حرمة كتمان العيب عند البيع:

يحرم على الإنسان أن يبيع سلعة بها عيب دون بيانه للمشترى.

١ـ فعن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«المسلم أخو المسلم، لا يحل لمسلم باع من أخيه بيعا وفيه عيب إلا بيَّنه» .

رواه أحمد وابن ماجه والدارقطني والحاكم والطبراني .

٢ـ وقال العدَّاء بن خالد :

«كتب لي النبي ﷺ : هذا ما اشتراه العدَّاء بن خالد بن هوذة من محمد رسول الله اشترى منه عبداً أو أمة، لا داء ولا غائلة، ولا خبثة، بيع المسلم من المسلم» .

٣ـ ويقول الرسول ﷺ :

«من غشنا فليس منا» .

حكم البيع ومع وجود العيب :

ومتى تم العقد وقد كان المشترى عالما بالعيب فإن العقد يكون لازما ولا خيار له لأنه رضى به .

أما إذا لم يكن المشترى عالما به ثم علمه بعد العقد فإن العقد يقع صحيحا، ولكن لا يكون لازما، وله الخيار بين أن يرد المبيع ويأخذ الثمن الذى دفعه إلى البائع وبين أن يمسكه ويأخذ من البائع من الثمن بقدر ما يقابل بالنقص الحاصل بسبب العيب إلا إذا رضى به أو وجد منه ما يدل على رضاه كأن يعرض ما اشتراه للبيع أو يستغله أو يتصرف فيه .

قال ابن المنذر: إن الحسن وشريحًا وعبد الله بن الحسن وابن أبي ليلى والثورى وأصحاب الرأى يقولون :

إذا اشترى سلعة فعرضها للبيع بعد علمه بالعيب بطل خياره .

وهذا قول الشافعى :

خيار التدليس فى البيع :

إذا دلس البائع على المشترى ما يزيد به الثمن حرم عليه ذلك وللمشترى خيار الرد ثلاثة أيام، وقيل إن الخيار يثبت له على الفور. أما الحرمة فللغش والتغرير والرسول ﷺ يقول :

«من غشنا فليس منا» .

وأما ثبوت خيار الرد فلقوله صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه عنه أبو هريرة :

«لا تصروا الإبل والغنم» (أى لا تتركوا لبنها فى ضرعها أياما حتى يعظم فتشتدالرغبة فيها) .

فمن ابتاعها فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها إن شاء أمسك وإن شاء ردها وصاعا من تمر »، وراه البخارى ومسلم .

(أى يرد معها صاعا من تمر أو شيئا من غالب قوتهم بدلا من اللبن الزائد عن نفقتها إذا كانت تعلف أو ما يرتضيه المتعاقدان من قوت وغيره) .

قال ابن عبد البر: «هذا الحديث أصل فى النهى عن الغش وأصل فى أنه أى التدليس لا يفسد أصل البيع، وأصل فى أن مدة الخيار ثلاثة أيام، وأصل فى تحريم التصرية وثبوت الخيار بها» .

فإذا كان التدليس من البائع بدون قصد انتفت الحرمة مع ثبوت الخيار للمشترى دفعا للضرر عنه .

خيار الغبن فى البيع والشراء (ويسمى بالمسترسل) :

الغبن قد يكون بالنسبة للبائع كأن يبيع ما يساوى خمسة بثلاثة .

وقد يكون بالنسبة للمشترى كأن يشترى ما قيمته ثلاثة بخمسة .

فإذا باع الإنسان أو اشترى وغبن كان له الخيار فى الرجوع فى البيع وفسخ العقد بشرط أن يكون جاهلا ثمن السلعة، ولا يحسن المماكسة لأنه يكون حينئذ مشتملا على الخداع الذى يجب أن يتنزه عنه المسلم .

فإذا حدث هذا كان له الخيار بين إمضاء العقد أو إلغائه .

ولكن هل يثبت الخيار بمجرد الغبن؟

قيده بعض العلماء بالغبن الفاحش، وقيده بعضهم بأن يبلغ ثلث القيمة وقيده البعض بمجرد الغبن .

وإنما ذهبوا إلى هذا التقييد لأن البيع لا يكاد يسلم من مطلق الغبن .

ولأن القليل يمكن أن يتسامح به فى العادة .

وأولى هذه الآراء أن الغبن يقيد بالعرف والعادة . فما اعتبره العرف والعادة غبنا ثبت فيه الخيار. وما لم يعتبراه لا يثبت فيه .

وهذا مذهب أحمد ومالك وقد استدلا عليه بما رواه البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال :

ذكر رجل ـ اسمه حبان بن منقذ للنبى ﷺ أنه يُخدع فى البيوع، فقال:

«إذا بايعت فقل: لا خلابة» (أى لا خديعة. وظاهر هذا أن من قال ذلك ثبت له الخيار سواء غبن أم لم يغبن) زاد ابن إسحاق فى رواية يونس بن بكير وعبد الأعلى عنه:

«ثم أنت بالخيار فى كل سلعة ابتعتها ثلاث ليال، فإن رضيت فأمسك، وإن سخطت فأردد».

فبقى ذلك الرجل حتى أدرك عثمان وهو ابن مائة وثلاثين سنة.

فكثر الناس فى زمن عثمان فكان إذا اشترى شيئًا، فقيل له: إنك غبنت فيه، رجع فيشهد له رجل من الصحابه بأن النبى ﷺ قد جعله بالخيار ثلاثًا فترد له دراهمه.

وذهب الجمهور من العلماء إلى أنه لا يثبت الخيار بالغبن لعموم أدلة البيع ونفوذه من غير تفرقة بين ما فيه غبن وغيره. وأجابوا عن الحديث المذكور: بأن الرجل كان ضعيف العقل، وإن كان ضعفه لم يخرج به عن حد التمييز فيكون تصرفه مثل تصرف الصغير المميز المأذون له بالتجارة فيثبت له الخيار مع الغبن. ولأن الرسول ﷺ لقنه أن يقول: لا خلابة أى عدم الخداع فكان بيعه وشراؤه مشروطين بعدم الخداع فيكون من باب خيار الشرط.

تلقى الجلب:

ومن صور الغبن تلقى الجلب، وهو أن يقدم ركب التجارة بتجارة فيتلقاه رجل قبل دخولهم البلد وقبل معرفتهم السعر فيشترى منهم بأرخص من سعر البلد، فإذا تبين لهم ذلك كان لهم الخيار دفعا للضرر، لما رواه مسلم عن أبى هريرة النبى ﷺ نهى عن تلقى الجلب وقال:

لا تلقوا الجلب، فمن تلقاه فاشترى منه فإذا أتى السوق فهو بالخيار» وهذا النهى للتحريم فى قول أكثر العلماء. (فقه السنة ٣ ج ١١/ ٢٦٨ـ٢٧٤).

ومنه التناجش (انظرها فى «النجش»). ومنه الإقالة (انظر مادة «الإقالة» فى م ٥/ ٤٧٢).

أما عن الأجنبى واشتراط الخيار له فقد جاء ما يلى فى موسوعة الفقة الإسلامى:

يجيز الأحناف اشتراط الخيار لأحد المتعاقدين أو لهما معا أو لغيرهما، لأن حكمة مشروعيته تقتضى ذلك، ولأن اشتراطه للغير ـ الأجنبى عن العقد ـ اشتراط لنفسه إذا يجعل غيره وكيلا عنه، ولذا لم يسقط حق العاقد نفسه فى الخيار.

وخالف فى جواز اشتراطه للأجنبى زفر وعلل لذلك بأن خيار الشرط من حقوق العقد وهى تثبت للعاقد واشتراطهما ذلك للغير مفسد للعقد، ولأن هذا الشرط يتعلق بانفساخ العقد وإبرامه، وينبغى ألا يكون ذلك بفعل الغير (بدائع الصنائع/ ٢٧١).

وإذا اشترط أحدهما الخيار لأجنبى عن العقد فالأحناف، عدا زفر، يرون أن حق الخيار يثبت للمشترط وللأجنبى.

يقول الزيلعى: «لو شرط المشترى الخيار لغيره صح وأيهما أجاز أو نقض صح، فإن أجاز أحدهما ونقض الآخر فالأسبق أحق وإن كانا معا فى وقت واحد كان الفسخ أولى من الإجازة» (تبيين الحقائق ١٤/ ١٩).

وفى رواية أخرى تصرف المالك أولى فسخا كان أو إجازة، لأن الأصل أقوى، إذا النائب يستفيد الولاية منه، فلا يصح أن يكون معارضا للأصل. ولأنه لما أقدم على التصرف كان عزلا منه بالفعل حكما.

مذهب المالكية:

قال المالكية: وجاز الخيار ولو كان لغير المتبايعين، والكلام فى إمضاء البيع وعدمه لمن جعل له الخيار دون غيره من المتبايعين بخلاف المشورة كبعته واشتريته بكذا على مشورة فلان، فلمن علق على المشورة من المتبايعين الاستبداد بالإمضاء أو الرد دون من علقت المشورة عليه، والفرق أن من علق الأمر على خيار غيره ورضاه قد أعرض من نفسه بالمرة ومن علق على المشورة لغيره فقد جعل لنفسه ما يقوى نظره فله أن يستقل بنفسه. هذا هو الراجح (الشرح الصغير للدردير مطبوع بهامش بلغة السالك ٢/ ٤٣ المكتبة التجارية).

وذكر الصاوى فى بلغة السالك فى المسألة أقوالا أربعة:

الأول، وهو المعتمد: أنه لا استقلال له فى الخيار بائعا كان أو مشتريا.

والثانى: له الاستقلال.

والثالث: له الاستقلال فى الرضا وليس له الاستقلال فى الخيار.

والرابع: له الاستقلال إن كان بائعا فى الخيار والرضا وليس له ذلك إن كان مشتريا.

مذهب الشافعية:

قال الشافعية: وإن شرط ل الخيار لأجنبى ففيه قولان.

أحدهما: لا يصح لأنه حكم من أحكام العقد، فلا ثبت لغير المتعاقدين.

والثانى: يصح لأنه جعل إلى شرطهما للحاجة، وربما دعت الحاجة إلى شرطه للأجنبى بأن يكون أعرف بالمتاع منهما فإن شرطه للأجنبى وقلنا إنه يصح فهل يثبت له؟ فيه وجهان:

أحدهما: يثبت له لأنه إذا ثبت للأجنبى من جهته فلأن يثبت له أولى.

والثانى: لا يثبت لأن ثبوته بالشرط فلا يثبت إلا لمن شرط له (المهذب للشيرازى ١/ ٢٥٨، طبعة الحلبى).

مذهب الحنابلة:

وإن شرط الخيار لأجنبى صح وكان اشتراطا لنفسه وتوكيلا لغيره.. وهذا قول أبى حنيفة ومالك، وللشافعى فيه قولان: أحدهما لا يصح، وكذلك قال القاضى: إذا أطلق الخيار لفلان أو قال لفلان دونى لم يصح لأن الخيار شرط لتحصيل الحظ لكل واحد من المتعاقدين بنظره فلا يكون لمن لا حظ له فيه وإن جعل الأجنبى وكيلا صح.

ثم قال: وإن كان العاقد وكيلا فشرط الخيار لنفسه صح فإن النظر فى تحصيل الحظ مفوض إليه وإن شرطه للمالك صح لأنه هو المالك والحظ له وإن شرطه لأجنبى لم يصح لأنه ليس له أن يوكل غيره ويحتمل الجواز بناء على الرواية التى تقول للوكيل التوكيل (المغنى مع الشرح الكبير ٤/ ١٠٠ طبعة المنار).

مذهب الظاهرية:

قال ابن حزم الظاهرى: كل بيع وقع بشرط خيار للبائع أو للمشترى أو لهما جميعا أو لغيرهما خيار ساعة أو يوم أو أكثر أو أقل فهو باطل تخيرا إنفاذه أو لم يتخيرا (المحلى لابن حزم ٨/ ٣٧٠ مسألة رقم ١٤٢٠).

مذهب الزيدية:

قال الزيدية: ويصح الخيار للأجنبى ولا بد أن يكون معلوما كزيد مثلا ويتبعه خيار الجاعل ويكون الخيار لهما معا وفائدته أن من سبق من الجاعل أو المجعول له وهو الأجنبى المعين إلى فسخ أو أمضاء كان الحكم له ثم قال: إلا أن يشترط الجاعل أن لا خيار لنفسه فيبطل خياره ويبقى الخيار للأجنبى فقط، ثم قال: وأما لو وقع الخيار لأجنبى مجهول فإن كان حال العقد فلا يصح العقد ولا الشرط وإن كان بعده صح العقد ولغا الشرط (التاج المذهب ٢/ ٤٠٤، الطبعة الأولى).

مذهب الإمامية:

قال الإمامية: ويجوز اشتراط الخيار لأجنبى عنهما أو عن أحدهما، ولأجنبى مع أحدهما عنه وعن الآخر ومعهما واشتراط الأجنبى تحكيم ولا توكيل عمن جعل عنه فلا اختيار له معه (الروضة البهية ١/ ٣٢٣ طبع دار الكتاب العربى).

مذهب الأباضية:

قال الإباضية: وجاز اشتراط الخيار لغير المتبايعين ممن جاز فعله فى البيع والشراء فى الجملة ولو كان محجورا عليه فى ماله، لأن التحجير عليه فى ماله لا فى رضاه البيع أو الشراء لغيره ثم قال: وبطل ممن لا يصح كطفل ونحوه.

(النيل وشرحه ٤/ ٥٥١).

(موسوعة الفقه الإسلامى ٣/ ١٥٤-١٥٦).

وعن هذا كله يقول الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى فى منظومته تحت عنوان «باب الشروط والخيار والعيوب فى البيع»:

وأمضى اشتراط الانتفاع
إن كان معلوما على المبتاع
كذا اشترى العبد لأجل العتق تم
وكل شرط فاسد فكالعدم
ولا يحل سلف وبيع أو
شرطان فى بيع كذلك قد رووا
ويشرك المبتاع إن خاف الغبن
سلامة ثم ثلاثا خيرن
وأضرب الخيار فيما أثرا
شرط ومجلس وعيب ظهرا

أمـــا خيـــار الشــرط فـــالخــلاف فى
ثبـــوتـــه وحـــده لـم ينتـف
والنـص قـــد أجـــازه ولـم يـــزد
فـى حـــده علـى ثـــلاث فـــاعتمـــد
والثـــانى حـــده الفـــراق إلا إذا
صفقتهـم كـــانـت خيـــارًا فخـــذا
ثـم خيـــار العيب حين يظهـــر
للمشتـــرى فـى أى وقـت يـــؤثـــر
وعلـــة المبيـع بـــالضمـــان
لـــه ولا بـــد مـن البيـــان
لعيـب مـــا بـــاع ولا يحـل لـــه
ولا لمـن يعلم ستـــر الغـــائلـــه
وفـى المصـــرات خيـــار مـن شـــرى
ثـــلاثـــة الأيـــام نصًّـــا قـــد يـرى
إن شـــاء فليمسك وإلا ردهـــا
وصـــاع تمـــر فـــارعهـــا لا تعـــدهـــا
وعهـــدة الـــرقيـق فـى نـص نقـل
ثـــلاثـــة الأيـــام لكن قـــد أعـل
ومـن أقـــوال عشـــرة لمسلم
أقـــالـــه عشـــرتـــه ذو النعـم

(مجموع/ ٥٣).

(فقه السنة ـ فضيلة الشيخ السيد سابق م ٣ج ١١/ ٢٦٨ ـ ٢٧٤، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ١/ ٧٤، ٧٥، وعمدة الفقه لابن قدامة ـ تخريج أبى عبد العزيز عبد الله بن سفر عبادة العبدلى الغامدى، ومحمد دغيليب البراق العتيبى / ٤٩، ٥٠، وموسوعة جمال عبد الناصر فى الفقه الإسلامى ٣/ ١٥٤ ـ ١٥٦، ومجموع: » السبل السوية لفقه السنن المروية« ـ نظم حافظ بن أحمد الحكمى/ ٦٣).

*** الخيار (فى علم مصطلح الحديث):**

من ألفاظ التعديل

(معجم مصطلحات توثيق الحديث ـ د. على زوين / ٣٤)

انظر مادة «الجرح والتعديل (علم ـ) فى م / ٢١/ ١٠٩ ـ ١١٦

*** الخيار والفسخ:**

يثبت الخيار لكل من الزوجين:

١ ـ إذا ظهر العيب: كالجنون، والجذام، والبرص.

٢ ـ أو كان الزوج عاجزا.

٣ ـ وبالغرر، (الخداع والغش) كأن يتزوج مسلمة فتظهر كتابية، أو حرة فتظهر أمة.

وللزوجة الفسخ بإعساره، بدفع الصداق قبل الدخول، وبالإعسار بالنفقة بواسطة القاضى.

فإذا غاب الزوج ولم يعرف مكانه، ولم يترك لديها ما تنفقه على نفسها فإن لها الحق فى الفسخ بواسطة القاضى الشرعى.

(مختصر الأحكام الفقهية لعلى بن فريد الكشجنورى الهندى ـ تحقيق يوسف البدرى، مراجعة د. محمد أحمد عاشور/ ١٩٦).

*** الخياط (محمد بن أحمد) (٤٠١ ـ ٤٩٩ هـ / ١٠١١ ـ ١١٠٥م).**

محمد بن أحمد بن على، أبو منصور، الخياط، عالم بالقراءات، زاهد من أهل بغداد. انقطع لإقراء القرآن طول حياته. وصنف «المهذب» فى القراءات.

(الأعلام للزركلى ٥/ ٣١٦ عن غاية النهاية لابن الجزرى ٢/ ٧٤).

*** الخياط (محمد بن يوسف) (ـ بعد ١٣٠٣ هـ / بعد ١٨٨٦ م).**

محمد بن يوسف الخياط: فلكى موقت. له كتب، منها «الباكورة الجنية فى عمل الآلة الجيبية ـ» منظومة فى خزانة الرياض، و«لآلىء الطل الندية» فلك.

(الأعلام للزركلى ٧/ ١٥٦).

*** الخياط (يحيى بن غالب) (ـ نحو ٢٢٠ هـ / ـ نحو ٨٣٥ م):**

قال عنه ابن النديم: وهو أبو على يحيى بن غالب، وقيل إسماعيل بن محمد وكان تلميذ ما شاء الله. من أفاضل المنجمين، وله من الكتب «المدخل»، و «المسائل» و«المعانى»، و «الدول»، و «المواليد» و «تحويل سنى المواليد»، و «المنثور»، عمله ليحيى بن خالد، و «قضيب الذهب»، و «تحاويل سنى العالم»، و «النكت» (الفهرست / ٣٨٥، ٣٨٦).

وقد أورده الزركلي تحت عنوان «أبو علي الخياط» وقال إنه يرد ذكره في كتب الأوربيين باسم «البوهلي»، وأضاف إلى مؤلفاته كتاب «فوائد فلكية» (الأعلام ٨/ ١٢٦).

(الفهرست لابن النديم/ ٣٨٥، ٣٨٦، والأعلام للزركلي ٨/ ١٦٢).

*** ابن الخياط (عبد الرحيم) ـ نحو ٣٠٠ هـ / ـ نحو ٩١٢ م):**

عبد الرحيم بن محمد بن عثمان، أبو الحسين بن الخياط، شيخ المعتزلة ببغداد. تنسب إليه فرقة منهم تدعى «الخياطية» ذكره الذهبي في الطبقة السابعة عشرة، وقال: لا أعرف وفاته.

وفي اللباب: هو أستاذ الكعبي (المتوفى سنة ٣١٩ هـ). له كتب منها «الانتصار» في الرد على ابن الراوندي، و«الاستدلال» و «نقض نعت الحكمة».

الأعلام للزركلي ٣/ ٣٤٧).

*** ابن الخياط (محمد بن أحمد) (ـ ٣٢٠ هـ):**

من النحويين الذين جمعوا بين النزعتين البصرية والكوفية، وهو أبو بكر محمد بن أحمد، أصله من سمرقند. قدم بغداد بعد وفاة المبرد، واجتمع مع إبراهيم بن السري الزجاج وجرت بينهما مناظرة في بغداد، له من الكتب: النحو الكبير، والموجز، والمقنع، ومعاني القرآن كان دمث الأخلاق، ومات بالبصرة سنة ٣٢٠ هـ.

(نشأة النحو ـ الشيخ محمد الطنطاوي/ ١٧٧، والفهرست لابن النديم/ ١٢١).

*** الخيالة (الفرسان):**

مما يتصل بالعسكرية الإسلامية الخيالة (أو الفرسان)، أحد أقسام الجيش الإسلامي ويبسط القول فيها الدكتور خالد جاسم الجنابي مما ننقله لك فيما يلي:

لقد عرف العرب فضل الخيل وقيمتها وأهميتها لحياتهم، لأنها كانت عدتهم في الحرب والغارات والكر والفر كما كانت عنوان مجدهم وفخرهم، لذلك بالغوا في العناية بها وتحسين نسلها وحفظ أنسابها حتى عرفت الخيول العربية بأنها أجود خيول العالم. وقد أشار القرآن الكريم إلى اقتران القوة بالخيل عند الإعداد للحرب بقوله تعالى **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾** فكان الرسول ﷺ يحث أصحابه على اقتناء الخيل قائلا «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة». وخصص موضع النقيع قرب المدينة وجعله حمى لخيل المهاجرين والأنصار.

قالت المؤلفة: هذا جزء من الحديث الذي أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير من رواية أحمد في مسنده عن جابر وقال عنه حديث صحيح. والحديث بتمامه هو كما يلي: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، فامسحوا بنواصيها وادعوا لها بالبركة، وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار».

ولما كان الجهاد ركنا أساسيا من أركان الإسلام فإن العرب لم يجابهوا صعوبة كبيرة في أعداد الخيول للفرسان فقد كان المقاتل ينفر للحرب مع فرسه الذي عوده على شظف العيش وتتبع الكلإ والاكتفاء بأوراق الشجر أو العشب الذي يرافق سقوط الأمطار لذلك لم تتكلف الدولة أو بيت المال شيئا. كما أن الإسلام جعل نصيب الفارس من الغنائم ثلاثة أسهم بينما نصيب الراجل سهم واحد، وإذا كان الفارس يقاتل على أكثر من فرس فيسهم لفرسين من أفراسه. فكان لذلك أثره في تشجيع الجند على اقتناء الخيول.

ووجه الخلفاء الراشدون عنايتهم إلى تهيئة كتائب الخيالة بالنظر للأهمية البارزة التي تحتلها كقوة فعاله تتحمل العبء الكبير في القتال وعليها يتوقف تقرير النتائج النهائية للمعركة، فأقطعوا أراضي معينة لرعي الخيل والماشية وأولوا اهتماما كبيرا بالحمى وعينوا عمالا للإشراف عليها. وأن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقطع أحد أصحابه وهو نافع بن عبد الله أرضا بالبصرة لزراعتها ولرعي خيله.

وحرصا من الخليفة على تهيئة قوة كافية من الفرسان للاستعانة بهم عند الضرورة، خصص في كل مصر من الأمصار أربعة آلاف فرس وعين عليها من له دراية وخبرة في تربيتها ورعايتها وتدريبها لتكون عدة للطوارئ فإذا داهم المصر خطر انطلق عليها الفرسان لمواجهته إلى أن تستعد بقية القوات. وكان يعطي المحتاجين أو من كان عطاؤه قليلا من الفرسان على شرط أن يضمن رعايته وإطعامه.

وبذل والي مصر عمرو بن العاص جهودا كبيرة بالخيالة لكي يستطيع مواجهة جيوش الروم في مصر وإفريقية فكان

يخرج جنده إلى ريف مصر فى وقت الربيع ليربعوا دوابهم ويسمونها فإذا ما رجعوا من الريف أخرجوا خيولهم لتضميرها وتدريبها فى المضمار.

وكان يعرض الخيل كما يعرض الجند فإذا وجد أحدا من الجند قد أهزل فرسه أو أهمل العناية به أنقص من عطائه وكذلك كان يفعل قتيبة بن مسلم وعمر بن عبد العزيز.

وبدأ صنف الفرسان يزداد قوة وعدة بتوالى انتصارات العرب فى معاركهم، ولم تمض فترة طويلة من قيام الدولة العربية الإسلامية حتى أصبحت معظم قوتهم الضاربة من الفرسان وذلك لشعورهم بأهمية هذا الصنف فى المعركة، وقد مكنتهم هذه القوة من كسب المعارك الواحدة تلو الأخرى حتى مال ميزان القوى فى ذلك الوقت لصالحهم فى حين لم يستعمل الحصان فى فرنسا مثلا إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى / الثالث الهجرى للتنقل أولا ثم للقتال بعد ذلك.

وبالنظر للدور الكبير الذى يلعبه الفارس فى المعركة فقد اشترطوا فى الفارس أن يكون عارفا بالخيول وآلاتها كأن يعرف شيئا من البيطرة أو إصلاح نعل الفرس إذا سقط منه المسمار وكل ما يحتاج إلى إصلاحه عندما تدعو الضرورة إلى ذلك. كما يجب أن تكون له دراية بالفروسية وما يجب على الفارس عند القتال من مقابلة العدو والثبات له والمراوغة والاستطراد.

واجبات الفرسان (الخيالة):

تقع على كتائب الفرسان واجبات عديدة لما تمتاز به من سرعة الحركة والمناورة وقوة الصدمة، وهذه الواجبات هى:

الهجوم:

وهو أهم واجبات الفرسان وكانت القوات العربية تستخدم كتائب الفرسان فى الأجنحة بينما كانت كتائب الروم والفرس يستخدمونها فى الصفوف الأمامية وقد أتاح ذلك حرية الحركة للخيالة العربية وقابلية المناورة وبالتالى المرونة فى الاستخدام.

وعندما يبدأ الهجوم يحمل الفرسان على مجنبتى العدو لضعضعة صفوفه وفى هذه الحالة لا ينبغى للفارس أن يستنفذ مجهود فرسه فى قوة الاندفاع لاحتمال استمرار القتال فلا يمكنه المطاولة، ويبدو أن الغاية من ذلك هو ادخار قوة الفرسان لحين الصولة أو الحملة على العدو.

ولم يكن يسمح للفرسان بالتلفت أثناء الهجوم لئلا يأخذه عدوه على حين غرة فقد كان المفضل بن المهلب لا يرى أحدا من فرسانه ملتفتا إلا أشار إليه بيده ألا يلتفت ليقبل على عدوه فلا يكون له هم غيره. وكانوا يفضلون أن يتم التعاون بين الفرسان والمشاة فى الهجوم لأن الفرسان تحمى الرجالة والرجالة تحمى الفرسان وإذا لم يكن مع الفرسان رجالة ترجل قسم من الفرسان وقاتلوا راجلين.

الالتفاف والمطاردة:

ومن واجبات الفرسان القيام عند الضرورة بالالتفاف على العدو لتطويقه من الخلف أو إرباك صفوفه ليتسنى للقوة الرئيسية مهاجمته وتوجيه الضربات له، وقد تميزت كتائب الفرسان العربية بقابلياتها على المناورة وسرعة الحركة وكان هذا من العوامل المساعدة فى تحقيق النصر على العدو وإذا ما حلت الهزيمة بالعدو قامت كتائب الفرسان المعدة لهذا الغرض بمطاردة العدو والسيطرة على معسكره وأثقاله. ويظهر أن القواد كانوا يستخدمون قوة احتياطية من الخيالة للقيام بواجب المطاردة لأن الكتائب الرئيسية ربما تكون قد أجهدت فى القتال.

الاستطلاع والحماية:

ويكلف الفرسان أيضا بواجب الاستطلاع والحماية فترسل مجموعات من الفرسان لاستطلاع خبر العدو والسيطرة على المناطق الحيوية والمرتفعات المحيطة بميدان القتال لقطع الإمدادات عن العدو وكشف كمائنه كما تقوم أيضا بواجب حماية القطعات أثناء التعسكر وحماية الساقة عند المسير.

أما أسلحة كتائب الفرسان فإنهم كانوا يجيدون استخدام الأسلحة الرئيسية المعروفة وهى السيف والرمح والقوس ببراعة فائقة وامتازوا على أعدائهم بذلك، حيث لم يستطع الخيالة الفرس استخدام السيوف وهم راكبون بينما كان العرب يجيدون ذلك، كما برعوا فى استخدام القوس من على ظهور خيولهم. وبرعوا أيضا فى استخدام الرماح فكانوا يستخدمون الرماح الطويلة منها والقصيرة وكان الفرسان يفاخرون بحمل الرماح الطويلة ويسمى (الخطل) وهو الذى يضطرب فى يده صاحبه لإفراط طوله ولم يكن يحمله منهم إلا الفارس الشديد الذى إذا رآه عدوه هابه وحاد عنه أما الرماح القصيرة فكانوا يستخدمونها

للمطاردة، وإذا لم يستطع الفارس اللحاق بعدوه رماه بالرمح القصير فيطعنه، أو يستخدمه في حالة استخدام عدوه للرمح الطويل وعدم تمكنه من مواجهته عن قرب فيطعنه بالرمح القصير أيضا.

وبرع العرب كذلك في استخدام السيوف وكانوا يفضلون استخدام السيوف القصيرة للدلالة على الشجاعة والنجدة حتى قال شاعرهم:

نصل السيـــــوف إذا قصـــرن بخطـــونـــا

قـــــدمـــــا ونلحقهـــــا إذا لم تلحق

أما استخدام الفرسان للركاب فيبدو أن العرب لم يعودوا أنفسهم على استخدامه وإن كان معروفا لديهم قبل الإسلام، يقول الجاحظ «وكانت العرب لا تعود أنفسها إذا أرادت الركوب أن تضع أرجلها في الركب وإنما كانت تنزو نزوا» (البيان والتبيين ٣ / ٢٣، وتنزو نزوا أي تثبت وثبا من غير الاستعانة بالركاب). ولعل سبب ذلك يعود إلى تمسك العرب بتقاليد الفروسية والشجاعة فلم يستعملوا الركاب وإن كان موجودا، لئلا يورثهم الاسترخاء، ويقول ابن عبد الحكم إن ولد معاوية بن خديج في مصر ليست لسروجهم ركب إنما يثبون على الخيل وثبا، دلالة على القوة والبأس وكذلك كان يفعل الوليد بن يزيد بن عبد الملك. ثم بدأ الفرسان العرب باستخدام ركب الخشب بالنظر لطبيعة المعارك واتساعها مما يستوجب إراحة القدمين، ثم أخذوا يستخدمون ركب الحديد وذلك في أوائل العصر الأموي، ويشير الجاحظ إلى أن ركب الحديد لم تستعمل إلا في أيام الأزارقة ويعتبر المهلب بن أبي صفرة أول من اتخذ الركاب من الحديد لأن ركب الخشب كانت غالبا ما تنقطع ويبقى الفارس يضرب ويطعن دون أن يكون له ما يستند عليه.

وبالإضافة إلى الركاب كانت الخيول تدرع بدروع من الجلد أو الحديد لتحميها من أسلحة العدو وسهامه ويسمى التجفاف ويطلق على الخيول التي تجلل بهذه التجافيف بالخيول «المجففة» أما الخيول التي لاتوضع عليها هذه التجافيف فتسمى «بالمجردة» وتقوم عادة كتائب الخيالة «المجردة» بتعقب الفارين والمنهزمين من جنود العدو لأنها تكون قد تخففت من الدروع ومن كل ما يثقلها.

(تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي - د. خالد جاسم الجنابي / ١١٤ - ١٢١، والجامع الصغير للحافظ جلال الدين السيوطي ٢ / ١٤).

انظر مادة «الأحيان الخمسة» في م ٣ / ٢٧ حيث أوردنا الباب الثاني والعشرين في وضع الخيل المعدة مواضعها من الأحيان الخمسة نقلا عن كتاب مختصر سياسة الحروب للهرثمي / ٣٩.

*** الخيام:**

جاء في اللسان: الخيمة: بيت من بيوت الأعراب مستدير يبنيه الأعراب من عيدان الشجر... وقيل هي ثلاثة أعواد أو أربعة يلقى عليها الثمام ويستظل بها في الحر ... وقيل: الخَيْم أعواد تنصب في القيظ، وتجعل لها عوارض، وتظلل بالشجر فتكون أبرد من الأخبية، وقيل هي عيدان يبنى عليها الخيام (لسان العرب ١٥ / ١٣٠٨).

ومما يتصل بالعسكرية الإسلامية اتخاذ الخيام والقباب والفسطاط في سبيل الله تعالى، وهو ما أفرد له ابن جماعة الحموي الباب العشرين من كتابه، وننقله فيما يلي:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش في الأكحل فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب» (سنن النسائي ٢ / ٤٥، صحيح البخاري ٥ / ٥٠ - ٥١ صحيح مسلم ٢ / ٩٤).

وعن أنس في حديث الأنصار في أموال هوازن قال: «فحدث رسول الله ﷺ بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم، ولم يدع معهم أحدا غيرهم» (صحيح البخاري ٥ / ١٠٤) (في بعض مغازيه) وعن عوف ابن مالك رضي الله عنه قال: «دخلت على رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم» (صحيح البخاري ٤/ ٦٨). وعن زيد ابن خالد قال: كان لرسول الله فسطاط، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يكبر في قبته أو في فسطاطه بمنى، وعن ابن صبح قال: «انطلق أبو عبيدة إلى بيت المقدس والناس بالجابية (قرية في حوران صوب دمشق) واستخلف على الناس معاذ بن جبل وهو في خباء» (سنن ابن ماجه مع اختلاف في النص) وعن النبي ﷺ «أن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة» (سنن أبي داود ٢ / ٢١٠، الحاكم النيسابوري ٢ / ٤٨٦) إلى جانب القباب، والخيام،

والأخبية في سبيل الله . كما اتخذها رسول الله ﷺ ولأن الحاجة تدعو إليها ـ لحفظ المتاع ، والستر عن الناس ، واتقاء الحر، والبرد، والأمطار والثلوج ونحوها .

(لسان العرب لابن منظور ١٥ / ١٣٠٨ ، ومستند الأجناد في آلات الجهاد لابن جماعة الحموي ـ تحقيق وشرح أسامة ناصر النقشبندي / ٧٧) .

* **الخيّام: (ـ ٥١٥ هـ / ـ ١١٢١م):**

ويقال له «الخيامي» أيضا . أورد له الزركلي ترجمة مطولة جاء فيها ما يلي :

عمر بن إبراهيم الخيامي النيسابوري أبو الفتح : شاعر فيلسوف فارسي ، مستعرب . من أهل نيسابور، مولدًا ووفاة . كان عالما بالرياضيات والفلك واللغة والفقه والتاريخ . له شعر عربي ، وتصانيف عربية . بقيت من كتبه رسائل ، منها «شرح ما يشكل من مصادرات إقليدس ـ ط» و «مقالة في الجبر والمقابلة ـ ط»و «الاحتمال لمعرفة مقداري الذهب والفضة في جسم مركب منهما ـ خ» و« الخلق والتكيف ـ ط»بعث به إلى القاضي أبي نصر النسوي .

و «رسالته جوابا لثلاث مسائل ـ خ» في أربع ورقات ، في المجموع ١٩٣٣ بخزانة سعد أفندي باستنبول ، وصفها الميمني بأنها جليلة ملوكية ، و «رسالة في الموسيقى ـ خ» ثلاث ورقات ، في معهد المخطوطات . وبلغت شهرة الخيام ذروتها بمقطعاته الشعرية «الرباعيات» نظمها شعرًا بالفارسية ، وترجمت إلى العربية واللاتينية والفرنسية والإنكليزية والألمانية والإيطالية والدنمركية وغيرها . وعرف قدره في أيامه ، فقربه الملوك والرؤساء . وكان السلطان ملكشاه السلجوقي ينزله منزلة الندماء ، والخاقان شمس الملوك ببخارى يعظمه ويجلسه معه على سريره . وقدح أهل زمانه في عقيدته ، فحج ، وأقام مدة ببغداد، وعاد يتقي الناس بالتقوى . وكان من خاصة خلصائه في شبابه «نظام الملك» و «حسن الصباح» واتفق معهما على أن من ينال منهم رتبة يساعد صاحبيه ، فلما استوز نظام الملك جعل لعمر عشرة آلاف دينار في السنة ، من دخل نيسابور. ولكن السلطان ما عتم أن رفع الحساب من عهدة نظام الملك . قال البيهقي ، وكان معاصرًا للخيام، وقد رآه وعرّفه بالإمام وبحجة الحق: إنه تلو ابن سينا في أجزاء علوم الحكمة ، وقال : كان يتخلل بخلال من ذهب . وفي الكامل لابن الأثير: كان الخيام أحد المنجمين الذين عملوا «الرصد» للسلطان ملكشاه السلجوقي سنة ٤٦٧ هـ . وقال القفطي في نعته : إمام خراسان، وعلامة الزمان، يعلم علم يونان، ويحث على طلب الواحد الديان، بتطهير الحركات البدنية لتنزيه النفس الإنسانية . وأورد أبياتا من شعره العربي . ونقل القمي أن الخيام كان أحد الحكماء الثمانية في عصر السلطان جلال الدين «ملكشاه» وهم الذين وضعوا التاريخ الذي مبدأه نزول الشمس أول الحمل وعليه كان بناء التقاويم . وأكثر كتاب العرب المعاصرون وغيرهم ، من الكتابة عنه ، فمن ذلك بالعربية «عمر الخيام ـ ط» لأحمد حامد الصراف . و «ثورة الخيام ـ ط» لعبد الحق فاضل . ومن التحف الفنية ، باللغة الإنكليزية ، طبعة خاصة أصدرتها مطابع بيشوب وجاريت ، بباريس ، سنة ١٩٢٣ لمجموعة من ترجمات قطع منها ، ومنظومات بمعناها ، لبيرون ، وفيتس جيرالد ، وغيرهما ، محلاة بصور ملونة ونقوش وكتابات متقنة كل الإتقان سميت أصداء حياة . (الأعلام ٥/ ٣٨) .

ونحن معنيون في هذه المادة بالتركيز على ما حققه عمر الخيام في مجال العلوم الرياضية ، ومن ثم فإننا ننقل بعض ما جاء عن ذلك من مصدرين أساسيين هما كتاب الأستاذ قدري طوقان رحمه الله ، وكتاب الدكتور جلال شوقي والدكتور علي الدفاع (انظر ثبت المراجع) .

يقول الأستاذ قدري حافظ طوقان رحمه الله :

لا نجد كثيرين من يعرفون أن «عمر الخيام» له فضل في الرياضيات والفلك ، وقد يكون لدى هؤلاء بعض العذر، إذا علمنا أنه كان فيلسوفا ، وشاعرا وأن شهرته في هاتين الناحيتين جعلت الناس لا ترى عبقريته في النواحي الأخرى .

يقول «بول» : إن «الخيام» و «الكرخي» كانا من أنبغ الذين اشتغلوا بالرياضيات ولاسيما الجبر. واستعمل أحدهما وهو «الخيام» بعض المعادلات التي استعملها «الخوارزمي» في كتابه « الجبر والمقابلة» . فمن هذه المعادلات :

$$س^2 + ١٠ س = ٣٩$$

$$س^2 + ٢٠ = ١٠ س$$

$$٣ س + ٤ = س^2$$

والمعادلة الأولى: كثيرا ما ظهرت في كتب العلماء الذين أتوا بعد «الخوارزمي»، وكانت تستعمل للشرح.

يقول «كاجوري»: إن «عمر الخيام» كان لا يعتقد أنه بالإمكان حل المعادلات ذات الدرجة الثالثة بطريقة جبرية، وكذلك معادلات الدرجة الرابعة: بوساطة الهندسة. ولا شك أن «الخيام» مخطىء في اعتقاده، فلقد تمكن علماء القرن الخامس عشر للميلاد من حل معادلة الدرجة الثالثة جبريا.

أما معادلة الدرجة الرابعة، فقد سبق وحل «أبو الوفاء البوزجاني» المعادلتين.

$س^{٤} = م$

، $س^{٤} + م س^{٣} = د$ هندسيا

ولا ندري ما الذي حمل «كاجوري» على هذا القول، بينما نجد في مؤلفات و «الخيام» المعادلة الآتية، وهي من الدرجة الرابعة:

$(١٠٠ س^{٣})(١٠ + س^{٢}) = ٨١٠٠$

وجذرها — يقول الخيام — هو نقطة تقاطع الخطين البيانيين للمعادلتين:

$(١٠ + س) ص = ٩٠$

$س^{٢} + ص^{٢} = ١٠٠$

ولم يستعمل «الخيام» الجذور السالبة، ولم يوفق في بعض الأحيان إلى إيجاد الجذور الموجبة.

وقد حل «الخيام» أيضا المعادلات التكعيبية هندسيا، وهي كما يأتي:

م، ج في المعادلات الآتية أعداد موجبة صحيحة.

(١) $س^{٣} + د^{٢} س = د^{٢} حـ$.

ويقول «الخيام»: إن جذور هذه المعادلة؛ هو الإحداثي الأفقي لنقطة تقاطع الخطين البيانيين للمعادلتين:

$س^{٢} = د ص$

$ص^{٢} = س (ح - س)$.

(٢) $س^{٣} + م س^{٢} = حـ^{٣}$.

وجذرها هو؛ الأحداثي الأفقي لنقطة تقاطع الخطين البيانيين للمعادلتين:-

$س ص = حـ^{٢}$.

$ص^{٢} = حـ (س + م)$.

(٣) $س^{٢} + م س^{٢} + د^{٢} س = د^{٢} حـ$.

وجذرها هو؛ الإحداثي الأفقي لنقطة تقاطع الخطين البيانيين للمعادلتين:-

$ص^{٢} = (س + م) (ح - س)$.

، $س = (د + ص) = د حـ$.

وهو أيضا من أوائل الذين حاولوا تقسيم المعادلات إلى أقسام متنوعة. واعتبر المعادلات ذات الدرجة الأولى، والثانية، والثالثة؛ إما بسيطة، وإما مركبة.

فالبسيطة تكون على ستة أشكال كما يأتي:-

$حـ = س$

$حـ = س^{٢}$

$حـ = س^{٣}$

$م س = س^{٢}$

$م س = س^{٣}$

$م س^{٢} = س^{٣}$

والمركبة تكون على اثنى عشر شكلا كما ياتي:-

$س^{٢} + د س = حـ$

$س^{٢} + حـ = د س$

$د س + حـ = س^{٢}$

$س^{٣} + د س^{٢} = حـ س$

$س^{٢} + حـ س = د س^{٢}$

$حـ س + د س^{٢} = س^{٣}$

$س^{٣} + حـ س = هـ$

$س^{٣} + هـ = حـ س$

$حـ س + هـ = س^{٣}$

$س^{٣} + د س^{٢} = هـ$

$س^{٣} + هـ = د س^{٢}$

$د س^{٢} + هـ = س^{٣}$

والمركبة قد تكون أيضا مركبة من خمسة حدود وهي كما يأتي:-

$س^{٣} + د س^{٢} + حـ س = هـ$

$س^{٣} + د س^{٢} + هـ = حـ س$

$س^{٣} + د س^{٢} = حـ س + هـ$

س^{٣} ـ حـ س = ء س^{٢} + هـ

س^{٣} + هـ = دس^{٢} + حـ

وبحث «الخيام» فى النظرية المسماة بنظرية «فرما» وقال :

إن مجموع عددين مكعبين لا يمكن أن يكون مكعبا .

ولم يثبت لدى الباحثين : أن «الخيام» تمكن من إيجاد البرهان الصحيح لهذه النظرية .

ويقال : إن «الخجندى» بحث فيها أيضا وظن أنه برهنها . ويقال : إن برهانه غير صحيح .

ويوجد فى كتاب «الخيام» عن الجبر، قانون لحل المعادلات ذات الدرجة الثانية . والقانون الذى وضعه يستعمل للمعادلات التى تكون على النمط الآتى :

س^{٢} + د س = حـ .

أما القانون فهو:

س = $\sqrt{\frac{١}{٤}\text{د}^{٢} + \text{حـ}} - \frac{١}{٢}$ د .

وأرجح أن هذا القانون، مأخوذ عن القانون العام لحل المعادلات ذات الدرجة الثانية، والذى كان معروفاً فى زمن «الخوارزمى» .

وقد أوجد أيضا قوانين أخرى لحل المعادلات التى تكون على النمط الآتى :

س^{٢} + حـ = د س، د س + حـ = س^{٢}

وبحث الأقدمون «بصورة بسيطة» فى نظرية ذات الحدين، وهى التى بوساطتها يمكن رفع أى مقدار جبرى، إلى أى قوة معلومة أسها عدد صحيح موجب . «فأقليدس» فك مقدارا جبريا ذا حدين أسه اثنان . أما كيفية إيجاد مفكوك أى مقدار جبرى ذى حدين مرفوع إلى قوة أسها أكثر من اثنين، فلم تظهر إلا فى جبر «عمر الخيام» .

ومع أنه لم يعط القانون لذلك؛ لكنه يقول؛ إنه تمكن من إيجاد مفكوك المقدار الجبرى ذى الحدين، حينما تكون قوته مرفوعة إلى الأسس ٢، ٣، ٤، ٥، ٦ ... أو أكثر بوساطة قانون كشفه هو.

والذى أرجحه : أن «الخيام» وجد قانونا لفك أى مقدار جبرى ذى حدين أسه أى عدد موجب صحيح، وأن هذا القانون لم يصل بعد إلى أيدى العلماء، ولعله فى أحد كتبه المفقودة .

وقد ترجم العالم «ويكة» كتاب «الخيام» فى الجبر، ونشره فى باريس سنة ١٨٥١ م .

ومن الغريب أن نجد «كاجورى»، يستدل على أن العرب فضلوا اتباع الطريقة اليونانية على الهندية، وأنهم تأثروا بالثقافة اليونانية أكثر من تأثرهم بالهندية . والحقيقة التى ظهرت لنا : أن العرب نقلوا ما وصل إلى أيديهم من تآليف اليونان والهنود، وأنهم لم يفكروا فى تفضيل طريقة أمة على أخرى، وإذا حصل تفضيل فإنه غير مقصود .

وجل ما فى الأمر أن العرب إذا عثروا على شىء من كتب الهنود واليونان، نقلوه وتوسعوا فيه، وقد يضيفون إليه شيئا . وأستطيع أن أقول : إن ما يقوله بعض المستشرقين، وعلماء تاريخ الرياضيات، فى هذا الشأن؛ ـــ أى التفضيل فى الثقافات ـ، وهم لا يقوم على أساس .

وقبل الختام لا بد من الإشارة إلى أن «الخيام» لم ينبغ فى الرياضيات والشعر فحسب، بل برع أيضا فى الفلك .

ويقال : إنه بلغ فى ذلك درجة قلَّ مَن وصل إليها من علماء عصره، حتى إن السلطان «ملكشاه» دعاه سنة ٤٦٧ هـ ـ ١٠٧٤ م، وطلب منه مساعدته فى تعديل التقويم السنوى .

ويقال : إن «الخيام» كان أحد الثمانية الذين انتدبوا لذلك . وقد نجح «عمر» فى التقويم نجاحا كان موضع إعجاب مولاه «ملكشاه» وتقديره .

وقد قال العالم الإنكليزى «جيبون» : إن تقويم «الخيام»، كان أدق من غيره من التقاويم، وتقرب دقته من دقة التقويم «الجريجورى» .

وتشير بعض المصادر إلى أن هذا التقويم أدق من التقويم «الجريجورى الذى يؤدى إلى خطأ مقداره يوم فى كل ٣٣٣٠ سنة، بينما الخطأ الذى ينجم عن تقويم «الخيام» هو يوم فى كل ٥٠٠٠ سنة (تراث العرب العلمى / ٣٥٩ـ٣٦٥) .

وجاء فى كتاب «العلوم الرياضية فى الحضارة الإسلامية» للدكتور جلال شوقى والدكتور على الدفاع ما يلى :

قام عمر بن إبراهيم الخيام باستنباط القانون التالى لحل معادلة الدرجة الثانية ذات الصيغة :

ا س ٢ + ب س = جـ

فأعطى جذر المعادلة على النحو التالي :

$$س = \sqrt{\frac{1}{4} ب^2 + جـ} - \frac{1}{2} ب ،$$

ويقول الأستاذ دريك سترويك فى كتابه «مصادر تاريخية فى علم الرياضيات» : «إن عمر الخيام ذكر فى كتابه الجبر والمقابلة قانونا لحل المعادلات ذات الدرجة الثانية ، والتى تـرد على الصيغة : ا $س^2$ + ب س = حـ ، حيث إن ا = ١ ،

، لذا $س = \sqrt{\frac{1}{4} ب^2 + جـ} - \frac{1}{2} ب$» .

مثال : أوجد قيمة س إذا كانت : $س^2$ + ١٠ س = ٣٩ .

بما أن س = $\sqrt{\frac{1}{4} ب^2 + جـ} - \frac{1}{2} ب$ ، لذا فإن ب = ١٠ ، جـ =٣٩ ، ا = ١

$$\therefore س = \sqrt{\frac{1}{4}(١٠٠) + ٣٩} - \frac{1}{2}(١٠)$$

$$= \sqrt{٢٥ + ٣٩} - ٥ = \sqrt{٦٤} - ٥ = ٣ .$$

إن حل معادلات الدرجة الثالثة قد حظى بأكبر عناية ـ فى العصر الوسيط ـ من العالم الفذ والفيلسوف الشاعر أبى الفتح غياث الدين عمر بن إبراهيم الخيام الذى تعرض لعدة صور من صور معادلة الدرجة الثالثة .

تصدى عمر الخيام فى مؤلفه القيم : «رسالة فى البراهين على مسائل الجبر والمقابلة» لتصنيف المعادلات الجبرية حتى الدرجة الثالثة ، حيث قسمها ٢٥ صنفا ، نسوق منها هنا ثلاث عشرة صورة تشكل الصور الرئيسية لمعادلة الدرجة الثالثة :

تصنيف الخيام	التعبير بالرموز الرياضية المعاصرة
(١) كعب وجذر	يعدل عددا : $س^3$ + ب س = حـ
(٢) كعب وعدد	يعدل جذرا : $س^3$ + حـ = ب س
(٣) عدد وجذر	يعدل كعبا : حـ + ب س = $س^3$
(٤) كعب ومال	يعدل جذرا : $س^3$ + ا $س^2$ = حـ
(٥) كعب وعدد	يعدل مالا : $س^3$ + حـ = أس
(٦) عد ومال	يعدل كعبا : حـ + ا $س^2$ = $س^3$

(٧) كعب ومال وجذر يعدل عددا : $س^3$ + ا $س^2$ + ب س = حـ

(٨) كعب ومال وجذر يعدل جذرا : $س^3$ + ا $س^2$ + حـ = ب س

(٩) كعب وجذر وعدد يعدل مالا : $س^3$ + ب س + حـ = أ $س^2$

(١٠) كعب يعدل جذرا ومالا وعددا : $س^3$ = ب س + ا $س^2$ + حـ

(١١) كعب ومال يعدل جذرا وعددا : $س^3$ + ا $س^2$ = ب س + حـ

(١٢) كعب وجذر يعدل مالا وعددا : $س^3$ + ب س = ا $س^2$ + حـ

(١٣) كعب وعدد يعدل جذرا ومالا : $س^3$ + حـ = ب س + ا $س^2$

هذه ثلاث عشرة صورة إن نحن أضفنا إليها ست معادلات يمكن اختزالها إلى معادلات من الدرجة الأولى ، وست معادلات أخرى يمكن وضعها على صورة معادلات الدرجة الثانية ، اكتملت عدة الأنواع الخمسة والعشرين التى ورد ذكرها فى رسالة عمر الخيام ، حيث يشير إليها بقوله :

« ... وأما نحن فسنأتى بالطريق التى بها يمكن أن يُستخرج المجهول بالمعادلة بين أربع مراتب [هى] التى قلنا إنها لا يمكن أن يقع أكثر منها فى المقادير ، أعنى العدد والشىء والمال والكعب . » .

وجدير بالذكر أن الخيام تصدى لحل معادلات الدرجة الثالثة مستخدما فكرة إيجاد جذور المعادلة بأسلوب هندسى ، وذلك عن طريق تقاطع المنحنيات الممثلة لقطوع مخروطية كالدائرة والقطع المكافىء والقطع الناقص والقطع الزائد .

ونورد هنا مثالا لما ساقه الخيام من حلول ، نختار منها حلا لأعم صور معادلة الدرجة الثالثة التى قام بدراستها وهى :

$$س^3 + ا س^2 + ب^2 س = ب^2 حـ$$

حيث العددان أ ، حـ عددان صحيحان موجبان .

توصل عمر الخيامى إلى أن جذر هذه المعادلة هو قيمة الشىء (المجهول) س التى تنشأ من تقاطع المنحنيين :

$$ص^2 = (س + ا)(حـ - س)$$

$$، س (ب \pm ص) = ب حـ$$

ومن الواضح أن هاتين المعادلتين تمثلان دائرة . وقطعا زائدا على التوالى .

بعض حلول عمر الخيام .

اهتم عمر الخيامى اهتمام بالغا بإيجاد قيمة $\sqrt[3]{٢}$ ، وهناك طريقتان مشهورتان نشرحهما فيما يلى :

الطريقة الأولى :

بإيجاد نقطة تقاطع قطع مكافىء مع قطع زائد ، وللقيام بهذا يلزم أن نفرض :

$$ص = س^2$$

$$، س ص = ٢$$

حيث إن ص = $\frac{٢}{س}$ ∴ $\frac{٢}{س}$ = س ٢ ← س^{٣} = ٢

لذا فإن: س = $\sqrt[٣]{٢}$

الطريقة الثانية:

بافتراض أنه يوجد قطعان مكافئان، فاتبع الطريقة الآتية:

ص = س^{٢}. (١)

ص^{٢} = ٢س. (٢)

بتربيع طرفي المعادلة (١) نجد أن ص٢ = س ٤. (٣)

من المعادلتين (٢)، (٣):

٢ س = س^{٤} ، س٤ − ٢ س= صفرا.

∴ س (س^{٣} − ٢) = صفرا، ومن ذلك نستنتج أن:

إما س = صفرا أو س^{٣} = ٢

∴ س = $\sqrt[٣]{٢}$.

هكذا أبدع عمر الخيام في علم الجبر والمقابلة حيث إنه توصل إلى حل بعض أنواع معادلات الدرجة الثالثة باستعمال القطوع المخروطية، فحصل على جذر المعادلة بإيجاد الإحداثي السيني لنقطة تقاطع قطع مخروطي مع دائرة أو قطعين مخروطيين. والجدير بالذكر أن عمر الخيام أهمل الجذور السالبة ولم يهتم بإيجاد كل الجذور لمعادلة الدرجة الثالثة أو الرابعة، ونذكر فيما يلي بعض معادلات الدرجة الثالثة التي اهتم بها عمر الخيام وهي: س^{٣} + ب^{٢} س = ب^{٢} حـ، وفي هذه الحالة اعتبر الجذر نقطة تقاطع المعادلتين:

س^{٢} = ب ص (قطع مكافىء)، ص^{٢} = (حـ − س) وهي معادلة دائرة.

س^{٣}± أ س^{٢} + ب^{٢}س = ب^{٢} حـ بواسطة نقطة تقاطع المعادلتين:

ص^{٢} = (س + أ) (حـ − س) وهي معادلة دائرة.

، س (ب ± ص) ب حـ وهي معادلة قطع زائد (خط هذلولي).

س^{٣} + أس^{٢} = حـ^{٣} ، وفيها تعين الجذر نقطة تقاطع المعادلتين:

س ص = حـ^{٢} : قطع زائد.

، ص^{٢} = حـ (أ + س) : قطع مكافىء.

الحالة الأولى: س^{٣} + ب^{٢} س = ب^{٢} حـ.

العمل: ارسم نصف دائرة، وليكن قطرها م ك = حـ

نقطة تقاطع الدائرة ص ^{٢} = س (حـ − س) والقطع المكافئ س ^{٢} = ب ص هي «ا».

ص^{٢} = حـ س − س^{٢} ← ص^{٢} + س^{٢} − حـ س = صفرا،

وبإكمال المربع نحصل على:

[ص^{٢} + س^{٢} − حـ س + ($\frac{حـ}{٢}$)^{٢}] = [($\frac{حـ}{٢}$)^{٢}] + ص^{٢} + (س − $\frac{حـ}{٢}$)^{٢}] = $\frac{حـ^{٢}}{٤}$

∴ نصف القطر = $\frac{حـ}{٢}$

، قيمة الجذر = ك ع = س.

البرهان:

س٢ = ب ص = ب (ا ع)، حيث إن ص = ا ع:

∴ $\frac{س}{اع}$ = $\frac{ب}{س}$ (١)

المثلث أ ك م يشابه المثلث ع ك ا

∴ $\frac{اك}{عك}$ = $\frac{ام}{اع}$ ← $\frac{اك}{ام}$ = $\frac{عك}{اع}$

لذا نجد أن: $\frac{اك}{ام}$ = $\frac{س}{اع}$ (٢)

المثلث ام ك يشابه المثلث ع م ا

∴ $\frac{ام}{عم}$ = $\frac{اك}{اع}$ ← $\frac{اك}{ام}$ = $\frac{اع}{عم}$

من هنا يمكن القول بأن: $\frac{اك}{ام}$ = $\frac{اع}{حـ − س}$ (٣)

من المعادلتين (٢)، (٣) نستنتج أن:

$\frac{س}{اع}$ = $\frac{اع}{حـ − س}$ (٤)

ومن المعادلتين (١)، (٤) نجد أن:

$\frac{ب}{س}$ = $\frac{أع}{حـ − س}$ (٥)

ومن المعادلة (١): أ ع = $\frac{س^{٢}}{ب}$ (٦)

ومن المعادلتين (٥)، (٦):

$\frac{ب}{س}$ = $\frac{س^{٢}}{ب(حـ − س)}$

∴ س^{٣} = ب^{٢} (حـ − س) = ب^{٢} حـ − ب^{٢} س

لذلك فإن: س^{٣} + ب^{٢} س = ب ^{٢} حـ.

مما تقدم يتضح أن قيمة س هي الإحداثي السيني لنقطة تقاطع القطع المكافىء س^{٢} = ب ص مع الدائرة ص^{٢} = س

(جـ - س). وهذا يبرهن بدون شك على أن عمر الخيام كان مدركا تماما للإحداثيات السينية والصادية للهندسة التحليلية، وبذلك يكون قد سبق ديكارت في هذا المضمار (رينيه ديكارت (Rene Des Cartes) عالم فرنسي عاش فيما بين ١٥٩٦ ــ ١٦٥٠ ميلادية، له شهرة عظيمة في علم الفلسفة وفي الهندسة التحليلية، كما أن له مبتكرات في القوانين المثلثية).

وجدير بالذكر أن الكتابات الرياضية لعمر الخيامي تشتمل على معادلة من الدرجة الرابعة على الصورة الآتية:

$$(١٠٠ - س^٢)(١٠ + س)^٢ = ٨١٠٠$$

وبفك القوسين نحصل على الصورة المألوفة لمعادلات الدرجة الرابعة:

$$س^٤ + ٢٠ س^٣ - ٢٠٠٠ س = ١٩٠٠$$

وقد تصدى عمر الخيام لحل هذه المعادلة بطريقة هندسية، فأعطى جذر هذه المعادلة قيمة الشيء (المجهول) س التي تحقق المعادلتين الآتيتين في آن واحد، أو بعبارة أخرى هو قيمة س عند تقاطع المنحنيين الممثلين للمعادلتين:

$$\begin{cases} س^٢ + ص^٢ = ١٠٠ \\ (١٠ + س) ص = ٩٠ \end{cases}$$

ومن الواضح أن المعادلة الأولى هي معادلة دائرة نصف قطرها = ١٠، بينما تمثل المعادلة الثانية معادلة قطع زائد.

ومن اليسير بيان أن المعادلتين الأخيرتين يمكن تحويلهما إلى الصورة الأصلية، وذلك بالتعويض في المعادلة الأولى بقيمة ص من المعادلة الثانية، وذلك على النحو التالي:

من المعادلة الثانية: $ص = \frac{٩٠}{(١٠ + س)}$

وبالتعويض في المعادلة الأولى، نحصل على:

$$س^٢ + ص^٢ = س^٢ + \frac{٨١٠٠}{(١٠ + س)^٢} = ١٠٠ = ١٠^٢$$

أي أن: $س^٢(١٠ + س)^٢ + ٨١٠٠ = ١٠^٢(١٠ + س)^٢$

$$(١٠^٢ - س^٢)(١٠ + س)^٢ = ٨١٠٠$$

ونسوق فيما يلي تفاصيل الحل الهندسي لهذه المعادلة كما أورده عمر الخيام.

العمل:

ارسم شبه المنحرف المتماثل أ ب جـ د بحيث تكون القاعدة د جـ = ١٠، القاعدة أ ب أكبر من القاعدة د جـ

ـ انزل العمودين جـ ك، د ف على ا ب لتستنتج أن ك جـ = د ف = ع مثلا.

ك ف = جـ د = ١٠ خاصية من خواص المستطيل.

ـ نستنتج أن ب ك = ف ا = س

البرهان:

ا ب جـ د شبه منحرف، من ذلك أ ب // جـ د.

ا د = ب جـ = جـ د = ١٠، علما بأن مساحة شبه المنحرف ا ب جـ د = ٩٠

ـ Δ جـ ك ب مثلث قائم الزاوية.

لذ $(١٠)^٢ = ع^٢ + س^٢ \leftarrow ع = \sqrt{١٠٠ - س^٢}$

ولكن مجموع قاعدتي شبه المنحرف = ا ب + جـ د = (س + ١٠ + س) + ١٠ = (٢٠ + ٢ س).

∴ مساحة شبه المنحرف ا ب جـ د =

$$\frac{١}{٢}(٢٠ + ٢ س)\sqrt{١٠٠ - س^٢} = ٩٠$$

$$= (١٠ + س)\sqrt{١٠٠ - س^٢} = ٩٠$$

وبتربيع طرفي المعادلة نحصل على:

$$(١٠ + س)^٢(١٠٠ - س^٢) = ٨١٠٠$$

ومن مسائل معادلات الدرجة الرابعة التي يمكن تحويلها إلى معادلة من الدرجة الثانية المسألة الآتية:

«إذا قيل لك مال ضربت ثلثه في ربعه، فعاد المال بزيادة أربعة وعشرين درهما ...».

فإذا ما عبرنا عن هذه المسألة بالرموز الرياضية المعاصرة نخلص إلى المعادلة:

$$(\frac{١}{٣} س^٢).(\frac{١}{٤} س^٢) = س^٢ + ٢٤$$

أي أن: $\frac{١}{١٢} س^٤ - س^٢ - ٢٤ = صفرا$

$$∴ س^٤ - ١٢ س^٢ - ٢٨٨ = صفرا$$

وهذه هي في الحقيقة معادلة من الدرجة الرابعة في المجهول س، إلا أن هذه المعادلة لا تحتوي إلا على $س^٤$، $س^٢$، س صفر.

فإذا ما استبدلنا $س^٢$ بالرمز ص مثلا اتخذت المعادلة الصورة التالية:

$$ص^٢ - ١٢ ص - ٢٨٨ = صفرا$$

وهي بلا شك معادلة من الدرجة الثانية في ص، يمكن حلها بجبر الخوارزمي لنخرج بقيمة ص = ٢٤ = س^{٢} .

(العلوم الرياضية ١ / ٢٥٩ - ٢٦٤ - ٢٦٦ - ٢٦٨، ٢٧١ - ٢٧٣).

(الأعلام للزركلي ٥ / ٣٨، وتراث العربي العلمي في الرياضيات والفلك ـ قدري حافظ طوقان / ٣٥٩ ـ ٣٦٥، والعلوم الرياضية في الحضارة الإسلامية ـ د. جلال شوقي، و د. علي الدفاع / ٢٥٩ ـ ٢٦٤، ٢٦٦ ـ ٢٦٨، ٢٧١ ـ ٢٧٣).

* **الخيانة:**

الكبيرة التاسعة والثلاثون من الكبائر السبعين التي أحصاها الإمام الذهبي، وقال عنها :

قال الله تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾**[الأنفال : ٢٧] قال الواحدي رحمه الله تعالى : نزلت هذه الآية في أبي لبابة حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لما حاصرهم وكان أهله وولده فيهم فقالوا : يا أبا لبابة . . ما ترى لنا إن نزلنا على حكم سعد فينا؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه ـ أي انه الذبح فلا تفعلوا ـ فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله، وقوله : **﴿وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾**عطف على النهي ـ أي ولا تخونوا أماناتكم ـ قال ابن عباس : الأمانات الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد ـ يعني الفرائض ـ يقول : لا تنقضوها . قال الكلبي : أما خيانة الله ورسوله ، فمعصيتهما ، وأما خيانة الأمانة فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه إن شاء خانها وإن شاء أداها لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى، وقوله تعالى . **﴿وأنتم تعلمون﴾**، أنها أمانة من غير شبهة، وقال تعالى : **﴿إن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾** [يوسف : ٥٢] أي لا يرفد كيد من خان أمانته يعني أنه يفتضح في العاقبة بحرمان الهداية، وقال ﷺ : «آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان».

(رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وزاد مسلم : «وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم» وروى نحوه يعلى من حديث أنس قاله المنذري في ترغيبه وقال : «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له» (رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط وابن حبان في صحيحه من حديث أنس، وللطبراني في الأوسط والصغير عن حديث ابن عمر. قاله المنذري).

والخيانة قبيحة في كل شيء وبعضها شر من بعض وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم . وعن رسول الله ﷺ أنه قال : «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك» وفي الحديث أيضا : «يطبع المؤمن على كل شيء إلا الخيانة والكذب» (رواه أحمد عن وكيع عن الأعمش قال : حدثت عن أبي أمامة ...١ هـ ترغيب، ففيه انقطاع بين الأعمش وأبي أمامة).

وقال رسول الله ﷺ : «يقول الله : أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه» (رواه أبو داود والحاكم وقال : صحيح الإسناد).

وفيه أيضا : «أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى الصلاة، وربَّ مصل لا خير فيه» وقال رسول الله ﷺ : «إياكم والخيانة فإنها بئست البطانة» .

(رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وأوله : «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ...» إلخ، أفاده المنذري في الترغيب) وقال عليه الصلاة والسلام : «هكذا أهل النار ـ وذكر منهم رجلا لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه» .

(لا يخفى أي لا يظهر والظهور والإخفاء من الأضداد) (رواه مسلم في حديث طويل من حديث عياض بن حمار المجاشعي) وقال ابن مسعود : يؤتى يوم القيامة بصاحب الأمانة الذي خان فيها فيقال له : أد أمانتك فيقول : أنّى يا رب وقد ذهبت الدنيا ! قال : فتمثل له كهيئتها يوم أخذها في قعر جهنم ثم يقال له : انزل إليها فأخرجها، قال : فينزل إليها فيحملها على عاتقه فهي عليه أثقل من جبال الدنيا حتى إذا ظن أنه ناج هوت وهوى في أثرها أبد الآبدين، ثم قال : الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة وأعظم ذلك كله الودائع (عزاه في الترغيب والترهيب إلى أحمد والبيهقي موقوفا بنحو ما هنا، قال : وذكر عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب الزهد أنه سأل أباه عنه فقال إسناده جيد اهـ) .

(الكبائر للإمام أبي عبد الله محمد شمس الدين الذهبي ـ نقحه وراجعه محمد الأنور أحمد البلتاجي ط دار التراث العربي / ١١٠، ٢١١١ ـ انتظر طبعة مكتبة الكليات الأزهرية / ١١٢ ـ ١١٤).

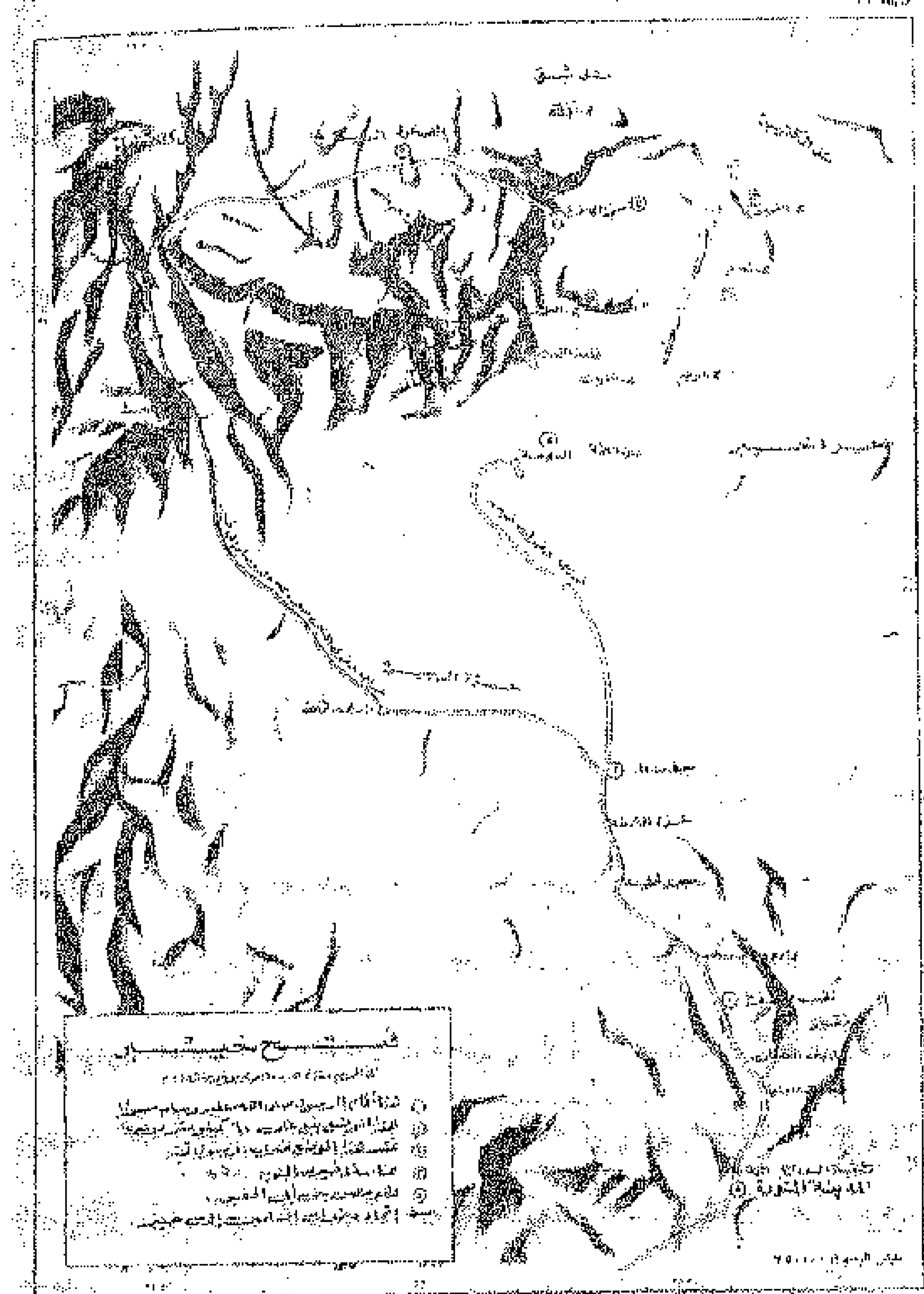
* خيبر (غزوة):

قال الإمام النووى: خيبر: البلدة المعروفة على نحو أربع مراحل من المدينة إلى جهة الشام ذات نخيل ومزارع فتحها رسول الله ﷺ فى أوائل سنة سبع من الهجرة أقام رسول الله ﷺ على حصارهم بضع عشرة ليلة. وذكر الحازمى فى المؤتلف أن أراضى خيبر يقال لها خيابر بفتح الخاء (تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ١٠٣).

وقال ياقوت:

خيبر: الموضع المذكور فى غزاة النبى، ﷺ، وهى ناحية على ثمانية برد (جمع بريد. انظر مادة «بريد» فى م ٧/ ٦٨) من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير، وأسماء حصونها: حصن ناعم وعنده قُتل مسعود بن مسلمة ألقيت عليه رحى، والقموص حصن أبى الحقيق، وحصن الشق، وحصن النطاة، وحصن السُّلالم، وحصن الوطيح، وحصن الكتيبة، وأما لفظ خيبر فهو بلسان اليهود الحصن، ولكون هذه البقعة تشتمل على هذه الحصون سميت خيابر، وقد فتحها النبى، ﷺ، كلها فى سنة سبع للهجرة وقيل سنة ثمان، وقال محمد بن موسى الخوارزمى: غزاها النبى ﷺ، حين مضى ست سنين وثلاثة أشهر وأحد وعشرون يوما للهجرة؛ وقال أحمد بن جابر: فتحت خيبر فى سنة سبع عنوة، نازلهم رسول الله ﷺ، قريبا من شهر ثم صالحوه على حقن دمائهم وترك الذرية على أن يخلوا بين المسلمين وبين الأرض والصفراء والبيضاء والبزة إلا ما كان منها على الأجساد وأن لا يكتموه شيئا ثم قالوا: يا رسول الله إن لنا بالعمارة والقيام على النخل علما فأقرنا، فأقرهم وعاملهم على الشطر من التمر والحب، وقال: «أقركم ما أقركم الله».

فلما كانت خلافة عمر بن الخطاب، رضى الله عه، ظهر فيهم الزنا وتعبثوا بالمسلمين فأجلاهم إلى الشام وقسم خيبر بين من كان له فيها سهم من المسلمين وجعل لأزواج النبى، ﷺ، فيها نصيبا وقال: أيتكن شاءت أخذت الثمرة وأيتكن شاءت أخذت الضيعة فكانت لها ولعقبها، وإنما فعل عمر، رضى الله عنه، ذلك لأنه سمع أن النبى، صلى الله عليه وسلم قال: لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب، فأجلاهم؛ وقسم



أطلسى تاريخ الإسلام - د. حسين مؤنس / ٧٠

النبى، ﷺ وسلم، خيبر لما فتحها على ستة وثلاثين سهما وجعل كل سهم مائة سهم فعزل نصفها لنوائبه وما ينزل به وقسم الباقى بين المسلمين، فكان سهم رسول الله، ﷺ، مما قسم الشق والنطاة وما حيز معهما، وكان فيما وقف على المسلمين الكتيبة وسُلالم، وهى حصون خيبر، ودفعها إلى اليهود على النصف مما أخرجت فلم تزل على ذلك حياة رسول الله ﷺ، وأبى بكر، رضى الله عنه.

فلما كان عمر، رضى الله عنه، وكثر المال فى أيدى المسلمين وقووا على عمارة الأرض وسمع أن النبى ﷺ، قال فى مرض موته: لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب، فأجلى اليهود إلى الشام وقسم الأموال بين المسلمين، وكان رسول الله ﷺ، بعث عبد الله بن رواحة إلى أهل خيبر ليخرص عليهم فقال: إن شئتم خرصت وخيرتكم وإن شئتم خرصتم وخيرتمونى، فأعجبهم ذلك وقالوا: هذا هو العدل، هذا هو القسط وبه قامت السموات والأرض؛ وذكر أبو القاسم الزجاجى أنها سميت بخيبر بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل، وعبيل أخو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، عليه

السلام، وهو عم الربذة وزرود والشقرة بنات يثرب وكان أول من نزل هذا الموضع؛ وخيبر موصوفة بالحمَّى؛ قال شاعر:

كأن به، إذا جئته، خيبرية
يعود عليه وردها وملالها

وقدم أعرابي خيبر بعياله فقال:

قلت لحمى خيبر: استعدى!
هاك عيالي فاجهدى وجدى
وباكري بصالب وورد،
أعانك الله على ذا الجند

فحم ومات وبقى عياله؛ واشتهر بالنسبة إليها جماعة، منهم: ابن القاهر الخيبرى، الدمشقى ولا أدرى أهو اسم جده أو نسبه إلى هذا الموضع، روى عنه أبو القاسم الطبرانى، ومات بعد سنة ٥٥٩؛ وقال الأخنس بن شهاب:

فلابنة حطان بن قيس منازل
كما نمّق العنوان فى الرق كاتب
ظللت بها أعرى وأسعر سخنة
كما اعتاد محموما بخيبر صالب

وهى أيضا موصوفة بكثرة النخل والتمر؛ قال حسان بن ثابت:

أتفخر بالكتّان لمّا لبسته،
وقد تلبس الأنباط ريطا مقصرا
فلا تك كالعاوى، فأقبل نحره،
ولم تخشه سهما من النبل مضمرا
فإنا، ومن يهدى القصائد نحونا،
كمستبضع تمرا إلى أرض خيبرا

(معجم البلدان ٢/ ٤٠٩ ـ ٤١١).

ويعطينا الإمام ابن عبد البر وصفا مفصلا لما دار فى المعركة، وما نجم عنها من نتائج فيقول:

وأقام رسول الله ﷺ بعد رجوعه من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم وخرج فى بقية منه غازيا إلى خيبر، ولما يبق من السنة السادسة من الهجرة إلا شهر وأيام، واستخلف على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى (وفى رواية: سباع بن عرُفطة) وذكر موسى بن عقبة، قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة منصرفه من الحديبية مكث عشرين يوما أو قريبا منها ثم خرج غازيا إلى خيبر، وكان الله عز وجل وعده إياها وهو بالحديبية.

قال أبو عمر:

قال الله عز وجل فى أهل الحديبية: ﴿**لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا * ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما**﴾، فلم يختلف العلماء فى أنها البيعة بالحديبية. قال ابن قتيبة وقتادة وعكرمة وغيرهم: كانت الشجرة سمرة (هى شجرة الطلح) كانت بالحديبية. وعلم ما فى قلوبهم من الرضا بأمر البيعة على أن لا يفروا واطمأنت بذلك نفوسهم ﴿**وأثابهم فتحا قريبا**﴾: خيبر، ووعدهم المغانم فيها (**ومغانم كثيرة يأخذونها**) وقد روى عن ابن عباس ومجاهد فى قوله: ﴿**وعدكم الله مغانم كثيرة**﴾ أنها المغانم التى تكون إلى يوم القيامة. وقالوا فى قوله: ﴿ **وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها**﴾: فارس والروم وما افتتحوا إلى اليوم، وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى. قال: وقوله: ﴿**فتحا قريبا**﴾: خيبر.

رجع الخبر إلى ابن إسحاق، قال:

فلما خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر دفع رايته، وكانت بيضاء، إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه، وأخذ طريق الصهباء إلى وادى الرجيع، فنزل بين خيبر وغطفان لئلا يمدوهم، لأنه بلغه أن غطفان تريد إمداد يهود خيبر. ولما خرجوا لإمدادهم اختلفت كلمتهم، وأسمعهم الله عز وجل حسا من ورائهم وهدًّا راعهم وأفزعهم فانصرفوا إلى ديارهم، فأقاموا بها. وأقبل رسول الله ﷺ حتى أشرف على خيبر مع الفجر، وعُمَّالهم غادون بمساحيهم ومكاتلهم. فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش نادوا: محمد والخميس معه، وأدبروا هُرَّابا، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. وتحصنت يهود فى حصونهم وكانت حصونا كثيرة، فكان أول حصن افتتحوه حصنا يسمى «ناعما» وعنده قتل محمود به مسلمة أخو محمد ابن مسلمة أُلقيت عليه رحى فشدخته، رحمه الله، ثم حصنا يدعى «القموص» وهو حصن بنى أبى الحقيق، ومن سبايا ذلك الحصن كانت صفية بنت حيى بن أخطب وقد أسلمت ثم أعتقها رسول الله ﷺ وتزوجها، ، وجعل عتقها صداقها.

وهـذه مسألـة اختلف الفقهـاء فيهـا فمنهم مـن جعل ذلك خصوصا لها كما خُصَّ بـالموهوبة، ومهم من جعل ذلك سنة لمن شاء من أمته.

ثم فتح حصن الصعب بن معـاذ ولم يكن فى حصن خيبر أكثر طعاما وودكا منه ووقف إلى بعض حصونهم فامتنع عليهم فتحه ولقوا فيه شدة، فأعطى رايتـه أبا بكر الصديق فنهض بها وقاتل واجتهـد ولم يفتح عليه، ثم أعطى الراية عمـر فقاتل ثم رجع ولم يفتح لـه وقـد جهـد. فحينئـذ قـال رسـول الله ﷺ: لأعطين الراية غـدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبـه الله ورسوله ليس بفرّار يفتح الله عز وجل على يديه. فلما أصبح دعا عليا، وهو أرمد، فتفل فى عينيه، ثم قال: خذ الراية فامض بها حتى يفتح الله بها عليك. ذكر هذا الخبر ابن إسحاق، قال، قال: حدثنى بريدة بن سفيان بن فـروة عن أبيه سفيان عن سلمة بن الأكـوع، وذكر من حـديث أبى رافع مـولى النبى ﷺ، قـال: خرجنـا مع على حين بعثه رسـول الله - ﷺ - بـرايته إلى حصن من حصـون خيبـر، فلمـا دنـا مـن الحصن خـرج إليـه أهلـه وقاتلهم، فضربه رجل من يهود، فـألقى ترسه من يده، فتناول عليٌّ بابـا كان عند الحصن فترّس به عن نفسـه، فلم يزل فى يده، وهو يقاتل، حتى فتح الله علَيـه، ثم ألقاه من يده، فلقد رأيتنى فى نفـر معى سبعـة وأنا ثـامنهم نجتهـد على أن نقلب ذلك الباب فمـا نقلبه. وذكـر ابن إسحاق من روايـة يونس بن بكيـر وزياد وإبـراهيم بن سعـد والأمـوى عنه عن عبـد الله بن سهل، قال أخو بنى حارثـة، عن جابر بن عبد الله. وبعضهم يرويـه عن ابن إسحاق عن عبد الله بن سهل، عن جـابر، ولم يشهد جابر خيبر:

أن محمد بن مسلمة هو الذى قتـل مرحبا اليهودى بخيبر. قال ابن إسحاق: فذكـر أن رسول الله ﷺ قال: من لهذا يعنى مرحبـا اليهودى، فقال محمد بـن مسلمة، أنا له يـا رسول الله أطلب الثأر، قتل أخى بـالأمس. قال: فقم إليـه. فنهض إليه محمـد بن مسلمـة، فتقاتـلا، وكـانا يستتران بشجـرة فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه، كلما لاذ بها منه اقتطع بسيفه ما دونـه منهـا حتى ذهبت أغصـانهـا وبـرز كل واحـد منهمـا لصـاحبه، وحمل مـرحب على محمـد بن مسلمـة فضربـه، فاتقاه بـالدرقة (هى ترس من جلد) فوقع سيفـه فيها فعضت به وأمسكتـه وضَربـه محمد، فقتلـه. ثم انصـرف. ثم برز أخـو مرحب واسمه يـاسر، فدعا إلى البراز، فخرج إليـه الزبير. هذا ما ذكـره ابن إسحاق فى قتل مـرحب اليهودى بخيبر. وخـالفه غيـره، فقـال: بل قتلـه على بن أبى طـالب، وهـو الصحيح عندنا.

حدثنـا عبد الله بن محمد، قـال: حدثنا محمـد بن بكر، قال: حـدثنا أبو داود، قال: حـدثنا هرون بن عبـد الله، قال: حدثنا روح بن عبـادة، قال حدثنا عـوف، عن ميمون أبى عبد الله، عن عبد الله بن أبى بريدة، عن أبيه أبى بريدة الأسلمى:

أن النبى ﷺ قال: لما نزل بحصـن خيبر -: لأعطين اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فلما كان من الغد تطاول لها أبو بكر وعمر، فدعا عليا، وهو أرمد، فتفل فى عينيه، وأعطـاه اللواء، ونهض معه الناس، فلقـوا أهل خيبر، فإذا مرحب بين أيديهم يرتجز:

قـــد علمت خيبـــر أنى مـــرحب
شــاكى الســلاح بطل مجــرَّب
إذا السيـــوف أقبلت تلهَّــب
أطعـن أحيـانـا وحينـا أضــرب

(شاكى السلاح: شاهره) فـاختلف هو وعلى ضـربتين، فضربـه علىٌّ على رأسه حتى عض السيف بأضـراسه، وسمع أهل العسكر صوت ضربته، قال: فما تتامَّ الناس حتى فتحوا لهم.

حـدثنـا سعيد بـن نصر. قـال: حـدثنـا قـاسم بن أصبغ [قال]: حدثنـا محمد بن وضاح قال: حدثنـا أبو بكر بن أبى شيبة [قال]: حدثنا هاشم بن القـاسم قال: حدثنا عكرمة بن عمار، قال: حدثنى إياس بن سلمة بن الأكوع، قال: أخبرنى أبى، قال (انظر فى هذا الحديث صحيح مسلم بشرح النووى ١٢ / ١٧٤ وما بعدها).

لما خـرج عمى عامر بن سنان إلى خيبـر بارز يوما مـرحبا اليهودى، فقال مرحب:

قـــد علمت خيبـــر أنى مـــرحب
شــاكى الســلاح بطل مجــرب
إذا الحــــروب أقبلت تلهب
أطعـن أحيـانـا وحينـا أضــرب

وقال عمى:

قد علمت خيبر أنى عامر

شاكى السلاح بطل مغاور

فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب فى ترس عامر، ورجع سيف عامر على ساقه فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه (أى أنه مات) قال سلمة: إن رسول الله ﷺ - أرسلنى إلى على بن أبى طالب، وقال: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله قال: فجئت به أقوده أرمد، فبصق النبى ﷺ - فى عينيه، ثم أعطاه الراية، فخرج مرحب يخطر بسيفه، وقال:

قد علمت خيبر أنى مرحب

شاكى السلاح بطل مجرب

** إذا الحروب أقبلت تلهب**

وقال على رضى الله عنه:

أنا الذى سمتنى أمى حيدره

كليث غابات كريه المنظره

**أوفيهم بالصاع كيل السندره **

ففلق رأس مرحب بالسيف، وكان الفتح على يد على.

(الحيدرة: الأسد. ويروى الشطر الثانى: كليث غابات شديد قسوره* والصاع: مكيال صغير، والسندرة: مكيال كبير. وفى رواية: * أكيلكم بالسيف كيل السندرة*. والمعنى أقتلكم قتلا ذريعا.

قالت المؤلفة: فى طبعة ديوان على التى عندى، وهى طبعة خالية من اسم الناشر ومكان النشر، جاءت أبيات مرحب اليهودى وأبيات الإمام على كما يلى:

قال مرحب اليهودى يوم خيبر:

قد علمت خيبر أنى مرحب

شاكى السلاح بَطل مجرب

أطعن أحيانا وحينا أضرب

إذا الليوث أقبلت تلهب

فأجابه على رضى الله عنه:

أنا الذى سمتنى أمى حيدره

ضرغام آجام وليث قسوره

عبل الذراعين شديد القصره

كليث غابات كريه المنظره

أكيلكم بالسيف كيل السندره

أضربكم ضربا يبين الفقره

وأترك القرن بقاع جزره

أضرب بالسيف رقاب الكفره

ضرب غلام ماجد حزوره

من يترك الحق يقوم صغره

أقتل منهم سبعة أو عشره

فكلهم أهل فسوق فجره

(ديوان الإمام على / ٥٣).

قال ابن إسحاق: وآخر ما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم الوطيح والسلالم.

وقال موسى بن عقبة: حاصر رسول الله - ﷺ حصون خيبر بضع عشرة ليلة، وكان بعضها صلحا وأكثرها عنوة، ذكر ذلك عن ابن شهاب. وقال ابن إسحاق: قسم رسول الله أرض خيبر كلها لأنه غلب على جميعها عنوة. وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر فى حصنهم الوطيح حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم، ففعل.

مقاسم خيبر وأموالها:

وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها: الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم إلا ما كان من ذينك الحصنين فلما سمع بهم أهل فدك (قرية كانت لليهود شمالى خيبر) قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله يسألونه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم ويحلوا له الأموال، ففعل. وكان فيمن مشى بين رسول الله - ﷺ - وبينهم فى ذلك محيصة بن مسعود أخو بنى حارثة. قال: فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله أن يعاملهم فى الأموال على النصف، فعاملهم، وقال لهم: على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم. فصالحه أهل فدك على مثل ذلك. وكانت خيبر فيئا بين المسلمين،

وكانـت فدك خاصـة لرسـول الله ﷺ ، لأنهم لم يـوجفوا (أي يجتمعوا) عليها بخيل ولا ركاب .

قال أبو عمر:

هـذا هو الصحيح فـى أرض خيبر أنهـا كـانت عنوة كلهـا مغلوبا عليهـا بخلاف فدك وأن رسول الله ـ ﷺ ـ قسم جميع أرضهـا (قـال ابن سيد النـاس إن الحصنين المفتتحين أخيـرا وهمـا الوطيح والسـلالم لم يجر لهمـا ذكر في القسمـة) على الغانمين لها الموجفين بالخيل والركاب، وهم أهل الحديبية . ولم يختلف العلماء في أن أرض خيبـر مقسومة وإنمـا اختلفوا هل تقسم الأرض إذا غنمت البلاد أو تـوقف؟ فقال الكـوفيون (أصحاب مـذهب أبي حنيفة) الإمام مخير بين قسمتهـا كما فعل رسول الله ﷺ ـ بأرض خيبر وبين إيقافها كمـا فعل عمر بسواد العراق، وقال الشـافعي : تقسم الأرض كلها ـ كما قسم رسول الله ﷺ خيبـر لأن الأرض غنيمة كسـائر أموال الكفـار، وذهب مالك إلى إيقـافها اتباعا لعمـر، لأن الأرض مخصوصة من سائر الغنيمة بما فعل عمر في جماعة من الصحابة : في إيقافهـا لمن يأتي بعده من المسلمين . وروى مـالك عن زيد ابن أسلم عن أبيه، قال : سمعت عمر يقول : لولا أن يترك آخر الناى لا شيء لهم ما افتتح المسلمون قرية إلا قسمتها سهمانا كما قسم رسول الله ﷺ خيبر سهمانا، وهذا يدل على أن أرض خيبر قسمت كلهـاسهمانا كمـا قال ابن إسحاق وأمـا قول من قـال إن خيبر كـان بعضها صلحـا وبعضهـا عنوة، فقـد وهم وغلط، وإنما دخلت عليه الشبهة بالحصنين اللذين أسلمهما أهلهما لحقن دمائهم، فلما لم يكن أهل ذينك الحصنين من الرجال والنساء والذرية مغنومين ظُن أن ذلك صلح . ولعمرى إنه في الرجال والنساء والذرية لضرب من الصلح، ولكنهم لم يتركـوا أرضهم إلا بالحصار والقتـال، فكان حكم أرض ذينك الحصنين كحكم سائر أرض خيبـر كلها غنيمـة مغلوبـا عليها عنوة مقسـومة بين أهلهـا . وربما شبه علـى من قال إن نصف خيبر صلح ونصفها عنوة بحديث يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار أن رسـول الله ﷺ قسم خيبر نصفين : نصفا لـه، ونصفا للمسلمين . وهذا لو صح لكان معنـاه أن النصف له مع سائر من وقع فـى ذلك النصف معـه، لأنهـا قسمت على ستـة وثلاثين سهمـا، فوقع سهم النبي ﷺ وطـائفة معه في ثمـانية عشر سهمـا منها، ووقع سائر الناس في بـاقيها، وكلهم ممن شـهد الحـديبية ثم شهد خيبـر (اعترض ابن سيـد الناس على هذه العبارة لابن عبد البر فإن جـابر بن عبد الله الأنصاري كان ممن شهـد الحـديبية ولم يشهـد خيبـر، وقسم لـه الرسـول، وأيضا فإنه قسم لأهل السفينتين الذين جاءوا من الحبشة ممن لم يشهدوا الحـديبية وخيبر، كما قسم للـدوسيين والأشعريين الذين قدموا عليه في هذا الفتح) .

وليست الحصون التي أسلمها أهلهـا أهلها بعد الحصار والقتال صلحـا، ولـو كانـت صلحا لملكهـا أهلهـا كمـا يملك أهل الصلح أراضيهم وسائر أموالهم . فـالحق في هذا والصواب ما قاله ابن إسحاق دون ما قاله موسى وغيره عن ابن شهاب . والله أعلم .

(أي أن خيبـر فتحت كلها عنـوة خلافـا لموسى بن عقبـة وغيره ممن قـالوا بأن بعضهـا فتح صلحا وبعضهـا فتح عنوة، وقـد أورد ابن سيد النـاس آثـارا مختلفـة تشهد لابن عقبـة وأن الـوطيح والسـلالم فتحـا صلحـا وفتح بعض الكتيبـة عنـوة وبعضها صلحا، وحاول ابن سيد الناس أن يوفق بين الرأيين، فقال إن أهل هـذه الحصون نقضوا الصلح، فصـارت جميعها عنوة، ثم خمسها الرسول وقسمها .

قال أبو عمر:

قسم رسول الله ﷺ خيبر، وأخـرج الخمس مما قسم، ولم يقدر أهلها على عمارتها وعملهـا فأقر اليهود فيها على العمل في النخل والأرض، وقال لهم : أقركم ما أقركم الله . ثم أذن الله له في مرضه الذي مـات فيه بإخراجهم، فقال : لا يبقين دينان بأرض العـرب . وقال عليـه الصلاة والسـلام : أخرجـوا اليهود والنصارى من أرض الحجـاز، ولم يكن بقي يومئذ بهـا مشرك وثني ـ ولا بأرض اليمن أيضـا ـ إلا أسلم في سنـة تسع وسنـة عشر . فلما بلغ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في خلافته قوله عليه الصلاة و السلام : أخرجوا اليهود والنصارى من أرض العـرب أجلاهم عنهـا، فأخذ المسلمـون سهامهم في خيبـر، فتصرفوا فيها تصرف المالكين .

قال ابن إسحـاق : وكان المتولي للقسمة بخيبـر جبار بن صخـر الأنصـاري من بني سلمـة، وزيـد بـن ثـابت من بني النجـار، كانـا حاسبين قـاسمين . وكـانت قسمة خيبـر لأهل الحديبية : من حضر الوقيعـة بخيبر ومن لم يحضرها، لأن الله أعطاهم ذلك في سفر الحديبيـة (إشارة إلى قول الله عز وجل

الذى افتتح به هذه الغزوة : ﴿وأثابهم فتحا قريبا * ومغانم كثيرة﴾ ولذلك قال موسى بن عقبة : لم يقسم من خيبر شيء إلا لمن شهد الحديبية ، وروى ذلك عن جماعة من السلف .

قال ابن إسحاق : فوقع سهم رسول الله ﷺ وعمر وعلى وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى وسهام بنى سلمة وسهام بنى حارثة وبنى ساعدة وبنى النجار وغفار وأسلم وجهينة واللفيف، كلها وقعت فى الشق . ووقع سهم أبى بكر والزبير وسهام بنى بياضة وبنى الحارث بن الخزرج ومزينة بالنطاة، ولذكر سهامهم وأقسامهم موضع غير هذا . وكان عبيد بن أوس من بنى حارثة قد اشترى يومئذ من سهام الناس سهاما كثيرة، فسمى يومئذ عبيد السهام، واشترى عمر ابن الخطاب مائة سهم من سهام المسلمين، فهى صدقته الباقية إلى اليوم .

وأما فدك فلم يوجف عليها بخيل ولا ركاب فكانت كبنى النضير خالصة لرسول الله ﷺ .

ومن العجب قول من قال إن الكتيبة لم تفتح عنوه وإنها من صدقات النبى عليه الصلاة والسلام إلا أن ينزل سهم النبى عليه الصلاة والسلام فيها مع المؤمنين وإلا فلا وجه لقوله غير هذا . وبالله التوفيق .

وفى غزوة خيبر حرَّم رسول الله ﷺ - لحوم الحمر الأهلية ، لم تختلف الآثار فى ذلك . واختلف فى حين تحريم المتعة (أى زواج المتعة) بعد إباحتها . وقد ذكرنا الآثار بذلك فى التمهيد . وفيها أهدت اليهودية زينب بنت الحارث امرأة سلام ابن مشكم إلى رسول الله ﷺ الشاة المصلية وسمت له منها الذراع وكان أحب اللحم إليه ﷺ . فلما تناول الذراع ولاكها لفظها ورمى بها، وقال : إن هذا العظم يخبرنى أنه مسموم . ودعا باليهودية فقال : ما حملك على هذا؟ فقالت : أردت أن أعلم إن كنت نبيا، وعلمت أن الله إن أراد بقاءك أعلمك . فلم يقتلها رسول الله ﷺ وأكل من الشاة معه بشر بن البراء بن معرور، فمات من أكلته تلك .

وكان المسلمون يوم خيبر ألفا وأربعمائة راجل ومائتى فارس .

تسمية من استشهد من المسلمين يوم خيبر

ربيعة بن أكثم بن سخبرة الأسدى من بنى غنم بن دودان ابن أسد بن خزيمة ، وثقف بن عمرو، ورفاعة بن مسروح . وكلهم من بنى أسد ، حلفاء لبنى عبد شمس . ومسعود بن ربيعة القارى، من القارة، حليف لبنى زهرة .

وعبد الله بن الهُبيب ، ويقال ابن أُهيب الليثى حليف لبنى أسد بن عبد العزى بن قصى وابن أختهم .

وبشر بن البراء بن معرور من بنى سلمة مات من أكله مع رسول الله - ﷺ - الشاه المسمومة ، وفضيل بن النعمان من بنى سلمة أيضا ومسعود بن سعد بن قيس الأنصارى الزرقى .

ومحمود بن مسلمة بن خالد أخو محمد بن مسلمة من الأوس حليف لبنى عبد الأشهل .

وأبو ضياح ثابت بن ثابت بن النعمان من بنى عمرو بن عوف من أهل قباء ، ومبشر بن عبد المنذر بن دينار من بنى مالك بن عمرو بن عوف ، والحارث بن حاطب ، وأوس بن قتادة، وعروة بن مرة بن سراقة، وأوس بن الفاكه ، وأنيف بن حبيب، وثابت بن واثلة بن طلحة ، والأسود الراعى واسمه أسلم وكل هولاء من بنى عمرو بن عوف .

ومن بنى غفار: عمارة بن عقبة بن حارثة أصابه سهم فقتله .

ومن أسلم : عامر بن الأكوع (عدَّ ابن عبد البر منهم فى الاستيعاب ص ٣٨ : أوس بن عابد) (الدرر / ١٩٦ - ٢٠٥) .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٣ / ١٠٣ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٤٠٩ - ٤١١ ، والدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر - تحقيق د . شوقى ضيف / ١٩٦ - ٢٠٥ ، وديوان الإمام على - جمع وترتيب عبد العزيز كرم / ٥٣ . انظر أيضا الفصول فى سيرة الرسول ﷺ للحافظ أبى الفداء إسماعيل بن كثير / ٧٥ - ٧٧ ، والعجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للعراقى - للإمام العلامة الشيخ عبد الرزاق المناوى - قام بتصحيحه والتعليق عليه فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصارى / ١٩٨ - ٢٠٠ ، وخريدة العجائب وفريدة الغرائب لابن الوردى / ٢٢١ - ٢٤٢ ، ومعجم المعارك الحربية - ماجد اللحام / ١٣٨ ، ١٣٩ ، ومن كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة - أعدته للطبع مديرية إحياء التراث العربى . دمشق ١٩٧٧ / ٢٤١ ، والمنتخب من السنة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية م ١ / ٢٧٧ - ٢٨٧ ، والسيرة النبوية لابن هشام - قدم لها وعلق عليه وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٣ / ٢١٦ - ٢٣٢) .

انظر الخريطة المصاحبة لمادة «بزاخة (موقعة ـ) في م ٧ / ٧٣.

*** ابن أبي خيثمة (١٨٥-٢٧٩ هـ / ٨٠١-٨٩٢ م):**

أحمد بن زهير (أبي خيثمة) بن حرب بن شداد النسائي ثم البغدادي، أبو بكر: مؤرخ، من حفاظ الحديث. كان ثقة راوية للأدب، بصيرا بأيام الناس (الأعلام ١ / ١٢٨) سمع يحيى ابن معين وأحمد بن حنبل، ومصعب بن عبد الله الزبيري (التاريخ والجغرافية / ٩٤، ٩٥) له مذهب. ونسب إلى القول بالقدر. أصله من «نسا» بفتح النون والسين المخففة ـ ومولده ووفاته ببغداد، من تصنيفه «التاريخ الكبير» مخطوط كما في تذكرة النوادر، ومنه الجزء الخمسون، مخروم الآخر، في المحمودية بالمدينة (٢٦ أصول الحديث) قال الزركلي: ورأيت كراسا منه مكتوبا على الرق، هو الكراس الثاني من الجزء الثامن، وفيه تراجم بعض الكوفيين، في خزانة الرباط، «الرقم ٢٦٧١ كتاني» وبلغني أن منه مجلدا في خزانة القرويين بفاس. قال الدارقطني: لا أعرف أغزر فوائد من تاريخه (الأعلام ١ / ١٢٨) وتاريخه هذا على طريقة المحدثين أحسن فيه وأجاد (التاريخ والجغرافية / ٥٩).

قالت المؤلفة: كتاب التاريخ الكبير المذكور أعلاه أوردنا نبذة قصيرة عنه تحت عنوان «التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة» في ٨ / ٣٨٣. ونضيف هنا أنه يوجد مخطوطه بالمجمع العلمي العراقي، وقد قال واضع الفهرس الأستاذ ميخائيل عواد عنه في هامش (١) ما يلي:

قال الخطيب البغدادي («تاريخ بغداد» ٤ : ١٦٣): «... وله كتاب التاريخ الذي أحسن تصنيفه وأكثر فائدته ...، قلت: ولا أعرف أغزر فوائد من كتاب التاريخ الذي صنفه ابن أبي خيثمة، وكان لا يرويه إلا على الوجه، فسمعه الشيوخ الأكابر، كأبي القاسم البغوي ونحوه. وأخبرنا محمد بن أحمد ابن يعقوب، أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، حدثني أبو أحمد الحافظ. قال: استعار أبو العباس ـ يعني محمد بن إسحاق السراج ـ من أبي بكر بن أبي خيثمة شيئا من التاريخ. فقال: يا أبا العباس على يمين أن لا أحدث بهذا الكتاب إلا على الوجه، فقال أبو العباس: وعلى عزيمة أن لا أكتب إلا ما أستفيد، فرده عليه، ولم يحدث في تاريخه عنه بحرف ...».

ونقل: ياقوت الحموي («معجم الأدباء» ١ : ١٢٨ ـ ١٢٩)، والصفدي («الوافي بالوفيات» ٦ : ٣٧٦، الرقم ٢٨٧٩) بعض فقرات من كلام الخطيب.

وذكره الحاج خليفة («كشف الظنون» ١ • : ٢٧٦)، بقوله «تاريخ ابن أبي خيثمة أبي بكر أحمد بن زهير النسائي ثم البغدادي الحافظ، المتوفى سنة تسع وسبعين ومائتين، وهو على طريقة المحدثين. أحسن فيه وأجاد».

وذكر بعضهم أنه لم يتمه.

و «التاريخ الكبير» هذا، لم يطبع ا هـ.

أما بيان المخطوط نفسه فقد جاء في الفهرس كما يلي:

التاريخ الكبير.

المؤلف: ابن أبي خيثمة

(السفر الثالث: في قسمين).

(القسم الأول: ق: ١ ـ ١٠٤).

أوله:

آخره:

لم أصح قراءة أوله وآخره.

(١٨ / تاريخ).

التاريخ الكبير.

المؤلف: ابن أبي خيثمة.

(السفر الثالث ـ القسم الثاني: ق: ١٠٥ ـ ٢٠٦).

أوله: (تتمة الكلام في آخر القسم الأول) ويبدأ: «عن طلحة عن عبد الرحمن بن أزهر...».

ثم يلي ذلك، الكلام على (محمد بن جبير بن مطعم).

آخره: «... السفر الثالث ... بحمد الله وحسن عونه ... في أول السفر الرابع منه ... في السادس عشر من شهر جمادي الآخرة سنة عشر و... [؟] والحمد لله ... وصلوات على محمد وسلامه كثيرا».

القسمان: الأول والثاني (= ٢٠٦ ق، ٢٥ س) مصوران بالفتغراف عن نسخة خطية في خزانة كتب جامعة القرويين

بفاس، بخط مغربى وعر. وقد عبثت الأرضة بالنسخة بفظاعة، فزالت معالم كثير من الأسطر والكلمات.

(١٩ / تاريخ).

(فى نشرة («أخبار التراث العربى» ـ القاهرة ١٥ / ٥ / ١٩٧٣) أن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، صور قطعة من تاريخ ابن أبى خيثمة، بخط أندلسى قديم، على رق الغزال، فى ١٠ ق، محفوظة فى الخزانة العامة بالرباط، برقم ٢٦٧١ ك.

وذكر: عمر رضا كحالة فى بحثه «المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة»: («مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق» ٤٩ [نيسان ١٩٧٤] ص ٣٨٢ أن فى «المكتبة المحمودية» «كتاب التاريخ لأبى بكر أحمد بن زهير... ، الجزء الخمسون وهو الثالث من الشاميين وغيرهم ـ مخروم الآخر ـ عدد صفحاته ٢٣٠ ـ قديم النسخ (٢٦ أصول الحديث)».

وراجع بشأنه: «تذكرة النوادر» ص ٧٩).

وفى سنة وفاة ابن أبى خيثمة خلاف. فى «لسان الميزان»: سنة ٢٩٩ هـ، وفى «المنتظم» (٦: ١١٣) و «التبيان» (مخطوط): سنة: ٢٩٦ هـ (مخطوطات المجمع العلمى العراقى / ٢٤٨، ٢٤٩).

وقد ذكره الإمام الكتانى فى الكتب المؤلفة فى تواريخ الرجال وأحوالهم وقال عنه: وهو كبير أحسن فيه وأجاد فى ثلاثين مجلدا صغارا واثنى عشر كبارا ذكر فيه الثقاة والضعفاء وقال: قال الخطيب: لا أعرف أغزر فوائد منه (الرسالة المستطرفة / ٩٧).

(الأعلام للزركلى ١ / ١٢٨، والتاريخ والجغرافية فى العصور الإسلامية ـ عمر رضا كحالة / ٩٤، ٩٥، ومخطوطات المجمع العلمى العراقى ـ ميخائيل عواد، ١ / ٢٤٨، ٢٤٩، والرسالة المستطرفة للإمام محمد بن جعفر الكتانى / ٩٧).

*** أبو خيثمة (١٦٠-٢٣٤هـ / ٧٧٧-٨٤٩م):**

زهير بن حرب بن شداد النسائى البغدادى، أبو خيثمة، محدث بغداد فى عصره. أصله من «نسا» وشهرته ببغداد قال الخطيب البغدادى: «كان اسم جده أشتال، فعرب وجعل شداد». له كتاب «العلم» مطبوع أكثر الإمام مسلم من الرواية عنه (الأعلام ٣ / ٥١).

وقد ذكره صاحب الرسالة المستطرفة فى أصحاب الكتب المفردة فى الآداب والأخلاق والترغيب والترهيب... إلخ وقال عنه: و «العلم» لأبى خيثمة زهير بن حرب بن شداد الحربى النسائى البغدادى نزيلها الحافظ المتوفى سنة أربع وثلاثين ومائتين، روى عنه مسلم أكثر من ألف حديث (الرسالة المستطرفة / ٤٢).

(الأعلام للزركلى ٣ / ٥١، والرسالة المستطرفة للإمام محمد بن جعفر الكتانى / ٤٢).

*** أبو خيثمة الأنصارى السالمى:**

قال عنه ابن عبد البر:

أبو خيثمة الأنصارى السالمى. اسمه عبد الله بن خيثمة. وقيل مالك بن قيس، أحد بنى سالم، من الخزرج. شهد أحدا مع النبى ﷺ، وبقى إلى أيام يزيد بن معاوية، ولا أعلم فى الصحابة من يكنى أبا خيثمة غيره إلا عبد الرحمن بن أبى سبرة الجعفى والد خيثمة بن عبد الرحمن صاحب ابن مسعود، فإنه يكنى أبا خيثمة بابنه خيثمة.

ومن خبر أبى خيثمة هذا ما ذكره ابن إسحاق فى غزوة تبوك قال: ثم إن أبا خيثمة بعد أن سار رسول الله ﷺ أياما دخل على أهله فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائط قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبَرّدت له فيه ماء، وهيأت له طعاما، فلما نظر أبو خيثمة إلى ذلك قال: رسول الله ﷺ فى الضح والريح والحر وأبو خيثمة فى ظل بارد وطعام وامرأة حسناء، مقيم فى ماله؛ ما هذا بالنَّصَف، والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق النبى ﷺ؛ فهيئا لى زادا. ففعلتا. ثم قدم ناضحه فارتحله، ثم خرج فى طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل بتبوك. وقد كان عمير بن وهب الجمحى أدرك أبا خيثمة فى الطريق يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا، حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لى ذنبا؛ فلا عليك أن تتخلف عنى حتى آتى رسول الله ﷺ ففعل، حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك؛ فقال الناس: هذا راكب فى الطريق مقبل. فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة. فقالوا: يا رسول الله، هو والله أبو خيثمة. فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: أولى لك يا أبا خيثمة. ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر، فدعا له رسول الله ﷺ، وقال له خيرا.

وذكر الواقدى قال: قال هلال بن أمية الواقفى ــ حين تخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ــ كان أبو خيثمة تخلف معنا، وكان يسمى عبد الله بن خيثمة.

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٤/ ١٦٤١ ـ ١٦٤٣).

*** الخير:**

قال التهانوى:

الخير بالفتح وسكون الياء المثناة التحتانية فى اللغة وضده الشر قيل الحكماء ربما يطلقون الخير على الوجود والشر على العدم وربما يطلقون الخير على حصول كمال الشىء والشر على عدم حصوله. قالوا: الوجود خير محض والعدم شر محض فإن أرادوا بالخير فى هذا القول الوجود يكون معنى ذلك الوجود وجود محض فيخلو عن الفائدة، وإن أرادوا به حصول الكمال فلا يشتمل لوجود الواجب لقيامه بذاته سواء أريد بالكمال صفة تناسب ما حصل له ويليق به أو صفة كمال مقابلة لصفة نقصان فظهر أن قولهم المذكور ليس بصحيح على الإطلاق وقيل لم يريدوا بذلك تصوير معنى الخير والشر كما حسب هذا القائل فقال ما قال فإن معناهما معلوم لجمهور الناس بداهة يوصفون بكل منهما أشياء مخصوصة ويسلبونهما عن أشياء أخر ولكنهم لا يفرقون ما بالذات وما بالعرض ويطلقون الخير على كل منهما وكذا الشر. والقوم ذهبوا إلى أن ما يطلقون عليه الخير قسمان: خير بالذات وخير بالعرض وكذا الشر فإن القتل مثلا إذا تأملنا فيه وجدناه شرا باعتبار ما يتضمنه من العدم فإنه ليس شرا من حيث إن القاتل كان قادرا عليه ولا من حيث إن الآلة كانت قاطعة ولا من حيث إن العضو المقطوع كان قابلا للقطع بل من حيث إنه أزال الحياة وهو قيد عدمى وباقى القيود الوجودية خيرات نعم التجاؤهم فى هذه المقدمة بأنها ضرورية غير صحيح والظاهر أنها إقناعية وأن الأمثلة التى ذكروها فى هذا المقام توقع بها ظنا هكذا يستفاد من شرح التجريد وحواشيه.

والأحسن ما قال بعض الصوفية إن الوجود خير محض وبالذات لكونه مستندا إلى العزيز الحكيم والعدم شر محض وبالذات لعدم استناده إليه وقد سبق فى لفظ الجمال زيادة تحقيق لهذا فى فصل اللام من باب الجيم فإنك إذا قابلت المنافع بالمضار تجد المنافع أكثر وإذا قابلت الشر بالخير تجد الخير أكثر وكيف لا لأن المؤمن يقابله الكافر ولكن المؤمن قد يمكن وجوده بحيث لا يكون فيه شر أصلا من أول عمره إلى آخره كالأنبياء والأولياء والكافر لا يمكن وجوده بحيث لا يكون فيه خير أصلا غاية ما فى الباب أن الكفر يحبطه ولا ينفعه ويستحيل نظرا إلى العادة أن يوجد كافر لا يسقى العطشان شربة ماء ولا يطعم الجائع لقمة خبز ولا يذكر ربه فى عمره وكيف لا وهو فى زمان صباه كان مخلوقا على الفطرة المقتضية للخيرات فخلق الخير الغالب كما أن ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل لا يناسب الحكمة.

ألا ترى أنه التاجر إذا طلب منه درهم بدينار فلو امتنع ويقول فى هذا شر وهو زوال الدرهم عن ملكى فيقال له لكن فى مقابلته خير كثير وهو حصول الدينار فى ملكك وكذلك الإنسان لو ترك الحركة اليسيرة لما فيها من المشقة مع علمه أنها تحصل له راحة مستمرة ينصب إلى مخالفة الحكمة فإذا نظر إلى الحكمة كان وقوع الخير المشوب بالشر القليل من اللطيف فخلق الله العالم الذى فيه الشر لذلك وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله ﴿**إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ فقال الله تعالى فى جوابهم ﴿**إنى أعلم ما لا تعلمون**﴾ [البقرة: ٣٠] أى إنى أعلم أن هذا القسم يناسب الحكمة لأن الخير فيه كثير وبيَّن لهم خيره بالتعليم كما قال ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾ [البقرة: ٣١] يعنى أيها الملائكة خلق الشر المحض والشر الغالب والشر المساوى لا يناسب الحكمة وأما خلق الخير الكثير فمناسب، فقولهم ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها**﴾ إشارة إلى الشر وأجابهم الله بما فيه من الخير بقوله: ﴿**وعلم آدم الأسماء**﴾ فإن قال قائل فالله قادر على تخليص هذا القسم من الشر بحدث لا يوجد فيه شر فيقال له ما قال الله تعالى ﴿**ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**﴾ [السجدة: ١٣] يعنى لو شئنا خلصنا الخير من الشر لكن حينئذ لا يكون خلق الخير الغالب وهو قسم معقول فهل كان تركه للشر القليل وهو لا يناسب الحكمة وإن كان لا لذلك فلا

مانع من خلقه فيخلقه لما فيه من الخير الكثير هذا خلاصة ما فى التفسير الكبير فى تفسير قوله **﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾** فى سورة آلم السجدة.

وفى شرح المواقف فى خاتمة مقصد أنه تعالى مريد لجميع الكائنات أن الحكماء قالوا الموجود إما خير محض لا شر فيه أصلا كالعقول والأفلاك وإما الخير غالب فيه كما فى هذا العالم الواقع تحت كرة القمر فإن المرض مثلا وإن كان كثيرا فالصحة أكثر منه وكذلك الألم كثير واللذة أكثر منه فالموجود عندهم منحصر فى هذين القسمين وأما ما يكون شرا محضا أو كان الشر فيه غالبا أو مساويا فليس شىء منها موجودا فالخير فى هذا العالم واقع بالقصد الأول داخل فى القضاء دخولا أصليا ذاتيا والشر واقع بالضرورة داخل فى القضاء دخولا بالتبع والعرض وإنما التزم فى هذا العالم فعل ما غلب خيره لأن ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير فليس من الحكمة، كما أنه ليس من الحكمة إيجاد الشر المحض أو الكثير أو المساوى فلا يعد من الحكمة ترك المطر الذى به حياة العالم لئلا تنهدم به دور معدودة ألا ترى أنه إذا لذع أصبع إنسان وعلم أن حياته فى قطعها فإنه يأمر بقطعها ويريده طبعا لإرادة سلامته من الهلاك فسلامة البدن خير كثير يستلزم شرا قليلا فلا بد للعقل أن يختاره وإذا احترز عنه حتى هلك لم يعد عاقلا فضلا عن أن يعد حكيما فاعلا لما يفعله على ما ينبغى انتهى (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٤١٧ ـ٤١٩).

وقال الراغب الأصفهانى فى مادة «خير»: الخير ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلا والعدل والفضل والشىء النافع، وضده الشر، قيل والخير ضربان: خير مطلق وهو أن يكون مرغوبا فيه بكل حال وعند كل أحد كما وصف عليه السلام به الجنة فقال: «لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة» وخير وشر مقيدان وهو أن يكون خيرا لواحد شرا لآخر كالمال الذى ربما يكون خيرا لزيد وشرا لعمرو، ولذلك وصفه الله تعالى بالأمرين فقال فى موضع **﴿إن ترك خيرا﴾** [البقرة: ١٨٠] وقال فى موضع آخر **﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات﴾** [المؤمنون: ٥٦] وقوله تعالى: **﴿إن ترك خيرا﴾** [البقرة: ١٨٠] أى مالا. وقال بعض العلماء لا يقال للمال خير حتى يكون كثيرا ومن مكان طيب كما روى أن عليا رضى الله عنه دخل على مولى له فقال: ألا أوصى يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، لأن الله تعالى قال: **﴿إن ترك خيرا﴾** وليس لك مال كثير وعلى هذا قوله: **﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾** [العاديات: ٨] أى المال الكثير. وقال بعض العلماء: إنما سمى المال هاهنا خيرا تنبيها على معنى لطيف وهو أن الذى يحسن الوصية به ما كان مجموعا من المال من وجه محمود وعلى هذا قوله: **﴿قل ما أنفقتم من خير فللوالدين﴾** وقال: **﴿وما تنفقوا من خير يعلمه الله﴾** وقوله: **﴿فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا﴾** قيل عنى به مالا من جهتهم، وقيل إن علمتم أن عتقهم يعود عليكم وعليهم بنفع أى ثواب. والخير والشر يقالان على وجهين، أحدهما: أن يكونا اسمين كما تقدم وهو قوله: **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾** والثانى: أن يكونا وصفين وتقديرهما تقدير أفعل منه أو هذا خير من ذاك وأفضل وقوله: **﴿نأت بخير منها﴾** وقوله: **﴿وأن تصوموا خير لكم﴾** فخير هاهنا يصح أن يكون اسما وأن يكون بمعنى أفعل ومنه قوله تعالى: **﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾** تقديره تقدير. أفعل منه. فالخير يقابل به الشر مرة والضر مرة نحو قوله تعالى: **﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير﴾** وقوله: **﴿فيهن خَيْرَاتٌ حسان﴾** قيل أصله خيِّرات فخفف، فالخيرات من النساء الخَيِّرات، يقال رجل خيْر وامرأة خيْرة وهذا خير الرجال وهذه خيرْة النساء، والمراد بذلك المختارات أى فيهن مختارات لا رذل فيهن. والخير الفاضل المختص بالخير، يقال ناقة خيار وجمل خيار، واستخار الله العبد فخار له أى طلب منه الخير فأولاه، وخايرت فلانا كذا فخرته، والخيرة الحالة التى تحصل للمستخير والمختار نحو القعدة والجلسة لحال القاعد والجالس. والاختيار طلب ما هو خير وفعله، وقد يقال لما يراه الإنسان خيرا وإن لم يكن خيرا، وقوله: **﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين﴾** [الدخان: ٣٢] يصح أن يكون إشارة إلى إيجاده تعالى إياهم خيرا، وأن يكون إشارة إلى تقديمهم على غيرهم. والمختار فى عرف المتكلمين يقال لكل فعل يفعله الإنسان لا على سبيل الإكراه، فقولهم هو مختار فى كذا، فليس يريدون به ما يراد بقولهم فلان له اختيار فإن الاختيار أخذ ما يراه خيرا،

والمختار قد يقال للفاعل والمفعول (المفردات / ١٦٠، ١٦١).

ويحدد الإمام ابن الجوزى أوجه ورود «خير» فى القرآن الكريم باثنين وعشرين وجها فيقول:

الخير: اسم لكل ممدوح، والخير: الكرم.

والاستخارة: أن تسأل خير الأمرين.

والخير فى القرآن على اثنين وعشرين وجها:

أحدها: الإيمان، ومنه فى الأنفال ﴿ولو علم الله فيهم خيرا﴾ [٢٣] وفيها ﴿إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا﴾ [٧٠]، وفى هود ﴿لن يؤتيهم الله خيرا﴾ [٣١].

والثانى: الإسلام، ومنه فى نون [القلم] ﴿مناع للخير﴾ [١٢] نزلت فى الوليد بن المغيرة منع ابنى أخيه من الإسلام.

والثالث: المال، ومنه فى البقرة ﴿إن ترك خيرا﴾ [١٨٠]، وفيها ﴿قل ما أنفقتم من خير﴾ [٢١٥].

والرابع: العافية، ومنه فى الأنعام ﴿وإن يمسسك بخير﴾ [١٧]، وفى يونس ﴿وإن يردك بخير﴾ [١٠٧].

والخامس: الأجر، ومنه فى الحج ﴿لكم فيها خير﴾ [٣٦].

والسادس: الأفضل، ومنه ﴿وأنت خير الراحمين﴾ [المؤمنون: ١٠٩، ١١٨] ومثله ﴿خير الرازقين﴾ [المؤمنون: ٧٢] و [سبأ: ٣٩] و ﴿خير الحاكمين﴾ [الأعراف: ٨٧] و [يونس: ١٠٨] و [يوسف: ٨٠]

والسابع: الطعام، ومنه فى القصص ﴿من خير فقير﴾ [٢٤]

والثامن: الظفر ومنه فى الأحزاب ﴿لم ينالوا خيرا﴾ [٢٥].

والتاسع: الخيل، ومنه فى ص ﴿أحببت حب الخير﴾ [٣٢].

والعاشر: القرآن، ومنه فى البقرة ﴿من خير من ربكم﴾ [١٠٥].

والحادى عشر: الأنفع، ومنه ﴿نأت بخير منها﴾ [البقرة: ١٠٦].

والثانى عشر: رخص الأسعار، ومنه فى هود ﴿إنى أراكم بخير﴾ [٨٤].

والثالث عشر: الصلاح، ومنه فى النور ﴿إن علمتم فيهم خيرا﴾ [٣٣].

والرابع عشر: القوة، ومنه فى الدخان ﴿أهم خير أم قوم تبع﴾ [٣٧]

والخامس عشر: الدنيا، ومنه فى العاديات ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ [٨].

والسادس عشر: الإصلاح، ومنه فى آل عمران ﴿يدعون إلى الخير﴾ [١٠٤]

والسابع عشر: الولد الصالح، ومنه فى النساء ﴿ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾ [١٩]

والثامن عشر: العفة، ومنه فى النور ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا﴾ [١٢].

والتاسع عشر: حسن الأدب، ومنه فى الحجرات ﴿لكان خيرا لهم﴾ [٥]

والعشرون: النوافل، ومنه فى الأنبياء ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ [٧٣]

والحادى والعشرون: النافع، ومنه فى الأعراف ﴿لاستكثرت من الخير﴾ [١٨٨]

والثانى والعشروين: الخير المضاد للشر، ومنه فى آل عمران ﴿بيدك الخير﴾ [٢٦].

(منتخب قرة العيون النواظر / ١٠٨ ـ ١١١).

وعن كثرة طرق الخير يقول الإمام النووى:

قال الله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾ [الزلزلة: ٧].

روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «كل سُلاَمَىٰ من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة. وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ إنه خلق كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرا عن طريق الناس أو شوكة أو عظما عن طريق الناس أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد الستين والثلاثمائة فإنه يمشى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار

وروى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة ويجزىء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى (السلامي المفصل). وروى مسلم عن أبي ذر أيضا قال قال لى النبى ﷺ لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » والأحاديث في ذلك كثيرة» (مختصر كتاب رياض الصالحين / ٣٠٤، ٣٠٥).

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٤١٧ ـ ٤١٩، والمفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهاني ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٦٠، ١٦١، ومنتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم للإمام ابن الجوزى ــ تحقيق ودراسة محمد السيد الصفطاوى، ود. فؤاد عبد المنعم أحمد / ١٠٨ ــ ١١١، ومختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف الدين النووى ــ اختصره ورتبه الشيخ النبهانى / ٣٠٤، ٣٠٥. انظر أيضا تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٣ / ١٠٠).

* الخيّر:

الخير فى اللغة خلاف الشرير. وقد أطلق فى عصر المماليك على أهل الدين والصلاح. وكان يستعمل فى الغالب مضافا إلى ياء النسبة فيقال «الخيرى» للمبالغة (التعريف / ١٢٥). وكثيرا ما كان فى صيغة الجمع «الأخيار» فى وصف أهل بيت النبى ﷺ ومن أمثلة استعماله فى النقوش وروده على كسوة للكعبة بمكة بتاريخ سنة ١٩٩ هـ، وفى نص جنائزى بتاريخ سنة ٢٤٤ هـ من مصر، وعلى قطعة من النسيج خاصة بالمطيع بتاريخ سنة ٣٤٥ هـ من مصر.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٢٥ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٦ / ١٣، والألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٨١).

* ابن خير (٥٠٢ ـ ٥٧٥ هـ ١١٠٩ ـ ١١٧٩م):

محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتونى الأموى الإشبيلى، أبو بكر، مقرئ، من حفاظ الحديث، لغوى، أديب، من أهل إشبيلية، يقال له «الأموى» بفتح الهمزة والميم، نسبة إلى «أمة» وهى جبل بالمغرب بقى من تصنيفه «فهرسة ما رواه عن شيوخه» مطبوع. قال ابن ناصر الدين: بيعت كتبه لصحتها بأغلى الأثمان، ولم يكن له نظير فى الإتقان. ووصف الكتانى (فى فهرس الفهارس) نسخة من صحيح مسلم، لا تزال محفوظة بفاس، كانت من كتب ابن خير، وقد كتب على هامشها كثيرا من الفوائد فى شرح الغريب من ألفاظه، وتفسير بعض معانيه (الأعلام ٦ / ١١٩).

ولد ابن خير فى مدينة إشبيلية عام ٥٠٢ هـ، وتوفى فى قرطبة عام ٥٧٥ هـ، وذلك فى شهر ربيع الأول. وكان قد دفن فى قرطبة ثم جرى نقل جثمانه إلى إشبيلية.

ولا نعرف عن حياته سوى القليل مما نستقيه من ابن الأبار (صاحب كتاب «الحلة السيراء») والضبى (صاحب كتاب «بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس»)، والذهبى (صاحب كتاب «تذكرة الحفاظ»).

وقد أحب العلم منذ صباه، وتتلمذ خاصة على العالم أبى الحسن شريح بن محمد بن شريح، وتوثقت بينهما عُرى صداقة حميمة دامت حتى وفاة الأستاذ عام ٥٣٩ هـ.

ويظهر أنه بدأ طلبه العلم منذ عام ٥١٨ أو ٥٢٠ فى إشبيلية. ومن المرجح أنه لم يغادر مدينة مولده قبل عام ٥٢٧ هـ. ويشير المؤلف نفسه فى كتابه إلى إقامته زمنا فى مدينة قرطبة عام ٥٢٩ هـ، وفى مدينتى ألمرية وطريف عام ٥٤٠ هـ. وبعد رجوعه عام ٥٣٥ هـ إلى إشبيلية عاد من جديد إلى الأخذ عن أستاذه أبى الحسن شريح ... ثم استمع عامى ٥٦٣ هـ و٥٦٤ هـ فى مدينة مورور إلى المعلم أبى إسحاق بن إبراهيم بن خلف.

ومن المرجح أن ابن خير تجول فى معظم مدن الأندلس، لأنه هو نفسه يذكر أساتذة من مختلف المدن الأندلسية قرأ عليهم بعض الكتب.

ولما اعتراه المرض فى بدء العام السبعين من عمره، عرض عليه حاكم قرطبة إمامة المسجد الكبير فقبل، وكان يتقاضى عن ذلك مرتبا إلى يوم وفاته، أى يوم الأربعاء فى الرابع من ربيع الأول عام ٥٧٥ هـ.

لقد قضى ابن خير حياته كلها إذن ــ ماخلا السنتين الأخيرتين ـ فى طلب العلم، فتتلمذ لأساتذة عديدين، وروى عنهم عددا من الكتب يفوق التصديق، وهكذا ألف «الفهرسة». ويظهر من هذا الكتاب أن ابن خير كان قد قرأ أو سمع قراءة أو أجيز له ما ينوف على ١٠٤٥ كتابا. فليس من العجب أن يقول عنه ابن الأبار إنه فاق الجميع فى قراءة الشعر وشرح السير.

كان ابن خير رفيع الأخلاق، فلم يعرفه أحد إلا مدحه (فهرسة ابن خير / ى، ك).

وقد وصفه معاصروه فقالوا: فقيه محدث من أهل الإتقان وجودة الضبط مقرئ مجود» (الضبى: بغية الملتمس/ ٦٥).

ووصفه ابن العماد (شذرات الذهبى ٢ / ٢٥٢) فقال: المقرئ والحافظ: فاق الأقران فى ضبط القراءات. سمع الكثير من أبى مروان الباجى (المشهور باسم «صاحب الصلاة» ت ٥٧٨

هـ / ١١٨٢ م) وابن العربى (٥٦٠ ـ ٦٣٨ هـ / ١١٦٤ ـ ١٢٤٠ م) وحلّق وبرع فى الحديث، واشتهر بالإتقان، وسعة المعرفة بالعربية (تطور علم التاريخ / ٢٠٣).

(الأعلام للزركلى ٦ / ١١٩، وفهرسة ما رواه عن شيوخه لابن خير ـ وقف على تحقيقه وطبع طبعته الأولى الشيخ فرنشسكه قداره زيدين وتلميذه خليان ربارة طرغوه / ى، ك، وتطور علم التاريخ الإسلامى ـ أ. د. أحمد رمضان أحمد / ٢٠٣).

ونفرد مادة خاصة لفهرسة ابن خير فى حرف الفاء إن شاء الله تعالى.

*** خير الأثر فى أحوال الأئمة الاثنى عشر:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى السير والمناقب.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ١٠٣١٠.

لم يعلم اسم المؤلف.

الأول ﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا﴾ وأرسل أفضل المرسلين إمام المتقين محمد [محمدا] مبشرا ونذيرا ...).

وهو كتاب فى مناقب الأئمة الاثنى عشر رتبه المؤلف فى اثنى عشر بابا لكل إمام باب.

نسخة جيدة حديثة الخط فى أولها فائدة عن المؤلف والكتاب كتبها محمد مهدى الموسوى الأصفهانى الكاظمى سنة ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م نصها «قد لاحظت هذا الكتاب المسمى بخير الأثر فى أحوال الأئمة الاثنى عشر ومؤلفه من علماء العامة وعصره متأخر عن عصر الشهاب الآلوسى البغدادى صاحب التفسير المشهور لأنه يذكر شبه فى ص ٧٣ من كتابه هذا».

القياس ٩٤ص ٢٠ × ١٢,٥ سم ٢٢ س.

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٦٩، ١٧٠).

*** أبو الخير الأقطع التيناتى:**

أوردناه تحت عنوان «التيناتى» فى م ١١ / ٢٤٦ فانظره فى موضعه.

*** خير الأنبياء:**

من آثار أبى زيد الفازازى الأندلسى قوله فى رسول الله ﷺ:

إذا أملت من مولاك قربا ... فجدد ذكر خير الأنبياء
وصل عليه أول كل قول ... وآخره بصبح والمساء
فإن محمدا أعلى البرايا ... محلا فى السيادة والعلاء
لواء الحمد فى يمنى يديه ... وكل الناس من دون اللواء
فحدث عن دلائله ففيها ... شفاء للنهى من كل داء
ولست بناقل للعشر منها ... وهل تفنى الزواخر بالدلاء
فقل للسامعين قفوا فهذا ... محال ليس يحصر بانتهاء
براهين البسيطة ليس تحصى ... فدونكم براهين السماء

(آثار أبى زيد الفازازى الأندلسى ـ تقديم وتحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة / ١٥٤).

*** الخير الباقى فى جواز الوضوء من الفساقى:**

رسالة لزين الدين بن نجيم المصرى الحنفى المتوفى ٩٦٠ ستين وتسعمائة [٩٧٠] أولها الحمد لله الذى أنزل من السماء ماء طهورا ... إلخ.

(كشف ١ / ٧٢٧).

وهى إحدى الرسائل الزينية، ونوردها بتمامها فى موضعها فى حرف الزاى إن شاء الله تعالى يوجد مخطوط بمكتبة الأوقاف المركزية السليمانية وجاء بيانه كما يلى:

الخير الباقى فى جواز الوضوء من الفساقى (رسالة)

مؤلفه: زين الدين إبراهيم بن محمد بن محمد المصرى الحنفى الشهير بابن نجيم المتوفى ٩٧٠ هـ.

أوله: (الحمد لله الذى أنزل من السماء ماء طهورا بفضله وجعله مزيلا للأحداث والأخباث بطبعه ... إلخ).

آخره: (من أهمل ما ذكرناه حار فى الخطأ والغلط هذا ما يسر الله تعالى جمعه فى أقل من نصف يوم على يد مؤلفها المرحوم الشيخ زين بن نجيم الحنفى من أواسط شهر ربيع الأول من سنة إحدى وخمسين وتسعماية وكان ذلك بالخانقاه الشيخونية والحمد لله وحده).

ناسخه: فتحى بن الحاج محمد سعيد سنة ١١٩٩ هـ.

خط نسخى: جميل ورقه مصقول.

و: ٦

م: ٢٢ × ١٥

س: ٢٣ ت / ٣١٠ ـ ٣١١

(فهرس الأوقاف ١/ ٣٣٣).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٧٢٧، وفهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ــ إعداد محمود أحمد محمد ١ / ٣٣٣).

*** خير البشر بخير البشر:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ والسير.

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى:

لمحمد بن عبد الله بن محمد بن ظفر الصقلى، المتوفى سنة ٥٦٥ هـ.

(بروكلمان ١ / ٣٥٢ وملحق ١ / ٥٩٥).

أوله: «الحمد لله مولى أولى الرفعة والتمكين ... ومرسل محمد ﷺ بخير الملل على حين فترة من الرسل ...».

وآخره: «قال الشيخ رضى الله عنه: وقد انتهيت فى كتابى هذا إلى حده والحمد لله حق حمده ...».

نسخة كتبت بخط نسخى، خط قديم، فى ٤٢ ورقة، ومسطرتها ١٩ سطرا.

[دار الكتب ١٥ مجاميع م] UNESCO

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ، جـ٢ ق٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ١٩٧٠ م / ١٦٤).

*** خيربك (مسجد ـ):**

انظر مادة «خاير بك (مسجد ــ)» فى م ١٥ / ٢٩١ ـ ٢٩٣.

*** أبو الخير الجونپورى (ـ ١١٩٨هـ):**

عربى من ذرية عمر بن الخطاب، من علماء العرب فى الهند.

وهو الشيخ العالم الفقيه أبو الخير بن القاضى ثناء الله العمرى الجونپورى أحد العلماء الصالحين.

ولد ونشأ ببلدة «جونپور» ودرس العلم وسافر إلى بلاد شتى، وأخذ عن غير واحد من العلماء، ثم تصدى للتدريس والإفادة، وكان زاهدا قنوعا شديد التعبد كثير الاشتغال بالتدريس والإفادة، أراد الحاكم العام فى الهند أن يوليه الإفتاء فلم يجبه.

له مصنفات عديدة: حاشية على «شرح العقائد» للتفتازانى وحاشية على «شرح العقائد» للدوانى.

مات سنة ثمان وتسعين ومائة وألف ببلدة جونپور ودفن بها.

(علماء العرب فى شبه القاره الهندية ـ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ٤٥٩).

*** ابن خير الدين:**

من شيوخ المعظمية وهو القاضى شمس الدين أبو اللطف محمد بن محمد بن خليل القدسى، الحنفى، المعروف بابن خير الدين:

ذكر مجير الدين الحنبلى، وكان معاصرا لابن خير الدين أن ابن خير الدين درس بالمدرسة المعظمية «نيابة بعد أن كان له الوظيفة استقلالا، فإنه كان بيده حصة منها قدرها الخمسان تلقاها عن والده». وأضاف مجير الدين أن ابن خير الدين «باشرها ـ المعظمية ـ مدة فى زمن الشيخ تاج الدين الديرى بمشاركته له فيها». ولكن ابن خير الدين تنازل عن حصته بها للقاضى فخر الدين الخزرجى، ثم نزل عنها القاضى فخر الدين للشيخ تاج الدين الديرى «فكملت الوظيفة» كما يقول مجير الدين الحنبلى (الأنس الجليل ٢ / ٢٤٢).

وكان ابن خير الدين قد نشأ فى بيت المقدس، وتلقى تعليمه فيه، فحفظ كتاب «كنز الدقائق»، وكتاب «منار الأنوار»، وغيرهما (الضوء. اللامع٩ / ٨٢)، ذكر السخاوى أن ابن خير الدين سمع معه ومع غيره، فى بيت المقدس (الضوء اللامع ٩ / ٨٢).

ولم يقتصر ابن خير الدين على الاشتغال بالتدريس، فقد اشتغل بالقضاء فى بين المقدس أيضا (الضوء اللامع ٩ / ٨٢).

وقد درّس بالمعظمية بعد زين الدين الكركى، وقد تقدم أنه استنيب للتدريس فيها، وابتدأ التدريس فيها سنة ٨٩٧ هـ، بعد وفاة سلفه زين الدين الكركى، الآنف الذكر (الأنس الجليل ٢ / ٢٤٢).

ولا شك أنه درّس الفقه وأصوله، فقد كان معنيا بهما فى دراسته. ولعله درّس كتاب «كنز الدقائق» فى أصول الفقه الحنفى، وكتاب «منار الأنوار» فى أصول الفقه.

ولم نستطع أن نتبين السنة التى توفى فيها، فقد أغفل ذلك السخاوى. وذكر مجير الدين أنه كان معاصرا له. وأضاف أن ابن خير الدين استمر فى التدريس بالمعظمية إلى اليوم الذى كان مجير الدين يتحدث عنه (الأنس الجليل ٢ / ٢٤٢)، ولما كانت وفاة مجير الدين فى نحو سنة ٩٢٨ هـ، فإن حديثه عن

تولى ابن خير الدين التدريس بالمعظمية كان قبل هذا التاريخ.

(المدارس فى بيت المقدس ـ د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ١ / ٣٨٩، ٣٩٠، والضوء اللامع لشمس الدين السخاوى م ٥ حـ ٩ / ٨٢).

*** خير الدين الغزى (٨٣٨ـ٨٩٤ هـ):**

قاضى القضاة الإمام خير الدين محمد بن شمس الدين بن عمران الغزى ثم المقدسى الحنفى.

ولد بغزة سنة ٨٣٨ هـ، ونشأ فيها، ثم رحل إلى مصر طالبا العلم، فدرس الفقه والحديث، وعاد إلى القدس، وولى القضاء فيها، كما ولى الإمامة بالصخرة، وكتب المصاحف، واشتغل بالتدريس والإفتاء. وقد انتهت إليه رياسة المذهب الحنفى بالقدس. توفى سنة ٨٩٤ هـ.

(انظر: الأنس الجليل ٢ / ٢٣٩. ٢٤١).

(المدارس فى بيت المقدس ـ د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ١ / ١٥٥ وهامش ٨٢).

*** أبو الخير السويدى (١١٣٤ـ١٢٠٠ هـ / ١٧٢٢ـ١٧٨٦م):**

عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين السويدى العباسى البغدادى، زين الدين، أبو الخير، مؤرخ، من بيت قديم فى العراق. ولد ونشأ فى بغداد (الأعلام ٣ / ٣١٤).

ترك من العقب ولدا واحدا هو محمد، وبنتا اسمها زينب، وأعقب محمد ولدين كل منهما كان عالما أديبا مؤرخا هما عبد الرحيم (توفى سنة ١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م)، وسلمان (توفى سنة ١٢٣٠ هـ / ١٨١٥ م).

(تأريخ حوادث بغداد والبصرة / ٣١).

وقد قدم الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ترجمة ضافية (من ص ١٦ ـ ٣١) فى مقدمة تحقيقه لكتاب أبي الخير «تأريخ حوادث بغداد والبصرة» فارجع إليها إن شئت، ونكتفى هنا بما أورده الدكتور عماد فى مقدمة التحقيق عن آثار أبى الخير السويدى وقد صنفها كما يلى:

آثاره:

أولا: فى التاريخ والسير.

١ ـ حديقة الزوراء فى سيرة الوزراء. وهو فى سيرة واليى بغداد الوزيرين حسن باشا (١١١٦ ـ ١١٣٦ هـ / ١٧٠٤ ـ ١٧٣٣ م) وابنه أحمد باشا (١١٣٦ ـ ١١٤٧ هـ / ١٧٢٣ ـ ١٧٣٤م). نشر الدكتور صفاء خلوصى القسم الأول منه، وهو الخاص بسيرة حسن باشا (بغداد ١٩٦١، ١٢٨ ص). وأقوم بإعداد طبعة علمية، محققة، ومزودة بدراسة وتعليقات وشروح، للكتاب بقسميه، مقابلا على نسخ خطية متعددة.

٢ ـ الكتيبة فى السير، وهو من كتبه الضائعة، أشار إليه يوسف بن محمد العبادى فى كتابه المسمى بالجمانات السنية شرح المنظومة السليمانية (مخطوط نقل منه كاظم الدجيلى فى مجلة لغة العرب ٢ (١٩١٢) ص ٢٨٠) وإسماعيل باشا البغدادى فى هدية العارفين (٢ / ٥٥٦).

٣ ـ تاريخ حوادث بغداد والبصرة من سنة ١١٨٦ إلى سنة ١١٩٢ هـ وهو هذا الكتاب.

ثانيا ـ فى الفقه:

٤ ـ الدرة السنية على شرح الحضرمية، وهى حاشية على الشرح المنسوب لأحمد بن محمد بن محمد بن حجر الهيتمى الشافعى (ت ٩٧٤ هـ / ١٥٦٦م) للمقدمة الحضرمية فى فروع الشافعية تأليف عبد الله بن عبد الرحمن بافضل الحضرمى الشافعى. مخطوط لم يطبع بعد، منه نسخة فى المكتبة القادرية ببغداد برقم ٤٧٣، وتاريخها فى ١٢٣٤ هـ. وتقع فى ٢١٣ ورقة (الآثار الخطية فى المكتبة القادرية ٢ / ٢٨٢).

٥ ـ حاشية على تحفة المحتاج لشرح المنهاج لأحمد بن محمد بن محمد بن على، ابن حجر الهيتمى السعدى الأنصارى (ت ٩٧٤ هـ / ١٥٦٦ م) و «منهاج الطالبين» فى فقه الشافعى ليحيى بن شرف النووى (ت ٦٧٦ هـ) وهو مرتب على أربعة أرباع، شرح السويدى فى حاشيته ربع العبادات وأشار إليه العبادى فى الجمانات السنية المقدم ذكره (لغة العرب ٢ / ٢٧٩)، والبغدادى فى الهدية (هدية العارفين ١ / ٥٥٦)، والمرادى (سلك الدرر ٢ / ٣٣٠).

٦ ـ إرواء المحتسى من كؤوس الشبراملسى، وهى حاشية على حاشية أبى الضياء نور الدين الشبراملسى على نهاية المحتاج لشرح المنهاج. أشار إليه العبادى (لغة العرب ٢ / ٢٧٩)، والبغدادى (هدية العارفين ١ / ٥٥٦).

ثالثا ـ في الحكمة والعقائد والتصوف :

٧ ــ الهبة الإلهية فى شرح الشيبانية، وهو فى شرح «العقيدة الشيبانية» فى علم الكلام والعقائد، أشار إليه البغدادى فى الذيل على كشف الظنون ونقل أوله، وفى الهدية، العبادى (لغة العرب ٢ / ٢٧٩).

٨ ـ حديقة الجانى فى حل قصيدة الشيبانى. شرح فيه «القصيدة الشيبانية»فى علم الكلام، وفرغ منه فى جمادى الأولى سنة ١١٥٨ هـ/ ١٧٤٥ م منه نسخة فى المكتبة القادرية برقم ٥٨٥ كتبها كاظم بن الحاج عبد الله سنة ١٢٣٥ هـ/ ١٨١٩ م ويقع فى ٢٦ ورقة (الآثار الخطية فى المكتبة القادرية ٢ / ٤٢٩، ٤٣٠).

٩ ــ الأجوبة الهندية فى الحكمة الإلهية. فى علم الحكمة. كذا سماه العبادى (لغة العرب ٢ / ٢٧٩) وعند البغدادى «الأجوبة العندية فى الحكمة الربانية» (هدية العارفين ٢ / ٥٥٦).

١٠ ــ كشف الحجب المسبلة شرح التحفة المرسلة. و«التحفة المرسلة» رسالة فى موضوع «وحدة الوجود» تأليف الشيخ محمد بن فضل الله البرهانبورى الهندى الصوفى المتوفى سنة ١٠٢٩ هـ/ ١٦١٩ م. وقد رد السويدى فى شرحه لها على مدعى الحلول. نوه به البغدادى (هدية العارفين ٢ / ٥٥٦ وإيضاح المكنون ٢ / ٣٥٩) وطبع فى مصر.

١١ ــ هبة المنان شرح كلمات الشيخ رسلان، فى التصوف. ذكره البغدادى، ونقل أوله، وسماه العبادى «شرح الرسلانية».

١٢ ـ شرح قصيدة للشيخ الأكبر (لعله: محيى الدين بن عربى المتوفى ٦٣١ هـ/ ١٢٣٣) فى التصوف. ذكره العبادى (لغة العرب ٢ / ٢٧٩).

١٣ ـ شرح الصلوات المشيشية. فى التصوف، والصلوات للشيخ عبد السلام بن مشيش، من أهل القرن الثانى عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد). طبع فى مصر، فى ذيل كشف الحجب المتقدم.

١٤ ـ رسالة فى الدراويش. منه نسخة فى مكتبة الأوقاف ببغداد برقم [٣ / ٤٧١٥ مجاميع] (فهرس المخطوطات العربية ٢ / ٣٩٣).

رابعا ـ فى النحو والبلاغة :

١٥ ــ الغيث الهامى على شرح القطر للعصامى. وهو حاشية على حاشية عبد الملك بن جمال الدين بن صدر الدين العصامى الإسفرائينى المشهور بملا عصام (توفى سنة ١٠٣٧ هـ-١٦٢٨ م) على شرح عبد الله بن يوسف بن هشام النحوى (توفى ٧٦٢ هـ/ ١٣٦٠م) لمقدمته المشهورة فى النحو «قطر الندى وبل الصدى». ومنه نسخة فى مكتبة المتحف العراقى ببغداد برقم ٣٣٤٢ وتقع فى ٢٩١ ص (أسامة النقشبندى: المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى / ٢٧).

١٦ ــ التبيان شرح الجمان. شرح فيه كتاب «جمان الاستعارات» الذى ألفه والده فى الاستعارة، وكان أبوه قد ابتدأ بشرحه حتى المقصد الأول، ثم كلف ابنه عبد الرحمن سنة ١١٦٨ هـ/ ١٧٥٤ م بإتمام ما بدأ فيه. منه نسخة فى المكتبة القادرية برقم (١٠٨٠) كتبت سنة ١٣٤١ هـ ١٩٢٢) م - (٣٠ ورقة) (الآثار الخطية فى المكتبة القادرية جـ٤، غير مطبوع).

وأخرى فى مكتبة الأوقاف ببغداد برقم (١٣٧٩٩) فى (٨٣ ورقة) وثالثة فى مكتبة المتحف العراقى برقم ٧٧٥٨ فى (٨٠ ص).

١٧ ــ حاشية على شرح لامية الأفعال، والشرح لابن حجر، واللامية لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائى المتوفى سنة ٦٧٢ هـ/ ١٢٧٣م. أشار إليها البغدادى (هدية العارفين ٢ / ٥٥٦).

خامسا : فى الأدب والشعر:

١٨ ــ مجموعة منشآته من الرسائل التى كتبها إلى معاصريه أو التى كتبها عن لسان بعضهم. وهو دفتر يفتح طولا، بخطه، محفوظ فى المكتبة القادرية ببغداد (الآثار الخطية فى المكتبة القادرية جـ٤ غير مطبوع).

١٩ ـ جامع الامثال عزيزة المثال، أشار إليه البغدادى (هدية العارفين ٢ / ٥٥٦).

٢٠ ـ مجموعة أشعاره، وتضم قصائد ومقطعات عديدة نظمها فى مناسبات تاريخية واجتماعية شتى، آخرها مؤرخ فى سنة ١١٧٩ هـ/ ١٧٦٥ م. وقد جمعت فى حياته، على يد أحد إخوته، والراجح أنه أحمد السويدى كما تدل على

ذلك قرائن عدة (عبد الرحمن الكيلاني: المخطوط رقم ١٣٥٥ / شعر وفي المكتبة القادرية. مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩، ١٩٧٠، ص ١٦٥). نسخة خطية في المكتبة القادرية، على هيئة دفتر يفتح طولا، وعدد أوراقه ٥٨ ورقة (الآثار الخطية في المكتبة القادرية جـ ٤) وأخرى كانت في مكتبة عباس العزاوي (تاريخ الأدب العربي في العراق ٢ / ٢٨٤).

سادسا: في علم الفلك:

٢١ - زينة الأملاك في شرح تشريح الأفلاك. وهو حاشية على شرح تشريح الافلاك تأليف عبد الله الفخري الموصلي توفي سنة ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م. وتشريح الافلاك: في الهيئة، لبهاء الدين محمد بن حسن بن عبد الصمد العاملي الهمداني المتوفى سنة ١٠٣١ هـ / ١٦٢١ م. منه نسخة بخط المؤلف في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد برقم (٢ / ٦٢٨١) مجاميع. وتقع في ١٤ ورقة. (عبد الله الجبوري، فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد ج ٤ ص ٢٤٥ وعز الدين علم الدين في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٨ / ٤٩٩).

٢٢ - شرح مسألة الشعيرة لمحمود بن محمد بن عمر الجغميني (توفي ظنا سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م) منه نسخة خطية في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد برقم [٣ / ٦٢٨١ مجاميع]، وتقع في ١٢ ورقة (الفهرس نفسه ٤ / ١٢٩).

(تأريخ حوات بغداد والبصرة / ٣٢-٣٦).

٢٣ - تأريخ حوادث بغداد والبصرة وهو ما نقلنا منه هذه المادة، وهو بتحقيق الدكتور عماد عبد السلام رؤوف. الكتاب عندي وجاء بيانه كاملا في مادة «آدمي» في م ١ / ٤٤٥ ولأبي الخير السويدي نظم نسوق منه أمثلة فيما يلي.

في سنه ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م قدم نادر شاه بجيوش ضخمة فحاصر مدن العراق الرئيسية، ومنها بغداد والموصل والبصرة... وقد اضطر أبو الخير إلى مشاركة أهل الجانب الغربي في نزوحهم الجماعي للتحصن بأسوار الجانب الشرقي، ولم يكن له من ملجأ في موطنه الجديد سوى أن يقيم في جامع العاقولي (انظر مادة «آل العاقولي» في م ١ / ٥٢٢)، أحد جوامع بغداد الشرقية، قريبا من الجسر، وأن يتخذ من غرفة إمام الجامع مسكنا له ولأخيه محمد سعيد البالغ من عمره آنذاك خمسة عشر عاما، ويصف أبو الخير معاناته من إقامته تلك وحنينه الشديد إلى محلته الأولى وجيرته، فيقول: «وبقينا في هذه المدة نعاني كرب الفراق، ونقاسي شدائد المشاق، ونتعهد الدور في النهار، ونحنُّ إلى الأيام الماضية حنين الثكلى بإجراء الدمع، ونأنُّ على الأوطان الخالية أنين الحبلى وقت الوضع، وقد انتبهت سحر بعض الليالي فاشتقت إلى الكرخ، وصلاة الفجر بين هاتيك الأطلال، فجرى دمعي توأما، وكاد أن يكون دما» (حديقة الزوراء. الورقة ١٧١).

ويورد شعرا نظمه وهو في تلك الحال يفيض لوعة، ويعبر عن صدق إحساس نادر:

عرِّج على الكرخ وانزل في مغانيه
واسأله كيف خلت منه غوانيه
عهدي به وهو معمور بسادته
وجملة الصحب كانوا في نواديه
عهدي به وهو محفوف بكل هنا
والشمل مجتمع والسعد تاويه
والنَّوْر والنُّور في أرجائه سطعا
والورد والآس تاها في نواحيه
وللصَّبا أرج تحيي النفوس به
مما على الأرض عطر كامن فيه
والطير فوق أصول البان في طرب
والغصن بالخود يزري في تثنيه
فما له ذهبت أصحابه وعفت
آثاره وخوت منه أعاليه
لهفي على الجانب الغربي أجمعه
فجانب الشرق طيبا لا يدانيه
بالله قف بدلي فيه كساريه
ولم تزل من صدى التفريق ترويه
وقف وقوفي به يوم الرحيل ضحى
حيث العقيق على الخدين أجريه

ونلمح في قصائد أخرى له شكوى مُرة من صروف الزمان،

وضيق مما ألمَّ به من أمور، ففي قصيدة نظمها وكان عمره يومذاك خمسة وأربعين عاما، أي في حدود سنة ١١٧٨ هـ / ١٧٦٤م، نراه يشكو من الضيم، وجور الأعادي، وجهل الجبابرة والباغين، منذرا إياهم بالزوال فيقول...

ألا من يخبر الأعداء عنا بأنا فوق جهل الجاهلينا

وأن الله دام لنا نصيرا وأن الله مولى المسلمينا

وأن البغي مرتعه وخيم وأن عدونا لم يبق حينا

(تأريخ حودادث بغداد والبصرة / ٢٥، ٢٦، ٣٠).

(الأعلام للزركلي ٣ / ٣١٤، وتأريخ حوادث بغداد والبصرة لعبد الرحمن بن عبد الله السويدي البغدادي ـ حققه وقدم له وعلق عليه د. عماد عبد السلام رؤوف / ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٣٢ـ٣٦).

*** خير العالمين:**

من المدائح النبوية، ومن آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي.

قال من اللزومي :

أصح فلخير العالمين مناقب تدل على التمكين والشرف الأسرى

أتى والورى أسرى فكان غياثهم بنور سماء ينقلون عن الإسرا

وعفّى رسوم الكافرين وأهلها فلا قيصر من بعد ذلك ولا كسرى

تقدم كل العالمين إلى مدى تظل به الأوهام طالعة حسرى

وخص بتشريف على الناس كلهم ومن لم يقل هذا تقوّله قسرا

رقى إلى السبع الطباق ترقيا حقيقا ولم يعبر سفينا ولا جسرا

وبالجسم أسرى الله وهو دلالة يمحلها من لا ييسر لليسرى

فسبحان من أسرى إليه بعبده وبورك في الساري وبورك في المسرى

وكم عجب أوحى إلى عبده به فدونك تجميلا ولا تطلب الفسرا

(في النفح ٧ / ٥٠٨ : صواب قوله «تجميلا». «إجمالا».

(آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي ـ تقديم وتحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة / ١٥٤).

*** خير القرون قرني...؟**

انظر: خير الناس قرني...

*** خير الكلام على البسملة والحمدلة:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علوم القرآن الكريم.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٥١٣٩.

المؤلف: نور الدين أبو الفرج علي بن برهان الدين إبراهيم ابن أحمد بن علي بن عمر الحلبي القاهري الشافعي المتوفى سنة ١٠٤٤ هـ.

أوله: قال الشيخ الإمام الأوحد المفيد القدوة الفهامة الفريد صدر المدرسين... علي الحلبي الشافعي... وبعد: فإن حسن التأليف مواهب، وللناس فيما يعشقون مذاهب. وقد كنت من مدة مديدة وسنين عديدة سنة تسع وتسعين وتسعماية من السنين علقت تعليقا طريفا وأنموذجا لطيفا لم يكن كخابط سيل ولا كحاطب ليل، بل حميته عن الأقوال الكاسدة وصنعته عن تمويه الخيالات الفاسدة التي تضاف إلى سبق ألسن الأقلام.

آخره: والراجح أن نقص البركة لا يتوقف على الجمع بينهما بل يحصل بأيهما كان كما دل عليه فعله ﷺ، فإنه تارة اقتصر في كتبه على البسملة وأخرى على الحمدلة وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده. تم الكلام على الحمدلة.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثاني عشر الهجري كتبت بخط نسخي واضح، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر وضعه المؤلف سنة ٩٩٩ وأعاد النظر فيه ١٠١٨ هـ وقد أورد ذلك في مقدمة الكتاب.

النسخة مصابة بالرطوبة في أوراقها الأولى، كما أن بعض

أوراقها مفروط. مع هذه النسخة رسالة أخرى للمؤلف بعنوان بيان النسب بين كل من الحمد اللغوي والعرفي.

ق	م	س
٥٢ (١ × ٥٢)	٢١ × ١٥	٢٣

نسخة ثانية

الرقم ١٠٢٩٧

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثالث عشر الهجري، فقد ورد ذلك على الورقة الأولى الوجه (أ) وكان الفراغ من كتابتها في ٩ شوال سنة ١٢٨٩ وقد طمس اسم الناسخ...

كتبت بخط معتاد وبالمداد الأسود، الغلاف من الورق.

ق	م	س
٤٠	٢٢ × ١٥	٢٢

نسخة ثالثة

الرقم ١٠٢٨٠

آخره: وقيل: الوقف على كل من بسم الله، وبسم الله الرحمن الرحيم كاف. وتضعيف هذا القول واضح لأن كلا من الرحيم نعت، والنعت متصل بمنعوته ومتعلق به لفظا ومعنى، قوله: وعلى الرحيم تام أي اتفاقا لأنه منفصل عما بعده وغير متعلق به لفظا ومعنى والله سبحانه وتعالى أعلم.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثاني عشر الهجري كتبت بخط نسخي معتاد واضح، أصيبت بالرطوبة فتأثرت الكتابة فيها.

توجد هذه النسخة في مجموع يضم شرح الحمد والشكر لغة وعرفا للمزيادي. على الورقة الأولى قيد تملك باسم الشيخ زين بن عبد العزيز الزعبي تاريخه سنة ١١٧٣ هـ.

ق	م	س
٤٤ (١ ـ ٤٤)	١٦ × ١٠	١٨

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمي ٢ / ١٢١ ـ ١٢٣).

*** أبو الخير الكليباتي (ـ٩٠٩):**

ذكره الشيخ نجم الدين الغزي في الطبقة الأولى من المائة العاشرة وقال عنه:

أبو الخير الكليباتي الشيخ الصالح الولي المكاشف الغوث المجذوب كان رجلا قصيرا يعرج بإحدى رجليه وله عصا فيها حلق خشاخيش وكان لا يفارق الكلاب في أي مجلس كان فيه حتى في الجامع والحمام وأنكر عليه شخص ذلك فقال له رُحْ وإلا جرسوك على ثور فشهد ذلك النهار زورا فجرسوه على ثور دائر مصر وأنكر عليه بعض القضاة ذلك فقال هو أولى بالجلوس في المسجد منك فإنهم لا يأكلون حراما ولا يشهدون زورًا ولا يستغيبون أحدا ولا يدخرون عندهم شيئا من الدنيا ويأكلون الرمم التي تضر رائحتها الناس...

وقال الحمصي بعد أن ترجمه بالقطب الغوث كان صالحا مكاشفا وظهرت له كرامات دلت على ولايته وكان مجذوبا يصحو تارة ويغيب أخرى وكان يسعى له الأمراء والأكابر فلا يلتفت إليهم توفي في ثلاث جمادى الآخرة سنة تسع وتسعمائة وحمل جنازته القضاة والأمراء ودفن بالقاهرة بالقرب من جامع الحاكم بالقاهرة وبنى عليه عمارة وقبة القاضي شرف الدين الصغير ناظر الدولة وانتهت عمارتها في ختام رجب من السنة المذكورة وقال الشعراوي إنه مات سنة اثنتي عشرة وتسعمائة والأول هو ما حرره الشيخ الحمصي في تاريخه وكان يومئذ بمصر وما قاله أصح لأنه يتقيد بالوقائع والحوادث يوما يوما وأكثر ما أرخه الشعراوي رحمه الله تعالى في طبقاته تقريب رحمه الله.

(الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزي ـ حققه وضبط نصه د. جبرائيل سليمان جبور ١ / ١٢٠، ١٢١).

انظر: أبو الخير الكليباتي (زاوية ـ).

*** أبو الخير الكليباتي (زاوية ـ أثر ٤٧٧):**

أوردها علي باشا مبارك في القسم السادس، عند الكلام على شارع الكليباتي ومرجوش فقال: يبتدئ الشارع من ضريح سيدي دويدار تجاه شارع بين السيارج، وينتهي بجامع السلحدار، واشتهر هذا الشارع بهذا الاسم لأن به زاوية الشيخ أبي الخير الكليباتي في أوله، وبصدرها ضريحه، وهي مقامة الشعائر، وترجم القطب الشعراني الشيخ أبا الخير المذكور، وذكر أنه دفن في المكان الذي كان يتعبد به (الخطط التوفيقية الجديدة ٢ / ٨٣).

وذكر الدكتور أحمد فكرى هذه الزاوية فقال:

أشار القلقشندى إلى أنه كان بجانب المسجد الحاكم زيادة بناها ابنه الظاهر «ولم يكملها» وأنها أضيفت إلى المسجد فى عهد الصالح نجم الدين أيوب ثم «بنى بها ما هو موجود الآن فى الأيام المعزية أيبك التركمانى، ولم تسقف». واتخذ هذا البناء فيما بعد ضريحا أطلق عليه «زاوية أبو الخير الكليباتى».

وقد نسبت هذه الزيادة إلى العصر الفاطمى، بالرغم من نص القلقشندى على أن بناءه قد تم فى منتصف القرن السابع (الثالث عشر الميلادى)، وذلك لأن العقود الحجرية المبنية فيها مدببة شبه منفرجة على هيئة العقود الفاطمية.. والبناء عبارة عن قاعة صغيرة مربعة طول كل ضلع فيها خمسة أمتار تقريبا، ولها سقف من قبوة متعارضة. وأهمية هذه الزيادة ترجع إلى بروزها خارج جدار المسجد (مساجد القاهرة ومدارسها / ٣١).

هذا وقد أدرجت زاوية أبى الخير الكليباتى فى فهرس الآثار الإسلايمة بمدينة القاهرة (انظر الجدول فى مادة «الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة»، فى م ١ / ٨٢ أثر ٤٧٧) تحت عنوان: زاوية أبى الخير الكليباتى (مدخل زيادة جامع الحاكم) وذلك فى موضعين من الفهرس، فذكرت أولا فى القسم المرتب وفقا لرقم الأثر (ص ٩)، ثم ذكرت فى القسم الخاص بآثار العصر الفاطمى (٣٥٨ ــ ٥٦٧ هـ / ١٠٢١ - ١٠٣٦ م (ص٢).

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٢ / ٨٣، ومساجد القاهرة ومدارسها - د. أحمد فكرى / ٣١، وفهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة. مصلحة المساحة، ١٩٥١).

*** أبو الخير مرثد بن عبد الله (-٩٠ هـ):**

ذكر الإمام السيوطى فيمن كان بمصر من الأئمة المجتهدين وقال عنه:

أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزنى الحميرى. روى عن ثابت وابن عمرو وأبى أمامة، وعقبة بن عامر الجهنى، وعنه يزيد بن أبى حبيب وجعفر بن ربيعة وآخرون. قال ابن يونس: كان مفتى أهل مصر فى زمانه، وكان عبد العزيز بن مروان يحضره فيجلسه للفتيا وقال الذهبى فى العبر: تفقه على عقبة ابن عامر، وكان مفتى أهل مصر فى وقته. مات سنة تسعين من الهجرة (العبر ١ / ١٠٥).

(حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٢٩٦ وهامش ٥ للمحقق).

*** «خير الناس قرنى...»:**

حديث «خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

أخرجه الشيخان عن ابن مسعود وعمران بن حصين.

وأحمد ومسلم عن أبى هريرة وعائشة.

وأحمد عن بريدة والنعمان بن بشير.

والطيالسى عن عمر والطبرانى عن سعد بن تميم وجعدة ابن هبيرة.

والطبرانى فى الأوسط عن سمرة.

وفى الكبير عن أبى برزة وعن جميلة بنت أبى لهب.

وابن أبى شيبة عن عمرو بن شرحبيل موسلا (الأزهار المتناثرة / ٧٢، ٧٣).

«قرنى» أى عصرى، والمراد هنا الصحابة: قيل والقرن: ثمانون سنة، أو أربعون أو مائة، وغير ذلك والمشهور مائة.

والحديث بتمامه كما أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، هو كما يلى (رقم ٢٣٨٧): «حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله (يعنى ابن مسعود) ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ﷺ، قال: «خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجىء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته» (صحيح البخارى ٤ / ٣٦٣، ٣٦٢).

وقد أخرج هذا الحديث بنفس لفظه الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير (٢ / ٩) من رواية أحمد فى مسنده، والبخارى ومسلم والترمذى عن ابن مسعود، ثم أخرج أربعة أحاديث أخرى بألفاظ مختلفة نوردها فيما يلى:

- «خير الناس القرن الذى أنا فيه، ثم الثانى، ثم الثالث» رواه مسلم عن عائشة.

ـ «خير الناس قرنى، ثم الثانى، ثم الثالث، ثم يجيء قوم لا خير فيهم» للطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود.

ـ «خير الناس قرنى الذين أنا فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، والآخرون أراذل»، رواه الطبرانى فى الكبير، والحاكم عن جعدة بن هبيرة. حديث حسن.

ـ «خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتى من بعدهم قوم يتسمنون ويحبون السمن يعطون الشهادة قبل أن يُسألوها» رواه الترمذى والحاكم عن عمران بن حصين. حديث صحيح (الجامع الصغير ٢ / ٩، ١٠).

أما الحافظ المناوى فقد أخرج الأحاديث الثلاثة الآتية:

ـ «خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الآخرون أرذل» رواه الطبرانى فى الكبير عن جعدة بن هبيرة ورجاله رجال الصحيح وفيه ممن لم يسمع ممن فوقه.

ـ «خير الناس قرنى الذين أنا منهم ثم الذين يلونهم ثم ينشأ أقوام يُفشا فيهم يشهدون ولا يستشهدون ولهم لقط فى أسواقهم» رواه البزار عن عمر ورجاله ثقات.

ـ «خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم تأتى قوم تسبق أيمانهم شهادتهم وشهادتهم أيمانهم» رواه أحمد فى مسنده والبزار والطبرانى فى الكبير والصغير والأوسط عن النعمان بن بشير وفى طرقهم عاصم بن بهدلة حسن الحديث وبقية رجال أحمد رجال الصحيح (الجامع الأزهر ١ / ٢٢٧ ورقة ب، ٢٢٨ ورقة أ وورقة ب).

كما أخرج الحافظ السيوطى الحديث بلفظ: «خيركم قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يكون بعدهم قوم يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن». رواه أبو داود والترمذى والنسائى عن عمران بن حصين، حديث صحيح.

قالت المؤلفة: هذا الحديث الشريف وفيناه حقه فى مادة «اتباع السنة» فى م ٢ / ٢٧٨ ـ ٢٨١، وقد أفردنا له مادة خاصة هنا ليسهل الاستدلال عليه، ولأنه يعتبر الأساس الذى بنى عليه المصنفون فى علوم الحديث تقسيمها إلى عصور بعينها هى عصر الصحابة (ويأتى فى حرف الصاد إن شاء الله تعالى) وعصر التابعين (انظر مادة «التابعون» فى م ٨ / ٢٩٩ ـ ٣٠٤)، وعصر أتباع التابعين (انظر هذه المادة فى م ٢ / ٢٧٤، ٢٧٥)، وعصر أتباع أتباع التابعين (انظر هذه المادة فى م٢ / ٢٧٣)، كما جعلوا من أنواع علوم الحديث معرفة كل منهم، أى معرفة الصحابة والتابعين وأتباع التابعين وأتباع أتباع التابعين.

أما عن النظم فقد جاءت فى جوهرة التوحيد للإمام اللقانى هذه الأبيات:

وصحبة خير القرون فاستمع
فتابعى فتابع لمن تبع
وخيرهم من ولى الخلافه
وأمرهم فى الفضل كالخلافه
يليهم قوم كرام برره
عدتهم ست تمام العشره
فأهل بدر العظيم الشان
وأهل أحد فبيعة الرضوان

(جوهرة التوحيد / ١٥).

كما جاءت الأبيات التالية فى منظومة رسالة ابن أبى زيد القيروانى. قال الناظم رحمة الله:

وأفضل القرون قرن المصطفى
من آمنوا فمن قفى فمن قفى
وأفضل الأمة أصحاب النبى
والخلفاء الراشدون من أبى
بكر يليه عمر ثم يلى
عثمان والتاليه فى الفضل على

(الفتح الربانى ١ / ٣٥).

(الأزهار المتناثرة فى الأخبار المتواترة للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ قدم له وأتمه أحمد حسن جابر رجب هدية مجلة الأزهر. صفر ١٠٤٩ هـ / ٧٢، ٧٣، وصحيح البخارى. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة إحياء كتب السُّنة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م، ٤ / ٣٦٢، ٣٦٣، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد، والجامع الصغير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٢ / ٩، ١٠، ١٢، والجامع الأزهر فى حديث النبى الأنور للحافظ المناوى

١/ ٢٢٧ ورقة ب، ٢٢٨ ورقة أ وورقة ب وجوهرة التوحيد للإمام اللقانى المطبوع فى مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى / ١٥، والفتح الربانى شرح على نظم رسالة ابن أبى زيد القيروانى ـ محمد أحمد الملقب بالداه الشنقيطى ١ / ٣٥).

* **خير النساج:**

ذكره الإمام عبد الرحمن السلمى فى الطبقة الثالثة للصوفية وقال عنه:

هو أبو الحسن محمد بن إسماعيل، المسمى بخير النساج، كان أصله من سامرا، وأقام ببغداد.

صحب أبا حمزة البغدادى، وسأل السرى السقطى عن مسائل، وكان إبراهيم الخواص تاب فى مجلسه، وكذلك الشبلى تاب فى مجلسه، وكان من أقران النورى وطبقته.

وإنما سمى خير النساج لأنه خرج إلى الحج فأخذه رجل على باب الكوفة، فقال: «أنت عبدى، واسمك خير»، وكان أسود فلم يخالفه، فأخذه الرجل واستعمله فى نسج الخز سنين. وكان يقول له: ياخير، فيقول: لبيك. ثم قال له الرجل بعد سنين: أنا غلطت، لا أنت عبدى، ولا اسمك خير. فلذلك سمى خير النساج. وكان يقول: لا أغير اسما سمانى به رجل مسلم.

عاش مائة وعشرين سنة.

قال أبو الحسين المالكى: «سألت من حضر موت خير النساج عن أمره، فقال: لما حضرته صلاة المغرب غشى عليه، ثم فتح عينيه، وأومأ إلى ناحية البيت وقال: قف، عافاك الله، إنما أنت عبد مأمور، وأنا عبد مأمور، وما أمرت به لا يفوتك، وما أمرت به يفوتنى، فدعنى أمض فيما أمرت به، ثم امض لما أمرت به، فدعا بماء فتوضأ وصلى، ثم تمدد وغمض عينيه، وتشهد ومات».

وأخبرنى بعض أصحابنا أنه رآه فى النوم فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: لا تسألنى عن هذا، ولكن استرحت من دنياكم الوضرة (أى الوسخة القذرة).

ومن كلامه:

من عرف من الدنيا قدرها وجد من الآخرة حقها، ومن جهل من الآخرة حقها قتله من الدنيا نزرها.

ـ الصبر من أخلاق الرجال، والرضا من أخلاق الكرام.

ـ شرح صدور المتقين، وكشف بصائر المهتدين، بنور حقائق الإيمان.

ـ من لاحظ شكره استصغر نعمه.

ـ من سبق بخطوة لا يُدْرَكْ إذا كان صادقا مجتهدا.

ـ الإخلاص هو الذى لا يقبل عمل عامل إلا به.

ـ العمل الذى يبلغ الغايات هو رؤية التقصير والعجز والضعف.

ـ لا نسب أشرف من نسب من خلقه الله تعالى بيده، فلم يعصمه، ولا علم أشرف من علم من علمه الله الأسماء كلها، فلم ينفعه فى وقت جريان القدر والقضاء عليه، ولا عبادة أتم ولا أكثر من عبادة إبليس، لم ينجه ذلك من المسبوق عليه.

ـ توحيد كل مخلوق ناقص لقيامه بغيره وحاجته إلى غيره، قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله**﴾ أى المحتاجون إليه فى كل نفس، ﴿**والله هو الغنى**﴾[فاطر: ١٥] عنكم وعن توحيدكم وأفعالكم، ﴿**الحميد**﴾ الذى يقبل منك ما لا يحتاج إليه، ويثيبك عليه ما تحتاج إليه.

ـ ميراث أفعالك ما يليق بأفعالك، فاطلب ميراث فضله، فإنه أتم وأحسن، قال الله تعالى: ﴿**قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**﴾[يونس: ٥٨].

ـ الخوف سوط الله فى الأرض، يقوّم به أنفسا تعودت سوء الأدب، ومتى أساءت الجوارح الأدب فهو من غفلة القلب وظلمة السر.

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ـ يسره ورتبه أحمد الشرباصى/ ٧٨، ٧٩).

* **خير الورى:**

من المدائح النبوية. من آثار أبى زيد الفازازى الأندلسى. قال رحمه الله:

كملتْ بنعت محمد خير الورى
غررُ القصائد كلها وحجولها
واختص دون الأنبياء بدعوة
وسع العباد عمومها وشمولها
فاضت على الثقلين منه أشعة
طلعت وما عقب الطلوع أفولها

فالإنس تعلم أنه مقصودها
والجن توقن أنه مأمولها
كم آية بالصدق كان ظهورها
كم آية بالسبق كان نزولها
وكفاك هذا الوحى فهو شهادة
لمحمد لزم العباد قبولها
جمع الإله المكرمات لأمة
هذا النبى الهاشمى رسولها

(آثار أبى زيد الفازازى الأندلسى ـ تقديم وتحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة / ١٦٥).

*** الخير والشر:**

يشهد أهل السنة ويعتقدون أن الخير والشر والنفع والضر بقضاء الله وقدره، لا مرد لهما، ولا محيص ولا محيد عنهما، ولا يصيب المرء إلا ما كتبه له ربه، ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يكتبه الله له. لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروه بما لم يقضه الله يقدروا. على ما ورد به الخبر عن عبد الله بن عباس عن النبى ﷺ (رواه أحمد والترمذى (٢٦٣٥) وقال: حديث حسن صحيح). وقال الله عز وجل: **﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾**[يونس ١٠٧]

ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم مع قولهم بأن الخير والشر من الله، وبقضائه، لا يضاف إلى الله تعالى ما يتوهم منه نقص على الانفراد، فلا يقال يا خالق القردة والخنازير والخنافس والجعلان وإن كان لا مخلوق إلا والرب خالقه، وفى ذلك ورد قول رسول الله ﷺ فى دعاء الاستفتاح «تباركت وتعاليت، والخير فى يديك، والشر ليس إليك» (صحيح. انظر صفة صلاة النبى ﷺ للشيخ محمد ناصر الألبانى) ومعناه والله أعلم والشر ليس مما يضاف إليك إفرادا وقصدا، حتى يقال لك فى المناداة: يا خالق الشر أو يا مقدر الشر، وإن كان هو الخالق والمقدر لهما جميعا، لذلك أضاف الخضر عليه السلام إرادة العيب إلى نفسه، فقال: فيما أخبر الله عنه فى قوله: **﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها﴾**ولما ذكر الخير والبرّ والرحمة أضاف إرادتها إلى الله عز وجل فقال: **﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾**، [الكهف: ٨٣] ولذلك قال مخبرا عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: **﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾**[الشعراء: ٨٠] فأضاف المرض إلى نفسه. والشفاء إلى ربه، وإن كان الجميع منه.

ومن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله عز وجل مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها، لم يؤمن أحد إلا بمشيئته، ولم يكفر أحد إلا بمشيئته ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولو شاء ألا يعصى ما خلق إبليس، فكفر الكافرين وإيمان المؤمنين بقضائه سبحانه وتعالى وقدره، وإرادته ومشيئته أراد كل ذلك وشاءه وقضاه، ويرضى الإيمان والطاعة، ويسخط الكفر والمعصية، قال الله عز وجل: **﴿إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم﴾** [الزمر: ٧٨](عقيدة الفرقة الناجية / ٧٨ ـ ٨٠).

وهذه مسألة أجاب عنها ابن هشام: **﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾**[النساء: ٧٩].

قيل: هذا يقتضى أن الله تعالى يخلق الخير، والعبد يخلق الشر.

فأجبت بأن المعنى، والله أعلم:

ما أصابك أيها الإنسان من نعمة فمن الله فضلا منه عليك، وما أصابك من أمر يسوؤك فمن نفسك، أى: فمن ذنب أذنبته فعقوبته عليك (ثلاث رسائل / ٨٣).

(عقيدة الفرقة الناجية لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ إعداد وتقديم عبد الله حجاج / ٧٨ ـ ٨٠، وثلاث رسائل فى النحو لابن هشام ـ تحقيق نصر الدين فارس وعبد الجليل زكريا / ٨٣).

*** الخيرات الحسان فى مناقب أبى حنيفة النعمان:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى السير والمناقب.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ١١٢٤٨

لشهاب الدين أحمد بن محمد بن على بن حجر الهيثمى المتوفى سنة ٩٧٣ هـ ١٥٦٦م.

الأول (الحمد لله الذى اختص العلماء بوراثة الأنبياء والتخلق بأخلاقهم ...).

رتبه المؤلف على ثلاث مقدمات وأربعين فصلا وخاتمة وفرغ منه سنة ٩٦٠ هـ/ ١٥٥٢ م.

نسخة نفيسة مزوقة الأول ومذهبة كتبت بخط النسخ فى الموصل سنة ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م.

القياس ٦٠ ص ٢٧×١٦ سم ٢٩س.

معجم المؤلفين ٢ / ١٥٢ ذ/ كشف ١ / ٤٤٠ معجم ٨٣ طبعت بمصر سنة ١٣٠٥ هـ/ ١٨٨٧ م.

نسخة أخرى.

الرقم ٩٤٠٩

جيدة الخط كتبت فى حياة المؤلف سنة ٩٦٤ هـ ١٥٥٦م ناقصة قليلا من الديباجة فى آخرها فوائد ومنقولات.

القياس ٨٠ ص ١٩ × ١٣,٥ سم ٢١س

نسخة أخرى

الرقم ١٩٨٧

كتبت بخط النسخ وبالمدادين الأسود والأحمر سنة ١٣٠٣ هـ/ ١٨٨٥ م.

القياس ١٥٢ ص ٢٠ × ١٣,٥ سم ١٥س.

نسخة أخرى:

الرقم ٨٢٩٦

جيدة الخط عليها تملك مؤرخ سنة ١٣١٥ هـ/ ١٨٩٧ م.

القياس ١٥٢ ص ٢١×١٥ سم ١٢ س.

نسخة أخرى.

الرقم ١٣٣٥٦.

تملكها محمد بن إسماعيل بيك زاده وحسن الأنصارى الماتردى.

القياس ١٦٦ ص ١٩,٥ × ١٥ سم ١٥ س.

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٧٠ ـ ١٧٢).

*** أبو الخيرات والحسنات:**

من الألقاب. قال الدكتور حسن الباشا:

أبو الخيرات والحسنات: أطلق على فخر الدولة على بن الحسين فى نص تأسيس بتاريخ سنة ٦٧٠ هـ فى جوك مدرسه فى سيواس. والصيغة نادرة غير أن مترادفاتها شائعة فى هذا العصر.

ومعناه صاحب الخيرات والحسنات. والخيرات جمع خيرة وهى الفاضلة من كل شىء، والحسنات جمع حسنة وهى ضد السيئة.

وهو من الألقاب التى ترتبط بتعاليم الإسلام ارتباطا وثيقا. ففى القرآن حث كبير على فعل الخيرات والحسنات: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ [البقرة: ١٤٨]، ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾[الأنبياء: ٧٣]، ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾[فاطر: ٣٢]، ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾، [هود: ١١٤] ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وظهر اللقب ومترادفاته بوضوح ضمن أشباهه من الألقاب مع النهضة السُّنية التى كانت من مظاهرها الدعوة إلى تعاليم الإسلام الأولى، وتحبيب فضائله، والتى قامت على يد السلاجقة ومن جاء فى أعقابهم.

وأطلقت مترادفات لهذا اللقب على السلاطين والأمراء فى عصر المماليك الذين نصبوا أنفسهم أبطالا للمذهب السنى بصفة خاصة، وحماة للإسلام بصفة عامة.

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ١٢٠، ١٢١).

*** خيركم قرنى...:**

انظر: خير الناس قرنى...

*** الخيرئ:**

ويسمى «المنثور» أيضا. مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب.. وقد أورده المظفر الرسولى نقلا عن مصادر ثلاثة رمز لها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

قال:

الخيرى - «ع» هو نبات معروف، وله زهر مختلف، بعضه أبيض وبعضه فرفيرى، وبعضه أصفر نافع فى أعمال الطب. وقوة هذا النبات قوة تجلو، وهى لطيفة مائية، وأكثر ما توجد هذه القوة فى زهره، وهى فى اليابس من الزهر أكثر منها فى الرطب، فهو يلطف، ويرقق الأثر الغليظ الكائن فى العين، وماؤه إذا طبخ يدر الطمث ويحدر المشيمة والأجنة إذا جلس فيه، وإن شرب أيضا فهو دواء يفسد الأجنة، لأنه شديد الحرارة، وماؤه الذى يطبخ فيه يشفى الأورام الحادثة فى الأرحام إذا نُطل عليها، وخاصة لما طال مكثه وصلب. وأما بزر الخيرى فقوته قوة الخيرى بعينها، إلا أنه أنفع من الأشياء كلها فى إحدار الطمث، إذا شرب مقدار مثقالين، وإذا احتمل من أسفل مع العسل فهو يفسد الأجنة الأحياء، ويخرج الموتى، وقوة أصوله قريب من قوته إلا أنها أغلظ. وإذا خلط الأصل بالخل شفى الطحال الصلب، وإن تضمد بعروقه يابسة مع الخل حللت أورام الطحال، وينفع من امتلاء الرأس من البلغم، وطبيخ أصوله بالخل نافع من وجع الأسنان. «ج» الأسود منه معتدل، والأصفر فيه حرارة، وقيل حار يابس فى الدرجة الأولى. «ف» له زهر أصفر وأسود، جيده الأصفر الذكى الرائحة، حار يابس فى الثانية، ينفع الرياح فى المعدة والأمعاء، ويمنع من الفؤاق، وورده محلل ملطف، إذا شم ينفع من برودة الدماغ ورطوبته، ويحلل الرياح الغليظة من الدماغ (المعتمد ١ / ١٤٤).

ويقول عنه وعن فلاحته الشيخ عبد الغنى النابلسى:

والخيرى ثمانية أنواع، بستانى زهره فرفرى اللون معروف، وبستانى أبيض الزهر، وبستانى زهره أصفر، ومنه ما لونه فيه بياض وحمرة، ومنه أزرق، ومنه أحمر قان ومنه عصفورى منسوب إلى صبغ العصفر، ومنه سمائى، ومنه الأسود، وهذه كلها بستانية، ومنه برى فرفيرى دقيق، ومنه ما يعرف بخيرى الماء، زهره فرفيرى فى الصيف، ويزرع فى آب أو فى شباط، ويعظم ورده من كانون الآخر حتى حزيران، تناسبه الأرض التى لا رطوبة فيها، وإن خلط فيها رماد وجير فهى أحسن، ويعطى أكثر، ولا يقوى على الماء الكثير ولا الشمس، فيختار له المواضع الظليلة وبين الاشجار حتى لا تصيبه الشمس إلا بعض النهار. وقيل الأحمر يزرع فى آب خاصة، وينور فى الشتاء والربيع، وإن زرع فى آذار نور فى الخريف والشتاء كله، والأصفر يزرع فى تشرين الأول وقيل فى آب مع الأحمر. والخيرى شبيه البنفسج فى زراعته والاعتناء بها إلا أنه أقوى وأصبر وله منافع البنفسج وتضره الروائح المتننة كما تضر البنفسج، وإذا لقطت ورده امرأة حائض فسد وذبل، والأصفر منه فيه حرارة وقيل يابس فى الأولى، وقيل فى الثانية، والأسود معتدل، ودهنه حار رطب فى الثانية، لطيف محلل، وقيل معتدل ينفع الجراحات وخاصة إذا عمل بلوز حلو. والمرزنجوش ويسمى العبقر وحبق الفىء وهو بستانى وبرى، ومنه كبير الورق ودقيقه، وهو لا يحب الماء الكثير، ولا شيئا من الزبل البتة، ويسقى برفق مرتين أو ثلاثة فى الأسبوع حتى ينبت ثم يقطع عنه السقى ويعطش وينقى من عشبه، ويسقى مرة فى الأسبوع وزرعه أول أيار ويعمر نحو ستة أعوام، وإذا امتلات رؤوسه بزرا وكمل حصد وجفف، ويؤخذ بزره ويحفظ فى فخار ولا يسقط ورق هذا النبات فى البرد لحرارته، وورقه وبزره يطيب به اللحم والشحم، فيزيل عنه النتن وتغير الرائحة، ولهذا النبات فى إزالة الأنتان والعفونات كلها فعل قوى، ومن خواصه أنه إذا غبر بمسحوق تراب مخلوط بزبل الناس، فإنه يقوى وتذكو رائحته، وأجوده البستانى، وهو حار يابس فى الثالثة، وقيل فى الرابعة، وقيل فى الثانية، وهو ملطف محلل وينفع من الصداع الناشىء عن رطوبة وبرد، وينفع من عسر البول والمغص، وطبيخه ينفع من الاستسقاء، وخمسة دراهم منه تنفع من الشرى البلغمى، ويضمد به لسع العقرب مع الخل، وقال بعض الحكماء: إذا جعل فى بيت تألفت سكانه ... وهو ينفع من وجع الظهر، ويفتح انسداد الدماغ، ودهنه لطيف حاد، يضمد به الفالج فى العنق وغيره من أنواع الفالج، ويجعل فى الأذن بقطنة فينفع من انسدادها، وقيل يضر بالمثانة، ويصلحه بزر الرجلة (علم الملاحة / ١٦٠ - ١٦٢).

وعن فلاحة الخيرى يقول القزوينى:

الخيرى، ويسمى المنثور أيضا: قال صاحب الفلاحة: إذا أخذت من الأحمر والأصفر والأبيض من كل واحد قضيبا

وضفّرتهـا مثل الضفيرة ثم غـرستها فإذا نبتت تجـد فى غصن واحد أوراقا مختلفـة الألوان، شمُّه ينفع الدمـاغ البارد الرطب وتحلل الـريـاح الغليظـة ويدر الحيـض ويسقط المشيـمة شربـا.

وعن فلاحتـه أيضا جاء مـا يلى لمؤلف مجهـول من القرن الثامن الهجرى، قال تحت عنوان «القول فى إفلاح الخيرى»:

وهو المنثـور، والمنثور نـوعان، برى وبستـانى، ويسمى الخزامى، قال أبو حنيفة الدينورى: ليس فى زهر البرية أطيب رائحة منه أى الخـزامى، وهو طويل العيـدان، صغير الورق، أحمـر اللون وهـو جـزل البـزور ورائحته تشـابـه رائحـة فاغيـة الحناء.

وقال التميمى فى المرشد (انظر مادة التميمى (محمد بن أحمد) فى م ١٠ / ٦ ٤٤):

والخزامى لا تعبق إلا ليلا. ولونها خمرى مشوب ببياض، ورائحتها رائحة القرنفل الزكى الرائحة. وقال: الخيرى ذو ألوان مختلفة، فمنه الذهبى وهو يعبق ليلا ونهارا زكى الرائحة جدا، ومنه الخيرى الخمرى، والبنفسجى، والأكحل، والأبيض وهو أردؤها لأنه لا رائحة له البتة، والأبرش الملمع ببياض.

وقـال ابن وحشيـة: والبستانى ينقسم إلـى سبعة أقسـام، ألوان ستة كثيرة معروفة، وواحد غريب قليل وهو أزكاها وأقواها وأحسنها وأصبرها على العطش والآفات، ومنه يتخـذ الدهن لـرائحتـه، ولـونه أسـود، والسـواد منـه فى نصف أوراقـه إلى أطـرافه. والنصف الـذى يلى منـه المنبت تشـوبه صفـرة وفى رائحتـه حـدة ساعـة يقطف. فكلمـا بقى انسلخ ريحـه حتى يعقـد. وقد ينفعـه ما ينفع البنفسج فى الفلاحـة، وهو أخـوه وشقيقه فى كل أموره.

فمن أراد غرسـه فليبتدئ فى طـرح بذره فى الأرض نصف أيلـول الآخـر إلى خمسة وعشـرين يـومـا تمضى من تشـرين الأول، ولا يـزرع فى يوم تهـب فيـه ريح باردة، وتـوافقه الـريح الجنوبية والصبا، فينبغى أن يبْذر فى أرض مشرقة، ويقطع له أحـواض كأحواض البنفسج، ولا تسقـى الأحواض قبل طـرح بزره بأربع عشرة ساعة ويغطـى بالتراب الرقيق الجيد، ويسقى بعـد يوم وليلـة إلى أن قـال: ومن خـاصيته بأجمعـه أنـه متى لقطت امرأة حـائض ورده فسد وذبل، أو غير حـائض أيضا، وينبغى أن لا يباشره إلا رجل قد جاوز حـد البلوغ، وهو طاهر نظيف بعيد العهد بالملامسة.

وقال ابن بصـال: يوافق هـذا النبات من الأرضين، الأرض التى ترابهـا حر أحمر اللـون، السليمة من الـرمل، وفى طينها علوكـة ماء، والأرض السوداء التـربة الغليظـة، إلا أن الحمراء أنجع لـه. والشمس تضعفه، إلى أن قـال: ومما يحفظ هـذا النبات ويقويـه أن ينثر فى أصوله شيء من بعر المعز مـدقوقا بعد أن يسقـى وينضب عنه الماء، فـإن ذلك يزيد فـى رائحته وكـذلك يغبر بأخثـاء البقـر بحيث أن لا يكثر منـه، بل يعمل ذلك فى كل سبعة أيام أو اثنى عشر يوما مرة. والروائح المنتنة تضره، والـرماد الذى يصلح لأن تقطع أصـوله بعروقها ونـورها وتحرق بعد أن تجفف، وتتعهد بعد أن تخلط بشيء من تراب حـر عتيق (إلى هنـا انتهت نسخـة بـرلين رقم ٦٢٠٧، وهـذا النص المنسـوب إلى ابن بصـال غيـر مـوجـود فى فـلاحتـه المطبوعة، فهو نص ضائع منها فيما نرى).

الوصف والتشبيه:

قال بعضهم؛ (السريع)

انظـر إلى المنثـور مـا بيننـا
وقـد كسـاه الطل قمصـانـا
كأنمـا صـاغتـه أيـدى الحيـا
من أحمـر اليـاقـوت مـرجـانـا

(أورد السيـوطى هذين البيتيـن فى حسن المحاضـرة ٢ / ٤٢٢).

وهذا النبات لا تعبق له رائحـة إلا ليلا، وقد تكلم بعضهم فى وصفه له: (الطويل)

وخيـريـة بين النسيم وبينهـا
حـديث إذا جـن الظـلام يطيب
يهب مع الإمسـاء حتى كأنمـا
لـه خلف أستـار الظـلام حبيب
ويخفى مع الإصبـاح حتى كأنمـا
عليـه لأنـوار الصبـاح رقيب

وأظرف منه قول من قال: (السريع)

مـا أكـرم الخيـرى فى فعلـه
يسهـر إذ نـور الـرُبـا نـاعس

كـأنمـا خـاف عليـه العـدا
فهـو لـه فى ليلـه حـارس

وقال ابن الحداد. (الكامل)

عـاف النهـار مخـافـة الـرقبـاء
نسـرى يضمخ حلـة الظلمـاء
يطـوى شـذاه عن الأنـوف نهـاره
ويجـود فـى الظلمـاء بـالإفشـاء
متهتك فـى طبعـه متستـر
وكـذا تكـون شمـائل الظـرفـاء
لمـا رأى حـب الأنـوف لعـرفـه
لبس الغيـاهب خيفـة الـرقبـاء
كـالطيف لا يصل الجفـون لسُهـدهـا
ويهـب فيهـا سـاعـة الإغفـاء

وقال أبو العلاء السروى: البسيط

أهـدى إلىَّ فنـون الشـوق والأرق
نسيم رائحـة الخيـرى فـى طبق
كأنـه عـاشق يطـوى صبـابتـه
صبحـا وينشـرهـا فـى ظلمـة الغسق

(مفتاح الراحة / ٢٥٩ـ ٢٦٢).

ومن بعض ما أورده السيوطى فى حسن المحاضرة قول ابن وكيع:

انظـر إلـى المنشـور فـى ميـدانـه
يـدنـو إلى النـاظـر من حيث نظـر
كجـوهـر مختلف لـونـه
أسلمـه سلك نظـام فـانتثـر

(حسن المحاضرة ٢ / ٤٢١، ٤٢٢).

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٤٤، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ١٨٧، وعلم الملاحة فى علم الفلاحة للشيخ عبد الغنى النابلسى / ١٦٠ ـ ١٦٢، ومفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى ـ تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، ود. إحسان صدقى العمد / ٢٥٩ ـ ٢٦٢، وحسن المحاضره للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢ / ٤٢١، ٤٢٢).

*** ابن الخيضرى (٨٢١ ـ٨٩٤ هـ / ١٤١٨ـ١٤٨٩ م):**

محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر (بكسر الضاد) بن سليمان بن داود بن فلاح بن حيمدة، الخيضرى الزبيدى الدمشقى الشافعى، الحافظ قطب الدين، ولد فى رمضان سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، وأقبل على الحديث صغيرا فأكثر من السماع، ولازم الحافظ ابن ناصر الدين فتنبه به، ثم لازم الحافظ ابن حجر وتخرج. ووصفة الحافظ ابن حجر بالحفظ (نظم العقيان / ١٦٢).

قال الزركلى: قاضى، من العلماء بالتراجم والأنساب والحديث. أصله من عرب البلقاء. ولد فى بيت لهيا (انظر هذه المادة فى م ٨ / ١٠٤، ١٠٥) من قرى دمشق، وقرأ بدمشق وبعلبك والقدس ومصر ومكة، وولى قضاء الشافعية وكتابة السر بدمشق. وتوفى بالقاهرة.

له كتب منها «الاكتساب فى تلخيص كتب الأنساب» مخطوط، الأول منه، بخطه فى البصرة، و« اللفظ المكرم بخصائص النبى الأعظم» مخطوط، و«شرح ألفية العراقى» و«طبقات الشافعية» و «البرق اللموع فى الخبر الموضوع» فى الأحاديث الموضوعة، و «الروض النضر فى حال الخضر» مخطوط، و «زهر الرياض» مطبوع (الأعلام ٧ / ٥١، ٥٢).

وقد ذكر صاحب الرسالة المستطرفة كتاب ابن الخيضرى «الاكتساب» بين الكتب المؤلفة فى الأنساب فقال: ولخص أيضا أنساب السمعانى القاضى قطب الدين محمد بن محمد ابن عبد الله بن خيضر (الخيضرى) الشافعى المتوفى سنة أربع وتسعين وثمانمائة وضم إليها ما عند ابن الأثير والرشاطى وغيرهما من الزيادات وسماه «الاكتساب فى تلخيص كتب الأنساب» اهـ (الرسالة المستطرفة / ٩٣، ٩٤).

وقد ترجم له السخاوى ترجمة مطولة فى الضوء اللامع فانظرها فى موضعها إن شئت الاستزادة فى م ٥ حـ ٩/ ١١٧ ـ ١٢٤.

(نظم العقيان فى أعيان الأعيان للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى / ١٦٢، والأعلام للزركلى ٧ / ٥١، ٥٢، والرسالة المستطرفة للإمام محمد جعفر الكتانى / ٩٣، ٩٤. انظر أيضا الضوء اللامع لشمس الدين السخاوى م ٥ جـ/ ١١٧ ـ ١٢٤).

* **الخيضرية (دار القرآن.):**

من دور القرآن في دمشق. قال عنها النعيمي:

شمالي دار الحديث السكرية بالقصاعين. أنشأها في سنة ثمان وسبعين وثمانماية، قاضي القضاة، قطب الدين أبو الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر الخيضري الدمشقي الشافعي الحافظ. ورتب فيها للفقراء الجوامك (جمع الجامكية، وهي الرواتب. قال آدي شير: «هي رواتب خدام الدولة تعريب «حامكي») والخبز. ووقف عليها وعلى تربته لصيق المنجكية بمحلة مسجد الذبان، وعلى مطبخ بباب الفراديس، ومطبخ بني عديسة بالمدينة المنورة، على الحالّ بها أفضل الصلاة وأتم السلام، أوقافا دارة.

ولد الخيضري سنة إحدى وعشرين وثمانماية بدمشق. ونشأ يتيما في حجر والدته. وحفظ القرآن، والتنبيه (التنبيه في فروع الشافعية. أحد الكتب الخمس المشهورة المتداولة بين الشافعيين. ألفه أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) وشرحه الخيضري. انظر كشف الظنون ١ / ٤٨٩) واشتغل بتحصيل الحديث. وسمع بمكة المشرفة والقدس وبعلبك ومصر. وتخرَّج فيه بابن حجر، وتفقه بالتقي ابن قاضي شهبة وغيره. وأخذ النحو على البصروي، وخرَّج له التحرير. وفهرس مشيخته.

وولي تدريس دار الحديث الأشرفية، ووكالة بيت المال وكتابة السر وقضاء الشافعية وتوفي سنة أربع وتسعين وثمان ماية. ودفن بتربته بالقاهرة.

(دور القرآن في دمشق لعبد القادر محمد النعيمي ـ صححه وعلق عليه وذيله د. صلاح الدين المنجد / ٣ـ٦)

* **الخَيْف:**

قال ياقوت:

خَيْف: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وآخره فاء؛ والخيف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف من منى؛ وقل ابن جني: أصل الخيف الاختلاف، وذلك أنه ما انحدر من الجبل فليس شرفا ولا حضيضا فهو مخالف لهما، ومنه: الناس أخياف أي مختلفون؛ قال:

الناس أخياف وشتى في الشيم،
وكلهم يجمعهم بيت الأدم

وقال نصيب، وقيل للمجنون:

ولم أر ليلى، بعد موقف ساعة،
بخيف منى ترمي جمار المحصَّب
ويبدي الحصى منها، إذا قذفت به،
من البرد أطراف البنان المخضب
وأصبحت من ليلى الغداة كناظر
من الصبح في أعقاب نجم مغرِّب
ألا إنما غادرت، يا أم مالك،
صدى أينما تذهب به الريح يذهب

وقال القاضي عياض: خيف بني كنانة هو المحصَّب، كذا فسر في حديث عبد الرزاق، وهو بطحاء مكة، وقيل: مبتدأ الأبطح، وهو الحقيقة فيه لأن أصله ما انحدر من الجبل وارتفع عن المسيل؛ وقال الزهري: الخيف الوادي، وقال الحازمي: خيف بني كنانة بمنى نزله رسول الله، ﷺ؛ والخيف: ما كان مجنبا عن طريق الماء يمينا وشمالا متسعا. وخيف سلام: بلد بقرب عسفان على طريق المدينة فيه منبر وناس كثير من خزاعة، ومياهها قنيّ وباديتها قليلة من جشم وخزاعة. وخيف الحميرا: في أرض الحجاز؛ قال ابن هرمة:

كأن لم تجاورنا بنعف رواوة
وأخزم أو خيف الحميراء ذي النخل

وقيل: إنما سماه خيف سلام، بالتخفيف، الرشيد. وخيف الخيل: موضع آخر جاء في شعر سويد بن جدعة القسري، فقال:

ونحن نفينا خثعما عن بلادها
تقتّل حتى عاد مولى سنيدها
فريقين فرق باليمامة منهم،
وفرق بخيف الخيل تبرى حدودها

وخيف ذي القبر: أسفل من خيف سلام، وليس به منبر وإن كان آهلا، وبه نخيل كثير وموز ورمان، وسكانه بنو مسروح وسعد كنانة وتجار الفاق، وماؤه من القني وعيون تخرج من ضفتي الوادي، وبقبر أحمد بن الرضا سمي خيف ذي القبر وهو مشهور به، وسلام هذا كان من أغنياء هذا البلد من الأنصار، بتشديد اللام؛ قاله أبو الأشعث الكندي، وقال:

أسفل منه خيف النَّعم به منبر وأهله غاضرة وخزاعة وتجار بعد ذلك وناس، وبه نخيل ومزارع، وهو إلى عسفان، ومياهه خرَّارة كثيرة.

(معجم البلدان ٢ / ٤١٢، ٤١٣).

*** الخَيْف (مسجد):**

قال عنه صاحب الجامع اللطيف: من المساجد المباركة في منى، وهو مسجد عظيم الفضل، وقد وردت في فضله أحاديث وآثار فمن ذلك ما أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الخيف والمسجد الحرام ومسجدي» وإسناده ضعيف كما نص عليه الحفاظ وإنما ذكرته لغرابته ولجواز العمل به في فضائل الأعمال كما ذكره النووي وغيره من علماء الحديث. وأخرج أيضا في معجمه الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عنه ﷺ أنه قال «صلى في مسجد الخيف سبعون نبيا منهم موسى» وكذا أخرجه الأزرقي أيضا وفي رواية عن مجاهد خمسة وسبعون نبيا وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام قال في مسجد الخيف قبر سبعين نبيا. وأما الآثار فروى الشيخ العلامة مجد الدين صاحب القاموس في كتابه «الوصل والمنى في بيان فضل منى» بسند جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: لو كنت من أهل مكة لأتيت مسجد منى كل سبت. وأخرج الأزرقي عن أبي هريرة بلفظ لو كنت من أهل مكة لأتيت مسجد الخيف كل سبت وفي آخر عنه أخرجه الجندي لو كنت امرءا من أهل مكة ما أتى عليَّ سبت حتى آتي مسجد الخيف فأخرج الأزرقي بسنده إلى جده أن الأحجار التي بين يدي المنارة هي موضع مصلاه ﷺ والمراد بالمنارة هي الصغيرة التي في وسط المسجد الملاصقة لجدار القبة الكبيرة لا المنارة التي على الباب، والمحراب الذي في القبة هو موضع مصلاه ﷺ لأنه في موضع الأحجار التي ذكرها الأزرقي كذا نقله الجد رحمه الله (الجامع اللطيف / ٢٠٧).

وقال عنه الإمام الزركشي:

الخيف اسم يقع على ما بين الجبلين. وقيل فيه (أي في تعريفه): الخيف: ارتفاع وهبوط في سفح الجبل، وأشهر الأخياف، خيف منى، ومسجده مسجد الخيف، وهي خيف بني كنانة الذي ورد فيه الحديث، قال الطبراني في الأوسط حدثنا محمد بن العباس المؤدب حدثنا شريح بن النعمان ثنا حماد بن سلمة عن كلثوم بن جبر عن خثيم بن مروان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجد الخيف ومسجد الحرام، ومسجدي هذا» وقال: لم يروه عن كلثوم بن جبر إلا حماد بن سلمة، ولم يذكر مسجد الخيف في شد الرحال إلا في هذا الحديث انتهى، وعلة هذا الخبر خثيم بن مروان ضعفه الأزدي. وقال البخاري: سمع منه كلثوم بن جبر هذا الحديث ولا يتابع في مسجد الخيف، ولا يعرف لخثيم سماع عن أبي هريرة، وقال أيضا: أخبرنا ابن أبي خثيم ثنا عبد الله بن هاشم الطوسي ثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: صلى في مسجد الخيف سبعون نبيا، منهم موسى ﷺ كأني أنظر إليه وعليه عباءتان قطوانيتان على بعير أحمر وقال: تفرد به عبد الله بن هاشم. وقال الحافظ شرف الدين الدمياطي: وادي السرر بمنى على أربعة أميال من مكة فيه دوحة سر تحتها سبعون نبيا (هذا طرف من حديث ذكره الفاسي مما خرجه ابن حبان في صحيحه ومالك والنسائي من حديث عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنت بين الأخشبين من منى ونفخ بيده نحو المشرق فإن هناك واديا يقال له: وادي السرر به سرحة سر تحتها سبعون نبيا» ثم ذكر الفاسي عن المحب الطبري أن معنى قوله: سر تحتها سبعون نبيا، قطعت سررهم والسرر ما تقطعه القابلة من المولود والباقي من القطع يقال له: السرة والمقطوع السرر والسرر، والمراد أنهم ولدوا تحت تلك السرحة، والموضع الذي هو فيه يسمى وادي السرر بضم السين وقيل بفتحها، وقيل بكسرها، والراء مفتوحة في الأحوال الثلاثة).

وبمنى أربع آيات عظيمة:

إحداهن: أن الجمار على كثرتها في كل سنة تمتحق وترى على قدر واحد. وقد جاء ذلك من طرق كثيرة أوضحتها في تخريج أحاديث الرافعي.

الثانيـة : أن اللحوم بمنى فى أيامها تشـرق على الجدران ، وعلى صخـرات الجبال وفى أسطحـة السوق ، وهى محـروسة بحراسـة الله من تخطف الطير لشىء منها ، ومعلـوم أن الحدأة إذا رأت شيئا أحمر بيد إنسان أو على رأسه انقضت عليه حتى تخطفـه ، وهى تحـوم حول تلك اللحـوم لا تستطيع أن تأخـذ منها شيئا .

الثـالثة : أن الـذباب فـى أيام منى لا يقع على الطعـام بل يؤكل العسل ونحـوه مما يجمع الذباب ويتهافـت على الوقوع فيه ولا يقع فيه بل لا يحوم عليه فـى الغالب مع كثرة العفونات الجالبة لكثرة الذباب من الدماء والأنتان الملقاة فى الطرقات ، فإذا انقضت أيام الضيـافة والإكرام ، تهافت الـذباب على كل طعـام حتى لا يطيب للطاعم طعم ، وتلك آيـات ظاهـرة لمن اعتبرها ، وعبرة ظاهرة لم أنعم النظر فيها .

الرابعة : عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله ، إن أمـر منى لعجب ، هى ضيقـة فإذا نـزلهـا الحـاج اتسعت ، فقـال رسـول الله ﷺ : إنمـا مثل منى كـالـرحم إذا حملت وسعها الله تعالى .

(إعلام الساجد/ ٦٨ ـ ٧٠) .

(الجامع اللطيف فى فضل مكـة وأهلها وبناء البيت الشريف لـلإمام جمال الدين محمـد جار الله بن على بن ظهيرة / ٢٠٧ ، وإعـلام الساجد بأحكام المساجد لمحمد بن عبد الله الزركشى ـ تحقيق فضيلة الشيخ أبى الـوفا مصطفى المراغى / ٦٨ ـ ٧٠ ، وقـد وضعنا تعليقـات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص) .

* خَيْل:

قال ياقوت :

خيل : بلفظ الخيل التى تـركب : كـورة وبليـدة بين الـرى وقزوين محسـوبة من أعمـال الرى ، وهى إلى قـزوين أقرب ، بينها وبين قزوين عشرة فراسخ ، ولها عدة قرى ومنبر وأسواق ؛ وقال نصر:

بقيع الخيل موضع بالمدينة عنـد دار زيد بن ثابت دفن به عامـة قتلى أُحـد ، قال نصر: وأظنـه بقيع الغـرقد (انظـر مادة «البقيع» فى م ٧ / ٣٢٤ ـ ٣٣٣) وأيضـا جبل الخيل : قـرب المـدينـة بين محنَّب وضُرار لـه ذكـر فى المغـازى . وروضـة الخيل : نجدية .

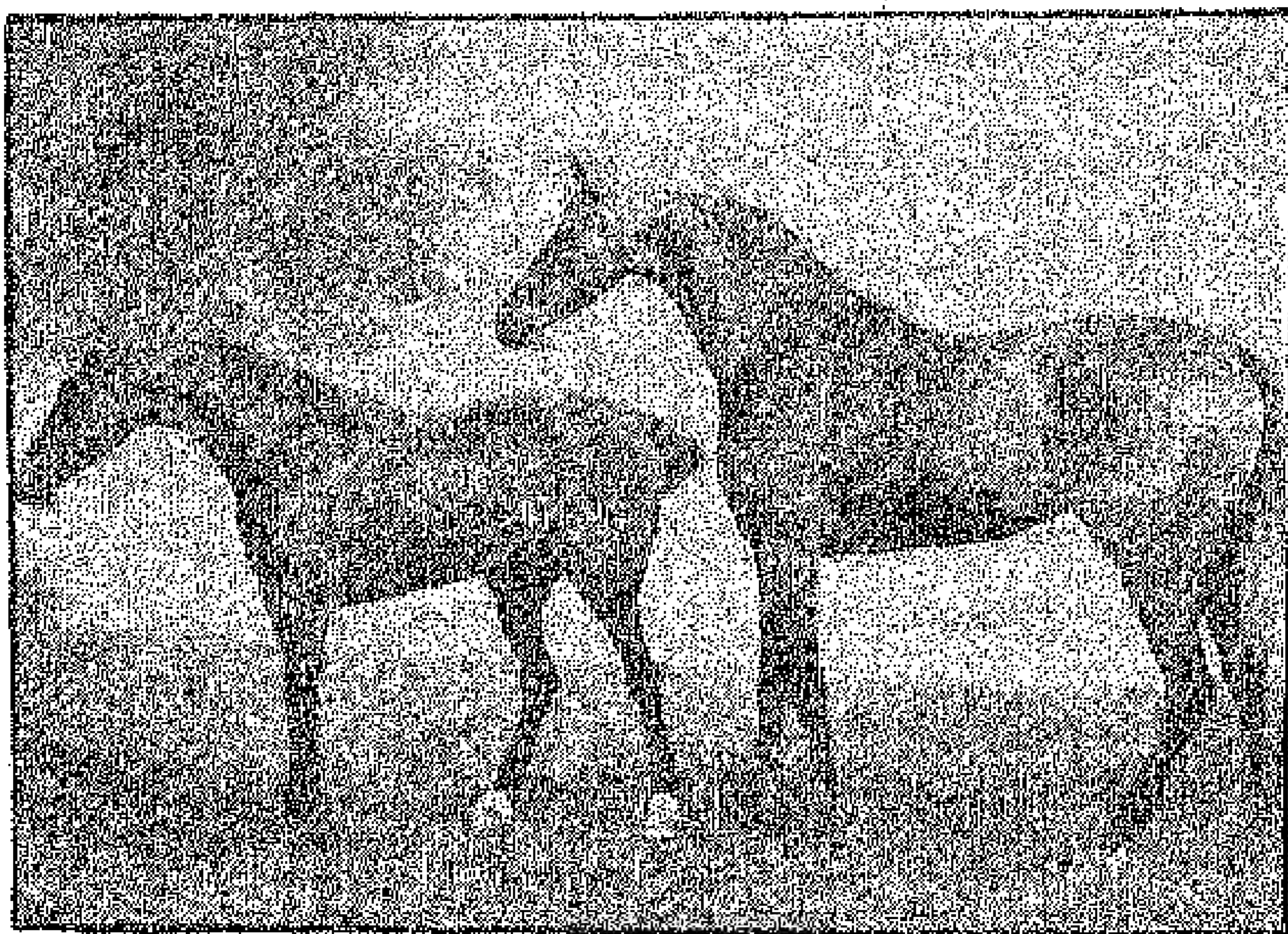
(معجم البلدان ٢ / ٤١٣) .

* الخيل:

تـرتبط الخيل ارتبـاط وثيقـا بالحضـارة الإسـلامية ، فهى مـذكـورة فى القرآن الكـريم ، وفى السنـة النبـوية المشـرفـة ، ولانكاد نجد علما من العلوم لم يأت فيه ذكر الخيل ، مختصرا أو مطولا ، فقد جـاء ذكر الخيل فى علم الأدب ، وعلم اللغة ، وعلم المغـازى والسيـر ، وعلم العسكـرية الإسـلامية ، وعلم الحيـوان ، وعلم البيطـرة ، وعلم أنسـاب الخيل ، وفـى هـذه المادة سنحـاول جاهـدين الإلمام بهـذا كله قـدر المستطاع . ونبدأ بالتعاريف :

جـاء فى اللسـان : الخيل : الفُرسـان ، وفى المحكم : جماعة الأفراس لا واحد له من لفظه ، قال أبو عبيدة : واحدها خـائل لأنـه يختال فـى مشيته ، قـال ابن سِيـدَهْ : وليس هـذا بمعـروف ، وفى التنـزيل العـزيـز: ﴿وأجلـب عليهم بخيلـك ورجلك﴾ [الإسراء : ٦٤] أى بفرسـانك ورجَّالتك . والخيل : الخيـول . وفى التنزيـل العزيـز: ﴿والخيل والبغـال والحمير لتركبوها﴾[النحل : ٨] . وفى الحديث : «ياخيل الله اركبى» ، قال ابن الأثير: هذا على حـذف المضاف ، أراد يافرسان خيل الله اركبى ، وهـذا من أحسن المجـازات وألطفهـا ، وقـول أبى ذؤيـب .

فتنـــازلا وتـــوافقت خيـــلاهمـــا
وكـــلاهمـــا بطل اللقـــاء مُخـــدَّع



الخيول العربية



ثنَّاه على قولهم هما لقاحان أسودان وجمالان، وقوله بطل اللقاء أى عند اللقاءوالجمع أخيال وخيول، الأول عن ابن الأعرابى، والأخير أشهر وأعرف (لسان العرب ١٥ / ١٣٠٧).

وقال الإمام النووى فى مادة «خيل» الخيل والخيلاء تكرر ذكرهما قال الإمام الواحدى فى أول سورة آل عمران: الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والنساء قال سميت خيلا لاختيالها فى مشيتها بطول أذنابها والاختيال مأخوذ من التخيل وهو التشبه بالشىء فالمختال يتخيل فى صورة من هو أعظم منه كبرا والخيال صورة الشىء والأخيل الشقرّاق لأنه يتخيل مرة أحمر ومرة أخضر هذا آخر كلام الواحدى وكذا قال جمهور الأئمة إن الخيل لا واحد له من لفظه. وقال أبو البقاء فى إعرابه-مثل ما قال الجمهور. وقال وقيل واحده خائل مثل طائر وطير وواحد الخيل عند الجمهور فرس والفرس اسم للذكر والأنثى قال أبو حاتم السجستانى فى كتابه المذكر والمؤنث الخيل مؤنثة وتجمع على خيول وتصغير الخيل خييل (تهذيب الأسماء واللغات ٣ / ١٠١).

وقال الراغب الأصفهانى فى مادة «خيل»:

والخيلاء التكبر عن تخيل فضيلة تراءت للإنسان من نفسه ومنها يتأول لفظ الخيل لما قيل إنه لا يركب أحد فرسا إلا وجد فى نفسه نخوة، والخيل فى الأصل اسم للأفراس والفرسان جميعا وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ومن رباط الخيل﴾ ويستعمل فى كل واحد منهما منفردا نحو ماروى: يا خيل الله اركبى، فهذا للفرسان، وقوله عليه الصلاة والسلام: «عفوت لكم عن صدقة الخيل» يعنى الأفراس (المفردات / ١٦٢).

أما الآيات القرآنية الكريمة التى جاء فيها ذكر الخيل فهى كما يلى:

- ﴿زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة﴾ [آل عمران: ١٤].

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ [الأنفال: ٦٠].

- ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لاتعلمون﴾[النحل: ٨].

- ﴿وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾[الحشر: ٦].

- ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾[الإسراء: ٦٤].

أما عن الأحاديث النبوية الشريفة فبعضها جاء فى صفات الخيل، وبعضها الآخر جاء فى فضلها والحث على رعايتها والعناية بها.

فأما ماجاء فى صفات الخيل فهو ما ورد فى كتاب تيسير الوصول للإمام ابن الديبع وهو كلما يلى:

١ - عن أبى وهب الجشمى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: عليكم من الخيل بكل كميت أغر مُحجَّل، أو أشقر أغر محجل، أو أدهم أغر محجل قيل لأبى وهب لم فُضِّل الأشقر، قال: لأن النبى ﷺ بعث سرية فكان أول من جاء بالفتح صاحب أشقر». أخرجه أبو داود والنسائى.

وعنده: ارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وأكفالها وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار.

ومعنى لاتقلدوها الأوتار: أنهم كانوا يقلدون خيلهم الأوتار من العين فأعلمهم أن ذلك لا يرد من قدر الله شيئا. وقيل: معناه لاتطلبوا عليها الأوتار التى وترتم بها فى الجاهلية.

٢ - وعن أبى قتادة رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: خير الخيل الأدهم الأقرح الأرثم ثم الأقرح المحجل طلق اليمين، فإن لم يكن أدهم فكميت على هذه الشية» أخرجه الترمذى.

(الأقرح الذى فى جبهته قرحة، وهى بياض يسير فى

وسطها . (والأرثم) الذي في شفته العليا بياض . (وطلق اليمين) بضم الطاء واللام : غير محجلها . (والشية) كل لون خالف معظم لون الخيل وغيره .

٣ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «قال رسول الله ﷺ : يُمْنُ الخيل في شُقْرِها» . أخرجه أبو داود والترمذي . (اليمن) البركة .

٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «كان رسول الله ﷺ يكره الشكال في الخيل ، وهو أن يكون الفرس في رجله اليمنى بياض وفي يده اليسرى ، أو يده اليمنى ورجله اليسرى . وقيل : الشكال أن يكون ثلاث قوائم محجلة وواحدة مطلقة أو الثلاث مطلقة وواحدة محجلة ولا يكون الشكال إلا في رجل ، وقيل هو اختلاف الشية ببياض في خلاف» . أخرجه الخمسة إلا البخاري .

٥ ـ وعن عروة بن الجعد رضي الله عنه قال : «قال رسول الله ﷺ : الخيل معقود في نواصيها الخير : الأجر والمغنم إلى يوم القيامة» أخرجه الخمسة إلا أبا داود .

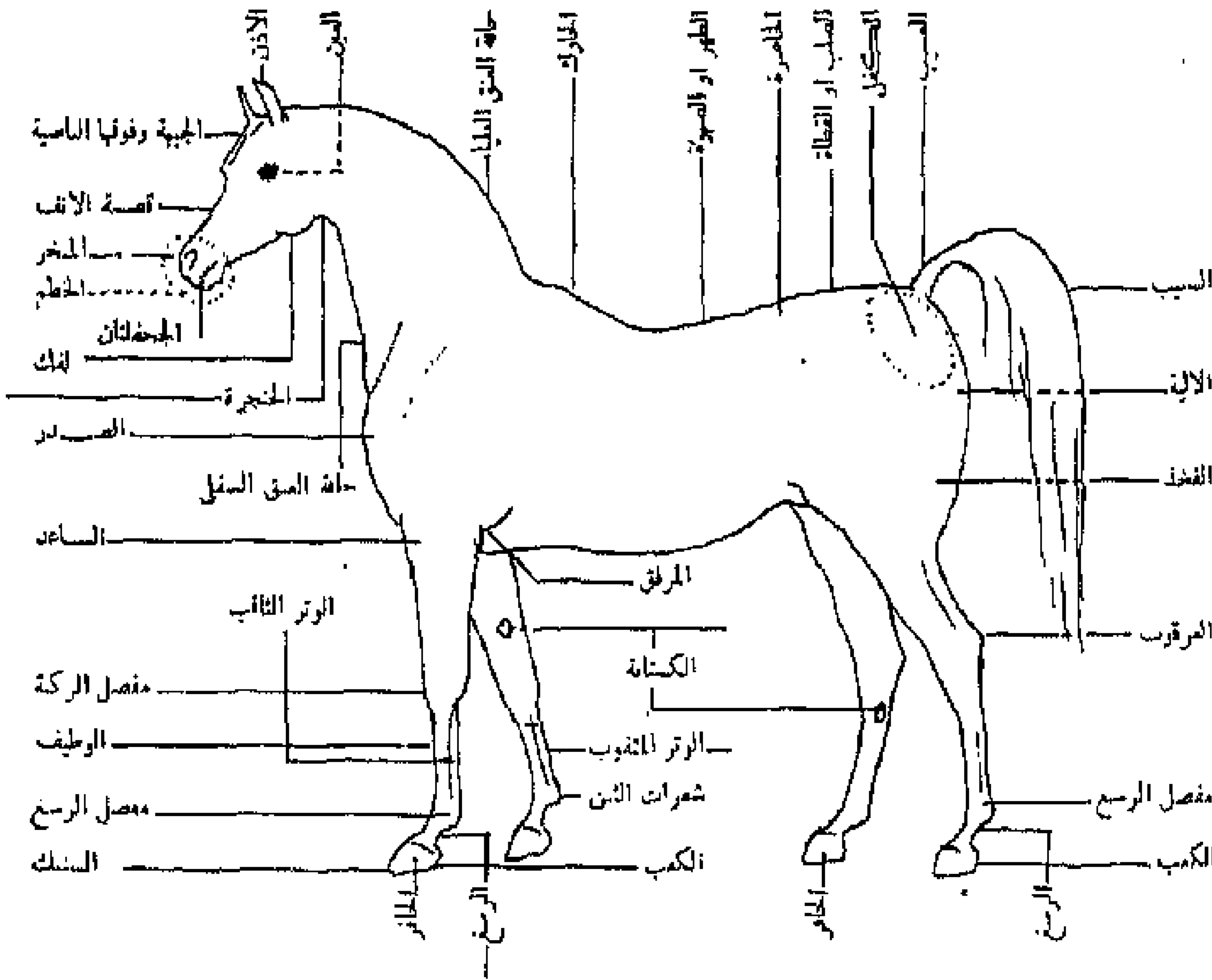
قالت المؤلفة : أخرج الإمام السيوطي هذا الحديث بلفظ : «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة : الأجر ، والمغنم» من رواية الإمام أحمد في مسنده والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي ، عن عروة البارقي من رواية أحمد في مسنده ومسلم ، والنسائي عن جرير حديث صحيح (الجامع الصغير ٢ / ١٣) .

٦ ـ وعن عتبة بن عبد الله السلمي رضي الله عنه قال : «قال رسول الله ﷺ : «لا تقصوا نواصي الخيل ولا أعرافها ولا أذنابها فإن أذنابها مذابُّها ، ومعارفها دفاؤها ونواصيها معقود فيها الخير» . أخرجه أبو داود .

٧ ـ وعن جرير رضي الله عنه قال : «رأيت النبي ﷺ يلوي ناصية فرس بأصبعه ويقول : الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، الأجر والغنيمة» أخرجه مسلم والنسائي .

٨ ـ وعن يحيى بن سعيد قال : «رُؤي النبي ﷺ يمسح وجه فرسه بردائه . فقيل له في ذلك فقال : إني عوتبت الليلة في الخيل» . أخرجه مالك .

٩ ـ وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : «قال رسول الله ﷺ : ما من فرس عربي إلا يؤذن له عند كل سَحَر بكلمات يدعو



بهن : اللهم خولتني من خولتني من بني آدم وجعلتني له فاجعلني أحب أهله وماله إليه ، أو من أحب أهله وماله إليه» . أخرجه النسائي .

١٠ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «كان النبي ﷺ يسمي الأنثى من الخيل فرسا» . أخرجه أبو داود .

١١ ـ وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : «كان لرسول الله ﷺ فرس في حائطنا يقال له اللخيف» . أخرجه البخاري .

ويروى بالحاء والخاء مكبرا ومصغرا .

١٢ ـ وعن علي رضي الله عنه قال : «أهديت للنبي ﷺ بغلة فركبها . فقلت له : لو حملنا الحمر على الخيل فكانت لنا مثل هذه؟ فقال : إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون» . أخرجه أبو داود والنسائي (تيسير الوصول ٢ / ١٥٥ ـ ١٥٧) .

وإليك الأحاديث التي وردت في مصادر أخرى :

ـ «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة» أخرجه الشيخان عن ابن عمر وأبي هريرة وأنس وعروة البارقي ، وأحمد عن جابر بن عبد الله وأبي ذر وأبي سعيد وأسماء بنت يزيد .

والبزار عن حذيفة وأنس وسوادة بن الربيع .

والطبراني عن ابن الحنظلية وعريب والنعمان وأبي كبشة



« يا خيل الله اركبي »

وأبى أمامة والدارقطنى فى المؤتلف عن جسر بن وهب.

وابن أبى شيبة من مرسل مكحول (الأزهار المتناثرة / ٥٧).

وقد أخرج الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير هذا الحديث بلفظ «فى نواصيها» بدل «بنواصيها» من رواية مالك وأحمد فى مسنده والبخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه عن ابن عمر من رواية أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه، عن عروة بن الجعد، والبخارى، عن أنس، من رواية مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه، عن أبى هريرة من رواية أحمد فى مسنده عن أبى ذر وعن أبى سعيد من رواية الطبرانى فى الكبير عن سوادة بن الربيع وعن النعمان بن بشير وعن أبى كبشة. حديث حسن (الجامع الصغير ٢ / ١٣).

والأحاديث التالية أخرجها الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير:

الخير معقود بنواصى الخيل إلى يوم القيامة، والمنفق على الخيل كالباسط كفه بالنفقة لا يقبضها» للطبرانى في الأوسط عن أبي هريرة

* ـ «الخيل معقود فى نواصيها الخير واليمن إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، قلدوها ولا تقلدوها الأوتار» للطبرانى فى الأوسط عن جابر. ضعيف.

ـ «الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، فامسحوا بنواصيها وادعوا لها بالبركة، وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار» لأحمد فى مسنده عن جابر. حديث صحيح.

ـ «الخيل معقود بنواصيها الخير والنيل إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، والمنفق عليها كباسط يده فى صدقة، وأبوالها وأرواثها لأهلها عند الله يوم القيام من مسك الجنة» للطبرانى فى الكبير عن عريب المالكى. حديث صحيح.

ـ «الخيل ثلاثة: ففرس للرحمن، وفرس للشيطان، وفرس للإنسان، فأما فرس الرحمن فالذي يرتبط فى سبيل الله فعلفه وروثه وبوله فى ميزانه، وأما فرس الشيطان فالذى يقامر أو يراهن عليه، وأما فرس الإنسان فالفرس يرتبطها الإنسان يلتمس بطنها فهى ستر من فقر» رواه أحمد فى مسنده عن ابن مسعود. حديث صحيح.

ـ «الخيل لثلاثة: هى لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر. فأما الذى هى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله فأطال لها فى مرج أو روضة فما أصابت فى طيلها من المرج أو الروضة كانت له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له. ولو أنها مرت بنهر فشربت ولم يرد أن يسقيها كان ذلك له حسنات، ورجل ربطها تغنيا وسترا وتعففا ثم لم ينس حق الله فى رقابها وظهورها فهى له ستر، ورجل ربطها فخرا ورياء ونوءا لأهل الإسلام فهى له وزر». رواه مالك عن أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة. حديث صحيح.

ـ «الخيل فى نواصى شقرها الخير» للخطيب عن ابن عباس. حديث حسن (الجامع الصغير ٢ / ١٣، ١٤).

وقد أورد الحافظ المناوى عددا من الأحاديث بعضها مثل ما سقناه آنفا مع بعض الاختلاف فى اللفظ، وذلك فى الجامع الأزهر ١ / ٢٢٩ ورقة ب، ٢٣٠ ورقة أ، فارجع إليه إن شئت.

وعن مكانة الخيل عند العرب قبل وبعد الإسلام يقول الأستاذ قدرى الأرضروملى فى مقدمة كتابه القيم «الخيل العراب»:

كان العرب قبل ظهور محمد ﷺ منقسمين إلى آلاف من القبائل المستقلة. وكانت الخلافات والحزازات القبلية تلعب دورا كبيرا فى حياة هذه القبائل التى كانت تلجأ فى الغالب إلى السلاح لحل مشاكلها. وكان من البديهى أن تولد النتائج التى

تترتب على استعمال السلاح . الحقد والضغينة والكراهية وحب الانتقام . وعليه فقد كان من الطبيعى أن تستمر الحروب والغزوات بين القبائل ، الأمر الذى جسم فضل الخيل وفائدتها فى تنفيذ حملات الغزو وتحركات أفراد القبيلة التى كانت تتطلب السرعة الهائلة فى كلا الحالتين الهجوم للانقضاض والانسحاب طلبا للنجاة هذا بالإضافة إلى شدة حاجة العرب إلى الخيل فى أسفارهم وتنقلاتهم فى المناطق الشاسعة البعيدة طلبا للكلأ لماشيتهم ، ولصيد الحيوانات وللقيام بفعاليات الفروسية التى هى من صلب حياة العربى ومن مقومات بقائه وسلامته .

وانطلاقا من هذا الواقع فقد كان من قبيل الاعتراف بالفضل والإنصاف أن تحتل الخيل مكانتها السامية فى قلوب العرب قبل الإسلام وإن تحظى بحصة الأسد من قصائدهم الشعرية التى خلدت الخيل بفضلها ومآثرها ووفائها وشجاعتها ووصف جمالها وخلقها .

ثم ازداد حب الخيل عند العرب حين بعث الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ رحمة للعالمين آمرًا إياه باتخاذ الخيل وارتباطها كما جاء فى الآية الكريمة **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾** ، [الأنفال : ٦٠] فلبى الرسول الكريم ﷺ أوامر البارىء عز وجل وارتبط الخيل وخصها بعنايته وحببها إلى المسلمين معلنا لهم ما جعل الله تعالى فيها من العز والشرف وما يكسبونه بارتباطها من الأجر والمنفعة .

قالت المؤلفة : ثم أورد المؤلف عددا من الأحاديث النبوية مما سقناه آنفا فحذفناه تفاديا للتكرار .

ثم يقول المؤلف :

روى صاحب رشحات المداد : أن روح بن زنباع الجذامى رأى تميما الدارى ينقى لفرسه شعيرا ثم يعلقه عليه وحوله أهله وعياله فقال له روح : ما كان لك من كل هؤلاء من يكفيك ؟ قال تميم : بلى . ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من امرىء مسلم ينقى لفرسه شعيرا ثم يعلقه عليه إلا كتب الله عز وجل له بكل حبة حسنة .

وقد فضلها ﷺعلى أصحابها فى تقسيم الغنائم . فجعل للفرس سهمين بينما جعل لصاحبه سهما واحدا والراجل سهما واحدا . فزاد إقبال العرب المسلمين على جنيها راجين الله تعالى حسن الثواب والرزق الحلال . ومن الثابت إنه ﷺ كان يمسح بكمه وجه فرسه وعينيه ومنخريه إمعانا فى تكريمه .

وقد بلغ اعتزاز العرب بخيلهم الغاية القصوى . [illegible] هذا الاعتزاز ، بأسمى معانيه بحرصهم الشديد على المحافظة على هذا النسل النبيل من الخيل ـ الذى كان مقدرا له أن يصبح قبلة أنظار العالم ـ من التلوث بدم أجنبى . وكانت أمنية العربى أن يسعفه الحظ فيتيسر له الفحل الأصيل العريق النسب ليسفد فرسه .

وقد ميز العرب بين خيلهم العربية العريقة الأصيلة وغيرها من الخيل الغريبة كليا أو التى امتزج دمها بدم عربى بأن أطلقت على كل نسل منها اسما معينا ، كما هو مبين فيما يلى :

العربى : هو الفرس الذى يولد من أم عربية معروفة النسب وأب (فحل) معروف النسب أيضا .

البرذون : وهو الغريب كليا ، وأبوه وأمه عجميان . وقيل فى ذلك :

نجى علاجا وبشرا كل سلهبة
واستلحم الموت أصحاب البراذين

سلهبة : ـ وصف للفرس العربى الشامخ الطويل .

الهجين : وهو الذى ولدته برذونة من حصان عربى . وقيل فى هذا :

ولا يدرك العرب الهجين بجريه
ولا حليه فى سرجه ولجامه

المقرف : وهو الذى ولدته فرس عربية من أب (فحل) غير عربى . (الخيل العراب / ١٤ ، ١٥) .

قالت المؤلفة : وفى كتاب «أنساب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها» لأبى المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى ما يشفى الغليل فى هذا الباب .

يقول الدكتور عبد الرحمن زكى :

والمعروف أن خيل العرب أجود خيول العالم ، وكانت أهم ما يعتمد عليه الفارس العربى ، فأولاها عناية ورعاية ، وكانوا لا يستعملونها إلا فى الرياضة والقتال ، فإذا شاءوا الحرب ركبوا الإبل وقادوا الخيل لإراحتها . . وقد ذكر ابن قيم الجوزية :

الفروسية أربعة أنواع، أحدها ركوب الخيل والكر والفر بها، والثاني الرمي بالقوس. والثالث المطاعنة بالرماح، والرابع المداورة بالسيوف، فمن استكملها استكمل الفروسية.

ولما كانت أعداد الخيل المتوافرة عند المسلمين قليلة أثناء غزوات الرسول الأولى فقد استخدمت على نطاق ضيق، ثم زاد عددها بعد فتح مكة، ويعود ذلك إلى وفرتها عند تجار مكة الأثرياء (الحرب عند العرب / ٣٢، ٣٣).

فإذا انتقلنا إلى الخيل في مصنفات علم الحيوان نجد الوصف التالي عن كتاب «حياة الحيوان الكبرى» للشيخ كمال الدين الدميري. والمنهج المعروف في كتابه هذا هو أنه يمزج بين علوم شتى من بينها علم الحيوان، وعلم اللغة والفقه، والطب، والأدب، والشعر، وتعبير الرؤيا وغير ذلك. كتب رحمه الله يقول في مادة «الخيل»:

جماعة الأفراس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والنفر وقيل مفرده خائل قاله أبو عبيدة وهو مؤنثة والجمع خيول وقال السجستاني تصغيرها خُيَيْل سميت الخيل خيلا لاختيالها في المشية فهو على هذا اسم للجمع عند سيبويه وجمع عند أبي الحسن ويكفي في شرف الخيل أن الله تعالى أقسم بها في كتابه فقال ﴿والعاديات ضبحا﴾ [العاديات: ١] وهي خيل الغزو التي تعدو فتضبح أي تصوت بأجوافها وفي الصحيح عن جرير بن عبدُ الله رضي الله تعالى عنه قال «رأيت رسول الله ﷺ يلوي ناصية فرسه بأصبعيه وهو يقول الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة».

ومعنى عقد الخير بنواصيها أنه ملازم لها كأنه معقود فيها والمراد بالناصية هنا الشعر المترسل على الجبهة قاله الخطابي وغيره قالوا وكنى بالناصية عن جميع ذات الفرس كما يقال فلان مبارك الناصية وميمون الغرة أي الذات في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال إن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال ﷺ بل أنتم أصحاب إخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ يارسول الله قال ﷺ أرأيتم لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهراني خيل دهم بُهم ألا يعرف خيله؟ قالوا بلى يارسول الله قال ﷺ فإنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء وأنا فرطهم على الحوض» وفي رواية البيهقي «إن أمتي يأتون يوم القيامة غرا من السجود محجلين من الوضوء ولا يكون ذلك لأحد من الأمم غيرهم» وروى مسلم وأبو داود الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يكره الشكال من الخيل والشكال أن يكون الفرس في رجله اليمنى بياض وفي يده اليسرى بياض أو في يده اليمنى ورجله اليسرى كذا وقع تفسيره في صحيح مسلم وهذا أحد الأقوال في الشكال وقال أبو عبيدة وجمهور أهل اللغة والغريب هو أن يكون منه ثلاث قوائم محجلة وواحدة مطلقة تشبيها بالشكال الذي يشكل به الخيل فإنه يكون في ثلاث قوائم غالبا وقال أبو عبيدة وقد يكون الشكال ثلاث قوائم مطلقة وواحدة محجلة قال ولا تكون المطلقة أو المحجلة إلا في الرجل وقال ابن دريدهو أن يكون محجلا في شق واحد في يده ورجله فان كان مخالفا قيل شكال مخالف وقيل الشكال بياض اليدين وقيل بياض الرجلين قال العلماء إنما كرهه ﷺ لأنه على صورة المشكول وقيل يحتمل أن يكون جرب ذلك الجنس فلم يكن فيه نجابة وقال بعض العلماء فإذا كان مع ذلك أغر زالت الكراهة لزوال شبهه بالشكال وقال ابن رشيق في عمدته في باب منافع الشعر ومضاره أن أبا الطيب المتنبي لما ذهب إلى بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي وأجزل جائزته رجع من عنده قاصدا بغداد وكان معه جماعة فخرج عليهم قطاع الطريق بالقرب من بغداد فلما رأى الغلبة فر هاربا فقال له غلامه لا يتحدث الناس عنك بالفرار أبدا وأنت القائل:

الخيل والليل والبيداء تعرفني

والحرب والضرب والقرطاس والقلم

فكَرَّ راجعا وقاتل حتى قتل فكان سبب قتله هذا البيت وذلك في شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة.

وفي سنن النسائي من حديث سلمة بن نفيل السكوني إن النبي ﷺ نهى عن إزالة الخيل وهو امتهانها في الحمل عليها واستعمالها وأنشد أبو عمر بن عبد البر في التمهيد لابن عباس رضي الله تعالى عنهما:

أحبوا الخيل واصطبروا عليها

فإن العز فيها والجمالا

إذا مــــا الخيـل ضيعهــــا أنــــاس
ربطنــــاهـــا فأشــــركت العيـــالا
نقــــاسمهـــا المعيشـــة كل يـــوم
ونكســـــوهـــا البــــراقع والجــــلالا

فـائدة رأيت فى تاريخ نيسـابـور للحاكم أبى عبـد الله فى ترجمة أبى جعفر الحسن بن محمد بن جعفر الزاهد العابد أنه روى بإسناده عن على بن أبى طالب رضى الله تعـالى عنه قال قال رسول الله ﷺ لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يخلق الخيل قال لريح الجنوب إنى خالق منك خلقا أجعلـه عزاً لأوليائى ومذلة لأعـدائى وجمالا لأهل طاعتى فقال الـريح اخلق يارب فقبض منهـا قبضة فخلق منهـا فرسـا وقال جلا وعـلا خلقتك عربيـا وجعلت الخير معقـودا بنواصيك والغنـائم محتازة على ظهرك وبـوأتك سعة من الرزق وأيدتك على غيـرك من الدواب وعطفت عليكِ صـاحبك وجعلتك تطيـرين بـلا جناح فأنت للطلب وأنت للهــرب وإنى سأجعـل على ظهـرك رجـــالا يسبحونى ويحمـدونى ويهللونى ويكبرونى ثم قـال ﷺ ما من تسبيحة وتهليلة وتكبيرة يكبرها صـاحبها فتسمعه الملائكة إلا تجيبه بمثلها قـال فلما سمعت الملائكة بخلق الفرس قالت يارب نحن ملائكتك نسبحك ونحمدك ونهللك ونكبرك فماذا لنا فخلق الله تعالى لها خيلا لها أعناق كأعناق البخت يمد بها من شاء من أنبيـائه ورسله . قال فلما استوت قـوائم الفرس فى الأرض قال الله تعالى له إنى أذل بصهيلك المشركين وأملأ منه آذانهم وأذل به أعنـاقهم وأرعب به قلوبهم قال فلمـا أن عرض الله تعالى على آدم كل شيء مما خلق قـال له اختر من خلقى ما شئت فاختار الفرس فقيل له اختـرت عزك وعز ولدك خالدا ما خلدوا وبـاقيا ما بقوا أبـدا الآبدين ودهر الداهـرين وهو فى شفاء الصدور عن ابن عباس رضى الله تعـالى عنهما بغير هذا اللفظ ...

فائدة أخرى : أول من ركب الخيل إسمـاعيل عليه السلام ولـذلك سميت بـالعـراب وكـانت قبل ذلك وحشيـة كسـائر الـوحـوش فلما أذن الله تعـالى لإبـراهيم وإسمـاعيل عليهمـا السلام برفع القواعـد من البيت قال الله عز وجل إنى معطيكما كنـزا ادخرتـه لكما ثم أوحى الله إلى إسمـاعيل أن اخرج فـادع بذلك الكنز فخرج إلى أجياد وكـان لا يدرى ما الدعاء والكنز فألهمه الله تعالى الدعاء فلم يبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب إلا أجابتـه فأمكنته من نواصيها وتذللت لـه ولذلك قال نبينا ﷺ« اركبوا الخيل فإنها ميراث أبيكم إسماعيل ... » .

وفى طبقات ابن سعد بسنده عن عريب المليكى أن النبى ﷺ سئل عن قوله تعالى ﴿**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعـلانية فلهم أجـرهم عند ربهم ولا خـوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[البقرة : ٢٧٤] من هم فقال النبى ﷺ هم أصحاب الخيل . ثم قـال ﷺ« إن المنفـق على الخيل كبـاسط يـده بالصدقة لا يقبضها وأبوالها وأرواثها يوم القيامة كذكى المسك» وعُريب بضـم العين المهملة . وروى الشيخان عـن ابن عمرو رضيَ الله تعـالـى عنهمـا أن النبى ﷺ سـابـق بين الخيل التى ضمرت وكـان أمدهـا من الحفياء إلى ثنية الوداع وسـابق بين الخيل التى لم تضمر من الثنية الى مسجد بنى زريق وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما فيمـن أجرى فائدة أخـرى : خيل السباق عشرة ذكـرها الرافعى وغيرها وحذفهـا من الروضة وهى مجل ومصل وتـال وبـارع ومـرتـاح وحظى وعـاطف ومؤمل والسكيت والفسكل وإلى ذلك أشرت فى المنظومة بقولى :

مهمــــــة خيـل السبـــــاق عشــــره
فى الشــــرح دون الـــروضـــة المعتبــره
وهـــى مجـل ومصـل تــــــــــالـى
والبــــارع المــــرتــــاح بــــالتــــوالى
ثــم حظـى عــــــاطـف مـــــؤمـل
ثــم السكيت والأخيــــــــر الفسكـل

فائدة أخرى قال السهيلى فى التعـريف والأعلام وأما خيل رسول الله ﷺ فـأسماؤها السكب وهـو من سكب الماء كـأنه سيل ، والسكب أيضا شقائق النعمان ، والمرتجز سمى بذلك لحسن صهيله ، واللحيف كأنـه يلحف الأرض لجريـه ويقال فيه اللخيف بالخاء المعجمة ذكـره البخارى فى جامعه واللزاز ومعناه أنه ما سابق شيئا إلا لزه أى أثبته وملاوح والضرس والورد وهبه لعمر بن الخطاب رضى الله تعـالى عنه فحمل عليه عمر فى سبيل الله تعالى وهو الذى وجده يبتاع برخص انتهى (انظر مادة «أفراس رسول الله ﷺ» فى م ٥ / ٤٤٣ ، ٤٤٤) .

فـائدة أخرى : روى ابن السنى وأبـو القاسم الطبـرانى عن أبان بن أبى عياش والمستغفرى أيضا عن أنس بن مالك رضى

الله تعالى عنه قال: كتب عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف أن انظر أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ فأدن مجلسه وأحسن جائزته وأكرمه قال فأتيته فقال لى يا أبا حمزة إنى أريد أن أعرض عليك خيلى فتعلمنى أين هى من الخيل التى كانت مع رسول الله ﷺ فعرضها فقلت شتان ما بينهما تلك كانت أرواثها وأبوالها وأعلافها أجرا وهذه هيئت للرياء والسمعة فقال الحجاج لولا كتاب أمير المؤمنين فيك لضربت الذى فيه عيناك فقلت ما تقدر على ذلك قال ولم؟ قلت لأن رسول الله ﷺ علمنى دعاء أقوله لا أخاف معه من شيطان ولا سلطان ولاسبع فقال يا أبا حمزة علمه ابن أخيك يعنى ابنه محمد بن الحجاج فأبيت عليه فقال لابنه ائت عمك أنسا فلتسأله أن يعلمك ذلك قال أبان فلما حضرته الوفاة دعانى فقال يا أبا أحمد إن لك إلىَّ انقطاعا وقد وجبت حرمتك وإنى معلمك الدعاء الذى علمنى رسول الله ﷺ فلا تعلمه من لا يخاف الله أو نحو ذلك وهو هذا الدعاء المبارك: الله أكبر الله أكبر الله أكبر بسم الله على نفسى ودينى بسم الله على أهلى ومالى بسم الله على كل شىء أعطانيه ربى بسم الله خير الأسماء بسم الله الذى لا يضر مع اسمه داء بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم بسم الله افتتحت وعلى الله توكلت الله الله ربى لا أشرك به شيئا أسألك اللهم بخيرك من خيرك الذى لا يعطيه أحد غيرك عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اجعلنى فى عبادك واحفظنى من شر كل ذى شر خلقته وأحترز بك من الشيطان الرجيم اللهم إنى أحترس بك من شر كل ذى شر خلقته وأحترز بك منهم وأقدم بين يدى بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ومن خلفى مثل ذلك وعن يمينى مثل ذلك وعن يسارى مثل ذلك ومن فوقى مثل ذلك ومن تحتى مثل ذلك.

مسألة: قال شيخ الإسلام تقى الدين السبكى رحمه الله تعالى ورد مثال كريم ممن هو حقيق بالتبجيل والتعظيم يتضمن السؤال عن الخيل هل كانت قبل آدم عليه السلام أو خلقت بعده وهل خلق الذكور قبل الإناث أو الإناث قبل الذكور وهل العربيات قبل البراذين أو البراذين قبل العربيات وهل ورد فى الحديث أو الأثر أو السير أو الأخبار ما يدل على ذلك.

(والجواب أن نختار أن خلق الخيل كان قبل خلق آدم عليه السلام بيومين أو نحوهما وأن خلق الذكور قبل الإناث وأن العربيات قبل البراذين أما قولنا إن خلقها كان قبل خلق آدم فالآيات فى القرآن سنذكرها آية آية ونذكر وجه الاستدلال والمعنى فيه وهو أن الرجل الكبير يهيىء له ما يحتاج إليه قبل قدومه وقال تعالى «خلق لكم ما فى الأرض جميعا» فالأرض وكل ما فيها مخلوق لآدم وذريته إكراما لهم ومن كمال إكرامهم وجودها قبلهم فجميع ذلك مقدم على خلقه ثم كان خلق آدم بعد ذلك آخر الخلق لأنه وذريته أشرف الخلق ألا يرى أن النبى ﷺ أشرف من الجميع ولذلك كان آخر الخلق لأن به ﷺ تم كمال الوجود وما سوى آدم مما هيىء له حيوان وجمادوالحيوان أشرف من الجماد والخيل من أشرف الحيوان غير الآدمى فكيف يؤخر خلقها عنه فهذه الحكمة تقتضى تقديم خلقها مع غيرها من المنافع وإنما قلنا بيومين أو نحوهما لحديث ورد فيه يتضمن أن بث الدواب يوم الخميس، والحديث فى الصحيح لكن فيه كلام ولا شك أن خلق آدم عليه السلام كان يوم الجمعة والحديث المذكور يتضمن أنه بعد العصر فلذلك قلنا إنه بيومين أو نحوهما على التقريب وأما التقدم فلا يتردد فيه والمعنى فيه قد ذكرناه وأما الآيات التى تدل له فمنها قوله تعالى ﴿**هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات**﴾ [البقرة: ٢٩] ووجه الاستدلال أن الآية الكريمة اقتضت خلق ما فى الأرض جميعا قبل تسوية الرحمن السماء ومن جملة ما فى الأرض الخيل فالخيل مخلوقة قبل تسوية السماء عملا بالآية ودلالة ثم على الترتيب وتسوية السماء قبل خلق آدم عليه السلام لأن تسوية السماء كانت فى جملة الأيام الستة لقوله تعالى ﴿**رفع سمكها فسواها**﴾ إلى قوله جل وعلا ﴿**والارض بعد ذلك دحاها**﴾[النازعات: ٢٨ ـ ٣٠] ودلالة الحديث الصحيح المجمع عليه على أن خلق آدم عليه السلام يوم الجمعة بعد كمال المخلوقات أما آخر الأيام الستة إن قلنا إن ابتداء الخلق يومَ الأحد كما يقوله المؤرخون وأهل الكتاب وهو المشهور عند أكثر الناس وأما فى اليوم السابع فهو خارج عن الأيام الستة كما يقتضيه الحديث الذى أشرنا إليه فيما سبق الذى فى صحيح مسلم الذى صدره أن الله تعالى خلق التربة يوم السبت وإن كان فيه كلام وأما تأخر خلق آدم عليه السلام فلا كلام فيه فثبت بهذا أن خلق الخيل قبل خلق آدم عليه السلام وهى من جملة المخلوقات فى الأيام الستة لا كما

يقولـه بعض الجهلة الكفـرة ويروى فيه أحـاديث موضـوعة لا تصدر إلا عن أسخف المجانين لا حاجة بنا الى ذكرها .

ومن الآيـات قولـه تعـالى ﴿وعلم آدم الأسمـاء كلهـا ثم عـرضهم على الملائكـة فقـال أنبئونـى بأسماء هـؤلاء إن كنتم صادقين * قـالوا سبحـانك لا علم لنا إلا مـا علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قـال يـا آدم أنبئهم بـأسمـائهم فلمـا أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ [البقرة : ٣١ ــ ٣٣] وجه الاستـدلال بهذه الآيـة أن الأسماء كلهـا إمـا أن يراد بهـا نفس الأسماء أو صفات المسميات ومنافعهـا وعلى كلا التقديرين المسميات مـوجـودة فى ذلك الـوقت لـلإشارة إليهـا بقـولـه ﴿هؤلاء﴾ ومن جملة المسميات الخيل فلتكن موجودة حينئذ والأسماء عام بالألف واللام مؤكدة بقوله تعالى ﴿كلها﴾ فتقوى العمـوم فيه والمسميـات لا بد من إرادتهـا بقـوله تعـالى ﴿ثم عرضهم﴾ وقوله تعالى ﴿بأسمائهم﴾ فهذا دليل قاطع فى ذلك والعمـوم شـامل للخيل فمن رأى دلالـة العمـوم قطعيـة يقطع بدخـولها ومن لا يـرى ذلك يستدل به فيـه كما يستـدل بسائر الأدلة الشرعيـة ومن الآيات قوله تعـالى فى سورة السجدة ﴿الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ [الآية : ٤] وجـه الاستدلال اقتضـاؤها خلـق ما بينهما فى الستـة وقد قلنا إن خلق آدم عليه السـلام خـارج عن الأيام الستـة بعدهـا أو حاصل فى آخرهـا بعد خلق غيـره كما سبق وفى الآيـات قـولــه تعـالى فى سـورة قٓ : ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيـام ومامسنا من لغوب﴾ [قٓ : ٣٨] وجه الاستدلال بهـا ما قدمناه فيمـا قبلها فهذه أربع آيات تدل على ذلـك فيها كفاية . وقد جـاء عن وهب بن منبه فى الإسـرائيليـات إن الخيل خلقـت من ريح الجنـوب وذلك لاينافى مـاقلناه ولا نلتزم صحته لأنا لا نصحح إلا مـا صح لنا عن الله تعـالى ورسوله ﷺ وقـد جاء عن ابن عبـاس رضى الله عنهما أن الخيل كانت وحوشـا وأن الله تعالى ذللها لإسماعيل عليه الصلاة والسلام وذلك لا ينافى ما قلناه فقد تكون مخلوقة من قبل آدم عليـه السـلام واستمرت على وحشيتهـا إلى عهـد إسماعيل عليه السلام أو كانت تركب فى وقت ثم توحشت ثم ذللت لإسماعيل عليه السلام وليس فى ذلك عن النبى ﷺ ولا عن الصحابـة دليل فالمعتمد مـا قلناه من دلالة القـرآن والذى قيل من أن إسمـاعيل عليه السـلام أول من ركبهـا أمر مشهـور ولكن إسناده ليس صحيحا حتى نلتزمه وقد قلنا إنا لا نلتزم إلا ما صح عـن الله تعالى ورسولـه ﷺ . وفى تفسير القـرطبى من رواية التـرمذى الحكيم عن ابن عباس رضى الله تعـالى عنهما قـال لما أذن الله تعـالى لإبراهيم وإسمـاعيل عليهما الصـلاة والسلام برفع القـواعد قال الله تبارك وتعـالى إنى معطيكما كنزا ادخرته لكما ثم أوحى الله إلى إسمـاعيل عليه السلام أن اخرج إلى أجيـاد فادع يأتـك الكنز فخـرج إلى أجيـاد ولا يدرى مـا الدعـاء ولا الكنز فألهمه الله تعـالى الدعـاء فلم يبق على وجه الأرض فـرس بأرض العـرب إلا جـاءته وأمكنتـه من نـاصيتهـا وذللها الله تعالى لـه ولو ذكرنا ما قال النـاس فى ذلك وشرحناه بطوله لطال فقد تكلم النـاس فى ذلك كثيرا وذكروا من خواص الخيل ومنـافعها شيئـا كثيرا ليس ذلك كله ممـا نلتزم صحتـه ومطـالبـة القـاصـد بسـرعـة الجـواب فى أسـرع وقت تقتضى الاقتصار على مـا قلناه وفيه كفايـة وأما قولنا أن خلق الـذكور قبل الإناث فلأمرين أحدهما شرف الذكر على الأنثى والثانى حـرارتـه وإن كـان الاثنـان من جنـس واحـد من مـزاج واحـد فأحدهما أكثر حرارة من الآخـر فقد جرت عادة القدرة الإلهية بتكوين أقواهما حرارة قبل الآخر والذكر أقوى حرارة من الأنثى فناسب أن يكـون وجوده أسبق ولتحصل المنة به أكثـر ولذلك كان خلق آدم عليه السلام قبل خلق حواء ولأن أعظم ما يقصد له الخيل الجهاد والذكر فى الجهاد خير من الأنثى لأن الذكر أجرى وأجـرأ أعنى أشد جـريا وأقـوى جراءة ويقاتـل مع راكبه والأنثى بخلاف ذلك وقد تقطع بصاحبهـا أحوج ما يكون إليها إذا كانـت وديقا ورأت فحلا ولا يـرد على ذلك ركوب جبـريل عليه السلام أنثى لما جاز البحر بموسى عليه السلام لأن ذلك لـركوب فـرعون فحـلا فقصد طلبـه للأنثى وعجـز فرعـون عن إمساك رأسه . وأما قولنا إن العربيات قبل البراذين فلما ذكر من حديث إسمـاعيل عليه السلام ، ولأن العربيـات أشرف وأصل والبرذون إنما يكـون بعارض أو علة إما فيه وإمـا في أبيه أو أمه ولم تكن البراذين تذكر فيما خـلا من الزمان ألا ترى إلى قصة إسمـاعيل عليـه السلام وقصـة سليمـان عليـه السلام وإنمـا البراذين ما انتحس من الخيل حتى اختلف العلماء هل يسهم لـه كما يسهم للفـرس العربـى أو لا وفى حديث من مـراسيل مكحول فى بعض ألفاظه للفرس سهمان وللهجين سهم فهذه الرواية تقتضى أن الهجين لا يسمى فرسا والهجين وهو البرذون أو قريب منه وبـالجملة البـراذين حثالـة الخيل وما كـان الله

تعالى ليخلق من الجنس حثالة في الأول وأما الأحاديث النبوية والآثار الصحيحة فإن ما جاء منها في فضيلة الخيل وسباقها وشياتها وفضيلة اتخاذها وبركتها والنفقة عليها وخدمتها ومسح نواصيها والتماس نسلها وثمنها ونمائها والنهي عن خصائها وجز نوا صيها وأذنابها وإزالتها وفيما يقسم لصاحبها من الغنيمة واختلاف العلماء فيه وهل يجب فيها زكاة أو لا وغير ذلك أضربنا عنه للعجلة وهذه نبذة يسيرة كتبتها على سبيل العجلة في ساعة من النهار لعجلة المطالب بها وإن اخترتم كتبت فيها كتابا مستقلا أن شاء الله تعالى ا. هـ.

الحكم: أكل لحوم الخيل يأتي إن شاء الله تعالى في باب الفاء في لفظ «الفرس» (حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٨٠ ـ ٢٨٥).

قالت المؤلفة: عن أكل لحوم الخيل جاء في التيسير ما يلي:

١ ــ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرسا، ونحن بالمدينة فأكلناه». أخرجه الشيخان والنسائي.

٢ ــ وعن جابر رضي الله عنه قال: «أكلنا زمن خيبر الخيل، وحمر الوحش ونهانا رسول الله ﷺ عن الحمر الأهلية، وأذن في الخيل». أخرجه أصحاب السنن، واللفظ لغير الترمذي، وصححه الترمذي (تيسير الوصول ٣ / ١١٨، ١١٩).

كما رد فضيلة الشيخ عطية صقر على سؤال عما إذا كان لحم الفرس حلالا بأن أورد حديث أسماء بنت أبي بكر المذكور أعلاه، ثم قال: ومن القائلين بحل لحم الخيل شريح القاضي والحسن البصري وعطاء وسعيد بن جبير والليث بن سعد وسفيان الثوري وأبو يوسف ومحمد بن الحسن وأبو ثور وغيرهم، وذهب أبو حنيفة والأوزاعي ومالك إلى أنه مكروه، غير أن الكراهة عند مالك كراهة تنزيه لا كراهة تحريم، واستدلوا بما في سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه أن النبي ﷺ نهى عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير، لقوله تعالى: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ [النحل: ٨].

وقال الشافعي ومن وافقه: ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم، بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه، وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته، وأما الحديث الذي استدل به أبو حنيفة ومالك ومن وافقهما فقال الإمام أحمد: ليس له إسناد جيد، وفيه رجلان لا يعرفان، ولا ندع الأحاديث الصحيحة لهذا الحديث، وعلى هذا فأكل لحم الخيل حلال على أكثر المذاهب (أحسن الكلام ٣ / ٣٧٣).

ونستكمل ماجاء بكتاب «حياة الحيوان الكبرى» للشيخ الدميري الذي يقول: ذكر الصميري في شرح الكفاية أنه لا يجوز بيعها لأهل الحرب كالسلاح ويكره أن تقلد الأوتار لما روى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي بشير الأنصاري رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ نهى عن ذلك قال الخطابي وأمره ﷺ بقطع قلائد الخيل قال مالك أراه من أجل العين وقال غيره إنما أمر بقطعها لأنهم كانوا يعلقون فيها الأجراس وقال آخرون لئلا تختنق بها عند شدة الركض ويحتمل أن يكون أراد عين الوتر خاصة دون غيره من السيور والخيوط وقيل معناه لا تطلبوا عليها الأوتار والدخول ولا تركضوها في درك الثأر على ما كان من عادتهم في الجاهلية والسبق فيها معتبر بالأعناق وفي الإبل بالأكتاف لأن الإبل ترفع أعناقها في العدو فلا يمكن اعتبار مدها والخيل تمدها والمراد إذا استوت أعناقها في الطول والقصر والارتفاع لقوله ﷺ «بعثت أنا والساعة كفرسي رهان كاد أحدهما أن يسبق الآخر باذنه» وفي المستدرك وسنن أبي داود وابن ماجه ومسند أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال «من أدخل فرسا بين فرسين ولا يأمن أن يسبق فليس بقمار ومن أدخل فرسا بين فرسين وقد أمن أن يسبق فهو قمار» والصحيح أن الذمي يمنع من ركوبها لقوله تعالى **﴿ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾** [الأنفال: ٦٠] فأمر أولياءه بإعدادها لأعدائه ولأن ظهورها عز وهم ضربت عليهم الذلة وفي وجه أنهم لا يمنعون وينسب لأبي حنيفة مثله وقال الشيخ أبو محمد الجويني يمنعون من الشريفة دون البراذين الخسيسة وألحق الإمام والغزالي البغال النفيسة بالخيل وجزم به الفوراني ولم يقيده بالنفيسة ولا زكاة في الخيل عند الجمهور لقوله ﷺ ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة متفق عليه وأوجبها أبو حنيفة في إناثها المنفردة أو المجتمعة مع الذكور فعند ذلك صاحبها بالخيار إن شاء أعطى عن كل فرس دينار أو إن شاء قومها وأعطى من كل مائتي درهم خمسة دراهم وإن كانت ذكورا منفردة فلا شيء فيها.

الأمثال: قالوا الخيل ميامين أى مباركات، وقالوا الخيل أعلم بفرسانها، يضرب للرجل يظن أن عنده غناء وولا غناء عنده ومن كلمات النبى ﷺ التى لم يسبق إليها قوله «يا خيل الله اركبى» قالها يوم حنين فى حديث أخرجه مسلم وهو على حذف مضاف أراد ﷺ يا فرسان خيل الله اركبى وهو من أحسن المجازات كقوله تعالى وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين عن يونس بن حبيب أنه قال لم يبلغنا من بدائع الكلام ما بلغنا عن النبى ﷺ وغلط فى هذا الحديث ونسب إلى التصحيف وإنما قال القائل ما بلغنا عن البتي يريد عثمان البتى فصحف الجاحظ قالوا والنبي ﷺ أجل من أن يُخلط مع غيره من الفصحاء حتى يقال ما بلغنا عنه من الفصاحة أكثر من الذى بلغنا عن غيره كلامه أجل من ذلك وأعلى ﷺ.

الخــواص: الخيل إذا سُقيت الــزرنيخ الأحمر قتلهــا، وسيأتى إن شاء الله تعالى بيان ذلك فى باب الفاء فى لفظ الفرس، ويأتى طرف من خواصه.

التعبير: الخيل فى المنام قوة وزينة وعز وهى أشرف ماركب من الدواب فمن رأى عنده منها شيئا نال قوة وعزا وربما دل ذلك على اتساع حاله وإدرار رزقه وانتصاره على أعدائه لقوله تعالى ﴿زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث﴾ [آل عمران: ١٤] وربما ظفر بعدوه لقوله عز وجل ﴿ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ [الأنفال: ٦٠] من رأى خيلا تتطاير فى الهواء فإنها فتنة ولا خير فى ركوب الخيل فى غير محل الركوب كالسطح والحائط ونحوهما وخيل البريد فى الرؤيا قرب أجل من ركبها وسيأتى إن شاء الله تعالى تتمة الكلام فى باب الفاء فى لفظ الفرس كما وعدنا والله أعلم (حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٨٠ ـ ٢٨٦).

وجاء فى كتاب الاقتضاب للسيد البطليوسى باب فى «معرفة ما فى الخيل وما يستحب من خلقها» وفى كتاب «الاقتضاب» كما نعلم، ينبه المؤلف على مواضع بعينها وردت فى كتاب «أدب الكُتَّاب» لابن قتيبة وهى ـ كما يقول ـ مواضع يلزم التنبيه عليه، وارشاد قارئه إليها. وفيما يلى ما جاء فى الباب الذى نحن بصدده:

يقول السيد البطليوسى مشيرا إلى نفسه بعبارة: قال المفسر:

عيوب الخيل:

وقال فى هذا الباب: «والحافر والمُصْطَرّ: هو الضيق، وذلك معيب. والأرح: الواسع، وهو محمود».

قال المفسر: هذا الذى قاله: قول أبى عبيدة وقد جاء فى شعر حميد الأرقط ما يخالف هذا؛ وهو قوله:

لا رحح فيها ولا اصطرار

ولم يقلَّب أرضها البيطار

فنفى عن الفرس: الرحح، كما نفى عنها الاصطرار. فكأن الرحح نوعان: محمود ومذموم، فالمحمود منه: ما كان معه تقعب. والمذموم: مالا تقعب فيه، لأنه إذا لم يكن مع سعته تقعب، صار فرشخة، وهى مذمومة. كما قال الآخر:

ليس بمصطر ولا فرشاخ

(الفرشاخ من الحوافر: المنبطح).

وقد حكى أبو عبيد فى الغريب المصنف عن أبى عمرو: الحافر المجمر: هو الوقاح. والمفجّ: المقبب، وهو محمود، والمصرور: المتقبض. والأرح: العريض. وكلاهما عيب وهو نحو ما ذكرناه.

خلق الخيل:

مسألة:

قال فى هذا الباب: «والضرة: لحم الضرع، ولها أربعة أطْباء.

(قال المفسر): هذا الذى قاله قول أبى عبيدة معمر فى كتاب الديباجة. ومنه نقل هذه الأبواب، وأنشد أبو عبيدة:

«كأنما أطباؤها المكاحل»

(واحد الأطباء طبى (بضم الطاء)، وبعضهم يقول «طبى» (بكسر الطاء). عن إصلاح المنطق / ٤٣).

وأما أبو حاتم، فرد ذلك على أبى عبيدة، وقال: ليس للفرس إلا طُبيان. وكان يروى أن أبا عبيدة إنما غلط فى ذلك لقول الراجز الذى أنشده. وليس فى جمع الشاعر للطبى مايدل على أنها أربعة. لأن العرب قد تخرج التثنية مخرج الجمع، كقولهم: رجل عظيم المناكب، وإنما له منكبان وكذلك يخرجون الجمع مخرج التثنية، كقولهم لبيك

وسعديك، وحنانيك ودواليك. ولا يريدون بذلك اثنين فقط.

[٢] مسألة:

وقال في هذا الباب: «يقولون للفرس عتيق وجواد وكريم. ويقال للبرذون والبغل والحمار: فاره. قال الأصمعي: كان عدي بن زيد يخطيء في قوله في وصف الفرس:

فارها متتابعا.

قال ولم يكن له علم بالخيل.

قال المفسر: ما أخطأ عدي بن زيد، بل الأصمعي هو المخطيء، لأن العرب تجعل كل شيء حسن فارها. وليس ذلك مخصوصا بالبرذون والبغل والحمار، كما زعم. وعلى هذا قالوا: أفرهت الناقة: إذا نجبت، فهي مفرهة. قال أبو ذؤيب:

ومفرهة عنس قدرت لساقها
فخرت كما تتابع الريح بالقفل

(ومفرهة: ناقته، وعنس: شديدة. وقدرت لرجلها: هيأت وضربت رجلها. فخرت: عرقبتها.

والقفل: ما يبس من الشجر.

والمعنى: خرت حين ضربت رجلها، كما تمر الريح باليبيس، فيتبع بعضه بعضا).

وقال النابغة:

أعطى لفارهة حُلو توابعها
من المواهب لا تُعطى على حسد

ولو كان ما قاله الأصمعي صحيحا، لما كان قول عدي خطأ. لأن العرب تقول: فره فرها فهو فاره وفره: إذا أشر وبطر. وكذلك إذا كان ماهرا حاذقا. وعلى هذا قرأ القراء، «فارهين» وفرهين. فممكن أن يكون قول عدي من هذا. وكان الأصمعي عفا الله عنه يتسرع إلى تخطئة الناس وينكر أشياء كلها صحيح.

(قال في اللسان: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين﴾ [الشعراء: ١٤٩] فمن قرأه كذلك فهو من هذا شرهين بطرين. ومن قرأه فارهين فهو من فره بالضم).

ألوان الخيل:

[١] مسألة:

وقال في هذا الباب: «والبهيم: هو المصمت الذي لا شية به ولا وضح: أي لو كان. ومما لا يقال له بهيم ولا شية به: الأبرش المدنر، والأنمر، والأشيم، والأبقع والأبلق».

قال المفسر: كذا وقع في النسخ من هذا الكتاب، وقد طلبته في كل نسخة وقعت منه إلي، فوجدته هكذا ووجدت في كتاب الديباجة لأبي عبيدة، الذي نقل منه ابن قتيبة هذه الأبواب كلها مما يخالف هذا.

قال أبو عبيدة: ومما لا يقال له بهيم، وهو مما لا شية به الأشهب والصنابي وهو مستكره. ومما لا يقال له بهيم. وهو مما له شية: (الشية: كل لون خالف سائر لون جميع الجسد في الدواب) الأبرش والأنمر والأبلق والمدنر والأبقع. وهذا هو الصحيح وما نقله ابن قتيبة غلط.

والفرق بين الشية والوضح: أن الشية لمعة تخالف معظم الفرس، وهي بياض في سواد، أو سواد في بياض، ألا ترى أن ابن قتيبة ذكر شيات الخيل ها هنا، فجعلها بياضا، وذكر شيات الضأن، فجعلها سوادا. وأما الوضح فإنه البياض خاصة.

الدوائر في الخيل وما يكره من شياتها:

قال ابن قتيبة: «والدوائر ثماني عشرة دائرة»...

قال المفسر: ذكر أبو عبيدة في كتاب الديباجة الثماني عشرة دائرة كلها. وذكرها كراع. فمنها دائرة المحيا، وهي اللاصقة بأسفل الناصية. ومنها دائرة اللطاة، وهي التي في وسط الجبهة،

فإن كانت هناك دائرتان، قالوا: فرس نطيح. ومنهن دائرة اللاهز: وهي التي تكون في اللهزمة ومنهن دائرة المعوذ: وهي التي تكون في موضع القلادة. كذا وقع في كتاب أبي عبيدة، بالذال المعجمة، وواو مفتوحة مشددة، كأنه جعله مصدرا بمعنى التعويذ، من قولك: عوذت الصبي تعويذا ومعوذا؛: إذا جعلت في عنقه عوذة، كما تقول: مزقت تمزيقا وممزقا.

وأما كراع فقال: دائرة العمود بدال غير معجمة، على وزن ضروب ورسول. ومنهن دائرة السمامة، وهي التي تكون في وسط العنق، في عرضها. ومنها دائرة البنيقتين.

وقال كراع: البنيقتين، وهما الدائرتان اللتان في نحر الفرس. ومنهن دائرة الناحر: وهي التي تكون في الجران إلى

أسفل من ذلك. ومنهن دائرة القالع: وهى التى تكون تحت اللبد. واسم ذلك المكان: ملبد الفرس. ومنهن دائرة الهقعة، وهى التى تكون فى عرض زوره. وقال أبو عبيد: إنها تكون فى الشقين جميعا. ومنهن دائرة النافذة، وهى دائرة الحزام. ومنهن دائرتا الصقرين: وهما اللتان تحت الحجبتين والقصريين (وهما اللتان عند مؤخر اللبد من ظهر الفرس. قال: وحد الظهر إلى الصقرين). ومنهن دائرة الخرب، وهى التى تكون تحت الصقرين. ومنهن دائرة الناخس: وهى التى تكون تحت الجاعرتين إلى الفائلين (فى اللسان (جعر): الجاعرتان: لحمتان تكتنفان أصل الذنب. وفى اللسان (فيل): الفائل: اللحم الذي على خرب الورك. وقيل: هو عرق. وقيل الفائلان: مضيفتان من لحم، أسفلها على الصلوين، من لدن أدنى الحجبتين إلى العجب مكتنفتا العصعص، منحدرتان فى جانبى الفخذين).

وزاد أبو القاسم الزجاجى دائرة الخطاف، وهى دائرة فى المركض.

وقال كراع: العرب تستحب دائرة العمود، ودائرة السمامة، ودائرة الهقعة وتكره اللاهز والنطيح والفالع والناخس.

وقال أبو عبيدة نحو قول كراع، إلا أنه قال: كانوا يستحبون الهقعة، لأن أبقى الخيل المهقوع، حتى أراد رجل شراء فرس مهقوع، فامتنع صاحبه من بيعه منه (الهقعة: دائرة فى وسط زور الفرس وهى دائرة الحزام. (اللسان هقع) وفى كتاب العين ص ١١٠ الهقعة دائرة حيث تصيب رجل الفارس من جانب الفرس) (الاقتضاب ٢/ ٧١-٧٧).

ونحن نحب دائما أن ننوه بثراء اللغة العربية فى المفردات (بالإضافة إلى المستويات الأخرى). ويوافينا صاحب كتاب «كفاية المتحفظ وغاية المتلفظ» بقائمة مطولة لأسماء الخيل نجد من المفيد نقلها هنا إن شاء الله تعالى، وهى كما يلى:

الحصان: الذكر من الخيل.

الحِجْر: الأنثى.

الجَوّاد: الفرس الكريم السريع.

الطِرْف: مثله

العناجيج: جياد الخيل، الواحد عنجوج.

اليعبوب: الفرس الجواد.

الهِضَب: الكثير العرق.

الطِّمْر: السريع وقيل هو المشرف.

العِجْلزة: الفرس الشديدة.

المقَرَّبة: الخيل المعدة للحرب فهى تُقرب وتكرّم.

المذاكى: الخيل المنتهية فى السن وهى المذكيات أيضا واحدها مُذْك.

ومنه قولهم جرى المذكيات غلاء وتروى غلاب. وجرى المذكيات غلاء وتروى غلاب.

المراخى: الخيل السراع واحدها مرخاء.

السابح: الفرس السريع الذى كأنه يسبح بيديه.

المسح: السريع أيضا كأنه يسبح العدو أى يصبه صبا.

الصافن: الفرس الذى يرفع أحد قوائمه إذا وقف ويقوم على ثلاث يقال خيل صافنات وصوافن.

المسنفات: من الخيل المتقدمات فى السير. ويقال فرس بحر.

وغَمْر: إذا كان كثير الجرى. وفرس.

محضير: إذا كان عداء. يقال أحضر الفرس إذا عدا.

الحُضْر: والأحضار، العدو (الحضر والحضار: من عدو الدواب).

من عدو الخيل:

الهملجة: وهو سير يزيد على العَنَق

الإلهاب: وهو اضطراب الجرى

الرديان: وهو أن يَرْجُمَ الأرض بحوافره رجما، يقال ردى الفرس يردى رديا وردیانا.

التقريب: مثل الرديان.

الضبر: الوثب.

الخناف: أن يهوى الفرس بحافره إلى وحشيه، وهو سير لين.

الوحشى: من حافره ما أدبر منه عن بدنه.

الأنسى: ما أقبل منه عليه. فأما الجانب الوحشى فالأيمن فى قول أبى الأنصارى.

والأنسى، الأيسر وقيل الوحشى هو الأيسر، والأنسى هو الأيمن هذا قول أبى عبيدة والأصمعى قال أبو عبيدة وكذلك هو فى الناس أيضا. وقد توصف الإبل بالخناف أيضا، يقال ناقة خنوف وجمل خنوف، الذكر والأنثى فى ذلك سواء.

الضبع: أن يهوى الفرس بحافره إلى عضده إذا عدا، وقيل وهو أن يمد ضبعيه أى عضديه حتى لا يجد مزيدا.

الضبح: وهو بالحاء فى قوله بعضهم قال الله تعالى: ﴿والعاديات ضبحا﴾ [العاديات: ١] وقيل الضبح صوت يخرج من صدورها إذا عدت.

ـ فصل ـ

الخيل الأعوجية: منسوبة إلى أعوج وهو فحل كريم لبنى هلال بن عامر.

الحرونية: منسوبة إلى الحرون وهو فرس كريم كان لمسلم ابن عمرو بن قتيبة بن مسلم بن مسام وهو من نسل أعوج فيما يقال.

ومن الفحول المشهورة التى تنسب إليها الخيل:

الوجيه. الغراب. لاحق. مذهب. مكتوم وكانت كلها لغنى. وقيل كان الوجيه، ولاحق، لبنى أسد ومنها:

قيد. حلاب: وهما لبنى تغلب. مياس: وهو لبنى أعيا من باهلة. داحس والغبراء: وهما لبنى عبس الخطار. والحنفاء: وهما لبنى بدر من فزارة. النعامة: وهى للحارث بن عباد من بنى قيس بن ثعلبة.

ـ فصل ـ

الكميت: الفرس الشديد الحمرة، ولا يقال كميت حتى يكون عرفه وذنبه أسودين، فإن كانا أحمرين فهو: الأشقر. الورد: فيما بين الكميت والأشقر والجمع وراد. الأدهم: الأسود. الأحوى. الأخضر الذى يضرب لونه إلى سواد والجمع حو. البهيم: المصمت اللون وهو الذى لا شية فيه أى لون كان. وإذا كان بوجه الفرس بياض بقدر الدرهم فما دون فذلك: القرحة، والفرس أقرح.

فإذا جاوز البياض قدر الدرهم فهو:

الغرة: والفرس أغر.

فإن كان بجحفلته العليا بياض فهو: أرثم والجحفلة من ذوات الحافر بمنزلة الشفة من الإنسان فإن كان البياض بجحفلته السفلى فهو: ألمظ، وإن كان أبيض الظهر فهو: أرحل، وإن كان أبيض البطن فهو: أنبط، فإن كانت قوائمه الأربع بيضا لا يبلغ البياض منها الركبتين فهو: محجَّل: فإن كان البياض بيديه، دون رجليه فهو: أرجل: فإن لم يبيض من قوائمه سوى رجل واحده فهو: أعصم: وذلك مذموم، إلا إن يكون مع الرجل وضح غيره فلا يذم.

ـ باب ـ

الكتيبة: الجماعة من الخيل والجمع كتائب. (الكتيبة: الجماعة المتميزة من الخيل أو جماعة الخيل إذا غارت على العدو من المائة إلى الألف: القطعة العظيمة من الجيش). الرعلة: القطعة من الخيل (القطيع أو القطعة من الخيل ليست بالكثير، وقيل أولها ومقدمتها وجعلها بعضهم قدر عشرين. الجمع رعال وأرعال). وكذلك. السرية (الجمع سرب: جماعة الخيل من العشرين إلى الثلاثين أو ما بين العشرة إلى العشرين: جماعة العسكر ينسلون فيغيرون ويرجعون. المقنب: جماعة من الخيل تجتمع للغارة وكذلك المنسر و... الفيلق: الكتيبة العظيمة (الجيش العظيم والكتيبة الكثيرة السلاح، والجمع فيالق. الخميس (الجيش الجرار لأنه يؤلف من خمس فرق هى المقدمة والقلب والمسافة والميمنة والميسرة وهو أربعة آلاف إلى اثنى عشر ألفا). الجحفل: : الجيش العظيم.

ـ أسماء الخيل فى السباق ـ

المُجَلِّى: وهو السابق والمبرز ثم: المُصَلِّى وهو الثانى ثم: المُسَلِّى وهو الثالث ثم: التالى: وهو الرابع ثم: المرتاح: وهو الخامس ثم: العاطف: وهو السادس ثم: الحظى: وهو السابع ثم: المؤمَّل: وهو الثامن، ثم: اللطيم: وهو التاسع، ثم: السكيت: وهو العاشر. والمحفوظ عن العرب، السابق والمصلى، السكيت الذى هو العاشر. فأما باقى الأسماء فأراها محدثة. الفسكل: الذى يأتى آخر الخيل فى الحلبة (كفاية المتحفظ / ٤٨ـ٥٣).

وعن المفاخرة بالخيل فى الشعر يقول الأستاذ قدرى الأرضروملى:

أما عن المفاخرة بالخيل وفضلها وشرف نسبها وشجاعتها وجريها وجمالها فحدث ولا حرج . إذ لم يسبق العرب قوم فى هذا المضمار ولم يأت بعدهم من الأقوام من جعل للخيل هذه المكانة الغالية والسبب واضح جدا ، فقد كان الفرس للعربى بمثابة فرد من أفراد عائلته ومتمما لمفهوم العائلة وعنصرا مهما جدا من عناصر بقائه وسلامته فى الظروف التى كانت مسيطرة على الجزيرة العربية .

ثم جاء الدين الإسلامى الحنيف الذى أمر بارتباطها والاعتناء بها فكساها ببرقع ذى صبغة دينية ، وتطورت نظرة العربى للخيل بعد أن أصبحت تتمتع بهذا الشرف الجديد ، فصارت علاقته بها روحية أكثر منها مادية بينما كانت نظرة الأقوام غير العربية إليها تسيطر عليها الناحية المادية .

وقد خلد العرب خيلهم بالآلاف من الأبيات الشعرية التى تصف شجاعتها وجمالها ووفاءها .

ويكفى الفرس العربى عزا وقدرا أن يفخر مشاهير فرسان العرب بأن يُكنون بأسماء أفراسهم كأن يلقب الفارس منهم بفارس الأشقر أو فارس ذى اللمة إلخ ... وفى تاريخ العرب الكثير من هؤلاء الشجعان الذين كان لهم القدح المعلى بصولاتهم وجولاتهم فى الحروب ممن تكنوا ، بفخر ، بأسماء خيلهم وإلى القارئ بعض مشاهيرهم ـــ شداد بن معاوية العبسى والد عنترة المشهور. وكان يعرف بفارس جروة (فرسه) ويقول فيها :

فمن يك سائلا عنى فإنى
وجروة لا تباع ولا تعار
مقربة الشتاء ولا تراها
أمام الحى يتبعها المهار
أقوتها بقوتى إن شتونا
وألحفها ردائى فى الجليد
لها بالصيف جرجار وجل
وست من كرام المها غزار

والمعنى أنه اقتناها للحرب فلا تباع ولا يطلب نسلها كما أنه يعطيها قوته ويلحفها رداءه معزة بها ، ويقدم لها الجرجار «نوع من النبات» صيفا . ولها من كرائم الإبل ست نوق تشرب من ألبانها .

ـ مالك بن عوف النصرى وكان يلقب بالأسد الرهيص ويعرف بفارس محاج (فرسه) وله يقول يوم حنين :

أقدم محاج أنه يوم نكر
مثلى على مثلك يحمى ويكر

ـ عنترة بن شداد العبسى ـــ فارس عبس ـ ويعرف بفارس الأبجر (فرسه) وفيه يقول :

لا تعجلى اشدد حزام الأبجر
إنى إذا الموت دنا لم أضجر
ولم أُمَنِّ النفس بالتأخر

ـــ سفيان بن ربيعة الباهلى ويعرف بفارس خصاف (فرسه) . وهى التى يضرب بها المثل «لأنت أجرأ من فارس خصاف» . وعليها قتل سفيان بن ربيعة «قولا المرزبان» وكان كسرى قد وجه جندا عظيما من المرازبة لمحاربة قبائل مضر التى هابتهم فى بادىء الأمر لما رأت من تجهيزاتهم الحربية وخصوصا ألبستهم الحديدية والدروع التى كانت تغطى كل أجسامهم تقريبا ووجوهم . وظن المضريون أن هؤلاء القوم لا يموتون . وبينما كان سفيان على فرسه خصاف ، وإذا بنشابة تقع عند حافر فرسه إلا أنها لم تصب الحافر بل غرزت فى الأرض وبقيت تهتز فى موقعها . فنزل سفيان وحفر عنها فوجد أنها وقعت على رأس يربوع فقتلته . فقال : ما المرء فى شىء ولا اليربوع فى شىء مع القضاء فذهبت مثلا . وحمل سفيان على «قولا المرزبان» فطعنه بين ثدييه وقتله فصرخ فى قومه قائلا :

يا لقيس إنهم يموتون . فقال العرب : ـــ «لأنت أجرأ من فارس خصاف» .

ـ عكاشة بن محصن الأسدى من أصحاب رسول الله ﷺ وكان معروفا بشجاعته وكان يلقب بفارس ذى اللمة الذى يقال إن النبى ﷺ كان قد أهداه إليه .

ـــ حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وقال فى فرسه المسمى الورد :

ليس عندى إلا سلاح وورد
قارح من بنات ذى العقال
أتقى دونه المنايا بنفسى
وهو دونى يغشى صدور العوالى

جـرشع مـا أصـابت الحـرب منـه
حين تحمي أبطـالهـا لا أبـالي
فـإذا مـا هلكت كـان تـراثي
وسجـالا محمـودة من سجـالي

وقال كعب بن مالك:

ونعـد لـلأعـداء كل محصن
ورد ومحجـول القـوائم أبلق
أمـر المليك بـربطهـا لعـدوه
في الحـرب إن الله خيـر مـوفق
فتكـون غيضـا للعـدو وحـائطـا
للـدار إن دلفت خيـول المـرق

وسئل عربي لماذا يتضاغى أولادك جوعا: فقال لأننا نبدأ بالخيل قبل العيال.

وقال أحد الشعراء:

يـا حسنـه من أشقـر قصـرت
عنـه بـروق الجـو في الـركض
لا تستطيع الشمس من جـريـه
تـرسمـه ظـلا على الأرض

وقال صفي الدين الحلي:

إذا افتخـر الأقـوام يـومـا بمجـدهم
فـإنك من قـوم بهم يفخـر المجـد
تعـود متن الصـافنـات صغيـرهم
إلى أن تسـاوى عنـده السـرج والمهـد

وقال المتنبي يصف حدة السمع عند الخيل:

وتنصب للجـرس الخفي سـوامعـا
تخلن منـاجـاة الضميـر تنـاديـا

أي أنها تنصب الكلام الخفي آذانا تكاد تسمع حتى (مناجاة الضمير) أي عندما يكلم الشخص نفسه بدون أن يسمع له صوت. وليس هذا فحسب بل إنها تسمعه وكأنه صوت عال.

والأبيات التالية لعامر بن الطفيل وهو من أشهر فرسان العرب وقد قالها بعد أن أصابه مسهر بن يزيد الحارثي برمح فقأ عينيه يوم ـ فيض الريح ـ وهو بهذه الأبيات يخاطب فرسه المسمى (المزنوق) وكأنه بشر مثله.

لقـد علم المـزنـوق أني أكـرُّه
على جمعهم كـر المنيح المشهـر
إذا ازور من وقـع الـرمـاح زجـرتـه
وقلت لـه ارجع مقبـلا غيـر مـدبـر
وأنبأتـه أن الفـرار خـزايـة
على المـرء مـا لـم يبل عـذرا فيعـذر
ألست تـرى أرمـاحهم فيَّ شُـرَّعـا
وأنت حصـان مـا جـد العـرق فـاصبـر
فبئس الفتى إن كنت أعـور عـاقـرا
جبـانـا فمـا أرجى لـدى كـل محضـر
لعمـري ومـا عمـري علي بهين
لقـد شـان حـر الـوجـه طعنـة مسهـر

(الخيل العراب /ـ١٦ـ١٨).

(لسان العرب لابن منظور ١٥ / ١٣٠٧، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي ٣ / ١٠١، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١٦٢، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيباني ٢ / ١٥٥ ـ ١٥٧ حـ ٣ / ١١٨، ١١٩، والأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة للإمام السيوطي ـ قدم له وأتم ما رمز له من أحاديث وما اختصره فضيلة الشيخ أحمد حسن جابر رجب. هدية مجلة الأزهر. صفر ١٤٠٩ هـ/ ٥٧، والجامع الصغير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٢ / ١٣، ١٤، والجامع الأزهر في حديث النبي الأنور للحافظ المناوي ١ / ٢٢٩ ورقة ب، ٢٣٠ ورقة أ، والخيل العراب وفضلها على الأنسال العالمية ـ قدري الأرضروملي. الدار العربية للطباعة. بغداد. بدون تاريخ/ ١٤ ـ ١٨، والحرب عند العرب ـ د. عبد الرحمن زكي. كتابك (٨٨) دار المعارف / ٣٢، ٣٣، وحياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميري ١ / ٢٨٠ ـ ٢٨٦، و أحسن الكلام في الفتاوى والأحكام ـ فضيلة الشيخ عطية صقر ٣ / ٣٧٣، والاقتضاب في شرح أدب الكتاب لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ـ بتحقيق الأستاذ مصطفى السقا ود. حامد عبد المجيد. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢، ٢ / ٧١ ـ ٧٧، وكفاية المتحفظ وغاية المتلفظ في اللغة لابن الأجدابي الطرابلسي ـ

تحقيق عبد الرزاق الهلالى (٤٨ ــ ٥٣) انظر أيضا مستند الأجياد فى آلات الجهاد لابن جماعة الحموى ـ تحقيق وشرح أسامة ناصر النقشبندى / ٦٥ ـ ٦٩، و من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة ــ أعدته للطبع مديرية إحياء التراث العربى. دمشق ١٩٧٧ م / ١٣٦ ـ ١٤٢، والتاريخ والمؤرخون العرب ـ د. السيد عبد العزيز سالم / ٢٤٧ ـ ٢٥٠ و «ياخيل الله اركبى» ـ فضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم. مجلة الأزهر الجزء الخامس، السنة الثامنة والستون جمادى الأولى ١٤١٦ هـ ــ أكتوبر ١٩٩٥ م / ٦٣٩ ـ ٦٤١).

ملاحظة : الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من المصادر الآتية : الخيل العراب / ٣٧، والعلوم الإسلامية ٣ / ٢٦، ومجلة ARabia ص ٦٨، ٦٩.

انظر مادة «البيطرة (علم ـ)» فى م ٨ / ١٨٦ ـ ٢٠٠

*** خيل الأولاق:**

مراكز البريد بين أطراف مملكة مصر وبلاد الأردو حيث كان ملك بنى هولاكو. وعبارة القلقشندى « فأما من أطراف ممالكنا إلى حضرة الأردو حيث هو ملك بنى هولاكو فلهم مراكز تسمى خيل الأولاق وخيل اليام يحمل عليها ولا تشترى بمال السلطان ولا يكلف ثمنها، وإنما هى أهل تلك الأرض نحو مراكز العرب فى رمل مصر ونحو ذلك».

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٢٦ عن صبح الأعشى للقلقشندى ١٤ / ٤٧).

*** خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم:**

انظر مادة «أفراس رسول الله ﷺ» فى م ٥ / ٤٤٣، ٤٤٤.

*** الخيل (كتاب-):**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الأدب.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد).

الرقم ٣٧٦١ مجاميع ٢٤.

كتاب الخيل لأبى سعيد عبد الملك بن قريب بن على الباهلى الأصمعى المتوفى سنة ٢١٦ هـ / ٨٣١ م (ترجمته فى بروكلمان الذيل ١/ ١٦٣، والأعلام ٤ / ٣٠٧ ومعجم المؤلفين ٦ / ١٨٧).

أوله: وقال رجل من بلحارث :

ومستنة كاستنان الخروف
قد قطع الحبل بالمرود

يعنى طعنه فإذا بلغ السنة ففطم فهو فلوٌ وجمعها فلاء ممدود ... ».

آخره : « ... وقال ابن مقبل :

كأن اصطفاق مآقيه بطرفه
كصفق الصناع بالأديم تقابله

ويقال قد حذ الفرس يحذ حذذا إذا كان خفيف الوثب.

آخر الكتاب والحمد لله وحده».

نسخة جيدة قديمة عليها سماعات على ابن رزمة سنة ٤٢٥ وعلى الخطيب البغدادى سنة ٤٣٣ وعلى ابن منازل سنة ٤٩٧ وسماعات أخرى سنة ٥٧٠ و ٥٧١.

نسخة مخرومة من أولها.

(١٣٨ـ١٤٥) ٨ ق ٢٢ س ١١,٥ × ١٦ سم.

نسخة ثانية.

الرقم ٣٣٢٣

رواية الشيخ أبى منصور محمد بن على بن إسحاق الكاتب عن أبى سعيد السيرافى عن أبى بكر بن دريد عن أبى حاتم سهل بن محمد بن حاتم السجستانى عنه.

أوله : «قال الأصمعى : كل ذات حافر فأجود حملها أن يحمل عليها بعد نتاجها بسبعة أيام، وحينئذ تكون فريشا، والجماع الفرائش، ويقال هو أنقى ما تكون الرحم وأقبله للنطفة ...».

آخره : « ... وحصيره : العصبة التى فى الجنب فى أعلى الأضلاع إلى جنب الصلب. والشاكلة : الطفطفة.

تم والحمد لله رب العالمين ... وكتب شاكر بن عبيد الله ابن على الطرابلسى لنفسه فى ذى القعدة سنة عشر وأربع مائة».

نسخة قديمة كتبت بخط نسخ مشكول. عليها سماعات سنة ٤١٠ لكاتبه سمعه على راويه.

(٧١ـ٨٧) ١٧ ق ١٦ س ١٤ × ١٩ سم.

(فهرس الظاهرية ١ / ١٩٨ ـ ٢٠٠).

والكتاب نشر فى فينا سنة ١٨٨٨ م، وأعاد نشره دكتور أوجست هفنر سنة ١٨٩٥ ببيروت (الأعراب الرواة / ٣٣٢).

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١ / ١٩٨ ـ ٢٠٠، والأعراب الرواة ـ د. عبد الحميد الشلقانى / ٣٣٢).

*** الخيل (كتاب ـ):**

كتاب الخيل: لمحمد بن رضوان المتوفى سنة ٦٥٧ سبع وخمسين وستمائة ولابن أخى حزام محمد بن يعقوب الجيلى المتوفى سنة ... ولأبى جعفر محمد بن حبيب البغدادى المتوفى سنة ٢٤٥ خمس وأربعين ومائتين ولأبى محلم محمد ابن هشام الشيبانى اللغوى المتوفى سنة ٢٤٥ خمس وأربعين ومائتين.

(كشف الظنون ٢ / ١٤١٧).

*** الخيل (كتاب ـ)**

كتاب الخيل لمعمر بن المثنى أبى عبيدة المتوفى سنة ٢١٠ هـ رواية أبى حاتم السجستانى نشره الدكتور فريتس كرنكوى. حيدر آباد الهند سنة ١٣٥٨ هـ.

(الأعراب الرواة ـ د. عبد الحميد الشلقانى / ٣٣٢).

*** الخيل والبيطرة**

من مخطوطات قسم التراث العربى بالكويت وجاء بيانه كما يلى:

المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يعقوب ابن أخى حزام الخطلى (ت ٢٥١ هـ).

أوله: الحمد لله ولى الحمد وأهله مستخلصة لنفسه... أما بعد فإنى لم أذل بعد ما وهب الله لى من المعرفة بآلات الفروسية موهبة لطيف النظر شديد الفحص عن ما (كذا) وضعه أهل النجدة والبأس من ذوى النيات الحسنة.

آخره: يؤخذ صبر ومر واشق وسكبباج ومغات ومقل وجاوشير وصمغ عربى وعلك وكندر وخطمى يدق ناعما ويسحق وينخل ثم يستعمل على الانتشار والأورام نافع إن شاء الله تعالى ولأورام الجوف تسقى الدابة منه بشراب إن شاء الله تعالى. سنة النسخ: ٦٥٤ هـ.

عدد الأوراق: ١٦٠ ورقة.

المسطرة: ١٧ سطرا.

المكتبة: جستر بيتى ـ ٤١٦١

ملاحظات: عنوان المخطوطات (كتاب الفروسية) لأبى عبد الله محمد بن يعقوب. عرف بابن آخى حزام.

وهو مقسم إلى أبواب يبدأ بعد مقدمة طويلة الباب الأول: وهو باب (الحجور) وينتهى المخطوط بباب (ابتداء الركوب وتعليم الفروسية) وهو ناقص الآخر.

ويعد هذا الكتاب من أقدم كتب البيطرة. ومنه عدة مخطوطات فى أماكن كثيرة.

المصادر ـ بروكلمان النسخة العربية ـ ٤ / ٣٢٨.

ـ الأعلام ٧ / ١٤٥.

نسخة ثانية:

أوله: ... أما بعد فإنى لم أزل بعد ما وهب الله لى من المعرفة وما وهب لى من لطيف النظر شديد الفحص إلى ما وصفه أهل النجدة والبأس من ذوى النيات الحسنة.

آخرة: صفة دواء ملين لصلبة الأورام يؤخذ من الشمع عشرة أساتير ومن الزيت عشرة أواق ومن الراتينج والقافونية ثلاثة أساتير يجمع ويطبخ ويصير فى إناء ويستعمل فيما يحتاج إلى تليينه إن شاء الله تعالى نافع. تم الكتاب... ابن أبى حزام الختلى من البيطرة.

سنة النسخ: ٨٦٩ هـ.

عدد الأوراق: ١٤٦ ورقة.

المسطرة: ١٥ سطرا.

المكتبة: جستر بيتى ـ ٣٣١٩.

ملاحظات: صحفته الأولى مطموسة تصعب قراءتها وفى آخره تملك باسم باسم محمد بن حرو.

(فهرس المخطوطات الطبية المصورة / ٧٩، ٨٠).

وقد جاء من مجلة أخبار التراث العربى ما يلى: صدر عن مركز إحياء التراث العلمى بجامعة بغداد كتاب «الخيل والبيطرة» لابن أخى حزام الذى صنفه للخليفة العباسى المتوكل المقتول سنة ٢٤٧ هـ.

حقق الكتاب د. نورى القيسى وهلال ناجى، واعتمدا فى تحقيقهما ثلاث مخطوطات: واحدة محفوظة فى العراق، وثانية فى مكتبة جستر بيتى فى دبلن بأيرلندة، والثالثة مخطوطة تركية. ويقول بروكلمان عن هذا الكتاب إنه أقدم

كتاب وصل إلينا عن بيطرة الخيل عن العرب (أخبار التراث العربى / ١٣).

(فهرس المخطوطات الطبية المصورة، قسم التراث العربى بالكويت ـ تصنيف هيا محمد الدوسرى، مراجعة د. سامى مكى العانى / ٧٩، ٨٠، وأخبار التراث العربى، معهد المخطوطات العربية. القاهرة. جمادى الأولى ـ شوال ١٤١١ هـ ـ نوفمبر ١٩٩٠ م ـ مايو ١٩٩١ م / ١٣).

انظر مادة «البيطرة (علم ـ) فى م ٨ / ١٨٦ ـ ٢٠٠، ومادة «الخيل».

*** الخيل وصفاتها وأنواعها وبيطرتها:**

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى: للملك المجاهد على بن داود الرسولى المتوفى سنة ٧٦٤ هـ.

أوله: نكت مستحسنة. قال جامعها: وجدت تعاليق بخط السلطان الملك المجاهد ... أعنى الدواب كافة والخيل خاصة، وقد علمنا أمورهم وما يفعلون من خدمتهم.

وآخره: وأكثر ما يعيش الفيل عندنا فى اليمن خمسون أو ستون سنة وما دونها والله سبحانه وتعالى أعلم. تم الكتاب.

نسخة بقلم نسخى حسن من القرن العاشر تقديرا.

١٠٠ ورقة		٢١ سطرا		١٤ × ٢٥ سم.

[مكتبة سيف الإسلام عبد الله بصنعاء بدون رقم]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٢ الطب. الكتاب الثانى. القاهرة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م / ٨٨).

*** خَيْلاَم:**

قال ياقوت:

خَيْلاَم: بفتح أوله، وسكون ثانيه: بلدة بما وراء النهر من أعمال فرغانة؛ ينسب إليها الشريف حمزة بن على بن المحسن بن محمد بن جعفر بن موسى الخيلامى من ولد أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، كان فقيها فاضلا، روى عن القاضى أبى نصر أحمد بن عبد الرحمن بن إسحاق الريغذ مونى، روى عنه عمر بن محمد بن أحمد النسفى، مات بسمرقند فى ذى الحجة سنة ٥٣٣.

(معجم البلدان ٢ / ٤١٣).

*** خيمة أم مَعْبد:**

قال ياقوت:

خيمة أم مَعْبد: ويقال بئر أم معبد: بين مكة والمدينة، نزله رسول الله، ﷺ، فى هجرته ومعه أبو بكر، رضى الله عنه، وقصته مشهورة، قالوا: لما هاجر رسول الله، ﷺ، لم يزل مساحلا حتى انتهى إلى قديد فانتهى إلى خيمة متنبذة، وذكروا الحديث، وسمع هاتف ينشد:

جزى الله خيرا، والجزاء بكفه
رفيقين قالا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالهدى ثم تروحا
فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهنئ بنى كعب مكان فتاتهم
ومقعدها، للمؤمنين، بمرصد

وخيمة أم معبد، ويقال لها بئر أم معبد أيضا كان على بن محمد بن على الصليحى الذى استولى على اليمن فى سنة ٤٧٣ عزم على التوجه إلى مكة فى ألفى فارس حتى إذا كان بالمهجم ونزل بظاهر مصنع يقال له أم الدهيم وبئر أم معبد وخيمت عساكره والملوك الذين كانوا معه من حوله فكبسه الأحول بن نجاح صاحب زبيد، فقال عبد الله بن محمد أخو الصليحى: إن الأحول قد دهمنا، فقال: لا تخف فإنى لا أموت إلا بالدهيم وبئر أم معبد، معتقدا أنها أم معبد التى نزل بها رسول الله، ﷺ، حين هاجر ومعه أبو بكر، رضى الله عنه، فقال له مشعل ابن فلان العكى: قاتل عن نفسك، فهذه والله بئر الدهيم بن عنس وهذا المسجد وموضع خيمة أم معبد بنت الحارث العنسى، وقتل الصليحى يومئذ.

(معجم البلدان ٢ / ٤١٤، ٤١٥).

انظر: أم معبد.

*** ابن الخيمى (محمد بن عبد المنعم) (٦٠٢ ـ ٦٨٥ هـ / ١٢٠٥ ـ ١٢٨٦ م):**

قال عنه صاحب فوات الوفيات: محمد بن عبد المنعم ابن محمد، شهاب الدين ابن الخيمى الأنصارى اليمنى الأصل، المصرى الدار. حدث بجامع الترمذى عن ابن البناء المكى، وحدَّث بكثير من مروياته، روى عنه الصقلى

وابن منير وابن الظاهرى، وكان هو المقدم على شعراء عصره مع المشاركة فى كثير من العلوم، وشعره فى الذروة، وكان يعانى الخدم الديوانية، وباشر وقف مدرسة الشافعى ومشهد الحسين، وفيه أمانة ومعرفة، وكان معروفا بالأجوبة المسكتة، ولم يعرف عنه غضب، عاش اثنتين وثمانين سنة، وكانت وفاته بالقاهرة سنة خمس وثمانين وستمائة (فوات الوفيات ٣ / ٤١٣).

وقال عنه صاحب عقد الجمان وقد ذكره فى وفيات سنة ٦٨٥ هـ:

الشاعر الأديب شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد المعروف بابن الخيمى.

كانت له مشاركة فى علوم كثيرة، ويد طولى فى النظم الرائق الفائق، جاوز الثمانين سنة، وقد تنازع هو ونجم الدين ابن إسرائيل فى قصيدة بائية مطلعها:

يا مطلبا ليس لى فى غيره أرب

إليك آل التقصى وانتهى الطلب

فتحاكما إلى ابن الفارض، فأمرهما بنظم أبيات على رويهما، فنظم كل منهما فأحسن، ولكن حكم لابن الخيمى، وكذلك فعل القاضى شمس الدين بن خلكان، رحمه الله (عقد الجمان ٢ / ٣٥٦، ٣٥٧).

قال الزركلى: له «ديوان شعر» مخطوط، منه نسخة نفيسة رأيتها فى مكتبة فلورانسى (الرقم ١٨٦) (الأعلام ٦ / ٢٥٠).

وابن الخيمى كان محمد لقيهم فى القاهرة الرحالة ابن رشيد وسمع عليهم. يقول عنه سماحة الدكتور الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة فى مقدمة تحقيق كتاب «ملء العيبة»:

الأديب البارع والإمام العالم الصوفى المعمر الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن الخيمى سمع الترمذى من أبى الحسن بن البناء، وأجازه زاهر ابن رستم، ومنصور الفراوى، وذكر عنه إجازة هذا الأخير له.

سمع عليه ابن رُشَيْد من جامع الترمذى فى النسخة التى بخط الكروخى من باب ما جاء من البكاء من خشية الله إلى آخر باب الاستئذان ثلاثا، ومن باب ما جاء مثل النبى والأنبياء إلى آخر الكتاب.

وسمع منه أيضا الحديث الثلاثى الوحيد به.

وكذلك حديث ابن عمر: «أنه استأذن النبى ﷺ فى العمرة ...».

وحديث البراء: «إذا أخذت مضجعك ...».

ومسلسل إذا اشتكت عينى.

وحديث أبى هريرة: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ...».

وحديث من قال: «سبحان الله وبحمده ...».

وحديث ابن السرجس: «اللهم أنت الصاحب ...».

وحديث أنس: «يأتى على الناس زمان ...».

وسمع ابن رشيد على ابن الخيمى أيضا جميع ثلاثيات البخارى وعارضها بأصل شيخه ومنها حديث أنس: «إن ابنة النضر...».

وفى أعقاب ذلك أثبت ابن رشيد صفة سماع ابن الخيمى لمثلثات البخارى. ثم ذكر أن آخر حديث فى نسخة الشيخ ليس ثلاثيا كما ظن، ولكنه رباعى فنبه عليه، وذكر طرقه. وهو حديث جرير بن عبد الله «بايعت النبى ﷺ على إقامة الصلاة ...».

وفى نهاية الرسم وصف ابن رشيد شيخه ابن الخيمى بكونه صدرا فى أدباء المصريين فى عصره. له أشعار عذبة المطالع حلوة المقاطع ... وكان قد صحب صدر أدباء المصريين فى عصره شرف الدين ابن الفارض، وكانت بينهما مودة قائمة، وأنه قرأ عليه تائيته وجميع ديوانه. ثم أنشد ابن الخيمى صاحبنا قطعا كثيرة من الشعر لنفسه منها القصيد البارع الذى نازعه فيه النجم الإسرائيلى وقص عليه ما جرى من تحكيم ابن الفارض فى ذلك وحكمه له. وأتبع جميع ذلك ملاحظات رائعة أدبية ومقارنات بديعة شعرية.

وتفصيل ذلك هو ما أورده ابن رشيد حيث يقول عن لقائه لابن الخيمى وسماعاته:

وممن لقيته بمصر الأديب البارع الإمام العالم الصوفى الفاضل المعمر الحسن السمت والصمت أبو عبد الله محمد ابن أبى محمد عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن أحمد اليمانى الأنصارى شهر بابن الخيمى.

لقيته بالقاهرة بإيوان مشهد الحسين بن على رضى الله عنهما.

وكتب لى خطه فى الثامن عشر من شهر رجب من سنة أربع وثمانين وستمائة. وسمعت عليه، وأجاز لى إجازة عامة ولبنى محمد وعائشة وأمة الله.

سمع جامع الترمذى على أبى الحسن ابن البناء عام أحد عشر وستمائة، وأجاز له أبو شجاع زاهر بن رستم الأصبهانى قالا، أنا الكروخى وأنا الترياقى من أوله إلى مناقب ابن عباس ومن مناقب ابن عباس إلى آخره الشيخ أبو المظفر عبيد الله ابن على بن ياسين الدهان قالوا، أنا الجراحى، أنا المحبوبى، عن الترمذى.

وسمعت أنا عليه من هذا الجامع - فى النسخة التى بخط أبى الفتح الكروخى رحمه الله، بقراءة صاحبنا محمد بن عبد الرحمن بن سامة المجتهد الرحال - سلمه الله وحفظه - من باب: ما جاء فى البكاء من خشية الله إلى آخر باب: الاستيذان ثلاثا، ومن باب: ما جاء مثل النبى والأنبياء إلى آخر الكتاب.

وصح ذلك وثبت فى مجالس آخرها يوم الثلاثاء لسبع ليال بقين من رجب سنة أربع وثمانين وستمائة، بمشهد الحسين ابن على رضى الله عنهما، ومن نسخة بخط الكروخى نقلت كتابى والحمد لله.

وسمعت أيضا منه، بقراءة صاحبنا ابن سامة، الحديث الثلاثى. وليس فى الجامع حديث ثلاثى غيره، وقد تقدم كتبه.

(الثلاثيات جملة: منها بمسند الشافعى، وكثير منها فى مسند أحمد، وتنيف عن عشرين حديثا فى صحيح البخارى، وهى حديث واحد عند أبى داود، وعند الترمذى كذلك، وهى خمسة أحاديث فى سنن ابن ماجه لكن من طريق بعض المتهمين. السخاوى ٣ / ١١. والحديث الوحيد الثلاثى المشار إليه هنا أورده الترمذى ٣ / ٣٥٩، ٢٣٦١).

قالت المؤلفة: أوردنا فى م ١١ / ٣٢٢ ــ ٣٢٤ من الثلاثيات ما يأتى: ثلاثيات البخارى / ٣٢٢، ٣٢٣، ثلاثيات الدارمى / ٣٢٣، ثلاثيات سنن ابن ماجه / ٣٢٣، ثلا ثيات عبد بن حميد / ٣٢٣، ٣٢٤، ثلاثيات مسند أحمد ابن حنبل / ٣٢٤ فانظرها فى مواضعها.

ونعود إلى ابن رشيد الذى يقول:

انا ابن الخيمى سماعا عليه، أنا ابن البناء سماعا وأبو شجاع الأصبهانى إجازة قالا، أنا الكروخى، أنا الأشياخ الثلاثة أبو عامر الأزدى، والغورجي والترياقى، أنا الحرانى، أنا المحبوبى، أنا الترمذى، نا سفيان بن وكيع قال: نا أبى، عن سفيان، عن عاصم بن عبيد الله، عن سالم، عن ابن عمر:

«أنه استأذن النبى ﷺ فى العمرة. فقال: أى أخى، أشركنا فى دعائك ولا تنسنا».

حديث حسن صحيح.

وبالإسناد من المسموع، نا سفيان بن وكيع قال، نا جرير، عن منصور، عن سعد بن عبيدة قال، حدثنى البراء، أن النبى ﷺ قال:

«إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قال: اللهم أسلمت وجهى إليك، وفوضت أمرى إليك، وألجأت ظهرى إليك، رغبة ورهبة إليك. لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت. فإن مت فى ليلتك مت على الفطرة. قال: فرددتهن لأستذكره. فقلت: آمنت برسولك الذى أرسلت. فقال: ؛ قال: آمنت بنبيك الذى أرسلت».

وهذا حديث حسن صحيح، قد روى من غير وجه عن البراء. ولا نعلم فى شىء من الروايات ذكر الوضوء إلا فى هذا الحديث.

(راجع الترمذى ٥ / ٢٢٧، ٣٦٤٥. وقد أخرجت الجماعة هذا الحديث وهو مختلف اللفظ رواه البخارى ومسلم وأهل السنن. وفى بعض رواياته «فإن مت فى ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به» وفى رواية للبخارى: «فإن مت من ليلتك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبت. خيرا» الشوكانى. التحفة: ٨٥).

وبالإسناد من المسموع، وهو من مسلسلات الترمذى بالتحديث، نا عبد الوارث بن عبد الصمد قال، حدثنى أبى

قال، نـا محمد بـن سالم قـال، نا ثابـت البنانـى قـال، قال لـى:

«يامحمـد، إذا اشتكيت فضع يدك حيث تشتكى، ثم قل باسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعى هذا. ثم ارفع يـدك ثم أعد ذلك وتـرا فإن أنس بن مالك حـدثنى أن رسول الله ﷺ حدثه بذلك.

هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وبالإسناد من المسموع، نا الأنصارى قال، نا معن قال، نا مالك، عن سمى، عن أبى صالح، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهـو على كل شىء قدير، فى يـوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنـه مائة سيئـة، وكان لـه حرزا من الشيطـان يومـه ذلك حتى يمسى. ولم يأت أحد بأفضل ممـا جاء به إلا أحـد عمل أكثر من ذلك».

قـال الترمذى: وبهـذا الإسنـاد عن النبى ﷺ: «من قـال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطـاياه، وإن كانت أكثر من زبد البحر».

هـذا حديث حسن صحيـح (راجع الترمـذى ٥ / ١٧٥، الـدعـوات، باب ٦١، حـديث ٣٥٣٥، ومثلـه حـديث ابن عياش أخـرجه أبو داود والنسائى، وحـديث أبى أمامة أخـرجه الطبرانى بإسنـاد رجاله رجال الصحيح. الشوكـانى. التحفة: ٦٤، وخـرج التسبيح المذكـور ثانيـا مسلم باعتبـاره طرفـا من حديث أبى هريرة السابق الـذى تختلف روايته عما هاهنا عند البخارى ومسلم الشوكانى التحفة ٧٥، ٧٦).

وبالإسناد إلـى الترمذى من المسموع، نا أحمـد بن عبدة الضبى بصرى قال، نا حماد بن زيد، عن عاصم الأحول، عن عبد الله بن سرجس قال:

«كان النبى ﷺ إذا سـافر يقول: اللهـم أنت الصاحب فى السفر والخليفـة فى الأهل، اللهم اصحبنا فى سفرنـا واخلفنا فى أهلنـا، اللهم إنى أعـوذ بك من وعثـاء السفـر، وكـآبـة المنقلب، ومن الحور بعـد الكور، ومن دعـوة المظلوم، ومن سوء المنظر فى الأهل والمال».

هذا حـديث حسن صحيح. ويـروى: الحور بعـد الكون أيضا. ومعنى قولـه: الحور بعد الكون، أو الكور، كـلاهما له وجه. يقـال: إنما هو الـرجوع من الإيمـان إلى الكفر، أو من الطاعة إلى المعصية. إنما يعنى من رجوع شىء إلى شىء من الشـر (راجع الترمـذى ٥١ / ١٦١، الدعـوات، بـاب ٤٢، حديث ٣٥٠٢).

وقع هذا الحديث للترمذى رباعيا، وهو من عـواليه، وله نظـائر فى الجامع. وليـس له حـديث ثـلاثى إلا واحد. وقـد سمعتـه كمـا تقدم على شيخنـا ابن الخيمى، ولنعـده ليكـون حاضرا بين اليدين:

نا إسماعيل بن موسى الفزارى ابن ابنة السدى الكوفى، نا عمر بن شاكر عن أنس بن مالك قال:

«قال رسول الله ﷺ: يأتى على الناس زمان، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر».

هذا حديث غـريب من هذا الوجه، وعمـر بن شاكر روى عنـه غيــر واحـد من أهل العلم. وهـو شيـخ بصـرى (راجع الترمذى: ٣ / ٣٥٩، الوصايا، باب ٦٢ الحديث ٢٣٦١).

ومما سمعت عليـه أيضا: جميع ثلاثيات الإمـام أبى عبد الله البخارى، بقراءة صاحبنا المحـدث النبيل الرحال أبى عبد الله محمد بن عبـد الرحمن بن سامة الـدمشقى. وذلك بإيوان مشهد الحسين من القاهرة، فى يـوم الثلاثاء الثالث والعشرين لرجب عام أربعة وثمانين وستمائة.

قيل له: أخبـركم الشيخ الإمام الفقيه العالم المحـدث نور الدين أبو عبـد الله محمد بن أبى المعالى عبـد الله بن موهوب الصوفى البغـدادى المعروف بـابن البناء يـوم الخميس الثامن عشر من رجب سنـة سبع وستمائة، بالخـانقاه بالقـاهرة وأنت تسمع، فقال: نعم ـ قال، أنـا الشيخ أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزى الصـوفى قراءة عليـه وأنا أسمع فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، أنـا أبو الحسن عبد الرحمن ابن محمد بن المظفـر الداوودى البـوشنجى، أنا أبـو عبد الله محمد البخـارى، وذكر جميع الثـلاثيات. وعـارضت بأصله أعنى بأصل ابن الخيمى.

منهـا: نا محمـد بن عبد الله الأنصـارى، نا حميـد، عن أنس:

«أن ابنة النضر لطمت جاريـة فكسرت ثنيتها، فأتوا النبى ﷺ فأمر بالقصاص» (البخارى ٤ / ١٩٠).

صفة سماع شيخنا ابن الخيمي رضي الله عنه. شاهدت على أصله ما مثاله:

سمع جميع هذا الجزء وهو مثلثات البخارى على الشيخ الإمام الصالح المحدث نور الدين أبى عبد الله محمد بن أبى المعالى عبد الله بن موهوب الصوفى البغدادى المعروف بابن البناء، بالإسناد المذكور فى أوله، صاحبه الفقيه الأجل تقى الدين فخراور بن عثمان بن محمد الدورقى، ومحمد ابن الفقيه الورع أبى محمد عبد المنعم بن محمد الأنصارى، والشيخ عبيد بن حسام الخيى وسهرار بن قتبان المصرى، وكاتب السماع أبو بكر بن عثمان بن إسماعيل السلماسى، فى يوم الخميس الثامن من رجب سنة سبع وستمائة. والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله.

وكتب الشيخ تحته:

السماع صحيح والقراءة أيضا. وكتب محمد بن البناء البغدادى الصوفى فى تاريخه. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كثيرا.

وكان عند شيخنا ابن الخيمي، فى كتابه فى جملة الثلاثيات، هذا الحديث الذى نورده. وهو آخر حديث ثبت عنده فى الجزء. ولم يقع لنا فى الثلاثيات من طريق غيره، إلا ما ذكر شيخنا أبو الحسن بن عبد الكريم من أن ثبت أيضا فى نسخة شيخه أبى الحسن بن الجميزى من طريق ابن سلامة:

نا محمد بن المثنى، نا قيس، عن جرير بن عبد الله الأنصارى أنه قال:

«بايعت النبى ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم» انتهى.

فانظر كيف وقع هذا الإسناد فى البخارى. فلعله سقط منه رجل نظرت إليه، وجعله فى الثلاثيات غلط. وقد أخرجه البخارى فى الصلاة عن أبى موسى محمد بن المثنى، عن يحيى بن سعيد (انظر البخارى: ١/ ١٠١، ٢٣٤) وفى الزكاة عن محمد بن عبد الله بن نمير، عن أبيه (يعنى أبا هشام عبد الله بن نمير الهمدانى الخارقى ١١٥ ـ ١٩٩ هـ/ ٧٣٤ ـ ٨١٤ م) وفى البيوع عن على بن عبد الله المدينى. عن ابن عيينة (انظر البخارى ٢/ ١١٦) وفى الصلاة أيضا وفى الشروط عن مسدد بن مسرهد، عن يحيى بن سعيد القطان (ورد بمثل هذا السند فى آخر كتاب الإيمان. انظر البخارى ١/ ٢٠).

كلهم، عن إسماعيل، عن قيس. / فاعلم ذلك وبالله التوفيق.

وشيخنا ابن الخيمي هذا صدر فى أدباء المصريين فى عصره، له أشعار عذبة المطالع، حلوة المقاطع، تستميل السامع والمطالع، كأنما يفرغ منها فى أصداف الآذان درا، أو يلقى فى الأفواه سكرا أو قطرا. وكان قد صحب صدر أدباء المصريين فى عصره شرف الدين ابن الفارض ويقال: ابن المفرض، وحمل عنه شعره.

سمعت شيخنا شهاب الدين بن الخيمي يقول: سمعت جميع ديوان شعر شرف الدين ابن المفرض عليه، والقصيدة التائية (هما تائيتان صغرى وكبرى. الأولى طالعها:

نعم بالصبا قلبى صبا لأحبتى
فيا حبذ ذاك الشذا حين هبت

والثانية هى المعروفة بقصيدة نظم السلوك وأولها:

سقتنى حميا الحب راحة مقلتى
وكأسى محيا من على الحسن جلت

ولعل المقصود من التائية المسموعة هذه) قال: وكان إذا نظم شيئا من شعره عرضه على، رضى الله عنه.

وصحب أيضا غيره من أدباء المصريين.

وسمعته أيضا يقول: أجاز لى جميع رواياته منصور الفراوى، وقد سمع على بهذه الإجازة، وهو أبو الفتح منصور ابن أبى المعالى عبد المنعم بن أبى البركات عبد الله ابن الإمام أبى عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الصاعدى الفراوى.

أنا ابن الخيمي بالإجازة المذكورة قال، أجاز لنا منصور الفراوى قال، أنا جد أبى أبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الصاعدى الفراوى، أنا أبو الحسين عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسى، أنا أبو أحمد محمد بن عيسى ابن عمرويه الجلودى، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه قال، نا أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى، حدثنا يحيى بن يحيى قال، قرأت على مالك، عن نافع، عن ابن عمر:

«أن رسول الله ﷺ نهى عن النجش» (انظر مسلم ٣ / ١١٥٦، ١٥١٦).

وبه إلى مسلم، نا عبد الله بن مسلمة القعنبى، نا مالك؛ ونا يحيى قال: قرأت على مالك، عن نافع، عن ابن عمر:

«أن رسول الله ﷺ قال: من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يستوفيه (انظر مسلم ٣ / ١١٦٠، ١٥٢٦).

الحديثان من صحيح مسلم. وبهذا الإسناد يروى شيخنا شهاب الدين جميعه (ملء العيبة ٣ / ٧٣ - ٧٥، ١٩١ - ٢٠١).

ومن شعره: قال ملغزا فى الملعقة:

وممدودة كيد المجتدى
بكف على ساعد مسعد
ترى بعضها فى فمى كاللسان
وجملتها فى يدى كاليد

(فوات الوفيات ٣ / ٤٢٣).

ويمكنك إذا أردت الوقوف على شعره الرجوع إلى ملء العيبة ٣ / ٢٠٢ - ٢٠٩، وإلى فوات الوفيات ٣ / ٤١٤ - ٤٢٤.

(فوات الوفيات والذيل عليها لابن شاكر الكتبى - تحقيق د: إحسان عباس ٣ / ٤١٣، ٤٢٣، وعقد الجمان لبدر الدين العينى - حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ٢ / ٣٥٦، ٣٥٧، والأعلام للزركلى ٦ / ٢٥٠، وملء العيبة بما جمع بطول الغيبة لابن رشيد - تقديم وتحقيق سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ٣ / ٧٣ - ٧٥، ١٩١ - ٢٠١).

*** ابن الخيمى (محمد بن على) (٥٤٩ - ٦٤٢ هـ / ١١٥٤ - ١٢٤٥م):**

قال عنه الحافظ السيوطى:

محمد بن على بن على بن على بن المفضل بن القامغار الحلى مهذب الدين أبو طالب بن الخيمى.

قال الأدفوى فى البدر السافر: كان إماما فى اللغة، أديبا شاعرا، دخل بغداد، وسمع بها من الزاغونى، وتأدب بابن القصار وابن الأنبارى، وأخذ عن الكندى بدمشق، وله مصنفات.

روى عنه المنذرى، وقال فى تاريخه: شاعر مفلق، وأديب بارع؛ له تصانيف حسنة.

ولد فى ثامن شوال سنة تسع وأربعين وخمسمائة بالحلة المزيدية، ومات يوم الأربعاء فى العشرين من ذى القعدة سنة اثنتين وأربعين وستمائة بالقاهرة؛ ودفن بسفح المقطم.

وأنشدنى لنفسه (فى رثاء ثغر دمياط):

ولقد بكيت لثغر دمياط دمًا
ووجدت وجد الفاقد المحزون
أرض العبادة والزهادة والتقى
وتلاوة القرآن والتأذين
وبثت وأوبأها العدو، فأهلها
شهداء بين الطعن والطاعون

وله يرثى الحافظ أبا الحسن على بن المفضل المقدسى:

أبكى وحق لناظرى غرقه
إن الحديث توعرت طُرُقُه
سفَت الرياح على معالمه
فعفت وأصبح مظلما أفقه
وغدت معطلة محابره
بعد النبيه وفُرِّقت فرقه
ونسوا روايته وهل غصن
يذوى فيلبث بعده ورقه!

وقال ابن النجار: كان نحويا فاضلا، كامل المعرفة بالأدب، حسن الطريقة، متدينا متواضعا؛ وله مصنفات كثيرة.

ذكر لى أنه قرأ الأدب على فرسان الحلى، وابن الخشاب، وابن القصار، وابن الأنبارى، وابن الدباغ، وابن عبيد، والبندنيجى، وابن أيوب، وابن حميدة، وأبى الحسن بن الزاهد ببغداد، وعلى الكندى بدمشق (بغية الوعاة ١ / ١٨٤).

وقد صنف ابن الخيمى مصنفات كثيرة، منها:

١ - كتاب الأربعين والأساميات.
٢ - كتاب استواء الحاكم والقاضى.
٣ - اسطرلاب الشعر.
٤ - أمثال القرآن.
٥ - الجمع بين الأخوات والمحافظة عليهن وهن مسيئات.
٦ - جهينة الأخبار وجُنينة الأذكار. لخصها من «أنيس المسافر وجليس الحاضر».
٧ - كتاب حرف فى علم القرآن. كذا ذكره الصفدى. وفى البغية «كتاب حروف القرآن».

٨ ـ الديوان المعمور فى مدح الصاحب .

٩ ـ الرد على الوزير المغربى .

١٠ ـ شرح لفظة التحيات ، وفى البغية «شرح التحيات لله» (قالت المؤلفة : أوردناها فى مادة «التحية» فى م ٩ / ٧٥ ، ٧٦ فانظرها فى موضعها) .

١١ ـ كتاب صفات القبلة مجملة ومفصلة .

١٢ ـ كتاب قد .

١٣ ـ كتاب الكلاب المكلَّبين . وسماه فى معجم المؤلفين ١١ / ٢٩ «نزهة الملك فى وصف الكلب» .

١٤ ـ كتاب لزوم الخمس .

١٥ ـ كتاب المطاول فى الرد على أبى العلاء المعرى فى مواضع سها عنها ستة .

١٦ ـ كتاب المقصورة .

١٧ ـ المخلص الديوانى فى علم الأدب والحساب ، وفى البغية «الملخص ... » .

١٨ ـ رسالة من أهل الإخلاص والمودة إلى الناكثين من أهل الغدر والردة .

١٩ ـ كتاب المؤانسة فى المقايسة . كذا فى البغية ، وعند الصفدى «كتاب المقايسة» .

٢٠ ـ كتاب يحيى .

ويبدو من هذه المصنفات ــ التى لم تصل إلينا ـ عدا رسالة التحيات ، أن ابن الخيمى غلب عليه الاهتمام بالأدب واللغة والشعر ، وأنه رد على أبى العلاء المعرى ، وعلى الوزير المغربى . وهذا يدل على علو كعبه فى اللغة والأدب .

ونجد عند ابن خلكان قطعتين من شعره ، الأولى جواب عن قصيدة أرسلها إليه التاج الكندى من دمشق إلى القاهرة ، والثانية قطعة قالها بدمشق فى رجل خُلقت نصف لحيته (ثلاث رسائل / ٤٢ ، ٤٣) .

قال ابن النجار : وسمعته يقول : لما توفى أبو عثمان الفقيه الشارعى بالقاهرة لقينى بعض الأشعرية فذكره بما يذكر الأشعرية الحنابلة ، ونهانى على الصلاة عليه ، فإنى تلك الليلة نائم ، إذ رأيت اثنين فأنشدانى :

صل على المسلمين جمعا
واغتنم الوقت قبل فوته
من ذا الذى ليس فيه شىء
يقوله الناس بعد موته !

فاستيقظت وكتبتهما ، وصليت عليه (بغية الوعاة ١ / ١٨٥) .

(بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين السيوطى ــ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ١٨٤ ، ١٨٥ ، وثلاث رسائل فى اللغة ـ تحقيق د. صلاح الدين المنجد / ٤٢ ، ٤٣ . انظر أيضا الأعلام للزركلى ٦ / ٢٨٢) .

*** الخيوشانى (٥١٠ـ٥٨٧ هـ):**

ذكره السيوطى فيمن كان بمصر من الفقهاء الشافعية وقال عنه :

الخيوشانى نجم الدين أبو البركات محمد بن سعيد بن على . كان فقيها فاضلا ، كثير الورع ، وبه يضرب المثل فى الزهد . تفقه على محمد بن يحيى تلميذ الغزالى . وألّف تحقيق المحيط فى شرح الوسيط فى ستة عشر مجلدا ، وتفقه بالمدرسة الصلاحية المجاورة لضريح الإمام الشافعى . وكان شيخها وناظرها ، وله بنيت . وُلِد فى رجب سنة عشر وخمسمائة ، ومات يوم الأربعاء ثانى عشر ذى القعدة سنة سبع وثمانين ، ودفن فى قبة مفردة تحت رجلى الإمام الشافعى (العبر ٤ / ٢٦٢ ، واسمه هناك : «محمد بن الموفق») .

(حسن المحاضرة للحافظ السيوطى ــ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١٥ / ٤٠٦ ، ٤٠٧ وهامش (١) للمحقق) .

*** خيوق:**

انظر: خيوة

*** خيوة:**

أوردها ياقوت تحت اسم «خيوق» فقال :

خيوق : بفتح أوله وقد يكسر ، وسكون ثانيه ، وفتح الواو ، وآخره قاف : بلد من نواحى خوارزم وحصن ، بينهما نحو خمسة عشر فرسخا ، وأهل خوارزم يقولون خيوة وينسبون إليه الخيوقى ، وأهلها شافعية دون جميع بلاد خوارزم فإنهم حنفية ؛ وهو من شذوذ الكلام لأن الواو صحت فيه وقبلها ياء ساكنة والأصل أن تقلب وتدغم ، ومثله فى الشذوذ حيوة اسم رجل ، والله أعلم (معجم البلدان ٢ / ٤١٥) .

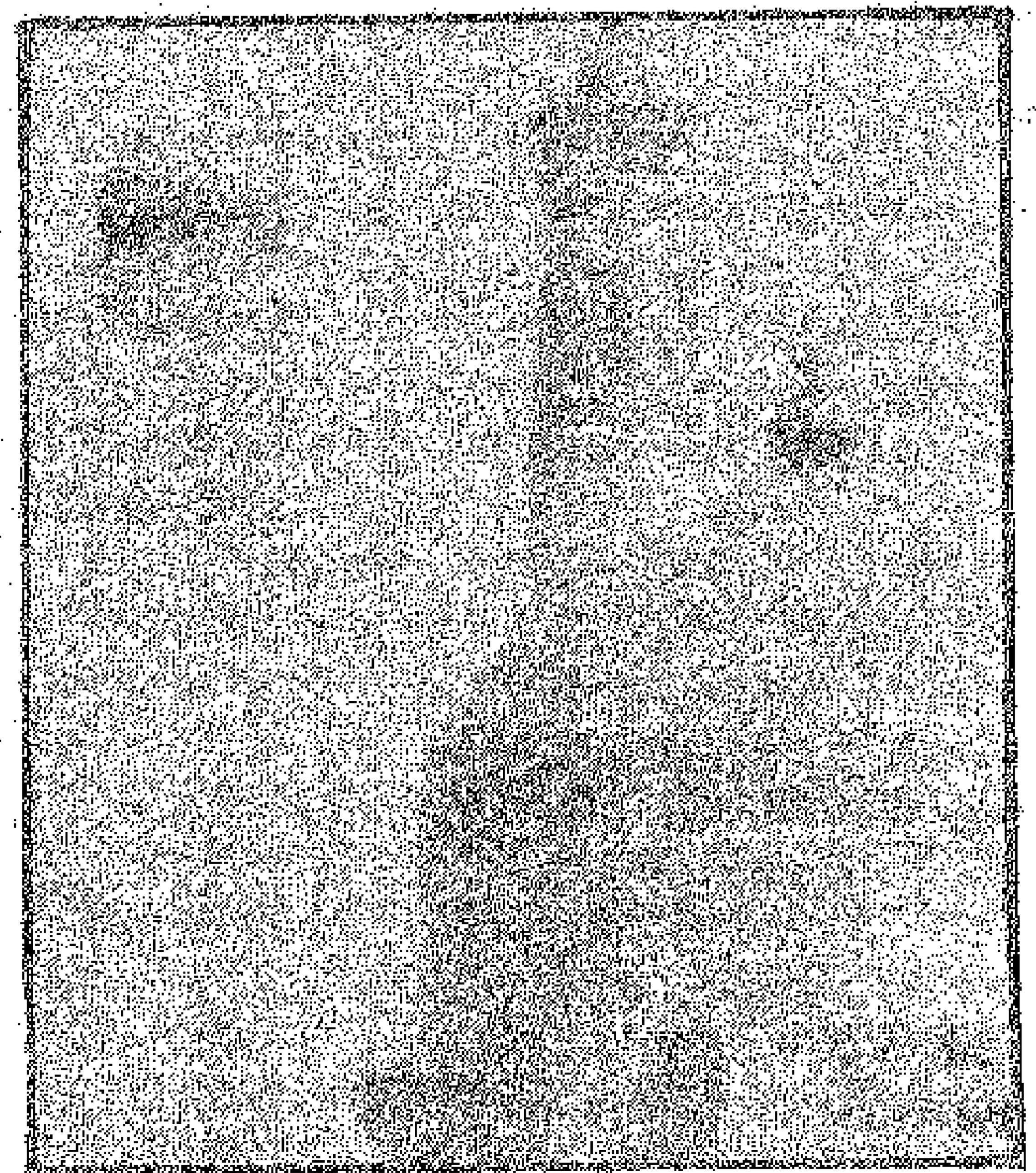
يقول الدكتور نعمة الله إبراهيموف فى كتابه «الآثار الإسلامية فى أوزبكستان» (ص ١٣ ـ ١٥) :

خيوة عاصمة خوارزم من القرن السابع عشر . وتنقسم المدينة إلى قسمين داخلى «إيشان قلعة» حيث الآثار المعمارية وخارجى «ديشان قلعة» حيث يسكن الأهالى اليوم . والمنظر الأسطورى الشرقى للمدينة يمكن مشاهدته من فوق المنارة أو أسوارها التى ترتفع عالية فوق أزقة المدينة الضيقة وبوابات المبنى الأثرى الضخم الذى تلتف حوله مربعات

الأبنية المتكاملة مع بعضها البعض بصفوف الآجر مربع الشكل المغشى بالأحزمة والنقوش.

وفى مركز المدينة يرتفع المسجد الجامع ـ بأعمدته الرائعة الكثيرة، والتى ترجع إلى «القرن الثامن عشر الميلادى» ـ أحد أجمل المبانى الأثرية فى آسيا الوسطى، وإلى جانبه المنارة المشيدة خلال القرن التاسع الميلادى. زخارف زاهية وكتابات منمقة تغطى بناء مدرسة «شيردار غازى خان» «عامى ١٧١٨ ـ ١٨٧٢م» ومدرسة «كتلوك مراد إيناك» بشكلها الفريد، وأبنية ضريح «بهلوان محمود»، و «علاء قولى خان» «القرن ١٩ م» وقصر «طاش حوالى» «عام ١٨٣٠ ـ ١٨٣٨ م».

بيوت خيوة البالغة من العمر ٢٥٠٠ عام المبنية من الطين خربتها الكوارث الطبيعية والسياسة السوفيتية الملحدة الظالمة وبعد انتشار استخدام الحجارة والآجر المشوى فى البناء أضيفت التسمية «طاش» للمبانى وتعنى حجراً لتمييزها عن سائر المبانى الأخرى، ومنها طاش حولى، أى القصر الحجرى الذى شيد بأمر من «خان خيوة الله قولى» عام ١٨٢٦ ـ ١٨٤٢ م، ويضم هذا القصر ثلاثة مبان كبيرة موشاةبالنقوش والكتابات والأعمدة الخشبية المحفورة، وهى: «أرض حولى» وهو المكان المعد لاستقبال السفراء والمراجعين. و «عشرت حولى» مكان الراحة والولائم والمباريات الشعرية والموسيقية وحفلات الزواج. و «الحرم» مكان إقامة الخان ـ وزوجاته وأولاده وأقاربه. إضافة لـ ١٦٣ غرفة مخصصة لمختلف الأغراض.



خيوه. منظر لقبة ضريح «بهلوان محمود» عام ١٨٣٥، ومئذنة «إسلام خوجه» عام ١٩١٠



خيوه. مدينة اثرية ومنظر لقلعة «ايتشان»

وفى خيوة أيضا «طاش كوبير»، أى الجسر الحجرى الذى شيد فى القسم الشمالى من «إيشان قلعة» على قناة «سير شالى»، إبان «حكم الله قولى خان» ـ وتالى مسجد الذى شيد فى عهد سعيد محمد خان «عام ١٨٥٥ ـ ١٨٦٥ م» والد محمد رحيم الثانى «فيروز» عام «١٨٦٥ ـ ١٩١٠م» وتشتهر المدينة بآبارها الحجرية «طاش كيو» المميزة عن الآبار العادية. بمواد بنائها، وهنا يجدر بنا أن نذكر قرية سانغار موطن ناحتى الحجارة بالقرب من خيوة حيث يستخرج المرمر وهناك يعيش أحفاد النحاتين الذين نفذوا المبانى الحجرية فى المدينة، ولكن للأسف فقدت هذه المهنة بريقها خلال الحكم الستالينى (المسلمون فى آسيا الوسطى ٢ / ٢٢٦ ـ ٢٢٨).

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٤١٥، والمسلمون فى آسيا الوسطى ـ إعداد مصطفى دسوقى كسبة. هدية مجلة الأزهر. رجب ١٤١٤ هـ/ ٢٢٦ ـ ٢٢٨).

انظر الخريطة المصاحبة لمادة «خراسان» فى م ١٥ / ٣٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تم بحمد الله تعالى وعونه

حرف الخاء

ويليه بمشيئة الله تعالى

حرف الدال

أعان الله على إتمامه

حرف الدال

*** الدال:**

صوت الـدال هو النظير المجهور للتـاء، وليس بينهما من فرق إلا أن الوترين الصوتيين يتـذبذبان مع الدال أثناء النطق. فالدال صوت أسناني ـ لثوى انفجارى مجهور (علم الأصوات / ١٠٢)ولهـا ست صفـات: الجهـر، الشـدة، الاستفـال، الانفتـاح، الإصمـات، القلقـلة (ملخـص أحكام التجويـد / ١٠٨).

- وجاء فـى اللسان: الدال حـرف من الحـروف المجهورة، ومن الحروف النطعية وهى والطـاء والتاء فى حيز واحد (اللسان ١٥ / ١٣١٠) (يـلاحظ أن علم اللغة الحـديث يستخـدم لفظ «صوت» هنا بدلا من «حرف»).

ويتناول الإمام الصفاقسى صوت الدال من صحة نطقه فى تلاوة القرآن الكريم فيقول:

الدال تخـرج من المخرج الثامن من مخارج اللسـان وهو حـرف مجهـور شـديـد مقلقل مستفـل منفتح مصمت مـرقق متوسط إلا أنه إلى القوة أقرب.

ويقع الخطأ فيها من أوجه منها إبدالها تاء فى نحو مزدجر وتزدرى لأن أصلها فى مثل هذا التاء فـربما مال اللسان به إلى أصلـه وبعض الجهلة يبـدله تـاء إذا شدده نحـو الدين وادكـر ومدكر وهذا كله لحن جلى لا تحل القراءة به، ومنها تفخيمها وأكثر مـا يقع لهم إذا أتى بعدها ألف نحو دابـة وداود أو حرف استعلا أو راء نحو دخلوا وصـدق والدرك، وأحرى إذا اجتمعا نحـو الداخلين والـدار، ومنها عـدم بيانهـا وبيان قلقلتهـا إذا سكنت نحو القدر والعدل لقد لقينـا والودق ويدفع ويدخلون لقد رأى، لا سيما إن تكـررت نحو اشدد ومن يرتـدد لصعوبة المكـرر على اللسان وكـذلك إذا أتى بعـدهـا نون نحـو أدنى وواعدنـا فوجـدنا وصددنـاكم ولقد نصـركم وزدنا، لأنهـا لما قـربت من النـون فى المخـرج وشاركتهـا فى بعض الصفـات فـربمـا تخفى إذا سكنت النـون وأحـرى أن جـاورتهـا فيجب التحرز من ذلك وبيان شدتها وجهرها وقلقلتها إلا أنه لا ينبغى المبالغة فى ذلك حتى يصير كالمشـدد كمـا يفعله كثيـر فإن سكن الـدال وجاء بعـده مثله أو تـاء وجب الإدغـام نحو وقـد دخلـوا لقد تـاب ومهَّـدت ووعـدتهم واحرص علـى إظهارهـا وقلقلتها فى ص فاتحـة مريم لئلا تدغم فـى ذال ذكر إن قرأت بالإظهار. (تنبيه الغافلين / ٥٧، ٥٨).

وتدغم الدال إدغاما صغيرا فى الأصوات الآتية:

١ ـ الذال: مثل قوله تعالى: ﴿**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس**﴾[الأعراف: ١٧٩] وهنا لا بد من انتقال مخرج الدال إلى الأصوات اللثوية، ثـم السماح للهواء بـالمرور فى حالة النطق بها، لتصبح رخوة كالذال، وهكذا يتم الإدغام.

٢ ـ الظـاء: مثل قولـه تعالى ﴿**ومن يفعل ذلك فقـد ظلم نفسه**﴾[البقرة: ٢٣] إذا جـاز إدغام الدال فى الـذال كما فى المثال السابق، جاز إدغامها أيضا فى الظاء، لأنه لا فرق بين الذال والظاء إلا فى الإطباق.

٣ ـ الضاد: مثل قـولـه تعالى: ﴿**قد ضلوا ضلالا بعيدا**﴾ [النساء: ١٦٧] إذا افتـرضنا أن النطق بالضاد فى هـذا المثال هو النطق القديم كان الإدغام هنا كالإدغام فى المثال السابق،

الدال: شكل مركب من خطين منكب
ومنسطح ومجموعهما مساو للألف
وبعضهم يقول إنها من ثلاثة خطوط
منكب ومنسطح ومستدير يريد
الدال المجموعة وصحتها أن تصل طرفيها
بخط فيكون مثلثا متساوي الأضلاع

أسماء الدال وأنواعها

أو بعبارة أدق أشبهه شبها كبيرا؛ أما على افتراض أن نطق الضاد هنا كالنطق الحديث لها، فليس هناك حينئذ فرق بين الدال والضاد إلا فى الإطباق.

٤ ـ «الجيم»: مثل قوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ [التوبة: ١٢٨] ينقل مخرج الدال إلى وسط الحنك، مع السماح قليلا بمرور الهواء، وبذلك تقل شدتها فتشبه الجيم، وهكذا يتم الإدغام.

٥ ـ «الشين»: مثل قوله تعالى: ﴿قد شغفها حبا﴾ [يوسف: ٣٠] الإدغام هنا كالإدغام فى المثال السابق، غير أن الدال هنا يجب همسها، لأن الشين صوت مهموس.

٦ ـ «السين»: مثل قوله تعالى ﴿قد سألها قوم من قبلكم﴾ [المائدة: ١٠٢] لابد هنا من همس الدال والسماح للهواء معها بالمرور لتصبح رخوة، وبذلك تماثل السين فى الهمس والرخاوة.

٧ ـ «الزاى»: مثل قوله تعالى: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ [الملك: ٥] لجواز الإدغام هنا يجب أن يسمح للهواء بالمرور مع الدال لتصبح رخوة، وهكذا تشبه الزاى فى المخرج والرخاوة والجهر.

٨ ـ «الصاد»: مثل قوله تعالى: ﴿ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل﴾ [الإسراء: ٨٩] إدغام الدال هنا كإدغامها فى السين، لأنه لا فرق بين السين والصاد إلا فى الإطباق.

قاعدة هندسة الدال واتجاه سير القلم

٩ ـ «الثاء»: مثل قوله تعالى: ﴿ومن يرد ثواب الدنيا﴾ لا بد هنا من همس الدال، وجعلها رخوة، مع الانتقال بمخرجها إلى الأصوات اللثوية (الأصوات اللغوية / ١٣١ ـ ١٣٣).

كانت هذه الأوصاف على المستوى الصوتى، أما على المستوى الخطى فقد أثرنا نقل صورة عن كيفية كتابة حرف الدال كما كتبها بخطه الأستاذ يحيى سلوم العباسى الخطاط (انظر ثبت المراجع).

ويحصى الإمام الفيروزابادى الكلمات المفتتحة بحرف الدال على النحو التالى وذلك فى الباب التاسع من بصائره:

وهى: الدال، والدب، والدبر، والدثر، والدحر، والدحض، والدحو، والدخر، والدخل، والدخن، والدر، والدرج، والدرس، والدرك، والدرى، والدرء، والدس، والدسر، والدسى، والدع، والدعاء، والدفع، والدفق والدف، والدك، والدل، والدلو، والدلك، والدمر، والدمع، والدمغ، والدنيا، والدنو، والدهر، والدهق، والدهم، والدهن، والدأب، والدور، والدول، والدوام، والدون، والدين.

ثم يحصى أوجه ورودها فى القرآن الكريم واللغة والعرف فيقول:

وهى ترد فى القرآن واللغة والعرف على عشرة أوجه:

الأول: حرف من حروف التهجى مخرجه من طرف اللسان قرب مخرج التاء، يجوز تذكيره وتأنيثه. تقول منه: دولت دالا حسنا وحسنة. وجمع المذكر أدوال كمال وأموال، وإذا أنثت جمعت دالات كحال وحالات.

الثانى: الدال فى حساب الجمل اسم لعدد الأربعة.

الثالث: الدال الكافية وهى التى تقتصر عليها من كلمة أولها الدال، كقول الشاعر:

أتيت إبراهيم فى حاجة
فقال لى خذها أخى دالا
فقلت دال درهم أم دال دينا
ر فبين قال لى لالا

الرابع: الدال المكررة فى مثل عدد ومدد.

الخامس: الدال المدغمة فى مثل عد ومد.

السادس: دال العجز والضرورة كما يأتى الألكن بالدالات الزائدة فى أثناء كلامه.

السابع: الدال المشتق من الدلالة. والدلال تقول فى اسم الفاعل: دال دالان.

الثامن: الدال الأصلى فى نحو دبر وبدر وبرد.

التاسع: الدال المبدلة من التاء إذا كان بعد جيم، نحو قوله تعالى: ﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾ [يوسف: ٦] وقرئ فى الشاذ (يجدبيك) وقال الشاعر:

فقلت لصاحبى لا تحبسنَّا

بنزع أصوله واجدز شيحا

أى اجتز.

(الشاعر هو مضرس بن ربيعى الأسدى. يذكر فى أبيات قبله أنه أعد لحما يشويه لأصحابه. ويذكر فى هذا البيت أنه أمر صاحبه بجمع الحطب للشى وأمره أن يسرع فلا يتلبث حتى ينزع أصول الشجر، بل يأخذ القضبان وأن يجتر الشيح، وهو نبت سهل الجز والقطع).

العاشر: الدال اللغوى. قال الخليل: الدال عندهم: المرأة السمينة.

قال الشاعر:

مهفهفة حوراء عطبولة

دال كأن الهلال حاجبها

(بصائر ٢ / ٥٨٣، ٥٨٤).

(علم الأصوات ـ د. كمال محمد بشر / ٢ / ١، وملخص أحكام التجويد ـ د. شعبان محمد إسماعيل / ١٠٨، ولسان العرب لابن منظور ١٥ / ١٣١٠، وتنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين لأبى الحسن على بن محمد النورى الصفاقسى / ٥٧، ٥٨، والأصوات اللغوية ـ د. إبراهيم أنيس / ١٣١ ـ ١٣٣، وبصائر ذوى التمييز للإمام الفيروزابادى ـ تحقيق الأستاذ محمد على النجار ٢ / ٥٨٣، ٥٨٤، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص).

*** الداء:**

الداء: المرض ظاهرا أو باطنا، والعيب ظاهرا أو باطنا. ويقال فلان ميت الراء: لا يحقد على من يسيء إليه. وداء الأسد: الحُمَّى، وداء الظبى: الصحة والنشاط. وداء الملوك: النقرس وداء الكرم: الدين والفقر. وداء الضرائر: الشر الدائم. وداء البطن: الفتنة العمياء. وداء الذئب: الجوع. الجمع: أدواء (المعجم الوسيط ١ / ٣٠١، ٣٠٢).

وداء دفين، وداء عضال، وقولهم: به داء ظبى معناه ليس له داء كما لا داء بالظبى. ويطلق فى الطب أيضا على كل عيب باطن يظهر منه شيء أو لا يظهر منه شيء، ويقال: أدوأ من البخل: أى أشد. كذا فى بحر الجواهر (كشاف ١ / ٤٥٩). وفى حديث أم زرع: كل داء له داء، أى كل عيب يكون فى الرجال فهو فيه، فجعلت العيب داءً... وفى الحديث «وأى داء أدوى من البخل»، أى أى عيب أقبح منه، قال ابن برى: والصواب أدوأ من البخل. ولكن هكذا يروى إلا أن يجعل من باب دوى يدوى دوًى، فهو دوٍ إذا هلك بمرض باطن. ومنه حديث العلاء بن الحضرمى: لا داء ولا خِبثة، قال: هو العيب الباطن فى السلعة الذى لم يطلع عليه المشترى.

وفى الحديث: «إن الخمر داء وليست بدواء»، استعمل لفظ الداء فى الإثم كما استعمله فى العيب. ومن قوله: «دب إليكم داء الأمم قبلكم: البغضاء والحسد»، فنقل الداء من الأجساد إلى المعانى، ومن أمر الدنيا إلى أمر الآخرة، قال: وليست بدواء، وإن كان فيها دواء من بعض الأمراض، على التغليب والمبالغة فى الذم (لسان العرب ١٧ / ١٤٦٣، ١٤٦٤).

(المعجم الوسيط ١ / ٣٠١، ٣٠٢، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٤٥٩، ٤٦٠، ولسان العرب لابن منظور ١٧ / ١٤٦٣، ١٤٦٤).

*** داء الأسد:**

هو الجذام سمى به لأن وجه صاحبه يشبه وجه الأسد، وقيل لأنه يعرض للأسد كثيرا (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٤٦٠).

*** داء الثعلب:**

أن يتناثر الشعر من الرأس واللحية، حتى يعرى مكانه (كتاب التنوير / ٢٩). هو تساقط شعر الرأس لمواد صفراوية أمر

مرة سوداء مخالطة لها فترمي شعره ويتساقط جميعه (كشاف ١ / ٤٦٠).

(كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية لأبى منصور الحسن بن نوح القمرى - تحقيق وفاء تقى الدين / ٢٩، وكشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٤٦٠).

*** داء الحية:**

أن يتقشر الجلد مع تناثر الشعر (كتاب التنوير / ٢٩) وجاء فى الكشاف:

داء الحية بالحاء المهملة هو مرض يحصل فى الرأس لمواد سوداوية أو بلغم مالح فيتساقط منه الشعر وينسلخ جلده كالحية والفرق بينه وبين داء الثعلب أن تساقط الشعر فى داء الحية يكون معوجا ملتويا شبيها بالحية وفى داء الثعلب بخلافه قال الشيخ نجيب الدين داء الثعلب وداء الحية هما تساقط الشعر وهما يحدثان فى جميع البدن إلا أن حدوثهما يكون فى الرأس واللحية والحاجبين أكثر ويكونان على الاستدارة وغيرها (كشاف ١ / ٤٦٠).

ويجمع بينهما الطبيب الشيخ عمر الأنطاكى فى مادة واحدة بعنوان: «داء الحية والثعلب» فيقول:

داء الحية والثعلب كلاهما من الأمراض الظاهرة الداخلة تحت مقولة الزينة ومادتهما ما احترق من الخلط وفاعلهما الحرارة المفرطة وصورتهما نقص الشعر أو ذهابه وغايتهما فساد منابته وسميا بذلك لاعترائهما الحيوانين المذكورين وقيل لأن الثعلب يفسد الزرع بتمرغه فيه كما يفسد هذا الداء الشعر الذى له هو زرع البدن. وحاصل الأمر أن الحرارة ولو غريزية إذا أفرطت مصادفة لتناول نحو حريف ومالح واستطال الأمر وبعد العهد من التنقية صعدت ما احترق فإن تراخى الصاعد فى عرق أو عروق مخصوصة ومر فيها على منابت شعر رشحت تلك العروق على المنابت من ذلك المحترق ما يفسدها ويسقط ما فيها من الشعر على شكل تقريح العروق وهذا هو داء الحية تشبيها له بأثرها عند مشيها فى نحو رمل وقد يفرط ذلك الاحتراق فينسلخ ما تحت الشعر من الجلد تقشيرا وقد يصعد الاحتراق من خارج العروق فينشر لا على شكل مخصوص لعمومه أكثر الجلد أو كله وقد ينسلخ فيه الجلد أيضا إذا اشتد الاحتراق فإذا الفارق الشكل الوضعى لاختصاص الأول بالانسلاخ كما قالوه لجواز شدة الاحتراق وعدمها فى المرضين وأسخف من ذلك من خص داء الحية باللحية والآخر بالرأس على أنهما قد يوجدان فى جميع منابت الشعر وإنما كثرا فى اللحية والرأس لميل الصاعد إلى الأعلى بالطبع وغلظ الشعور واحتياجها هناك إلى الغذاء دون غيرها وينحصر الخلط المفسد هنا الموجب لهذه العلة وما شاكلها من الانتشار انحصارا أوليا بحكم العقل فى ستة عشر قسما لأنه يكون عن أحد الأخلاط الأربعة وكل إما عن فساد الخلط فى نفسه أو بأحد الثلاثة وتعرف بعلاماتها وأسرعه برءا ما كان عن أحد الرطبين واحمر بالدلك وأردؤه ما كان عن السوداء وقد تدل عليه الألوان وفى حدوثه عن البلغم البحث عندى توقف.

العلاج: إذا تحقق الغالب بدىء بإخراجه بالفصد إن كان دما وإلا فبالإسهال بما أعد كنقوع الإهليلج والصبر فى الصفراء والأيارج فى البارد مع زيادة نحو الغاريقون والتربد فى الرطب واللازورد ومطبوخ الأفتيمون فى اليابس كل ذلك مع إصلاح الأغذية والإكثار من الأمراق الدهنة والسكنجبين والغراغر والمعطسات والحمام فإن ظهر الصلاح ونبت الشعر فذاك وإلا بأن أخلف الدم حمرة قتمة أو البلغم بياضا شرط الجلد لتسيل المواد إن احتمل الحال وإلا لوزم المحل بالخرق المسخنة والإشقيل والعسل بعد الدلك بالفربيون أو الخردل أو أبقيت الصفراء صفرة والسوداء كمودة وكلاهما اليبس والفحولة مرخ المحل بالشحوم خصوصا شحم الدب والأسد، ومن المجرب فى المرضين مطلقا صمغ السذاب والكبريت والزيت خصوصا إذا طبخت فيه العقارب ورماد الأصداف والثوم طلاء ويكون فى الهند طلاؤه برماد ليف النارجيل وخله والدار فلفل وفى الصين بالكركم وصفار البيض وفى الغرب بشراب اللوغاذيا والطلاء برماد الأظلاف والفربيون وفى الروم القئ بالشبت والعسل والفجل والدهن بشحم البط وماء الدقلى والعسل ويجب تعاهد الجلد بعده بالغسل بالخطمى ولب البطيخ والترمس ثم دهن البنفسج والورد أياما قالوا وللبيروح فيهما فعل عجيب وقيل فيما كان عن السوداء فقط وقد تدعو الحاجة إلى النطولات عند غلظ المادة فأجود ما يتخذ حينئذ من الإكليل والبابونج وزبيب الجبل والبورق ويطلى بعدها بدهن الزئبق وقد طبخ فيه اللاذن وأرى إذا علمت رداءة المادة إرسال العلق فإن فيه نفعا ظاهرا وربما ناب عن الشرط ثم بعد التنقية والشرط يلازم المحل بالمنبتات دلكا وأجلها لب الجوز

بدهن النفط أو الزيت ومثله الأرمدة المتخذة من قشرة الصلب وحافر الحمار الوحشى وجلد القنفذ والقيصوم وظلف الماعز والبصل وعصارة الفجل وزيته وأما ورق الحنظل فمع نفعه دلوكا ينفع شربا مدبرا بما مر في المفردات وكذا الزراوند الطويل والزنجبيل والدرونج وشرب العذبة إلى أربعين يوما على الريق يذهبه وهى مع الدفلى والزرنيخ الأصفر وزبيب الجبل والثوم إذا قومت طبخا بالزيت والعسل طلاء مجرب فى هذين وفى كل ما ينشر الشعر وقد يضاف إليهما إذا اشتدت المادة وبرد الزمان خردل ونطرون فإن خشيت التقريح فادهن المحل بالطلق وأما الذباب ورأس الغار والآس واللادن والخروع فبالغة أيضا طلاء ولو لم تحرق وكذا الأبهل والقطران وشحم الثعلب أو الدب وعصارة الأدارخت إذا مزجت بالصبر والمرتك وطلى بها خمس مرات فى خمسة عشر يوما أبرأته وكذا النوشادر والعلق والميعة والزفت، واعلم أن هذه تستعمل مفردة ومركبة مع بعضها بشرط أن تحرر النظر فى المادة والزمان فتزيد من الأدوية اللذاعة فى الشتاء وعند تكثف المادة وبالعكس. (التذكرة).

كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية لأبى منصور الحسن ابن نوح القمرى - تحقيق وفاء تقى الدين / ٢٩، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٦٤٠، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ٢ / ٩١، ٩٢.

*** داء الحية والثعلب:**

انظر: داء الحية.

*** داء الفيل:**

أن تعظم الرِّجل وتغلظ، حتى تفرط جدا، ويكمد لونها، وإذا طالت المدة تفجَّر (كتاب التنوير / ٢٨).

قال التهانوى: داء الفيل هو عندهم زيادة فى القدم والساق لكثرة ما ينزل إليها من الدم السوداوى أو الدم الغليظ أو البلغم اللزج وقد يتقرح وقد لا يتقرح سمى به لأن رجل صاحب هذا المرض تشبه رجل الفيل أو لأن هذا المرض يعرض للفيل غالبا، قال الإقسرائى والفرق بينه وبين الدوالى وإن كانا من مادة واحدة أن الدوالى لم يغتذ فيه الرِّجل بالمادة الرديئة بعد ولم يظهر العظم إلا فى العريق (كشاف ١ / ٤٦٠).

وقال الشيخ داود الأنطاكى:

كان الأليق أن يعد فى الأمراض الظاهرة فذكروه فى جنس المفاصل إما لاتحاد المادة أو لأنه قد يتم بصورته النوعية قبل أن يبدو للحس وسمى بذلك لاعترائه الفيل أو لشبه الرِّجل فيه برجله وحقيقته انصباب أحد الباردين فى الرجل فتغلظ فى مجاريها من لدن الركبة إلى نهايتها ومادتها الإكثار من كل ما يولد السوداء الغليظة كلحم البقر والأسماك الكبار ويزيده مع ذلك المشى وحمل الثقيل والشرب قبل الهضم وأكل ما ينهضم قبل أن تنخلع صورة الغذاء والجماع على الامتلاء وعلامة الكائن منه عن السوداء تلهب واحتراق مع كمودة العضو فإن زادت حرافة المادة قرحت وتفتحت فإن تساوت الأخمص بالساق وارتخى العضو مع ذلك فلا مطمع فى علاجه فإن فعل فعل الأواكل من سعى وتقريح وسيلان وجب قطع العضو لحفظ باقى البدن وإلا عولج الخفيف منه وعلامة الكائن منه عن البلغم برد العضو وارتخاء ملمسه وعدم تقريحه وقلة وجعه.

العلاج: فصد الباسليق من الجانب المقابل أولا فى السوداء ثم شرب سفوف السوداء بماء الجبن أسبوعا ثم مطبوخ الأفتيمون كذلك ثم هذه الحبوب وهى من مجرباتنا فيه وفى الدوالى. وصنعتها: أفتيمون بسفايج زهر بنفسج من كل جزء شحم حنظل لوز مر سقمونيا من كل نصف لازورد لؤلؤ مرجان من كل ربع جزء تعجن بماء الشاهترج وتحبب والشربة مثقالان وبالسكنجبين البزورى والاستعمال فى الأسبوع مرتان ثم الفصد فى مأبض الركبة واستعمال الضمادات والنطولات المحللة كالبابونج والإكليل والنخالة والحلبة ثم القابضة المانعة من عود المادة بعد نقائها مثل الآس والكرنب والسلق والعفص وجوز السرو والقطران والشيلم والزجاج كل ذلك مع الرجل وقلة القيام والحركة وعلاج الكائن عن البلغم أولا بملازمة القىء بماء الفجل والشبت والعسل والخل والسمك المالح مرارا ثم ملازمة اللوغاذيا أوار كيفانس أياما ويزيد فى الضمادات هنا الخردل والميويزج والحجامة هنا فى الرجل بدل الفصد وهذا كله مع الاقتصار فى أغذية الأول على ما يولد الدم الجيد كالفراريج والسكر والفستق والزبيب وفى الثانى على الضأن مشويا مبزرا وفى الموضعين على صفرة البيض واللوز وإدمان الإطريفال فيه جيد (التذكرة ٢/ ٩٢، ٩٣).

(كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية لأبى منصور الحسن بن نوح القمرى - تحقيق وفاء تقى الدين / ٢٨، وكشاف اصطلاحات الفنون

للتهانوى ١/ ٤٦٠، وتذكرة أولي الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ٢/ ٩٢، ٩٣).

*** داء الكَلِب:**

داء الكلب هو الجنون السبعي الذى يكون معه غضب مختلط بلعب وعبث كما هو من طباع الكلاب ولذا سمى به تشبيها لصاحبه بالكلب فى هذه الأخلاق وقيل إنما سمى به لأن صاحبه إذا عض إنسانا قتله كالكلب هذا كله من بحر الجواهر.

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٤٦٠).

*** الداء والدواء:**

الداء والدواء ـ لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية مختصر ألفه فى جواب مسئلة وهى أن مريضا ابتلى ببلية وقد اجتهد فى دفعها فلم يقدر فما الحيلة فأجاب بأن الإنسان لو أحسن التداوى بالفاتحة لرأى لها تأثيرا عجيبا فبسط القول إلى آخر الكتاب (١ / ٧٢٨) وهو سؤال وجواب ٢ / ١٤١٧).

(كشف الظنون ١ / ٧٢٨ و ٢ / ١٤١٧).

*** دابق:**

دابق: هى اليوم فى محافظة حلب، منطقة اعزاز (من كتاب معجم البلدان س ٣ ق ١ / ٤٢١) قال عنها ياقوت كما كانت فى زمانه.

دابق: بكسر الباء وقد روى بفتحها، وآخره قاف.

قرية قرب حلب من أعمال عزاز، بينها وبين حلب أربعة فراسخ، عندها مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان إذا غزوا الصائفة إلى ثغر مصِّيصة، وبه قبر سليمان بن عبد الملك بن مروان، وكان سليمان قد عسكر بدابق وعزم أن لا يرجع حتى يفتح القسطنطينية أو تؤدى الجزية، فشتى بدابق شتاء بعد شتاء إذ ركب ذات عشية من يوم جمعة فمر بالتل الذى يقال له تل سليمان اليوم، فرأى عليه قبرا فقال: من صاحب هذا القبر؟ قالوا هذا قبر عبد الله بن مسافع بن عبد الله الأكبر بن شيبة بن عثمان بن أبى طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان ابن عبد الدار بن قصى بن كلاب القرشى الحجبى فمات هناك؛ فقال سليمان: يا ويحه لقد أمسى قبره بدار غربة!

قال: ومرض سليمان فى إثر ذلك ومات ودفن إلى جانب قبر عبد الله بن مسافع فى الجمعة التى تليه أو الثانية. وبقربها قرية أخرى يقال لها دويبق بالتصغير؛ وقال الجوهرى:

دابق اسم بلد، والأغلب عليه التذكير والصرف لأنه فى الأصل اسم نهر وقد يؤنث، وقد ذكره الشعراء، فقال عيسى بن سعدان عصريٌّ حلبيٌّ:

نـاجـوك من أقصى الحجاز وليتهم ... نـاجـوك ما بين الأحصّ ودابق

أمفـارقى حلب وطيب نسيمها ... يهنيكم أن الرقاد مفارقى

والله ما خفق النسيم بأرضكم ... إلا طربت إلى النسيم الخافق

وإذا الجنوب تخطرت أنفاسها ... من سفح جوشن كنت أول ناشق

وأنشد ابن الأعرابى:

لقد خاب قوم قلدوك أمورهم ... بدابق إذ قيل العدو قريب

رأوا رجلا ضخما فقالوا مقاتل ... ولم يعلموا أن الفؤاد نخيب

وقال الحارث بن الدؤلى:

أقول وما شأنى وسعد بن نوفل ... وشأن بكائى نوفل بن مساحق

ألا إنما كانت سوابق عبرة ... على نوفل من كاذب غير صادق

فهلا على قبر الوليد وبقعه ... وقبر سليمان الذى عند دابق

وقبر أبى عمرو وقبر أخيهما ... بكيت لحزن فى الجوانح لاصق

(النخيب: الجبان) (من كتاب معجم البلدان س ٣ ق ١ / ٤٢١ ـ ٤٢٣).

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٤١٦، ٤١٧، ومن كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى الرومى ـ اختار النصوص وقدم لها وعلق

عليها عبد الإله نبهان. السفر الثالث ـ القسم الأول / ٤٢١ ـ ٤٢٣ وقد وضعنا التعليقات بين أقواس فى ثنايا النص) .

*** الدابة:**

عن أوجه ورود الدابة فى القرآن الكريم يقول الإمام ابن الجوزى :

الدابة : اسم الفاعل ، من قولهم دب يدب دبيبا ، وكل ماش دابة ، والدبيب أضعف المشى ، وفى الحديث (لا يدخل الجنة ديبوب) وهو النمام .

(أخرج بلفظه لدى أبى عبيد الهروى فى كتابه الغريبين ق ٣٢٢ والمجرد للغة الحديث لعبد اللطيف البغدادى جـ ١ ص ٤٩٢ ، وأخرجه صحيح مسلم عن حذيفة بلفظ (لا يدخل الجنة قتات» مختصر صحيح مسلم للمنذرى جـ ٢ ص ٢٣٨ الحديث رقم ١٨٠٨ وبلفظ «لا يدخل الجنة نمام» متفق عليه .

العجلونى : كشف الخفاء جـ ٢ ص ٥١٩ حديث ٣١١٦) .

والدابة فى القرآن على ثلاثة أوجه :

أحدها : جميع ما دب على الأرض ، ومنه فى هود **﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها﴾** [٦] وفى عسق **﴿وما بث فيهما من دابة﴾**[الشورى : ٢٩] .

والثانى : الأرضة ، ومنه فى سبأ **﴿ما دلهم على موته إلا دابة الأرض﴾**[١٤] .

والثالث : الدابة الخارجة فى آخر الزمان ، ومنه فى النمل **﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض﴾** [٨٢] (منتخب قرة العيون النواظر / ١١٢) .

قال عنها الشيخ كمال الدين الدميرى ، وهو يستطرد كعادته إلى موضوعات متعددة رأينا حذفها :

الدابة : ما دب من الحيوان كله وقد أخرج بعض الناس منها الطير لقوله تعالى **﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾** [الأنعام : ٣٨] وردَّ بقوله تعالى **﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين﴾** [هود : ٦] قال الشيخ تاج الدين بن عطاء رحمه الله تعالى وهذه الآية مصرحة بضمان الحق الرزق وقطعات ورود الهواجس والخواطر عن قلوب المؤمنين فإن وردت على قلوبهم كرت عليها جيوش الإيمان بالله تعالى والثقة به فهزمتها **﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾** [الأنبياء : ١٨] ولأن الطير يدب على الأرض برجليه فى بعض حالاته قال الأعشى .

بنات كغصن البان ترتج إن مشت
دبيب قطا البطحاء فى كل منهل

وقال تعالى **﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾** [العنكبوت : ٦٠] وقال عز وجل **﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾** قال ابن عطية مقصود الآية أن يبين أن هذه الطائفة العاتية من الكفار هى شر الناس عند الله تعالى وأنها فى أخس المنازل لديه وعبر بالدواب ليتأكد ذمهم وليفضل الكلب والخنزير والفواسق الخمس وغيرها عليهم والدواب كل ما دب فهو يجمع الحيوان بجملته .

وفى الصحيحين عن أبى قتادة رضى الله تعالى عنه قال إن النبى ﷺ مُر عليه بجنازة فقال «مستريح ومستراح منه» قالوا يارسول الله ما المستريح والمستراح منه؟ فقال ﷺ: «العبد المؤمن مستريح من وصب الدنيا ونصبها إلى رحمة الله تعالى والعبد الفاجر تستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب» (وفى سنن أبى داود والترمذى والنسائى) بأسانيد صحيحة عن إبراهيم بن محمد عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال «ما من دابة إلا وهى مصيخة يوم الجمعة خشية أن تقوم الساعة» يروى مصيخة ومسيخة بالصاد والسين والأصل الصاد ومعناهما منصتة مستمعة .

وفى الحلية فى ترجمة أبى لبابة الأنصارى رضى الله تعالى عنه وهو من أهل الصُّفَّة أن النبى ﷺ وسلم قال «إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله تعالى من يوم الفطر ويوم الأضحى ما من ملك مقرَّب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا رياح ولا بحر إلا وهو مشفق من يوم الجمعة أن تقوم الساعة .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال أخذ النبى ﷺ بيدى وقال «خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الإثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى المغرب» .

واعلم أنه سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء بلا كلفة ونصب ويختار ما يشاء بلا زلفة وسبب يخلق ما يشاء بلا علاج ويختار ما يشاء بلا احتياج يخلق ما يشاء علما بربوبيته ويختار ما يشاء دلالة على وحدانيته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا...

ثم يقول الدميرى بعد استطرادات كثيرة: فى كتب الحنابلة يجوز الانتفاع بالدابة فى غير ما خلقت له كالبقر للحمل وللركوب والإبل والحمير للحرث وقوله ﷺ «بينما رجل يسوق بقرة إذ أراد أن يركبها فقالت إنا لم نخلق لذلك» متفق عليه. المراد أنه معظم منافعها ولا يلزم منه منع غير ذلك وقال الإمام أحمد من شتم دابة قال الصالحون لا تقبل شهادته لحديث المرأة التى لعنت الناقة. وفى صحيح مسلم عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة.

فرع: يجب على مالك الدابة علفها ورعيها وسقيها لحرمة الروح كما فى الصحيح عذِّبت امرأة فى هرة لأنها ذات روح فأشبهت العبد فإن لم تكن ترعى لزمه أن يعلفها ويسقيها إلى أول شبعها وريها دون غايتهما وإن كانت ترعى لزمه إرسالها لذلك حتى تشبع وتروى بشرط فقد السباع العادية ووجود الماء فإن اكتفت بكل من الرعى أو العلف خُير بينهما فإن لم تكتف إلا بهما لزماه وإن احتاجت البهيمة إلى السقى ومعه ماء يحتاج إليه لطهارته سقاها وتيمم فإن امتنع من العلف أجبر فى مأكولة على بيع أو علف أو ذبح وفى غيرها على بيع أو علف صيانة لها عن الهلاك فإن لم يفعل فعل الحاكم ما تقتضيه المصلحة فإن كان له مال ظاهر بيع فى النفقة فإن تعذر جميع ذلك فمن بيت المال.

فائدة يستحب أن يقول عند ركوب الدابة ما رواه الحاكم والترمذى وصححاه عن على بن ربيعة قال شهدت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله قال ﴿سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾[الزخرف: ١٣، ١٤] ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله أكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك اللهم إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك فقيل يا أمير المؤمنين من أى شىء ضحكت قال رأيت النبى ﷺ فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله من أى شىء ضحكت قال إن ربك تعالى يعجب من عبده إذا قال رب اغفر لى ذنوبى يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيرى. وروى أبو القاسم الطبرانى فى كتاب الدعوات عن عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ أنه قال «إذا ركب العبد الدابة ولم يذكر اسم الله تعالى ردفه الشيطان فقال تغن فإن كان لا يحسن الغناء قال له تَمَنّ فلا يزال فى أمنيته حتى ينزل» وفيه عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «من قال إذا ركب دابة بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء سبحانه ليس له سمى سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعليه السلام قالت الدابة بارك الله عليك من مؤمن خففت عن ظهرى وأطعت ربك وأحسنت إلى نفسك بارك الله لك فى سفرك وأنجح حاجتك. وروى ابن أبى الدنيا عن محمد بن إدريس عن ابن النضر الدمشقى عن إسماعيل بن عياش عن عمرو بن قيس الملائى أنه قال إذا ركب الرجل الدابة قالت اللهم اجعله بى رفيقا رحيما فإذا لعنها قالت على أعصانا لله لعنة الله (وفى كامل ابن عدى) فى ترجمة عباد بن كثير الثقفى وكان شعبة لا يستغفر له أنه روى عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال «اضربوا الدواب على النفار ولا تضربوها على العثار».

فرع: يجوز الإرداف على الدابة إذا كانت مطيقة ولا يجوز إذا لم تطقه ففى الصحيحين عن أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ أردفه حين دفع من عرفات إلى المزدلفة ثم أردف الفضل بن العباس رضى الله تعالى عنهما من مزدلفة إلى منى وأنه ﷺ أردف معاذا رضى الله تعالى عنه على الرحل وأردفه على حمار يقال له عفير وأمر ﷺ عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله تعالى عنهما أن يعتمر بأخته عائشة رضى الله تعالى عنهما من التنعيم فأردفها وراءه على راحلته وأردف ﷺ صفية أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وراءه حين تزوجها بخيبر وإذا أردف صاحب الدابة فهو أحق بصدرها ويكون الرديف وراءه إلا أن يرضى صاحبها بتقديمه لجلالته أو غير ذلك وأفاد الحافظ ابن منده أن الذين أردفهم النبى ﷺ ثلاثة وثلاثون نفسا ولم يذكر فيهم عقبة بن عامر الجهنى رضى الله تعالى عنه ولم يذكر أحد من علماء الحديث والسِّيَر أن

النبي ﷺ أردفه . وروى الطبراني عن جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ نهى أن يركب ثلاثة على دابة .

فرع : قال أصحابنا مـا ليس مأكولا من الدواب والطيور إن كان فيه مضرة متمحضة استحب قتله للمحرم وغيره كالفواسق الخمس والذئب والأسد والنمر والنسر والحدأة والبرغوث والقمل والزنبور والبق والقراد وأشباهها فإن كان فيه منفعة ومضرة كالفهد والكلب المعلَّم والعقاب والبازي والصقر ونحوها فلا يستحب قتله لما فيه من المنفعة ولا يكره لما فيه من الضرر وهو الصيال على حمام الناس والعقر، وإن لم يكن فيه نفع ولا ضرر كالخنافس والدود والجعلان والسرطان والبغاث والرخمة والعظاءة واللجا والذباب وأشباهها فيكره قتله ولا يحرم على ما قطع به الجمهور . وحكي الإمام وجها شاذا أنه يحرم قتل الطيور دون الحشرات لأنه عبث بلا حاجة

وأما دابة الأرض التي ذكرها الله تعالى في سورة سبأ فهي الأرضة وقيل سوس الخشب قال الله تعالى ﴿**فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته**﴾ [سبأ : ١٤] السبب في ذلك أن سليمان عليه السلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه له ودخله مختفيا ليصفو له يوم واحد من الدهر عن الكدر فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استئذان فقال له إنما دخلت بإذن قال ومن أذن لك قال رب هذا الصرح فعلم سليمان أنه ملك الموت أتى ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم الذي طلبت فيه الصفاء فقال له طلبت ما لم يخلق فاستوثق من الاتكاء على العصا وقد كان بيت المقدس بقي من تمام بنائه سنة فسأل الله تعالى تمامها على يد الإنس والجن وكان يخلو بنفسه الشهرين والثلاثة فكانوا يقولون إنه يتحنث أي يتعبد ربه فتقبض روحه وكانت الجن تدعى علم الغيب فلما قبض بقيت الجن تعمل على عادتها وقيل إن ملك الموت أعلمه أنه بقي من عمره ساعة فدعا الجن فبنوا له الصرح وقام يصلى متكئا على عصاه فمات وهو متكيء عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه فلا ينظر أحد منهم إليه في صلاته إلا احترق فمر واحد منهم فلم يسمع صوته ثم رجع فسلم فلم يسمع له كلاما فنظر فإذا هو قد خر ميتا فعلمت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين سنة وكان عمره عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة . والمنسأة : العصا وكانت من خروب وذلك أنه كان يتعبد في بيت المقدس فينبت له في محرابه كل سنة شجرة فيسألها ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا فيقول لها لأي شيء أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقلع فإن كانت تنبت بغرس غرست وإن كانت لدواء كتبت فبينما هو ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت أنا الخروبة خرجت لخراب ملكك فعرف أنه قد حضر أجله فاستعد واتخذ منها عصا واستدعى بزاد سنة والجن تتوهم أنه يأكل بالليل وكان أمر الله قدرا مقدورا وكان الذي ابتدأ في بناء بيت المقدس داود عليه السلام فرفعه قامة رجل ثم مات فلما استخلف ابنه سليمان عليه السلام أحب إتمامه فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال فخص كل طائفة منهم بعمل يستصلحها له فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الأبيض وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثنى عشر ربضا وأنزل في كل ربض منها سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في عمارة المسجد فوجه الشياطين فرقا فرقا يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافي من البحر وفرقا يقلعون الجواهر والرخام من أماكنها وفرقا يأتونه بالمسك والعنبر وسائر أنواع الطيب فأتى من ذلك بشيء لا يحصيه إلا الله تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها ألواحا وثقب اليواقيت واللآلئ إصلاح الجواهر فبنى المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين المها الصافي وسقفه بألواح الجواهر الثمينة ونضد سقوفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت وسائر الجواهر وبسط أرضه بألواح الفيروزج فلم يكن يومئذ في الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد كان يضيء في الظلماء كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع إليه أحبار بني إسرائيل فأعلمهم أنه قد بناه لله عز وجل خالصا واتخذ ذلك اليوم عيدا .

فائدة : قال بعض العلماء سخر الله عز وجل الجن لسليمان عليه السلام وأمرهم بطاعته ووكل بهم ملك بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن أمره ضربه الملك ضربة أحرقته قال أهل التفسير أجرى الله تعالى لسليمان عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجرى الماء وكان ذلك بأرض اليمن وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان من النحاس .

وروى الحاكم عن إبراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: « كان سليمان نبى الله إذا قام فى مصلاه رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول ما اسمك فتقول كذا فيقول لأى شىء أنت فتقول لكذا وكذا فإذا كانت لدواء كتبت وإن كانت لغرس غرست فبينما هو يصلى يوما إذ رأى شجرة فقال ما اسمك قالت الخروب فقال لأى شىء أنت: قالت لخراب هذا البيت فقال سليمان عند ذلك اللهم عَمِّ على الجن موتى حتى تعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب قال فاتخذ منها عصا وتوكأ عليها فأكلتها الأرضة فسقط فوجدوه ميتا حولا فتبينت الإنس أن الجن لو كان يعلمون الغيب ما لبثوا حولا فى العذاب المهين. وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يقرؤها هكذا «ما لبثوا حولا فى العذاب المهين» فشكرت الجن الأرضة وكانت تأتيها بالماء والتراب حيث كانت ثم قال صحيح الإسناد.

وأما الدابة التى هى أحد أشراط الساعة فقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى ﴿**وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم**﴾ [النمل: ٨٢] قال إذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر قيل إنها دابة طولها ستون ذراعا ذات قوائم ووبر وقيل هى مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات ينصدع لها جبل الصفا فتخرج منه ليلة جَمْع والناس سائرون إلى منى وقيل تخرج من الحجر وقيل من أرض الطائف ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب تضرب المؤمن بالعصا وتكتب فى وجهه مؤمن وتطبع الكافر بالخاتم وتكتب فى وجهه كافر كذا رواه الحاكم فى أواخر المستدرك عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ وفيه عن أبى الطفيل عن أبى شريحة عن النبى ﷺ أنه قال يكون للدابة ثلاث خرجات فى الدهر تخرج أول خرجة بأقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم يكون زمان طويل ثم تخرج خرجة أخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها فى البادية ويدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم يكون زمان فبينما الناس يوما فى أعظم المساجد عند الله حرمة وأحبها إلى الله تعالى وأكرمها على الله عز وجل يعنى المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهى فى ناحية المسجد بين الركن الأسود وباب بنى مخزوم فترفض الناس عنها شتى وتثبت لها عصابة من المسلمين عرفوا أنهم لن يعجزوا الله هربا فتنفض عن رؤوسهم التراب فتجلو عن وجوههم حتى تظل كأنها الكواكب الدرية ثم تذهب فى الأرض فلا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى إن الرجل ليعوز منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول أى فلان الآن تصلى فيلتفت إليها فتسمه فى وجهه ثم تذهب فيتجاور الناس فى ديارهم ويصطحبون فى أسفارهم ويشتركون فى أموالهم يعرف المؤمن من الكافر حتى إن الكافر يقول يا مؤمن اقضنى ويقول المؤمن يا كافر اقضنى. وروى السهيلى أن موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل أن يريه الدابة التى تكلم الناس فأخرجها الله له من الأرض فرأى منظرا أفزعه وهاله قال أى رب ردها فردها قال والدابة اسمها اقصد كذا ذكره محمد ابن الحسن المقرى فى تفسيره انتهى. روى أنها تخرج حين ينقطع الخير ولا يؤمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ولا يبقى منيب ولا تائب.

وفى الحديث أن الدابة وطلوع الشمس من المغرب من أول أشراط الساعة ولم يعين الأول منهما وكذلك الدجال وظاهر الأحاديث أن طلوع الشمس آخرها، والظاهر أن الدابة التى تخرج واحدة. وروى أنه يخرج من كل بلد دابة مما هو مبثوث نوعها فى الأرض وليست بواحدة فعلى هذا يكون قوله تعالى ﴿**دابة**﴾ اسم جنس. وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنها الثعبان الذى كان فى جوف الكعبة واختطفته العقاب حين أرادت قريش بناء البيت الحرام وأن الطائر حين اختطفها ألقاها بالحجون فالتقمتها الأرض فهى الدابة التى تخرج تكلم الناس وتخرج عند الصفا قاله محمد بن الحسن المقرى وهو غريب غير أن الرجل من أهل العلم ولذلك حكينا قوله. وقال القرطبى إنها فصيل ناقة صالح لقوله فى الحديث تخرج ولها رغاء والرغاء لا يكون الا للإبل وهو غريب أيضا وفى الميزان للذهبى عن جابر الجعفى أنه كان يقول دابة الأرض عليٌّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه، قال وكان جابر الجعفى شيعيا يرى الرجعة أى أن عليا رضى الله تعالى عنه يرجع إلى الدنيا. وقال الإمام أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه ما لقيت أحدا أكذب من جابر الجعفى ولا أفضل من عطاء بن أبى رباح وقال الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه أخبرنى سفيان بن عيينة قال كنا فى منزل جابر الجعفى فتكلم بشىء فخرجنا مخافة أن يقع علينا السقف قلت ومع ذلك روى له أبو داود والترمذى وابن ماجه ووفاته سنة ست وستين ومائة. واختلف العلماء فى كيفية خلق الدابة اختلافا كثيرا فقيل إنها على خلقة الآدميين وقيل جمعت خلق كل حيوان. وهنا فائدة وهى أن المفسرين اختلفوا فى تفسير قوله تعالى ﴿ **أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم**﴾ قيل تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين

الإسلام قاله السدى وقيل كلامها أن تقول لواحد هذا مؤمن وتقول لآخر هذا كافر وقيل كلامها ما قاله الله عز وجل ﴿إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ [النمل: ٨٢] ويكون كلامها بالعربية. وروى عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال ليست بدابة لها ذنب ولكن كالحية كأنه يشير إلى أنها رجل والأكثرون على أنها دابة. وروى ابن جريج عن أبى الزبير أنه وصف الدابة فقال رأسها رأس ثور وعيناها عينا خنزير وأُذنها أُذن فيل وقرنها قرن أيل وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا. وروى الثعلبى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال: تخرج الدابة من صدع فى الصفا تجرى كجرى الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها. وروى أيضا عن حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ إن الدابة تخرج من أعظم المساجد حرمة عند الله تعالى بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون فتضطرب الأرض من تحتهم وينشق الصفا مما يلى المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو منها رأسها ملمعة ذات وبر وريش لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تسم الناس مؤمنا وكافرا أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب درى وتكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتترك فى وجهه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر. وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال إن الدابة لتسمع قرع عصاى هذه. وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال تخرج الدابة من شِعب أبى قبيس رأسها فى السحاب ورجلاها فى الأرض. وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال «بئس الشِّعب شِعب أجياد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذلك يارسول الله قال ﷺ لأنه تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين. وقيل إن وجهها وجه رجل وسائر خلقتها كخلقة الطير فتكلم من رآها أن أهل مكة كانوا بمحمد ﷺ والقرآن لا يوقنون».

قالت المؤلفة: تأتى الفتاوى بشأن هذه الدابة فيما بعد إن شاء الله تعالى.

فرع: أوصى لرجل بدابة حُمِل على فرس وبغل وحمار لأنها فى اللغة إسم لما دب على وجه الأرض ثم قصرها العرف على ذوات الأربع والوصية تنزل على العرف وإذا ثبت عرف فى بلد عم جميع البلاد كما لو حلف لا يركب دابة فركب كافرا لا يحنث وإن كان الله تعالى قد سماه دابة وكما لو أحلف لا يأكل خبزا حنث بأكل خبز الأرز فى طبرستان على الأصح هذا هو المنصوص. وقال ابن سريج إنما ذكر الشافعى هذا على عرف أهل مصر فى ركوبها جميعا واستعمال لفظ الدابة فيها إما حيث لا يستعمل إلا فى الفرس كالعراق فإنه لا يعطى سواها وقيل إن قاله بمصر لم يعط إلا حمارا قاله فى البحر ويدخل فى لفظ الدابة الكبير والصغير والذكر والأنثى والسليم والمعيب وقال المتولى إلا ما يمكن ركوبه.

فرع يكره دوام الوقوف على الدابة لغير حاجة وترك النزول عنها للحاجة لما فى سنن أبى داود والبيهقى من حديث أبى مريم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال «إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر فإن الله عز وجل إنما سخَّرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس وجعل لكم فى الأرض مستقرا فاقضوا عليها حاجاتكم» ويجوز الوقوف على ظهرها للحاجة ريثما تقضى لما روى مسلم وأبو داود والنسائى عن أم الحصين الأحمسية رضى الله تعالى عنها قالت: حججت مع رسول ﷺ حجة الوداع فرأيت أسامة وبلالا رضى الله تعالى عنهما أحدهما آخذ بخطام ناقة النبى ﷺ والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة وهكذا رواه أحمد والحاكم وابن حبان وصححاه. وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى الفتاوى الموصلية النهى عن ركوب الدواب وهى واقفة محمول على ما إذا كان لغير غرض صحيح وأما الركوب الطويل فى الأغراض الصحيحة فتارة يكون مندوبا كالوقوف بعرفة وتارة يكون واجبا كوقوف الصفوف فى قتال المشركين وقتال كل من يجب قتاله وكذلك الحراسة فى الجهاد إذا خيف هجمة العدو وهذا لا خلاف فيه. وفى حديث أم الحصين رضى الله تعالى عنها دليل على أن للمحرم أن يستظل بالمظال نازلا بالأرض وراكبا على ظهر الدابة ورخص فيه أكثر أهل العلم إلا أن مالك بن أنس وأحمد رضى الله تعالى عنهما كانا يكرهان للمحرم أن يستظل راكبا لما روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه رأى رجلا قد جعل على رَحْله عُودا له شعبتان وجعل عليه ثوبا يستظل به وهو محرم فقال له ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أضح للذى حرمت له أى ابرز للشمس وأما قوله ﷺ

«لا تتخذوا ظهور الدواب منابر فإنما أراد أن يستوطن ظهورها لغير أرب فى ذلك ولا حاجة وقال الرياشى رأيت أحمد بن المعدل فى الموقف فى يوم شديد الحر وقد ضحى للشمس فقلت له يا أبا الفضل إن هذا أمر قد اختلف فيه فلو أخذت بالتوسعة فأنشأ يقول :

ضحيت له كى استظل بظله
إذا الظل أضحى فى القيامة قالصا
فواأسفا إن كان سعيك باطلا
وياحسرتا إن كان حجك ناقصا

وأحمد بن المعدل هذا بصرى مالكى المذهب يعد من زهاد البصرة وعلمائها وأخوه عبد الصمد بن المعدل شاعر وماهر (حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٦٨ـ ٢٩٤).

وأما عن الدابة التى تخرج فى آخر الزمان وتكلم الناس فيسوق الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت رحمه الله أسئلة وصلت إليه بشأن هذه الدابة :

هل هى حيوان، وله رأس إنسان وجسد طير؟ وهل صحيح أنها تكلم الناس ومعها عصا موسى وخاتم سليمان؟ أو هى حشرة من الحشرات المؤذية يسلطها الله على عباده فما رأيكم فيها؟ فأجاب رحمه الله قائلا:

آراء غريبة :

والواقع أن هذه الدابة قد قيل فى شأنها أكثر من ذلك، وعملت فيها الروايات والآثار عملها المعروف فى كل أمر غيبى أخبر به القرآن، ولم يتصل به بيان قاطع عن الرسول عليه الصلاة والسلام: قيل ذلك فى حقيقتها. وقيل فى صفتها؛ ومن أغرب ما قيل فى حقيقتها أنها إنسان، وأنه على رضى الله عنه. وقيل: إنها ولد ناقة صالح فر هاربا حينما عقر القوم أمه، وانفتحت له فى طريقه صخرة، فدخلها ثم انطبقت عليه، فهو فى باطنها إلى أن يخرج قرب يوم القيامة. وقيل: إنها دابة قديمة خلقت فى عهد الأنبياء المتقدمين، وإن موسى سأل ربه أن يريه إياها، فأخرجها ثلاثة أيام ولياليهن، تذهب فى السماء لا يُرى واحد من طرفيها، فرأى عليه السلام منظرا فظيعا، فقال: يارب ردها فردها. أو إنها هى الثعبان الذى كان فى جوف الكعبة، واختطفته العقاب حين أرادت قريش بناء البيت الحرام فمنعهم، فألقته العقاب بالحجون، فالتقمته الأرض وهو فى باطنها حتى يخرج يوم القيامة.

ومن أغرب ماقيل فى صفة الدابة أن طولها ستون ذراعا بذراع آدم عليه السلام، لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب، وأن لها مع جميع دواب الأرض مشابهة تامة فى عضو من أعضائها: فلها وجه إنسان ورأس ثور، وعين خنزير، وأُذن فيل « إلى آخر ما سودت به الصحف، وضاع الوقت فى نقله» وهى (أى عبارة : ما سُودت به الصحف، وضاع الوقت فى نقله»). كلمة حق قالها أحد المفسرين، ونقلها الآلوسى فى تفسيره وأقرها، وقال معتذرا عن ذكره شيئا من أخبارها. وأنا إنما نقلت بعض ذلك دفعا لشهوة من يحب الاطلاع على شيء من أخبارها صدقا كان أو كذبا.

وقال الإمام الرازى بعد أن حكى هو أيضا شيئا من أخبارها: «واعلم أنه لا دلالة فى الكتاب على شيء من هذه الأمور؛ فإن صح الخبر فيه عن الرسول ﷺ قُبل، وإلا لم يلتفت إليه» وهو يعنى أنه لا يصح من أخبارها شيء غير المذكور فى القرآن الكريم.

إسرائيليات مضللة يجب تنقية التفسير منها :

هذا وقد فات المفسرين أن يضعوا حدا لصون التفسير عن هذه الإسرائيليات التى أظلمت الجو على طلاب الهداية القرآنية، وشغلتهم عن اللب والجوهر بما ألصقته بالقرآن، وقصروا جهودهم على النبش فيما ألصق!

وليس هذا خاصا ـ كما قلنا ـ بالدابة، وإنما هو ريح السموم هبت على كتب التفسير من نواح كثيرة فى كل أمر غيبى أخبر به القرآن، ولم يتصل به بيان قاطع عن الرسول عليه الصلاة والسلام: فقد قيل مثله فى: «يأجوج ومأجوج» وفى «الصور» وفى «اللوح المحفوظ» وفى غيرها.

وقد تتبع بعض المفسرين غرائب الأخبار التى ليس لها سند صحيح، وأغدقوا من شرها على الناس وعلى القرآن؛ وكان جديرا بهم أن يقيموا بينها وبين الناس سدا يقيم البلبلة الفكرية فيما يتصل بالغيب الذى استأثر الله بعلمه، ولم ير فائدة لعباده فى أن يطلعهم على شيء منه. وإذا كان للناس بطبيعتهم ولع بسماع الغرائب وقراءتها، فما أشد أثرها فى إلهائهم عن التفكير النافع فيما تضمنه القرآن من آيات العقائد والأخلاق وصالح الأعمال!

الوقوف فى شئون الغيب عند النصوص :

والذى أحب أن أقرره هنا بهذه المناسبة فيما أخبر الله به من شئون الغيب التى لم يتصل بها بيان قاطع عن الرسول من الدابة، والصور، ونحوهما ـ هو:

إنا نؤمن به على القدر الذى أخبر الله به دون صرف للفظ عن معناه، ودون زيادة عما تضمنه الخبر الصادق: فنؤمن مثلا بأنه سيكون فى آخر الدنيا صور ينفخ فيه، فتكون صعقة؛ ثم ينفخ فيه أخرى، فيكون البعث؛ أما الخوض فى حقيقته ومقداره وكيفية النفخ فيه، أو حمله على أنه تمثيل لسرعة إفناء العالم وبعثه بسرعة النفخة المعروفة للناس ـ فإنه رجم بالغيب وتقوُّل على الله بغير حق.

ونؤمن بأن القرآن كما أخبر الله فى لوح محفوظ، أما الخوض فى حقيقته أو تأويله بأنه تمثيل لصونه عن التغيير والتبديل ـ فإنه رجم بالغيب ـ وتقوُّل على الله بغير حق.

ما يجب أن نعلمه عن الدابة :

وعلى هذا، بالنسبة إلى الدابة ـ نؤمن بأنه حينما يقع أمر الله، وتحق كلمته، ويأتى اليوم الذى لا ينفع فيه نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ـ ستظهر للناس دابة، ولكن: هل تتولد من الأرض، أو هى من دوابها؟ ذلك يعلمه الله، وهل هى صغيرة أو كبيرة، وعرضها كذا وطولها كذا. وهل تحمل معها عصا موسى، وخاتم سليمان أو لا تحمل شيئا؟ ذلك يعلمه الله، نؤمن فقط أن دابة ستخرج وتكلم الناس، هل تكلمهم بلسان عربى ذلق، أو بغيره؟ كذلك هذا يعلمه الله؛ تؤمن بها وبكلامها دون استبعاد أو إنكار.

وقد قص الله علينا فى السورة نفسها أن عصا موسى وهى جماد تحركت واهتزت كأنها جان، وأنها تلقف ما كانوا يأفكون، وقص علينا أن الحيوان الذى ليس من شأنه أن ينطق ولا أن يعبر عن الإيمان والكفر، كالهدهد نطق وعبَّر عن الإيمان والكفر، وأن نبى الله سليمان فهم منه كل ما أراد، وانتفع برحلته التى قام بها من تلقاء نفسه إلى ملكة سبأ.

وإذا كانت الجمادية تلحقها فى الدنيا بسنن الله الخاصية الحيوانية فتتحرك وتبتلع، والحيوانية كذلك تلحقها بالسنن الخاصية الناطقية فتفكر وتدبر وتنطق وتعبر ـ فما بالنا بالنشأة الأخرى التى لا سبيل لنا إلى معرفتها، ولا معرفة أحداثها، ولا سنن الله فيها إلا بالخبر الصادق عنه سبحانه؟ وإذا كانت الأسلاك تهتز بأنباء رؤية من رفعه الله إليه عن طريق اليقظة، وبأنباء تكون الجنين بأحد العنصرين اللذين لا بد منهما فى تكونه بحسب السنن العامة فى الدنيا، ثم تنال تلك الأنباء التأييد والتصديق ـ فما الذى يدعو إلى الإنكار، أو الاستبعاد، أو التأويل لما يتضمنه كلام الله الذى قام ألف دليل ودليل على صدقه بالقياس إلى نشأة تقع بظاهرها وباطنها فى قبضة الله وحده الذى ينطق كل شىء؟

نعم؛ يجب الوقوف فى الإيمان عند الحد الذى جاء به الخبر الصادق، ولا ينبغى التصرف فيه بالحمل على التمثيل، أو الزيادة عليه، وضم شىء إليه فضلا عن استبعاده أو إنكاره؛ وهذا هو شأن المؤمنين بالله، وبكتابه وغيبه.

(الفتاوى/ ٤٨ ـ ٥١).

كما يجيب فضيلة الشيخ عطية صقر على سؤال يقول :

س: ما هى الدابة التى جاء فيها ﴿**وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**﴾[سورة النمل: ٨٢]؟

ج: أولا: اختلف المفسرون فى معنى ﴿**وقع القول عليهم**﴾ فقيل معناه وجب غضب الله، أو حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون، أو سخط الله عليهم بموت العلماء وذهاب العلم ورفع القرآن. وقيل غير ذلك، ويجمعها البعد عن الدين بدليل آخر الآية.

جاء فى صحيح مسلم قول النبى ﷺ «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا ـ طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض».

وثانيا: فى تعيين الدابة خلاف أيضا، فقيل: إنها فصيل ناقة صالح ـ ويقول القرطبى: هو أصح الأقوال، وساق حديثا طويلا فى ذلك، وقيل: إنها الجساسة وهى دابة طولها ستون ذراعا، وعلى خلقة الآدميين، وقيل: جمعت من خلق كل حيوان، وقيل غير ذلك.

وخروجها مختلف فى مكانه أيضا، فقيل: تخرج من جبل الصفا بمكة، وقيل: تخرج ثلاث مرات: فى بعض البوادى ثم فى القرى ثم من أعظم المساجد، وقيل: من مسجد الكوفة حيث فار تنور نوح، وقيل من الطائف، وقيل غير ذلك.

أما كونها إنسانا متكلما يناظر أهل البدع والكفر فقول

مردود كما قال القرطبي. والدابة تسم الناس على خراطيمهم أي أنوفهم، وتكلمهم ببطلان الأديان غير الإسلام وبالرد على من كان يزعم عدم خروجها لأنها من آيات الله.

وكل ذلك قرب قيام الساعة، وفي كتب التفسير كثير يكفي منه هذا القدر.

(أحسن الكلام ٢ / ٢١٢).

(منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للإمام ابن الجوزي - تحقيق ودراسة محمد السيد الصفطاوي، ود. فؤاد عبد المنعم ماجد / ١١٢، وحياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميري ١ / ٢٨٦ ـ ٢٩٤، والفتاوى - فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت / ٤٨ ـ ٥١، وأحسن الكلام في الفتاوى والأحكام - فضيلة الشيخ عطية صقر. ط. دار الغد العربي ٢ / ٢١٢).

*** دابة الأرض:**

انظر: الدابة.

***الدابة التي تكلم الناس:**

انظر: الدابة

*** الداتورة:**

انظر مادة «جوز ماثل» في م ١٢ / ٥٠٠، ٥٠١

*** داثن:**

داثن: بعد الثاء المثلثة المكسورة نون: ناحية قرب غزة بأعمال فلسطين بالشام، وبها أوقع المسلمون بالروم وهي أول حرب بينهم، قال أحمد بن جابر: لما فرغ أبو بكر، رضي الله عنه، من أهل الردة عقد ثلاثة ألوية بالترتيب: أبي سفيان وشُرَحْبيل بن حسنة وعمرو بن العاص، فساروا إلى الشام، فأول وقعة كانت بين المسلمين وعدوهم بقرية من قرى غزة يقول لها داثن، فقاتلهم الكفار ثم أظفر الله المسلمين، وذلك في سنة اثنتي عشرة.

(معجم البلدان ٢ / ٤١٧).

*** الداجن:**

انظر: الدواجن.

*** داذويه:**

داذويه: الصحابي رضي الله عنه مذكور في المهذب في الباب الثاني من كتاب الأقضية وهو بدال مهملة في أوله بلا خلاف وبعد الألف ذال معجمة عند الجمهور وقيل مهملة ولم يذكر القلعي غيره والصواب الأول. وهي مفتوحة ثم واو مفتوحة ثم ياء مثناة تحت ساكنة وداذويه هذا صحابي صالح وهو أحد الثلاثة الذين قتلوا الأسود العنسي الكذاب وهم داذويه وفيروز الديلمي وقيس بن مكشوح وقتلوه بصنعاء اليمن في حياة رسول الله ﷺ.

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي ١ / ١٧٩).

*** داجون:**

قال ياقوت:

داجون: بالجيم، وآخره نون: قرية من قرى الرملة بالشام، ينسب إليها أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن سليمان الداجوني الرملي المقري، وذكر في إيضاح الأهوازي، روى عن أبي بكر أحمد بن عثمان بن شبيب الرازي، روى عنه أبو القاسم زيد بن علي الكوفي، قال الحافظ أبو القاسم، محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن سليمان الرملي الداجوني المقرى المكفوف قرأ القرآن على عليٍّ بن محمد بن موسى بن عبد الرحمن المقرى الدمشقي صاحب ابن زكوان وأبي محمد عبد الله بن جبير الهاشمي بحرف ابن كثير وعلى عبد الله بن أحمد بن سليمان بن سلكويه والعباس بن الفضل بن شاذان الرازي وعبد الرزاق بن الحسن وعلى بن أبي بكر محمد بن أحمد بن عثمان بن شبيب الرازي، روى عنه هارون بن موسى الأخفش وأبو نعيم محمد بن أحمد بن محمد الشيباني وأبو الحسن محمد بن ماهويه القزاز، وحدث عن أبي بكر أحمد بن محمد بن عثمان الرازي ومحمد بن يونس بن هارون القزويني والعباس بن الفضل بن شاذان، قرأ عليه أبو القاسم زيد بن علي بن أحمد ابن بلال العجلي الكوفي، قدم الكوفة سنة ٣٠٦، وأبو بكر عبد الله بن محمد بن فورك القياف وأبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله العجلي، روى عنه أبو محمد بن عبد الله بن علي بن محمد الصيدلاني والحسن بن رشيق العسكري

وأبو بكر بن مجاهد ولم يصرح باسمه، وكان مقرئا حافظا ثقة، حكى أبو عمرو عثمان بن سعيد المقرى عن فارس بن أحمد قال: قدم الداجونى بغداد وقصد حلقة ابن مجاهد فرفعه ابن مجاهد وقال لأصحابه: هذا الداجونى اقرؤوا عليه.

(معجم البلدان ٢ / ٤١٧، ٤١٨).

***الداحس:**

جاء فى اللسان: الداحس: من الورم، ولم يحددوه، وأنشد أبو على وبعض أهل اللغة:

تشاخص إبهاماك إن كنت كاذبا
ولا برئا من داحس وكُناع

وسئل الأزهرى عن الداحس فقال: قرحة تخرج باليد تسمى بالفارسية بَرْوَرَه (لسان العرب ١٥ / ١٣٣٥).

وقال صاحب كتاب التنوير الداحس: ورم مع حرارة والتهاب فى أصول الأظفار، يبلغ وجعه الإبط، وربما جلب حمى، وأسقط الظفر (كتاب التنوير / ٣٠).

وقال صاحب كتاب تسهيل المنافع وقد أفرد بابا للداحس:

قال بعضهم هو ورم حار يعرض بالقرب من الأظفار من وجع شديد وضربان قوى. قلت والداحس هو الذى تسميه العامة بالعراض وهو بكسر العين المهملة قال صاحب كتاب الرحمة الداحس هو أن يورم بعض الأصابع من أصلها إلى الظفر سببها حرارة دموية تجتمع هناك.

العلاج: يجعل على الأصابع حبة ليم يوما وليلة ثم يضمد بدقيق عفص معجون بخل ويوضع فى ماء بارد نافع. ومن كتاب شيخنا للداحس خبث الحديد يدق ويعجن بالخل ويطلى به مرة بعد أخرى إلى أن تحصل العافية ومن بعض كتب الطب يؤخذ ثوم وكراث يسحقان ويجعلان عليه يبرأ، ومن كتاب كامل الصناعة فى الطب للداحس إذا دق الكندر يعنى اللبان الشحرى ثم طلى به نفع أو يضمد بالعفص المدقوق وقشور الرمان فإذا اشتدت حرارتها فيطلى عليها بذر قطونا مضروبة بماء ويسير من الخل فإذا اشتد وجعه ولم يسكن فاطله بالبنج والأفيون والخل ويوضع عليه خرقة مبلولة ببذر قطونا وقال أبقراط ينبغى أن يعالج الداحس بالعفص الأخضر مطبوخا بالخل أى معجونا وذلك بأن يطلى عليه وهذا يكون إذا تقرح الجرح. وقال فى اللقط: علاج الداحس فى الابتداء أن يغمس فى الخل مع النخالة خصوصا إذا كان حارا وكذا يصلح العفص المعجون بالعسل يمنع استحكام الداحس فإذا انفجر الداحس فالصبر من أعظم أدويته وكذا اللبان بالزرنيخ انتهى كلام اللقط. وقال الماردينى فى الرسالة: علاج الداحس أن يضمد بالكندر مع قليل عسل فإن لم يكف ذلك فبذر قطونا مع الخل فإن لم يسكن الوجع بذلك فلتوضع الأصبع فى ماء بارد شديد البرد ثم يضمد بعفص وقال وسخ الأُذن ينفع من الداحس إذا لم يكن فيه قيح. الذهب إذا تختم به صاحب الداحس نفعه مجرب. الأفيون يخلط بالخل ويطلى به عليه ينفعه العرق سوس إذا سحق وطلى به الداحس نفعه العاج وهو ناب الفيل إذا طلى به الداحس أبرأه وأذهب أوجاعه.

ثم يفرد المؤلف عقب ذلك بابا فى إصلاح الأظفار جاء فيه ما يلى:

قال الماردينى: أما بياض الأظفار وهو برصها فهو ينفعه أن يضمد بدقيق حنطة مع زيت أياما فإنه يبرأ سريعا؛ ومما يسقط الأظفار الرديئة أن تضمد بالزيت مع المر المدقوق والكبريت اهـ. وقال مما ينفع الأظفار إذا أصابها البرص وصارت بيضاء فيؤخذ عند ذلك كبريت أصفر وزرنيخ أحمر ويدقان ناعما ويعجنان بخل ويطلى به الموضع فإن الأظفار تبرأ؛ ومما ينفع الأظفار جملة شرب الشخص من السليط مقدار مقدرته ويجتنب ما يولد السوداء كالمآكل الحامضة والأشياء الغليظة؛ ومما يصلح أن يدهن كل ليلة بالسليط انتهى. العلاج: النورة التى غير مطفأة إذا أضيف إليها شحم ماعز ووضعها على الأظافر البرصة أبرأها بإذن الله تعالى مجرب صحيح.

فصل فى أدوية تشقق الأظفار وتقشرها ومرضها: الحناء إذا داوم بوضعها على الأظفار معجونة فإنه يزيد فى حسنها وينفعها؛ ومما جرب وصح أن يسقى من تقلعت أظفاره من أصولها وزن عشرة دراهم حناء وذلك بأن ينقع الحناء فى ماء يغمره فإنها ترجع إلى أحسن ما كانت وتنبت الأظفار كعادتها صحيح مجرب، وكذلك الحناء إذا جعل على الأظفار دائما معجونا يزيد فى حسنها...

الحلبة: إذا دُقّت وعجنت بالزيت وطلى بها على الأظفار

المرضوضة من ضربة ونحوها نفعها، والله أعلم (تسهيل المنافع / ١٥٩، ١٦٠).

وقد ذكر داود الأنطاكى «الداحس» فى تذكرته، ويربط الدكتور سامى محمود بين ما أورده الأنطاكى وبين ما يقوله الطب الحديث فيقول تحت عنوان «الداحس (الإصبع المدوحس)»:

يقول صاحب التذكرة..

الداحس هو ورم بأطراف الأصابع والأظافر وذلك بسبب انصباب مادة حارة فى الأغلب بين الأغشية تنتهى إلى منابت الأظافر فتسقط إذا تركت ويكون مع الداحس ألم وضربان شديد وذلك لكثرة حساسية الأصبع المصاب وكثرة الأوردة الدموية فى نهاية الأصبع.. ويكون معه كذلك نتوء وحمرة وحرارة تنبعث من مكان الإصابة.. أما علاج الداحس فيكون بالطرق الآتية..

ـ يستخدم العفص والخل وصدأ الحديد لتليين ورم الداحس فإذا حدث للمريض حمى وسخونة فيشرب منقوع الصبر أو التمر هندى بماء الشعير ثم يبدأ فى تلبيخ مكان الداحس ببذر الكتان مع الخل أو البيض والزعفران والعصفر فإذا تجمعت المادة (الصديد) فإن لم يفتح من تلقاء نفسه شق مكان التجمع لكى يستخرج الصديد..

ـ كذلك يستخدم قشر الرمان والصبار والحناء لتحليل ورم الداحس وهى وصفة مجربة..

ـ وإذا خلط الفلفل بعد سحقه مع الزفت فإنه يفجر الداحس..

ـ أيضا يستخدم لبان الذكر مع عسل النحل فى خليط لتضميد الداحس فإن ذلك يلينه ويشفيه..

ـ أيضا إذا خلط الملح مع الحناء أو التين فإنهما تسكن وجع الداحس ضمادا..

ـ كذلك إذا أخذ شحم الرمان ـ الألياف الداخلية فى الرمان ـ مع الملح والخل ويضمد به مكان الداحس فإنه يفجره..

ـ أيضا نشارة الصابون (الصابون المبشور) إذا خلط مع بذر الكتان وطبخت على النار مع زيت الزيتون والماء وتركت حتى يتكون مرهم ولطخ به فإنه يفجر الداحس..

وقد جاءت الوصفة التالية فى كتب قدامى أطباء العرب لمعالجة الأصبع المدوحس..

ـ يوضع رأس الأصبع المصاب فى حبة الليمون بعد فتحها ويترك هكذا يوما وليلة ثم يؤخذ العفص بعد ذلك ويدق ناعما ويعجن بالخل ويضمد به ويستمر على هذا العلاج حتى يتم الشفاء..

أما ما يقوله الطب الحديث..

الداحس هو التهاب فى أحد أطراف الأصابع وعادة يشمل الظفر.. ويكون السبب فى العادة دخول أحد ميكروبات المكور السبحى فى خدش أو جرح بسيط تحت الظفر أو فى الجلد حيث نهاية الأصبع.. ويشعر المريض بألم دفين فى الأصبع المصاب وقد يمتد إلى العضد.. ويظهر طرف الأصبع متورما أحمر اللون لامع ويشعر المريض بألم شديد عند لمس الأصبع أقل لمسة.. وبعد فترة وجيزة يتكون الصديد.. وهنا يكون لإهمال العلاج مضاعفات خطيرة فقد يمتد الالتهاب ليشمل اليد كلها أو يمتد لأكثر من ذلك ويتحول مكان الأصبع المصاب بؤرة صديدية تنقل سمومها الى الدم ومنه إلى أعضاء كثيرة من الجسم. (تذكرة داود / ١٥٣، ١٥٤).

والعلاج يكون عادة بفتح الخراج المتكون بعد تليينه باستخدام المرهم الأسود وذلك إذا لم يفتح من تلقاء نفسه، وبعد تنظيف الجرح يستخدم مرهم المضاد الحيوى كالتيراميسين كما يتناول المريض أقراص المضاد الحيوى كعلاج عام.

(لسان العرب لابن منظور ١٥ / ١٣٣٥، وكتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية لأبى منصور الحسن بن نوح القيمرى ـ تحقيق وفاء تقى الدين / ١٠٩، وتسهيل المنافع فى الطب، والحكمة لابن الأزرق / ١٥٩، ١٦٠، وتذكرة داود للعلاج بالأعشاب والرسائل الطبيعية للطبيب العلامة داود الأنطاكى ـ الإشراف العلمى د. سامى محمد / ١٥٣، ١٥٤).

*** داحس والغبراء:**

من الوقائع بين قبائل مضر حرب «داحس والغبراء» بين عَبْس وذبيان وسببها أن قيس بن زهير العبسى تراهن هو وحذيفة بن بدر الفزارى فى سباق فأجرى الفزارى فرسه «الغبراء»، وأرسل العبسى «داحسا»، فكان داحس السابق لولا كمين ـ جعلته بنو فزارة ـ رده قبل أن يدرك الغاية. فادعى كل منهما حق السبق، وثارت من أجل ذلك حراب عوان امتدت نحو أربعين سنة.

(المفصل فى تاريخ الأدب العربى ـ أحمد الإسكندرى وزملائه ١/ ٢٠، ٢١).

*** الدار:**

قال الإمام الفيروزابادى فى البصيرة السابعة عشرة من بصائره:

والدار مؤنثة وإنما قال الله تعالى ﴿ولنعم دار المتقين﴾ [النحل: ٣٠] وذكّر على معنى المثوى والمنزل، كما قال تعالى: ﴿نعم الثواب وحسنت مرتفقا﴾ فأنث على المعنى.

(يعلق المحقق هنا قائلا :

لا حاجة لهذا التأويل . فيجوز فى النحو نعم المرأة هند ، ونعمت المرأة لقصد الجنس ، كما قال ابن مالك فى الألفية :

والحــــذف فى نعم الفتــــاة استحسنــــوا

لأن قصــــد الجنس فيـــــه بيِّـن)

ثم يقول الإمام الفيروزابادى : وأدنى العدد أدؤر ، والهمزة مبدلة من واو مضمومة ، ولك أن تقول : أدوُر بالواو . وجمع الكثير ديار ودور كجبال وأُسد . ويجمع أيضا على آدر مقلوب أدور وعلى دوران وديران وأدورة .

وقوله : ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ [الأعراف : ١٤٥] قال مجاهد أى مصيرهم فى الآخرة . وقال غيره : مدينة مصر .

ثم سميت كل محلة اجتمعت فيها قبيلة دارا وتسمى البلدة دارا والصقع دارا والدنيا كما هى دارا . والدار الدنيا والدار الآخرة إشارة إلى المقرين فى النشأة الأولى وفى النشأة الآخرة . قال الله تعالى ﴿لهم دار السلام عند ربهم﴾ [الأنعام : ١٢٧] أى الجنة ، و ﴿ دار البوار﴾ [إبراهيم : ٢٨] أى الجحيم . (بصائر ٢ / ٦١٣ ، ٦١٤) .

وقال التهانوى :

الدار عند الفقهاء اسم للعرصة التى تشتمل على بيوت وصحن غير مسقف كذا فى البرجندى فى فصل لا يجوز بيع المشترى قبل قبضه وإن لم يبق هذا البناء فلا يزول عنه اسم الدار وتحقيقه يطلب من فتح القدير من باب اليمين فى الدخول والسكنى كما قيل : شعر :

الـــدار دار وإن زالت حـــوائطهـــا

والبيت ليس ببيت وهــــو مجـــدوم

هذا خلاصة ما فى حاشية السيد الشريف .

اعلم أن الدار اسم للعرصة عند العرب والعجم وهى تشتمل ما هو فى معنى الأجناس لأنها تختلف اختلافا فاحشا باختلاف الأغراض والجيران والمرافق والمحال والبلدان والبناء وصف فيها والمراد بالوصف ليس صفة عرضية قائمة بالجوهر كالبياض والسواد بل يتناولها ويتناول أيضا جوهرا قائما بجوهر آخر يزيد قيامه به حسنا وكمالا ويورث انتقاصه عنه قبحا ونقصانا كما يقال الذرع وصف فى الثوب ، والدار يقال لما أدير عليه الحائط ويشتمل جميع ما يحتاج إليه من المنافع والمرافق حتى الإسطبل وبيت البواب وبيوت الدواب والبيات فيه وهو ما يدير عليه الجدار من الجوانب الأربع مع السقف . والمنزل بين الدار والبيت أى ما يشتمل الحوائج الضرورية مع ضرب من القصور يعنى يكون فيه المطبخ وبيت الخلاء ولا تكون فيه بيوت الدواب ولا بيت البواب وأمثال ذلك هكذا فى كليات أبى البقاء .

دار الإسلام عندهم ما يجرى فيه حكم إمام المسلمين من البلاد .

ودار الحرب عندهم ما يجرى فيه أمر رئيس الكفار من البلاد كما فى الكافى . وفى الزاهدى أنها ما غلب فيه المسلمون وكانوا فيه آمنين ودار الحرب ما خافوا فيه من الكافرين ولا خلاف فى أنه يصير دار الحرب دار الإسلام بإجراء بعض أحكام الإسلام فيها وأما صيرورتها دار الحرب نعوذ بالله فعنده بشروط : أحدها إجراء أحكام الكفر اشتهارا بأن يحكم الحاكم بحكمهم ولا يرجعون إلى قضاة المسلمين ولا يحكم بحكم من أحكام الإسلام كما فى الحرة .

وثانيها : الاتصال بدار الحرب بحيث لا تكون بينهما بلدة من بلاد الإسلام يلحقهم المدد منها .

وثالثها : زوال الأمان الأول أى لم يبق مسلم ولا ذمى آمنا إلا بأمان الكفار ولم يبق الأمان الذى كان للمسلم بإسلامه وللذمى بعقد الذمة قبل استيلاء الكفرة وعندهما لا يشترط إلا الشرط الأول . وقال شيخ الإسلام والإمام الإسبيجابى : إن الدار محكومة بدار الإسلام ببقاء حكم واحد فيها كما فى العمادى وفتاوى عالمكير وفتاوى قاضيخان وغيرها فالاحتياط أن يجعل هذه البلاد دار الإسلام والمسلمين وإن كانت للملاعنين واليد فى الظاهر لهؤلاء الشياطين كذا فى جامع الرموز (كشاف ١/ ٤٦٦) .

(بصائر ذوى التمييز للإمام الفيروز ابادى ـ تحقيق الأستاذ محمد على النجار ٢ / ٦١٣ ، ٦١٤ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهاونى ١ / ٤٦٦) .

* الدار :

من الألقاب الإسلامية التى أحصاها الدكتور حسن الباشا الذى يقول :

الدار . لفظ مؤنث بمعنى الموضع والمثوى والبيت والديوان . وقد استعمل على سبيل الكناية كلقب فخرى ، وكان

منذ البداية يطلق على الخليفة مع إضافة صفة «العزيزة» : فكان يقول : «الدار العزيزة»

واستعمل أيضا للإشارة إلى الجليلات من النساء : فأطلقه العلاء بن موصلايا صاحب ديوان الإنشاء فى عصر القائم العباسي على نساء الملوك وغيرهن من السيدات ، واستمر هذا الاستعمال حتى عصر المماليك : فكان يعبر عن السيدة بدارها تنزيها لها عن التصريح باسمها كما هى الحال فى لقب «الجهة» وغيره من الألقاب الأصول . والسر فى اختياره للإشارة إلى النساء هو الرمز إلى الصون لملازمتهن الدور وعدم الخروج منها .

وقد غلب استعماله فى المكاتبات ، وإن كان قد استعمل فى غيرها من الولايات والنقوش .

ويشترك مع «الدار» كلقب أصل للتعبير عن المرأة فى مصطلح كتاب ديوان الإنشاء فى عصر المماليك لفظا «الجهة» «والستارة» ؛ وكان يسرى عليه ما يسرى عليهما من أحكام وترتيب ، إذا اصطلح الكتاب على استعماله كلقب أصل لمؤنث حقيقى : أى أنه جاء فى مقدمة الألقاب الخاصة بأميرات البيت المالك ، وتفرعت عليه باقى الألقاب ؛ كما انقسم إلى درجتين بحسب ما يلحقه من صفات : وهما «الدار الشريفة» ، «والدار الكريمة» ولقد ثبت من النقوش الأثرية أنه كان يلحق به مباشرة صفات أخرى . فقد أطلق لقب «الدار العالية» على بيت السلطان الملك الظاهر بيبرس فى نقش من ح سنة ٦٧٥ هـ على شمعدان من النحاس جاء فيه «مما عمل برسم الدار العالية ، ذات الستر الرفيع ، والحجاب المنيع ، والعصمة الخاتونى دار رشيد السلامشى بنت السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس الصالحى» .

وكان اللفظ يرد أحيانا فى صيغة الجمع كلقب أصل للسيدة الجليلة ، ومن ذلك إطلاق لقب «الآدر المصونة» على الأميرة تتر فى نقش بتاريخ شهر رمضان سنة ٧٦١ هـ فى مدرسة الأميرة تتر الحجازية .

ولم يقتصر استعمال لفظ «دار» فى عصر المماليك على لقب أصل بل استعمل أيضا كلقب عام على نساء البيت المالك ؛ ومن ثم ورد تارة فى المؤلفات وتارة على النقوش بصيغة الإفراد أحيانا وبصيغة الجمع أحيانا أخرى للتعبير عن السيدة . وكان اللقب إذا ورد بصيغة الإفراد ، ومتبوعا باسم مذكر دل ذلك الاسم على طواشى لا على قريب : ومن ذلك وروده فى حالة الأميرة الأيوبية مؤنسة خاتون المعبر عنها «بدار إقبال» . وعلى هذا يمكن تفسير «دار رشيد» الواردة فى نقش من ح سنة ٦٧٥ هـ على شمعدان من النحاس كإشارة إلى بنت السلطان الملك الظاهر بيبرس بأنها كانت تحت رعاية طواشى يسمى رشيد .

ومن أمثلة استعمال اللفظ بصيغة الجمع ما ذكره خليل الظاهرى فى كتاب «زبدة كشف الممالك» بخصوص القياع بالقلعة حين عد «القياع المخصوصة بالآدر الشريفة» فذكر منها «البيسرية وهى مكان خدمة الآدر بها» .

ويعتقد فان برشم أن لفظ «الآدر» بمعناه الأخير دخل فى تكوين أحد ألقاب الوظائف فى عصر المماليك وهو «زمام دار» ـ ويقصد به المشرف على أمور الحريم بالقصر ـ إذ أنه يرجح أن أصله «زمام الآدر» ، ثم أخذ بعد ذلك صورة «زمام دار» تأثرا بالألقاب الفارسية الشائعة فى هذا العصر مثل «خزندار» . ومما يؤيد هذا الرأى أن اللقب قد ورد بصيغته الأصلية «زمام الآدر الشريفة» فى نقش بتاريخ سنة ٨٤٤ هـ فى المدرسة الجوهرية خاص بصفى الدين جوهر .

وكان لفظ «دار» يدخل فى تكوين بعض ألقاب الوظائف فى الدولة الإسلامية لا سيما فى عصر المماليك : مثل «جوكندار» «ودوادار» و «جاندار» وأمثالها ، وذلك باعتباره مشتقا من المصدر الفارسى «داشتن» بمعنى التملك أو التصرف أو الضبط . (أما الدوادار فكان يقوم بالإشراف على الشئون الكتابية للسلطان : فكان يترك مع كاتب السر وأمير جاندار فى تقديم البريد إليه ، وكان من مهمته أيضا عرض الصور النهائية من المكاتبات الرسمية عليه لتوقيعها . المقريزى : خطط جـ ٢ س ٢٢٢) .

على أن بعض المؤلفين المحدثين يخالف القلقشندى فى أن لفظ «دار» قد دخل فى ألقاب الوظائف دائما بمعناه الفارسى المشتق من «داشتن» واللقب المختلف عليه هو «استادار» حيث يرجح أن لفظ «دار» هنا هو اللفظ العربى بمعنى القصر أو المحلة ، وأن اللقب فى أصله هو «أستاذ الدار» والحق أن العرض التاريخى للنقوش التى يظهر فيها اللقب يؤيد الرأى الحديث : ففى نص إنشاء بتاريخ سنة ٦١٠ هـ فى خان العقبة يرد لقب «أستاذ الدار» كاسم لوظيفة

أبى منصور أيبك. كما يرد اللقب نفسه فى نص إنشاء بتاريخ سنة ٦٣٠ هـ فى المسجد الجامع فى صلخد وفى سنة ٧٠٣ هـ يرد اللقب بصيغة «أستاد الدار» بالدال كلقب لوظيفة سلار فى نقش بمدرسة الأمير سلار، وفى سنة ٧٤٠ هـ يأتى لقب «أستاد الدار العالية» كلقب وظيفة للأمير أقبغا فى مدرسته. ثم يأتى بصيغة «أستادار العالية» كوظيفة للأمير سيف الدين جرجى الملكى الناصرى على إناء من الزجاج محفوظ بمتحف فكتوريا والبرت بلندن ومن هنا نلاحظ تطور اللقب من «أستاذ الدار» إلى «استادار» مما يرجح أصله العربى.

على أن هناك رأيا آخر طريفا فى شرح أصل هذا اللقب نقله الدكتور محمد مصطفى زيادة عن إحدى نسخ كتاب السلوك وكان مكتوبا بخط مخالف قبالة لفظ «الاستادار»، وقد جاء فيه «استادار كلمة فارسية أصلها أصطا سرا بمعنى أصطا كبير، ثم عربوه فقالوا أستاذ، ومعنى «سرا» دار الكبير كالسلطان ونحوه، فلما تلاعبوا بهذه الكلمة قالوا «استادار». وهذا الرأى له قيمته فى تفسير أصل كلمة «أستاذ» إذ أنه يشير إلى أنها تعريب لكلمة «اصطى» الفارسية، وهو عكس الرأى القائل بأن لفظ «أصطى» العامى المعروف فى العصر الحاضر تحريف لكلمة «أستاذ».

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٨٢ ـ ٢٨٥).

*** دار الآثار العربية:**

انظر: متحف الفن الإسلامى.

*** دار الأرقم:**

أدرجها صاحب الجامع اللطيف فى الدور المباركة فى مكة المكرمة فقال عنها:

ومنها دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى المعروفة الآن بدار الخيزران المجاورة للصفا والمقصود بالزيارة المسجد الذى فيها لأن النبى ﷺ كان مستترا فيه فى مبدأ الإسلام وفيه أسلم عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب وغيرهما ومنه ظهر الإسلام وبه كان اجتماع الصحابة فله فضل كبير وهذا المسجد بنته الخيزران جارية المهدى العباسى المتقدمة آنفا. أقول: ولعله لهذا السبب نسبت الدار إليها والله أعلم انتهى (الجامع اللطيف / ٢٠٤).

ووردت عن اجتماع المسلمين بدار الأرقم هذه الأبيات من ألفية السيرة النبوية للحافظ زين الدين العراقى، وقد اتبعناها بشرح الإمام الشيخ عبد الرزاق المناوى. قال الناظم رحمه الله:

واتخذ النبى دار الأرقم
للصحب مستخفين عن قومهم
وقيل كانوا يخرجون تترى
إلى الشعاب للصلاة سرا
حتى مضت ثلاثة سنينا
وأظهر الرحمن بَعْدُ الدينا
وصدع النبى جهرا معلنا
إذ نزلت ﴿فاصدع بما﴾ فما ونا
وأنذر العشائر التى ذكر
بجمعهم إذ نزلت وأنذر

الشرح: لما دعا رسول الله إلى الإسلام ودخل فى الدين جماعة قليلة خافوا من المشركين فاتخذ النبى دار الأرقم للصحب ليتجمعوا مستخفين أى فى خفية عن قومهم. وقيل كانوا يخرجون وقت الصلاة تترا أى يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين خوفا من كفار مكة إلى الشعاب لأجل الصلاة فيها سرا لئلا يشعروا بهم واستمروا على ذلك حتى تكاملوا أربعين نفسا آخرهم عمر ومضت عليهم وهم بها ثلاث من السنين فكان رسول الله ﷺ فى تلك الثلاث يدعو الناس إلى الإسلام سرا، ثم أظهر الرحمن سبحانه الدين فصدع بالدعوة أى أظهرها معلنا بعد ما كان مسرا لما نزل ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ [الحجر: ٩٤] فبادر بجد وعزم وما ونى، أى ما ضعف ولا تراخى عما أُمر به، فدعا الناس كافة إلى الإسلام وصدع بالدعوة كما أمر به وأنذر العشائر جمع عشيرة وهى القبيلة لا واحد لها من لفظها التى ذكرهن فى كتابه بجمعهم أى بأجمعهم حين نزل عليه ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤] فصنع طعاما وجمع بنى عبد المطلب حتى أنذرهم ومن حينئذ اشتد الأمر بينه وبين أهله، فمنهم من اتبعه، ومنهم من أعرض واستهزأ به ومنهم من آذاه فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر، والشعاب جمع الشعب وهو الطريق فى الجبل وقوله ثلاثة بالتنوين للوزن، وبعد مبنى على الضم (العجالة السنية / ٤٣).

(الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف لمولانا جمال الدين محمد جار الله بن على بن ظهيرة / ٢١٤، والعجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للإمام الشيخ عبد الرزاق المناوى. قام بتصحيحه والتعليق عليه فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصارى / ٤٣).

*** دار الإسلام:**

البلاد التى يحكمها مسلم، وتُحترم فيها شعائر الإسلام، وتقوم فيها أحكامه، ويعيش فيها غير المسلم من أهل الذمة. آمنا على نفسه وماله.

(الموسوعة الثقافية ـ بإشراف د. حسين سعيد / ٤٣٤).

*** دار الإمارة بالبصرة:**

لا تتعدى معلوماتنا عن هذه الدار ما ذكره البلدانيون والمؤرخون وكتاب السير والتراجم. فقد جعل القائد عتبة بن غزوان الدار بالقرب من المسجد الجامع فى منطقة كانت تدعى بالدهناء. وسبق أن ذكرنا أن الوالى الأموى زياد بن أبيه عندما وسع وأعاد بناء المسجد جعل هذه الدار ملاصقة له وأمر أن تبنى باللبن والطين. وأمر الحجاج بن يوسف الثقفى، أثناء ولايته على العراق، بهدمها بحجة إعادة بنائها بالطابوق والجص، ولكنها تركت على حالها إلى عهد الخليفة سليمان ابن عبد الملك، الذي أمر أن تبنى بالطابوق والجص فوق أسسها الأولى، أى على ما كانت عليه قبل الهدم. وقام والى العراق فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز بمحاولة إجراء تعديل أو زيادة فيها، فلما علم الخليفة بذلك منع الوالى عما أراد، ويظهر أن الدار ظلت على ما هى عليه إلى أن أمر الخليفة هارون الرشيد بإضافتها إلى المسجد.

(العمارة العربية الإسلامية فى العراق د. عيسى سلمان وزميلاته ١ / ٥٥).

*** دار البُنُود:**

قال ياقوت:

دار البنود: دار السلاح بمصر للذين كانوا يزعمون أنهم خلفاء علويون، وكان يحبس فيها من يراد قتله وحبس فيها على بن محمد التهامى، فقال وهو محبوس فيها:

طرقت خيالا بعد طول صُدُودها،
وفرت إليه السجن ليلة عيدها
أنى اهتدت لا التيه منشاها ولا
سفح المقطم من مجر بُرُودها
أسرت إليه من وراء تهامة
وجفاء دانى الدار غير بعيدها
مستوطنا دار البنود وقلبه
للرعب يخفق مثل خفق بنودها
دار تحط بها المنون سنانها،
فتروح، والمهجات جل صيودها

*** الدار البيضاء:**

انظر: المغرب.

*** دار الحديث بالمستنصرية:**

فى كتابه الجامع عن تاريخ علماء المستنصرية ببغداد يقول الدكتور ناجى معروف رحمه الله عن دار الحديث بها وعن شروطها:

كان من جملة الأقسام العلمية بالمستنصرية دار الحديث. وكانت تسمى «دار السنة» أو «دار السنة النبوية» أو «المحمدية» لأنه كانت تدرس فيها سُنة الرسول ﷺ. وهى الحديث النبوى، وأعمال الرسول، وتقريراته. وكان الحديث كما جاء فى الحوادث الجامعة يدرس فيها ثلاث مرات فى الأسبوع. ولم يذكر ابن الساعى ولا غيره أن الحديث كان يدرس فيها فى أيام معينة. وربما كان يدرس فيها يوميا لأهميته البالغة فى حياة المسلمين. ولعل بعض القاعات الكبرى فى الضلع الشرقية من المستنصرية، والتى نرى أنها كانت خزانة الكتب ـ قد اتخذت لتدريس الحديث كما ذكر الإربلى نقلا عن ابن الساعى حيث يقول: «وشرط أن يكون فى دار الكتب التى هى الخزانة عشرة طلاب يشتغلون بعلم الحديث النبوى» وقد اشترط الخليفة المستنصر شروطا لهذه الدار ذكرها الغسانى فى العسجد المسبوك والصلاح الصفدى فى تاريخه فى حوادث سنة ٦٣١ هـ. وجاء ذكرها فى الحوادث الجامعة أيضا. ومما جاء فيها:

١ ــ أن يكون فيها شيخ عالى الإسناد، يشتغل بعلم الحديث النبوى.

٢ ـ أن يكون فيها قارئ للحديث.

٣ ــ أن يكون فيها عشرة طلاب يشتغلون بعلم الحديث النبوى.

٤ ـ أن يكون فيها للشيخ المسمع فى كل يوم ستة أرطال خبزا، ورطلان لحما.

٥ ــ أن يكون فيها للشيخ المسمع فى كل شهر ثلاثة دنانير.

٦ ـ أن يكون للقارئ فى كل يوم أربعة أرطال خبزا، وغرف طبيخا.

٧ ـ أن يكون للقارئ فى كل شهر ديناران وعشرة قراريط.

٨ ـ أن يكون للطلبة لكل طالب فى كل يوم ثلاثة أرطال خبزا، وغرف طبيخا.

٩ ـ أن يكون للطلبة لكل طالب فى كل شهر ثلاثة عشر قيراطا وحبة.

١٠ ـ أن يقرأ الحديث فى كل يوم سبت، واثنين، وخميس من كل أسبوع.

ثم يقول رحمه الله عن شيوخ دار الحديث المستنصرية (وسنورد تراجم بعضهم فى مواضعها إن شاء الله تعالى):

لقد وقفنا على أخبار اثنين وعشرين عالما من شيوخ دار الحديث وهم المسمعون والمحدثون فيها. كما وقفنا على أخبار ستة من قراء الحديث وهم كالمعيدين الذين يتولون الإفادة أو الإعادة للمحدثين. كما عثرنا على اثنين فقط من طلبة هذه الدار.

أما الشيوخ فنصفهم تقريبا من الحنابلة. والنصف الباقى منهم موزعون على المذاهب الأخرى، وأكثرهم لم تذكر مذاهبهم. ولم نجد بينهم من ينتمى إلى المذهب الحنفى. ولعل ذلك راجع إلى أن الحنفية لا يهتمون بالحديث اهتمام سائر المذاهب به، أو لعل المصادر التى تشير إلى ذلك قد ضاعت واختفت.

وقد رتبنا هؤلاء الشيوخ بحسب تسلسلهم فى مشيخة دار الحديث وليس بحسب سِنِى وفاتهم كما فعلنا ذلك مع المدرسين والمعيدين وغيرهم بمدرسة الفقه المستنصرية، وذلك فى مدة تزيد على قرن ونصف القرن. أى منذ سنة ٦٣١ هـ حتى سنة ٧٩٠ هـ وهى السنة التى رحل فيها نصر الله البغدادى شيخ المستنصرية إلى القاهرة بدعوة من ابنه محب الدين وتولى بها مشيخة الحديث بمدرسة الملك الظاهر برقوق ومنذ ذلك التاريخ تنقطع أخبار شيوخ المستنصرية انقطاعا تاما.

ويظهر أن شيوخ دار السنة، فى المستنصرية، قد حظوا بعناية كبيرة من المؤلفين أكثر من غيرهم من رجال الفقه، والآداب العربية، والطب... إلخ. وهذا شأن المؤلفين دوما مع شيوخ الإسماع، والمسندين، ورجال الحديث. وذلك يوضح لنا مدى اهتمام الناس بالحديث الشريف فقد قالوا: إن غياث الدين بن العاقولى مدرس المستنصرية كان: شيخ الحديث فى الدنيا. وقالوا: إن المزى بدمشق «قد انتهت إليه رئاسة المحدثين فى الدنيا. ولو عاش الدارقطنى استحيا أن يدرس مكانه».

وأبو الحسن البخارى الحنبلى كان مسند عصره، ورحلة الدنيا فى زمانه، قد ألحق الأصاغر بالأكابر، والأحفاد بالأجداد. وقد حدَّث نحوا من ستين سنة. وقالوا قبل ذلك عن شعبة بن الحجاج: «أمير المؤمنين فى الحديث» وعرف سفيان الثورى كذلك. وروى الخطيب البغدادى قال: «كان الدارقطنى أمير المؤمنين فى الحديث». وجاء فى الوافى أن أبا بكر محمد بن إبراهيم بن على بن عاصم المقرئ الحافظ، مسند أصبهان المتوفى سنة ٣٨١ هـ طوَّف الشام ومصر والعراق وسمع فى قريب من خمسين مدينة.

ولهذا نجد بين أيدينا تراجم لشيوخ الحديث فيها شىء من التفصيل من جهة، وعدم وجود فترات طويلة خالية منهم من جهة أخرى. وذلك منذ افتتاح المدرسة المستنصرية حتى أواخر القرن الثامن الهجرى. ومع هذا فإننا نجد لبعضهم تراجم مقتضبة جدا.

ولا بد أن نذكر أن المدرسين بوجه عام لم تقتصر مهمتهم على تدريس علم واحد فقط بل إننا نجد فى كثير من الأحيان مدرسين، ومحدِّثين، وأدباء، وأطباء قاموا بتدريس علوم مختلفة، ذلك لأنهم كانوا يبرزون فى علوم شتى. فقد ذكر ابن رجب فى ترجمة «الحسين بن بدران البابصرى» قال: «وولى إفادة المحدثين بدار الحديث المستنصرية فكان يقرئ بها، علوم الحديث وغيرها، وحضرت مجالسه كثيرا. وكان له مشاركة حسنة فى علوم الحديث، والتواريخ. مع براعة فى الأدب، والعربية، والصيانة والديانة».

كما ينبغى أن نذكر أيضا أن كثيرين من طلاب العلم كانوا يسمعون الحديث، ويدرسون العلوم الأخرى على علماء المستنصرية دون أن يثبتوا طلابا رسميين فى الأقسام العلمية المختلفة بالمستنصرية. وربما أقام بعضهم فيها، وتلقى العلم على شيوخها.

وقد عُنى العلماء بالإجازات العلمية يطلبونها من غيرهم من العلماء فترسل إليهم من سائر أنحاء البلاد. كما عنى الخلفاء العباسيون أنفسهم بالسماع والإسماع كالخليفة الناصر لدين الله. قال أبو شامة فيما ذيَّله فى سنة ٦٠٧ هـ: «أظهر الخليفة الإجازة التى أحدث له من الشيوخ ودفع إلى كل مذهب إجازة كلها مكتوبة بخطه: أجزنا لهم ما سألوه على شرط الإجازه الصحيحة. وكتب العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد أمير المؤمنين. وسلِّمت إجازة الحنفية إلى ضياء الدين أحمد بن مسعود التركستانى، وإجازة الشافعية إلى عبد الرحمن بن سكينة، وإجازة المالكية إلى على بن جابر المغربى، وإجازة أصحاب أحمد إلى أبى صالح نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر» (انظر مادة «الإجازات العلمية فى م ٢ / ٣٧٢ - ٣٨٣).

كما يمكننا أن نشير إلى أن المستعصم نفسه كان من العلماء. فقد ذكر ابن الفوطى أن «كمال الدين الشيرازى الحكيم المهندس سمع الأحاديث الثمانيات، من رواية الإمام المستعصم بالله ... على الأمير أبى نصر محمد سماعه على والده الخليفة. وذلك بجرنداب تبريز فى زاوية قطب الدين سنة ٧٠٦ هـ». وذكر ابن الفوطى أيضا حين ترجم لمحب الدين البصرى قال: «وهو ممن سمع معنا الأحاديث الثمانية المستعصمية بالمدرسة البشيرية».

(تاريخ علماء المستنصرية - د. ناجى معروف / ٢٢٩ - ٢٣١).

*** دار الحرب:**

بلاد غير المسلمين، التى لا يأمن المسلم فيها لا على نفسه، ولا على ماله، ولا على دينه (الموسوعة الثقافية ٤٣٤).

وجاء فى اللسان: دار الحرب: بلاد المشركين الذين لا صُلح بينهم وبين المسليمن (لسان العرب ١٠ / ٨١٦).

(الموسوعة الثقافية - بإشراف د. حسين سعيد ٤٣٤، ولسان العرب لابن منظور ١٠ / ٨١٦).

*** دار الحسبة:**

انظر مادة «الحسبة» فى م ١٣ / ٦٠٣ - ٦٢٤.

*** دار الحكمة:**

انظر: دور الحكمة.

*** دار الخلافة:**

هى مقر الخلافة العباسية ببغداد، ولما قتل التتار الخليفة العباسى المستعصم وبقيت الخلافة شاغرة قرابة ثلاث سنين ونصف ثم قدم جماعة من عرب الحجاز إلى مصر فى رجب سنة ٦٥٩ هـ أيام الظاهر بيبرس ومعهم المستنصر بالله أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله أبى نصر محمد وذكروا أنه خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملكها التتار فعقد الملك الظاهر له مجلسا حضره جماعة من العلماء منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الشافعية وقاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز الشافعى وهو يومئذ قاضى الديار المصرية بمفرده وشهد أولئك العرب بنسبه ثم شهد جماعة من الشهود على شهادتهم بحكم الاستفاضة وأثبت ابن بنت الأعز نسبه ثم بايعه الملك الظاهر بالخلافة وأهل الحل والعقد، واهتم الملك الظاهر بأمره واستخدم له عسكرا عظيما وتوجه الملك الظاهر إلى الشام وهو صحبته فجهزه من هناك بعسكره إلى بغداد طمعا فى أن يستولى عليهاوينتزعها من التتار فخرج إليه التتار قبل أن يصل بغداد فقتلوه وقتلوا غالب عسكره فى العشر الأول من المحرم سنة ٦٦٠ هـ فكانت خلافته دون السنة وهو أول خليفة لقب بلقب خليفة ولم يلقب بها أحد قبله وكانوا قبل ذلك يلقبون بألقاب مرتجلة.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١٢٨ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٣ / ٢٦٠).

*** دار الخيل:**

قال ياقوت:

دار الخيل: من دور الخلافة المعظمة ببغداد، كانت دارا عظيمة الأرجاء عادية البناء لها صحن عظيم ألف ذراع فى ألف ذراع، كان يوقَّف فيها فى الأعياد وعند ورود الرسل من البلاد، فى كل جانب منها خمسمائة فرس بالمراكب الذهب والفضة، كل فرس منها على يد شاكرى.

(معجم البلدان ٢ / ٤٢٦).

*** دار دينار:**

قال ياقوت: دار دينار: محلتان ببغداد يقال لإحداهما الكبرى وللأخرى دار دينار الصغرى، وهى فى الجانب الشرقى قرب سوق الثلاثاء بينه وبين دجلة، منسوبة إلى دينار

ابن عبد الله من موالى الرشيد، وكان عظيما فى أيام المأمون، وعاضد الحسن بن سهل على حروب الفتنة لإبراهيم بن المهدى وغيره؛ وإياها عنى المؤيد الألوسى:

نهـــر المعلى لشـــاطى دار دينـــار،
مجـــامع العيس أوطـــانى وأوطـــارى
حيث الصبـــا نـــاعم والـــدار دانيـــة،
والـــدهـــر يأتـى على وفقـى وإيثـــارى
والليل بيـن الـــدُّمى والغيـــد مختصـــر،
قصيـــر مـــا بين روحـــانى وإبكـــارى
وقـــد تطـــاول حتى مـــا تخيل لـى
أن الـــزمـــان ليـــاليـــه بإسحـــارى

وكان دينار من أجلِّ القواد فى زمن المأمون، وكان ولى كور الجبل وغيره ثم سخط عليه المأمون فاقتصر به على ماء الكوفة، فأراد أن يمتنع من قبوله ذلك، ثم عرض له أن شاور المؤيد فقال له المؤيد: إن الحركة من دلائل الحياة، والسكون من دلائل الموت، وإن تتحرك حركة ضعيفة تؤمل أن تقوى أحب إلىّ من أن تسكن، فقبل العمل وأحمد الرأى فيه؛ وكان لدينار أخ اسمه يحيى، وفيهما يقول دعبل بن على.

مـــا زال عصيـــانُنـــا لله يـــرذلنـــا،
حتـى دُفعنـــا إلى يحيى وديـنـــار
إلـى عُلَيْجَيْن لـم يقطع ثمـــارهمـــا،
قـــد طـــال مـــا سجـــدا للشمس والنـــار

وفيه وفى رجاء بن أبى الضحاك وابنيه والحسن بن سهل يقول دعبل:

ألا فـــاشتـــروا منى ملـــوك المخـــرَّم
أبـع حسنـــا وابنـى رجـــاء بـــدرهـم
وأعـط رجـــاء فـــوق ذاك زيـــادة،
وأسمـح بـــدينـــار بغيـــر تنـــدُّم
فـــإن رد مـــن عيـــب علـــىَّ جميعهـــم،
فليس يـــــرد العيب يحيـى بـن أكثـم

(معجم البلدان ٢ / ٤١٩، ٤٢٠).

*** دار الريحانيين:**

قال ياقوت:

دار الريحانيين: وهى دار فى دار الخلافة ببغداد مشرفة على سوق الريحان، استجدها المستظهر بالله ابن المقتدى، نقض دار خاتون التى بباب الغربة ودار السيدة بنت المقتدى وكان بالريحانيين سوق للسفطيين فأخربه وأضافه إليها، وكان اثنان وعشرون دكانا وهناك خان يعرف بخان عاصم وثلاثة وعشرون دكانا من روائه وسوق للعطارين فيه ثلاثة وأربعون دكانا وستة عشر دكانا كان فيها مُدّاد الذهب وعدة آدر من دار الحرم وعمل الجميع دارا واحدة ذات وجوه أربعة متقابلة، وسعة صحنها ستمائة ذراع، وفى وسطها بستان، وفيها ما يزيد على ستين حجرة ينتهى آخرها إلى الباب المعروف بدركاه خاتون من باب الحرم قرب باب النوبى، وابتدئ بعملها فى سنة ٥٠٣ وفرغ منها فى سنة ٥٠٧.

(معجم البلدان ٢ / ٤٢٠).

***دارزنج:**

قال ياقوت:

دارَزنج: بعد الراء المفتوحة زاى مفتوحة أيضا بعدها نون، وآخره جيم: من قرى الصغانيان؛ منها أبو شعيب صالح بن منصور بن نصر بن الجراح الدارزنجى الصغانى، يروى عن قتيبة بن سعيد، روى عنه عبيد الله بن محمد بن يعقوب بن البخارى وغيره ومات قبل سنة ٣٠٠ أو حدودها، والله أعلم.

(معجم البلدان ٢ / ٤٢١).

*** دار السلام:**

قال ياقوت: دار السلام: ومدينة السلام: هى بغداد. ودار السلام الجنة، ولعل بغداد سميت بذلك على التشبيه.

(معجم البلدان ٢ / ٤٢١).

انظر مادة «بغداد» فى م ٧ / ٢٢٥ ـ ٢٤٠.

*** دار الشجرة:**

قال ياقوت:

دار الشجرة: دار بالدار المعظمة الخليفية ببغداد من أبنية المقتدر بالله، وكانت دارا فسيحة ذات بساتين مونقة، وإنما سميت بذلك لشجرة كانت هناك من الذهب والفضة فى

وسط بركة كبيرة مدورة أمام إيوانها وبين شجر بستانها، ولها من الذهب والفضة ثمانية عشر غصنا، لكل غصن منها فروع كثيرة مكللة بأنواع الجواهر على شكل الثمار وعلى أغصانها أنواع الطيور من الذهب والفضة، إذا مر الهواء عليها أبانت عن عجائب من أنواع الصفير والهدير، وفي جانب الدار عن يمين البركة تمثال خمسة عشر فارسا على خمسة عشر فرسا ومثله عن يسار البركة، قد ألبسوا أنواع الحرير المدبج مقلدين بالسيوف وفي أيديهم المطارد يتحركون على خط واحد فيظن أن كل واحد منهم إلى صاحبه قاصد.

(معجم البلدان ٢ / ٤٢١).

*** دار العلم ببغداد:**

قال عنها الأستاذ كوركيس عواد:

كانت هذه الخزانة مفخرة أدبية رائعة، ومأثرة أسداها إلى عشاق البحث، رجل جمع بين الأدب والسياسة، فخلد التاريخ ذكره بها.

ذلك الرجل، هو «أبو نصر سابور بن أردشير» المتوفى سنة ٤١٦ هـ (١٠٢٥ م)، وهو الذي وزر لبهاء الدولة البويهي ثلاث مرات، ووزر أيضا لشرف الدولة. وكان سابور كاتبا سديدا، عفيفا عن الأموال، كثير الخير، غير أن أشهر ما اشتهر به كان خزانة الكتب التي أنشأها ببغداد في محلة الكرخ سنة ٣٨١ هـ (٩٩١ م) ووقف عليها الوقوف. فإنه في هذه السنة «ابتاع دارا في الكرخ، بين السورين، وعمَّرها وبيَّضها وسماها دار العلم، ووقفها على أهله ونقل إليها كتبا كثيرة ابتاعها وجمعها، عمل لها فهرستا. ورد النظر في أمورها ومراعاتها والاحتياط عليها، إلى الشريفين أبي الحسين، محمد بن أبي شيبة، وأبي عبد الله محمد بن أحمد الحسني والقاضي أبي عبد الله الحسين بن هارون الضبي، وكلف الشيخ أبا بكر محمد بن موسى الخوارزمي فضل عناية بها» (المنتظم ٧ / ١٧٢).

وأشار بعض المؤرخين، إلى أن عدد ما اشتملت عليه هذه الخزانة، كان أكثر من عشرة آلاف مجلد، بل كان عددها بوجه التدقيق «عشرة آلاف مجلد وأربعمائة مجلد من أصناف العلوم، منها مائة مصحف بخطوط بني مقلة».

وكانت هذه الدار موئلا للعلماء والباحثين، يترددون إليها للدرس والمناظرة والمباحثة. ومن أشهر روادها، الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري، المتوفى سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ م)، فقد طالما ذكرها وذكر بعض القائمين على أمرها، وآثر الإقامة بها يوم كان ببغداد.

وكان جماعة من العلماء يهبون مؤلفاتهم لهذه الخزانة، يؤيد ذلك ما ذكره ياقوت في ترجمة ولي الدولة أحمد بن علي ابن خيران الكاتب، صاحب ديوان الإنشاء بمصر، المتوفى سنة ٤٣١ هـ (١٠٣٩ م)، أنه سلم إلى بعضهم «جزءين من شعره ورسائله، واستصحبهما إلى بغداد ليعرضهما على الشريف المرتضى أبي القاسم وغيره ممن يأنس به من رؤساء البلد، ويستشير في تخليدهما دار العلم، لينفذ بقية الديوان والرسائل إن علم أن ما أنفذه ارتضي واستجيد ...».

وذكر ابن أبي أصيبعة، أن جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع، المتوفى سنة ٣٩٦ هـ (١٠٠٥ م) تمم كنَّاشه الكبير في الطب في خمس مجلدات، وسماه بـ «الكافي»، بلقب الصاحب بن عباد، لمحبته له، «ووقف منه نسخة على دار العلم ببغداد».

وقد ضمت هذه الخزانة نوادر الكتب وأعلاقها. من ذلك نسخة من ديوان عدي بن زيد. ولقد أسعفتنا عدة من المراجع التاريخية، في معرفة غير واحد ممن نيط بهم أمر هذه الخزانة والإشراف عليها وتنظيم كتبها وفهارسها. وقد ذكرنا أسماء أربعة منهم في خبر نقلناه من المنتظم قبل قليل. وممن وقفنا على ذكرهم، غير هؤلاء الأربعة:

١ - أبو أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد بن أحمد البصري اللغوي، المعروف بالواجكا، المتوفى سنة ٤٠٥ هـ (١٠١٤ م). كان يتولى خزانة الكتب هذه وحفظها والإشراف عليها. كان من أخلص أصدقاء أبي العلاء المعري ولقد ذكره أبو العلاء غير مرة تلميحا وتصريحا. ووصفه مترجموه أنه كان صدوقا عالما أديبا قارئا للقرآن عارفا بالقراءات.

٢ - أبو منصور محمد بن علي بن إسحاق بن يوسف الكاتب، خازن دار العلم، المتوفى سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م).

٣ - أبو منصور محمد بن أحمد الخازن لدار الكتب القديمة، المتوفى سنة ٥١٠ هـ (١١١٦ م).

٤ - الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسن

الموسوى نقيب الطالبيين، وهو صاحب «الأمالى» المعروفة به، المتوفى ببغداد سنة ٤٣٦ هـ (١٠٤٤ م) كانت مراعاة دار العلم قد آلت بعد سنين كثيرة من وفاة سابور إليه.

٥ ـ أبو عبد الله بن حمد: كان مشرفا على هذه الخزانة مع أبى منصور المذكور فى الرقم ٢. وكان أبو عبد الله بن حمد «داهية»، فصمد لأبى منصور كيدا ومكرا، فصار يتلهى به دائما. فمن ذلك أنه قال له يوما: قد هلكت الكتب وذهب معظمها، فقال له وانزعج: بأى شىء؟ قال: بالبراغيث وعبثهم بها! قال: فما نفعل فى ذلك؟ قال: تقصد الأجلّ المرتضى وتطالعه بالحال وتسأله إخراج شىء من دوائهم المعد عنده لهم لننشره بين الورق ويؤمن الضرر.

فمضى إلى المرتضى وخدمه وقال له بسكون ووقار ومن طريق النصح والاحتياط: يتقدم سيدنا إلى الخازن بإخراج شىء من دواء البراغيث، فقد أشرفت الكتب على الهلاك بهم لنتدارك أمرهم بتعجيل إخراج الدواء المانع لهم المبعد لضررهم. فقال المرتضى: البراغيث البراغيث؟ مكررا. لعن الله ابن حمد، فأمره كله ظنز وهزل! قم أيها الشيخ مصاحبا، ولا تسمع لابن حمد نصيحة ولا قولا».

٦ ـ وممن خدم فى دار العلم، جارية ذكرها المعرى فى رسالة الغفران، بقوله على لسانها: «أتدرى من أنا يا على بن منصور؟ أنا توفيق السوداء التى كانت تخدم فى دار العلم ببغداد على زمان أبى منصور محمد بن على الخازن، وكنت أخرج الكتب إلى النساخ» (رسالة الغفران / ٧٣).

لم تعش هذه الخزانة طويلا. بل لم يتجاوز عمرها سبعين سنة، لأن الأحداث الجسام التى حلت ببغداد وشعثت مجدها، كان لها أسوأ الأثر فى هذه الخزانة. قال أبو الفرج ابن الجوزى فى جملة حوادث سنة ٤٥١ هـ (١٠٥٩ م): «احترقت بغداد، الكرخ وغيره وبين السورين، واحترقت فيه خزانة الكتب التى وقفها أردشير الوزير، (يريد سابور بن أردشير) ونهبت بعض كتبها. وجاء عميد الملك الكندرى فاختار من الكتب خيرها، وكان بها عشرة آلاف مجلد وأربعمائة مجلد من أصناف العلوم، منها مائة مصحف بخطوط بنى مقلة وكان العامة قد نهبوا بعضها لما وقع الحريق، فأزالهم عميد الملك وقعد يختارها، فنسب ذلك إلى سوء سيرته وفساد اختياره. وشتان بين فعله وفعل نظام الملك الذى عمَّر المدارس ودور العلم فى بلاد الإسلام، ووقف الكتب وغيرها».

وقد ذكر ابن الجوزى، فى كلامه على محال الجانب الغربى من بغداد، أن الكرخ «جمعت منازل عجيبة بديعة البناء. ومنها درب الزعفران وفيه الدار العجيبة، ودرب رياح، وشارع ابن أبى عوف، وباب محول. وكان بسور الحلاويين، خزانة كتب فيها اثنا عشر ألف مجلد».

ولا يبعد أن تكون هذه الخزانة الجسيمة، «دار العلم» بعينها، وإن لم يصرح باسمها.

(خزائن الكتب القديمة فى العراق ـ كوركيس عواد / ١٤٠ ـ ١٤٥).

*** دار العلوم:**

يقول عنها الدكتور محمد كامل الفقى:

عهد الخديوى إسماعيل إلى «على مبارك» بإنشاء مدرسة يتوفر أبناؤها على دراسة اللغة العربية والعلوم الدينية، مع التزود بشىء من علوم العصر وما يستعان به من وسائل التربية والتعليم، كى يعهد إلى المتخرجين فيها بتعليم اللغة العربية بمدارس الحكومة الابتدائية، وقد تم إنشاء هذه المدرسة فى ١٥ من صفر سنة ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م واستمدت تلامذتها وأساتذتها من الأزهر، فقام على التدريس فيها جمهرة من فحول العلم والبيان، وكان تلامذتها من نوابغ الأزهر وأفذاذهم الذين قضوا شطرا طويلا فى التعليم والتثقيف فى الأزهر، فنضجت مواهبهم، وكملت قرائحهم ونما علمهم، واقتدرت أقلامهم وألسنتهم، ولا تزال هذه المدرسة تعتمد على النابهين من طلاب الأزهر بعد أن يحصلوا على شهادة الدراسة الثانوية (قسما ثانيا) من المعاهد الدينية، فتجرى بينهم مسابقة فى الدخول لتظفر بالنوابغ المجلين.

وليس ينكر إلا جاحد من الناس ما كان لهذه المدرسة من الأثر الملحوظ فى خدمة العلم والأدب، وما لأبنائها الفحول من علو المكانة فى الشعر والكتابة والأدب فى مختلف فنونه، ولكن شيئا واحدا لا يغالط فيه إلا معاند، ولا يصر على جحوده إلا مكابر، هو أن الثروة العلمية والأدبية فى هذه المدرسة إنما مردها إلى الأزهر الذى غذاها بأساتذته وطلابه وكتبه.

وكان من العلماء والأدباء الذين تولوا التدريس بهذه المدرسة والذين حملوا لواء البيان واللغة فيها من الأساتذة وتخرج عليهم طائفة من ذوى العلم والأدب فى مصر: المرحوم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، والمرحوم الشيخ حسن الطويل، وشيخ الأدباء المرحوم حسين المرصفى، والمرحوم الشيخ حمزة فتح الله، والمرحوم الشيخ سليمان العبد والشيخ حسونة النواوى.

وممن التحق بها لإتمام الدراسة فيها من طلاب الأزهر النابغين طائفة كانت من فحول الكتاب والشعراء والأدباء كالمرحومين الشيخ أحمد مفتاح والشيخ محمد الخضرى والشيخ عبد العزيز جاويش، والشيخ محمد عبد المطلب وحفنى ناصف، و محمد زيد رحمهم الله.

(الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة ـ د. محمد كامل الفقى ١ / ٣٩ ـ ٤١).

*** دار القرآن بالمستنصرية:**

فى كتابه النفيس «تاريخ علماء المستنصرية» يتكلم الدكتور ناجى معروف عن دار القرآن بها، عن شروطها، وعن شيوخها ومقرئيها وطلابها مما ننقله لك فيما يلى. قال رحمه الله:

شروط دار القرآن المستنصرية:

لقد عنى المسلمون بدور القرآن عناية كبرى، تدل عليها مؤلفاتهم الكثيرة فى علوم القرآن، ومعانيه، وطبقات القراء، والقراآت السبع أو الثمانى أو العشر. والشواذ، وعللها، ووجوه القراآت، وطرق القراء. وأخبار العلماء الذين كانوا بصيرين بعلل القراآت، الذين تصدوا لإقرائها. كما تظهر عنايتهم مما ألفوه فى فن التجويد، وفيما نظموه من القصائد المطولة لضبط هذه القراآت. وما وقفوه على هذه الدور من وقوف.

ومن جملة هذه الدور: «دار القرآن المستنصرية» وهى بناية مستقلة تجاور المستنصرية وتصاقبها. ومكانها اليوم جامع الآصفية (انظره فى م ١ / ٤٧٣) والسوق التى بين هذا الجامع وبناية المستنصرية الحالية. وتتصل بمدرسة الفقه التى مر الكلام عليها. وتقع فى الحد الأعلى منها، أى فى الضلع الغربية منها. ويظهر من طرز البناء والزخرفة أنها بنيت مع مدرسة الفقه المستنصرية فى آن واحد. وقد ذكرها ابن الساعى بقوله: وأما «الدار المجاورة لهذه المدرسة فى الحد الأعلى منها فلم ير مثلها أحد، ولا لإدراك وصفها أمد».

وذكرها الغسانى فقال: «وأما الدار المجاورة لهذه المدرسة فإنه لم ير مثلها أحد. وهى أحسن بناء، وأحكم قواعد من كل أثر أثره الخلفاء الماضون، والأئمة المهديون، كالشاه والعروس، والبرج، والجوسق، والمختار، والغريب، والبديع، والقلاية، والقصر، والنهر، والبركة، والجعفرى والمعشوق».

ولم يبق من هذه الدار اليوم غير إيوان لا نشك فى أنه إيوان دار القرآن. حيث كان طلاب مدرسة القرآن يتلقون علوم القرآن الكريم فيه. وهو على غرار أواوين مدرسة الفقه المستنصرية.

ويقع الإيوان المنوه به آنفا بظهر إيوان الشافعية تقريبا وبلصقه. والإيوان رائع الزخرفة حقا. وقد تقلبت الأحوال بهذا الإيوان من إيوان لدار القرآن. إلى محل لبيع الفطائر والحلويات والكاهى إلى مخزن للأحذية وإلى أن تداركته مديرية الآثار العامة بالعناية والمرمة. وأصبح من الأماكن التى يزورها المعنيون بالآثار الإسلامية.

وقد سمى ابن كثير دار القرآن هذه «بمكتب الأيتام» التى كان فيها ثلاثون صبيا يتعلمون القرآن. ويظهر أن دار القرآن فى أول الأمر كانت لتدريس القرآن وتلقينه للصبيان ثم صارت تدرس فيها علومه المختلفة، والقراآت السبع، والثمانى، أو العشر، والشواذ، وعللها... إلخ، والقراء العشرة الذين تجرد كل واحد منهم لكتاب الله فجوّده، وحرّره، ورتله كما أُنزل. وعمل به. وتدبره، وزينه بصوته، وتغنى به وحبّره. ورحم الله السادة المشايخ الذين جمعوا فى اختلاف حروفه، ورواياته الكتب المبسوطة والمختصرة... كما يقول الجزرى.

وفى جامع الآصفية اليوم وقُبالة الإيوان المنوه به مدفن عليه مَلْبَن تحت قبة شاهقة يعرف من وقفية داود باشا سنة ١٢٤١ هـ بضريح «المحاسبى» وهو أبو عبد الله الحارث بن أسد الصوفى الشهير. وللضريح سادن ووقفية مؤرخة فى سنة ١٢٤١ هـ.

إن «المحاسبى» قد توفى سنة (٢٤٣) هـ ولم تكن بغداد قد امتدت يومئذ إلى هذه المنطقة. وفى ظن المرحوم محمود

شكرى الآلوسى أنه قبر الخليفة «المستنصر بالله العباسى» المتوفى سنة ٦٤٠ هـ غير أن المستنصر دفن أول وفاته فى الدار المثمنة من دار الخلافة بالجانب الشرقى ثم نقل إلى ترب العباسيين فى أعلى الرصافة بلصق محلة أبى حنيفة، وظن البعض أنه قبر «الكُلَينى» وهو أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكلينى الرازى، وليس ذلك صحيحا أيضا لأن الكلينى توفى سنة ٣٢٨ هـ أو ٣٢٩ هـ أى قبل بناء دار القرآن المستنصرية بثلاثة قرون، ومن ناحية أخرى فإن «الكلينى» دفن فى الجانب الغربى وليس فى الجانب الشرقى من بغداد.

ويرى الدكتور مصطفى جواد أن دفين الآصفية هو قاضى القضاة عز الدين الحسن بن القاسم النيلى مدرس المالكية بالمستنصرية المتوفى سنة ٧١٢ هـ. وربما دفن معه شرف الدين إبراهيم بن عثمان الكلينى الذى تولى قضاء تكريت سنة ٦٨١ هـ وهو غير الكلينى صاحب كتاب «الكافى» فى الفقه الجعفرى. وعلى هذا يقول: فليس هو بقبر الكلينى ولا قبر المحاسبى.

وقد ذكر الصفدى. ومؤلف كتاب الحوادث الجامعة، والغسانى شروط دار القرآن المستنصرية هذه على الوجه التالى:

١ - أن يكون بها ثلاثون صبيا أيتاما يتلقون القرآن.

٢ - أن يكون بها شيخ مقرئ، متقن، صالح يلقنهم القرآن.

٣ - أن يكون للشيخ فى كل يوم سبعة أرطال خبزا وغرفان طبيخا.

٤ - أن يكون له فى كل شهر ثلاثة دنانير.

٥ - أن يكون بها معيد يعيد للطلبة ما يلقيه عليه الشيخ، ويحفظهم التلاقين.

٦ - أن يكون للمعيد فى كل يوم أربعة أرطال خبزا، وغرف طبيخا.

٧ - أن يكون له فى كل شهر دينار وعشرون قيراطا (فى العسجد المسبوك الورقة ١٤٩: عشرة قراريط).

٨ - وأن يكون للصبيان لكل صبى من المتلقنين فى اليوم ثلاثة أرطال خبزا، وغرف طبيخا.

٩ - وأن يكون لكل منهم فى كل شهر ثلاثة عشر قيراطا وحبة.

ويلاحظ أن المعيد فى دار القرآن كان يتقاضى أقل مما يتقاضاه الطالب بمدرسة الفقه. إذ يتقاضى المعيد أقل من دينارين بينما يتقاضى الفقيه دينارين غير الحلوى، والفاكهة، والصابون، والزيت، شيوخ دار القرآن المستنصرية:

لقد استطعنا أن نعثر على عدد ضئيل جدا من شيوخ المقرئين، ومن علماء القراءات السبع، أو العشر الذين ولوا مشيخة دار القرآن المستنصرية لا يتجاوزون الثلاثة وهم: فخر الدين البعقوبى، وابن المريمى، وابن الدامغانى.

أما الذين اقرأوا بهذه الدار ولم يذكر أحد من المؤرخين أنهم ولوا مشيختها فثلاثة أيضا وهم: ابن المحروق الواسطى، ونجم الدين الواسطى، وأبو محمد البغدادى.

كما أننا لم نجد إلا معيدا واحدا هو ابن سكينة، أما الثلاثة الآخرون وهم: عبد المولى الواسطى وعز الدين العسكرى، وعز الدين الهاشمى، فقد قرأوا القرآن فى هذه الدار أى أنهم كانوا من طلابها. هذا مع العلم أننا عثرنا على هذا العدد الضئيل من رجال دار القرآن المستنصرية خلال قرن وربع القرن منذ افتتاح المستنصرية حتى منتصف القرن الثامن الهجرى، لأن أخبار دار القرآن تنقطع نهائيا بعد هذا التاريخ.

ونكتفى فى هذا الفصل بسرد بعض المعلومات التى توصلنا إليها عن رجال هذه الدار مع أن هذا العدد اليسير لا يتناسب مع تلك العناية العظيمة التى حظيت بها دار القرآن هذه من حيث الاهتمام بالقرآن الكريم وعلومه المختلفة التى تعتبر أساس الشريعة الإسلامية، ومن حيث زخرفتها وروعة بنائها.

١ - فخر الدين البعقوبى: عمر بن أحمد بن عز الدين البعقوبى. ذكره ابن الفوطى (تلخيص مجمع الآداب ٥ / ٢٥٩ الترجمة ٥٢٢) وقال: ذكره شيخنا ظهير الدين على بن محمد الكازرونى فى المعدلين أيام قاضى القضاة سراج الدين الهناسى. وكان شيخ دار القرآن المنسوبة إلى المستنصرية.

٢ - ابن الريمى (٦٦٧ - بعد ٦٨٩ هـ): ذكره ابن الفوطى (تلخيص مجمع الآداب ٥ / ٢٥٩ الترجمة ٥٢٢) فقال: كمال الدين أبو بكر محمد بن جمال الدين عبد الله بن محمد يعرف بابن الريمى البغدادى، المعدل، المقرئ، الخطيب.

وقال أيضا: من بيت العلم، والفضل، والقراءة،

والعدالة، والخطابة ... ورتّب كمال الدين شيخا بدار القرآن بالمدرسة المستنصرية. ورتب خطيبا بجامع فخر الدولة (ابن المطلب) بقصر عيسى. ويورد الخطب من إنشائه في المعاني الواردة، وله خطب مرتبة، وأشعار مهذبة، وأخلاق جميلة، وهمة جليلة. وقد بكّر به والده في سماع الأحاديث النبوية، فسمع من مشايخ بغداد عدة سنين وانتسجت بيني وبينه مودة مؤكدة. وكان قد شهد عند قاضي القضاة عز الدين أحمد بن الزنجاني في سنة تسع وثمانين وستمائة، وترك الشهادة ترفعا منه وترك العدالة ترفعا».

«ومولده في رجب سنة سبع وستين وستمائة. وكان قد أشار عليّ بأن اجتمع بجمال الدين بن العاقولي فلم أسمع. وكان ذلك منه عن صدق نية، وصفاء طوية. فلم أقبل. وحرمت رزقي مدة سنين. فكنت كما قال: أوسعتهم شتما وراحوا بالإبل».

٣ ـ عتيق ابن الدامغاني (ـ بعد ٦٨١ هـ):

ذكره ابن الفوطي فقال: «مظفر الدين أبو عبد الله المبارك ابن عبد الله ـ عتيق ابن الدامغاني ـ الرومي ـ نزيل بغداد ـ المقرىء» (انظر: دامغان) (تلخيص مجمع الآداب ٥ / ٥٩٠ الترجمة ١٢٥٢).

وقال: «رتب شيخا بدار القرآن، بالمدرسة المستنصرية في شعبان سنة إحدى وثمانين وستمائة. وكان شيخا صالحا، كثير التلاوة، حسن الأداء. سمع الحديث النبوي. كتب لنا عنه صاحبنا شمس الدين الخوارزمي، البغدادي، وكان قد سمع من ابن الدامغاني، ومن عبد العزيز بن الأخضر. وقرأ على الشيخ محب الدين أبي البقاء العكبري. كتبت عنه سنة ثمانين وستمائة.

المقرؤون بدار القرآن المستنصرية:

١ ـ ابن المحروق الواسطي (ـ بعد سنة ٧٤١ هـ) يأتي في موضعه في حرف الواو إن شاء الله تعالى.

٢ ـ نجم الدين الواسطي (٦٧١ ـ ٧٤٠ أو ٧٤١ هـ) يأتي في موضعه في حرف الواو إن شاء الله تعالى.

٣ ـ أبو محمد البغدادي (ـ ٧٥٧ هـ؟):

ذكر ابن حجر وابن شهبة (الدرر الكامنة ١ / ١٦٥ وذيل ابن شهبة الورقة ١٤٠ من مخطوطة باريس) أنه أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن ماجد، الشيخ الصالح جمال الدين أبو محمد الحنبلي إمام مسجد السلامي بدار الخلافة سمع من ست الملوك بنت علي أبي نصر بن علي أبي البدر الكاتب مسند الدارمي. وسمع منه المقرئ شهاب الدين بن رجب الحنبلي، وذكره في معجمه أو مشيخته، وأثنى عليه، وقال: أقرأ أو أعاد بالمستنصرية وكان حريصا على تعليم الخير. وانتفع به خلق كثير. توفي ببغداد في المحرم سنة ٧٥٧ هـ ودفن بمقبرة الإمام أحمد بن حنبل.

٤ ـ ابن سكينة (ـ ٦٥٢ هـ؟): يأتي في موضعه في حرف السين إن شاء الله تعالى.

طلاب دار القرآن بالمستنصرية:

١ ـ عبد المولى الواسطي.

جاء في منتخب المختار (٢ (ص ٧٠) ٤) أنه تلا بالعَشْر على نجم الدين الواسطي بالمستنصرية.

٢ ـ عز الدين حسن العسكري.

ذكر ابن رافع أنه تلا بالعشر على نجم الدين الواسطي بالمدرسة المستنصرية (منتخب المختار / ٧٠، والدرر الكامنة ٢ / ٢٧٠).

٣ ـ عز الدين اليماني الهاشمي (٦٨٠ ـ بعد ٧٤٩ هـ):

ذكره الصفدي فقال: يحيى بن قاسم بن عمر بن علي ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب. عز الدين اليماني الصنعاني الشافعي ولد سنة ٦٨٠ هـ، وقرأ القرآن باليمن على عدة مشايخ، وقرأ المحرر، ومختصر ابن الحاجب، ومنهاج البيضاوي، والمعالم، ونظر في الأربعين، ونهاية العقول.

وله دربة كبيرة بالكشاف وله عليه تعليقة. وشرح اللباب لتاج الدين الإسفراييني في النحو وله شعر (الوافي جـ ٢٥ الورقة ٣٥٥).

رحل إلى بغداد، وأَمَّ بالشافعية في المدرسة المستنصرية، وقرأ بها القرآن على ابن المحروق الواسطي. ورحل إلى خراسان، وسافر إلى دمشق، وقصد الحج سنة ٧٤٩ هـ.

(تاريخ علماء المستنصرية ـ د. ناجي معروف ١ / ٢١٧ ـ ٢٢٤).

* **دار القز:**

قال ياقوت:

دار القز: محلة كبيرة ببغداد فى طرف الصحراء، بين البلد وبينها اليوم نحو فرسخ، وكل ما حولها قد خرب ولم يبق إلا أربع محال متصلة: دار القز والعتابيين والنصرية وشهارسوك، والباقى تلول قائمة، وفيها يعمل اليوم الكاغد ينسب إليها أبو حفص عمر بن محمد بن المعمر بن أحمد بن يحيى بن حسان طبرزد المؤدب الدارقزى، سمع الكثير بإفادة أخيه أبى البقاء محمد بن محمد طبرزد وعمَّر حتى روى ما سمعه، وطلبه الناس، وحُمل إلى دمشق بالقصد إلى السماع عليه، حمله الملك المحسَّن أحمد بن الملك الناصر من بغداد فسمع عليه هو وخلق كثير من أهل دمشق، وكان قد انفرد بكثير من الكتب، ولم يكن يعرف شيئا من أبى الحصين ومن أبى المواهب وأبى الحسن الزاغونى وغيرهم وعاد إلى بغداد، وكان مولده فى ذى الحجة سنة ٥١٦، ومات فى تاسع رجب سنة ٦٠٧، ودفن بباب حرب ببغداد.

(معجم البلدن ٢/ ٤٢٢)

* **دار القضاء:**

دار القضاء: هى دار مروان بن الحكم بالمدينة وكانت لعمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فبيعت فى قضاء دينه بعد موته، وقد زعم بعضهم أنها دار الإمارة بالمدينة، وهو محتمل لأنها صارت لأمير المدينة.

(معجم البلدان ٢/ ٤٢٢).

* **دار القطن:**

قال ياقوت:

دار القطن: محلة كانت ببغداد من نهر طابق بالجانب الغربى بين الكرخ ونهر عيسى بن على؛ ينسب إليها الحافظ الإمام أبو الحسن على الدارقطنى، رحمه الله (انظر ترجمته فى موضعها) وغيره الحافظ المشهور، روى عن أبى القاسم البغوى وأبى بكر بن أبى داود وخلق لا يحصون، وكان أديبا يحفظ عدة من الدواوين، منها ديوان السيد الحميرى فنسب إلى التشيع، وتفقه على مذهب الشافعى، رضى الله عنه، وأخذ الفقه عن أبى سعيد الإصطخرى، وقيل عن صاحب أبى سعيد، ومولده فى ذى القعدة سنة ٣٠٦، ومات فى ذى القعدة سنة ٣٨٥، ودفن قريبا من معروف الكرخى.

(معجم البلدان ٢/ ٤٢٢).

تأتى ترجمته إن شاء الله تعالى.

* **دار القوارير:**

قال ياقوت:

دار القوارير: قال أحمد بن جابر: حدثنى العباس بن هشام الكلبى قال: كتب بعض الكنديين إلى أبى يسأله عن مواضع منها دار القوارير بمكة، فكتب، فأما دار القوارير فكانت لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ثم صارت للعباس بن عتبة بن أبى لهب بن عبد المطلب ثم صارت لأم جعفر زبيدة بنت أبى الفضل بن المنصور فاستعملت فى بنائها القوارير فنسبت إليها، وكان حماد البربرى بناها قريبا من خلافة الرشيد وأدخل بئر جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل ابن عبد مناف إليها.

(معجم البلدان ٢/ ٤٢٣).

* **دار الكتب الظاهرية:**

هذه الدار كانت فى أصلها مدرسة أدرجها النعيمى فى المدارس تحت اسم «المدرسة الظاهرية الجوانية»، وأدرجها الأستاذ أكرم حسن العلبى فى المدارس الشافعية تحت اسم، «المدرسة الظاهرية الكبرى»، وندرجها نحن تحت عنوان «الظاهرية الجوانية (مدرسة ــ) فى حرف الظاء إن شاء الله تعالى، وإن كان اسم دار الكتب الظاهرية يرد كثيرا فى هذه الموسوعة حيث ننقل من فهارسها ما ندرجه من مخطوطات.

وكما سبق أن ذكرنا فى المقدمة أننا زرنا هذه الدار يوم السبت ٧ صفر ١٤١٢ هـ الموافق ١٧ أغسطس ١٩٩١ م وقد علمنا من القائمين على الدار أن معظم محتوياتها نقلت إلى مكتبة الأسد، ومن ثم كان حرصنا على التنويه بذلك كلما أدرجنا مخطوطا من المخطوطات المسجلة فى فهارس الدار، وذلك تنبيها للباحثين والدارسين إلى الاتصال بمكتبة الأسد إذا ما أراد أحدهم الحصول على مخطوط ما.

* **دار الكتب القومية:**

تعتبر دار الكتب القومية بالقاهرة، أو دار الكتب المصرية كما كانت تسمى، من أقدم المكتبات فى العالم، فقد مضى على إنشائها ما يزيد على مائة عام.

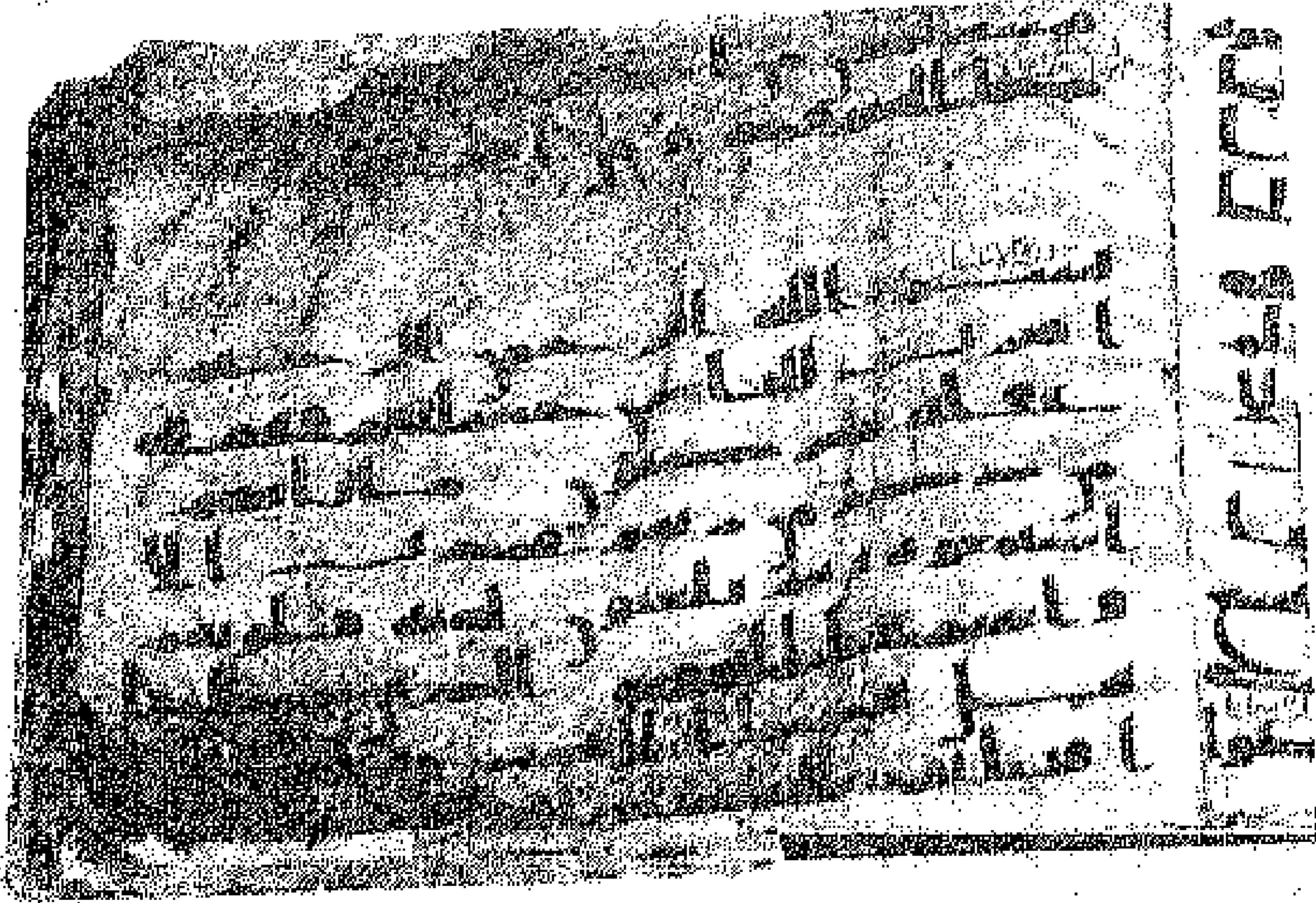
كانت الكتب المحبوسة على النفع العام مبعثرة فى المساجد ونحوها، داخلة فى عهدة خدمها. ولقد طالما تظاهر عليها من أولئك الشره والجهل جميعا، حتى تسرَّب من نفائسها إلى بلاد الإفرنج وغيرها ما لا يحصى عددا ولا يحصى قيمة لقاء ما يرضخ لهؤلاء من الدراهم؛ بل كثيرا ما كانوا يحملون بأيديهم هذه الكتب فيبيعونها البقالين ونحوهم بأبخس الأثمان ليلف هؤلاء بياعاتهم فى أوراقها.

ولما صارت الولاية إلى المرحوم إسماعيل باشا كان من أعظم همه فى وجوه الإصلاح إقامة مكتبة عامة جامعة. فتقدم فى سنة ١٨٧٠ م إلى المرحوم على مبارك باشا بجمع هذه الكتب ونظمها فى مكتبة واحدة. فصدع بالأمر، وما زال يجد فى ذلك حتى تم له ما أراد، وأضاف إلى ما اجتمع له من هذه الكتب ما كان فاضلا عند الحكومة مما طبعت مطبعة بولاق. وكذلك ما يقرب من ألفى كتاب اشتريت من تركة المرحوم حسن باشا المنسترلى. وفى سنة ١٨٧٦ م توفى الأمير مصطفى فاضل باشا أخو الخديوى إسماعيل، وكان من أعظم هواة الكتب فى الشرق، فابتاع الخديوى من مكتبته أكثر من ثلاثة آلاف وثلاثمائة مجلد أكثرها من نفائس الكتب. وأهداها إلى (الكتبخانة الخديوية) وكان ذلك اسمها القديم، فارتفع بهذه المجموعة أمرها، وعظم وفرها.

وما زالت هذه المكتبة تنمو وتزداد وفرا بما يضاف إليها بالشراء والهبات والاستنساخ والنقل بالتصوير الشمسى، حتى أربت عدة مجلداتها الآن على مائتين وعشرين ألفا (أى فى عام ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م) فى جميع العلوم والفنون، وأكثرها الكثير بالعربية، وفيها كتب كثيرة فى اللغات الشرقية والإفرنجية.

وهى قائمة الآن فى ميدان باب الخلق (المفصل ٢ / ٣٢٨، ٣٢٩).

وفى عام ١٨٨٧ م أصدرت نظارة المعارف لائحة تقصر فيها مهمة الدار على الفهرسة والتسجيل، وفى عام ١٩١١ م صدر قانون وجه الاهتمام إلى الكتب التركية والفارسية، وفى عام ١٩٣٧ م ومنحت الدار الشخصية الاعتبارية لأول مرة، وترتب على ذلك استقلالها المادى، وتمكنها من النهوض بوظيفتها الأساسية. أما فى عام ١٩٧١ م فقد صدر قرار



مخطوط بالخط الكوفى على رق غزال من غير نقط أو شكل، على عادة الرسم فى صدر الإسلام

جمهورى رقم ٢٨٢٦ بإنشاء الهيئة العامة للكتاب تابعة لها وبذلك أصبحت دار الكتب دارا للمكتبة القومية للدولة، وتعدلت مهامها من مكتبة عامة تؤدى خدمات الإعارة الداخلية والخارجية.. إلى مكتبة تؤدى مهام عديدة منها:

تجميع الإنتاج الثقافى والقومى مطبوعا ومخطوطا، وحفظه للأجيال القادمة، والتعريف به وإعداد ونشر «البيبلوجرافيات» القومية.

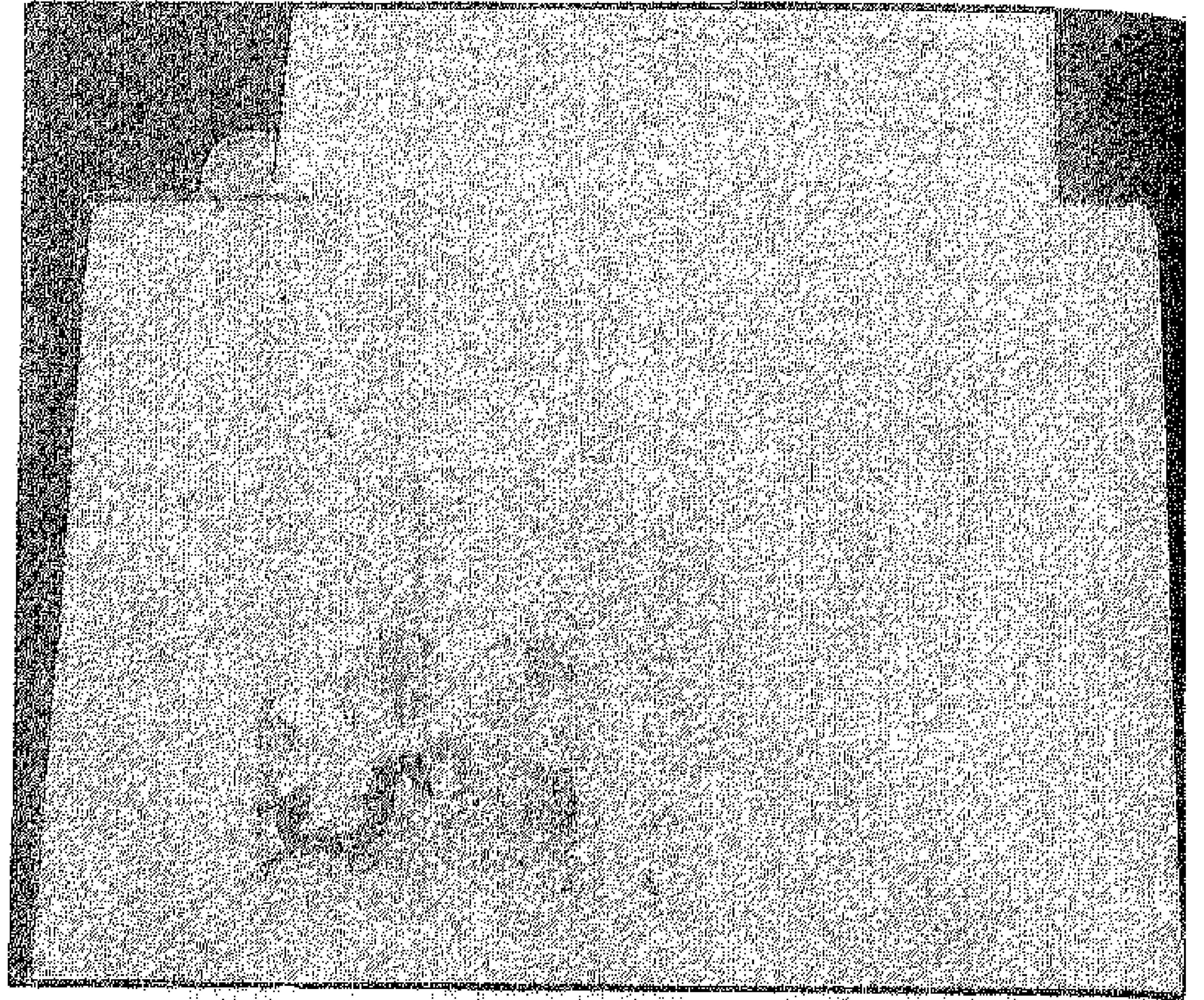
تجميع التراث العربى والإسلامى أصولا وصورا، والتعريف به، ووضعه تحت تصرف الدارسين ليتوفروا على تحقيقه ونشره.

مكتبات العلماء فى دار الكتب:

رغم ما بذله على مبارك من جهود فى جمع الكتب والمخطوطات حين أنشأ الدار، فإننا نرى كثيرا من تلك المخطوطات والكتب لم تشملها جهود التجميع المبكرة، وبقيت فى كثير من المساجد والزوايا عرضة للتلف والضياع.. ثم توالت الإضافات التى لحقت الدار فأصبحت المكتبات الكاملة للعلماء تلحق بها ومن ذلك:

مكتبة مصطفى فاضل. (٣٤٥٨) مجلدا، وتحتوى على نوادر المخطوطات ونفائس الكتب.

مكتبة قوله (٣٤٥٠٠) مجلد مخطوط ومطبوع وصاحبها



محمد على الكبير وقد ضمت إلى دار الكتب فى عام ١٩٢٩ م.

مكتبة خليل آغا (١٥٠٠) مجلد بين مخطوط ومطبوع، ضمت عام ١٩٣٩ م.

مكتبة إبراهيم سليم (١٦٠٧) مجلدات بين مخطوط ومطبوع، ضمت عام ١٩٣٦ م.

وقد وزعت أصلا فى عام ١٩١٢ م على وزارة المعارف والأزهر وأودع فى المكتبة الأزهرية منها (٢٨٥٧) مجلدا.

الخزانة التيمورية: وصاحبها هو العلامة أحمد تيمور باشا، (انظر ترجمته فى م ١١ / ١٩٩ ـ ٢٠٤). وقد بدأ فى تكوينها عام (١٩٠١ م) حتى وفاته فى (عام ١٩٣٠ م)، وقد ألحقت بدار الكتب عام (١٩٣٢م)، وقد احتوت على (١٩٥٢٧) مجلدا من النفائس، والمخطوطات النادرة، كما ألحقت بها صور شمسية لنفائس الكتب المخطوطة فى مكتبة دمشق والأستانة وأوروبا، ومجموعة من جلود الكتب فى عصورها المختلفة.

مكتبة طلعت: وصاحبها أحمد طلعت باشا، وقد وزعت بعد وفاته فكان نصيب دار الكتب نحو ثلاثين ألف مجلد بين مخطوط ومطبوع باللغات العربية والشرقية والإفرنجية، كما احتوت على مصاحف ومرقعات تمتاز بنسبتها لأشهر الخطاطين.

الخزانة الزكية: جمعها العلامة أحمد زكى: ويبلغ عددها (١٨٦٢٢) كتابا، وتحتوى على نفائس مخطوطة ومصورة ومطبوعة باللغات العربية والشرقية والأوروبية، وتمتاز بمجموعة كبيرة من الكتب العربية المطبوعة فى أوروبا.

مكتبة الشنقيطى وصاحبها محمد محمود بن أحمد بن محمد التركزى الشنقيطى من بلاد شنقيط (موريتانيا) وتبلغ (١٤٠٩) من المخطوطات والمطبوعات، بها نفائس مخطوطة فى البحوث اللغوية والعربية.

مكتبة على جلال الحسينى: (٨٦٣٦) مجلدا بين عربى وإفرنجى من الكتب القانونية والتاريخية. ومكتبة السيد أحمد الحسينى (٣٩٩٥) مجلدا أكثر كتبها فى علوم الفقه والشريعة.

مكتبة محمد عبده: وصاحبها هو الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية وعدد مخطوطاتها (١٠٨) مجلدات.

مكتبة مكرم، وقد صدر لها فهرس عام ١٩٣٣ م بدار الكتب المصرية ويقع فى مجلد واحد.

نظام الإيداع.

يقضى قانون دار الكتب القومية اليوم بأن يودع المؤلِّف والناشر «عشر نسخ من الكتب والمجلات والدوريات والصحف والإسطوانات الموسيقية وغيرها من الرسائل الصغيرة، وبطاقات البريد المصورة والخرائط الجغرافية، والرسوم البيانية، والجداول التى تنشر على حدة، وكل إنتاج مطبوع» وذلك كله يودع فى «مراقبة الإيداع» بالدار، وبذلك يتاح لكل باحث أو قارئ أن يتعرف على ما صدر من هذه المطبوعات خلال فترات مختلفة، وأعوام متفرقة.

قالت المؤلفة: نجد فى معظم الأحوال رقم الإيداع مطبوعا فى آخر كل كتاب طبع فى مصر، ولعل القارئ قد لاحظ أننا فى بعض الأحيان نذكر فى ثبت مراجع المادة رقم الإيداع إذا كان الكتاب غفلا من تاريخ النشر وهو ما نصادفه أحيانا.

أما عن قاعات الدار فهناك قاعة الدوريات وتضم القاعة أكثر من (٥٥٠٠) دورية باللغة العربية، يودع من كل دورية (١٠) نسخ، ومن أهم هذه الدوريات: جريدة الوقائع المصرية، والجريدة المصرية، وهما مرجعان هامان لكل باحث فى القانون. كما أن هناك دوريات أجنبية من أنحاء

العالم وتبلغ (٥٤٠٠) دورية تودع من كل دورية نسخة واحدة.

وهناك قاعة المراجع وهى تنقسم إلى: قاعة المراجع، وقاعة المطالعة، وبالقاعتين (٣٥٠٠) كتاب على الرفوف المفتوحة، وهى مرتبة حسب نظام (ديوى) العشرى. . ويوجد بالقاعة اثنان من المختصين من قبل الدار، أولهما: «اختصاصى المراجع» وهو يرشد الباحث إلى الكتب الخاصة بموضوعه، وثانيهما «مرشد القراء» وهو يرشد القارئ العادى إلى الفهارس المختلفة وهى: فهارس لعنوان الكتاب، وفهارس لمؤلف الكتاب، وفهارس لموضوع الكتاب، وكلها منظمة ومرتبة حسب الحروف الهجائية للغة العربية. . ومن أهم المراجع بالقاعة: دوائر المعارف المختلفة، وموسوعة العلوم والتكنولوجيا، ومجموعة قوانين اكسفورد، ثم هناك مركز بحوث الترميم والصيانة الذى أنشىء فى عام ١٩٧٥ م مختصا بالترميم، وهو ترميم المخطوطات والجرائد مما يصيبها عبر الزمن، والتجديد وهو المعالجة المستمرة سواء للتالف أو للمهترئ. . ويقوم عمل المركز على جانبين: جانب علمى بحت، وجانب تطبيقى. . فالجانب العلمى يضم الأبحاث التى يجريها المركز مثل الأبحاث الكيماوية، وأبحاث التلوث، وأبحاث الكائنات الدقيقة، وكل هذه الأبحاث تأخذ طريقها للتطبيق فى عمليات إزالة البقع من المخطوطات، وإجراء عمليات الليونة لأوراق المخطوط المتحجرة وكل ذلك يتم من خلال معمل تحضير المعالجات الكيماوية. . بحيث لا تؤثر هذه العمليات فى المخطوط.

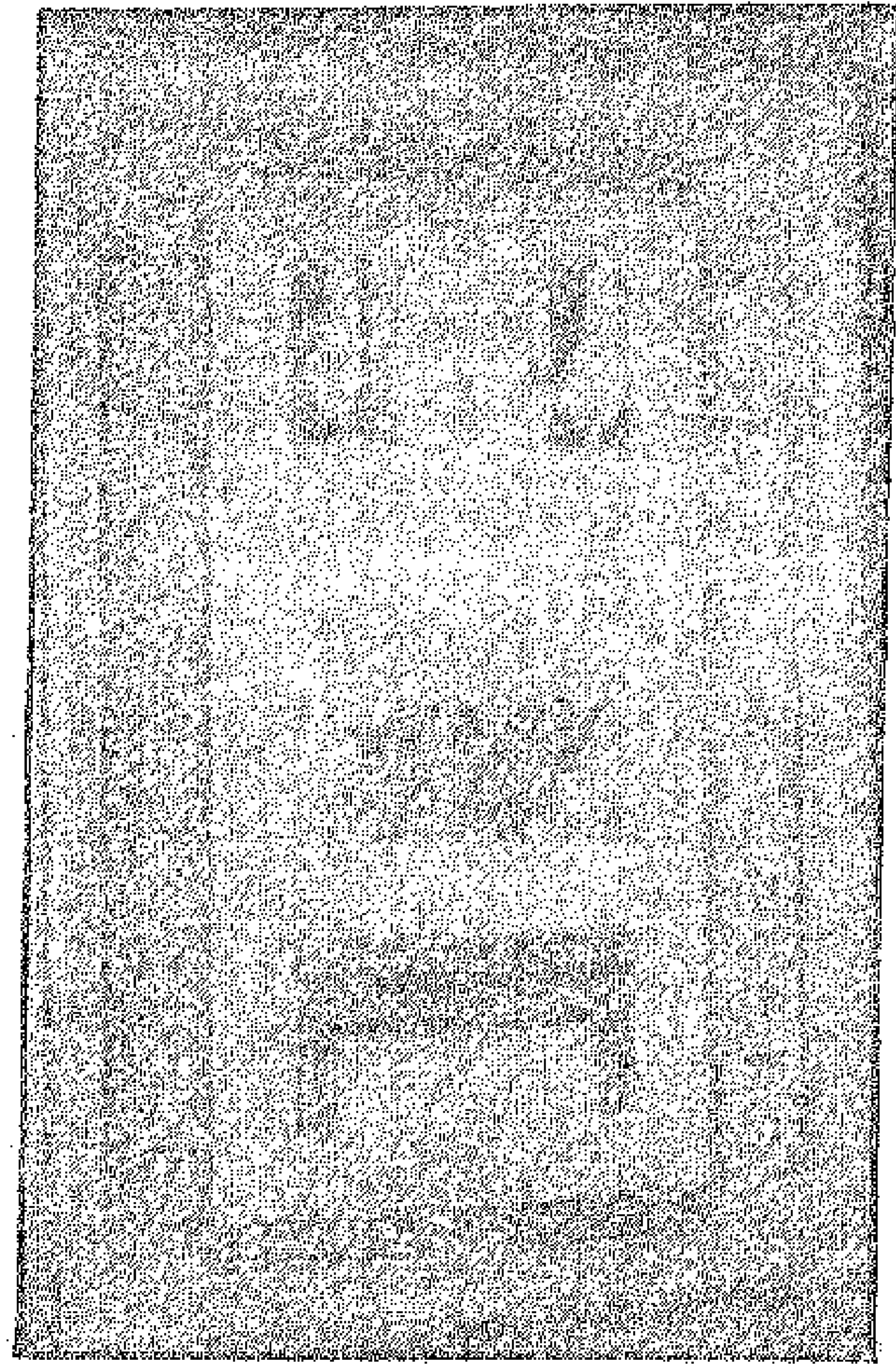
ومن المعروف أن الشمس والضوء والرطوبة والجفاف، ثم دودة الورق الخطيرة من أهم أسباب مرض المخطوط، فالشمس والضوء يتسببان فى إزالة لون الورق والحبر، أما الحرارة فتجففه، غير الرطوبة التى تجعل الورق يتشبع بالماء، مما يوجد نوعا من الفطريات التى تتغذى على المخطوط.

قالت المؤلفة: وهذا ما دعانا إلى الحرص عند إدراج كل مخطوط على إثبات حالته من حيث سلامته أو فساده اهـ.

أما عن مخطوطات الدار، فبها طبقا لتصريحات مسئولى الشئون الفنية بالدار، ستة وسبعون ألف مخطوط باللغات: العربية والشرقية (التركية والفارسية والأردية) بالإضافة إلى سبعة آلاف بردية، ويقوم قسم المخطوطات بتقديم خدماته للباحثين والدارسين والمحققين المتخصصين المعدين لرسائل الماجستير والدكتوراه، ويهم هؤلاء جميعا التعرف، على طباعة الكتاب من عدمه، وتجميع نسخ المخطوط والمساعدة فى الحصول عليها. . إلى غير ذلك من المعلومات.

قالت المؤلفة: نشرت صحيفة الأهرام (العدد ٣٨٢٧٠ ص ٢٠) أن ثروة الدار الآن من المخطوطات تبلغ ٧٤٦٩ مخطوطا باللغة العربية، و ٢٥٥٤ مخطوطا بالفارسية و٥١٥٤ مخطوطا بالتركية و ٦٦٦١ مخطوطا مصورا ومكبرا. وبجانب ذلك تقتنى الدار ثلاث آلاف بردية مكتوبة باللغة العربية، وخمسمائة وثيقة مدونة على الرق والجلود وإلى غير ذلك من المرقعات والقطع الفنية اهـ.

ومن المخطوطات الهامة بالدار: ذلك المصحف النادر المكتوب بالخط الكوفى ويوجد فى «معرض القرآن الكريم» بدار الكتب، وقد كتب على رق الغزال من غير نقط ولا شكل ولا كتابة لأسماء السور، وعدد الآيات، على عادة الرسم فى الصدر الأول من الإسلام، وقد حصلت عليه الدار من جامع عمرو بن العاص، ولا يبعد أن يكون هذا المصحف هو الذى ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام عن الجامع العتيق. .



مخطوط نادر يضم أنواع الخطوط العربية

قال : «جاء به رهط من العراق وأودعه خزانة المقتدر، ونقل فى حفل كبير إلى الجامع العتيق، وهو المصحف الذى استشهد عليه ثالث الخلفاء الراشدين سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ـ وهو يقرأ فيه يوم الدار.

مركز تحقيق التراث :

وهو أحد الأقسام الهامة التى تحتوى عليها الدار، ويعد امتدادا للقسم الأدبى بدار الكتب فى أول نشأتها وهو القسم الذى قام بنشر كتب عدة من التراث العربى.

أنشئ هذا المركز عام ١٩٥٧ م، ثم أعيد تنظيمه وتطويره عام ١٩٦٨ م، فبعد أن كانت مهمته مقصورة على «إحياء ونشر التراث العربى بجمعه أينما وجد، وتوثيق المخطوطات، وإعداد ونشر الفهارس لها، ثم تحقيق ونشر ما يُقر بعد ذلك» تطورت مهامه لتصبح :

«تدريب الأجيال الجديدة من المثقفين الذين تتوافر فيهم الخصائص والملكات التى تؤهلهم وتعينهم على أعمال التحقيق، وذلك على أيدى متخصصين فى مجال تحقيق التراث ونشره، ويتم ذلك خلال لجان متخصصة فى شتى أنواع العلوم والمعارف.

يضم المركز اللجان التالية : لجنة النحو واللغة، والعلوم الشرعية والسياسية، والفلسفة والتصوف والأدب، والتاريخ والعلوم الاجتماعية، التراث العلمى، الفقه، الرحلات.

وقد خصصت الدار طابقا كاملا لكتب الأطفال باللغة العربية، وباللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية، مراعية فى ذلك الأعمار المختلفة، وما يتناسب وكل سن من قراءات مختلفة تنمى قدرات الطفل وتصقل مواهبه (مجله الفيصل / ٦٠ـ٦٥).

(المفصل فى تاريخ الأدب العربى ـ أحمد الإسكندرى وزملائه ٢ / ٣٢٨، ٣٢٩، و «دار الكتب القومية فى القاهرة : كنوز حضارية تتواصل من جيل إلى جيل» ـ حسن على حسن دبا، مجلة الفيصل. العدد (١٨٢) شعبان ١٤١٢ هـ ـ فبراير ١٩٩٢ م / ٦٠ ـ ٦٥ نقل بتصرف، وصحيفة الأهرام العدد ٣٨٢٧٠، السنة ١١٦. الأربعاء ٩ ربيع الأول ١٤١٢ هـ ـ ١٨ سبتمبر ١٩٩١ م / ٢٠ الصفحة الأخيرة).

*** دار الكتب المصرية:**

انظر : دار الكتب القومية

*** دار الكتب الوطنية بتونس:**

انظر مادة «تونس» فى م ١١ / ١٥٢، ١٥٣.

*** دار ابن لقمان:**

دار ابن لقمان بالمنصورة، سجن بها الملك لويس التاسع ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية السابعة على مصر، واضطر إلى افتداء نفسه بفدية كبيرة.

انظر مادة «الحروب الصليبية» فى م ١٣ / ٤٢٠.

*** دار المُثَمَّنَة:**

بدار الخلافة، وهى من عمارة المطيع لله تعالى.

(معجم البلدان ٢ / ٤٢٣).

*** دار المؤمنين ودار الكافرين:**

جعل الإمام البيهقى الشعبة التاسعة من شعب الإيمان : بأن دار المؤمنين ومأواهم الجنة، ودار الكافرين ومأواهم النار لقوله تعالى : **﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾** [البقرة : ٨١، ٨٢]، ولحديث ابن عمر رضى الله عنهما فى الصحيحين «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة

والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى يوم القيامة» (أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز باب الميت يُعرض عليه مقعده بالغداة والعشى. ومسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه).

(مختصر شعب الإيمان للبيهقى - اختصار القزوينى / ١٧، ١٨).

*** دار الندوة:**

قال ياقوت:

دار الندوة: بمكة أحدثها قصى بن كلاب بن مرة لما تملك مكة، وهى دار كانوا يجتمعون فيها للمشاورة، وجعلها بعد وفاته لابنه عبد الدار بن قصى، ولفظه مأخوذ من لفظ الندى والنادى والمنتدى، وهو مجلس القوم الذين يندون حوله أى يذهبون قريبا منه ثم يرجعون؛ والنادية فى الجمال: أن تصرف عن الورد إلى المرعى قريبا ثم تعاد إلى الشرب وهو المندى؛ صارت هذه الدار إلى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى فباعها من معاوية بمائة ألف درهم، فلامه معاوية على ذلك وقال: بعت مكرمة آبائك وشرفهم، فقال حكيم: ذهبت المكارم إلا التقوى، والله لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة ألف درهم وأشهدكم أن ثمنها فى سبيل الله تعالى، فأينا المغبون؟ وقال ابن الكلبى: دار الندوة أول دار بنت قريش بمكة وانتقلت بعد موت قصى إلى ولده الأكبر عبد الدار ثم لم تزل فى أيدى بنيه حتى باعها عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار من معاوية بن أبى سفيان فجعلها دار الإمارة.

(معجم البلدان ٢ / ٤٢٣).

*** دار النيابة (٦٨٧ هـ):**

دار النيابة بقلعة الجبل (قلعة صلاح الدين) بالقاهرة. قال عنها المقريزى: كان بقلعة الجبل دار نيابة بناها الملك المنصور قلاوون فى سنة سبع وثمانين وستمائة سكنها الأمير حسام الدين طرنطاى ومن بعده من نواب السلطنة. وكانت النواب تجلس بشباكها حتى هدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، وأبطل النيابة، وأبطل الوزارة أيضا فصار موضع دار النيابة ساحة. فلما مات الملك الناصر أعاد الأمير قوصون دار النيابة عند استقراره فى نيابة السلطنة فلم تكمل حتى قبض عليه، فولى نيابة السلطنة الأمير طشتمر حمص أخضر، وقبض عليه، فتولى بعده نيابة السلطنة الأمير شمس الدين آق سنقر فى أيام الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون فجلس بها فى يوم السبت أول صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة فى شباك دار النيابة، وهو أول من جلس بها من النواب بعد تجديدها، وتوارثها النواب بعده، وكانت العادة أن يركب جيوش مصر يومى الإثنين والخميس فى الموكب تحت القلعة، فيسيرون هناك من رأس الصوة إلى باب القرافة، ثم تقف العسكر مع نائب السلطنة وينادى على الخيل بينهم، وربما نودى على كثير من آلات الجند والخيم والجركاوات والأسلحة، وربما نودى على كثير من العقار ثم يطلعون إلى الخدمة السلطانية بالإيوان بالقلعة، فإذا مثل النائب فى حضرة السلطان وقف فى ركن الإيوان إلى أن تنقضى الخدمة فيخرج إلى دار النيابة والأمراء معه، ويمد السماط بين يديه كما يمد سماط السلطان (السِّماط: ما يُمدُّ ليوضع عليه الطعام فى المآدب ونحوها المعجم الوجيز / ٣٢١) ويجلس.. ومحضره أرباب الوظائف، وتقف قدَّامه الحجاب وتقرأ القصص، وتقدَّم إليه الشكاة، ويفصل أمورهم، فكان السلطان يكتفى بالنائب، ولا يتصدى لقراءة القصص عليه وسماع الشكوى تعويلا منه على قيام النائب بهذا الأمر. وإذا قُرئت القصص على النائب نظر، فإن كان مرسومه يكفى فيها أصدره عنه، وما لا يكفى فيه الأمر إلا مرسوم السلطان أمر بكتابته عن السلطان وأصدره فيكتب ذلك وينبه فيه على أنه بإشارة النائب، ويميز عن نواب السلطان بالممالك الشامية بأن يعبر عنه بكافل المملكة الشريفة الإسلامية. وما كان من الأمور التى لا بد له من إحاطة علم السلطان بها فإنه إما يُعلمه بذلك منه إليه وقت الاجتماع به، أو يرسل إلى السلطان من يعلمه به ويأخذ رأيه فيه.

وكان ديوان الإقطاع، وهو الجيش فى زمان النيابة، ليس لهم خدمة إلا عند النائب ولا اجتماع إلا به، ولا يجتمع ناظر الجيش بالسلطان فى أمر من الأمور. فلما أبطل الملك الناصر محمد بن قلاوون النيابة صار الجيش يجتمع بالسلطان، واستمر ذلك بعد إعادة النيابة. وكان الوزير وكاتب السر يراجعان النائب فى بعض الأمور دون بعض. ثم اضمحلت نيابة السلطنة فى أيام الناصر محمد بن قلاوون، وتلاشت

أوضاعها، فلما مات أُعيدت بعده ولم تزل إلى أثناء أيام الظاهر برقوق. وآخر من وليها على أكثر قوانينها الأمير سودون الشيخى، وبعده لم يل النيابة أحد فى الأيام الظاهرية. ثم إن الناصر فرج بن برقوق أقام الأمير تمراز فى نيابة السلطنة فلم يسكن دار النيابة فى القلعة، ولا خرج عما يعرفه من حال حاجب الحجاب، ولم يل النيابة بعد تمراز أحد إلى يومنا هذا.

وكانت حقيقة النائب أنه السلطان الثانى، وكانت سائر نواب الممالك الشامية وغيرها تكاتبه فى غالب ما تكاتب فيه السلطان، ويراجعونه فيه كما يراجع السلطان. وكان يستخدم الجند، ويخرج الإقطاعات من غير مشاورة، ويعين الإمرة لكن بمشاورة السلطان. وكان النائب هو المتصرف المطلق التصرف فى كل أمر فيراجع الجيش والمال والخبر والبريد، وكل ذى وظيفة لا يتصرف إلا بأمره، ولا يفصل أمرا معضلا إلا بمراجعته. وهو الذى يستخدم الجند ويرتب فى الوظائف إلا ما كان منها جليلا كالوزارة والقضاء وكتابة السر والجيش فإنه يعرض على السلطان من يصلح. وكان قل أن لا يجاب فى شىء يعينه. وكان من عدا نائب السلطنة بديار مصر، يليه فى رتبة النيابة، وكل نواب الممالك تخاطب بملك الأمراء إلا نائب السلطنة بمصر فإنه يسمى كافل الممالك تمييزا له وإبانة عن عظيم محله.

وفى الحقيقة ما كان يستحق اسم نيابة السلطنة بعد النائب بمصر سوى نائب الشام بدمشق فقط. وإنما كانت النيابة تطلق أيضا على أكابر نواب الشام، وليس لأحد منهم من التصرف ما كان لنائب دمشق. إلا أن نيابة السلطنة بحلب تلى رتبة نيابة السلطنة بدمشق. وقد اختلت الآن الرسوم، واتضعت الرتب، وتلاشت الأحوال، وعادت أسماء لا معنى لها، وخيالات حاصلها عدم، والله يفعل ما يشاء.

(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ٢ / ٢١٤، ٢١٥ - انظر أيضا تاريخ ووصف قلعة القاهرة - پول كازانوفا - ترجمة وتقديم د. أحمد دراج، مراجعة د. جمال محرز / ١٣٦، ١٣٧).

*** دارابْجِرْد:**

قال ياقوت:

دارابْجِرْد: بعد الألف الثانية باء موحدة ثم جيم ثم راء، ودال مهملة: ولاية بفارس؛ ينسب إليها كثير من العلماء، منهم: أبو على الحسن بن محمد بن يوسف الدارابجردى الخطيب. ودارابجرد: قرية من كورة إصطخر، وبها معدن الزيبق. ودارابجرد أيضا: موضع بنيسابور؛ ينسب إليه أبو الحسن على بن الحسن بن موسى بن ميسرة الدارابجردى؛ ويقال درابجرد، ويذكر هناك إن شاء الله تعالى.

(معجم البلدان / ٤١٩).

انظر: الدرابجردى.

*** الدّارَابْجِردى:**

قال السمعانى: الدّارَابْجِردى بفتح الدال والراء المهملتين وسكون الباء المنقوطة بواحدة وكسر الجيم وسكون الراء وكسر الدال المهملتين، هذه النسبة إلى دارابجرد، وهى بلدة من بلاد فارس خرج منها جماعة من العلماء والمحدثين، منهم أبو على الحسن بن محمد بن يوسف الدارابجردى، حدَّث عن إبراهيم بن الحسين الصوفى، روى عنه ابن أخيه أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن يوسف الدارابجردى الخطيب، وروى عن أبى محمد الخطيب هذا أبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازى الحافظ. وذكر أنه سمع منه بدارابجرد.

وأما أبو الحسن على بن الحسن بن موسى بن ميسرة الدارابجردى، فهو منسوب إلى محلة من محال نيسابور يقال لها دارابجرد، وظنى أن أهل دارابجرد فارس كانوا ينزلون بها فنسبت المحلة إليهم، وعلى بن الحسن هذا من هذه المحلة، وهى من محالها بالصحراء من أعلى البلد، رأى سفيان بن عيينة، روى عنه أبو حامد أحمد بن محمد الشرقى الحافظ. ومن ولده الحسن بن على بن الحسن بن أبى عيسى الهلالى النيسابورى أبو على الدارابجردى، وهو المحدث ابن المحدث، سمع بخراسان إسحاق بن راهويه، وبالكوفة أبا كريب، وبالبصرة يحيى بن حكيم المقومى، سمع منه أبو عمرو المستملى، وجعفر بن سوار وغيرهما، ومات فى شوال سنة ثمان وثمانين ومائتين.

وأبو حامد أحمد بن جعفر بن سليمان البزاز الدارابجردى، من دارابجرد، ولا أدرى من فارس هو أو نيسابور؟ وظنى أنه من دارابجرد محلة نيسابور، سمع أبا العباس محمد بن إسحاق السراج وطبقته، وكان من الزهاد، وله حظ وافر من الأدب.

(الأنساب للسمعاني ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ / ٤٣٦).

*** الدارات:**

من مخطوطات الأدب في المتحف العراقي وجاء بيانه كما يلي:

الرقم ٩٠٧١ / ٥

الدارات: لأبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي المتوفى سنة ٢١٦ هـ / ٨٣١ م.

الأول: (قال أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، حدثنا أبو سعيد... قال: دارات العرب المعروفة.. في بلدانهم وأشعارهم ست عشرة دارة، والدارة ما اتسع من الأرض وأحاطته الجبال في غلظ أو سهل...).

نسخة جيدة، كتبها محمد بن بدر بن الحسين بن اليمين البصري في بغداد بدرب طنجير سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م. وفي آخرها بعض الفوائد.

٤ ص   ٢٦ × ١٨ سم.   ٢٠ س.

طبعت ببيروت باعتناء هفنر نقلها عن نسخة مصورة بدار الكتب المصرية سنة ١٨٩٨ م.

معجم ٤٥٧، بروكلمان عربي ٢ / ١٤٩، معجم المؤلفين ٦ / ١٨٧.

ـ نسخة أخرى.

كتبها عبد الغفار بن عبد الواحد الأخرس سنة ١٢٦٨ هـ / ١٨٥١ م لأجل عبد الباقي العمري، تملكها مصطفى جميل زاده سنة ١٢٩٢ هـ ١٨٧٥ م.

الرقم: ٩١٠٥ / ٢.

٤ ص.   ٢٠ × ١٢,٥.   ٢٣ س.

ـ نسخة أخرى.

كتبها أحمد بن عبد الحميد الشاوي سنة ١٢٧٥ هـ / ١٨٥٨ م.

الرقم: ٩١٤٢ / ٣.

٤ ص.   ٢١ × ١٣ سم.   ٢١ س.

ـ نسخة أخرى.

كتبها مصطفى جميل زاده سنة ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م.

الرقم: ٩٢٢١ / ٥.

٣ ص.   ٢٠ × ١١ سم.   ١٧ س.

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ١٦١، ١٦٢).

*** دارات العرب:**

جاء في اللسان: الدارة: كل أرض واسعة بين جبال، وجمعها دور ودارات؛ قال أبو حنيفة الدينوري: وهي تُعد من بطون الأرض المنبتة. وقال الأصمعي: هي الجوبة الواسعة تحفها الجبال، وللعرب دارات، قال محمد بن المكرَّم: وجدت هنا في بعض الأصول حاشية بخط سيدنا الإمام المفيد بهاء الدين محمد ابن الشيخ محيي الدين إبراهيم بن النحاس النحوي، فسح الله في أجله: قال كُراع: الدارة هي البُهرة إلا أن البُهرة لا تكون إلا سهلة، والدارة تكون غليظة وسهلة. قال: وهذا قول أبي فقعس. وقال غيره: الدارة كل جوبة تنفتح في الرمل، وجمعها دور، كما قيل ساحة وسُوح. قال الأصمعي: وعدة من العلماء، رحمهم الله تعالى، دخل كلام بعضهم في كلام بعض، فمنها: دارة جلجل، ودارة القلتين، ودارة خنزر، ودارة صلصل، ودارة مكمن، ودارة مأسل، ودارة الجأب، ودارة الذئب، ودارة رهبى، ودارة الكور، ودارة موضوع، ودارة السلم، ودارة الجُمُد، ودارة القداح، ودارة رفرف، ودارة قُطقط، ودارة مُحصن، ودارة الخرج، ودارة وشحى، ودارة الدور، فهذه عشرون دارة، وعلى أكثرها شواهد، هذا آخر الحاشية.

والديرة من الرمل: كالدَّراة، والجمع دير.

والدارة: رمل مستدير، وهي الدُّورة، وقيل: هي الدُّورة، والدَّوَّارة، والدَّيِّرة، وربما قعدوا فيها وشربوا، والنَّدورة: المجلس (عن السيرافي) (لسان العرب ١٧ / ١٤٥).

وقال ياقوت:

دارات العرب: وهي تُنيِّف على ستين دارة استخرجتها من كتب العلماء المتقنة وأشعار العرب المحكمة وأفواه المشايخ الثقات واستدللت عليها بالأشعار حسب جهدي وطاقتي، والله الموفق، ولم أر أحدا من الأئمة القدماء زاد على العشرين دارة إلا ما كان من أبي الحسين بن فارس، فإنه أفرد له كتابا فذكر نحو الأربعين فزدت أنا عليه بحول الله وقوته نحوها، فأقول: الدارة في أصل كلام العرب كل جوبة بين جبال في

حـزن كـان ذلك أو سهل؛ وقـال أبـو منصـور حكـايـة عن الأصمعي: الدارة رمل مستدير فـي وسطه فجوة وهي الدورة، وتجمع الدارة دارات كما قال زهير:

تـربص فإن تقـو المـروراة منهم
وداراتهـا لا تقـو منهم إذا نخل

قال ابن الأعرابي: الدير الدارات في الرمل، والدارة أيضا دارة القمر، وكل موضع يدار به شيء يحجره فاسمه دارة، نحو الدارات التي تتخذ في المطابخ ونحوها ويجعل فيها الخمر؛ وأنشد:

تـرى الإوزين في أكنـاف دارتهـا
فـوضى وبين يـديهـا التبـر منثـور

ويقال لمسكن الرجل دارة ودار، قـال أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان:

لـه داع بمكـة مشمعل،
وآخـر فـوق دارتـه ينـادي
إلى رُدُح من الشِّيـزى مـلاء
لُبـاب البـر يُلبك بـالشهـاد

قال ابن دريد وقد ذكر اثنتي عشرة دارة لم يزد عليهن، ثم قال: وجميع هذه الدارات بروث بيض تنبت النصي والصِّلِّيان وأفـوه العشب ولا يكـاد ينبت فيهـا مـن حـريـة النبت شيء، وحـريـة النبت: البقل والقُرَّاص والمِكنـان، والبـرث: الأرض السهلة اللينة (معجم البلدان ٢/ ٤٢٤، ٤٢٥).

ثم يعدد يـاقوت الدارات التـي استخرجها والتي قـال إنها تنيف على ستين، ويفرد لكل واحدة منها مـادة خاصة فارجع إليه إن شئت الاستزادة.

(لسـان العرب لابن منظـور ١٧ / ١٤٥، ومعجم البلـدان ليـاقـوت الحموي ٢ / ٤٢٤، ٤٢٥. انظر أيضا مختصـر كتاب البلدان لأبي أحمد ابن محمـد الهمداني المعـروف بـابن الفقيه. السلسلـة الجغرافيـة (٥) / ٣٤)

*** الداراني:**

قال السمعاني:

الداراني: هـذه النسبة إلى داريـا. (انظرها في مـوضعها) وهي قـرية كبيرة حسنـة من قرى غـوطة دمشق، مضيـت إليها لزيارة أبي سليمان.

قالت المؤلفة: يقصد أبا سليمان الداراني، وكذلك فعلنا نحن إذ ذهبنا إلى داريا لزيارة ضريح أبي سليمان وضريح أبي مسلم الخولاني في يوم الخميس ١٥ ربيع الأول ١٤١٤ هـ - ٢ سبتمبر ١٩٩٣ م ا هـ.

كـان منها جمـاعـة كثيرة من العلمـاء والمحـدثين قديمـا وحديثا؛ حدثنا أبـو القاسم علي بن الحسن الحافظ من لفظه بدمشق والنسبة إلى هذه القريـة بإثبات النون وإسقاطها وأذكر أن شيخنا عمـر بن أبي الحسن البسطامي قدم علينا مـرو سنة ثمان وعشرين، وجلس في خان البزازين للوعظ، فجرى على لسانه في أثناء الكلام: قـال أبو سليمان الدارائي. فقال عمي الإمام أبـو القاسم السمعـاني رحمه الله: الـداراني، فقلت أنا وكنت بين يديه: يقال ذا وهـذا، فإن في آخر الموضع إذا كان ألفا مقصورة فالمنتسب إليه بالخيار بين إثبات النون وإسقاطها كالداراني والدارائي والصنعاني والصنعائي، فسكت عمي ولم يقل شيئا. والمشهور من هذه القريـة أبو سليمان عبد الرحمن ابن أحمـد بن عطية الـداراني (تلي ترجمتـه) كان من أفـاضل أهل زمـانـه وعبـادهم وخيـار أهل الشـام وزهـادهم، روى الحديث اليسير عن الربيع بن صبيح وأهل العراق، روى عنه صاحبـه أحمد بن أبي الحـواري والقاسم بن عثمـان الجوعي وغيرهما. وكتبت أنا بهذه القرية عن شيخين شيئا من الشعر.

(الأنسـاب للسمعـاني - تقديم وتعليـق عبد الله عمـر البـارودي ٢ / ٤٣٦، ٤٣٧).

*** الداراني (أبو سليمان) (-٢١٥ هـ / -٨٣٠ م):**

عبد الـرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المـذحجي، أبو سليمان، زاهد مشهور من أهل داريا (بغوطة دمشق) رحل إلى بغداد، وأقـام بها مدة، ثم عـاد إلى الشام، وتـوفي في بلده. كان من كبـار المتصوفين. لـه أخبار في الـزهد. من كـلامه: «خير السخاء ما وافق الحاجة» (الأعلام ٣/ ٢٩٣، ٢٩٤).

وكان في زمنه وتدا وقطبا، وابنـه سليمان من جلة القوم وله لسان في التصـوف، وأخوه داود الـداراني زاهد ورع، وكـلامه ككلام أبي سليمان في الرياضة والمعاملة. ومن تلاميذه أحمد ابن أبي الحـواري ريحانـة الشـام، ومن أصحـابه القـاسم بن عثمان الجوعي. (الموسوعة الصوفية / ١٥٣).

وقد أدرجه الإمام عبد الـرحمن العمادي فيمن دُفن بمدينة ريَّا وقال عنه:

وأما الشيخ، المـذكور، الإمام، قدوة السـادات الصوفية،

صاحب الكمالات السنية، والمقامات العلية، أبو سليمان، عبد الرحمن بن أحمد بن عطية، الدارانى نفعنا الله تعالى به.

فقد كان الشيخ المذكور عنسى القبيلة، وكانت وفاته سنة خمس عشرة ومئتين من الهجرة، رضى الله عنه، وكان كبير الشأن بين مشايخ الطريقة، آية فى علوم التصوف والحقيقة.

(قال ابن كثير فى البداية والنهاية ١٠ / ٢٥٩: «وقد اختلف الناس فى وفاته على أقوال. فقيل مات سنة أربع ومئتين. وقيل: سنة خمس ومئتين. وقيل: سنة خمس عشرة ومئتين. وقيل: خمس وثلاثين ومئتين. والله أعلم»)قال الإمام، حجة الإسلام، الغزالى فى «الإحياء»، عند ذكر كلام أبى سليمان على معنى بعض المقامات: لله دَرُّ هذا الإمام الكبير الشأن، ما تكلم على حال، أو مقام، إلا كان كلامه من بين أقرانه أنفس الكلام، موفيا بنهاية المرام (لفظ «المقامات» من الألفاظ التى تدور على ألسنة المتصوفة. انظر معناها عندهم فى الرسالة القشيرية ص ٣٢).

ولنذكر حصة رائعة من كلماته الفائقة.

قال رحمه الله تعالى: من لطائف المعاريض قوله تعالى: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ [الزمر: ٣] تهديد بلطف، يعنى أنه تعالى لا يقبل إلا الخالص، وما ليس بخالص فهو ليس له، كما يشير إليه الحديث القدسى:

«أنا أغنى الشريكين».

(أخرجه ــ من حديث أبى هريرة ــ مسلم فى الزهد (٢٩٨٥) باب. من أشرك فى عمله غير الله، وابن ماجه فى الزهد (٤٢٠٢) باب: الرياء والسمعة، وابن طهمان فى «مشيخته» برقم (١٠٣)، وأحمد فى «المسند» ٢ / ٣٠١، ٤٣٥، وصححه ابن حبان برقم (١٥٧) الإحسان ولفظ مسلم: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك».

وأخرجه ــ من حديث أبى سعد بن أبى فضالة ــ الترمذى فى التفسير (٣١٥٢) باب: ومن سورة الكهف، وابن ماجه فى الزهد (٤٢٠٣) باب: الرياء والسمعة، وأحمد فى «المسند» ٣ / ٤٦٦ و ٤/ ٢١٥. وصححه ابن حبان (٣٩٦) الإحسان بلفظ «... من كان أشرك فى عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عنده فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك»).

وسبب توبته أنه قال رضى الله عنه: اختلفت، فى أول أمرى، إلى مجلس قاص، فأثر كلامه فى قلبى، فلما فارقته لم يبق فى قلبى شىء من كلامه، فعدت ثانيا إليه، فسمعت كلامه، فبقى كلامه فى قلبى إلى بعض الطريق، ثم زال عنى، ثم عدت إليه ثالثا، فبقى أثر كلامه فى قلبى حتى رجعت إلى منزلى، وكسرت آلات المخالفات، ولزمت الطريق.

قال الغزالى فى «الإحياء»: قيل: حكيت هذه لمالك بن دينار فقال: عصفور صاد بازيا.

(فى البداية والنهاية ١٠ / ٢٥٥: «فحكيت فى الحكاية ليحيى بن معاذ فقال: عصفور اصطاد كركريا. يعنى بالعصفور القاص وبالكركى أبا سليمان»).

وسأله رجل عن أقرب ما يتقرب به العبد إلى ربه، فقال: أن يطلع على قلبك، وأنت لا تريد فى الدنيا والآخرة غيره.

وقال رحمه الله تعالى: كل ما يشغلك عن الله تعالى من أهل، أو مال، أو ولد، فهو عليك مشؤوم.

وقال: من أحسن فى ليله كوفئ فى نهاره، ومن أحسن فى نهاره كوفئ فى ليله.

وقال: اختلف المشايخ فى حقيقة الزهد، وأنا أقول: إن الزهد ترك ما يشغلك عن الله تعالى.

وقال تلميذه أحمد بن أبى الحوارى، المُقدم ذكره: دخلت يوما على أستاذى، أبى سليمان الدارانى، وهو يبكى، فقلت له: ما يبكيك؟

فقال لى: يا أحمد، لمَ لا أبكى إذا جن الليل، وخلا كل حبيب بحبيبه، وافترش أهلُ المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم، وأشرف الجليل سبحانه وتعالى، فنادى: ياجبريل، بعينى من تلذذ بكلامى، واستراح إلى ذكرى، وإنى المطلع عليهم فى خلواتهم، أسمع أنينهم، وأرى بكاءهم فلم لا تنادى فيهم يا جبرائيل: ما هذا البكاء؟ هل رأيتم حبيبا يعذِّب أحباءه؟ أم كيف يجمل بى أن آخذ قوما، إذا جنهم الليل، تملقونى، فبى حلفت، إذا وردوا علىَّ القيامة، لأكشفن لهم عن وجهى حتى ينظروا إلىَّ، وأنظر إليهم.

وقال: لو لم يبك العاقل فيما بقى من عمره، إلا على ما فاته من لذة الطاعة فى عمره، لكان يكفيه أن يبكيه ذلك حتى يخرج من الدنيا.

وقال: من خطرت منه الدنيا وأهلها على بال، اضطربت عليه الأحوال. ومن ترك الدنيا للآخرة ربحهما، ومن ترك الآخرة للدنيا خسرهما.

وقال: الدنيا تطلب الهارب منها، وتهرب من الطالب لها، فإن أدركت الهارب منها جرحته، وإن أدركها الطالب لها قتلته.

وقال: عوِّدوا عيونكم البكاء، وقلوبكم التفكر، وعلموا النفوس الرضا بمجارى المقدورة، فنعم الوسيلة هو إلى درجات المعرفة.

وقال: لو أن المعرفة نقشت على شيء لكان كل من نظر إليها مات من حسنها، وجمالها، ولأظلم كل ضوء فى ضوئها.

وقال: لا يجيء الوسواس إلا فى كل قلب عامر. أرأيت السارق قط يأتى خربة ينقبها، إنما يأتى إلى بيت فيه رزم (تتمة الأثر فى الحلية: وقد أقفل ينقبه ليستل الرزمة).

قال الإمام النووى رحمه الله فى: «الأذكار» ما نصه:

«قال السيد الجليل أحمد بن أبى الحوارى بفتح الحاء وكسرها:

شكوت إلى أبى سليمان الدارانى الوسواس فقال:

إذا أردت أن ينقطع عنك فأى وقت أحسست به فافرح فإنك إذا فرحت به انقطع عنك، فإنه ليس شيء أبغض إلى الشيطان من سرور المؤمن، وإن اغتممت به زادك وسواسا.

قلت: وهذا مما يؤيد ما قاله بعض الأئمة:

إن الوسواس إنما يبتلى به من كمل إيمانه، فإن اللص لا يقصد بيتا خربا» انتهى ما فى الأذكار.

فائدة: ذكر أئمتنا فى كُتب الفتاوى: إذا خطر بباله أنه كافر لأنه لا يعرف الله تعالى، فإن صدَّق هذا الخاطر فهو كافر فيجب عليه السعى فى إزالة الشبهة وتجديد الإيمان، وإن أنكر ذلك بقلبه وتبرأ منه فهو محض الإيمان (أخرجه ـ من حديث أبى هريرة ـ مسلم فى الإيمان (١٣٢) باب: بيان الوسوسة فى الإيمان وما يقول من وجدها، وأبو داود فى الأدب (٥١١١) باب: فى رد الوسوسة، وأحمد فى المسند ٢ / ٤٥٦ وأبو يعلى الموصلى برقم (٥٩١٤) و (٥٩٢٣)، وأبو عوانة ١ / ٧٨ـ٧٩ باب: بيان الوسوسة. وصححه ابن حبان برقم (١٤٦) و (١٤٩) الإحسان. ولفظ مسلم: «جاء ناس من أصحاب النبى ﷺ فسألوه: إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال: وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم. قال: ذاك صريح الإيمان». وأخرجه ـ من حديث ابن مسعود ـ مسلم فى الإيمان (١٣٣)، والبغوى فى (شرح السنة) ١ / ١٠٩ برقم (٥٩)، وصححه ابن حبان (١٤٩) الإحسان.

ولفظ مسلم: «سئل النبى ﷺ عن الوسوسة. قال: تلك محض الإيمان».

وانظر حديث أنس عند أبى يعلى برقم (٤١٢٨)، والهيثمى فى مجمع الزوائد ١ / ٣٣، والمقصد العلى) وكذا الحكم فى ما خطر بباله مما لو تلفظ به كان كافرًا، وهذا من المهمات التى يجب حفظها، والله أعلم.

قلت: يشهد لذلك ما ذكره أئمتنا فى كتب الفتاوى: أن وسواس الشيطان فى صلاة الإنسان دليل محض الإيمان.

وقال لأحمد بن أبى الحوارى: كن كوكبا بالليل، فإن لم تكن كوكبا فكن قمرا، فإن لم تكن قمرا فكن شمسًا.

فقلت: يا أبا سليمان: الشمس أضوأ من القمر، والقمر أضوأ من الكوكب.

فقال يا أحمد: كن مثل الكوكب يطلع من أول الليل إلى الإسفار، فقم من أول الليل إلى آخره، فإن لم تقو على قيام الليل كله، فكن مثل القمر يطلع بعضًا ويغيب بعضًا، فنم بعض الليل وقم بعضه، فإن لم تقدر على قيام الليل فلا تعص الله تعالى بالنهار، وإذا فاتك شيء من تطوع الليل فاقضه بالنهار فهو أجدر أن لا تعود إلى تركه.

وقال: آخر أقدام الزاهدين أول أقدام المتوكلين.

وقال: ليس الزاهد من ألقى الهموم الدنيوية واستراح، إنما ذلك راحة، وإنما الزاهد من زهد فى الدنيا وتعب فيها للآخرة.

وقال: إذا أردت قضاء حاجة مهمة من حاجات الدنيا فلا تأكل حتى تقضيها، فإن الأكل يغير العقل.

وقال: اجعل ما طلبت من الدنيا ولم تظفر به بمنزلة ما لم يخطر ببالك ولم تطلبه.

وهذا كما يحكى أنه قيل لبعض السادات يوما : إن اللحم قد غلا .

فقال : أرخصوه . أراد : اتركوه فلا تشتروه .

وقال أحمد بن أبي الحوارى : قلت لأبي سليمان : صليت صلاة في خلوة فوجدت لها لذة .

فقال لي : وأى شيء ألذك منها؟

قلت : حيث لم يرن أحد .

فقال : إنك ضعيف حيث خطر ببالك ذكر الخلق .

قلت : هذا يشبه قول الفضيل بن عياض رضى الله عنه : ترك العمل لأجل الناس هو الرياء ، والعمل لأجل الناس هو الشرك .

وقال : طوبى لمن لزم الجادة بالانكماش والحذر، وتخلص من الدنيا بالهرب كهروبه من السبع .

طوبى لمن استحكم أموره بالاقتصاد، واعتقد الخير للمعاد، وجعل الدنيا مزرعة وتتوق فى البذر ليفرح غدًا بالحصاد .

وقيل : رأى رجلا من الصالحين بمكة لا يتناول شيئًا إلا شربة من ماء زمزم وبقى على ذلك أياما، فقال له الشيخ يوما : أرأيت لو غارت زمزم ماذا كنت تشرب؟ فقام الرجل وقبّل رأس الشيخ أبي سليمان، وقال : جزاك الله خيرا فإنى كنت أعبد زمزم ولا أعلم .

وقال : إن فى الجنة قيعانا فإذا أخذ الذاكر فى الذكر أخذت الملائكة فى غرس الأشجار له ـ كما جاء فى الحديث ـ فربما تقف بعض الملائكة فى الغرس، فيقال له : لم وقفت؟ فيقول : إن صاحبى فتر عن الذكر (أخرجه ـ من حديث ابن مسعود ـ الترمذى فى الدعوات (٣٤٦٢) باب : رقم (٥٩) .

وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود .

ونص الحديث : « لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى فقال : يا محمد أقرئ أمتك منى السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبه الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» .

وأخرجه ـ من حديث أبى هريرة ـ ابن ماجه فى الأدب (٣٨٠٧) باب : فضل التسبيح ـ وفى مصباح الزجاجة : إسناده حسن . .

ونص الحديث : « . . . ألا أدلك على غراس خير لك من هذا؟ قال : بلى يا رسول الله . قال : قل : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، يغرس لك بكل واحدة شجرة فى الجنة» وانظر مجمع الزوائد ١٠/ ٨٧، ٩٤ ـ ٩٥) .

وقال : الناس فى الدنيا رجلان : رجل أحب الله تعالى فأحب الموت شوقا إلى لقاء ربه . ورجل أحب البقاء لإقامة حق الله تعالى عز وجل .

قال : فوثب غلام من الحاضرين لم يحتلم، فقال : ورجل ثالث فقال أبو سليمان : ومن هو؟

قال : من لا يختار هذا ولا هذا بل اختار ما اختاره الله تعالى له .

فقال أبو سليمان : احتفظوا بالغلام فإنه صديق .

قال أحمد بن أبي الحوارى : قلت لأبى سليمان : إن فلانًا لا يقع من قلبى .

فقال أبو سليمان : وليس يقع من قلبى، ولكن يا أحمد لعلنا أتينا من قبلنا لأنا لسنا من الصالحين فلسنا نحبهم .

قالت المؤلفة : ورد فى صفة الصفوة ٤/ ١٩٦ : ... «ولكن لعلنا أوتينا من قلبى وقلبك فليس فينا خير وليس نحب الصالحين» قلت : ما أحسن حُسن ظنه بغيره، وسوء ظنه بنفسه، وألطف تأديبه لتلميذه رضى الله تعالى عنه .

وقال أحمد : قال أبو سليمان : أتدرى ما أزال عن العاقل اللائمة عمن ساء إليه؟

قلت : لا .

قال : لأنه علم أن الله تعالى عز وجل ابتلاه .

قلت : وهذا مثل قول ابن عطاء فى «الحكم» ليخفف عنك [ألم] البلاء علمك بأن الله تعالى المبلى لك .

وقول القائل :

وخَفَّف عنى ما ألاقى من العنا
بأنك أنت المبتلى والمقَدِّرُ

قلت : وكلماته كثيرة : ومناقبه شهيرة، ذكرها الإمام ابن خميس، تلميذ الإمام الغزالى فى كتاب «مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار»، وذكر بعضها الإمام القشيرى فى

«الرسالة»، والغزالى فى «الإحياء»، والسهروردى فى «عوارف المعارف» وغيرهم رضى الله عنهم وعنه وأرضاه (الروضة الربا/ ٨١ ـ ٩٤، ٩٨، ٩٩).

قال الإمام ابن الجوزى فى صفة الصفوة:

أحمد بن أبى الحوارى قال: سمعت أبا سليمان يقول: إذا اعتقدت النفوس ترك الآثام جالت فى الملكوت وعادت بطرائف الحكمة من غير أن يؤدى إليها عالم علما. قلت سمع أبو سليمان الدارانى الحديث الكثير ولقى سفيان الثورى وغيره، ولكنه اشتغل بالتعبد عن الرواية إلا أننى وجدت له ثلاثة أحاديث مسندة:

الحديث الأول ـ أبو سليمان الدارانى قال: سمعت على ابن الحسن بن أبى الربيع الزاهد يقول: سمعت إبراهيم بن أدهم يذكر عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى قبل الظهر أربعًا غُفر له ذنوب يومه ذلك».

قال الخطيب: لا أحفظ لأبى سليمان حديثا مسندًا غيره.

الحديث الثانى ـ أبو سليمان الدارانى قال: أنبأ على بن الحسن بن أبى الربيع قال حدثنا إبراهيم بن أدهم قال: سمعت محمد بن عجلان يذكر عن أبيه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تواضع لله عز وجل رفعه الله». (أخرجه الترمذى عن أم حبيبة بلفظ مقارب برقم ٤٢٧).

الحديث الثالث ـ أبو سليمان الدارانى قال: حدثنى شيخ بساحل دمشق يقال له علقمة بن يزيد بن سويد الأزدى قال: حديث أبى عن جدى سويد بن الحارث قال: وفدت على رسول الله ﷺ سابع سبعة من قومى، فلما دخلنا عليه وكلمنا أعجبه ما رأى من سَمْتِنا وزِيِّنا. فقال: ما أنتم؟ قلنا مؤمنون، فتبسم وقال: إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟ قال سويد: قلنا خمس عشرة خصلة: خمس منها أمرتنا رُسُلك أن نؤمن بها، وخمس منها أمرتنا رُسُلك أن نعمل بها، وخمس منها تخلَّقنا بها فى الجاهلية، فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئًا. فقال رسول الله ﷺ «وما الخمس التى أمرتكم رسلى أن تؤمنوا بها؟ قلنا: أمرتنا رسلك أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت. قال: وما الخمس التى أمرتكم أن تعملوا بها؟ قلنا: أمرتنا رسلك أن نقول: لا إله إلا الله ونقيم الصلاة ونؤتى الزكاة ونصوم رمضان ويحج البيت من استطاع إليه سبيلاً. قال: وما الخمس التى تخلقتم بها أنتم فى الجاهلية؟ قلنا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والصدق فى مواطن اللقاء، والرضا بُمرِّ القضاء، والصبر عند شماتة الأعداء. فقال النبى ﷺ علماء حكماء كادوا من صدقهم أن يكونوا أنبياء. ثم قال ﷺ: وأنا أزيدكم خمسًا فتتم لكم عشرون خصلة: إن كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تأكلون، لا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا فى شىء أنتم عنه تزولون، واتقوا الله الذى إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون. قال أبو سليمان: وقال لى علقمة بن يزيد: فانصرف القوم من عند رسول الله ﷺ وحفظوا وصيته وعملوا بها، ولا والله يا أبا سليمان ما بقى من أولئك النفر ولا من أولادهم أحد غيرى. قال وما بقى إلا أيام قلائل ثم مات رحمه الله. توفى أبو سليمان الدارانى سنة خمس ومائتين وقال أبو عبد الرحمن السلمى سنة خمس عشرة. والأول أصح (صفة الصفوة ٤/ ١٩٦، ١٩٧).

قالت المؤلفة: هذا الحديث الأخير أورده الإمام العمادى فى «الروضة الريا» / ٩٥ ـ ٩٨ وقال إنه حديث ذكره القسطلانى فى «المواهب اللدنية»، وابن خميس فى «مناقب الأبرار» والحافظ أبو نُعيم فى «معرفة الصحابة»، والحافظ أبو موسى المدينى من حديث أحمد بن أبى الحوارى. . إلخ، وعلق محقق كتاب «الروضة الريا» الأستاذ عبده على الكوشك على الحديث بقوله فى هامش (٤): إسناده ضعيف. قال الذهبى فى الميزان ٣/ ١٠٨: «علقمة بن يزيد بن سويد، عن أبيه، عن جده لا يعرف وأتى بخبر منكر فلا يحتج به» والحديث فى الحلية ٩/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠، شرح المواهب اللدنية للزرقانى ٤/ ٦٣ـ٦٥، الإصابة لابن حجر ٢/ ٩٧ برقم (٣٥٩٥)، أسد الغابة لابن الأثير ٢/ ٤٨٧ زاد المعاد ٣/ ٦٧٢، كنز العمال ١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥ وقال أبو نعيم: «وهذا الحديث بهذا السياق مجموعًا لم نكتبه إلا من حديث أبى سليمان، تفرد به عنه أحمد بن أبى الحوارى». وانظر الإحياء ٤/ ٢٢١) (الروضة الريا/ ٩٨).

قال المؤلفة: قمنا بزيارة مدينة «داريا» يوم الخميس ١٥ ربيع الأول ١٤١٤هـ ـ ٢ سبتمبر ١٩٩٣م، بهدف زيارة

ضـريح كلٍّ من أبى سليمان الـدارانى، وأبى مسلم الخـولانى المـدفونين بهـا . أمـا عن ضـريح أبى سليمـان الدارانى فقـد سجلت عنـه فى مفكـرتى المـلاحظات التـاليـة : فى مـدخل المقبرة لوحة مكتوب عليها : **﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾** . شيد هذا المسجد مقام العارف بالله سيدى أبو [أبـى] سليمان الدارانى رضـى الله عنه مساعى أهـل البِر والإحسان عام ١٣٩٨ هـ الموافق عام ١٩٧٨ ميـلادية فجزى الله العـاملين والسـاعين فى بنـائه خيـر الجـزاء، تـاريخ المئـذنة : يـوم السبت ٢٠ جمـادى الأولى هـ. تموز ١٩٧٢ اهـ. وبـالمقبرة ثـلاثة أضـرحة : أولها من اليمين ضـريح أبى سليمان الدارانى، وفـوقه تركيبة مغطاة بالفـرش والسجاجيد، وفى مواجهة الضريح إطار زجاجى كبيـر بداخله لوحة مكتوب عليه قصة حياته، وفوق الضريـح قبة خضراء مرتفعة جدا . أما الضريح الأوسط فهـو قبر زوجة الإمام الشيخ عبـد الرحمن بن عطيـة العنسى اليمانى . وأمـا الضريح الثـالث فتوجـد لوحـة رخـاميــة مكتـوب عليهـا : قيـل إن هـذا قبـر أحمـد بن أبى الحوارى، توفى بعد وفاة الشيخ فى مدت [مدة] لا تُعلم رضى الله تعالى عنه ١ هـ .

(الأعـلام للـزركلى ٣/ ٢٩٣، ٢٩٤، والمـوسـوعـة الصـوفيـة ـ د . عبدالمنعم الحفنى/ ١٥٣، والـروضة الريا فيمن دُفن بـداريا لمفتى الشام الشيخ عبـد الـرحمن بن محمـد العمـادى ـ تحقيـق وتعليق عبـده على الكوشك/ ٨١ـ٩٤، ٩٨، ٩٩، وقد وضعنـا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص، وصفة الصفوة للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ـ ضبطهـا وكتب هـوامشهـا إبـراهيم رمضـان وسعيـد اللحـام ٤/ ١٩٦، ١٩٧ . انظر أيضًـا الـزهـاد الأوائل ـ د . مصطفى حلمى . دار الـدعـوة . الإسكندريـة . الطبعة الأولى المحرم ١٤٠٠ هـ ـ ٢ ديسمبر ١٩٧٩/ ١٣٥ ـ ١٤١) .

*** الدارَزَنْجى:**

قال السمعانى :

الـدارزنجى : بفتح الدال والـراء المهملتين بينهمـا الألف وفتح الزاى وسكـون النون وفى آخرها الجيم، وهـذه النسبة إلى دارزنج، وهـذه القرية مـن قرى الصغـانيان، منها أبـو شعيب صالح بن منصـور بن نصر بن الجراح الـدارزنجى الصغانى، يروى عن أبى رجاء قتيبة بن سعيد البغلانى ومحمد بن شجاع وغيـرهمـا، روى عنـه عبد الله بن محمـد بن يعقوب البخـارى ومحمـد بن زكـريـا النسفى وجعفـر بن محمـد بـن جـديـرة وجماعة، وكانت وفاته قبل سنة ثلاثمائة أو فى حدودها .

(الأنسـاب للسمعـانى ـ تقـديم وتعليق عبـد الله عمـر البـارودى ٢/ ٤٣٧) .

*** الدارس فى تاريخ المدارس:**

انظر مـادة «تنبيه الطـالب والدارس فى أحـوال دور القرآن والحديث والمدارس» فى م ١٠/ ٤٧٠، ٤٧١ .

*** الدارسى:**

قال السمعانى :

الـدارسى : بفتح الـدال المهملـة وكسر الـراء والسين المهملتين، هـذه النسبـة إلى درس العلم، والمشهـور بهـذه النسبة أبو على بشر بن عبيد الدارسى من أهل البصرة، ويقال له الـدارس أيضًا هكـذا ذكره أبـو حاتم بن حبـان، يروى عن حمـاد بن سلمـة والبصـريين، روى عنـه يعقـوب بن سفيـان الفارسى .

وسعيد بن عبد الحميد بن قيس الدارسى التميمى المقرى الـرازى، وهو ابن عبـد الحميـد بن أنس المعـروف بسعدويـه الأردانى وكـان جـده قيس مع علـى بن أبى طـالب، روى عن يعقـــوب القمـى، روى عنـــه أبى يعنى أبـــا حـــاتم الرازى(هكذا)ذكره عبد الرحمن بن أبى حاتم . قلت ولا أدرى لم قيـل لـه الدارسى .

(الأنساب للسمعانى ٢/ ٤٣٧) .

*** دارشيشغان:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب . أورده المظفر الرسولى نقلا عن مصادر أربعة رمز لها بالحروف التالية :

ع : عبـد الله بن البيطار صـاحب«الجـامع لقوى الأدويـة والأغذية» .

ز : الزهراوى .

ج : ابن جـزلـة صـاحب «منهـاج البيـان فيمـا يستعلمـه الإنسان» .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

قال :

الدارشيشغـان : «ع » هو شجرة ذات غلظ، فيهـا شوك، والجيد منه مـا كان رزينا، وإذا قشر كان لونـه إلى لون الدم أو إلى لـون الفرفير، كثيفـا طيب الرائحـة، فى طعمـه شيء من المرارة. وطعم هذا الدواء طعم حريف قابض، وقوته بحسب مـا يعلم من طعمه قـوة مركبـة، من حر وبـرد، فهو حـار فى الأولى، يابس فى الثانيـة، ينفع من استرخاء العصب، ينشف الرطوبات الغليظة، مقو للمثانة، ويتمضمض بطبيخه لحفظ الأسنـان، ويستحق ويذر على قـروح المثانـة، فى ساعتهـا، ويوافق القلاع، وقروح الفم الوسخـة، وقروح البدن الساعية، ونتن الأنف، ويخرج الجنيـن إذا وقع فى خلال الفـرزجات، وبـدله فى النفع من استرخـاء العصب: وزنه من الأسـارون، وثلثا وزنه من الروانـد، ونصف وزنه من الدرونج. وقال «ز »: بدلـه ثمرة الينبـوت. وقال غيـره: بدلـه من الزراونـد وأسارون ودرونج، من كل واحـد نصف وزنـه والله أعلم. «ج » شجـرة غليظة، ذات شوك كثير، قشرها حريف وزهرها حاد، وعودها عفص فيـه بـردما، وقيل هـو أصل السنبل الهنـدى، وأجـوده الـرزين الـذى يخـرج من تحت قشـره أحمـر طيب الـرائحـة والطعم، حار فى الدرجة الأولى، يـابس فى الثانية، وقيل فى الثالثـة، وقيل فى الأولى، وقيل إنه بارد. وهو يحلل الـرياح، ويصلح العفونة، ويحبس النـزف، وينفع استرخاء العصب، ونتن الأنف إذا جعل فتيلـة، وطبيخـه للقلاع وحفظ الأسنـان ونفث الدم من الصدر، ويعقل البطن، وينفع من عسر البول. وقدر مـا يؤخـذ منه: درهم. «ف » مثلـه، وينفع من ضـربان وجع الأسنان، وينفع من النفخ فى المعـدة، وإذا دلك به داء الثعلب وداء الحية أنبت الشعر. المستعمل منه: بقدر الحاجة (المعتمد ١/ ١٤٧، ١٤٨).

وقال عنه داود الأنطاكى :

الدارشيشغان : فارسى يسمى القنـدول وعود البرق لأنه إذا وقع عليـه البـرق أو قـوس قـزح صـار أذكى رائحـة من العـود الهنـدى ويسمى عنـدنـا العود القمـارى والنسـاء تجعلـه بين الثياب لطيب رائحتـه ويصبغ نارنجيا وهـو صلب أحمر طيب الرائحة فوق ذراعين شائك جبلى له زهر أصفر ذكى لا يختص وجوده بزمن ولا تسقط قـوته. وهو حار يابس فى الثـانية أجود من الخشب المعروف بالشوبشينى فى إذهاب الحب الفارسى والقروح الخبيثة والساعية وما ينزف المادة شربا ونطولا ويحلل الرياح ويفتح السدد ويقوى الأعضـاء مطلقا ويسقط البواسير ويمنع النـزلات والصـداع البلغمـى وأوجـاع الصـدر ومع الدارصينى يقطع السعـال الرطب وهو يضر الطحـال وتصلحه المصطكى وشربته إلى ثـلاثة وبدله مثله أسـارون وثلثاه زراوند مدحرج ونصفه درونج(التذكرة ــ/ ١٤٩).

(المعتمـد فى الأدوية المفـردة للمظفر الـرسـولى ـ صححـه وفهرسـه مطصفى السقا، ٢، ١٤٧، ١٤٨، وتـذكرة أولى الألباب لـداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٤٩).

* **الدارصيني:**

(القرفة)

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب.

أوجز القول فيه ابن النفيس فقال: حـار يابس فى الثالثة، غاية فى اللطافة، جاذب مفتح مصلح لكل عفونة وصديدية، ودهنه جـلاء مذيب محلِّل. عجيـب للرعشة، وهـو ينفع من الكلف والنمش، وينقى الـرأس ومـا فى الصـدر، ويفـرِّح، ويفتح سدد الكبد، ويقـوى المعدة، وينفع من أوجاع الكلى والأرحـام، وينفـع الغشـاوة، والظلمـة أكْـلا واكتحـالا (الموجز فى الطب/ ٩٢).

أورده المظفـر الـرسولى نقـلا عن مصـادر ثـلاثة رمـز لهـا بالحروف التالية :

ع : عبد الله بـن البيطار صاحـب «الجامع لقـوى الأدوية والأغذية».

ج : ابن جـزلـة صـاحـب «منهـاج البيـان فيمـا يستعملـه الإنسان».

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

قال :

الـدارصينى ــ «ع » معنـاه بـالفـارسيـة شجـرة الصين، والـدارصينى علـى ضـروب: منـه الـدارصينـى على الحقيقـة المعـروف بدارصينى الصين. ومنـه الـدارصينى الدون، وهـو الـدارصوص. ومنـه المعـروف بالقـرفـة على الحقيقة، ومنـه المعروف بقرفة القرنفل. فأما الدارصينى على الحقيقة فجسمه أشحم وأثخن، وأكثر تخلخلا من جسم القرفة على الحقيقة،

وسواد قرفة القرنفل، إلا أنه إلى القرفة أميل، وبها أشبه، لأن حمرته أقوى من سواده وأظهر. وأما لون سطحه فيقرب من لون السليخة الحمراء، وأما طعمه فأول ما يبدأ الحاسة الحرافة، مع يسير من قبض، ثم يتبع ذلك الحلاوة، ثم مرارة زعفرانية، مع دهنية خفيفة، وأما رائحته فمشاكلة لرائحة القرفة على الحقيقة، فإذا مضغته ظهر لك شيء، كرائحة الزعفران، مع يسير من رائحة اللينوفر. وأما الدارصيني الدون، فجسمه يقرب من جسم القرفة على الحقيقة في خفته وتلحمه وحمرة لونه، إلا أن حمرته أقوى، ولونه أشرف، وجسمه أرق وأصلب، أعواده ملتفة دقاق مقصفة، شبيهة بأنابيب قصب الساج، إلا أنها مشقوقة طولا غير ملتحمة ولا متصلة، وطعمه ورائحته مشاكلة لرائحة القرفة على الحقيقة، وطعمها في ذكائها وعطريتها وحرافتها إلا أن الدارصيني أقوى حرارة، وأقل حلاوة وعفوصة. وأما القرفة بالحقيقة فمنها غليظ ومنها رقيق. وكلاهما أحمر وأملس، مائل إلى الحلو فيه قليلا، وظاهره حسن أحمر اللون إلى البياض قليلا، على لون قشر السليخة، ورائحتها ذكية عطرة، وفي طعمها حدة وحرافة، مع حلاوة يسيرة. وأما المعروفة بقرفة القرنفل، فهي رقيقة صلبة إلى السواد مائلة، ليس فيها تخلخل، ورائحتها وطعمها كالقرنفل، إلا أن القرنفل أقوى قليلا، وهذا الدواء في الغاية من اللطافة، ولكنه ليس بحار غاية الحرارة، بل من الحرارة في الدرجة الثالثة، وليس في الأدوية المجففة شيء يجفف مثل تجفيفه للطافة جوهره. فأما قرفة الدارصيني فكأنها دارصيني ضعيف، وبعض الناس يسميه دارصيني دون، وقوة كل دارصيني مسخنة مدرة للبول، ملينة منضجة، وتدر البول وتسقط الجنين إذا شرب واحتمل مع مر، ويوافق السموم من كل شيء من دواب الأرض القتالة، ويجلو ظلمة البصر، ويقلع البثور اللينة، والكلف، إذا خلط بعسل، وينفع من النزلات والسعال المزمن والجنب ووجع الكلى وعسر البول، وقد يقع في أخلاط الطيب الشريفة، وبالجملة هو كثير المنفعة، وقد يسحق ويعجن بشراب، ليبقى زمانا طويلا، ويجفف في الظل ويخزن، وهو مطيب للمعدة، مذهب لبردها، مسخن للكبد، مفتح للسدد، محد للبصر، مجفف للرطوبة العارضة في الرأس والمعدة، وخاصته أن يُحد البصر الضعيف إذا اكتحل به، وإذا أكل، ويصفي الصوت الذى يخشن عن رطوبات منصبة، ويحلل البلغم من الحلق والنغانغ وقصبة الرئة. وبالجملة فهو أبلغ الأفاويه في تجفيف الرطوبات الفضلية في أي عضو كانت، ويحسن الذهن تحسينا جيدا، ولا سيما إذا خلط مع الإهليلج الكابلي، ويسخن ويلطف الأغذية الغليظة، ويعدها للهضم، وينفع لكثرة أوجاع المعدة الباردة. وينبغي أن يكثر منه المعودون، وفي طعام من به ربو، وأخلاط غليظة في صدره، وليس يبلغ ما يبلغه الفلفل والخولنجان من كسر الرياح، بل ينفخ قليلا، وله خاصية في التفريح، وفيه قبض يسير، ويصلح كل عفونة، وكل قوة فاسدة، وكل صديدية من الأخلاط. وإن طبخ مع المصطكا وشرب ماؤه أزال الفواق وأذهبه. وبدل الدارصيني: ضعف وزنه من الأبهل، ولا يستعمل هذا البدل للحبالى، وبدله في أيارج الفيقرا: السليخة الفائقة، وبدل السليخة الفائقة دارصيني، والدارصيني الفائق أقوى من السليخة الفائقة، ولكن السليخة بدله من ضرورة. وقال في موضع آخر: تكون السليخة ضعف الدارصيني، وقيل بدل الدارصيني وزنه من الكبابة، والكبابة أقل من لطافة، وقيل بدله خولنجان وزنه.

«ح» إذا دق وعجن وعمل أقراصا، فإنه يبقى خمسة عشر سنة، وأجوده الطيب الرائحة، الحاد المزاج بلا لذع، الشديد الحمرة، الذى فيه حلاوة وليس بهش جدا، وهو حار يابس في الدرجة الثالثة، وقيل في الثانية، ودهنه حار جدا، والدارصيني في غاية اللطافة، وجاذب مصلح للعفونة، نافع للزكام وظلمة العين أكلا وكحلا، ويفرح القلب، وينقى الصدر، ويفتح سدد الكبد، ويقوى المعدة، وينفع من الاستسقاء وأوجاع الرحم من مح البيض، وينفع من سموم الهوام، ويضمد به للسعة العقرب مع التين، وقدر ما يؤخذ منه: درهم، وبدله: قشور السليخة القابضة، أو ضعفه كبابة أبهل أو زرنب، ودهنه شديد النفع للرعشة والنافض.

«ف» خشب معروف، وأصنافه كثيرة، وأجوده الأسود الطيب الرائحة، الحاد المذاق. حار يابس في الثانية، مفرح، وينفع من السعال والربو، ويحفظ على الإنسان قوته أيام حياته، ويذكي الذهن، والشربة منه: درهم (المعتمد ١ / ١٤٥-١٤٧).

وقال عنه الطبيب داود الأنطاكي:

دارصيني: معرَّب عن دارشين الفارسي وباليوناني أفيمونا

والسريانية مرسلون شجر هندى يكون بتخوم الصين كالرمان لكنه سبط وأوراقه كأوراق الجوز إلا أنها أدق ولا زهر لها ولا بزر له والدارصينى قشر تلك الأغصان لا كل الشجرة كذلك كما قيل وأجوده الشحم المتخلخل غير الملتحم بين حمرة وسواد وصفرة وحلاوة وملوحة ومرارة ما هو الكائن كثيرا بالصين فالياقوتى الكائن بآشية وجزائر الزنج فالأسود البراق فالصلب فالأصفر الدقيق وأردؤه الأبيض الخفيف ومنه ما يشبه السليخة وما فى طعمه قردمانية وسدابية ويغش بالقرفة والفرق قلة الحلاوة هنا وتبقى قوته إلى نحو خمس عشرة سنة لا سيما إن قرّص بالشراب وهو حار يابس فى آخر الثانية أو فى الثالثة والأبيض فى الأولى مفرح يقع فى الترياق الكبير وغيره من كبار التراكيب ويمنع الخفقان والوحشة والوسواس وضروب الجنوب وما كان عن الباردين خصوصا اليابس ويقوى المعدة والكبد ويدفع الاستسقاء واليرقان ويدر ويسقط ويخرج الرياح الغليظة ويسكن البواسير ويضعفها كيف استعمل ودهنه مجرب للرعشة والفالج وقاطره أعظم نفعا فيما ذكر يقطع اليرقان فى أسرع وقت ويصلح النفساء ورياح الأرحام والمقعدة شربا ويفتح الصمم قطورا وكحله يجلو ظلمة العين ويطلى به الأورام الباردة مع الزعفران فيسكنها وهو يصدع المحرور ويضر المثانة ويصلحه الكثيرا أو الأسارون وشربته إلى مثقال وبدله الأبهل أو الكبابة مطلقا لا فى التلطيف فقط (التذكرة ١ / ١٤٩).

(الموجز فى الطب لابن النفيس ـــ تحقيق الأستاذ عبد الكريم العزباوى، مراجعة د. أحمد عمار / ٩٢، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٤٥ ـــ ١٤٧، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٤٩).

*** الدارفلفل:**

قال داود الأنطاكى: الدارفلفل تسميه أهل مصر عرق الذهب ويسمى أذناب الحرادين قيل إنه أول ثمر الفلفل أو هو موضعه كقطف العنب أو شجرة تكون بجزائر الزنج كالتوت تحمل غلفا محشوة كاللوبيا وعلى كل حال فهو قليل الإقامة لا يتجاوز ثلاث سنين ويسرع العفن إليه وهو حار فى الثانية أو الثالثة يابس أو هو رطب فى الأولى من أخلاط المعاجين الكبار يحلل الرياح ... وينفع من برد المعدة والكبد وسددهما ويدر ويسقط ويستأصل البلغم ويطيب الرائحة إذا وقع فى الأطياب كالدارصينى ومتى أغلى ودهن به سكن الفالج والكزاز والاختلاج وفتح الصمم وقد جرب أنه إذا شوى فى كبد ماعز وسحق بالرطوبة السائلة منه ورفع كان كحلا جيدا للغشا والظلمة عن تجربة وهو يصدع ويصلحه الصمغ وشربته إلى نصف مثقال وبدله أحد الفلفلين.

(تذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٥٠).

انظر : الفلفل.

*** دارفور:**

انظر : السودان.

*** الدّارقزّى:**

انظر: دار القز.

*** الدّارقطنى (٣٠٦ـ٣٨٥ هـ / ٩١٩ـ٩٩٥ م):**

هو الإمام الجليل شيخ الإسلام، حافظ الدنيا، وإمام عصره فى الرجال وعلل الأحاديث أبو الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدى البغدادى الدارقطنى (كتاب الضعفاء والمتروكين / ١١).

قال السمعانى :

الدارقطنى : بفتح الدال المهملة بعدها الألف ثم الراء والقاف المضمومة والطاء المهملة الساكنة وفى آخرها النون، هذه النسبة إلى دار القطن (انظرها فى موضعها)(وهى كانت محلة ببغداد كبيرة خربت الساعة، كنت أجتاز بها بالجانب الغربى، وأرانى صاحبنا الشيخ سعد الله بن محمد المقرى، مسجده فى دار القطن، منها أبو الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدى بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله الحافظ الدارقطنى، من أهل بغداد (الأنساب ٢ / ٤٣٧، ٤٣٨).

وقد أدرجه فضيلة الشيخ محمد محمد أبو زهو فى أعلام تدوين الحديث فى القرن الرابع الهجرى وقال عنه :

الدارقطنى : هو على بن عمر بن أحمد بن مهدى بن مسعود بن دينار بن عبد الله الحافظ الكبير أمير المؤمنين فى الحديث وأستاذ هذه الصناعة . سمع الكثير وصنف وألف وأجاد وأفاد وأحسن النظر والتعليل كان إمام عصره فى صناعة الجرح والتعديل وحسن التأليف واتساع الرواية، وله كتاب

الإلـزامات وهـو كـالمستدرك علـى الصحيحين، وله كتـاب السنن وقد طبع بالهند مع تعليقات لشمس الحق أبي الطيب محمد ابـن أحمد بن علي الآبـادي، وله كتاب العلل بيَّـن فيه الصواب من الدخل، وكتـاب الأفـراد. وكان الـدارقطني من صغره موصوفا بالحفظ والفهم، قال ابن الجوزي: «اجتمع له مع معرفة الحديث العلم بـالقراءات والنحو والفقه والشعر مع الإمامة والعدالة وصحة العقيدة» وثناء العلماء عليه لا يحصى.
(الحديث والمحدثون / ٤٢٤، ٤٢٥).

وقـال عنـه الزركلي: أول مـن صنف القراءات وعقـد لهـا أبوابا، ولد بدار القطن ورحل إلى مصـر، فسـاعد ابن حنزابـة (انظر تـرجمته فـي م ١٥ / ٥) وزيـر كافـور الإخشـيدي) علـى تأليـف مسنـده، وعـاد إلـى بغـداد فتوفي بهـا (الأعلام ٤ / ٣١٤).

وترجـم له الأستاذ صبحي البدري السـامرائي في مقـدمة تحقيقه لكتـاب الضعفاء والمتروكين لـلإمام الـدارقطني. مما ننقلـه فيمـا يلي، وقـد وضعنا مصـادره بين أقـواس في ثنـايـا النص:

شيوخه ورحلاته:

سمع البغـوي، وابن أبي داود، وابن صـاعد والحضـرمي وابن دريـد وعلي بن عبـد الله بـن مبشـر ومحمـد بن القـاسم المحاربي، وأبـا علي محمد بن سليمان المالكي، وأبـا عمر القـاضي، وأبـا جعفـر أحمـد بن البهلـول، وابن زيـاد النيسابوري، وأحمد بن القاسم الفرائضي، وأبا طالب الحافظ وخلائق ببغداد والبصرة والكوفة وواسط.

ارتحل في كهولته إلى مصر والشام وعاد إلى بغداد.

تلاميذه:

حـدَّث عنـه الحـاكم، وأبو حـامـد الإسفـراييني، وتمَّـام الرازي، والحـافظ عبد الغنـي الأزدي، وأبو بكـر البرقانـي، وأبو ذر الهروي، وأبو نعيم الأصبهـاني، وأبو محمد الخلال، والقاضي أبو الطيب الطبري، وأبو بكر بن بشران، وأبو القاسم حمـزة السهمي، وأبـو محمد الجـوهـري، وأبـو الحسين بن الأبنـوسـي، وعبـد الصمـد بن المأمـون، وأبـو الحسين بن المهتدي بالله وأمم سواهم.

ثناء العلماء عليه:

قـال الحاكم: صـار الـدارقطني أوحد عصره في الحفظ والـورع وإمـاما في القـراء والنحـويين، وأقمت في سنـة سبع وستين ببغداد أربعة أشهـر، وكثر اجتماعنا، فصادفتـه فوق ما وصف لي، وسألته عن العلل والشيوخ، ولـه مصنفات يطول ذكرهـا، فأشهـد أنـه لـم يخلّـف علـى أديـم الأرض مثلـه (تذكرة الحفاظ ٣ / ٩٩١).

وقال الخطيب: كـان فريـد عصره، وإمـام وقته، وانتهى إليه علـم الأثر، والمعرفـة بعلل الحـديث، وأسماء الـرجال، وأحوال الرواة مع الصدق والثقة، وصحة الاعتقاد، والاضطلاع من علـوم سوى علم الحـديث منهـا القـراءات، فإن له فيهـا مصنفا مختصـرا، وقال: ومن ذلك المعرفة بمـذاهب الفقهاء فإن كتـابـه السنن يـدل على ذلك. ومنهـا المعـرفـة بـالآداب والشعر (تاريخ بغداد ١٢ / ٣٤).

وقـال عبـد الغني الأزدي: أحسن النـاس كـلامـا على الحديث ابن المـديني في زمانه، وموسى بن هـارون في وقته، والدارقطني في وقته.

(تاريخ بغداد ١٢ / ٣٦ وتذكرة الحفاظ ٣ / ٩٩٤).

وقـال القـاضي أبـو الطيب الطبـري: الـدارقطني أميـر المؤمنين في الحديث (تاريخ بغـداد ١٢ / ٣٦ وتذكـرة الحفاظ ٣ / ٩٩٣).

مؤلفاته:

١ ـ السُّنن:

قال الخطيب: فإن كتاب السنن الذي صنفه يدل على أنه كان ممـن اعتنى بالفقه، لأنـه لا يقدر على جمع مـا تضمن ذلك الكتاب إلا من تقـدمت معرفتـه بالاختـلاف في الأحكام (تاريخ بغداد ١٢ / ٣٥).

نشر في دلهي سنة ١٣٠٦ هـ. ثم أعيد نشره فطبع بالقاهرة باعتناء السيد عبد الله بن هاشم المدني.

٢ ـ العلل الواردة في الأحاديث النبوية:

أملاها من حفظه على تلميذه أبي بكر البرقاني.

قال الخطيب: سألت البرقاني: هل كان أبو الحسن يُملي عليك العلل من حفظه؟ قـال: نعم، وأنـا الـذي جمعتهـا، وقرأها الناس من نسختي (تاريخ بغداد ١٢ / ٣٧).

وهو كتاب جامع ومُهم، ولم يؤلف في بابه مثله. قال الذهبي معقبا على كلام البرقاني: وهذا شيء مدهش، فمن أراد أن يعرف قدر ذلك، فليطالع كتاب العلل للدارقطني (تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٩٣).

وهو مخطوط نسخة منه في دار الكتب المصرية في خمسة مجلدات ونسخة بنكبور بالهند، آصفية بالهند، باتنة (٥٤٩ـ ٥٥١).

٣ ـ المؤتلف والمختلف:

مخطوط المجلد الثاني منه في مكتبة مدينة طبقبو سراي باسطنبول رقم (٤١٤) وهو كتاب حافل في المؤتلف والمختلف من أسماء الرجال أخذ منه الخطيب البغدادي في كتابه المؤتنف تكملة المؤتلف والمختلف (مخطوط) نسخة منه في مكتبة برلين. وانظر كشف الظنون (٢ / ١٦٣٧).

٤ ـ الأفراد:

أن ينفرد الراوي الواحد عن كل أحد من الثقات وغيرهم برواية حديث مطلقا. وقد ينفرد الراوي الثقة، أو أهل بلد، انظر: علوم الحديث لابن الصلاح، ص ٨٠، وفتح المغيث للسخاوي (١ / ٢٠٥) وهو مخطوط يوجد الجزء الثاني منه في الظاهرية مجموع ٣٥ (١ / ١٠) والجزء الثالث مجموع ٥٦ (١١٠ ـ ١٢٣). وانظر فهرس المنتخب من مخطوطات الحديث للشيخ الألباني، ص ٢٧٣.

ورتب الأفراد على الأطراف الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي مخطوط نسخة كاملة منه بدار الكتب المصرية رقم (٦٩٧) حديث.

٥ ـ ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته من الثقات عند البخاري ومسلم وذكراه في كتابيهما الصحيحين أو أحدهما:

نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٤٠١ هـ.

٦ ـ الإلزامات:

مجموعة من الأحاديث يرى الدارقطني أنها على شرط الشيخين (البخاري ومسلم) أو أحدهما، ولم يخرجاها.

طبع بالقاهرة ـ مطبعة المعرفة، الناشر المكتبة السلفية بالمدينه المنورة.

٧ ـ التتبُّع:

أورد فيه أحاديث تتبع فيها واستدرك على الإمامين البخاري ومسلم مما أورداها في صحيحيهما. وقد تعقب عليه الحفاظ كالإمام النووي في شرح مسلم والحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، والحافظ أبي مسعود الدمشقي (مخطوط).

طبع مع كتاب الإلزامات.

٨ ـ غريب الحديث:

مخطوط. نسخة منه في رامبور رقم (٥١١). انظر بروكلمان ٣ / ٢١٢).

٩ ـ فضائل الصحابة:

مخطوط. الجزء الحادي عشر وهو في فضل الشيخين رضي الله عنهما رقم مجموع ٤٧ (ق ١٤ ـ ٢٣) الظاهرية. وانظر فهرس الشيخ الألباني، ص ٢٧٤.

١٠ ـ الأحاديث التي خولف فيها مالك:

مخطوط. نسخة منه في المكتبة الظاهرية بدمشق رقم مجموع ٦٣ (٢٥٥ ـ ٢٦٩).

١١ ـ أحاديث الموطأ وذكر اتفاق الرواة عن مالك واختلافهم فيه:

طبع بالقاهرة.

١٢ ـ أخبار عمرو بن عبيد المعتزلي وكلامه في القرآن وإظهار بدعته:

طبع ببيروت.

١٣ ـ كتاب الأسخياء:

نشره سليمان وجهت حسين سنة ١٩٣٤ م انظر بروكلمان (٣/ ٢١٢).

١٤ ـ المستجاد.

١٥ ـ أحاديث النزول:

مخطوط. جزء صغير في رفان كشك ـ طبقبو سراي بإسطنبول.

١٦ ـ رؤية الباري عز وجل:

مخطوط. نسخة منه ـ مكتبة إسكوريال بإسبانيا.

١٧ ـ الضعفاء والمتروكون :

كتابنا هذا .

١٨ ـ سؤالات البرقانى ، لأبى الحسن الدارقطنى فى الرجال .

مخطوط . نسخة منه ـ مكتبة أحمد الثالث رقم (٦٢٤) (مجموع) .

١٩ ـ سؤالات السهمى ، لأبى الحسن الدارقطنى :

مخطوط . نسخة منه ـ مكتبة أحمد الثالث مجموع رقم (٦٢٤) . ويوجد نسخة ناقصة منه فى المكتبة الظاهرية مجموع ١١١ (ق ٢٠٩ ـ ٢١٥) .

٢٠ ـ سؤالات السلمى ، لأبى الحسن الدارقطنى :

مخطوط . نسخة منه فى مكتبة أحمد الثالث مجموع رقم (٦٢٤) .

٢١ ـ غرائب مالك :

نقل عنه العلماء منهم الحافظ زين الدين العراقى فى كتابه الذيل على الميزان : ولم أقف عليه .

كما أن للإمام الدارقطنى أجزاء وفوائد منتقاة توجد فى عدة مكتبات .

توفى الإمام الدارقطنى ببغداد سنة ٣٨٥ هـ ودفن فى مقبرة باب الدير (تقع بجانب الكرخ وتسمى الآن مقبرة الشيخ معروف الكرخى) قريبا من قبر معروف الكرخى ، رحمه الله .

مصادر الترجمة :

١ ـ تاريخ بغداد (١٢ / ٣٤ ـ ٤٠) .

٢ ـ وفيات الأعيان (٣ / ٢٩٧) .

٣ ـ طبقات الشافعية للسبكى (٣ / ٤٦٢) .

٤ ـ تذكرة الحفاظ (٣ / ٩٩١) .

٥ ـ النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (٤ / ١٧٣) .

٦ ـ المنتظم لابن الجوزى (٧ / ١٨٣) .

٧ ـ النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى (١ / ٥٥٨) .

٨ ـ مرآة الجنان لليافعى (٢ / ٤٢٥) .

٩ ـ البداية والنهاية (١١ / ٣١٧) .

١٠ ـ تاريخ الأدب العربى لبروكلمان (٣ / ٢١٠) (كتاب الضعفاء والمتروكين / ١١ ـ ١٧) .

(كتاب الضعفاء والمتروكين للإمام أبى الحسن على بن عمر الدارقطنى ـ حققه وعلق عليه صبحى البدرى السامرائى . مؤسسة الرسالة بيروت . الطبعة الثانية ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦ م / ١١ ـ ١٧ مقدمة التحقيق ، والأنساب للسمعانى ٢ / ٤٣٧ ـ ٤٣٩ ، والحديث والمحدثون ـ محمد محمد أبو زهو / ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، والأعلام للزركلى ٤ / ٣١٤ انظر أيضا أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى ٣/ ١٤٨ ، ١٤٩) .

*** دارك:**

قال ياقوت :

دارك : بعد الراء كاف : من قرى أصبهان ؛ نسب إليها قوم من أهل العلم ، منهم : أبو القاسم عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز الداركى من كبار الفقهاء الشافعية ، سكن بغداد ودرس بها وكان أبوه محدث أصبهان فى وقته ، وتوفى أبو القاسم ببغداد سنة ٣٧٥ .

(معجم البلدان ٢ / ٤٢٣) .

***داركان:**

قال ياقوت :

داركان : بعد الراء كاف ، وآخره نون : قرية من قرى مرو ، بينها وبين مرو فرسخ واحد ؛ خرج منها طائفة من أهل العلم ، منهم : على بن إبراهيم السلمى أبو الحسن المروزى الداركانى ، صحب عبد الله بن المبارك ، وحدث ببغداد عن أبى حمزة السكرى وعبد الله بن المبارك و النصر بن محمد الشيبانى (فى الأنساب ٢ / ٤٣٩ : والنضر ، بالضاد المعجمة) ، روى عنه أحمد بن حنبل وعباس الدورى وأحمد ابن الخليل البرجلانى وغيرهم ، وكان ثقة ، مات سنة ٢١٣ .

(معجم البلدان ٢ / ٤٢٣) .

***الداركانى:**

قال السمعانى :

الداركانى : بفتح الدال والراء المهملتين بينهما الألف وفى آخرها النون ، هذه النسبة إلى داركان وهى إحدى قرى مرو على فرسخ منها ، كان بها جماعة من أهل العلم ، منهم أبو عمرو يعمر بن بشر الداركانى الخراسانى ، كان من أصحاب

عبد الله بن المبارك، حدث عنه وعن أبى حمزة محمد بن ميمون السكرى والحسين بن واقد والنضر بن محمد الشيبانى وأبى النضر معاذ بن المساور وغيرهم، وروى عنه أبو مسعود أحمد بن الفرات الرازى وأحمد بن محمد بن حنبل وعلى بن المدينى وأحمد بن سنان القطان والفضل بن سهل الأعرج وأبو بكر بن أبى شيبة ومحمد بن عبدة وغيرهم، وكان أحد الثقات المتقنين، وروى عنه جماعة من أقرانه، وجاور مكة مدة وانصرف إلى مرو ومات بها بعد سنة مائتين.

وأبو الحسن على بن إسحاق السلمى المروزى الداركانى صاحب عبد الله بن المبارك، قدم بغداد وحدث بها عن ابن المبارك وأبى حمزة السكرى والفضل بن موسى السينانى والنضر بن محمد الشيبانى وغيرهم، روى عنه أحمد بن حنبل وعباس الدورى ويعقوب بن شيبة وأحمد بن الخليل البرجلانى، وثقه يحيى بن معين وسئل عنه فقال: ثقة صدوق. وقال محمد بن سعد الزهرى على بن إسحاق الداركانى - هى قرية بمرو وكان ينزلها الحاج إذا خرجوا من مرو، وكان من أصحاب عبد الله بن المبارك معروفا بصحبته، وكان ثقة، وقدم بغداد فسمعوا منه. ومات سنة ثلاث عشرة ومائتين.

(الأنساب للسمعانى ــ تقديم وتحقيق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٤٣٩).

*** الداركى:**

قال السمعانى:

الداركى: بفتح الدال المهملة المشددة والراء بينهما الألف وفى آخرها الكاف، هذه النسبة إلى دارك وظنى أنها قرية من قرى أصبهان، منها أبو القاسم عبد العزيز بن الحسن ابن أحمد الداركى الفقيه الأصبهانى، كان أبوه محدث أصبهان فى وقته، وأبو القاسم من كبار فقهاء الشافعيين، ورد نيسابور سنة ثلاث وخمسين ثلاثمائة، وكان يدرس بها سنين، وله جملة من المختلفة، وتقلد أوقاف أبى عمرو الخفاف، ثم إنه خرج إلى بغداد فصار المجلس له، ومع ذلك فإنه كان ممن يرجع إليه فى السؤال عن الشهود فإنى دخلتها سنة سبع وستين وثلاثمائة وهو إمام الشافعيين بها، وكان يدرس فى مسجد دعلج بن أحمد فى درب أبى خلف؛ وقد حدث بنيسابور وببغداد، وتوفى ببغداد فى شوال من سنة خمس وسبعين وثلاثمائة هذا كله ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ.

وأما أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب الحافظ فقال: هو أبو القاسم عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز الداركى الفقيه الشافعى، نزل نيسابور عدة سنين، ودرس بها الفقه، ثم صار إلى بغداد فسكن بها إلى حين موته، وحدث بها عن جده لأمه الحسن بن محمد الداركى، وكان يدرس ببغداد فى مسجد دعلج بن أحمد السجزى، وله حلقة فى جامع المدينة للفتوى والنظر، روى عنه أبو القاسم الأزهرى وأبو محمد الخلال وعلى بن محمد بن الحسن الحربى وعبد العزيز الأزجى وأبو الحسن العتيقى وأبو القاسم التنوخى، وكان ثقة؛ وكان أبو حامد الإسفراييني يقول: ما رأيت أفقه من الداركى، وقال غيره: وكان يتهم بالاعتزال، وانتهت إليه الرئاسة فى مذهب الشافعى، وتوفى عن نيف وسبعين سنة فى شوال سنة خمس وسبعين وثلاثمائة. وأبو على الحسن بن محمد بن الحسن بن زياد الداركى التاجر الأصبهانى من أهل أصبهان، كان ثقة، روى عن محمد بن حميد وصالح بن مسمار وسعيد بن عنبسة وشاذان الفارسى والرازيين، روى عنه محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهانى ومحمد بن أحمد بن محمود الطبرانى، وتوفى سنة سبع عشر وثلاثمائة. وأبو جعفر محمد بن على بن مخلد الداركى، يروى عن إسماعيل بن عمرو، روى عنه أبو بكر بن المقرئ الأصبهانى وقال: أنا أبو جعفر الداركى بدارك.

(الأنساب للسمعانى ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٤٣٩، ٤٤٠).

*** الدارمى:**

بفتح الدال المهملة وكسر الراء، هذه النسبة إلى بنى دارم وهو دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم، منها أبو عبد الرحمن محمد بن أبى الحسن على بن أبى عبد الرحمن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن الفضل بن عبد الله بن قطاف بن حبيب بن خديج بن قيس بن نهشل بن دارم بن مالك الدارمى التميمى، من أهل نيسابور، صار فى أواخر عمره من العباد المجتهدين الملازمين للمسجد والتعبد، وقد سمع الحديث من أبى بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وأبى

العباس محمد بن إسحاق السراج وأبي العباس الماسرجسي وغيرهم، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ وقال: توفي في النصف من شعبان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.

وأبو طيبة عيسى بن سليمان بن دينار الدارمي من أهل جرجان، يروي عن الكوفيين الشيباني والأعمش ودونهما، روى عنه ابنه أحمد بن أبي طيبة مات سنة ثلاث وخمسين ومائة، قال أبو حاتم بْن حبان: كان يخطئ.

وأبو جعفر أحمد بن سعيد بن صخر بن سليمان بن سعيد ابن قيس، ويقال إن جده صخر بن عكيم بن قيس بن عبد الله ابن المنذر بن كعب بن الأسود بن عبد الله بن زيد بن عبد الله ابن دارم الدارمي. ولد بسرخس، ونشأ بنيسابور، وكان أكثر أوقاته في الرحلة لسماع الحديث، وكان أحد المذكورين بالفقه ومعرفة الحديث والحفظ له، سمع النضر بن شميل وعلى بن الحسين بن واقد وجعفر بن عون وأبا عاصم النبيل وعبد الصمد بن عبد الوارث وحبان بن هلال، وكان ثقة ثبتا، روى عنه عمرو بن علي الفلاس وأبو موسى محمد بن المثنى الزمن ومحمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج القشيري في صحيحيهما وأبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي، ومات بنيسابور سنة ثلاث وخمسين ومائتين.

وجعفر بن يحيى بن محمد بن يحيى بن عثمان بن سعيد ابن عثمان بن عبد الله بن دارم الدارمي أخو إبراهيم السراجي الدارمي، من أهل مصر، ذكره أبو زكريا يحيى بن علي الطحان، وقال: توفي في شوال سنة خمس وأربعين وثلاثمائة.

وأبو الفرج محمد بن عبد الواحد بن محمد بن عمر بن الميمون الدارمي الفقيه على مذهب الشافعي، كان أحد الفقهاء موصوفا بالذكاء والفطنة، يحسن الفقه والحساب، ويتكلم في دقائق المسائل، ويقول الشعر، وانتقل عن بغداد إلى الرحبة فسكنها مدة، ثم تحول إلى دمشق فاستوطنها؛ ذكر الدارمي أنه سمع الحديث من أبي محمد بن ماسي وأبي بكر ابن إسماعيل الوراق ومحمد بن المظفر الحافظ وأبي عمر بن حيويه وأبي بكر بن شاذان وأبي الحسن الدارقطني وغيرهم، سمع منه أبو بكر الخطيب الحافظ وذكره في التاريخ وأثنى عليه ووصفه بمعرفة الفقه واللغة والحساب، وقال: لقيته بدمشق في سنة خمس وأربعين وأربعمائة. وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتاب طبقات الفقهاء. وكانت ولادته في شوال سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، ومات بدمشق في يوم الجمعة أول يوم من ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وأربعمائة.

وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد السمرقندي الدارمي من بني دارم بن مالك بن حنظلة، من أهل سمرقند، كان أحد الرحالين في الحديث والموصوفين بجمعه وحفظه والإتقان له مع الثقة والصدق والورع والزهد واستقضي على سمرقند فأبى فألح عليه السلطان حتى تقلده وقضى قضية واحدة ثم استعفى فأعفي، وكان على غاية العقل وفي نهاية الفضل يضرب به المثل في الديانة والحلم والرزانة والاجتهاد والعبادة والتقلل والزهادة، وصنف المسند والتفسير والجامع، وحدث عن يزيد بن هارون وعبيد الله بن موسى ومحمد بن يوسف الفريابي ويعلى بن عبيد وجعفر بن عون وأبي المغيرة الحمصي وأبي اليمان الحكم بن نافع البهراني وعثمان بن عمر بن فارس وأشهل بن حاتم وغيرهم من أهل العراق والشام ومصر، روى عنه بندار ومحمد بن يحيى الذهلي ورجاء بن مرجى الحافظ ومسلم بن الحجاج وأبي عيسى الترمذي وجعفر بن محمد الفريابي قاضي الدينور وجماعة سواهم، وقال رجاء بن المرجى رأيت أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعلى بن المديني والشاذكوني فما رأيت أحفظ من عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي. وكانت ولادته سنة موت عبد الله بن المبارك وهي سنة إحدى وثمانين ومائة، ومات بسمرقند يوم عرفة وهو من سنة خمس وخمسين ومائتين.

(الأنساب للسمعاني ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ / ٤٤١، ٤٤٢).

*** الدارمي (عثمان بن سعيد) (٢٠٠ ـ ٢٨٠ هـ / ٨١٥ـ٨٩٤ م):**

عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني، أبو سعيد، محدث هراة. له تصانيف في الرد على الجهمية (انظر مادة «الجهمية» في م ١٢ / ٤٢٥ ــ ٤٣١)، منها « النقض على بشر المريسي» سماه ناشره «رد الإمام الدارمي عثمان بن

سعيد، على بشر المريسى العنيد» : وله «مسند» كبير. توفى فى هراة (الأعلام للزركلى ٤ / ٢٠٥، ٢٠٦).

*** الدارة:**

انظر: دارات العرب.

*** الداروم:**

قال ابن الكلبى:

قال الشرقى: نزل بنوحام مجرى الجنوب والدبور، ويقال لتلك الناحية الداروم فجعل الله فيهم السواد والأدمة وأعمر بلادهم وسماءهم وجرت الشمس والنجوم من فوقهم ورفع عنهم الطاعون.

والداروم: قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر الواقف فيها يرى البحر إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ، خربها صلاح الدين لما ملك الساحل فى سنة ٥٨٤، ينسب إليها الخمر.

وغزاها المسلمون فى سنة ثلاث عشرة وملكوها فقال زياد ابن حنظلة:

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها
شد الخيول على جموع الروم
يضربن سيدهم ولم يمهلنهم
وقتلن فلهم إلى داروم

ويقال لها الدارون أيضا. وينسب إليها على هذا اللفظ أبو بكر الداروني، روى عن عبد العزيز العطار عن شفيق البلخى، روى عنه أبو بكر الدينورى بالبيت المقدس سنة ثمان وثلاثمائة.

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٤٢٤).

*** الدارى:**

قال السمعانى:

الدارى: بفتح الدال المهملة المشددة وفى آخرها الراء، هذه النسبة إلى أشياء، منها إلى الجد، ومنها إلى قرية على خمسة فراسخ من هراة يقال لها دار واشكيذبان ولها يقول الشاعر:

يا قرية الدار هل لى فيك من دار

فأما النسبة إلى الجد فمنهم أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة بن سواد بن جذيمة بن ذراع بن عدى بن الدار بن هانىء بن حبيب بن نمارة بن لخم بن عدى بن عمرو بن سبأ ابن يعرب بن يشجب بن قحطان الدارى، كان تميم يختم القرآن فى ركعة، وربما ردد الآية الواحدة الليل كله إلى الصباح، وكان يشترى الرداء بالألف ليصلى فيه صلاة الليل. سكن الشام، وبها مات، وقبره ببيت جبرين من بلاد فلسطين، وكان من عباد الصحابة وزهادهم، ممن جانب أسباب الغزو ولزم التخلى بالعبادة إلى أن مات.

وأخوه لأمه أبو هند الدارى هو بر بن بر بن عبد الله بن رزين بن عميت بن ربيعة بن ذراع بن عدى بن الدار، سكن فلسطين أيضا، وهو من الصحابة، مات ببيت جبرين، حديثه عند أولاده.

وهو أخو الطيب بن بر الذى سماه رسول الله ﷺ عبد الله، وقد قيل إن اسم أبى هند برير بن عبد الله، والصحيح بر بن بر - هكذا ذكره أبو حاتم بن حبان فى الصحابة من كتاب الثقات.

وأحمد بن يزيد بن روح الدارى، يروى عن محمد بن عقبة، روى عنه أبو عمير الرملى، يعد فى أهل فلسطين، قال ابن أبى حاتم سمعت أبى يقول: سكن بيت المقدس، وهو من رهط تميم الدارى.

وسعيد بن زياد بن فائد بن زياد بن أبى هند الدارى، يروى عن أبيه زياد عن جده زياد بن أبى هند عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله عز وجل من لم يرض بقضائى - الحديث. وبهذا الإسناد حديث فى فضل الزبيب؛ قال أبو حاتم بن حبان حدثنا بهما ابن قتيبة ثنا سعيد بن زياد فى نسخة كتبناها عنه بهذا الإسناد، تفرد بها سعيد، فلا أدرى البلية فيها منه أو من أبيه أو من جده لأن أباه وجده لا يعرف لهما رواية إلا من حديث سعيد، والشيخ إذا لم يرو عنه ثقة فهو مجهول لا يجوز الاحتجاج به لأن رواية الضعيف لا تخرج من ليس بعدل عن حد المجهولين إلى جملة أهل العدالة لأن ما روى الضعيف وما لم يرو فى الحكم سيان.

وأما عبد الله بن كثير المقرئ الدارى مقرئ أهل مكة - قرأت بنخشب فى كتاب علل القراءات لأبى نصر منصور بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله المقرئ العراقى: إنما قيل لعبد الله بن كثير: الدارى، لأن الدارى بلغة أهل مكة العطار،

فكان له أصحاب يضاربون عنه ويخلفونه وقال النبي ﷺ مثل الجليس الصالح مثل الداري . وقال الشاعر:

إذا التاجر الداري جاء بفارة
من المسك راحت في مفارقهم تجري

وإنما سمي داريا لأنه نسب إلى دارين وهو موضع في البحر يؤتى منه بالطيب، ومن الناس من يقول : إنما سمي داريا لأنه كان عالما في هذه الصناعة وفي كلام العرب وفي أحاديث النبي ﷺ والصحابة والتابعين ، والداري في كلام العرب مأخوذ من درى يدرى دراية فهو دار؛ ومنهم من قال : إنما قيل له الداري لأن الداري في كلام العرب صاحب مال ورب النعم كما قال الشاعر:

لبث رويدا يلحق الداريون
سوف ترى إن لحقوا ما يبلون
أهل الحياب البدن المكفيون

فقال وإنما سموه داريا لأنه مقيم في داره ومسجده في طاعة ربه عز وجل فنسب إلى الدار، لأنه كان مكفيا غير محتاج إلى تجارة أو إلى صنعة أو إلى عمل ، وكان رب مال ، وكان عمله الأخذ بالمسلمين كلام رب العالمين ، وكان قد تصدق بجميع ماله مرارا، ولم يكن له شغل إلا العبادة، وكان يؤم بالصلوات الخمس في المسجد الحرام بالمسلمين حتى أتاه اليقين، مات سنة عشرين ومائة .

وأما أبو طاهر ويقال أبو محمد عبد الرحيم بن زيد بن أحمد بن يوسف الداري النسفي هو من دار أبي عبد الرحمن معاذ بن يعقوب الزاهد، وكان رفيق أبي العباس المستغفري في الرحلة إلى خراسان. سمع بنسف أبا أحمد القاسم بن محمد بن القنطري، وبمرو أبا الفضل محمد بن الحسين الحدادي، وبالكشانية أبا علي إسماعيل بن محمد بن أحمد ابن حاجب الكشاني، وبسرخس أبا علي زاهر بن أحمد الإمام، وببخاري أبا بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل الإسماعيلي، وبأشتيخن أبا بكر محمد بن أحمد بن مت الإشتيخني وطبقتهم ، قال أبو العباس المستغفري : مات شابا قبل أن يحدث في رجب سنة ست وتسعين وثلاثمائة ، وسنه فوق الثلاثين، كنت علقت عنه حديثا واحدا. قلت رأيت خطه على حائط القبة القديمة لأبي الهيثم محمد بن المكي الكشميهني بكشميهن مع أبي العباس المستغفري.

وجماعة من أهل مكة نسبوا إلى عبد الدار بن قصي بن كلاب، وقيل له عبد الدار لأن أم ولد قصي حبي بنت حليل الخزاعية، قيل لما نكح قصي بن كلاب حبي بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو من خزاعة ـ وأمها ناهية بنت حرام بن نصر بن عوف بن عمرو من خزاعة ـ ولدت له عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبدا فسمي عبد الدار بداره تلك ثم سمي عبد مناف بمناف وعبد العزى بالعزى .

والمنتسب إلى عبد الدار هذا عبد الحميد بن عبد الله بن كثير الداري المكي القرشي، من بني عبد الدار، يروي عن سعيد ابن ميناء روى عنه عبد الرحمن بن مهدي وأبو عامر العقدي، وأحسبه أخا صدقة بن عبد الله والله أعلم .

(الأنساب للمسعاني ٢/ ٤٤٢ـ٤٤٤).

*** دارِيًا:**

داريا : قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة (الغربية وتتبع اليوم محافظة دمشق) .

والنسبة إليها داراني على غير قياس، وبها قبر أبي سليمان الداراني، وهو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الزاهد، ويقال أصله من واسط، روى عن الربيع بن صبيح وأهل العراق، روى عنه صاحبه أحمد بن أبي الحواري والقاسم الجوعي وغيرهما، وتوفي بداريا سنة ٢٣٥ ، وقبره بها معروف يزار.

وابنه سليمان من العباد والزهاد أيضا، مات بعد أبيه بسنتين وشهر في سنة ٢٣٧ ، قال أحمد بن أبي الحواري : اجتمعت أنا وأبو سليمان الداراني ومضينا في المسجد فتذاكرنا الشهوات من أصابها عوقب ومن تركها أثيب، قال: وسليمان بن أبي سليمان ساكت، ثم قال لنا: لقد أكثرتم منذ العشية ذكر الشهوات أما أنا فأزعم أن من لم يكن في قلبه من الآخرة ما يشغله عن الشهوات لم يغن عنه تركها.

وأيضا من داريا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أبو عتبة الأزدي الداراني، روى عن أبي الأشعث الصنعاني وأبي كبشة السلوكي والزهري ومكحول وغيرهم كثير، روى عنه ابنه عبد الله ابن عبد الرحمن وعبد الله بن المبارك والوليد بن مسلم وعبد الله بن كثير العاقل الطويل وخلق كثير سواهم، وكان يعد في

الطبقة الثانية من فقهاء الشام من الصحابة، وكان من الأعيان المشهورين.

وسليمان بن حبيب أبو بكر، وقيل أبو ثابت، وقيل أبو أيوب المحاربى الدارانى قاضى دمشق لعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام ابنى عبد الملك، قضى لهم ثلاثين سنة، روى عن أنس بن مالك وأبى هريرة ومعاوية بن أبى سفيان وأبى أسامة الباهلى وغيرهم، روى عنه عمر بن عبد العزيز، وهو من رواة الأوزاعى، وبرد بن سنان وعثمان بن أبى العاتكة وغيرهم، وكان ثقة مأمونا ومن داريا عبد الجبار بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحيم، ويقال عبد الرحمن بن داود أبو على الخولانى الدارانى يعرف بابن مهنا، له تاريخ داريا، روى عن الحسن بن حبيب وأحمد بن سليمان بن جزلة ومحمد بن جعفر الخرائطى وأحمد بن عمير بن جوصا وأبى الجهم بن طلاب وغيرهم، روى عنه أبو الحسن على بن محمد بن طوق الطبرانى وتمام بن محمد وأبو نصر المبارك وغيرهم ولم يذكر وفاته (معجم البلدان ٢ / ٤٣١، ٤٣٢).

وغوطة دمشق الجميلة تنقسم إلى شرقية وشامتها «دومة»، وغربية وعروسها «داريا الكبرى» (هناك داريا الصغرى وهى مزرعة قرب دومة).

وداريا كلمة سريانية شأنها شأن الكثير من أسماء قرى الغوطة وتعنى «دور» قال عنها ابن الأثير: «وهى قرية من غوطة دمشق خرج منها جماعة من العلماء والصالحين» (اللباب ١ / ٤٨٢).

وقال ابن خلكان: «وهى قرية على باب دمشق فى الغوطة».

وقال النووى: «داريا القرية المعروفة بجنب دمشق على دون ثلاثة أميال ... وكان فضلاء السلف يسكنونها، وممن سكنها من الصحابة رضى الله عنهم بلال المؤذن وبها قبران مشهوران يقصدان للزيارة لسيدين جليلين: أبى مسلم الخولانى وأبى سليمان الدرانى رضى الله عنهما.

قالت المؤلفة: زرنا هذين القبرين يوم الخميس ١٥ ربيع الأول ١٤١٤ هـ ٢ سبتمبر ١٩٩٣ م انظر ماجاء فى ترجمة كل من هذين الإمامين.

قال أبو الفتح الهمدانى: داريا وزنها فعليا من الدار والألف للتأنيث، إنما زيدت فيها هذه الزوائد دلالة على التكثير لأنها كانت مجمعا لدور آل جفنة الغسانيين ومنازلهم (انظر مادة «آل جفنة»)، ومثلها من الكلام مرحيا وبرديا حكاهما سيبويه (تهذيب الأسماء واللغات ٣ / ١٠٨).

وفى مقدمته لتحقيق كتاب «الروضة الريا» للعمارى، يبسط المحقق الأستاذ عبده على الكوشك الكلام على داريا وفضلها ومن سكنها من الصحابة والتابعين وأهل الفضل وهو ما ننقله فيما يلى:

روى ابن مهنا الدارانى بسنده إلى عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الدارانى (وهو من رجال الكتب الستة) قال: كان يقال: «من أراد العلم فلينزل بين عنس وخولان بداريا» (تاريخ داريا / ٥٢).

وإن المدن التى فتحها المسلمون ودخلت فى دين الله كثيرة. ولكن المؤرخين اقتصروا فى التأريخ على المدن البارزة، والتى نبغ فيها عظماء وجهابذة.

ونظرا لعراقة داريا العلمى، وحيازتها قدم السبق من بين قرى الغوطة فى هذا المضمار فإن المؤرخين أفردوها بالتأليف.

فهذا المؤرخ المحدث القاضى عبد الجبار الخولانى الدارانى يصنف «تاريخ داريا». (حققه العالم الفاضل سعيد الأفغانى ونشره المجمع العلمى بدمشق سنة (١٩٥٠) ثم نشرته جامعة بنى غازى، ومن بعدها دار الفكر بدمشق).

وهذا حافظ الدنيا ابن عساكر يؤلف كتاب «روايات ساكنى داريا» فى ستة أجزاء فى حين كانت تآليفه فى روايات قرى الغوطة لم يتعد الواحد منها الجزء الواحد. وهذا العمادى يؤلف «الروضة الريا» الذى ذكر فيه أنه رأى مؤلفا مفردا فى أسماء المحدثين بداريا، وجزءا فى الأحاديث التى رويت عند قبر أبى مسلم الخولانى بداريا.

وداريا لم تخلد على مدار التاريخ لأنها من أكبر قرى الغوطة فحسب، بل لسبب آخر وهو الذى رفع شأنها وأعلا صيتها. وهو تشرفها بسكنى عدد من الصحابة والتابعين وأعلام الفضل، وأعيان العلم.

فمع الفتح الإسلامى لبلاد الشام. قدم بعض الصحابة الكرام مع الجيوش الفاتحة مجاهدين، لينالوا عز النصر أو

شرف الشهادة . وقد استقر بعضهم فى دمشق وغوطتها ، ناشرين ألوية الهدى ، حاملين مشاعل النور، باذلين وقتهم لتعليم الناس دينهم القويم ، ورسالتهم الخالدة .

ولا ريب أن وجود أفراد من الرعيل المبارك ـ الذين تخرجوا من مدرسة النبوة ـ فى ربوع دمشق وغوطتها كان له أكبر الأثر فى النهضة العلمية والحضارية التى شهدتها الغوطة .

وما إن استقر بنو أمية فى دمشق، واتخذوها عاصمة لخلافتهم ، حتى اعتنوا بالغوطة عمارة لأرضها ، وإشادة للقصور المنيفة على ترابها ، ولم يقصروا فى حمل هدى الدين ونور الإسلام إلى قلوب أبنائها . حتى غدت داريا فى أكثر العصور والأدوار حاضرة العلم والأدب . فقد ملئت بالمحدثين والفقهاء ، والقضاء والخطباء والمؤرخين والقراء .

قال السمعانى : «إنه كان فى داريا جماعة كثيرة من العلماء والمحدثين قديما وحديثا» .

وقال الأستاذ الفاضل سعيد الأفغانى عن عناية الدارنيين بالعلم وتفوقهم الممتاز على غيرهم (غوطة دمشق / ١١٤) فقد قص علينا شأنهم الشيخ عبد الغنى النابلسى فى «الرحلة القدسية» حين مر بأهل داريا سنة (١١٠١) هـ فقال : «وحضر من أهل القرية جماعة يحفظون القرآن العظيم وجماعة يطالعون تفسيره للجلالين . فعلمنا أن هذا الأمر من إنعام الله تعالى عليهم حيث جعل فيهم هذه المزية دون غيرهم من أهل القرى فى مثل هذا الزمان . وإلا لعمرى كما خرج من قرية داريا من عالم عامل» .

وأرى من الفائدة ذكر بعض من نبغ من أهل داريا من أهل العلم والفضل والمعرفة . وذلك ليتذكر أهل بلدتى داريا أجدادهم ، لعلهم يقتفون أثرهم وينسجون على منوالهم . فيفوزوا بسعادة الدارين .

فقد سكن داريا عدد من الصحابة الكرام منهم بلال الحبشى المؤذن الذى صاهر أهل داريا بزواجه امرأة دارانية تسمى هندا الخولانية وروى عنه من أهل داريا : أبو مسلم الخولانى ، وأبو إدريس الخولانى ، وأبو قلابة الجرمى وغيرهم .

ومنهم أبو راشد الخولانى الذى غير رسول الله ﷺ اسمه وكنيته . كان اسمه فى الجاهلية عبد العزى أبا مغوية فسماه النبى ﷺ عبد الرحمن أبا راشد قال ابن مهنا : «ومن ولده جماعة بداريا إلى اليوم» (تاريخ داريا / ٥٥) .

ومنهم أسود بن أصرم المحاربى . قال ابن مهنا : «والدليل على نزوله داريا قطائع له بها تعرف به إلى اليوم» (تاريخ داريا / ٥٦) .

وروى أيضا بسنده إلى أسود بن أصوم المحاربى قال : «قلت يارسول الله أوصنى . قال : تملك يديك .

قال : قلت : فماذا أملك إذا لم أملك يدى؟

قال : تملك لسانك .

قلت : فماذا أملك إذا لم أملك لسانى؟

قال : فلا تبسط يدك إلا إلى خير، ولا تقل بلسانك إلا معروفا» (أخرجه الطبرانى فى الكبير ١ / ٢٨١ برقم ٨١٧، ٨١٨ والقاضى عبد الجبار فى تاريخ داريا ص : (٥٦) . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠ / ٣٠٠ باب : ما جاء فى الصمت وحفظ اللسان وقال : رواه الطبرانى وإسناده حسن) .

وقد روى عن هذا الصحابى من أهل داريا قاضى الخلفاء سليمان بن حبيب المحاربى .

ومنهم : قيس بن عباية بن عبيد بن الحارث بن عبيد ، وهذا الصحابى شهد بدرا وهو حدث السن ، وشهد فتوح الشام مع أبى عبيدة بن الجراح وهو كهل يستشيره أبو عبيدة فى أموره لكن قال ابن حجر فى تقريب التهذيب (١ / ١٢٩) «قيس بن عباية بفتح أوله وتخفيف الموحدة ثم تحتانية ، ثقة من الثالثة مات بعد ست عشرة ومئة» .

قال ابن مهنا : «ومن ولد قيس بن عباية جماعة بداريا إلى يومنا هذا (القرن الخامس) (تاريخ داريا / ٥٧) .

ومنهم أبو ثعلبة الخشنى . يقول ابن مهنا : «والدليل على نزوله داريا ومقامه بها حديث ابن جابر عن عمير بن هانئ العنسى حيث يقول : كنا بداريا فى المسجد معنا أبو ثعلبة الخشنى صاحب رسول الله ﷺ مع من روى عنه من أهل داريا» (تاريخ داريا / ٥٨) .

وممن نبغ من أهل داريا التابعى المخضرم أبو مسلم

الخولانى عبد الله بن ثوب الذى نعته الذهبى فى سير أعلام النبلاء بـ : «سيد التابعين وزاهد العصر» . (نورده فى موضعه فى حرف الميم إن شاء الله تعالى) .

وبرز عدد من التابعين من أهل داريا منهم :

أبو إدريس الخولانى المحدث الفقيه الواعظ القاضى .

ومنهم عمرو بن جزء الخولانى الذى لزم جهاد الروم مع بسر بن أرطاة . وروى عن أبى مسلم الخولانى .

ومنهم عمرو بن الأسود العنسى وكان قد مر بعمر بن الخطاب وهو سائر إلى الشام فدخل على عمر فلما خرج قال عمر: «من أحب أن ينظر إلى هدى رسول الله ﷺ فلينظر إلى هدى عمرو بن الأسود» .

(تاريخ داريا / ٧٠ ، تهذيب التهذيب ٨ / ٤) .

قال ابن مهنا : «وعمرو بن الأسود هذا عداده فى التابعين الشاميين . ويقال إنه كان بحمص ، وإنما صح عندنا أنه نزل داريا وسكن بها فإن ولده عندنا بداريا إلى اليوم ـ أى القرن الخامس ـ وقد يمكن أن يكون نزل بحمص ثم انتقل عنها وصار إلى داريا وأعقب بها والله أعلم» (تاريخ داريا / ٧١) .

قال ابن حجر: «عمروبن الأسود العنسى : ... سكن داريا ، مخضرم ، ثقة ، عابد ، من كبار التابعين ، مات فى خلافة معاوية» روى له الستة إلا الترمذى (تقريب التهذيب ٢ / ٦٥) .

ومنهم عمرو بن عبد الخولانى الذى تزوج بزوجة أبى مسلم بعد وفاته .

قال ابن مهنا : «وكان عمرو بن عبد من أفاضل المسلمين عند أهل زمانه ، وتوفى بداريا ولم يعقب» (تاريخ داريا / ٧٢) .

ومنهم أبو قلابة الجرمى عبد الله بن زيد الذى أدرك أكثر من عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ . وكان رأسا فى العلم والعمل . قال عمر بن عبد العزيز: «لن تزالوا بخير يا أهل الشام ما دام فيكم هذا» (تهذيب التهذيب ٥ / ٢٢٥) وروى له الستة . «مات بداريا سنة أربعمائة وقيل سنة سبعمائة» .

(غوطة دمشق ١١٥ والذى فى كتب التراجم أنه مات بالشام دون تحديد فى داريا أو غيرها . وانظر : تاريخ داريا ٧٢ حلية الأولياء ٢ / ٢٨٢ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٩٤ ، سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٦٨ ، الأعلام ٤ / ٨٨ ، الكاشف ٢ / ٧٩) .

ومنهم سليمان بن حبيب المحاربى ، أبو أيوب الدارانى ، قاضى الخلفاء . وسليمان هذا هو الذى قضى لبنى أمية ثلاثين سنة (معجم البلدان ٢ / ٤٣٢) لا كما توهم الدكتور الفاضل محمد عجاج الخطيب فى كتابه «أصول الحديث» ص: (١٢١) فنسب قضاء بنى أمية إلى أبى سليمان الدارانى .

روى ابن مهنا بسنده إلى محمد بن عمر الواقدى قال: «مات سليمان بن حبيب سنة ست وعشرين ومئة ، وكان قاضيا لعبد الملك وسليمان وعمر بن عبد العزيز، وليزيد هو والزهرى ، وقضى لهشام أيضا . وكان الزهرى قاضيا ليزيد هو وسليمان بن حبيب : هذا على حياله وهذا على حياله (تاريخ داريا / ٧٨) .

روى سليمان بن حبيب عن جماعة من الصحابة منهم : أنس بن مالك ، وأبو أمامة الباهلى ، وأبو هريرة ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وكرز الخزاعى وغيرهم (تهذيب التهذيب ٤ / ١٧٧ ، ١٧٨ ، الكاشف ١ / ٣١٢ ، خلاصة الخزرجى / ١٥٠) .

وروى عنه عمر بن عبد العزيز والزهرى والأوزاعى وغيرهم . وأخرج له البخارى وأبو داود وابن ماجه .

قال ابن مهنا : «ومع هذا فله بداريا وقف تجرى غلته على مساكينها إلى هذا الوقت» (تاريخ داريا / ٧٨) .

ومنهم أبو كثير المحاربى الذى سمع خرشة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ستكون بعدى فتن ، النائم فيها خير من اليقظان ، والجالس فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، ألا فمن أتت عليه فليلتمس بسيفه إلى صفاة فليضربه بها حتى ينكسر، ثم ليضطجع لها حتى تنجلى عما انجلت» (تاريخ داريا ٧٨ ، ٧٩ ، الجرح والتعديل ٩ / ٤٣٠ . والحديث أخرجه أبو يعلى فى المسند برقم (٩٢٤) . وفى تاريخ داريا (أبو كبير المحاربى) وهو تصحيف .

قالت المؤلفة : ورد هذا الحديث فى المرجع ناقصا لفظ «أتت عليه» بعد كلمة «فمن» ، ولفظ «بها» بعد « فليضربه» ، ولفظ «لها» بعد كلمة «ليضطجع» وقد قمت بتصحيحه من الجامع الأزهر للحافظ المناوى ١ / ٢٤٧ ورقة أ ، ... كما أن الحديث كما رواه به لفظ «سيكون» ، وتخريج الحديث هو: أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، وأبو يعلى ، والطبرانى فى

الكبير عن خرشة بن الحر وفيه أبو كثير المحاربي لايعرف وبقية رجاله ثقات اهـ.

ومنهم عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدي. قال عنه أبو زرعة: «إن عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة من قضاة التابعين وعداده فيهم» (تاريخ داريا / ٧٩).

قال القاضي عبد الجبار الخولاني: «ولم يزل من ولده جماعة إلى هذا الوقت» (تاريخ داريا / ٧٩).

ومنهم: معاوية بن طويع وعمر بن طويع اليزنيين.

ومنهم: عبد الرحمن بن أبي كبيرة العنسي. قال عبد الرحمن بن إبراهيم: «هو من داريا» وروى عن أبي الدرداء (تاريخ داريا / ٨٠).

ومنهم: عثمان بن مرة الداراني. ذكره عبد الرحمن بن إبراهيم في كتاب «الطبقات» في عداد التابعين الشاميين. وكان الوليد بن عبد الملك ولاه على غزاة الصائفة والمقاسم وغير ذلك. وولده بداريا إلى اليوم (تاريخ داريا / ٩١).

ومنهم: سالم بن عبد الله بن عصمة المحاربي. قال عنه أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو: «سالم بن عبد الله عداده في قضاة التابعين».

(تاريخ داريا / ٩٩).

ومنهم: بكر بن زرعة الخولاني (تهذيب الكمال / ١٥٧) قال ابن مهنا: «من أهل داريا» أخرج له ابن ماجه (في المقدمة (٨) باب: اتباع سنة رسول الله ﷺ)، وروى بكر عن أبي عنبة الخولاني وله صحبة.

ومنهم: الأسود بن بلال المحاربي الذي يعد في الطبقة الخامسة من التابعين.

قال أبو الجماهر: «كنت بالباب. والأبواب عليها الأسود ابن بلال المحاربي، فأصاب الناس فزع من عدو. فصعد المنبر فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ ﴿أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون﴾ [يوسف: ١٠٧] قال: فصعق فخر عن المنبر» (تاريخ داريا / ١٠٢).

وممن نبغ من الأفاضل من أهل داريا في عهد الأمويين: يزيد بن يزيد بن جابر وأخوه عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الذي يعد من كبار أتباع التابعين.

قال ابن مهنا: «إن يزيد بن جابر الأزدي من التابعين وعداده في أهل المدينة وان ابنيه عبد الرحمن ويزيد ابني يزيد ابن جابر جليلان نبيلان» (تاريخ داريا / ٨٥) قال أبو زرعة: «كان عبد الرحمن بن يزيد بن جابر زمن هشام بن عبد الملك على المقاسم واليا» (تاريخ داريا / ٨٢).

أقول: كفى عبد الرحمن بن يزيد بن جابر رفعة ومكانة أن روى له الستة في مصنفاتهم.

وقد وهم الأستاذ محمد كرد علي عندما عد في كتابه غوطة دمشق (ص ١١٤) عبد الرحمن بن يزيد الأزدي الداراني من الصحابة. وقد نقل الدكتور الفاضل محمد عجاج الخطيب في كتابه «أصول الحديث» ص: (٢١) عبارة الأستاذ كرد علي دون ملاحظة ما فيها من وهم.

ومنهم: سليمان بن داود الخولاني الذي روى عن أبي قلابة الجرمي وعمر بن عبد العزيز.

قال القاضي عبد الجبار: «وسليمان بن داود كان حاجبا لعمر بن عبد العزيز، وكان مقدما عنده وأخوه عثمان بن داود أيضا من أجلة أصحاب عمر. وولد سليمان بداريا إلى اليوم» (تاريخ داريا / ٨٩).

قال ابن حجر: «... أبو داود الدمشقي سكن داريا، صدوق من السابعة». روى له أبو داود في المراسيل، والنسائي (تقريب التهذيب ١ / ٣٢٤).

ومنهم: كعب بن حامد العنسي الذي كان على شرطة عمر بن عبد العزيز. قال القاضي عبد الجبار: «وولده بداريا إلى اليوم» (تاريخ داريا / ٩٠).

ومنهم: مسلمة العدل الذي كان على بيت المال زمن هشام وكان أيضا على تابوت الزكاة بدمشق (تاريخ داريا / ٩١).

ومنهم: النعمان بن المنذر الغساني قال ابن مهنا: «وهو من ساكني داريا». روى النعمان عن مكحول قال: «كثر المستأذنون إلى الحج في غزوة تبوك فقال رسول الله ﷺ: «لغزوة في سبيل الله أحب إليّ من أربعين حجة» (تاريخ داريا / ٩٢).

قال عنه ابن حجر: «صدوق، رمي بالقدر، من السادسة، مات سنة ١٣٢ هـ» روى له أبو داود واالنسائي (تقريب التهذيب ٢ / ٣٠٤).

ومنهم: القاسم بن هزان الخولانى. وكان من أصحاب الزهرى. وهو الذى بنى المسجد لخولان فى داريا ولا زال هذا المسجد قائما إلى زماننا هذا جانب مقبرة خولان.

قال أبو زرعة: «والقاسم بن هزان من أصحاب الزهرى، وعداده فيهم» (تاريخ داريا / ٩٢).

ومنهم: عمرو بن شراحيل العنسى وتميم بن عطية العنسى اللذان وثقهما أبو زرعة.

ومنهم: أبو سليمان الدارانى المحدث عبد الرحمن بن سليمان بن أبى الجون العنسى، وهو غير أبى سليمان الدارانى الزاهد المعروف.

ومنهم: كلثوم بن زياد المحاربى. وكان كاتبا لسليمان بن حبيب المحاربى. ولى القضاء بعد موت سليمان وكان فاضلا خيارا (تاريخ داريا / ١٠٢).

ومنهم: سعيد بن عكرمة الخولانى الذى كان على حرس عمر بن عبد العزيز.

قال ابن مهنا: «وولده بداريا إلى اليوم» (تاريخ داريا / ١٠٣).

وممن نبغ من الأفاضل من أهل داريا:

محمد بن الحجاج بن أبى قيلة، وعبد الله بن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر، وإدريس بن أبى إدريس الخولالى، ومحمد بن خلف بن طارق الدارانى شيخ شيخ القاضى عبد الجبار الخولانى والذى يروى بسنده إلى النبى ﷺ قال: حدثنى تميم الدارى (انظر ترجمته فى م ١٠ / ٤٤٤ـ٤٤٦). وذكر حديث الجساسة الذى أخرجه مسلم فى صحيحه.

وأحمد بن شمخ خطيب داريا. والفقيه أبو على السنسى العرضى ثم الدارانى. وخلف بن محمد العبسى الدارانى قاضى داريا، ومحمد بن عمر الدينورى خطيب داريا (غوطة دمشق / ١٢٠).

وفى القرن الرابع للهجرة خرج من داريا واحد من أعظم خطباء الإسلام كما نعته بذلك العلامة كرد على فى غوطة دمشق. وإليه انتهت الرياسة فى القراءة والخطابة فى زمانه. إنه عالم داريا وخطيبها على بن داود (٤٠٢ هـ) (انظر ترجمته فى معرفة القراء الكبار للذهبى ١ / ٣٦٦ برقم ٢٩٥). هذا العالم احتاجه أهل دمشق ليكون إمامهم وخطيبهم بعد أن أعياهم البحث، وأقعدهم طول العناء فلم يجدوا فى دمشق كلها واحدا يصلح أن يكون إمامهم وخطيبهم فى المسجد الأموى. فجاؤوا إلى داريا مقدمين فضلاءهم وعلماءهم ليأذن لهم أهل داريا بذلك الإمام الفذ، والخطيب المصقع. والحادثة أترك لابن عساكر روايتها كما أثبتها فى كتابه «تاريخ دمشق».

يقول ابن عساكر: «... فسمعت أبا محمد الأكفانى يحكى عن بعض مشايخه الذين أدركوا ذلك: أن أبا الحسن على بن داود كان يؤم أهل داريا فمات إمام جامع دمشق. فخرج أهل دمشق إلى داريا ليأتوا به للصلاة بالناس فى جامع دمشق. وكان فيمن خرج معهم القاضى أبو عبد الله بن النصيبى الحسينى وجلة من شيوخ البلد فحمل أهل داريا السلاح ليمنعوهم... وقال القاضى: «يا أهل داريا أما ترضون أن يشيع فى البلاد أن أهل دمشق احتاجوا إلى إمام أهل داريا ليصلى بهم؟ فقالوا: رضينا وألقوا السلاح. فقدمت له بغلة القاضى ليركبها فلم يفعل، وركب حمارة كانت له، فلما ركب التفت إلى ابن النصيبى فقال: أيها القاضى الشريف. مثلى يصلح أن يكون إمام الجامع وأنا على بن داود، وكان أبى نصرانيا فأسلم وليس لى جد فى الإسلام؟ فقال له القاضى: قد رضى بك المسلمون. فدخل معهم وسكن فى أحد بيوت المنارة الشرقية، وكان يصلى بالناس ويقرئهم فى شرقى الرواق الأوسط من الجامع. ولا يأخذ على صلاته أجرا، ولا يقبل ممن يقرأ عليه برًّا، ويقتات من غلة أرض له بداريا، ويحمل من الحنطة ما يكفيه من الجمعة إلى الجمعة، ويخرج بنفسه إلى طاحون «كسملين» خارج «باب السلامة» فيطحنه ويعجنه ويخبزه ويقتات به طول الأسبوع.

وانتهت إليه الرياسة فى قراءة الشاميين... وكان ثقة مأمونا مضى على سداد وأمر جميل».

(هامش تاريخ داريا ص: (١١٧) نقلا عن ابن عساكر. وانظر معرفة القراء الكبار ١ / ٣٦٦، دول الإسلام ص (٢١٣) شذرات الذهب ٣ / ١٦٤).

وفى القرن الرابع خرج من داريا أيضًا المؤرخ المحدث القاضى عبد الجبار الخولانى الدارانى أبو على المعروف

بـابن مهنـا صاحب «تـاريخ داريـا» الـذى انفـرد بـروايـات ومعلـومـات لا تـوجـد في المطـولات كتـاريخ ابن عسـاكـر (استقصى به الأستاذ الفاضل سعيد الأفغاني فى مقدمة تاريخ داريا) ، كما ذكره ياقوت فى معجم البلدان كما نوهنا فى بداية هذه المادة) .

والقاضي عبد الجبار كما قـال الأستاذ الفاضل الأفغاني : «متمكن فى فن الحديث لا يقتصر على ضبط رواياته بل ينقد حيث يجد للنقد لزومًا مهما تكن جلالة المنقود» (مقدمة تاريخ داريا/ ١٤).

وبعد أن يدلل الأستاذ الأفغـاني على ذلك بمثالين يقول : «فذانك موقفـان لمؤلفنا في تمكنه من الرواية تمكنـا جعله منه ناقدًا لشيخ شيوخه بل ناقدًا للإمام أحمد بن حنبل نفسه ، أحد أساطين المحدثين وكبار أئمتهم» (مقدمة تاريخ داريا / ١٥) . وفى القرن السـادس مات فى داريا (٥٧٥ هـ) خطيبهـا محمد بن محرز الـوهرانى ودفـن على باب تربـة أبى سليمان الـدارنى . وترك من المؤلفـات «النكات البديعة» و «المنـامات» قال ابن خلكان : «لو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه . وزاد ابن قاضى شهبـة : «فإنه ما سبق إلى مثله» (انظر وفيـات الأعيان ٤/ ٣٨٥، الأعلام للزركلى ٧/ ١٩ ، معجم المـؤلفين لكحالة ١١/ ١٧٤) .

وفى القـرن الثامن نبغ من أهل داريا المـؤرخ محمـد بن شاكـر الكتبى . قال عنـه الزركلـى : «مؤرخ ، باحـث ، عارف بالأدب» (الأعلام ٦ / ١٥٦) لـه كتاب «فـوات الوفيـات» الذى استدرك فيه على «وفيات الأعيـان» لابن خلكان وكلاهما طبع بتحقيق الـدكتـور إحسان عباس ولابـن شاكـر أيضـا «عيـون التواريخ» طبع قسم منه فى الجمهورية العراقية بتحقيق بعض الأفاضل .

وفيه نبغ أيضـا المؤرخ المشهور محمد بن زكريـا الدارانى المتوفى سنة (٧٦٤ هـ) (غوطة دمشق / ١١٩) .

وفى هذا القرن نبغ المحدث عبد الوهـاب بن إبراهيم بن أبى العلاء الدارانى وتوفى فى داريا فى رجب سنة (٧٤٩ هـ) . وسمع من الغسولى وغيره (الوفيات للسلامى برقم ٥٥٨) .

وفيـه نبغ أيضـا المحـدث أبـو عمـرو عثمـان بن نصـر الدارانى . مات فى رجب سنـة (٧٦٥ هـ) وسمع من الغسولى وغيره (الوفيات للسلامى برقم ٨١٨) .

هذا . . وما خلا قرن من القرون إلا وقدمت فيه داريا نخبة ممتازة من العلمـاء والأفذاذ والجهـابذة الـذين تركـوا بصمات خيرة على الساحة الإسلامية العامة (الروضة الربا / ٢٥ ـ ٤٠) .

(معجم البلـدان لياقـوت الحموى ٢ / ٤٣١ ، والروضة الريـا لمفتى الشام الشيخ عبـد الرحمن بن محمد العمادى ـ تحقيق وتعليق عبده على الكوشك / ٢٥ ـ ٤٠ ، وتهـذيب الأسماء واللغات للإمـام محيى الدين بن شرف النووى ٣ / ١٠٨ ، والجامع الصغير للحـافظ جلال الدين السيوطى ٢ / ٣٤ ، والجامع الأزهر فى حديث النبى الأنور ١ / ٢٤٧ ، ورقة أ) .

انظر مادة «تميم الدارى» فى م ١٠ / ٤٤٤ ـ ٤٤٦ .

*** دارين:**

قال ياقوت :

دارين : فرضـة بالبحرين يجلب إليهـا المسك من الهند ، والنسبة إليها دارى ؛ قال الفرزدق :

كـأن تـــريكـــة من مـــاء مـــزن
ودارى الـــذكى من المُــــدام

وفى كتاب سيف : أن المسلمين اقتحموا إلى دارين البحر مع العلاء بن الحضرمى فـأجازوا ذلك الخليج بإذن الله جميعا يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل ، وإن ما بين السـاحل ودارين مسيرة يـوم وليلة لسفر البحر فى بعض الحالات ، فـالتقوا وقتلـوا وسبوا فبلغ منهـم الفـارس ستة آلاف والراجل ألفين ، فقال فى ذلك عفيف بن المنذر:

ألـم تـــر أن الله ذلـل بحـــره ،
وأنـــزل بـالكفـــار إحـدى الجـــلائل؟
دعـــونـا الـذى شق البحـار ، فجـاءنـا
بـأعجـب من فلق البحـــار الأوائل

قلت أنا : وهذه صفة أول أشهر مدن البحرين اليوم ، ولعل اسمهـا أُوال ودارين ، والله أعلم ، فتحت فـى أيـام أبى بكـر ، رضى الله عنـه ، سنـة ١٢ ؛ وقـال محمـد بـن حبيب : هى الداروم ، وهى بليدة بينها وبين غزة أربعة فراسخ ، فتكون غير التى بالبحرين .

(معجم البلدان ٢ / ٤٣٢) .

انظر : الداروم .

*** ابن داسة:**

أوردنـا نبـذة عنـه فـى مـادة «الخطـابى» فى م ١٥ / ٢٨

فانظرها فى موضعها (ترجمة رقم ٧) وانظر أيضا أول مادة «الداسى» التالية (قارن بين تاريخ الوفاة فى الموضعين).

*** الداسى:**

قال السمعانى:

الداسى: بفتح الدال والسين المهملتين بينهما الألف، هذه النسبة إلى داسة، وهو اسم لبعض البصريين أو لقب، عرف بذلك أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق ابن داسة التمار الدارسى البصرى من أهل البصرة، شيخ ثقة صالح مشهور، راوية كتاب السنن لأبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى عنه وفاته شىء يسير أقل من جزء، وروى ذلك القدر إجازة أو وجادة، وروى أيضا عن أبى إسحاق إبراهيم بن فهد بن حكيم الساجى البصرى وأبى رويق عبد الرحمن بن خلف البصرى وأبى جعفر محمد بن الحسن ابن يونس الشيرازى وغيرهم، روى عنه أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرئ الأصبهانى وأبو عبد الله الحسين بن محمد ابن محمد الروذبارى وأبو على الحسن بن محمد بن بشار السابورى وأبو على الحسن بن داود بن رضوان السمرقندى والإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستى الخطابى وجماعة سواهم، وكانت وفاته فى حدود سنة عشرين وثلاثمائة أو بعدها، وذكره ابن المقرئ الأصبهانى فى معجم شيوخه وقال ثنا أبو بكر بن داسة البصرى الشيخ الصالح. وروى عنه أبو الحسين محمد بن أحمد بن محمد ابن جُميع الغسانى الحافظ.

ومن أقرانه أبو على الحسن بن أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن بكر بن محمد بن عبد الرزاق بن داسه الحنيفى الداسى البصرى، كان حنيفى المذهب، من أهل البصرة، سمع جده عبد الله بن أحمد وأبا بكر بن زحر وعلى بن محمد التمار، ودخل بغداد فسمع أبا عمر عبد الواحد بن مهدى وغيره، سمع منه أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن محمد النخشبى، وذكره فى معجم شيوخه وقال: رأيته بالبصرة وحدثنا بأحاديث عدة من حفظه، يدعى حفظ الحديث.

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن داسة المعدل البصرى الداسى، من أهل البصرة، يروى عن أبى العباس أحمد بن عبد الرحمن بن المغيرة الخاركى وجده أبى محمد، روى عنه أبو يعلى أحمد بن محمد بن الحسن العبدى وأبو محمد عبد الله بن الحسين بن على السعيدى البصريان؛ توفى بعد سنة أربعمائة.

(الأنساب للمسعانى ـ تقديم وتحقيق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٤٤٤، ٤٤٥).

*** الداعى:**

لقب شيعى، والداعى هو رئيس دار العلم وكانت خلف خان مسرور. كان داعى الشيعة يجلس فيها ويجتمع إليه من التلاميذ من يتكلم فى العلوم المتعلقة بمذهبهم وجعل الحاكم لها جزءا من أوقافه التى وقفها على الجامع الأزهر وجامع المقس وجامع راشدة ثم أبطل الأفضل ابن أمير الجيوش هذه الدار لاجتماع الناس فيها والخوض فى المذاهب خوفا من الاجتماع على المذهب النزارى ثم أعادها الآمر بواسطة خدام القصر بشرط أن يكون متوليها رجلا دينا والداعى هو الناظر فيها، ويقام فيها متصدرون برسم قراءة القرآن.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١٣١).

يقول الدكتور حسن الباشا:

كان من ألقاب القائمين بالدعوة الشيعية فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى؛ وكان رئيس الدعاة يسمى «داعى الدعاة». وكان لقب «داع» ينقش على نقود كبراء العلوية فى طبرستان وغيرها. وكذلك دخل اللفظ فى تكوين بعض الألقاب المركبة مثل «الداعى إلى الحق»، «وداعى دعاة العراقين».

الداعى إلى الحق: كان يطلق على مدعى الرئاسة العليا للدعوة الشيعية:

وقد أطلق على يوسف بن يحيى بن الناصر فى كتابة على قطعة من النسيج من اليمن من ح سنة ٣٥٠ هـ ومما جاء فيها «الداعى إلى الحق أمير المؤمنين يوسف بن يحيى بن الناصر... أحمد ابن رسول الله صلى الله عليهم أجمعين».

داعى دعاة العراقين: كان يطلق على حميد الدين أحمد ابن عبد الله الكرمانى الذى عاش فى أواخر القرن الرابع الهجرى وأوائل القرن الخامس وتزعم الدعوة الفاطمية فى

عصر الحاكم. ويقصد بالعراقين العراق العربى والعراقى الفارسى. (الألقاب الإسلامية / ٢٨٥، ٢٨٦).

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٣١ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٣ / ٣٦٢، والألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٨٥، ٢٨٦).

انظر: الداعية.

*** الداعى الأصغر:**

إمام الزيدية وهو الحسن بن القاسم بن محمد البطائحى ابن زيد بن الحسن السبط، وجرى بينه وبين الأطروش حروب إلى أن قتل سنة ٣١٩ هـ. والأطروش هو الذى ورث دولة الزيدية التى كانت بآمل الشط وامتلكت أيضا طبرستان وجرجان وسائر أعمالهما.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٣٢ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٥ / ٥٠، ٥١).

*** الداعى الأكبر:**

لقب يطلق على الناصر الأطروش وهو الحسن بن على ابن زين العابدين بن الحسين السبط وهو من الزيدية وكان له دولة بآمل الشط من بلاد طبرستان. ويجتمع الداعى الأصغر مع الداعى الأكبر فى الحسن بن زيد.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٣٢، عن صبح الأعشى للقلقشندى ٥ / ٥٠، ٥١).

*** الداعى إلى الإسلام فى أصول علم الكلام:**

الداعى إلى الإسلام فى أصول علم الكلام: لأبى البركات عبد الرحمن بن محمد الأنبارى المتوفى سنة ٥٧٧ سبع وسبعين وخمسمائة أوله: الحمد لله الواحد الواجب ... إلخ ذكر فيه أن ردًّا على من خالف الملة الإسلامية وخاطب كل طائفة باصطلاحهم ورتب على عشرة فصول فى الرد على من أنكر الحدوث والصانع والرد على الثنوية والطبائعيين والمنجمين ومن أنكر النبوة والمجوس واليهود والنصارى والعاشر فى إثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

(كشف الظنون ١ / ٧٢٨).

*** الداعى إلى الحق:**

انظر: الداعى.

*** الداعى إلى وداع الدنيا:**

الداعى إلى وداع الدنيا: لأبى سعد إسماعيل بن على المفتى «المعروف بابن الحائك المتوفى سنة ١١١٣».

(كشف الظنون ١ / ٧٢٨).

*** داعى دعاة العراقين:**

انظر: الداعى.

*** داعى الفلاح إلى سبل النجاح:**

داعى الفلاح إلى سبل النجاح: فى التصوف للشيخ محمد بن محمد المرصفى جعله متنا لبيان الطريقة الجنيدية والشاذلية وآدابها وأحوال سلوكها أوله الحمد لله الذى آتى أولياءه ... إلخ ثم شرحه شرحا ممزوجا وفرغ فى ذى القعدة سنة ٩٥٥ خمس وخمسين وتسعمائة أول الشرح الحمد لله الذى جعل الصوفية من خواص العبيد إلخ.

(كشف الظنون ١ / ٧٢٨، ٧٢٩).

*** داعى الفلاح فى أذكار المساء والصباح:**

داعى الفلاح فى أذكار المساء والصباح: رسالة لجلال الدين السيوطى أولها: الحمد لله فالق الإصباح ... إلخ استوعب فيها ماورد من الأخبار.

(كشف الظنون ١ / ٧٢٩).

*** داعى منار البيان لجامع النسكين بالقران:**

داعى منار البيان لجامع النسكين بالقران: للشيخ شمس الدين محمد بن محمد الشهير بابن أمير الحاج الحلبى المتوفى سنة ٨٧٩ تسع وسبعين وثمانمائة مختصر أوله: الحمد لمن جعل الحج إلى البيت الحرام ... إلخ رتب على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة.

(كشف الظنون ١ / ٧٢٩).

*** الداعية:**

فى بحثه النفيس الذى يتناول فيه موضوع «الدعوة إلى الإسلام» يتحدث فضيلة الشيخ محمد أحمد أبو زهرة عن الداعية (أو الداعى) وعما يجب أن يتحلى به من صفات. قال رحمه الله:

لا شك أن شخصية الداعى لها الأثر الأكبر فى الاستجابة، فهو الذى ينفذ إلى نفوسهم فيقر بها، أو يجىء بمخاشنتهم، فينفرها، أو يكون فيه جفوة طبع، وغلظة نفس، فلا يميل أحد إليه بالفطرة، ولقد قال الله ـ تعالى ـ: **﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾** [آل عمران: ١٥٩]، وإنه يجب أن يتحلى بالصفات الآتية:

أولا ـ يجب أن يكون ذا نية حسنة يحتسبها، لا يدعو رجاء أجر، أو مال أو جاه، إنما يدعو رجاء ما عند الله؛ لأنه يقوم مقام النبيين فى الدعوة إلى ربهم، والاتجاه إلى الناس بقلب سليم لا يطلب إلا ما عند الله ـ تعالى ـ، وإن ما فى القلب يصل إلى القلب.

يروى: أن رجلا قال للحسن البصرى كلاما حسنا، فقال له الحسن: إما أن يكون بنا عيب أو بك، إنا لم يؤثر فينا قولك؛ إن ما كان من القلب يصل إلى القلب، إنه يتقدم الداعى إلى الدعوة مؤمنا بوجوبها، ومتساميا بها، لأنها عمل النبى ـ ﷺ ـ ولا يقوم بها على أنه مأجور، يرجو رضا رئيس، أو ترقية إلى منصب.

وثانيا ـ يجب أن يكون على دربة فى البيان، ومعرفة وجوه القول، ولا يشترط أن يكون خطيبا مفوها، بل يكتفى بأن يعرف كيف يخاطب الناس، ويأتى بهم من قبل ما يدخل إلى نفوسهم يأتيهم من قبل ما يألفون، فإن كانوا لا يألفون الدعوة الإسلامية، يحاول أن يأتيهم مما يقاربها ولا ينافرها، ورضى الله عن إمام الهدى على ـ كرم الله وجهه ـ إذ يقول: إن للقلوب شهوات وإقبالا وإدبارا، فأتوها من قبل شهواتها، وإقبالها، فإن القلب إذا أكره عمى.

ثالثا ـ أن يكون له شخصية نافذة، لا تقتحمها الأعين، وتزدريها النفوس، وألا يكون معيبا بعيب نفسى أو خلقى، وأن يكون معروفا بكمال الخلق، وفيه كمال سمت، يتكلم فى موضع القول، ويصمت فى موضع الصمت، ويكون صمته حكما.

ورابعا ـ أن يكون أليفا، موطأ الكنف رفيقا فى المعاملة، لينا من غير ضعف، متواضعا فى غير ضعة، حليما رزينا، يتجه إلى معالى الأمور، ولا ينزل إلى سفسافها، يحسون فى حضرته بأنه منهم يعلو بهم، فإن طار طاروا معه، وإن هبط هبطوا معه.

وخامسا ـ يجب أن يكون عالما بالكتاب والسنة، دارسا معها علم النفوس، وعادات الذين يدعوهم، ليأتيهم من قبلها، غير مباعد عنها، إلا أن تكون عادات قبيحة، فإنه يعمل على تغييرها من غير تنفير ولا مباغتة. أو مهاجمة بها، قبل تأليفهم نحو الحق، وجذبهم إليه، ولقد قال النبى ـ ﷺ ـ لمن أرسلهم للدعوة إلى الإسلام: «يسروا، ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا».

وسادسا ـ لا يكون خصما، فلا يدخل فى خصومات مع من يدعوهم، ويكون من عباد الله الذين قال الله ـ تعالى ـ فيهم: **﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * والذين يبيتون لربهم سُجدا وقياما * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما * إنها ساءت مستقرا ومقاما * والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾**[الفرقان: ٦٣ ـ ٦٧] إلى أن قال تبارك وتعالى: **﴿والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما* والذين إذا ذُكِّروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صُمًّا وعُميانا * والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾** [الفرقان: ٧٢ ـ ٧٤].

وسابعها ـ ألا يكون فى مظهره مخالفة للدين، ولأوامره، بل يكون قدوة لمن يدعوهم، بأن تكون الدعوة بعمله أوضح من الدعوة بأقواله، فإن الدعوة بالعمل توجد القدوة والأسوة، وذلك أدعى إلى الاتباع من القول، ولقد كان القرآن الكريم يدعو إلى الأسوة بالنبى ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ فقد قال تعالى: **﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾** [الأحزاب: ٢١].

وثامنا ـ يكون بعيدا عن مواطن الشبهات، فإن إثارة الشبهات حوله تضعف قوة قوله، وتوهن دعوته، وإذا وهنت الدعوة، وهنت الإجابة، ولم يجد مجيبا، وهذه الصفات إذا توافرت، كان الداعى كاملا.

وإذا نقص بعضها نقص من الدعوة بمقدار النقص، ونحن نذكر الكمال، وكل يسعى للوصول إليه، والقيام بحقه.

وعلى الداعى: التحلى بكل ما يمكن أن يتحلى به، ومهما يكن: فإنه لا يصح أن يخلو من التقوى والقيام بالواجبات الدينية، والبعد عن المعاصى، فيجتنب كبائرها، ولا يظهر بصغائرها، والله هو الموفق.

(«الدعوة إلى الإسلام» فضيلة الشيخ محمد أحمد أبو زهرة. المؤتمر السابع. مجمع البحوث الإسلامية. الأزهر. شعبان ١٣٩٢ هـ ـ سبتمبر ١٩٨٢ م/ ١٢١ ـ ١٢٣).

*** داغستان:**

جمهورية مسلمة مستقلة من الجمهوريات التى تتمتع بالحكم الذاتى فى روسيا الاتحادية (المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز / ٤٤) تقع بين الجزء الشرقى من القوقاز العظمى وبحر قزوين، وتبلغ مساحتها ٣٨٣٥٠ كيلو مترا مربعا، وعدد سكانها (سنة ١٩٧٠) ٠٠٠, ٤٢٩, ١ نسمة. عاصمتها ماختشكالا. معظمها جبلى وعر مقفر. تزرع الكروم والقطن والذرة فى السهول معتمدة على الرى. أغلب السكان من المسلمين. نزلت عنها فارس لروسيا سنة ١٨١٣ م. استمرت الثورات الوطنية حتى ١٨٧٧ م. وثانى المدن هى مدينة دربند (انظرها فى موضعها) (الموسوعة الثقافية / ٤٣٦).

وقد أصاب البلاد الدمار فى خلال الثورة (١٩١٨ ـ ١٩٢٠) وبعد أن أعلنت جمهورية مستقلة ذاتيا سنة ١٩٢١، عانت من المجاعة (دائرة معارف الأماكن. بالإنجليزية / ٢٠٦).

وأشهر ثورة فى داغستان هى ثورة الشيخ شامل ضد السلطة القيصرية الروسية التى استمرت حوالى ٢٥ سنة، وانتهت مهزومة سنة ١٨٥٩ م، فتوزع بعدها بعض



الداغستانيين، على مناطق الدولة العثمانية أيضا، وبعضهم وصل إلى بلاد الشام، والعراق.

وقد أكد هذا الأمر الأساتذة والباحثون فى معهد التاريخ واللغة والأدب فى ماختشكلا وهم د. حجى حمزاتوف مدير المعهد، ود. أمرى شيخ سعيدوف، ود. تيمور إيدييروف، ود. أمير خان إيسايف، ومحمد حييف (نائب مدير المعهد)، عندما قالوا: إن الاكتشافات تشير حتى الآن إلى أنه فى قديم الزمان ـ ولسنا ندرى فى أية مرحلة ـ كانت هناك لغة واحدة للشعب القفقاسى، ثم حصل الافتراق ولا نعرف ـ إلى الآن ـ متى تم ذلك، ولكنه يمكن القول بأنه يوجد فى القفقاس حوالى ٥٠ لغة تعود ـ فى جذورها ـ إلى جذر واحد، إضافة إلى أن أية لغة من تلك اللغات لانجدها نقية تماما، بل يوجد فيها تأثيرات تركية، وإيرانية، وعربية، وتترية، وروسية، إلخ، ويمكن القول أيضا بأن هناك صلة قرابة بين لغاتنا وبين اللغة التركية.

و «داغستان» هو اسم مستحدث (أطلق على منطقة بعينها فى القرن السادس عشر الميلادى)، وهو مؤلف من مقطعين، (داغ) وهى لفظة تركية ومعناها جبال، و (ستان) لفظة فارسية تعنى بلاد، فيكون معنى الاسم هو بلاد الجبال.

هذه الثنائية فى إطلاق الأسماء أو التى تزيد على ذلك فى تركيبها ماهى إلا من باب إقرار حقيقة التعددية القائمة فى بلاد الداغستان، إذ تتعدد الشعوب واللغات فى تلك البلاد من قديم الزمان لكن الأمر تجاوز تعددية الشعوب والقبائل ليدخل فى تنظيم وحدوى جديد، هو الجمهورية السوفيتية الداغستانية ذات الحكم الذاتى التى أعلن عن قيامها سنة ١٩٢١ م. وما زالت إلى الآن قائمة كجزء من الجمهوريات ذات الحكم الذاتى فى الاتحاد السوفيتى.

أما قبل هذا التاريخ فإن داغستان تم غزوها من قبل كثير من القوى، وقد تم فتح بعض مناطقها من قبل العرب سنة ٢٢ هـ ـ ٦٤٢ م ـ زمن الخليفة عمر بن الخطاب ـ، وتمت السيطرة على مدينة دربند الساحلية بعد ذلك، تم انتزاع بعض المناطق من الدول التى كانت قائمة آنذاك ـ أى من دولة الفرس ومن دولة الخزر اليهودية أيضا ـ وقد أسقط الروس دولة الخزر اليهودية التى كانت قائمة فى المنطقة واتخذت من

مدينة اتل ـ بالقرب من مدينة استراخان الحديثة على نهر الفولغا عاصمة لها ـ وكان ذلك فى سنة ٩٦٥ م، ولم تقم لها قائمة بعد ذلك التاريخ، ويمكن تفسير وجود عدة آلاف من اليهود حتى الآن فى بعض مناطق داغستان إلى كونهم من بقايا يهود ذلك الزمان، وخصوصا أن بعضهم يطلق عليهم اسم يهود الجبال.

وبعد ذلك ـ أى بعد سقوط دولة الخزر ـ استمرت المنطقة موزعة على عدة قوى، كالعباسيين والفرس، والروس. وبعض الإمارات المحلية، ثم الدولة العثمانية، ثم التتار والمغول، إلى أن أخضعت روسيا القيصرية المنطقة بأكملها اعتبارا من سنة ١٨٥٩ م بعد إخماد ثورة (الشيخ شامل) تذكر دائرة المعارف الإسلامية، المجلد التاسع، ما يلى:

«ولم يحدث قط أن توحدت النجاد، والوهاد ـ فى داغستان ـ التى على الساحل مدة ما فى ظل شعب واحد، أو تحت إمرة أسرة واحدة حتى كان الاحتلال الروسى.

داغستان الحديثة:

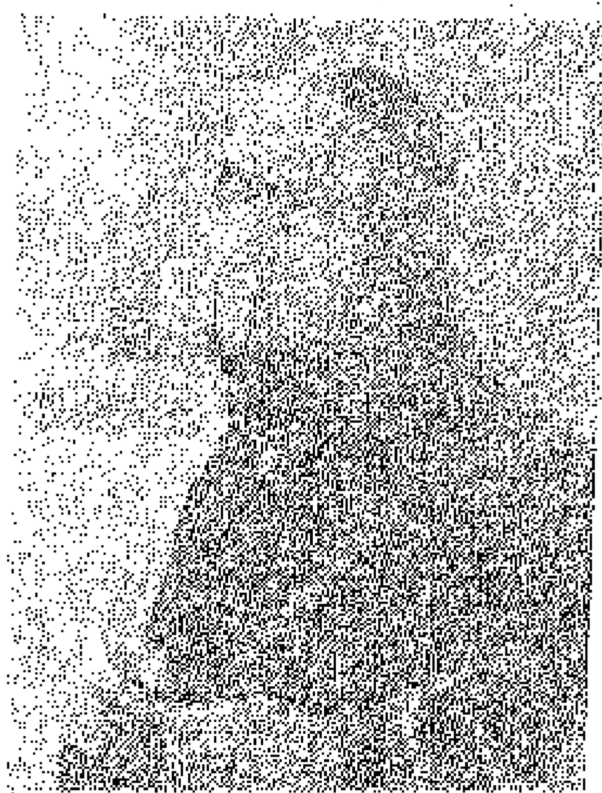
تبلغ مساحة الجمهورية ٣٠٠,٥٠ كيلو متر مربع، ويبلغ عدد سكانها حوالى مليون و ٧٠٠ ألف نسمة، عاصمتها مدينة «ماختشكلا» أو «محج قلعة» وعدد سكان العاصمة حوالى ٣٠٠ ألف نسمة، والاسم محج أو ماختش يعود إلى أحد الثوار الوطنيين الذين حاربوا الروس البيض فقتلوه سنة ١٩٢٢ عندما كان يدافع عن السلطة السوفيتية، وبعدها أطلق اسمه على المدينة، وكانت تعرف ببورت بتروفسك منذ بداية القرن الثامن عشر وحملت اسم القيصر الروسى بيتر.

تؤلف الجبال حوالى ثلاثة أرباع مساحة الجمهورية، ومع ذلك فهى مشهورة بالزراعة، وأهم محصولاتها القمح، والكرمة، والذرة، والخضر، والفواكه، وكثير من تلال جبالها تم استصلاحه حديثا، وتزرع بها الفواكه والحبوب، وتسقى أراضيها عشرات الأنهار، ومن أهمها تيرك وصولاق وسومار.

كانت تنتشر فيها زمن الفتح العربى اليهودية، والمسيحية، والوثنية، والزرادشتية ـ عبدة النار ـ وقد وجدنا بعض رموزهم فى قلعة دربند. واستمر الأمر كذلك بعد الفتح إلى أن دان كثير من السكان بالإسلام، وخاصة بعد السيطرة العثمانية على بعض المناطق، ثم سيطرة التتار المسلمين على مناطق



● المصلون يدخلون باب مسجد مدينة باب الأبواب



العجوز ومسبحتها وليسها وثد

أخرى. وبعد سيطرة روسيا القيصرية بدأت محاولات نشر المسيحية الأرثوذكسية بين السكان، إلا أن أكثرهم استمر محافظا على دينه الإسلامى، وبعضهم هاجر إلى تركيا وبلاد الشام والعراق وغيرها من البلاد كما ذكرنا.

لقد كانت نسبة المتعلمين فى البلاد تصل إلى ١٢٪ سنة ١٩٢٦، وارتفعت بعد حملة محو الأمية إلى نسبة ٨٠٪ سنة ١٩٣٩ لتختفى الأمية تماما فى أربعينات هذا القرن، والآن يوجد فى ماختشكلا جامعة فيها ١١ كلية، ويوجد فيها فرع لأكاديمية العلوم السوفيتية و ٥ معاهد عليا و ٢٨ معهدا تقنيا فى مستوى الثانوية، ويبلغ عدد طلاب الجامعة ٢٦ ألف طالب، ويبلغ عدد طلاب المعاهد ٢٧ ألف طالب.

عدد السكان سنة ١٩٧٩ م وصل إلى مليون و ٦٢٧ ألفا من بينهم ٦٣٩ ألفا يسكنون المدن، و٩٨٨ ألفا يسكنون الريف.

أما كيف استطاع الداغستانيون القضاء على الأمية بالرغم من وجود عشرات اللغات المختلفة فى البلاد فيقول أحد مسئوليهم:

استخدمنا اللغة الروسية فى البداية وهى اللغة الرسمية فى جميع أنحاء الاتحاد السوفيتى، ثم بدأنا باستعمال اللغة



القومية لكل منطقة وشعب بعد ذلك مع اللغة الروسية طبعا، هكذا أجابت السيدة إيفا.

وأضافت: تصدر القوانين والقرارات الرسمية ب ١١ لغة فى داغستان، وتبث أجهزة الراديو بـ١١ لغة أيضا، وتصدر الكتب الأدبية بعشر لغات، ويتم تدريس الصفوف الابتدائية من الأول إلى الثالث باللغات القومية، ثم بعد ذلك يتم تعليم بعض المواد بالروسية، وتصبح اللغة القومية إحدى المواد الدراسية فقط. ويتم التدريس فى المعاهد والكليات والجامعات باللغة الروسية، وفى كل منطقة تصدر صحف باللغة القومية إضافة إلى صحف أخرى باللغة الروسية.

وعدد الجماعات القومية المتوطنة فى جمهورية داغستان حسب إحصاء سنة ١٩٧٩ وجاء فيه:

الإفاريون وعددهم ٤١٨ , ٦٣٤ نسمة.

يليهم الدارغينيون وعددهم ٢٤٦ , ٨٥٤ نسمة.

ثم الكوميكيون ـ الغوميق وعددهم ٢٠٢ , ٢٩٣ نسمة.

والروس وعددهم ١٨٩ , ٤٨٤ نسمة.

والليزكينيون وعددهم ١٨٨ , ٨٠٤ نسمة.

واللاكيون وعددهم ٨٣ , ٤٥٧ نسمة.

يليهم التباسارانيون والأذربيجانيون والشيشانيون والنوغائيون والروتوليون واليهود، ثم الإغووليون، والتساخوريون والتاتيون ويهود الجبال وغيرهم.

قرية كوباتشى:

جاء فى دائرة المعارف الإسلامية، المجلد التاسع أن كوبه معناها الزرد فى التركية وجى أوشى قد يكون معناها صانعا، فيكون معنى المقطعين:

صانع الزرد، وقد أكد هذا المعنى أهل كوباتشى أنفسهم.

وكوباتشى. أو كوبه چى هى قرية معلقة فى أعالى جبال القفقاس على ارتفاع ١٥٠٠ متر عن سطح البحر فى الجنوب الغربى من مدينة ماختشكلا على بعد حوالى ١٦٠ كيلو مترا تقريبا. والطريق طريق جبال، من يصعده عليه أن يأخذ حذره، يلتوى هنا ثم هناك، وترتج بك السيارة، والنهر الذى يرافقك هو نهر أولوتشاى، وقد حملت القرية التى يخترقها اسمه.

قال أحد المسئولين:

إن كوباتشى مشهورة منذ القديم بالصناعة وبنقشها الخاص وانطلاقا من هذه النقطة فقد تم التركيز على استمرار تقاليد الصناعة الكوباتشية، وقد تم توجيهها فى المصنع لتتخصص فى النقش على النحاس، والخشب، والتطريز على الملابس، إن نقشنا معروف فى كل أنحاء العالم، ندخله على السجاد والملابس والصحون، وغلايات القهوة، والفناجين، والأطباق، والصوانى، والجرار والطناجر وغيرها.

ويشرح كيف يتوارث الأبناء هذا الفن بقوله:

هناك مادة أساسية ضمن مواد الدراسة فى كل المراحل الدراسية حتى الثانوية فى قريتنا هى مادة الفن الكوباتشى، وبعد التخرج من الثانوية هناك دراسة متخصصة لهذا الفن فقط، . وقد نال مصنعنا العديد من الجوائز وشهادات التقدير فى الكثير من المعارض الدولية، كما أن صانعنا حجى محمود نال الكثير من الشهادات والجوائز كعامل فنى ممتاز. وعندنا روضة أطفال تابعة للمصنع تتسع لحوالى مائة طفل، ويوجد فى القرية مدرسة ثانوية تستوعب ٥٠٠ طالب وطالبة.

والبيوت فى القرية واسعة مؤلفة من طابق واحد أوطابقين، وأغلبها بطابقين، وإحدى الغرف يجب أن تخصص

كمتحف، وهذه عادة داغستانية منتشرة فى معظم المناطق، يحتفظ فيها صاحب البيت بالكثير من التحف والصناعات التقليدية التى ورثها والتى جاءت ببعضها زوجته عند زواجهما، فعلى الأب أن يجهز ابنته بالكثير من الملابس والمصنوعات التقليدية عند انتقالها إلى بيت زوجها.

العلاقات مع العرب.

لقد فتح العرب قسما من داغستان فى القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى)، واستمر وجودهم بين مد وجزر، فما هى التأثيرات التى تركوها فى هذه البلاد؟

يقول وليم الربركى الذى زار الإقليم فى نوفمبر ــ تشرين الثانى من عام ١٢٥٤ م حسب ما جاء فى دائرة المعارف الإسلامية، المجلد التاسع ما يلى:

«اللان النصارى يسكنون الجبال، ويسكن بين الجبال والبحر الأعراب، أى الليزك المسلمون، والليزك اسم كان يطلق على كامل بلاد داغستان من قبل».

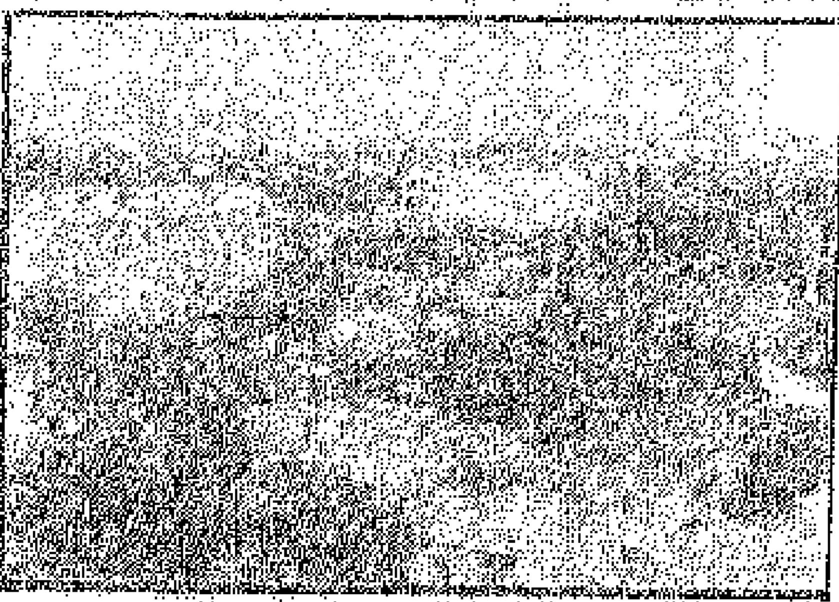
وتجدر الإشارة إلى أن معظم أقاليم داغستان قد انتشر الإسلام فيها بعد ذلك التاريخ من خلال تأثيرات العرب والفرس والأتراك، ثم التتار، قبل أن يسيطر الروس على البلاد اعتبارا من منتصف القرن التاسع عشر. أما بالنسبة لانتشار اللغة العربية فإنه من المرجح أن الأمر سار مع انتشار الدين الإسلامى، وإن كان الأمر قد سار ببطء لا يتساوى بطبيعة الحال مع سرعة انتشار الدين.

يقول المستشرق بارتولد فى دائرة المعارف الإسلامية، المجلد التاسع: «إن معرفة العربية شائعة فى هذه الربوع «الداغستانية» أكثر منها فى أى بلد إسلامى آخر ليست العربية لغته الأصلية، وذلك بفضل ما يبديه أبناء الطريقة النقشبندية ـ طريقة صوفية زاد انتشارها فى داغستان فى منتصف القرن التاسع عشر ــ من نشاط، كما أن عددا من العلماء الذين درسوا فى الكعبة شتاء عام ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ م، وذكرهم سنوك هرجرونيه قد ولدوا فى *داغستان*».

أما المؤرخ الروسى الشهير كراتشكوفسكى فقد نشر مقالا ضمن مقالات اللغة العربية فى شمال القوقاز سنة ١٩٣٦، وترجمه د. قائد محمد طربوش، ونشره فى مجلة الحكمة اليمانية العدد ١١١ ـ إبريل ـ مايو ١٩٨٤ م جاء فيه:



بعض هدايا الأعراس صناعة ايديهم وايدين



حي من احياء ماختشكلا

«تعزز الاهتمام بظاهرة العلاقات اللغوية والأدبية بداغستان فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، بالاستخدام الحى لوجود وتعايش عدد كبير من اللغات المحلية المختلفة، التى لم تملك حروفا كتابية، ولم تنل معالجة أدبية، وكانت اللغة المكتوبة الأساسية المتبعة والوحيدة على ما يبدو هى اللغة العربية بشكلها الأدبى الكلاسيكى فى الغالب، وقد أخذ بها كل تعداد إدارى عملى، ودعمتها التقاليد المدرسية، ومنها نشأت الكتابة المحلية بشكلها النثرى والشعرى» وقد ذكر الأساتذة العلماء فى معهد التاريخ واللغة والأدب فى ماختشكلا.. ما يلى:

لقد تم تحقيق كثير من الكتب العربية فى داغستان بواسطة علماء داغستانيين، منها على سبيل المثال: كتاب للإدريسى تم تحقيقه فى القرن السادس عشر الميلادى، ووجدنا قرآنا كريما يعود تاريخ طباعته إلى القرن الثانى عشر، وتم تحقيق كتاب «برهان الحقائق» ـ وهو كتاب صوفى ـ فى القرن الرابع عشر، وكتاب المراد الذى تم تحقيقه فى القرن الخامس عشر وغير ذلك كثير.

ما هى حقيقة القول بأن هناك أقلية عربية مازالت تعيش بين قبائل اللزكى؟

ـ الليزك هو شعب داغستاني، وعاش معه كثير من العرب وتعايشوا معـه، وكان هؤلاء يتكلمون العربية حتى نهـاية القرن التاسع عشر، وبعد ذلك آل حالهم إلى مآل أهل البلاد.

هذا ولابد أن نشيـر هنا إلى أن علماء عربا كثيـرين وخاصة من رجال الدين كانوا يأتون إلى داغستان ويعيشون بين شعوبها يعلّمون الناس ما لـديهم من العلوم، وقد نشر بعضهم بعض الطرق الصوفية، كما أن علماء من داغستان كـانوا يشـدون رحـالهم إلى البـلاد الإسلاميـة والعـربيـة على الأخص لتلقى العلم، وها هى بعض القرى تحمل أسماء عربية كقرية عريب على سبيل المثال في غرب داغستان.

وبعـد: ... إن هذه البلاد نعـرفها، و تعـرفنـا منذ مئـات السنين، المصـادر التاريخيـة قـالت ذلك، وديننا، ولغتنـا، وكثير من عـاداتنا، وتقاليـدنا التى انتشرت هنـاك تقول ذلك، وكثيـر من الآثـار المـوجـودة فى متحف مـدينـة مـاختشكـلا ومتحف مصنع قريـة كوبـاتشي وكثير من الآثـار التى ما زالت قائمـة فى مدينة دربند، وشـواهد القبور تقـول ذلك، وأشعار حمزة تسادسا والد الشاعـر رسول حمزاتوف الذى كتب بعض أشعاره بالعربية تقول ذلك أيضا، نعم هذه البلاد تعرفنا ونعرفها تماما، وكثيـر من أبنائها أصبحوا مواطنين فى بلادنـا وكثير منا أصبحوا مواطنين فيها لكن ربمـا بألسنة أخرى انتهى بتصرف. العربى / ٧٦ـ ٨٢، ٨٧ـ ٩١).

(المسلمون فى آسيـا الوسطى والقوقاز ـــ إعداد مصطفى دسـوقى كسبة ١ / ٤٤، والمـوسوعـة الثقافيـة ـ بإشـراف د. حسين سعيـد / ٤٣٦، ودائرة معارف الأماكـن بالإنجليـزية، ١٩٧١ / ٢٠٦، و «داغستـان» ـ استطـلاع سليمـان الشيخ، تصـويـر سليمـان حيـدر العـربى. ربيع الأول ١٤٠٧ هـــ ديسمبر (كانون أول) ١٩٨٦ / ٧٦ـ ٨٢، ٨٧ـ ٩١).

ملاحظة: الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من مجلة «العربى» الكـويتية (انظر ثبت المـراجع) وعناوينهـا كما يلى ويمكن للقارىء الاستدلال عليها:

١ ـ قروية مع أوعية الماء التقليدية.
٢ ـ المصلون يدخلون باب مسجد مدينة باب الأبواب.
٣ـ سيدة تُسَبِّح بمسبحتها.
٤ ـــ الفتيات الصغيـرات يمارسن عمـلا مفيـدا فى قريـة كوباتشي.
٥ ـ بعض هدايا الأعراس.
٦ ـ حى من أحياء ماخشتكلا.

انظـر مـادة «بـاب الأبـواب» فى م ٦ / ٣٣٣ ـــ ٣٣٧ والخريطة المصاحبة لها ص ٣٣٥، وانظر مادة «دربند».

*** دال قد:**

عن أحكام إدغام دال «قد» يقول الإمام الشاطبى:

١ ـ وقد (سـ)ـحبت (ذ) يلا (ضـ)ـفا (ظـ)ـل (ز) رنب
(جـ)ـلته (صـ)ـباه (شـ)ـائقا ومعللا

٢ ـــ فأظهرهـا (نـ)ـجم (بـ)ـدا (د) لّ واضحـا
وأدغم ورش (ضـ)ـر ّ(ظـ)ـمّان وامتلا

٣ ـــ وأدغم (مـ)ـرو واكف (ضـ)ـير (ذ) ابل
(ز) وى (ظـ)ـله وغـر تسـداه كلكـلا

٤ ـــ وفى حـرف زينـا خـلاف ومظهـر
هشـام بصٍ حـرفـه متحمّـلا

(متن حرز الأمانى / ٥١، ٥٢).

ويشرح فضيلة الشيخ على محمد الضباع الأبيات فيقول:

اختلفـوا فى إدغامهـا وإظهارهـا عند ثمـانية أحـرف وهى الجيم والـذال والزاى والسين والشين والصـاد والضاد والظاء نحـو لقـد جاءكم، ولقـد ذرأنـا، ولقـد زينا، قـد سمع، قـد شغفها، ولقد صـرفنا، فقد ضل، لقد ظلمك، فأظهـرها عند الثمـانية قـالـون وابن كثير وعـاصم وأدغمهـا فيهن أبو عمـرو والإخوان وهشام إلا أن هشامـا أظهر لقد ظلمك بصٍ وأدغمها ورش فى الضاد والظاء وأظهرها عنـد الستة الباقية وأدغمها ابن ذكـوان فى الضـاد والظاء والـذال المعجمـات وأظهـرها عنـد الخمسة الباقية إلا أنه اختلف عنه عند الزاى

(تقريب النفع / ٥١، ٥٢).

ويقول الإمام ابن الجزرى:

١ ـــ بـالجيم والصفيـر والـذال ادَّغم
قـد وبضـاد الشيـن والظـا تَنْعَجِمْ

٢ ـ (حـ)ـكم (شفـا) (لـ)ـفظا وخلف ظلمك
لـه وورش الظـاء والضـاد ملك

٣ ـــ والضـاد والظـا الـذال فيهـا وافقـا
(مـ)ـاض وخلفـه بـزاى وُثِّقـا

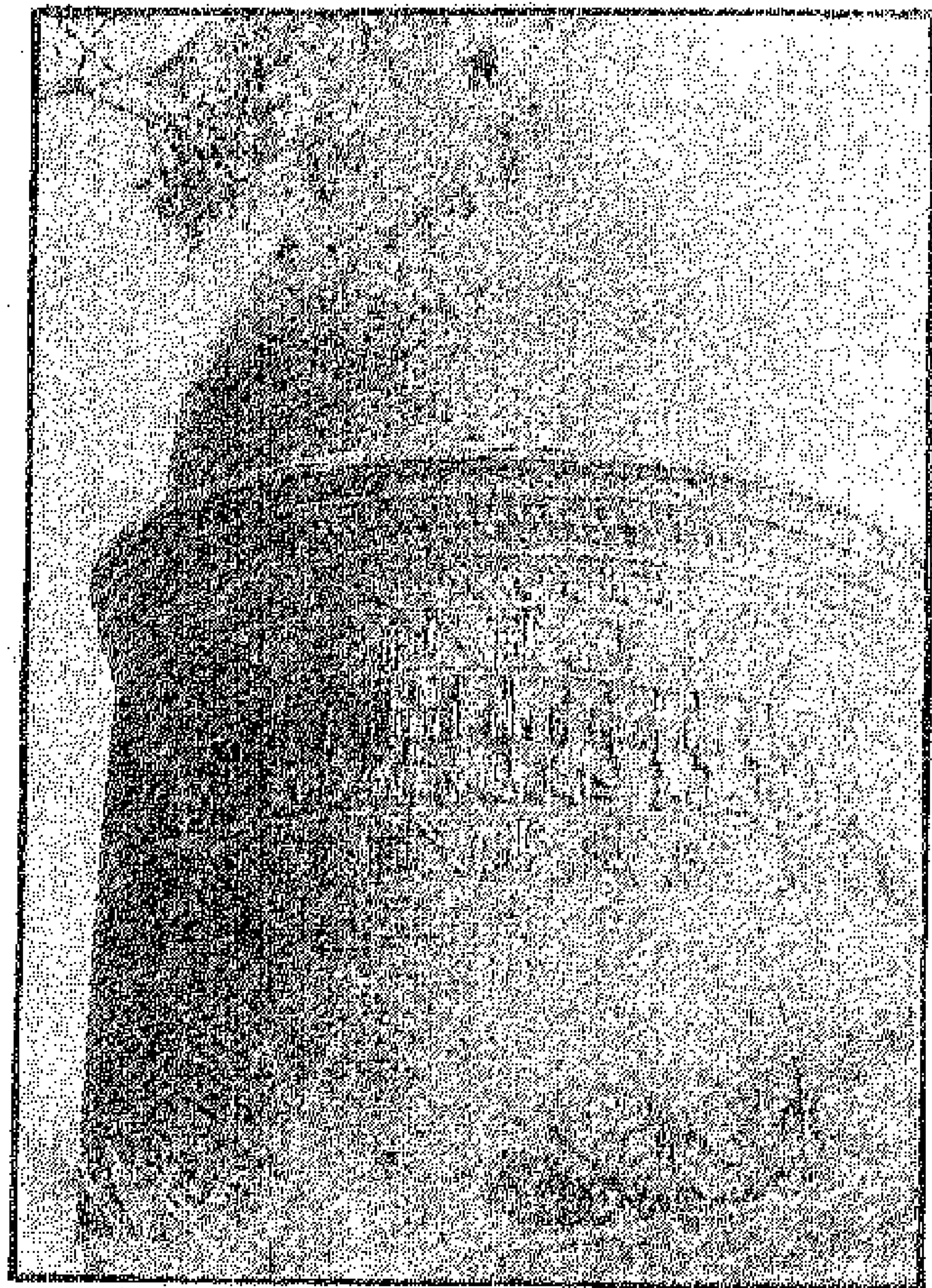
(طيبة النشر / ٢٦).

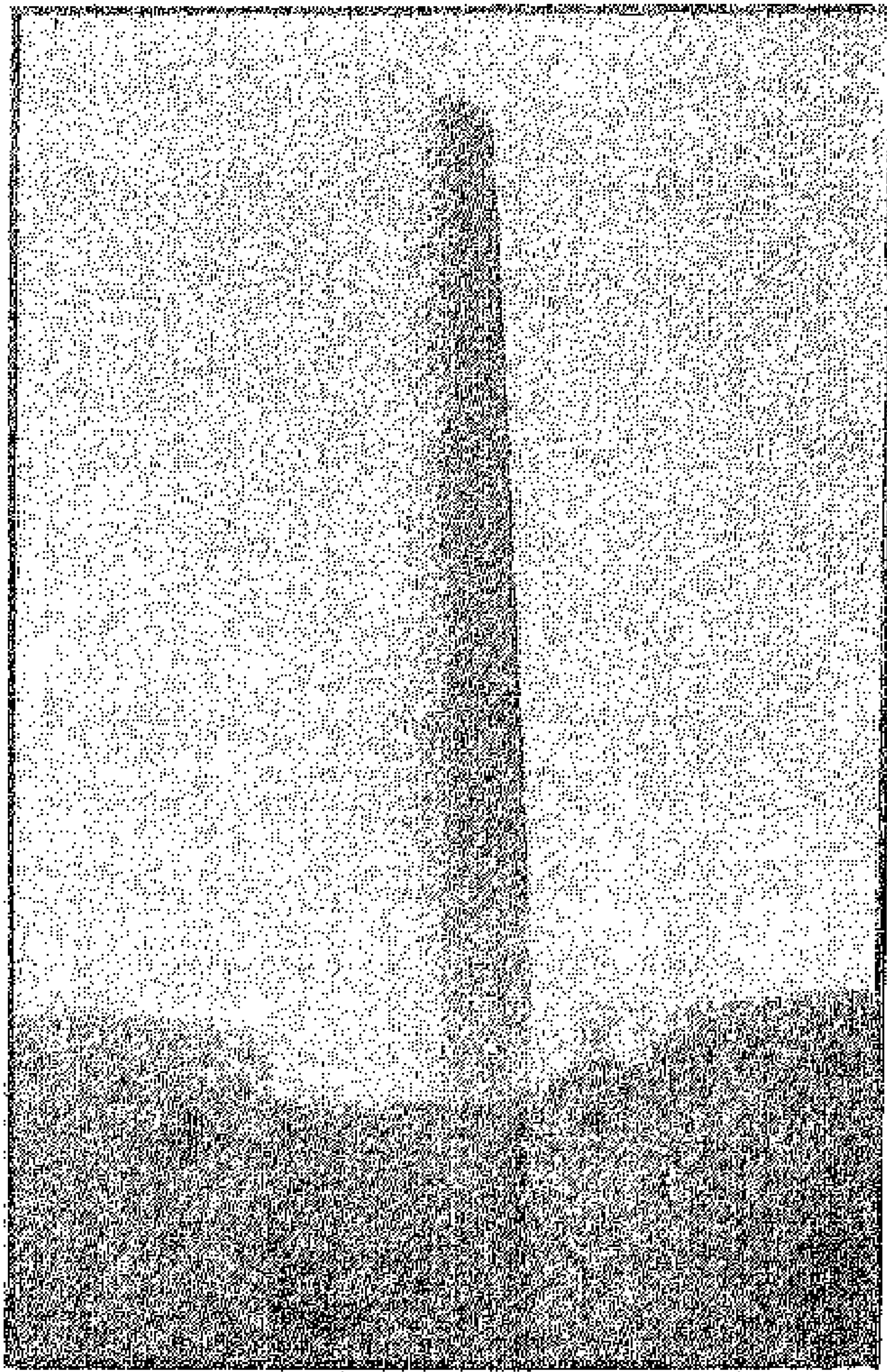
(متن حرز الأمانى ووجه التهانى للإمام الشاطبى، ومع كتاب تقريب النفع فى القراءات السبع للشيخ على محمد الضبـاع / ٥١، ٥٢، وطيبة النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى / ٢٦).

* دامغان:

قال ياقوت:

دامغان: بلد كبير بين الرى ونيسابور، وهو قصبة قومس؛ قال مسعر بن مهلهل: الدامغان مدينة كثيرة الفواكه وفاكهتها نهاية، والرياح لا تنقطع بها ليلا ولا نهارا، وبها مقسم للماء كسروى عجيب، يخرج ماؤه من مغارة فى الجبل ثم ينقسم إذا انحدر عنه على مائة وعشرين قسما لمائة وعشرين رستاقا لا يزيد قسم على صاحبه، ولا يمكن تأليفه على غير هذه القسمة، وهو مستطرف جدا ما رأيت فى سائر البلدان مثله ولا شاهدت أحسن منه، قال: وهناك قرية تعرف بقرية الجماليين فيها عين تنبع دما لا يشك فيه لأنه جامع لأوصاف الدم كلها، إذا ألقى فيه الزيبق صار لوقته حجرا يابسا صلبا متفننا، وتعرف هذه القرية أيضا بغنجان وبالدامغان، فيها تفاح يقال له القومسى، جيد حسن أحمر يحمل إلى العراق، وبها معادن زاجات وأملاح ولا كباريت فيها، وفيها معادن الذهب الصالح، وبينها وبين بسطام مرحلتان؛ قلت أنا: جئت إلى هذه المدينة فى سنة ٦١٣ مجتازا بها إلى خراسان، ولم أر فيها شيئا مما ذكره لأنى لم أقم بها، وبينها وبين كردكوة قلعة الملاحدة يوم واحد، والواقف بالدامغان يراها فى وسط الجبال؛ وقد نسب إلى الدامغان جماعة وافرة من أهل العلم،





منهم: إبراهيم ابن إسحاق الزراد الدامغانى، روى عن ابن عيينة، روى عنه أحمد بن سيار؛ وقاضى القضاة أبو عبد الله محمد بن على بن محمد الدامغانى حنفى المذهب، تفقه على أبى عبد الله الضميرى ببغداد وسمع الحديث من أبى عبد الله محمد بن على الصورى، روى عنه عبد الله الأنماطى وغيره، وكانت ولادته بالدامغان سنة ٤٠٠، وقد ولى قضاء القضاه ببغداد غير واحد من ولده.

(معجم البلدان ٢ / ٤٣٣).

انظر: الدامغانى.

ملاحظات: تبين إحدى الصورتين مئذنة جامع طريق خانة التى يرجع تاريخ إنشائها إلى نحو عام ١٠٢٧، أى قبل العصر السلجوقى، وهى بنقوشها الحجرية، وشكلها الإسطوانى الانسيابى تعد من أجمل مثيلاتها من هذا الطراز.

أما الصورة الأخرى فهى لقبة ضريح تشهيل دوختاران التى أنشئت عام ١٠٥٤ ـ ١٠٥٥ فى عصر صعود السلاجقة، وهى تحتفظ بنفس خصائص المنشآت الأخرى المعاصرة فى دامغان.

* الدامغانى:

قال السمعانى:

الدامغانى: بالدال المفتوحة المشددة المهملة والميم المفتوحة والغين المنقوطة ـ بلدة من بلاد قومس، أقمت بها يوما واحدا، ومن المحدثين القدماء بها إبراهيم بن إسحاق

الزراد الدامغاني، يروي عن سفيان بن عيينة . روى عنه أحمد ابن سيار

وأبو محمد عبد العزيز بن محمد البحتري الدامغاني التاجر نزيل نيسابور، سمع إبراهيم بن يوسف الهسنجاني والحسن بن سفيان وأقرانهما .

ومن المتأخرين قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن علي ابن محمد الدامغاني، ولي القضاء ببغداد مدة، وكان إليه القضاء والرئاسة والتقدم، وكان فقيها فاضلا، تفقه على أبي عبد الله الصيمري، وسمع منه الحديث ومن أبي عبد الله محمد ابن علي الصوري، روى لي عنه عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي والحسين بن الحسن المقدسي، وكانت ولادته بالدامغان سنة أربعمائة، ووفاته في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ببغداد، وعقبه وأولاده باقون إلى الساعة ببغداد .

وكتبت عن أبي الحسين أحمد بن علي بن محمد بن علي ابن محمد الدامغاني أحاديث يسيرة بنهر القلائين .

ووالده أبو الحسن ولي القضاء مدة ببغداد أيضا .

وأبو بكر أحمد بن محمد بن منصور الأنصاري الدامغاني، أحد الفقهاء الكبار من أصحاب الرأي، درس على أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي بمصر، ثم قدم بغداد فدرس بها على أبي الحسن الكرخي، ولما فلج الكرخي جعل الفتوى إليه دون أصحابه فأقام ببغداد دهرا طويلا يحدث عن الطحاوي ويفتي، روى عنه القاضي أبو محمد ابن الأكفاني وغيره .

وأبو العباس أحمد بن خالد الدامغاني نزيل نيسابور، شيخ مفيد كثير الرحلة، سكن نيسابور، سمع ببغداد داود بن رشيد وعبيد الله القواريري وبالبصرة نصر بن علي الجهضمي، وبالكوفة أبا كريب محمد بن العلاء، وبالحجاز أبا مصعب الزهري، وبمصر عيسى بن حماد التجيبي والحارث بن مسكين، وبالشام محمد بن مصفى وهشام بن عمار وغيرهم، روى عنه أبو العباس الكوكبي وأبو حامد بن الشرقي وأبو عبد الله بن يعقوب بن الأخرم الحفاظ، ومات سنة ثمانين ومائتين .

وأبو القاسم عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن علي بن أحمد العالمي الدامغاني، كانت له رحلة إلى العراق والشام ومصر والحجاز، حدث عن فيمون بن حمزة العلوي وأبي الحسن أحمد بن إبراهيم بن فراس المكي وغيرهما بجرجان في ذي الحجة سنة ست وعشرين وأربعمائة، ومات في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة، ودفن ليلة الجمعة يوم عاشوراء في مقبرة سكة القومسيين .

ومن القدماء بكير بن شهاب الدامغاني، يروي عن سفيان الثوري، روى عنه ابن المبارك، وأبو معاذ بكير بن معروف الدامغاني قاضي نيسابور، سكن دمشق، يروي عن مقاتل بن حيان، روى عنه الوليد بن مسلم ومروان بن معاوية الطاطري وأبو وهب محمد بن مزاحم . قال هشام بن عمار الدمشقي : نزل عندنا أبو معاذ ولم أسمع منه .

(الأنساب للسمعاني ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ / ٤٤٦، ٤٤٧).

تم بحمد الله وحسن توفيقه

المجلد السادس عشر

من الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

ويليه إن شاء الله تعالى

المجلد السابع عشر

تابع حرف الدال

وأوله مادة:

ابن الدامغاني (عتيق)

أعان الله على إتمامه

تجليـــد



دار الغد العربى

